قصص

المصباح

المضيء

الجزء

١١-١٥

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١١

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

اعداد
جمال شاهين

قصص المصباح المضيء

الجزء الحادي عشر

النبي داود

حال بنو إسرائيل قبل داود: قبل البدء بقصة داود عليه السلام، لنرى الأوضاع التي عاشها بنو إسرائيل في تلك الفترة. لقد انفصل الحكم عن الدين.. فآخر نبي ملك كان يوشع بن نون.. أما من بعده فكانت الملوك تسوس بني إسرائيل وكانت الأنبياء تهديهم. وزاد طغيان بني إسرائيل، فكانوا يقتلون الأنبياء، نبيا تلو نبي، فسلط الله عليهم ملوكا منهم ظلمة جبارين، وتتالت الهزائم على بني إسرائيل، حتى أنهم أضاعوا التابوت. وكان في التابوت بقية مما ترك آل موسى وهارون، فقيل أن فيها بقية من الألواح التي أنزلها الله على موسى، وعصاه، وأمورا أخرى. كان بنو إسرائيل يأخذون التابوت معهم في معاركهم لتحل عليهم السكينة ويحققوا النصر. فتشردوا وساءت حالهم.

اختيار طالوت ملكا: ذهب بنو إسرائيل لنبيهم يوما.. سألوه: ألسنا مظلومين؟ قال: بلى.. قالوا: ألسنا مشردين؟ قال: بلى.. قالوا: ابعث لنا ملكا يجمعنا تحت رايته كي نقاتل في سبيل الله ونستعيد أرضنا ومجدنا. قال نبيهم وكان أعلم بهم: هل أنتم واثقون من القتال لو كتب عليكم القتال؟ قالوا: ولماذا لا نقاتل في سبيل الله، وقد طردنا من ديارنا، وتشرد أبناؤنا، وساء حالنا؟ قال نبيهم: إن الله اختار لكم طالوت ملكا عليكم. قالوا: كيف يكون ملكا علينا وهو ليس من أبناء الأسرة التي يخرج منها الملوك -أبناء يهوذا- كما أنه ليس غنيا وفينا من هو أغنى منه؟ قال نبيهم: إن الله اختاره، وفضله عليكم بعلمه وقوة جسمه. قالوا: ما هي آية ملكه؟ قال لهم نبيهم: يعيد لكم التابوت . ووقعت هذه المعجزة.. وعادت إليهم التوراة يوما.. ثم تجهز جيش طالوت، وسار الجيش طويلا حتى أحس الجنود بالعطش.. قال الملك طالوت لجنوده: سنصادف نهرا في الطريق، فمن شرب منه فليخرج من الجيش، ومن لم يذقه وإنما بل ريقه فقط فليبق معي في الجيش.. وجاء النهر فشرب معظم الجنود، وخرجوا من الجيش، وكان طالوت قد أعد هذا الامتحان ليعرف من يطيعه من الجنود ومن يعصيه، وليعرف أيهم قوي الإرادة ويتحمل العطش، وأيهم ضعيف الإرادة ويستسلم بسرعة. لم يبق إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، لكن جميعهم من الشجعان. كان عدد أفراد جيش طالوت قليلا، وكان جيش العدو كبيرا وقويا.. فشعر بعض -هؤلاء الصفوة- أنهم أضعف من جالوت وجيشه وقالوا: كيف نهزم هذا الجيش الجبار..؟! قال المؤمنون من جيش طالوت: النصر ليس بالعدة والعتاد، إنما النصر من عند الله) ..كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ .(فثبّتوهم.

وبرز جالوت في دروعه الحديدية وسلاحه، وهو يطلب أحدا يبارزه.. وخاف منه جنود طالوت جميعا.. وهنا برز من جيش طالوت راعي غنم صغير هو داود.. كان داود مؤمنا بالله، وكان يعلم أن الإيمان بالله هو القوة الحقيقية في هذا الكون، وأن العبرة ليست بكثرة السلاح، ولا ضخامة الجسم ومظهر الباطل. وكان الملك، قد قال: من يقتل جالوت يصير قائدا على الجيش ويتزوج ابنتي.. ولم يكن داود يهتم كثيرا لهذا الإغراء.. كان يريد أن يقتل جالوت لأن جالوت رجل جبار وظالم ولا يؤمن بالله.. وسمح الملك لداود أن يبارز جالوت.. وتقدم داود بعصاه وخمسة أحجار ومقلاعه)وهو نبلة يستخدمها الرعاة ..(تقدم جالوت المدجج بالسلاح والدروع.. وسخر جالوت من داود وأهانه وضحك منه، ووضع داود حجرا قويا في مقلاعه وطوح به في الهواء وأطلق الحجر. فأصاب جالوت فقتله. وبدأت المعركة وانتصر جيش طالوت على جيش جالوت.

جمع الله الملك والنبوة لداود: بعد فترة أصبح داود –عليه السلام– ملكا لبني إسرائيل، فجمع الله على يديه النبوة والملك مرة أخرى. وتأتي بعض الروايات لتخبرنا بأن طالوت بعد أن اشتهر نجم داوود أكلت الغيرة قلبه، وحاول قتله، وتستمر الروايات في نسج مثل هذه الأمور. لكننا لا نود الخوض فيها فليس لدينا دليل قوي عليها. ما يهمنا هو انتقال الملك بعد فترة من الزمن إلى داود. لقد أكرم الله نبيه الكريم بعدة معجزات. لقد أنزل عليه الزبور)وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا(، وآتاه جمال الصوت، فكان عندما يسبّح، تسبح الجبال والطيور معه، والناس ينظرون. وألان الله في يديه الحديد، حتى قيل أنه كان يتعامل مع الحديد كما كان الناس يتعاملون مع الطين والشمع، وقد تكون هذه بمعنى أنه أول من عرف أن الحديد ينصهر بالحرارة. فكان يصنع منه الدروع. كانت الدروع الحديدية التي يصنعها صناع الدروع ثقيلة ولا تجعل المحارب حرا يستطيع أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد. فقام داوود بصناعة نوعية جديدة من الدروع. درع يتكون من حلقات حديدية تسمح للمحارب بحرية الحركة، وتحمي جسده من السيوف والفئوس والخناجر.. أفضل من الدروع الموجودة أيامها.. وشد الله ملك داود، جعله الله منصورا على أعدائه دائما.. وجعل ملكه قويا عظيما يخيف الأعداء حتى بغير حرب، وزاد الله من نعمه على داود فأعطاه الحكمة ، أعطاه الله مع النبوة والملك حكمة وقدرة على تمييز الحق من الباطل ومعرفة الحق ومساندته.. فأصبح نبيا ملكا قاضيا. القضايا التي عرضت على داود: يروي لنا القرآن الكريم بعضا من القضايا التي وردت على

داود –عليه السلام. فلقد جلس داود كعادته يوما يحكم بين الناس في مشكلاتهم.. وجاءه رجل صاحب حقل ومعه رجل آخر.. وقال له صاحب الحقل: سيدي النبي.. إن غنم هذا الرجل نزلت حقلي أثناء الليل، وأكلت كل الزروع التي كانت فيه.. وقد جئت إليك لتحكم لي بالتعويض.. قال داود لصاحب الغنم: هل صحيح أن غنمك أكلت حقل هذا الرجل؟ قال صاحب الغنم: نعم يا سيدي.. قال داود: لقد حكمت بأن تعطيه غنمك بدلا من الزروع التي أكلتها. قال سليمان.. وكان الله قد علمه حكمة تضاف إلى ما ورث من والده: عندي حكم آخر يا أبي.. قال داود: قله يا سليمان.. قال سليمان: أحكم بأن يأخذ صاحب الغنم حقل هذا الرجل الذي أكلته الغنم.. ويصلحه له ويزرعه حتى ينمو الزرع ، وأحكم لصاحب الحقل أن يأخذ الغنم ليستفيد من صوفها ولبنها ويأكل منه، فإذا نما الزرع وعاد الحقل سليما كما كان أخذ صاحب الحقل حقله وأعطى صاحب الغنم غنمه.. قال داود: هذا حكم عظيم يا سليمان.. الحمد لله الذي وهبك الحكمة.. فتنة داود: وكان داود رغم قربه من الله وحب الله له، يتعلم دائما من الله، وقد علمه الله يوما ألا يحكم أبدا إلا إذا استمع لأقوال الطرفين المتخاصمين.. فيذكر لنا المولى في كتابه الكريم قضية أخرى عرضت على داود عليه السلام. جلس داود يوما في محرابه الذي يصلي لله ويتعبد فيه، وكان إذا دخل حجرته أمر حراسه ألا يسمحوا لأحد بالدخول عليه أو إزعاجه وهو يصلي.. ثم فوجئ يوما في محرابه بأنه أمام اثنين من الرجال.. وخاف منهما داود لأنهما دخلا رغم أنه أمر ألا يدخل عليه أحد. سألهما داود: من أنتما؟ قال أحد الرجلين: لا تخف يا سيدي.. بيني وبين هذا الرجل خصومة وقد جئناك لتحكم بيننا بالحق. سأل داود: ما هي القضية؟ قال الرجل الأول) :إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ (وقد أخذها مني. قال داوود أعطها له وحكم داوود من غير أن يسمع رأي الطرف الآخر وحجته) :لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ..(وإن كثيرا من الشركاء يظلم بعضهم بعضا إلا الذين آمنوا.. وفوجئ داود باختفاء الرجلين من أمامه.. اختفى الرجلان كما لو كانا سحابة تبخرت في الجو وأدرك داود أن الرجلين ملكان أرسلهما الله إليه ليعلماه درسا.. فلا يحكم بين المتخاصمين من الناس إلا إذا سمع أقوالهم جميعا، فربما كان صاحب التسع والتسعين نعجة معه الحق.. وخر داود راكعا، وسجد لله، واستغفر ربه.. نسجت أساطير اليهود قصصا مريبة حول فتنة داود عليه السلام، وقيل أنه اشتهى امرأة أحد قواد جيشه فأرسله في معركة

يعرف من البداية نهايتها، واستولى على امرأته.. وليس أبعد عن تصرفات داود من هذه القصة المختلقة.. إن إنسانا يتصل قلبه بالله، ويتصل تسبيحه بتسبيح الكائنات والجمادات، يستحيل عليه أن يرى أو يلاحظ جمالا بشريا محصورا في وجه امرأة أو جسدها.. وفاته عليه السلام: عاد داود يعبد الله ويسبحه حتى مات... كان داود يصوم يوما ويفطر يوما.. قال رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عن داود" :أفضل الصيام صيام داود. كان يصوم يوما ويفطر يوما. وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه ويبكي ببكائه كل شيء ويشفي بصوته المهموم والمحموم .."جاء في الحديث الصحيح أن داود عليه السلام كان شديد الغيرة على نساءه، فكانت نساءه في قصر، وحول القصر أسوار، حتى لا يقترب أحد من نساءه. وفي أحد الأيام رأى النسوة رجلا في صحن القصر، فقالوا: من هذا والله لئن رآه داود ليبطشنّ به. فبلغ الخبر داود –عليه السلام– فقال للرجل: من أنت؟ وكيف دخلت؟ قال: أنا من لا يقف أمامه حاجز. قال: أنت ملك الموت. فأذن له فأخذ ملك الموت روحه. مات داود عليه السلام وعمره مئة سنة. وشيع جنازته عشرات الآلاف، فكان محبوبا جدا بين الناس، حتى قيل لم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كان بنو إسرائيل أشد جزعا عليه.. منهم على داود.. وآذت الشمس الناس فدعا سليمان الطير قال: أظلي على داود، فأظلته. وسكنت الريح. وقال سليمان للطير: أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي من ناحية الريح. وأطاعت الطير. فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان.

قصة من السنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – ﷺ – قال) : قال رجل : لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّق على سارق، فقال : اللهم لك الحمد !، لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّق الليلة على زانية، فقال : اللهم لك الحمد على زانية !، لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني، فأصبحوا يتحدثون : تُصُدِّق على غني، فقال : اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني !، فأُتي فقيل له : أما صدقتك على سارق، فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية، فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني، فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله (متفق عليه)

وقفات مع القصة

الحديث غنيٌّ بالمعاني والدلائل التي تجدر الإشارة

إليها، وأوّل محطّاتنا هي بيان الارتباط الوثيق بين العمل والنيّة، وأن قبول الأعمال عند الله يكون على قدر ما تحقّق فيها من التجرّد والإخلاص، وقد أكّد النبي – ﷺ – ذلك بقوله : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه .

ولنا أن نستوحي مما سبق أنه ليس من المهم أن تقع الصدقة في موضعها الصحيح، إنما المهم هو حسن القصد وتصحيح النيّة، ولا يعني ذلك بالطبع الامتناع عن التحرّي في حال السائلين، وكشفِ الصادق من الكاذب، ولكنّ المذموم هو المبالغة في ذلك والتكلّف فيه .

ومن الآثار الحميدة للإخلاص – والتي أشار إليها الحديث بشكلٍ عابر –، أن صاحبها قد ينتفع بأعمال أناسٍ لم يكن له توجيهٌ مباشر إلى الخير، بل كان مجرّد سبب ساقه الله إليهم، فتغيّرت أحوالهم به، فالسارق والزانية والغنيّ – كما في القصة –، قد ينصلح حالهم وتحسن فعالهم، فينال المتصدّق بسببهم أجراً عظيماً .

كما جاء ذكر الرؤيا في سياق القصّة، وتُطلق على ما يراه النائم، وتكون حقّاً من عند الله تعالى بما تحمله من بشارة أو نذارة، ولذلك يقول النبي – ﷺ – : (الرؤيا الصادقة من الله) رواه البخاري .

وفي الحديث دلالةٌ على فضل التسليم بالقضاء والقدر، وحمد الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال : في المنشط والمكره، والعسر واليسر، اقتداءً بالنبي – ﷺ – الذي كان يكثر من الثناء على الله والتمجيد له، مهما نزلت به من صروف الحياة وابتلاءاتها .

قلب الوطن

وهج الحرب ٩

لما فتح جهاد الخط قال عارف بعد السلام : عمي حبيب اتصل بي قبل قليل يقول إنه وجد لي عروسا يراها مناسبة ، هل ترافقني لنراها ونتعرف على أهلها فهم من أهالي تاج الزمان .

ـ متى الموعد؟

قال : عليّ أن أتصل بهم ، ونتفق على الوقت .

ـ رتب معهم ، وسأرافقك ، هل سيذهب غيرنا ؟

قال : وردة أم جوهر قبلت .. نحن الثلاثة.

ـ ماذا تعمل المرأة ؟

قال : ما تحدث عمي عن ذلك ، قال هناك رجل أعمال صديقه يتعامل معه ، عنده بنت يرغب بمصاهرتنا بها اذا أعجبتنا .

ـ على كل اتصل بهم ، ورتب للمقابلة ، وأنا سأستفهم من عمنا عن تلك الأسرة الكريمة.

أغلق الهاتف والتفت لأصدقاء المكتب ، وقال: شقيقي الأكبر أبو سلمى يرغب بمشاهدة امرأة ؛ لعلها تكون زوجته.

قال إبراهيم : موضوع شقيقي طال يا جهاد!

قال مبررا : موت الجاسوس أخر الأمر بسبب التحقيقات التي لحقت اللواء وابنته ووردة أختنا ؛ ولعلها تنتهي .. عاش أكثر من خمس عشرة سنة في بعنبس دون أن يكشف ، تكلم معي الدكتور وهو منزعج من تململهم ومن إتعاب أمه بابنه محمد .

علق مهران : هم مترددون بسبب الجاسوس الذي ظهر بين ظهرانيهم زوج ابنتهم فالأمر صعب ومرعب .. لا تنسوا ذلك ، وهناك سبب آخر طلاقها الثاني والخوف من فشل ثالث .. يا إبراهيم في مجتمع كهذا يُعظم مشكلة الطلاق ، ويجعل سببها المرأة .. والزوج ضحية ومسكين غلبان .. لابد للمرء أن يغامر .

فقال جهاد : كان المفروض أن يحدث الزواج قبل شهور في تقديرنا نحن البشر .. مرض اللواء وأصبح على وشك الموت ، عمل عملية قلب فمن غير اللائق منا ومن البنت أن يتزوجا ، ولو كان الكتاب معقودا ؛ ربما حدث الزواج ، ولم يكن بيننا وبينهم يا إبراهيم إلا الكلام ..البنت كما تقول شقيقتي وردة تتمنى أن تجد الرجل الطيب الذي تحلم به ، وتستقر الحياة معه ، يبادلها الحب والرصانة ، وهي تحب الحياة الهادئة ، ويقول عمي حبيب : أثنوا على أبي محمد خيرا ، وقال عمي : سيتوفقان بإذن الله ، وهي استفادت من تجاربها القاسية السابقة.

قال إبراهيم : جزاهم الله خيرا .. سينبسط أخي من هذا الكلام .. هو فعلا يريد زوجة أما لمحمد وأما له ؛ كي يتفرغ للبحث في الأدب الإنجليزي والروايات الإنجليزية العالمية ، فهو مرجع فيها ، كأنه يحفظها عن ظهر قلب ، قبل فترة ظهر على فضائية العالم الثقافي عرف فيها الأدب الإنجليزي

قال مهران : الأدب العربي مظلوم مع عشقه الأدب الأجنبي .

قال جهاد : القدر يا ولدي القدر ! سمعتم بالجريمة الأخيرة.

قال احمد : أي جريمة ؟

قال : الصحف نشرت أن رجلا نحر عائلة في عنبس .

ـ عائلة ! لم أقرأ اليوم الصحف ، كان رأسي في صداع شديد البأس .

قال مهران : مرت تحت عينيّ لم أركز عليها ، شدّني هنا حديث عن خبر سقوط طائرة بولندا التي حدثت في شهر نيسان ، ومات الرئيس وتسعون مرافقا.

قال احمد : ما الجديد ؟

قال مهران: لا جديد .. هناك تشكيك بولندي بصحة تقارير روسيا عن الحادث اسمع:

(يذكر قراء فجر الأمة حادث سقوط طائرة

رئيس بولندا في نيسان الفائت ؛ حيث كانوا في طريقهم لإحياء ذكرى البولنديين الذين قتلوا في مجزرة كاتين في الحرب الكبرى الثانية بيد البوليس السري السوفيتي إبان حكم ستالين ، تحطمت الطائرة توبوليف تو التي تقل ٩٦ شخصا وسط ضباب كثيف عند اقترابها من مطار سمولينسك غربي روسيا يوم السبت ١٠ أبريل ٢٠١٠ مما أسفر عن مقتل جميع من كان على متنها.. وكان على متن الطائرة كل من ليخ كاتشينسكي الرئيس ، وزوجة الرئيس البولندي ماريا كاتشينسكا ، ورئيس أركان الجيش البولندي ، وعدد من كبار ضباط الجيش ، إضافة إلى رئيس البنك المركزي البولندي ، وأعضاء من البرلمان البولندي.

وتابع القراءة : وقال محققون روس إن طاقم قيادة الطائرة لم يصغ للتحذيرات بسوء الأحوال الجوية ؛ لأنه كان يخشى إثارة استياء الرئيس.وأضافوا أن وجود قائد السلاح الجوي البولندي في قمرة الطائرة دفع الطاقم للمجازفة بشكل غير مبرر.

وفي هذا السياق قال كاتشينسكي رئيس الوزراء البولندي الأسبق وتوأم الرئيس الذي قضى في الحادث إن لديه شكوكا بأن تكون الجثة التي دفنت في الكاتدرائية البولندية لشقيقه : "حين رأيت الجثة التي نقلت إلى بولندا في تابوت ، شعرت أن ذلك الرجل لا يشبه شقيقي) .

وعقب مهران بعد انتهاء المقال : فهم يرون أن الروس فجروا الطائرة عمدا ، وألحقوهم بضحايا كاتين ، وكتبت الجريدة قصة ومجزرة كاتين.

فقال احمد : هات ها الجريدة أتعرف حكاية كاتين .. أنا أول مرة أسمع عنها!

قال : فظائع الروس وإجرامهم لا تعد ولا تحصى .. كم سحقوا من مسلمين القوقاز والشيشان ؟!.. تثقف يا دكتور عن عنف ستالين سيد وزعيم الشيوعيين العرب .

تناول احمد الجريدة من زميله مهران ليقرأ ما كتبت الصحيفة عن مجزرة كاتين المرعبة قبل سبعين سنة

**** ****

مجزرة كاتين

وقعت مجزرة كاتين ـ مدينة في روسيا ـ عام ١٩٤٠ قتل فيها الآلاف من البولنديين من بينهم ضباط وفنانون وسياسيون على أيدي أفراد الشرطة السرية السوفياتية ، بناء على أوامر من الزعيم السوفياتي جوزيف ستالين ، وبعد أشهر فقط من تقسيم بولندا بين ألمانيا النازية هتلر وستالين الاتحاد السوفيتي .

وقامت الشرطة السوفياتية السرية يومئذ بإعدام نحو ٢٢ ألف بولندي، منهم ثمانية آلاف ضابط كانوا أسرى حرب أثناء الغزو السوفياتي لبولندا عام ١٩٣٩، وستة آلاف ضابط شرطة ، والباقي

من النخبة السياسية والثقافية، وتمَّ إعدامهم بإطلاق النار على رؤوسهم وإلقاء جثثهم في مقابر جماعية.

ورغم أن عمليات القتل وقعت في عدة مواقع ، فإن غابة كاتين الواقعة غربي روسيا أصبحت هي الرمز الرئيسي للمجزرة التي ظل الروس يحمّلون النازيين المسؤولية عنها حتى عام ١٩٩٠، عندما اعترف الزعيم السوفياتي السابق ميخائيل غورباتشوف بمسؤولية بلاده عنها.

اعتراف روسيا لم يشفع بفتح أرشيفها وتقديم الوثائق لبولندا ، وظل بعض الروس يحاولون الترويج لرواية مسؤولية الألمان عن المذبحة إلى غاية نيسان ٢٠١٠، حين نشرت موسكو ـ بأمر من الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف ـ وثائق سوفياتية تخص المجزرة على موقع محفوظات الدولة. وكانت تلك الوثائق محفوظة لعقود في أرشيف الحزب الشيوعي، وذلك بهدف تعزيز التقارب وتحسين العلاقات بين روسيا وبولندا.

وجاء قرار دميتري بعد موافقة مجلس النواب الروسي (الدوما) على إعلان يقرُّ بمسؤولية الزعيم السوفياتي السابق جوزيف ستالين عن المجزرة خلال الحرب العالمية الثانية.

وكانت السرية رفعت عن تلك الوثائق أيلول ١٩٩٢ بأمر من الرئيس بوريس يلتسين، وتم كشفها لبولندا ، وحصر الاطلاع عليها على الباحثين المتخصصين فقط.

شاركت روسيا ـ لأول مرة ـ في إحياء ذكرى المجزرة في غابة كاتين بحضور رئيس الوزراء الروسي فلاديمير بوتين ونظيره البولندي دونالد تاسك في نيسان ٢٠١٠، ولم تقدم اعتذارا رسميا للبولنديين. ودعا بوتين يومها البولنديين ؛ ألا ينحوا باللائمة على الشعب الروسي في هذه المجزرة التي ارتكبها جهاز الشرطة السرية لستالين ، وأن ينظروا إلى المستقبل لا إلى الماضي فحسب .

تعد مجزرة كاتين ، أو كما تعرف باسم مجزرة في غابة كاتين عملية إعدام جماعي لآلاف البولنديين نفذتها المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية البوليس السري ، وذلك على مدار شهري أبريل ومايو عام١٩٤٠ .

وقد دفع إلى هذه المجزرة الوحشية اقتراح لافرينتي بيريا (اعدم رميا بالرصاص عام١٩٥٣) رئيس المؤسسة آنذاك ؛ بأن يتم إعدام الأعضاء المقيدين بجهاز الضباط البولنديين جميعهم ، وذلك في ٥ مارس ١٩٤٠، قوبلت تلك الوثيقة الرسمية بالموافقة ؛ حيث وقع عليها المكتب السوفيتي بقيادة جوزيف ستالين ، تم تنفيذ المجزرة في ثلاثة أماكن مختلفة في روسيا ، غابة كاتين، وسجنيّ تفير وخاركيف ، ويقدر عدد

الضحايا بحوالي ٢٢٠٠٠ ضحية.

وكان من بين الذين تم إعدامهم ٨٠٠٠ ضابط ، تم أخذهم كأسرى حرب أثناء الغزو السوفيتي لبولندا عام ١٩٣٩، إضافة إلى ٦٠٠٠ ضابط شرطي ، أما عن البقية فهم يمثلون طبقة النخبة المثقفة ببولندا ، وقد زُعم أنهم: "عملاء للمخابرات ، وحرس ، وملاك أراضٍ، ومخربون، وملاك مصانع، وقضاة ، ومسؤولون، وكهنة.

شملت تلك المجزرة مختلف الأطياف والأشخاص، فكان من بينهم: أدميرال، وجنرالان، و٢٤ عقيدًا، و٧٩ مقدمًا، و٢٥٨ رائدًا، و١٧ ربانًا، و٣٤٢٠ ضابط صف، وسبعة قسيسين ، وثلاثة ملاك أراض، وأميرا، و٤٣ مسئولاً، و٨٥ عسكريًا، و١٣١ لاجئًا ، و٢٠ أستاذًا بالجامعة، و٣٠٠ طبيب ، وعدة مئات محامين، ومهندسين، وأساتذة؛ وما يفوق ١٠٠ كاتب وصحفي، إضافة إلى ٢٠٠ طيار ؛ ليس كل من تم إعدامه من البولنديين يمثلون أحزابًا عرقية ، بل هناك دولة متعددة الأعراق تمثلت في جمهورية بولندا الثانية ، وما بها من فرق تدريب الضباط التي ضمت جنسيات مختلفة مثل البيلاروسيين، والأوكرانيين، واليهود.

٣٩٥ سجينًا نجوا من تلك المذبحة ، ومن بينهم ستانيسواف سفانيافيتش وهو مؤرخ بولندي ويوزيف تشابسكي جندي بالجيش البولندي، تم نقلهم إلى معسكر يوخنوف، ثم إلى مدينة غريازوفيتس. تلك الغابة التي تقع على مقربة من قرى كاتين التي تبعد عن مدينة سمولينسك بروسيا من جهة الغرب بحوالي ١٩كم ، ومن المعروف أن المجزرة المشار إليها هي الأضخم ضمن العديد من عمليات إعدام أسرى الحرب العشوائية.

أما عن العمليات الأخرى فقد نفذتها المؤسسة السرية داخل المعسكرات التي تقع في المدن النائية جغرافيًا مثل: أوستاشكوف ، وأيضًا بمقرات مفوضية الشؤون الداخلية في مدينة سمولينسك، إلى جانب السجون المتمركزة في مدن تفير، وخاركيف، وموسكو، وعدد آخر من مدن الاتحاد السوفيتي ، هناك العديد من المجازر الأخرى التي شهدتها مواقع مختلفة بمدينتي بيلاروسيا، وأوكرانيا الغربية طبقًا للقوائم الخاصة التي تحمل أسماء السجناء البولنديين . وفي عام ١٩٤٣ أفصحت الحكومة النازية عن اكتشاف مقابر جماعية بغابة كاتين فبمجرد أن علمت الحكومة البولندية الجديدة ، ومقرها لندن، طالبت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بعمل استجواب عن الحادث ، فقام ستالين على الفور بقطع العلاقات الدبلوماسية ما بين الحكومة الجديدة والاتحاد

السوفيتي الذي حاول توجيه تهمة الإبادة تلك نحو الحزب النازي.

ظل الاتحاد السوفيتي في حالة إنكار حتى عام ١٩٩٠ حيث كان الاعتراف الرسمي بالتهمة وتوجيه أصابع الاتهام إلى المؤسسة السرية لارتكابها المجازر، وكذلك الحكومة السوفيتية لتسترها المتوالي على القضية. وقد جاء، طبقًا للتحقيق الذي أجراه كل من مقر المدعي العام للاتحاد السوفيتي (١٩٩٠-١٩٩١) والاتحاد الروسي(١٩٩١-٢٠٠٤)، تأكيد تحمل الاتحاد السوفيتي المسؤولية الكاملة عن المجازر التي تمت، حيث تمكنوا من إثبات مقتل عدد ١٨٠٣ من المواطنين البولنديين؛ ولكنهم لم يلحقوا ذلك الحدث ضمن دائرة جرائم الحرب أو حتى اعتباره إبادة جماعية.

لقد تم غلق التحقيق في القضية على أساس أن مرتكبي المجزرة كانوا قد توفوا بالفعل. أقر مجلس الدوما في الاتحاد السوفييتي في بيان له صدر عام ٢٠١٠ في تشرين الثاني اعتبار ستالين مسؤولًا عن تدبير تلك المجزرة ، ومعه أيضًا عدد من المسؤولين في الاتحاد.

أدلى دميتري توكاريف- الرئيس السابق لمجلس حي المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية بمستوطنة كالينين- بشهادته حول أحداث عمليات الإعدام بسجن المدينة موضحًا أن إطلاق النيران بدأ مساءً وانتهى مع بزوغ الفجر.

تمت أول عملية نقل للضحايا في الرابع من نيسان ١٩٤٠، حيث تم نقل ٣٩٠ قتيلاً، ووجدت صعوبة في قتل عدد ضخم في ليلة واحدة فقط. حملت العمليات التالية ما لا يزيد عن ٢٥٠ قتيلاً كانت تتم عمليات الإعدام عن طريق استخدام طبنجات ألمانية الصنع عيار١٧ 7.65×mm مستوردة من موسكو، كذلك تم استخدام مسدسات M1895 عيار ٦٢ ,٧×٣٨ mmR . اتجه الجلادون نحو استخدام أسلحة ألمانية عوضًا عن الأسلحة السوفيتية النموذجية لما تؤدي إليه من ارتداد بالغ سبب ألمًا شديدًا للمنفذين خاصة بعد تنفيذ عشرات العمليات الأولية. فازيلي ميخايلوفيتش بلوخين الجلاد الرئيسي ومن ينفذ الإعدام بالمفوضية الشعبية للشؤون الداخلية عرفه التاريخ بالجلاد الأكثر نشاطًا ؛ قام وحده بقتل ٧٠٠٠ مدانٍ ينتمون لمعسكر أوستاشكوف. لم تكن عمليات القتل عشوائية، بل كانت ممنهجة تمر بعدة خطوات؛ كانت تتم مراجعة بيانات كل منهم أولاً، ثم يقاد مكبلاً إلى زنزانة معزولة بأكوام من الأكياس الممتلئة بالرمال على امتداد الجدران ، كانت تستخدم لإخماد صوت إطلاق النيران، ومحكمة بباب ضخم مبطًنا باللبد ، يتلقى بعد ذلك

السجين أوامر بالركوع على ركبتيه، ويتم إطلاق النيران على الرأس من الخلف الخطوة التالية هي نقل الجثة إلى إحدى الشاحنات بالخارج عبر الباب المعاكس ، عندئذ يدخل السجين الذي يليه وهكذا دواليك ، إضافةً إلى السبل السابقة المستخدمة داخل الزنزانة، كان يتم تشغيل بعض الآلات، ربما مراوح، لإحداث نوع من الضجيج يطغى على صوت الأعيرة النارية في جوف الليل ، كان ذلك بمثابة النهج التقليدي كل ليلة باستثناء يوم عيد العمال. كان يتم دفن كل من سجناء أوكرانيا بقرية بيكيفنيا، وسجناء بيلاروسيا بكوراباتي ، وهي منطقة مشجرة تقع على ضواحي البلدة ، وقد تراوحت أعدادهم ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ قتيل.

كان التساؤل آنذاك يدور حول إلام سيؤول إليه مصير السجناء البولنديين عقب عملية غزو الاتحاد السوفيتي (الباربروسا) التي تمت في حزيران ١٩٤١. وقع كل من الحكومة البولندية الجديدة والحكومة السوفيتية على اتفاقية شملت كلا الطرفين ومثلها رئيس الوزراء البولندي سيكورسكي ومايسكي سفير الاتحاد السوفيتي؛ لذلك عرفت باسم اتفاقية سيكورسكي- مايسكي، ونصت الاتفاقية على عزم الطرفين على مقاومة ألمانيا النازية جنبًا إلى جنب ، والعمل على تكوين جيشًا بولنديًا ضمن مقاطعة الاتحاد السوفيتي. تولى الفريق البولندي أنديرس تكوين الجيش والإشراف عليه، كما بدأ خطوات البحث عن المفقودين من الضباط بصورة عاجلة ، وأثناء مقابلة شخصية، طمأنه ستالين، وكذلك سيكورسكي، بأن جميع البولندينن قد تم إطلاق سراحهم ؛ لكن المشكلة تكمن في عدم القدرة على تقديم بيانا بأعدادهم ؛ حيث فقد الاتحاد السوفيتي آثارهم بأراضي منشوريا.

انتشر خبر المقابر الضخمة التي وجدت بكوزلسك على مقربة من غابة كاتين بين السكان وتسرب الخبر أيضًا إلى عمال السكة الحديد المأجورين، وكان ذلك عام ١٩٤٢ وقتما وقعت الأراضي المحيطة بمدينة سمولينسك تحت قبضة الألمان، كما اكتشفوا إحدى هذه المقابر والإبلاغ عنها لدى الدولة البولندية السرية.

أذاع راديو برلين أخبارا عن كشف القوات العسكرية الألمانية عن خندق بغابة كاتين بالقرب من مدينة سمولينسك يمتد إلى ٢٨م تحت الأرض بعرض ١٦م ؛ حيث تم إلقاء حوالي ٣٠٠٠ جثة في صورة تراكمية على امتداد ١٢ طبقة.

لم تتوقف الإذاعة عند بث تلك الأخبار الدقيقة فحسب ، بل وجهت أصابع الاتهام نحو الاتحاد السوفيتي لارتكاب الجريمة في ١٩٤٠. بدأ الألمان بالعمل على إثبات التهمة على المتورطين،

فقاموا بإعداد جمعية الصليب والهلال الأحمر الأوروبية كخطوة أولية ولقبت باللجنة الدولية للصليب الأحمر ؛ حيث تكونت من ١٢ خبيرًا بالطب الشرعي من مختلف الأنحاء؛ مملكة بلجيكا، وجمهورية بلغاريا، ومملكة الدانمارك، وجمهورية فنلندا، والجمهورية الفرنسية، والجمهورية الإيطالية، وجمهورية كرواتيا، وهولندا، ورومانيا، والسويد ، وجمهورية سلوفاكيا، والجمهورية المجرية.

قام جويتل بالهروب خارج البلاد فور انتهاء الحرب بجواز سفر مزيف؛ وذلك لوجود أمر بالإيقاف صادر ضده ؛ أجبر اثنان من طاقم العمل باللجنة الدولية للصليب الأحمر، ماركو ماركوف من بلغاريا وفرانتيسك هايك من الجمهورية التشيكية، على سحب أدلتهم التي جاءت ضد مصلحة الاتحاد السوفيتي، وخاصةً بعدما أصبحت كل من جمهورية بلغاريا والجمهورية التشيكية دولتين تابعتين للاتحاد السوفيتي، وبالتبعية تأييد الاتحاد والإلقاء باللوم على الألمان. نفذ الشيوعيون حكم الإعدام على لويس جوراك أخصائي علم الأمراض وعضو بفريق التحقيق الكرواتي عقب الحرب، بينما نجح إدوارد ميلوسلافيك زميله بالعمل في الهروب إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كانت مجزرة كاتين بمثابة ورقة رابحة بالنسبة لألمانيا النازية استخدمتها للإضعاف من موقف الاتحاد السوفيتي والتشكيك في مصداقيته. وفي ١٤ نيسان دون غوبلز في مذكراته: إننا حاليا نستغل نبأ مقتل ١٢٠٠٠ضابط بولندي على يد جهاز مخابرات جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية بحملة دعاية لمكافحة البلشفية على أكبر نطاق ممكن. لقد قمنا بإرسال صحفيين ومثقفين يتسمون بالحيادية إلى موقع الأحداث، حيث وردتنا تقارير مروعة، كما أتيح لنا إرسال بعض الأخبار الجذرية للصحافة الألمانية، وبناءً عليه قمت بإصدار بعض التوجيهات للاستفادة من مادة الدعاية بقدر المستطاع ، فهي السبيل الوحيد لنا لبضعة أسابيع قادمة. وبالفعل أبدت الدعاية الألمانية تقدمًا ملحوظًا في هذا الإطار ونقل كيف أن المذهب الشيوعي يشكل خطرًا جامحًا على الحضارة الغربية. لم تفتأ الحكومة السوفيتية أن واجهت تلك التهم حتى أنكرتها جميعًا، كما ادعت تورط السجناء بأعمال بناء غرب مدينة سمولينسك الأمر الذي دفع العناصر الألمانية الغازية إلى أسرهم وإعدامهم بأغسطس، أيلول ١٩٤١.

وجاء رد الحكومة مفصلاً في ١٥ نيسان على ما بثته الإذاعة الألمانية في ١٣ نيسان من تهم موجهة

ضدها، ساعدت على إعداده إحدى وكالات الأنباء السوفيتية: "إن من شارك من أسرى الحرب البولنديين في أعمال البناء غرب سمولينسك في ١٩٤١ سقطوا ضحايا الجلادين المنتمين للحزب الفاشي بألمانيا". وفي نيسان ١٩٤٣ عزمت الحكومة البولندية الجديدة على فتح ملفات القضية أمام الاتحاد السوفيتي، إضافة إلى حث اللجنة الدولية للصليب الأحمر على الشروع في إجراء تحقيق.

وجاء رد ستالين في ظل تلك الإجراءات باتهام الحكومة البولندية بالتواطأ مع حكومة ألمانيا النازية ، ولم يكتف بذلك بل قام بقطع كل العلاقات الدبلوماسية مع بولندا، وعمل على إنشاء حملة توعي الحلفاء الغربيين بوجود حكومة بولندية بديلة موالية للاتحاد السوفيتي بموسكو ترأسها فاندا فاشيليفسكا.

في أيلول ١٩٤٣ حينما علم غوبلز بأمر ضرورة انسحاب الجيش الألماني من منطقة كاتين قام بتدوين تنبؤاته حول هذا الأمر في مذكراته ، وفي مقدمة مذكراته ليوم ٢٩ من شهر أيلول كتب غوبلز: " التنازل عن كاتين كان أمرًا لا فرار منه، فحالما يكتشف الشيوعيون أننا قمنا بقتل ١٢٠٠٠ بولندي، وهو ما سيتم بلا أدنى شك، ستعترض طريقنا بعض العقبات في المستقبل، وبالتأكيد سيستغل الاتحاد السوفيتي ذلك الأمر للبحث عن أكبر عدد ممكن من المقابر الجماعية لكشفنا". قامت السلطات السوفيتية بإجراء مقابلات مع الشهود وتهديدهم بالاعتقال بتهمة دعمهم للألمان إذا ما جاءت شهاداتهم مغايرة لخط الأحداث المقرر بها.

لم يتم العثور على أية وثائق خاصة بضحايا يعود تاريخها إلى ما بعد أبريل ١٩٤٠؛ لذا قام الشرطة السوفيتية السرية بوضع بعض الأدلة الكاذبة على أن المجزرة تمت بصيف ١٩٤١ حينما كانت المنطقة كلها تحت سيطرة الألمان. أصدرت مؤسسة **NKVD** تقريرًا تمهيديًا عن الحدث بتاريخ ١٠-١١ كانون الثاني ١٩٤٤، عمل عليه كل من فسيفولود ماركولوف وسيرجي كروجلوف توصلا فيه إلى تورط الألمان بقتل الضباط البولنديين.

ترك احمد الصحيفة على مكتبه وتنهد عميقا وقال : عجيب أمر المجرمين ! يقتلون الناس ، ثم يزعمون أنهم أبرياء! يزيفون التاريخ .. وهذه إسرائيل ابنة الشيوعية والنازية يحرقون غزة بشرا وحجرا ، وأمام الغرب يجعلون من أنفسهم الضحية يا إخوان ! أول مرة أسمع بهذه المجزرة التي تقشعر لها الأبدان !

العروس

لما انتهى شباب المكتب من حوارهم ، اتصل جهاد من الخلوي الخاص به بعمه حبيب ، وعندما اطمئن على حاله قال : قبل قليل اتصل عارف يتكلم عن بنت تاج الزمان ورغبته بمرافقتي إليهم قال حبيب مفسرا : بينت له أنه تاجر معرفة وصديق ، يأخذ من مزارعنا الثمار والزيتون وزيته والعسل وأشياء أخرى ، فسألته من فترة عن بنت لابن أخي ؛ كما سألت غيره ، فقال أبو جميل كنيته : أنا عندي بنت ، وأنتم ناس طيبون ، ولنا سنوات نعمل معكم ، فلا نحتاج للسؤال عنكم .. وأنت عز النسب يا أبا عصام ! فقلت وأنتم عز النسب ، وقلت ابن أخي طبيب استقال لما طلق زوجته البيروتية التي خانته في عرضها .. فطلقها وأخذت حقها الشرعي ، ورحلت إلى وطنها، وتركت له بنتا صغيرة تحتاج لرعاية وحنان ، فقال : ابنتي معلمة مدرسة في مدرسة ثانوية خطبها ابن أخي ، وبعد شهر طلقها ، ولم يدخل بها ، فتقدم ابن أخ لي ثاني ؛ ولكنها رفضت الزواج من أقاربنا ، وعمرها خمس وعشرون سنة ، فقلت له: عز الطلب والقرب يا أبا جميل ! سأرسل لك ابن أخي يتعرف على البنت وعليكم والقدر يفصل بالأمر .. ونسيت الأمر ، وأمس ذكرني بابنته ، فاتصلت اليوم بعارف وأعطيته الرقم الخاص بأبي جميل ، ويبدو أنه لما اتصل بك اتصل ليخبرني فقلت خذ موعدا ، وأخبرني أن وردة الغالية سترافقه أيضا ، وأتمنى لكم التوفيق وقد أخبرتني أن الأمن و المخابرات أنهى التحقيق معها في الخائن الجاسوس.

قال : قالت :عندهم معلومات عنها أكثر مما تعرف هي عن نفسها ، سألوها عن بدء تعرفها عليه.. يعرفون تفاصيل كثيرة بسبب هذه القصة ، وركزوا على أبي نجيب هل سألها عنه عن موته وعن اختفائه ، وقصتها معه أثناء عملها مع حزب المطلقات والإباحية .

قال: الحمد لله الذي أنقذها هي وعصام من الظلمات إلى النور .. اليوم وردة أم لثلاثة أطفال أحلى شيء في الدنيا الأطفال ! هل وضعت امرأتك ؟

ـ قريبا إن شاء الله.

قال : اليوم وردة غالية علينا .. سيدة محترمة يفتخر بها أمام الخلق .

قال : بجهدك يا عم ! سنذهب بعون الله تعالى لتاج الزمان.. هل تراهم مناسبين يا عم لعارف ولنا ؟

ـ علاقتي بأبي جميل من سبع سنوات ، ومعاملاتنا التجارية على ما يرام.. لم يتأخر في سداد مشترياته .. وهو رجل ميسور عنده ثلاث بنات وخمسة ذكور.

ـ ما شاء الله!

قال: نعم ، ما شاء الله ! كل البنات متعلمات ، اثنتان متزوجات ، اثنتان معلمات والثالثة تعمل في الإدارة ، وأولاده جميل ضابط جيش ، درس كلية عسكرية والباقي ؛ كأنهم أصغر من البنات في الجامعات يتعلمون ، وله متجر بقالة كبير في تاج الزمان ، ويبيع الخضار والفواكه أيضا ، ووالداه أحياء يسكنون معه في البيت .

- يعني نشجع عارفا على مصاهرتهم .

قال : هو يرى البنت ، وينظر إليها ، ويتكلم معها ، ثم يقرر .. والبنت ليست كبيرة ؛ وليست صغيرة لسنه يا أبا عبد الله!

قال محللا : المشكلة عارف نفسه ، لم يتخلص من عقدة ميرا وخيانتها .. طعام شراب ملابس نزهات زيارة سنوية لبيروت وفي الآخر تخونه .. لماذا الخيانة ؟ لم يقصر معها .. وهي أم وتخون .. فهو ينظر للنساء بريبة وخائف .

قال حبيب : عارف طبيب كان مطيعا لأمه طاعة عمياء ، ولو في الضلالة .. طاعة غريبة .. يرى القبيح ويغض النظر .. ولا يفضح ربك أحدا من أول هفوة يا أبا عبدالله .. من ستر مسلما ستره الله .. فهل يفضح ربك من أول غلطة ؟! وما دام قد صلح والتزم .. سيتغير للأفضل .

- إن شاء الله !

فتح أبو جميل باب الدار للضيوف الكرام ، ومعه ابن له ، ودخل الضيوف يصافحون الرجل وابنه ، وعرّف عارف بنفسه وجهاد ووردة .

وقال أبو جميل وهم يجلسون على كنبات الصالون: أيها المحامي التقينا من قبل!

قال جهاد : أجل في مكتب العم حبيب .. ذاكرتك ما شاء الله ! عملت لكم عقدا قانونيا من سنوات وعرفوا وبينوا أعمالهم في الحياة الدنيا ، ثم أقبلت أم جميل وابنتها العروس ، واسمها شهدة ، وصافحن الدكتورة وردة وجلسن .

فقال أبو جميل مشيرا لعارف : هذا هو الدكتور عارف نجيب الطبيب .. وهذا شقيقه المحامي جهاد .. وهذه الدكتورة الفاضلة وردة نجيب .. أهلا وسهلا بكم جميعا .

قالت أم جميل: أهلا وسهلا بكم جميعا ، وشرفتم بيتنا .. هذه الدكتورة ملئت صورها الصحف قبل سنوات ، فمن يراها لا تخطئ عينه بأنها هي.

ضحكت وردة ضحكة مختطفة وقالت : الحمد لله ! كانت صوري أيام الجاهلية صورة غلاف لأصحاب الصحف والمجلات.

قال أبو جميل: اليوم الدكتورة سيدة فاضلة! أنا عمك أبو عصام صديقي .. وهو مهندس زراعي نشيط رغم سنه .. فاضل وصاحب عقل وحكمة .. وهو الذي جمعنا هذا المساء المبارك.

حضرت القهوة وأخذتها شهدة ، وبدأت بأبيها

، ثم بعارف وهي تقول : أهلا تفضل يا دكتور ! تفضل يا سيد جهاد ! تفضلي يا دكتورة ! يا أمي يا أخي !

تفعل الخطيبة ذلك ؛ ليسمع الطالبون صوتها ؛ كما يرون وجهها وكفيها ، وكل من يأخذ فنجانه، يقول : شكرا ! أو يهزّ رأسه بشكرا أو بعينيه شكرا.

رفع عارف صوته : شكرا لك ولكم.

قالت أم جميل: هذه يا دكتور عروسنا .. وهذا يا شهدة العريس .. وهو يبدو محترما وطيبا يا أبا جميل!

قال : أنا وعمك أصدقاء من سنوات ؛ ربما سبع .

قال جهاد : صدقت ! وعمنا أثنى عليك وعلى أسرتك ..والدكتورة ترغب بالجلوس مع ابنتكم الكريمة على انفراد ؛ لتعرفها على طباع الدكتور يا أبا جميل اذا كان ذلك ممكنا.

ردت أم جميل : ممكن طبعا ..الدكتورة وردة وردة وسيدة كريمة .. مثال حي للنساء الفاضلات.

نهضت شهدة تتبعها وردة إلى غرفة خاصة ، فقال أبو جميل: أهلا وسهلا والبنت ابنتكم .. وأنا قلت لصديقي أبي عصام البنت ابنتك .

قال جهاد : عارف أخي الأكبر طلق زوجته اللبنانية في شهر شباط من شهور بسبب خيانتها لشرفها .. وترك الشراب ، ورغم ما كان فيه ، لم يزن بامرأة .. كان صاحب شراب للأسف ؛ ولكنه ترك ذلك بفضل الله.. وصار يصلي ، وتاب منذ فكر بالزواج ؛ لأن العم أصر على ذلك وله بنت صغيرة تعيش مع أختنا وردة ، والتزم دينيا بعد طلاق زوجته ، يعني متدين حديثا ، فيحتاج لدعم وتشجيع للثبات يا أبا جميل ويا أخ نصير .. اذا صار نصيب على البنت أن تعلم أنها لم تتزوج شيخ الإسلام .. تتحمل وتصبر .. فالتغير الكامل يحتاج لوقت .. عليها أن تتحمل أخطاء الرجل .. هو اليوم بلا عمل ، ترك العمل مع الحكومة من مطلع العام وتشارك مع أختنا الصغيرة وزوجها بإقامة مستشفى خاص بهم ، وهو قيد الإنشاء والبناء .

****

جلستا متقابلتين عيونهما في بعضهما ، فقالت وردة : أنت مثقفة ومعلمة كما أخبرنا يا شهدة العزيزة .

هزت رأسها بالإيجاب ، فتابعت وردة الحديث : عارف نجيب أصغر سنا مني.. هو رجل مسالم ، كان يخضع لأمي خضوعا كاملا في الصغيرة والكبيرة .. افعل يفعل ، لا تفعل لا يفعل وكان الوحيد من إخواني يعيش في مسكنها ، وتصرف عليه وعلى زوجته طعاما سكرا لباسا ، ترك شقته التي أجرها ؛ ليحيا معها .. فهذا له تأثير كبير في اتخاذ القرار والسلوك.. أمي ماتت آخر العام الماضي ، وبعد موتها بشهر اكتشف أن زوجته أم

ابنته تخونه ، فتصرف تصرفا حكيما بطلاقها ، لم يقتلها كما يفعل بعض الناس عند الغضب ، وتخلت عن سلمى ، ورحلت لوطنها الأول وابنته تعيش معي في رعاية مربية خاصة .. أنت اذا قدر الله وحصل الزواج ستكونين لها أما .. وأخي دينيا التزم بطلب من عمي ، فهو يصلي من عهد قريب من شهور معدودة .. هذا صارحتك به حتى لا تظني أن أخي عريق في التدين ولكن ما دام قد مسك بطرف الخيط سيواصل بمشيئة الله .. أقول ذلك حتى لو حصل نزاع بينكم .. وهذا يحصل بين كل زوجين ولا يخلو منه زواج.. عليك بالصبر والتحمل .. ولا تقولي أنتم خدعتموني .. ضحكتم عليّ ، فتحلون مشاكلكم بالتفاهم والصبر والتحمل .. والعلاج بعد الهدوء بينكم ، وهو غالبا هادئ الطباع ؛ لكن لا يخلو الإنسان من نرفزة وتوتر .. قد يكون سببه من خارج البيت من العمل من الناس .. وأنت بما أنك مدرسة تعرفين كيف يتم التعامل مع الطلبة أو الطالبات وما بينهن من فروق وبيئات؟ وسيسير المركب وتصلوا إلى الشاطئ بسلام وحياة سعيدة .. بيت الزوجية يحتاج إلى إدارة مرنة غير متشددة.

قالت : أنت من رأيك أن أوافق !

ردت : هذا القرار يرجع إليك يا حبيبتي ! الاختيار هو لك وحدك .. ونحن الأخوة على الاستعداد بتقديم أي مساعدة ومشورة .. وعارف يستسلم لقول جهاد .. وهو الآن بلا شغل فقد ترك وظيفة الحكومة بعد وفاة أمنا ، وتشارك مع أختي الصغيرة وزوجها في إنشاء مستشفى خاص بهم بحكم أنهم أطباء.

ـ والخمر !

قالت : الخمر منذ طلب من عمي ووالد زوجي أن يبحث له عن زوجة هجرها لا شراب ، ولا نساء ، ونحن نعرف أنه لم يعاشر امرأة غير امرأته .. الزنا ابتعد عنه بإيحاء نفسي ؛ ليس تدينا في البداية يحتاج لاهتمام زيادة بسبب قصة خيانة زوجته التي ما قصر معها في شيء ؛ بل رافق في الشهور الماضية ، وما زال رجال جماعة الدعوة ، ففي مسجد حيه طائفة منهم حتى أنهم عرضوا تزويجه من بناتهم ؛ لكن عمي رفض ذلك ، وهو بعد وفاة أمنا بدأ يعود للأسرة ، ويزورنا ويكشف لنا أموره ، ويسمع رأينا .. أنا للأسف كان والدي ملحدا شيوعا مناضلا فلسطينيا ، لما اختفى كنت بنت عشر سنوات ، واعتقدنا أنه مات ، وتقاسمنا ما تركه ، ثم قبل سنتين تبين لنا أنه لم يمت تلك الأعوام ، عاش في كوبا متخفيا من الموساد الإسرائيلي في قصة طويلة اذا تزوجتما سأقولها لك ، وذلك قبل أن يتزوج أمي ونولد .. فعارف كان خاضعا لأمي خضوعا تاما .. هل عندك أي

سؤال؟

ـ ما قصرت حقيقة .. خلاصة الكلام أن أصبر .. هو عصبي.

قالت بابتسامة : لا ، هو من أهدأ الرجال وأكثرهم صمتا ، ولو كان عصبيا ما خضع لإرادة أمه حتى استسلم لإلحادها وتقاليدها .. فأمي رغم كفرها ما زنت ولا فحشت .. كانت تسكر من أيام دراستها بتركيا قبل الزواج من أبي.. قصتها ستعرفينها مع الأيام .

ـ شكرا لك ولنبلك ونصحك!

قالت : استخيري ربك.

****

اتصل اللواء خميس بجهاد عراب زواج ابنته من صهره قائلا : هل ما زال نسيبك راغب بمصاهرتنا يا أبا عبد الله ؟

قال : الرجل صبر صبر الجمال يا أبا سليم! لماذا البنت مترددة لهذا الحد؟!

قال : سبب التأخير بداية مرضي كما تعلم ، ثم انشغالنا بالجاسوس الخبيث الذي تعلم اسمه .

قال : هو خائن بالنسبة لنا ، وبالنسبة لبلدته بطل ومخلص .

ضحك خميس وقال : دخلنا في الفلسفة .. هل الدكتور جاهز؟

قال : هو ينتظر صفارة الحكم على أحر من الجمر .. والنجاح والفشل بيد الله يا أبا سليم ! الإنسان يمتلك أشياء كثيرة في حياته بأموال قليلة أو كثيرة بعد حين تخرب وتفسد ؛ وكذلك الزواج وعلاقات الناس .. هذا رأيي !

ـ خلاص ، فلتتفضلوا ، وأهم شيء الوالد والأم ؛ لنتفق .. طال الانتظار .

قال : على بركة الله ، سأتصل به ؛ ليتصل بك ، وترتبون وقت اللقاء لحسم الأمور .. ذهبت قبل يومين لتاج الزمان لرؤية عروس لشقيقي الأكبر عارف .

ـ ممن ؟

قال : ابنة أحد التجار الذي يتعامل مع العم حبيب

قال : الحاج حبيب بركة! اتفقتم .

قال : مشيت أنا والعريس وأختنا الكبيرة وردة ، تعرفنا على أبي جميل وزوجته وابنته .. هي مدرسة ثانوية في التاج ، عمرها خمس وعشرون ، خطبت ابن عمها وطلقها قبل الدخول الشرعي ، وحردت عن الرجال ، حتى جاء دور عارف وأعتقد أن الأمر سيتم قريبا ؛ لأن العم حبيبا وأبا جميل بينهم مصالح وتجارات فيأخذون منه الزيت والعسل والبيض والثمار ، والبنت راغبة بالزواج ، بدا لنا أن عارفا هو المشكلة يا سيدي! لم يتحرر من عقدة أمه وسيطرتها عليه رغم موتها فهي قريبة العهد من الفراق ، وصدمة خيانة زوجته كانت قاسية

عليه ، وسيحتاج لوقت للخلاص من وهم أمه ، وعرّفنا أهل البنت والبنت على الصورة بكل صراحة .. تذكرت ما آخر التحقيقات ؟ هل انتهيتم ؟

قال : راجعت الدائرة مرتين ، وعلا مرة ، ووردة مرة ، واليوناني فينوس قابلهم ويرغبون بالحديث مع ابنه إسكندر رفيق الملعون إلى غزة ، وهو في اليونان منذ غادر ، ويرفض المجيء حاليا ، والحق أن الرجل لا تنطبق عليه صفات الجاسوس الخطير ، شكل أعماله شكل مخبر صغير ، زير نساء يشرب حتى الثمالة ، ويبول على نفسه ؛ كما أخبرت النساء التي تعرف عليهن، وحتى في حزب العصبة كان همه نشر الإباحية والزنا ، لم يقترب ويراود سيدات أزواجهن ضباطا كبارا.. مراكز المعلومات المهمة لم يتجه للحصول على معلومات عسكرية سياسية منها لم يقترب من حزب كبير وقياداته أو مؤسسة حساسة أو أمنية .

قال : لما تحدثت مع وردة سألوها عن أبي نجيب ، فقالت: عمره ما سأل عنه ولو مرة .

ـ ارتحنا منه يا أستاذ جهاد!

ـ أنا خائف أن تكون قد بدأت المشاكل يا سيادة اللواء! لابد أنه كان يعمل مع ناس .

قال : نحن تقاعدنا عن التفكير ، وأنا كانت عملياتي مع الطلاب في جامعة بعنبس.

ـــــ

اتفقت عائلة الدكتور أمجد محمد ، وعائلة اللواء خميس على زواج أبي محمد وعلا ، وتحدد المهر مقدمه ومؤخره ، وتحدد حفل زواجهما في ٧ أيلول بعد أسبوعين في مطلع الشهر المقبل .

وأطلع الدكتور صهره أن له شقة في عمارة والده ، ووعد ببناء بيت واسع بعد حين قصير بإذن الله ، وسيغير كل الأثاث السرير والستائر وخزانة الثياب .

ولما خرجوا من المحكمة الشرعية ؛ حيث تم كتابة عقد الزواج بحضرة القاضي ، وأصدرت المحكمة صك الزواج ، نسخة لكل منها، دعاهم العريس إلى أحد أفضل مطاعم بعنبس ، وكان قد رتب معه الدعوة من ليلة أمس ، وهو مطعم معروف لعلية القوم والناس الأثرياء جدا في بعنبس ؛ لأن خدماته مرتفعة الثمن ، وتناولوا الطعام بروح الفرح والسعادة والأهل الحبايب. ولما انتهت الضيافة ركب اللواء سيارة سليم وجلس بجواره ، وعلا في الكرسي الخلفي ، فتحت النافذة بإشارة من الدكتور عبد الرحيم ، فدفع إليها مغلفا بالمال وقال باسما : عديها بالبيت لتجهيز نفسك ! وكان المهر قد قبضته في بيت الوالد يوم الاتفاق.

فشكرته هي ووالدها وأخوها ، وافترقوا على أمل الزواج في الموعد المحدد بمشيئة الله عز وجل

ومساء قدم المهنئون لبيت الدكتور الوالد للتبريك للعريس، ووالده وأمه، وكان أبو إبراهيم وأبو محمد في استقبالهم ، وكان من المهنئين جهاد وسالم وزوجاتهم وإبراهيم شقيقه ، وقدم الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأنسبائهم وأصهارهم . فبمثل هكذا مناسبات اجتماعية يتزاور الأقارب والأصهار والجيران للمشاركة بالفرح والخير والتهاني .

وزعت الحلوى والمشروبات ، وأكثرهم انصرف ، وبقي القليل ، وكان الكل يلهج بالدعاء لهم بالتوفيق والسعادة ؛ لأن الزواج أحد عناصر السعادة في الدنيا اذا كان موفقا ، والمرأة سكن للزوج .. أزواجا لتسكنوا إليها .. ورحمة ، ومن آيات الله ، ومودة بين العشيرين. لحق المحامي جهاد بعض الثناء والشكر لجمعه بين رأسين بالحلال ، فقالت له حماته : الله يجزيك الخيرات يا أبا عبدالله ! عيلة محترمة ، وتعهدت بيني وبينها برعاية ابننا محمد مثل ابنتيها ، وأنها ستكون أما للجميع .

قال : بعون الله .. أنا منذ تعرفت على اللواء خميس أحببت هذا الرجل ، رغم أنه يحمل رتبة عسكرية أو أمنية كبيرة في أهم جهاز في البلاد .. كان يتعامل معي كابن له ، وما جلست معه وشعرت بضآلة حجمي أمامه .. أنا محامي صاعد ، وهو لواء متقاعد من المخابرات .. وأشفقت على ابنته ، وتمنيت أن أقدم لها خدمة طيبة جدا .. وحظها متعثر مع الرجال .. أرجو ألا يتعثر صديقنا أبو محمد .. زوجها الأول مدرس محترم ، كما يقول اللواء نفسه ، وهو ابن ضابط زميل له، وقعت في خطأ يقع فيه الجميع في حيرة .. حشرت نفسها في قضية ونزاع بين الزوج وأمه على قطعة أرض ، فصفت مع زوجها في الكلام ، فاعتبرت حماتها أنها أجرمت في حقها ، وأصرت على طلاقها ؛ لتتصالح مع ابنها ، ولو وقفت مع الأم في القضية لطلقها الرجل لأنها تخلت عنه ، على الجهتين سيقع الطلاق ؛ لأن السبب ليس قطعة الأرض.. الأم لا تريدها لا تريدها ؛ فكانت تلك الواقعة القشة التي قصمت ظهر البعير يا أم إبراهيم ، والزواج الثاني كان من الجاسوس وائل لعب على طلاقها وعواطفها لعملهم المشترك في قسم الأطفال ، استغل الظرف ومثل دور المسكين الشفوق مالك الحزين ، وصعب عليها أن تكون في مجتمع يمقت المطلقات فقبلته زوجا.

قالت رندا : جهاد متى ننصرف؟ التفت إليها وقال : لما تطردنا الحماة.

صاحت : ستبقى إلى آخر الدهر .. أمي لا تحب في الدنيا إلا أنت يا جهاد!

ـ صحيح يا عمتي!

ضحكت الأم وقالت : إنها تبالغ يا ابني !

زواج شهدة

عقد حبيب عارف وأبناء أخيه الذكور عارف وسالم وجهاد اجتماعا حول زواج عارف من شهدة بنت أبي جميل .

قال العم : الحمد لله والصلاة على محمد ﷺ جمعتكم ؛ لأن أبا جميل يقول لم تردوا سلبا أو إيجابا بعد تلك الزيارة .

قال عارف: انشغلنا بخطبة أبي محمد نسيب الشباب .

قال جهاد : تم الأمر ، وتحدد وقت الدخلة مطلع الشهر القادم ، ونحن ننتظر قرارك يا أبا سلمى .. بنت محترمة ، وأهلها كما سألنا عنهم أحسن منا يا عمي .. لك أكثر من أسبوع تفكر ولم نسمع صوتك.

قال سالم : رأيت البنت وأهلها ، لا تقارن بينها وبين ميرا من ناحية البياض والسواد ، فميرا من بلد وشهدة من بلد .

قال جهاد : البنت جميلة وحسناء ، وليست دميمة بالنسبة لبلادنا .. أنت عليك أن تفكر بأم لابنتك ؛ كما فعل شقيق زوجتي رندا.

قال عارف على استحياء : جريدة غير معجبة بها.

صرخ جهاد محتدا : جريدة لم ترها يا فطحل.. أنت الذي سيتزوج ؛ ليست أمنا جريدة .. جريدة لا تريدها ، ولا تحبها ؛ لأنها مسلمة بحق.. تصلي وتقرأ القرآن ، فالذي لا يصلي لا يحب الذين يصلون .. أنت المهم مقتنع بها أم لا .. جريدة لما علمت بأنني سأكون معك اعتذرت لك ؛ كما أخبرت .

ـ هذا ما تعذرت به .

قال سالم : فلتزوجك هي .. أنت لما طلقت ميرا استشرتها.. أنت طلبت مساعدة عمك وساعدك.. لماذا لم تتحرك أختك جريدة الشهور التي مضت ؟

قال : أنا رفضت تدخلها قديما .

قال سالم : ولماذا تتدخل اليوم ؟ معاندة لنا!

ـ سعيت لأخذ رأيها وشهاب.

ـ ماذا قال شهاب ؟

قال : قال لا ترد على شريكتنا في المستشفى يا عارف ، قد تتخلى عني وعنك أختك ؛ لأنني صرت أصلي بجد .. أيام السعودية كنت أصلي مرات نفاقا لرؤسائي.. اليوم أصلي رغبة وقناعة

ضحك سالم وجهاد وقال أحدهم: معه حق ! لماذا لا تلتزم بدينها ، وتغطي بدنها، الرجل تغير ولا يقبل تعري زوجته .

تنهد عارف وقال : المشاكل مستمرة بينهم حول اللباس والشراب ، ولكنه يعمل بنظرية جهاد في التدرج.. التغير شيئا فشيئا مثل تربية الصغير

والناشئ.

قال جهاد : هي نظرية وقواعد قرآنية يا عارف! وقصة تحريم الخمر واضحة في عملية التدرج متى ستخبر عمك ؟ ليرد على الرجل .. الرجل اتصل .. لا .. نعم .. فالعم مسؤول عن ترتيب الزواج .. إنهم قبلوا بحضرتك لخاطر عمك فاحسم أمرك

قال حبيب: فعلا يا ابن أخي ! احسم ترددك ؛ فإذا كان لك نصيب نعمل حسب الأصول ، واذا لا تريدها ، ولا ترقى لمقامك كطبيب ، نعتذر لهم ، وكل في بيته هكذا عادات الناس يا ابن أخي ! وسجل اسمك وطلبك في جمعية العفاف والفضيلة .

قال : والله أنا رأيت البنت مناسبة لسلمى أكثر مني .. الدكتور عصام اتصل بي وقال توكل على الله ، فوردة تقول إنها مناسبة لك ، ولن تطلب منك السهر في نادي ليلي أو حتى نادي العائلة أو حانة أو شمة هواء في بيروت وباريس.

قال سالم : قول وردة هو الفصل!

ـــــ

تقدم حبيب باعتذار لعميله أبي جميل عن زواج ابن أخيه من كريمته أشد الاعتذار ولما سأل

الرجل عن سبب الاعتذار .

قال : الدكتور متردد وعاجز عن حسم أمره ؛ كأن عقدة أمه ما زالت تلازمه ؛ وكذلك خيانة زوجته بغضت إليه النساء والخوف من المستقبل .. وأنا على رجل عمره ست وثلاثون ودكتور لا أستطيع إجباره والضغط عليه ، وطلبت منه اذا فكر بالزواج أن يدبر نفسه بنفسه فأرجوك أن تقبل عذري وأنت خير العاذرين.

قال : قبلت عذرك ، والأمر لله ، فمنذ جاء الدكتور تقدم لها اثنان سبحان الله!

قال مسرورا : فرّحت قلبي ، لا تجعل هذا الأمر يفسد الود بيننا ، ويؤثر على تجارتنا ، واذا صار نصيب لا تنسى دعوتي لحفل الزفاف .. فأنت صديق عزيز عليّ .

قال : إن شاء الله.. الزواج قسمة ونصيب .

قال : صحيح ! هو القدر.. فالعذر عند الكرام مقبول.. والخيرة ما يختاره الله!

قال : أنا من أجل ذلك ألححت عليك بالرد .. سلم على جهاد والدكتور وابنتنا الفاضلة الغالية الدكتورة وردة التي أحبتها أم جميل من النظرة الأولى.

قال : هذا من لطفكم ، لا تنسى دعوتي للعرس ، فواجب عليّ أن أجبر بخاطرها .

ـ جزاك الله خيرا .

لم يمض على هذا الاعتذار سوى أربعة أيام حتى علم حبيب عارف بكتابة شهدة عبد القدير جمالات عقد زواجها ، وسيكون حفل العرس في

شهر أيلول .
وأخبر ابن أخيه جهاد بخطبة شهدة رسميا ، واتفقا على أن يشاركا في حفل زواج بنت أبي جميل. وقبل حفلة زواج شقيق رندا حدثت مشكلة كبيرة بين جريدة وزوجها شهاب مما اضطر شهاب الطلب منها الخروج من البيت ، وسنفصل المشكلة بعد قليل، وأمام هذا الطرد غادرت غضبا ، ونزلت نزيلة في أحد الفنادق ، ونتج عن الانشقاق والشقاق أنها قررا التوقف عن العمل بالمستشفى المشترك لاحتمال حدوث الطلاق . سعى عارف الإصلاح بينهما قدر الإمكان وفور حدوث الإشكال .
وتزوج في السابع من أيلول أبو محمد دكتور الجامعة كأبيه ، وكان الاحتفال في صالة فندق الدرجة العليا النجوم الخمسة والبوفيه المفتوح ، وحضر الحفل من كل أسرة مائة . واضطر جهاد وعمه إلى الذهاب للحفل للمجاملة ولمدة عشرة دقائق ، وانصرفوا ولم يأكلوا من البوفيه مبارك مبارك والسلام ، حتى دون الجلوس على المقاعد فهما لا يرون إباحة إقامة حفل في فندق تباع فيه الخمور ، ويطهى فيه الخنزير ، وفيه اختلاط وغناء شرقي وغربي ، وبدا نفور حبيب وجهاد واضحا لمن كان قريبا منهم ، وسعى والد رندا من التخفيف من الحرج الذي حل بهم ، وانصرف الرجلان أمام دهشة من تابع المشهد.

———

استقر جهاد على كرسي مكتبه بعد مصافحته للشركاء الثلاثة ، ووضع له خادم المكتب كوب قهوة وكوب ماء ، فسمع إبراهيم مخاطبا إياه بنبرة فيها حدة : لماذا غادرت الحفل حانقا ومكشرا ما دمت قد حضرت ليلة أمس؟!
لم يرد ، وتابع شرب القهوة ، وكرر إبراهيم بنبرة أعلى السؤال وزاد قائلا : ألم تقرأ بطاقة الدعوة التي تحدد مكان الحفل ووقته يا أبا عبدالله؟!
تنهد جهاد ونظر إلى عينيه وقال: قرأت بطاقة الدعوة ، وعرفت المكان .. وأنت ووالدك تعرفون أني لا أذهب لهذه الأماكن ؛ خاصة الحفلات أو صالات الأفراح المختلطة يا إبراهيم والعرس ليس لي ؛ لأضع شروطي ورأيي .. والعرس ليس يخصني لأمنعه في هذا المكان وشبيهه .. هذا خياركم وحقكم .
قال مهران : هذا صحيح يا إبراهيم ! كلنا يعلم أن جهادا لا يقرب مثل هكذا أفراح .. دقائق ويغادر ما الجديد ؟!
قال : لو لم يأت أساسا ؛ ربما كان أظرف يا مهران ! شكل تصرفه الرافض لجريمتنا وتر الجو عند الناس .
قال احمد : هذا غير صحيح ! أبوك هو الذي توتر

، ووتر من حوله ، وأخذ بلومك أمامنا ..
الرجل معروف للمقربين منا أنه يتجنب المنكرات كهذه لحد كبير ، لو اعتذر لقلتم نسيبنا ولم يحضر .. سيحدث اللوم .. ولقلتم تعال جاملنا عشر دقائق.

قال جهاد : أرأيت ؟ أنا أقدم ديني على هواي .. عشر دقائق في حفل مفتوح كثيرة يا إبراهيم ! هل استطيع منع منكر الرقص والغناء؟ أنا مدعو ، ولا يعني أني قريب منكم أن أغرش .. فالأفضل الانسحاب ولو سريعا .. وأنا يوم استلمت البطاقة قلت هنا يا إبراهيم هذا الحفل لا أستسيغه موسيقى وعري وسفور وتبرج لم تقل شيئا ، تجاهلت الرد .

قال : هي ليلة في العمر يا جهاد ! والأمر ليس لي.. لست العريس .

قال : افرض أني مت تلك الليلة.. أليس هذا بسوء خاتمة ، وثانيا لماذا نتجادل حول العرس؟!

- أبي زعل وتضايق من تصرفك ، وجميع الأخوة ، وبعض الأعمام وأبنائهم .

صاح : هم يعرفون مبادئي يا إبراهيم ! لا يمكن أن أغير قناعاتي وسلوكي وأخسر ما ربيت نفسي عليه .. أنتم فعلتم ما رأيتموه مناسبا .. أبوك أراد أن يجامل اللواء والدكاترة على حساب الدين .. الأمر بين.. رأى مصلحة في ذلك.

قال مهران مهدئا الجو : دعونا من الحفل وتوابعه .. يكفي أنا واحمد حضرنا أغلب الحفل .

قال إبراهيم : على كل قد يتكلم معك أبي.

قال : الأفضل يا إبراهيم أن ينسى الموضوع .. فالعرس وانتهى ، ولا يصح أن أفرض أفكاري واختياراتي على الناس ، وعلى والدك ، وغيره ؛ وكما قال احمد لو لم أحضر لقلتم جاملنا على الأقل بعشر دقائق .

قال : لكنك ظهرت بصورة الحانق والغاضب أمام الناس ، وليس بصورة المجامل.

قال : أظهر وأنا فرحان في مكان فيه الشيطان .

ونهض قائما بحدة : سأخذ إجازة أيها الشباب !

قال مهران : اجلس يا جهاد ! لا يصح الغضب هنا يا جهاد !

صرخ: يصح هذا .. السلام عليكم . حاولوا منعه من المغادرة ، وأصر على ذلك.

فقل احمد بعد خروجه غاضبا : لماذا فتحت الموضوع يا إبراهيم ؟!

قال بغضب : أغاظنا ليلة أمس ؛ كأننا ارتكبنا الموبقات السبعة ، وأساء لنا أمام الحاضرين .. لماذا انسحب صهر الدكتور ؟

قال مهران : أنت غلطان ! هل هذا مكان تصفية خلافات ومشاكل عائلية ؟ هو رجل متدين جدا ، لا يحب التهاون في أمور الدين يا إبراهيم !

ـ لقد أخطأ خطأ كبيرا أمام ضيوفنا ، وزعل أبي وأعمامي من فعله.

قال احمد : النصيحة أن تعتذر له ، ولا يكلمه أبوك قبل شهر .. وأنا أتوقع أن يترك العمل معنا!

صاح : غير مهم .. بالغنى عنه.

قال مهران : كلام خطير يا إبراهيم !

صاح : أنا سأترك العمل معكم ؛ لأرد كرامة العيلة.

قال احمد : أنت شريك .. هو موظف .. مالك جننت ؟! أختك امرأته وسالم زوج الثانية .. والعيلة بتسمع كلامه .. هدئ اللعب يا دكتور !

ـــــ

دخل عارف مكتب عمه في وسط بعنبس ولما اطمأن على عافية العم ، وشرب القهوة المقدمة من عطية ، قال: ما أخبار العم أبي جميل يا عمي؟

قال حبيب : بخير.. وأنت ما أخبار زواجك ؟

قال : تأجل بسبب مشاكل جريدة وشهاب .. هل نذهب نطلب يد شهدة رسميا؟

أخرج حبيب بطاقة دعوة ، ووضعها أمام عيني عارف ، فلما قرأها عارف امتعض وتحركت أمعاؤه ألما : متى حدث هذا؟

قال : عندما اعتذرت لهم .. أنت قلت إن جريدة ستزوجك طبيبة من معارفها فاعتذرت للرجل ، وتقدم لها العريس المذكور اسمه في البطاقة.

قال مدهوشا : هذا كان واقفا على الباب!

ـ وقبل الباب .. الرجل قدمنا عليه وعلى غيره.

قال : والعمل !

ـ العمل عند جريدة .

قال : جريدة مطرودة من بيت شهاب ، وتعيش في الفندق حتى تمتلك شقة ورفضت السكن معي بدل الفندق ، فقالت: الفندق أريح ، وفيه خدمة الغرف.

ـ مطرودة!

قال بضيق : تشاجرت مع شهاب ، ومشاجراتهم كثرت منذ صار شهاب يصلي ويعترض على لباسها وسفورها وتبرجها وشربها الخمر والسهر دونه ؛ وكما تعلم تحدث جهاد معه ، وطلب منه أن يتعامل معها بالتدرج رويدا رويدا ، ولم تغير السلوك ، وتذهب للمستشفى والحديث مع المهندسين دون حشمة ، لم تدرك وتستوعب تغير شهاب ، وتحضر بعض أصدقاء الجامعة ويسكرون في الشقة ويلعبون القمار هواية ، وقال لي : لباسها فاضح تظن نفسها في كواليس مسرح وأخشى أن يحدث بينهم الطلاق يا عمي ! فالوضع متوتر جدا .

قال : أخبرت جهادا بذلك!

قال : جهاد قال أختك لا تطيق كلامي ، ولا رؤيتي ، ولا تحب تدخلي بينها وبين شهاب وغيره فلماذا

أحشر نفسي ممن لا يهمه رأيي ونصحي ؟
قال العم : كلام سليم ! جريدة أختك تعتبر نفسها أفهم أنثى تمشي على الأرض ؛ وكأنه لم يدرس الطب إلا هي ، فأنا عمها عمرها ما اتصلت تسلم عليّ تطمئن على صحتي ، وأنا بمقام أبيها .. اذا صدف وجاءت العين بالعين تسلم عليّ ، ولا تنتظر ردي عليها ؛ لأسمع أحوالها وأخبارها

قال : معك حق ! والمأساة يا عمي أن إنشاء المستشفى سيتوقف كما قال شهاب .. واحتمال أن نفترق عن الشراكة ثلاثتنا.

فكر حبيب ثم قال : المشكلة يا عارف ليست المستشفى! المشكلة الحقيقية وراء الأكمة أن أختك عاجزة عن الحمل ، وتشيع أن شهابا عنده مشاكل في الجهاز التناسلي .

ـ لا أدري ، هم متزوجان من سنوات ؛ ليست قليلة قضاياها هناك في الرياض ، وقالت : إنها لا ترغب بالحمل حتى تبقى رشيقة.

ضحك حبيب وقال : رشيقة ! هي مثل عود الكبريت.

تبسم أبو سلمى وقال : ضعت بين حانة وبين مانا

قال : وزواجك طار بين شقاقهما.. ماذا ستفعل لك؟

قال محبطا : اعتذرت بسبب مشاكلها ، وقالت : أنا اليوم مطرودة ، وأسعى لشراء شقة عن طريق الإعلانات .

قال : جيد ! تتعلم من أختها وردة ، وتستفيد من تجربتها ، واذا لديها رغبة بالصلح مع شهاب تطيعه في الخمر واللباس .. راغب بأن تستر بدنها .

نتحدث عما جرى مؤخرا بين جريدة وشهاب ، هما تزوجا عند السنة السابعة لهما في كلية الطب بعد قصة حب كبيرة ومثيرة في ساحات وقاعات الجامعة ، قبلت أمها الزواج على مضض ، لم تحب شهابا منذ رأته مع ابنتها ؛ ولكنها تمجد الحرية الشخصية والاختيار، والشخص يتحمل نتيجة اختياراته ، وفور تخرجهما تعاقدا للعمل في السعودية العاصمة الرياض ؛ لأن الخليج عامة مهوى خريجي الكليات العلمية ، فهم يدفعون رواتب مرتفعة بالنسبة للبلاد الشامخة العريقة ، عندما ورثت جريدة ما يزيد عن ثلاثة ملايين ، ثروة نجيب التي كونها في كوبا ، فكرا بإنهاء التعاقد ، تملك كل هذه الثروة ، ويعملان إجراء ، وعقدهما السنوي ينتهي بنهاية كل عام ميلادي ، رغم أنهم يعيشون في بلاد تعمل بالتقويم الهجري وتقدمه على الإفرنجي ، ويتجدد العقد تلقائيا إلا اذا أنهياه بنفسيهما أو استغنى عنهما المستشفى ، وفكرا بإقامة مستشفى خاص لا هو كبير ، ولا هو صغير ؛ لإدارته والعمل فيه ، انتهى العام

ورجعا للبلاد قرب نهاية الشهر الأول من العام الجديد ٢٠١٠ ، وقد ماتت أمها الشهر الماضي كانون الأول ، ففضلا البقاء حتى إنهاء العقد ، ثم مات بلص زوج أمها في مطلع العام . خلال عملها الطبي ، وقضاء مدة خمس سنوات زواج ، ولم يحصل الحمل ، سبب ذلك قلق للطرفين ، وقاما بما يلزم ، وتوقفت عن تعاطي موانع الحمل، ومع ذلك لم يحصل أي حمل ، فحصوا أجهزتهم التناسلية في أفضل مراكز العلاج في الرياض الرجل سليم إلى حد كبير ، وهي سليمة رغم بعض التشوهات الخلقية في أحد المبايض ، هذه إحدى المشاكل التي عصفت بهما قبل العودة للوطن الحبيب بعنبس عادت تبحث عن رفاق الجامعة والنوادي المشاركة فيها من طبقتها الغنية ، وامتلكت سيارة موديل حديث ، واشترى شهاب سيارة أقل حداثة منها ، رفض أن تشتري له سيارة من مالها .

لم يرتاح لانفتاحها على أصدقاء الماضي من الجنسين ، وكان إخوته يسخرون أمامه من مبالغتها في السفور والتبرج ، وبحثها الدؤوب عن أحدث قصات الشعر واللباس، فبدا شهاب يقترب من التدين الذي كان يمارسه نفاقا في السعودية خاصة أمام مدراء الأقسام ، وأمسك به إمام المسجد المجاور لشقته في حي رفيق وأثر فيه ، وبين له أهمية الإسلام والدين في حياة الإنسان..

أصبح لا يتخلف عن درس أو موعظة للشيخ جرير غزالي ، وزاره الشيخ في شقته التي ساعده والده الثري صاحب شركات صناعية في امتلاكها عندما تزوج قبل سنوات الهجرة ، ولما ولدت وردة ، كان قد قطع شوطا جيدا بالتزامه الديني ، وتراه تاركا لحيته تطول ، ثم يحلقها أثر نزاع بيتي وسخرية جريدة ، وبدا يطلب من جريدة التخفيف من العري والخمر والسهر ، فيواجه السخرية الحادة منها ، ومن ضيوفها الذين يعرف أكثرهم من الكلية ، ومن جلسات النادي ، واذا تحدث عن الحمل ، تقول ولماذا الهم ؟ أنا تركت الموانع ، ودع الأمر لصاحبه ، يذكرها بفعل وردة ، تقول : وردة زوجها عاجز عن جماعها .. أنت ما زلت جيدا رغم تعاطيك بعض المنشطات .

أصبح ينزعج من ليالي الأنس والشراب في بيته ، نتج عنها نزاعات تخف وتكبر حتى شكى الأمر لجهاد - رغم برودة علاقتهما - ونصحه الرجل بالصبر والتغير ليس سهلا ، وكن فيكون تقبل النصيحة ، ولم يصبر عليها ، كانت محاضرات ومواعظ الشيخ تشعل نارا في قلبه .. قوا أنفسكم وأهليكم. شاركم عارف مشروعهم وحلمهم ، وساهم ماديا ببناء مباني المشفى في ضاحية الجبل شمال شرق بعنبس ، زادت سخريتها من صلاته ،

وتصفه بالمنافق والمتلون وتحذره من افتعال المشاكل مع شلتها عندما يأتون للسكر والقمار في البيت.

زاره والداه ذات ليلة ، واجتمعت شلتها تلك الليلة ، وكان الموقف محرجا له من خلاعتهم وشرابهم وألفاظهم الدونية ، فغادر أبواه وهو يقول : فكرت أننا في بار يا شهاب .

تشاجر الزوجان أمام الشلة ، وأصلحوا بينهم ، فدخل حجرته مغلوبا على أمره. تعلم دروسا في السيرة والعقيدة والفقه ، فهو قاعد عن العمل منذ ترك الرياض ، فالمسجد ملأ راحته وروحه هي لا تعلم عمق الإيمان إن غرّز في النفس ؛ لأنها مشغولة في المستشفى الذي تعاقدوا على بنائه مع شركة هندسية ومقاولات لإقامته ، مع أن عارفا اقترح عليهم التعاقد مع سامي ابن عمهم وشريكه حسن ، رفضت جريدة بشدة هذا الاقتراح مما أثار دهشتهم ؛ ولكن المال مالها ، لها الثلثان ولعارف الثلث .. وليلا حياتها امع السكر واللهو .

في آب كانت الإنشاءات الخراسانية قد كملت إلى حد كبير ، وبدأت عملية التشطيب البلاط القصارة التمديدات الكهربائية والصحية والتدفئة والنوافذ والدهان والتسوير .

كل هذه المدة وشهاب يحاول إقناع جريدة بترك الشراب والسهر في البيت أو خارجه حتى أن لقاءاتها في الفراش ضعفت بسبب كثرة غيابها ليلا عن البيت أو السهر الطويل في البيت ، وترفض طاعته بإصرار وتتهمه بالخبل والجنون ، وفشلت نظرية التدرج التي نصحه بها جهاد نجيب . حاول كل هذا الوقت تغييرها دون ثمرة أو تلّين منها ، ورآها كيف أفسدت زواج عارف من بنت تعمل في التدريس ، وهو الطبيب المرموق ؟ وفقد فرصة الزواج ، فأصابه غيظ من أفعالها وتحديه ، وترك الاهتمام بالعمل والمستشفى ومراقبة العمل والشغل كما فعل في البداية فكان يحتج على خروجها الفاضح ، حتى أنها كانت تذهب للورشة ، وتتحدث مع العمال والمهندسين بلباس سيء في نظره ، وتدخن أمامهم وتمازحهم ؛ كما يروي عارف له رفيقها في تفقد العمل . ذات مساء ارتدت ثياب السهر مع شلتها ، وحاول منعها ، وهددها بالطلاق فسخرت منه .

وقالت بتهكم : أحسن ! تخوفني بالطلاق.. طلقني يا ديك ! وكان يعترض طريقها ،فدفعته صارخة : ابتعد عن طريقي.

فوقع على الأرض ، تفاجأ من الدفعة ، فنهض غاضبا ، ومزق ثوبها الذي تلبسه ربما كلف مبلغا كبيرا من المال ، وذهب للثلاجة ، وكسر زجاجات الخمر أمام عينيها ، ووضعها في سلة المهملات ، وطلب منها إن خرجت ألا تعود ، ولا يريد أن

يرى وجهها ، فضحكت قهقهة وقالت : صرت رجلا يا شهاب ! ودخلت غرفتها حيث غيرت ملابسها ، وهي تهدد وتتوعد بأنها ستدفعه ثمنها ، ووضعت بعض الثياب في حقيبة سفرية ، وقالت وهي تقف أمام باب الخروج : نذل حقير ! لن تراني حتى تبوس هذا الحذاء يا عاهر ! وحركت الحذاء جهته .

وخرجت إلى الفندق ، وفي الصباح التالي اتصلت قبل الظهر وقالت : متى نقف أمام القاضي يا فاضي؟

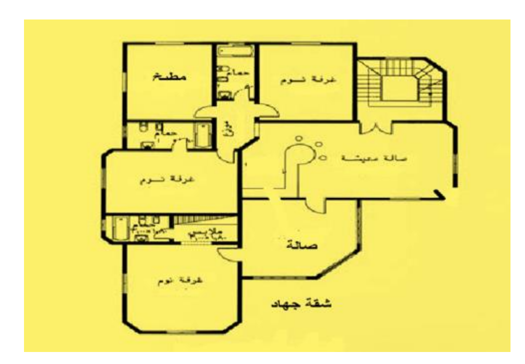
ـ وقتما تشائين .



المكتب

اتصل جهاد بشهاب حول نزاعه الذي طفح على السطح ، ثم التقيا ببيت جهاد ، ولخص شهاب القصة .

وقال بحرقة : علينا أبا عبد الله أن نتغير .. لماذا نبقى في الغي والضلال؟ الله هداني وفتح بصيرتي بعد العودة .. أنا لم أطلب منها أن تصلي وتقرأ الكتاب.. طلبت منها أن تقلل أو تلغي السهر والخمر ، والتقليل من السفور والتبرج ، لا أريد منها أن تكون شيخة في ليلة وضحاها .. رفضت طاعتي ، وهددتها بالطلاق .. تقول ؛ كأنك راجل طلق .. أنا أعلم أنك لا تتكلم معها ، وهي لا ترغب بإدامة الحياة ولو بالحد الأدنى ؛ لعل الأيام تغير حالنا .. وكلما يحدث نزاع تهددني بالمستشفى وأني فقير لم أدفع شيئا ؛ كأن المستشفى مكتوب



باسمي ولم أدفع والحمد لله أعيش على مدخراتي التي اكتسبتها أثناء عملي في الرياض .

قال : أنا معك في كل ما صرحت به أمامي .. من حقك عليها أن تطيعك ولا تخرج إلا بإذنك ولا تدخل أحدا بيتك إلا بإذنك ، ولا يجلس أحد على فراشك إلا بإذنك .. هذه أمور شرعية حق للرجل على أنثاه .

رفع شهاب صوته منفعلا : يا رجل اتصلت بي بعد أن دفعتني بعنف ، ومن المفاجأة وقعت عل الأرض ونهضت غضبا ، فمزقت ثوبها .. تخيل لو ضرب رأسي بالأرض أو بشيء لصار بي ما صار مع بلص .. وخرجت سافرة وبحقيبة ملابس وفي اليوم التالي اتصلت لتقول : متى نقف أمام القاضي ؟ لي أسبوع لا أراها ، ولا أسمع صوتها.. أهذه

امرأة شريفة ؟! يقول عارف : إنها تنزل في فندق ، وتبحث عن شقة .. ما المطلوب مني؟

قال : المطلوب منك الهدوء والتريث ؛ لعلها تراجع نفسها يا صديقي ! الزمن دواء للأوجاع .

ـ الزمن دواء الأوجاع إلى متى؟

قال : إلى نصف أكتوبر الذي نحن فيه ؛ فإذا لم تعد لشقتك ، ورأيت الطلاق حلا فالجأ إليه وافعله .. ولن يلومك أحد .

قال : اليوم الثاني من تشرين الأول .. أسبوعان.

قال جهاد : أسبوعان ، ومضى واحد .. قريب من شهر المجموع.

قال : حاضر أيها الصديق والنسيب .

غادر شهاب البيت شاكرا ، فقالت رندا بعد رجوعه من توديع زوج أخته: يقول إبراهيم متى ستعود للمكتب ؟

قال بضيق : رأيت الأفضل أن أبتعد حتى لا نخسر ما مضى من صداقتنا ، ونخسر بعضنا أنا وأنت .. أنت قلت " لم يكن موقفك سليما مع مشكلة العرس" أنا سكتّ عن نقدك من أجل ما في بطنك .. لا تبكي يا سيدتي ! أنت وأهلك كبرتم الموضوع .. دعوني أغضب وأزعل من العرس .. ألم يتم العرس ؟ لا يؤثر على العرس غياب واحد أو عشرة .. المهم العريس والعروس . وغادرها لمكتبه.

لحقت به وجلست بقربه وقالت بتوسل : أرجوك لا تزعل مني يا جهاد ! اذا رأيتني أخطأت سامحني ؛ ربما انفعلت.

قال : خلاص أنا غير زعلان منك ، لنكن لبعض كما تعاهدنا عند الزواج أيام الخطبة .. الكتاب والسنة يحكم بيننا .. وإبراهيم مكتبه ليس بحاجة لي ، وما كان ينبغي أن يناقش مسألة عائلية في ديوان عمل.. قدام الأصدقاء أو الأغراب.

قالت : ماذا قررت؟

قال : سأدرس يا رندا ! .. نحن رزقنا الله مالا كثيرا ؛ فلست بحاجة للعمل .. العمل لإشغال الوقت ومساعدة الناس .. وأنا أساعد الناس من خلال تطوعي في جمعية رحمة، وجمعية الفضيلة

وسكت وقال : كلفت وردة باستئجار خادمة للبيت .

زار إبراهيم ومهران واحمد الشركاء السيد جهادا في بيته ، واستقبلهم في غرفة الضيوف والزوار ولما قدم لهم الشاي .

قال مهران : متى سننتهي من هذه المشكلة يا سيدنا ؟

ضحك جهاد قليلا وقال: لا يوجد مشكلة أصلا ، أنا يا إخوان حسمت أمري .. الله وهبني بعض المال .. سأدرس الماجستير في القانون التجاري ، والدكتوراه في القانون الجنائي ؛ لأعمل محاضرا في

الجامعات القانونية .. يكفي عشر سنوات معكم ومع القضايا والمحاكم.

قال احمد : ما هذا القرار؟ اعمل معنا تعودنا عليك ، وادرس يا سيدنا .

قال : هي كانت فرصة للاعتزال حتى لا نخسر بعضنا بعضا ، ونبقى حبايب وأصهارا يا إخوان !

قال إبراهيم معترضا : يا جهاد لو فعلت ذلك قبل العتاب ؛ لتقبل الأمر بسرور ومحبة ، ومن حقك أن تصير دكتورا مثلنا في القانون .. والشغل معنا لا يمنعك من الدراسة.

قال مهران : سيترك الوضع شرارة تحت الرماد والسكن ، ويقال القشة التي قصمت ظهر البعير يا جهاد ! فكلام إبراهيم صحيح واحمد من قبله .. ادرس وابقى معنا حتى نقول إنك لم تتركنا غضبا وضيقا .

قال : لا أراها تفرق كثيرا ، منذ ورثت أبي الكويي ، وأنا أفكر بترك الوظيفة.. لا أكون يا أحباب في المكتب بدون روح .. عليّ أن أعمل لأحلل راتبي وطعامي.

قال إبراهيم : لو كنت أعلم أنك حساس وستغضب من العتاب ما عاتبتك حتى أنك ترفض الجلوس مع أبي ولقائه .. أنا كلمتك من حبي لك ، وما بيننا من الود

قال : سيبقى الود .. أنا بحبكم جميعا.. أنتم كبرتم الموضوع.. وزعمتم أني زعلت المعازيم مع أن أكثر هؤلاء المعازيم والضيوف من دكاترة الجامعة ونسائهم وبناتهم .. لا يعرفهم العبد الفقير لربه ، ولا يعرفونني يا إبراهيم ! لماذا بارك النسيب وانصرف بسرعة ؟ من فيهم يعرفني يا إبراهيم ؟

ـ نحن آسفون .

قال مهران متنبها : فعلا يا إبراهيم من فيهم يعرفنا ؟!.. لم ننتبه لهذه النقطة .. نحن من شهدنا الحفل لا نعرف أكثرهم .. أنت نفسك قلت هؤلاء ضيوف أبي وزوجاتهم .. لماذا المشكلة؟!

قال متعذرا : زعلنا من تصرف جهاد ؛ لأن أبي خاطبني على إثر انصرافه بحدة " مال زوج أختك مكشر وعيناه حمر " وجه كلامه لي يا أحباب ؛ لأنني يسرت زواج جهاد من أختي.. فقلت له فيما بعد نتكلم يا أبي .. فغلط أبي عليّ وعليك للأسف من الغضب فقال : "هو كل الشيوخ مثله ، لماذا أتى؟".. فأحببت أن أعاتبك ؛ لتحاول أن تتصالح مع والدي وأخي عبد الرحيم .

قال : سنتصالح في الوقت والظرف المناسب يا دكتور !

قال احمد : الأفضل أن تعود للمكتب من أجل خاطرنا ، وبعد حين تنسحب اذا كنت مصرا والمكتب لن يعيق دراستك ، واذا سجلت في

جامعة نتمنى لك التوفيق والسلام .. ونحن نشجعك على ذلك .. وكم مرة حدثتك على الدراسة ؟

قال : سأدرس في فرنسا جامعة باريس سوربون اذا تيسر الأمر أو ليون ، أرسلت إليهم أوراقي عن طريق مكتب القبول في الجامعات الأوربية المعروف، وقدمت للجامعة الأردنية في عمان ، واذا تخرجت من جامعة باريس أو ليون سأكون محاضرا بسرعة في الجامعة .. فيا أحباب انتهى عملي في مكتب إبراهيم وشركائه وسأحل عليكم من الآن فصاعدا ضيفا أنتظر القبول ، وقد سجلت في المعهد الفرنسي لتعلم اللسان الفرنسي .

قال إبراهيم : وزوجتك !

قال : ستبقى مع الأطفال وعملها ، وفي كل فرصة أركب الطائرة وأرجع ، لا غنى عنهم .. اطمئن على أختك التي لامتي مثلك .

ـ أنت غضوب يا جهاد! أختي ليس لها إلا أنت

قال : أرجو ذلك .. النفوس تعرف حقيقتها في المواقف الحادة.

ـ كلامك يزعل!

قال : سأتعاقد مع خادمة يا إبراهيم ؛ لتكون معها ، فقد طلبت من وردة ذلك .

ـــــــ

التفت وردة لعصام : دعوت جهادا وعارفا للعشاء معنا.

ـ وسالم.

قالت : في السعودية .. الأمور بين جهاد وعمه متوترة منذ العرس ، فلما قلت له أحضر رندا وزوجة سالم معك ، قال : سآتي وحدي ، كلمتني رندا لأتدخل بتخفيف غضب زوجها على أهلها .

قال مستغربا : بسبب عشر دقائق في حفل الزواج!

قالت : للأسف والدها كبر الموقف ..كبروا الموضوع .. خروج جهاد من الحفلة.

قال : لو لم يذهب لغضبوا ، ولما جاملهم غضبوا ، فقد ترك العمل معهم في المكتب يريد السفر لفرنسا اذا تمكن من ذلك لدراسة الماجستير والدكتوراه ؛ ولكن الحمد لله قُبل في الجامعة الأردنية بعمان وهي أقرب إلينا من أوروبا .. فأنا أحب بقاءه بيننا، وأحب سماع قوله ورأيه في أي مشكلة والجلوس معه عامة .. أنا أنافسك في حب جهاد ، والذهاب معه في توزيع الزكوات والصدقات.. هنا أو في تاج الزمان ، ولو ترينه وهو ينبسط مع البسطاء ، ويسمع مشاكلهم ويساعدهم فوق مخصصات الجمعية .. فيقول لي هذه أموالك وأموال وردة ليتنا نعرف المحتاجين بدون وصولهم للجمعية ؛ لكن الكذب كثير .

قالت بسرور : هو رائع بكل معنى الكلمة ! لا أنسى كلماته عندما حل بيننا الشقاق .. جريدة

احتمال كبير أن تنفصل عن شهاب كما يقول جهاد ؛لأنها راكبة رأسها ، ما زالت تعشش في الفندق .. ونصف هذا الشهر سيكون الحسم ؛ ليحسم شهاب أمره ؛ كما اتفق مع جهاد.

قال أسفا : عارف ضاع .. ضيعت عليه فرصة الزواج من شهدة ، كانت تريد تزويجه من طبيبة من رفيقاتها ، وضاعت فرصة العمل في المستشفى .. فشهاب انسحب ؛ فليس له شيء في رأس المال ؛ فليس بينهم أوراق معينة ، والمبنى مسجل باسمها وباسم عارف .

ـ والآن!

قال : الآن عارف توقف عن دفع المال ، وتركها تدبر نفسها ،ويطالبها بما دفعه ؛ ليصبح المشروع كله باسمها ، هو لم يرخص مشفى بعد ، هو بناء كأي بناء ، ولما ينته البناء يرخص من عدة جهات كمستسقى ، وتجلب له المعدات والآلات الطبية.

قالت بحزن : المسكين عارف ماذا سيفعل ؟

قال : الليلة بعد العشاء سنفتح الموضوع .

وضعت جوهرا على ركبتيها وقبلته بحب وحنو وضمته لصدرها : كم أحبك يا جوهر ! كبرت يا جوهر ! وزنك زاد .. خالك حبيبك سيأكل معنا أظهر جوهر سعادته لهذا الخبر ، وعبر عن ذلك ، فهو معجب بخاله جهاد ، فقالت : ولكن يا قرة عيني سيأتي وحده دون عبدالله ومي .

ـ لماذا ؟

قالت : لا أدري عندما يحضر أسأله.

قال عصام : تعال أقبلك يا حبيبي! أمك ليست أحسن مني. نزل عن ركبتيها وقبلها من خدها ثم انتقل لحضن أبيه يقبلان بعضهما البعض وجلس بجواره .

قالت وردة أثناء ذلك : تعالي يا سلمى يا حبيبتي أقبل الخدين الحلوين .

قدمت سلمى نفسها لعمتها التي أجلستها على ركبتيها وقبلت خديها وقرصتهما مداعبة ، وداعبت شعرها ومدحت نعومته .

قال عصام : كيف الصف الرابع يا صديقي ؟ لأنه انتقل مع الموسم الجديد للصف الرابع .

ـ اسم معلمتي روز .. ما معنى روز ؟

قال : اعتقد نوعا من الزهر أو الورد يا وردة!

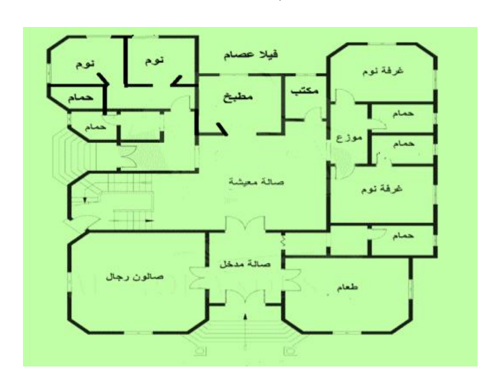
قالت : وردة بالإنجليزية واللغات الأجنبية ، وهو اسم شائع تاريخيا على ما اذكر.

ذهب جهاد للمغسلة لغسل يديه وفمه بعد قيامه عن طعام عصام وردة وقال : الحمد لله الذي أطعمنا وأروانا غير مكفي ولا مودع .

ومسح يديه بالمنشفة البشكير كما يقول بعضهم ، وتوجه إلى صالة الاستقبال في فيلا عصام ، وتبعه عارف وعصام.

واهتمت الخادمة برفع بقايا الطعام ، ونقل الأواني

المستخدمة لحوض الغسيل في المطبخ . وقدم عارف الشكر لعصام وزوجته ، ولما جلس الجميع



يتسامرون ، ويذكرون نعم الله ، ويشكرونه عليها ، وأن يديمها عليهم.

سألت وردة عارفا عن آخر أخبار جريدة ، فقال : اقترب نصف أكتوبر دون جديد ، تركت الفندق واشترت شقة من سامي.

قالت بدهشة : سامي ابن عمها.

قال : ربما بالخطأ .. مكتب عقارات وفر لها الشقة

قال عصام : مكتب عقارات سامي وحسن الذي يديره يوسف بدير .. وشهاب!

قال عارف : حدثتها عن نصف الشهر ، قالت أنا لا أحب الشيوخ يا عارف! إياك أن تتزوج من متدينة مثل شهدة ، فقلت سأتزوج واحدة مثلك، تقضي وقتها في الملهى والخمارة ، وأنا في انتظار عودتها وتشريفها سكرانة.. اعمل لي قهوة يا حبيبي ، رأسي مصدع ؛ كأنني أكثرت من الشرب .. فزعلت وطردتني .. فقلت لها انتقمي مني.. شهاب يطردك ، وأنت تطرديني ضيعت عليّ الزواج.. أريد مالي ما دام مشروعك توقف وفشل .. البنت أحوالها صعبة !

قال جهاد : سوف تتحسن بإذن الله تعالى.

قالت وردة : إن شاء الله.

أقبل جوهر وسلمى نحوهم تدفعهم المربية بعد تنظيفهم ، ولبسهم ثياب وبيجامات النوم ،

اقتربت سلمى من جسم أبيها ورفعها بعد أن داعب شعرها وأذنيها ، وقبلها وسألها عن المدرسة والمعلمة ، ثم أنزلها وقال : تعال يا جوهر يا حبيب خالك ! أنت فعلا جوهرة العيلة ! دفعه والده لخاله وتناول سلمى يتحبب إليها.

فقال له عارف : كيف أنت والعروس الصغيرة؟

قال : بحبها وهي تحبني .

أخذ جهاد سلمى من عصام وأجلسها على ركبتيه : أنت تحبين جوهر الشجاع!

قالت : أنا بحبه ، قد سمح لي بالنوم معه في نفس الغرفة ، فهو يقول إن هذه الغرفة له وحده ؛ ولأنه يحبني سمح لي بالنوم فيها .

هتف عارف : عظيم يا جوهر ! أنت في الصف الرابع السنة أكبر من سلمى بصفين .

قال : الحمد لله .. معلمتي روز حلوة ما عندها أطفال مثلنا.

قال جهاد : لم ؟

قال : قالت : حين تتزوج يأتي الأطفال ، لا يأتي

الأطفال إلا اذا تزوج رجل وامرأة فلما تتزوج يصير عندها أطفال حلوين مثل سلمى.

قالت وردة معرفة : متخرجة جديدة من الجامعة ، أول سنة تدريس ؛ كما أخبرتني .. معلمة مرحلة أولى أساسية .. ما رأي عارف بخطبتها؟ أسعى بذلك.

ـ صغيرة .

قالت : أصغر من شهدة بثلاث سنوات .. تزوج أبوك أمي في عمرها ، وكان أكبر منك تلك الفترة

قال جهاد : المهم تقبل ، وهذه سهلة .. المدرسة لي ولسامي وحسن .. فسامي يتكلم مع المديرة.

قال عصام : والله فكرة!

قالت وردة : ما رأيك يا جوهر أن نزوجها لخالك حتى تلد أولادا إخوانا لسلمى الحلوة.

صاحت سلمى وهي ترقص : يا سلام ! يصير لي إخوة مثل جوهر محمد ومي.

وبينما هم في انسجام ، وقد تحول اسم روز معلمة جوهر إلى مشروع زواج لعارف رن جرس الفيلا ، فنهضت وردة تنظر في كاميرا البوابة ، وهتفت بفرح: عمي حبيب عمي حبيب ، وضغطت زر البوابة وهي تهتف : تفضل يا عمي تفضل !

انقلب بغضها لعمها حبيب إلى حب بعد صلحها مع عصام إلى حب كبير يظهر على وجهها واضحا للعيان في كل لقاء ، ولا يكاد يمضي يوم ولا تصبح عليه هي وعصام فيقول بعضهم لنفسه : سبحان مقلب القلوب!

دخل السيد حبيب عارف رويدا رويدا ، ولما أصبح بالباب للفيلا ، انحنت وقبلت يده: أهلا عمي ومرحبا بأغلى عم . فقبل رأسها ويدها هو الآخر ، وقال : غالية عليّ!

وتقدم نحوهم ؛ حيث وقفوا يسلمون عليه ، ويقبلون يده ، فهو كبيرهم ، وقبلوا رأسه ، هكذا التقليد تقبيل اليد المصافحة والرأس أو الرأس ثم اليد احتراما لمقامه وتعبيرا عن حبهم له .

فقال : جئت وأنا أعلم أنكم هنا من زوجتك يا جهاد أم عبدالله.

فلما جلس جلسوا ، وهذا عرف آخر بين الأسر ، وتقدم جوهر وفعل مثل والديه ، فمسح الجد على شعره ، وشعر سلمى وقبلهما ، ودعا وبارك في صحتهما وعمرهما وعلى الفور أحضرت المربية التي ينتهي عقدها بنهاية العام محمد ومي واحتضنهما وقبلها وشمهما ، ودعا لهم بدعاء إبراهيم لولديه " أَعُيذُكما بِكَلِمَاتِ اللهَّ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ " وناولهما فردا فردا لأمها التي تدفع بها للمربية وتثني على عمها ، وهذا عرف آخر بينهم ، كلما يدخل بيتهم تجلب المربية الأطفال لجدهم ، ليدعو لهما ويشمهما ويرقيهم ، وأخرج لهما الهدايا من الحلوى التي

يحبونها ، وعوّدهم عليها ، وبعد انتهاء البرتوكول أخذتهم المربية ، وقدمت الخادمة كوبا من الشاي للسيد الكبير وسألت من يرغب المزيد من الشاي ، فكلهم أشار برأسه نعم .

فقال عارف بدون تمهيد : جئت للسهر أم هناك شيء.

فضحكوا ؛ لأن مجيئه بعد العشاء ، لابد أن يكون وراءه أمر مهم دفعه للخروج ليلا ، وتابع

عارف: قبل قليل يا عم ! وجد لي جوهر عصام عروسا . وضحك وضحكوا هم ، وقال: من ؟!

قالت وردة باسمة ، وكانت تحب أن تجلس قريبا من عمها على يمينه لا يفصل بينهما مقعد : معلمة جوهر الأبلة روز .

وقص عصام الموقف والقصة ، فقال حبيب : الله أعلم قد يتحقق المأمول يا عارف وكما قال جهاد فليتحدث سامي أو حسن مع المديرة ويأخذ رأيها ، ثم نسأل عن أهلها وأسرتها .

فقال جهاد : وأنت يا عارف ما قولك؟

قال بحماس : والله من الساعة أرغب وأحب أن أتزوج ..أنا أنام في الغرفة وحدي من عدة شهور .. عدة المرأة خلصت ، وعدتي لم تنته وأنا أبحث.

فغمرهم الضحك ، فعارف معروف بخوفه من الخيانات والزنا ، رغم عدم تمسكه سابقا بالدين أخرج جهاد بإذن من عمه الهاتف على نظرية خير البر عاجله ، واتصل بسامي، وقص عليه رغبة عارف برؤية المعلمة الجديدة روز للنكاح .

قال بحماس: جيد جدا ! الآن سأتصل بسعاد ، وهذه المعلمة روز جديدة وحضرت مقابلة تعيينها ، ووقعت على عقدها .

ـ توكل على الله.

قال عصام : سبحان الله سبحانه ! يدبر الأمر من السماء إلى الأرض! .. أهلا أبي محضر مبارك

التفت إلى جهاد وقال : جئت خصيصا إليك.. أبو إبراهيم تكلم معي ، وقال كنت متوترا ومرتبكا ليلة العرس يا أبا عصام ، وإنه يعتذر ويأسف من إظهار زعله أمام الناس والضيوف ويأسف للموقف الذي حدث منه نحو صهره ونحن أهل ومن سنوات أصهار ، والرجل راغب باللقاء بك ، وأن تعود للعمل لأن إبراهيم زعلان منه ، وقال له يا أبي كل الضيوف لا يعرفون جهادا فأحرجتنا أمامهم .

فقال عارف : أجب عمك.

قلب جهاد نظره في أعينهم فردا فردا ثم قال: ما المطلوب؟

قال حبيب : المطلوب يا ابن أخي .. نحن نذهب إليهم بدلا أن يأتوا إلينا ؛ لنكون نحن أهل الفضل والسبق كما تعودنا طيلة العمر ، كان المسكين يتحدث معي ، وأحسست أنه يمسح دموعه.

قال : كما تريد يا عمي! أرسلت أوراقي للجامعة الأردنية في عمان .

ـ قال لي اعمل معهم حتى يرضى إبراهيم ويزول زعله .. وادرس في الجامعة .. فعمان ليست بعيدة عن البلاد الشامخة.

وتابع حبيب قائلا : المسامح كريم يا جهاد ! علينا دائما الصفح وأم عبدالله تحبك وامرأة مباركة قالت أموت أنا ولا يزعل جهاد ، وسبق ومرّ عليّ إبراهيم أيضا وقال يا عمي المكتب بدون جهاد سينفض عنا الكثير من الزبائن والعملاء ..فليبق معنا ولو بالاسم .

قال : أنا آسف يا عمي شغلتك معي.

قال : لا ، الناس محترمون طيبون جدا يا ولدي! لولا طيبتهم ما اهتموا بزعلك وغضبك .. الخطأ عند الكرام معذور ومقبول .. غدا بعون الله بعد صلاة المغرب نمر عليهم.

هز رأسه بحاضر . رن الهاتف فقال: سامي.

ـ رد عليه .

فتح الخط ، وقدمت الخادمة فناجين القهوة ، فمد كل منهم يده وتناول فنجانه شاكرا لها.

ـ آ ! يا مهندسنا الغالي.. أبوك يشرب معنا القهوة ، في بيت أبي جوهر.. لا يوجد مؤامرة .. على من سنتآمر ؟ لسنا طلاب حكم ونياشين.. اتصلت المديرة بروز رغم الظلام الدامس، لم تصبر لتقابلها في المدرسة ، وهي ترحب بنا كما قالت سعاد .. شكرا فلتأخذ لنا موعدا ، وسترافق عارف وردة أمنا الحبيبة وردة بمقام أمنا يا حضرة المهندس .

فهمهموا ، فجهاد منذ هلكت زكية ويردد أن وردة أصبحت أم العائلة ، وتابع : سيتعرف على الآنسة روز معلمة الشجاع جوهر .. مع السلامة وأغلق الخلوي.

فقال : على السريع تحدثت مديرة جوهر مع المعلمة روز .. أذكر أن سفينة كبيرة للبحرية الإنجليزية اسمها روز ماري.. على السريع يا عارف تحدثت مع روز وأم روز .. البنت دون أب .. أمها أرملة .. لها أربع أخوات ودون ذكر بينهن أو كان واحدا مات غرقا وهو طفل .

سألت وردة : ألا تذهب معنا؟ ـ هذا يعود لعارف.

قال عارف : أنا رأيي أن ترافقنا .. نسير نحن الثلاثة ؛ لتحصل لنا البركة بوجودك .

قال حبيب : حسن ! كما فعلتم مع ابنة أبي جميل .. ما حصل لأختكم جريدة؟

قال عارف رادا : اقترب الطلاق ، اشترت شقة من عمارات سامي وحسن عن طريق سمسارهم يوسف بدير .

قال : الله يصلحها ، ومصيرها العودة ، مشكلتها ليست صلاة شهاب ، مشكلتها العجز عن الحمل

، شهاب حدثني بذلك ، هي غير قادرة حسب فحوصات السعودية ، فبدل أن تهدأ وتلجأ إلى الله وتسأله الشفاء .. تعاند وتكابر ، والحياة بدون ذرية صعبة للزوجين ، ولا يجب عليها الاستسلام ، فقلت له تنظر إلى أختها الكبرى ، وتتعلم منها ، وتخضع لعملية تلقيح خارج الجسم ، كنا نسمع عن مثل هذه العمليات ورأيناها عن قرب ، واليوم أختها من خير النساء .

قالت : شكرا عمي ! تكلمت معها في هذه القضية ، وعرضت عليها منذ تركت بيتها أن نتكلم مع شهاب ، ونصلح ذات البين ، ولن يضيرها التغير ، كل الناس تتغير ؛ لكنها نفضت يدها من شهاب ، وهو كما قلت ، المشكلة أنها تعاني من تشوهات خلقية في المبايض ، ولا تعترف بعقمها ، والعلاج ميسور وسهل .

قال حبيب وهو ينهض: شكرا لكم ! شكرا أبا جوهر وأم جوهر ! أنتظرك يا أبا عبدالله في مسجد حيّنا نصلي المغرب سوية ، وننطلق بعون الله فأنت عقلنا الكبير ؛ لتعود المياه لمجاريها .. والجماعة يحبوننا ويعبروننا .. وهم من أفضل أنسبائنا .. وكل ابن آدم خطأ ، وخير الخطائين التوابون.

... يتبع في الجزء القادم ١٢

التحقيق الجنائي والجريمة

بصمة وراثية

الحلقة ٤ والأخيرة

فأجابت قائلة : لحتى الآن ليس هناك شيء واضح .. فسبب الجريمة غير محدد، ولكن الأيام الخالية قبل الحادثة كانت حالة مريم غريبة ، وكل وقتها في غرفتها .. الغم والحزن يغمرانها فلم تكن طبيعية .. كان هناك شيء حتى أن والدها أحمد يخشى أن تكون انتحرت وخنقت نفسها .. ولولا تأكيدات الطب الشرعي أنها خنقت بفعل فاعل ..شخص ضغط عليها الشال حتى خمدت أنفاسها .. لقلنا إنها انتحرت أو صدقنا ذلك الهاجس رحمها الله.

فقال عرفان : حدثني صاحبنا سعدي رجل بوليس متقاعد أنها قتلت بهدوء أعصاب ولم تقاوم قاتلها.. يبدو أن القاتل خدعها أو خنقها متظاهرا بالمزح حتى حشرجت روحها فتركها عندئذ .. آسف يا أمينة.. ارتفعت دموعك .. نسيت نفسي وأنا أتحدث عن قسوة المجرم .. وهذا لا يفعله كما يقول سعدي إلا شخصان .. إما فتاة تثق فيها مريم أو هذا المحب جرير ولكن لماذا تقتل؟ هذا ما يبحث عنه البوليس .. هذا ما سمعته صباحا من سعدي عندما اتصل ليسلم عليّ .. وهو لم يذكر أمامي اسم جرير معتقدا أنني لا أعرف شخصا بهذا الاسم على كل حال قلبي معكم وإنني أتابع القضية أولا بأول.

ثم أنهى الحوار وتمتم لنفسه وهو يضع الهاتف :

لماذا يقتلها ذلك اللعين؟! فوالدها لم يرفضه رفضا تاما إنما أجل الحديث في الموضوع حتى تنتهي الدراسة .. ماذا جرى له عندما سمع بنبأ موتها ؟! إذا كان هو الفاعل لابد أن يكون هناك سبب أكبر من الرفض أو التأجيل قد دفعه للجريمة .. أقول مرة أخرى إذا كان هو القاتل الأثيم .. سأجتمع بسعدي اليوم حتى أسمع أخبار البحث عن قاتل مجدية وماذا استفاد من تنكره ؟

فقضى عرفان نهاره في داخل القصر ، فاطلع على الصحف ، وتحدث مع المحامي في قضية نسب شاهر، وبعد الغداء دخل المكتبة فقرأ في كتاب عن أسباب ودوافع الجريمة ، فوجد بينها الحب والعشق ، وأنه سبب قد يؤدي للقتل والجناية وذكر المؤلف عدة قصص وجرائم أدى فيها العشق لقتل المعشوق ، ووجد أن أكثر الجرائم في هذه الصنف تقع من النساء المعشوقات، عندما تكتشف غدر الحبيب أو تشعر بضعف هواه وحبه نحوها ، فتعجب من ذلك ، واستمتع بقراءة هذه الحكايات ولما فرغ من القراءة علق قائلا :إذن يمكن للحب المزعوم أن يقتل! .. لا ، هذا ليس حب .. هذه أنانية ، المحب يحب لحبيبه الحياة وليس الموت الإنسان أمره مدهش وعجيب!!

غادر عرفان المكتبة، وتحدث مع مكتب التحريات الخاصة واتفق على لقاء مع السيد سعدي ، فرحب به المدير ، وانصرف إلى النوم فنام حتى المساء، ثم انطلق به السائق إلى مكاتب شركة التحقيق ، واستقبله المدير حمزات بنفسه ثم خلا بسعدي الذي أخبر بهذا اللقاء فترك منزله في حي (الرسمان) ، وبعد التحية والسؤال عن الصحة والعافية قال سعدي : تأكد يا سيد عرفان أنني أبذل أقصى جهدي وأدس أنفي بين كل اثنين في الحي ، واشتري الغرض وأمضي نصف ساعة وأنا أتحدث مع صاحب المحل.. ورغم كل هذا الجهد لم نتقدم كثيرا .. فالكل يتهم الفنزويلي بقتلها والغدر بها .. فهم يقصدونك بالطبع يا سيدي .. وعندما أواجههم وأقول أن الفنزويلي رجل كبير ومريض ولا يقوى على ذلك.. فيردون بأنه استأجر قاتلا .. فأضحك وأقول لا أدري هل يستأجر قتلة في هذه المدينة الصغيرة ؟! نحن لسنا في نيويورك أو شيكاغو فأتركهم على سذاجتهم وجهلهم وأتظاهر أنني مصدق لما يدعون .. فالقاتل شخص ماهر عرف اختيار ساعة تنفيذ الجريمة أو أن الصدفة ساعدته.

فقال عرفان : لم تمسك طرف خيط بعد ؟

ـ للأسف لأ .. ولكني لم أيئس يا سيدي .. فمها كان المجرم بارعا لابد أنه ترك خيطا وراءه ..وأفواه الناس أحيانا لا تتفوه إلا بعد زمن ليس باليسير .. فالخوف يعقد الألسنة عن الحديث عما

سمعته أو شهدته أو اشتباهها بشخص ما ولكن الأيام تجعل هذه الألسنة تتنفس..

فقال عرفان : وجريمة حفيدة أختي .. طالبة الجامعة الآنسة مريم.

ـ تعلم أننا غير مكلفين بالتحري والتحقيق في هذه الجريمة .. ولما علمنا أنها ابنة أخت حضرتكم أمرنا المدير أن نهتم بالأمر.. ولم نكتف بما قرأناه بالصحف ، بل تحدثت مع أحد أصدقائنا في دائرة التحقيق عنها.. وكما ذكرت لك صباحا أنهم يشكون بصديق لها .. ولكن للعلاقة العاطفية الكبيرة بينهما يحاولون البحث عن قاتل مجهول ؛ ولأن جدة الفتاة شقيقتك أخبرت أن فتاة هي التي طلبتها ذلك الصباح.. فسبب ودافع الجريمة غير واضح لديهم .. والشاب يصر على الإنكار ، وأنه لم ير فتاته ذلك النهار.. وحرس الغابة شهدوا أنهم لم يروهم يوما في الغابة إلا وهي معه، فهم لم يروا واحدا منهما وحده البتة .. دائما معا إلا مرة واحدة شهد أحد الحراس أنه أتى للغابة ومعه مريم وفتاة أخرى.. فهو كثير التردد على غابة الأندلس فلذلك البوليس يرى أنه كان معها.. ولكن لا شهود.. فكان الوقت وقت حر وظهيرة ، ولم تشاهد الفتاة تدخل من بوابة الحديقة أو الغابة.

فقال عرفان : ولكنهما حبيبان ؟!

فقال سعدي : وهذا ما يدهش البوليس الآن..

ولكن البوليس قد تحدث مع زملائهم في الجامعة فشهدوا أنهما لا يكادان يفترقان خلال الدراسة إلا للضرورة .. وهم يقولون من الصعب رؤية مريم مع أحد من الزملاء دون جرير .. وهذا يؤكد أقوال حراس الغابة الذين يعرفونهما بشكل جيد؛ لذلك يرى البوليس أنه من الصعب أن تذهب مريم للغابة أيضا بدون جرير .. ويظنون أن الذي تحدث مع جدة مريم هو جرير ، وقد غير من صوته أو قلد صوت فتاة ؛ لأنه لا يوجد في حياة مريم بعد التحريات صديقة أو زميلة حميمة تدفعها للخروج من البيت في مثل ذلك الوقت ، وهي في حالة نفسية متعبة، تركت المحاضرات من أجلها .. فلابد من ساحب قوي، وهذا متوفر في جرير أفندي ، وقد أنكر هو هذا الاتصال .. ولا فتاة من صديقات مريم ذكرت أنها اتصلت بها في ذلك النهار حتى لمعرفة سبب تغيبها، بل من النادر اتصالهنّ بها.. والمشكلة أن أهل مريم لا يعرفون سبب تعبها وأزمتها في تلك الأيام التي سبقت الجريمة .. فالبوليس لا يرى أمامه إلا العاشق الولهان ؛ ولكن الأدلة غير كافية حتى تقدم للنيابة .. إنما هي أدلة ذهنية أكثر منها مادية .. وقد أفرج عن المدعو جرير .. وقد وضعوه تحت المراقبة إلى حين حتى يثبت لهم أنه بريء مائة بالمائة.

فقال عرفان وهو كأنه حالم : وطريقة قتلها الهادئة

والماكرة لا يفعلها إلا من تثق به الفتاة وإلا كيف تسلم له عنقها يضغط عليها بالشال دون مقاومة ؟!

فقال سعدي : وهذا الشال يثير الارتباك في التحقيق ..الطقس حار فلماذا الشال ؟ وجدتها لم تنتبه لما كانت تلبس بالضبط ، ولكن الشال لها ثابت أنه لمريم .. والكلام الذي أشرت إليه أيضا أحد القرائن العقلية ضد جرير ؛ ولكنها جريمة قتل يا سيد عرفان ! فنرجو أن يصل البوليس للحقيقة ليرتاح بالكم وقلبكم .. فالإنسان عندما يجهل عدوا يظل متوترا وقلقا .. وقد يصاب بالأرق والاكتئاب النفسي.

بعد صمت خيم على المكتب لحظات قال عرفان : هل يمكن أن تنتحر؟! فوالدها الدكتور أحمد يقول: لولا تقرير الطب الشرعي لظن أنها قتلت نفسها .. فهي كانت تضغط على والدها في الشهور الأخيرة من عمرها لقبول جرير خطيبا وزوجا لها، فيرى أن الحالة النفسية الغريبة التي كانت تمر بها ربما زينت لها حب التخلص من الحياة .. فهم يتذكرون بعد موتها تلك الأيام العصيبة والهياج وغير ذلك من التوترات والتصرفات والعصبية.

ـ ولكن المكالمة الهاتفية .. وعدم وجود هذه الفكرة لديها مسبقا.. وهي لم تصل مرحلة الاكتئاب الشديدة لتتحدث عن الموت والانتحار والقتل .. فهي ما زالت تحاول وتضغط على والدها ليوافق على الاقتران بجرير ..فهو لم يرفض الرفض القاطع .. والفتاة ذكية وتدرس الطب .. ورغم الحب والعشق فهي ممتازة في الكلية ، بل كل مدرسيها يثنون عليها ثناء حقيقيا ليس ثناء مجاملة أو ذكر محاسن موتاكم .. وفكرة الانتحار بالخنق نادرة حسب معلوماتي .. فهناك وسائل أخرى كالمواد السامة أو إلقاء النفس في بحر أو نهر أو من مكان شاهق.. هذا ما يناسب الحالات النفسية الحادة .. فالانتحار يستبعده رجال الأمن .. فالراجح أن لجرير هذا يدا في الجريمة .. ولكن لا دليل الآن ولكنه سوف يسقط.

شكر السيد عرفان المحقق الخاص سعدي أحمد ، ثم ودعه وانصرف عائدا إلى القصر ليجد في انتظاره مفاجأة ! فقد أخبره السكرتير أن شخصا اتصل بالقصر، وطلب الحديث معه ، ولما أعلموه بأنه غير موجود تحدث مع ارباس فقال مهددا : فليكن صاحبكم على حذر؛ فإني قاتله قبل أن أقتل ، فلما سمع عرفان هذا الكلام وهذا التهديد دهش وقال لارباس : ما معنى ذلك ؟! ومن يكرهني لهذا الحد ؟! ولماذا سيقتل الملعون ؟! ومن سيقتله ؟ !

ثم تريث قليلا ثم قال بعد فكر : هذا جيد!.. فهذا قاتل مجدية .. يبدو أنه كان يريد من قتل مجدية أن

تلبسني التهمة.. فلما تأكد فشله فهو يريدني قبل أن يقبض عليه

فصفق ارباس إعجابا وقال: أوه ! هذا هو التفسير الدقيق لعباراته ..ولماذا يريد تلبيسك قضية مجدية ؟!

ـ هو قتلها كرها لي .. ولكن من هو؟.. لا أذكر أن لي عدوا هنا منذ نزلت هذه المدينة .. أما لماذا يا ارباس هذا ما سنعرفه قريبا ؟ أخبر البوليس فورا بهذا التهديد ، وكذلك المفتش سعدي فالمجرم بدأ يحوم حول جريمته .. أنا لا أخشى الموت ، فقد أخذت نصيبي من الحياة .. وأعلم رجال الحرس بهذا التهديد الخطير، وقل للمحامي حميد أن يحاول التعجيل بقضية شاهر.

ـ إن الأمر لجد خطير يا سيدي.

ـ هذا قاتل يا ارباس .. ألم يقتل امرأة لأتهم بها ؟

أخذ رجال الشرطة التهديد والتحذير الذي وجه للسيد عرفان بغاية الجد .. فالمجرم هو الذي اتصل بالقصر ليلة تنفيذ الجريمة ، وتحدث مع السيد شاهر، فهو يعرف القصر والسيد عرفان حق المعرفة كما يبدو لهم ، وقررت الشرطة وضع رقابة سرية له أثناء خروجه من القصر ، وقد ارتاحوا لتحليل السيد عرفان ، ووجدوه قريبا من المنطق .. فهناك عدو خفي للسيد عرفان .. وقد قتل مجدية معتقدا أنه سيتخلص من السيد عرفان أو توريط شاهر.. فقال مدير الشرطة : إذن المجرم بدأ يتحرك

ونشط رجال الأمن بعد ذلك الاتصال ، ووضع قصر عرفان تحت أنظار دوريات الشرطة والمباحث .. وهناك أيضا في جريمة مقتل مريم حدث تطور قد يكون مهما كذلك ، فقد وجدت إحدى شقيقات مريم في أحد كراستها الدراسية ورقة بخط مريم تتسأل فيها هل يمكن للمرأة أن تتزوج قاتلا ؟!.. وهي تعرف أنه قاتل !

فلما قرأت الأسرة هذه العبارة احتارت .. فكلمة القتل كلمة مخيفة ، وعلى أثر معرفة الشرطة لهذه العبارة المكتوبة على ورقة داخل إحدى كراسات مريم.. فقد قاموا بجمع كتبها ودفاترها وتفقدها، وتمنوا لو أنهم وجدوا جوابا على سؤالها .. فمن هو القاتل الذي تتحدث عنه مريم ؟ .. فهل جرير قاتل ؟ وقتل من ؟!

فكان مدير الشرطة يقول للمفتش المكلف بالتحقيق : هذه العبارة فيها حل اللغز كله !

فسأله المفتش : كيف ؟!

فقال المدير: تخيل لو أن مريم علمت أن من كانت تريده خطيبا أو زوجا أنه قاتل .. سفاك للدماء .. هل تقبل الزواج منه ؟ .. وهل تصمت لتتستر على جريمته ؟ .. وهل أحس ذلك الخطيب بأنها عرفت حقيقته وجريمته ؟ وأنها قد تفشي سره .. فماذا

عليه أن يفعل ؟

فقال المفتش بسرعة : يقتلها! .. ليخفي جريمته الأولى .. فالقاتل لديه استعداد للقتل مرة أخرى حتى لا يعرف أحد جريمته.

ـ هذه جريمتنا والله تعالى أعلم.

سقوط القاتل

دوائر الأمن ترتاب بالشاب جرير بأنه هو الذي قتل صديقته وزميلته في الكلية ، ومن هو القاتل الذي تتحدث عنه كلمات مريم في إحدى كراسات الكلية ؟ رجال البحث والتحري يطاردون جريرا ، فقد وضعوه تحت المتابعة الدائمة ؛ وكأن جريرا أحس بذلك ، فهجر الجامعة وادعى أن موت حبيبته مريم، واشتباه البوليس به زاد من تحسره وألمه وحزنه ، فكان يكثر من البقاء في البيت ، وقد أحضر له والده معالجا نفسيا ، وقد زاره أكثر من مرة ، وبدأ يتردد على العيادة النفسية، مما حير رجال الأمن حتى أن بعض المحققين والمتابعين للقضية تسرب إلى نفوسهم براءته من الجريمة.

وكان سعدي يضع السيد عرفان المشهور بالفنزويلي في صورة هذه الأخبار، فيقول عرفان : هل هجره للدراسة ندما أم خداعا لرجال الأمن ؟!

ـ المحققون في حيرة من أمره .. فكل القرائن العقلية ، وأقوال زملاء الجامعة ، وحتى أقوال أصحابه في الحي تدل على أن مريم لا يمكن أن تذهب للغابة البعيدة عن العمران من دون جرير .. ووضعها النفسي في ذلك اليوم والأيام التي قبله تدل على أنه لا يمكن لمريم أن تقبل الخروج إلا مع شخص له تأثير كبير عليها .. وحدثه عن قصة الورقة التي وجدت في كتب مريم التي تتسأل فيها عن الزواج من قاتل .. ولكنهم حائرون من تقصد بهذا الكلام ؟!

فقال عرفان : الأيام القادمة ستكشف المزيد من الأسرار .. وغدا لنا جلسة مع القضاة في شأن ولدي شاهر، ويقول المحامي إن القضاة مقتنعون بهذا المطلب، وأن اعتراف مجدية أمام المحامي كافي لتصحيح الأوراق الثبوتية .. وستكون الجلسة في العاشرة صباحا إذا أحببت الحضور.. ويقول حضرة المحامي أن الجلسة لن تستغرق أكثر من عشر إلى خمس عشرة دقيقة فقط.

فرد المفتش سعدي : بالتأكيد سنكون معك .. فما زال رجال الأمن يفرضون عليك حراسة خفية منذ تلقيكم ذلك التهديد .. وربما تلزم شهادتنا لدى القضاة.

فعلق عرفان قائلا : أخشى أن يكون التهديد مزحة أو سخرية من أحدهم .. فالذي تلقى التهديد هو ارباس ..على كل نلتقي غدا أمام دار العدل.

ولما غادر عرفان مبنى شركات التحقيقات الخاصة ، واقترب من سيارته أطلقت عليه رصاصات من سيارة متحركة كانت تنتظر خروجه .. فلما فتح له رجاله الباب ليركب .. تحركت السيارة وأطلقت منها الرصاصات ، فأصابت أحد الحراس في ذراعه وأسرعت مبتعدة .. فقد كان الشارع في ذلك الليل قليل السيارات ، فارتبك رجال عرفان ، فأمر عرفان السائق بنقل الحارس المصاب إلى المستشفى ، ودخل المبنى واتصل بالبوليس وتحدث مع سعدي الذي هرع مسرعا ، وهو في غاية التوتر والاضطراب وهو يقول : أين رجال الأمن ؟ أين البوليس ؟

وكان أمن العمارة قد أخبر البوليس قبل اتصال عرفان .. فقد لاحظ الحارس الأمني المشهد ، ولكنه لم يتمكن من التقاط أرقام السيارة الهاربة .. فتجمع رجال الشرطة خلال دقائق ، واعتذروا عن غفلتهم في حماية السيد عرفان ، وبينوا أن الفريق المكلف بحمايته كانوا يجلسون في مطعم البناية يأكلون ويشربون الشاي ريثما يهبط .. فشكرهم عرفان ، فقال أحدهم : عندما طالت الجلسة مع السيد سعدي.. قلنا نتعشى ونشرب الشاي .. ونحن كنا نقوم بدفع الحساب عندما أطلق الرصاص.. فنحن لم نسمع صوت الرصاص .. فالمجرم يضع على مسدسه كاتما للصوت.

رفع رجال الشرطة الرصاصات الفارغة ، وحمدوا الله على نجاة السيد عرفان، وانطلقوا إلى المستشفى .. وهناك وجدوا أن الحارس قد ادخل غرفة العمليات لانتزاع الرصاصة التي استقرت في ذراعه ، ولما اطمئن عرفان على حياة الحارس ، قفل عائدا للقصر بحماية سيارات الشرطة وهو يقول : عدو حاقد .. من هذا اللعين الذي يريد قتلي ؟؟

غدا جلسة المحكمة!

اتخذت إجراءات أمن مشددة عند المحكمة ، وانتشر رجال البحث الجنائي والأمني في أروقة دار العدل ، وعلى الأبواب والمداخل خوفا من أن يكرر المجرم المجهول محاولة الاغتيال ، وحضر السيد عرفان إلى المحكمة ، واستمع القضاة أقواله ، واطلعوا على اعتراف السيدة مجدية وشهادات فحص البصمة الوراثية ، ثم تم إعطاء السيد شاهر اسم أبيه الحقيقي .. وهنأ المحامي السيد عرفان على سلامته ونجاته من يد الغدر فشكره وقال : سأذهب للمستشفى لزيارة الحارس الشجاع الذي فداني بنفسه، وعليك متابعة أخذ قرار المحكمة ؛ لنقوم بعد ذلك بإخراج وثيقة شخصية وتغيير شهادة الميلاد للسيد شاهر ومن ثم جواز سفره فأنا أريد أن أسافر فقد طالت غيبتي عن البلاد والأعمال .. وليستمر سعدي بملاحقة قاتل أم

شاهر .. وعليك بالاهتمام بأحوال أخواته الثلاثة .. فليس لهن الآن سواه.

ووعده المحامي بفعل كل مناسب ، وركب عرفان السيارة الخاصة به، وانطلق به السائق نحو المستشفى الذي يرقد فيه الحارس المصاب ، وكانت تتبعه بعض سيارات الأمن والشرطة ، ونزل عرفان إلى المستشفى والرجال أمامه وخلفه، وصعدوا إلى الطابق الرابع حيث ينزل الحارس بعد خروجه من غرفة العمليات ، وتعانق الرجلان ، وأبدى عرفان امتنانه وشكره الكبير للحارس الأمين وعلى إخلاصه فرد الحارس : هذا واجبنا يا سيدي ! لم ننتبه له ولحركة السيارة.

وبينما الجميع يثني على الحارس وشجاعته ، دخل أحد المرضى وهو يقول : أين السيد عرفان ؟

متظاهرا بأنه لا يعرف شخص السيد عرفان، وكان الطبيب المقيم يقول : هذا المريض دخل ليلة أمس ، وهو يعاني من آلام حادة في الأمعاء.

وبينما الطبيب يحاول التعريف بالمريض الذي يريد التعرف على السيد عرفان .. أخرج المريض مسدسا من ثيابه ، ولكنه قبل أن يستعمله كان قد تلقى ضربة من أحد رجال الأمن سريعا فسقط على الأرض، وانطلقت رصاصة أصابت الحائط من حسن الحظ ، وهجم عليه رجال الأمن سريعا ، فاقترب منه عرفان وصاح : أنت جرير حفيد أختي أسمهان لقد التقينا قديما!

فصاح الرجل المأسور بغيظ وحقد : إنني أكرهك .. أكرهك .. أنت سبب دماري!

فقال عرفان بتؤدة ودهشة : أنت إذن القاتل لمريم .. ولمجدية من قبل ؟!

فصاح جرير بحقد : أجل أنا القاتل! .. وأنت السبب .. ولكني تأخرت في قتلك لقد حاولت أمس ففشلت .. واليوم قد فشلت

فقال عرفان : أين التقينا أيها التعيس ؟!

فقال جرير وهو ينظر إليه بقهر وغيظ: يقال إن لك مستشفى خاصا .. هناك التقينا.

فهتف عرفان : أوه ! .. تذكرت .. كنت يومها مع مريم التي كانت تتمرن في المستشفى.. رأيتك معها .. ولكني لم أعرف اسمك يومها .. سلمتم عليّ .. ولم تعرفني بك مريم .. ولكن لماذا تكرهني وتحقد عليّ كل هذا الحقد ؟!

ـ لأنك رفضت زواجي من مريم.

ـ أنا ؟!

ـ نعم أنت ، ألم تقل لأختك وابن أختك أرجو أن لا يتم هذا الزواج ؟.. كانت مريم تحدثني بكل شيء .. فكرهتك ، حقدت عليك ، تمنيت موتك .. إنني أبغضك.

حضر مدير البوليس والمفتشون المكلفون بالتحقيق ، فسمعوا جريرا يقول : سأعترف لكم

بكل شيء .. كنت أريد قتلك ثم أقتل نفسي .. لا حياة بعد موت مريم .. كان يجب أن تموت قبل أن أموت.

فساقه رجال الأمن مكبلا إلى دائرة التحقيق لاستماع أقواله واعترافاته.

جرير

جرير نادي الساعد طالب في كلية الطب في إحدى جامعات القطر، وهو ابن من ثلاثة ذكور للسيد نادي الساعد ، وأمه السيدة فاتن يسري وهي ابنة السيدة أسمهان ناصر أخت السيد عرفان ، فالسيد نادي الساعد رجل صاحب شركات وأموال، فلما نجح ولده الصغير جرير في الثانوية العامة ، وأحب الشاب أن يدرس الطب ، وأموال أبيه تساعده في ذلك ، فوافق الأب بدون تردد ، فقبل في كلية الطب ، ولم يبخل عليه والده بالمال ولا بالسيارة ، ولم يكن ينقصه الذكاء في التحصيل، وخلال السنة الأولى في الجامعة التقى بالآنسة مريم أحمد كطالبة في نفس الكلية .. وتصادقا ومع الأيام زاد تعلقهما ببعض ، فأصبحا عاشقين ، وانتشر ذلك في الكلية، وكما يقول أصحابهما مشروع زواج قادم! ، وكانا في انسجام تام ، ولما انتهت السنة الثانية اتفقا على الزواج.. وتحدث المدعو جرير مع السيد أحمد والد مريم في موضوع الزواج ، بعدما قامت مريم بتعريفهما على بعض ، وأبدى الشاب حسن نواياه ورغبته الصادقة بخطبة مريم والاقتران بها ؛ وليصبح الأمر واقعا ، ويتحركان من غير حرج ونظرات وغمزات الزملاء.. ولكن السيد أحمد لم يتحمس لهذا الزواج، وطلب منهما التريث بالموضوع بحجة إنهما تلميذان وغير ذلك من الأعذار .. هذا الاعتذار لم يعجب الشابان ، وأظهرت الفتاة غضبها من طلب أبيها تأخير الخطوبة حتى أن والدها اضطر أن يقول : ألستم تلتقيان منذ سنتين يا مريم ؟! فلماذا الخطبة ؟!

فقالت الفتاة : كلام الزملاء .. وجرير شاب رائع ومناسب.

فلم يقتنع والدها بأقوالها ومبرراتها ، وأخذ يسأل عن أسرة الشاب ، فعرف بصلة القرابة التي تربط بينهم من جهة الجدات ، فتعقد الأمر لديه ، ولكنه لم يظهر ذلك النفور لمريم ، وحدث أمه بذلك ، فغضبت وحاولت منع مريم من الزواج بهذا الشاب .. فقط لأنه حفيد أختها أسمهان بعكس أختها أسمهان فقد كانت مسرورة لهذا الزواج ، بل اتصلت بأمينة وزارتها بعد كل سنوات الانقطاع لتقنعها بهذا الزواج ، وأنه قد يكون فرصة للتقارب وإعادة اللحمة الاجتماعية للأخوة ، ثم ظهر السيد عرفان في حياة الأسرة، وامتلئوا سعادة بمعرفته وحياته، وحدثته أمينة بذلك ، فحبذ أن لا يكون هذا الزواج ، ونقل كلامه لمريم

لعلها تستمع له وتقنع به ، فهي كانت مبهورة بخال والدها ، ومعجبة بقصة كفاحه ، وكانت تتحدث بذلك أمام الجميع وبفخر حتى سمعت وعلمت عدم رغبته هو الآخر بزواجها من حفيد أخته جرير ، أخته التي ماتت في قلبه بل كانت تحلم بأن تشفعه في موضوعها .. فحبها الكبير لصديقها جرير غير من هواها نحو أهلها وأسرتها ، وظهر النفور منها لكل أفراد الأسرة ، وازدادت تمسكا بفتاها ، وكان عرفان يحدث أخته أمينة بحكاية شاهر والتطورات التي تحدث ، وكانت مريم تسمح لنفسها بسماع هذه الأخبار عندما تتحدث بها جدتها لأبيها ، وهي بدورها تنقل الكلام بقصد القص والحديث للسيد جرير الغاضب على عرفان ، ولما عرف أنه شقيق لجدته أسمهان ازداد عليه حقدا وبغضا وكان يرى أن لهذا الرجل تأثيرا كبيرا على أمينة وابنها أحمد لما سمعه عنه من مريم ، واعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه، وكانت مريم نفسها ترى ذلك ، وخشيت أن يطلبها لأحد أبنائه ، بل نقلت هذا الهاجس لجرير الذي خاف هو أيضا من تلك الخطوة ، ومن غير أن يحاولا التأكد من ذلك الاعتقاد أو اختباره فأخذ الوهم يكبر في نفوسهما .. ويريان أن رفض أحمد والد مريم بإجراء الخطبة بينهما خوفا من أمينة وخاله عرفان ، مع أنه رفض الخطبة قبل ظهور عرفان في حياتهم .. ولما عرف جرير بأن السيد عرفان سوف يعترف بولده شاهر ـ كما يعرف القراء ـ فكر بتدمير حياة عرفان بالقضاء على السيدة مجدية ، ولابد أن يشتبه البوليس بالسيد عرفان ، فقد كانت مريم تنقل له أن السيد متردد بالاعتراف بالولد ، وأخذه إلى أمريكا لإجراء التحاليل اللازمة لإثبات البنوة .. وسمع أيضا بقصة الجوهرة الآسيوية من مريم التي سمعتها أيضا من جدتها أمينة عندما استفسر والدها عن سبب مجيء عرفان العاجل ، فشرح لها ذلك .. فتعجبت من حب أخيها للمجوهرات .. فأحب جرير أن يجعل يوم شراء الجوهرة مأساة في حياة السيد عرفان ، وأن يقلب فرحه إلى حزن وألم هكذا توهم الشاب .. وكان يملك مسدسا ، فاشترى له جهاز كتم الصوت ، واستأجر سيارة ، ثم اتصل بشاهر وحثه على زيارة أمه ، وأوحى له بالقفز عن السور، وكان يقصد من ذلك كما جاء في اعترافه إرباك البوليس وإثارة الشبه حول شاهر أيضا ، إن نجا منها عرفان ، فجاء شاهر لبيت أمه ، وقد رآه جرير وهو يدخل البيت ، وقد مكث وقتا يسيرا مع أمه ثم نزل ، فلما ابتعد عن بيت أمه دخل جرير المتسلل البيت ، وسأل المرأة عن شاهر مدعيا أنه رفيقه فقالت : لقد خرج يا ولدي.

فقال : حسنا ، اسقني ماء سألحق به.

ذهبت المرأة وأحضرت له الماء وهي تعتقد أنه صديق لولدها ، فقال : أنا طبيب .. وقد زارني شاهر عدة مرات .. واليوم قال لي أريد زيارة أمي .. لو تذهب معي يا دكتور .. فأتيت به بسيارتي.. فلما دخل البيت دخلت البقالة لأشتري بعض الأشياء وأتحدث بالتلفون .. وبينما هي مصغية إليه ، وكان قد هيأ المسدس أثناء إحضارها كوب الماء فأطلق عليها الرصاص .. ثلاث رصاصات في الوجه والجبين ..فغدر بها وتركها حيث كانا يتحدثان ، وهبط سريعا حتى وصل السيارة الراقدة في ظلام الشارع .. وكان يلبس حذاء خفيفا لا يكاد يظهر أثره على الأرض .. هكذا قتل هذا الشاب المتهور هذه المرأة بدم بارد ؛ لينتقم ممن يعتقد أنه سيكون العقبة الكبرى في طريق زواجه من فتاته.. وفعلا أثيرت الشبهات حول عرفان ، ولكن ثبت أنه ليست لديه دوافع قوية لتدفعه لارتكاب الجريمة ، ولم يكن هناك مصلحة لأولاده في ارتكاب الجريمة ، ولكن الذي تورط هو جرير رغم ترتيبه الدقيق للجريمة فتهيجت أعصابه وتوتر ، واعترف لمريم بفعلته الشنيعة وتسرعه ، فتألمت لتهوره وضاقت عليها الدنيا بما رحبت وأظهر جرير ندمه الكبير أمامها ، وأنه استسلم لنوازغ الشيطان والشر، وتسرع في تنفيذ فكرته، وادعى أن ذلك كان بسبب حبه الكبير لها، ولإزالة عرفان المعارض عن طريقهم ، ولكنها صدمت لإقدامه السريع وجرأته على قتل المرأة للتخلص ممن توهموا أنه لهم عدو .. ولم علم منها أن الشرطة لا تتهم أحدا ممن نصب لهم الشرك بقتل مجدية ازدادت حيرته وتشوش ذهنه.. وأنه فشل باتهام عرفان أو حتى شاهر بالجناية .. فبدأ يظهر عليه الخوف والرعب من مريم .. خاف أن تعترف للشرطة .. خاف من ضعفها الأنثوي .. فلم تعد تقابله بالفرح والابتسام والحب المعهود بينهم ..أصبح لقاؤها عتب وندم وبكاء وخوف وتلفت .. فعاد مرضه يصور له الخطر القادم والداهم من محبوبته .. فهي الوحيدة التي تعرف سره وجريرته.. والبوليس ما زال يبحث ويتحرى عن قاتل مجدية.. وكبر الخوف في نفسه.. فأظهر لها رغبته بالانتحار إذا أصرت على النفور منه.. فتقول بحدة : دعني من هذه الأفكار كيف تقتلها بدون أن تشاورني في الأمر؟! .. امرأة بريئة ما بينك وبينها ؟! كيف تصورت أن البوليس بمجرد قتلها سيتهم عرفان .. هذا غباء يا جرير؟!

فيبكي ويظهر الندم والعجلة ويقول : لا أدري كيف تصرفت ؟ بغضه أعمى قلبي .. إنه رجل حقود .. كل سنوات الغربة والمهجر ، لم تنزع من قلبه كره أخته ، بل أحفاد أخته .. إنه مجرم .. هو القاتل!

ـ ولكنك أنت الفاعل المنفذ!
ـ إنني أشعر بالأسف والندم والعجلة يا أميرة أحلامي .. لقد تسرعت ..لا تكوني ضدي يا مريم .. ساعديني.
فقالت بحزن : أنا معك .. وأشعر بأني شاركت مثلك في الجريمة القاتلة .. وسوف أساعدك .. ولكني أتسأل كيف سأتزوج من قاتل ؟ بل ماذا أقول لأهلي لو عرفوا بذلك ؟!
فهتف : لا أحد يعرف ذلك سوانا يا مريم.
ـ وهل ستنسى الشرطة الجريمة ببساطة ؟!.. سوف يستمر البحث عن المجرم يا جرير .. ويحتاج الأمر لسنوات حتى ينساه الناس والشرطة .. وماذا سنقول
للأولاد إذا أكرمنا الله بهم بعد الزواج عندما يكتشفون أن أباهم قاتل ؟
فهاج وصاح : إنك تقتليني ألف مرة بهذا الكلام ! ولست أول مجرم في الدنيا .. الأرض مليئة بالقتلة.. وكل له أسلوبه وطريقته في القتل .. الجنود يقتلون .. القضاة يقتلون ..وها هم لهم أولاد وبنات.
فقالت بحدة أيضا : ويلك .. هناك فرق بين قتل وقتل.
فصرخ فيها : كله قتل! كم قضى القضاة على أناس أبرياء بالقتل! وكم معدوم ظهرت براءته بعد موته ؟! وكم مقتول في حرب أهلية أليس هؤلاء الجند قتلة ؟!
فصاحت : ولماذا تكون أنت قاتلا ؟!
هكذا كانت أكثر لقاءاتهما بعد مقتل تلك المرأة .. اتهام وتبرير حتى ضاق جرير ذرعا بأفكار مريم .. وبدأ يتحسس عنقه ليل نهار .. ويخشى حبل المشنقة ، وتتزوج مريم رجلا غيره .. وحالة مريم النفسية تزداد سوءا ، ويخشى عليها الانهيار النفسي فتقر بجرمه .. تضخم الخوف في نفسه أصبحت مريم تشكل عليه خطرا ، وبدأت تراود نفسه فكرة قتلها والخلاص منها.. فكلما زاد الخوف من حبل الجلاد زاد هوسه بالقتل .. فخيال مجدية أمامه في كل مكان تهتف في وجهه قتلتني يا ظالم ! .. لماذا قتلتني ؟! .. وما دخلي أنا بعرفان لتقتلني ؟! فيصرخ ويبكي ألما ورعبا ، ووصل في النهاية لقرار قاتل وهو قتل مريم .. فلم يعد يطيق تأنيبها ونظراتها سوف تعترف ويعدم ، وتتزوج زوجا غيره .. سيمتلكها رجل غيره .. وهو فعل ذلك من أجل عيونها من أجل الزواج منها .. وفي ذلك اليوم اتصل بمريم والتقيا فقال لها : إنني مشتاق لك يا أميرتي .. فلما علمت تغيبك عن الجامعة اتصلت بك وقررت اللقاء بك.
وأخذ يحدثها عن شوقه وغرامه ، وكانت الدنيا في وسط النهار فانطلق إلى حيث يحبان اللقاء إلى غابة

الأندلس .. لم يسر بها حيث البوابة الرئيسية بل ركن السيارة في مكان ترابي بعيد عن الغابة ، وهو يقول : المشي على هذه الرمال والتراب ممتع .. وهناك مدخل من الأسلاك الشائكة

كانت مريم مستسلمة لإرادته ، ولم يخطر في بالها ما في نفس جرير من الإجرام والخوف القاتل بعد مسير نصف ساعة تحت الحر وأشعة الشمس اقتربا من الغابة .. كانت هادئة لا أحد يجلس على المقاعد المنتشرة في الغابة فالشمس حارة .. دخلا من إحدى الثغرات .. جلسا على الأرض تحت شجرة ضخمة .. أخذ جرير يتكلم بالأحلام والندم ويتمشى هنا وهناك .. فلما تأكد أن لا أحد في المكان اقترب من مريم التي تتابعه بدهشة وتقول في نفسها : مسكين جرير حبه لي أعمى قلبه .. لابد أن بركانا في قلبه يغلي من الندم والأسف والخوف اقترب منها وهو يقول : مريم .. قتلني الحب يا مريم

فقالت : الحب لا يقتل يا فتى .. بل يطيل العمر .. أفكارك الضيقة هي التي قتلتك .. ليل نهار

أفكر بتلك المرأة المقتولة برصاصات مسدسك.

وكان جرير وهي تتكلم بهذا الكلام يتطلع يمينا وشمالا فقالت : لا تخف .. لا أحد هنا .. من يأتي في مثل هذا الحر أيها الحبيب ؟

وضع يده على رأسها وقال : إنني أخاف منك يا مريم .. أخاف أن تكشفي سري لأحد الناس.

ـ ويلك أأستطيع أن أقول لأحد ذلك ؟! .. فالشامتون كثر.

فقال : ما هذا الشال الذي تضعينه على رأسك الجميل رغم حرارة الطقس ؟

هي لبسته لأنها كانت تشعر بالبرد ربما بسب السقم خلال الأيام الماضية ، وأخذ الشال عن رأسها وأخذ يعبث به ، وكانت مريم تعلل سبب وضعها الشال وهي خارجة من البيت.. وادعت أنه بسبب المرض وإحساسها بالبرد منذ الصباح ثم قال : هذا مكانه العنق أفضل من الرأس . وأداره حول عنقها وهو يتظاهر بالحب والهوى .. فلما أحكمه حول العنق ضغط عليه وهي تنظر إليه بحيرة ودهشة حتى خمدت أنفاسها ثم قال : فليمت الخوف القاتل . ولما تأكد من موتها قال : لقد أراحتني من استعمال الحبل الذي أحضرته بلبسها للشال الناعم.

واختفى وهو يحمل أوزار الجريمة الجديدة على عاتقه قتل الفتاة التي ادعى أنه قتل من أجلها من أجل حبها .. الشيطان هكذا يسول للنفس .. ماتت مريم بيد من كم مرة داعبت يده شعرها الأسود الفاحم من الأيام الخوالي.

كانت الشرطة ترى أن الحبيب الولهان هو الجاني ، وإنما ينقصهم الأدلة المادية أو الاعتراف..

واستطاع جرير أن ينكر لقائه بمحبوبته ذاك اليوم .. فلم يره أحد من زملائه مع مريم ؛ فإنها لم تأت الكلية منذ الصباح .. الهاتف الذي قلد فيه صوت فتاة عندما تحدث مع السيدة أمينة أيضا رفع الشبهة عنه بعض الشيء .. ولما أفرج عنه كان في غاية الانهيار .. وأحس بأنه سفاح قاتل رهيب .. بكى كثيرا على قتله مريم ، وظن أن الخوف سوف يذهب ويزول عن صدره ؛ ولكنه وجد نفسه جريحا متهما ، الطبيب النفسي يعالجه .. نظرات الزملاء والأطباء في الكلية فيها الاتهام والغدر .. البيت تحت المراقبة.. ارتفعت الرغبة لديه بالانتحار ..ولم يستطع مصارحة الطبيب المعالج بمأساته وجرائمه .. فقد غرق بمستنقع الجريمة .. البكاء والندم لم يغسل وحر الجريمة وإثمها في نفسه .. أصبح كلما يرى شرطيا يصاب برعب قاتل يظنه قادما للقبض عليه .. أشباح الضحايا تطارده .. نسي الصور الجميلة التي كان يعيشها مع مريم ، لا يرى إلا عينيها الجاحظتين نحوه .. العينان المستغربتان وحشيته وهما غير مصدقتين ما حدث ماتت مبهورة من جنونه نعم أصبحت مجنونا .. بدأ يراوده الخلاص من الحياة هذه المرة الانتحار .. ولكن يتذكر أنه لم ينتقم من عرفان من الرجل الذي تخيله عدوا ضخما له .. فلابد من موته أليس هو سبب فعله لكل هذه الجرائم .. فبدأ يتصل بشاهر من أماكن عامة ..الذي يظنه صديقا قديما له .. فكل بضعة أيام يتصل به .. ويعرف منه أخبار السيد عرفان بذكاء .. علم بعودته من النمسا ..وكان يعرف علاقة عرفان بشركة التحريات الخاصة منذ قتله لمجدية.. فقد كانت مريم تحدثه عن ذلك .. ذات مساء تحدث مع شاهر من بقالة فعلم منه أن والده خرج للشركة المذكورة .. فهو يعرف طريقها .. استأجر سيارة خاصة .. ودار بها هنا وهناك حتى أحس واطمأن أن رجال الأمن ليسوا خلفه فسار نحو بناية الشركة .. وأوقف السيارة قريبا من البناية وجهز المسدس .. يريد قتل عرفان ثم الانتحار بعد موته .. وكان جرير قد اتصل بالقصر سابقا وهدد بقتل عرفان .. فلما شاهد حرس عرفان وسائقه قد أضاءا السيارة .. شغل هو الآخر سيارته .. فلما لمح عرفان يقترب من السيارة .. تحرك رويدا رويدا حتى وصل بالقرب من سيارة عرفان وأطلق الرصاص ، وتابع سيره مبتعدا ، لم يعد للبيت ظل قريبا من المنطقة .. أدرك أنه لم يصب عرفان لقد نجا؛ بل أصاب حارسه إصابة غير قاتلة فاشترى حقيبة ووضع بها بعض الملابس والأثواب ، وبلع بعض حبات الدواء ليتظاهر بالمرض ، وعند منتصف الليل أو بعده بقليل ذهب للمستشفى الذي يرقد فيه حارس عرفان كان ينتظر مجيء

عرفان لزيارة رجله وحارسه .. إنه يريد قتل عرفان مهما كلف الأمر .. أخفى المسدس في حقيبة الثياب دخل قسم الإسعاف الأولي ، ووضع شيكا بمبلغ خمسمائة دينار لإجراء الفحوصات اللازمة لأمعائه .. أعطي بعض الأدوية السريعة المفعولية .. حجز له سريرا في الطابق الرابع قريبا من حجرة المصاب .. وتقرر أن يقام بتصويره على الأجهزة المتطورة في المستشفى في الصباح الباكر بناء على رغبته .. فقد أمضى ليلة على جمر ونار .. وفي الصباح لما أراد الأطباء تصويره طلب تأجيل التصوير لبعد الظهر.

ولما حضر السيد عرفان للمستشفى ترك الحجرة متظاهرا بأنه يريد التمشي في الممرات .. فدخل حجرة المريض الحارس ..وكاد يقتل الرجل لولا نباهة رجل الشرطة .. وسقط الشاب الطالب في كلية الطب في يد العدالة قبل أن يقتل خصمه الوهمي .. نجا عرفان ناصر من يد الغدر ، فحمد الله تعالى على لطفه ، واطمئن على الحارس المصاب ، وشكر فريق الأطباء والجراحين ، وغادر المكان وهو في ذهول من أمر الإنسان.

استقرار عرفان

لم تطل محاكمة جرير فقد أدلى باعترافات كاملة ، وأقر بها بنفسه وخطه، فحكم عليه القضاء بالموت .. وهذا جزاء القتل العمد .. وكان أهل الضحايا قد استقبلوا الحكم برضا ، وانتظروا تنفيذ الحكم الذي قد يستغرق سنة قبل تنفيذه .. ولعل ذلك يزيل عن قلوبهم الأسى والحزن على ما فقدوا من أحبائهم.

أما السيد عرفان فلما تماثل حارسه للشفاء غادر البلد إلى فنزويلا ، وانشغل بضعة أسابيع في قضية الجوهرة التي كان يرغب بشرائها ، وعلم بأنها بيعت لأحد الأمراء في بلاد الشرق ، فصرف نظره عنها ، ولم يحاول مـعرفة لغز الشخص الذي أفسد عليه الصفقة ، وعاد للنزهات والهدوء ، وكان شاهر في صحبته ، وأعجب شاهر بـ الأريبا الفنزويلية، وهي عبارة عن أرغفة صغيرة تصنع من الذرة ، وتعلم شرب الكانيتيلا اللاذعة الفنزويلية المشهورة ، وذهب إلى ميريدا حيث أعلى خط تلفريك ، وقد استمر عرفان بالعناية به وبصحته حتى تحسنت أحواله الصحية والبدنية ، وخف تعلقه بالكحول ، ثم عقد له على فتاة شرقية من مواليد فنزويلا ، وكان بين الحين والحين يتصل بأخته أمينة ويطمئن عليها، ويسمع أخبارها ، وكانت الأيام تمشي هادئة طيبة ، ثم تجدد مرضه القلبي فأصبح قليل الحركة.. يتحرك داخل القصر وأحيانا الشرفات ، وكان كما يقول لمحدثيه ينتظر ساعة النهاية رغم أنه لم يتجاوز السبعين بعد ، وشجعه الطبيب الخاص بالسفر إلى أمريكا

الشمالية لإجراء عملية في القلب والشرايين ، وبعد طول جدال وضغط من الأولاد جهز للسيد عرفان طائرة طبية ، وسافر إلى بلاد الأمريكان حيث التكنولوجيا المتقدمة ، وبعد شهور من الفحوص والتصاوير والتحاليل أدخل السيد عرفان غرفة العمليات لإجراء جراحة في صمامات القلب.. وقد نجحت الجراحة القلبية ، وبعد شهور رجع عرفان لمكتبه وحجرته في كاراكاس ، وقد تحسنت صحته بعض الشيء ، فما زال يشعر بتعب وآلام في صدره ، وما زال يشعر بدنو أجله، فلم يعد يتابع الشركات والصفقات والحكايات، فقد ترك كل ذلك للورثة ، وأخلد للراحة التامة، وكان يحث أولاده على تسفيره إلى مسقط رأسه إلى الأرض التي ولد عليها ، وبعد طول عناء وافق الأولاد كلهم على رحيل أبيهم إلى بلاده حيث يجب أن يموت ويدفن ، وحيث ولد ونشأ ، واعتذر الطبيب الخاص عن الرحيل معه والاستقرار في تلك البلاد ، فأثنى عرفان عليه الثناء الجزيل ، وقدم له هدية ثمينة ، وكذلك الممرضة ، وأما خادمه المخلص لويس فقد وافق على البقاء معه حتى موت أحدهما

وأما شاهر فقد فضل البقاء عند إخوته وزوجته التي رفضت الرحيل ، فخضع لها ، فأوصى عرفان أولاده بأخيهم وزوجته ، وسافر عرفان إلى قصره الذي أنشأه منذ أكثر من عشر سنوات واستقر فيه ، وقد فرحت أمينة باستقرار أخيها الدائم في بلده .. وطلب منها الحياة معه في القصر وبعد ترج وافق أولادها على ذلك الطلب ، فقد كان عرفان يحب أخته أمينة كثيرا منذ الصغر ، وعلم منها أن أبناء إخوتهم يحاولون الصلح معها ، وإعادة الحياة لحياة العائلة القديمة ، فسر عرفان لهذا الأمر وقال معلقا : هذا خير يا أمينة ! على المرء أن ينسى كل الأحقاد والضغائن.. وأنا رغم ما لقيت منهم أيام الطفولة من جفاء واحتقار وصد وبغض .. ونسيان وإهمال لا أحقد عليهم كما يتصورون .. رغم العناء الشديد الذي واجهناه وآلام أبي المريض ومن قبل أمي .. إنني الآن لا أفكر فيهم.. ولا أظن أن لهم في قلبي كره وما حاولت الانتقام منهم .. بادلتهم جفاء بجفاء .. لم أحاول أن أسعى إليهم ؛ لأنني نسيتهم مع الأيام .. والأيام كما تنسينا الأموات والآلام تنسي الأحقاد والجروح؛ فإذا أراد الإنسان أن ينسى أحقاده وبغضه وغضبه يستطيع ذلك.

فتعجبت أمينة من كلامه وقالت : هل يعني هذا الكلام إذا أقبل إليك إخوتك اليوم تصفح عن الماضي ؟!

فقال عرفان : ولو جاءوا قبل اليوم ؛ فإنني أصفح عنهم .. أنا لم أحبهم منذ الصغر ولا يعني هذا أن

أبغضهم .. كنت ألومهم أكثر من بغضهم وحقدي عليهم.. لقد قصروا في حقنا نحن الصغار .. وحق أبيهم الضعيف .. هم الذين هجرونا وتخلوا عن والدهم الضعيف الذكور والبنات .. وإن كنت تشيرين إلى موقفي من قصة زواج المرحومة مريم وذاك الشقي أنا تمنيت أن لا يتم هذا الزواج ؛ ولكني لم أرفضه أو أتدخل فيه كما فهم ذلك المنحوس .. فهو الذي ضخمه وكبره .. ولم أجلس معه ليسمع رأيي.. رأيته مرة بضع دقائق إن لم تكن ثواني في ممر المستشفى مع مريم ، وعرفتني به كزميل في الكلية وانصرفا.. ونحن الآن على حافة القبر.

فقالت أمينة : لقد حضر إخوتك إلى بيتي .. واعتذروا لي عن الأيام السوداء ، فقلت لهم مثلما قلت لي الآن لم يبق للحقد مكان ، وكل واحد في بيته، وفي حاله، وبين أفراد أسرته ، ويومها تمنوا لقاءك ، فحدثتهم أنك مريض وتعالج في أمريكا، وقد حاول أحد أحفاد أخيك زياد أن يسافر إليك ليطمئن عليك ، ويطلب منك العفو والصفح عن زلات وأخطاء الماضي.

ضحك عرفان وقال : هذا جميل ! كان يجب أن يظهر هذا من زمان.

قالت : هذا حق .. ولكن حادثة موت مريم وإعدام جرير قربت البعيد ، وهزت النفوس ونحن أحببنا أن لا تتزوج مريم منهم ..ولكن الدكتور أحمد ـ رضي الله عنه ـ كان يؤجل ذلك إلى ما بعد انتهاء الجامعة.

فقال متأسفا : لا حول ولا قوة إلا بالله .. قدر الله وما شاء فعل .. هذا قدرها نسأل الله لها الرحمة .. وأنا يا أمينة لا مانع لدي من مصافحة الأخوة العاقين ، ورحم الله والدي الذي مات متحسرا على ضعف علاقة الأخوة وبرودها.. كانت أياما قاسية ومريرة ولولا فضل الله ، ثم ذلك الرجل رومانوس لما حصل لي كل هذا الخير والمال .. تذكرت أمنا الصابرة يا أمينة .. رحم الله والدتنا ورحم الله أبي مات والقهر يملأ نفسه وقلبه .. أنا متأكد من ذلك.

وتساقطت الدموع منهما ، وأخذا يترحمان على روح والديهما وقالت أمينة : لقد تعذب أبونا كثيرا بسبب أبناء زوجته الأولى .. كانت امرأة قاسية .. على كل حال ـ رحمها الله ـ هي الآن في دار الحق دار الموت.

فقال : وإخوتنا عليهم حق كبير يا أمينة .. لقد تعلم زياد وكبر .. وكان يستطيع معرفة الحق والصواب والخطأ والباطل ؛ ولكنه كان أنانيا محبا لنفسه .. كان يستطيع أن يساعدنا ويقف معنا ولو سرا وخفية عن أمه .. ألم أترك المدرسة واشتغل بائعا متجولا على محطات السيارات والباصات

وغيرها ؟ .. تنهد عرفان وتابع قائلا : أيام لا تنسى يا أخية ولكني أتناسها !.. كانت أياما مريرة وأمر من العلقم .. كم بكت عيناي؟! كم ذاق هذا الجسد من البرد والمطر والجوع والعري؟! وكم أحسست بالحسرة والضياع ؟! .. أنا أريد مصافحة إخوتنا يا أمينة من أجل أبنائهم وأحفادهم .. فأولادي لا يعرفونهم .. ولا أظن أنهم سيحاولون التعرف عليهم، فقد مكثت أشهرا وأشهرا وأنا أحاول إقناعهم برحيلي إلى هنا لأموت هنا وأدفن هنا بل فكروا ببيع القصر وإغلاق كل مصالحنا هنا .. ولولا خوفهم من موتي وزعلي لأجروا ذلك .. إنهم ليسوا أبناء هذا الوطن مثلي .. أنا أحن إليه أما هم فكلا ، لا حنين لديهم.. أنا حنيني كبير إليك وللمكان الذي مات فيه أبي وأمي .. فأنا في الحقيقة أريد مصافحة الأولاد والأحفاد.. ولا أنكر أن فعل ذلك الصبي قد أثر فيّ أيضا ؛ ولكنه مجرم بطبعه ، ولابد أنه كان مريضا .. فالمجرم مريض .. لقد أطلعني سعدي قبل سفري للعلاج على اعترافاته المؤلمة.

فعادت أمينة تقول : يا عرفان .. إذا كنت لا تريد مصافحة إخوتك فهذا شأنك ، وإنما أحببت أن أنقل لك رغبة الأحفاد والأولاد.

فقال وهو يتذكر الزمن البعيد : قلت لك بداية لا بأس .. القصر مفتوح للجميع وأنا جاهز للقاء الجميع الصغير قبل الكبير.

فقالت : أعلم أن قلبك كبير يا عرفان! وسأتحدث مع ولدي أحمد ليخاطبهم بذلك .. وهو يرتب وقتا مناسبا لك لحضورهم حتى يسلموا عليك.

فقال عرفان : وأنا مستعد أيضا للذهاب إلى أي مكان يتفقون على الاجتماع فيه .. وليس بالضرورة أن يكون اللقاء في هذا القصر..

فقالت أمينة : سأتشاور في ذلك مع أحمد وإخوته ..وأنا سعيدة بعفوك ونسيانك أو تناسيك الماضي .. فالأولاد ليس لهم ذنب بابتعادنا عن بعض ، فلا نمنع من التقارب بينهم .. العجيب أن الكره والبغض يتوارث أحيانا .. فلا نريد أن نموت ونترك ذلك الأمر متوارثا حتى لا يصبح عادة ودينا في الأسرة وبين الأخوة .. يكفي ما اكتوينا نحن بناره.

فقال عرفان : لم نكن نحن البادئين .. هم الذين ابتعدوا ونسونا وهجرونا .. فافعلوا ما شئتم يا أخية وما ترونه مناسبا ولائقا .. فأنا عدت للبقاء هنا حتى تخرج الروح إلى بارئها .. فالراحة والسكون كلي شوق وحب لهما.

ـ سأتصل بأحمد وإخوته ليأتوا لزيارتي اليوم .. وأعرض عليهم ترحيبك بلقاء الأهل والأحفاد والأقارب.

ولما تلقى أحمد الاتصال من أمه ، وسمع منها

موافقة خاله على أي لقاء مع إخوته وأخواته كاد يطير من الفرح والسرور ، ووعد أمه بالحضور هو وإخوته إليهم الليلة، ولما اجتمعوا بخالهم ليلا وأظهروا سرورهم بموافقته على لقاء إخوته ، قال لهم عرفان : أنتم طيبون .. أنا لم أكن ضد أي لقاء تصالحي معهم ، ولما نسيت هذا الوطن بسبب الغربة والهجرة نسيتهم ، لم أعد أذكرهم منذ استقر بي المقام في فنزويلا ، ولما علمت بموت أمكم نسيت هذا البلد ولم أعد أفكر به .. كانت أمينة الحبل الأخير لي في هذه البلاد.. لذلك لما عاودني الحنين أتيت وعمرت هذا المكان ، ولم أفكر بأمينة لاعتقادي أنها ميتة ؛ ولكن بعد سنوات تذكرت فطنت أن لأمينة أولادا.. فاشتاقت النفس للتعرف عليهم .. لم أسأل يوما ما عن إخوتي أولئك ، ولم يخطروا في بالي .. فقد ماتوا في قلبي ونسيتهم .. فلما علمت بحياة أمينة صعقت وذهلت وهذا تعلمونه فأخوالكم لم يفكروا بي يوما ما .. من قبل أن تولدوا ويولد أولادنا وأحفادنا .. لقد كانوا قساة القلوب .. فما دخلي أنا وأمينة في زواج أبينا على أمهم ؟! .. ولكن خمسون تنقص قليلا تنسي المرء حرارة الهجر وساعات الحرمان .. تعلم أمينة كم شقيت لتوفير الدواء لوالدهم !.. فيا أحفادي أنا لست لهم عدوا .. لي سنوات هنا ، ويعرفون بحياتي ، ولم يحاول أحدهم الاتصال بي .. تجاهلونني كما تجاهلتهم.. ولست حاقدا عليهم لذلك .. فهم نسوني كما نسيتهم .. فلا لوم بذلك فنحن سواسية .. أنا أعرف أن قصة مريم وذاك المجرم هي التي حركتهم وذكرتهم بكم.. ونحن سننسى الماضي والذي فات مات كما قلت يا أحمد .. وصدقوني أنني لا أبغضهم .. ولكن لا أحب صحبتهم .. وسأقبل مصافحتهم من أجل الأحفاد ومن أجلكم أنتم .. وأنا أعتقد أن الذي سخر مني ومن أمينة واحد منهم .. أرسل لي برقية بموت أمينة ، وأرسل لأمينة برقية بموتي .. ولا أريد معرفة ذاك المجهول لأنه لا يعيد الماضي.

فقال أحمد : نشكرك يا خال .. فنحن الأولاد صحيح لم نكتو بنار الهجر والبعد والخصومة ؛ ولكن ظهور ذاك المجرم في حياتنا أيقظ أشياء نائمة وغائبة ، وأن هناك صلات رحم مقطوعة فمن أجل ذلك رضيت بالتشفع والتوسط بين الأخوة الكبار، ولنرفع الحرج عن الأفراد والأحفاد حتى إذا التقوا في أي مكان أو مناسبة كالأفراح والأتراح لا يتظاهرون بعدم معرفة بعضهم بعضا .. فهذا الذي شجعني على السير مع ابن خالنا الدكتور هشام زياد وأخوه المحامي فريد زياد

فقال عرفان : أنا تحت إرادتكم .. ويسرني لقاء كل هؤلاء الأبناء والأفاضل.. وكلنا أولاد آدم وآدم

من تراب .. على الرحب والسعة فاختاروا المكان المناسب لهذا اللقاء.. والقصر تحت تصرفكم .. وما أتى بي لهذا البلد سوى الحنين والسنوات التي عشتها أيام الطفولة المعذبة فيه رحماك يا الله!!

قال أحمد : يا خالي الكريم .. سأدعو أولاد أخيك زياد لمقابلتك في البداية ، ثم نرتب أمر لقاء الأخوة والأخوات..

ـ افعل ما تراه مناسبا .. وأنا في انتظاركم .. وأريد منك يا أحمد ممرضة ذكية وفطنة تسكن في هذا القصر، ولو كانت متزوجة .. فالقصر واسع تسكن معها زوجها وأسرتها.

فردد أحمد : ممرضة ماهرة .. سأبذل جهدي .. المشكلة في التقاليد الاجتماعية هنا فعسى أن أجد طلبتك ومن ترضى بالمقام عندكم.

فقال عرفان :أنا طلبت من مدير المستشفى الخاص الذي وهبنا الله إياه ..فاعتذر لي عن ذلك .. فلا ممرضة تريد ذلك خصوصا المبيت .. وأنا أريدها في كل وقت وحتى الطبيب الخاص المقيم بالقصر يريد تركي فهو غير مرتاح للحياة في القصر

ـ أنت تحتاج لطبيب كبير في السن أرمل.

فقال عرفان مبتسما : الحقني به يا خالي يا ابن أمينة العزيزة.

ـ سأفعل يا خالي ، وإن اضطررت أن أتعاقد لك مع طبيب وممرضة أجنبية .. أتسمح لي بالاتصال بولديّ أخيك زياد يقول المثل خير البر عاجله

فأشار برأسه بالموافقة ، فقام الدكتور أحمد حيث يرقد جهاز الهاتف ، وأدار الرقم على ابن خاله هشام فردت زوجته ، وأخبرته أنه عند والده النزيل بالمستشفى ، فدعا لخاله بالشفاء ، وأخذ اسم المستشفى ، ثم طلب المستشفى وبعد لحظات كان يتحدث مع السيد الدكتور هشام زياد ، فبعد التحية والسؤال عن حال وصحة الوالد قال أحمد : إنني أتحدث معك من بيت عمك عرفان الفنزويلي كما يحب أن ينادى .. هو مسرور من مقابلتكم .. أنت قادم نحن بانتظارك لو أحضرت أخاك فريدا معك سأكلم أمن الباب بقدومكم .. نحن بانتظاركم لا تقلق خالي ينام في النهار ويحب السهر في الليل .. إنه لم يتناول العشاء بعد .. أسرعوا فخير البر عاجله.

كان والد هشام وفريد يرقد على سرير الشفاء، فقد أخذت الشيخوخة منه وأمراض الصدر والروماتيزم في المفاصل ، فقرر الأطباء إدخاله المستشفى بضعة أيام ليبقى تحت المراقبة والمتابعة فتحدث هشام مع أخيه المحامي عن الهاتف الذي تلقاه من أحمد داود فقال فريد : رائع !.. إنها فرصة كبيرة للم شمل الأخوة بعد كل هذه القطيعة الطويلة.

فقال الوالد لما استأذناه بالانصراف قال : من

المتصل يا هشام ؟
فتطلع هشام في وجه أخيه فريد، ولم يرد فرد فريد : خبر مهم يا أبي .. هذا الدكتور أحمد ابن أختك أمينة اتصل بهشام من قصر أخيك الصغير عرفان يخبره أن الخال له والعم لنا لديه رغبة بالصلح ونسيان العقود الماضية من الهجران والتجاهل ويريد منا أن نقابل عمنا الليلة.
ارتسم الفرح على وجه زياد وقال : صحيح ما يقول فريد يا هشام ؟
ـ أجل يا أبي! سنذهب لمقابلة السيد عرفان.
فقال الأب : ما رأيكم أن أذهب معكم.. إني مشتاق لرؤية أخي .. آه! كم قصرنا في حقه ؟! .. وفي حق أمينة ومن قبل في حق أبينا .. سامحك الله يا أمي لقد كان قلبها قاسيا .. ونحن كان يغمرنا الجهل والضيق والعصبية ، عندما تزوج أبي ناصر ـ رحمه الله ـ أم عرفان كنت شابا صغيرا تصورت أن ذلك إهانة وظلم وغير ذلك من الكلمات الثقيلة .. خذوني معكم إني أريد أن أرى أخي قبل الموت .. أشعر بدنو الأجل.
فقال فريد : الأمر بيد الله يا والدي فعندما نقابل عمنا العزيز سنحدثه عن شوقك إليه ؛ فلربما أتى بنفسه ليراك فأنت ضعيف يا أبي .. امسح هذه الدموع .. الأمور ستتحسن ويلتئم الجرح.
فقال زياد : إنها دموع الندم والأسف .. عرفان الصغير إني أرى الماضي يتمثل في ذهني ساعة بساعة .. علامات الأسى المرعبة على وجه أبي عندما رحلنا عنه .. دموع أمينة .. لقد كانت قلوبنا من حجر يا أولاد .. اذهبوا انطلقوا .. حضن من عمكم يمسح دموع الماضي وهمومه ، وسلموا لي على عمكم الصغير.
هجم الرجلان على يد عمهم يقبلانها ، ويذرفون الدموع الغزيرة ، وعرفان يبكي وأمينة تبكي ويقول عرفان : لقد حرمنا والدكم من هذه العواطف من هذا الحب يا أولاد .. قاتل الله الجهل والكبر.
أخذ الرجلان يتحدثان عن ندم والدهم وعلى تفريطه في حقهم وحق والده ناصر، وكذلك ندم باقي الأخوة والأخوات والتقصير في حق أخويهم من أبيهم ، وأمضى الجميع سهرة ظهرت فيها العواطف الجياشة والأسف على ضياع هذه السنوات في الابتعاد والصد والتحاشي لبعض ، والتجاهل الكامل لبعضهم ، وسمع الجميع بعض الصور والمشاهد من حياة عرفان وسفره وهجرته ونجاحه في بلاد الأجانب حتى أن هشاما قال متمنيا : يا ليت ـ يا عماه ـ نستطيع أن نتعرف على أولادك.
تبسم عرفان وقال : أمنية صعبة .. ولكن أحمد وأولاد أمينة قد رأوا بعضهم.. فأولادي لا

يميلون لهذه البلاد ذرة ميل .. إنهم متعلقون ببلد أمهم ـ رحمها الله ـ وأعمالهم متيسرة هناك ، وأخذ يحدثهم عن أولاده وأحفاده وشركاتهم ورغبتهم الشديدة ببقائه عندهم ثم قال : يا أولاد .. إنني لم أحدثهم كثيرا عن هذه البلاد، فبعد علمي بموت أمينة قطعت صلتي بهذه البلاد إلى الأبد ، والتفتت إلى الأعمال الكبيرة التي كنا نقوم بها.. ولما كبر الشباب وبدأت أعتمد عليهم في إدارة المشاريع والمصانع .. عاودني الحنين للوطن فأتيت لبناء هذا القصر على الطراز الإسباني وقضاء بعض مواسم الصيف فيه إلى أن خطر في بالي يوما أن أسأل عن أولاد أمينة .. لقد نسيتهم في عجلة الحياة .. أو قولوا أردت أن أنسى كل شيء يربطني بهذا الوطن مات أعز الأشخاص لديّ أبي وأمي وأمينة وطلقت زوجتي التي ؛ ربما لو صبرت معي لظللت موصولا بالبلد .. ولكنها صعبت عليها الحياة في بلاد الأجانب أو قل الهوى كما اتضح لي هو الذي حرمها ومنعها من الرضا والقناعة بالحياة معي .. فلما عرفت بحياة أمينة لم تسعني الدنيا سعادة وفرحا ازداد حب هذا البلد في قلبي ونفسي .. وهذا عاقبته خير لنتـعرف عليكم .. إذا مد الله في العمر سأحاول إقناع بعض الأولاد بالمجيء إلى هنا لتتعارفوا أو أرتب لكم رحلة تعارف إلى هناك وتتعرفوا على أولاد عمكم عرفان، وربما تزوج بعضهم بناتكم .. ربما.

ووعدهم عرفان في آخر السهرة إن سمح له الطبيب بركوب السيارة أن يزور أخاه زيادا .. فشكروه على شعوره وتسامحه .. وغادر الجميع القصر هشام وفريد وأحمد وزوجته واخوته وزوجاتهم.. وكان هذا اليوم عندهم يوم عيد يوما تاريخيا ، وشكر هشام وفريد ابن عمتهم أحمد على جهده ودوره الكبير في تهيئة هذا اللقاء الجميل مع العم عرفان .

رتب الأخوان هشام وفريد اجتماعا مهما لأبناء ناصر الرشيدي وأحفاده وتصافح الأخوة مع عرفان ، وكان الكل يبدي أسفه وندمه على الأيام الماضية أيام الهجر والتجاهل، وكان هشام يقول لهم : علينا أيها الأحباب أن ننسى أو نتناسى على قول عمي عرفان مرارات الماضي وذكرياته، ليس من أجل الكبار فحسب بل من أجلنا نحن ، ومن أجل أبنائنا ، فالحنان والمودة بين الأخوة والأهل ركن أصيل وأساسي في دفء الحياة الاجتماعية ،ونحن سعيدون بالجلوس مع عمنا وخالنا الفاضل عرفان ناصر الرشيدي .. الذي تفخر الأسرة بجده وتاريخه.

فنهض عرفان على عصاه وببطء فقال : الشكر لله أولا.. وحقيقة أنني سعيد ومغتبط بهذا الصلح .. فالشكر الجزيل لكل من ساهم فيه ، وسعى فيه ،

وأخلص نيته في الوصول إليه .. أنا فقط في هذه اللحظات الصادقة عرفت معنى الأخوة والحب .. وأرى أن الأولاد خير منا .. وقد تمنيت الآن أن يكون أولادي بينكم ليعرفوا أن لهم أهلا وأقاربا .. ولكن هيهات هيهات.. فلم أحاول يوما ما زرع حب هذه البلاد في قلوبهم ، بل لم أذكرها لهم أو أمامهم .. وقد تعجبوا عندما اتخذت هذه البلاد البعيدة عنهم لإقامة هذا البناء ، وبعض المشاريع التجارية والخيرية .. يومذاك عرفوا أنني من هذا الوطن العربي ..وما أنا فنزويلي الأصل .. فلم يصدقوا حتى أقسمت لهم أمهم ابنة تلك البلاد تغمدها الله بالرحمة أنني من أصول عربية لماذا فعلت ذلك أيها الأحبة ؟!.. من الجور والقسوة التي تلقيتها من أحب الناس إليّ .. فعزمت وصممت على نسيان قومي وأهلي .. وقد نجحت ولكن الحنين قد غلبني في النهاية .. فعدت وكانت المفاجأة بعد عشر سنوات من ترددي على هذا الوطن أنني وجدت المخلوقة الوحيدة التي أحببتها من أهل هذا الوطن حية .. فعادت إليّ الحياة من جديد .. وأتمنى من أعماق قلبي والنفس أن لا يقسو بعضنا على بعض .. فالحياة الحقيقية أن نحب بعضنا بعضا .. ولا ندع الكره والبغض يطول ويكبر.

صفق الحاضرون هذا اللقاء التصالحي .. لهذا الخطاب التاريخي في حياة هذه العائلة..

وهنا دخل الخادم الفنزويلي المخلص للسيد عرفان السيد لويس يعلن أمام الجميع : الطعام ومائدة السيد عرفان جاهزة أيها السادة الكرام فتفضلوا

وكان السيد عرفان قد طلب من أحد المطاعم الكبيرة إعداد وليمة تليق بهذه المناسبة الكبيرة في حياة الأخوة الثمانية ، أولاد الرجل الفقير ناصر قدري الرشيدي .

تمت الرواية

روايات اجتماعية

أيتام الحداد ٩

الصلح

انتشر الخبر سريعا ، كان لانتشار هذا الحدث في برقوقة وأحباب برقوقة خبرا مهما ومثيرا ، فتحدث الناس عن ظهور إخوة الحاج خليل فرفر بعد هذه السنوات من الاختفاء ؛ كأنهم جاءوا من كوكب آخر ، والمؤلم أنهم من سكان المدينة الكبيرة ، وليس كما يشاع بأنهم تركوا البلاد والعباد منذ عشرات السنين ، وإن لهم أحفادا وأبناء ، وإنهم ليسوا في أمريكا اللاتينية وغيرها من مدن العالم كما أشيع في بعض الأحيان .. إذن لخليل وصبرية أهل في المدينة !

فهم منذ انقطع عنهم خليل لم يظهروا في حياته ..

واستغربت منى لهذا الخبر العجيب ، أخوة يعيشون في مدينة واحدة لا يتصلون ببعض منذ عقود .. واشتغلت الهواتف يمينا وشمالا تنقل هذا الخبر .. ومثل ذلك حدث في قصر السيد منير أحمد وزوجته وبين الأولاد والأحفاد .. وانشغل الجميع بالتهيؤ والاستعداد لمقابلة الأخ الأكبر لهم ، فكان خالد الشقيق الأكبر لمنير على اتصال مع أخيه ليفهم الكيفية التي سيلتقون بها بإخوتهم خليل وصبرية.. وطلب خالد من الشقيقتين فاطمة وسعيدة المشاركة في هذه المصالحة التي ستتم في بيت الدكتور منير .. فأجلتا اللقاء إلى لقاء آخر ، بعد تصالحهما ، فلم يضغط عليهما ، وترك لهما الحرية ..

ورتب مالك وعدنان مع أحمد ويوسف أن يكون اللقاء الأخوي بعد صلاة العصر ، فلما أتى عصر اليوم التالي أقبل الشابان بالسيارة الأمريكية التي أتيا بها ليلة أمس ، وعلى رأس الشارع المعروف لنا انتظرا ، ولما خرج خليل من المسجد اتجه إليهما وحياهما ، فقال أحد الشابين معتذرا : اعذرنا يا جدي ، كان من المفروض أن يأتي جدنا إليك ليقدم لك اعتذاره ولكنا بينّا لكم عذره والجد خالد مستحيي من مقابلتكم .. فالبركة فيكم .. وتأكد يا سيدي أن الجد منيرا بشوق كبير لحضرتكم وإلى أخته أم علي .. وكله ندم وآسف وحسرة .

وكان مالك قد ذهب لإحضار عمته صبرية وأمه وعدنان ، فركب عدنان وأمه مع ربيع ، وركب مع مالك المعلم خليل وجميلة .. وانطلقوا خلف السيارة الأمريكية وكانوا قد عرفوا المنطقة التي هم ذاهبون إليها ، وفي أقل من ساعة كانوا يزلفون القصر

الجميل الذي يعيش فيه الدكتور منير أحمد .. وكان بعض الشباب يقفون أمام الباب في انتظارهم .. ولما هبط الضيوف تقدمهم خليل أبو أحمد فصافح الشباب وحيا الفتيات وكان الحفيد أحمد يعلن لهم أسمائهم بصوت مسموع ، وتقدم بعضهم أمام الحداد خليل نحو القاعة التي يجلس فيها المريض .. ولما لمح خليل أخاه المريض تقدم نحوه مسرعا ، وانحنى عليه وعانقه وهو يقول : سامحك الله يا منير .. قطعتم الرحم .. غفر الله لنا. خرجت هذه الكلمات وهو يقبل جبين أخيه والدموع تتساقط على خديه ولحيته والآخر يقول بصوت واهن : سامحني يا خليل .. ظلمناك بهجرنا ـ وأشار لخالد ـ وهذا أخوك خالد .

انتقل خليل معانقا لخالد الذي يقف مضطربا ووجه شاحب ، وتقدمت صبرية لأخيها العليل تعانقه وتسلم عليه ، وهم يبكيان ، وهو يعتذر لها عن عقوقه لها ونسيانه إياهم ، وإنه ناكر للجميل

والمعروف .. فسامحته وهي تذرف الدموع ، وجرى العتاب بينهم بلطف مراعاة لصحة السيد منير .. وتعارف الجميع ، واعتذر خالد لهم عن أخواته وقال : لقد خشين توتر هذا اللقاء خوفا وشفقة على أخيهنّ منير ؛ ولكنهن راغبات بالاعتذار لكم .. وسنحاول الاتصال معهن الآن ونقل لهن أن الأمور تسير على ما يرام .. وأن قلب أبي أحمد قلب واسع ، وسيبقى الأخ الأكبر لأسرة أحمد فرفر .. أخذتنا الدنيا وضيق الأفق يا أبا أحمد وغرتنا الأموال والمناصب .. فسامحونا ونحن بين يديك .. لعنة الله على قسوة القلب والجهل .. فأنت الأخ الكبير وصاحب الفؤاد الواسع فاصفح عنا فنحن إخوتك الصغار الذين كنت تنفق عليهم وتعلمهم !

تبسم أبو أحمد لمداعبة خالد وهكذا فهمها وقال : الحمد لله ، وأقول كما قال النبي يوسف عليه السلام ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ غفر الله لنا ولكم وها هو حبيبي مالك ابن زوجتي الفاضلة أم ربيع بطل ومحامي قد الدنيا في البلد ودكتور عالمي ، ودرس الدكتوراه في بلاد السكسون ومؤلف كتب ويكتب في الصحف ، وتزوج ابنة نقيب المحامين الأسبق النقيب المشهور الأستاذ الكبير عبد الكريم أبو عزمي ، ومع ذلك ها هو يعيش معنا في حي برقوقة ، وبنى بيتا في برقوقة .. ولم يتخلَ عن أمه وزوج أمه .. لم يكبر علينا ، ولم يقل لأمه أنا رجل كبير في البلد وهذا الحي لا يليق بي لنرحل لحي بركات وغيره من الأحياء الحديثة والراقية.. وذا أخوه ربيع المهندس المعروف ومدير شركة كبيرة في البلد .. يسكن حي برقوقة الحي الغلبان .. وذا ابن أختكم الدكتور عدنان جابر ولد وعاش وكبر في حي برقوقة ومدير مدرسة كبرى ومسؤول في مجلس إدارة مدارس أخرى ، والدكتور عدنان يمكنه العمل في أكبر جامعة في البلد ، وإخوته صاروا ، منهم الطبيب ومنهم المحامي والمهندس ، وإن رحل بعضهم لأحياء أخرى لم يطلبوا من أهليهم الرحيل والحياة في تلك الأحياء.. الناس هي ترفع من مستوى الحي رويدا رويدا ، تطور الحي بالمباني الشاهقة والشركات والمطاعم والخدمات والشوارع .. نعم هذا هو الأصل .... فلو سكن الشخص في حي بركات حي أصحاب الأموال والثروات فلا ينقطعوا عن أقاربهم الفقراء والضعفاء.. هل لأن أخاهم حداد وأمي عيب وعار كان لابد من قول هذه الكلمات لأنفس عن نفسي .. وغفر الله لنا ولكم ولا تثريب عليكم.. كان من اللازم حضور البنات هذه الجلسة .. لم يعد أمامنا من العمر الكثير .. فنحن حضرنا ولم يهتز لنا شارب ولم تنقص لنا كرامة ..

كرر الأخوان الاعتذار من جديد ، واعترفوا بتقصيرهم ، وقدروا شجاعة خليل وجهاده في تعليمهم ، وأنهم غرتهم الدنيا والمال والسمعة ، وشكر مالك فخر عمه بهم ، وتمنى دوام العافية لهم ، وطلب منير الهاتف وتحدث مع أختيه شخصيا وحثهما على المجيء ، وكان بعض أحفاد فاطمة وسعيدة بين الحاضرين والمستقبلين وحاضرين لقاء الصلح هذا، فتطوع بعضهم للمجيء بجداتهم وأعمامهم .. فصاح منير : المهم جداتكم الآن اذهبوا وارجعوا بهنّ بسرعة حتى يرتاح ضميري وأفارق هذه الدنيا وأنا راض عن الجميع ، وقد نلت بركات أخي الكبير خليل وأختي الكبيرة صبرية .

وذهب حفيدان كل بسيارته لجلب جدته وحثها على المجيء ، وفعلا بعد حين يسير كانت الأخوات قد قدمن بدون أزواجهن وحتى أبنائهن ، وتصافحت الأخوات مع الأخوين خليل وصبرية ، وأخذن يبررن هجرهن تبريرات لا تدخل عقل إنسان واع ومدرك ، وإنما كان الهجر مجرد جحود وهوى، فالعقوق ليس له عذر أو حجة ؛ فإنما حجة نفسية وغضب وكره وحقد خفي ، وبينما الجميع يعتذرون ويتعارفون ويتسامحون دخلت امرأة المجلس وسلمت ، فقالت لها امرأة جالسة في المجلس : تعالي تعرفي وسلمي على خالك الحاج خليل يا عبير وعلى خالتك الحاجة صبرية .

كان مالك قد عرف من هي المرأة عندما زلفت المجلس ، بل هي عرفته لما شاهدته ، وقد تلاقت عيونها ودهش كلا الاثنين ؛ ولكنها تقدمت تصافح خالها المدعو خليل ورأسها تدور بكثير من الأفكار والخيالات ، وهذا عند مالك أيضا ، ولما انتهت من الترحيب والتعرف التفتت لمالك الصامت والناظر إليها بوجه متلون : ألست مالك ربيع ؟!

هزّ رأسه وقال : بلى ، وألست عبير ناصر ؟!

قالت : بلى ! وأشارت بيدها مستفهمة حتى أن أحدهم قال : لعلكم تعرفون بعضا ؟!

نظر مالك للسائل لحظات سريعة وأفكار كثيرة تلف في دماغه وذاكرته ورد: نعم نعرف بعضا ولقد التقيت بالأخت مرة واحدة على ما أذكر في شركة التجارة العالمية .

قالت عبير : أجل ، وكنت يومها مع برهان زوج أختك منى ربيع !

فتمم مالك ساهما فقال : زوج أختي منى ربيع .. منى ربيع ؟!

ولما خيم الصمت على المكان قال مالك : هذه يا عم خليل يا أبا أحمد ابنة أختك ـ وأشار لعبير ـ عبير تكون أخت زوج منى السابق حازم ناصر !

ذهل السامعون ، وغمم خليل وهو كالمصعوق فقال : ماذا قلت ؟!

ـ أقول أن ابن أختك المسمى حازما هو الذي تزوج أختنا في يوم من الأيام !

كانت العيون تتطلع في بعضها البعض استغرابا وقال خليل : أمعقول هذا يا فاطمة ؟!

فقال مالك : بالتأكيد أليس هكذا يا عبير؟!

فقالت : طبعا ، ما دام أنا أخت حازم .. فحازم ابن أخت خليل أحمد فرفر ، والتفتت لأمها الشاحبة اللون كالأموات وقالت لها فجأة: أتعرفين ذلك يا أمي ؟!

طأطأت فاطمة رأسها مقرة بمعرفة هذه الحقيقة وقالت : كنت أعرف! ولما عرفت صدمت ! ومن أجل ذاك حاربت ذاك الزواج بشدة .

تعجب القوم لقسوة قلب هذه المرأة ولؤمها، فقهقه خليل من القهر وقال : دنيا !! ولكن هذا كان خيرا لنا وللبنت .. أنتم لا تستأهلون ظفرا من بنات أم ربيع .

فتدخلت عبير قائلة : والله يا خالي ما كنا نعلم هذه الحقيقة ، نحن أصلا لا نعرفكم .. نحن من قريب عرفنا أن لنا خالا ثالثا وخالة ثالثة .

فرد مالك وبحدة خفيفة : لا عليك يا عبير .. نحن الآن واليوم فهمنا لماذا لا تريدون مصاهرتنا ولكن الحمد لله أن الله تعالى أبدلها زوجا خيرا منه ألف مرة .

فقالت أم حازم : لا أدري ما أقول يا سيد مالك ؟ .. الأمر كله لله ، وتذكر الآن أن المدعو حازما مريض ويوشك على الموت فكبده مريضة .. والأمر لله !

فتمتموا بالدعاء والشفاء له ، وعاد خليل يقول : كان من المفروض يا فاطمة أن تستغلي هذه الفرصة للمصالحة ومعالجة الوضع الخطأ .. قدر الله وما شاء فعل ، يا أخية فقد يسر لها الله الأخ برهان ، رجل مقدام أحببته أنا أكثر منكم ومن أولادي لو كان لي أولاد .. رجل فاضل أعاد لنا الفرح والحب .. مرضت قديما مرة ودخلت المستشفى أول مرة في حياتي ، ومكثت فيه أسبوعا كاملا ، يومها تمنيت لو كان إخوتي حولي .. ذاك الحدث لا أنساه لليوم .. يومها تمنيت لو أن إخوتي وأبناءهم حولي .. ولكن أولاد هذه المرأة الصابرة معي ـ وأشار لجميلة ـ وقفوا معي وقفة لا يمكن نسيانها .. كانوا معي ؛ كأنني أبوهم الحقيقي ؛ كأنهم من صلبي أنا وللأسف يومها كنت أنا وأختكم صبرية على زعل ؛ لأنني على زعل مع زوجها أبي علي .. يومها أحسست بالوحدة في هذه الدنيا .. حتى سعى الابن البار عدنان يومذاك للصلح بيني وبين أبيه .. حتى أن عدنان سعى بعد تصالحي مع والده أبي علي لخطبة منى والزواج منها

، فرفضته أنا قبل أن ترفضه منى التي كانت متعلقة بابنكم يومذاك ، وقلت له يا ابن أختي أنتم كذا وكذا ، ولم أفتح الموضوع مع أم ربيع بطلبه حتى هي فاتحتني به ؛ لأن صبرية تحدثت معها فأبديت أيضا عدم حماسي لهذه المصاهرة مع أني لست إلا زوج أم للبنت وإخوتها ، وتركنا الأمر للبنت ، فاعتذرت لأنها تدرس إخوتها وتساهم في تدريسهم ، وكان مالك وحنين صغارا يدرسون بعد .. فظهر لنا المدعو ابنك يا فاطمة ابن أختي ولم أكن أعرف هذا .. فجاءني للمحل وتحدثت معه فقلت احضر أهلك وحياك الله .. ثم تبين لي أن متفق مع منى الفاضلة على كل شيء ، وعرفنا أن أهله غير راضين بهذه الزواج ، وأنه يريد الاقتران بها دون رضا أهله ، فظنت منى الطيبة أن ذلك شجاعة وتضحية منه فأحبت أن تجاريه .. وأنا رفضت يومها بشدة .. ولكنها أبت وغلبتها العواطف وموقفه الغريب وما كانت تراه في التلفزيون فأصرت على الزواج منه ، فاضطررت لتطليق هذه المرأة الفاضلة بعد عشرة سنوات.. ورحلوا من برقوقة لإتمام هذا الزواج الشاذ عندي .. ومع ذلك حارب أهل حازم هذا الزواج ورفضوه .. لماذا رفضت يا فاطمة ؟!

سعلت فاطمة عدة سعلات قبل أن تجيب على السؤال وقالت : رفضت لأنني عرفت أن الفتاة من حي برقوقة .. وكان أبغض شيء إليّ ولليوم هذا الحي مع أنني ولدت فيه وكبرت فيه .. كانت عبير تحدثني عن الحب المزعوم والموهوم بين حازم وابنتكم .. ولما عرفت عنوان منى صدمت ولم ارتح لهذا الزواج البتة .. وهذا العنوان موجود في ملفها في الشركة .. ثم عرفت من هي منى عندما سألت بعض الناس .. فصعقت أكثر .. خليل أحمد أخي ابن أبي متزوج أم تلك المنى فزاد رفضي وغضبي .. وقلت نحن ما صدقنا أن ننسى خليلا وصبرية وبرقوقة فحذرت حازما من هذا الزواج ، ودفعت عبير لتحاول دفع منى عن هذا الزواج .. وأظهرت أمامهم أن هذه فتاة طماعة جشعة متسلقة تريد الولوغ في ثروتنا ومالنا .. وما هي إلا مجرد موظفة صغيرة في شركة .. لا يجوز التعلق بها .. وأننا لا نتزوج إلا من بنات الأكابر والأثرياء وليس أي أثرياء وهكذا تزوج أولادي الكبار والبنات ، فاقتنع الجميع بوجه نظري ولم يدققوا عن سبب رفضي الشديد .. أعرفتم لماذا رفضت هذا الزواج ؟! ولكنه عاند وتزوج رغم أنفنا ، ولم أقبل بالهزيمة والخضوع لمَ يسمونه الأمر الواقع .. وطردناه من الشركة ليطلق فكابر وفتح مصنعا فدمره المصنع وسافر هاربا لأمريكا ، وهناك تحطم نهائيا وسقط في براثن المخدرات والكحول بكثرة وأرسل لنا يريد التوبة والعودة ، فطلبنا منه الطلاق

قبل العودة فحصل ذلك .. وأما لماذا كرهتك أنت يا خليل ؟ لأنني كنت أحلم بدخول الجامعة .. وكنت أنت ترفض بشدة .. وكانت أمنا تكرهكم فغرست فينا هذا الكره ، وأشعرتنا أنك تدرسنا من ميراث أبينا ليس من شغلك وعملك .. وإنما تتظاهر بأنك تنفق علينا لتحملنا جميلة ومنّا .. وكانت مشاكلك المتكررة مع أمنا تدفعنا لهذه الكره والحقد والبغض ، ونراك عدوا لنا ولطموحنا ، ولا تنسى شتمك لأمنا وتهديدها بزواجنا بعد الثانوية العامة ووجود العريس على الباب كما فعلت بأختنا صبرية ..فلما تخرج أخوتنا طلبت أمنا الرحيل من برقوقة .. وحصل ذلك بعد عدة مشاجرات بينك وبيننا .. ثم تعرف أخوتنا على زملاء أغنياء وأكابر وتزوجوا من بناتهم .. ولما درسنا زوجنا أخوتنا منهم .. ورويدا رويدا انسلخنا من جلدنا وعشنا ردحا من الزمن في أمريكا ، فنسينا خليلا وصبرية .. وماتت أمنا وهي غاضبة عليكما وكذلك نسينا برقوقة .. ولما عدنا للبلاد كانت الدنيا قد تغيرت ولم نحاول البحث عنكم والسؤال عنكم ، وانشغلنا بالاستثمار والشركات حتى ظهرت لنا السيدة منى ، وعرفت أنا من هي منى ؟! فجن جنوني فحاربت الزواج بشراسة .. فهذا سبب حقدي وبغضي أنا وسعيدة لك يا خليل وراحت صبرية كما يقولون في الرجلين .. لأن أي اتصال بصبرية سيعيد خليل إلينا .. وتزوجت قبل أن نهجرك ونبتعد عنك نهائيا !

ـ حقد اسود ! وبما أننا في جلسة مصافاة وفتح صفحة جديدة .. اعلمي أن طلاق منى كان خيرا لها ولنا .. وأنت لا تستحقين النعمة .. فمنى الآن دكتورة كبيرة في الجامعة .. وأنتم أفسدتم أخلاقها ، والحمد لله الذي نجاها منك ومن زوجك ومن ابنك الساقط .. وكاد المنحوس أن يدمرها ، فساءت أخلاقها وتحطمت أحلامها عندكم.. ولما طلقت وخلصت منكم كنت قد تزوجت امرأة بعد طلاقي لجميلة ثم ماتت ، وقام المهندس ربيع والأستاذ عدنان بتزويجي من جميلة ثانية بعدما ترملت ، وكان عدنان متزوجا من ابنة أخت جميلة .. وعادت جميلة أم ربيع للحياة معي من جديد في حي برقوقة ، وعادت المياه لمجاريها .. ثم ظهر لنا البطل برهان أبو خليل ، واستطاع أن يعيد منى لحظيرة العائلة بعدما أفسدتموها .. ونحن اليوم أسعد البشر .. فعادت البسمة والحياة الحلوة بزواج منى من برهان محمود الدين .. فمنى اليوم غير منى التي أفسدتموها بكبركم واحتقاركم للفقراء لقد نسيتم من أنتم ؟! الخيرة فيما يختار العلي القدير .

فقالت عبير: والله يا خال ما كنت أعرف أن منى

إلا موظفة عندنا ، وأنها استطاعت أن تسيطر على أخي حازم ، وأن علاقتهما كانت في البداية لهو وعبث وإعجاب شباب ببعض.. وكما تعلمت أننا لا نتزوج إلا من أبناء الأكابر والأثرياء فهذا مسحوب أيضا على البنات .. مع أنني رأيت أحد أبناء خالتي سعيدة تزوج من فتاة أقل منا ثراء ومال .. فلتأثري بهذا المبدأ التعيس قنعت مع أمي في رفض الزواج ممن أقل منا مالا وجاها حفاظا على هذا المبدأ الأناني وعلى تقاليد العائلة .. وبما أننا في جلسة مصالحة وفتح صفحة جديدة فأقول أننا أخطأنا في حقكم عن جهل وبصمتنا .. المشكلة أننا لم نسمع بكم إلا منذ مرض خالي منير شفاه الله !

فقال أحد الشبان مداعبا عبير : والله يا عبير أصبحت تحسين الخطابة والكلام .. من أين استجديت كل هذه الشجاعة ؟!

التفتت إليه عبير وتبسمت لهذا التعليق المتهكم ، ونظرت لمالك الصامت كالتمثال وقالت وهي تشير إليه : من هذا الرجل ! من مالك ربيع ! .. ومن الأخ برهان ! فأنتم لا تعرفون مالكا ولا برهان .. فبرهان هذا زوج من كانت زوجة أخي ، إنه إنسان بطل كما قال الخال خليل .. فأنا أعرفه منذ أيام دراستي في الجامعة .. حتى أننا كنا نسميه المصباح أو هو كان يحب أن يدعى بذلك اللقب.. أتدرون لماذا أيها الضاحكون ؟

ـ آ .. آ .. أيتها الخطيبة ؟!

فتابعت تقول غير عابئة بتهكمهم : لأن كثيرا من فتيات الكلية كن يرغبن وتود إحداهن أن يكون صديقها ، فكنا من جماله وحسنه ووسامته نحوم حوله كما تحوم الفراشات حول النار والفانوس.. ومع ذلك لم تسجل عليه أي قصة أخلاقية في الجامعة ومع كثرة صديقاته .. ومع ذلك لما قصد الزواج هذا الإنسان تزوج امرأة مطلقة ؛ لأنها الوحيدة التي أحبها بصدق مع أنه لم يرها إلا مرات قليلة .. كما قال لي .. أتدرون من هذه الفتاة ؟ إنكم سمعتم اسمها يتردد هنا إنها منى ربيع ربيبة خالي الحداد .. الذي لم يستعر من مهنته لليوم .. فبرهان بطل فعلا كما قال الخال أبو أحمد.. برهان بدأ ومنى في فتح مكتب تدقيق صغير للحسابات والموازنات للشركات العامة والخاصة وللجرد أيضا .. فتذكرته وتعارفنا من جديد والتقيت بمنى ربيع من جديد .. في البداية ظننتها عاملة معه .. لأنني التقيت بها قبل زواجها ثانية في متجر أثاث كبير .. ولما عرفت أنها زوجة لبرهان كانت بالنسبة لي مفاجأة أيها الكرام .. ولما تأكد ذلك عندي أكبرت الأخ برهان .. ترك كثير من الحسناوات ليرتبط بمنى المطلقة .. هذا موقف كبير ، ومع أنه عرف أنها كانت زوجة لأخي استمر بيننا العمل والشغل

، وكان بغنى عن الشغل معنا ، فالشغل لديه يكبر ويكبر فاليوم مكتبه من أكبر مكاتب الحسابات في البلد.. وحاولت أمي أن أبتعد عنه ؛ لأنه زوج منى أو مطلقة أخي ؛ ولكن برهان ومنى الشركاء في المكتب اعتبروا الأمر عاديا وليس بالضرورة أن كل زواج ينجح .. واعلم يا خال خليل أن أخي حازما عندما كان زوجا لمنى وطرد من حظيرة العائلة لتمرده على قانون أمي أخذ قروضا وفتح مصنعا ؛ ولكنه انكسر ، وصفي المصنع بعد حين ، وبيع ما بيع ، وبقيت قروضا عليه وهي باسمه .. اسمه وحده .. سافر لأمريكا آملا بتحقيق الأحلام في بلد الدولار كما حدث لوالديه قديما .. ولكنه سقط في تعاطي المخدرات وشراهة الخمر آملا بنسيان ما هو فيه من ضعف.. الهيروين لا يرحم.. تضايق أولاد العم منه بعد نقله للمستشفيات عدة مرات فأرسلوا لنا ، فوافق الأهل على عودته إذا طلق منى ربيع .. ففعل وتنازل عن حبه وزوجته ، وصفى المحامي قضية منى مع أخيها مالك المحامي الصغير تلك الأيام .. وعاد حازم المريض المتعاطي إلى هنا للعلاج من المخدرات ، وأدخل كما يعلم الجميع لمركز علاج المخدرات والإدمان .. وكانت الأخت منى تسد أقساط الدين التي تركها قبل سفره ، فلما طلقت توقفت عن ذلك .. فلما علمت الشركات بعودته عادت تطالبه بتسديد الأقساط الشهرية .. فسدد بعضها مما يأخذه من راتب من الشركة .. شهر يسدد وآخر لا يدفع .. ورفض الوالدان التسديد عنه .. وطلبا منه أن يطلب من شريكته أن تسدد عنه .. فهي التي ورطته في المصنع والديون .. فالتقى بالأخ برهان بالبطل برهان ربما الكثير من الأهل لا يعرفون ذلك .. المهم أن برهان تحدث مع مالك ربيع بالموضوع ، وتحدثوا معي بعد أن عرفوا كم بقي للشركات الدائنة ودفعوا النصف مع أن الأوراق والكمبيالات مسجلة باسم حازم .. فيومها عرفني الأخ برهان على الأستاذ المحامي مالك ـ وكانت تشير إليه ـ ودفعوا النصف عن رضى، وهذا النصف يزوج برهان من فتاة أخرى .. وأنا دفعت حصة حازم وأغلقنا الديون القديمة .. وعلى أن أخصم المبلغ من الراتب الذي أدفعه لحازم .. هذا موقف كبير لبرهان ومالك ؛ لأنني علمت من برهان أن الأخ مالكا دفع مساهمة في دين أخته ألفين دينار.. وأنه طلب منه أن لا يذكر ذلك أمام منى.. هكذا الرجال يا خال خليل! .. وظلت علاقتنا ببرهان طيبة وحسنة ؛ ولكنها في حدود العمل فحسب وما زالت .. ثم علمنا فيما بعد بزواج السيد مالك من ابنة النقيب عبد الكريم وهو صاحب للوالد .. وأخذت أقرأ كتابات الأخ مالك بشغف في الصحف الحزبية وغير الحزبية

مع أنني لم أره إلا مرة واحدة .. وحدثت الوالدين بهذا الزواج وقلت لهما إن مالكا هذا أخ للسيدة منى ربيع ، وهو يكاد أن يصير من الأكابر .. لم تهتم أمي بذلك الخبر ، ولم تندم حتى أنني بصراحة أقول يومها شعرت أن بين أمي ومنى حقد شخصي وأنا أقول أمام الجميع يا أخ مالك أنا معجبة بك غاية الإعجاب ، وأقرأ كل ما تكتب أو يصل إليّ .. وتعجبني مقالتك النقدية أو التوعوية والتثقيفية .. أنت مبدع ، وكلما التقي ببرهان إلا وتكون أنت محور حديثنا ، وقد أهداني الأخ برهان بعض كتبتك عندما رأى شغفي بما تكتب في المجلات وغيرها .. فأنا بعد كل هذا الكلام تعلمت الشجاعة والخطابة من هذين الشخصين .

فأبدى مالك شكره وامتنانه لما تفوهت عبير ، وقال بنوع من العتب : شكرا .. يا حبذا لو كتمت أمر الدين .

فعادت تقول وهي تهز رأسها : وربما بعضكم لا يعلم أن الأخت منى اليوم دكتورة كبيرة في الجامعة ، وأمي تعلم أن حسنا ابن حازم يتتلمذ على يديها ، وكذلك حنان ابنة سلوى بنت خالتي سعيدة .. فلما علمت أمي أن سلوى ابنة أختها تعمل عند منى في مدرسة الأطفال قبل سنوات تألمت وتضايقت ، فعجبنا لهذا التشنج ، وأصرت على سعيدة أن تترك ابنتها سلوى المدرسة ، وسحبت ابنا صغيرا لحازم من المدرسة لأن الأخت منى مديرة لهذه المدرسة لماذا ؟ اليوم فقط عرفنا لماذا ؟! وحدثني حسن ابن أخي أنه عرف الدكتورة منى على شخصه ، وأنه ابن زوجها الأول، وأخبرها أن والده مريض .. فلم تتضايق من هذه المعرفة ، بل سامحت والده ، وأخبرته أنها سامحته عندما حجت مع زوجها برهان .. ودعت له بالهداية والشفاء .. وأن هذا تاريخ لا يهرب منه الإنسان! .. في النهاية أقول يا خال هنيئا لك هؤلاء الأيتام البربرة وقد صنعت منهم رجالا أوفياء ، وقد صنعت قبلهم من أخويك رجالا ولكنهم خذلوك .. هنيئا لك هذا الجهاد

فرح خليل بهذا الكلام من ابنة أخته وقال : أنت فعلا شجاعة يا عبير عندما قلت كل هذا الكلام الطيب !

فهمست ثانية : تعلمت الشجاعة كما قلت لكم من الأخ برهان والأخ مالك .. وأنا سعيدة بهذه المعرفة مع أنني أعرفه من الكتابات والمقالات ، فهذا سيعزز الاتصال بيننا يا خال خليل فهذا يوم ممتع أن تعرفنا على خال طيب لنا مثلك .

لزم أخوالها وحتى أمها وخالتها الصمت ، ولم يعلق أحد بشيء على كلام عبير ، وقد تعجبوا فعلا من قدرتها على الحديث بهذا الشكل ..

وقالت أيضا : أنا فعلا سعيدة اليوم ؛ لأننا

سنصبح أصدقاء حقيقيين يا أخ مالك يا أبا برهان فقال لها مالك : بارك الله فيك .. وتشرفنا صداقتك .. وكل من يحبه العم خليل فنحن نحبه فالعم خليل والد الجميع ، ونحن والله نتمنى أن نقدم له شيئا ولو يسيرا لمَ بذله من أجلنا .. والأخ برهان رجل مبارك يا أخت عبير !

فقال أبو أحمد : نعم ، هذا الإنسان الغائب الآن الحاضر دائما بركة لنا جميعا .. أتدري يا أخي يا منير ويا أخي يا خالد أن هذا الشاب عندما ناسبنا وأخذ ابنتنا منى رضي الله عليها ؟ .. فله أخ طبيب ربما سمعتم به الدكتور عبد القادر محمود الدين .. فمنذ تصاهرنا وتعارفنا وهو يتابعني أنا وزوجتي جميلة دوما ، وعندما نحاول أن ندفع شيئا يزعل ويحلف ويغضب منا .. ويصر علينا أن نمر عليه دائما .. ولما حاول ربيع ومالك نقلنا لغيره رفض وعتب علينا .. هذا أخو برهان فقط .. وهو طبيب كبير .. فالحق أن ابنة أختي عبير أحسنت الكلام ووضحت أشياء قاسية ؛ ولكنها جميلة وتدفع بقوة لفتح صفحة جديدة بيضاء .. والاستكبار والاستعلاء على خلق الله يضر يا إخوان الشخص نفسه .. ما أثرتم عليّ بشيء .. ربما تأثرت نفسيا في بعض اللحظات العابرة ؛ لأن الأخوة كنز كبير .. ولن نعود لدفاتر قديمة وحسابات عتيقة فنحن كبرنا وكلنا على وشك الرحيل .. فلتصفوا القلوب يا فاطمة ونتسامح ونعفو .. ماذا يقول الدكتور مالك ربيع ؟!

التفت مالك لعمه وترك الهمس مع عبير شاكرا لها ما تفوهت به نحوه ونحو أخته وزوج أخته السيد برهان فقال مالك رادا على العم خليل : كما تشاء يا عم فأنت كما تعلم منذ عقود وليس اليوم أن كلمتك أمر .. ونحن ليس بيننا وبين هؤلاء القوم أي مشكلة .. فالزواج كما يقول الناس قسمة ونصيب والأمر كما قالت السيدة فاطمة الأمر كله لله ، وأنا بالنيابة عن أختي منى أقول ومع ما سبب لها من ألم ، وما تعرضت له من الطرد والتجريح في مكتب السيد ناصر إنها مسامحة وغافرة ، وقد أكدت الأخت عبير بارك الله فيها أن ابن السيد حازم تلميذ هو وابن خالته عندها ، فقد أكدا لهم أن الدكتورة قد سامحت وغفرت لزوجها الأول .. واليوم عرفنا سر هذه العداوة والبغضاء العجيبة ، وكما قال والدنا الكبير أبو أحمد لا تثريب عليكم اليوم ولله الحمد والمنة والفضل بيد الله سبحانه .

وتسامح القوم من جديد بالألفاظ المهذبة ، وعلى أمل أن تصفو القلوب كما صفت الأيدي والألسن وما انتهى شهر على هذا الصلح المتأخر عند آل فرفر حتى هلك اثنان ، فالسيد الدكتور الاقتصادي منير أحمد رحل وترك الدنيا لعالم آخر

، عالم غيبي ، وبعده بأسابيع لحق به ابن أخته حازم ناصر بعد أن قضت الكحول والتشمع على كبده ، ولم تعد صالحة في جسمه ، فانتقل هو الآخر من هذا الوجود إلى وجود آخر ، وإلى رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء علما .

يؤثر الموت على الناس ؛ ولكن تأثيره متفاوت بينهم ، فربما مرّ على أسرة خليل فرفر وجابر مرور الكرام .. على حسب الحب والصداقة يكون تأثير الموت ، فمن الموتى من ينساه الناس بعد موته بساعات أو أقل ، ومنهم بعد أيام ، وبعضهم بعد سنين ..

وشارك خليل وأولاد زوجته بالعزاء كما يليق بهم ، وعادوا للحياة سريعا ؛ كأن لم يكن هذا الحدث .. ولكنهم كانوا وما زالوا بين أنفسهم يستغربون من حقد فاطمة على أخيها خليل.. وكيف أثر هذا الحقد عليها حتى دفعها لتقف أمام سعادة ابنها وزوجته حتى فرقتهما عن بعضهما

ومع الصلح الذي حدث وموت ابنها حازم ما فكرت بزيارة أخيها خليل أو زيارة الحارة التي ولدت فيها والبيت الذي استقبل صرختها الأولى في هذه الدنيا .. والسيد خليل مع ذلك لم يهتم بذلك كثيرا ، وشارك في عزاء ولدها ، وقام برفقة صبرية أخته وزوجته جميلة بزيارتها بضع مرات قبل موت حازم وبعده .

وتأثرت الدكتورة منى ربيع قليلا بما علمت من سر عذابها مع زوجها الأول ، والسبب الرئيس لبغضها، ومع ذلك مرّ الحدث بعد كل هذه السنين مرّ سريعا وذكرى ، وشاركت بالتعزية بنفسها وشخصها بالسيد منير وبالسيد حازم ، وتقبلت عذر أمه ولم تقل لها إلا قدر الله وما شاء فعل .. هذا أمر الله .. والخيرة فيما يختاره الباري سبحانه وتعالى ، وكان أكثر حديثها مع السيدة عبير ناصر ، وقد تعرفت على بعض شقيقاتها الحاضرات العزاء ، وإن كانت قد عرفت بعضهنّ أيام عملها معها في الشركة .

وتلقت كذلك أثناء العزاء بحازم اعتذار السيد ناصر الثري المعروف بالبلد ، وتأسف لها عن موقفه ضد زواجها ، وعن موقفه عندما طردها من مكتبه ، وتأسف عن جهله بدوافع زوجته التي عادت وحاربت ذاك الزواج .

فقبلت السيدة منى ربيع عذره واعتبرته من الماضي الذي مات ، وإنه ليس لديها حقد وكره لأحد فأثنى عليها تلميذها حسن ابن الميت ، وأراد السيد ناصر أن يهديها سيارة من آخر طراز ، فرفضت ورفض زوجها برهان هذا الإهداء شاكرا للرجل ، وقال له : الكلام بلسم للجراح يا سيد ناصر .. وكما قالت الدكتورة منى الأمر لله .

واضح أن هناك علاقة جيدة بين الأسر بعد هذه

المصالحة ، وبعد دخول الموت بينهم مذكرا بالآخرة والحياة الباقية .
فكان خليل يقول لجميلة : إنني يا جميلة أتذكر باستمرار الأيام التي كنت أئن منها من بعد وجفاء إخوتي وأولادهم عني .. ما زلت أتذكر تلك الشكاوي .. فها هي الأمور بعد عقود من السنين تعود صافية .. أليس من المؤلم أن نخسر ثلاثين سنة ونحن متدابرون متقاطعون؟! آه منك أيها الإنسان ! .. الحمد لله على كل حال.. الإنسان اليوم يموت قرير العين .. رحم الله سيدنا يعقوب .. كيد أولاده أبعد عنه يوسف أربعين سنة .. كما نذكر ونقول كثيرا .. الصبر جميل .. لقد رفع الأولاد جميعهم منى وربيع ومالك وحنين وبرهان وسعد وعدنان رأسي شامخا يا جميلة .. رضي الله عنهم ، وهم محل فخر كبير لدى أهل برقوقة .
قالت جميلة : هذا من خيرك يا خليل .. ألم تربهم صغارا وتعلمهم شبابا؟ فأنت والدنا وسيدنا وهل ينسى فضلك ؟! ومهما قدمنا فنحن مقصرون ، فأيام الفقر واليتم لا تنسى يا رجل .. لقد كنت لنا خيرا من الأهل والأقارب .
ـ بل أنتم كنتم لي خيرا من الأهل والأقارب.. هل دخل ابن برهان كلية الطب كما سمعنا من منى ؟!
ـ نعم .. لقد تيسر له مقعد في كلية الطب ، يريد أن يكون مثل عمه عبد القادر وبعض أبناء أعمامه الآخرين ، وهو شاب نبيه وابن أبيه .. فسيصير خليل الصغير طبيبا إن شاء الله تعالى !
ـ وابن أمه كذلك يا جميلة !
ـ وأمه يا خليل !
بعد موت الأخ لأب لخليل بشهور قليلة اعتذر خليل من برهان وأخيه المهندس عبد الرحيم وترك العمل في المصنع ، وبعد إلحاح منه وافق الرجلان على ذلك التقاعد .. ثم بعد ذلك بقليل ترك عمل المحددة الذي ضعف أصلا منذ عمل في مصنع الحديد .
وكانت أيام هذه الأسر تمر هادئة وطبيعية دون مشاكل وهموم تذكر .. الكل في عمله ووظيفته برهان أصبح معروفا بين رجال المال والأعمال ، واشتهر في المدينة بالمحاسب الكبير ، ثم إن صحته بعدما تحسنت كما قلنا سابقا أخذت مشاكله في الجهاز العصبي تعود ويضعف بدنه ، حتى أنه بعد حين ترك مزاولة الأعمال وعكف في البيت يقرأ ويكتب حتى يعود الأولاد من جامعاتهم ومدارسهم .. وفي المساء يذهب للسهر عند مالك أو ربيع أو خليل ، وأحيانا كثيرة يلتقي الجميع في بيت أم ربيع ، ومعهم سعد الدين وحنين ، وأحيانا أخرى يرافقهم الأولاد والبنات .. وقبل أن يتخرج خليل برهان من كلية الطب كطبيب عام رحل السيد خليل أحمد فرفر عن هذه الدنيا ،

وأصاب القوم حزن شديد على فراقه ، فقد أحبوه حبا جما ؛ ولكن هذا هو مصير الكائن الحي ، وحتى أن جميلة على أثر وفاته ظهر عليها الكبر سريعا ، وأصرت زوجة مالك على أن تعيش حماتها بقية عمرها عندها ؛ ولكن ربيعا رفض وعارض وقال لهم : أمي أنا أحق بها ، وإن ابنة أخيها عندي وقوموا بيت خليل ووزعوا قيمته على الورثة ، فكان من نصيب جميلة الربع لعدم وجود أبناء للسيد خليل ، ووزع الباقي على صبرية شقيقته ، وعلى إخوته وأخواته لأب خالد وفاطمة وسعيدة وتنازلوا عنه للفقراء لأن صبرية رفضت أخذ حصصهم ، وأقام أيتام خليل الحداد عمارة متوسطة مكان البيت ، وسكن فيها ربيع وأفراد أسرته ومعهم الحاجة جميلة من أجل الذكريات التي كانت لهم مع أبي أحمد خليل فرفر أبوهم الروحي راعي الأيتام .

وأما بطلة هذه القصة الإنسانية الدكتورة منى ربيع فقد تربعت على كرسي عمادة كلية الآداب ولما تخرج خليل ابنها من كلية الطب قدمت استقالتها من العمل ، وعكفت قرب زوجها العليل الذي أخذت قواه تضعف يوما بعد يوم وآثرت البقاء معه وحوله وقالت : آن لي أن أتقاعد!

وكانوا قد تركوا بيت العائلة بيت الأسرة الكبيرة ، وأنشئوا قصرا خاصا بهم وبأولادهم في حي مجاور لحيهم ، وقد أقامت منى خلال سنوات البناء حديقة رائعة في جنبات القصر ، وعرائش العنب ، وأحواض الأزهار والورود .. وكان بيتهم قد أصبح محطة للزائرين والمحبين لبرهان .

ورغم العلاجات الكثيرة التي أخذها السيد برهان محمود ، فما كاد يتخرج ابنه محمد من الجامعة بقليل حتى كان يفارق الدنيا تاركا محبيه يبكون عليه الدموع الحارقة .. فقد كان محبوبا لديهم.. بل أصيب مالك بصدمة لم يتوقعها مع أنهم كانوا يرونه يذوب بينهم كل يوم.. وترك العمل أياما حتى استرد أعصابه وهدوءه واستوعب المصيبة .

وأصبحت منى وحيدة القصر وسيدته الأولى.. يذهب الأولاد لعملهم ودراستهم وتبقى وحدها مع الخادمة التي شغلتها عندما رحلت للقصر .. فكانت تتحرك وحدها في البيت والحجرات .. تجلس على كل مقعد كانت ترى برهان جالسا عليه ، وتأخذ بمخاطبته .. تذكر كلماته وأحلامه .. تنتقل للمكتبة الكبيرة التي كانت في وسط البيت ، وتجلس فيها طويلا كما كان يفعل برهان في السنوات الأخيرة .. تقرأ من الكتب ما كان يحب أن يقرأه مرة ومرتين .. تقف إلى الشباك حيث كان يقف ، وتنظر للفراغ والهواء ، وتبقى واقفة تبحلق في الفضاء مقدرة المدة التي كان يقفها وتفعل كما كان يفعل .. لقد أحبت هذا الإنسان من كل قلبها

، وقد شغفها حبا بأخلاقه وكرمه وحبه لها .. فهو الشمعة التي أضاءت لها الحياة بعدما كادت تهوي في دركات الشقاء والفساد والتقليد الأعمى .. كانت تحس أنفاسه حولها ، وهو يبتسم لها ، ويحبب لها الحياة ، وأن المطلقة ليست نهاية حياتها في الطلاق .. المجتمع المعاصر يقسو على المطلقة ، ويجعل كل أسباب الطلاق عليها ويحملها لها .. أو فشل الإنسان في مصنع فهذا لا يعني نهايته فلكل جواد كبوة .. تدور في البيت ساهمة الذهن والفكر سارحة في ذكريات وجلسات.. تجلس في حدائق القصر وتتلفت يمينا وشمالا كما كان يفعل برهان .. وتقطف وردة حسناء وتقول لنفسها : كان يحب قطف الورود ويستنشق عبيرها .. ثم يقدمها لها مع ضحكة وبسمة كبيرة ولفظة حلوة كالشهد .

لقد شعر الأبناء بالفراغ الكبير الذي تركه والدهم في حياة منى أمهم.. وأصابتهم الحيرة بما يفعلون .. وتحدثوا مع خالهم مالك لحب أمهم له فقال لهم : دعوها إنها تحب برهان .. هي ليست مريضة .. إنما تحب أن تعيش مع تلك الذكريات .. أنتم لا تعرفون برهان كما تعرفه منى ذلك الفارس الجميل الذي هبط عليها من السماء كما كانت تقول كانت منى تقرأ كل ما خطه زوجها من خواطر وأفكار ، وكانت تفكر بطباعتها ولكنها قالت لأ .. هي لي وحدي .. وبعدما ألحق به إلى هناك وأموت يفعل بها الأولاد ما يشاءون

تقدم أحدهم للزواج من ابنتها التي تصغر خليل بسنتين .. احتارت في الأمر .. فالبنت كبرت تكاد أن تصل للخامسة العشرين وتحتاج لزوج .. أسرة جديدة .. وتحدث الأولاد مع خالهم مالك لمعرفتهم بقوة محبته لأبيهم وحبه له، ولإعجاب أمهم بأخيها مالك وأنها تقدم رأيه كما عرفوا ذلك من أبيهم.. تحدث مالك أبو برهان معها في شأن البنت والزواج فتركت الأمر له فتحدث مع جدها الشيخ الكبير وأعمامها، وتزوجت من قريب لأبيها يعمل طبيبا ، ورحلت زهرة من البيت .. بعد وقت يسير خليل أيضا تزوج .. امرأة جديدة دخلت القصر وهي أيضا من بنات أحد أعمامه.. منى لا تحس بذلك كانت ترى أشخاصا يدخلون ويخرجون .

جلب لها خليل طبيبا نفسيا وتحدث معها فترة من الوقت ثم قال لزميله في المهنة : لا شيء عندها إنها سليمة الذهن والبدن .. ولكنها تحب أن تعيش على ذكريات الماضي مع زوجها الذي مات لقد كانت متعلقة به تعلقا ملك عليها كل مشاعرها وحواسها ، فهي لم تفكر بأنه سيتركها في يوم الأيام .. فأصابها ذهول أثر على الدماغ .. فهي تشعر أنه لم يفارقها بعد .. وأنها تشعر بفراغ كبير بعد ذهاب بدنه .. فهي تحب العيش مع ذكرياته وحركاته ؛

كأنها لم تفارقه ولم يمت في قلبها بعد .. دعوها فرويدا رويدا ستنسى كل ذلك ، ومع مرور الزمن سيزول الوهم وتعود للواقع والحقيقة .. دعوها مستمتعة بهذا الوهم .. أعتقد أنه لا خطر عليها وعلى عقلها بإذن الله .

كانت منى مدركة للقلق الذي يساور الأسرة من اعتكافها الدائم في البيت ، وإنما تتحرك في الأماكن التي كان يجلس فيها برهان .. وتدرك أن ابنها البكر تزوج وأن هناك زوجة لابنها تعيش معهم في البيت .. وأن ابنتها الكبيرة زهرة قد تزوجت .. تدرك ذلك كله ؛ ولكنها أحبت أن تعيش على أن برهان ما زال معها .. وإلا هي كانت تدرك أنه عندما تجدد المرض والعلة بدأ يموت ويذوي كالشمعة المحترقة.. كانت ترى ذلك وتشعر؛ ولكنها صامتة حزينة من الداخل لم تحب أن يعرف أنها تعرف أنه يموت ، وأن الطب عاجز عن فعل شيء .. كانت تعيش في سعادة في مثل هذه الذكريات ، ثم ألف الأولاد هذه التصرفات الساذجة .. ووصوا الخادمة أن تضعها تحت مراقبتها وعيونها باستمرار .

كان مالك ربيع يعرف شخصية منى وتكوين منى ، وفهمها منذ الصبا وعرف من هو برهان بالنسبة لمنى التي انهارت أحلامها الكبيرة في أول معركة من حياتها، ولولا ظهور هذا الإنسان في حياتها لربما ضاعت وسقطت .. وكيف ملك جوارح وفكر منى ؟ وإن كانت تحاول أن لا تظهر بالضعف أمامه .. فبرهان شيء عظيم بالنسبة لها .. ولما تقدم أحدهم للزواج منها ضحك مالك لهذا العرض مع أن منى قد دخلت على الخمسين وزادت ، ومع ذلك لا يظهر هذا السن عليها ، ويمكنها أن تعيش زوجة من جديد ؛ لكنه يعلم أن منى كانت لا ترى في الدنيا إلا برهان وتحرج من الطلب ، وحدث ابن منى الطبيب عن رغبة الرجل الصديق للعائلة بهذه الرغبة .. فلم يتحمس ويتشجع أولادها لهذا الطلب .. بل تعجبوا ممن سيفاتح منى بذلك .. صحيح أن برهان مات منذ أربع سنوات ؛ لكنها مازالت تناجيه وتعيش ساهمة معه في البيت .. فكر مالك قليلا بعد صمت الأولاد .. فكر أن يضع الأمر بين يدي حنين التي أبدت شكوكها بموافقة منى على الزواج ، ولو كان الزوج صديقا لهم وللأسرة .. وهو عالم أرمل مثل منى.. وأمام إلحاح العائلة تحدثت حنين مع أختها في موضوع الزواج والحياة الزوجية .. ولم تثر منى في وجهها واستمعت لها هادئة ساهمة كعادتها بعد موت برهان .. فتشجعت حنين وأعادت كلامها عن استمرارية الحياة وأن الزواج من عمارة الكون وسمة الحياة .. إنهم كانوا يرون ربما أن يكون زواجها ثانية مخرجا لها من الحالة النفسية التي

تحياها .. فظهور رجل آخر في حياتها قد يساعد على عودتها للحياة والعمل من جديد ، فلما سمعت كلام حنين قالت لها منى : أنا أعرف أنكم تظنون أنني مريضة لأنني منذ مات فارسي وسيدي برهان وأنا أعيش على أنفاسه وذكرياته .. وأعرف أنكم تظنون بزواجي عافيتي .. أنا وحدي أعيش هذه الذكريات والأحلام يا حنين يا حبيبة منى .. وأنا أعرف أن برهان لن يغضب مني إذا تزوجت بعده .. فهو يحب لي السعادة .. فأنا سعيدة بحياتي يا حنين .. أنا غير محتاجة لرجل بحياتي لأنني أحب أن أبقى لحبيبي في الدنيا والآخرة إن شاء الله.. لست بحاجة للرجال أو لرجل ينسيني برهان وأيامه وأحلامنا.. فأخبري مالكا أن يعتذر لصديقه وصديق العائلة .. ودعوني أحيا هذه الأيام الباقية لي بهدوء وسكون كما أحب .

حاولت حنين مرة أخرى ثم عانقت أختها وقالت في النهاية : برهان يستحق أن تلقيه في الآخرة واعذريني لهذه المحاولة .. عيشي في أحلامك وهمساتك مع البطل برهان .. فهو الذي أعطاك الحياة من جديد بعد فضل الله ، رحمه الله رحمة واسعة .

أحلام مالك

لما مات برهان محمود وترك منى ربيع وحدها في القصر قل خروجها منه .. أيامها تتجول داخل حجرات القصر وحدائق القصر ، وإذا جلست مع ضيوفها وضيوف أولادها تجدها صامتة ساهمة تمسك وريقات كتبها برهان أيام عكوفه في البيت .. وإذا تكلمت تكلمت عن أيام برهان ومواقف دارت بينهم .

ماتت أمها جميلة وهي على هذه الحالة بكت قليلا ، ولما انتهى العزاء عادت لبيتها ساكنة هادئة عرض عليها أحد أصدقاء العائلة إدارة جامعة أهلية ، فضحكت للعرض وقالت : أشكرك يا دكتور نزار .. فأنا نسيت التعليم والمحاضرات والإدارة .. أنا لست بحاجة لمال وإشغال وقت فوقتي في المكتبة أقرأ وأكتب !

وهذه المحاولة فشلت أيضا في إعادة منى لحياة العائلة والعمل ، بل شركة المحاسبة والتدقيق التي أنشأها برهان ومنى قام الأولاد ببيع حصة والدهم فيها ، وكان خليل يتفاوض مع أعمامه وأخواله لإنشاء مستشفى خاص حديث ومتطور ، وكف الأهل والأصدقاء من التدخل في حياة منى الخاصة .. ولكنهم كانوا حولها باستمرار يغدقون عليها من حبهم وعطفهم .. فأبناء أختها وإخوتها يترددون دائما عليها ، وفي كل فرصة يجيئون للقصر

ويسعدون برؤيتها وسماع حديثها وذكرياتها وكلامها عن برهان زوجها رغم سماعه مرات ومرات .. يسمعون بصمت وهدوء ثم ينصرفون !

وحتى عبير ناصر زارتها وجلست معها عدة مرات ، وكان كل حديثهما حول برهان وأخلاق برهان .. وتتذكر منى أول مرة رأت فيها برهان عندما دخل عليها معرض الأثاث مستنجدا بها طالبا مساعدتها لشراء أثاث مكتب للمكتب الذي كان يحلم بولادته .. كان يقصد التعرف عليها والاحتكاك بها .. فتفرح وتملأ السعادة وجهها .

تراها الخادمة تخاطب الكتب ورفوف المكتبة ؛ كأنها تتحدث مع الزوج الغالي .. رغبوها بالسياحة في الأرض .. نزهة .. رحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المشرفة .. اعتذرت عن كل هذا فمنى كما يعلم القارئ العزيز قد قامت بأداء فريضة الحج والعمرة في حياة زوجها برهان كانت ترغب أن تعيش مع ذكرياته .. كانت سعادتها كل هذه السنوات على هذه الذكريات .

دخلت عليها ابنتها جميلة يوما قائلة : كيف حالك يا أمي الغالية ؟!

ـ بخير يا ابنتي .. أتصدقت عن والدك اليوم ؟

ـ نعم تصدقت بمائة دينار .. وخالي مالك ما زال ينفق على كل الأسر التي كان يساعدها والدنا الحبيب يا أمي الحبيبة .

ـ شكرا لكم جميعا .. مالك مثلي حزين لذهاب برهان كيف أطفالك ؟

ـ بخير يا أمي الغالية .. سيمر زوجي ليجلس معك مساء .

ـ يا مرحبا بكم .. هل عندك كلام ؟؟

ـ نعم يا أمي الغالية .. خالي الدكتور مالك رشحوه لمنصب رئيس الحزب .. وربما يشارك في انتخابات المجلس النيابي .. أحببت أن أقول لك ذلك الخبر .. ويشاع أن الحزب قد يشارك في الوزارة القادمة .

ـ مالك بطل مثل برهان .. ويستحق كل خير .. خالك إنسان عظيم يا جميلة !.. رحمك الله يا برهان .. كنت تحب أن تأتيني بأخبار مالك قبل أن تظهر .. كان أبوك برهان ذا ذكاء نادر .. ويستطيع كشف الأخبار بسرعة ، وربطها ببعض ويخرج بنتيجة تصدق غالبا .. رحمك الله يا برهان .. أسعيدة أنت مع زوجك ؟!

ـ نعم يا أمي الغالية .. أنا في غاية السعادة والحب مع محمد عبد الرحيم .

ـ نعم ، أجمل شيء في الكون الحياة الزوجية السعيدة .. إنها تخفف من مشاق وإرهاق العمل والحياة يا جميلة .. فحبي زوجك واخلصي له .. فأولاد الحاج محمود الدين وأحفاده أناس رائعون

وطيبون ويحترمون نساءهم وبناتهم .. لعله يكون كأبيك .. مع أنني لا أرى له مثيلا !

ـ أكيد يا أمي الغالية فأبي فارس ورجل عظيم !

وأخذت تكيل مدح أبيها الحبيب أمام أمها التي تحب سماع ذلك ، والأم تؤكد ذلك ، ثم

انسحبت البنت من عند أمها عندما حضر الأخوة من الخارج ، وذهبت تقول لأخيها الطبيب وهي تبكي بحرقة : يا خليل إنني أخاف على أمي الجنون والهلوسة !

قال خليل : لا تخافي ولا تبكي .. أمك لا شيء فيها .. فقد تحدثت مع عدد من الأطباء والأخصائيين النفسيين وعلماء الأمراض النفسية والعصبية ، كلهم أكد لي أنها طبيعية ، وإنما هي ترى راحتها في هذه الحياة .. وها أنتم ترون أنها تتحدث معنا وتسأل عنا وعن أخبارنا ، وتفرح لما نتحدث عن شيء مفرح ، وتحزن لما نحدثها عن شيء محزن .. وإن يبدو لنا أنها غير متفاعلة معنا كما كنا نعهدها قديما .. إنما الأمر أنها ملت الحياة بفقد برهان وأحست بفراغ كبير بفقده البدني .. فقد كان يشكل شيئا كبيرا في حياتها .. والإنسان عندما يفقد شيئا كبيرا يعز ويصعب نسيانه بسهولة ، فكيف إذا كان زوج مثل أبينا ؟! .. لا جنون هنالك ولا مرض نفسي وهذه الأعراض لا تشكل عليها أي خطر .. ولو كانت حالتها مرضا لزادت مع كل هذه السنوات التي مرت عليها .

مسحت الفتاة الدموع التي تساقطت أسفا وحزنا على أمها ، ودعت لأخيها بالتوفيق وقالت : أرجو ذلك يا أخي .. فأنا أحب أمي جدا .. وابن عمك زوجي محمد قادم الليلة للعشاء معكم والجلوس مع أمي .

ضحكوا وقال خليل : ونحن نحبها مثلك لن نقول أكثر منك .. فالحب هو الحياة ! .. وأهلا بأبي زكريا ..

وقد تزوج أولاد منى ذكورهم وإناثهم إلا صغيرهم إبراهيم ، وهي ما زالت تعيش في صومعتها وذكرياتها الخاصة مع برهان .. وقد تأقلم الأولاد وزوجاتهم على هذا الوضع .. تصمت طويلا ثم حديث عن برهان الميت .. كانوا يستغربون من حب منى للبقاء في البيت ، وكم كانت تكره الخروج ولو بضع ساعات .. حتى عندما تساق للعيادة أو المستشفى عندما توعك تشعر بتعب ونصب حتى ترجع إلى البيت فيعود لها الهدوء ويختفي التوتر .. وتعود الابتسامة ترتسم على وجهها الشاحب السارح .

كانت مسرورة في حياتها مع ذكرياتها .. كرروا عليها العودة للعمل والإدارة ووضعها في منصب رفيع بإحدى الوزارات كأمينة عامة .. فضحكت وقالت : سنة .. سنتان ثم ماذا ؟! لا دعوني في

صومعتي ومع كتب وأوراق سيدي برهان .. أنا شبعت من الدنيا .. أليس لي بيت وأولاد وأحفاد وتزوجت مرتين ؟! كفاية .. فلندع الفرصة لغيرنا .. أنا ما صدقت واستقلت من عمادة الكلية .

فيدركون أنها في وعيها الكامل .. فيلوذون بالصمت ، وتختفي الوسائل والمحاولات إلى وقت آخر لإخراجها من تقوقعها في بيتها .

قبل أن نودع أبطال قصتنا الذين عشنا معهم هذه الصفحات والأحداث الشخصية من حياتهم المديدة .. ندخل بكم إلى بيت السيد مالك ربيع أحد أشخاص هذه القصة .. كلنا يعرف مالكا ونعرف نشاطه المستمر منذ وعي على هذه الدنيا ، كانت زوجته هناء تجلس معه في شرفة البيت الحديث الذي أنشأه في حي برقوقة ، وكان والد هناء قد مات منذ أيام قليلة ، فقال لها : رحم الله الوالد يا أم برهان .. كان والدا لي ليس لك فحسب .. كان محبا لأمته ، وكان رائدا وطامعا أن يجعل الحزب حزب الأمة والشعب .. وقد تضايق من فشل الحزب في الانتخابات الأخيرة ، ومن عدم تحقيق الحزب لمقاعد تليق بالحزب العريق .. لقد بذلنا جهدا جبارا ؛ ولكن الناس لم يروا ويقدروا هذه الجهود .

فقالت الطبية هناء الواعية للحس السياسي في البلد منذ نعومة أظفارها لحياتها في بيت تشغله السياسة: هناك أخطاء كان على أبي ـ رحمه الله ـ أن يدركها ويتنبه لها .. فالتغيير متسارع في المدينة والمدنية ، وبين الناس وبين الطلاب والعمال.. فالأجور تتضاءل أمام الاستهلاك الكبير.. فالسلع كثيرة والخدمات أكثر وأصبحت مهمة لحياة الناس ورفاهيتهم .. والأجور لم تعد تغطي الكثير من هذه الخدمات والسلع

ـ ولكننا بذلنا جهودا جبارة في تحسين أوضاع العمال والصناع.. واستيراد مواد رخيصة ونظيفة

ـ وأذكر أن التنافس الحزبي كان شديدا في هذا الموسم .. الخدمات الاجتماعية أيضا أصابها ضعف وترهل يا مالك .. لا يجب أن تعتمدوا على تاريخ الحزب وماضي الحزب .. التجدد مطلوب بين كل زمن وآخر

ـ هناك عدة لجان قامت لدراسة أسباب الخفوق الكبير في الشارع .. فرحم الله الوالد عبد الكريم لقد أثرت نتائج الحزب على صحته ونفسيته

ـ رحمه الله .. المهم أن لا تتأثر أنت بالهزيمة التي حدثت ، وعليك أن تعيد تقييم نفسك ودورك أنا استغربت لعدم ترشحك في هذه الدورة .. مع أنك أذعت رغبتك بذلك .

قال: للأسف أنا كنت أعرف نقاط الضعف عندنا ، وحاولت من خلال الصحيفة إرسال رسائل لمجلس قيادة الحزب .. لكنهم لم يسمعوا شيئا .. لم

يعد بعضنا يقرأ لبعض .. شبعنا أو مللنا من القراءة .. فلذت بالصمت حتى تنقشع هذه الجولة .. ولما خيبت النتائج الآمال ، بعضهم صحي وبعضهم ما زال يكابر .. ثم كان قرار عدم المشاركة في أي حكومة جديدة حتى يعود للحزب حيويته وحضوره الشعبي .. ثم جاء موت الوالد العزيز!

ـ سمعت من نضال أنه سيحدث تغير كبير في قيادة وإدارة الحزب!

ضحك برهان وقال : ولكنه تغيير رؤوس بدون تغيير فكر وأساليب فذا لا يحل الضعف الموجود فينا .. فالحماس وحده أحيانا كثيرة لا ينفع .

ـ تحدث مع نضال فربما استفاد من ملاحظاتك .

ـ تحدثت معه كثيرا .. فأخوك يحب أن يسير على خطى والدك ، وهو إرضاء جميع الأعضاء والقيادات .. وعدم قطع الخطوط مع الشباب والكبار .. وأنا أخشى إذا لم يحدث تغيير جدي في بنية الحزب أن نخسر في الانتخابات القادمة خسارة أكبر وأشد من هذه التي وقعت منذ شهور ، ونفشل فشلا ذريعا إذا بقي الصراع الخفي بيننا .. يستغل البعض مرونة الأنظمة والتعاليم للعبث وتحقيق مأرب شخصية .

اهتزت هناء لم يتفوه به مالك وقالت : الوضع خطير إذن !.. تناقش مع نضال وأخي الأكبر عزمي وغيره من الشباب الصاعد .. فقد زادت الأحزاب في البلد .

ـ أخشى أن يفسر ذلك على غير محله ، وعلى أنه رغبة في الانشقاق والابتعاد .. ولكن سأحاول صادقا وأحاول .. فضعف الحزب موت لنا

ـ إن شاء الله سيتحسن الحال .. فكافأتك معروفة للجميع .

تبسم مالك وقال : الكفاءة جيدة وممتازة ؛ لكن الآخرين أحيانا لا تعجبهم هذه الكفاءة ، ويحبون الإصرار على تحجيم الآخرين .. حتى أن بعضهم لا يحب الانتقاد الذي أعرض به في الصحف والمجلات ويتهمون ويتهمون ..

ـ حاول أيها الحبيب ..أنا واثقة من قدرتك ومن أساليبك الذكية لتحقيق الغايات الكبرى .. فقد سمعت أبي يوما يقول إنك أمل الحزب في المستقبل

ـ أرجو ذلك يا أم برهان .. تحدث معي من أيام ـ أثناء عزاء والدك ـ ابن خالك عماد ..

ـ ما رأيك بأن ندعوه وأخته (علا) وخالي للغداء معنا غدا .

ـ تحدثت معه ومع ابنة خالك بذلك ؛ ولكنهم اعتذروا بأن وقتهم ضيق ، فهم جاءوا لعزاء أمك أولا ثم أنتم .. وأثناء لقائي بابنة خالك طلبت مني كتابا جديدا لترجمته ونشره في أوروبا فتركت هذا

الأمر لك لتختاري بعضا من الكتب المتوسطة الحجم التي الفتها لتقوم هي بترجمتها وطبعها ونشرها ..

ـ سأتحدث مع خالي ثانية وأدعوه للعشاء معنا غدا

ـ افعلي .. فهي فرصة للقاء الأولاد بهم .. فهم يذكرونهم من أيام بريطانيا .. وكثيرا ما يسألني عنهم برهان .

نهضت هناء واتصلت ببيت أهلها سائلة عن خالها ، فلم تجده ولا أولاده ، فقد ذهبوا للفندق فإنه يحب المبيت في الفندق .. اتصلت بالفندق فقيل لها إنه لم يحضر بل خرج مع ولديه في مشوار فتركت هاتف منزلها عند موظف الاستقبال قائلة : إذا سمحت دعهم يتصلون بهذا الرقم !

وعادت للجلوس وهي تقول : عندما يأتون سأحاول أن أقنع ابنة خالي بزيارة الدكتورة منى أم خليل .. كانت منى عندما تقرأ في الكتاب الذي ترجمناه لك قديما تحب أن تتعرف على مشاركتي في الترجمة ، وتقول ضاحكة : أنا خريجة إنجليزي وقضيت سنوات عمري في الترجمة وللأسف لم أترجم لأخي أي كتابفأضحك وأقول لها الحظ يا أخت الحبيب

قال مالك : والله فكرة ! يا هناء ! لماذا لا أطلب منها ترجمة كتاب .. فأنا لدي كتاب في القانون لم يترجم ولم يطبع !

ـ كتاب في القانون .. ما هو هذا الكتاب الذي لم يطبع ؟!

ـ مجموعة محاضرات كنت قد ألقيتها في إحدى الجامعات .. عن أهمية القانون في حياة الناس وأهمية الالتزام بالقانون لتحقيق العدالة في الأرض .. مع مقارنات فقهية أصولية .

ـ حاول .. إن منى ـ رضي الله عنها ـ لا تحب أن تخرج من حياتها مع برهان رحمه الله .. مع أنها موقنة بموته ورحيله .. تعيش معه لليوم !

إبراهيم برهان

قامت هناء وابنة خالها علا بزيارة الدكتورة منى ، ولما عرفت منى زائرتها انبسطت ورحبت بها ترحيبا حارا ، وقالت : يا سلام ! .. نحن التقينا في لندن على ما أذكر ، وإن كان وقت اللقاء قصيرا ؟!

هتفت هناء فرحة بتذكر منى وقالت : يا الله ! فعلا قد التقيتها ، أنا ظننت أنها أول مرة تلتقيان

ردت منى : لا ، نحن التقينا مرة أثناء علاج برهان في بريطانيا بعد الحادث الذي أتعبه وكان لقاؤنا قصيرا .. فأهلا بمترجمات كتب أخي مالك .

ولما شربوا الشاي نزلت بهم منى إلى إحدى حدائق القصر ، ولما جلسوا ، قالت منى : لقد كان العزيز برهان يحب كل مساء أن يجلس هنا .. ونذهب في تذكر أول أيام التقينا بها !

عزت الضيفة منى بوفاة زوجها ، وإن كان العزاء متأخرا ، فقالت منى : نحن قد تلقينا برقية عزاء منكم ، أنا ما زلت بوعي الكامل يا (أخت علا) ربما أساء أحدهم لي وذكر لك أنني أهذي أو مجنونة !

ضحكن وقال الضيفة : لا ، الكل يحبك يا منى ، ويحبون السيد برهان .. لكني أحببت اللقاء بك ؛ لأنني مسافرة عن قريب ، وقد أخذت بعض كتب أخيك لترجمتها ونشرها هناك ..

هناء قالت هنا : منى يا حبيبتي .. لا أحد يقول عنك كلاما سيئا ، بل كلنا يقدر لك هذا الوفاء العجيب والحب الكبير .. والأخ برهان كنا نحبه في الله ونقدره .. فلا تهتمي بغمز وإشارات الناس

ضحكت منى وهي ترد : أنا لا أزعل منك أبدا يا هناء ! أنت عزيزة عليّ .. وأنا أحبك في الله أنا كنت أريد أن أقول أن بعضهم يهمس بأنني فقدت عقلي بعد موت زوجي .. فهذا غير صحيح ؛ ولكني زهدت في هذه الدنيا ، وما زلت أعيش مع سيدي برهان بروحه .. فإذا فارقنا الجسد فالروح معي !

وبعد دندنة متفرقة قالت هناء : أختي منى! أبو برهان أخوك المحب لك يريد منك أن تترجمي له مجموعة من المحاضرات القانونية تذكرك وهو يدفع بعض كتبه لعلا ، ويريد أن نتقاسم العمل أنا وأنت فما تقولين ؟!

تبسمت منى للاقتراح وقالت : على الرحب والسعة .. هاتيها ، أنا عندي وقت فراغ ، فأترجمها وأنت تدققينها .

فرحت هناء وضيفتها بقبول منى السريع للعرض ، وقالت هناء : رائعة أنت ! .. الآن سأتحدث مع مالك .. فهو كان مستحيي أن يفاتحك بهذا الموضوع ، خشي أن تضعيه في غير محله .

ـ مالك لا يرد ولا يكسف يا هناء .. لقد كان حبيب برهان ، وسمى ابنه ببرهان ، فهذا يحسب له .. ولي أيام لم أرَ الشاب .. إنه حبيبي يا هناء وأحب أن أراه دائما !

ـ وهو يحبك ، ويفخر بك ، ويرى أنك أحلى وأكبر عمة في الدنيا ..

تركتهم هناء يتحدثون ، ومشت نحو الهاتف ، وتحدثت مع زوجها الذي فرح فرحا كبيرا ولبى النداء سريعا .

وبالفعل قامت منى بترجمة المحاضرات أمام دهشة محبيها ، وأشرفت هناء على تدقيقها ومراجعتها فوجدتها في أحسن ترجمة، وسعد مالك من النتيجة ، وقال: أرأيت أنها بكامل وعيها ولكنها لا تريد أن تعيش الواقع أحبت أن تبقى في ماضيها .. كأن الزمن عندها وقف أو توقف عند موت الحبيب أبي خليل فقط ، ولم يعد يتقدم .. سأدفع هذه الترجمة

للطباعة فورا ، لعل طلبة كليات الحقوق ينتفعون بها فيها .. ولتبق منى تعيش حياتها الخاصة كما تشاء ..

كان أولاد منى أيضا فرحين من ترجمة أمهم لمحاضرات خالهم ، فقد كان هاجس يقلقهم على ذهاب عقل أمهم ، وإنها تتصرف لا إراديا .. ولكن ترجمتها لهذه المحاضرات وتأكيد هناء لدقة ترجمتها أعاد للجميع الثقة والطمأنينة أن ذاكرتها طبيعية وسليمة ؛ ولكن كما قال مالك لا تريد أن تعيش الواقع

ولما سأل مالك أحد علماء الطب النفسي عن هذه النتيجة ، قال له : هذا يؤكد أنها مدركة تماما لم يجري حولها ، وأنها تحب هذا العمل حبا كبيرا ـ أقصد الترجمة ـ وهذا يؤكد ـ كما قلت لك أكثر من مرة سابقا ـ قدرتها العقلية الكاملة ، وإنما هي ما زالت تعيش لحظات الفراق التي ألمت بها .. لا تريد نسيان هذا الزوج ولو للحظة .. فاطمئن يا صديقي ولا تقلق .

عاد الهدوء من جديد للأسرة ومحبي السيدة منى ، وانشغل مالك بالحزب ومشاكله وانفضاض الكثير من الجماهير عنه .. وكتب عدة مقالات حادة ، ونشر أفكاره وملاحظاته في الصحف العاملة ، ومع ذلك النشاط المحموم تعرض الحزب لنكسة أخرى في الانتخابات التي حصلت ولم يتقدم على الصفوف كما كان في السنين القديمة أيام شبابه .. فبعد أن هدأت عاصفة الانتخابات الأخيرة والنتائج القاسية ، اجتمعت قيادات الحزب الذي ينشط فيه مالك ربيع ، وبعد قراءة تقارير مختلفة قدمت من باحثين وناشطين في الحزب ، تقرر أن تشكل زعامة جديدة للحزب ، وأن تحال وجوه قديمة وكبيرة في العمر على التقاعد .. وفي هذه الثورة الداخلية اعتلى مالك قيادة الحزب وأصبح نضال عبد الكريم نائبه ، وشكل مجلس زعامة من الوجوه الجديدة والناشطة في الحزب ، وكثفت الاجتماعات والأبحاث والدراسات لتجديد نشاط الحزب وعودته للتقدم للإمام أكثر .. وكان الشبان الجدد ينتظرون الانتخابات القادمة على نار ليروا هل لأفكارهم وأعمالهم ومشاريعهم قد وجدت قبولا قويا

داخل الحزب وخارجه .. وقد اتخذ قرار هام في داخل لوائح الحزب أن القيادة الجديدة إذا فشلت بالوصول لمراكز متقدمة بالحزب أن ينسحبوا لوجوه جديدة أخرى .. وأخذ مالك يعد نفسه لترشيح نفسه عن منطقته نائبا وممثلا لهم وللحزب في دائرته الانتخابية .

وقبل أن تأتي الانتخابات العامة المنتظرة للقيادة الجديدة ، حدثت انتخابات نقابية للمحامين ،

ودخل ابن المهندس ربيع الأستاذ المحامي زياد الذي أنهى المحاماة كعمه في إحدى قوائم التنافس على مجلس النقابة ، وفعلا حقق فوزا طيبا سر به عمه ووالده وحتى عمته منى اتصلت
به مهنئة وباركت له هذا النجاح على غير عادتها منذ سنوات .
وكانت عائلة ربيع تحب لو تخرج منى لحياتها التي كانت عليها قبل موت برهان وأحب بعض أحفاد منير فرفر مناسبة ربيع ربيع ، فاعتذر لهم ، وناسبوا الأستاذ عدنان ابن صبرية أخت خليل وأختهم .
كان لربيع ساعد بنت ـ وهي الصغرى عنده ـ كان لديه هوى وميل بتزويجها من ابن أخته منى الصغير إبراهيم ، وهو آخر أولاد منى ، فقد تزوج خليل ومحمد وزهرة وجميلة ، ولم يبق إلا هو والذي شارف على إنهاء الجامعة .
والشاب لم يظهر ممانعة لهذه الرغبة التي قالها خاله أمامه كثيرا ، وإن كان هواه أن يتزوج من بنات خاله مالك ، لم يعلمه من حب خاله لوالده ، وحب والده لخاله مالك أيام حياته ، ولم سمع عنهما من الصداقة والإخاء
وكانت منى كما علمنا ذاهلة عن هذه الأمور.. وتركت الشباب يتزوجون كما يحبون ويرغبون ولم تحشر نفسها في شيء من ذلك ، وقبل الأولاد منها ذلك .. فذات مرة تحدث ربيع مع ابن أخته إبراهيم بموضوع الزواج من ابنته ، فارتبك الشاب وقال : لا أدري يا خال .. هلا حدثت أمي بذلك ؟!
ـ سأفعل يا بني !
وكان إبراهيم يعلم أن ابنة خاله لا تريده ، وهي التي صارحته بذلك الأمر دون مواربة ؛ ولكنه لا يريد أن يشعر خاله بأن الرفض منه ، يريد من الفتاة أن تقول لأبيها ، فرد على خاله لما قال سأفعل يا بني قال : يا خال هل شاورت سعاد ربما لا ترغب بالزواج مني ؟!
ضحك ربيع وقال وهو ينظر لزوجته ؛ وكأنه واثق من قبول ابنته: البنات عندنا مع أننا نترك
لهن الحرية في الاختيار يقبلن ما نختاره لهن .. فكذا مرة ذكرت أمامها رغبتي بتزويجك منها ولم تمانع .. ابشر بها إن شاء الله !
بالطبع دهش إبراهيم لثقة خاله بابنته ، فهي التي ترجته أن يعتذر من خطبتها، وهو أصلا لا يريدها ، إنه يحلم بابنة خاله مالك الحسناء هند فعاد يقول : حدث أمي بالأمر والبنت !
فقال ربيع : قريبا بإذن الله .
ولما غادر الشاب بيت خاله تحدث ربيع مع البنت التي ما زالت على مقاعد الدرس مثل إبراهيم فلحظ أنها لم توافق كما تفعل كل مرة فاستغرب ، فقالت لها أمها : مالك ؟!

ـ أنا لا أريد الزواج اليوم ، وأنا وإبراهيم ما زلنا نتعلم .

ـ سيتخرج هذا الفصل ، وأبوك راغب بمد الجذور بيننا وبينهم .

ـ ليس على حسابي يا أمي !

صعق الأب وقال دهشا : هل من عيب في ابن عمتك؟!.. فقريبا سيتخرج من كلية الطب ، ويصبح طبيبا ثم سيسافر لبريطانيا للاختصاص والعالمية في الطب ، وسوف يعمل مع أخيه في المستشفى !

ـ أنا لا أرغبه ولا أحبه ! أنظر إليه يا أبي كأحد إخوتي !

قالت الأم : عجيب يا سعاد! والله يا بنت كنا نحسب ونرى أنك كنت موافقة في الماضي .. هل أغضبك بشيء ؟ أو طلب منك شيئا ؟! حتى أنني دهشت عندما طلب إبراهيم أخذ رأيك .. هل من شيء بينكم اصدقينا الحديث ولن نجبرك على شيء ؟!

ـ لا أريده فقط .. لا أريده زوجا !

ـ لماذا يا بنية ؟ هل قال لك ذلك ؟!

ـ لأ .. هو الأمر إليه عادي ، تزوجني أو تزوج أي فتاة أخرى .

فقال ربيع : ما الأمر يا سعاد قبل أن أتحدث مع أختي أم خليل ؟!

ـ هو أخي فقط فليتزوج غيري !

صاح ربيع مخاطبا زوجته : اذهبي بها ، فسعاد خجلة من الكلام أمامي ، قد يكون لديها كلام خاص فلا تحب أن يسمعه أبوها .

نهضت أم ساعد المستغربة لمفاجأة ابنتها قائلة بغضب خفيف : اتبعيني نحن قبل قليل حدثنا إبراهيم بالزواج منك !

احتار ربيع في تفسير ما كان ، فكان كلما حدثها عن إبراهيم تبدي ابتسامتها وراحتها .. ما الذي جد ؟! هل تعلقت بشاب من شباب الجامعة ؟!

ولما عاد إبراهيم للبيت صعد إلى المكتبة حيث تحب أمه الجلوس فقال لها بعدما حياها ما تحدث به خاله ربيع .. ثم صارحها برغبته بابنة خاله مالك الآنسة هند .

لزمت الأم الصمت ولم تعلق ، هي لم تتدخل في زواج أي ولد من أولادها ذكورا وإناثا .. الأربعة الأكبر من إبراهيم ، فلما لاحظ الشاب صمت أمه انصرف إلى حجرته مستغربا من صمت أمه ولما رجع أخوه من المستشفى تحدث معه في مشكلة ابنة خاله ربيع ، فقال له : عندما يتحدث معنا خالنا ربيع في الموضوع نرد عليه .

ـ أنا تحدثت مع سعاد وقالت مباشرة وجها لوجه أنا لا أريدك زوجا .. وقلت لها وأنا مثلك لا أريدك زوجة .. ولكن خالي الطيب راغب بشدة

بهذه المصاهرة !

ـ وهل تكلمت مع أمك بذلك ؟!

ـ نعم ؛ ولكنها لم تقل شيئا.. لزمت الصمت فتركتها .. أتحدث معها ثانية ؟!

ـ علينا الآن بالصمت يا إبراهيم حتى يتكلم معنا أبو ساعد .. لأننا لو حدثنا خالنا مالكا برغبتك قد يرفض أو يترك الرد .. لأن الكل يعرف أن الخال ربيعا راغب بتزويجك ابنته منذ دخلت الجامعة .

ـ حسنا سأصمت !

ـ لأننا نحرج أنفسنا مع أخوالنا .. فما دامت البنت لا تريدك سينتهي الإشكال من عندهم .. دع الحل للأيام والصبر فرج .

ـ سامح الله خالي .. كان من المفروض أن لا يتكلم بمثل هذا الكلام .

ـ هذا من حبه لأمك .. فكلنا تزوج من أقارب الوالد ـ رحمه الله ـ أنا ومحمد وزهرة وجميلة ولم يبق إلا أنت .. فالناس كما تعلم تقوي من الصلات والعلاقات الاجتماعية بالمصاهرة والزواج فكما تزوج ابنه من ابنة عمته حنين ، يريد أن يعطي ابنته لك .. هذا قصد خالك ربيع .. فالمشكلة سهلة ، وهذا زواج وليس لعب عيال .. إذا لم يكن برضى الطرفين ، فستكون الحياة الزوجية صعبة وشاقة .. فإذا عرف خالي برغبتك من الزواج من ابنة أخيه مالك سيفرح ويسر ويصرف نظر عن ابنته .. ولكن وكما تقول إن البنت غير راغبة بالزواج حاليا ستصارح هي والدها أو أمها وينتهي موضوعها .

ـ تكلم معه في ذلك ، قل له سعاد لا تريده .. وإنها صارحت إبراهيم بذلك ..

ـ الله سيسهل ولا تنزعج .

ـ أنا لست منزعجا ؛ ولكن من العيب أن يتزوج الإنسان فتاه لا تتقبله ، فلو لم تقل بلسانها ؛ ربما صمت ورضيت بتحقيق رغبة خالي .

ـ الله يفعل ما يشاء أيها الأخ العزيز .. اذهب الآن واجلس مع أمك ، وسآتيك أنا وزوجتي للجلوس معكم .

ـ شكرا !

زواج إبراهيم

اتصل المهندس ربيع بابن أخته إبراهيم الطالب في كلية الطب ، وطلب لقاءه بعدما رأى رفض ابنته له ، فذهب الشاب على حسب الموعد بينهما ، ودخل فلقي الفتاة في وجهه فحياها باسما وقال مستفسرا : آ يا سعاد أين الوالدان ؟!

ـ إنهم في انتظارك يا ابن العمة الغالية .. أنا ذكرت لهم أنني لا أريدك زوجا .. لا تزعل مني !

ـ أبدا يا سعاد!.. أنا سمعت هذا الكلام منك سابقا .. ولم أسألك لماذا ؟! .. فأنا لا تفكرين أنني

مستعجل على الزواج نفسه يا غالية .. إنما أريد الزواج من أجل السفر والدراسة في الخارج كما فعل خالي مالك .. فنساء أوروبا كما يقال مثيرات للغرائز والجنس.. قلت أتزوج قبل السفر .. وأنا لولا رغبة والدك خالي العزيز ما تكلمت معك في الموضوع .

ـ المهم يا ابن عمتي الغالية لا تزعل مني .. والآن ادخل على خالك وأمي ، وسيقولان لك عن عدم رغبتي بالزواج في الوقت الحالي ، ولو تصبر بضع سنين حتى أتخرج ومن نحو هذا الكلام

ـ سلام الله عليك .

ودخلت في إحدى زوايا البيت ، وصعد الشاب إبراهيم برهان إلى المكان الذي يحب أن يجلس فيه خاله ربيع .. وسلم عليه وعلى زوجته أم ساعد ، وألقى نفسه على مقعد مريح ، وأجاب عن أسئلة خاله عن حال أمه وإخوته كلهم، ثم قال ربيع: يا إبراهيم يا ابن أختي العزيزة والكريمة لماذا أنت مستعجل على الزواج ؟! ألا تصبر بضع سنين حتى تعود من أوروبا ؟! وتكون سعاد قد أنهت وخلصت جامعتها ؟!

ورددت الزوجة مثل هذا الكلام ، فتبسم إبراهيم وهو يرد عليهما : يا خال ! ويا امرأة خالي أم ساعد! أنا لما حدثت أختي خليلا عن الزواج ؛ لأنني أريد أن أذهب في طلب العلم وتحصيل الشهادة الخاصة في الجراحة الخاصة والاختصاص الطبي والزمالة البريطانية وأنا متزوج .. والزواج حصن وعفة للرجال الأشراف يا خال .. ولما أنت لمحت لي قديما برغبتك بمناسبة أمي والعائلة ، وأن سعاد زوجة مناسبة لي تقبلت الأمر .. فأنا لا تهمني من تكون امرأتي!! إلا أن تكون حسناء ، مربية بصورة طيبة ، ومتعلمة ومتدينة .. وتأملت سعاد فوجدت أن ذلك فيها ؛ ولكني لمست في الآونة الأخيرة عدم رغبتها بالزواج.. فلما حدثتني في المرة السابقة طلبت منك الحديث معها قبل أمي !

ـ والله يا إبراهيم أنا أقدر هذا الكلام الجيد منك .. وفعلا من الحكمة وبعد النظر أن يحصن المسلم نفسه بالزواج قبل السفر إلى تلك الديار ، ذا خير وفضل وسد للذريعة .. وفيه المصلحة والخير ، أنا لدي رغبة كبيرة أن تقترب من العائلة لأن كل إخوتك تزوجوا من أقارب والدهم رحمه الله رحمة واسعة .. وغدا عندما نفارق نحن هذه الدنيا ستبتعدون عنا وعن أهل أمكم .. فمن هذا الجانب رأيت أن نكسبك ونعيد التقارب بين العائلتين .. فغدا عندما نهلك أنا ومنى ستضعف صلتكم بأولاد خالك .. فالزواج يقرب هذه العلاقة ويجددها .

ـ وأنا يا خال رضيت من هذا الباب ؛ لأنني فعلا أسعى أن أقترب منكم ، ومن أجل حبي لأمي التي

ما زالت تحيا على ذكريات الماضي عافاها الله من كل سقم.. أرغب أن أكون صهرا لكم !

قالت زوجة ربيع : أنت شاب صريح يا إبراهيم ! .. ألا تدري لماذا لا تريد سعاد الزواج منك

تبسم الشاب الدكتور وقال: أنا لاحظت ـ كما قلت قبل قليل ـ تردد سعاد بالقبول بي كزوج فصارحتها بذلك الإحساس والشعور .. فقالت لا تزعل يا ابن عمتي أنا غير مستعجلة على الزواج ، وأنا أقدرك وأحبك وأحب أمك وأبي وأمي وإخوتي.. أحبكم كلكم ؛ ولكن الزواج لست مستعجلة في شأنه فسكت دقائق ثم قلت لها ولكني أنا مستعجل سأتزوج قبل السفر، وتركت الأمر لكما لعلكما تقنعانها بالرضا ؛ ولكنها مصرة على عدم الزواج اليوم.. وأنا آسف يا خالي ويا امرأة خالي، أنا مضطر للزواج من غيرها .. لا أستطيع الانتظار سأتزوج غيرها ..

فقالت : كلامك ممتاز ورائع يا إبراهيم وصريح فعلا .. ونحن لا نغضب منك .. يعني أن سعاد هي لا تريدك ليس أنت .. ليس بينكما اتفاق وإنك لا تريدها ؟!

ضحك إبراهيم لوجهة نظر امرأة خاله وقال : لا ، ليس هناك مؤامرة !

فقالت بصراحة : أتحب سعاد شابا آخر ؟!

ـ أشكرك يا زوجة خالي على سؤالك هذا .. ذكرت لها ذلك ، كنت معها صريحا يا خالي ، وأقسمت لي أنها لا تحب شابا أو طالبا معها في الجامعة ، إنما هي تحب أن تعيش وحيدة حتى حين ، ثم فيما بعد تفكر بالزواج والحب والغرام .. هذا ما أقسمت عليه .. وأنا ليست في حياتي امرأة معينة ، أنا لا أسمح لنفسي بذلك يا أم ساعد !

فقال ربيع : بارك الله فيك يا إبراهيم .. أنت الآن أعدت السكينة لقلوبنا .. نحن نخاف ونقلق من عبث البنات في سنوات الدراسة والجامعة .. فأنا كنت أرى أنها معجبة بك وراغبة بك أهلا لها!

فقطع وقال : وما زالت يا خال! ولكنها لا ترى الزواج في الوقت الحالي ، وهي حرة ، نحن في زمن الحرية كما يقولون ، لم يعد يجدي الضغط على البنات للاقتران بمن لا يرغبن .

وخيم الصمت لحظات على الثلاثة ، فقالت المرأة قاطعة الصمت : أمصر على الزواج يا إبراهيم ولا تريد الانتظار؟ فلربما غيرت سعاد رأيها بعد تخرجها .. فخالك ربيع يحبكم ووضح لك وجهة نظره وغايته من هذا الزواج .. وأنت أيضا بينت وجهة نظرك فمعه حق ومعك حق .. ونحن نثق بأنك ستعف نفسك عن بنات الإنجليز وغير الإنجليز هناك!

ـ هذا أكيد بفضل من الله ؛ ولكني يا أم ساعد راغب في النكاح .. أنا عمري خمس وعشرون سنة

يا امرأة خالي .. وأنا ذاهب لهناك لقضاء ربما خمس سنوات فأكثر ، فسوف أتخصص كما تعلمون في جراحة القلب ، وقد أعمل هناك بضع سنين أخرى .. فالحياة الزوجية استقرار وأمان .

فعادت امرأته خاله تقول : ولكن لو تزوجتك سعاد فهي ما زالت تدرس وأمامها سنتان جامعة سوى هذه السنة .

ـ تكمل هناك أو تدرس من جديد وشهادات بريطانيا مقبولة في كل دول العالم !

عندئذ قال ربيع : أنا أعتذر لك يا ابن أختي عما وعدتك به سابقا ، نادي ابنتك يا أم ساعد .. وأنا كان مناي أن تكون صهرا لي وختنا ؛ ولكن الأمر كله بيد الله مولانا عز وجل .

نادت الأم ابنتها سعاد التي أقبلت باسمة وقالت: آ.. ماذا تريدون أن تسمعوني من قرارات ؟!

رفعت أمها صوتها في وجهها وقالت : تعالي اجلسي !

فلما أخذت مجلسها بينهم قال ربيع : لا أعلق على كلامك وتهكمك .. أنا اعتذرت لابن عمتك عن الوعود والكلام الذي أسمعته إياه .. وكما يقال كل شيء بقدر.. وأعاد لي كلامه عنك ثقتي بك ، فأنا خشيت أن تكوني جاهلة وساذجة وتضحين بابن عمتك الطبيب الباهر من أجل تعرفك بشاب في الجامعة ، ووعدك بأحلام وأوهام وسيارات وعمارات .

وقبل أن ترد سعاد قال إبراهيم : اطمئن يا خالي .. الأخت الفاضلة سعاد طمأنتني جدا وأقسمت أمامي أنها ترفضني ؛ لأنها ما زالت صغيرة على الزواج ومسؤولياته .. أليس كذلك يا سعاد ؟!

ـ بلى يا ابن عمتي الكريمة .. فأنا لو رفضت الاقتران من أجل شاب ضحك عليّ وغرر بي لصارحتك يا إبراهيم! وقد أخفي ذلك عن والديّ ولكن عنك لا أستطيع ، إنني أجلك وأقدرك .

قال ربيع وقد تذكر الماضي البعيد : ذكرتموني ببرهان ـ رحمه الله ـ ووالدتك يا إبراهيم .. كانت أختي منى معه امرأة عجيبة .. أنتم لا تعرفون منى قبل أن تتزوج من أبيك ، ربما سمعتم شيئا يسيرا .. ومع أننا لم نسمع أنه رفع صوته عليها في يوم ما ؛ ولكنه سحرها وقلبها رأسا على عقب رأينا منى أخرى .. وكنت أنا ربيع الابن الكبير لساعد أخاف وأتحاشى من مناقشتها ومجادلتها وهي أكبر مني سنا .. ولكن المرحوم ـ رحمه الله ـ جعل منها صورة أخرى اذهب لخالك مالك فهو يستطيع أن يحدث عنها أحسن مني ؛ لأنهما كانا كثيرا الشجار والقتال ، فأقف أنا وأمي ـ رحمها الله ـ حائرين لا حول لنا ولا قوة .. أو اذهب إلى خالتك حنين ، فهي كانت دائما من صف مالك ، وتغضب منى كثيرا ولا تهتم بشعورها وأحاسيسها .. رحمك الله

يا برهان .
وبكى الرجل وهو يتذكر تلك الأيام الصعبة ، وتأثر الجميع ، فبكت المرأة فهي تعرف ابنة عمتها منى جيدا ، وذرف الطبيب إبراهيم الدموع ، فقد مات والده وهو طفل صغير لم يغرف من حب أبيه كثيرا .. ومسحت سعاد دموعها ، وبعد حين قال إبراهيم : رحمك الله يا أبي! .. شكرا لكم على هذا الحب والإعجاب بوالدي .. سأنسحب يا خالي .
ـ لا ، أنا دعوتك على العشاء ولم ننس .. وامرأة خالك لديها عروس أحسن من ابنتنا !
قالت سعاد باسمة: أحسن مني أنا يا أبي! من هي هذه التي هي أحسن مني ؟!
قالت الأم : سعاد أيضا اسمها ابنة أخي حسان .. أتعرفينها يا سعاد ؟!
صاحت سعاد وهي مستغربة لسؤال أمها : وكيف لا أعرفها ؟! ألا أعرف ابنة خالي؟! والله حلوة يا إبراهيم ، وهي على وشك التخرج حسب علمي .. بضعة أشهر وتتخرج ، ويمكنها أن تلحق بك !
ضحك إبراهيم وقال مداعبا : سعاد زوجتني سعاد وسفرتني وألحقتها بي ! .. أنا أحب المزح معك يا سعاد .. اعذرني يا خال واعذريني يا أم ساعد .. أنا سأفرح قلبكم .. أنا كاشفت أخي خليلا ، وذكرت له قبل مجيء إليكم أن ابنة خالي سعاد لا ترغب بالزواج في هذه الفترة مني أو من غيري ، إنها صارحتني بذلك ؛ ولكنه طلب منى الصبر والتريث .. وقال إذا أصرت الفتاة على رفضك سنطلب لك ابنة خالك مالك الآنسة هند
فصاحت سعاد ثانية : هند! ولكنها صغيرة .. طفلة !
لم يعر أحد ملاحظة سعاد اهتماما ، وقال ربيع كأنه عاد للواقع : والله فكرة يا إبراهيم .. أليس كذلك يا أم ساعد ؟!
ـ فكرة جيدة ! إذا وافقت أمها على زواجها ، فمالك أبو برهان لن يرفض ، فنحن نعرف مقدار حبه لبرهان ـ رحمه الله ـ وسيقدمها لك على طبق من ذهب ، ولكن الأم وابنتها أتقبلان بك زوجا ؟!
فقال ربيع : لا أدري والله يا ابن أختي .. وإذا وافقوا كيف ستتزوجها قبل إنهاء الدراسة الثانوية
قال إبراهيم : الثانوية كما أعلم لم يبق لها إلا شهور ، وأنا بعدي لم أتخرج أمامي أيضا بضعة شهور المهم أن يوافقوا وسأدع خليل يتحدث معك لتتحدثا مع خالي مالك وعائلته .. أنا أحب أن أقترب منكم يا خال !
قال ربيع متحمسا للفكرة : ابشر .. مالك كما قالت أم ساعد سيسر بهذا النسب مثلي بل أكثر مني .. المشكلة البنت أتقبل بالزواج ؟ فهي في سن صغيرة ؛ فإذا سعاد الكبيرة والناضجة .. تريد الزواج بعد الدراسة والجامعة !

واختلط الحديث والحوار بينهم وقال في نهايته إبراهيم : تركت شأن الحديث في هذا الموضوع بين يديك يا خالي وأخي خليل ..وأنت يا سعاد احذري أن تتكلمي مع البنت قبل أن يفاتحهم أبوك بالموضوع .. والليلة بعد انصرافي سأحدث أمي بذلك وأخي خليلا .

فقال ربيع : الله يتمم على خير .. والله نحن سعيدون لو تم هذا النسب يا ابن أختي.. نحن نحب أن تبقى رائحة برهان الأخ الحبيب حولنا ، فنحن أحببناه ونبجله .. وله محبة كبيرة وعظيمة عند خالك مالك ، وإذا شئت سأتصل به في هذه اللحظة وندعوه للعشاء معنا ونفتح معه الكلام ليقنع ابنته وزوجته .

ـ إذن اتصل مع أخي خليل .. أو أنا أتحدث معه وأشرح له الموقف .

ـ افعل .. وأنا سوف ادعوه لمشاركتنا العشاء .

ضحكت سعاد وهي تقول : مبارك يا إبراهيم .. لا تحقد عليّ !

ـ لا اطمئني ، أنت ستبقين ابنة خالي يا لئيمة !

رواية اجتماعية

غربتي وابنتي ٥

ارحم أباك

ذهب ميلاد عادل في زيارة لمحله القديم حيث باع حصته لشريكه حميد نبيل ، وبعد التعانق والترحيب والسؤال عن الحال والصحة قال حميد ناصحا لابن عمه شريكه السابق : ويلك يا عم ميلاد ألا تريد أن ترحم أباك ؟

قال هازئا : أرحم أبي !! وهل رحمني هو ؟ ألم أترك له الدار واستأجر عشة دواب ؟ .. بماذا ارحمه يا فصيح ؟!

ـ بالزواج والتعقل .

ـ الزواج ! أنا أقسمت قديما قسما لا رجعة فيه أن لا أتزوج إلا زهيرة مجدي .. فلن أتزوج أبدا أبدا .

قال حميد بعد صمت قصير : وهل هذا كلام يا ابن الناس ؟! هل تعلم أيها الإنسان الضائع أن زهيرة قد صارت أما ؟ .. لقد أخبرت أمها أمي أن زهيرة ولدت طفلة هناك ، وأعطيت الجنسية الكندية .

تنهد ميلاد بعمق وبصق وهمس : ولدت الملعونة ! .. ولدت من غيري .. لن أرحمها سأظل أحقد عليها وعلى ذريتها .. فهي قد دمرت حياتي مع أمي وأبي.. كلهم ملاعين .

رفع حميد صوته قليلا قائلا : اسمع يا ولد.. لا تسيء لعمي

ـ ولا تنس أنه أبي

ـ أنا يا ميلاد لا أحب العقوق .. فسب الوالدين من الكبائر ومن العقوق .. أرجوك أمامي لا تفعل ذلك .

ـ آ يا عم ! أنت صرت شيخا .. كما سمعت .. يا

رجل فلماذا لا تترك الصنعة وتعمل في جامع وتخطب في الناس يوم الجمعة ؟!

ـ وهل هذا بالساهل يا ولد ؟! وأنا طول عمري أمشي مع الشيوخ ، وأحضر مجالس الشيوخ والعلم ، وأنتقي الخطيب الذي أسمع له .. يا ابني أتمنى أن أراك عريسا كباقي الخلق .. الأيام تمضي .. الفواحش تفتك بك ، لو أصابك مرض قاتل لن تجد من يقف معك .

ـ أنا مرتاح

ـ لا يمكن أن أصدق ذلك .. لو أنك مرتاح ما شربت الخمر .. أنت قلت أكثر من مرة أنك تشربها لتنسى .. يا رجل تب إلى الله حتى نعود شركاء وأحبابا مثل أيام زمان .. نسيت أن أسألك لماذا جئت اليوم ؟

ـ جئت استلف مائة دينار

ـ مائة دينار ! لماذا ؟ لتشرب بها .

ـ لا ، أريد أن اشتري آلة للمحل

ضحك حميد وقال : آلة ! هو أنت تشتغل يا ميلاد .. أنت منذ أن انحرفت أصبحت قليل الشغل تشتغل بنشرا واحدا في اليوم فتظن نفسك طول اليوم تشتغل .. لماذا تريد المائة ؟

ـ كما قلت لك

ـ لا أصدقك .

ـ مكسور ! وعليّ تسديد حساب المحل

ـ الإيجار ، كم شهرا لم تدفع ؟ ـ ورأى إشارة بالأصابع ، تبين الشهور غير المدفوعة ـ يمكن أن يكون هذا صحيحا .. كيف ستسددها ؟ وأنت لا تعمل بشكل جيد .. الصبي الذي يعمل عندك جاء يسعى للعمل عندنا من قلة الشغل

ـ أتريد أن تعطيني ؟

ـ مضطر للاعتذار ، فلي في ذمتك مائتان .. منذ أشهر لم تسد منها شيئا .. وأكثر الفلوس التي قبضتها عند الانفصال صرفتها على الفحش والفواحش

ـ دمرتني زهيرة ، وحرقت مستقبلي .. وأهلكت شبابي .. لقد تعلق القلب بها

صاح فيه حميد : كلام فارغ .. هل هي التي دلتك على الخمارات وعلى دور البغاء ؟ .. أنت سعيت لذلك .. اسمع أنا مستعد لمشاركتك ثانية ، ومستعد أن أساعدك في الزواج ، وأبحث لك عن بنت حلال .. مقابل تركك الفجور .. أدرك نفسك قبل فوات الأوان.. فأنت عاجز عن سداد أجر دكان وأجر عشة كما تقول .. فإذا صلح حالك بترك المنكرات ستتخلص من إيجار العشة ، ريثما نجد لك المرأة الصالحة .. نبحث لك عن زوجة متدينة محترمة ..

وبعد صمت قصير عاد يتابع : افرض أن زهيرة ميتة أو ماتت ، هل ستبقى أعزبا أو حتى أرملا

قصتك قصة لا تدخل عقل إنسان سليم العقل ..الديون تتراكم عليك .. اصح يا رجل

ـ يعني أنك تمتنع عن مساعدتي

ـ أنا آسف يا بطل .. هل صحيح ما سمعته ؟

ـ ماذا سمعت أيضا ؟

ضحك حميد وقال : الناس هوايتها نقل الأخبار .. لهذا سعد الناس باختراع الراديو ثم التلفزيون ..لا أدري ممن سمعت ؟ أعتقد من أحد أفراد شلتك يزعم أنك سعيت للسفارة الكندية لتحصل على تأشيرة هجرة .

ترك ميلاد الكرسي واقفا وقال : أفكر بالهجرة مللت من هذه البلاد

ضحك حميد وقال : مللت من هذه البلاد ، وتريد السفر لكندا .. سافر الفلبين .. البرازيل أما كندا .. مجنون أنت.. مجنون يا ابن عمي.. أبوك مريض ورغبته أن يراك رجلا كسائر إخوتك يا رجل أعقل وتب إلى الله .. ألم تمل من الفجور كما مللت من البلاد ؟!.. أعقل وخلال أسبوع تعود للعمل معنا .. وذلك عندما اطمئن لصلاحك .. وإذا تزوجت أو شرعت بالزواج ستعود الشراكة بيننا

صاح في وجه حميد وهو يطرح باقي السيجارة على الأرض : لن أتزوج إلا زهيرة

ـ زهيرة ماتت.. ما دامت قد هاجرت للغرب فهي بحكم الميتة .. الله أعلم متى تعود ؟!

الجنسية الكندية

لقد استطاعت زهيرة اجتياز سنة الحمل والولادة والرضاعة ، فكان جل اعتمادها على الرضاعة الصناعية ، كانت تحصل شمس على جزء من الرضاعة الطبيعية خلال الشهور الأولى من الولادة ، ثم ضعف لبن الأم رويدا رويدا حتى جف ، وكانت قد استعانت الأسرة بخادمة من فتيات أمريكا اللاتينية يستوردن للعمل كشغالات وخادمات في البيوت والشركات ، وكان الحصول عليها من شركة استخدام كندية لها مكتب في نوفا سكوشا .

وكان قانون الهجرة الكندي يسمح للوافدين إلى كندا بالحصول على الجنسية الكندية بعد مرور ثلاث سنوات من الإقامة في كندا ، فيراجع دوائر ومؤسسات الهجرة الكندية في العاصمة والمقاطعات ، ثم يقسم اليمين أمام المحاكم الكندية الخاصة بموضوع الهجرة وطلب المواطنة الكندية ، ويتعرض طالب الجنسية للفحص الطبي الشامل ، ويتعرض طالب الجنسية لفحص أمني تقوم به الشرطة والجهات المختصة بذلك ، ومن ثم يتعرض لفحص ثقافي عن كندا جغرافيا وتاريخيا ولغة وحقوق المواطنة ، ثم يمنح الجنسية الكندية بعد زمن يسير .

لذلك لما اقترب موعد حصول سامر وقرينته على

تلك الجنسية ، كان سامر يقرأ ويزيد معلوماته عن تلك البلاد ...



تتألف حكومة كندا من ثلاثة مستويات ، ويوفّر كلّ مستوى عدداً من الخدمات المختلفة .

الحكومة الفدرالية تحكم البلاد ككلّ ، وتتكوّن من ممثلين منتخبين من كلّ مقاطعة في كندا ، يترأس الحكومة الفدرالية رئيس الوزراء ، ويضمّ البرلمان في كندا ٣٠٣ أعضاء بمن فيهم رئيس الوزراء ، تتحمّل الحكومة الفدرالية مسؤولية الدفاع الوطني ، وشؤون الهجرة والجنسية ، والقانون الجنائي، والنظام المصرفي ، بالإضافة إلى أمور أخرى .

الحكومة المحلية تتولى إدارة شؤون الحكم في مقاطعة نوفا سكوشا ، وهي تتكون من ٥٢ ممثلاً منتخباً من مختلف أنحاء المقاطعة ، يترأس الحكومة المحلية رئيس وزراء المقاطعة ، فالحكومة المحلية للمقاطعات هي المسؤولة عن الحقوق المدنية، والموارد الطبيعية، والضمان الاجتماعي، والرعاية الصحية ، والتعليم ، والطرق السريعة ، والسيارات، وغيرها .

السلطات البلدية تتكوّن من ممثلين منتخبين من الحي السكني المحلي أو البلدة أو المدينة ، رئيس البلدية هو رئيس السلطات البلدية ، تتولى السلطات البلدية مسؤولية توفير الخدمات للسكان مثل الشرطة، والإطفاء، والطرق، وجمع النفايات، وإزالة الثلوج ، والحدائق العامة، والترفيه ، كما تنظّم البلديات المشاريع التنموية ، وقوانين عمل الشركات والمؤسسات التجارية ، كما أنّها توفر أنشطة مدنية وثقافية .

بلدية هاليفاكس إنّ اختصار إتش آر أم **HRM** يعني اسم بلدية منطقة هاليفاكس التي يسميها بعض الناس هاليفاكس أو هاليفاكس الكبرى ، وتطلق هذه التسمية أيضاً على البلدية أو الحكومة المحلية.

موقع بلدية منطقة هاليفاكس، عاصمة نوفا سكوشا ، على الساحل الشرقي لكندا، وهي أقرب مدن أمريكا الشمالية إلى أوروبا عند السفر جواً ، والأقرب إلى نيويورك وبوسطن من المدن الكندية الكبرى الأخرى.

يطلق على الساحل الشرقي لكندا كندا الأطلسية ، وهو يتضمن المقاطعات الأربع التالية : نوفا سكوشا ، نيو برونزويك ، برينس ادوارد آيلند ، نيوفاوند لاند ولابردور وتسمى المقاطعات البحرية دون الأخيرة

بدأ الاستيطان الأوروبي في هاليفاكس في عام ١٧٤٩ ، وقبل ذلك كانت المنطقة مأهولة بمجموعات الميكماك ، وهم سكان المنطقة الأصليين، ووجودهم في هاليفاكس مستمرّ حتى يومنا هذا ، للهجرة تاريخ طويل في هذه المنطقة ، فمن عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٧١ ، جاء أكثر من مليون مهاجر إلى كندا من خلال بيير ٢١ ، ميناء في هاليفاكس ، فاستقرّ العديد من المهاجرين هناك مما ساهم في تقوية ثقافة منطقة هاليفاكس ، هناك متحف يحمل اسم بيير ٢١ لسماع قصص المهاجرين ومشاهدة صورهم . ويطلّ وسط مدينة هاليفاكس على مرفأ هاليفاكس .

ويتميز شتاء هاليفاكس برياح قوية ، وأمطار غزيرة ومتجمدة ، وحرارة منخفضة ؛ لذلك يحتاج كل فصل لملابس خاصة فيه .



وكان الطبيب سامر ماجد يتقدم تقدما ممتازا في جراحة العظام والمفاصل ، وكانوا ينقلونه بين عدة مشافي في المقاطعة سواء في مستشفى الملكة اليزابيت الثانية أو مستشفى نوفا سكوشا ، وكان أحيانا يعمل في المستشفى ليلا سواء في قسم الجراحة للعظام أو قسم الطوارئ الذي يستقبل حوادث السيارات والدراجات ، ولقد كان يتحصل على دخل جيد جدا ، وكان يقضي ساعات خارج الدوام العملي في مراكز البحث العلمي الشائعة بكثرة هناك ، للقراءة ومتابعة تجارب الباحثين ، وعليه في نهاية الاختصاص أن يتقدم ببحث ودراسة للجامعة ليحصل على شهادة الاختصاص في الجراحة ، وعادة الاختصاص يكون بممارسة عملية أو أكثر للعمليات الجراحية تحت إشراف دكاترة كبار وجراحين ، وقبل أن تدخل شمس مرحلة ما قبل المدرسة (٣- ٥) كان الدكتور قد أتقن الفرنسية كاللغة الإنجليزية التي تقدم فيها أيضا بسبب الدراسة ، وبسبب التعامل مع أطباء وموظفين المستشفيات التي تنقل بينها ، وقد التقى خلال السنوات تلك بأطباء وعلماء في الجامعة ومراكز البحث ، وتيسر له النجاح في جراحة العظام ومنح الشهادة التي تؤهله لمعالجة العظام كسرا وأمراضا أخرى سبق الحديث عنها .

ولقد سرت وسعدت زهيرة بتقدم زوجها ونجاحه وتقدمه الذي شاع في الجامعة وبعض مشافي المدينة .

واستمر في عمله في مستشفى نوفا سكوشا حتى أنهت زهيرة بكالوريوس الطب العام ، وكانت الفتاة الصغيرة شمس قد انتقلت من مرحلة ما قبل

المدرسة إلى مرحلة المدرسة .

إن التعليم العام مجاني ، ومتاح لجميع الأطفال في كندا ، ويتعلّم معظم الأطفال في المدارس العامة ، تضمّ بلدية هاليفاكس ١٠٠مدرسة ، و٣٠٠٠ معلم ومعلمة لمساعدة الأطفال على التعلّم.

يلتحق الأطفال الكنديون عادة بالمدارس عند بلوغ سن ٤ أو ٥ سنوات ، ويجب على الطفل أن يكون بعمر خمس سنوات في ٣١ ديسمبر أو قبل هذا التاريخ ليكون مؤهلاً لدخول المدرسة العامة خلال السنة الدراسية ، ويجب عليه البقاء في المدرسة حتى سن ١٥ أو ١٦ ، حسب المكان الذي يعيش فيه ، تمّ تقسيم نظام التعليم على النحو التالي : التعليم ما قبل الابتدائي (من عمر ٣ إلى ٥ سنوات) ، وهو متوفر في بعض المدارس ومراكز رعاية الأطفال النهارية، والمنظمات غير الربحية ، وكما يوجد بعض الأفراد الذين يوفرون هذه الخدمة.

التعليم الابتدائي من الصف الأول إلى السادس ، التعليم المتوسط من الصف السابع إلى التاسع ، التعليم الثانوي من الصف العاشر إلى الثاني عشر ، كلية المجتمع أو الجامعة ، وتتوفر في المنطقة المدارس الخاصة أيضا .

وكان الدكتور سامر قد تيسرت له فرصة عمل في مقاطعة كيبك الجزء الأكثر فرنسية في كندا قبل تخرج زهيرة ، فلذلك عندما تخرجت زهيرة انتقلوا كليا لتلك المقاطعة ، وكان سامر قد استأجر شقة منذ رحل إليها ، وكان يقضي عطلة الأسبوع في نوفا سكوشا حتى تخرجت زهيرة فاستقروا جميعهم في كيبيك في مقاطعة مونتريال ، وعملت زهيرة في نفس مستشفى زوجها المستشفى العام في المقاطعة ، وأخذت هي الأخرى تستعد لنيل الاختصاص في طب الأسرة والنساء .

فبعد استقرارهما في أحد المباني الكبيرة ذات الطوابق الكثيرة على جبل مونتريال ، واستقرت الفتاة في مدرسة ابتدائية حكومية أخذت زهيرة تستعد لحمل جديد ، وحدث ذلك الحمل بصعوبة بعد عدد متكرر من الإجهاضات ، ورغم تطور الطب وحداثته لديهم كسائر الدول الصناعية الكبرى في العالم تأخر الحمل وجاء المولود بعد حين ذكرا سمياه مجدا .

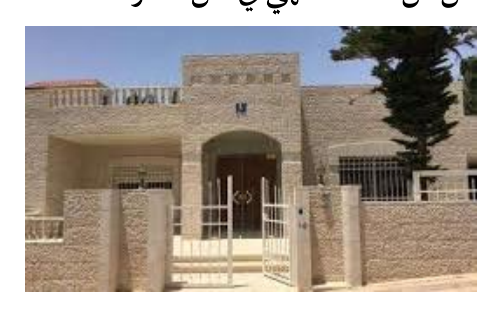
وبعد ولادته بشهور أصيب والده سامر بوعكة صحية ، قضى بسببها عشرة أيام في المستشفى العام الذي يعمل به تحت العلاج والمراقبة الذي بدأ كالتهاب في القصبات الهوائية ، وتطور لضيق نفس قاتل ومشاكل في الرئة ، ولما تعافى وتماثل للشفاء ، طلب منه طبيبه المعالج والمشرف على صحته أن يأخذ إجازة لمدة شهر يقضيها في مناطق دافئة ، ورشح له هالفياكس كما رغب سامر لأن

صيفها جميلا معتدلا ، وفعلا بعد أيام من خروجه من المشفى رتب أمور الفتاة شمس مع الخادمة التي رحلت معهم من نوفا سكوشا الولاية الأطلسية ، وهم ارتاحوا معها ، والقانون في كندا يمنع بقاء الأطفال دون الثانية عشرة من البقاء في البيت وحدهم ، فهناك مراكز لرعايتهم ومتابعتهم ، وقد أخذت زهيرة إجازة من عملها لمرافقة زوجها في رحلة الاستشفاء والنقاهة ، وبواسطة أصدقائهم في تلك المنطقة حصلا على شقة مفروشة لمدة شهر واحد ، وفي هذه الإجازة القاهرة فقد الولد مجد ، فقد فارق الحياة بعد مرض لم يمهله كثيرا ، وهو أصلا قد ولد عليلا ، وقد أخبرهم طبيب الولادة أنه قد يعيش إذا تقدم به العمر ، وتتلاشى العلة مع تقدم العمر .

فأصيب الزوجان بالغم والكدر مع هذه المصيبة ؛ ولكنهما كمسلمين استسلما لقدر الله عز وجل وعادا لكويبك يغمرهم الحزن ، وبكت الطفلة ذات العشر سنوات شقيقها الصغير عندما رجعا بدونه ، وأخذ سامر يرغب زهيرة بالعودة للوطن بعد أن نالا حظهما من العلم والشهادات في هذه البلاد الشاسعة ، فهي ثاني أكبر بلد مساحة في العالم يسبقها الاتحاد السوفيتي ، وتحسن له زهيرة البقاء في هذه الأرض الجميلة ، وقد تعودا وتكيفا على مناخها وطقسها وجمالها وبحارها وأنهارها ، وهو بالمقابل يزيد الضغط عليها للعودة للوطن والشمس الساطعة والمناخ المعتدل ، وهي تأخذ بالتوسل إليه للبقاء في كندا ، وتخلل ذلك المحاولة للحمل من جديد بالدعاء إلى الله تعالى ، والاستعانة بخبرتها بالطب وزملاء المهنة حتى مضت سنة على وفاة مجد دون فائدة ، فقال سامر متنهدا بعمق : اشتقت لأمي يا زهيرة .. فلنذهب لزيارة أهلنا.. ألم تشتاقي لأمك بعد عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ؟

ـ اشتقت ، وفي الأسبوع أتحدث معها مرة أو مرتين .. وقد زارتنا أمك قبل خمس سنوات ، وأنت تتحدث معها في الأسبوع مرتين أو ثلاث .

ـ أنا جئت للدراسة فحسب ، لم نأت لقضاء كل العمر عند هؤلاء .. أتريدين أن ترين شمسا تمشي بالشوارع بالشورت والثياب القصيرة ؟ .. إنها تكبر وتدخل سن المراهقة ، وقانون حماية الأسرة يمنعنا من فرض شيء عليها .. فنحن نرى أبناء العرب والمسلمين يقلدون أهل البلاد في كل الأشياء ..هذه دولة ليبرالية .. لا يمكنك منع شمس من ذلك .. فهي في سن التمرد .



الدكتور سامر طغت على قلبه فكرة العودة للبلاد سواء كان ذلك شوقا لأمه وأهله كما تحدث يوما لزهيرة أم خوفا على ابنته الوحيدة من عادات وتقاليد البلاد أم غير ذلك من الحجج والأعذار ، وبعكسه كانت زهيرة ، فهي سعيدة بحياتها في كندا ، سعيدة بعملها في قسم النساء وطب الأسرة في المستشفى العام في المدينة وغيرها من مراكز الطب والعلم ، وسعيدة بأصدقائها العرب وغير العرب من العاملين معها وغير العاملين ممن تعرفت عليهم خلال العلاج والمراجعة .

وعلينا أن نعرفك أيها القارئ الكريم على تلك المدينة ، كما تعرفت على مدينة نوفا سكوشا .

يقولون إن كيبك هي أكبر مقاطعة كندية من ناحية المساحة ، والثانية من ناحية التقسيم الإداري بعد إقليم نونافوت ، تقع في شرقي كندا ، تحدها الولايات البحرية من الشمال والشرق ، وتحدها من الغرب مقاطعة أونتاريو، خليج جيمس وخليج هدسون إلى الشمال عن طريق مضيق هدسون وخليج **Ungava** ، ومن الشرق خليج سانت لورانس ومقاطعات نيوفاوندلاند ولابرادور ونيو برونزويك ، ومن الجنوب تحدها الولايات المتحدة ماين ونيوهامبشير وفيرمونت، وولاية نيويوركما تشارك الحدود البحرية مع نونافوت وجزيرة الأمير إدوارد، ونوفا سكوشيا .

وبالنسبة للمناخ ينقسم في ولاية كوبيك إلى قسمين، في الشمال يسود الشتاء الطويل البارد حيث يسيطر التجمد ، وتتدنى درجة الحرارة فتصل إلى ما دون الصفر، والصيف قصير دافئ ، وتنتشر بالإقليم الغابات الصنوبرية.

وأما سكان كوبيك فهو الأكثر عددا بعد أونتاريو ، يعيش معظم السكان في المناطق الحضرية بالقرب من نهر سانت لورانس بين مونتريال ، وهي أكبر مدنها، ومدينة كوبيك ، أما المناطق الوسطى الشمالية من المقاطعة فهي قليلة عدد السكان ، ويقطنها في المقام الأول شعوب أميركا الأصليين ، تلعب القومية دورا كبيرا في السياسة في المقاطعة ، كما تحاول الأحزاب الثلاثة السياسية الرئيسية الحصول على قدر أكبر من الحكم الذاتي والاعتراف للشعب الكويبيكي كأمة.

قد عرفت أول اكتشافها بفرنسا الجديدة ، أو كندا ، وذلك في سنة ١٥٣٤ م حتى ١٧٦٣ م ، ثم عرفت باسم مقاطعة كوبيك حتى سنة ١٧٩٠ م ، ثم عرفت بعد ذلك باسم كندا الدنيا ، ثم كندا الشرقية ، وبعد انضمامها للاتحاد الكندي أطلق عليها مقاطعة كيبيك ، وجرت محاولة لفصلها عن كندا في سنة ١٩٨٠ م في استفتاء عام .

عاصمتها مدينة كيبك تحمل نفس الاسم ، وأهم مدنها مونتريال واللغة الرسمية في مقاطعة كيبك

هي الفرنسية، من جانب لغتها وثقافتها ومؤسساتها ، فإنها تشكل دولة داخل كندا.

وكيبك من ناحية التاريخ مستعمرة فرنسية حملت اسم فرنسا الجديدة بحكم تابعيتها لفرنسا الأم ، ثم مستعمرة تابعة الإمبراطورية البريطانية ، كيبك سيتي هي أهم تجمع حضري بشرق كندا ، ويأتي موقعها بالمنطقة المأهولة بولاية الكيبك على ضفاف نهر سان لوران ، تعتبر المدينة الأكثر استقرارا في البلد من بعد أدمونتون وكالجاري ، ومعدل البطالة بها هو ثالث أقل نسبة في كندا ، القطاعات التي في نمو هي السياحة والمعامل وعلوم الحياة والصحة والتغذية ، وقطاعات التأمينات والتكنولوجيا التطبيقية ، لدى كيبك الميناء الثالث الأكبر بكندا ، كيبك

مشهورة بتاريخها ومتاحفها ومعاهدها الثقافية ، وتلقب بمدينة المسرح ، لها ثمان بلديات .

والذي اكتشف موقع كيبك هو الفرنسي جاك كارتييه ١٥٣٥، هو ورجاله اكتشفوا قرية تسمى ستادا كوني، وكان في استقباله دونا كونا، قائد هذه القرية (الذي التقاه كارتييه في أول رحلة في ١٥٣٤) ، على الرغم من الترحيب الحار وتحذير دونا كونا قرر كارتييه بعد يومين على مواصلة الطريق إلى النهر، حيث مات مرافقوه بسبب الإسقربوط ، فقرر العودة إلى ستادا كوني لدى عودته وجد أن الرجال يقومون ببناء قلعة سانت كروا ، وموقعها الحالي يقع بالقرب من جسور كيبك وبيار لابورت .

مدينة كيبيك تأسست رسميا من قبل صمويل دو شـــامبلان بتاريخ ١٦٠٨ م على الموقع الذي يقع بالقرب من قرية ستادا كوني ، الموقع الذي يعرف الآن بـــالمـــكـــان المـــلـــكـــي فـــأصـــبـــح مهد الفرنكوفونية في أمريكا الشمالية .

في نهاية الحكم الفرنسي، كانت المدينة محاطة بغابات وحقول شاسعة ويقطنها حوالي ٨٠٠٠ شخص ، وامتازت بطابعها المعماري الفريد ، وأسوارها العالية ؛ لكن رغم حضريتها ومكانتها كعاصمة ، ظلت كيبك مدينة صغيرة مرتبطة بفرنسا كثيرا . في عام ١٧٥٩ احتلتها القوات البريطانية ، وباتت حدثا مهما في حرب السنوات السبع لكنها أصبحت خرابا.

وبعد ثلاث سنوات معظم الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية تصبح بحوزة بريطانيا. في أعقاب المؤتمر القاري الثاني في ١٧٧٥ ، قبل الثورة الأمريكية ، تتعرض الحامية البريطانية لمدينة كيبك للهجوم من قبل القوات الأمريكية دون جدوى بقيادة بنديكت ارنولد في معركة كيبك (١٧٧٥).

بعد خمس سنوات من الكونفدرالية الكندية في ١٨٧٢ ، قرر الحاكم العام لكندا ، اللورد

دوفرين ، إنشاء المقر الرسمي للقلعة في كيبك ، لدى وصوله إلى كيبك، أراد اللورد دوفرين أن تكون مدينة كيبك مدينة سياحية ، فأمر بإعادة بناء الجدران ، حيث كان سكان كيبك قد أخذوا من الأسوار أجزاء لبناء المباني، وأمر بإقامة الشرفة التي لا تزال تحمل اسمه.

طوال القرنين التاسع عشر والعشرين ظلت مدينة كيبك الوجهة الرئيسية لعدد متزايد من

المهاجرين إلى كندا ، الذين غادروا سنويا الجزر البريطانية قادمين إلى أمريكا الشمالية ، وذلك بسبب موقعها على نهر سانت لورانت ، الذي كان الممر المائي الرئيسي في أمريكا الشمالية ، وهكذا ، وإلى سنة ١٨٣٠ ،استضافت مدينة كيبك متوسطا سنويا بـ ٣٠٠٠٠ من المهاجرين الجدد ، وكان ثلثاهم من إيرلندا.

كيبك كانت عاصمة كندا من ١٨٥٩ إلى ١٨٦٥ ، وآخر عاصمة قبل أن يتم نقلها إلى أوتاوا .



قصر فرونتناك

تم في ١٩١٧ بناء جسر كيبيك الذي يربط كيبيك الواقعة في الضفة الشمالية لنهر سانت لورون بليفيس الواقعة في الضفة الجنوبية ، وهو ليومنا هذا أطول جسر في العالم ، إلى يومنا هذا كيبيك هي عاصمة ولاية كيبيك ، والتجمع الأضخم بكيبيك من أفضل المواقع المعمارية يقع شرق أسوار المدينة في كيبيك القديمة والساحة الملكية ، تتميز تلك المواقع بطابعها الأوروبي القديم حيث المباني الحجرية تمتد على طول الشوارع لتصل إلى المطاعم الفخمة والمتاجر ، أهم البوابات هي بوابة سانت لويس وسانت جون ، تصل منهما إلى وسط المدينة الحديثة ، إلى الغرب من الجدار يوجد مبنى البرلمان ومقاطعة سهول إبراهيم.

المدينة العليا ترتبط بالمدينة السفلى عبر سلالم كسر الرقبة وكيبيك القديمة، وتشمل هذه المواقع على كنيسة نوتردام دام دي فيكتوار والمنطقة التاريخية بيتي شمبلن ومنطقة الميناء ومتحف الحضارة ، المدينة السفلى تمتلأ بالشوارع الأصلية والهندسة المعمارية والتصاميم، والتي يعود تاريخها إلى بدايات المدينة ، الجدران والتماثيل تبرز أيضا ، للمدينة السفلى أيضا تشكيلة واسعة من المحلات، وتتضمن العديد من السلع اليدوية الحرفية.

أفق مدينة كيبك يهيمن عليه فندق قصر فرونتناك الضخم ، والمعلق فوق جبل الألماس ، ويقع الفندق بجانب شرفة دوفورين ، وجسر للمشاة على طول الحافة .

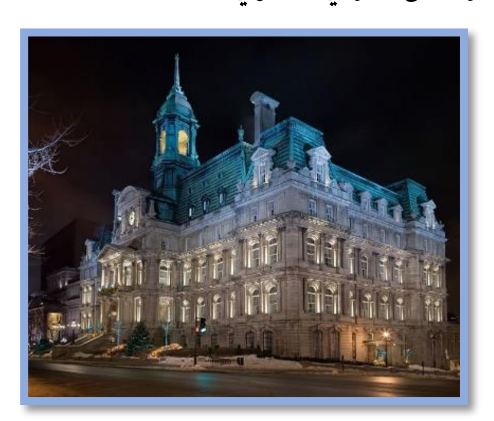
كنيسة نوتردام دام دي فيكتوار بالمدينة السفلى قرب قصر فرونتوناس توجد كاتدرائية نوتردام دي كيبك ، وهي الكنيسة الأم لأبرشية الروم الكاثوليك بكيبك ، وهي أول كنيسة في العالم الجديد التي تصبح كاتدرائية



لنتعرف على مونتريال بما أننا مع السيدة زهيرة في ربوع كندا ، والتي عاشت بها الدكتورة سنوات بعد هاليفاكس .

مونتريال مدينة كندية مهمة ، وهي أكبر مدن مقاطعة كيبك ، وأكبر مدينة كندية حتى سنوات ١٩٧٠، مونتريال تنافس تورونتو كأكبر مدينة في كندا ، تقع في مقاطعة كيبك ، وهي كبرى مُدن العالم المتحدثة بالفرنسية بعد باريس ، ثلثا السكان في مونتريال من ذوي الأصول الفرنسية ويتحدثون الفرنسية ، تعتبر مونتريال واحدة من أكبر موانئ العالم البحرية الداخلية ، والمركز الرئيسي للنقل في كندا ، وهي

أيضًا مركز رئيسي للأعمال الصناعية والثقافة والتعليم الكندي. تم تشييدها على جزيرة بين نهري ريفيير دي بريري شمالا ، وسانت لورانس جنوبا ، أما ميناء مونتريال فيقع في نهاية ممر سانت لورانس سيواي البحري.



ويُعدُّ موقع مونتريال فريداً من نوعه ؛ فهي تقع على جزيرة داخل نهر سان لوران ، بنيت حول جبل مون رويال بالفرنسية **Mont Royal** وهي المدينة الكندية الكبرى الوحيدة التي بنيت حول جبل ، تغطِّي مونتريال حوالي خمسي مساحة جزيرة مونتريال في مكان يلتقي فيه نهرا سان لوران ، وأوتاوا في كيبك الجنوبية . يبلغ ارتفاع جبل مون رويال ٢٣٣م وتغطيه الأشجار، ويوجد اليوم في قلب المدينة.

يُحاذي مونتريال القديمة نهر سان لوران بين شوارع بيري ومكغيل، وتقف كثير من مبانيها القديمة جنبًا إلى جنب مع المباني العالية الحديثة ، وتغطي المطاعم الساحرة والمنازل التاريخية والمتاجر الصغيرة شوارع المنطقة الضيقة ، وكثير من هذه الشوارع مرصوفة بالحجارة الكبيرة.

بني برج مونتريال تايلور عام ١٩٧٦، وهو أعلى

برج مائل في العالم ، يرتفع إلى ١٧٥م ، وينحدر إلى ٤٥ درجة وهو موقع سياحي .

تبلغ مساحة مدينة مونتريال نحو ١٧٠كم٢، أما كمجمع حضري فتزيد مساحتها على ٣٠٠٠كم مربع ، وينتمي مناخ مونتريال إلى نموذج المناخ البارد والرطب ذي الصيف القصير والشتاء الطويل الذي تتساقط فيه الثلوج بغزارة ما بين شهري تشرين الثاني ونيسان ، والصيف القصير لطيف الحرارة ، متوسطها في شهر تموز (أحر شهور السنة) ٢١ْم ، أما متوسط حرارة أبرد شهور السنة كانون الثاني فهي ١٢ْم تحت الصفر.

وتعد منطقة مونتريال الكبرى ثانية أكبر منطقة حضرية في كندا بعد تورونتو ، ويعيش حوالي ١١٪ من سكان كندا في مونتريال الكبرى ، تتكون منطقة مونتريال الكبرى من حوالي ٧٥ مدينة وبلدة ، يعيش حوالي ٦٥٪ من سكان هذه المنطقة خارج المدينة .

ويعتبر الكنديون ذوو الأصل الفرنسي أكبر مجموعة في المدينة ؛ حيث تظهر أكثر اللافتات في جميع أنحاء المدينة باللغة الفرنسية ، وقد وُلدَ حوالي ٢٠٪ من سكان مونتريال خارج كندا ، ويشكل سكان كندا من السلالة البريطانية ثاني أكبر مجموعة ، وقد استقر في المدينة مئات الألوف من المهاجرين من أوروبا والشرق الأقصى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ ، تعيش جالية عربية كبيرة في مونتريال تقدر نسبتها بِـ ٥٪ من إجمالي السكان .

أُسِّس نظامُ الدراسة في مونتريال على أساس اللغة والدين ، تتم الدراسة بالفرنسية أو الإنجليزية وتوجد مدارس الرومان الكاثوليك والبروتستانت ضمن كلِّ مجموعة لغوية ، ويوجد في مونتريال أيضًا أربع جامعات أشهرها جامعة مونتريال وجامعة مكغيل



سوق جون تال

واستولت القوات الإنجليزية على مونتريال عام ١٧٦٠م ، وأصبحت كندا ـ بالتالي ـ مستعمرة بريطانية وفقاً لاتفاقية باريس الموقعة عام ١٧٦٣م ، وسرعان ما تطورت مونتريال إلى مركز تجاري بريطاني ، وتركزت المصالح الفرنسية على الزراعة ، أُنشئ معرض عالمي في مونتريال في عام ١٩٦٧م (إكسبو ٦٧) ، وقد استضافت المدينة أيضاً دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية في عام ١٩٧٦م .

الطلاق

لم يهدأ سامر بأمر إنهاء خدماته في كندا ، بل بدا

مصرا ومصمما على العودة للبلاد ، فكان يتكرر الحوار بينهم كلما اجتمعا وأتيح لهما النقاش ، أحيانا هادئا وأحيانا أخرى حادا عاصفا ، فقال لها بعد أن خلا البيت من زوارهم ، وذهبت شمس إلى حجرتها وغرفة نومها ، وانصرفت الخادمة المستأجرة أيضا للنوم وخفت الأضواء في الحجرات : ماذا فعلت بالنسبة للعودة للديار أنا لم تعد لي طاقة للبقاء .. جئنا للدراسة ، وقد وفقنا الله ، ودرسنا وعملنا .. نحن أتينا في طلب الطب ، ونلنا ذلك .. ألا يكفي كل هذه السنوات من الغربة ؟!

كانت زهيرة تسمع ذلك ، وقد سمعته من قبل ، ولا يكاد يخلو مجلس بينهم من الحديث حول العودة للبلاد حتى الأصدقاء سمعوا بذلك ، فردت بعد صمت : أليس هناك شغل كهذا ؟.. سنقضي عمرنا ومصيرنا بين المستشفيات والعيادات .. فما الفرق يا سامر ؟

تطلع في عينيها للحظات وقال : عجبا من حديثك ! .. وجزء من كلامك صحيح .. ولكن هناك بين أهلنا وإخواننا ، نفرح معهم ، ونحزن معهم .. الأصدقاء هنا لا يغنون عن الجلوس مع الأشقاء مع الأم .. أبي مات ولم أره إلا ميتا .. الدكتور ماهر صديقنا مات ، ولم نشارك في جنازته .. لا أستطيع أن أصبر حتى أرى شمسا تعانق كنديا ؛ كأنها تعانق أخا لها أو عما .

ـ لست أدري ما الذي يعجبك في بلاد العرب ؟ حروب .. واحتلال .. وفقر .. هذه بلاد قد استقلت من مائتين سنة فقارنها بأي بلد عربي من المحيط للخليج ، ستجد أنها بلاد شامخة .. شعوب تريد الحياة .. التطور الكبير والجمال واستغلال الموارد .. كل شيء مثير للحياة هنا .. لماذا لا نظل فيها ؟!

ـ أليس لديك رغبة برؤية أمك بعد كل هذه السنين ؟!

ـ أمي عند زوجها .. طول عمرها مع أزواجها .. وكنا نلتقي على الهاتف .. وأحيانا تزورني أو أنا أزورها .. واليوم نلتقي على الهاتف ، ونسمع صوت بعضنا ، ونعبر عن مشاعرنا نحو بعضنا وإذا عدنا سيستمر أكثر ما بيننا على الهاتف .. لا فرق كبير بين هنا وهناك .

ـ هذه أفكارك وحياتك ، أنا صممت على العودة ، فكري جيدا بعلاقتنا وحياتنا .. يظهر أن صديقك هنري مؤثر عليك بأفكاره وشخصيته

ـ جميل منك قولك صديقك هنري! .. هنري مجرد صديق مستشفى ، أحبنا يا سامر ، وهو صديقنا جميعا

ـ إنه هو الذي يشد على يدك للبقاء في جنة كندا ، ولقضاء عمرك هنا .. وأنت تعرفين سمعة زوجته

السيئة في المستشفى وفي الجامعة .. وغيرتهم على نسائهم وبناتهم تختلف عن غيرتنا .

ـ أنا لا أعتقد أنها تمارس الزنا أو الحب كما يسمونه .. إنما هي إشاعات هي قالت لي ذلك ، وقالت أيضا إنهم يثيرون هذه الأقوال ليحدث الطلاق بيننا ، هناك ممرضة ذات علاقة خاصة به ، وتطمع بالزواج منه لا تريد أن تبقى العلاقة بينهما علاقة صداقة فقط

فقال : على كل ليس لنا دخل في حياتهم الخاصة ؛ ولكني سمعته كثيرا يهمس لك حاثا على البقاء في بلاده ، وعدم الإصغاء لي في هذا الأمر .. لم يبق لي صبر .. ألسنا جئنا للتعلم ؟ وتعلمنا وسنمارس عملنا في بلدنا ونخدمه كما خدمنا هذه البلاد .. فعليك أن تحسمي أمرك وقرارك .

ـ لكن الناس هنا أرقى والتعامل معهم أحسن .. وأنت لم تترك لي أي خيار .

قال بضجر وتأفف: الناس ناس في كل مكان وزمان ، لكل قوم ثقافتهم وتاريخهم .. نحن هاجرنا إلى هنا ليس من أجل المال .. كثير من المهاجرين يتركون بلدانهم من أجل الثروة والمال وبعضهم هربا من الاضطهاد والظلم.. فالحياة الاقتصادية الفضلى مقصد للأفراد والشعوب والدول .. الحمد لله أنه جاء كلانا من أجل العلم الحديث في بلادهم كغيرنا من الطلاب والمبتعثين من بلادهم .. فلسنا فقراء ، وقد كسبنا ثروة كبيرة خلال هذه السنوات الماضيات .. ولسنا مضطهدين سياسيا وثوريا لنبق هنا .. أرجو أن تفكري جيدا بالسفر معي لا أريد أن نخسر بعضنا البعض بعد هذه السنوات الجميلة الطيبة بيننا

ولما رآها لم تعقب بل تنظر إليه مشدوهة تابع قائلا : أنت تعرفين ظروف زواجنا .. تعرفنا عن طريق المرحوم الدكتور ماهر طه لتحقيق مصلحة لك ومصلحة لي .. والشكر لله أنني حققت ما أصبو إليه من التخصص في جراحة العظام والكسور .. وأنت حققت التخصص بالأمراض النسائية والتوليد وطب الأسرة .. وتلقين محاضرات علمية في كليات الطب ، ومراكز الطب ، ومحاضرات ثقافية في مراكز وجمعيات عربية وإسلامية .. فيمكننا أن ننشئ مستشفى صغيرا في بلادنا ، ونخدم البلد الذي ولدنا وترعرعنا فيه، أليس له حق علينا ؟

قالت : لهم حق يا سامر .. أنت تحكم العاطفة في أمور مهمة .. ولا تنس أن هذا المال الذي نجنيه من هنا يستفيد منه الأهل .. والمشاريع التي تتحدث عنها يمكننا أن نقدمها للبلد ونحن هنا.. ولك ولي مساهمات مالية في شركات هناك مع بعض إخوتك .. والبلد لا تخلو من الكوادر الطبية

والعلمية .. فلسنا نحن أول من يتعلم ليخدم بلده من الهجرة .

ـ العيش مع الأهل والأقارب له محاسنه .. ولا تجعلي عقدة ابن عمك تكرهك أهلك الآخرين واحد سيء من بين عشرات من الطيبين .. لا أريد أن تموت أمي وأنا هنا .. أصل وأجدها ميتة كما حصل عندما سافرت عند مرض والدي فلما وصلت كان ميتا .. ألا يحق أن أعيش معها وبقربها باقي العمر ؟ أرجوك وافقي على العودة لنبق أحبابا وأزواجا

ـ سأفعل وأفكر وأحسم الأمر .. أعلم عظم شوقك لإخوتك وأخواتك وأمك قبلهم .. أنا لا أهل لي يا سامر اشتاق إليهم .. مات عادل عمي دمعة لم تخرج من عيني عليه .. ليس ذلك بيدي لم يهزني موته لم أحبه يوما ما.. هم أعمام بحكم الولادة .. ومات غيره لم أحزن .. سأفكر بمصيري يا حضرة الدكتور العزيز على قلبي .

ترك سامر زوجته تفكر بمصيرها معه ، وأما هو فباشر بفك التزامه مع المستشفى العام في مونتريال مقدما استقالته للإدارة ، وأخذ بإجراءات الانفكاك وإبراء الذمة من دوائر المشفى ، والدوائر الطبية ذات الاختصاص ومن صحة المقاطعة ، وسعى إلى أخذ الشهادات والخبرات اللازمة للحياة .. وذات ليلة قالت زهيرة : يقول السيد هنري إنك قدمت استقالتك من المستشفى

ـ أنا لم أقل لك .. أنا آسف يا عزيزتي .. أنا حسمت أمري ، كما تعلمين مللت وكرهت كل الغربة .. عليّ أن أعود لأمي .. كلما نتكلم تقول متى ستعود ؟

ـ وأنا ؟!

قال بحزم : أنت إما أن ترحلي معي لنكمل المشوار معا في ربوع الوطن أو ننفصل عن بعض بالمعروف والحسنى .. وكل له طريقه وحياته ، وسنبقى أصدقاء ، فبيننا شمس .

ـ وشمس ؟

ـ قانون هؤلاء يسمح لها بالبقاء معك إلا إذا تنازلت لي عنها .. لن افرق بينك وبينها .

فقالت ساخرة : أتتركها هنا للضياع كما تزعم ؟

ـ إذا بقيت هنا ستبقى معك .. لا أستطيع أخذها ، فهي ابنة هذه البلاد كما يقولون حتى تبلغ سن الرشد فتستطيع الاختيار .. وأنا مناي أن تذهبي معي لتذهب الفتاة معنا ..

قالت بعد هنيهة : سامر إذا كنت بحاجة لزواج تزوج هنا ، طلقني وتزوج فأنت بحاجة لمزيد من البنين والبنات .. أنا أدرك حقا أنك راغب بالذرية أعرف شعورك وحاجتك لذلك بعد كل هذا الصبر والانتظار .. أنا امرأة مريضة لا تستطيع الإنجاب .. ابق وطلقني وتزوج ولنبق أصدقاء .

ـ صحيح لدي رغبة بالأولاد ، وهذا حق لي أليس كذلك ؟ وهنا التعدد ممنوع وكان بإمكاني طلاقك ، وإنهاء العلاقة الشرعية التي بيننا .. لكن صدقي أنني أرغب بالعودة اليوم قبل غد .. أنا بحاجة فعلا للعودة لبلادنا والحياة فيها

ـ أنا أعرف من سقطات لسانك رغبتك بالزواج ، وإنك لن تحقق ذلك هنا ..وإذا كنت تراني عائقا لزواجك للبقاء هنا فطلقني ولا تهتم

ـ لن أتزوج هنا يا زهيرة .. نحن لن نعدم العلاج في بلادنا وأرضنا ، وستنجبين بإذن الله

ابتسمت وقالت : أنا طبيبة نسائية يا دكتور وأخصائية نساء فأعرف أنني عاجزة عن الإنجاب لديّ عدة مشاكل في الجهاز التناسلي وقد يطول العلاج .. فإذا كان هذا سبب رغبتك بالعودة فأنا مستعدة لطلب الطلاق والانفصال بكل صدر رحب أو غير رحب .. وأما إذا عدت معك وطلقتني فستكون كارثة بالنسبة لي ولمشاعري وشماتة الأقارب .. هنا حياتي !

قال مشجعا : عودي معي ، ولن يحصل الطلاق وسنبقى متزوجين ويكفينا شمس

ـ عندما ترى أبناء إخوتك وأخواتك وأنت بدون ولد يحمل اسمك ...

فقال مقاطعا : عادات قديمة

ـ أنت كما قلت كان زواجنا زواج مصالح ؛ لأنني لا أستطيع الهجرة للغرب بدون زوج أو محرم حسب تقاليد بلادنا المحافظة

ـ هذا صحيح ؛ ولكنك تعلمين علم اليقين أنني أحببتك ، ولم يجبرني أحد على الزواج منك، وإن كان فيه لفتة إنسانية ، وزواج المصالح ليس محرما في شرعنا .. وأنا لست طامعا بثروتك ومالك ، وها هي سنوات طوال مرت علينا دون أن اضغط عليك لأخذ مال منك ، إنما مساهماتك ـ وأشكرك عليها ـ كانت برغبة منك وحسب عادات هؤلاء الناس .. والزواج كان بترتيب من صديق الوالد الدكتور ماهر الوصي عليك ، وكان حريصا عليك ، ويسعى لسعادتك وعلى طهارتك .. والكثير من الفتيات يسافرن اليوم وقبل اليوم بدون محرم شرعي أو زوج ، ولا يفكرن بهذا الأمر .. لكن الدكتور لما رأى رغبتك بالهجرة ، ولديك إصرار خاف عليك من أخطار وأضرار الغربة خاصة في بلاد تقاليدها وعاداتها تختلف كثيرا عنا .. ففضل زواجك .. وأنا متأكد أنك يمكنك الحياة والعيش هنا بمفردك خاصة بعد هذه السنوات من معاشرة القوم ..

بعدما صمت همست زهيرة : أسبوع واحد ، وسأضع بين يديك القرار النهائي .

ـ أسبوع .. تحتاجين أسبوعا من التفكير .. عجيب هذا ! .. الأمر لا يحتاج إلا إلى دقائق .. نعم أم لا .

زهيرة كما رأينا من خلال صفحات حياتها في وطنها ، لم يكن لها ارتباط وجداني بأحد سوى أمها هناء ، وربما أدركنا أنها لم تكن تلك العلاقة الحميمة بينهما ، فكانت زهيرة ترى أن أمها لم تضح من أجلها بشيء .. فهي ما زالت تتخيل ليلة وفاة أبيها غاضبا على أمها ، لم تنس تلك الدقائق الخطيرة ، ما زالت ذاكرتها تذكرها بها .. وعايشتها أرملة ، وعايشتها عندما تزوجت ثانية في بيت الدكتور مروان شقيق الوصي .. وربما لمست لها العذر لتقاليد المجتمع بتزويج الأرملة أو المطلقة ؛ لأنهم يرون من الأفضل للمرأة الحياة مع زوج بدلا من أخ أو أخت .. وسنوات أمها مع مروان كانت سنوات سيئة بالنسبة لزهيرة ؛ لكثرة مشاكل أمها مع الرجل من أجل الولادة والحمل .. ثم انحراف أمها حتى طلقت ، ثم تزوجت ثالثة بعد وفاة أبيها .. فقد تسببت بموت أبيها ، ومن قبل أبيها مجدي .. فلم تغدق عليها من الحب والحنان الكثير ، كانت تريد البنين والبنات .. وحتى في أيام تقدمها للتوجيهي كانت تعيش زهيرة مع جدتها .. فالحرارة بينهن لم تكن بتلك القوة المعروفة بين الأم والبنت .

كانت الدكتورة تفكر بتلك السنوات التي قضتها بين الأهل والأقارب ، وهي تفكر بالقرار الذي وعدت سامر باتخاذه .. تذكرت حياة أمها في بيت الطبيب مروان الذي شجعه الوصي على الستر عليها .. كانت مشاكل حادة تدور في البيت دون مراعاة لمشاعرها ووجودها ، حتى يئس الرجل وتركها تتصرف بحياتها كما تشاء ، وسمح لها بالعمل حتى أثيرت حولها الشكوك والأقوال المبهمة بشباب يعملون معها .. وكانت زهيرة مستاءة من أمها تلك الأيام .. ثم حدث الانفصال وقد زاغت أمها عن الخط المحافظ ، وأخذت تسكر وتسهر وتتعاطى الحشيش وغيره وتعلقت بشاب أصغر منها بعشر سنوات ، وكانت تطارده للزواج منه .. يا لها من أيام ! هكذا همست لنفسها وهي تستعيد تلك الأيام من ذاكرتها .. لقد صعقت يومها من مراهقة أمي ، وقلت كل هذا من أجل أن تلد ولدا ! .. وعلى أثر موت والدها محمد استيقظت من غفلتها وانحرافها ، وتابت وآبت ، ثم قبلت بالزواج من رستم الضابط المتقاعد .. وبقيت هذه المرة في بيت جدتها، رفض رستم أن تعيش معها في بيته لأنها صبية .. عاشت مع الخادمة الآسيوية التي كانت تنفق عليها من مالها الخاص ، لم يتطوع عم أو خال أو أم ليدفع راتبها ونفقاتها من هدايا وكسوة .. مالها الذي دفع كل هذا .. ولولا وصاية الوصي ـ رحمه الله ـ لشجعتها أمها على الزواج للخلاص من أي مسؤولية اتجاهها وربما زوجتها من ميلاد .. فعلاقتها

الوجدانية مع الأعمام والأخوال ضعيفة مراسم ومناسبات .. فلا يجذبها لبلدها ووطنها إلا الجاذب الحنيني لمسقط رأسها كما يفعل سمك السلمون الذي يعشق الموت في موطنه الأول .. ثم تذكرت أنها ولدت في الخليج العربي من ناحية الولادة .. الحنين الجذري لموطن الآباء والأمهات .. قضية معقدة .. لماذا تعود ؟ الحياة هنا كما هي هناك .. والموت هنا كما هو هناك .. لا أعرف الفروق التي يكتب عنها العلماء والأدباء والشعراء .. فليس هناك ما يجذبها للعودة حتى بعد أن نالت حظها من العلم .. ولها أصدقاء وصديقات ومرضى وعمل ونشاطات ثقافية واجتماعية .. وهي تدرك إدراكا تاما أن سامرا يسعى للعودة ليس من أجل الشغل ، فالمال هنا أكثر بكثير من بلد نام كما تسمى بلاد العرب والمسلمين هذه الأيام .. فهو يسعى للعودة للروابط القوية بينه وبين أهله .. فترده الاتصالات الكثيرة والرسائل الكثيرة .. من الأخوة والأخوات وأبنائهم .. وهو جاء كما قال للاختصاص ونيل شهادة الطب من الغرب لأهمية ذلك في بلاد العرب هذه الأيام وإلا فأن هناك مجالا لنيل الاختصاص .. فشهادات هذه البلاد تؤهله للعمل في كل الدول المتحضرة والمتطورة .. فهي تعرف الأثر النفسي الكبير الذي تتركه هذه الشهادات من أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية عندما يقال جراح من جامعة كذا وكذا .. وألم تتحمس وتسعى هي نفسها لطلب الشهادة من بلاد الغرب ؟ عندما فتح لها العميد ذلك الباب من التشجيع لم تصبر لتأخذ البكالوريوس من بلدها .. ألا تتلقى استشارات من شتى المدن في الغرب ومراكز البحث في مسائل الطب والعلم ؟! وهي تعلم أن الرجل يريد الذرية .. وما محاولات علاجها المستمرة والمتكررة إلا من أجل هذا المقصد .. وكم كان حزينا عند موت ابنه مجد !.. فرغم صغرها لم تحمل حملا كاملا إلا مرتين، وولد مجد عليلا ضعيف البنية ، ثم مات .. ورغم تقدم الطب هنا لم يفعلوا لها شيئا يذكر .. تركوا ذلك للزمن ، وتعالجت ، ولم تنجح في الحمل لمشاكل طبية تعرفها جيدا .

تركت العمل لعدة أيام ، وبعد عقد عدة جلسات تفكير مع نفسها ، حسمت أمرها ووصلت للحل المناسب لها ، فعقدت مع شريكها اجتماعا بعيدا عن شمس فقالت : من حقك أن يكون

لك ذرية يا سامر .. لقد كنت أرى أمي وهي تقاتل من أجل الذرية .. من أجل أن يكون لها أبناء مثل أمها وأخواتها وسائر إخوتها .. ولم يقدر لها ذلك من أبي ، ومن مروان شقيق ماهر رحمه الله .. وقد ينعكس الأمر عليّ .. أنا لا أستطيع أن أحمل لأمراض تعرفها في الجهاز التناسلي وأنا لا أستطيع

أن أعيش زوجة ثانية ، فأنكد عليك وعلى زوجتك .. فسنرتب أمر الطلاق والانفصال .. وسوف نوضح لشمس القضية بأيسر السبل ، وهي التي تختار بيننا بملء إرادتها وحريتها ، لن أوثر عليها عاطفيا أو عقليا .. وأرجو أن يبقى لي في قلبك شيء من الحب والود

وأخذت تمسح دموعا سالت على وجنتيها فقال : هذه هي الحياة يا أم شمس .. صدقي أنها أجمل سنوات العمر .. نعم الزوجة والصديقة ، ولا أنسى الاحترام الكبير الذي وجدته منك لشخصي وأهلي ، ولدي سبب وحاجة وقد حققتها .

بعد ذلك اللقاء المهم اختارت السيدة زهيرة الطلاق والبقاء في مقاطعة كيبيك الكندية حيث أحبت الإقامة فيها منذ سنوات قليلة ، وبواسطة محامي قانون الأسرة تم الطلاق بينهم ، رغم أن القانون لا يجري الطلاق إلا بعد سنة من انفصال الزوجين عن بعضهما ، لأن الزواج في كندا كأغلب الدولة الغربية إن لم تكن كلها يكون زواجا مدنيا ، ثم يذهب كل فريق إلى طائفته ، وينشئ عقد زواج ديني إذا شاء .. فالمسلم عند الموثق الشرعي ، والنصراني كذلك ، والبوذي نحوه ، والذي لا يريد له ذلك .. ولكن المحامي كما في الحالات الاستثنائية استطاع إجراء الطلاق المدني ، وخاصة أن الدكتور سامرا سيقدم طلب التنازل عن جنسيته الكندية التي حصل عليها خلال فترة الدراسة .. والبنت الوحيدة بينهما رتبت أمورها .. فأسقط سامر جنسيته الكندية في المحكمة ودائرة الهجرة ـ مع جواز الاحتفاظ بجنسيته في القانون الكندي للجنسية ، وكذلك القانون لبلده يجيز الجنسية المزدوجة للمواطن ، ولكنه لحاجة في نفسه تخلى عنها ـ وراجع الدائرة التي تهتم بشؤون المسلمين ووثق عقد الطلاق .. وخلال شهر واحد انتهى ما بين زهيرة وسامر .. وكانت البنت لما شرح لها أمر الانفصال ، اختارت البقاء حيث ولدت مع أمها ، فأوصى الرجل الأم على ابنتها ، ووعد بالمساهمة ماليا في تربيتها وتعليمها وحاجتها ، فعفته الأم من ذلك وقالت إذا احتجنا استعنّا بك ثم قالت المهم أن نبقى أصدقاء ، فشمس ما زالت تربط بيننا ، وأتمنى لك السعادة والتوفيق في بلدك .. ليس هناك شيء يشدني إليها، ولعلي أغير ذلك في يوم من الأيام .. ولست جاحدة لوطني أرجو أن تفهم هذا يا سيد سامر

ـ أتمنى أنا لك أيضا كل خير وتقدم ، وعسى أن نبقى أصدقاء .. وسأتصل بكم ـ إن شاء الله تعالى ـ دائما

ـ سامحني يا أخ سامر .. سنوات جميلة جمعت بيننا

ـ بل أنت سامحيني ، ولا تعتبريني تخليت عنكما ، وأنت في أي لحظة فكرت بالعودة للبلد ، سنذهب

في اليوم التالي للمحكمة لعقد الزواج من جديد .. إنني لا أنسى السعادة التي وفرتيها لي خلال السنوات الماضيات من عمرنا .. وسنبقى أصدقاء من أجل تلك الذكريات الجميلة والثمينة من سر حياتنا ، ومن أجل شمس ، وأرجو أن تبقى عفيفة وطاهرة مثل أمها في مثل هذه البلاد التي تغمرها الإباحية والهوس الجنسي والشذوذ .. قانون يسمح بزواج المثلين .. وعلى كل حال كل أمه وشعب له تقاليد وعادات يحافظ عليها .

ـ سلم لي على أمك العزيزة سلاما خاصا ، ولتسامحني يا أخ سامر .. وسلم على أخواتك وإخوتك وعماتك وخالتك .. وعلى الجميع ، لهم مني كل التحيات .. ما زلت اذكرهم منذ خطبنا وتزوجنا ، ولا أنسى ودهم وعطفهم عليّ .. ولسوف أتحدث معها عندما تصل وأعتذر لها عن اختياري الطلاق .. وكن لها صديقا يا سامر

ـ أشكرك ، وستبقى في عيوني، وستظل محبة لك

وكان سامر بعد إعلان الطلاق الرسمي يقضي ليله في أحد الفنادق ، وبعد هذا الحوار غادرهم جوا من مطار سان لوج إلى مطار المدينة العاصمة أوتاوا ، وقام ببعض المعاملات الخاصة به ، وتحويلات ماليه ، ولما اتصلت به شركة الطيران تعلمه عن موعد سفره إلى مصر ؛ لأن حركة الطيران إلى مصر سريعة ومتكررة بسبب السياحة النشطة لمصر ، وحب الغربيين لزيارة الأهرامات والأقصر وأسوان ، وكذلك وجود جالية مصرية كبيرة إلى حد ما في كندا ، فأنهى حجزه في الفندق واتجه إلى المطار في الموعد المناسب وكان لسامر رغبة بقضاء أيام في ربوع مصر وميادينها لذكرياته فيها ، فهو قد نال شهادة الطب الأولى من جامعتها العريقة القاهرة أول جامعة حديثة بمصر ؛ كأنها شيدت في عهد الملكية والخديوية .

كان سامر يصل مصر في أقل من يوم ، ويستقر في أحد الفنادق المصرية الحديثة ، مصر مليئة بالفنادق السياحية لنشاط هذا القطاع عالميا ، فمصر مليئة بالآثار الفرعونية والمصرية والإسلامية ، خاصة القاهرة القديمة والجامع الأزهر ، فهي مهوى السياح من شتى أقطار الدنيا فالسياحة والآثار لها وزارات وشركات وطيران ومكاتب .

وبعد أيام قضاها فيها حجز تذكرة طيران على الخطوط المصرية المسافرة للبلد ، وفي مطارها الحديث كان في استقباله أحد أشقائه بسيارته ، ولما أخذ جوازه بعد تدقيقه وختمه ، وحصوله على حقيبته ، التقى بأخيه ، وتعانقا بعد طول غياب ، واطمئنا على بعضهم وعلى أمه ، انطلقت بهما السيارة إلى بيت أمه حيث ظلت تعيش وحدها بعد وفاة زوجها ، ورفضت ترك بيت الزوج الميت ، ورفضت الحياة في بيوت أولادها ، وبقيت تعيش

مع الخادمة العاملة معهم من سنوات طوال وكان شقيقه يقول : كانت أمك تحلم بلقاء وحيدتك .. قد تألمت عندما علمت برفضها المجيء لرؤية أقاربها .

ـ لا استطيع إجبارها للمجيء معي ، خاصة أن أمها بقيت هناك ، فهي كندية أكثر مني .. فبالحسنى حاولت ؛ ولكنها رفضت

ـ نعم، أسمع عن قوانين هؤلاء الناس .. فهم يأخذون الأبناء من والديهم إذا أسأوا لهم بالضرب والتعذيب ، ويدفعونهم لأسرة نصرانية تعنى بهم .. إذا لها نصيب قد تراها في المستقبل الله يحميها

فقال سامر باكيا: لها الله يا غازي !

وأخذ بالبكاء والنشيج فجأة ، وأخذ غازي يهون عليه الفراق ، ويدعوه للتعوذ من الشيطان ،

وقل قدر الله وما شاء فعل ، والحافظ هو الله ..

وقال : أرجو أن توفق السيدة الفاضلة زهيرة من تربيتها وتوجيهها للطريق المستقيم ، وتحسن رعايتها .. لا أدري ما يحبب الناس في العيش في تلك البلاد !

جفف سامر دموعه وعاد له الهدوء فقال : الحياة الطيبة .. الرفاهية والتساوي أمام القانون والحقوق والواجبات ، لا محاباة باسم المنصب والقرابة والقبيلة .. وكذلك العناية الكاملة من الدولة للإفراد .. لكن حريتهم أحيانا تزيد عن حدها فالسلطة الأبوية ضعيفة ، وسلطة الرجال على النساء هالكة .. إنهم سواء بل لا سلطة لأحد على الآخر ..

سامر

لم يجد صديقنا الطبيب سامر الأخصائي العائد من أمريكا الشمالية صعوبة في الحصول على وظيفة في مستشفيات القطاع العام والخاص، وإنما فضل العمل في مستشفى خاص ، ومن ثَم سيسعى للعمل محاضرا في أكاديميات الطب على مستوى الجامعات التي بدأت تنتشر مع قرب بداية الألفية الثالثة .

فعمل في مستشفى خاص تابع لإحدى كليات الطب ليجمع بين التدريس والعمليات الجراحية فكان في أقل من شهرين يمارس وظيفته الدنيوية .

وقد اعتاد الاتصال يوميا أو يوما بعد يوم بطليقته وابنته شمس ، وكان الاتصال قصيرا عن الحال والصحة .



أما زهيرة فبعد رحيله أحست بالفراغ الذي تركه سامر في حياتها الخاصة ، ففقدت جمال الحياة الأسرية رغم ظروف عملها كأطباء وسهر ومناوبات ودورات ورحلات .. كانت اللحظات

اللواتي يلتقيان بها حميمية ومثيرة وممتعة لعواطفهم ومشاعرهم ودنياهم .. شعرت بالوحدة وذهاب الأنس مع وجود شمس ومع وجود الخادمة القديمة التي رافقتهم الحياة منذ أيام هاليفاكس .. حلت عليها الكآبة حتى اضطرت بعد شهرين وأكثر أن تزور العيادة النفسية ، فشجعتها طبيبة العيادة النفسية على الاختلاط بالناس والأصدقاء والإكثار من السهر خارج البيت حتى لا تشعر بالوحدة الجسدية ، وأن فقدان الزوج سيزول بعد عدة أشهر .. لكن أين ستسهر زهيرة ؟ هي كانت تستقبل الزوار وعائلاتهم لوجود سامر معها ، ويذهبان معا غالبا لزيارة تلك العائلات ، وهي التي اعتذرت لزميلها هنري ، وطلبت منه عدم زيارتها بعد انفصالها عن سامر وقالت له : أنا وحيدة يا دكتور ، فعرض عليها أن يتردد عليها بصحبة جنفيفاف زوجته ، والعاملة أيضا معهم في المستشفى ، فهي طبيبة في قسم الأطفال ، فرحبت بها وحدها بدونه ، فلذلك خفت زيارة العائلات لها ، وأكثر أصدقائهم عائلات .

وأدرك هنري المحنة التي تمر بها زهيرة ، وأدركت زهيرة كم فقدت بطلاقها ! وأن سامرا ترك فراغا كبيرا في البيت وكيانها ، وتمنت لو أنها فكرت جيدا بمثل هذه الوحدة ؛ لربما سافرت ، ثم تقول لنفسها كان يريد الزواج عليها .. فات الأوان يا زهيرة .. هل يا ترى تزوج الآن؟

لم يتزوج سامر بعد رغم إلحاح أمه الشديد فيقول : فلنصبر يا أمي لعل زهيرة تراجع نفسها وتعود بالبنت .. هي لا تطيق الضرة هذا ما لمسته من أحاديثنا

كان أخوته كلهم يلحون عليه بالزواج والتعجل فيه من أجل الذرية ، فهو يقترب من الأربعين وليس له إلا بنت واحدة ، وربما لا تعود فيرد باسما : لما ألتق بابنة الحلال قد أتزوج

ـ قلة فتيات في الجامعة والمستشفى

ـ أحب الزواج من فتاة هذه المرة من خارج القطاع الطبي والصحي فترد عليه أخته أسماء : هذه أسهل .. لدي فتاة لم تتزوج بعد ..عمرها ثلاثة وثلاثون عاما، تعمل في قطاع المال مؤسسة مالية كبيرة .

ـ عانس هي ؟

ـ عانس بعد ، كادت تتزوج أكثر من مرة ، وتحدث ظروف فيفشل الزواج ، وقد حكت لي بعضها

ـ أصديقة لك ؟

ـ لا ، تعرفت عليها عن طريق أخت لها طبيبة مثلي ، تعمل معنا في العيادة

ـ على كل حال اصبروا عليّ بعض الوقت ، ولست بعجلة يا جماعة الخير

فقال غازي : أنت تكبر يا رجل .. والأيام مكسب

والصحة لا تدوم

ـ أنا فعلا قد مرضت هناك مرضا حادا ، حتى طلب مني الطبيب المختص العيش في منطقة أكثر دفئا من مونتريال لبعض الوقت .. فترة نقاهة كما نقول ، وبعيدا عن ملوثات المدن الكبرى فقضيتها في نوفا سكوشا ، وهي أصلح من كوبيك قليلا

لما استوعبت زهيرة نصيحة الطبيبة النفسية أخذت إجازة طويلة إلى حد ما ، وقررت المشاركة في رحلة سياحية داخلية في التنقل بين مقاطعات كندا الغربية حيث المحيط الهادي ، وتركت شمسا بصحبة الخادمة كما هو المعتاد بالنسبة للأمهات العاملات ، وطلبت من الخادمة الرد على تلفونات سامر ، وتعتذر له برحلتها وجولتها الداخلية ، وعلمت أن رحلتها تستغرق ستة أسابيع بين الطبيعة والحدائق والمتنزهات والمتاحف والماء والأسواق ..

بدأت رحلة الدكتورة من مطار مونتريال الدولي ـ واسمه الرسمي مطار بيير إيليوت تروداو مونتريال ، يخدم مدينة مونتريال أكبر مدن مقاطعة كيبيك ، ويقع في جزيرة مونتريال على بعد ٢٠ كم من وسط مدينة مونتريال في مدينة دورفال وسانت لورين ـ باتجاه المحيط الهادي حيث مقاطعة كولومبيا البريطانية إلى مدينة فانكوفر وهي أكبر مدن بريتش كولومبيا ، يستطيع المرء مشاهدة أكبر محيطات العالم ، ومشاهدة الجبال والغابات والمتاحف وقاعات الفنون عدا الأسواق ومجمعاتها الكبيرة ، وكانت شركة السياحة قد حجزت لهم في فندق مستوى ثلاث نجمات لقضاء عشرة أيام في تلك المدينة والمقاطعة ، فسيقومون بجولة على متاحف ومنتجعات وحدائق ، منها متحف فانكوفر ، ومتحف فانكوفر البحري، ومتحف شرطة فانكوفر، ومزرعة الأطفال ، ومنتزه سايبريس ، ومشاهدة جسر كابيلانو المعلق ، ونقطة مراقبة فانكوفر، وممشى كول هاربور البحري ، وسوق جرانفيل آيلاند، وعالم العلوم، ومفرخة كابيلانو للسلمون(سمك مشهور) ، وملاذ جورج ريفل للطيور المهاجرة ، ورحلة لجبل جروس ، وبحيرة لوس تلاجون، وبروسبيكت بوينت ، والحدائق الصينية ومنتزه لابت هاوس بارك ، ومنتزه لين كانيون بارك ، وحديقة **UBC** النباتية.

كان البرنامج حافلا بالزيارات والجولات والنشاطات في تلك المدينة البحرية ، وهذه أول مرة تزور الدكتورة هذه المقاطعة التاريخية ، لذلك استمتعت في هذه الرحلة واستفادت معنويا وثقافيا .

بعد مضي عشرة أيام في منطقة كولومبيا رحلوا إلى مقاطعة البيرتا لقضاء أسبوعين ، وذهبوا في البداية

إلى منتزه بانف وجاسبير في بلدة بانف ، فهو يقع على جبال روكي ماونتز ، وقد تأسس عام ١٨٨٥ ، ويضم الحقول الجليدية ، والجبال الثلجية ، والغابات الكثيفة، والمركز الثقافي في بلدة بانف ، ويأوي المنتزه ما يزيد عن خمسين نوع من الثدييات الدببة والوشق والذئاب وابن عرس ، ويوفر للرواد لعبة الجولف والتزلج وركوب الخيل ، ورحلات التسلق ، والسير والتخييم ، ويمكن للزائر ركوب عربة بانف جوندلا المعلقة ، وفي البلدة عدد من المتاحف والبحيرات ، بحيرة باتريشا ليك ، وبحيرة بيراميد ليك ، شلالات مالين كانيون فولز ، وادي جونستون كانيون ، بحيرة لين مالين ، وليك مورين.



بعد قضاء بضع ليالي في بانف انتقلوا إلى مدينة كالجاري التي تتمتع بأجواء مشمسة أكثر من غيرها من مدن كندا ، وتقع في منطقة جراس لاندز البيرتا وتنتشر حولها المنتجعات الجبلية ، بالإضافة لنهر بو ريفر المثالي لصيد السمك ، وتأوي جبالها وسفوحها الدب الأسود والموظ والغزلان ، وتحتوي عددا كبيرا من المنتزهات، كندا الأوليمبي ، وفيش كريك بارك ، نوز هيل بارك ، ناهيك عن حصن كالجاري التاريخي ، وبرج كالجاري ، ومتحف تسوتينا للثقافة ، والمتاحف الحربية ، ومركز كالجاري للثقافة الصينية ، وحديقة حيوان كالجاري ، وعالم تيلوس العلمي ، وعددا من المجمعات التجارية الكبيرة ، وسوق اوكلير ، ومجمع ماركت مول التجاري انتقلوا إلى بلدة ادمون تون على نهر نورث ساسكا تشوان ريفر ، وتحيطها أخصب الأراضي الزراعية ، وتعد المدينة مركزا حكوميا وتربويا وثقافيا ، وتستضيف المدينة ما يزيد عن ثلاثين مهرجانا دوليا على مدار العام ، وفيها أكبر متحف تاريخي كندي ، وتحتوي قاعات الفنون الكثيرة ، وتضج بالفعاليات المسرحية ، فسميت مدينة المهرجانات ، وسمي ديناصور ادمون توسورس تيمنا بها ، تكثر فيها المنتزهات والحدائق ، ومركز يوهان جانزين للطبيعة ، ومحمية موتارت للنباتات ، ومتحف البيرتا للسكك الحديدية ، ومتحف البيرتا الملكي ، وتجد فيها مجمعات تسوق عالمية ، ومركز وايت مود التعليمي للخيل ، وعالم تيليوس للعلوم ، وحديقة حيوان فالي زو .

تركوا البيرتا إلى أونتاريو لقضاء عشرين يوما أخرى ، فهذه الرحلة الترفيهية تستغرق ستة أسابيع ، سيقضون في مدينة نياجرا أياما لمشاهدة الشلالات المشهورة ، وقد رأتها الدكتورة من قبل

، لكن هذا من ضمن برنامج الرحلة للشركة ، ويشاهد هنا شلالان على نهر نياجرا ريفر الذي يمثل الحدود بين كندا والولايات المتحدة ، والذي يستقطب ملايين الزوار سنويا لهذه المدينة ، شلال أمريكان فولز ارتفاعه ٢٥ م ، والآخر هورس شو فولز الذي ارتفاعه ٥٣م ، ومن مشاهد السياحة في نياجرا عربة ويرلبول ايروكا الهوائية ، ورحلة جورني بيهايند ذا فولز ، وزيارة محمية نياجرا جلين الطبيعية ، وحدائق نياجرا باركس النباتية ، وحقول كونيكا مينولتا وبرج سكايلون تاور، والمحطة الأخيرة كانت في تورونتو التي تقع في الجهة المقابلة لمدينة نيويورك الأمريكية على بحيرة ليك أونتاريو ، وتجمع خليط من السكان من أمريكا الجنوبية وآسية وأوروبا ، فهي مدينة متعددة الثقافات واللغات ، وينعكس ذلك على الأحياء والضواحي والمتاحف والأطعمة والأسواق ، وفيها أحراش سباديناكي ، ومتحف ريد باث للسكر ، ومتحف باتا للأحذية المشهورة عالميا ، ومتحف جورج جاردينر لفنون السيراميك ، ومتحف الشرطة ، وسوق سانت لورانس ، ومنتزه سنتر فيل الترفيهي، وقرية الرواد الأوائل ، ومرصد ديفيد دانلوب ، ومتحف أونتاريو الملكي ، ومتحف النسيج ، والبلدة الصينية ، ومتحف تورونتو للفضاء ، ومنطقة يوركفيل للتسوق ، وحدائق تورونتو النباتية .

كل شيء في كندا جعل للسياحة ، الأرض الجبال الأنهار السكان ، وقضت رحلتها بسلام ، وعادت بعدئذ لمونتريال حيث العمل والمرضى .

فلندعها تستمع بسياحتها وجمال الطبيعة ، ونعود حيث التقى ميلاد بحميد ابن عمه ، وكان والد كليهما قد مات ، وورث كل منهما ثروة لا بأس بها عن أبيه .. ورجع ميلاد بعد موت الوالد للحياة في البيت بعد أن وعد من جديد بالتخفيف من السكر ، وشغله ما زال ضعيفا ومتقطعا لا يصلح عنده إلا السكارى وزعران الحارات ، وأغلبهم يتملص من دفع الأجرة ، ويعد بحفل شراب وحشيش .

قال ميلاد لحميد وهما يجلسان على مقدمة سيارة تخضع للتصليح أمام محطة حميد للتصليح : هل صحيح أن ابنة عمنا طلقت ؟

فترك حميد الجلوس ووقف على الأرض وتبسم ، وقال : كل الناس تقول ذلك يا ميلاد .. لقد انفصلت عن زوجها الدكتور سامر ، وبقيت في تلك البلاد البعيدة في آخر العالم .. والبقاء هناك سبب طلاقها ، رفضت العودة للبلاد ، وابنتها رفضت مرافقة أبيها .

ـ سأسعى للسفر إليها من جديد

قهقهة حميد وصاح : بعدك مجنون ! ومتعلق بأحبال الهواء والوهم يا مسكين.. يا رجل ابنة عمك

أصبحت دكتورة كبيرة ومهمة .. هل تراها تقبل بك وأنت حفتري ؟!

ـ حفتري ! ما معنى حفتري يا فصيح ؟ وهي مطلقة وأنا عانس بعدي .

استمر حميد بالضحك بصوت عال ، ونادى على ابنه عماد وقال : هات شايا لعمك ميلاد يا عماد كيف امرأة عمي اليوم ؟

ـ بخير ، كلما تصحا من غيبوبة سكر تقول تزوجت يا ميلاد ؟ أشقاؤك من امرأة أبيك يتزوجون فأرد عليها لن أتزوج إلا زهيرة .. ولما قلت لها سمعت أنها طلقت .. صدمت لم تصدق حتى قال أخي حسن يسخر مني فرصتك يا سبع الغاب

استمر حميد بالضحك مرة أخرى وقال : صرت مسخرة يا ميلاد لكل الأجيال الصاعدة .. فهذا عماد ابني ـ وكان يقدم لهما الشاي ـ يقول لماذا لم يتزوج العم ميلاد لليوم ؟! .. فأقول له عمك ميلاد عشق فتاة قبل عشرين سنة ، ولليوم يحبها ، فيقول ولماذا لم يتزوجها ؟! فأقول له طارت

فتبسم ميلاد وقال لعماد وهو يأخذ منه الشاي : شكرا على الشاي يا عماد .. كيف حالك ؟ أأنت في المدرسة أم تركت ؟

فرد الفتى : ما زلت في المدرسة ، وبعد الدوام آتي لمساعدة الحاج .. فهو لم يجد مساعدا لليوم .

فعلق ميلاد : الشباب اليوم لما يتعلم فك البرغي وينفخ العجل يفكر أنه صار معلما ويسعى لفتح محل .

ضحك حميد وقال : هذه حلوة منك .. كيف ستسافر لكندا يا معلم ؟ لقد قدمت جواز سفرك قبل سنوات للسفارة والهجرة فرفضوك .. لطفرك .. فهل تغيرت قوانين الهجرة اليوم؟

ـ يقدمون أصحاب المواهب وأصحاب الثروات ؛ لكني سأحاول من جديد ، ربما لو رأتني زهيرة بعد هذه السنوات حزنت عليّ وأشفقت على شبابي الذابل وقبلت بي زوجا .. ما زلنا صغارا يا حميد .

ـ الشيوخ الكبار يتزوجون يا ميلاد .. المهم أن ترضى بك هي بديلا عن والد ابنتها.. لقد حاول الدكتور سامر العودة بها وابنتها ، فاختارت البقاء، فيبدو أنها ما زالت مرعوبة منك .

ـ مرعوبة! ولماذا مرعوبة ؟!

ـ إنك أبغض إنسان على قلبها .. مع أني أكاد أن أصدق أنك تحبها ، فهي تبغضك ، ولا تطيق الأرض التي تمشي عليها

ـ سأصبر سأصبر حتى يطلقني الصبر .



اتصل سامر بشقة مطلقته كالعادة التي يمارسها منذ استقر في العاصمة وفي شقة أمه ، فردت عليه الخادمة فليز دو ، فبعدما حياها طلب الحديث مع الأم ، فأخبرته بسفرها في رحلة طويلة بناء على نصيحة طبيبتها النفسية ، فاستغرب للوهلة الأولى ، ثم فكر لحظات وسأل عن البنت فأعلمته عن غيابها عن البيت لحضور حفلة ميلاد لإحدى زميلتها في المدرسة ، وأكدت له أنها لم تسافر مع أمها لطول وقت الرحلة ، وفضلت البقاء في البيت من أجل المدرسة ، فانزعج سامر لتصرف الأم أو لطول الرحلة ، وأدرك ما لازم الأم من ألم نفسي بسبب الطلاق والوحدة ، فشكر فليز دو ، وأمرها بالسلام على البنت عندما تعود من حفلة عيد الميلاد.. وشمس عندما حصل الطلاق كانت في الصف السابع الأساسي في المرحلة الأولى للتعليم الابتدائي ، فقد قبلت في الصف الأول قبل إكمال الست سنوات .

وكان الدكتور هنري وجنفياف زوجته يهتمان بشمس خلال فترة الغياب ، كما وعدها بذلك ، وكان هنري قد رافقها للمحطة التي ستحملها في برنامجها السياحي ، وهو أيضا الذي نقل شمسا لمكان الحفل ، ووعدها بالمجيء عند انتهاء الحفل عند منتصف الليل لإعادتها للبيت.

وكان سامر يعرف طبيعة المجتمع الكندي، فالمناسبات كثيرة ، والسهرات أكثر ، والمهرجانات متعددة ، فحفلات عيد الميلاد للصغار والشباب لا تنتهي على مدار السنة ، وقد شارك في عدد منها بحكم المجاورة .. وكوبيك منطقة تغلب عليها الكثلكة لفرنستها ، وقبعت تحت الحكم الفرنسي قرنا ونصف ، ثم انضمت للاتحاد الكندي ، وما زالت مهوى الفرنسيين المهاجرين، وكما أن فرنسا مهوى الكنديين من جذور فرنسية ، وسميت فترة بفرنسا الجديدة .

وعندهم مناسبات وطنية يحتفلون بها ، ويعطلون لها ، منها احتفالات أول السنة الميلادية في الأول من يناير (كانون الثاني) ، ويوم الجمعة العظيمة ، ويوم الفصح ، وهذه أعياد نصرانية مشهورة عند الأمم النصرانية في أنحاء العالم ، ويحتفلون بيوم فيكتوريا، ويكون يوم اثنين قبل ٢٥ مايو (أيار) ، وأهم عيد وطني يوم كندا ، ويكون في الأول من يوليو (تموز) ، وله ترتيب معين عندهم ، ويحتفلون بعيد العمال في أول اثنين من سبتمبر (أيلول) ، ونحن العرب نحتفل به في الأول من أيار ، ويوم الشكر ثاني اثنين من أكتوبر(تشرين أول) ، لأن أيام الآحاد عطلة رسمية باستمرار ، وفي ١١ نوفمبر عيد الذكرى .

يُحتفل ببعض أيام العطل الرسمية في كل كندا ، والبعض الآخر فقط على مستوى المقاطعات أو

إقليم محدد . من مظاهر العيد لديهم إغلاق المدارس الرسمية ، والمكاتب الحكومية ، والبنوك ومكاتب البريد ، ومحلات بيع الخمور ، ومعظم الشركات الأخرى تغلق أبوابها أيام العطل ، أما المعالم السياحية والمطاعم والمتاجر الصغيرة فالعديد منها يبقى مفتوحاً.

أذكر هذه الأعياد والمناسبات لتعلم عظمة الإسلام في تقليل الأعياد والمناسبات ، وأيضا للثقافة والتعرف على شعوب العالم الجديد ، وأيضا لأن صاحبة القصة وزوجها عاشوا في تلك البلاد ، وشاركوا واحتفلوا مع هؤلاء الأجانب ، وأخيرا لتقارن بين أعياد تلك الأمم وتقليد العالم الإسلامي والعربي لهم في بعض أعيادهم ومناسباتهم ؛ لترى ضعف الأمة المغلوبة والمقلدة .

يحتفل بعض الناس في كندا في الأول من يناير بيوم رأس السنة الجديدة بمناسبات تدعى ليفي والليفي هو نوع من الاستقبال الفريد لكندا والذي يعقد من قبل الحاكم العام ، وحاكم المقاطعات ، والعسكر وغيرها ، وذلك بمناسبة بدء عام آخر ، ولإتاحة الفرصة للناس للتحية تفتح العديد من المراكز الاجتماعية والحانات في الأول من يناير ، لتقديم حليب الموظ (شراب البيض والروم) من الصباح الباكر حتى وقت متأخر من الليل .

يحتفلون بيوم عيد ميلاد كندا وبتشكيل دولة كندا بالحفلات الموسيقية والألعاب النارية والأطعمة ، تجتمع العائلات والأصدقاء معا للشواء ، ويتم تنظيم احتفالات في جميع أنحاء البلاد .

يوم الولادة يوم العطلة هذا هو للاحتفال بـ 'أعياد ميلاد' نوفا سكوشا وجزيرة الأمير إدوارد كمحافظات ، ويقع نهار الاثنين الأول في أغسطس ، يطلق الناس عليه في بعض الأحيان اسم ' عطلة الحكومة الفيدرالية' ويتم إغلاق مكاتب الحكومة الفيدرالية والخدمات مثل مكاتب البريد وخدمات كندا.

يحتفل بعيد الشكر في كندا ثاني يوم اثنين من شهر أكتوبر ، في نهاية موسم الحصاد ، هذا هو اليوم الذي يقدم فيه الكنديون الشكر للأشياء والناس في حياتهم ، يحتفل أهل البلاد بتناول وجبة خاصة مع العائلة والأصدقاء ، وعادة ما تتضمن الوجبة ديك الحبش ، البطاطا المهروسة الخضار وفطيرة اليقطين .

يوم الذكرى يتذكر ويكرم الكنديون المحاربين القدامى ، وأفراد القوات المسلحة ، ويحتفل بهذا العيد في الحادي عشر من نوفمبر وهي الذكرى الرسمية لانتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨ . عيد ميلاد يسوع هو احتفال مسيحي ، ويزعمون أن رسالته الرئيسية هي 'السلام على

الأرض ومع ذلك فقد أصبح أيضا احتفال تبادل الهدايا بين أفراد العائلة والأصدقاء ، وهو العطلة الأكثر إثارة خلال السنة للكثير من الكنديين. تنظم العديد من الشركات والمنظمات حفلات لتبادل المواد الغذائية والتمتع في فترة عيد الميلاد. تضع العائلات شجرة الميلاد في المنازل ويتم تزيينها بالأضواء والزخارف احتفالا بالعيد ، كما توضع الزخارف أيضاً في الخارج ، بالإضافة إلى الأضواء الملونة والشخصيات الموسمية في المنازل والساحات.

المسلمون المتأثرون بهم المقلدون لهم الذائبون في هواهم يظهرون مثل هذه الأضواء والهلال والفانوس في رمضان والأعياد ، بل البلديات تهتم بمثل هذه الزينة علامة للاحتفال والاهتمام

يعتقد الأطفال النصارى أن بابا نويل سيجلب لهم الهدايا عشية عيد الميلاد إذا أحسنوا التصرف خلال العام ، فيكتبون رسائل إلى سانتا كلوز الرجل الثلجي ، الذي يعتقدون أنه يعيش في القطب الشمالي ، ويطلبون منه تقديم الهدايا. وفي صباح يوم عيد الميلاد تتجمع الأسرة حول شجرة عيد الميلاد وتفتح الهدايا.

بوكسينغ داي هو يوم ما بعد عيد الميلاد ، كان هذا اليوم في الأصل ، يوم استراحة بعد احتفالات عيد الميلاد وزيارة العائلة والأصدقاء ، ولكنه اليوم أصبح يعرف باسم عطلة التسوق حيث يتم تنزيل الأسعار بشكل كبير لزيادة المبيعات ، وعادة ما تكون المحلات مغلقة في السادس والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) ، تبدأ المبيعات الكبيرة في اليوم التالي ، وتستمر حتى رأس السنة الجديدة.

يحتفل بعيد الحب في ١٤ من فبراير ، يحتفل هذا اليوم بالحب والمودة ، حيث يعبر الأزواج عن الحب لبعضهم البعض ، ويتبادلون البطاقات والهدايا كالزهور والحلوى على شكل قلب أو مربعات الشوكولاتة والتذكارات ، ويذهبون في مواعيد ، يتبادل الأطفال في الكثير من الأحيان بطاقات عيد الحب في المدرسة. وفي بلاد المسلمين ينتشر إهداء الورد الأحمر والقلوب الحمراء بين المراهقين في مناسبة هذا العيد إنه التقليد الأعمى !

عيد القديس باتريك في ١٧ مارس ، كان هذا اليوم في الأصل تكريما لقديس إيرلندا سانت باتريك ، أما اليوم فأصبح حدثا اجتماعيا للاحتفال بالثقافة الايرلندية ، يرتدي الكثير من الناس في هذا العيد الملابس الخضراء ، ويحملون نباتات النفل ويعتمرون القبعات الايرلندية ، ويفرطون في الشرب (تقاليد سيئة من الفولكلور الايرلندي في هذا اليوم) ، وبعض المسلمين يحتفلون بميلاد الأولياء كما يزعمون .

عيد الأم الأحد الثاني من مايو ، يكرم الناس الأمهات في أسرهم بالبطاقات والهدايا ، وقد أصبح تقليدا لتقديم وجبة الإفطار للأم في السرير ، أو البرنش (الفطور أو الغداء في وقت متأخر) في أحد المطاعم ، ووفي بلادنا يهتمون بعيد الأم في آذار .. أرأيت التقليد ؟!

عيد الأب يكون يوم الأحد الثالث من يونيو ، هذا اليوم هو احتفال لتكريم الآباء، وهو يكمل عيد الأم.

الهالويين في ٣١ أكتوبر ، يستند هذا اليوم على تقليد وثني كوقت الأشباح ، العفاريت ، والسحرة ، فقد أصبح يوما لتمتع الأطفال بارتداء الملابس والسير على الأقدام من باب إلى باب في أحيائهم ، قائلين 'ترك أور تريت' للحصول على الحلوى ، تزين المنازل بأوراق الشجر الملونة واليقطين المنحوت ، وفي بعض الأحيان بالمخلوقات المرعبة المضحكة الشكل.

يتمتع الشباب والكبار أيضا بالهالوين من خلال تنظيم وحضور الحفلات والتنكر بالملابس في الأيام التي تؤدي إلى ٣١ أكتوبر.

هذه أعياد ومناسبات كندا الرئيسة ، وإلا المهرجانات والمسارح والرياضة الصيفية والشتوية لا تنقضي لكبر مساحة كندا وتعدد مناخاتها .

قضت زهيرة رحلتها غربا وجنوبا حسب خطتها وتعاقداتها مع شركات سياحية شائعة في تلك البلاد ، فكندا أكبر دولة مساحة في العالم بعد الاتحاد السوفيتي الذي اختفى وتمزق دولا ، وما زالت روسيا تحتل المرتبة الأولى مساحة في العالم ، وقد عادت مسرورة من تلك الرحلة الشاقة وأخذت تستعيد حويتها ونشاطها ، وقد تلاشى شريك حياتها بعد هذه الرحلة رويدا رويدا .. حتى أن جراح الولادة في المستشفى هنري رئيسها ، لاحظ تلك السعادة والحيوية التي عادت إليها ، ولاحظ همتها في العمل والمعالجة ، فسألها عن آثار تلك الرحلة ، فقالت سعيدة : الآن أدركت أنني أخذت القرار الصائب .

ـ وهو ؟

ـ البقاء هنا .

ـ أنسيت سامرا ؟

ـ لم أنساه ، فهو والد شمس ، إنما نسيت السنوات التي عشناها سوية .. لقد أصبحت ذكريات

فقال ضاحكا : إذن تزوجيني ما دمت قد نسيته .

تبسمت في وجهه وقالت : أتزوجك ؟! كيف ؟ أولا أنت متزوج ، وثانيا أنا مسلمة .

ـ ولماذا أنتم تتزوجون منا ؟!

ـ هكذا يقول الدين يا هنري .. المسلمة لا تتزوج إلا مسلما.. والدين يجيز للرجل المسلم الزواج من نصرانية أو يهودية ، وتسمى في القرآن عندنا كتابية

.. أنت ثقافتك عن الإسلام جيدة كما أخبرتني ذات مرة .

ـ بل مرات ، وأنا أعرف عن الإسلام ودين الإسلام أكثر من كثير من المسلمين هنا .

ـ هؤلاء مسلمون بالوراثة يا هنري .

قال : رغم أن المجتمعات في كل العالم لا تخلو من الزنا والفواحش؛ لكن المجتمعات الإسلامية أفضلها وأقلها زنا .. بل علمنا أن في بعض المدن العربية والإسلامية تقتل النساء باسم الشرف إذا فجرت .. نحن إذا بلغت الأنثى العشرين سنة ، ولم تعرف المعاشرة والجنس تصبح أضحوكة وسخرية للجنسين ، لابد لها من المصاحبة والمواعدة وممارسة الحب في سن المراهقة ، وتعتبر غير ناضجة إن لم تفعل ذلك

ـ لاحظت ذلك .. وما أكثر عمليات الإجهاض في بلاد الغرب حسب زعم الصحف والمجلات وإذا كانت ممنوعة بالقانون ، فنحن نعالجهم بعد عملية الإجهاض .. هل قمت بعمليات إجهاض ؟

ـ الكثير يا زهيرة وهذه مهنتي ومهمتي .. مع استخدامهن الوقاية من الحمل يقع الحمل .

ـ في مستشفيات خاصة

ـ خاصة وغير خاصة .. ألا تريدين الزواج مني يا زهيرة ؟

ـ مجنون أنت !

ـ أعلن إسلامي إذا قبلت بي .

ـ وجنفياف !

ـ عشاقها كثر ، وستقبل بالطلاق .



قصص وحكايات الفوارس

القصر المهجور

الحلقة ٢ والأخيرة

الغرفة المسحورة



ولما أشرق الصباح ، واستعد الجنود الثلاثة لدخول القصر تبعهم الأهالي، وشيخ القرية ينصحهم على عدم المغامرة بأرواحهم ، دار الجنود حول القصر فشاهدوا حجارة كبيرة استعملت في تشييده ، والأعشاب تحيط به ، ثم دخلوا من مدخله الواسع المتهدم الأبواب ، فرأوا تماثيل مرسومة ومنحوتة على الحجارة الكبيرة المبني منها الجدران والأسوار، ثم دخلوا قاعات القصر وغرفه ، ثم هبطوا إلى أسفله حيث الغرفة المسحورة التي تقع

تحت القصر، ويهبط إليها بسبع درجات، وهناك كان الباب القديم الذي لم يستطع أحد خلعه وأخذه ، وكانت فوقه النافذة الصغيرة أو الكوة ، وكان الظلام عندما دخلوا دامسا ثم تبدد بعد قليل ، وتحسنت الرؤية لديهم ، وتحدث الجنود مع بعضهم ، وبعد تفكير عاجل حسموا الأمر ، فقالوا للشيخ ومن معه من رجال القرية : سندخل أيها الشيخ نحن الثلاثة سوية.. فشكرا لكم ولكرمكم ووداعا .

وحسب الترتيب الذي اعتادوا عليه طول هذه الرحلة تسلق جرود إلى النافذة ودلى نفسه إلى الداخل ، وتبعه شروم ، ثم تبعهم الجندي سامان وهو يلوح للناس بيده : وداعا.

ومكث أهل القرية بضع دقائق لعلهم يسمعون صراخا صوتا ، ثم عادوا أدراجهم لمساكنهم يتحدثون عن شجاعة ومصير هؤلاء الجنود الثلاثة سقط جرود على الأرض ، ثم قال لشروم : انزل رويدا رويدا .. فالعفونة تملأ المكان والأرض رطبة ولما أصبح الثلاثة على أرض الحجرة ، واعتادت عيونهم على الظلام نظروا يمينا شمالا للأعلى للأسفل ، شاهدوا حشرات تتراكض في هذه الغرفة الموحشة وفئرانا ؛ كأنها جفلت من إزعاجهم لها ، وهم يفحصون المكان الموحش للنفس والبدن شاهدوا مدخلا صغيرا ، فمشوا إليه ؛ فإذا هو باب إلى مكان آخر ، فهبطوا الدرجات بحذر ، وكالعادة في مقدمتهم جرود ويليه شروم فسامان ، وبعد سبع درجات ؛ فإذا هم في غرفة أخرى؛ ولكنها أصغر من الغرفة المسحورة ، كما يشيع الناس، وكان الظلام فيها شديدا ، فأخذوا يتحسسون المكان بأيديهم إلى أن وجدوا بابا فاجتازوه وعدوا سبع درجات ثالثة ؛ فإذا هم في غرفة أصغر من الثانية، كما بدأ لهم ، ووجدوا فيها بابا صغيرا فدخلوه وعدوا سبع درجات أخرى ؛ فإذا بغرفة فيها ثلاثة أبواب، فوقفوا حائرين لبعض الوقت.. هل يدخلون من باب واحد أم يدخل كل واحد من باب ؟!

فتشاوروا فاقترح شروم قائلا : يدخل كل واحد من باب ويتفقد ما خلفه ، ثم نعود إلى هنا ، ونجتمع ونقرر الخطوة التالية ، أم ندخل معا من باب نتفحص المكان ثم نرجع وندخل الآخر ثم الآخر؟

قال سامان : الفكرة الأولى أفضل ، ونكسب بضع دقائق .. فينظر كل منا الحجرة التي سيدخلها ونعود .

فتذكر جرود كلام الثعبان الناصح فصاح : أنا الباب الأيمن !

فعجب الرفيقان من صياحه فقال شروم : أنا الباب الأوسط .

وقال سامان : وأنا الأيسر الباب الثالث .. هيا دخلوا ودخل جرود ، وعد سبع درجات ؛ فإذا هو يسير في نفق ، وليس غرفة وظل يمشي ليصل إلى نهاية النفق ، ومشى ومشى دون أن يصل لنهاية النفق، ففكر في العودة فيقول : لعل نهاية السرداب قريبة .

ومشى أكثر من الأول ، وهو يهمس بين جوانحه لعل النهاية قريبة ، وظل يسير ويسير حتى كلت قدماه من الإرهاق والمشي والتعب ومن ضيق المكان ومن الرطوبة .

فجلس جرود يستريح حيث وصل وهو يهمس : لقد تهت في هذا السرداب الممتد ـ الله أعلم ـ إلى أين ؟! ولابد أن صاحبيّ حل بهما مثلما حل بي .. وأكيد أن كل شخص دخل من الغرفة المسحورة جرى له ما جرى لي .. أين أنت يا شروم ويا سامان ؟!

والحق أن هذا ما حصل للجنديين الآخرين .. عد كل منهم سبع درجات ؛ فإذا هو بنفق ، وسار في النفق رويدا رويدا على أمل وصول النهاية ، فطالت عليه النهاية .. فيعاود التفكير هل يعود بعدما اجتاز كل هذه المسافة أم يتابع فلعل نهاية النفق قريبة ؟ فيعاود المشـي حتى أصابهم الوهن والتعب .

استراح جرود ساعة من الزمن ، وبعد تفكير ونظر ، تراه يقول مرة أخرى لروحه : هكذا يصير مع كل من دخل النفق .. درجات ثم غرفة .. درجات ثم غرفة ثم نفق طويل فيضيع المرء بداخله على أمل الوصول للنهاية .. وللوصول للنهاية لابد من متابعة المشي .

ونهض وتابع المسير في النفق ، وقد تسرب لقلبه اليأس من الحياة ؛ ولكنه يقول : لم اصطدم بأي جثة بعد .. أم أن له نهاية ..سر .. سر..

ولم يعد يدري كم أمضى من الساعات في هذا النفق؟! ولكنه بعد مسير مرهق سمع صوت ماء جاري ، فدبت الحياة في نفسه ، وأخذ اليأس يتبدد في داخله ، ويقول فرحا بالحياة : النهاية لهذا النفق المعتم قد أتت .

ولما وصل للنهاية كان منهك القوى من المشي في السرداب محني الظهر ومن الجوع والعطش ، فقد وصل إلى مجرى نهر صغير ، ووجد قاربا مربوطا على طرف النفق ؛ كأنه وضع لمن يصل إلى نهاية النفق ، فانبطح على بطنه وشرب من النهر حتى ارتوى ، ثم قلب نفسه على ظهره ليستريح ثم قال : لاستريح في القارب .

زحف إلى القارب زحفا ، وجلس فيه وهو يقول : سأتابع الرحلة .. لن أرجع للنفق والرفاق فات الأوان .

كان النهر الصغير تحت الجبل ، وبعدما نام بضع

ساعات في القارب أخذ بالتجديف للخروج من تحت الجبل ، ومشى بضع ساعات بالقارب قبل أن يخرج من الجبل ويرى السماء ، فوجد الكون في حالة نوم ، فقد رأى النجوم فربط القارب بشجرة قريبة من النهر والنفق المائي ، وألقى بنفسه على الأرض فنام من جديد ، وما استيقظ إلا عندما



رأى نفسه محمولا بين أيدي الرجال ، وهم يقولون : وصل الليلة !

فلزم الصمت ، بل تابع النوم من كثرة الإرهاق الذي أصابه خلال السير في السرداب الطويل واستيقظ مرة ثانية عندما ألقوه على فراش وثير في غرفة واسعة مفروشة بالأثاث الممتع ذي الألوان والجمال الفاتن ، وسمع أحدهم يقول : أنت مرهق ومتعب فتابع الاستراحة.. وبعد قليل سيقدم لك الطعام والشراب الطيب ويأخذونك للحمام يزيلون عنك الأوساخ والأقذار التي ألمت بك خلال الرحلة واعلم أنك في ضيافة الملك موسى . وبالفعل بعد حين يسير احضر له الطعام ، فهجم عليه بشراهة ؛ كأنه لم يأكل منذ سنة وهو يتمتم : جميل! .. طيب هذا الطعام .. لم أر له مثيلا !

أكل وشرب ونام ، ولما استيقظ قاده الرجال إلى الحمام بعدما ترك الثعبان أبا زكريا والحرباة أم مريم في شوارع المدينة بناء على رغبتهما ، فقد طلبا منه ذلك أثناء تناوله الطعام الشهي ، ولما رجع من الحمام نظيفا خفيفا انشغل فكره برفيقيه شروم وسامان ، وهل وجدوا مثلما وجد من الحياة الجميلة والراحة التامة والطعام اللذيذ؟ كأنه ملك من الملوك ، حوله رجال وغلمان يهتمون به ، قائمون على راحته وسعادته، وبينما هو غارق يتأمل بهذه النعم والخيرات حالما بدوام هذه الأحلام دخل عليه رجل وهو يقول : أذن لك أيها الرجل الضيف بالتجول في البلاد مدة عشرة أيام ، ثم تعود إلى هنا .. وكلما احتجت للطعام والشراب أو نعست فادخل أي مطعم أو نزل وكل واشرب ونم على حساب الملك موسى.. وخذ هذه البطاقة ليشاهدها أصحاب هذه الحوانيت .

ودفع إليه بطاقة ملوكية ، وتابع كلامه : وأشهرها في أي مكان تحتاج فيه لخدمة ، مهما كانت هذه الخدمة فسوف تقدم لك .

وكان جرود قد لبس ثيابا من حرير ، ووضع سيفه على جنبه وخنجره على وسطه ، ووضع البطاقة الملوكية في جيب سرواله ، ونزل للمدينة يتمشى فيها ليلا على ضوء المشاعل والشموع والفوانيس المنتشرة في الشوارع الجميلة المرصوفة بالحجارة

الناعمة الملونة ، رأى الناس يمشون ويلعبون ويتسامرون كأن الدنيا عندهم نهار ، ولاحظ في المدينة كثرة أماكن اللهو والترفيه ، ولاحظ أيضا أن الناس لم يلفتهم وجوده ، ولم يكترثوا بوجوده كأنه ليس غريبا بينهم أو ربما أن أكثرهم غرباء مثله .. شاهد التماثيل المنحوتة من الحجر والصخور في ميدان خاص بها ، ذهب إلى بحيرات العوم والغطس، دخل المطاعم والمنامات، زار الحدائق والبساتين ، شاهد معسكرات تدريب الجنود في مواقع مختلفة ، سار لميدان المبارزات في قلب المدينة .. مر على ساحة سباق الخيول .. زار أسواق المدينة المختلفة تفرج على حدائق الطيور والحيوان ، وشاهد حدائق الورد والأزهار .. تعجب من جمال المدينة والأشياء المتيسـرة فيها حتى خيل إليه أن كل أهلها من السعداء والأغنياء ، فأمضى الأيام العشرة باستمتاع ولذة ، فنسى ساعات التعب التي قضاها في السرداب ، وهو يقول كأنه مفسر لسر عدم عودة الداخلين الغرفة المسحورة إليها ثانية : كيف من يرى كل هذه النعم والراحة يفكر بالعودة للسرداب ثم القصر المهجور ؟!

رجع للغرفة التي نزل فيها عندما دخل المدينة محمولا على أكتاف الرجال ، حسب موعده مع الرجال الذين يخدمونه وهو في غاية الفرح والمرح ، كان يقول : ما أروع بلاد الأجداد !

وجد الرجال يرحبون به ، وقدموا له الطعام اللذيذ والثياب الجديدة بعد حمام ساخن ، ثم تركوه ينام حتى الصباح ، فاحضروا له الإفطار، ثم ساروا به إلى غرفة كبيرة في ديوان الحاكم فاستقبله شاب قاضي قائلا : أهلا ومرحبا بالبطل جرود .. أنا القاضي عين .. أرحب بك في بلاد الأجداد والجذور ، هل رأيت حسن بلادنا وحسن أخلاق شعبنا وأمتنا ؟ وهل رأيت حسن ضيافتنا ؟ وهل أعجبك كل ما رأيت أم لك انتقاد علينا أيها البطل جرود القادم إلينا من بلاد الفقر بلاد القط والفأر؟

فرد البطل جرود بإعجاب وامتنان وابتسام وخجل : يا سلام !!.. في الحق أن بلادكم جميلة ورائعة وساحرة وفاتنة ، فيها كل أنواع اللهو والرفاهية والمتع للعين والأنف واللسان والبدن والعقل ، فيها ملاهي المعازف والغناء، وملاهي الخمور والفجور .. يجد المرء فيها كل ما لذ وطاب من الشراب والطعام ؛ ولكن شيء لم أسترح له ..

فأشار له القاضي أن تكلم .. فقال : ولكن الناس هنا لا يهتمون بشؤون الآخرين كل يعيش وحده ولنفسه .. ولا يتدخلون في شؤون بعضهم بعضا .. كل يقوم بواجبه ولا يساعد أخاه أو جاره .

فلما سكت جرود عن ملاحظته ونقده ، استمر

الصمت بينهما لحظات، ثم قال القاضي معقبا على كلام البطل جرود الأخير : هذا حق .. والسبب لهذا أيها البطل حتى يعتمد شعبنا الباسل على نفسه ، ولا يتكل أحد منا على غيره ، فعودنا الناس على ذلك .. وأنت إذا رضيت بالحياة في بلادنا ستصبح مثل هؤلاء .. والآن أيها الجندي البطل بعد أن قمنا باللازم نحوك وانتهت أيام الكرم والضيافة ما العمل الذي تحب أن تعمله في بلادنا .. فنحن شعب لا راحة عندنا إلا بعد إنهاء أوقات العمل وفي الأعياد .

فقال جرود بخبث : وهل يستطيع الرجل مغادرة هذه البلاد ؟!

فضحك القاضي لسوأل البطل جرود وقال : هيهات .. هيهات أيها الرجل .. من دخل هذه البلاد لا يستطيع الخروج إلا بإذن الحاكم ، وإلى بلاد بعيدة في آخر الدنيا ، فعليك أن تقنع نفسك بهذه الحياة في هذا المجتمع ، فنحن قوم لنا أعداء كثيرون ، ومن يدخل بلادنا ويعود لبلاده فهو يعرض ديارنا وراحتنا وحياتنا للخطر .. فالذي يهرب يقتل ، وأما من خدم الملك وأخلص فله المكافأة .. البيت الجميل أو رحلة في بلاد الجمال أو قصر هناك .. فأنت يا جرود عشت سنوات طويلة من عمرك في بلاد القط والفأر، وخدمت الملوك والأمراء وما حصلت بعد كل هذه الخدمة والإخلاص على شيء من حطام الدنيا لا دار ولا مال .. أما عندنا فاخدم الدولة بإخلاص مدة يسيرة .. عشر سنوات فقط .. وستحصل على ما ترغب من المال الكثير الزوجة الجميلة .. البيت الواسع والحديقة .. والخيل .. والجوائز ..

فقال جرود : فهمت وعقلت كل ما قلت .. فما العمل الذي أستطيع القيام به وما أنا إلا مجرد جندي ، وأمضيت أكثر العمر حارسا للملوك والأمراء ؟!

فقال القاضي : ستلحق بمعسكر تدريب ، ثم تنقل للجيش .

ونادى القاضي أحد الرجال ، وأمره بأخذ جرود إلى معسكر تدريب ليتمرن ويلحق بجيش البلاد للدفاع عن ثرى بلاد الأجداد والآباء .

وبعد سنة من التدريب والتعليم والتمرينات ألحق جرود بكتيبة من كتائب الجيش المحارب ، ثم زوجوه فتاة حسناء ، ومنح مالا ، فاندمج اندامجا تاما في هذا المجتمع الجديد ، وأخذ يتأقلم معه وفيه ، وبعد حين أصبحت بلاده الأصيلة ذكرى تلوح له في الأفق والخيال البعيد ، وأصبح مقتنعا بالمحافظة على هذا الكيان والوطن الجديد ، ومحبا لحكام وأمراء هذا الوطن الذي منحه المال والبيت والزوجة ، ولا يزالون يغدقون عليه بالنعم ، وقد شارك مع الجيش في الحروب المختلفة وأصبح

ولاؤه للدولة الجديدة ، وما عاد يفكر في بلاد القط والفار والأهل والأحباب



أما شروم الجندي الثاني فظل يمشي ويمشي في النفق ، وهو يعلل النفس ببعد قليل ببعد قليل حتى عجز عن التفكير بالرجوع ، وصمم على المتابعة للأمام ، ولما وصل نهاية النفق كان بالطبع في غاية التعب والنصب والمشقة ، ولقد كان من حسن حظه أنه هو الذي يحمل الطعام والماء، فأكل وشرب بعض الشيء ، ثم نام ، ولما استيقظ مع ضحى النهار وجد نفسه في صحراء فصمم على البحث عن ناس أو شيء في هذه الصحراء الجرداء ، وبينما هو يسير فيها ، والهموم تملأ روحه لاحظ وجود ماء بحيرة ماء صغيرة ، فزحف إليها فشرب حتى ارتوى ، وبينما هو كذلك إذا برجال يحيطون به وسمعهم يقولون : رجل غريب !

فأوثقوه بحبل وساقوه إلى رجال الحاكم ، فظنوه جاسوسا في بادئ الأمر قد تسلل للبلاد ، وبعد تحقيق وتدقيق أخرجوه من السجن ، وتوعدوه شرا إن حاول الهرب والخروج من البلد ، فما كان أمامه إلا الصبر والرضا بما حل به ، وبعد حين التحق بجنود الحاكم الذي كانت تدور الحرب بينه وبين بلاد الأجداد من زمن إلى آخر، ثم انضم شروم لرجال الأمير عطية الذي خاض عدة حروب مع جيرانه من الملوك ليكوّن دولة جديدة ، وقد نجح في ذلك ، وأصبح الأمير عطية بعد حين ملكا كبيرا يحكم عدة مدن وبلاد ، وارتفع شروم بارتفاع سيده الجديد ، وأمضى الملك الجديد أكثر من ثلاث سنوات يوطد دعائم مملكته ، وقد نسي الجندي شروم بعد كل هذه السنوات بلاده والملك ظالم بن رداد ، وتعجب من حاله وأحوال الناس الذين يعيش بينهم ، حروب مستمرة مشتعلة فيما بينهم ، الصديق اليوم يصبح عدوا غدا، وعدو الأمس يصبح اليوم صاحبا وخليلا ، مع فقر وجوع يغشى البلاد والعباد ، وجنود يصرف عليهم من الأموال والمنافع مالا يعلمه إلا الله لشراء ولائهم للسلاطين ، وعجب من سيده الجديد عطية أنه إذا ظهر قائد يخشى منافسته ، فإما أن يزوجه أخته أو ابنته أو قريبته أو يتزوج هو أحدى قريباته أمه أو عمته أو أخته أو ابنته ؛ ليحافظ على ولائهم لعرشه وسلطانه ، ويأمن غدرهم والانقلاب والتآمر عليه ، فكان من نصيب شروم أن تزوج من ابنة عم للملك عطية ، فأصبح بذلك من كبار السادة ، ولاحظ شروم أن الملك عطية مستعد لمحاربة كل الناس ؛ ولكنه يتجنب الحرب والقتال مع بلاد الأجداد التي

يحكمها الملك موسى ، لكثرة جنوده وعتاده .. وبعد خمس سنوات قد قضاها في بلاد الملك عطية أصبح قائدا كبيرا في الجيش ، وهكذا أمضى شروم حياته ما بين حرب أو فتنة أو خروج على حاكم حتى تمكن عطية من إحكام قبضته على البلاد والعباد

حاول الملك عطية كثيرا تجنب الحروب مع بلاد الأجداد ؛ ليحافظ على مملكته الناشئة؛ ولكن ملك تلك المدينة أراد أن يوقفه عند حده ، ويحجمه ، فشن عليه حربا ، وكانت حربا قاسية خاضها جنود الملك عطية وقادته مرغمين ، ووقع الكثير منهم أسرى عند الملك موسى ، وأمام ضغط الملوك المجاورين توقفت الحرب على مضض ؛ ولكن الملك عطية أصر على متابعة القتال والتحدي ، فأخذ يحشد الجنود من جديد للثأر ، وكان ملك بلاد الغرب الملك " عديد الشديد " قد توسط لدى الطرفين لإنهاء الحروب والقتال بينهم وحقن دمائهم ، وما زال يتشفع لدى الملك موسى للعفو عن الأسرى وقادة جيش الملك عطية ، وكان ممن وقع وسقط في الأسر الجندي المعروف شروم ، وهو عندما دخل هذه البلاد قد تبدل اسمه فأصبح يسمى القائد ثعلبا .

دعى ذات يوم الجندي شروم أو ثعلب لغرفة رئيس السجن للتحقيق معه ، فلما رآه رئيس السجن دقق النظر فيه كثيرا ، ثم صرف كل من كان في الغرفة ، وتقدم من شروم وهو يقول : ما اسمك أيها القائد ؟!

فرد شروم : شروم .

سكت رئيس السجن قليلا ثم هتف قائلا : ما موضعك في جيش عطية ؟

فرد شروم وهو شارد الذهن : جندي من جنوده

عاد رئيس السجن يقول : ولكنهم قالوا إنك قائد كبير ، وملك بلاد الغرب تدخل لدى مولانا الحاكم الملك موسى ليعفو عنكم .. وهل يهتم الملوك بكم لو لم تكونوا كبارا ؟!

فعاد شروم يقول : لا ، أنا مجرد جندي صغير .

فجأة صاح رئيس السجن : سيد شروم .. هل تذكر القصر المهجور؟!

انتفض شروم وقال بتعجب : القصر المهجور ..!!

تأكد لجرود مدير السجن أن هذا صاحبه شروم أثناء الرحلة إلى القصر المهجور ، فقال : أتتذكر عندما دخلت مع صاحبيك ساحان وجرود ذاك القصر ؟

نهض شروم عن المقعد الذي يجلس عليه ، وهو يحدق النظر في جرود الصديق القديم ثم همس :

أيعقل يا هذا أن تكون صاحبي القديم جرود ؟!

احتضن الرجلان بعضهما البعض وقال : أجل .. أنا جرود .

وروى كل واحد قصته وما جرى له مع الأيام ، وتذكرا الصديق سامان ، وتمنيا اللقاء به ، ومكث ثعلب في سجن صاحبه جرود سنة من الزمان ، دخل عليه صاحبه جرود قائلا : سيحضر وفد من قبل الملك عديد الشديد ، ووفد من قبل الملك عطية ليجتمعوا بوفد من عندنا ليتفاوضوا على فك الأسرى ، وسيمرون عليكم في السجن ، فاستعد لرؤياهم وأخبر جماعتكم بذلك .. واسمع يا صديقي القديم إذا كنت قد آثارت البقاء في بلادنا سأتشفع لك عند الأسياد ففكر في هذا العرض يا صاحبي .. فنحن أقوياء، وجيش مملكتنا من أقوى جيوش هذه الممالك كلها .. وعندنا حرية مطلقة ، ولا أحد يفرض نفسه على الآخرين ، وعلاقتنا متينة مع أكثر الممالك العظيمة ، وعندنا المال الكثير الكثير ، ومن النعم الكثير الكثير ويمكن أن تمنح بيتا واسعا ومالا كثيرا وزوجة شابة حسناء كما حصل لي .

فلما سكت جرود عن ذكر حسنات بلاد الأجداد ، قال شروم بعد نظر عميق في عيني جرود : مقابل ماذا كل هذه الأشياء ؟!

فقال جرود بحماس : أن تحافظ على هذه البلاد من الحاقدين المبغضين ، وتخلص لمليكها وشعبها وبس ..

هز شروم كتفيه ورد : بعد مقابلة الوفد الزائر سأفكر بعرضك الجميل يا صاحبي الجميل .

وبعد أيام حضر رئيس وفد ملك الغرب ، ورئيس وفد الملك عطية للسجن لرؤية الجنود والقادة الذي سقطوا في الحرب الأخيرة ، فاستقبلهم جرود أحسن استقبال، ولما وقعت عينه على وجه رئيس وفد ملك الغرب تذكر صاحبه سامان جندي الملك فرجة ، وتحدث معه ، وعرفه بنفسه وماضيه .. ، فتذكر سامان ذلك ، وتعجب للقدر كيف جمع ثلاثتهم في هذا السجن ؟! وكانت المفاجأة للجميع ! بأنه قادم للمساعدة في الإفراج عن صاحبه شروم ، وبعد مقابلة السجناء والاطلاع على أحوالهم ، دعاه جرود لبيته ليسمع قصته ، وفي الليل كان سامان رئيس وفد الغرب في ضيافة رئيس السجن ، ولما خلا المكان استمع جرود لحكاية صاحبه.

قال : دخلت النفق مثلكم .. امش .. امش.. وأنا محتار هل أعود أم أبحث عن نهاية النفق ؟ أتابع البحث ، لابد أنني اقتربت وهكذا إلى أن يئست من العودة ، وعزمت على الوصول لنهاية النفق ، فبين سير وراحة حتى وجدت نفسي على حافة بحر ، فنمت من الفرح لما شاهدت السماء

وظللت أياما انتظر سفينة تمخر عباب الماء فألوح لهم عساهم يحملونني معهم .. رأيت مركبا فلوحت لهم بثيابي ، فلما رأوني قدموا إليّ فحملوني معهم ، وذكرت لهم بعض قصتي فتركوني في بلاد الغرب ، وهناك بدأت حياتي من جديد .. فتعلمت لغتهم ولسانهم ونسيت بلادي ووطني ، ووجدت الحياة جميلة هادئة ثرية .. نكحت امرأة منهم ، وكان والدها رجل كبير في تلك البلاد ، وعلى صيته وسمعته بدأت ازحف في المجتمع الراقي إلى أن أصبحت من رجال الدولة ، ولما حدث الحرب بينكم وبين الملك عطية تعاطفنا معكم ، وقد ذكروا لنا ضعفكم وكره هؤلاء وحقدهم عليكم ، فجمعنا لكم المزيد من المال والسلاح وكم فرحنا بنصركم على الملك عطية ! وقد أسرتم كثيرا من جنوده وقادته ، فأحب ملكنا أن يصلح ذات البين بينكم ، وطلب منكم العفو عن الأسرى لتهدئة الخواطر وكف الدماء ، وبالعفو عنهم تتعاطف الشعوب معكم ، ومن أجل هذه الغاية وغيرها تدخل حاكمنا عديد الشديد ، ولتنعموا بالسلام والوئام ، ويعم الخير والمال على العباد والبلاد .

خرج شروم ورفاقه من سجن بلاد الأجداد بشفاعة بلاد الغرب ، وعاد لبلاده وعاد سامان لبلاده ، وظل جرود في بلاده ، وبعد سنين أتى خبر لجرود فيه أن صاحبه القديم والسجين عنده شروم قد أصبح ملكا على بلاد الواحات بدلا من الملك عطية الذي أصيب بمرض عصيب لا يستطيع بسببه حكم البلاد ، فصار القائد ثعلب هو الحاكم الجديد ، فأرسل له جرود رسالة يهنئه فيها بوصوله لأعلى كرسي في البلاد من بعد أن كان جنديا يبحث عن الذهب والجواهر ، ويكاد أن يضحي بحياته من أجل ذلك الهدف .

سافر جرود إلى بلاد الغرب والتقى بصاحبه سامان ، ومكث عنده بضع سنين ثم رحل إلى بلاد الواحات ، والتقى بصاحبه شروم الملك ثعلب ، ورحب به في البلاد ، وحذره من كشف نفسه وصداقته له أمام القادة والجنود ، وأصبح جرود بصحبته القديمة لشروم عينا على مملكة ثعلب واستغل صداقته ومعرفته بالجندي شروم للاطلاع على أسرار الحكام الجدد للبلاد ، وكان ينقلها لبلاد الأجداد عن طريق أم مريم الحرباة القديمة ، وذات يوم كان أحد الجنود قد سار لاستدعائه للملك ثعلب ، فسمع حديثه مع أم مريم ، ورآها تخرج وفي فمها ورقة فخطف الورقة منها وقتلها ، واطلع قادته عليها ، فوضعوا جرود تحت المراقبة الدقيقة، فتبين لهم أنه عميل وعين لمملكة الملك موسى ،

فذكروا ذلك لثعلب فتغاضى عن الأمر ، وعلى عدم اهتمام الملك ثعلب بهذه القضية قام مجموعة من القادة بتمرد وعصيان على الملك وعزلوه وفي السجن طرحوه ، واعتقلوا الجندي جرود وأخضعوه لتحقيق طويل وعنيف ورموه في سجن عميق ، وقام أبو زكريا الثعبان بنقل خبره لبلاد الأجداد ، ثم سقط أبو زكريا أسيرا فأهلكوه ، وحكم قاضي القادة الجدد على جرود بالموت أمام العامة ، وتوسط ملك الغرب عديد الشديد لديهم للعفو عنه ، وأتى سامان من أجل هذه الغاية ؛ ولكن القادة الجدد رفضوا الشفاعة ، واعدموه الحياة بوجود سامان ، فغضب سامان لموت جرود وقفل لبلاده حزينا على نهاية جرود .. ثم نشبت الحرب من جديد بين بلاد الأجداد وبلاد الواحات ، ودامت أكثر من خمس سنوات ، ذاقت فيها جيوش البلدين ويلات الحرب ، ودمرت البلاد والعباد على أثر موت الجندي القديم جرود .. وقبع الجندي شروم في سجنه حتى المات .. فهذه قصة الجندي جرود وصاحبيه شروم وسامان في بلاد ما وراء القصر المهجور .

تمت قصة القصر المهجور

التحقيق الجنائي والجريمة

رجل اسمه سنار ٢

جريمة رأس السنة

لقد انتشر بين رجال الأعمال والمال في بلاد العرب والمسلمين الاحتفال برأس السنة الميلادية ويحتفلون بها في الفنادق ذات النجوم الخمسة والأربعة، وفي النوادي الخاصة بهم، والصالات الفخمة؛ وذلك للتقليد الأعمى للغرب والاستعمار الذي شجع ورغب بهذه الاحتفالات والمناسبات، واعتبرت السنة الميلادية سنة الأعمال والجرد والميزانيات العمومية للشركات والمصانع .. وفي بعض دول العالم الإسلامي، وقل أغلب الدول الإسلامية تعتبرها السنة الرسمية للدولة وموازنتها العامة .. وبعض الدول تعتبرها عطلة رسمية ، فتتوقف الدوائر الحكومية ومؤسساتها عن العمل ذلك اليوم.. وتجري احتفالات شعبية ورسمية في بعض البلاد احتفاء بها .

وسنار بصفته رجل أعمال وتاجر في المدينة لا تفوته مثل هذه الحفلة، بل كان يهتم بها، ويحتفل بها أثناء وجوده في تركيا طالبا وتاجرا ، ولسعي الأتراك بالاندماج الكلي في أوروبا يهتمون بها.. وأغلب مشاركته بليلة رأس السنة تكون في الفنادق الكبيرة التي تهتم بإحيائها بفرق رقص وموسيقى شرقية وغربية.. وتارة يذهب لأوروبا للاحتفال بها ثم يعقبها عقد صفقات تجارية.

كان يقضي السهرة مع فريق من الأصدقاء ورجال الأعمال الذين يعتبرون رفاقه في المدينة كانت الحفلة في إحدى صالات فندق العصفور الماسي .. شاهد الغناء والرقص الغربي .. وأكلوا من البوفيه المفتوح ، وشربوا الشراب المغتال للعقول .. كانت الحفلة فرصة لهم للمجون والرقص .. وكانت الحفلة تعتبر يوما فريدا ومهما للمرح والسرور والسكر طول الليل.. ومع تباشير الفجر ينصرفون من قاعات الرقص والسكر.. فغادر الرجل الثمل الصالة عندما بدأ السكارى مثله بالمغادرة ، كان يمسك بيده أحد الخدم العاملين للفندق.. وخادم آخر يمسك بيد زوجته الثملة مثله الشبه عارية بملابسها الفاضحة ؛ إنما هو التقليد الأعمى ، ونافسته في الشراب ، وهي التي ولدت قبل أيام قليلة ووضعت مولودها الأول وسهرة كهذه لا يجب أن تفوتها وهي ابنة الغنى ورجال الأعمال وابنة العائلات الثرية (١)

خرجا من المصعد إلى باب الفندق حيث ينتظرهم السائق الخاص بالسيارة أمام مدخل الفندق .. كانا يترنحان من كثرة السكر ، ربما لو ترك الخدم أيديها لسقطا أرضا من فرط الشراب والسكر.. كانت السيارة تقف عند الرصيف أمام الفندق لكثرة السيارات.. لذلك ذهب السائق الخاص وأمسك بيد السيدة من الخادم وأدخلها كرسي السيارة الخلفي، وأغلق الباب وتركتها ترتمي على المقعد .. شبه فاقدة للوعي ، ورجع ليأخذ بيد سنار الذي يترنح يمينا وشمالا ، ولكنه واقف على رجليه.. ومشى به نحو باب السيارة.. ولما فتح له الباب ليدخل في المقعد المجاور للسائق.. سمع دوي رصاص ، وسقط سنار أرضا بين الرصيف وباب السيارة متكوما على بعضه يصرخ من الألم ،وابتعدت سيارة مسرعة ، السيارة التي أطلق منها الرصاص ، وهرع رجال أمن الفندق وبعض الموظفين لمكان الحادث.. ثم أقبلت سيارة الإسعاف والنجدة ، ثم حضر رجال البحث الجنائي والتحقيق وتبعهم الطب الشرعي .. ثم نقلت الجثة التي لفظت أنفاسها قبل وصول سيارة الإسعاف إلى المستشفى العام .. ولما ذكر

---

(١) الإسلام حرم الخمر وبين خطرها وضررها { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة] فلها ضرر ديني وعقلي وأخلاقي واقتصادي واجتماعي وصحي وحتى سياسي .

السائق الخاص اسم القتيل .. اتصل أحد الضباط بشقيقه المقدم رباح ، ولما استيقظ الرجل على صوت الهاتف كانت امرأته تستيقظ مثله ، وهم معتادون على التلفونات في كل الأوقات ، فقالت له بقلق : من ؟!

ـ قتل أخي سنار أمام فندق العصفور الماسي ، وهو يحتفل برأس السنة مع عصابته!



تحقيق الشرطة

قام رجال الشرطة بتحقيق جنائي كامل حول ملابسات مقتل سنار التاجر.. عرفت السيارة التي اتخذها الجناة وسيلة لارتكاب الجريمة ، فقد تبين لهم أنها مسروقة وقد بلغ عنها منذ أيام قبل حادث القتل.. وفشلت الشرطة في الوصول لسارق تلك السيارة ، وفشلت في معرفة الجاني ، وبعد مرور أكثر من أسبوع قيدت الجريمة ضد مجهول .

زار رباح ابن عمه جبران شريك أخيه في التجارة ، وسعى لأخذ معلومات منه تفيده في التحري والتحقيق الخاص الذي صمم على متابعته للإيقاع بالجناة .

وقال له جبران بعد كل المحاولات والمراوغات : الصمت يا ابن العم أفضل.

بعد تأمل بنصيحة جبران همس رباح : يمكنني أن أقول بكل ثقة يا أبا صابر أن لهذه الجريمة المؤلمة علاقة بجريمة إسطنبول .

قال جبران بضيق ونفرزة خفيفة: لا تضغط عليّ .. ما قلته لك في تركيا قلته لك الآن وغدا.. كنا نسهر في ذلك الملهى كما تعودنا في كل رحلاتنا إلى أنقرة أو إسطنبول .. وذاك الرجل كان يعاوننا في بعض المهمات القذرة التي يستطيعون فعلها ، ونحن لا نستطيعها التجارة والصفقات تحتاج أحيانا لمثل هؤلاء الرجال .. طلبنا منه عملا ما، ففشل في فعله فطلب أجرة، فرفضنا قبل تحقيق العمل .. فما كان منه إلا أن أخرج مسدسا ـ قد أدخله خلسة ، لأن السلاح ممنوع إدخاله للحانات والملاهي ـ ورمى به سنارا برصاصتين ، وكنت قد رميته أرضا فسقط فهجم أمن الملهى عليه بسرعة ، وجاءت الشرطة .. أما المهمة التي أردناها منه فهي سرية ومن أسرار العمل.. وسنار نفسه رفض ذكرها لك ، فعليك أن تعلم أنني عاجز عن ذكرها .. فأنا أرفض يا أبا جلال .. أرجوك لا تضغط عليّ .. وأنا مثلكم وأكثر منكم متضايق من مقتل ابن عمي سنار .. صديقي الوحيد في العائلة ..

وأنا مثلك أعتقد أن لتلك الجريمة في ملهى تركيا علاقة بجريمة مقتله هنا .. والرجل التركي آق كوز الذي حاول قتله هناك علمت أنه ما زال يقبع في السجن .. هنالك ربما استئجار قاتل سهل وممكن ، أما هنا وأنت خير من يعلم لا يمكن استئجار قاتل.

ـ وأنا اتصلت مع بعض الأخوة الضباط وذكروا أن الرجل لم يخرج من السجن منذ ذلك الحادث ، وقد يفرج عنه قريبا بعد انتهاء مدة الحبس .

بعد صمت عاد رباح يقول: اسمع يا ابن العم إذا كان عندك معلومة مهمة في الانتقام والثأر لشريكك وصديقك سنار أخبرني بها حتى لا تتورط في قضايا أمنية.

هزّ الرجل رأسه وقال : ليس عندي شيء، وأنا أشد حزنا لمقتل سنار.. فأرجوك يا أبا جلال ..أن تدعني وتنساني .

نظر إليه متأملا ثم قال : إني مستغرب من تصرفاتكم .. أليس عليك خطر ؟

ـ حياتي كلها خطر يا ابن العم.. والذي يلعب بالنار عليه أن يتحمل النار وحرق النار .

ـ والتجارة ؟

ـ أنا تحدثت مع عمي حمدي ، وسأقوم بمساعدة مكتب المحاسبة الذي يعمل حساباتنا لمعرفة حصة سنار في الشركات والمحلات ، وسيدفع للمحكمة لتقسمه بين الورثة، وعلمت من أحد المحامين أن المال سيقسم على أربعة أشخاص أمك وأبيك وزوجته وابنه المولود حديثا .. فعمي راغب بأخذ أموال سنار والانفصال عن التجارة والمحلات، وحصة ابن سنار ستخضع لمؤسسة رعاية أموال الأيتام .. والزوجة لست أدري بشكل حاسم ستبقى شريكة أو تنفصل .

ـ شكرا لك ، أنت تعمل حسب الأصول .. اسمع يا ابن العم أنا لن يهدأ لي بال حتى أعرف أسرار سنار ومغامراته ، ومعرفة أسباب قتله هنا وأسباب محاولة قتله هناك .. سوف أعرف ولو تركت العمل في الشرطة وتفرغت لهذه القضية .

ـ اسمع نصيحتي أيها الضابط .. من حقك أن تعرف قاتل شقيقك .. نصيحتي الخالصة لك وللأسرة نسيان القضية .. ما دامت الشرطة عجزت وأوقفت البحث .. فأنت افعل مثلها .. فكل يوم يأتي يباعد من الوصول إليهم .. فمقتل سنار إذا كان جريمة كبيرة .. فيمكنك أن تسميها جريمة دولية .

ـ دولية !

ـ ما دام أنت ربطتها بحادث باي اوغلو .. فهي دولية وأنا سأقول سرا خاصا بي .. بعد أن أتأكد من ظنوني وشكوكي وتصفية الشركات

والشراكة بيني وبين المرحوم سنار سأختفي من هذا البلد .

ـ تختفي ؟!

ـ أجل .. إذا تأكدت فستكون حياتي أيضا في خطر.. فأنا شريك سنار .

ـ اطلب حماية الأمن .

ـ الأمن .. ماذا سيفعل ؟ وسيسألون .

ـ تكلم تحدث عن هذه الشكوك .

ـ صعب يا أبا جلال .. أرجوك أنني لا أحب الحديث عن أسرارنا الخاصة في التجارة .

ـ عجيب أمر هذه الأسرار!! .. كأنكم تتاجرون بصناعة الصواريخ أو القنابل الذرية .. تجعلون لتجارات تافهة أسرارا خطيرة .. وتابع بعصبية: على كل حال قرفت منك .. إذا احتجت لمساعدة فأنت تعرف مكان عملي وتلفون البيت .. وسأعلم بإذن الله قتلة شقيقي

ـ أتمنى أن تعرف .



زار المقدم رباح ضابطا كبيرا عمل في خدمة التحقيقات الجنائية ، وتقاعد منذ زمن يسير العميد (حيدر افشي) ، وقد برع الرجل في التحقيق في الجرائم ومطاردة الجناة وحل الغاز الجرائم المعقدة ، وقد اشترك معه في تحقيق عدد من الجرائم والحوادث التي شابها الغموض أثناء الخدمة .. واستقبله الضابط على اتصال مسبق بينهم .. وساقه إلى مكتبه الفاره في بيته الواسع والمؤثث بأفضل الأثاث، ولما انتهت المجاملات ، وتذكروا بعض أحاديث الذكريات، وأدخلت الخادمة عليهما القهوة قال رباح : لقد علمت بحادث مقتل أخي سنار

ـ أجل، وشهدت جنازته ـ رحمه الله ـ وذكرت لي يومها قصة محاولة قتله في تركيا منذ أشهر .. والذي أدهشني أنكم لم تمسكوا الجناة .

ـ ومن أجل هذا جئت إليك يا سيدي العميد .. فأنت صاحب خبرة وفطنة مشهود لك بها بين رجال الأمن والتحقيق البوليسي .. لم أسمع أنك عجزت عن الوصول لجاني قاتل في حياتك المهنية المديدة .

ـ بارك الله فيك يا رباح .. والشكر لله وحده ، وهذا من توفيق الله وحده .. لقد شاركت في تحقيق جنايات سياسية ومدنية ووفقني الله بالنجاح فيها .. آ .. والآن ما هي قضيتك بالتفصيل .

ـ القضية يا سيدي أننا لم نعرف الدافع للاغتيال .. فسنار أخي ليس سياسيا .. إنما هو بائع

ومستورد للأطعمة والشراب والحلوى .. وأكثرها منتوجات تركية .. لم نعلم له أعداء .. وكان موفقا في تجارته .

وسرد عليه بعض حياة سنار ، وذكر له حادث ملهى إسطنبول .. وحدثه عن الغموض الذي يراه هو شخصيا المحيط بحياة سنار الخاصة .

ولما سكت رباح خيم الصمت على المكتب لبضع دقائق ثم همس حيدر : هل في القصة رائحة المخدرات ؟!

ـ شككت في ذلك منذ زمن ؛ ولكن لا دليل عندي .. لم يسجل عليه أي قضية مخدرات لا شراء .. لا بيع .. لا تهريب ..لا ترويج .. والذي شككني يوما بهذه الثروة التي بين يديه .. إنها ثروة كبيرة هبطت عليه وهو دون الثلاثين من عمره .. وإنفاق بسخاء .. كل سنة سيارة آخر موديل أمريكية أو ألمانية .. لم يسجل عليه أي قضية تهريب مخدرات .. أو تجارة أسلحة .. هذا الشك جاءني من المال الكثير فحسب

ـ وابن عمك جبران لا يتكلم بشيء ينير الطريق .. وأنت متأكد أنه يخفي أشياء

ـ نعم ، يزعم أن هناك أسرارا للعمل .

ـ الدافع غامض في هذه الجريمة .. لو كان هناك مخدرات لقلنا ربما تصفية حسابات بينهم أو صراع زعامات أو مناطق ترويج .. سيارة الجريمة سيارة مسروقة قبل الحادث بأيام .. وهل ثبتت براءة مالكها مائة بالمائة ؟

ـ نعم ، السيارة لسيدة متزوجة ولها خمسة أبناء ، تعمل السيدة في إدارة مدرسة خاصة .. فقد سرقت سيارتها وأخفيت في مكان ما لساعة تنفيذ الجريمة .. والشرطة قد عممت عن فقدها ، وكان البحث عنها جاريا .. وأعتقد أن السيارة بريئة من الجريمة .

ـ والمفتاح المستخدم في قيادتها .

ـ لم يستخدم العنف في استخدامها ، والقتلة لا يعجزون عن تقليد مفتاح سيارة

ـ هي عصابة إذن .

ـ القتل حدث لما هبط سنار وقرينته فجرا يترنحان من شدة السكر ليلة رأس السنة الغربية إلى الشارع أمام الفندق ، أدخل السائق المرأة في المقعد الخلفي ، وفتح باب السيارة الأمامي ليدخل سنار بجواره ، ولما اقتربا من الباب اقتربت سيارة من سيارة أخي ، وأطلق أحدهم الرصاص عليه ، فسقط على الأرض بين الباب والرصيف.. ولما جاءت سيارة الإسعاف، كان الرجل قد فارق الحياة، ومات مخمورا للأسف .. وأطلق القاتل الرصاصات من نافذة السيارة ثم ابتعدت مسرعة أمام ذهول السكارى.. جريمة مدبرة وجريئة ومعد لها بتدبير وتخطيط

.. ورغم سرعة تنفيذها تمكن أحد الموظفين العاملين في الفندق معرفة أرقام لوحة السيارة ولونها ونوعها.. وبعد حوالي خمس ساعات وجدت السيارة مركونة في منطقة مهجورة ، الرِجل إليها خفيفة كما يقال ، ولا شيء فيها يدل على الجناة .. لا بصمات ولا عقب سيجارة .. واختيار الوقت والمكان يدل على علم الجناة بتحركات سنار ومكان سهرته ووقت انصرافه

ـ رفاق السهرة أليس لديهم معلومات ؟

ـ لم ير رجال أمن الفندق شيئا مريبا تلك الليلة .. وأغلب المحتفلون رجال أعمال وزوجاتهم .. وحياتهم رقص وسهر وسكر وموسيقى رفاق مجون .. كما قرأت في محاضر الشرطة لم يذكروا شيئا مهما حدث تلك الليلة .. القضية صعبة، ولكن لابد من ثغرة وخيط وخطأ لم نعرفه لحتى الآن.

ـ نعم ، لابد من نقطة في غير موضعها لم يلتفت إليها رجال الأمن ، سأفكر بعمق في هذه القضية التي تبدو معقدة .. لأنه لم يقبض على الجاني والسائق .. هل فروض معينة وضعها رجال الشرطة ؟

ـ وضعوا فروضا كانتقام .

ـ انتقام ؟!

ـ افترضوا أن سنارا أساء لأحد أو لفتاة ، وأن أهلها أو زوجها انتقموا منه .. ولما راجعوا سيرة سنار مع النساء لم يجدوا ما يثبت هذا الافتراض .. لم يجدوا هذه الفتاة التي أساء إليها لينتقم أهلها .. افترضوا أنه عضو في عصابة ؛ ولكن أين هذه العصابة ؟.. التقوا بعمال المحلات والشركات لم يجدوا إشارة بهذا المعنى .

ـ جريمة محيرة فعلا أيها الزميل الفاضل! .. على كل حال هذه الجرائم الغامضة إذا لم تكشف بسرعة ستكشف بعد حين ؛ لأنه سيكون لها ذيول .. لابد من تحديد القتلة ، وستظهر دوافع الجريمة ولو بعد حين .

نقاط

اتصل العميد حيدر برباح ولما التقيا وشربا الشاي انتقلوا لمكتب العميد ، وأغلق الباب عليهما ، وقال بعد استوائهما جالسين متجاورين : تحدثت مع بعض كبار الضباط ، وبالفعل إن المعلومات التي لديهم ضئيلة جدا .. وهم في ارتباك وتعجب ويقولون إن الجريمة مخطط لها بمكر وتمهل ووراءها عقل جبار .. وقد تركوها للزمن، ربما يختلف الشركاء في الجريمة ويسقط بعضهم .

ـ هذا أكده لي مدير الأمن العام يا سيدي شخصيا.. وحتى ضباط كبار في مخابرات البلاد لا شيء عندهم حول الحادث الرهيب .

قال العميد الجنائي حيدر ببطء: أنا فكرت بكل سمعت منك، ولسوف أزور إدارة التحقيقات وأقرأ كل المحاضر ، وعندي نقاط قد تساهم في مسك خيط

تحرك رباح في كرسيه وقال بحماس: نقاط .. حسن .. تفضل .

ـ هنا نقطة في سرقة السيارة .. كيف سرقت السيارة؟ أنت ذكرت أنها لم تسرق بعنف ، لم يستعمل العنف في سرقتها، وجدت سليمة .. إنها سرقت لتحقيق هذا المقصد الإجرامي.. استخدم مفتاح مقلد بتشغيلها .. كيف حصلوا على مفتاحها الأصلي ليصنعوا تقليدا له ؟

ـ أنت تعلم يا سيدي أن سارقي السيارات لا يعجزهم تقليد المفاتيح ، فكيف بمن يخطط لارتكاب جريمة كهذه ؟

ـ نعم ، فهم يحتاجون إلى نسخة أصلية يقلدون عنها.. هل أخذوا عددا من المفاتيح وجربوها ورسوا على المفتاح الملائم ؟ .. أنت ذكرت أن السيارة وجدت سليمة ، واستخدم مفتاح في تشغليها، لم تشغل مباشرة من الماتور والبطارية .. كيف وصل المفتاح للعصابة؟ .. هم عصابة هذه النقطة الأولى .. علينا أن نعرف عند من تصلح المرأة سيارتها وآخر مرة صلحت فيها السيارة ؟ .. لأن هؤلاء الفنيين أحيانا يأخذون المفاتيح من أصحاب السيارات لتحريك السيارة إلى هنا وهناك .. فأصحاب السيارات عادة يتركونها لديهم ، ويعودون بعد ساعات وبعد أيام .. حسب الوقت اللازم للتصليح .. وبعضهم يتركها في محطة الصيانة والتنظيف وعند مغادرة العمل يعود لاستلامها واستلام مفاتيحها .. وهؤلاء العمال يستغلون هذه الفرصة لقضاء حوائجهم في تلك السيارات .. على رجال البحث الجنائي الاهتمام بهذه النقطة بالعودة لتلك السيدة ومعرفة المحطة التي تصلح بها سيارتها ، وآخر مرة زارت تلك المحطة للتصليح أو التنظيف .. وليفعلوا هذا بسرية تامة .. فإذا ثبت لدينا هذا الظن .. وأن السيارة كانت في كراج تصليح أو صيانة .. فيتابع عمال الكراج الفني أو محطة الصيانة .. فربما نصل لشيء .. سنجد من قلد المفتاح سرا.. فاستخدام هذه السيارة نقطة ضعف .. وإن كان المجرمون يعتبرونها نقطة قوة ..

أعجب رباح بهذه الفكرة الصغيرة وعلق فقال : رائع تفكير ممتاز !

ـ بارك الله فيك إذن هذه نقطة مفتاح السيارة المسروقة.. من معالم هذه الجريمة يا سيدي أن القتلة يعرفون السيد سنارا جيدا، فقد أصابه الجاني نفسه لم يصب السائق، هو يعرف الهدف

المصوب إليه جيدا .. فالسائق لم يصب بأي طلقة .. والقاتل رام جيد أو ربما لقرب المسافة .. والجناة يعرفون مكان سهر سنار في الفندق ـ العصفور الماسي ـ ويعرفون وقت خروجه من السهرة والحفلة فتحركوا في الوقت المناسب .. ويراقبون المكان بشكل جيد فهل لهم أعوان في الفندق ؟ سواء من العاملين أم من الزائرين والمحتفلين ؟ .. هناك ترتيب للعملية الإجرامية .. رجال أمن الفندق لم يشاهدوا سيارة الجناة إلا عندما بدأ الناس ينصرفون من الحفل ، فدخلت السيارة رويدا رويدا من يراها يعتقد أنها قادمة لتقل بعض المحتفلين.. لم تكن موجودة في موقف سيارات الفندق .. هم ظنوا أنها تدخل لأخذ زبون كغيرها من السيارات .. ولما دخلت الزوجة السيارة بمساعدة السائق.. اقتربت من سيارة سنار أكثر فأكثر.. وكان الناس المحتفلون يركبون سياراتهم وهم في حالة يرثى لها من السكر .. وجرى الحادث فور اقتراب السيد من سيارته .. وهربت السيارة والناس في حالة ذهول لسماع صوت الرصاص .. هكذا يقول رجال الشرطة في وصف الحادث .. وتعقبوا الاتصالات من الفندق ليلة الحادث وهي كثيرة وهي نقطة مهمة أيضا على افتراض أن العميل لهم اتصل مخبرا بخروج الصيد.. الشرطة لم يصلوا لشيء من ذلك .. وعلينا أن نراجع الاتصالات لعلنا نجد فيها شيئا يفتح علينا به .

ـ نقطة ممتازة أخرى يا سيدي العميد .

ـ أيضا نريد أن نعرف القائمة التي كانت ترافق سنار وزوجته في تلك السهرة .. النساء والرجال.. ومعرفة تفاصيل عن حياتهم الخاصة وأعمالهم.. أنا أعلم أن هذه التحقيقات صعبة وتحتاج لوقت ونظر عميق يا سيدي المقدم .

ـ إنها نقاط جديرة بالاهتمام .

ـ وهناك نقاط هامة وخطيرة.. وهي مراقبة ابن عمك جبران، والتنصت عليه ؛ لعلنا نسمع شيئا مهما من أسرار عمله الخفي .

ـ للأسف هو لم يتكلم معي وأنا ابن عمه ، وأستطيع حمايته ممن يخافهم ويخشى خطرهم إذا كان صادقا .. فهل سيتكلم أمام الموظفين وأمام زوجته ؟ بل إنني سمعت أنه طلق امرأته منذ أيام ولم أتأكد من الخبر بعد .. علاقتي أيها الأخ الفاضل مع ابن عمي وحتى أخي الميت كانت باردة للغاية لطبيعة أعمالنا.

ـ لابد من تعقبه لفترة معينة ومتابعة حركاته واتصالاته فهو مفتاح الجريمة .. فهو يعلم شيئا ؛ ولكنه خطير لا يستطيع أن يفصح عنه، فهو يتعامل مع ناس أقوياء وقادرين على فعل

هدفهم .. وإذا الرجل ضمن مافيا تركية أو عالمية فالأمر خطير بمعنى الكلمة !

ـ فكرت في هذا الاحتمال كما ذكرت في لقائنا السابق لا إشارة ولا قرينة تؤيد هذه الاحتمال

ـ ربما لأن نشاطهم في تركيا ليس في بلادنا، وقد ذكرت أن البوليس التركي لم يسجل عليهم شيئا ضد القانون .. يا سيدي المقدم الدافع للجريمة ما هو ؟ السبب ما هو ؟ سيعيننا الله ويلهمنا الحق والحقيقة ، لابد أن يكشف لنا بصيص من الضوء في النهاية .. أرجو ألا تطول .. رفاق السهرة وناس الفندق الذين كانوا على مسرح الحادث ليس لديهم معلومات مهمة

.. ملاحظة .. كلمة .. هل من خائف بينهم ؟!

ـ رجال التحقيق بذلوا كل جهد، ولم يعرفوا إلا لون سيارة الجناة ورقمها مما سهل الوصول للسيارة المستخدمة في الجريمة .

ـ هل ثبت يقينا أن السيارة المسروقة هي الوسيلة المستخدمة لنقل الجناة لتنفيذ الجريمة ؟

ـ أتقصد أن معطي الرقم خدع الشرطة ؟ الشرطة حسب معلوماتي أكدت أنها نفس السيارة التي شوهدت على مسرح الحادث الماركة اللون.. فالذي ذكر الرقم ذكر فقط أربعة أرقام منها .. وآخر ذكر أرقاما أخرى.. والاتفاق على اللون جعلهم يتأكدون أنها التي تحمل الجناة .. هناك من ذكر لون القميص الذي يرتديه القاتل ..

فقال حيدر : بإذن الله سنعرف الجاني قاتل شقيقك سنار .. عليك أن تتابع النقاط الثلاث التي تحدثنا عنها .. وسأجري الكثير من التشاور مع ضباط الأمن الزملاء ليقدموا لك الدعم والعون الكافي.. ولا يعني تقييد الجريمة أو السرقة ضد مجهول أن التحقيق انتهى .. فإذا جد جديد من الشهود والأدلة يفتح التحقيق مرة أخرى .. يترك الأمر للزمن ..

ـ جزاك الله خيرا يا سيدي العميد.. الإنسان عندما يعرف عدوه يستريح .. الدم غالي .. لا نريد أن نثأر أو ننتقم؛ إنما نريد أن يأخذ العدل مجراه.. وتهدأ نفوسنا.

متابعات

قام مكتب التحقيق الجنائي بإجراء لقاء جديد مع مالكة السيارة المسروقة والمشتبه باستخدامها في عملية الاغتيال، وعلموا منها اسم المكان الذي تعمل الصيانة لسيارتها فيه خاصة المرة الأخيرة التي سبقت الحادث ، فذكرت أنها تعمل التنظيف وتغيير الزيت والتشحيم في محطة اسمها العين ، والأعطال الكهربائية في مشغل جوار تلك المحطة ، وأفادت بأنها تعالج أي أعطال ميكانيكية في نفس المنطقة .

ولما علم رباح هذه المعلومات البسيطة تبين له أنه يعرف تلك المنطقة جيدا ، بل تذكر أن إحدى هذه المحلات يعمل فيها قريب له ، ويتردد عليه لمعالجة سيارته ، فاتصل به وتحدث معه في موضوع استخدام سيارات الزبائن ، فأخبره الرجل أن استعمالها يكاد أن يكون عرفا خاصة من يترك سيارته لديهم لزمن طويل.. أربع خمس ساعات .. فيغامر العمال بقضاء حوائجهم بواسطتها ، وسأله سؤالا مغريا له وقال: أحدث أن قلد عامل فني مفتاح السيارة وسرقها فيما بعد ؟!

فكان رد القريب أن مثل ذلك يحدث ، وإذا اكتشف أمرهم ، فهم يطردون من العمل ، ويصبحون من أصحاب السوابق في سرقة السيارات ، وهؤلاء يكشفون عند سرقة سيارة غالبا .. بل زاده إن شخصا عمل عنده شخصيا فترة من الوقت ، واستطاع تقليد مفتاح سيارة كانت تصلح في محله، ثم سرقها وهرب بها مواد ممنوعة ، وقبض عليه وذكر له اسمه

ولما وصل الحديث لسيارة تلك المرأة مديرة المدرسة ، فذكر القريب له أنه يعرفها شخصيا وعالجت سيارتها عنده أكثر من مرة ؛ ولكنه لا يستطيع اتهام شخص بصنع مفاتيح مقلدة لسيارتها ثم سرقها.. لم يحدثه رباح أن تلك السيارة المسروقة ارتكبت بها جريمة قتل شقيقه أشعره فقط بأنهم يسعون لمن سرقها وركنها في منطقة مهجورة .. فلم تنشر الصحف خبر وجود سيارة الجريمة ، إنما نشرت وقوع الجريمة بسيارة يستقلها المجرمون بدون ذكر أنها سيارة مسروقة .

طلب رباح من شباب البحث الجنائي الاهتمام في تلك المنطقة ، وشرح لهم الغاية من هذا التحقيق .. فتشجع القائد للقيام بهذا البحث والتحري الدقيق .



وأما مسالة الاتصالات التي جرت من الفندق تلك الليلة فقد تبين أنها أكثر من خمسمائة اتصال حدث تلك الليلة ، بعضها استغرق دقائق ، وبعضها دقيقة أو دقيقة ونصف .. وهي اتصالات عادية بدأت لرجل التحقيق لا شيء مريب فيها .

وكلف رجال البحث الجنائي بالتحري عن عدد من أصحاب القتيل سنار .. فتبين للضابط الذي قاد التحريات أن الأمر معقد وقد يستغرق

وقتا طويلا ، وربما يكون الجهد في النهاية لا قيمة له .. ولكن اليأس لا يجب أن يصل لقلب رجل الشرطة والأمن .. وأخذ يذكرهم أن بعض الجرائم أخذت سنينا حتى اكتشف الجناة .. وبعضهم قتل العديد من الناس حتى انكشف وظهر للعيان فقال : فلا يجب أن نتعجل الأمر .. ولا يجب أن نحبط.. فالوصول للجاني غاية نبيلة .وقال لنفسه وبالنسبة لي راحة وسكينة ثم تنهد تنهدا عميقا وذهب في تصورات وخيارات وأفكار تؤدي في نهاية المطاف إلى معرفة قاتل أخيه وردد في قلبه : هل ننتظر حتى ترتكب جريمة أخرى لنعرف القاتل ؟!

التقى الضابطان مرة ثالثة لمناقشة ما تجمع لديهم من معلومات، فلم يجدوا أنهم يملكون شيئا مهما يتبعونه سوى الاعتراف بأن الجريمة حيكت بدهاء وترصد ، وقد نجح القتلة من الإفلات من قبضة رجال الشرطة .. كان حيدر ينظر في عيني رباح ويقول : رغم بساطة الجريمة إذا صح التعبير فهي نفذت بمهارة وإتقان ، واختيار الوقت كان اختيارا موفقا ، خلو الشوارع من السيارات تلك الليلة ساعد على الهرب السريع، وأغلب رواد الفندق ينصرفون مخمورين .. ومدخل الفندق يسهل الحادث والابتعاد فورا .. وارتكاب الجريمة بسيارة مسروقة وخاصة أن صاحبتها امرأة وتربوية لا يشتبه بتواطئها كان محكما ، والبرد والشتاء ساعد على إخفاء آثار الأحذية ، ولم يصادفا أي دورية شرطة في ذاك الجو الاحتفالي .. الحظ ساعدهم ولكنهم سيتحركون ثانية ويقعون.. والمساعدون للجاني سيبتزون الزعيم بعد نجاح الجريمة.. فإما يتخلص منهم أو يتخلصون منه .. القضية قضية وقت لا أكثر .. الخوف سيكون الرفيق لهم إلا إذا خرجوا من البلاد .. هذه الجريمة المعقدة في رأيي صراع بين أصدقاء أمسوا أعداء .. وأعتقد أن حادثة الغدر في تركيا لها علاقة بالجريمة هنا .. فالرجل الجاني هناك أداة والرجل هنا أداة ..

ـ وأنا الآن أجزم أمامك أن لها علاقة بها كما تقول يا سيدي العميد .. وهذا سيزيد الغموض ومراقبة جبران لحتى الساعة لم تسفر عن شيء يذكر .. حياته طبيعية سهر في الليل ، وحفلات سكر وفجور ، ونوم عند صلاة الفجر حتى العاشرة صباحا .. إفطار .. يتنقل بين المحلات والشركات حتى المساء ثم يستقر في مكتب إحدى الشركات .

ـ لو كان سنار يشتغل بالأحزاب والسياسة لقلنا الجريمة ذات دوافع سياسية .. نفذتها أجهزة مخابرات .. فمن أجل ذلك نقول الخيوط معقدة

غير واضحة

ـ زرت الكثير من أصحاب سنار ، وهؤلاء لا يعرفونه إلا في السهرات واللهو .. عدت للتفكير في حياة سنار في تركيا .. ليس له لدى الشرطة إلا قضايا أخلاقية .. زنا قمار .. مخدرات لا .. دعارة لا .. التجارة التي يمارسونها لا غبار عليها .. لا مشاكل مع الجمارك لا تهرب ضريبي

ـ أخوك ذو ذكاء بفعله هذا .. فالتهرب الضريبي نراه في حياة التجار والمصانع أمرا عاديا .. وهذا وباء عالمي .. ففعل شقيقك يريب .. مؤسسات حكومية تتهرب من الضرائب .. فالتزام حرفية القوانين يثير الريب أن شيئا أكبر يحدث .. فحيل التهرب كثيرة ، وهي موجودة في نفس القانون .. فالرجل كان حريصا على ألا يشتبك بالجمارك وموظفي الضريبة .. لا أتصور فعل ذلك حبا في الدولة والنظام .. حياة شقيقك تلفها الغموض .. من خبرتي يا رباح التي تعرفها بصمات المخدرات والعصابات المنظمة .. ولا تمل من متابعة جبران .

ـ التلاعب في المحاسبة والأرقام وارد .. لا أعتقد أن شركة خاصة لا تفعله .

ـ وهذا الذي يريب في شركات سنار وجبران !

انتظار

الإنسان مهما أوتِ من عقل وقوة فيبقَ في لحظات ضعيفا عاجزا .. خيم على حيدر ورباح الحيرة والضعف في تلك الجريمة ، رغم باعهما الطويل في التحقيقات الجنائية ، متابعة جبران لم تسفر عن شيء، ثم أوقفا المتابعة .. بل فكرا بالسفر لتركيا لتتبع سيرة حياته وعلاقاته وأصدقائه فيها .. ورأيا ذلك بدون تعاون شرطة تركيا مستحيلا .. وفكرا بزيارة ذلك الرجل الذي سعى لقتل سنار في حانة إسطنبول .. وضعفهما باللغة التركية أضعف همتهما أيضا .. فظل الأمل أن يحدث شيء جديد يحرك القضية ويكشف بعض غموضها .. فلذلك كان رباح كلما يسمع عن جناية أو حتى جنحة يتابعهما باهتمام في غرفة عمليات الأمن العام وإدارات الشرطة ؛ لعله يجد خيطا أو شبهة في جريمة سنار .

رغم وجود الشهود الكثر فقد استطاع الجناة من النجاة والاختفاء .

أكمل جبران شريك سنار جرد المحلات والشركات ، وقام مكتب المحاسبة والتدقيق بمعرفة حصة الورثة الأربعة بعد قسم أموال الشركة لنصفين ، وعن طريق مكتب محاماة والمحكمة الشرعية حصر الإرث الشرعي وقسمت حصة سنار على الورثة ، وأخذ كل صاحب حق حقه .. وهكذا انتهت العلاقة بين

أسرة سنار وأسرة جبران .

وبعد توزيع ميراث سنار بشهور يسيرة ، وقد مضى على موته سنة حدث تطور لفت نظر المقدم رباح .

زوجة سنار السيدة ريما أمير تزوجها سنار قبل مقتله بثلاث سنوات ، وكان عمره يقارب الأربعين ، وكانت هي ابنة اثنتين وعشرين سنة ، وترملت على خمس وعشرين سنة ، وأنجبت له ولدا واحدا، ولد قبل مقتله بأيام معدودات .

بعد موت سنار عادت الفتاة إلى بيت أبيها أمير ، فقد كان بيتها ضمن الأملاك التي تم بيعها من أجل الورثة .

اتصل والد ريما ببيت حمدي يخبرهم بأن قريبهم جبران تقدم للزواج من ابنته .. ولما سمع

رباح بهذا الخبر أصابته الدهشة والريبة .. وأهله طبعا أخبروا الرجل أن الشأن يعود له ولابنته ، فهم كانوا لا يطيقونه هو ولا ابنته .. بل بعض الأخوة رفض هذا الزواج، واستاء من هذا الاختيار ، وكانوا يرغبون بأن يتزوج فتاة من الأسرة ، ولكنّ سنارا لعلاقات تجارية وشخصية مع السيد أمير رفض اعتراضهم ، وتزوج ابنة الرجل التي قبلت به رغم فارق السن بينهما .

ترددت الفتاة في البداية بقبوله زوجا لها ، وأمام ضغط الوالد قبلت ووافقت عليه زوجا لها ..

وكانت تعرف مجونه وفجوره فهو على شاكلة والدها ، وبينهما علاقات خاصة ، وإنهم لا يحترمون الحياة الزوجية ، فهو صورة أخرى من والدها ؛ ولكنهم يملكون المال الكثير.. فهي تعلم أن لوالدها علاقات نسائية خارج البيت ، وأمها تعلم هذا وتقبل به ، فلم ترها تحتج عليه يوما ما .. وكانت تسمعهم يقولون لابد للمرأة من زوج .. ولو ديكور .

فتزوجت الشابة الصغيرة الرجل الذي بلغ الأربعين بدون أن يكون له قبلها زوجة شرعية وبيت تسكن فيه امرأة على اسمه.. وربما تعرف جبران حق المعرفة .. وهو على شاكلة أبيها وزوجها .. وكانت تعلم أنه تزوج أكثر من مرة .. وتعلم أنه طلق الأخيرة بعد مقتل ابن عمه بأسابيع .

لذلك تحدث رياح معه عن دافع هذا الزواج من أرملة ابن عمه . فقال متضايقا وضجرا من تدخله: كما تعلم يا ابن العم لا أحب أن يخلو بيتي من امرأة شرعية.. وتعلم أني تزوجت أربع مرات وكلهنّ طلقتهن.. ولا حرج من الزواج من أرامل.. ولها سنة أرملة ، ولم يطلبها أحد.. فعرضت نفسي على العم أمير فرحب بذلك ، وطلب مهرا .. وبالنسبة للطفل إذا أردتم أخذه لا مانع عندي.. وأنا لا أمانع كذلك من بقائه

معها فهو ابن أخي سنار.

ضحك رياح وقال بسخرية: ابن سنار تربيه أنت!

ـ نعم، أنا لم أفهم لماذا يتشاور معكم أمير في زواج ابنته؟! .. فقد انتهت العلاقات بينكم.. وكنتم تكرهونه وتكرهونها .. هل عندكم مانع من الزواج بأرملة أخيكم ؟

ـ مانع!.. أبدا .. فنحن لا دخل لنا بزواجها منك أو من غيرك وهي خرجت من المستشفى بعد علاجها من الصدمة مباشرة إلى بيت أمير والدها .. هي لم تحبنا يوما ، ونحن بادلناها مثل هذا الشعور .. وحتى صاحبك سنار كان يجاملنا القليل القليل.. كأنه لم يكن من العائلة .. وربما تحدث أمير مع أبي من أجل الولد ولوجود الولد بيننا.

ـ على كل حال لما يحصل النصيب سوف أدعوكم لحضور عرسي الجديد .

ـ على خير يا سيد جبران .. عندما يحدث النصيب سنتكلم بموضوع الطفل .. أهلا بك.

وانتهت المكالمة ، وبالفعل بعد أسابيع دعوا لحفل الزفاف في فندق العصفور الماسي حيث كان يحب جبران وسنار السهر والاحتفالات، وحيث لقي سنار مصرعه.. فرباح يعرف ماهية حفلات جبران.. فرق موسيقية تركية غربية مغني لامع شراب طعام .. تصرف عشرات الألوف كل ذلك في سبيل الشيطان .

حادث الزواج المفاجئ لرباح من أرملة شقيقه شغله قليلا.. إنما الذي جعله مهما لرباح ما حدث بعده.. فلم ينته شهر العسل لجبران حسب عادات اليوم حتى كان المقدم رباح يستلم رسالة غريبة ومثيرة .. رسالة مختصرة مطبوعة على آلة كاتبة وقادمة من إسطنبول (ها هو قاتل أخيك تزوج من أرملته شريكته في الجريمة .. هل نسيت دم سنار ؟)

كانت الرسالة صاعقة لرباح ، وأعادت لنفسه شكا راوده ذات يوم ، كانت الرسالة مرسلة من شركة، ثم تبين لرباح أنها شركة وهمية لا وجود لها ، بعد تأمل ونظر زار العميد حيدر افشي للتشاور ، الذي قرأ الرسالة بدوره ، وبعد صمت استمر لدقائق بينهم ، قال العميد المتقاعد : اسمع يا أخ رباح .. أنا منذ البداية داهمني شعور نحو ابن عمك جبران ومن أجل هذا الشعور شجعتك على وضعه تحت المراقبة.. ومع تلك المتابعة لهواتفه وتحركاته لم يثبت عليه شيء .. لهو وسهر وبضع ساعات في الشركات والمتاجر .. لذلك لا نستطيع الجزم بصحة هذا الاتهام .. لماذا تأخر لحتى هذا الوقت ؟! ولماذا اتهم بعد زواجه من ريما ؟ .. سندقق في تحركات

جبران ليلة الحادث وقبله بأيام .. رغم صعوبة هذا .. وفي حادث تركيا هل لجبران دور في المحاولة ؟ .. سنار لم يتفوه بشيء يشير لعداوة خفية بينه وبين جبران ؟

قال رياح : لم تظهر أي عداوة بينهما للعيان قبل وبعد حادث تركيا .. وحتى يوم فندق العصفور كان جبران يقضي سهرته في فندق آخر.

ـ لم يظهر له دور في حادث تركيا .. لماذا يتستر أخوك على دوره إن كان له دور؟! وهل كاتب هذه الرسالة حاقد حاسد أم شريك لهم ؟ .. فالأمور تزداد تعقيدا ..وبالرغم من هذا التعقيد بسبب هذه الرسالة.. فالحل يلوح فيها .. فالآن لدينا مشتبه بهم .. جبران .. أمير .. ريما .. كاتب هذه الرسالة المجهول .

قال رياح بعمق : لقد شككت بابن عمي لغموضه معي وزعمه أسرار العمل .. وحاورته ونصحني بترك التحقيق ، فالأمر يراه خطيرا على حياتي وحياته .. وتذرع بأسرار العمل حاولت انتزاع كلمة من سنار أثناء وجوده على سرير الشفاء في المستشفى التركي لأبني عليها .. فلم يتكلم، ففسرت الرفض بالخوف من الخصوم .. ولما عاد إلينا حاولت من جديد أن أعرف السبب الحقيقي للحادث .. فلم يتكلم ورفض الحديث بشيء حول الحادث .. أبى الإفصاح عن كلمة تفسر الغموض المحيط بالحادث .. ولما وجهتني لمتابعة جبران ، والتنصت على مكالمته الهاتفية أدركت أنك تشك بالرجل كما شككت أنا فيه.. وكلفت رجالنا بمراقبته .. ولكن يا سيدي ما الدور الذي لعبته ريما في هذه الجريمة ؟!.. فليلة الحادث كانت رفيقته في السهرة .. وغرقت كعادتها في السكر والرقص رغم وضعها لطفلها الأول قبل الحادث بأيام .. والدها لم يحضر الحفلة معهم تلك الليلة .. فقد كان يشارك ناديه الخاص تلك الاحتفالية كما سمعنا.. فهم كلهم على شاكلة واحدة في هذا الجانب من التفسخ والمجون .. السؤال يا سيدي العميد .. من كتب الرسالة ؟ ولماذا من تركيا ؟! لماذا هذه الرسالة بعد زواج جبران وريما لماذا ؟! أين كان ضمير كاتب الرسالة قبل هذا الزواج ؟! هل حقا كانت علاقة خفية بينهما كما يوحي كاتب الخطاب ؟! ما الذي قلب جبران على سنار صديق العمر وشريك العمر ؟ فجبران أكبر سنا من سنار .. وجبران زوج فاشل.. وعنده أولاد من مطلقاته خاصة الأولى والثانية ، وبعضهم شباب أنهى الجامعات .. لماذا يقتل شريكه؟ أيقتله ليتزوج امرأته ؟.. كانت تستطيع هي طلب الطلاق والزواج من جبران دون قتل ؟ ..

وظلت أرملة سنة قبل هذا الزواج ؟ .. ولماذا قبلت بالزواج من سنار وهو يكبرها بعشرين سنة؟ المال فقط هو الذي دفعها للقبول به؟ أخبر سنار أن زواجه منها كان مصلحة وشغل .. هل عشقت جبران من وراء سنار ؟ .. ولهذا طلق امرأته ليمهد لهذا الزواج .. أسئلة كثيرة دارت بين الضابطين .. واستمر النقاش.. كان الوصول للجاني قد أصبح عقدة وتحديا لمهارتهم في التحقيقات البوليسية .. لم يستبعدا أن يقتل جبران سنارا ولكن السبب ما هو ؟ وهل تشارك ريما في جريمة لتنكح رجلا أكبر من سنار ؟ .. فالطلاق يحل المشكلة بدون دم وقتل .

لما رجع جبران من شهر العسل اتصل به رباح مهنئا بالزواج وبالعودة سالما واستأذنه بمقابلة خاصة ، فقبل جبران وكان يدرك أن ابن عمه ما زال مشغولا بقضية قتل سنار ، وكان يتمنى من قلبه أن ينسى ابن عمه القضية ، ورغب أن يعرف الجديد في القضية ، فلذلك قبل الزيارة واستقبل ابن عمه ورفيقه العميد حيدر ، وبعد السلام والتهنئة قال رباح وهو يخرج الرسالة التركية من جيب جاكيتته : أنا آسف يا ابن العم.. لكن عليك أن تقرأ هذه الرسالة ـ ومدها لجبران ـ التي وصلتني وأنت في شهر العسل وتعلق عليها .

حدق جبران لبعض الوقت في عيون الرجلين وقال وهو يمسك بالرسالة : أنت ما زلت مشغول البال بمقتل سنار.. وأنا نصحت لك أو لمحت لك أكثر من مرة بنسيان القضية فلنقرأ الرسالة التي عجلت بك إليّ .

تأمل جبران الغلاف للحظات ، وأخرج الرسالة القصاصة ، وقرأها فتغير لون وجهه ، وقلب الغلاف عدة مرات، ثم أطال النظر بعيني رباح ثم قال : هل صدقت ما فيها ؟

ـ ولماذا أرسلت لي من تركيا ؟

قال جبران بانزعاج واضح : أنت تضعنا في خطر جسيم ..

قال رياح بحدة: هل الرسالة كاذبة ؟

صاح الآخر : طبعا كاذبة .. أنا أعرف أنك تشك فيّ منذ أول ساعات الحادث .. وأعرف أن رجالك طاردوني فترة من الزمن.. وأنا أعلم أنه ليس لديك دليل لاتهامي، وما عندك شكوك فقط .. وأنا لم أقتل ابن عمي لأتزوج امرأته؛ ربما بعد أيام ستسمع خبر طلاقها، فقد أمضينا شهرا في عراك وشجار ، وما هو بشهر عسل أو حتى بصل ، أنا أفكر بأن تمهلني بضعة أيام ؛ لأقول لك ما أعرفه عن مقتل سنار.. وأخشى ما أخشاه أن لا أعيشها وأنبهك أمام هذا الرجل الفاضل .. أنك إذا عرفت الحقيقة ستكون

حياتك في خطر الموت والقتل .. لا تهز رأسك استخفافا ، هل أنت مصر على السماع ؟

قال رياح بصوت عاد له الهدوء : أنا الذي يهمني يا جبران أن أعرف القاتل لينال جزاءه .

أطفأ جبران السيجارة وقال بسخط : سأقول ما عندي الآن!! .. أخوك مجرم .

ـ مجرم ؟!

ـ نعم ، مجرم كبير في عالم الجريمة رغم حمله لشهادة هندسة .. لا تغضب مما تسمع .. أنا لم أقتل سنارا .. كان لي دور وسنار يعرف ذلك .

ـ سنار يعرف أنه سيقتل .. ماذا تقول ما هذا الكلام؟!

ـ سنار يعرف منذ حادث تركيا أن حياته أصبحت تحت المرمى ما زلنا على البر هل أتابع ؟

قال رباح بحمية : لا تخشى شيئا تكلم سيحميك الأمن.

ـ يحميني الأمن !.. حسنا يا ابن العم سأكمل .. حادثة القتل التي حدثت في تركيا لم تكن حدثا عرضا أو صدفة.. كان الرجل فعلا يقصد قتل سنار، وهو ينفذ أوامر ، ونحن نعرف من أصدر الأوامر ومن يصدر الأوامر .. فنحن لا نعرف الرؤوس الكبيرة .

ـ الرؤوس الكبيرة !

ـ إذن اسمعا الحكاية من البداية .. ونحن ندرس في جامعات تركيا عملنا مع حركات سرية ثم تبين لنا أننا نعمل مع عصابات دولية .. قل منظمة دولية .. وكنا قد تورطنا قبل المعرفة بنشاطهم بأننا نقلنا موادا مهربة إلى أوروبا .. فأصبحنا تحت رحمتهم فلا مجال للتراجع .. الضعف البشري .. إغراء الشهوات والإباحية .. سقطنا في براثنهم.. كنا ننقل صفقات تهريب ماس.. ذهب.. مخدرات .. نحن ننفذ تعليمات وخطط ترسم لنا .. ونقبض الأجرة .. وأي أجرة مال كثير يغري الشيطان نفسه.. ولما انهينا الدراسة وأنا أسبق سنار بسنتين ظللت هناك حتى تخرج سنار ، وعدنا وظللنا على اتصال بتلك العصابة.. رسموا لنا العمل الذي علينا أن نعمل به .. التجارة .. المحلات .. شركات استيراد وتصدير .. وكما يعلم الأهل أننا كنا نكثر التردد على تركيا أو قبرص واليونان وذلك بطلب منهم .. وهناك نستلم البضاعة حسب الإشارات والرموز التي تصلنا ، ثم نسافر بها إلى المكان المطلوب .. وكان من دهائهم ألا يدخل العميل لهم بضاعة لبلده الأصلي .. إنما يقوم بإدخالها رجال آخرون من جنسيات أخرى حتى لا يكون في ذلك خطر على الشخص منا وعلى رجل العصابة والعصابة ..

مائدة الميسر الخضراء رهيبة تكسب مرة وتخسر عشر مرات .. السيد سنار كان مدمنا للقمار .. وخسر الكثير من ثروته التي كسبها من المخدرات والتهريب على تلك الموائد .. وهنا وقع في خطأ جسيم بالنسبة للعصابة .. لقد أصبح يأخذ من البضاعة جزءا يبيعه لنفسه وحسابه الخاص .. ومع تكرار الأمر عرفت العصابة النقص الذي يحدث في تلك الحقائب .. ولما وجه بذلك الاتهام .. هدد بالاعتراف للشرطة .. فهذا سبب الاعتداء عليه في الملهى التركي يا مقدم رباح .. وتصرفت أنا بسرعة وضربت يد القاتل فنجا سنار والرجل المعتدي معروف للبوليس التركي والدولي وقضى نصف عمره في السجون .. كان الخطر يهدد سنارا وحده، ولكن بعد تدخلي أصبح الخطر يحيق بي أيضا .. وعدنا عن طريق الشرطة مباشرة من السجن إلى المطار .. وطبعا قبلنا عرض العصابة أن الحادث عرضي وساعة غضب وشجار وسكر ، وغلب على ظنّنا أن الأمر انتهى وستصلح الأمور .. ورفضنا التعاون والسفر للخارج لتهريب الحقائب .. وهؤلاء لا يوجد عندهم إجازة وتقاعد .. فجاء بعضهم لمقابلتنا ودعوتنا للعمل من جديد ، وأنه سيضمن حياتنا ولكن هل لمجرم ضمان وعهد ؟!.. وبين لنا أننا نشكل عليهم خطرا بترك العمل .. فأدرك سنار أن هذا تهديد بتكرار جريمة القتل .. واللجوء للشرطة صعب .. فكل نشاطنا خارج المدينة والبلاد فماذا ستفعلون لنا ؟ العصابة في أوروبا وجزء منها في تركيا .. ونحن لنا علاقات بعدد محدود منهم .. في تركيا اليونان قبرص .. مالطة .. فكان اللجوء للبوليس نراه من غير جدوى .. فعلينا أن نعتمد على أنفسنا في حماية أشخاصنا .. وكثر ترددهم خلال الشهور التي سبقت قتل سنار وأصر سنار على الرفض واستقال من العمل معهم .. ولما يئسوا من استدراجه للعمل من جديد والخروج من البلد هددوه بالاغتيال ، فقال لهم وأنا أسمع : إذا خرجت من بلدي ستقتلونني .. افعلوا ما شئتم .. مللت منكم .. ومن أموالكم وكان الرجل بعد محاولة القتل قد خف لعبه للقمار .. لأن أكثر ممارساته كانت في تركيا وأوروبا .. طلبوا مني قتله للإبقاء على حياتي ، فرفضت هذه الفكرة وقلت ابن عمي من لحمي ودمي هم طبعا لا يعرفون هذه المعاني .. فتركونا وانصرفوا ونحن موقنون بأن حياتنا في مهب الريح .. حقيقة كان وضعنا مقلقا وصعبا نحن عملنا في مافيا منظمة وليس من السهل الاختفاء منها .. ونحن متورطون معهم للنخاع كما نقول .. قبل أن

أتحدث عن ليلة الاغتيال .. عليّ أن أكشف لكم دورا آخر كنا نقوم به للعصابة هنا هذه المرة ، ولسنا وحدنا نقوم به .. ذكرت لكم أن مهمتنا الأساسية نقل المخدرات والمهربات خارج بلادنا .. وعلينا أن نبقى أمام القانون في بلدنا نظيفين والبعد عن الشبهات بكل قوة .. ولكن كانت لنا مهمة أخرى وهي تأمين سيارات مسروقة لعصابات التهريب داخل البلاد .. وهذا أيضا مقابل عمولة تدفع لنا مقابل كل عملية .. نحن لا نعرف رجال العصابات الذين يعملون معهم .. ولا نهتم بذلك .. ولا نلتقي بهم .. ونعرف موقنين أن لهم رجالا يعملون هنا ، ولا علاقة لنا بهم ، ولا يهمنا معرفتهم .. وحتى بعد محاولة قتل سنار ظللنا نؤمن لهم السيارات المسروقة لأنهم يدفعون .. كانوا يرسلون لنا رسالة سرية لسرقة سيارة وإرسالها لمكان معين يعرفونه أكثر منا .. أما كيف نسرق السيارات ؟ فهذا يكون عن طريق ورشات التصليح وورشات غسل السيارات الكثيرة ؟

إلى اللقاء في الحلقة الأخيرة

قصص وحكايات الفوارس

حصرم بن سلام ٢

فلما سمعت هذا الكلام عادت بي الذكريات لسنوات مضت إلى يوم التقيت بهذه الجارية المغنية التى كانت تغني أمامنا بأحلى أشعار الغزل والعشق والخمر، تذكرت أنها قاتلة مجرمة ، فهتفت محدثا نفسي : إن سبب جلوسي مع هؤلاء الشباب الأثرياء ..المال الذي وهبتني إياه .. لأنسى ما رأيت ولأنسى ما سمعت!

دارت بي هذه الأفكار واشتدّ برأسي الصداع ، وانصرفت الجواري المغنيات، ونمنا من الإرهاق والتعب في مكان اللهو والشراب، ولما استيقظنا من الهوى والفسق كانت الدنيا نصف نهار ، فعدت لبيتي منهك القوى والنفس .

المهم أيها الصديقان العزيزان أصبحت معروفا لدى الشباب الطائش الضائع؛ ولكن ذكرى هاوان والأفلاس والجارية القاتلة كل هذا كان يؤرقني ويقلق راحتي ، ولا أنسى الخوف من عقاب الله تعالى.

ودعانا بعد حين شاب آخر ابن نعمة - كما يقولون - من أصدقاء حسن إلى سهرة أخرى ، وبعد الأكل والشراب جاء موعد الغناء والشراب ، فظهرت مغنيات حسن الثلاث ؛ ليطربننا كالعادة ، وأثناء السهرة واستماعنا للغناء ضربت

إحدى المغنيات زميلتها ، وأخذت عودها ورمته على الأرض بشدة، وتركت المكان مغضبة، فارتبك المكان ، وأخذت الجارية المضروبة تبكي وتصيح ، فاعتذر لها الشاب المضيف وحسن سيدها مما حصل ، وسمعته يقول : رحمك الله يا ريم !

وأخذنا بترك المكان ، ونحن أمام البيت قال لي رباب : هذه الجارية المغنية اسمها سمراء لها فترة من الزمن عصبية المزاج ، وتحدث المشاكل على أتـفه الأسباب وأبخسها ، وأما ريم التي ترحم عليها أخونا حسن ، فهي المغنية التي وجدت مقتولة منذ سنوات ، وقد كلفته أكثر من مائة ألف دينار حتى تملكها ، وهي تتقن فنون الطرب والعزف على كثير من الآلات ، وهذه السمراء كانت تكرهها وتغار منها بسبب ولع حسن بها ، واعلم أنّ صاحبنا حسنا شك بأنها هي التي تخلصت منها وغدرت بها .

فقلت لصاحبي رباب : يا صاحبي سأفشي لك سرا .

فرد : ما هو؟! فقلت : سمراء مغنية صاحبك حسن هي التي قتلت جاريته "ريم" .

وكأن الشراب المسكر هو الذي دفعني لأحدثه بأحداث تلك الليلة الرهيبة ، وأطلعه على سري دون وعي مني ، وبالطبع أيها الأعزاء الكرام لم أذكر له أنني قبضت عشرة آلاف درهم منها لألزم السكوت .

لما سمع رباب اعترافي عقب قائلا : لقد صدق حدس حسن ، لقد شك فيها حسن يا أحمد ؛ ولكنه لم يصل إلى دليل قاطع جازم ، وقال يومها معزيا لنفسه "خسارة واحدة خير من خسارة اثنتين " ذهبت ايامك يا ريم.

وبينما نحن نترنح ونتكلم بصوت عال في الطريق إلى بيوتنا دهمنا رجال العسس ، فأخذنا بسبهم وشتمهم ، فقادونا إلى السجن وطرحونا فيه ، سجن مدينة سلهوب، ولي معه ذكريات كما تعلمون منذ سنوات ، وفي الصباح مثلنا أمام القاضي ، وثبت علينا تعاطي الخمر والسكر ، فقضى بجلدنا أمام العامة في ساحة خاصة لإقامة الحدود ، فجلد كل واحد منا ثمانين جلدة ، فأصابني الخزي والعار في بلدة سلهوب ، ونفر الناس عن دكاني ، وتبين لي أن أهالي سلهوب لا يتظاهرون بالموبقات كأهل هاوان ، ويحافظون على تقاليد وعادات الدين والأحكام رغم اختلاطي بكثير من الفساق والفجار ؛ ولكن غاب عن ذهني أن هذا يحدث في أجواف المنازل البعيدة عن الأحياء في الضياع والقصور ، فصرت أتردد على المساجد مظهرا التوبة والندم لأغير من صورتي أمام خلق الله ، ولم أوفق بإصلاح ما بيني وبين

الناس ، وأنا كسول لم أتعود على العبادات ، فقررت الرحيل عن هذه البلدة ، فجمعت ما معي من مال فإذا هو خمسون ألفا من الدراهم ، فبعت الدكان واتفقت مع ربان سفينة ليحملني معه ، ولما حان موعد السفر ودعت صاحبي "رباب" ، وسألته أن يسلم على صاحبه حسن ، ويعتذر له عن عدم توديعي إياه مباشرة ، فقال رباب : سيصل سلامك واعتذارك ، وقد كلم سمراء بما سمعته منك ، فأقرت على الفور ولم تنكر الأمر ، وقالت مقرة : منذ قتلها وأنا أحيا حياة مظلمة! فصدم حسن لاعترافها السريع ، وقد لزم البيت وحالته صعبة محزنة ، وتمنى لو أنه بقي على شكه ، ثم ودعني رباب قائلا : رافقتك السلامة إن عدت لسلهوب مرة أخرى لاتنسانا يا سيد أحمد .. هذه هي حكايتي الثانية يا أصدقائي الأعزاء وإلى لقاء آخر .

جزيرة الغراب

أكرمنا السيد حصرم بن سلام بالطعام الطيب ، وتحدثنا عن أخبار الأمراء والشعراء ، ثم جاء دور سماع الحكاية الثالثة من حكايات حصرم ، فقال أخي هانيء : ما عندك الليلة يا أخا الإسلام من أخبارك الجميلة والمسلية في ليالي الشتاء الحالكة ؟!

فقلت : لقد تركت يا سيدي سلهوب وركبت السفينة فإلى أين هذه المرة ؟

قال حصرم: يا إخوان ركبت مع القبطان شادور بن بهلول من ميناء مدينة سلهوب، وهو بحار كبير قديم أمضى عمره في البحار منذ الصغر ، مضت السفينة تمخر عباب البحر الضخم وهذه أول مرة منذ ولدتني أمي أركب البحر ، ووعدني الربان شادور أن يتركني في جزيرة جميلة من جزر البحر ، وركاب السفينة كانوا خليطا من البشر، وأكثرهم تجارا يحملون تجاراتهم ، فمن الركاب العربي والعجمي والهندي والتركي والرومي نساء ورجال وأطفال وشيوخ .

وانقضت أيام ونحن تحت رحمة ملك السماء والبحر ، ووقع في قلبي الحنين لقريتي جمانوسا واختاي ، لقد نسيتهما مع غمرة الأحداث ، وتمنيت أنني بالمال الذي جمعته عدت لبلدي القرية الهادئة الوديعة ، وأمضيت عمري بين قومي بدلا من هذه السفرة المجهولة ، عادت بي الذكريات إلى جمانوسا بلدتي الصغيرة الساكنة ، تذكرت الفقر والبؤس والحاجة ، ومع عواصف البحر وأمواجه العاتية نسيت قريتي، وأخذت أتأمل في الحكمة من خلق الله لهذا الكون وهذا البحر الكبير، وكبر العالم في

نفسي ، وأتعجب من قدرة البارئ وحسن صنعه ، وبعد عشرين ليلة أو أكثر وصلنا إلى جزيرة سماها القبطان شادور جزيرة الطيور ، وأما أهل الجزيرة فيسمونها جزيرة الغراب ، وودعت القبطان وأعوانه وهو يقول : " في العام القادم بمشيئة الباري نلقاك هنا على هذا الشاطئ يا سيد أحمد ، فكل سنة نمر مرة واحدة على جزيرة الطيور أرجو أن توفق فيما اتفقنا عليه أيها الشاب الذكي "وضحك وضحكت ، ومكثت السفينة يومين أمام ميناء هذه الجزيرة ، فقدم تجار المدينة خلالها وجرى التبادل بين الفريقين ، وغادر السفينة رجلان كانوا من سكان هذه الجزيرة ، وكنت قد تعرفت عليهما ، وجرى بيني وبينهم حديث ونحن على ظهرها ، وقد علمت منهما أن أهل هذه الجزيرة لا يتكلمون اللسان العربي ، ولما انتهت عملية البيع والشراء وركب من شاء من السكان السفينة ، فقد حضر الرجلان وصحباني إلى مدينتهم وأنا احمل هيماني وجراب زادي ، وطلبت منهما مساعدتي للعمل في بلدهم ، فرحبا بذلك ووعداني خيرا ، واستضافني أحدهم في بيته ، وأكرمني هو وأهله بضعة أيام حتى تعلمت منهم بعض المفردات التي أستطيع بها التفاهم مع هؤلاء الناس ثم اشتريت بيتا صغيرا ـ فبيوت الناس في جزيرة الغراب حجمها صغير ـ وللحق فهي جزيرة هادئة وادعة ، وممتلئة بالأشجار المثمرة وغيرها ، فهي أرض خضراء قلما ترى فيها بقعة لا يعلوها اللون الأخضر رغم مساحتها الكبيرة ، وبدا لي أن سكانها قليلون بالنسبة لمساحتها ، وأكثر أهلها يعملون بالصيد والبحث عن اللؤلؤ في أعماق البحر ، وقسم كبير ولكنه أقل من الطائفة الأولى يعملون في الفلاحة ، الناس فيها يرحبون بالغريب مع الحذر الشديد منه ، تفرجت على أسواق المدينة سوقا سوقا ، وبينما أنا أتمشى في أحد الأسواق يوما سمعت مناديا يصيح ، وفهمت من الناس أن هناك مبارزة للفرسان في ميدان الجزيرة الكبير ، فسرت نحو المكان ، كنت أبذل جهدا كبيرا لأتعلم كثيرا من لغة هؤلاء الناس حتى أستطيع الكلام معهم وأفهم ما يقولون ويـفهمون ما أقول .

من الممكن أيها الأصدقاء أن أتعلم الفروسية ، وأصبح من فرسان الملك والجيش ، ولكن هذا ربما يستغرق وقتا طويلا ، وأنا لا أريد الاستقرار في هذه الجزيرة ، فأيّ شاب أنـهى تدريبه واعتقد أنه أصبح من الفرسان ، وقد أتقن ركوب الحصان ، وأجاد اللعب بالسيف والسنان ، ويرغب بإظهار ذلك أمام السلطان والناس ، فيعقد له ميدان ، ويتبارز

مع الفرسان ؛ فإن شهد له مبارزوه بالفروسية، وهبه الملك لقب فارس ، ويلحق بكتيبة فرسان السلطان، وثمة من يتعلم الفروسية ولا يريد الخدمة والعمل في كنف السلطان والجيش فله ذلك؛ ولكنه لا يسمى فارسا، ولا يمنح ذلك اللقب ، إنما فروسيته لنفسه فحسب .

قال حصرم: هذا دفعني للذهاب لميدان الفرسان ، فذهبت إلى ميدان المبارزة لمشاهدة الفرسان الجدد ، والأهم لديّ مشاهدة ملك الجزيرة ، فهذه أول مرة أفكر برؤية ملك ؛ لأن هذه المشاهدات تقوم تحت رعاية السلطان أو نائبه، فشاهدت ملكا شابا وعددا من الأمراء والأميرات ، واحتشد عدد كبير من الأهالي لمشاهدة المبارزات والمسابقات ، فهم يجدون متعة في التفرج على الفرسان وسباق الخيل ، دخل أحد الفرسان الجدد على جواد أحمر فإذا هو شاب دون العشرين ، واستعرض الميدان أمام خلق الله بعض الحين ، ثم برز له سبعة فرسان فلعب مع كل واحد منهم كرة ، ثم هجموا عليه مرة واحدة ، وأظهروا من فنون اللعب ما يمتع الأبصار ، ما بين هجوم ودفاع ، ومما يثير النفوس ، ويسلي القلوب ، وبعد حين توقف اللعب وتقدم قائد السبعة إلى جهة الملك وتحدث معه قليلا ، ثم تقدم للميدان فارس آخر ، ثم سبعة من الفاحصين ، واستمر الاستعراض حتى الليل ، ثم قفل الجميع لمنازلهم وأنا من ضمنهم .

كنت حائرا في المهنة التي أرغب العمل فيها في هذه الجزيرة ، أأعمل صيادا أم مزارعا أم أتدرب على الفروسية أم اشتري سفينة صغيرة أنقل بها الناس والأشياء من جزيرة إلى أخرى ؟! وقبل أن أختار مهنة أمارسها مات عظيم من عظماء جزيرة الغراب، فخرجت مع الناس إلى المدفن ـ إذا هلك كبير عندهم يخرج كل أهل الجزيرة الصغير والكبير والذكر والأنثى لتشييع جثمان الميت ـ فخرجت مع الناس إلى ساحة كبيرة ، اصطفت فيها مواكب الفرسان جماعات جماعات وعند زوال الشمس أقبل الملك والأمراء والأميرات والكهنة ـ فهؤلاء الناس يعبدون الأوثان والكواكب ـ وبعد طقوس مارسها كبير الكهنة وأعوانه تقدمت مجموعة من الفرسان وحملوا التابوت ، وتبعهم الكهنة والحاكم وحاشيته وعامة الناس تمشي خلفهم حتى وصلوا المدفن الكبير ـ مدفن الملوك ـ ، وكان طائفة من السادة في الاستقبال ، فتقدمت مجموعة منهم فاخذوا النعش ودخلوا به المقابر السلطانية ، وتوقف الملك ومن معه خارج المدفن ، ثم دخل كبير الكهنة إلى المدفن ، وبعد حين يسير دخل الملك والأمراء والحاشية إلى المقبرة ، ومكثوا ساعة من الزمن ، ثم خرج الملك يحف به الكهنة والفرسان ، وخاطب الناس

ببضع كلمات ؛ كأنه يشكرهم ، ثم انصرف الجميع إلى منازلهم.

يحيط بالمـقبرة تلك سور ضخم مكون من الحجارة البيضاء ومرتفع أيضا ، ومن الصعب تسلقه وعلى سورها الجميل المرتفع تماثيل لعظماء الأسرة الحاكمة ومن دخل في حضانتهم ، ولا يسمح للعامة بدخول المقبرة البته ، كانت لدي رغبة بدخولها ؛ ولكن لم يسمح لنا بالدخول ، وبذلت جهدي لدخولها لمشاهدة قبور هؤلاء الملوك والملكات ؛ ولكن هيهات هيهات ، فـقفلت عائدا مع العائدين ، وكلي شوق لدخولها ، فصرت كل يوم أقصدها من الجهات الخالية من الحرس لعلي أجد منـفذا أدخل منه .

ولم يطل انتظاري يا إخوان ، فمن محاسن الصدف وأنا أدور حولها ذات نهار أبحث عن منطقة أتمكن من الدخول منها ، أو أستطيع أن أقفز منها على سورها ، وقد جلست على حجر انظر البحر بعد تعب من الدوران ، فالشاطئ أمامي ليس بعيدا ، ولا يوجد أحد في المكان ، أرض خالية بين جدار المقبرة والشاطئ الا من أشجار قصيرة منتشرة ومتباعدة في المكان ، تعطي للمساحة جمالا لطيفا ، وبينما أنا أجلس متأملا لأمواج البحر المتدافعة ؛ وفجأة برز أمامي شخصان ، خرجا من تحت الأرض ، وبين أيديهما كيس ، ولما فوجئا بي ، لاحظت الخوف في أعينهما فقلت لهما : ويلكما ..لا تخافا من أين خرجتما؟؟!

لاحظت أنـهما أدركا من لكنتي أني غريب ؛ فكأنـهما تشجعا ، فرد أحدهما بحدة خفيفة : خرجنا من بطن الأرض .. وماذا تفعل أنت هنا ؟!

فهذا مكان غير مسموح لأحد بالجلوس فيه لو لمحك الحراس لخسرت دنياك .

فرددت عليه بنفس الحدة والقوة ، وأدركت أنهما في خوف وقلق : وأنتما ماذا تفعلان هنا ؟! بل ما يوجد في داخل الكيس ؟!

وبدأ بيننا شجار ، وحاولا إرهابي وتخويفي ، فأصررت على معرفة سرهما، فلجئوا لإغرائي ببعض المال ، ورمى أحدهم قطعة ذهبية عليّ ، على أمل أن أنصرف ، فوقع في نفسي عندما رأيت بريق الذهب أنهما وجدا كنزا ، فطمعت بأخذ المزيد ومعرفة السر ، فزادوا القطع ، فأبيت أخذها قبل معرفة سرهما ، فلما رأيا عنادي ، حاولا تهديدي بالقتل ودفني في هذا المكان فقلت لهما متحديا : افعلا إن كنتما تستطيعان ذلك .

فتقدم أحدهما محاولا ضربي ، فقبضت عليه ورفعته للأعلى وألقيته على الرمل ، فصاح من شدة الضربة ومتوجعا ، فقال رفيقه بخوف : إنك وحش ..ماذا تريد منا ؟!

فقلت : أريد أن أعرف من أين خرجتما ؟ ما

قصتكما ؟!

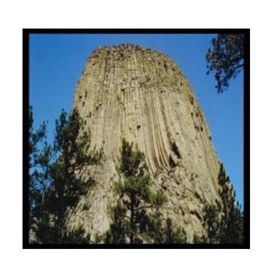
فصاح المضروب وهو يتوجع: أيها الغريب إذا ظللت في هذه الجزيرة فإني قاتلك!

فرددت قائلا : سوف أشكوكما للملك هذه الليلة فلزما الصمت لحظات ، ثم قال الثاني : دعنا نتفاهم أيها الرجل ، سأقول لك القصة ، ولك ثلث ما في هذا الكيس على أن تقسم لنا بكل معبود تعبده على كتم أمرنا.

فهززت رأسي موافقا وقلت : هذا هو الكلام المقبول .

وفهمت منهما أنه إذا مات عظيم من أهل الجزيرة يدفنون معه كثيرا من أمواله وجواهره ، وهذان الرجلان قد حفرا نفقا يوصل للمقبرة ، فكلما مات شخص من هؤلاء السادة يصبر الرجلان بضعة أيام حتى تخف الزيارات للقبر الجديد، فيدخلون النفق ويستخرجان أموال وحلي الذهب ثم يسافران من الجزيرة إلى جزيرة أخرى لبيعه ، فهذه قصتهما ، فحدثتهما عن رغبتي لدخول المقبرة لمشاهدة قبور الملوك التي فيها ، فقلت لهما : أريد أن أدخل المقبرة من هذا النفق لأشاهد قبور هؤلاء العظماء .

وبعد قيل وقال اتفقنا أن يرافقني أحدهم أثناء دخولها ، دخلت مع أحد الرجلين النفق المخفي إلى المقبرة ، وخرجت من النفق لمشاهدة القبور الملكية ، وظل رفيقي في داخل النفق وهو يكاد أن ينفجر من الغيظ ، تفرجت على القبور ذات الأشكال الجميلة ، وبعض القبور مجسم عليها تماثيل لمن هو رميم بداخلها ، عرفت من صاحبي فيما بعد أن القبور المصور عليها التماثيل هي قبور الملوك والملكات .



قال سلامة: وهنا صارحنا صاحبنا حصرم بن سلام عن الهدف الرئيسي والغاية لاقتحامه هذه الجزيرة ومجيئه إليها ، فقال : أيها الأصدقاء لم يكن هدفي الوحيد مشاهدة هذه الحجارة والتماثيل ؛ ولكني جئت للجزيرة لإتفاق بيني وبين القبطان شادور ، لقد حدثني شادور أنه في قبر الملك الأول لهذه الجزيرة سيفا لا مثيل له في الدنيا، فأعود بكم للوراء قليلا ، فعندما تعرفت على القبطان شادور بن بهلول على ساحل مدينة سلهوب ، وجرى بيننا حديث ، ولما علم أنني أريد السفر لمكان جميل ، فيه مال كثير ، وبعد كلام واطمئنان ، قال لي : بما أنك رجل آفاق ، لا مال ولا أهل ، وتحب السفر والترحال في البلدان سأذكر لك قصة .

وتابع الكلام قائلا : أمر كل سنة مرة على جزيرة الطيور ، جزيرة أهلها بسطاء وملوكها آلهة ،

وعندما يموت ملك أو سيد عظيم يدفنون بعض ماله معه وأشياءه الثمينة ، ولهم ملك مات قديما يسمى "برغوش" ، وهذا الملك كان إلها عظيما عند هؤلاء القوم ، ويملك الذهب والفضة والزمرد والياقوت والزبرجد ، وله سيف له بين الملوك شهرة ، مصنوع من الذهب والنحاس ، ومرصع بأثمن الجواهر والياقوت ، ودفن هذا السيف في قبر برغوش ، ذات مرة وأنا في ضيافة أحد الملوك جاء ذكر سيف الملك برغوش ، وكان هذا الملك مغرما بجمع التحف والأشياء النادرة ، فقال : ياشادور أنت رجل تتنقل بين المدن والجزر ؛ فإن جلبت لي سيف الملك برغوش من جزيرة الطيور وهبتك مائة ألف ذهبية ، أغنيتك للأبد وأرحتك من ركوب البحر ، فوعدته يا أحمد بالحصول على هذا السيف النادر ، وبما أنك رجل مغامر سواح في الأرض فاذهب إلى هذه الجزيرة ، وحاول بذكائك وحيلتك الحصول عليه ، ويكون مال الملك بيني وبينك .

قال حصرم : بالطبع رضيت بعرض شادور، ومن أجل سيف برغوش دخلت جزيرة الغراب وهذا أيها الأصدقاء سبب اهتمامي في تلك المقبرة الملوكية ، وعليّ خلال عام كامل أن امتلك السيف ، وانتظر البحار شادور، فلما أصبحت بين القبور أخذت بالبحث عن قبر برغوش ، فلم أعرفه ، فعدت للنفق فوجدت الرجل في خوف ورعب شديدين ، فلما رآني قال : لقد تأخرت ، ظننت أنك وقعت بأيدي الحرس ، هيا نخرج بسرعة !

وخرجنا من النفق الخطير، ولما ابتعدنا عن المقبرة ودخلنا طرف المدينة قالا : ماذا فعلت ؟!

رددت عليهما : تفرجت على القبور والتماثيل المنصوبة فوقها .. وسمعت عن قبر الملك برغوش فأحببت أن أراه فلم أوفق إليه ، فهل بإمكانكما إرشادي إليه ، ولكم مني أجر ذلك ؛ لأني أنا أملك مالا كثيرا ، قلت لهم هذا الكلام لأني أدركت جشعهما وحبهما للمال فوعداني خيرا ، وصحبتهما لمسكنهما .

وفي صباح اليوم التالي صحبني أحدهم لتلك المقبرة ، وعرفني على قبر الملك برغوش ، ثم عدت لبيتي أجهز نفسي لفتح قبر برغوش واستخراج سيفه منه، وبعد يومين زرت الرجلين فلم أجدهما ، فقيل لي إنهما سافرا ، فهما يحبان السفر إلى الجزر القريبة ، فلهما مركب يتنقلان عليه فأدركت أنهما ذهبا ليبيعا ما سرقاه من قبر الأمير الذي مات مؤخرا ، فهتفت قائلا لنفسي : مهنة لطيفة وخفيفة .. سبحان الله ! والسبب في ذهابي للسؤل عنهما أنه خطر في بالي بأنهم قد يكونان أخذا سيف برغوش وباعوه ، فأحببت أن أعرف قبل نبش القبر ، والسبب الثاني التأكد من صدقهم نحوي وعدم

خداعي ، والسبب الأخير محاولة إغرائهما بجلب السيف المذكور مقابل عدد من القطع الذهبية.
فلما لم أجدهما قررت انتظارهما فما زال هناك وقت طويل على موعدي مع القبطان شادور بن بهلول ، فصبرت نفسي حتى رجعا بعد ثلاثين يوما ، فظفرت بهما ، وقد انزعجا في البداية
فطمأنتهما ، وقلت لهما : اعتبراني صديقا ، ولن أفشو سركم ، وأريد منكم خدمة ومساعدة .
ثم كشفت لهما الغاية التي أريد ، فقلت هامسا : سمعت أيها الأصدقاء أن في قبر الملك برغوش سيفا جميلا ، وأرغب قبل رحيلي عن جزيرة الغراب في الحصول عليه ؛ ليبقى معي ذكرى أفتخر بها أمام الأقران في بلدي عن بلدكم ، وبما أنكم مختصون بسرقة القبور فلا يستطيع أحد أن يحقق لي ذلك الا أنتما ، وعرضت عليهما مالا كثيرا
وبعد ثرثرة حول سيف برغوش قال أحدهم : الأمر ليس سهلا .. رغم المال الذي تعرضه علينا ، ولا يستهان به .. فاسمع ما أقول.. نحن لما اكتشفنا هذا الكنز ـ وهو أخذ أشياء الأموات ـ فاعلم أننا نأخذ أموال الذين يموتون حديثا ، أما القبور القديمة بل التي يمر عليها سنة لا نستطيع فتحها .. فهؤلاء الناس بعدما يدفنون الميت ينتظرون سنة على موته ، ثم يؤتى بالرسامين والنحاتين بعد بناء قاعدة صلبة على القبر فيلونون القبر ، ثم يضعون تمثالا للميت على القبر حسب عظمته وقربه من السلطان .. فقبر برغوش أو سيف برغوش نحن سمعنا عنه ولكن الأمر ليس هينا ، فنحن إذا أردننا أن ننبش قبره قد نحتاج إلى كسر تمثاله، وهذا أمر قد ينكشف بسرعة فنخسر أنفسنا.
فقلت لهما أمام هذه الحقائق : أنا جئت من بلاد بعيدة من أجل هذا السيف، فلابد لكم من مساعدتي وتدبيري ، ولكم مني عشرة آلاف قطعة من الذهب ، فهذا مبلغ كبير ويستحق المغامرة .
فطلبا مهلة يومين للتفكير في الأمر ، فلما التقينا بعدها وافقا على مساعدتي على أن يقبضا نصف المال قبل العمل ، فدفعت لهما خمسة آلاف قطعة ، وكانت خطتهما الحفر تحت الأرض حتى يصلا لقبر برغوش ، وبعد تسعين يوما من الحفر اقتربوا من الوصول إلى قبر الملك برغوش ، وحدثت داهية قبل إنهاء الحفر أن أعلنت الحرب في الجزيرة ، فقد احتل جنود غزاة ساحل الجزيرة ، وجاء موضع هبوطهم من جهة النفق الذي ندخل منه إلى المقبرة فتوقف العمل ، وتوترت البلد وخاف الناس ، وجرت المراسلات بين الملك الشاب والملك الغازي الذي طلب من أهل الجزيرة أموالا كثيرة ونساء ، وانتشر جنود ملك جزيرة الغراب في المدينة ، وخرج بضعة آلاف منهم إلى جهة البحر

لمواجهة الغزاة والتصدي لهم ، واستعد الفلاحون والصيادون للدفاع عن أنفسهم وأهليهم ، وخلال المفاوضات بين الملكين حدثت مبارزات بين فرسان الفريقين ، ظهر فيها للملك ضعف فرسانه في مقاتلة هؤلاء الغزاة ، فبعد شهر من النزاع والتفاوض اتفقوا على الصلح على أن يدفع للملك الغازي وجنوده خمسمائة ألف قطعة ذهبية وألف امرأة ، وأخذت المواثيق والعهود من الملك الغازي بالانسحاب وعدم المجيء مرة أخرى للجزيرة ، ولما سويت الأمور انصرف الغزاة بالمال والسبايا ، وبعد زمن قصير عاد الهدوء للجزيرة كأن شيئا لم يقع ولم يكن ، وتعجبت لقبول هؤلاء فقد أموالهم ونساءهم بهذه البساطة واليسر ، فجاء الجواب سريعا "نفقد بعض المال ولا نفقده كله ، ونفقد ألف امرأة ولا نفقد آلاف الرجال وكل النساء ، والنساء تذهب عن طيب خاطر! "وتابع محدثي قائلا : فهذه أمور طبيعية في الجزيرة بل في كل الجزر المحيطة بنا ، أحيانا يتبارز الملوك مع الملوك الغزاة ، ومن غلب صاحبه يشرط عليه ما شاء، ولا تتقاتل الجنود مع بعضها البعض .

قال سلامة وأخبرنا صاحبنا حصرم بن سلام : أن هذه الحرب أخرت إخراج سيف الملك برغوش ما يزيد عن شهرين ، ولما أصبح السيف بين يديه فتأمله جيدا فوجده كما وصف له ، ولفه بخرقة ناعمة ، ودفع للرجلين ما تبقى لهم في ذمته ، وهجر الرجلين ، ومكث ينتظر القبطان شادور ، وفي الزمن المحدد تقريبا وصلت سفينة شادور سواحل جزيرة الغراب، وكان بينهما لقاء جميل وممتع ، وودع حصرم معارفه في الجزيرة ، وقد احتفى شادور بصاحبه أحمد احتفاء كبيرا ، ولما نظر السيف أصابته رعشة ودهشة ، وهذه حكاية الشيخ حصرم بن سلام في جزيرة الغراب .

حكاية الكاهن

أيها الكرام ! لما التئم شملنا ذات ليلة عند صاحبنا الجديد حصرم بن سلام ، وفرغنا من ملء البطون بالشراب المباح والطعام الطيب ، جاء دور ملء الذهن والأذن بالاستماع والكلام ، فحمدت الرحمن وصلينا على النبي العدنان صلى الله عليه وآله وسلم والصحب الكرام ، فقلت : وصل بنا الحديث يا سيدي حصرم عندما وضعت السيف الثمين بين يدي القبطان شادور بن بهلول على متن سفينته العملاقة .. قل لنا الآن ما الذي جرى بينك وبين شادور القبطان .

سكت برهة محدثنا ثم تنفس حصرم نفسا عميقا وقال : جملة حقائق لابدّ من التذكير بها ، فالموت حقيقة وحق ولابدّ منه بأي صورة كان ، والوفاء نادر بين الناس إذا تعاملوا بالمال والدينار ، والطمع كأنه طبع في بني آدم ، حاول شادور حفظ السيف

عنده ، فقلت: يا صاحبي الحذر واجب ، وقد دفعت مبلغا كبيرا للحصول عليه ، والدنيا حياة وموت ، فلنذهب سوية إلى صاحبك الملك الذي حدثتني عنه ، والذي كلفك بالحصول على السيف فأظهر الغضب مني وقال : ويلك ! .. ألا تثق بي ؟!

فاعتذرت له عن سوء فهمه ، وذكرت له قصصا عن الغدر والخيانة والجشع والنفس الأمارة بالسوء ، والصحيح أنه أصبح لديّ خبرة ونظر ، وقد تكون فراسة، فقد رأيت الغدر والطمع في لمعان عينيه عند أول مرة لمست يداه السيف ؛ لذلك اتخذت جانب الحذر والحيطة ، والمال أيها الأعزاء يفرق بين الأخوة الذين هم من صلب أب واحد ، فكيف بيني وبين شادور؟! فقد التقينا عرضا ، وجرى بيننا الاتفاق الذي تعلمونه ، ومضينا في البحر أياما وأياما ، وفي ذات ليلة دافئة هادئة بعد عشاء لذيذ شعرت بالنعاس القوي الشديد ، فصعدت لظهر السفينة حتى أنام فنمت سريعا ، وما كدت استغرق في النوم حتى استيقظت على أيدي عدد من الرجال يحملونني ويلوحون بي في الهواء ، ثم قذفوني إلى البحر من غير شفقة ولا رحمة حتى أنني لم أتمكن من الصراخ والصياح ، كنت أتوقع الغدر من شادور ؛ ولكن ليس بهذه القسوة ، ومن سوء حظ شادور اللعين وأعوانه أني أضع السيف الصغير والثمين مشدودا على فخذي ، ولا أحفظه في متاعي ، والهميان على وسطي ، وقد حصل بفضل من الله ربي أن تعلمت العوم في جزيرة الغراب ، فلما ارتطمت بالماء استيقظت حواسي كلها ، وكذلك حبي للحياة ، وكنت قد صحوت من النوم وهم يحملونني ليقذفوا بي إلى الماء ، فلما خفت الصدمة بدأت أعوم في وسط البحر الهادئ ، ثم تركت نفسي للأمواج تتقاذفني كيف شاءت؟ .. فما أن ظهر نور الصباح إلا وأنا أجد نفسي ملقى على الرمال .. فعمري لم ينته بعد ، وكنت في غاية الإنهاك بالطبع ، فنمت من التعب على شاطئ البحر .

فما استيقظت أيها الأصدقاء إلا وأنا بين يدي رجال يحملونني إلى غرفة صغيرة ، وحضر كاهن الجزيرة الصغيرة ، وتمتم عليّ بكلماته التي لا أفهمها ، وبعد أيام عادت لي قواي الذهنية والعضلية ، واستردیت عافيتي ، وعلمت أنني في جزيرة في وسط البحر اسمها " السمكة الحمراء " ، وقد فاجأني القوم بتنصيبي ملكا عليهم ؛ لأن ملكهم قد وافته المنية منذ أيام ، وأول غريب يهبط الجزيرة بعد وفاة الحاكم يجعلونه عليهم ملكا ، يحكم بينهم ، ويحل لهم مشاكلهم والحقيقة التي بانت لي بعد زمن قصير أنّ الحاكم الفعلي لهؤلاء الناس هو الكاهن الأكبر، ووجدتهم كفرة يعبدون

شجرة ضخمة تقع في وسط الجزيرة ، فهي الإله الذي يقدسونه ويعظمونه ، ويحيطونها بالتبجيل والتعظيم والاحترام العجيب ، والكاهن هو الذي ابتدع لهم الملك الغريب حتى لا يختلفوا ، ويتصارعوا على الحكم ، رضيت بالأمر أو استسلمت للأمر ، وأصبحت ملكا على هؤلاء الجهال عبدة الشجرة ، وتعلمت لسانهم ، وزوجني الكاهن امرأة منهم ؛ لتقوم على خدمتي ورعايتي وصنع الطعام لي ، وتنقل أحوالي أيضا للكاهن الأكبر ، كنت ملكا يا أخي هانىء ! ويا أخي سلامة ! من غير حرس أو وزراء أو جنود كما في بلادنا ، وكأن الملوك السابقين لم يفعلوا أمرا كهذا ، فوقع في نفسي أن أصنع مملكة حقيقية هناك ، ملك وزراء حرس وجنود وشعب ؛ ولكني اكتشفت أنّ هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل ، وقد يسبب لي الصدام مع الكاهن الأكبر الذي هو مشغول بشهواته ، فهو مشغول بالزواج ، ففي مطلع كل بضعة أشهر يزفون له امرأة جديدة ؛ فإذا حملت خلال نصف سنة تبقى على ذمته حتى تلد ، وفي اليوم الذي يتزوج فيه يترك امرأة لم تحمل منه ، فإذا ولدت المرأة التي تحمل منه ولدا بقيت عنده للأبد ، وأما إن وضعت أنثى تركها زوجة لغيره ، وعلى الزوج الجديد تربية البنت نيابة عن الكاهن اللعين .

اعلموا يا أصدقائي أن أغلب طعام هؤلاء الجهال أكل السمك ، وقليلا من الخضار والأعشاب وأن هذا الكاهن مجرم كبير ؛ فإذا غضب على أحد الناس ذكرا أو أنثى رموه في البحر طعاما للأسماك ؛ لتطعمهم الشجرة الغاضبة لغضب الكاهن سمكا سمينا ، العجيب أن هذه الجزيرة معزولة عن الجزر الأخرى ، لا يوجد فيها قوارب ، ولا تمر عليها السفن ، فهم لا يعلمون أن هناك مدنا حولهم ، وأن بشرا في الدنيا مثلهم ، وأمام هذا الحبس ورؤية هذا الجهل المطبق على هؤلاء القوم ـ ما عدا الكاهن اللعين فإنه فطن خبيث ـ فكرت بقتله وإراحة هؤلاء الناس من ظلمه بطريقة ماكرة لا يشعرون بأني قاتله ، فتسألت من سيصبح الكاهن لهم بعد زواله؟! فعلمت أن له مساعدين يختفون في كهف من كهوف الجزيرة ، لا يخرجون منه ألبته ، فإذا مات الكاهن خرج أحدهم خليفة له ، وهؤلاء الخلفاء لا يظهرون للناس، ولا يجتمعون إلا بامرأة تقوم على خدمتهم ، وحاولت الوصول لهذه المغارة فخاف الناس من ذلك ثم حاولت أن أصل إليها عن طريق الكاهن فنهرني وقال : اهتم بأمرك ، ومتع جسدك ، ولا تتدخل في شأن الآخرين فعدت للهدوء والصمت ، وكبر في نفسي سفك دم هذا الكاهن سرا في غفلة من قومه ، فقررت البحث عن أفعى سامة ،

واستخلص سمها وأدسه في طعامه أو شرابه .

ولقد تمنيت وأنا في تلك الجزيرة المعزولة عن العالم لو أنني أعرف ضروريات ديني لأنقلها لهؤلاء الجهال ، فأنا تعلمت قليلا في قريتي جمانوسا عند الشيخ حماد ، ولفقري المدقع طردني الشيخ فعملت بالرعي والحقول ؛ فلذلك علمي بالشرائع ضئيل حتى عندما كنت وراقا ـ كما تعلمون في مدينة سلهوب ـ لم أهتم بكتب الشرائع وما فيها من العلم والخير ، كنت أترك ذلك للعمال عندي حتى الصلاة ـ أيها السادة ـ لم أكن أتقنها ، كيف غيرها من أمور العبادة ؟ لقد تمنيت حقيقة وأنا مع هؤلاء الجهال لو أنني تعلمت بعض الشيء عن ديني لأعلمه لهؤلاء الجهال الذين يعبدون شجرة لا تضر ولا تنفع .

كما قلت لكم قدح في ذهني أن أتخلص من الكاهن لأعرف أسرار الجزيرة والكهف الذي يختفي فيه مساعدو الكاهن الغامض ، تابعت الكاهن ووضعته تحت مراقبتي ، فلم استدل منه على الكهف ، والناس لا يتحدثون عن الكاهن إلا برعب ووجل ، ومن سألته سوألا حول الكاهن لم يعد يقترب مني ، بل يهرب عندما يلمحني من بعيد ، له سطوة غريبة عليهم ، فتسألت أكثر من مرة لماذا أنا ملك على هؤلاء ؟! حتى المرأة التي زوجوني إياها لا تتكلم بشيء عن ذلك ؛ وإذا سألتها ارتسم الرعب على وجهها ، وكنت أرى أنها عين الكاهن عليّ ، وكانت تغيب عني كثيرا ولا أهتم بذلك ، وقد شاهدت مشهدا يوما ما ، جعلني أفكر فعلا بقتل الكاهن الأكبر غيلة ، كنت يوما أجلس في قصري الصغير الذي هو عبارة عن كوخ على صخرة كبيرة ، وأهبط إلى الأرض بسلم مصنوع من جذع شجرة ، جاءتني زوجتي تدعوني لمقابلة الكاهن ، فذهبت على الفور ؛ فإذا هو يقاضي شابا تقاتل مع رفيق له ، وهما يصيدان السمك ، ولما ذكر كل واحد منهما ما عنده حكم على أحدهما بالموت لأنه سبّ الآلهة أثناء الشجار ، وطلب مني تنفيذ الحكم الصارم بالشاب ، وقام رجال بشد الضحية بالحبال ، وتدخلت وحاولت العفو عنه ، فصدني الكاهن اللعين ، وطلب مني أن لا أتدخل في قضائه ، ولا في شأن لا يهمني ، فتشاجرنا فغضب عليّ ، وأمر رجاله بتوثيقي في الحبال ، وحبسي بضعة أيام في كهف سد بحجارة ضخمة .

ثم عفا عني لما استعطفته ، وقبلت يديه ، واعتذرت له أمام أهل القرية ، لقد أذلني اللعين مذلة لم أنسها لليوم ، فكبر كرهي وحقدي عليه ، وتعجبت لماذا لم يقتلوني كما قتلوا ذاك الشاب الذي دافعت عنه؟! فقد رموه في البحر لتأكله الأسماك إرضاء للآلهة ، صبرت أياما ثم أخذت انطلق في

البراري باحثا عن ثعبان سام أو ثعابين حتى تيسر لي ذلك ، وجربته في بعض الحشرات والسحالي ففتك بها فتكا سريعا ـ ولي معرفة بالافاعي عندما كنت راعيا في قريتيي القديمة ـ وقررت أن احتفظ به للوقت المناسب ، وأدسه في بيت الكاهن اللئيم لعله يلدغه ويقضي عليه، ثم هيأت نباتا ساما من خانق الذئب السام القاتل للذئاب والحيوانات للوقت المناسب أيضا ، وبدأت أفكر بوسيلة أوصل بها السم لقلب الكاهن الأكبر ، ففكرت أن أصنع وليمة كبيرة للكاهن مبينا له اعتذاري عن إساءتي لشخصه الكبير ، ومرضيا لغروره الكبير أيضا ، ودعوته فوافق ، وأحضر لي الصيادون سمكا كثيرا ، وقمت بشويه على النار ، وحضر الكاهن ورجاله الخمسة وأكلوه ، وشربوا شرابا يصنعونه من أشجار تسكن الجزيرة ، واعتذرت للكاهن مرة ثانية عن خطئي وغفلتي نحوه ، فأبدى عطفه وعفوه عني ، ولم أضع له السم ، أردت أن يطمئن لي أكثر ، ويرتفع شكه عني ، هو ورجاله الخمسة ، ويقتنعون أني رضيت بالأمر الواقع ، وقدر لي أن أعرف من الصيادين أن أيّ صيد غريب فهو للكاهن ، فهم عندما يصيدون كلب بحر فهو لسيد الجزيرة المطلق ، لا ينازعه فيه أحد ، هو أيها الأصدقاء الملك الحقيقي لهذه القرية ، وما عرفت الفائدة والحكمة من وضعي ملكا على هؤلاء الناس الجهال ؟! حتى وأنا مسجون ظللت ملكا عليهم لم يخلعني اللعين ، وسوف أظل ملكا حتى الموت ، ملكا محبوسا في الجزيرة فهؤلاء الناس معزولون عن العالم ، ولا يعرفون السفن ولا القوارب .

ذات يوم وأنا أسير قرب شاطئ مهجور لا يستعمله الصيادون وجدت جثة ممددة عليه ؛ فإذا هي جثة أنثى فتاة صغيرة ، وعليها ملابس جميلة وزاهية ؛ كأنها عروس في ليلة فرحها، فدرت حولها ، وأخذت في تقليبها ، وجسست نبضها؛ فإذا هي حية ، فدلكت عنقها وصدرها ونقلتها إلى ظل شجرة ، وحاولت معالجتها فلم أفلح ، فأحضرت لها الكاهن الأكبر لعله يستطيع مداواتها ، فأمر بنقلها إلى قصره ، وتمتم عليها بشعوذته ، وسقاها شرابا عنده يعالج به مرضى الجزيرة ، فاستيقظت الفتاة وكانت تهذي ولا ندري ما تقول ، فأمر الكاهن نساءه أن يغيرن ثيابها بثياب دافئة وإشعال النار في مكان نومها ، وأمر كذلك بإطعامها من لحم الأرانب ومرقها حتى تسترد عافيتها ، وتذهب عنها الحمى التي أصابتها ، وجود هذه الفتاة في الجزيرة أجل من تنفيذي لحكم الموت الذي أصدرته ضد الكاهن ، بعد شهر عادت للفتاة نضارة ووجهها وجمالها الآخاذ ، وكانت تتكلم ولم نكن نفهم عليها ، فأخذت

تجتهد بتعلم لغة أهل الجزيرة ، وما كادت تمضي بيننا فصلا من فصول السنة حتى أصبحت تتكلم بلسان القوم ، وعرفت أين تعيش ؟! وكنت بشوق ـ أيها الأصدقاء ـ لمعرفة حكايتها ، وما الذي رماها على هذه الجزيرة في وسط البحر الكبير ؛ ولكن قبل أن أسمع حكايتها وأجتمع بها ، نقل لي أن الكاهن يريد أن يتزوج هذه الفتاة ، وأنه سيتزوجها زواجا أبديا ؛ لأنها هدية من البحر له ، فنزل عليّ هذا الخبر كالصاعقة في الليلة العاصفة ، وصحت : هذا الرجل يدفعني لصرعه كأنه سيموت بيدي هاتين !

كان من عادة الكاهن ورجاله الخمسة أنهم يخرجون عند انتصاف النهار يوميا إلى الشجرة المعبودة من دون الله فيطوفون حولها ، ثم يهجم عليه العامة يتلمسونه لأخذ بركاته ، ثم يعود لقصره الخشبي ، في هذا الوقت زارتني الفتاة الغريبة ، وطلبت مني إنقاذها من الكاهن ، فعطفت عليها وشجعتها على قتل الكاهن ، ودفعت لها السم الذي هيئته للفتك بالكاهن ، وقلت لها : اظهري رضاك بالزواج منه ، ثم ضعي له هذا السم في طعامه ، ولسوف أدافع عنك ولا تخافي وأنا معك .

وعادت خفية لمنازل الكاهن ، وقد علمت منها أن الكاهن حذرها من الاجتماع بي ، والفتاة شجاعة كما ظهر لي ، وبعد أيام يسيرة استدعاني الكاهن الأكبر للاجتماع به ، واختلى بي وكان يرقد تحت الفراش فإذا به يقول :



سأموت يا أحمد فقد اقتربت النهاية ، فالسم الذي دسسته لي سيؤدي مفعوله ، وسأقول لك الأسرار التي كنت تبحث عنها وتسعى إليها ، اعلم أنني لست من هؤلاء القوم ، أنا مثلك غريب عنهم ، أنا صياد من مدينة النجق خرجت وخمسة من الصيادين في رحلة صيد ، فرمت بنا عاصفة إلى هذه الجزيرة ، وكان الناس هنا يعتقدون أن كل قادم إلى هنا من البحر إله ، فينصبونه سيدا عليهم يعبودنه مع الشجرة العملاقة أي أن الملك هو نائب الإله أو لسان الشجرة ، ومات ملكهم قبل مجيئنا بأيام ، ولما وصلنا إليهم جعلوني ملكا عليهم ، ورفاقي مساعدون لي ، فصاروا يقدسوننا والشجرة ، ولما استقر بنا المقام هنا وفهمت طباع وصفات هؤلاء الناس ولغتهم اخترعت لهم منذ خمسين عاما الكاهن الأكبر وجعلت أحد الصيادين الذين جاءوا معي ملكا مكاني اسما مثلك الآن ، دون الفعل الذي كنت افعله ، وبالتدريج نقلت التقديس لشخص الكاهن ، وتشاجرت مع رفاقي الصيادين فتخلصت منهم خفية ودفنتهم في كهف

، وأخبرت الناس أنهم اختفوا في كهف حتى يصبحوا بعدي كهانا، ونسيهم الناس ، وصرت أضع لهم الشرائع المناسبة ، وأنكح نساءهم وبناتهم ، ويفعل الملك صاحبي مثلي إلى أن مات ، فأرسلت لنا الآلهة رجلا فنصبناه ملكا بدون ملك ، وانفردت بالسلطة والحكم عليهم ، ووضعت لهم طقوسا لعبادتي وعبادة الشجرة ، وكل ستة أشهر يزفون لي امرأة ، وأتخلص من واحدة لم تحمل مني أو أنجبت لي بنتا فيقوم أحدهم بالزواج منها ـ من زوجة الإله ـ ويربي هذا الزوج ابنة الإله ، ومنذ أن جئت إلى هذه البلدة ، وقد تزوجت مئات النساء فلم ارزق بولد ذكر إلا مرة واحدة ، وكم فرحت به ! وبدأت أعده ليكون الكاهن الأكبر ؛ ولكنه مات بعد عشر سنوات ، فحزنت عليه كثيرا ، وبالرعب وبالتقديس ما زلت إلها لهؤلاء الناس ، ومات الملك الذي سبقك ، فجئت أنت فجعلناك ملكا ؛ لاعتقاد هؤلاء أنّ أيّ شخص يأتي من البحر فهو إله قادم إليهم ، وهذا الأمر لا يضيرني ، ولا يحد من سطوتي عليهم وأنا بينهم منذ خمسين سنة ، فهذه قصتي يا أحمد التي سعيت لمعرفتها منذ وطئت قدماك هذه الجزيرة .. والآن أقول لك وداعا .. واعلم أن القاتل يقتل ولو بعد حين ، فهذا جزائي ، واستلم مكاني ، وسيأتي من يقتلك كما قتلتني! وعلم الناس بشدة مرض الكاهن، وأنه ولّى الكهانة للملك أحمد، ولما فاضت روحه ألقوه للبحر ليمدهم بمزيد من الأسماك والطعام ، فهؤلاء القوم لا يعرفون الدفن .

ورث حصرم بن سلام قصر الكاهن ، وحرر نسائه من قيده ، وأخبر الناس أنه ملك وليس كاهنا ، فانزعج الناس أول الأمر وأصابهم الذهول ، وتيقن لهم أنّ الكهنة المختفون في الكهف لن يخرجوا ، وكشف لهم أحمد خداع الكاهن رويدا رويدا ، وأنه بشر مثلهم ، وأن وراء البحر أناس مثلهم يعيشون في الدنيا ، ولما هدأت الجزيرة بعد هذه الأخبار استمع حصرم لقصة الفتاة التي ساعدته على قتل إله الجزيرة ، فقالت : يا سيدي الطيب لقد أنـقذتني من هذا الكاهن اللعين .

فابتسم لها حصرم قائلا : بل أنت التي أنقذتني منه ، وأنـقذت هؤلاء الجهال منه وحدثها عن نفسه بعض الوقت ، ثم طلب منها أن تسمعه قصتها ، وما الذي رمى بها على هذه الجزيرة ؟

فقالت : أنا أميرة بنت الملك بوقة ملك بلاد السنجاب .

قطع حصرم كلامها قائلا وهو يتنهد : عندما رأيتك أول مرة على رمال الجزيرة وقع في نفسي أنك ابنة عظيم .. بل ظننتك حورية من حوريات البحر تابعي الحديث أيتها الأميرة !

فتابعت الأميرة الكلام قائلة : يا سيدي الملك أحمد

.. خطبني أمير من أمراء بلادنا فرفضته ونسيت الأمر ، والتقيت بشاب من عامة الناس ، وجرى بيننا إعجاب وحب ، فخطبني من أبي الملك ، وبعد ضغط شديد مني على والدي زوجني من الشاب الذي اخترته لنفسي ، وفي ليلة الـفرح والاحتفال بزواجنا حدث أمر ، فمن عادات وتقاليد بلادنا أيها الملك بعد الانتهاء من الحفل الشعبي في ساحات المدينة أن يركب الـعروسان في سفينة صغيرة البحر ساعة من الزمان فنحن قوم نعظم البحر ونتبارك به كهؤلاء الناس الذين تحكمهم ، وهيئت لنا السفينة ، وركبت أنا وزوجي المختار السفينة وخمسة من البحارة الذين يخدمون والدي الملك ، ودخلنا الماء ليبارك زواجنا ، وتعمقنا في البحر ، وعند العودة غدر بنا البحارة ، فألقوا صاحبي في البحر ، وعلمت أنى مخطوفة ، وأن هؤلاء البحارة الخونة سيذهبون بي إلى الأمير الذي خطبني سابقا ورفضته ، وظننت أنّ الأمر قد انتهى ، فقادوني إلى جزيرة ينتظرني فيها الأمير، وبعد تـفكير عميق قررت الهرب منهم ، ثم العودة لأبي حتى ينتقم منهم جميعا ، ولما لاح لي ساحل هذه الجزيرة من بعيد قفزت إلى الماء مظهرا لهم أني أفضل الموت على الذهاب معهم ، وسبحت نحو ساحلكم ، وأنا فتاة تتقن العوم ، وقلت إن البحر سينقذني منهم ، فنحن قوم نعظم البحر، وهو أحد الآلهة التي نـقدسها يا سيدي الملك ! فظللت أعوم حتى وصلت إلى الشاطئْ فأغمي عليّ والباقي تعرفه ، وأنا لا أعرف ماذا جرى لزوجي ؟! هل نجا مثلي أم غرق في البحر؟ فهو من فرسان البحر، ولا أدري كيف سأعود لبلادنا أيها الملك ؟!.



أخبرنا حصرم فقال : فلما سمعت حكايتها أشفقت عليها ، ووعدتها خيرا ، وقلت لها إذا تيسرت لنا سفينة آمنة سنسافر معا إلى بلاد السنجاب ، ورتبت مع نـفسي لحرق الشجرة العملاقة التي يعبدها هؤلاء الناس ، فاستيقظوا ذات ليلة على ارتفاع اللهب من الشجرة العملاقة ، وجاءوا إلى قصري فزعين وهم يصيحون : الإله احترق !!..الإله احترق!! فصحت قائلا: إله لا يدافع عن نفسه كيف يكون إلها؟! إله لا يطفىء نفسه ، كيف ذلك ؟! ثم أجبت قائلا : لابدّ أنها شجرة كباقي الشجر، وذهبت معهم إلى الإله الذي كان يحترق ويحترق ، وحاولوا إطفاء النار بالماء فصحت قائلا : ويحكم إله لايطفي نفسه! ..دعوا هذا الإله سنبحث عن إله آخر .. من صنع هذا الإله أيها الناس فليصنع لنا إلها أخر؟!

فبدأ المستمعون يتهامسون ويقولون : ماذا يقول

هذا الملك ؟!!

فصحت بحرارة وقوة وحماس : أيها الناس لنعبد الإله الذي صنع هذه الشجرة العملاقة !

المهم أيها السادة دفعتهم لعبادة إلهنا ربنا الله سبحانه ، ووجدت نفسي أدعو هؤلاء الناس إلى الإسلام الذي لا أعرف عنه الكثير .. آه!! كم ندمت على تقصيري في معرفة المزيد عن إسلامي ولو حفظت عددا من السور القرآنية لأفدت هؤلاء الناس بها ، وقلت إذا قدر لي العودة لبلادنا سأتعلم الدين الصلاة والصوم .. من المهم أن كلماتي بدأت تجد صداها في هؤلاء الأغبياء ، وبدءوا يعتقدون بوجود إله أكبر لهذا الكون.. إله السموات .. إله الأرض .. إله الشجر .. إله السمك والبحر ..إله كل شيء .. دعوتهم للصلاة لهذا الأله الأعظم ، علمتهم الدعاء والركوع والسجود ، ودعوته في السراء والضراء .

واعلموا أيها الأصدقاء أنّ رحمة الله واسعة وعظيمة جدا جدا، فكأن الله تعالى استجاب لدعاء أهل الجزيرة ، فهبطت على جزيرتنا سفينة تائهة في البحر، فاستقبلت أهل السفينة في فرح كبير وفرحت أكثر عندما وجدت أنّ أكثر ركابها مسلمون يعرفون شعائر الإسلام والدين ، وبعد أيام قرر قبطان السفينة بالرحيل ، وتطوع شاب بالبقاء في الجزيرة لدعوة الناس لدينهم الجديد ويعلمهم سورا من القرآن ، وعرضت على الفتاة الأميرة الرحيل مع هؤلاء ، فقالت : لن أرحل إلا معك ياسيدي ..أريد أن أعرف هذا الدين الذي تدعون إليه ، أريد أنّ أعظم هذا الإله الذي تعبدونه وتـقدسونه وتخرون له ساجدين.

كان الشاب القادم نعمة كبرى من الله تعالى لأهل هذه الجزيرة ، وعلم الناس الصلاة والفاتحة والقرآن والصوم والإيمان ، لقد استطاع هذا الشاب نقل ما يحفظه عن الإسلام لهؤلاء ، فأحبوا الدين الجديد ، والإله الجديد حبا عظيما ، وبنينا مسجدا للجزيرة ، وتعلموا الآذان وألفاظا من العربية ، الحقيقة يا أصدقائي سررت من هذا العمل ، وهو اخراج هؤلاء من الظلمات إلى النور ودونا كل ما سمعناه من الشاب على الصحف والجلود ؛ وبعد سنتين قال الشاب : الآن انتهى ما عندي وأريد العودة لبلادي في أول سفينة تمر علينا ، وأنا أيضا عزلت نفسي عن الحكم ، وبينت لهم رغبتي بالرحيل لأهلي ، فقد طال عليهم الغياب ، وحثثتهم على تعلم صناعة السفن والقوارب ، وذلك بأن يرسلوا بعض أبنائهم لجزر مجاورة يتعلمون منهم ذلك وعليهم ألا يظلوا منغلقين على أنفسهم ، وعليهم كذلك ببعث بعض أولادهم الأذكياء لبلاد المسلمين ؛ ليتعلموا العلم الشرعي النافع وغيره ، ثم يعلموه للناس والجزر

المجاورة ، والحق أنهم بكوا وحزنوا لرحيلي ، وتمنوا ألا تمر سفينة على بلادهم حتى أظل موجودا بينهم ، فشكرتهم شكرا جزيلا ، ثم واسيتهم قائلا : لعل الله يقذف بي إلى قوم بحاجة لي مثلكم .. أدعوهم للخير والسعادة .

ويسر المولى سبحانه سفينة سائرة لبلاد الشمس والصين ، فحملتنا أنا والشاب المعلم والفتاة الاميرة وعشرة من الغلمان الأذكياء مسافرين في طلب العلم، وفن صناعة السفن ، فأرشدتهم بالمسير إلى بلاد فارس أو بغدان أو الشام أو مصر ففيها زاد طيب .

انتهت الحلقة



الضبع والذئب

وَذكر الْحُكَمَاء فِي أمثالهم قَالُوا قيل للذئب مَا بالك تعدو أسْرع من الْكَلْب فَقَالَ لِأَنِّي أعدو لنَفْسي وَالْكَلب يعدو لصَاحبه .

وَذكر أَبُو هِلَال العسكري قَالَ قَالَت الْعَرَب وجدت الضبع تَمْرَة فاختلسها الذِّئْب فلطمته لطمة فتحاكما إِلَى الضَّب فَقَالَت يَا أَبَا الحسيل قَالَ سميعاً دَعَوْت قَالَت جئْنَاك نحتكم إِلَيْك قَالَ فِي بَيته يُؤْتى الحكم قَالَت إِنِّي التقطت تَمْرَة قَالَ حلواً جنيت قَالَت إِن الثَّعْلَب أَخذهَا قَالَ حَظّ نَفسه بغى قَالَت لطمته قَالَ أشفيت والبادئ أظلم قَالَت فلطمني قَالَ حر انتصر لنَفسِهِ قَالَت اقضِ بَيْننَا قَالَ قضيت حكم على لسان الحيوان

قَوْلهم يدك عني وَأَنا فِي عَافِيَة وأصل هَذَا فِي مَا يتَكَلَّم بِهِ النَّاس على أَلْسِنَة الْبَهَائِم أَن فَأْرَة سَقَطت من السّقف فظفرت الْهِرَّة بحملها تَقول بِسم الله عَلَيْك فَقَالَت الْفَأْرَة يدك عني وَأَنا فِي عَافِيَة .

يُحْكى أَن عِيسَى بن مَرْيَم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام مر على حَوَّاء يطارد حَيَّة ليأخذها فَقَالَت الْحَيَّة يَا روح الله قل لَهُ لَئِن لم يلْتَفت عني لأضربنه ضربا أقطعه قطعا فَمر عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام ثمَّ عَاد وَإِذا الْحَيَّة فِي سلته فَقَالَ لَهَا عِيسَى أَلَسْت الْقَائِل كَذَا وَكَذَا فَكيف صرت مَعَه فَقَالَت يَا روح الله إِنَّه حلف لي فلئن غدرني فسم غدره أضرّ عَلَيْهِ من سمي .

ثلاث سمكات

كان هناك ثلاث سمكات في الماء، إحداهن صعدت إلى أعلى الماء، فجاءت عصفورة والتهمتها، فتبقى سمكتين، ففكرا إلى أين تذهبا حتى لا تأكلها الطيور، فقررا الذهاب إلى قاع البحر.

وبالفعل ذهبت السمكتان إلى قاع البحر، وإذا بسمكة مفترسة تأكل أحدى السمكتين، فسارعت الأخرى في الهروب وذهبت إلى أمها السمكة

الكبيرة وأخبرتها بما حدث. وقالت السمكة الثالثة لأمها، يا أمي في أعلى البحر تلتقطنا الطيور، وفي قاع البحر تلتهمنا الأسماك المفترسة فأين نذهب؟ قالت لها الأم: يا ابنتي خير الأمور الوسط.

الزرافة والرياح

كان هناك زرافة طيبة، كانت الحيوانات الصغيرة لا تحبها لأن رقبتها طويلة جداً، وفي بعض الأحيان يمكن أن تسير عليهن دون قصد، فتؤذيهن وهي لا تشعر، ولذلك فإن كل الحيوانات كانت تبتعد عنها.

ظلت الزرافة وحيدة وحزينة لأنه لا أحد يحبها، وفي يوم وجدت رياحا شديدة قادمة من بعيد، وهي الوحيدة التي رأتها بسبب طولها، فأخذت تنصح الحيوانات أن يختبئوا في الكهوف وبالفعل فعلوا هذا.

تسببت الرياح والعواصف في تدمير المكان ، ماعدا الحيوانات التي اختبأت بسبب

تحذير الزرافة لهم، وبعد انتهاء الرياح الشديدة أيقنت الحيوانات قيمة الزرافة وأنها

طيبة وتحبهم وتخاف عليهم، فاعتذروا لها وأخبروها أنهم كانوا مخطئين .

قسمة أعرابي

قدم أعرابيّ من أهل البادية على رجل من أهل الحضر، وكان عنده دجاج كثير، وله امرأة، وابنان، وابنتان، فقال الحضري لزوجته:" اشوِ لنا دجاجةً، وقدّميها لنتغدّى بها "، فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً، أنا وامرأتي، وابناي، وابنتاي وقلت للأعرابيّ، وقد دفعنا إليه الدّجاجة،:" اقسمها بيننا "، نريد بذلك أن نضحك منه. قال:" لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمت بينكم."

قلنا:" فإنّا نرضى بقسمتك ". فأخذ الدّجاجة وقطع رأسها، ثمّ ناولني إياها، وقال:" الرّأس للرئيس، " ثمّ قطع الجناحين وقال:" والجناحان للابنين "، ثمّ قطع السّاقين فقال:" السّاقان للابنتين "، ثمّ قطع العجز وقال:" العجز للعجوز "، ثم قال:" الزّور للزائر "، فأخذ الدّجاجة بأسرها! فلما كان من الغد قلت لامرأتي:" اشوِ لنا خمس دجاجات، ولمّا حضر الغداء قلنا:" اقسم بيننا ". قال:" أظنّكم غضبتم من قسمتي أمس ". قلنا:" لا، لم نغضب، فاقسم بيننا ". فقال:" شفعاً أو وتراً؟ "، قلنا:" وتراً."

قال:" نعم. أنت، وامرأتك، ودجاجة ثلاثة "، ورمى بدجاجة. ثمّ قال:" وابناك ودجاجة ثلاثة "، ورمى الثّانية. ثمّ قال:" وابنتاك ودجاجة ثلاثة "، ورمى الثّالثة. ثمّ قال:" وأنا ودجاجتان ثلاثة "، فأخذ الدّجاجتين. ثمّ رآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه، فقال:" إلى ماذا تنظرون، لعلكم كرهتم قسمتي؟ الوتر ما تجيء إلا هكذا "، قلنا:"

فاقسمها شفعاً "، فقبض الخمس دجاجات إليه، ثم قال:" أنت وابناك، ودجاجة أربعة "، ورمى إلينا دجاجةً. ثمّ قال:" والعجوز وابنتاها، ودجاجة أربعة "، ورمى إليهنّ بدجاجة. ثمّ قال:" وأنا وثلاث دجاجات أربعة "، وضمّ إليه ثلاث دجاجات. ثمّ رفع رأسه إلى السّماء، وقال:" الحمد لله، أنت فهّمتها لي .

حكاية النسر

يُحكى أنّ نسراً كان يعيش في إحدى الجبال، ويضع عشّه على قمة إحدى الأشجار، وكان عشّ النّسر يحتوي على أربع بيضات، ثمّ حدث أن هزّ زلزال عنيف الأرض، فسقطت بيضة من عشّ النّسر، وتدحرجت إلى أن استقرّت في قنّ للدجاج، وظنّت الدّجاجات بأنّ عليها أن تحمي وتعتني ببيضة النّسر هذه، وتطوّعت دجاجة كبيرة في السّن للعناية بالبيضة إلى أن تفقس، وفي أحد الأيام فقست البيضة، وخرج منها نسر صغير جميل. لكنّ هذا النّسر بدأ يتربّى على أنّه دجاجة، وأصبح يعرف أنّه ليس إلا دجاجة، وفي أحد الأيّام وفيما كان يلعب في ساحة قنّ الدّجاج، شاهد مجموعةً من النّسور تحلق عالياً في السّماء، فتمنّى هذا النّسر لو كان يستطيع التّحليق عالياً مثل هؤلاء النّسور، لكنّه قوبل بضحكات الاستهزاء من الدّجاج، قائلين له:" ما أنت سوى دجاجة، ولن تستطيع التّحليق عالياً مثل النّسور "، وبعدها توقّف النّسر عن حلمه بالتّحليق في الأعالي، وآلّه اليأس، ولم يلبث أن مات بعد أن عاش حياةً طويلةً مثل الدّجاج.

رواية اجتماعية



تحياتي لك أيها القارئ الفاضل
هذه قصة فتاة غرر بها فوقعت في
علاقات آثمة باسم الغرام والحب
وبيع الوهم فكانت النهاية مأساوية
وصعبة . . فمن الملام ؟ !
الأب الأم الأخوة الجيران الحي البيئة
هذه أول حكايات حينا حي أبو
خروف
جمال

القصة الأولى: العائلة ١٩٧٠

الحلقة الاولى

العائلة

الأحياء السكانية كالأفراد لها حكايات ، وهي مسرح ومكان أشخاص الحكايات ، وهي قد تكون أصدق الشهود لو لها لسان ناطق ، فهي تشهد الخير والشر ، يقال إن هناك بشرا يفقهون كلام الجمادات كالبيوت والشوارع هل هذا حق ؟!

حكايتنا من حكايات الحي أبو خروف ، سنعيش ردحا من الأيام مع أسرة تقطنه وتحيا فيه وبالتأكيد وبدون شك سنرى أسرا أخر ، ولكنها ليست محل اهتمامنا إلا بقدر حاجة الرواية هذه لها ! فكل إنسان لديه قصص وحكايات منها ما يذكر ، وأكثرها يدفن مع صاحبه عند موته .

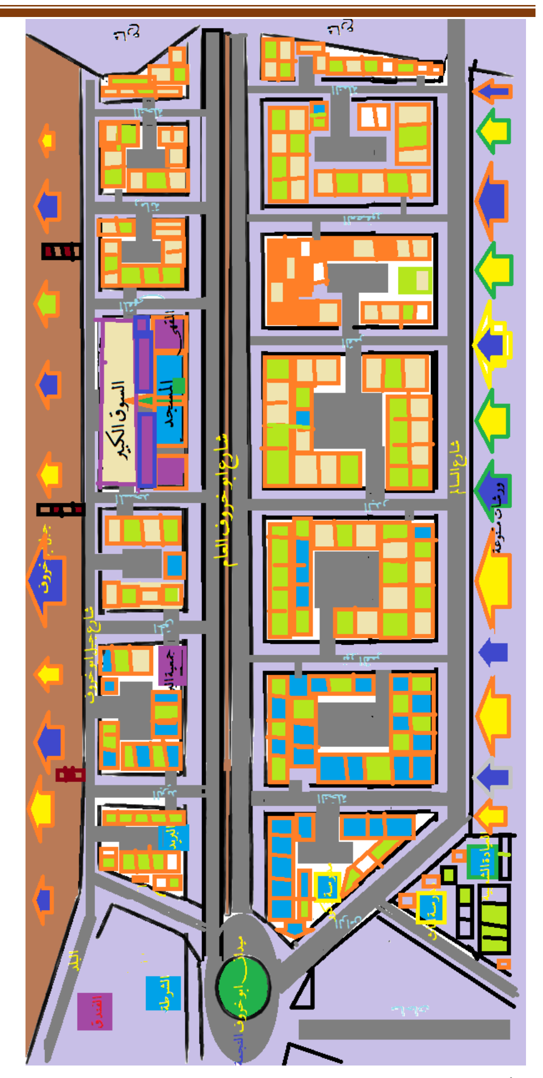
لماذا سمي الحي بحي أبو خروف ؟ لا أحد يعلم بذلك على وجه التحديد إنما هي تخريصات وتهويمات وقيل وقال ؛ فإن حيوان الخروف كان يتوفر في أغلب أحياء الناس القديمة ، فهو حيوان مطعوم ، فيربى بين الأسر .. فهناك سبب مجهول لاشتهار هذا الحي بهذا الاسم ، وعادة البلديات عندما تنظم الشوارع والأحياء تحاول إبقاء الاسم الشائع عليها

وحي أبو خروف من أحياء العاصمة الواسعة ، ويشقه شارع عام إلى قسمين شرقي وغربي بطول كيلو ونصف إلى اثنين كيلو متر ، ويبدأ الشارع والحي بميدان أو دوار ، فهو حي واسع جملة وتفصيلا ، وهو حي قديم بقدم المدينة .

ويفصله شمالا عن حي آخر شارع رئيسي يشكل قوسا للحي من الجهة الشرقية فجزء منه بين شارعين رئيسيين ، والجزء الغربي من الحي خلفه جبل ، ومع الوقت نشأت بنايات على ظهر أو صفحة ذاك الجبل ، يصعد الناس لبيوتهم بسلالم وأدراج إسمنتية ، فكلما كنت أقرب للحي كانت الدرجات لبيتك أقل .

والحي يقسمه شوارع فرعية تجعل القسم الكبير أقساما عدة حسب الشوارع ، وكلها متصلة بالشارع العام ولها أسماء ، والشارع العام من الجهتين كله محلات ومتاجر ومؤسسات ، وفي وقت ما أصبح فوق هذه المحلات مكاتب شركات ومكاتب محاماة وعيادات طبية ؛ وذلك مع حركة التطوير والتحديث والبيع والشراء للمباني .. وظلت أسر تسكن في العمارات والشقق المبنية فوق المتاجر .

والحي تتوفر فيه الخدمات المدنية كالكهرباء والماء والصرف الصحي ، وذكرت لكم أن الشوارع الفرعية قطعت الحي لأجزاء كبيرة وصغيرة ، وهذا رسم متخيل للحي .



الأحياء لا تخلو من مسجد أو اثنين أو ربما أكثر إذا كانت كثيرة السكان أو كانت مساجدها صغيرة المساحة ، مسجد أبو خروف كان مسجدا واحدا يقع على يمين الشارع فهو في القسم الغربي ، وبجواره بل ملاصق له مقهى الحي لصاحبه الحاج مهران شامري ويحمل المقهى اسم مقهى أبو خروف ولا يكاد المقهى يخلو من رواده إلا عندما يغلق عند منتصف الليل بأمر من الحاكم الإداري للمنطقة ، ويفتح أبوابه مع آذان الفجر ، المسجد يرتفع فيه الآذان ، والحاج مهران يفتح المقهى قبل مجيء عمال تقديم الطلبات والخدمة للزبائن ، يأتي خدم المقهى لنظافته ، ويبدأون بغلي الماء الخاص بالمشروبات الساخنة ، ولما يعود مالك المقهى من الجامع يكون العمال على وشك إنهاء تنظيف المقهى من الأوساخ وأعقاب السجاير ومناديل الورق والأوساخ الأخرى ، وتنظيف المراحيض ، ويبدأ رواد المقهى الكبار في السن يأتون للسلام على الحاج مهران الذي سبقهم ليتابع العمال في عملهم بعد أداء الصلاة.. وما يكادون يجلسون حتى يكون الشاي الساخن قد جهز وقدم لهم على حساب الحاج ، فهم رفاق الدرب منذ عهد بعيد ويبدأون بالثرثرة حول الأسعار صعودا ونزولا ، الجرائم التي حدثت ليلة أمس وسمعوا بها عندما عادوا لبيوتهم ، فالمقهى هو مكان نقل الأخبار والإشاعات والفضائح، وحكايات الناس سواء فضائح أم بطولات ففي حي أبو خروف كان بيت الطاعة مجاورا لبيت اللهو واللعب والشيطان ، وكان يقابل المسجد والمقهى مطعما شعبيا كبيرا وقديما ، ربما كما يقول أحدهم من العهد التركي ، تتوفر فيه المأكولات والمشروبات ، وكما ذكرنا المحلات منتشرة ومتراصة على جانبي الشارع ، فهناك باعة الخضار والفواكه ، باعة البقالة العامة ، محلات صناعة الحلويات ، مكتبات الطلاب

والمدارس لأنه في أول الشارع الجانب الشرقي تقع مدرسة للإناث الصغار ، وهناك مدرسة خاصة صغيرة ربما لأطفال الروضة والصف الأول والثاني ، ويقع في خلف أبو خروف قريبا من الشارع الرئيسي الذي يشكل قوسا لحي أبو خروف محلات بيع الملابس والثياب ، وورش تصليح السيارات والحدادة والنجارة والسمكرة ، وتركيب هوائيات التلفزيونات، وتأجير الدراجات.. وغير ذلك من أصناف المهن والحرف



وفي الجزء الشرقي يقع بيت السيد كمال البرغم بين شارع النملة وشارع العصفور ، وقال لي بعضهم إن أصلها برغل طعام معروف يؤخذ من الحبوب ، ولكن يلفظها أهل السيد كمال البرغم ، وعلقت بهم مع الوقت والزمن ، فأصبحوا عائلة البرغم ، هذا الشخص أحد شخوص هذه الحكاية التي دارت في حي أبو خروف ، كان للرجل بيت صغير في ذلك الحي يتكون من غرفتين وصالة استقبال صغيرة ومطبخ ومرحاض وهو حمام في نفس الحين ، وكان يعلو البيت غرفة شيدها الشباب لما كبروا ولها حمام وهو مرحاض فحسب ، فكمال البرغم اقترب من الستين عند سرد هذه الأحداث في مطلع السبعينيات من القرن الماضي القرن العشرين ، فهو رجل أتعبه الزمن والركض وراء لقمة العيش ، ويمكن أن نقول رغم فقره أنه مستور الحال، ولو تعرض لنكبة من نكبات الدنيا ، ربما كشفت عواره وضعفه ، كان متزوجا من سيدة اسمها فاطمة ، ولدت له صالحا الذي يكنى به ، وجابرا .

ولما ماتت أم صالح تزوج من أرملة ، ولم يكن لديها ذرية من زوجها الأول ، فولدت ثلاثة أنفار كان أولهم فريدا ، وبه تكنى فيقال أم فريد ، واسمها بسيمة عبد القدير ، والثاني ناجح والثالث فتاة اسمها فريدة ، ولما أخذت الحكاية مجراها كانت تدرس في الثانوية العامة سنتها الأخيرة ؛ لتنتقل إلى الجامعة أو معهد دبلوم متوسط .

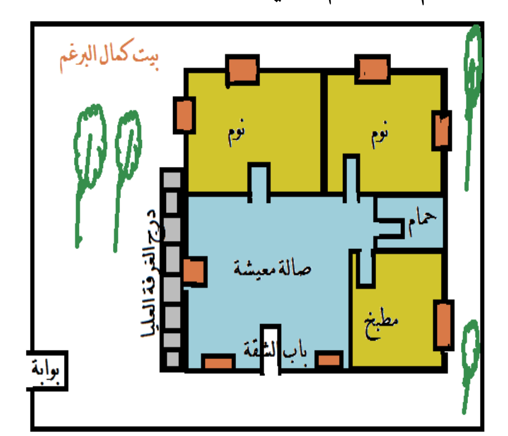
والرجل يخبر أنه يسكن هذا الحي منذ وعى على الدنيا ، وقد بلغ من السن ما بلغ في حي أبو خروف.. فالحي فيه الفقراء ، وفيه الأغنياء ، فيه أصحاب الأملاك والمحلات ، وفيه الذين يسكنون منذ زمن بعيد بالإيجار ، وربما توارث أبناؤهم مساكنهم إيجارا .. أرزاق يا دنيا

والسيد برغم احترف الكثير من المهن والأعمال ، ولما بلغ الأربعين اتخذ دكانا صغيرا في الشارع الرئيسي الذي يقسم الحي ، وهي في القسم الغربي من أعلاه يبيع فيها الأطعمة والألبان والأجبان المعلبة ، محل بقالة يسمى اليوم .. ويبيع الجرائد المحلية واليومية وعلب التبغ والخبز وعلب السردين والمخللات وأطعمة الأطفال من الحلوى والبسكويت ، فهو اليوم سمان ، والسجائر يبيعها للمراهقين وطلاب المدارس بالسيجارة والسيجارتين ، كانت متجرا صغيرا ولكنها سترته من العوز ومد يده للناس .. بل استفاد من متجره أكثر من كل المهن والأعمال التي عمل بها طول حياته ، فهي تصرف عليه وعلى أسرته ، وساعدته في تزويج أولاده والخلاص منهم كما يزعم ، مع أنه عندما بدأت القصة لم يكن متزوج من ذريته إلا ولدين .. وله عشرون عاما يعمل بقالا سمانا ، فلما ترمل تزوج أرملة ، فصالح لم يستطع إكمال الدراسة فخرج صبيا من المدرسة ومثل غيره من الأطفال تنقل عمله مع أصحاب الحرف والمهن حتى بلغ السن التي تسمح له بقيادة السيارات فتعلمها ثم أصبح يعمل سائقا ، واستقر في النهاية في العمل سائق سيارة أجرة على خط سير من خطوط سير العاصمة ، ثم تزوج الرجل واشترى بيتا كبيت والده في الحي ، يفصله عن بيت أبيه شارع فرعي واحد ، فيخرج صالح في الصباح ويعود بعد صلاة العشاء إلا إذا كانت عليه مناوبة ليلية على الخط ، وهذا قليل لأن العاصمة أو قلب العاصمة يهدأ بعد العاشرة ليلا ، لا يبقى إلا رواد المقاهي والمسارح والسينمات، فأغلب المتاجر والمحال تغلق أبوابها بين العشاء ومنتصف الليل حتى الصباح التالي .

وولد لصالح أطفال ثلاثة لحتى الآن أكبرهم ابن سبع سنوات، وأما شقيقه جابر فهو يصغره بعامين ابن إحدى وثلاثين سنة ، وقد تزوج قبل سنوات ولم تلد امرأته بعد ، وهو الآخر لم يتقدم في التعليم كشقيقه صالح ، فهو يعمل في قسم الزراعة في البلدية حيث يقوم بسقي الزرع والأشجار التي تزرعها البلدية على الأرصفة والشوارع لتلقي بظلالها على المارة ، وتجمل الشوارع وتنقي البيئة من التلوث ، فخصصت له الدائرة العناية بعدد من الأشجار حتى تشب وتكبر ، فينقل لمكان وشارع آخر ، فهو عامل زراعة وهو أيضا شريك أخيه في البيت الذي اشتراه فالأول له الطابق الأول القديم ، وقام جابر الذي ساهم مع أخيه في شراء البيت ببناء طابق صغير خاص به ، وعمل له مدخلا مستقلا عن مدخل أخيه ، والسيد جابر كان يعود من عمله مبكرا مع صلاة الظهر أو بعدها بقليل ، فلذلك

بعدما يعود من شغله ويقترب الوقت من صلاة العصر يذهب للعمل في دكان والده كمال ، فبعدما يتغدى ويشرب الشاي يذهب للشغل مكان أبيه ، الذي يذهب بدوره للمقهى مقهى أبو خروف الذي حدثناكم عنه قبل صفحات ، وهناك له شلة أو مجموعة يلعبون الشدة أو الورق أو الكوتشينة كما تسمى في بعض البلاد ، ويبقى حتى تغلق القهوة (كما يسميها العوام) أبوابها ، وهذا كل يوم منذ عهد طويل .

ويطلق بعض الناس على مقهى مهران مقهى (العم عزب) بدل مقهى أبو خروف ، فعنوان كمال البرغم بعد العصر مقهى عزب ، فيغرق الرجل في لعب الورق والثرثرة حتى ينتصف الليل ، فيعود للبيت إما فرحا بانتصاره على أصحابه وإما حزينا يتوعدهم إلى اليوم التالي .



فلما يصل منزله يوقظ زوجته أو هي تستيقظ على صوت وحركة دخوله وفتحه الباب الخارجي فتقدم له أم فريد طبق طعام ، أحيانا تسخنه له ، وأحيانا كثيرة تقدمه له على حاله بدون تسخين فيأكله ، ويدخل في فراشه نائما ؛ لأنه يأكل في غرفة النوم إذا جاز تسميتها بذلك ، وثانيا هو ينام على فرشة على الأرض مباشرة ، ليس لديه سرير أو تخلص منه بعد زواجه بزمن يسير ، هذا نشاط السيد كمال البرغم اليومي .. يستيقظ فجرا يشرب الشاي ، ويأكل بعض الطعام كالفول المعلب أو الحمص ، ثم يمشي لدكانه حتى العصر ، فيستلم جابر العمل ويجريان بعض الحساب بينهم ، ثم ينتقل لمقهى عم عزب كما يحب تسميته ، ثم آخر الليل يعود للنوم ، وهكذا دواليك

ذكرت لكم أن السيدة أم فريد (بسيمة) ولدت للرجل فريدا وناجحا وفريدة ، فالأول تعلم بعد نجاحه في الثانوية في معهد وزارة الصحة مهنة طبية مساعدة ، فهو يصلح آلات طبية ، وأجهزة طبية ، فهو يعمل في أحد مستشفيات الدولة في قسم صيانة وتصليح تلك الأجهزة ، وقد بلغ من العمر اثنين وعشرين سنة ، ربما تزيد أشهرا ، وهو موفق في شغله وعمله

والذي يليه السيد ناجح ، ترك المدرسة وعمل مع أحد أخواله في البناء والمقاولات ، ويحصل دخلا جيدا ، وأصغر أبناء السيد كمال فتاة اسمها فريدة ، وهي قد بلغت الثامنة عشرة من عمرها وهي قد استقرت في الثانوية العامة للمدرسة ، ونحن اليوم

في شهر سبتمبر أيلول من عام ١٩٧٠ م .
وكانت حياة هذه الأسرة كحياة الكثير من الأسر التي تعيش في مثل حي أبو خروف ، الأسرة المستورة الأسر التي تحيا على الهامش ، تعمل لتأكل ، حياتهم أكل وشرب ونوم ، والقليل من اللهو بين سينما وأفلام .. قد ينشغل الشباب بتشجيع بعض الأندية الرياضية خاصة أندية كرة القدم ؛ لهوس بعض الناس بذلك التشجيع فحسب .. ومن مهمات بعض الناس نقل الأخبار والإشاعات ، وقصصهم كقصص الكثير من الناس لا إثارة فيها ، وربما تنقلب قصة أحدهم لحكاية يتطاير بها الركبان ، وتصبح قصة نجاح مثيرة للتساؤل أو مأساة عنيفة أو خفيفة سنعيش مع تلك الأسرة بضعة شهور ؛ لعلنا نرى فيها صورة من صور الحياة ، حياة الفقراء والبسطاء .
عمل يومي متتابع لتجميع مال للزواج لولادة أسرة جديدة ، أو لتقوم ببناء بيت أو شرائه للزواج هذه هي الأهداف العظمى للناس البسطاء ، ولكن الذي حرك الأحداث التقليدية الرتيبة في أبو خروف وخاصة أسرة كمال نزو وجود مستأجر جديد في الحي ، ودائما الناس تنتقل من بيت إلى آخر ، والمستأجرون في المدن لا ينتهون ، ولكن الذي حدث أن المستأجر الجديد في حي أبو خروف شاب عازب غريب في الثلاثين من عمره ، وهذا لم يعتد في البناية التي سكن فيها الشاب ، فمنذ بنيت واستخدمت للإيجار ، يسكنها عائلات متزوجة أو عرسان جدد .

المستأجر الجديد

تحركت الأحداث في الحي أو في بيت أبي صالح عندما سكن في الحي شاب استأجر شقة أرضية صغيرة في عمارة تبعد عن بيت أبي صالح حوالي أربعين مترا، بينهم مبنيان ، تنزل إليها بدرج ، وهي عبارة عن غرفة نوم واحدة وغرفة أخرى عبارة عن مطبخ وحمام وصالة ، ولا تكاد تدخلها الشمس أثناء النهار إلا من نافذة عالية تلتصق بالسقف ، هذه الشقة كانت عند إنشاء العمارة كمخزن ثم حولت لغرفة لبواب كان حارسا للبناية أثناء الإعمار ؛ ولكنه مرض من العيش فيها وتركها ، وبقيت العمارة دون بواب كأكثر مباني الحي إلا من الحارس الليلي العام ، كان هذا الشاب مجهولا لسكان الحي ، خاصة الذين سكن بينهم ، وكان ظهوره في أواخر سبتمبر (أيلول) من ذلك العام ؛ لذلك أثار هذا دهشة الناس ، واهتم الناس والجيران بالمستأجر الجديد لأنه أعزب دون عائلة ، فهم لم يعتادوا سكنى أعزب غريب عنهم في الحارة أو هذا القسم من أبو خروف ، وشاع بينهم أنه من حي آخر ، وهو مطرود من قبل أبيه ؛ لأنه يرفض الزواج ، وقد بلغ من العمر ثلاثين سنة ، وهذه سن

يجب أن يكون لكل شاب أسرة وزوجة ، وأيضا شاع أنه طرد لرفضه العمل والشغل .. هذا ما شاع عنه في أول الأمر ، وتقبله الناس على مضض بأنه بطال وأعزب ، وعلى الفور تعرف على البقال العم كمال كما يردد ، فكان يمشي للشارع العام ويقطعه حيث دكان الرجل ويشتري منه الخبز والطعام المعلب والسردين والفول والجبنة الصفراء والدخان علب السجائر والبيض ، بمعنى آخر أنه أصبح أحد زبائن العم كمال في خلال أيام معدودة ، وكان يدفع للرجل فورا ونقدا ، فكلما اشترى شيئا نقد الرجل ثمنه ، مما أظهر للعم كمال أنه يملك المال ، فيتساءل ها هو يشتري ويستأجر ، فلماذا طرده والده ؟! لابد أن هناك شيئا آخر ، ولكنه في الأسبوع التالي أخذ يسجل ما يأخذه على الدفتر دفتر الديون ، فتململ العم كمال فبدأ يسأله عن طبيعة شغله ، فيزعم أنه يعمل في الأعمال الحرة .. فما هي الأعمال الحرة ؟ يوم يشتغل ويوم لا يشتغل .. لما يطفر يعمل مع بنّاء مع سباك مع نجار يعمل جابي مال في حافلة نقل عمومي .. ولما يصير معه المال يترك العمل ، هكذا فسر الأعمال الحرة للشيخ أبي صالح ، فصار يدفع كلما تيسر ، وكان لا يرى إلا مشعلا سيجارته ، يجلس في المساء أمام العمارة في الشارع ، يشرب الشاي يدخن يأكل المكسرات الرخيصة ، ثم تعرف سريعا على أولاد العم كمال من المجاورة من الشراء من الدكان من الجلوس في الشارع ، ثم سمح لفريد وناجح بدخول شقته الأرضية للسهر ومشاهدة التلفزيون ولعب الشدة وشرب الشاي والدخان، وكان ناجح يشاركهم بعض الليل بعض السهر بعد عودته من سهراته الخاصة في قلب المدينة، وكان الجو يتوتر في الشقة عند مشاهدة بعض المباريات المحلية والدولية ، فيبدأ الشد والرخي ، ثم تعرف صالح الابن الكبير للعم كمال عليه ، وكان جابر قد عرفه من تردده على الدكان ، فأصبح خلال شهر صديقا للعائلة جميعها ، أم فريد وابنتها فريدة حتى أن المرأة أصبحت توده بصحن من الطعام ، عندما تطبخ طبخة شهية ، وكانت الآنسة الشابة فريدة تذهب بالصحفة لجارهم العازب الجديد ، فيتناولها منها عند الباب الخارجي للشقة مظهرا لهم وللمراقب وللمار أنه يراعي الأصول والعرف ، ويقدم الشكر والامتنان عندما يرى أم فريد أو الشباب ، وأنه يتعبهم معه .

استطاع فراس خلال وقت يسير كسب جيرانه وأنه إنسان صالح وإنما يكسل عن العمل الدائم فأصبح بيته مقرا للشباب الراغب في السهر ولعب الورق ، وفصل الشتاء عادة في بلادنا ليله طويل ، فيحب الناس فيه السهر واللهو ، فأصبح الشباب يمدونه بالمأكولات الخفيفة ويتعشون معه ،

وبعضهم يقضي كل ليله معه ، وينامون في بيته ، فهو شاب عزب فلا حريم في البيت ؛ ليسبب لهم النائم حرجا وضيقا .

ولا أنسى أن أخبركم أن الخمر أخذت تتسلل إلى شقة فراس ولو سرا عن أعين الفضوليين ، وبالطبع ليس فراس هو أول شرير في الحي ، فهناك أشرار آخرون ، وليس هو أول شارب خمر في حي أبو خروف فآخرون يتعاطونها أفرادا وشللا .

فجأة اختفى فراس من الحي دون سابق إنذار مما شكل صدمة لزبائنه المقربين ، حتى أن أحدهم قفز عن السور ودخل الشقة عنوة خشية أن يكون الرجل ميتا في شقته ، فهو لم يظهر طول النهار ولم يره أحد من أيام ، ولما أصبح القافز في جوف الشقة ، وجد السرير الأثري خاليا من صاحبه وقشر البزر ملقى في جميع أنحاء الغرفة ، وكذلك أعقاب السجاير وعلب الدخان الفارغة وأعواد الثقاب المحروقة ، وورق تنظيف الأنف ، وأكواب القهوة والشاي منتشرة في فناء الحجرة ؛ كأنها لم تنظف منذ فارقوه آخر ليلة ، فخرج الشاب بعد ذلك دون أن يفكر بتنظيف الغرفة ، وأخبر الشباب أنه غير موجود وحالة الشقة عفنة يرثى لها ، فذهب أحدهم إلى مالك الشقة يسأله عن السيد فراس هل ترك الشقة ؟ فأخبره المالك أن الرجل لم يخل الشقة ، وهو لم يدفع إيجار الشقة إلا مرة واحدة منذ سكنها ، ولولا تدخل رجل عزيز عليه ما أجرها لشاب هامل ، ولكن الوسيط رجل مهم عنده



وختم كلامه : لعله مسجون .

ـ مسجون ؟!

ـ مالك دهشت ؟ فهو سجين سابق.. ألم تعرفوا ذلك عنه ؟

ـ سمعنا ذلك ؛ ولكنه نفى ذلك وقال هذه إشاعات يصدرها أبي ليتخلَ عني أمام الناس وأقاربه وحتى يصدقه الناس ويعذرونه في طردي

وعاد السائل للحي وهو متوجس خيفة مما علم وهو يقول : هل هو حقا سجين سابق ؟! ولماذا سجن ؟! سوف أسأله إذا أتيحت لي فرصة .

ولما رجع فراس للحي قال للشباب الذي سروا بعودته : كنت في مدينة مسعاد ، لي بعض المال عند أحد الأصدقاء .

عندما يستلم جابر الدكان من أبيه عصرا ينصرف العجوز كمال للمقهى المجاور لمسجد أبو خروف ، وغالبا يصل إليه عندما يكون رواد المسجد قد أدوا صلاة العصر جماعة ، فيسبقهم أحيانا

بالجلوس في زاويتهم المعتادة والمعروفة لرواد المقهى جميعا فلا يقربها إلا مشاكس ، وأحيانا أخرى يسبقونه ، وكثيرا ما يلتقي بالخارجين من المسجد بعد أداء الصلاة ، فلربما رآه غريب فيحسبه من رواد الصلاة ، ومع بلوغه السن الكبيرة ما زال مصرا على ترك الصلاة والتقاعس عنها .

وفي المقهى يلتقي بالشيوخ الذين من سنه أقل أو أكثر ببضع سنوات ، فهم مجموعة اعتادت اللهو واللعب والسمر والسهر في مقهى مهران ، فهم من قدامى الزبائن ، وكلهم من سكان الحي يعرفون بعضهم من عدة عقود ، فهم يمارسون لعب الورق ، ويلعبون لعبة شائعة بينهم يسمونها الهاند أو الهند بفتح الهاء ، لا أدري أصلها، ومن أين أتت وانتشرت؟! ولكنها معروفة في المقاهي العربية ، ولها بضعة قوانين تراعى أثناء اللعب لا مجال لسردها لأنني أجهلها ، وفي المقهى تجد الشاي الساخن والقهوة واليانسون والقرفة ، ولهم معارف من حارات أخرى مجاورة يلتقون بهم، يلتقي أصحاب المهن والحرف للاتفاق على عمل وشغل ، وفي المساء أول الليل تجد المقهى يفيض بزبائنه ، بعضهم يلعب، وبعضهم يتفرج على اللعب ، وبعضهم يثرثر وينم ويستغيب ، وآخرون يتفرجون على التلفزيون الجديد على البلاد صامتين أو معلقين ، وآخرون يأكلون الساندويتشات المشتراة من المطعم المقابل للمقهى .

فالعم كمال بعدما يسلم دكانه لجابر يأخذ أغلب الغلة معه ، ويترك بعضها ويعده عليه ، ويغدو للمقهى ، ويتخذ زاوية يتجمع بها رفاقه، ثم يبدأ اللعب بينهم ، وبعضهم يتفرج حتى يأتي دوره في اللعب، وخلال أدوار اللعب يثرثرون ، ويتبادلون الأخبار السيئة والحسنة .. وهذا دأبهم منذ سنوات .. فلان مرض ، فلان رحل ، فلان ترمل .. فلان تزوج ، زوج ابنته أخته .. أسعار الخضار واللحم والسكر والأرز .

فهم مجموعة مكونة من سبعة أشخاص ، أبو صالح وقد عرفناه ، وقريب له يدعى أبا عدنان وآخر يكنى بأبي العبد ، ورشيد أبو أحمد ، وسلمان وشقيقه نعمان أبو نوح ، وسابعهم غانم السيمي .. وكلهم من سكان أبو خروف ما عدا غانم السيمي قريب من الحي المذكور .

يلعب أربعة منهم ؛ لأن اللعبة تستوعب أربعة أنفار فما دون ، وثلاثة يمارسون النظر والثرثرة ويشربون الشاي واليانسون .. وعندما يرتفع صوت المؤذن ينسحب سلمان وأبو نوح ورشيد أبو أحمد للصلاة ، ويبقى الآخرون لمواصلة اللهو ، فهم رغم كبر أعمارهم يتقاعسون ويكسلون عن الصلاة سواء جماعة أم فرادى .. وأحيانا يصلون

الجمعة .. لأن الحاج مهران يأمر ساعتها بوقف اللعب لسماع الخطبة ؛ لأن إحدى ساعات المسجد معلقة على جدار المقهى الأمامي .

وكان السيد نعمان أبو نوح كلما ينهض للمسجد يدعوهم لتلبية النداء بأخذ استراحة من اللعب فيسخرون منه ، فيصيح في وجوههم ألستم مسلمين ؟ الدواب تسبح ربها

فيرد أحد المتقاعسين متهكما هل بقي أحد يصلي لليوم ؟ الناس كفرت وملت

فيقول سلمان بعصبية يا عالم اتقوا الله ساعة لربك وساعة لدنياك .. هناك نار جهنم .. الجمعة حدثنا الشيخ عن النار حتى كادت قلوبنا تخرج من صدورنا رعبا وخوفا .. هيا انهضوا ، الصلاة خير من اللعب .. وقت اللعب لا ينتهي

فيرد: خلال صلاتكم نكون كسبنا لعبة .. هذا شيخك شيخ مهوي

فيخرج الرجال الثلاث سلمان ونعمان ورشيد للمسجد يدعون لهم بالتوبة والهداية .

كانت مجالسهم سوى اللعب واللهو نقل الحكايات والأخبار .. فلان طلق امرأته .. فلان ضربها وتركت له البيت .. فلان أصيب .. فلان ابنه حرامي ويشرب الخمر .. فلان ضرب أباه وآخر رحل .. أبو فلان ابنته هربت مع شاب ..فلان خطف بنت أبي فلان .. كل له مصادره الخاصة

وصل أبو صالح وجلس حولهم ينتظر دوره في اللعب .. انتهت اللعبة ودخل أبو صالح ليشارك في لعبة جديدة ..عادة يلعب كل لاعبين متقابلين كفريق واحد .. وعند الخسارة يضع كل شخص اللوم على شريكه .. وعند النصر على عبقريته وشطارته .

وفجأة دون مقدمات قال أحدهم : من هو الجار الذي يجتمع الأولاد عنده يا أبا صالح منذ أسابيع ؟ أتعرفونه ؟ ولماذا سكن في حارتنا ؟!

فيرد أبو صالح بفتور: شاب غلبان .. شكله مطرود من بيت أبيه .. جوعان .. فحسب علمي لا يعمل ، ولا يجد عملا يناسبه هكذا يزعم

علق أحدهم ساخرا : إذن معه شهادة وزير !

فقال أبو صالح : ليس معه شهادة وزير ولا شهادة حمير.. اشتغل في متجر ملابس .. واستغنى عنه الرجل بعد شهور .. لم يعجبه شغله .. ثم اشتغل في سينما .. كلما جاء الدكان يسرد عليّ فصلا عن أعماله .. مرة بائع خضار مع سيارة نقل صغيرة .

فقال سلمان بحزم : ولد هامل صايع أزعر.. خذ بالك منه يا عم أبا صالح .. شكله شكل حرامي .

فصاح أبو صالح مستنكرا الوصف : حرامي ، حرام عليك يا رجل! .. أكثر مشترياته عندي على الدفتر ، ويسد ، لم يقصر ولو مرة واحدة بالسداد

..غلبان ..واندمج مع الأولاد .. ومرات أم فريد ترسل له مع البنت صحن طبيخ .. عايش على البيض والجبن والفول .

فقال أبو نوح : مرة رأيت فريدة فعلا تقدم له صحنا من الطبيخ .. بس يا أبا صالح الرجل عزب ليغوي البنت ..لا تسمحوا لها بالدخول عليه .. شكله كما قال سلمان شكل لص وسراق .. احترس ألا يغدر بالبنت .

فقال أبو صالح : نحن حريصون جدا.. وكثيرا ما تبقى أمها تنتظرها أمام الدار .. والله الذي يستر .

الشبح

ظهر فراس في الحي من جديد كما اختفى فجأة ، رجع إلى شقته بعد غياب أزعج واقلق رفاقه الجدد ، وزعم لهم أنه كان في رحلة عمل قصيرة ، فعاد السهر لحجرته وبيته الصغير.. وفي العادة ينصرف الساهرون بعد منتصف الليل لبرودة الجو ، فطقس الشتاء بارد في أكثر اللييالي حتى أن أحدهم تبرع له بمدفأة كاز ، ولكنها في أغلب الليالي لا تشتعل لعدم توفر مادة الكاز (الكروسين) أو لعدم شراء هذه المادة بحجة بعد محطة تزويد الحي بمثل هذه المواد البترولية والرجل لا يملك سيارة .. ويتحمس بعض الساهرين فيذهب مشيا على الأقدام أو بسيارة أجرة أو بسيارة صديق له .. فيحضر تلك المادة .. فتشتعل تلك المدفأة لبضع ساعات أو أيام حسب كمية الكاز التي توفرت .. وعندما يحاول فراس تقديم القيمة التي دفعها المتطوع يعتذر الآخر عن قبولها بحكم السهر والجيرة والشهامة .

أخذ يتكرر غياب فراس عن الحي يختفي ليلتين أو ثلاث .. فيزعم أن ذلك بسبب الشغل .. بسبب العودة لبيت أبيه وأنهم تصالحوا .. فيبرر غيابه بحجج لا نهاية لها .. ويصمتون لأنه هو صاحب البيت .. ويزعم بعض هؤلاء لتبرير تعلقهم به أو اهتمامهم بوجوده وغيابه أنهم أحبوه واستمتعوا بصداقته .. فعندما يرون ـ أصدقاء الحي ـ بيته في ظلام دامس يحسبون أنه خارج البيت .. فيتسكعون في الشارع شوطا أو شوطين ثم يلجئون لبيت أحدهم أو يمشون للشارع الرئيس حيث مقهى عم عزب .. والحقيقة التي تكشفت فيما بعد أن البيت قد يكون خاليا فعلا من فراس ، وأنه في مرات أخرى يتظاهر بهذه الحيلة لقضاء ليلة خاصة مع بنات الهوى .. أو يترك البيت لصديق يمارس فجوره على ضوء شمعة .

ذات ليلة باردة كان فريد عائدا من المقهى الذي أغلق أبوابه عند الثانية عشرة ليلا .. حسب الأنظمة المرعية في المدن .. وربما تأخذ عملية الإغلاق ربع ساعة نصف ساعة .. وبينما السيد فريد كمال يقترب من بيته لمح شبحا يدخل بيت

فراس .. ويبدو أن الشبح لم يلمح فريدا ، وهو يدخل الشارع باتجاه دار أبيه .. لعجلته أو لعدم اكتراثه بمن يراه .. والذي أثار فريد أنه قبل ذهابه للسهر في المقهى طرق باب فراس عدة مرات ، ونادى عليه تحسبا لنومه ..ولما يأس من وجوده تمشى إلى مقهى أبو خروف .. لذلك لم وصل بيته .. فكر قليلا وسأل من هذا الشاب الذي دخل بيت فراس ؟! .. وهو قد لاحظ من فترة وجيزة تردد شبان من غير الحي إلى بيت فراس بزعم أنهم رفاق له من أحياء أخرى مجاورة لـ أبو خروف .. وتعرف على واحد منهم يدعى عسودا .. كان هذا العسود ينام عند فراس في بعض الليالي .. توقف ينظر للبيت الذي ما زال معتما رغم دخول المتسلل .. فقال لنفسه أأطرق الباب؟!.. لم يشعل الكهرباء !.. لعلي واهم برؤية أحدهم يتسلل للبيت .. رأيته رأيته .. لا يخدعني البصر .. كأنه شبح فتاة .. يبدو أن صاحبنا ملّ من الشباب فصار يستقبل الفتيات في أنصاف الليالي .. كانت ثيابها ثياب أنثى .. حسنا يا فراس ويا عسود

دخل البيت وصعد لحجرته في الطابق الثاني للبيت الصغير .. بنى والده هذه الغرفة لصالح وجابر لما كبر سنهما .. فالشابان عازبان وكبيران .. وهو قد تزوج الأرملة التي أمست أم فريد.. ولما تزوجا ورثها فريد وناجح .. وصداقة فريد لفراس صداقة حارة وشارع واحد .. ورغم تعارفهما وتصاحبهما كان منزعجا من صداقته ومن وجوده في الحي .. وخاصة لما علم أنه قضى زمنا في السجن الحكومي .. فسأل نفسه مرارا وليس مرة واحدة لماذا جاء يعيش في هذا الحي ؟ وصاحبه ليكشف سره أو أسراره ؛ ولكنه لم ير شيئا مخيفا .

لذلك لما رأى شبح أنثى يتسلل إلى بيته المعتم اشتعل قلبه نارا ، وهمس لنفسه بعد أن خرج من المرحاض ووقف عند الشباك ـ شباك غرفته المطل على الشارع حيث مدخل بيت فراس ـ يراقب باب شقة فراس صحيح أنه يسقينا الشاي والقهوة ، ويقدم لنا الخدمات ونلعب الورق في بيته ولكنه يسكر ويجلب الخمر للبيت .. وأغلب رفاقه يشربون ويدخنون .. وبعيدون عن الدين .. والآباء لا يهتمون ، وعلاقات الشابات والشبان منتشرة في شوارع الحي ولا يكاد يمضي شهر أو شهران في الحي حتى تنتشر فضيحة أخلاقية يهتز لها أبو خروف ثم تنسى وينشغل الناس بغيرها .. فبدأنا نرى وجوها من أحياء أخرى .. وهؤلاء لماذا يأتون ؟! للحب والغرام والليالي الملاح .. ذهبت الأخلاق .. فسدت أخلاقنا وشاع الاستهتار بالمحرمات .. الصبيان يدخنون ويكفرون .. ويذهبون لمدارس البنات ليحبون ويعشقون .. ويتبادلون الرسائل والهدايا ..

والكبار لا يحركون ساكنا .. ثم تذكر أخته فريدة شقيقته فهمس بخوف وانقباض : أتفعل مثلهم ؟ من تصاحب فريدة ؟ أليست بشرا مثلهم ؟ نعم ، إنها بشر كسائر البشر والبنات .. إنها تتأثر بفعل صويحباتها .. ألم يطلعني باسم على عشرات الرسائل والتذكارات من البنات ؟! بزعم أنه بطل رياضي والمعجبات به كثر .. لكنها فترة مراهقة عصفت بنا وكبرنا .. فريدة رغم اهتمامي الخفي بها لم أعرف لها صاحبا أو معاكسا ..

اشتغل فكره برؤية فتاة تتسلل لبيت فراس بالأخلاق الدنيئة التي تشيع في الحي وبين بنات الحي وهو بين الحين والآخر ينظر لبيت فراس ينتظر خروج المتسللة .. وفعلا بعد ساعة أو أكثر وهو يراقب في العتمة لاحظ فتح الباب .. خرجت فتاة كما توقع فهمس بنت .. من هذه ؟! .. هل اتبعها ؟ وماذا نهاية المتابعة ؟

كان مترددا في متابعتها حتى اختفت من أمام ناظريه .. ثم شاهد شبحا آخر يخرج من بيت فراس ليست أنثى .. شاب هل هو عسود ؟ .. ها هو قد أشعل سيجارة .. أصبح بيت فراس وكرا للدعارة .. من تلك الأنثى ؟ بنت من ؟ .. فضيحة جديدة على الأبواب .. يظهر أنها من فتيات الحي .. ثم تذكر فتاة مشهورة بالفجور قد تكون مزيود .. إنها امرأة لا تهتم بأحد ولا تكترث لأهل أو أب أو أم أو أخ .. لكنها تمارس فواحشها في أماكن أخرى خارج الحي .. لا أدري لماذا هي هكذا ؟! منذ وعينا ونحن نسمع أنها امرأة فاجرة تمارس البغاء والزنا مع الرجال المنحرفين زاعمة أنها متحررة .. وضحك لكلمة متحررة .. إذن جعل بيته مخدعا للعشاق .. يتركه لأهل الغرام .. هل هو في البيت ؟ ودخلت الفتاة عليهما الاثنين .. هذا لا يستغرب من مزيود .. انتشر لها حكايات شنيعة في المعاصي والفجور .. ولها سجلات أمنية في دوائر الشرطة والمحاكم .. من سيتزوجها ؟ لقد فسدت وأصبحت لمن هب ودب .. أضحى فراس مزعجا .. هو مزعج منذ سكن بجوارنا ..

ظل يفكر بفراس وعسود ومزيود وقال : مزيود لا يهمها ليل ولا نهار لتمارس فجورها .. في أي وقت تصطاد ذكرا تذهب معه .. ألم تحاول مرة إغوائي عند باب سينما ؟ كنت أتفرج على لوحات ورسوم الفيلم الذي يعرض وقالت كيف حالك يا فريد ؟ أبوك سمح لك بالمجيء للسينما .. وأخذت معها في الحديث ، ثم دعتني لقضاء ليلة أو نهار معها .. يا لها من مومس !



لم يعد فريد يطرق باب فراس بعد رؤيته لتلك المرأة الماجنة تخرج من بيته ؛ لأنه أدرك أن فضيحة على وشك الظهور في الحي ، فالذي شاهده ربما شاهده غيره ، ولابد من تكرار مجيء المرأة نفسها أو غيرها لوكر فراس .. لذلك لما تقابل الرجلان في الشارع الرئيسي العام الذي يشق حي أبو خروف لحيين كبيرين قال فراس متظاهرا بالقلق على غياب صاحبه عن بيته : يا سيد فريد يا جاري العزيز لم أعد أراك ساهرا معنا ؟!

ـ مرحبا سيد فراس .. أنا أحب السهر كما تعلم في المقهى .. كنت أحيانا أطرق بابك بحكم الجوار والشباب

ـ صحيح ، لكنك كنت تمسي علينا كل الليالي .. أأغضبك أحد من الشباب ؟

ـ أبدا لم يغضبني أحد .. ولقد لاحظت في الفترة الأخيرة كثرة تغيبك عن البيت .. واغلب الأيام الضوء مطفي .. وربما يخرج لنا زملاء لك من غير حينا

ـ هؤلاء يا صديقي زملاء عمل .. ويحبون السمر وقضاء بعض الليل عندي .. عيب أن يطردهم الإنسان .. أنا أعزب لا أستطيع طردهم بأي حجة

ـ لا ، عيب طردهم .. أتمنى لكم التوفيق

ـ هيئتك تدل على الزعل والضيق .. حتى أمك لم تعد ترسل صحن الطبيخ مع الأخت الفاضلة فريدة .

ـ صدق لا أدري.. سأمر عليك الليلة لتعلم أنني غير زعلان من حضرتك لكن ...

انتبه فراس للكن وقال مرتبكا : لكن ماذا ؟!

ـ لكن سمعت أن بنات يترددن على منزلك

ـ بنات .. أعوذ بالله من غضب الله .. من قال لك هذا ؟! .. أنا أكره جنس البنات وسيرتهن

ـ ربما عندما تترك البيت لأصحابك وزملاء العمل ، وتنام عند أهلك كما تقول .. يأتين هؤلاء الفتيات للسهر معهم .. رغم كثرة البنات في الشوارع وفي الحارة ..احذر يا صاحبي من تحويل بيتك لوكر دعارة .. الناس بدأت تتكلم

تظاهر فراس بالجهل رغم الغضب في قلبه : يا رجل هذا أمر خطير .. على كل حال طال الوقوف في الشارع .. سوف أتحدث مع الأخوة، وأمتنع عن إعطائهم المفتاح ..هذا أمر لا أحبه شكرا على تنبيهك .. المرء يثق بإخوانه .. بنات اليوم يرغبن باللعب واللهو مثل الشباب .. الأفلام والمجلات الماجنة تنتشر بين الشباب من الجنسين .. ألا تريد أن تخبرني بمن قال لك لأتأكد مما رآه ؟

ـ أنا سمعت يا سيد فراس ، لم أسمع من شخص محدد .. على القهوة سمعت حديثا أن بيت فراس أصبح لبنات الهوى ، يتسللن إليه في أنصاف الليالي .. حتى أن إحداهن عادت لبيت أهلها ثملة

سكرانة من الشرب .. ولما ساقوها للطبيب الشرعي ثبت لهم أنها امرأة منذ سنوات قد زالت بكارتها .. باختصار فاجرة !

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. خرجت من بيتي سكرانة .. هذا شيء لا يجوز السكوت عنه .. صدق يا أخ فريد أن أبغض الناس إليّ النساء والزنا .. أما الشراب فهو مشكلتي العويصة .. وأصدقاء الشراب شهيتهم للنساء مفتوحة ..اليوم تشير بإصبعك نحو فتاة فتلبي النداء .. ثم لقاء أو لقاءات فتصبح لك امرأة ؛ وكأنك كتبت كتابها في حضرة القاضي .. الأفلام ..أفلام الحب والجنس تحرق الشباب حرقا يا أخ فريد ..سأدبر الأمر ، وأطلب من هؤلاء الإخوة قطع الِرجل عن الحي .. أنا لا أحب أن تتلوث سمعتي

فقال فريد : أحسن لك .. غدا تسمع الشرطة ، وتضطر لسين وجيم .. وأنت تسكن في بيت إيجاره رخيصا ، فلا تخسره

ـ معك كل الحق يا أيها الجار الغالي .. سامحني السلام عليكم

لم يقدم على بيته أحد خلال الأيام التالية .. وحتى اعتذر عن استقبال شباب الحي الذين اتخذهم خلانا زاعما لهم أن بعضهم استغل طيبته ليستقبل عشيقاته في بيته عندما يقضي أياما في بيت أمه وأسرته .. أو يسافر في قضاء عمل خاص به .. ولا أحد يعلم من سكان الحي بالضبط مهنة وعمل فراس .



قصة

استلم جابر الدكان من أبيه الذي أخذ الغلة ، وترك له مبلغا بسيطا يتعامل به مع الزبائن ، واتجه الرجل كعادته إلى مقهى عزب ، فما كاد يجلس مع جماعته حتى أقبل باقي الجماعة من الجامع وهم رشيد أبو أحمد وسلمان أبو يوسف ونعمان أبو نوح .. وبدأ اللعب أربعة يلعبون وثلاثة يتفرجون ويثرثرون .. وبعد حين تصل المطلوبات من مشروبات ساخنة ، ويبدأ الرشف ، وأثناء اللعب ذكر أبو أحمد خبرا انتبه له أبو صالح ، فالتفت لأبي أحمد وقال : أمعقول هذا يا أبا أحمد ؟!..هربت مع أحد الفاسدين

فقال أبو أحمد : كما تعلم قد شوهدت خارجة من بيت جارك الجديد الذي زعم أنه ترك المفتاح مع بعض أصدقائه ، وذهب في عمل خارج العاصمة .. وقد رجعت الفتاة سكرانة تلك الليلة لأهلها .. ثم تبين لهم بعد كشف الطبيب عليها ، وتدخل الشرطة أنها امرأة غير صالحة .. تمارس البغاء سرا .. وادعت أن أهلها يجهلون أفعالها .. مع أن سيرتها النتنة تملأ الحي .. منذ سنوات وأنا أسمع

بمغامراتها الدنيئة .. مشاهدتها مع الشبان معروفة .. على أبواب السينمات والملاهي وشوارع وسط المدينة .. أهلها لا يعرفون أسمعت يا رجل ؟.. شر البلية ما يضحك .. اختفت من الحي ، وأهلها يقولون إنها هربت مع أحد الأشرار لرغبتهم بتزويجها من شاب مثلها هامل وفاسد قريب لأمها .. سيدفعون له مالا ليستر عليها أمام الناس .. لا تريده يا أبا صالح لا تبتغي الستر ـ ستر الله على نساء المسلمين ـ فهربت مع أحد الأشرار

علق سلمان فقال متهكما: دنيا .. يدفعون للعريس !

فرد أبو صالح بحدة وسخط كأنه من بقية أهلها : كلام فارغ .. هم ربما قالوا هذا الكلام لما اختفت .. ليبرروا هربها .. ليقول الناس إنها هربت بسبب الضغط عليها لتتزوج قريبها .. كلام فارغ .. زواج بالقوة .. هي بنت فاسدة منذ عهد بعيد.. إذا كان الكلام صحيحا عرضوا عليه أن يتزوجها شهر زمان ثم يطلقها ..

فقال أبو نوح بأسف وألم : ما دام البنت فجرت وفسدت ما الذي سيصلحها ؟ .. أعوذ بالله من الزنا والفجور .. هذه لا يمكن أن تقتنع برجل واحد صدقوني .

فقال أبو صالح : هو ما قلت يا أبا نوح .. هذه نهايتها العمل في نادي ليلي أو خمارة .. لا يوجد في البيت رجال .. أنا أعرف الكثير من خفايا وماضي العائلات .. أنا أعرف أباها قبل أن يستقر في أبو خروف .. كان شيطان زمانه .. وتزوج أم البنت بقوة القانون

ـ استر يا رجل بدون فضائح

ـ أستر ماذا ؟! هذا معروف للناس .. الزمان يعيد نفسه .. كان يعمل موظفا في منطقة ووقع على أمها وفجر .. ولما انكشف المستور اجبروه على الزواج منها ولملموا القصة .. وها هي البنت على نفس الشاكلة

فقال أحدهم بغيرة : طيب يا عم أبا صالح انتبه لبنتك .. أقولها بصراحة .. إياك أن تسمح لها بالذهاب لبيت فراس بصحن طبيخ .. انسوه

ـ ابني فريد حذرهم من تقديم أي شيء له

فقال أحدهم : أنا رأيت ابنتك تقف معه أمام البيت .. بيتك

ـ ربما يسألها عن فريد عن ناجح .. ففريد خفت رجله عن بيته.. منذ بدأنا نرى أولادا غرباء عن الحي يترددون على قصره الشامخ ، نصحت الأولاد أن يبتعدوا عنه .. المحير من أين يأتي بالفلوس ؟ لا تنقطع عنه الفلوس .. يستلف من الدكان لحد مائة دينار ثم يدفعها مرة واحدة

ـ لما يسرق يسد !

ولما عاد أبو صالح للبيت بعد إغلاق المقهى فقد

أيقظ زوجته وصاح فيها : سمعت أن فريدة كانت تتحدث مع جارنا فراس السيئ الذكر في نصف النهار

ـ فريدة .. اتق الله يا رجل .. أنا من يوم ما أخبرني فريد بمشاهدته امرأة تخرج من بيته ، وأنا أمنعها من الحديث والكلام معه .. ومنعت عنه صحن الأكل .

كان فريد يجلس في مقهى مهران حيث يجلس والده وشلته ، وإنما يجلس مع شباب من جيله

أو أكبر منه بقليل .. وبينما هو مستغرق كغيره في اللعب وشرب الشاي دخل شقيقه صالح

المقهى ، واتجه إلى حيث يجلس والده ورفاقه ، فسلم عليهم وصافحهم فردا فردا ، وسحب مقعدا وجلس بجوارهم وكان الوقت بعد العاشرة ليلا ، فقال له أحدهم : تركت الشغل مبكرا الليلة

ضحك صالح وقال مداعبا : الدنيا نصف ليل يا عم

فنظر الرجل إلى ساعة المقهى المعلقة على إحدى الواجهات ورد باسما : فعلا ..أنا فكرت الدنيا المغرب بعد .. أهلا وسهلا بك يا صالح

فقال سلمان : المغرب ! .. لو أنك تصلي مثلنا يا بطل لعرفت أننا صلينا العشاء قبل ساعة .. هل أنت تصلي يا صالح ؟

ـ لا أحد يصلي اليوم يا عم إلا الختيارية

ـ معقول .. أبوك اختيار لا يصلي إلا على الأموات .. إذا حضرت جنازة للمسجد أراه يدخل المسجد ، ويصلي الصلاة ثم على الجنازة وهو اختيار مثلنا

فرد صالح قائلا : الله يصلح الجميع يا عم سلمان

كان فريد يتابع صالحا بطرف عينيه ، فبينهما موعد في المقهى بناء على اتصال هاتفي جرى بينهما وعاد سلمان يقول : أبوك سماك صالحا لتكون صالحا يا صالح

ـ أنا صالح ، هل رأيتني أسرق ؟

ـ لم أسمع بذلك ؛ ولكنك تتشاجر كثيرا مع زبائن الخط

ـ لو السائق رفع صوته مرة على أحدهم ، يعتبر هذا شجارا يا عم سلمان

فقال نعمان أبو نوح : مرة يا صالح .. أكثر من واحد سمعته يتحدث مع أبيك عن سوء معاملتك للزبائن !..لا يوجد فكة .. يا ناس احملوا فكة .. من أين آتي لكم بفكة .. الذي لا يعجبه أن يركب معي ينزل .. هذه أخلاق سائق يا صالح يا ابن أبي صالح .. أنت رجل كبير متزوج ، وعندك أولاد حسن أخلاقك ومعاملتك مع الركاب

ـ هؤلاء أناس يحبون اللطم والشكوى .. يريدون أن يركبوا بدون مقابل .. لما الشخص يعطيك عشرة دنانير على الصبح والأجرة خمسة قروش ..

هذا يريد أن يدفع .. هو السائق قاعد على بنك فكة يا عم أبا يوسف .. من الغالب الليلة ؟ يبدو أن أبي مغلوب لم أسمع صوته منذ حييتكم

التفت إليه أبوه وقال : فعلا أنا مغلوب اليوم يا ولد .. الكل يشبح عليّ أم أن وجهك وجه نحس

فقال رشيد : أنت مغلوب من قبل أن يحضر المعلم صالح ، لا تتحجج في الولد .. والحظ اليوم ضارب معي

فقال أبو صالح : اذهب لأخيك فهو ينظر إليك

ـ أعلم ؛ فأنا جئت بناء على اتصاله بي .. أنا لا أحب السهر في المقاهي ..

هل تعلم يا عم أبا صالح أنني اليوم ركبت جارك فراسا ، وكانت معه امرأة .. مزيود .. وتفاجأ بي

فقال أحدهم : بنت الليل مزيود مع فراس .. كملت يا جماعة الخير كملت .. لما شاع عن ترددها على بيته زعم أن أحد أصحابه استغل طيبته .. كمل يا صالح

ـ ركبوا وتحدثت مع مزيود فأنا أعرفها ، وهي تعرفني حق المعرفة ، واضطرب فراس من الخوف والرعب .. كأنه شريف قبض عليه في دار زنا .. فلما نزلوا دعتني لسهرة ماجنة من سهراتها المشهورة .. وفراس كان مثل السعدان قد لزم الصمت طول الطريق .. وحياني فقط ، فسمعتها تقول له مالك خائف يا معلم ؟ صالح ولد عاقل أزعر مثلك .. جعلتني الملعونة أكبر قواد في البلد .. يا لها من شريرة ؟! ـ أين ذاهبون ؟

ـ لا أدري ، ولم أسأل ، ولم أسمع ؛ لأن الكلام طول الطريق دار بيني وبينها .. نزلوا في وسط الطريق في منطقة المطاعم والأسواق .. يبدو أنها سيطرت عليه

فضحك أبو نوح وقال : هو أزعر بن أزعر .. خريج سجون يا صالح

ـ هو يا عم أبا نوح إذا نام الرجل أسبوعا واحدا عند الشرطة أصبح خريج سجون .. لو ضربنا ولدا بالسيارة لا سمح الله ربما نقعد أسبوعا أو أكثر في بيت الشرطة .

ـ سجن عن سجن يختلف .. يوسف عليه السلام قضى بضع سنين في سجن عزيز مصر .

شجار

يعلم قارؤنا الفاضل مما سطر في صفحات سابقة أن فريدا وناجحا شقيقه يسكنان في حجرة فوق بيتهم وطابقهم الأرضي ، وقد ورثاها عن شقيقيهما الكبيرين صالح وجابر ، استيقظ فريد صباحا على صوت صراخ عال قريبا من بيتهم ، صوت يملأ الحي أو منطقتهم بالذات ، ونهض من نومه جافلا منزعجا ، فرأى ناجحا يقف إلى النافذة يشاهد الشارع ، فالتفت إليه ناجح وقال : صحوت ! .. شجار مع صاحبك فراس .

انزعج لوصف فراس بصاحبه وقال بضيق : ومن أين أتت الصحبة ؟ هو جار لا أكثر .. ولماذا هذا الصياح ؟

ـ مثلك صحوت على صوت عال ، فوقفت هنا ، فرأيت أخوة (فاتن) يحاولون ضرب فراس على الريق .. وارتفع صراخهم وتهديدهم .. يظهر أن أحدهم رفع عليه سكينا.. فصرخت أمه لمنعه ، وفراس يصيح أنا لا أعرف أين ذهبت ابنتكم العاهرة؟ فرد عليه أحدهم آخر مرة خرجت من بيتك سكرانة يا نذل .. فحمل فراس عصا ، وهجم عليه فاشتد الصراع والصراخ وتكاثر أهل الحي .

قام فريد وسار نحو النافذة حيث أزاح له شقيقه فسحة لينظر للشارع وتجمهر الناس ، وبعضهم يفرق ويحجز بين المتشاجرين ، وبعضهم تعصب لفراس .. فكبر الشجار ، وكثر التقافز بين المتشاجرين ، والصراخ يزيد ، وأخذ أحدهم السكين من شقيق الفتاة .. ثم حصل لكم ورفس وسب ، وعاد الفزيعة للتفريق بين الخصوم ، وسمعوا أحد رفاق فراس يصيح : ابنتكم لا تريد الزواج ممن اشتريتموه بالمال .. كل الناس تعلم لماذا هربت ؟ لا تريده .

فقذفه أحد أشقاء البنت الهاربة بحجر فجاء بصدره ، فصرخ ألما ووقع على الأرض ، فهجم بعض أصحابه على القاذف ولكمه بسرعة بعدة لكمات فطرحه أرضا ، واشتد الضرب والقفز على بعضهم البعض وأغلق بعضهم البيت على فراس وصاح أحدهم : الشرطة في الطريق لقد اتصل بهم أبو محمد

لم يكترث أحد لهذا النداء ، واستمر اللكم والمطاردة والسباب البذيء وصراخ النساء والبنات فقال فريد : يبدو أننا سنتأخر عن العمل اليوم بسبب هذه المعركة الصباحية .. ناس بقر .. هل حضرت أمك الشاي ؟

ـ أمك وأبوك يقفان أمام البيت يتفرجون مثلنا.. وكذلك يقف أهل البيوت يتفرجون مثلنا .. وأسطح المنازل انظر إليها عليها الصبايا والناس .. فِلم حي ..

أخرج فريد رأسه من الشباك ونظر لتحت فرأى أمه فقال : أمي أمي

فرفعت أمه رأسها لأعلى وقالت : الشاي جاهز .. انزل افطر أنت وناجحا .

نظر فريد لناجح وقال : أمك تعرف واجبها .. وهذه ليست أول معركة في الحي .. رغم كل المفاسد المنتشرة في حي أبو خروف ، لكن انطلق الفساد والشر منذ جاء هذا الفراس لعنه الله كله شر .. الفساد والشر شائع ومنتشر بين الشباب والكبار والصغار سكر زنا

فقال ناجح : غرائز وقد خرجت من عقالها .. فلتت .. الناس يتهاونون في التصدي لها .. ويغضون الطرف عنها .. فاستفحلت وشاعت ، عندما أذهب لشارع الغرام الشارع المعروف خلف مدرسة البنات التي في آخر حي النجمة أول حينا

ـ أعرفه وما أنا إلا ابن الحارة.. شارع طلاب المدارس.. كم زرته وتمشيت فيه قبل الوظيفة !

ـ عندما اذهب إليه لأرى سلمى أحس أنني في أحد شوارع باريس .. أغلب الفتيات والمراهقين يتسكعون فيه .. فصرنا نبتعد أكثر .. صويحباتك يترددن إلى هناك .. اللواتي حدثتني عنهن

ضحك فريد وقال : مراهقة ..أغلبهن تزوجن يا ناجح .. وبعضهن رحلن مع أسرهن .. ولكن كان حبي شريفا طاهرا

ـ ليتني أعرف ما هو الحب الشريف الطاهر .. شاب تعرف على فتاة وعمره خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة وهي مثله.. هل سيتزوجان ؟! ما هو لا يملك ثمن تذكرة سينما أو عشاء.. ثم البنات يكبرن بسرعة ، وأغلبهن يتزوجن قبل العشرين .. فلأول طارق يزوجها أهلها .. ما هو الحب الشريف يا ابن أبي صالح ؟

ـ الحب الشريف بكل اختصار يا أخي .. هو البعد عن الزنا .. قُبل .. مداعبات ذهاب إلى المطعم معا أو سينما رسائل .. أشرطة .. ورد .

ـ هذا هو الحب الشريف .. قاتل الله الجهل .. الشاي أكيد عاد ماء !



ينتهي عمل ناجح عصر كل يوم عمل .. لا يعود للبيت مباشرة ، إنما يدع أخواله الذين يعمل معهم متجها لوسط المدينة حيث المطاعم الزرقاء ، وأخذ يتمشى أمام هذه المطاعم المشهورة في وسط المدينة ؛ لأنه على موعد ؛ وكأنه لم يكن أول موعد فنظر لساعته ، وهو يتلفت في جميع الاتجاهات ، فلما صافحته قال : تأخرت يا زهرة !

ابتسمت له ورفعت شعرها عن صفحة وجهها : المواصلات .. كيف حالك ؟

ـ مشتاق .. هيا ندخل المطعم.. اليوم تركت الأكل مع العمال لآكل معك قبل الذهاب للسينما سمعت أن فلما رائعا يعرض في تلك الصالة

ـ نعم ، قرأت عنه في الجريدة .. وهذه المرة الحفلة على حسابي

ضحك وقال معاتبا : أليس هذا عيبا في تقاليد العشاق ؟

دخلا المطعم وصعدا للطابق الثاني حيث تجلس عادة العائلات في هذا المطعم الأزرق ، وجلسا إلى مائدة خالية ونظيفة فأقبل نحوهما لما استراحا للحظات عامل الخدمة فطلبا دجاجا مشويا على الفحم ، وبعض السلطات ، وطبقا من الأرز ،

وعلبتي عصير البرتقال .

ولما ابتعد عامل الخدمة قال لزهرة : الحلوى في مطعم آخر .. فهزت رأسها بالموافقة فتابع .. أهلا وسهلا هل تابعت الحفلة اليوم ؟

نظرت إليه بدهشة ، ولم تفطن لم يشير إليه فهمست : أي حفلة ؟!

ضحك وتمتم : حفلة جارنا العزيز فراس وأبناء ...

ضحكت هي الأخرى وقالت : قصدك معركة الفجر .. مهزلة .. وصلنا خبرها .

ـ فعلا مهزلة ومسخرة .. الفساد في حارتنا زاد

ـ الفقر زاد ، والمخدرات زادت

وضع الطعام على المائدة فقال لها : تفضلي يا عزيزتي ..الواحد من سكان الحي قبل أن ينهي المدرسة أصبح عربيدا وخبيرا في شرب الخمر والدخان ..وبعضهم الحشيش

ـ وماذا كانت نهاية المعركة ؟

ـ لا شيء.. حتى الشرطة لم تأت.. أخذوا المصابين في سيارات خاصة للمشافي .. واستمر التهديد والوعيد .. والمؤسف حقا أن بعض أبناء الحي وقفوا مع المدعو فراس .. وفراس ادخلوه بيته وألزموه بالبقاء فيه حتى تهدأ المعركة .. بعدما دخل بعضهم وفتش دار فراس ، وأكد هؤلاء لأهل البنت أن لا أحد مختبئ في بيت الرجل .. وإنما هي هربت من الزواج ممن يريدون فرضه عليها .. وهل هذا حب يا زهرة ؟!

ـ الجنس حب! .. هذا زواج .. أنا لا أدري كيف تسلم فتاة نفسها لشاب بدون عقد زواج ؟! غلطة واحدة يتبعها غلطات .. عندما تستسلم الأنثى لصاحبها فماذا بقي بينهم ؟ .. شهر شهران ثم يبحث عن غيرها .. فهو سيتوهم أنها سلمت نفسها وبدنها لغيره وغيره ..ولما يهجرها بالتأكيد ستبحث عن عاشق جديد .. الحب الصحيح هو مثل حبنا .. نظر .. قبل.. حفلة سينما أو مسرحية.. مسك يد ..مداعبة بريئة.. طعام.. رحلة .. ثم زواج

كانوا يتكلمون ويأكلون فقال : زواج .. وهل ينتظر أهلك لنتزوج؟ .. إنهم عند أول طارق سيزوجونك .. وتنسين الحب وناجحا .. ما سمعنا في أبو خروف عاشقا تزوج من معشوقته

ابتسمت وقالت : فليبق الأمل في قلوبنا .. ونعيش هذه الصداقة والأيام التي قد لا تعود .. مشكلة الشباب العاشق أنهم لا يستطيعون الزواج وتكاليفه المادية .. والزواج غير الحب .. لقاء مع فتاة لا يكلف كثيرا كما يكلف فتح بيت .. العشاق الصغار لا مال ولا ثروة ولا عمل .. والسن متقارب يا ناجح الغالي .. والأهل يرفضون مثل هذا الزواج .. ويعتبرونه لعب أطفال ومراهقين ..

والأهل يا حبيبي لا يصبرون حتى يصبح العاشق قادرا على تحمل المسؤولية خشية أن تضيع الفرصة على الأنثى .. وأنا ليس أمامي لأعطيك فرصة إما أن نتزوج بأقرب وقت أو أدرس جامعة أربع سنوات ..

ـ وعندما تحملين شهادة الجامعة .. هل يقبل أبوك العزيز ناجحا البناء عريسا لابنته ؟

ـ ولماذا لا يقبل ؟ أنت موظف في شركة تعهدات كبيرة .. ومعك ثانوية عامة .. عندما تجمع مالك سيقبل أبي وأمي وعمي وخالي .. أما إذا جئت فارغا فلن ترى وجهي ؟

ـ أين الحب ؟

ـ ماذا أفعل حينئذ؟! .. أنهرب كما هربت ... ؟! إلى أين المصير بعد الهرب ؟

ـ لنحيا ساعات الحب هذه .. وندع الفكر الأسود .. وقبض على يدها وهو يقوم ويقول : هيا هيا إلى صندوق الحساب .

دفع الشاب ثمن الطعام والشراب ، ولما أصبحا خارج المطعم قال : عندما نخرج من السينما يا أحلى حبيبة سنتناول أحلى حلوى في المدينة .. هيا اقترب موعد الفلم . وأمسك بيدها كعادة العشاق ومشيا نحو دار السينما ، وعندما عاد من حجز التذاكر رأى زهرة تتحدث مع شاب ، وكانت هي تشير له بالابتعاد ولم يفهم قصدها واشارتها ، فاقترب وقال : من هذا ؟

تطلع فيه الشاب غضبا وقال : من هذا ؟! أنا ابن خالها ومن أنت ؟

لزم ناجح الصمت وقد رأى الرعب على وجه فتاته ، وفطن للتغير الذي رآه أثناء عودته فقال ابن خال الفتاة : من هذا يا زهرة ؟

فقالت بصراحة : صديقي .

فبحلق ابن خالها في وجهها وصاح حنقا : أوه صديقك !

وقبل أي تفكير صفعها على وجهها صفعة لفتت أنظار الناس إليهم ، وقبل أن ينتبه ويستوعب ناجح ما حدث جاءته صفعة أخرى على وجه ، ودفعة أوقعته أرضا يتألم غضبا ، ونهض قائما ، وتماسك الشابان يلكمان بعضهما ، والتم الناس حولهما ، وقد ابتعدت زهرة عن المعركة بعد الصفعة التي تلقتها على وجهها ، وكانت الدموع تنهمر من عينيها كالمطر وتقول لنفسها لماذا لم نولد في أوروبا ؟!

ولما استطاع الناس حجزهما عن بعض ، مشى إليها ابن خالها وقال بنبرة حادة ساخطة : هيا يا ابنة عمتي .. هذا نتيجة دلع البنات والسماح لهن بالخروج من البيوت بعد المدرسة .. هذه آخرة ترك الحبل للنسوان .. هذا صديقك .. صار لك أصدقاء تمشين معهم في وسط الشوارع وأمام دور

السينما .. سيموت صديقك .

فصاحت في وجهه وقد أعماها الغضب والقهر : انصرف يا نذل .. لو كنت شجاعا ما عملت لي هذه الفضيحة .. واحد نذل وماذا تفعل أنت على باب السينما ؟!.. اغرب عن وجهي قبل أن ألم الناس عليك يا نذل !

وتركته واتجهت نحو ناجح الذي كان يرقبهما بغضب وثورة وقالت : أنا آسفة .. كنت أريد تجنيبك هذا الموقف .. لكنك لم تفهم إشاراتي .. ربما الغيرة هيجتك .

ـ لا ، لم انتبه .. ظننت أن أحدهم يسألك شيئا عابرا

ـ هيا ندخل ألم تقطع تذاكر الحفلة ؟

ـ نعم، أنا آسف أيضا يا زهرة .. ندخل ؟

ـ نعم ، سندخل وليفعل ما يشاء النذل .. سنحضر الفلم أين التذاكر ؟

اخرج التذاكر من جيب قميصه فقالت : يهدد بقتلك الجبان

ـ هل نتزوج ؟

ضحكت وهما يدخلان باب دار العرض وقالت : بطل !!

سرقة

بعد أيام من حادث باب السينما التقى فريد بشقيقه ناجح فقال له متهكما: ويلك ما الذي حدث لك يا ولد ؟ في المقهى كانت ريحتك فايحة .. ضربك قريب أبي فواز لأنه رآك أمام السينما مع بنت عمته

ـ هو يضربني! .. أنا أضرب عشرة مثله ، هو غدر بي في أول ضربة بس ، ثم مسحت فيه الأرض ودخلنا السينما رغم أنفه .

ـ هل قابلتها بعد تلك الليلة ؟

ـ لا ، علمت أنها محبوسة في البيت ، وتعرضت لأذى شديد

ـ ممن عرفت ؟

ـ من البنات من أختها الصغرى

ـ أرى أن تبحث لك عن جو آخر

قهقهة ناجح وقال : موجود الجو يا حبيبي .. هي كانت تخرج معي في الأسبوع يوما واحدا .. بس هي أحسن فتاة التقيت بها .. كنت أتمنى لو أتزوجها .

ـ وما يمنعك من الزواج منها ؟!

ـ أنت في طريقي .

ـ أنا في طريقك لأني أكبر منك سنا .. إذا معك فلوس يا بطل تزوج فورا .. أنا لست في طريقك أنا لحتى الآن لم أجد الأنثى التي تقر عيني بها .. فتيات اليوم يردن ملابس كثيرة صالونات تجميل يوميا .. على كل حال كان أبوها في المقهى يشكوك للعم أبي صالح .. وسبك أبو صالح وسب أمك لما شبع .. وطلب منه أن تبتعد عن طريقها حتى تعود للمدرسة ، ولا تضيع عليها الدراسة

ـ أنا لا أذهب لها عند المدرسة والطريق مفتوحة .. كنا نلتقي بوسط المدينة .. وأنا كتبت لها رسالة أن تنساني إن استطاعت .. يا رجل صديقتي أسمهان رآني أبوها معها وتظاهر بأنه لم يرنا

فضحك فريد وقال : أسمهان لا تدرس ، تتعلم الخياطة .. فأبوها ينتظر العريس بفارغ الصبر ليزوجها ويخلص منها .. ربما غرمت بعشر قبلك .. من أجل هذا غرش عنك

حك ناجح ذقنه وسكت للحظات ثم قال : بالك لهذا السبب سوّى نفسه أعمى وأدار رأسه عنا .. حتى هي لم تكترث .. عريس عريس الهنا .. جميل .. ألف جميل .. جن أبو أسمهان .. أنا أتزوج أسمهان! .. ربما أنا العاشر كما قلت .. هي لها يوم الأحد من كل أسبوع .. نتعشى في المدينة ، ونتمشى في شوارعها وأحيانا شوارع الضواحي مع حبات الترمس الأصفر والفستق والعصير ، وينتهي الحفل بأحلام وخيالات .. زواج حقيقي لم نفكر فيه بعد يا عم فريد .. وأخوها مروان شيخ العشاق .. في حي أبو خروف كذا مرة لقطته مع فتيات المدارس .. هو يفكر أن لا أحد معه سيارة إلا هو .

ـ هو أوقح إنسان عرفته ؛ ولكن كيف تقبل الفتيات المشي معه؟! .. على كل حال جهز نفسك لحفلة صاخبة من العم أبي صالح ، فلقد تعهد لأبي فواز أن يربيك من جديد ، وكيف لا تحافظ على عرض جيرانك ؟ فنحن لنا عرض فالذي يحافظ على عرض الجيران يحافظ على عرضه

قال: إنها تزعم أنني حبها الأول والأخير .. وتكتب أجمل الكلمات .. كلمات الحب .. وتبعث لي بأشرطة الحب الأغاني الجميلة .. أغاني الحب .. لماذا لا يمتع الإنسان نفسه منهنّ قبل أن يصير رب أسرة وأولاد وزوجة؟ .. الحياة صغيرة يا فريد .. سمحت لي بالزواج قبلك .

قال فريد : من الصبح .. اخرج مالك من تحت البلاطة وتزوج .. كم ألف معك ؟

ـ ولا ألف

قال متشككا : كله على البنات

ـ لا ليس كله .. كل أسبوع بنطلون وقميصه .. وكل شهر أو شهر ونصف حذاء .. الطعام الدخان بعض الخمر .

ـ أنت وعدت بترك الخمر

ـ لم يستيقظ ضميري بعد .. قبل أيام قابلت الشيخ خالدا، فقال لي يا ناجح متى ستصير ناجحا؟ فضحكت فقال المسجد مكان جميل خاصة للشاب لعلي أرى أحدا من أبناء أبي صالح فيه .. يداوم على الصلاة .. رأيت فريدا يوما على صلاة الفجر .. ففرحت له وقلت بزغ الإيمان أخيرا في بيت أبي صالح الذي يعبد أوراق اللعب أكثر من

عبادة الرب .. قلت له الله يهدينا يا سيدي الشيخ .. ما أخبارك ؟ فقال أنا قاض صغير في محكمة شرعية أنهى الماجستير ويشتغل بالدكتوراه

ـ هذا احتمال أن نراه وزيرا في يوم من الأيام .. وزير أوقاف!

استيقظت أسرة أبي صالح على صياح وطرق شديد على بوابة البيت وذلك بعد صلاة الفجر ، وكان الطارق ينادي بصوت مرتفع : أبا صالح يا أبا صالح .. افتح أنا روحي الفران .

نهضت بسيمة أم فريد وقد ركبها الفزع والخوف ، ومشت للباب الخارجي وهي تقول بصوت عال والنوم غالب عليها : يا عم روحي الدنيا ليل ..

فرد عليه بصوته الصاخب : الدنيا الظهر .. زمان صلينا الفجر ..أين المعلم كمال أبو صالح ؟

ـ نائم

ـ نائم ..أيقظيه ، الدكان أصبحت مسروقة .. الحرامية كسروا أقفال الدكان .. وأنا أضع الخبز على طاولة أمام الدكان رأيت قفلا مطروحا على الأرض .. والباب مفتوح للأعلى قليلا .. قلت الحرامية سرقوا أبا صالح .. أيقظيه فورا

وكان أبو صالح بدوره قد استيقظ على صوت روحي الفران موزع الخبز .. ولما سمع الرجل يتحدث بصوته العالي عن سرقة نهض مسرعا وسمع آخر الكلام وصاح بغضب : ماذا قلت يا روحي ؟

ـ أسرع يا أبا صالح الدكان مفتوحة .. الأقفال مكسورة .. أحدهم سرق بقالتك .

هرع أبو صالح وفريد وناجح نحو الدكان الذي يقع على الشارع الرئيس ، وطول الطريق يولول أبو صالح ويصرخ : أين الشرطة ؟ أين الدورية ؟ أين الخفير الذي يأخذ كل شهر نصف دينار من كل محل لحراسة وحماية الدكان .. أين ..؟

وجدت الدكان مكسورة الأقفال ومفتوحة الباب ، ووجدوا صندوق الغلة نظيفا ، وهي بعض الفكة التي يتركونها عادة للاستعمال ، فأغلب الأموال يأخذها معه أبو صالح وهو منصرف للمقهى ، ثم عندما يغلق جابر الدكان بعد صلاة العشاء بساعة أو نصفها ـ وذلك يرجع للطقس ، والنظام الإداري الحاكم والمنظم للإغلاق والفتح للمحلات والمتاجر .. ـ يمر جابر على الوالد ويعطيه باقي المال ، ولما يسلمه جابر المال يدفع له ثمن عمله ..

حضرت الشرطة وعاينت مسرح الحادث وطريقة سرقة الدكان وقال أحد الضباط : ماذا سرقوا منك يا أبا صالح ؟

ـ كل صناديق السجاير .. والمرتديلا .. وبعض المعلبات من الجبنة والفول والحمص والبازيلاء

قال الشرطي: سجل المسروقات بقائمة ، وعندما يقبض على اللص سيرد لك كل شيء .. فالسرقة حادث يومي متكرر بالنسبة لنا .. وهذا شغل مراهقين عاطلين عن العمل .

فقال شرطي آخر : أتشك في أحد يا أبا صالح ؟

فصاح أبو صالح : أشك ! .. أشك في كل الناس .. هذه الأيام مشاكلنا كثيرة .

فقال الضابط : أتتهم شخصا أو أشخاصا معينين ما دامت مشاكلك كثيرة ؟

ـ هي مشاكل نسوان .. مع السلامة يا عمي ، عندما تقبضون على الحرامي الله يفرجها .

ـ هذه إحدى وظائفنا .. القبض على المجرمين والسارقين .. والسجن ما زال فيه وسع للصوص إذا كنت تتهم أحدا تتعجل برد أموالك

ـ لا يا عمي.. أنا لا أتهم أحدا .. حرام

لما اختفى رجال الشرطة قال أبو صالح متندرا : لصنا جوعان .. سطى على الأطعمة .. فقد أخذ زجاجة بيبسي ، وأخذ ما تبقى من الخبز ، ثم كوش على علب الدخان يبدو أنه يدخن من جميع الأصناف ..

فقال فريد : لا يا أبي يبيعها .. يدخن بعضها ويبيع أكثرها .. لأنه سيسرق مرة ومرة .. السرقة وظيفة اللصوص .. كم كرتونة سجاير سرق ؟

ـ كان لدينا ثلاث ماركات حوالي عشر .. الله يهلكه ويموت منها .



كان فريد يستعد للانصراف من المقهى عند انتهاء دور اللعب الذي يلعبه ، فهمس جرسون المقهى في أذنه هناك سيد ينتظرك في الخارج

ـ ألم يقل اسمه ؟

ـ بلى ، اسمه فراس

ـ فراس ، من فراس ؟ جارنا يا ترى ؟! قل له ينتظر الدور في أخره يا معلم سليم .

وبعد انتهاء الدور دفع فريد ما عليه من مبالغ لرفاق اللعب وقال ماذا يريد فراس أفندي ؟!.. ولماذا لم يدخل المقهى ؟ .. تصبحون على خير يا شباب ؟ وغادر المقهى فوجد فراسا يدخن تحت شجرة من أشجار الرصيف فالتفت إليه مناديا وهو يمشي إليه : مرحبا فراس .. لماذا لم تدخل ؟

ـ لا أحب هذا المقهى السيئ الذكر .. لي يومان متغيب عن الحي .. وفوجئت عصر اليوم عندما وصلت بسماع خبر سرقة دكان الوالد .. فانزعجت لما حدث للعم أبي صالح .. فجئت اسأل ما دام الأخ فريد هجرنا بلا سبب بين .

ـ معذرة يا أخ فراس .. أنا قضايا النساء قلت لك

قديما لا أحبها .. فلما تيقنت أن النساء الفاسدات تتردد عليك فضلت الانسحاب والابتعاد

ضحك فراس وقال : عجيب أمرك! .. الذي يسمعك يظن أنك غير صياد للنساء

ـ صياد نساء لكن خارج الحي

ـ وما الفرق كلهن نساء ..؟

ـ وأنا مرة رأيت مزيود تخرج من بيتك ، وأنا منصرف من المقهى .. فظننتها مع عسود صاحبك وبعدها بأيام ركبت أنت وإياها في سيارة صالح

ـ صدق من غير يمين أنها كانت مع عسود ولما رآنا صالح كنت ذاهبا بها إليه .. وهي امرأة كما تعلم غير سوية .. وقد تكون مريضة بالسفلس كما أسمع .. المهم دعنا منها ومن عسود ..جئت أعرف ما الذي جرى للعم أبي صالح .. أرجو أن لا تكون خسارته كبيرة ؟ وماذا فعلت الشرطة

ـ هل أنت عائد للبيت لنتحدث في الطريق ؟

ومشيا باتجاه مربعهم في حي أبو خروف قال فريد : الخباز روحي يأتي مع الفجر ، ويضع بعض أربطة الخبز أمام المحلات على الطاولات التي تظل خارج الدكان التي تصفف عليها صناديق الخضار والفواكه .. فوجد القفل على الأرض .. والباب نصف فتحة .. فأدرك على الفور أن المحل تعرض لسطو .. ففزع إلينا وجاءت الشرطة وحصرنا المسروقات ، ويبدو أن اللص لص جوعان وعطشان وحشاش .. حتى أنه أكل داخل المحل قبل أن يأخذ ما أخذ .. وأخذ الفكة لأننا لم نبق شيئا في المحل .. والشرطة تطارد عمنا اللص .. وأنا اشكر اهتمامك بنا .. وإذا اختفت سيرة النسوان اللواتي يترددن على بيتك ستعود الصداقة إلى ما كانت عليه.. قضايا النساء تثير الخوف .. وقبل فترة رأيت أهل البنت الهاربة ماذا فعلوا في الحي ؟ .. مع معرفتهم أن ابنتهم فاسدة .. صاروا أشرافا ..وربما قد سمعت بحكاية ناجح وابنة أبي فواز

هز فراس رأسه وقال : اخبرني بها الزوار .. قالوا تعرض للرفس والصفع أمام السينما .. البنت كانت جدعة ووقفت معه .. وساقته للحفلة رغم أنف ابن خالها .. هذه بطلة وشجاعة

ضحك فريد وقال : والله ما ادري ما هي الشجاعة التي تتحدث عنها؟! .. هل إذا رأيت البنت تتسكع في الشوارع ليلا تكون شجاعة ؟! هذه نذالة وقلة تربية .

أخت ناجح

جلست مجموعة العواجيز في زاوية المقهى المعتادة لهم ، فهم منذ سنوات يتفيؤون تلك الزاوية من المقهى ، ربما منذ أنشئت تلك المقهى .. بدأ اللعب بين أربعة منهم ، وأخذ الثلاثة بالفرجة على اللعب ، واشتغل نقل القصص والأنباء، قال سلمان : آ ،

يا أبا صالح ، هل قبضت الشرطة على الحرامي الذي اعتدى على دكانك ؟

تنحنح أبو صالح وترك الورق على الطاولة واستدار لسلمان وقال عشم إبليس في الجنة .. أتسمع بهذا المثل ؟

ضحكوا وقال أحدهم : كلنا يسمعه ويعرفه.

وقال آخر : أنت لا أمل عندك في عودة ما سرق .

فقال أبو نوح : عمري ما سمعت أن أحدا سرق طعاما ودخانا وأعاده .. فهي قد دخلت البطون وربما خرج أكثرها .

فضحكوا قليلا وقال أبو صالح : معك حق .. والعجيب والغريب كما يقول جابر إن الرجل سرق دفتر الديون .. دفتر الديون اختفى ..

فصاح أحدهم : هذا لص مديون لك

ضحك أبو صالح وقال : ربع أو ثلث الحي مديون لي .. بعضهم خمسة دنانير .. بعضهم عشرة دنانير .. بعضهم خمسون دينارا

ـ كيف ستعرف ديون الناس آخر الشهر ؟ وآخر الشهر على الأبواب يا صاحب الدكان ؟!

فأجاب كمال نزو : سأترك الأمر لضمائر الناس .. وضحك

رفع ورقه عن الطاولة وعاد اللعب فقال نعمان مداعبا : أبو صالح يظن نفسه في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وعن كل الصحابة .. أين الضمير ؟

فسخر أحدهم وقال : لعله ضمير قواعد اللغة العربية .. أيام المدرسة أذكر كانوا يعلموننا ضمير الرفع والنصب والمتصل والمنفصل والظاهر والمخفي .

فعلق سلمان : ما شاء الله! .. تصلح لتعلمنا قواعد العربية ..

ـ كنت أشطر طالب في اللغة العربية .. لا تنسى يا سلمان أن تعليم أيام زمان أقوى من تعليم هذا الزمن .. اللغة أصبحت معقدة عند الطلبة .. كرهوها لهم

فقال أبو أحمد : يا رجل لا يحسنون الكتابة ..خرابيش دجاج كما يقال .. أخي الأستاذ المعروف لكم أبو حمزة .. يقول عندما نصلح أوراق التلاميذ نحتاج لوقت ونحن نترجم الخط .. تظن نفسك تقرأ لغة صينية أو هندية .. رسم ..

فقال أبو صالح : لغة عربية .. لغة صينية .. ليس أمامنا لتحصيل حقوقنا إلا الضمير الذي في وجدان الإنسان .. سواء ضمير الدين ضمير العربية

قال أبو سلمى غانم : أبو صالح بعد سرقة الدكان أصبح يجيد الظرافة والمزح .. يبدو أن اللص حسن أفكار أبي صالح .. أمس صلى العشاء معنا ، وطول الصلاة وأنا مشغول مع إبليس اللعين لماذا صلى أبو

صالح العشاء؟ .. لا ميت في المسجد ليصلي عليه .. وفي النهاية قلت .. لعله تاب والعصر لم أره .. يدخل الجامع إلا إذا صلى في دكانه أو في الطريق

ضحك القوم ، وقال أبو احمد : وحدث لي ذلك يا أبا سلمى

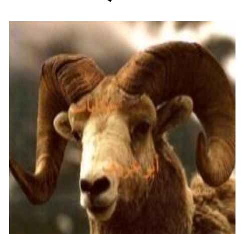
وقال نعمان المحب للمزح : احتمال أن أبا صالح صار يصلي حتى يحمي الدكان من اللصوص بالتقوى .

وقال سلمان : لعله بالصلاة يكشف عن السارق

فقال أبو صالح : أتريدون معرفة سر صلاتي العشاء ليلة أمس ؟ ذهبت لمراحيض الجامع ، ولما خرجت منها رآني شيخ الجامع أقف أمام دورة المياه فاستحييت منه فتوضأت ، وقد وقف يتحدث معي عن سرقة الدكان ويسألني عن الشيخ خالد غزي الذي بيني وبينه طرف قرابة ، فقلت له يا عمي الشيخ هو يجلس على كرسي القضاء في إحدى المحاكم المختصة بالزواج والطلاق .. قاض شرعي وطلب مني توصيل السلام إليه وقال لقد درسنا في كلية الشريعة معا فهذا الذي جعلني أصلي العشاء معكم ، ليشغل إبليس قلب أبي أحمد وأبي سلمى ويغفل القوم عن صلاتهم .

فقال أبو أحمد ضاحكا : أنا ظننت أن الضربة أيقظتك من غفلتك ومن الدنيا .. الآخرة تحتاج للعمل .

ـ الله يهدني للصلاة .. العب يا ...



عرفنا أن ناجحا بعد مغادرته وظيفته في شركة مقاولات ينصرف لوسط المدينة حيث يلتقي بصديقاته ، وبينما هو يتمشى في شارع من شوارع المدينة الصاخبة التقى بشاب من حيه ويعرفه حق المعرفة ، وبعد السلام والترحيب قال الشاب سلمي : أحد رفاقي شاهد أختك فريدة تتمشى مع شاب هامل .

نظر إليه ناجح متشككا: أمتأكد أنها أختي يا سلمي ؟

ـ هو قال لي ذلك ، وهو متأكد سألته نفس سؤالك قال : من أجل هذا عندما رأيتني قبل يوم أخبرتني أنك تريدني بأمر خطير؟!.. صاحبك رأى شقيقتي مع شاب هامل في قلب المدينة هذه ؟!

ـ أجل ولما سألته كيف عرفتها ؟ وأنها أخت صاحبي ناجح .. قهقهة وقال عيب يا سلمي .. نحن أبناء منطقة واحدة .. فأعرف كل بنات حيكم .. وذهبت للشوارع التي حول مدارس الإناث عشرات المرات .. وأنا أعرفها وأعرف أهلها وهي تعرفني .. ولما حدقت إليها النظر

أدارت وجهها ، وقالت للشاب أسرع هكذا فهمت وفعلا أسرعا .

فقال ناجح بغضب مكتوم : والشاب قال لك كل ذلك.. وهل عرفتم الشاب الساقط ؟

ـ نعم ، يا ناجح .. هو شاب من نفس الحي .. وبيته في جبل حي أبو خروف .. خلف المسجد والمقهى .. قال لي صاحبي بعد ضغط عليه اسمه فادي

هزّ ناجح رأسه وقال بتوتر : لي صديق يحمل هذا الاسم في تلك النقطة من الحي .. فادي شيك

صاح سلمي : نعم هذا اسمه الكامل .. هو صديقك .

اهتز غضبا وسخطا : خائن ! ملعون .. أحد معارف المدرسة أيام المدرسة .. لم يجد إلا أختي ليصاحبها .. اللعين سوف يرى عاقبة الغدر والخيانة .

فقال سلمي بخبث : عليك أن تتأكد قبل فعل أي شيء

فقال ناجح : أتأكد ! .. ألم تقل لي قبل لحظات أن صاحبك يعرفه ويعرف اسمه ويعرف أختي اللعينة ؟

ـ ربما أخطأ أو بينه وبين شيك ضغينة وحقد

تطلع في عينيه وقال : جائز .. حسنا يا فريدة .. صرت تمشين مع الشباب وأنت في سنة الثانوية العامة .. تريد أن تدرس في الجامعة كما تطلب من أبي .. شكرا يا سلمي أرجو أن تسمع أخبارا سارة عن فادي شيك ، وأخذ يقذفه بالسباب والشتائم حتى نفس عن نفسه أمام سلمي الذي قال : أين ستذهب بعد أن كشفت لك السر ؟.. أنا فعلت ذلك لأنك عزيز عليّ يا ناجح ..حتى يرتاح ضميري نحوك .. لا تزعل مني .

ـ ابدأ ، أنا شاكر لك هذه الشهامة .. سأعود للبيت مع السلامة .

ابتعد سلمي وهو يبتسم من أعماق فؤاده ، قضى على غرور ناجح الذي يزعم أمامهم أن لكل يوم عنده حبيبة .. يقضي معها ساعات المساء ، وابتعد ناجح وهو يقول بسخط : يا ويلك يا سلمي إن كنت كاذبا بهذا الخبر !.. قبل سنة كانت أخته إحدى صديقاتي .. قبل أن تتزوج .. وهي التي قالت لي إن سلميا رآنا أكثر من مرة .. هل ينتقم مني اللعين بهذه القصة ؟! ..أو ليست فريدة أنثى في حارة فاسدة ؟! وأسرة فاسدة .. ماذا أفعل عندما تأتي سمر؟.. نتعشى اليوم فقط ونعود .. الحجج كثيرة .. وسأراقب فريدة .. يا ويلك يا سلمي إن كنت ماكرا مخادعا منتقما

استقبل سمر والغضب يخيم على وجهه وتصافحا وقالت : أين الابتسامة الحلوة التي ترسمها على وجهك عندما تراني ؟

فرد بحزن : تعبان .. سنتعشى يا سمر العزيزة

وسأعود للبيت .. لا سينما الليلة .. أين صاحبتك التي قلت سترافقنا في هذا المساء ؟

ـ نوال جاء صديقها وانصرفت معه

ـ كم صديق لها ؟

ـ هي تعترف باثنين ، وأنا أظن أنهم على عدد الأسبوع .. إنها تأمل أن تكسب أحدهم في النهاية ويتزوجان ، واحد سيكون زوجها الشرعي

ـ لماذا يحب الشباب الزواج ؟ أليس أن نبقى هكذا أحسن ؟! .. المرأة مريضة .. المرأة حامل .. المرأة ولدت .. المرأة مرضع

ضحكت وقالت : هذه هي الحياة بالنسبة للمرأة .



أصابته الحيرة في الطريقة التي عليه أن يتبعها للتأكد مما أوحى له سلمي نحو شقيقته الوحيدة فريدة ، وللهروب من تبعات ما ألقي إليه يردد قائلا أليست هي كباقي عالم حواء ؟ لها قلب وعواطف ..لازم أن تحب البنت قبل الزواج وهل يلزمنا أن نحب ونعشق قبل تكوين أسرة ؟ فساد في فساد ، لماذا لا يقبل الشاب لنفسه ما يقبله للآخرين ؟ .. عندما اعتدى عليّ قريب زهرة غضبت وثرت .. ولم أرضى تدخله في شأننا .. وسررت بموقفها معي .. ضد ابن خالها .

أخذ يفكر ويتذكر ذلك اليوم الذي صفعه ابن خال فتاته زهرة .. ثم المشاجرة الحادة بينهما ..

وبعد حين عاد يهمس في جنبات بدنه: كيف سأكشف الطابق ؟ هل أفتش غرفتها وانحرافها وهل تكفي الرسالة لإدانتها ؟ وإذا واجهتني وقالت ما عدد الفتيات التي تسهر معهن في شوارع المدينة؟! بماذا سأرد عليها أمام العائلة ؟ سأضربها كفا أو لكمة .. هل أشرك فريدا بالموضوع ليتحمل المسؤولية مثلي ؟ أم أعالج المشكلة بمفردي ؟..هل أترك العمل أياما لمراقبتها ؟ أم أذهب لفادي وأواجهه بما سمعت عنه ؟ واجبره على خطبتها حسب الأصول .. وهل فادي يحب فريدة حقا ؟ أم عابث بها ..أليس له فتيات مثلي ؟.. ولماذا تغار؟ وأنت تزعم حب عدد من البنات ؟ أتغار على محبوباتك ؟ يا الهي لم أفكر بمثل هذه الورطة من قبل! .. وهل بناتنا ملائكة ؟ والله كبرت يا فريدة .. لابد من اقتحام غرفتها بحجة البحث عن شيء .. عن ماذا ؟ وهل ستترك المحروسة رسائلها أمامي ؟ لابد أن أحاول .. حسن وإذا وجدت رسائل الغرام والهيام ماذا ستفعل يا جبان ؟! الأفضل أن تغض الطرف كأنك لم تسمع بشيء .. هذا سلمي خبيث حاقد .. النمس لم ينس قصة حبي لشقيقته قبل سنوات قبل زواجها .. كانت إحدى حبيباتي .. وأخذ يتخيل

قصة حبه لشقيقة سلمي بضع دقائق ، ويتذكر لقاءاتهما وحبهما الموهوم ثم قال : سمعت أنها ولدت ، أضحت أما .. ليتني أراها وأرى زوجها السعيد بها .. ولماذا أتمنى ذلك ولماذا ؟! وردد قائلا: الذي يتطلع على عورات الناس تتطلع الناس على عوراته .. أليس هناك شعر قرأته بهذا المعنى ..؟

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معايباً

فدعها وقل يا عين للناس أعين

هل سأخبر فريدا وأبا صالح بقصة عشق أختنا ؟ .. فادي شيك يغدر بي هل له أخوات ؟ أذكر أن له أختا فاتنة .. ولكنها تزوجت .. وله أخوات صغيرات ، سيكبرن .. وأنا لهن بالمرصاد أي مرصاد ؟ ستظل عازبا حتى يكبرن .. قد يكون فادي غير عالم بأنها شقيقتي أم هو يريد الانتقام مني .. لقد صاحبت بنت خالته شهرا من الزمان .. ثم بصقت على وجهي .. عندما انحنيت لتقبيلها .. قاتلها الله .. ما هو الحب ؟ هل ما نحن فيه يعتبر حبا ؟ هذا ما هو حب .. إنه عبث لهو تسلية .. كما قال أحد الزملاء نقلا عن مدرس .. قال معيبا علينا هذا الشغف بملاحقة المراهقات هذه علاقات مراهقون زائفة واعتبرنا سخفاء جهال ، وحدث عن حب قيس وليلى وعنتر وعبلة وغيرهم ، وذكر له أحدهم حب امرؤ القيس شاعر المعلقات السبع .. فاطمة وعنيزة .. وغيرهن .. ألم يكن حبّيب مثلنا ؟ .. نسي أستاذنا حب عمر بن أبي ربيعة شاعر بني أمية المخزومي .. نسي حب أبي نواس شاعر العصر العباسي .. النماذج التي تمثلنا كثيرة وكثيرة .. وفريدة من أي طائفة حبها لفادي شيك ؟.. قد يخطبها إني أعرف أنه شاب جاد إنه فاسد .. كيف أحبها ؟ ولماذا فريدة ؟ وأين رآها ؟ ربما عن طريق فتاة راسلها .. فقد سمعت أنه كاتب رسائل حب وغرام لا مثيل له .. فبعض الشباب يستفيد من موهبته في كتابة الرسائل لمعشوقاتهم .



حيرة

اضطر ناجح كمال إلى إلغاء كل مواعيده الغرامية النسائية المسائية ، ويرجع للبيت عند انتهاء الدوام عصرا ، مما لفت نظر فريد الذي كان لا يراه إلا عند نصف الليل يدخل البيت مع رجعته من المقهى الشعبي ، فيجده يكمل سهراته على التلفزيون ، وأحيانا يراه عند الاستيقاظ في الصباح للاستعداد للانطلاق للعمل ، وكذلك أيام العطل الرسمية

وغير الرسمية ، فلما أخذ يراه عصرا ومغربا ولمدة ثلاثة أيام فقال : يا ولد لم تعد تسهر مع الصبايا والأفلام .. صرت تعود مبكرا .

ابتسم وقال : ما انتبه لذلك إلا أنت !

ـ لأنني شريكك في هذه الحجرة .. الجو ملوث عندك هذه الأيام .

ـ جدا جدا .. أوقفت سهراتي النسائية .. توفيرا للمال ..هناك مشكلة تؤرقني هل عندك وقت لسماعها؟ .. إنني أراك تتجهز للخروج ..أم إلى المقهى ؟

قال: مشوار لصديق يسعى لتزويجي من أخته لأكف عن البصبصة والتلصص والحب .

ـ يعني هذا أنك لم تر العروس أخت الصديق بعد !

ـ اليوم سأرى أخا العروس .. فهو تحدث معي من أيام في موضوع الزواج وقال بعدك تطارد المراهقات يا رجل .. لم تكبر .. صاحبنا مازن رآك تمشي مع فتاة عمرها ستة عشر عاما في حديقة النور .. فحزن عليّ وحدثني عن رغبته بمصاهرتي لأكبر .. سأحدثه عن ظروفي المادية الضعيفة فإذا وافق الهوى هواهم سنسعى لرؤية المدام .. ونرسل الأم والأخت .

فتمتم ناجح : الأخت ؟!

ـ أليس هكذا العادة ؟ ومعهم خالتي أم ريان أنت لك ثلاثة أيام تعود من الشغل للبيت لماذا ؟ هل تغير برنامجك الجزئي .. أم أن الفقر ضرب عليك ؟

قال متسخطا : أبدا .. هل عندك وقت للسماع ؟

ـ إذا القصة طويلة أجلها لصباح الغد .. لأنني بعد المشوار الخاص سأذهب لمقهى العم عزب

ـ المقهى .. ألا تتعبون من قعدة الكراسي الأثرية ؟

ـ تعودنا عليها .. السلام عليكم .. سأساعدك في حل المشكل قبل الخروج للعمل .. غدا صباحا ذكرني

ـ لعلي أفعل .. سلم على صاحبك الذي يرغب بمصاهرتك

هبط فريد الدرج ولحقته عيون ناجح حتى اختفى بدنه وصوت نعله ، ووقف بجوار النافذة فشاهد فراسا يقف أمام البيت مع شاب فقال لنفسه : هذا الوجه ليس غريبا عني .. من هو ؟ آ تذكرته هذا من حي (السعادنة) حضرت له معركة ضرب موسا وضُرب موس .. فها هو قد شفي منه وتعافى .. ما اسمه يا ناجح ؟ ينادى بالصرصور .. لماذا صار صرصورا ؟ لأن صوته يشبه نغمة صوت الصرصور .. ولماذا هو هنا ؟ هذه أول مرة يجيء إلى هنا .. ربما جاء قبلا ولم تره .. فأنت تعود مع نصف الليل مع آخر الفِلم .. بس هذا الصرصور كما علمت حراميا .. سراق .. هل له يد في سرقة

دكاكننا ؟ .. دكاكننا صغير .. الذي يريد أن يسرق يسرق محلا كبيرا ..

ارتد لسريره للحظات ، ثم نزل الطابق الأسفل متظاهرا بالبحث عن كتاب : إني لا أرى فريدة يا أم فريد ؟

ـ ذهبت لبيت خالتها أم ريان تأخذ درسا في الإنجليزي .. فابنة خالتك مدرسة إنجليزي .. فابنة خالتك جارة لأمها في آخر حي النجمة أول أبو خروف عند الدوار .

دخل الحجرة الخاصة بفريدة تطلع يمينا وشمالا .. نظر مكتب فريدة الصغير ..اقترب من خزانة الثياب فقال لنفسه أين نبحث ؟.. وهل ذهبت حقا عند خالتي أم ريان؟ استدار نحو الباب وقال لنفسه سأذهب إلى هناك زاعما أنني مار من هناك ورغبت بالسلام على خالتي وقبل الخروج من الغرفة تابع البحث بعينيه عن مكان قد تخفي فيه رسائلها السرية .. ألا أتلقى الكثير من الرسائل والأشرطة الكاسيت ؟ .. وآخذ الشريط من هذه وأعطيه لتلك .. اقترب من طاولة القراءة .. والتي عليها مسجل (آلة التسجيل) وبجواره عدد من الأشرطة .. قلبها وقرأ أسماء المطربين .. أسماء معروفة بالغناء العاطفي العربي والغربي وقال أتسمع فريدة هذه الأغاني ؟ أغاني معروفة ويكثر ترددها في الإذاعات والتلفزيون .. وماذا يسمع الناس هذه الأيام ؟.. أشرطة الشيوخ .. ماذا تسمع الفتيات وحتى النساء المتزوجات ؟

وهو خارج قالت أمه : أوجدت الكتاب ؟

فالتفت إليها وقال : لا ، سأذهب أبحث عنه عند أحد الزملاء .. وعندما ترجع فريدة قد أسألها عنه إذا لم أجده عندهم .. لي مشوار قرب الدوار عند بيت خالتي أم ريان ، وقد أمر عليها ، وأسلم عليها ، وأرجع مع فريدة

ـ مع السلامة سلم على خالتك وزوجها أبي ريان

اتجه إلى الشارع العام ومنه نحو جهة دوار حي أبو خروف الجنوبي ، ورحبت به خالته أم ريان وسألته عن أمه وأبيه وإخوته وهل قبض على الحرامي؟ ولما انتهت أسئلتها وسماعها أخبار أسرته ، سألها عن فريدة قالت : جاءت وقضت بعض الوقت مع ميمونة ، ثم ذهبت لبيت صديقة لها ومعها في المدرسة قريبة من هنا.

شرب الشاي وهو يكاد يغص به من سوء الظن بفريدة ، ولما انتهى منه استأذن ، وطلبت منه أن يسلم على أمه وأبيه ، وطلب منها أن تسلم على أبي ريان وريان وميمونة والأسرة كلها

وخرج حانقا ذهبت تزور صديقتها في المدرسة ، ولما أصبح في الشارع أشعل سيجارة وقال أين هذه الصديقة يا معلم ناجح ؟ هل هذه الصديقة فادي شيك ؟ إلى منزل فادي شيك .

اتجه إلى الجبل المحيط بغرب أبو خروف الذي يقع خلف المسجد والمقهى وصعد الدرج الموصل لبيت فادي شيك طرق الباب وخرج له شاب عرفه وقال دهشا : ناجح يا أهلا بك ..

ـ كيف حالك يا رامي ؟ كبرت .. أريد فاديا بكلمة قصيرة .

ـ فادي.. قبل ربع ساعة خرج أو نصف ساعة .. هل تتفضل ؟

ـ لا ، أريده شخصيا

ـ إذا لديك رسالة معينة أوصلها له

ـ سوف آمر عليه ثانية .. ألا تعرف أين ذهب ؟

ـ لم يخبر بشيء .. ربما عند جبران النسر

ـ جبران النسر



لما دخل البيت سألته أمه عن خالته وزوجها أبي ريان فزعم لأمه أنه لم يرها وطلب منها إبريقا من الشاي ، وصعد ناقما إلى غرفته ، وطرح نفسه على السرير وقال : يبدو كلام سلمي صحيحا ساعة مع الدرس وساعة مع الحب والعشاق ، وناجح يتسلى في وسط المدينة .. وعامل نفسه ديك الشباب .. وفريد ملزق بالمقهى يلعب القمار .. وأبو صالح جالس يستغيب أهل الحي ، وينهش لحمهم .. وفريدة ماذا تفعل ؟ هو الحب حلال للرجال .. وحرام على النساء .. ماذا تفعل أختك لهذا الوقت ؟

نادت عليه أمه لينزل لأخذ الشاي ، نهض قائما فوقف أمام الشباك ينظر الشارع ساحة الحي أو مربع بيتهم ، ووجد فريدة تتحدث مع فراس أمام البيت .. فتضايق جدا وقال : ماذا يريد منها هذا اللعين ؟ هل يشحد صحنا من الطبيخ ؟

فتابع المشهد بعينيه حتى رآها تتجه لباب البيت فنزل الدرج ، ولما دخلت الدار قال بغضب واضح على وجهه : أين كنت يا فريدة ؟

نظرت إليه باحتقار وقالت : أنت تسألني هذا السؤال ؟ ألم أقل لك لا تسأل مثل هذا السؤال منذ سنوات ؟

قالت الأم التي كانت تقف أمام باب حجرتها : كيف خالتك يا فريدة ؟

فرد ناجح بسرعة: لم تكن الأخت النابغة عند خالتها يا أم فريد لما كنت هناك

فقالت فريدة بحدة : إلى ماذا تريد أن تصل يا بطل النسوان ؟ ما هي أخبار بنت أبي شادي ؟ وبنت أبي نبيل ؟

أدرك أن قصصه مكشوفة ومعروفة فقال : هذا أنت تعرفين أسراري الخاصة

ضحكت بسخرية : أسرارك الخاصة .. وهل لك

أسرار يا بطل ؟ .. لقد تطوعت بعضهن بإهدائي رسائلك .. يا بطل النسوان

فاشتد غضبه وضيقه وصاح : مع من كنت من الرجال عفوا العشاق .. مع فادي شيك

فقالت وهي تضحك : فادي شيك زمان بطلت عنه .. هذا ولد بخيل

فصاحت الأم لهذه الفضائح : ما الذي أسمعه يا أولاد ؟!

ردت فريدة متهكمة : نتحدث عن حبيبات ناجح ، الفتيات اللواتي يتعشى معهن في المطاعم الزرقاء، ويذهب برفقتهن للسينما والحدائق

نكس ناجح رأسه ، وأخذ الشاي الذي ما زالت أمه تحمله منذ نادت عليه ، وصعد ، وهو على نصف الدرج التفت لفريدة وقال : وماذا يريد منك فراس الحرامي ؟

فردت بوقاحة : يطلب يدي ، يريد الزواج مني

ضحك ضحكة خاطفة وقال: زواج ! هذا يصلح للزواج ؟

ـ أو ليس رجلا مثلك ؟!

ـ لسانك طويل يا فريدة .. سوف أقتلك في يوم من الأيام

ـ تقتلني .. ولماذا تقتلني؟ .. هل رأيتني ... ؟ وحتى لو فعلت ذلك لا دخل لك فيّ .. ربّ نفسك قبل أن تربي غيرك

ـ أنا رجل يا فريدة .. لا أسبب أي عار للعائلة

ـ اسمع أنت أبغض الناس إليّ .. لا تتكلم معي يا شريف .. طهر نفسك قبل أن تتحدث عن العار والشرف .. أمي وحدها التي يحق لها أن تتكلم معي .. حتى أبي لا دخل له بي وكانت الأم تلزم الصمت ، فهي تعرف لسان فريدة أكثر من ناجح ، وتابع ناجح صعوده وهو يقول : مبارك عليك فراس الحرامي .. تزوجي من عشيق مزيود

=+=+=+=

أدرك ناجح أنه ضعيف أمام أخته الثائرة على أخلاقه وسيرته ، أخذت صورة قديمة عنه ، فقد رأته أيام المدرسة وهو يحتضن طالبة مثلها ، ويقبلها في يوم ماطر ، عندما دخلت دكان أبيها بوجبة طعام أرسلتها أمها بها ، وقال لها : إننا نحب بعضنا يا فريدة .. ثم صرف الفتاة ، وأخذ يبرر لفريدة موقفه باسم الحب ، وأخذت فريدة بعض الأشياء للبيت ولها وانصرفت .. فظل الريب والحذر بينهما ولا يتحدثان معا ، وبعد زمن عادت فريدة متأخرة للبيت ، فسألها عن سبب تأخرها فقالت : كنت في الدكان . مشيرة لتلك الحادثة فغض بصره ولزم الصمت ، وحذرته يومها أن يسألها مثل هذا السؤال فصاح لنفسه قائلا ولكني كبرت كبرت اليوم كبرت اليوم يا فريدة لست ذاك الفتى الغر .. أنا أعمل ولي مال .. ولكني

خائن .. خائن لكل الفتيات يعرفن أنني عابث بهن .. يعرفن علاقاتي مع الأخريات .. على فريد أن يعرف ويتدخل .. أنا ضعيف جبان .. ملوث .. قضى ليلة على جمر .

ولما استيقظ صباحا أيقظ فريدا وكشف له ما سمعه عن فريدة .. ولما صمت قال فريد : أصحيح ما تفوهت به ؟!

ـ هذا ما نقل لي .. ولا أدري كيف أتحقق من كذب وصدق هذا الوشاية ؟ .. ما موقفنا من هذا أنا جبان .. لا أستطيع أن أفعل شيئا .

قال فريد بتفكر : اهدأ يا غلام .. علينا أن نتحقق من صدق الخبر .. سأسعى لمقابلة فادي شيك وسأعرف منه الحقيقة ..

ـ قالت إن فراسا عرض عليها الزواج .

ـ كيف ؟!

حكى ناجح لحظة وقوفه غروب أمس على الشباك ، ومشاهدتها تتحدث مع فراس ، ولما سألها

ماذا يريد منها الحرامي فراس ؟ قالت طلبني للزواج ، وختم كلامه فقال : اذهب وتحقق منها إذا لم تسرِ للمدرسة .

هتف فريد دهشة : المدرسة أي مدرسة ؟! .. اليوم الجمعة .. لماذا أيقظتني أصلا ؟

ـ صدق أنني لا أدري أن اليوم الجمعة ..آسف لإيقاظك .. نحن نسمح لأنفسنا بالحب لبنات الناس .. وتدب فينا الغيرة عندما يحدث هذا الحب لأخواتنا .. بدأت أعذر ابن خال زهرة بتلك الصفعة .. وتحسس خده

ضحك فريد بصوت عال : اذهب واعمل لنا إبريقا من الشاي لنحسن التفكير وننشط المخ المتلبد .. فأمك اليوم في إجازة بسبب العطلة

ـ أنا أعتذر مرة أخرى

ـ لا ينفع النوم بعد هذا الاستيقاظ .. وبعد سماع هذه الأخبار السامة .. اليوم عندنا نزهة جميلة إلى مدينة (البحرية) لشم الهواء النقي .. بما أنك متوتر ما رأيك بمرافقتنا وما دمت قد أخذت إجازة من فتياتك ؟ ..

قال: والبرد ؟ قال فريد : نلبس ملابس البرد .

ـ من سيرافقك ؟

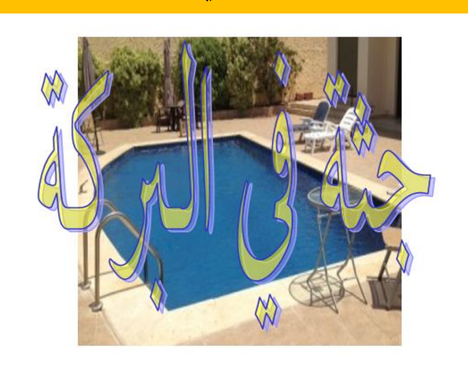
ذكر له عدة أسماء فوافق على المرافقة في هذه النزهة الشتوية إلى بيت صديق لهم له مزرعة جميلة وسأل عن الكلفة المالية ، فقال : مبلغ بسيط أجرة الطريق .. أسقنا الشاي .

نزل الدرج ودخل المطبخ الصغير وصنع إبريق شاي ، ولما صعد بالشاي وجد فريدا مغمضا عينيه فأيقظه ففتح عينيه وقال : سهت عيناي .. أمس سهرنا طويلا .. ذهبنا لبيت سامي بعد مغادرة المقهى

تناول الشاي وشكر شقيقه وقال : على العاشرة

سنكون في بيت مروان .. ثم نشتري أغراض الرحلة .. من لحوم وخضار وفواكه .. ربما يذهب بعضنا لسوق الخضار الكبير .. وسنأخذ فطورا خفيفا نقضمه أثناء الطريق .

التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة الأولى

١

كان حامد موسى يستعد للخروج من مكتبه منهيا يوم عمل ، بعد أن أخبره الفراش أن الموظفين قد انصرفوا جميعهم من الشركة ولم يبق سواهما .. فنهض عن كرسيه ، واتجه نحو مرآة معلقة في غرفة المكتب ، وتناول الجاكيت المعلقة بجانبها ، وأخذ يضع يديه في أكمامها رويدا رويدا ، وينظر في نفس الوقت لوجهه في المرآة وهو يفكر بشيء ما .. وكان الفراش يقف أمام الباب منتظرا خروجه .. وكان الباب مفتوحا .. بحيث يرى الفراش ماهر مديره وهو يلبس ثيابه ، وانتبه أيضا على أنه مشغول الفكر ، وبدا ذلك واضحا لماهر حتى أنه تساءل بينه وبين نفسه السيد مشغول الفكر! .. فماهر يعمل فراشا لصاحب المكتب منذ سنوات وسنوات .. ومن عشرته للسيد يعلم المشكلة التي تشغل ذهن السيد حامد .. وكان يتابعه بعينيه ، فهو آخر موظف في المصلحة ينصرف إلى حيث يشاء .. هكذا التعليمات سواء كان المدير موجودا أم كان غيره .. عليه أن يغادر آخرا ، ويفتح أولا إلا لعذر طارئ .

كان يدرك ذاك المساء أن المدير قد تأخر عن وقت انصرافه المعتاد .. وهذا من النادر في نظره .. فالساعة زادت عن الرابعة عصرا .. ففي العادة تغلق الشركة أبوابها في الثالثة والنصف مساء ويوم الخميس من كل أسبوع ينصرفون في الساعة الواحدة ظهرا ..فالأمر بالنسبة لماهر واضح أن هناك شيئا يرهق ذهن المدير حامد موسى .. وربما هذا الفراش القديم يعرف ما هو هذا الشيء .. وهو أن ابنة المدير على وشك الانفصال عن زوجها ؛ لأن صاحب الشركة شريك حامد .. اتهم الزوج بالاختلاس والرشوة .. وقد ثبت ذلك عليه .. وحامد أمام هذه الحقيقة لم يستطع فعل شيء لصهره .. وفصل الشاب من الشركة .

وذاك الشاب لما طرد من الشركة .. ليضغط على عمه ويعيده للعمل هدد بتطليق زوجته التي هي ابنة حامد .. وشريك حامد رفض أي عودة للشاب ناصر .

فكان ماهر ينتظر مديره بالانصراف لينصرف هو أيضا ، وهو يعتقد بأن الرجل مشغول الفكر بهذه القضية منذ أيام .

لما ارتدى حامد جاكيتته وضبط شعره .. ومشى نحو الباب ليغادر المكتب رن جرس الهاتف فتقدم إليه، ورفع المسماع ، وقال مجيبا للمتصل : نعم .. أنا ذاهب للمزرعة في التو .. سأسهر هناك الليلة .. سأتكلم معكم من هناك .. ووضع السماعة .

وخرج من الغرفة ، وأغلق ماهر الباب وقال له حامد : هيا بنا .. سأوصلك لأول الطريق يا أبا محمد .

ـ شكرا يا سيدي .. لا داع لإزعاجك .

ـ تفضل يا رجل .. ليس هناك أي إزعاج .



٢

وضع توفيق حامد الهاتف قائلا : لا أحد يرد .

وكان توفيق يجلس في صالة البيت ، ومعه أمه وهي حزينة الوجه مكتئبة تكاد الدموع تتساقط من عينيها ، تنظر تارة للهاتف وتارة إلى توفيق ، وكان القلق والانزعاج ظاهرا على محياها ، وكان يجلس أخوه سعيد قريبا من أمه وهو متجهم الوجه ، وتجلس أختهم فادية زوجة ناصر الموظف المفصول من شركة والدهم بتهمة الرشوة والاختلاس والوجوم والضيق يملأن وجهها كذلك ، التوتر هو سيد الموقف ، والصمت هو المخيم على الوجوه والعيون ، فلما جلس توفيق وقال : لا أحد يرد .

لم يعقب أحد بكلمة ، فسكت لحظات ثم قال : هذه عاشر مرة أتصل ولا أحد يرد .. هل انتهت السهرة ؟ .. الساعة لم تصل منتصف الليل بعد.

لما أدركت الأم الثورة التي تقبع في نفس توفيق لعدم رد تلفون المزرعة قالت : غريب فعلا !.. هل تركوا مكان السهرة ؟!.. وذهبوا لمزرعة أبي خالد .. قم اتصل يا سعيد به .. ستجد رقم الهاتف في الدليل الخاص ..

فقال سعيد بضيق : ولكن فادية قالت إن زوجها ذهب لمقابلة أبي في مزرعتنا ..

قالت فادية التي انتبهت من حزنها عندما سمعت اسمها يتردد : هذا ما قاله ناصر .. اتصل بي وقال الليلة سنحسم الأمر يا سيدتي .. أبوك خذلني هذه المرة .. فأخذت أدافع عن أبي وشرف أبي من اتهاماته الرهيبة الحاقدة .. قال اقضي الليلة عند أهلك وسأوافيك بالنتيجة .. إما أن أعود للشغل رغم أنف الجميع أو أن تبقي في بيت أبيك للأبد .. وأغلق الهاتف قبل أن يسمع ردي .. وتابعت بحدة ودموع : وأنا هذا الوضع لم أعد أطيقه ..

حياتي صارت كالجحيم .. وهو يتقول على والدي كلاما مرا وحقيرا .

أخذت الأم تهدئ من غضب فادية وثورتها ، وتبين لها أن الحال سوف ينصلح .. وأن ناصرا سيعود للعمل مع أبيها ، وأنه يفعل هذا الجنون للضغط على أبيها ليساعده .. وأن شريكهم سيغير رأيه عندما تهدأ الأمور ، ولسوف تعود المياه لمجاريها ..ثم ختمت قائلة : وقد طلبت منهم أن يتصلوا بالوالد لنعرف ما جرى بينه وبين ناصر .. وتلفون المزرعة كما ترين لا يرد .

وأخذت تمسح الدموع التي انسابت على وجنتيها وهي تتحدث مع البنت الغاضبة الحزينة .

وأمام إلحاح الأم نهض سعيد وأدار رقم مزرعة أبي خالد .. وبعد محاولات رد عليهم شخص، تبين لهم أنه أحد العمال مخبرا لهم أنه لم يسهر أحد الليلة في المزرعة .. وأبو خالد لم يأت المزرعة الليلة .

فعندئذ قال توفيق بضيق : ليس أمامنا إلا الذهاب للمزرعة .. قبل أن نبدأ نسأل في بيوت الناس في هذا الليل ..

ونهض واقفا وارتدى ثيابه ، وفعل مثله سعيد ، وانطلقا بسيارة توفيق إلى المزرعة التي يملكونها في القرية الزراعية .

٣

عندما وصل توفيق وسعيد المزرعة كانت الساعة اقتربت من الواحدة صباحا .. كانت غرفة البواب مظلمة .. أما مصباح بوابة المزرعة ، فقد كان منيرا .. والبوابة الحديدية نفسها مغلقة فقال سعيد : لا سيارة أمام الباب .. هل سياراتهم بالداخل ؟! .. إجازة العم أبي يسري لم تنته بعد ؟

ـ كأنها لم تنته .. هو قد ذهب للسعودية لأداء العمرة كما علمت .. الوضع مريب .. هل انصرفوا ؟؟ لابد أنهم انصرفوا .. من النادر أن تمتد سهرتهم إلى ما بعد نصف الليل .. وأصحاب أبيك عادة لا يحبون النوم في المزرعة .. حتى سيارة زوجك أختك لا ترى هنا .. هيا بنا نفتح البوابة وندخل.

نزلا من السيارة ، وفتحا الباب الكبير الذي له سكة يسير عليها ، ولم يكن مغلقا بمفتاح منذ أن سافر أبو يسري ، ويغلق الباب بدون مفتاح ..

ودخلت السيارة المزرعة وظلت تسير حتى وقفت أمام مدخل القصر الذي عمر وشيد في أول وبداية المزرعة ، ويبعد عن المدخل حوالي مائة متر .. وكان مدخل القصر مضاء بأنوار قوية ساطعة تبدد ظلام الليل الهادئ في تلك الناحية .. بل بدأت لهما بعض حجراته مضاءة كذلك وكانت سيارة الوالد حامد تقف أمام القصر في مكانها المعتاد .

فهتف سعيد دهشا : سيارة أبي هنا! ..هل هو نائم ولم يسمع رنين التلفون ؟!

ـ قلبي منقبض الليلة !!.. وسيارة ناصر غير

موجودة ..

تقدموا نحو درجات القصر ..وصعدوها بسرعة ، وفتحوا الباب الرئيسي للقصر، ودخلوا منه ولم يكن مغلقا ، فقال توفيق معلقا : عجيب الباب مفتوح ! أيعقل أن ينام أبي ويترك الباب مفتوحا؟!من عادة الوالد غلق الباب .

كانت صالة القصر مضاءة أو بعضها مضاء .. صعدوا مسرعين للطابق الثاني حيث ينام الوالد كان باب الغرفة غير مغلق إغلاقا كاملا .. طرقوا الباب .. ودخلوا الحجرة التي ينام بها حامد عندما ينام هنا .. كانت خالية .. وبدا السرير كأن أحدا جلس عليه ، لم يكن مرتبا .. إلا إذا كان مبعثرا قديما من أيام خلت .. أخذ سعيد ينادي بصوت هامس : أبي .. أبي .

فتشوا كل غرف الطابق الثاني كله ، وصعدوا للطابق الثالث .. كان جزء منه مضاء كغيره .. نادوا وفتشوا غرفة جلوس أبيهم في هذه الطابق ، ثم نظروا فيها ظنا منهم أنه قد غفي فيها .. كانت فارغة .. نزلوا للطابق الأول ، وبحثوا فيه غرفة غرفة حيث قاعات الجلوس ، وفتشوا فيها ، ودخلوا حمامتها ..مطبخها .. ولما لم يجدوا أحدا قال توفيق متعجبا وخائفا: ولكن السيارة موجودة !.. والقصر مفتوح .. هل ذهب مع ناصر في مشوار إلى شريك أبي ؟!

ـ أو مع أفراد الشلة .. ولكن هل يترك القصر مفتوحا ؟!.. شيء غامض يحدث هذه الأيام !.. منذ فضيحة ناصر المدوية والأمور تسير على غير ما يرام .

ـ صدقت ، كأن الدنيا انهدت .. أمعقول لأبي يد في جريمة ناصر؟!..أيختلس أبي شريكه ؟! شيء لا يمكن تصديقه!

أعادوا البحث حجرة حجرة .. المطابخ .. المراحيض والحمامات مرة ثانية ، ثم عادوا لصالة القصر حيث دخلوا أولا ، وقال سعيد : هل نزل لمخازن القصر وحدث له شيء؟!

ـ ماذا سيفعل في مخازن القصر في الليل؟! غرف فيها بذور وأدوية زراعية وأدوات زراعية ..

سمعوا رنين جرس التلفون .. فتناول توفيق السماعة ، وتحدث مع فادية ، وأخبرها أنهم لم يجدوا الوالد .. وإنما وجدوا سيارته فحسب .. أبدت دهشتها وقالت : أين ذهب إذن؟! هو منذ سافر الحاج مروان وهو ينام في المزرعة .. هل بحثتم جيدا ؟

ـ أجل كل الطوابق ..

ـ هل أنت متأكد أنه أخبرك بأنهم سيسهرون الليلة في المزرعة ؟

ـ هذا ما أخبرني به قبل مغادرته الشركة ..حتى زوجك يا فادية لا أثر له

ـ اتصلت به في البيت .. ولم يرد عليّ ناصر

٤

قال سعيد مخاطبا توفيق : سأصعد لغرفة نوم أبي ..وأنظر مفاتيح السيارة .

فرد توفيق باضطراب بين : ربما لو ذهب مع أحدهم لا يأخذ المفاتيح معه .. لكن كيف يترك القصر مفتوحا ؟ .. هذا الذي يثير الحيرة!

ـ دعني أنظر .

وانطلق راكضا للطابق الثاني ، ووجد المفاتيح على منضدة في الغرفة ..فتركها وهبط قائلا : موجودة ..أيعقل أن يترك مفاتيحه هنا ويخرج ؟! .. ويظل القصر مفتوحا .. أمر غريب !!

ـ هل نمشي لحوض السباحة .. البركة ؟ هل ذهب إليها وأخذته غفوة هناك؟ فأبوك يحب السباحة في الليل والمكث هناك .

فقال سعيد : وهل يذهب أحد إليه في الليل وفي هذا الطقس البارد ؟.. ولو نام تعبا فالبرد الليلي يوقظه .. فالساعة الآن تقترب من الثانية فجرا ..

ـ هل ذهب مع أحد الأصدقاء ثم نام عندهم ؟!

فقال سعيد وهو يهرش رأسه حيرة : ربما حدث ذلك .. وربما جلس في مكان من هذه المزرعة ونام ..

ـ لنا أكثر من ساعة نبحث عنه .. ألم يستيقظ لحتى الآن ؟

ـ أبوك له فترة مشغول أكثر من اللازم .. مشكلة ناصر .. طلاق فادية

قال توفيق : السيارة والمفاتيح والقصر المفتوح يدلان على وجوده هنا .. لكن إذا جاءه زائر كناصر وساقه في مشوار .. فربما من العجلة نسي أن البواب غير موجود

قال سعيد : والباب الحديدي كان مغلقا .

ـ هذا ربما يدل على خروجه ، وليس على بقائه فحسب ..كيف سنعود للبيت بدون أن نجتمع به ؟!

قال سعيد : القصر مضاء .. فأين جلس ؟!

فقال توفيق مهونا من الأمر : هذه مزرعة كبيرة .. ومواضع الجلوس فيها كثيرة .

فقال سعيد : أين الكلاب ؟

فقال توفيق كأنهم فطنوا لها : فعلا أين هي؟! لم نرها عند الباب .. لابد أنها رحلت إلى آخر المزرعة في بيتها الخاص .

ـ من يطعمها ؟

ـ عندما يتغيب عادة أبو يسري ..تحبس في بيتها .. لأن الخادمة سيرا تخاف منها .. ولما تقبل في الصباح للخدمة داخل القصر .. تقدم لها الطعام .. هذا ما أعرفه في مثل هذا الأمر .. فهي تأتي في الصباح لتنظيف القصر أو أماكن سهر أبي وضيوفه .. وتنظف المطبخ .. ثم تنصرف فهي لا تنام في

القصر .. فهي تعمل عند عائلة قريبة من البلدة ..
فقال سعيد : من قام على خدمتهم ليلة أمس إذن ؟!
فقال توفيق : لابد أنهم خدموا أنفسهم بأنفسهم أو أتى أحدهم بخادمه .. فكلهم عندهم خدم
ـ والآن ما العمل ؟
ـ سنبقى هنا حتى الصباح .. ثم نتابع البحث أو يظهر لنا فجأة .. وإذا أحببت أن تنصرف للبيت فافعل .. فاذهب يا سعيد ..وحاول بث الطمأنينة في نفس أمك وأختك .. ولنبق على اتصال .
بعد نظر وتدبر قال سعيد : لا بأس .. وأنا بعد ساعات سأكون هنا.
ـ اتصل من البيت ببعض الأصحاب ..وأخبرني بأي تطور .
صعد توفيق إلى الجناح المخصص له ولأسرته في القصر ، وألقى بنفسه على سريره ، وغادر سعيد المزرعة وهو في حيرة وخوف من اختفاء أبيه .

٥

قبل أن يستيقظ توفيق من نومه ، كان يطرق الباب عليه خاله جابر وابنه عصام وأمه أم توفيق، فلما فتح عينيه قال : أهلا خالي .. أهلا عصام .. مرحبا أمي .. صباح جميل .. أين سعيد ؟
قال الأم (فايزة) : تركته في البيت يتصل بأصحاب أبيك .

قال جابر : اتصلت بي أمك مبكرة تخبرني باختفاء السيد الوالد .. ما الحكاية يا توفيق؟
تنهد توفيق بعمق وقال : كما تعلم يا خال الأمور مضطربة منذ اكتشاف فساد زوج شقيقتنا فادية ، وطرده من الشركة من قبل شريك والدي منذ أسبوعين .. ولما طرد الملعون ، وقد ثبت عليه الاختلاس .. أخذ يهدد أبي ليعيده للشركة وإلا طلق المسكينة فادية .. ومن يومذاك ونحن في مشاكل وقيل وقال ..وأبلغه أبي أن عليه الصبر بعض الوقت لتهدأ العاصفة ، ويتناقش مع شريكه بهدوء وروية .. فالشريك غاضب على ناصر وعلى أبي .. بل اتهمه بالتواطؤ معه .. المهم أن الأمور تعقدت وتشعبت .. والسيد ناصر غير مهتم بظروف الوالد ، وغير مقتنع أن الوقت غير مناسب ..فهو يضغط وأبي يمهله ..وليلة أمس جاءت فادية بيتنا على رغبة زوجها الذي طلب منها البقاء عندنا حتى يعود للشركة .. وأخبرها بأنه ذاهب للمزرعة لمقابلة أبيها ليحسم الأمر إما العودة للعمل فورا أو ليحسم أمر الطلاق ..وأنا تحدثت مع أبي مساء أمس قبل مغادرته الشركة ، وسألته هل سيأتي البيت أم سيذهب للمزرعة ؟.. لأن بواب وحارس المزرعة هذه الأيام في زيارة للسعودية ..لأداء العمرة ..فوالدي يأتي للمبيت هنا، والسهر مع شلته الذين تعرفهم .. ريثما يعود

أبو يسري الحاج مروان ..فأخبرني أنه ذاهب إليها مباشرة ، وسيتناول غداءه فيها ، ويسهر مع رفاقه .. ولما انتصف الليل لم يتصل بنا هو، وكذلك زوج فادية هو الآخر لم يتصل ببيتنا ..اتصلنا نحن عدة مرات ولا أحد يجيب ؛ لنعرف ماذا دار بينه وبين ناصر .. اضطررنا لنتصل بمزرعة أبي خالد صديقه الأثير ، وله بالعادة السهر فيها .. أخبرنا أحد الحراس أنهم لم يأتوا إليها .. فجئنا إلى هنا ظانّين أنه نائم ؛ ولنزيل القلق الذي غمرنا .. فلم نجده في غرف القصر ، ووجدنا السيارة ومفاتيحها ، وكان باب القصر مفتوحا .. أين اختفى ؟! لا ندري .. وحتى ناصر لم نجد سيارته .. فرجع سعيد للبقاء مع أمنا وبقيت أنا هنا .. فهذه هي الحكاية يا خالي .

قال عصام وهو ينظر في الأرض: أفتشتم كل القصر .. الحمامات ؟

ـ فعلنا كل ذلك .. إلا المخازن تحت الأرض .. والآن سنذهب في جولة بين الأشجار والعرائش .. مالك تبكين يا أمي؟! سنجده .. هو ليس طفلا وقبل أن تبدأ عملية البحث بين الأشجار وعرائش العنب ارتفع صوت الهاتف ، وأسرع توفيق يخرج من الغرفة متجها إلى الهاتف القابع في ممر أمام الغرف ، وكان سعيد على الخط ، فأخبرهم أن أصحاب الوالد أعلموه أنه لم يكن هناك سهرة كالمعتاد بينهم .. فقبل أن يبدأ لعب الورق بينهم (الشدة) حضر ناصر ومعه رجل آخر .. وابتعدوا عنهم ، ودار بينهم حديث حاد ومتشنج ؛ لأنهم كانوا يسمعون طرفا من أقوالهم وصياحهم على بعض من خلال الباب الذي لم يغلق بل كان مواربا .. ثم شاهدوا ناصرا وصاحبه يخرجان وهما غاضبان .. وتبعهم الوالد خارجا من الغرفة وهو ينتفض أيضا غضبا .. فاعتذر لهم وتركهم وصعد إلى غرفته في الطابق الثاني .. وحاولوا تهدئة الوضع .. ولما رأوا أن الوالد في ضيق ، ولا يريد المناقشة والحديث ، ورأوا عجزهم عن فعل شيء ، قرروا الانسحاب بدون إعلامه ، وكان ذلك قرب العاشرة والنصف ليلا .. فانسلوا ولم يصعدوا للأعلى لإخبار الوالد .. وهم أبو خالد وأبو شادي وأبو جمعة .. وأخبروا ـ وهم مغادرون المزرعة ، ويغلقون الباب الحديدي الرئيسي والكبير لمعرفتهم بإجازة البواب ـ بأنهم شاهدوا سيارة كانت واقفة قرب البوابة .. ولما شاهدهم راكبو السيارة يخرجون أطفئوا أنوار السيارة ، ويقولون إنهم رأوا في السيارة رجلين وامرأة ، ويقولون ربما خرج الوالد معهم .. والسيارة يابانية من نوع (تويوتا كورولا) زرقاء اللون . وبالطبع توفيق لم يستطع معرفة من هم أصحاب هذه السيارة.. فأصدقاء الوالد كثر وعملاؤه أكثر فعلق على هذه

القصة قائلا : صعب معرفة من هؤلاء يا خالي هل رافقهم الوالد ؟كيف سنعرف هذا ؟!

وبينما هم يهمون مرة أخرى بالخروج للبحث بين الأشجار في أنحاء المزرعة ، جاءت الخادمة

سيرا .. التي تعمل بعض الساعات في الصباح لدى السيد حامد ، ودخلت مسرعة ظانة أن السيد في القصر لم يغادر بعد .. لرؤيتها السيارة واقفة على المدخل ، وبجوارها سيارة أخرى ، وربما تصنع له فطورا وشايا ، ولما رأت الموجودين حيتهم وفي عينيها استفهام ، ووقفت تنظر إليهم ، فقال توفيق : كيف حالك يا سيرا ؟ متى غادرت القصر أمس؟

ـ نحو الخامسة ..لأنني هذه الأيام أتأخر قليلا لغياب أبي يسري .. فأتأخر بضع ساعات .. وقبل مجيء الأستاذ حامد بوقت قصير أنصرف حيث أعمل عند آل زعتر .

ـ ألم تلتق بأبي مساء أمس ؟

ـ لأ ، يا سيد توفيق .

ـ حسنا يا سيرا .. ما دمت قد حضرت ، فإذا سمحت اعملي لنا إبريقا من الشاي وفطور .. فأنا من عشاء الليلة لم أضع في فمي شيء ..

فقال عصام : ألا نبدأ بالبحث ؟

فقالت سيرا وهي تستدير نحو المطبخ الرئيسي : تبحثون عن ماذا ؟!

فضحك توفيق وقال : نبحث عن أبي يا سيرا .

انصرفت سيرا للمطبخ وهي تتساءل هل يبحثون عن حامد حقا ؟

ولما وضعت الإبريق المملوء بالماء على نار الغاز قالت لنفسها : هناك شيء .. يبحثون عن حامد .. لم يكن معهم وسيارته أمام القصر .. هل هو ضائع ؟؟

ولما انتهى صنع الشاي ، كانت قد أعدت سفرة سريعة ، ونادت عليهم للأكل ، فلم يلبِ النداء إلا توفيق ..فجلس يأكل وحده وهو ساهم الذهن في سر غياب أبيه بهذه الطريقة الغريبة .. فلم يغب مرة إلا وهم على علم بمكان تغيبه سواء في الداخل أم الخارج .. ثم طلب من الخادمة أن تذهب بأكواب الشاي لأمه وخاله وابن خاله حيث يجلسون ، وكان الوجوم مخيما على وجوههم جمعيهم ؛ كأنهم يفقدون عزيزا .. كأنهم في جنازة ..فانقبض قلب توفيق لتذكر ذلك .

ولما عادت سيرا قالت لتوفيق : سأذهب الآن لتفقد الكلاب وإطعامها .

فقال : اذهبي ولا تتأخري عندها .

فقالت : أمرك يا سيدي .. ولكني لم أفهم ما تعنون ببحثكم عن سيدي الوالد ؟!

لخص لها الشاب القصة فقالت : عجيب ! ما رأيك أن أطلق الكلاب في المزرعة ؟

ـ فكرة !.. يتبع في الحلقة ٢

قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

حكم الملك دريد

قال الراوي جابر بن نادر : فمن القصص العجيبة والحكايات الغريبة التي سمعنا من الرواة والتي هي أغرب من خيال الشعار ، قصة الأمير نمير بن دريد واخوته الأبطال ، وما حدث لهم مع الأيام والزمان ، وتبدأ حكاياتنا هذه – أيها السادة الكرام – في السنوات الأخيرة من حياة الملك دريد ، عندما مرض الملك الجبار ذو السطوة والاقتدار دريد بن انهار ملك بلاد الغال والمال ، وعجز الأطباء والحكماء عن وصف الدواء ، فدخل عليه القادة والقضاة والعلماء والسادة الأكابر، وبعد أن دار الحديث والكلام تكلم كبير القضاة طالبا من ملك البلاد في ذاك الزمان دريد بن انهار بتعيين أحد أبنائه العشرة خليفة له عند وقوع المقدر ، حتى يبايعه الأكابر ، ولا تحدث فتنة وصراع بين الاخوة العشر على التاج ، فرحب الملك العتيد باقتراحهم ، وفرح لمصلحتهم على الدولة من الضياع والانهيار ، وطلب من وزيره فهد بن عاد باستدعاء أبنائه من قلاعهم ومدنهم العشر التي يحكمونها للنظر في ولاية العهد ، وبعد حين أقبل الأمراء من ولاياتهم وبصحبتهم وزرائهم ، والتفوا حول الملك العجوز دريد بن انهار، وأخبرهم أنه في صحة متداعية ، والموت قريب ولا مفر منه ، وأن لديه رغبة بتعيين أحدهم وريثا على تاج المملكة الواسعة الأطراف ، وطلب منهم الاتفاق على اختيار واحد منهم وليا له يستطيع حمل الأمانة وأعباء هذه المملكة الكبيرة التي تضم خمس عشرة مدينة ومئات الآلاف من العساكر والأجناد القوية ، فأمهلهم الملك ثلاثة أيام للتشاور واختيار أحدهم ، ولما مضت المدة حضروا بين يدي الملك ، ووجد أن ثلاثة منهم يطمعون بخلافته والسبعة الآخرين قنعوا بما بين أيديهم من حكم الولايات ، فوهبهم الملك حكم ولاياتهم للأبد حتى هلاكهم ، وأشهد على ذلك العلماء والحكماء والقادة ، وصرفهم إلى قلاعهم ومدنهم ، وأما الثلاثة الآخرون فمنحهم خمسة أيام للتشاور والتفاهم بينهم ، وأن يتنازل اثنان للآخر ؛ ولكنهم أصروا على خلافة الوالد دريد ، فصرفهم للتفكير مرة ثالثة ، وأمهلهم سبعة أيام كاملات ، وعادوا بعد تلك الأيام السبعة ، وكل واحد منهم يريد أن يكون الملك الأكبر ، ولم يتنازل بعضهم للآخر فجمع الملك الأعيان والأكابر في ديوان الحكم ، وأحضر بين يديه الأبناء الثلاثة ، وأمام ذلك الجمع

نطق بهذا الكلام : أيها القادة والأبطال ! وأيها الحكماء والأفاضل ! طلبتم مني تعيين خليفة لكم من بعدي .. فجمعت الأبناء العشرة ، وطلبت منهم اختيار واحد ؛ ليكون الوريث لهذا الملك الكبير ، فتنازل سبعة منهم عن هذا الأمر العظيم ، وأصر هؤلاء الثلاثة ـ وأشار لأبنائه ـ على عدم التنازل لواحد منهم ، فلذلك سأطلب من كل واحد منهم نفيلة .. مطلبا صعبا ، فمن حققه على الوجه المطلوب دون الآخرين ، فهو الأحق بهذا التاج وسأعطيهم مهلة أخرى قبل سماع مطالبي ، ومن طلبت منه الطلب وانسحب أمرت بقتله دون رحمة وهوادة .. انصرفوا وعودوا لهذا الاجتماع بعد ثلاثة أيام لنرى ونسمع ..

عاد القوم بعد المدة المطلوبة واجتمعوا في الديوان أمام الملك دريد ، وبينهم الاخوة الثلاثة وهم مصرون على عدم التنازل، ويطمع كل واحد منهم بالتاج الأكبر، فبعد أن سكنت الأصوات والخطرات قال الملك : يعجبني هذا العناد والإصرار على تاجنا العظيم .. أيها الناس ! سنكلف الأمير نميرا بالسفر لبلاد الصاد ، فقد علمنا أن عند مليكها أسدا مشهورا يرعب به الخلق ، فاحضر لقومك رأس أسد ذلك الملك الطاغية دون تأخير .. وأما ابننا سبع الغاب فعليك بالسفر لبلاد الزمام ، فعند حاميها ثعبان ضخم يرعب به العباد ، فاحضر رأسه دون تأخير أو إمهال .. وأما الأمير جرادي فقد نقل إلينا أن في بلاد الراق زعيما يسوم الناس سوء العذاب .. فلا بأس أن يرى هؤلاء الكرام رأسه أمامهم ، ولخلاص تلك الأسر والبلاد من ظلمه وسوء خلقه ..ومن عاد غانما وسابقا فهو الأحق بهذا التاج الذي فوق هامتي .. وسيكون ابني شميس حاكما من بعدي إن أدركني الموت حتى يعود الفائز منهم بما طلب منه فاذهبوا ونفذوا ما كلفتم به ، ولا أحب أن أرى وجوهكم إلا بعد تحقيق ما طلبت منكم .

خرج الاخوة الثلاثة من مجلس الملك إلى أحد البيوت للتشاور والتدبر ، فأرسل كل أمير إلى نائبه على ولاية المدينة التي يحكمها إرسال ألف فارس إلى مدينة السوق ، واتفق الاخوة أن يسيروا معا إلى المواقع الثلاثة بجنودهم لغزو تلك البلاد ، وإحضار ما طلب منهم والعودة سوية فوالدهم لم يشرط أن يذهب كل واحد منهم بمفرده إنما طلب تحقيق تلك الغايات والسابق هو الفائز ، ولما تجمعت الجنود في مدينة السوق ، تحرك الأمراء الثلاثة جميعا ، فساروا بداية إلى مدينة الصاد ، وبعد عشرة أيام دخلوا أطرافها ، فكتبوا لحاكمها رسالة يطلبون منه رأس الأسد الذي يخيف به الشعب أو يستعد لقتالهم ، فلم علم مضمون الخطاب غضب

ذلك الملك المشؤوم ، وأصدر الأمر لجنوده وقادته بالاستعداد والخروج للقتال وأسر الأمراء ؛ ليكونوا طعاما للأسد المخيف .. والتقى الجيشان خارج أسوار المدينة ، وهزمت جنود الملك وتشتتوا أمام فرسان الغال والمال مم دفع الملك للخروج بنفسه ؛ ولكن كانت جنوده تحارب بوهن ، وما احتدم القتال حتى رأيت ذلك الملك مصروعا ، وولت جنوده الأدبار في التلال والوديان ، ودخلت جنود الأمراء المدينة تفتك بالعساكر والناس حتى فزع أشراف المدينة للأمراء يطلبون الأمان والسلام ، وهم على استعداد لدفع المال وما يفرض عليهم ، فلما منح الناس الأمان عاد الهدوء للمدينة ، طلب الأمراء قاضي المدينة وسألوه عن قصة الأسد والملك المصروع ، فقال لهم : هذا الأسد أحد الأسود الكثيرة للملك الميت ، فإما أن يصطادها أو يشتريها ..وأما هذا الأسد الضخم فقد بنى له قصرا معلقا على أعمدة وجعل له بابا في سقفه يقذف منه الطعام والشراب والضحايا من بني الإنسان ، فكل من يحكم عليه بالموت يطرح لهذا الأسد المرعب حتى اشتهر أمره بين الناس ، وتوحش الحاكم وأكثر من الفتك بالناس ليشبع شهوته وشهوة السبع .. فهذه قصة الأسد !.. فطلب الأمير نمير أن يدلوه على قصر الأسد ، وانطلق هو الأمراء وعدد من جنودهم لمصارعة الأسد ، وهرع الناس لرؤية مصرع الأسد المرعب .. تسلق نمير السلم إلى سطح قصر الأسد ونظر المكان ، وسمع الناس زئير الأسد عندما أحس بهم ، فرج المكان من حدة زمجرته وصياحه مما أوجف القلوب ، فطلب الأمير من فرسانه أن يدلوه إلى قصر الأسد ، وبعد تردد منهم وأمام رغبة والده بقتل الأسد ، وأخذ الرأس أنزلوه رويدا رويدا ، فلما استقر على الأرض قفز عليه الأسد سريعا معتقدا أنه ضحية رميت له فانحرف الأمير ببراعته وقوته عن طريقه ، واستعد للقفزة التالية التي تلقاها بسيفه الفولاذي فخر الأسد جريحا ، فأتبعه بضربة قاصمة ، ثم حز رأسه ، وأصدر الأمر لجنوده بقتل كل وحوش الملك المصروع ، وهدم قصر الأسد ، وبعد أيام ودعوا أهل المدينة بعدما نصبوا عليها ملكا يدفع الجزية للملك دريد ، وساروا بجنودهم إلى بلاد الزمام لقتل الثعبان المرعب ، ولما حطوا رحالهم بقربها أرسلوا رسالة لأهل المدينة والملك يخبرونهم بسبب زيارتهم لبلادهم وحاجتهم ، فرفض الملك وأرسل جنوده لقتالهم فانهزموا شر هزيمة ، ثم استسلم لهم الملك ، وأذن لهم بقتل الثعبان ، فتقدم سبع الغاب إلى جحره وعرينه فألقى له حملا صغيرا شغله به ، ثم هجم عليه وقتله وقطع رأسه ، وأراح الناس من رعبه ، وشدوا الرحال إلى بلاد الملك الظالم في بلاد

الراق ، ولم علم الزعيم بالغاية من مجيء هؤلاء الناس إليه وغزوهم لبلاده استعد للحرب والدفاع عن نفسه ؛ ولكنه أمام فرسان مدربين غزاة انكمش في قصره بعد هزيمة جنده ، فعرض عليهم الأموال والذهب فأبوا إلا رأسه وقاموا بحصاره ، مما اضطره للخروج للقتال قتال المستميت حتى هلك وجزت رأسه ، وتحررت البلاد من ظلمه وطغيانه ، وعاد الأمراء إلى بلادهم غانمين ظافرين ، فوجدوا الملك ما زال على قيد الحياة فوضعوا الرؤوس الثلاثة أمامه ، فتعجب الناس من فعلهم واتفاقهم واجتماعهم ، ولم يتفقوا على التنازل عن العرش

لأحدهم ، فتسأل الناس والملك : ما الغاية من فعلكم هذا ؟!

فقال نمير: نحن اخوة ، أبونا واحد وأمنا واحدة ، ولا نريد أن نخسر أنفسنا فاتفقنا والاجتماع قوة .

وقال سبع الغاب : نحن اخوة أبناء أم وأب ، فكيف نضحي ببعضنا من أجل رأس أسد وثعبان وظالم ؟!

فقال جرادي : بما أننا اخوة ونحب بعضنا قلنا نقاتل معا .

صرفهم الملك دريد، وبعد أيام عقد لهم مجلسا آخر ، قد جمع فيه السادة والأعيان من الأمراء والفرسان تحدث فيه دريد بن انمار فقال:أيها الأمراء والوزراء! أمام رغبة أبنائي الثلاثة في خلافتي معا ، قررت بعد تفكير ونظر إما تقسيم مملكتنا هذه إلى ثلاثة ممالك ، كل ملك تخضع له مدن وولايات، أو أن يحكم كل واحد منهم سنة وهكذا، أو أن يسافروا في البلاد وتتويج ملكهم بديك الجزائر جزائر البحر ، فمن أتى بالديك دون الآخرين ، وعاد ظافرا ناجيا فهو وريثي ، فاختاروا ما ترونه مناسبا لكم .



فبعد تشاور رضي جرادي بحكم ثلث الملكة ، وأن يستقل في ولايته وحكمه إن قبل أخواه بذلك ، أما نمير فقال : أما أنا فسأذهب وأبحث عن ديك جزائر البحر ، وسيكون سفري بمفردي مع خادمي الأمين " رجب " .

وقال سبع الغاب : لو رضينا بالاقتراح الأول لكان خيرا لنا ! .. أما أمام رغبة نمير في جلب ديك جزائر البحر فسأخرج من طريق أخرى ابحث عنه .. فالبحر لا يحتاج لعساكر للمساعدة

فتكلم دريد : أنتم تتنافسون على ثلثي المملكة .. ولكن من أحضر هذا الديك المجهول ، فهو ملك هذه البلاد كلها مع الثلث الذي سيتولاه جرادي ،

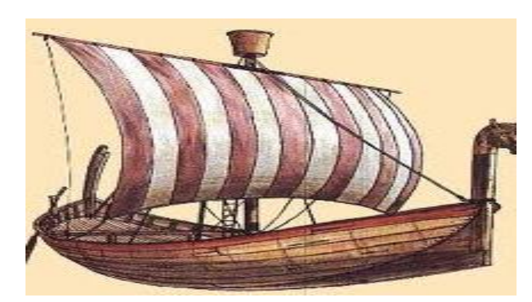
أو يسافر للبحث معكم .
فعندئذ خضع جرادي لرغبة الملك ، ورأى أن لا مفر من الرحيل ، فأخذت المواثيق والعهود من الأمراء والأكابر على أنه من أتى بالديك قبل أخويه أصبح الملك الأكبر لبلاد المال والغال ويحق لأبنائه وراثة الملك من بعده ، وبعد أيام انطلقوا لمدنهم التي يتولون حكمها ، وكل منهم يسأل عن ديك الجزائر جزائر البحر ما هو ؟ وأين هو ؟!

قال جابر بن نادر : وهكذا أيها السادة الكرام ! بدأت رحلة المتاعب للوصول إلى التاج الملكي بسبب عدم الرضا بالقليل ، فلما عاد الأمير نمير إلى ولايته التي يحكمها نيابة عن والده والتقى بزوجته الأميرة " ظبا "، وقص عليها حكايته منذ سفره إلى عاصمة الملك في تلك البلاد ، فنصحته بالتخلي عن التاج الكبير، وأن يقنع بحكم هذه المدينة كسائر اخوته السبعة ، فغضب منها واحتد ، وصفعها على وجهها بعد أن حقرها وذمها ، وقال لها غاضبا : أتريدين مني أن أظل هنا بين الخدم والجواري والطعام والشراب ؟ ألهذا خلق الرجال والفرسان وأبناء الملوك

فغادرته الأميرة غاضبة باكية ، فخرج لديوانه واجتمع بقادته وفرسانه ، وذكر لهم الأمر وما جرى بينه وبين والده واخوته والقضاة ، وسألهم عن جزائر البحر ، فاحضروا له سحرة المدينة وكهنتها ، وسألهم عن جزائر البحر وديكها ، فلم يحر أحد منهم جوابا ، وذكر له أحدهم أن ساحر الجبل قد يعرف المكان ، فطلب منه الأمير بإحضاره أو يسافر إليه بنفسه ويأتي بالخبر ، فسافر الساحر وعاد بعد حين ليخبر الأمير بأن جزائر البحر بلاد بعيدة ، وهي سبع جزر في البحر العظيم ، يحكمها سبعة ملوك جبابرة ، ويخضع هؤلاء الملوك الجبابرة لملك أعظم منهم ، فهو يملكهم ويحكمهم بمساعدة الديك العجيب الديك الساحر ، ولا يعلم سره إلا قليل من الخلق .. والطريق إلى جزائر البحر، هو السفر من مدينة غندور البحرية في رحلة طويلة قد تستغرق سنة أو سنوات .

فلما علم الأمير نمير الأخبار عين نائبا له ، وودع أمراءه وقادته ، ورجع إلى قصره فعلم أن امرأته هربت إلى أهلها وقومها ، فلم يكترث للأمر ، وأوصى قيم القصر على القصر ، ثم أخبره بأن يرسل خادما لوالد زوجته وزوجته ، ويخبرهما بسفره لبلاد جزائر البحر، وأوصاهم بأن زوجته إذا وضعت مولودا ذكرا أن تسميه "زعيط " ، وإن كان المولود أنثى فلتسمها ما تشاء، وجهز نفسه هو ورجب خادمه ، وركبا فرسين وسارا إلى مدينة غندور البحرية ، فبعد شهور من السير في الجبال والوديان والقيعان والمدن والقرى وصلا

إليها، وباعا جواديهما وثيابها الثمينة ، ولبسا ملابس العامة والبسطاء والفقراء ، وبحثا عن مركب مسافرة إلى جزائر البحر في تجارة من التجارات .



وبعد ضنك وتعب وجدا من قبل أن يحملهما على ظهر سفينته على أنهم من البحارة على أن يهربا لما يصلا إلى هناك ، ولما تجهزت القافلة البحرية للسفر إلى تلك الجزائر ، وكانت تتكون من عدة سفن ممتلئة بالبضائع والتجار ، وعلم نمير من البحارة والنوتية أنهم لا يسمح لهم بدخول تلك الجزر إنما يحطون رحالهم في مدينة قريبة من هناك يتبادلون البضائع مع تجار الجزر ويقفلون عائدين بعد رحلة تستغرق سنة مع تسهيلات ربانية من رب البحر والسموات والارضين السبع ، وعندما يصلون لمدينة " الكمن "، هناك عليهما أن يختفيا ويكمنا حتى تنصرف السفن ثم يدبرا أمر انتقالهما لتلك الجزر ، فأول جزيرة من تلك الجزر لا تبعد عن مدينة الكمن سوى ساعات في الماء ، حلت الحبال وانطلقت السفن التجارية تمخر عباب البحر العظيم إلى بلاد جزائر البحر ..كانوا أحيانا أثناء الرحلة ينزلون بعض الجزر في البحر ، أو بعض المدن البحرية يتزودن بالطعام والماء أو بيع بعض البضائع وشراء غيرها ، مرت الأيام والشهور والسفن تعوم على سطح البحر ، وقد واجهت الأمواج العاتية والعواصف الهائجة والرياح الشديدة ؛ ولكن عناية وحماية الخالق العظيم حفظتهم حتى نزلوا مدينة الكمن في الموعد المحدد ، سنة من السنين بخسائر طفيفة في الأرواح والأموال ، رست السفن وثبت بالأوتاد الكبيرة والحبال المتينة ، وأخذ الناس من التجار والبحارة بالهبوط إلى الساحل ، فوجدوها مدينة مزدحمة بالخلق من مختلف الأجناس والألوان واستمر الموسم شهورا حتى باع الناس ما أحضروه من البضائع الجميلة من الثياب والتوابل والخيول والأنعام والعطور والسيوف والرماح والمدى والقسي ، واشتروا من جواهر تلك البلاد وثيابها وأصوافها وسيوفها وحبوبها ، وبعد حين قررت قافلة الغندور العودة لبلادها بعدما شروا من الطيور والوحوش الغريبة الأشكال والألوان ، وطلب البحار الذي حمل معه نميرا ورجبا منهم الاستعداد للاختفاء حتى تختفي السفن في البحر بضعة أيام ، فيعملان أنهما تأخرا عن السفن بحجة ما ، وسينتظرون سفنا قادمة من بلاد الغندور، فلابد من قافلة قد خرجت من تلك المدينة

البحرية جهة مدينة الكمن ، وسافرت القافلة واختفى الرجلان بضعة أيام ، وكان نمير ورجب خلال الفترة التي قضاها التجار بالبيع والشراء يسألان ويتحريان عن جزائر البحر والملوك السبعة والملك الأكبر "جـنـفل " صاحب الديك الساحر ، وكانا يتحصلان على المعلومات ببساطة وسذاجة ، وقد عملا عند أحد التجار في مدينة الكمن على أمل مجيء سفن من مدينة الغندور ، وبينما هما على هذا الحال قدم أحد الأمراء من الجزر إلى المدينة يرغب بشراء عبيد وغلمان ، فطلبا من سيدهما التاجر أن يبيعهما للأمير، ويقبض ثمنهما فلعلهما يجدا أن الحياة أجمل وأحسن في تلك الجزر ، فوجد هذا الطلب قبولا واستحسانا لدى التاجر ، فقبله بسذاجة وجشع ، ونزل لسوق العبيد والجواري فباعهما للأمير على أنهما رقيق ، وقبض ثمنهما وانصرف غير مبال بهما .

فساقهم رجال الأمير مع من اشتروا من الرقيق ، وحملوهم إلى سفينة الأمير ، وفي الليل دخلوا بهم الجزيرة الأولى " جزيرة الضفدع " ، وهناك ألحق نمير في خدمة قصر الملك دوق بر ، وأما رجب فجاءت خدمته في إحدى قصور أميرات الجزيرة عمة الملك ، ورتبا أمرهما على التواصل أثناء الخدمة خارج القصر ، فيلتقيان في الأماكن العامة ، وقد تعجب رجب لصبر مولاه على هذه الأحوال والحياة حياة الخدم والعبيد ، وأن يعمل خادما عند الأمراء والتجار للوصول إلى ملك الجزائر الأعظم " جنـفل "، وهو الأمير الفارس ذو الخدم والحشم ..مع الأيام أصبح نمير من الخدم المقربين من الملك لذكائه وخفته وحركته والغاية التي يسعى اليها فصار يأخذه الملك معه في الحل والترحال .

وقد أتى يوم أن طلب الملك الكبير من الملك دوق بر أن يزوره .. ففرح نمير لهذه الزيارة ، وكان من الخدم المحظوظين فسمح له الملك بالرحيل معه ، ولما تجهزت سفينة الملك دوق بر انتقل إليها الملك ومعه بعض رجال الحاشية والخدم ، وبعد عشرة أيام في البحر وصلوا للجزيرة الكبرى جزيرة تخت الملك للملك جنـفل ملك ملوك هذه الجزائر كلها ، السيد الأكبر لجزائر البحر، وكان كبار الأمراء والوزراء في استقبال الملك ، وساقوه إلى قصر استقبال الضيوف ، وفي الصباح التالي انطلق الوفد وخدمهم لمقابلة الملك الأعظم صاحب الديك الساحر ، وبعد المعانقة بين الملكين والترحيب وحسن الاستقبال تحدث الملك جنـفل أمام الملك دوق بر وحاشيته من أمراء وخدم قائلا : لقد قبضنا على شاب قدم من بلاد يقال لها المال والغال طامعا في الحصول على الديك الساحر..!!

ظهر الخوف على وجوه السامعين وتابع الملك

جنـفل الكلام : وهو ـ أيها الملك ـ ابن ملك عظيم في البر سمعنا بعض أخباره يدعى دريد بن انهار ..واعترف الشاب بسبب إتيانه لهذه الجزائر،وأنه هو وأخواه يتنافسون على تاج تلك المملكة، فقد طلب منهم والدهم جلب ديكنا الساحر ، ومن أتى به قبل الآخرين فهو وريث ذلك الملك الكبير يا دوق بر ، فهو ملك عظيم مثلنا تماما ، وقد تمكنا من القبض على أحدهم ، ويبقى اثنان ، ولابد أنهم دخلوا الجزائر ساعين لتحقيق شهوة والدهم بسلب ديكنا العظيم حامي هذه الجزائر ، فشددوا الحراسة وعليكم باليقظة من جهتكم وانتبهوا للغادي والرائح ، وقد أوصيت الملوك الآخرين بالانتباه لصيد هؤلاء المتلصصين .. وأرى أن الأمر خطير والحذر مطلوب .

فأيد الجميع كلام الملك ووجوب الحيطة والحذر ، ثم قال الملك دوق بر : وما فعلتم مولاي الأعظم بالأسير ابن ذلك الملك ؟

فقال جنـفل بعظمة وكبر : فقد قذفناه في سجن المدينة ريثما نقبض على أخويه ، فإما أن يكونا قد دخلا الجزيرة واستقرا فيها أو هم في الطريق إليها ، ولسوف يغامران للوصول إلى هذه الجزيرة للحصول على ديكنا الأكبر الأفخم وعندما نقبض عليهما نفكر بأمرهما ، أو يشير علينا ديكنا الأكبر الأفخم في شأنهما سنرسل جاسوسا لبلاد المال والغال ، ونرى ما الذي سيفعله ذاك الملك القوي عند ضياع أولاده وهلاكهم ؟! فهو كما قيل لنا يحكم خمس عشرة مملكة نحن لا نريد حروبا مع أهل البر رغم بعد بلادهم عنا .. ومن أسيرنا سنتعرف على أخويه .

الأمراء الثلاثة في الجزر

وبعد أيام عاد دوق بر لجزيرة الضفدع ، وهو مشغول الفكر في أبناء الملك دريد بن انهار وهذه المخاطرة الكبيرة ،وما الذي دفعه لإرسال أبنائه لهذه الجزر؟! .. لابد أنه مجنون يريد الموت لهم وقرر أن يرسل جاسوسا من طرفه لتلك البلاد يأتيه بأخبار الملك دريد وأبناء الملك دريد ، وبعد نظر وتدبر طويل أسر لخادمه سحنون بالرحيل لتلك البلاد، وكان ذلك بإيحاء من سحنون نفسه موهما إياه أنه يعلم لسان أهل البر لعيشه معهم قبل أن يأخذه صيادوا الرقيق عبدا ويبيعونه في الكمن ، وسحنون هذا هو نمير بن دريد ، ثم ودع نمير رجبا وسار لمدينة الكمن مع إحدى السفن ، ومنها مع أول قافلة بحرية مسافرة لمدينة الغندور ، لقد استأجر مكانا في إحدى السفن وبعد عام وصل الأمير لمدينة الغندور ، ومنها سافر لبلاده وزار قصره وأمراءه خفية لتنكره ، وتأكد من رحيل أخويه لتلك الجزر ، وقد علم بسقوط أحدهم في أسر الملك جنـفل كما تحدث الملك جنفل بذلك

أمام الملك دوق بر ، وأما الآخر فلا أخبار عنه ، وقد علم أن والده قد هلك وناب عنه شميس أخوهم الأكبر حتى يعود أحدهم بالمطلوب، وعلم أيضا أن زوجته قد أنجبت أثناء غيابه ولدا وما زالت في قصر أبيها ، وطلب من الأمراء والاعوان إخفاء أمر زيارته لخطورة الأمر، وبعد أشهر من الزمان قضاها متنكرا في بلاده سافر لمدينة الغندور، ومنها إلى مدينة الكمن ، وبعد سنة وشهور كادوا يهلكون فيها في البحر وصلوا إليها، وذهب لوالي المدينة فنقله بقارب خاص إلى الملك دوق بر ، فلما استراح من سفره دخل على الملك وقص عليه أخبار الملك دريد وقصته مع أبنائه الثلاثة وسبب مجيئهم لهذه الجزائر، فقص عليه قصة قتل الأسد والثعبان والملك الظالم ، ومن ثم طلبه لديك جزائر البحر ، وأنهم خرجوا من سنوات لجلب الديك الساحر ، ولم يعودوا لبلادهم ، بل انقطعت أخبارهم عن أهليهم ، وأخبره بموت الملك دريد ، ويقوم بولاية الملك الابن الأكبر لدريد الأمير شميس حتى يرجع أحد الأبناء الثلاثة بالديك .. ففرح الملك لهذه الأخبار وهذه الحكاية ، ونقلها لملك جزائر البحر برسالة طويلة ، وعلى أثر قرائتها طلب الملك الأكبر مقابلة الجاسوس سحنون ، فبعثه الملك دوق بر لمقابلة ملك الجزائر السبع ، فدخل على الملك جنفل ، وروى له قصة الملك دريد وأبنائه المتنافسين على العرش الأكبر لتلك المملكة الكبيرة في البر، فاستمع ملك الجزائر لرحلة سحنون بطرب ، وأعجب بذكائه ونشاطه ، فطلب من ملك جزيرة الضفدع أن يتخلى عنه ويهديه إياه ويلحقه بخدمه ، ففرح سحنون بذلك وانتقل للحياة مع خدم الملك الأكبر ، وأعجب شيء اكتشفه الأمير نمير في قصر الملك الكبير أن أخاه جرادي يعمل في قصر الملكة في حدائقها الخاصة مع كبير البستانيين، فقد شاهده في إحدى سهرات الملك والملكة في الحدائق الفاتنة ، ولا يدري عندما شاهده هل عرفه جرادي كما هو عرفه أم لا ؟! ومما عجب له أكثر فأكثر أن اكتشف أن أخاه الآخر سبع الغاب يخدم مع طهاة القصر ، فتسأل سحنون " من هو المسجون من اخوته في سجن الجزيرة كما تحدث الملك الكبير للملك دوق بر من سنوات مضت ؟! " هذا كله أثار العجب في نفسه ، وتيقن أن اخوته جادون مثله للوصول لديك الملك ورغب وتمنى أن يعرف كيف وصلوا إلى هنا قبله ؟ وتمنى الجلوس معهم ، ولكن الأمر صعب وشاق وخطر .

وتبين للأمير نمير أن الملك يضع ديكه الساحر في قصر خاص لا يدخله أحد سواه وسوى المسؤول عن طعام الديك الذي لا يخرج من القصر بل ينام ويأكل فيه ، فيحضر له أعوانه طعامه وطعام

الديك ، فيقوم بواجبه تحت حراسة ألف جندي يحيطون بالقصر لا يسمحون لأحد بدخول قصر الديك إلا لصاحب الطعام وحده .

لا يسمح لأحد بالدخول على الديك من الملكات والملوك والأمراء والأبناء إلا من أذن له الملك وبصحبته أيضا ، فيدخل فيرى الديك على كرسي من الذهب الإبريز ، فتيقن لنمير أن الوصول للديك أمر صعب إن لم يكن محالا .. وأمر يحتاج لسنوات وسنوات ، فتعجب عن معرفة أبيه لهذا الديك لصعوبة هذا الأمر وتحديهم به ؛ ولكنه صمم أن لن يضعف ، ولسوف يحتال حتى يرى هذا الديك المقدس والمحروس بكل هذه الشدة والحذر والجند ، أما كيف فهذا تركه للأيام والزمان ؟!

علم سحنون أن ساحر البحر قادم لزيارة ملك جزائر البحر ، فخرج الملك الأكبر بنفسه

لاستقبال الساحر مع كبار الحاشية والسحرة ، وكان سحنون ضمن الخدم الذي ساروا مع جنـفل ، فقد أصبح خادم الملك الأول ، فهو المشرف على طعامه وشرابه ومقابلاته ، وصل لذلك لصغر سنه وذكائه وسرعته وفهمه على الملك حتى ملك عليه حواسه ولمسيره إلى بلاد الملك دريد ونقل احوالها وأخبارها ، قبل الملك جنـفل قدمي الساحر ورحب به ، وكان بين يديه ذليلا مما أدخل الاستغراب في قلب نمير، فهو أمام ملوك الجزر الأخرى كالأسد المتوحش والطاووس المزهو بألوانه وريشه ، وها هو أمام الساحر كالكلب الذليل ، صورتان مثيرتان للدهشة والسؤال ، سار الملك وحاشيته بين يدي الساحر حتى وصل لقصر خاص أعد له أو قصر مخصوص له ، فلما وصلوا القصر دخل ساحر البحر الرهيب المنظر إلى القصر ، وانصرف الملك الأكبر إلى ديوانه ؛ ليطلع على أخبار المملكة وأسرارها حتى الليل ، وعندئذ ذهب بحاشية من الأمراء وخدمهم إلى زيارة قصر الساحر ومسامرته ، فاستقبلهم الساحر ساحر البحر ، وبعد انتهاء المسامرة قال الملك : أيها الساحر الجليل !.. لقد أرسلت وراء ملوك الجزائر السبعة ليتشرفوا برؤيتك وسماع نصائحك الكريمة .

فتنحنح الساحر وقال : حسنا فعلت.. واعلم أيها الملك أني راغب في زيارة الديك يا ملك جزائر البحر .. فلي مدة طويلة لم احظ برؤيته .. شغلني المرض عنه .

فقال الملك : متى تشاء أيها الساحر الكبير ؟! .. أيناسبكم صباح الغد ؟

فطمع نمير خادم الملك بأن يحظى بمثل هذه الرؤية والمقابلة ، فما صدق أن انبلج الفجر ، وخرج الساحر الكبير من قصره بصحبة الملك لمقابلة

الديك الساحر الذي كان صوته يملأ المكان مظهرا الفرح في ذلك الصباح بصياحه العالي؛ كأنه يرحب بالساحر الكبير .. وتقدم الملك إلى قصر الديك بين يدي الساحر ، ولقد كان صاحب الطعام في انتظارهما ، ولم يؤذن لأحد بالدخول معهما ، وتقدمهما صاحب الطعام بلباسه المميز ، وهو يحمل بين يديه طعاما من أجود أنواع الحبوب والحب للديك على صينية من ذهب ملون ، ولما اقتربوا من الديك المنتصب فوق كرسي من الذهب ، قبله الملك جنـفل بعد أن لزم الديك الصمت ، وفعل مثله الساحر ، وقلدهما صاحب الطعام ، ثم وضع المائدة المصنوعة من الجواهر النادرة وعليها وعاء الحب والماء وابتعد إلى طرف المكان ، وتكلم الساحر مع الديك بحضرة الملك ، ومكثا زمنا عنده ثم خرجا ، وبعد قليل لحق بهما صاحب الطعام ، وهو مستغرب من غضب الديك بعد مقابلته لساحر البحر في هذا الصباح المشرق الجميل ، وسمع سحنون الساحر وهو يقول للملك : الديك يقول إن في مملكة السلطان أعداء يسعون لهلاكه ! ويقول إنكم مسكتم أحدهم وما زلتم تبحثون عن الآخرين .. ما الأمر يا ملك الجزائر العظام ؟!

فقص الملك جنـفل على مسامع الساحر قصة الملك دريد وأبنائه الثلاثة ، وبين له كيف قبضوا على أحدهم ، وله سنوات يقبع في سجن الجزيرة ، وكيف نصبوا كمائن للأخوين الآخرين ؟! بل أرسلوا جاسوسا إلى بلاد المال والغال ، ولما تحدث الملك عن سحنون خادم دوق بر سابقا ، نظر ساحر البحر إلى الخادم سحنون بعمق وإعجاب ، مما أثار القلق في نفس سحنون ، ثم رآه يبتسم له ويبارك شجاعته ، ثم طلب من الملك أن يجعله في خدمته ؛ ليسمع الحكاية منه ويسمع أخبار تلك البلاد البعيدة في البر ، فأصدر الملك الأمر لخادمه سحنون بخدمة الساحر بكل جد وعزم ، فأظهر سحنون امتنانه لرضا ساحر البحر عنه ، وتقدم وقبل يد الساحر وهو يتظاهر بالخوف والوجل والرهبة ، فربت الساحر على ظهره ، وأخذه معه إلى قصره ، وهناك روى نمير قصة سفره لبلاد المال والغال ، وكيف عرف قصة الملك دريد وأبنائه العشرة ؟ وذلك عندما كلفه سيده دوق بر بالسفر لتلك البلاد ومعرفة قصة أبناء الملك وسبب مجيئهم للجزيرة ، وكيف وقع أحدهم في قبضة الملك جنـفل ؟ واختفى أثر أخويه الآخرين ، ولهم أكثر من خمس سنوات ولم يجدوا لهم خبرا ولا أثرا ، فلما انتهى سحنون من القص قال ساحر البحر : أنت خادم نشيط وذكي ومخلص يا بني ! .. لابد من رؤية هذا السجين يا سحنون ونسمع منه ونعرف مصير اخوته .. فكما قلت له خمس سنوات

في السجن ، ولم يقبض على أخويه بعد ، ولا ندري هل وصلا الجزائر مثله أم لا ؟!.. فاذهب لمولاك الملك

واذكر له رغبتي في رؤية السجين والكلام معه .. أسرع يا ولدي وأخبره بهذه الرغبة .

أسرع سحنون وأخبر الملك برغبة الساحر الذي أمر بدوره قائد الحرس بجلب السجين فورا ولما مثل السجين أمام الساحر ؛ فإذا هو رجل هزيل أصفر الوجه كالأموات فسأله الساحر عن أمره ، فقال بضعف : إنه ابن دريد الملك لبلاد المال والغال وقص قصة مجيئه لهذه البلاد كما رواها سحنون ، وبين له أنه جرادي وأن اسم أخويه سبع الغاب ونمير ، وذكر أنه ترك ملكه طمعا في تاج المملكة الكبير ، وأتى إلى هذه البلاد كتاجر ، ثم تسلل بقارب إلى هذه الجزيرة على أمل الوصول للديك الساحر ، وأخذه قبل أخويه ؛ ليفوز بالملك ملك الملك دريد الذي يحكم جزائر البر ، وأثناء إقامته بالجزيرة تعرف على بستاني يعمل في الحدائق والبساتين ، فقص عليه قصته على أمل مساعدته ، فوشى به هذا الرجل للملك الكبير فرموه بالسجن ، وطلب من الساحر وترجاه أن يعفو عنه ، وأن يعيده لمملكته ، ووعده بأنه لن يعود للجزيرة ثانية ، وأنه نادم على أعماله ، وقال : هذه قصتي أيها الساحر الكبير ! فأطلب منك العفو ، وأعدك أنني لن أعود لهذه البلاد ثانية ، وإذا لقيت أخواي نميرا وسبع الغاب سأثنيهما عن المغامرة إلى هنا .. ولا أعتقد يا ساحر البحر بمجيئهما هذه الجزر بعد كل هذه السنوات ، والأمر غير ميسور لتحقيق المطلب الغريب لأبي الملك دريد الذي أظنه قد فارق الحياة ، فلما خرجنا متفرقين كان على وشك الموت فكان مطلبه أيها الساحر ؛ كأنه يريد التخلص منا عندما أرسلنا إلى هنا ، لا أن يهبنا التاج ..

فقال الساحر بعظمة وكبر: نعم قد هلك أبوك دريد بعد خروجكم من بلادكم بشهور! وتولى الحكم الابن الأكبر شميس على أمل نجاحكم فيما ورطكم فيه أبوكم .. ستبقى في السجن حتى نعرف مصير أخويك ، ثم نفكر بأمركم .

وأمر الساحر بعودة السجين للسجن ، وقد سر من سحنون ، فقد تأكد لديه أنه خادم نشيط ، ويعتمد عليه في المخابرات والمراسلات ، ولما خرجوا بالسجين من قدام الساحر الأكبر ، قال الساحر : ولكن الديك خائف ! وأخبرني أن أعداءه ما زالوا في الجزائر أحياء يرزقون ! فنحن بحيرة من أمرنا ، فالبحث عنهم ليس هينا في كل هذه الجزائر مع مرور هذه السنين ، فآلاف الغرباء يدخلون البلاد من تجار وصيادين وبحارة ومغامرين ..وهذا الرجل ما وقع لولا الوشاية والوصول للديك أمر عسير ، فحوله ألف رجل

يحرسونه لا ينامون ليل نهار ؛ ولكن عقول الإنس مرعبة فلا يعدمون حيلة فيصلون إليه ..ومن كلام سحنون وكلام هذا الأسير يريدونه حيا ، وهذا ما يضعف مهمتهم ؛ ولكن قد يقتلونه ويأخذونه جثة .. أنا أحس بقلق غامض في كياني المريض .. لا أدري يا سحنون ما مصدره ! وما أدري الذي يدفعني لمصارحتك بهمسات داخلي أيها الخادم .. ؛ ولكني لمست فيك الفطنة وحسن الخدمة والعمل في طاعة مخدومك .. لقد فارقت الجزيرة بمهمة طويلة كان بإمكانك الهرب والبقاء في ذلك البر .. فتشجعت وتكلمت أمامك بخوفي وقلقي .

فأخذ سحنون يقبل قدمي الساحر على هذه الثقة التي اولاه اياها ساحر الجزائر السبع ، وقد بكى بين يديه متظاهرا من جديد بالإخلاص والامتنان لثقة ساحر البحر به ، مما أدخل بعض الطمأنينة على قلب الساحر ، فإن الوصول للديك بالأذى والشر ليس أمرا ميسورا أمام هذا الكم الهائل من الحرس والاحتياطات ومن نشر العيون والإخباريين بين الناس وأماكن تواجد الغرباء ، فأثنى الساحر على الخادم سحنون وصرفه ؛ ليفكر في شكوى الديك والخاطر الداهم

استقبل الساحر ملوك الجزائر الوافدين لرؤيته ونيل بركاته ، ومكث في الجزيرة الكبرى بضعة شهور ، وهو السيد المطاع والآمر الناهي ، ثم ودع الديك وطمأنه وأنه في مأمن وحوله ألف حارس في نوبة حراسة دائمة ، وهم من فرسان الملك المعتبرين ، وقبل أن يغادر ساحر البحر الجزيرة الكبرى عائدا إلى الجبل الذي يسكن فيه في أعلى جبل الجزر عرض على سحنون أن يعلمه السحر ، ويجعله من تلاميذه لم لمسه فيه من ذكاء وفطنة ، وأظهر سحنون السعادة والفرح للفكرة ، وترك أمره لسيده الملك جنـفل الذي تخلى عنه سريعا لرغبة مولاه ساحر البحر ، فوهبه خادما وتلميذا له ، وانتقل سحنون مع الساحر إلى مسكنه في الجبل جبل سمعان ، وقبل وصوله لكهف الساحر خرج رجال يلبسون الملابس السوداء ، ولا ترى إلا عيونهم لاستقبال الساحر الكبير ، ولما التقوا ارتموا عليه يلتمسون بركاته ورضاه ودعائه ، وبعضهم يقبل يديه ورجليه فالتفت الساحر لخادمه الجديد فقال : هؤلاء تلاميذي ، فمنهم من له عندي منذ خمسين سنة ، ومنهم من له ثلاثون سنة ، ومنهم عشر .

الكهف كهف السحرة ، بيوت منحوتة في الصخر ، وفي صفحة الجبل حجرات صغيرة وكبيرة سار الساحر وخلفه الاتباع والتلاميذ على سلم منحوت من الصخور حتى دخلوا الكهف المفروش بالسجاد والحرير ، ومعلق في جوانبه على أعمدة صغيرة من الرخام الفوانيس الصغيرة

والكبيرة ، وهناك طاقات أو حفر منحوتة في الجدران للمشاعل والشموع ، قل قصر داخل الكهف ، فلما دخل الساحر حجرته في تلك المغارة الكبيرة الواسعة أخذ التلاميذ سحنونا الخادم الجديد للساحر، فادخلوه إلى مكان الاستحمام ، فحمموه وجملوه وألبسوه ثوبا فضفاضا أخضر وعرفوه على المكان حيث غرف الطعام والمنام ، وذكروا له آداب التعامل مع الساحر ومعهم وواجباته والغاية من جلبه إلى كهف السحرة ، وما قضى نمير عاما بصحبتهم حتى أصبح موضع سر ساحر البحر ، واندفع يلتقط علومهم بقوة وثقة حتى شعر أن التلاميذ الآخرين يحسدونه على تقدمه عليهم بهذه السرعة الغريبة ، وعلى حظوته لدى الساحر ، وفي كل يوم يكتشف نمير سرا من أسرارهم ، ويتضح له أمرا غامضا خفيا من أمورهم ، مضى عام آخر وسحنون يتقدم حظوة عند الساحر ، ويخدمه بإخلاص وتفان ؛ كأنه نسي ملكه والغاية من وجوده في هذه الجزائر ، وكان طامحا بكشف سر الديك الغريب وسبب تعظيم الساحر والملوك له ، ولاحظ سحنون أن للساحر حجرة داخل الحجرة لا يسمح لأحد مهما كان مقربا أن يدخلها ، فقد حاول سحنون كشف سرها بذكاء وبدون أن يشعر به أحد ، فلم يتمكن من ذلك فغض الطرف عن هذه الرغبة وترك ذلك للأيام ، وذات ليلة استيقظ في آخر الليل فزعا ، فقد سمع ضجة في المغارة الكبيرة ، فترك حجرته فإذا التلاميذ يخرجون من جحورهم ، ويتجمعون أمام حجرة الساحر ، وأشعلت المشاعل في الكهف ، فهرع مثلهم إلى غرفة الساحر الذي كان يجلس في غرفته وعيناه محمرتان ، والزبد يخرج من شدقيه ، والغضب مرسوم بوجهه ، وبين يديه رجل من رجال الملك جنـفل ، فلما اكتمل التلاميذ ، ولم ينبس أحد منهم بهمسة ، فهم ينتظرون نطق الساحر بكلام ، فنهض قائما ووقف أمام باب الحجرة ، فقال بغضب حاد واضح في نبرات صوته: أيها التلاميذ الأعزاء !.. أيها السحرة في هذه الجزائر! .. جاءتني الليلة رسالة من ملك ملوك الجزائر السبعة الملك جنـفل ..

وسكت حتى التقط أنفاسه ثم قال : أيها السحرة !.. هناك رجال يتآمرون علينا في هذه الجزيرة فديك الجزيرة .. تعرض للقتل أيها السحرة !.. لقد دسوا له السم . فردد الكهف صدى أصوات السحرة : السم .. السم .. !!

فعاد الساحر يصرخ : نعم السم ! .. وضعوا له سما ؛ ولكنه لم يمت ؛ ولكنه مريض .. وهو بحاجة لعلاج .. فسيذهب جماعة منكم لمداواته .. وإن عجزتم فابعثوا لنا .. فاختاروا سبعة مهرة من بينكم للقيام بهذه المهمة العظيمة .

وذهب سبعة منهم مع رسول الملك جنـفل لعلاج الديك الساحر المسموم ، فبعدما عاد السحرة لحجراتهم يدعون بشفاء الديك ، جلس سحنون الخادم بين يدي الساحر والحزن والتأثر على وجهه ثم قال برقة ودموع : مولاي الساحر ! .. كيف اجترؤا للوصول لديكنا العظيم ؟!

فتنحنح الساحر بضع مرات وسعل عدة مرات ثم قال : اعلم يا ولدي ! أن أحد طهاة الملك شارك في العملة المشؤومة ..علمت أن صاحب الطعام المختص بالديك الساحر مرض مرضا شديدا اسكنه الفراش ، فاختاروا طاهيا آخر من طهاة الملك للقيام بالواجب حتى يتعافى خادمه من مرضه .. فقام هذا الطاهي المجرم اللعين بعد حين بوضع السم للديك .. الذي اكتشف الأمر بعد أن أكل نصف الطعام، فشعر بطعم غريب في جوفه ، فصرخ صراخا مرعبا ، ففزع الحرس وأتى الملك .. فقبضوا على الطاهي المجرم فإذا هو ابن الملك دريد الذي حدثتني عنه آنفا .. فقد أتى ذاك المجرم الجزائر متنكرا منذ سنوات حتى استطاع أن يعمل طاهيا في قصر الملك .. فله أكثر من سبع سنوات يدبر لهذه المكيدة حتى أتته الفرصة .. ألم أقل لك أن بني آدم لا يعجزون عن حيلة لتحقيق غاياتهم ؟ .. سبع سنوات وهو مجرد طباخ ، إنه ماكر ! .. لقد بقي عدو واحد من الثلاثة ولسوف يقع !.. والويل لهذا الأمير إن هلك هذا الديك ! .. فالديك يا سحنون هو الملك الحقيقي لهذه الجزائر كلها .. هذا سر أول مرة انطق به فاحذر أن تفوه به لأحد أعرف أن الدهشة قد أصابتك لما تسمع .. الأسرار كثيرة يا ولدي في هذه الجزائر .. نعم الديك هو الملك الحقيقي للجزيرة يا سحنون الأمين !.. وسأفصل لك هذا السر يوما ما .. فاصبر وكن كعهدي بك .. بعد أيام سأرسلك للجزيرة لتنظر في الأمر العظيم ، وتقابل الملك وتسمع منه ، وتقابل الديك .. وذلك بعدما يعود السحرة من علاج الديك ، فأنا سني لم تعد تساعدني على الحركة .

وظل سحنون بين يدي الساحر حتى الفجر ثم عاد لحجرته ، وهو يفكر بما أصاب أخاه سبع الغاب بعدما حاول اغتيال الديك الساحر ، وأخشى ما يخشاه أن يقتلوه قبل أن يساعده في النجاة .. بعد شهر رجع السحرة وابلغوا الساحر أنهم عالجوا الديك ، وبدأ يستعيد ويسترد عافيته ، وهو يدعو لك ويتمنى رؤياك في أقرب وقت ، ففرح الساحر لسماع هذا الكلام ، وأرسل خادمه الخاص سحنون إلى الجزيرة الكبرى لمقابلة الملك والديك وسبع الغاب بن دريد فرحب الملك بخادمه السابق وسر للحظوة التي وصل إليها عند ساحر البحر واسمعه قصة الجريمة .. وذهبا سوية إلى

زيارة الديك ، وكانت هذه أول مرة يرى فيها سحنون الديك فوجده متأثرا من السم ، فيه هزل وصوته مهزوز ، فقبله وتمنى له العافية ، ونقل إليه تحيات الساحر وسلامه وتهنئته له بالعافية والنجاة من الموت ، واجتمع سحنون بصاحب الطعام المريض ، وعرف أنه تعرض للسم هو الآخر، وأن الطاهي " شبرة " أسقاه سائلا منهكا للقوى ومسببا للغيبوبة حتى يصل للديك ، ووصل فعلا ودس له السم ، وقد نجا الديك من موت محقق ، ولولا القدرة الإلهية لهلك ، ، وذهب سحنون لسبع الغاب ، فسأله بعدما دار بينهما الحديث لماذا أردت قتله وأنت تريده حيا ؟!.

فتبسم سبع الغاب وقد عرف أخاه وقال : طال الانتظار ومللت ! ولم أعد اصبر فقررت التخلص منه حتى لا يكسب أحدنا الرهان والتاج..ففكرت في تخديره وسرقته؛ ولكن كان ذلك مستحيلا ، وكيف الخروج به من هذه الجزائر البعيدة عن بلادنا ؟ .. وهل أنت مرتاح عند ساحر البحر ؟!

فرد سحنون بحلم قائلا : سوف أصل للديك يوما ما ، وإن مكثت ألف عام .. إلى اللقاء .. سأفعل ما بوسعي حتى لا يقتلوك ، ولسوف أزورك ثانية لأعرف كيف وصلت إلى هنا أيها الصعلوك ؟! إلى اللقاء ، وربما ساعدتك في الهرب من هذه الجزائر .

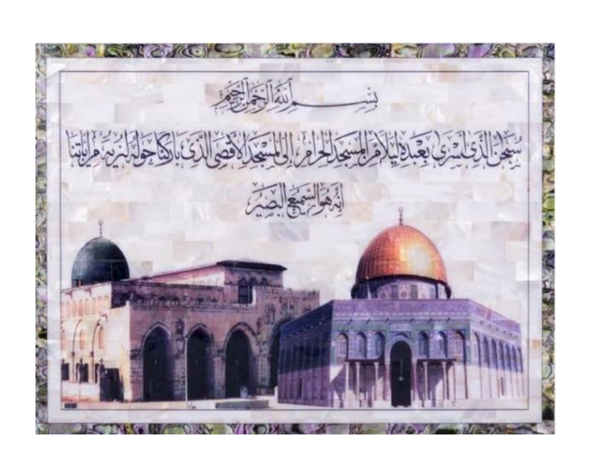
عاد سحنون لكهف ساحر البحر وطمأنه على الديك ، وعلى صاحب الطعام وقص عليه تفاصيل المؤامرة ، وقد طلب من الملك زيادة الحيطة والحذر من الأشخاص الذين يتعاملون مع الديك ، وعرض الطعام وتقديمه على عدد من الطيور قبل أن يقدم للديك .

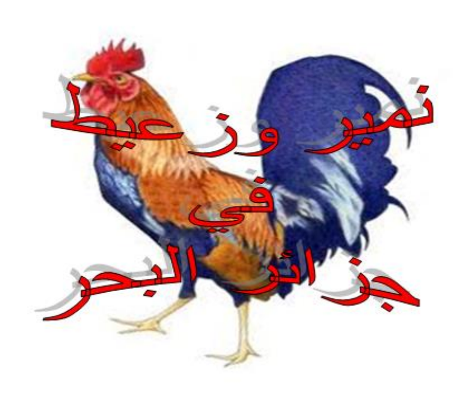
ولم تمض شهور يسيرة على هذه الحادثة حتى عصفت على الجزيرة عاصفة كبرى ، اهتزت لها كل أطراف جزائر البحر ، فهم منذ عقود طويلة لم يروا مثلها فقد حوصرت الجزيرة الكبرى من قبل جيش ضخم من الغزاة بزعامة القائد " نمرال " من زعماء قبائل البرابرة وبمساعدة ملكين من ملوك الجزائر السبعة ، فقد زحف الغزاة والمتآمرون إلى الجزيرة الكبرى ، وهاجموها من كل الجهات ، وأشعلوا فيها النيران ، وفتكوا بالناس على حين غرة ، وزحفوا إلى قصر الملك جنفل وأسروه ، وفتكوا بحراس الديك ، واقتحموا قصره ؛ ولكنهم لم يجدوه ، فقد طار واختفى عن ظهر القصر ، ووقعت مذبحة رهيبة في الجزيرة الكبرى دامت بضعة أيام قبل أن يعود الغزاة للبحر بأسراهم من السادات والأمراء والقادة ، ولما وصلت هذه الأخبار لساحر البحر صعق لهول ما يسمع ، واجتمع بأعوانه وتلاميذه ، ونقل إليهم قصة الفاجعة الكبرى ، فاضطرب الكهف رأسا

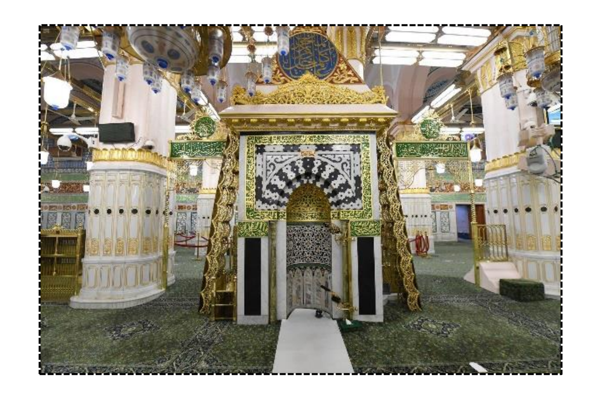
على عقب لهول ما دخل آذانهم من أخطار وأخبار، وقد صمم الساحر الكبير على الانتقام وتحرير الملك جنـفل الذي أخذ على حين غرة، ولما هدأت العاصفة في الكهف السحري تساءل سحنون المدهوش والمصعوق لهذه المفاجأة التي لم يتخيلها في هذه الجزائر ، فقد ظن الناس على قلب رجل واحد ، لا أحقاد في قلوبهم على بعض ؛ ولكن أخبار الفظائع التي كانت ترد للكهف تثير الفزع والعجب ، فتساءل أمامهم عن سبب هذا الحقد الكبير على الجزيرة الكبرى، عن سبب الحرب والدمار الفظيع ، فلم يجد جوابا عند أحد من رجال ساحر البحر القدماء ، فتجرأ وسأل سيده وأستاذه عن هذا الأمر ، فتحدث الساحر العجوز وقال : اعلم يا ولدي ! أن الملك جنـفلا قد تسلطن على هذه الجزر بالقوة والعنف الذي سمعت بمثله من " نمرال البربري " ، فلما مات والد الملك جنـفل منذ أكثر من أربعين سنة بويع جنـفل الصغير بالملك ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره بعد ، فقام عليه بعض أعمامه وخلعوه ، فقام جماعة من أنصار والده بإخفائه ، ثم أتوا به إلى هذا الكهف سرا والذي لا يعرفه إلا تلاميذي السحرة ، فعاش بيننا من غير أن يعرف مكانه ، ولعلاقتي الطيبة مع أبيه قررت مساعدته ومعاونته ، وبدأت اتصالاتنا مع الأعوان والأنصار حتى عاد لتخت

ملكه بعد سنوات ، فقام بالفتك بكل خصومه ، واستقر له الملك في النهاية ، وقد أسس جيشا قويا ذا سطوة وهيبة ، ثم بدأت مشاكله مع رجال الجزائر السبع المحيطين به فخاض معهم معارك وحروب قوية تشيب لها الولدان استمرت عشر سنوات حتى تمرد عليه جيشه وكثير من أنصاره ، فلجأ إلينا ثانية فأيدناه بالديك الساحر على شروط اتفقنا عليها ، فعادت وخضعت له الجزيرة الكبرى والجزر السبعة الأخرى بالقوة والنار، فهو يحكم هذه الجزائر والديك يحكمه ، فهو يحكم ملوك لا يحبونه بل يكرهونه ، وإنما يخشون قوته وقوة الديك المرعب .. وهو مع ذلك لا يرحمهم بل يهينهم ويفتك بكل من يشك في ولائه ، ويولي غيره إذا غضب عليه ..إلى أن كان ذات يوم وفتك ابن أحد الملوك ملوك الجزائر بابن ملك آخر ، ونشبت فتنة بين الجزيرتين استمرت شهور وأيام حتى تمكن جنـفل من إخمادها وتحسين الوضع بينهم قليلا .. الحكم ـ يا سحنون ـ لناس يبغضونك أمر صعب ؛ فإذا رأى الضحية لحظة ضعف من الجلاد غدر به ، وما هذه السنون التي مرت هادئة إلا السكون الذي يسبق العاصفة كما يقال .. فقد جاءت عاصفة لا تذر ولا تبق شيئا .. لقد تآمر ملكان من ملوك الجزائر مع القائد البربري نمرال ، وقد يكون هناك تواطؤ من بعض جنود الملك

الحاقدين الناقمين من تلك العقود التي مضت حتى استقر حكم الجزائر وخضوعها للملك الأكبر ، وغدروا هذه الأيام بأهل الجزيرة ؛ ولكني سأنتقم منهم أشد الانتقام ما دام فيّ نفس يتحرك ، والآن يا سحنون المخلص وكاتم سري أريد أن أرى المواهب والفطنة اللذين جذباني إليك وقربتك اليّ بهذه السرعة ، هاتان الميزتان أريد أن أراهما للفتك بهؤلاء الجبناء سندمر جزائر البحر السبعة على أهلها ..











مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
الزرمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
قصص
المصباح المضيء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
وهج الحرب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حصرم بن سلام
جمال شاهين
الفوارس
رُمان
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
القصر المهجور
جمال شاهين
قرشا . . .
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
هو أنت لاجئ
جمال شاهين
الفوارس
عبد الله البحري
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
مملكة مالونيا والملك بربار
جمال شاهين
الفوارس
الأميرة نهر الأحلام
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
قطبة بن سنان
جمال شاهين
الفوارس
الأمير جفر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
صورة الأم
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
بصمة وراثية
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
رجل اسمه سنار
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
حسان والطير الذهبي
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
الفوارس
زهلول في أرض الجآن
جمال شاهين
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
وصية جديدة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
مغامرة النادي
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
مصرع المدير
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
شارع البحيرة الخامسة
منشورات المكتبة الخاصة
التحقيق الجنائي والجريمة
جمال شاهين
ليموت الماضي
منشورات المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٢

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

جمال شاهين

قصص

المصباح

المضيء

الجزء

الثاني عشر

سليمان بن داود

قال تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ورثه في النبوة والملك.. ليس المقصود وراثته في المال، لأن الأنبياء لا يورثون. إنما تكون أموالهم صدقة من بعدهم للفقراء والمحتاجين، لا يخصون بها أقربائهم. قال النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم) :نحن معشر الأنبياء لا نورث .(ملك سليمان: لقد آتى الله سليمان –عليه السلام– ملكا عظيما، لم يؤته أحدا من قبله، ولن يعطه لأحد من بعده إلى يوم القيامة. فقد استجاب الله تعالى لدعوة سليمان)رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي(لنتحدث الآن عن بعض الأمور التي سخرها الله لنبيه سليمان عليه السلام. لقد سخر له أمرا لم يسخره لأحد من قبله ولا بعده.. سخر الله له"الجن ."فكان لديه –عليه السلام– القدرة على حبس الجن الذين لا يطيعون أمره، وتقييدهم بالسلاسل وتعذيبهم. ومن يعص سليمان يعذبه الله تعالى. لذلك كانوا يستجيبون لأوامره، فيبنون له القصور، والتماثيل –التي كانت مباحة في شرعهم– والأواني والقدور الضخمة جدا، فلا يمكن تحريكها من ضخامتها. وكانت تغوص له في أعماق البحار وتستخرج اللؤلؤ والمرجان والياقوت.. وسخر الله لسليمان –عليه السلام– الريح فكانت تجري بأمره. لذلك كان يستخدمها سليمان في الحرب. فكان لديه بساطا ضخما جدا، وكان يأمر الجيش بأن يركب عليه ، ويأمر الريح بأن ترفع البساط وتنقلهم للمكان المطلوب. فكان يصل في سرعة خارقة. ومن نعم الله عليه، إسالة النحاس له. مثلما أنعم على والده داود بأن ألان له الحديد وعلمه كيف يصهره.. وقد استفاد سليمان من النحاس المذاب فائدة عظيمة في الحرب والسلم. ونختم هذه النعم بجيش سليمان عليه السلام. كان جيشه مكون من: البشر، والجن، والطيور. فكان يعرف لغتها. سليمان والخيل: كان سليمان –عليه السلام– يحب الخيل كثيرا، خصوصا ما يسمى)بالصافنات(، وهي من أجود أنواع الخيول وأسرعها. وفي يوم من الأيام، بدأ استعراض هذه الخيول أمام سليمان عصرا، وتذكر بعد الروايات أن عددها كان أكثر من عشرين ألف جواد، فأخذ ينظر إليها ويتأمل فيها، فطال الاستعراض، فشغله عن ورده اليومي في ذكر الله تعالى، حتى غابت الشمس، فانتبه، وأنب نفسه لأن حبه لهذه الخيول شغله عن ذكر ربه حتى غابت الشمس، فأمر بإرجاع الخيول له وأخذ يمسح عليها ويستغفر الله عز وجل، فكان يمسحها ليرى السقيم منها من الصحيح لأنه كان يعدّها للجهاد في سبيل الله. ابتلاء سليمان: ورغم

كل هذه النعم العظيمة والمنح الخاصة، فقد فتن الله تعالى سليمان.. اختبره وامتحنه، والفتنة امتحان دائم، وكلما كان العبد عظيما كان امتحانه عظيما. اختلف المفسرون في فتنة سليمان عليه السلام. فقيل إن سليمان عزم على الطواف على نسائه السبعمائة في ليلة واحدة، حتى تلد كل امرأة منهن ولدا يجاهد في سبيل الله، ولم يقل سليمان إن شاء الله، فطاف على نسائه فلم تلد منهن غير امرأة واحدة.. ولدت طفلا مشوها ألقوه على كرسيه. وقيال: إن سليمان ابتلي بمرض شديد حار فيه الطب. مرض سليمان مرضا شديدا حار فيه أطباء الإنس والجن.. وأحضرت له الطيور أعشابا طبية من أطراف الأرض فلم يشف، وكل يوم كان المرض يزيد عليه حتى أصبح سليمان إذا جلس على كرسيه كأنه جسد بلا روح.. كأنه ميت من كثرة الإعياء والمرض.. واستمر هذا المرض فترة كان سليمان فيها لا يتوقف عن ذكر الله وطلب الشفاء منه واستغفاره وحبه.. وانتهى امتحان الله تعالى لعبده سليمان، وشفي سليمان.. عادت إليه صحته بعد أن عرف أن كل مجده وكل ملكه وكل عظمته لا تستطيع أن تحمل إليه الشفاء إلا إذا أراد الله سبحانه. ويذكر لنا القرآن الكريم مواقف عدة، تتجلى لنا فيها حكمة سليمان –عليه السلام– ومقدرته الفائقة على استنتاج الحكم الصحيح في القضايا المعروضة عليه. ومن هذه القصص ما حدث في زمن داود –عليه السلام– قال تعالى) :وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨ (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا)

جلس داود كعادته يوما يحكم بين الناس في مشكلاتهم.. وجاءه رجل صاحب حقل ومعه رجل آخر.. وقال له صاحب الحقل: سيدي النبي.. إن غنم هذا الرجل نزلت حقلي أثناء الليل، وأكلت كل عناقيد العنب التي كانت فيه.. وقد جئت إليك لتحكم لي بالتعويض.. قال داود لصاحب الغنم: هل صحيح أن غنمك أكلت حقل هذا الرجل؟ قال صاحب الغنم: نعم يا سيدي.. قال داود: لقد حكمت بأن تعطيه غنمك بدلا من الحقل الذي أكلته. قال سليمان.. وكان الله قد علمه حكمة تضاف إلى ما ورث من والده: عندي حكم آخر يا أبي.. قال داود: قله يا سليمان.. قال سليمان: أحكم بأن يأخذ صاحب الغنم حقل هذا الرجل الذي أكلته الغنم.. ويصلحه له ويزرعه حتى تنمو أشجار العنب، وأحكم لصاحب الحقل أن يأخذ الغنم ليستفيد من صوفها ولبنها ويأكل منه، فإذا كبرت عناقيد الغنم وعاد الحقل سليما كما كان أخذ صاحب الحقل حقله وأعطى صاحب الغنم غنمه.. قال داود: هذا

حكم عظيم يا سليمان.. الحمد لله الذي وهبك الحكمة. سليمان والنملة: ويذكر لنا القرآن الكريم قصة عجيبة) :وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧ (حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) ١٩) (النمل سمع سليمان كلام النملة فتبسم ضاحكا من قولها.. ما الذي تتصوره هذه النملة! رغم كل عظمته وجيشه فإنه رحيم بالنمل.. يسمع همسه وينظر دائما أمامه ولا يمكن أبدا أن يدوسه.. وكان سليمان يشكر الله أن منحه هذه النعمة.. نعمة الرحمة ونعمة الحنو والشفقة والرفق. سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ: ولعل أشهر قصة عن سليمان –عليه السلام– هي قصته مع بلقيس ملكة سبأ. جاء يوم.. وأصدر سليمان أمره لجيشه أن يستعد.. بعدها، خرج سليمان يتفقد الجيش، ويستعرضه ويفتش عليه.. فاكتشف غياب الهدهد وتخلفه عن الوقوف مع الجيش، فغضب وقرر تعذيبه أو قتله، إلا إن كان لديه عذر قوي منعه من القدوم. فجاء الهدهد ووقف على مسافة غير بعيدة عن سليمان – عليه السلام– قال تعالى) : فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (فقال الهدهد أن أعلم منك بقضية معينة، فجئت بأخبار أكيدة من مدينة سبأ باليمن) .إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) ٢٤ (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) وذكر العرش هنا لأنه ذكر عرش بلقيس من قبل، فحتى لا يغترّ إنسان بعرشها ذكر عرش الله سبحانه وتعالى. فتعجب سليمان من كلام الهدهد، فلم يكن شائعا أن تحكم المرأة البلاد، وتعجب من أن قوما لديهم كل شيء ويسجدون للشمس، وتعجب من عرشها العظيم، فلم يصدق الهدهد ولم يكذبه إنما قَالَ)سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (وهذا منتهى العدل والحكمة. ثم كتب كتابا وأعطاه للهدهد وقال له) :اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (ألق الكتاب عليهم وقف في مكان بعيد بحث تستطيع سماع ردهم على الكتاب. يختصر السياق القرآني في سورة النمل ما كان من أمر ذهاب الهدهد وتسليمه الرسالة،

وينتقل مباشرة إلى الملكة، وسط مجلس المستشارين، وهي تقرأ على رؤساء قومها ووزرائها رسالة سليمان) ..قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩ (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30)أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) ٣١) (النمل هذا هو نص خطاب الملك سليمان لملكة سبأ.. إنه يأمر في خطابه أن يأتوه مسلمين.. هكذا مباشرة.. إنه يتجاوز أمر عبادتهم للشمس.. ولا يناقشهم في فساد عقيدتهم.. ولا يحاول إقناعهم بشيء.. إنما يأمر فحسب.. أليس مؤيدا بقوة تسند الحق الذي يؤمن به..؟ لا عليه إذن أن يأمرهم بالتسليم.. كان هذا كله واضحا من لهجة الخطاب القصيرة المتعالية المهذبة في نفس الوقت.. طرحت الملكة على رؤساء قومها الرسالة.. وكانت عاقلة تشاورهم في جميع الأمور: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ .(كان رد فعل الملأ وهم رؤساء قومها التحدي.. أثارت الرسالة بلهجتها المتعالية المهذبة غرور القوم، وإحساسهم بالقوة. أدركوا أن هناك من يتحداهم ويلوح لهم بالحرب والهزيمة ويطالبهم بقبول شروطه قبل وقوع الحرب والهزيمة)قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ .(أراد رؤساء قومها أن يقولوا: نحن على استعداد للحرب.. ويبدو أن الملكة كانت أكثر حكمة من رؤساء قومها.. فإن رسالة سليمان أثارت تفكيرها أكثر مما استنفرتها للحرب.. فكرت الملكة طويلا في رسالة سليمان.. كان اسمه مجهولا لديها، لم تسمع به من قبل، وبالتالي كانت تجهل كل شيء عن قوته، ربما يكون قويا إلى الحد الذي يستطيع فيه غزو مملكتها وهزيمتها. ونظرت الملكة حولها فرأت تقدم شعبها وثراءه، وخشيت على هذا الثراء والتقدم من الغزو.. ورجحت الحكمة في نفسها على التهور، وقررت أن تلجأ إلى اللين، وترسل إليه بهدية.. وقدرت في نفسها أنه ربما يكون طامعا قد سمع عن ثراء المملكة، فحدثت نفسها بأن تهادنه وتشتري السلام منه بهدية.. قدرت في نفسها أيضا إن إرسالها بهدية إليه، سيمكن رسلها الذين يحملون الهدية من دخول مملكته، وإذا سيكون رسلها عيونا في مملكته.. يرجعون بأخبار قومه وجيشه، وفي ضوء هذه المعلومات، سيكون تقدير موقفها الحقيقي منه ممكنا.. أخفت الملكة ما يدور في نفسها، وحدثت رؤساء قومها بأنها ترى استكشاف نيات الملك سليمان، عن طريق إرسال هدية إليه، انتصرت الملكة للرأي الذي يقضي بالانتظار والترقب.. وأقنعت رؤساء قومها بنبذ فكرة الحرب مؤقتا، لأن الملوك إذا دخلوا قرية انقلبت

أوضاعها وصار رؤساءها هم أكثر من فيها تعرضا للهوان والذل.. واقتنع رؤساء قومها حين لوحت الملكة بما يتهددهم من أخطار.. وصلت هدية الملكة بلقيس إلى الملك النبي سليمان.. جاءت الأخبار لسليمان بوصول رسل بلقيس وهم يحملون الهدية.. وأدرك سليمان على الفور أن الملكة أرسلت رجالها ليعرفوا معلومات عن قوته لتقرر موقفها بشأنه.. ونادى سليمان في المملكة كلها أن يحتشد الجيش.. ودخل رسل بلقيس وسط غابة كثيفة مدججة بالسلاح.. فوجئ رسل بلقيس بأن كل غناهم وثرائهم يبدو وسط بهاء مملكة سليمان.. وصغرت هديتهم في أعينهم. وفوجئوا بأن في الجيش أسودا ونمورا وطيورا.. وأدركوا أنهم أمام جيش لا يقاوم.. ثم قدموا لسليمان هدية الملكة بلقيس على استحياء شديد. وقالوا له نحن نرفض الخضوع لك، لكننا لا نريد القتال، وهذه الهدية علامة صلح بيننا ونتمنى أن تقبلها. نظر سليمان إلى هدية الملكة وأشاح ببصره)فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (كشف الملك سليمان بكلماته القصيرة عن رفضه لهديتهم، وأفهمهم أنه لا يقبل شراء رضاه بالمال. ثم هددهم. وصل رسل بلقيس إلى سبأ.. وهناك هرعوا إلى الملكة وحدثوها أن بلادهم في خطر.. حدثوها عن قوة سليمان واستحالة صد جيشه.. أفهموها أنها ينبغي أن تزوره وتترضاه.. وجهزت الملكة نفسها وبدأت رحلتها نحو مملكة سليمان.. جلس سليمان في مجلس الملك وسط رؤساء قومه ووزرائه وقادة جنده وعلمائه.. كان يفكر في بلقيس.. يعرف أنها في الطريق إليه.. تسوقها الرهبة لا الرغبة.. ويدفعها الخوف لا الاقتناع.. ويقرر سليمان بينه وبين نفسه أن يبهرها بقوته، فيدفعها ذلك للدخول في الإسلام. فسأل من حوله، إن كان بإمكان أحدهم أن يحضر له عرش بلقيس قبل أن تصل الملكة لسليمان. فعرش الملكة بلقيس هو أعجب ما في مملكتها.. كان مصنوعا من الذهب والجواهر الكريمة، وكانت حجرة العرش وكرسي العرش آيتين في الصناعة والسبك.. وكانت الحراسة لا تغفل عن العرش لحظة.. فقال أحد الجن أنا أستطيع إحضار العرش قبل أن ينتهي المجلس –وكان عليه السلام يجلس من الفجر إلى الظهر– وأنا قادر على حمله وأمين على جواهره. لكن شخص آخر يطلق عليه القرآن الكريم"الذي عنده علم الكتاب"قال لسليمان أنا أستطيع إحضار العرش في الوقت الذي تستغرقه العين في الرمشة الواحدة. واختلف العلماء في"الذي عنده علم الكتاب"فمنهم من قال أنه

وزيره أو أحد علماء بني إسرائيل وكان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب. ومنهم من قال أنه جبريل عليه السلام. لكن السياق القرآني ترك الاسم وحقيقة الكتاب غارقين في غموض كثيف مقصود.. نحن أمام سر معجزة كبرى وقعت من واحد كان يجلس في مجلس سليمان.. والأصل أن الله يظهر معجزاته فحسب، أما سر وقوع هذه المعجزات فلا يديره إلا الله.. وهكذا يورد السياق القرآني القصة لإيضاح قدرة سليمان الخارقة، وهي قدرة يؤكدها وجود هذا العالم في مجلسه. هذا هو العرش ماثل أمام سليمان.. تأمل تصرف سليمان بعد هذه المعجزة.. لم يستخفه الفرح بقدرته، ولم يهزه الشعور بقوته، وإنما أرجع الفضل لمالك الملك.. وشكر الله الذي يمتحنه بهذه القدرة، ليراه أيشكر أم يكفر. تأمل سليمان عرش الملكة طويلا ثم أمر بتغييره، أمر بإجراء بعض التعديلات عليه، ليمتحن بلقيس حين تأتي، ويرى هل تهتدي إلى عرشها أم تكون من الذين لا يهتدون. كما أمر سليمان ببناء قصر يستقبل فيه بلقيس. واختار مكانا رائعا على البحر وأمر ببناء القصر بحيث يقع معظمه على مياه البحر، وأمر أن تصنع أرضية القصر من زجاج شديد الصلابة، وعظيم الشفافية في نفس الوقت، لكي يسير السائر في أرض القصر ويتأمل تحته الأسماك الملونة وهي تسبح، ويرى أعشاب البحر وهي تتحرك. تم بني القصر، ومن فرط نقاء الزجاج الذي صنعت منه أرض حجراته، لم يكن يبدو أن هناك زجاجا. تلاشت أرضية القصر في البحر وصارت ستارا زجاجيا خفيا فوقه. يتجاوز السياق القرآني استقبال سليمان لها إلى موقفين وقعا لها بتدبيره: الأول موقفها أمام عرشها الذي سبقها بالمجيء، وقد تركته وراءها وعليه الحراس. والثاني موقفها أمام أرضية القصر البلورية الشفافة التي تسبح تحتها الأسماك. لما اصطحب سليمان عليه السلام بلقيس إلى العرش، نظرت إليه فرأته كعرشها تماما.. وليس كعرشها تماما.. إذا كان عرشها فكيف سبقها في المجيء..؟ وإذا لم يكن عرشها فكيف أمكن تقليده بهذه الدقة ..؟ قال سليمان وهو يراها تتأمل العرش) :أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ (قالت بلقيس بعد حيرة قصيرة) :كَأَنَّهُ هُوَ (!قال سليمان:)وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ .)توحي عبارته الأخيرة إلى الملكة بلقيس أن تقارن بين عقيدتها وعلمها، وعقيدة سليمان المسلمة وحكمته. إن عبادتها للشمس، ومبلغ العلم الذي هم عليه، يصابان بالخسوف الكلي أمام علم سليمان وإسلامه. لقد سبقها سليمان إلى العلم بالإسلام، بعدها أصبح من السهل عليه أن يسبقها في العلوم الأخرى، هذا ما توحي به كلمة سليمان

لبلقيس.. أدركت بلقيس أن هذا هو عرشها، لقد سبقها إلى المجيء، وأنكرت فيه أجزاء وهي لم تزل تقطع الطريق لسليمان.. أي قدرة يملكها هذا النبي الملك سليمان؟! انبهرت بلقيس بما شاهدته من إيمان سليمان وصلاته لله، مثلما انبهرت بما رأته من تقدمه في الصناعات والفنون والعلوم.. وأدهشها أكثر هذا الاتصال العميق بين إسلام سليمان وعلمه وحكمته. انتهى الأمر واهتزت داخل عقلها آلاف الأشياء.. رأت عقيدة قومها تتهاوى هنا أمام سليمان، وأدركت أن الشمس التي يعبدها قومها ليست غير مخلوق خلقه الله تعالى وسخره لعباده، وانكسفت الشمس للمرة الأولى في قلبها، أضاء القلب نور جديد لا يغرب مثلما تغرب الشمس. ثم قيل لبلقيس ادخلي القصر.. فلما نظرت لم تر الزجاج، ورأت المياه، وحسبت أنها ستخوض البحر، (وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا(حتى لا يبتل رداؤها. نبهها سليمان -دون أن ينظر- ألا تخاف على ثيابها من البلل. ليست هناك مياه. (إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ (إنه زجاج ناعم لا يظهر من فرط نعومته.. اختارت بلقيس هذه اللحظة لإعلان إسلامها.. اعترفت بظلمها لنفسها وأسلمت وتبعها قومها على الإسلام. أدركت أنها تواجه أعظم ملوك الأرض، وأحد أنبياء الله الكرام. يسكت السياق القرآني عن قصة بلقيس بعد إسلامها.. ويقول المفسرون أنها تزوجت سليمان بعد ذلك.. ويقال أنها تزوجت أحد رجاله.. أحبته وتزوجته، وثبت أن بعض ملوك الحبشة من نسل هذا الزواج.. ونحن لا ندري حقيقة هذا كله.. لقد سكت القرآن الكريم عن ذكر هذه التفاصيل التي لا تخدم قصه سليمان.. ولا نرى نحن داعيا للخوض فيما لا يعرف أحد..

هيكل سليمان: من الأعمال التي قام بها سليمان –عليه السلام– إعادة بناء المسجد الأقصى الذي بناه يعقوب من قبل. وبنى بجانب المسجد الأقصى هيكلا عظيما كان مقدسا عند اليهود –ولا زالوا يبحثون عنه إلى اليوم. وقد ورد في الهدي النبوي الكريم أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل ثلاثا، فأعطاه الله اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة: سأله حكما يصادف حكمه –أي أحكاما عادلة كأحكام الله تعالى– فأعطاه إياه، وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، وأسأل الله أن تكون لنا. وفاته عليه السلام: عاش سليمان وسط مجد دانت له فيه الأرض.. ثم قدر الله تعالى عليه الموت فمات.. ومثلما كانت حياة سليمان قمة في المجد الذي يمتلئ بالعجائب والخوارق.. كان موته آية من آيات الله تمتلئ

بالعجائب والخوارق.. وهكذا جاء موته منسجما مع حياته، متسقا مع مجده، جاء نهاية فريدة لحياة فريدة وحافلة. لقد قدر الله تعالى أن يكون موت سليمان عليه الصلاة والسلام بشكل ينسف فكرة معرفة الجن للغيب.. تلك الفكرة التي فتن الناس بها فاستقرت في أذهان بعض البشر والجن.. كان الجن يعملون لسليمان طالما هو حي.. فلما مات انكسر تسخيرهم له، وأعفوا من تبعة العمل معه.. وقد مات سليمان دون أن يعلم الجن، فظلوا يعملون له، وظلوا مسخرين لخدمته، ولو أنهم كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . كان سليمان متكئا على عصاه يراقب الجن وهم يعملون. فمات وهو على وضعه متكئا على العصا.. ورآه الجن فظنوا أنه يصلي واستمروا في عملهم. ومرت أيام طويلة.. ثم جاءت دابة الأرض، وهي نملة تأكل الخشب.. وبدأت تأكل عصا سليمان.. كانت جائعة فأكلت جزء من العصا.. استمرت النملة تأكل العصا أياما.. كانت تأكل الجزء الملامس للأرض، فلما ازداد ما أكلته منها اختلت العصا وسقطت من يد سليمان.. اختل بعدها توازن الجسد العظيم فهوى إلى الأرض.. ارتطم الجسد العظيم بالأرض فهرع الناس إليه.. أدركوا أنه مات من زمن.. تبين الجن أنهم لا يعلمون الغيب.. وعرف الناس هذه الحقيقة أيضا.. لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، ما لبثوا يعملون وهم يظنون أن سليمان حي، بينما هو ميت منذ فترة.. بهذه النهاية العجيبة ختم الله حياة هذا النبي الملك

قصة من السنة

تكلموا في المهد

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال: «لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم، وصاحب جرَيج، وكان جُريج رجلًا عابِدا، فاتخذ صَوْمَعَة فكان فيها، فأتته أمه وهو يصلي، فقالت: يا جريج، فقال: يا رَبِّ أُمِّي وصلاتي فأقبل على صلاته فانْصَرفت. فلمَّا كان من الغَدِ أَتَتْهُ وهو يصلي، فقالت: يا جُريج، فقال: أي رَبِّ أمِّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فلمَّا كان من الغَدِ أَتَتْهُ وهو يصلي، فقالت: يا جُريج، فقال: أي رَبِّ أمِّي وصلاتي، فأقبل على صلاته، فقالت: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حتى يَنظر إلى وجوه الْمُومِسَاتِ. فتذاكر بَنُو إسرائيل جُريجا وعبادته، وكانت امرأة بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بحُسنها، فقالت: إن شِئتم لأَفْتِنَنَّهُ، فتَعرَّضت له، فلم يَلتَفت إليها، فأتت راعِيا كان يَأوِي إلى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْه من نَفسِها فوقع عليها، فحملت، فلمَّا ولدت، قالت: هو من جُريج، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وهدَمُوا صَومَعتَه، وجَعَلوا يَضربونه، فقال: ما شَأْنكم؟ قالوا: زَنَيْتَ بهذه البَغِيِّ فولَدَت

منك. قال: أين الصَّبي؟ فجاؤوا به فقال: دَعوني حتى أُصلِّي، فصلَّى فلمَّا انْصرف أتى الصَّبي فَطَعن فِي بَطنه، وقال: يا غُلام مَنْ أبوك؟ قال: فلانٌ الراعي، فأقبلوا على جُريج يقبلونه ويَتمسَّحون به، وقالوا: نَبْنِي لك صَوْمَعَتَكَ من ذهب. قال: لا، أعِيدُوها من طين كما كانت، ففعلوا. وبينا صبي يَرضع من أُمِّهِ فمرَّ رجل راكب على دابة فَارِهة وَشَارَةٍ حسَنَة، فقالت أمه: اللهم اجعل ابْني مثل هذا، فَترك الثَّدْي وأقْبَلَ إليه فنَظَرَ إليه، فقال: اللَّهم لا تجعلني مثْلَه، ثم أقْبَلَ على ثَدْيه فجعل يَرتضع»، فكأني أنظر إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو يَحكي ارتْضَاعه بِأصْبَعِهِ السَّبَّابَة في فِيه، فجعل يَمُصُّهَا، قال: «ومَرُّوا بجارية وهم يَضْرِبُونها، ويقولون: زَنَيْتِ سَرقت، وهي تقول: حَسبي الله ونعم الوكيل. فقالت أمه: اللَّهم لا تجعل ابني مِثلها، فترك الرَّضاع ونظر إليها، فقال: اللَّهم اجعلني مِثْلَها، فَهُنَالك تَرَاجَعَا الحديث، فقالت: مرَّ رجلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ ، فقلت: اللَّهم اجعل ابْني مِثْلَه، فقلت: اللَّهم لا تَجْعَلْنِي مِثْله، ومَرُّوا بهذه الأَمَة وهم يَضربونها ويقولون: زَنَيْتِ سَرقت، فقلت: اللَّهم لا تجعل ابني مِثلها، فقلت: اللَّهم اجعلني مِثلها؟! قال: إن ذلك الرَّجُل كان جبَّارا، فقلت: اللَّهم لا تجعلني مِثْله، وإن هذه يقولون: زَنَيْتِ، ولم تَزْنِ وسَرقْتِ، ولم تَسْرِقْ، فقلت: اللَّهم اجْعَلْنِي مِثْلَهَا

الزهد في الدنيا

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله –ﷺ–، وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء، وتحت رأسه وسادة من أدمٍ حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوباً، وعند رأسه أُهُب معلّقة؛ فرأى أثر الحصير في جنبه، فبكى؛ فقال) :ما يبكيك؟ (فقال له: "يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله" فقال عليه الصلاة والسلام) :أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ متفق عليه.

وفي رواية أخرى : "..ثم رفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يردّ البصر غير أُهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وُسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله"، وكان متكئا فقال) :أو في شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا . متفق عليه.

قصص وحكايات الفوارس

نمير وزعيط في جزائر البحر ٢

كهف السحرة

فلما سكت الساحر بعد هذا الكلام الشديد على الأعصاب والنفس همس سحنون قائلا : أيها الساحر الكبير .. وما جرى لصاحبنا الديك ؟

ولماذا لم يدافع بقوته عن الملك جنفل ؟
وتفاجأ سحنون بالساحر الغاضب يقبض على عنقه ويشده وهو يقول : أيها الشاب عليك بالعمل



ولا تكثر من السؤال .
فتظاهر سحنون بالندم والأسف وهو يردد : عفوك مولاي الساحر! لابد أنني أخطأت ؛ ولكني لم أسمع عن صاحبنا الديك في هذه المعممة الكبيرة إلا أنه هرب واختفى ، وأنا تحت أمرك أيها الساحر الكبير !

فأرخى الساحر قبضته عن عنق خادمه ، وهو يظن أنه كاد أن يخنقه وأشعره الأمير بذلك ، فهو يعرف ما يعتمل بداخل الساحر من غضب وحقد وبركان، فجنفل يحكم الجزر ، والديك يحكم جنفل ، والساحر يحكم الديك ، ترك الساحر سحنونا وهو يقول بحدة : انصرف أيها الشاب ، واستعد للموت سأقذف بك إلى لهيب المعركة إن كنت تطمع بأن تكون خليفتي وتلميذي الأوحد ، عليك الآن تثبت لي أنك أهل للمغامرة والجرأة والشجاعة .

قال سحنون بعمق ونشوة في داخله :أعدك أن أكون تحت حسن الظن ، سوف ترى يا مولاي الساحر بأم عينيك طاعتي في خدمتك والإخلاص لك .

أتت الأخبار بتدمير الجزيرة الكبرى ، وخروج جيش نمرال والمتآمرون معه من الجزيرة بعدما حملوا معهم كنوز وثروات الجزيرة ، وتحركوا لغزو باقي الجزر وإخضاعها لحكمهم ، وقد سيق جنـفل والأمراء الأسرى في سفينة الأسرى ، وهم أذلة بعد أن كانوا أعزة وساده يرغدون في النعيم واللهو والمجون لا تسعهم الأرض من الجبروت والطغيان ..

استأذن سحنون ساحر البحر لزيارة الجزيرة المدمرة ؛ ليرى ما حل بها ، وما جرى لمن ظل حيا من سكانها ، فأذن له الساحر ، وسافر الفا رس للجزيرة ، فلما وصلها كاد ينكرها من هول ما أصابها من الدمار والحرق، فكثير من قصورها محروقة ومهدمة، وحال الأحياء يرثى له ، يلملمون جراحاتهم ويسعفون جرحاهم ، وسار للسجن ، فلم يجد فيه أحدا ، فعلم أن من كان فيه قد هربوا وخرجوا يوم المذابح المرعبة .

وبحث عن أخيه جرادي في قصر الملكة ، فعلم أن الملكة وجواريها وخدمها وبناتها وكثيرا من الأميرات وقعن أسرى سبايا بأيدي الغزاة ، ووزعن على القادة والفرسان ، فعاد لقصر الملك فوجده أطلالا ، ووجد الجثث في ردهاته وحجراته

، وسار لقصر الديك الساحر ، فوجده هو الآخر محروقا حرقا تاما جدرانه سوداء .. فعجب سحنون لحال الدنيا ! وهذه القصور العامرة منذ أيام بأهلها ولهوهم وفرحهم ومتعهم ، فقد أصبحوا رمادا ووقودا للنيران ، وعجب لقسوة اؤلئك الغزاة ووحيشتهم وحقدهم على بني الإنسان ، وعادت به الذكريات إلى بلاد المال والغال ، وتذكر أباه وما كان يفعل في المدن التي كان يقاتلها ويعاديها ، ولقد كانوا يفعلون بالناس والمدن كما فعل هؤلاء البرابرة الغزاة ، ولما تفقد حال الجزيرة المنكوبة عاد للجبل ، وهو حزين مهموم لجهل بني الإنسان ، وولعه وعطشه للفتك والسيطرة على الآخرين ، وبينما هو يسير نحو الجبل جبل السحرة ليلا سمع صوتا فأصاخ سمعه، ثم تحرك نحو الصوت بخفة وهدوء واستمع لم يقولون .. كان هناك رجلان مقنعان يتحدثان بصوت مسموع ؛ ولكنه منخفض ، وكان حديثهم يدور حول الساحر، وقد سمع اسمه يتردد بينهم ، فركز سمعه فأدرك أن أحدهم من رجال الساحر من سحرة الكهف ، وأن الآخر من طرف الغزاة ، فشعر بأن هناك مؤامرة تدبر للكهف، وأن حياته أصبحت في خطر .. وأنهم يخططون لاقتحام الكهف كهف السحرة على حين غرة من أهله ، وبالتعاون مع هذا الخائن اللعين ، وربما معه آخرون .. وعلم منهم أنهم يبحثون عن الديك الهارب ، وأنه مختبئ عند الساحر في الحجرة السرية .. فانكشف السر لسحنون ، فأدرك أن علاقة ساحر البحر بالديك علاقة قوية وغريبة ، ودارت في رأسه أفكار وذكريات مع كلمات كان قد سمعها هنا وهناك خلال وجوده في الكهف ، لقد كشف الرجل الخائن لرجل الغزاة أشياء كثيرة ، فأدرك سحنون أن المؤامرة كبيرة ومحكمة على الجزيرة وجبل الساحر، وبعد ساعات من الحديث صعد الجاسوس للكهف ، والآخر هبط نحو الماء، ولم يتمكن الفارس من معرفة أشخاصهما جيدا ، وتساءل " من هو الخائن في هذا الكهف ؟ ! وهل هو وحده أم معه شركاء ؟ وهذا الذي يسير إلى البحر من هو ؟ .. كيف سأعرفه .. سأتبعه ؟

ولحقه بخفة وحذر ، ولما اقترب المطارد من الشاطئ جلس على صخرة ، وبعد قليل اقترب منه مركب صغير فصعد إليه وسار في وسط الماء مبتعدا عن شاطئ جبل السحرة ، وفشل سحنون في معرفته ، فعاد مسرعا إلى الجبل ، وبينما هو يركض لعله يدرك الجاسوس أو عين الغزاة تدحرج فسقط على الأرض ، فنهض مسرعا وخفف من سيره وقال : سأقضي هذه الليلة هنا في كهف صغير .. وفي الصباح أدخل الكهف حتى لا يقع الشك والريبة في قلب الخائن .

وفي أول مغارة صادفته دخل ليقضي ما بقي من الليل ، ثم يصعد للكهف مع ضحى النهار ، وقبل أن يرقد وينام تفقد المغارة ليتأكد من خلوها من الوحوش والأفاعي .. فوجد حفرة في أقصاها فنظر حوله لعله يرى حيوانا قد حفرها .. ثم دخل فيها .. فوجد نفسه يهبط إلى نفق فمشى فيه بحذر يتحسس الجدران بيديه حتى ألف شدة الظلام ، فسار وسار أكثر من ساعة فإذا هو في غرفة واسعة كانت في نهاية النفق ،فأدرك أنه ما زال جاهلا لأسرار هذا الجبل العجيب .. كان المكان خاليا من الأصوات ، ثم تبين له أن لهذه الغرفة الكبيرة أبوابا من جهات متعددة ، وبينما هو يتفحص المكان ويتأمل في هذه العجائب من حوله سمع صوتا قادما نحو الحجرة هذه .. فأخفى نفسه في زاوية من الزوايا .. دخل رجلان يحملان مصباحين فعلقوهما على الجدران ، وفتحوا بابا من أحد الجدران وغابوا بضع دقائق ، وعادوا يحملون مقاعد من خشب ناعم .. سبعة مقاعد ووضعوا بينهن مائدة وعليها أباريق ماء ، ثم اختفوا من حيث جاءوا ، وبعدما اطمأن سحنون على انصرافهم ، دخل من الباب الذي اخرجوا منه الكراسي السبعة ، فوجد حجرة صغيرة خالية من الأشياء إلا من صندوق خشببي في إحدى أركانها ومغلقا بقفل فحاول فتحه فلم يستطع ، وأثناء محاولته سمع أصواتا آتية فاختفى في ظلام الصندوق ، وشعر أن رجالا دخلوا الغرفة التي صفت فيها المقاعد ، وقد جلسوا على الكراسي ، فسمع صوت الساحر ساحر البحر يتكلم فزحف إلى الباب ، ونظر من شق فيه فرأى الساحر يجلس وأمامه رجلان ، وبين أيديهما الخادمان اللذان وضعا القناديل والكراسي والماء ، وسمع ساحر البحر يقول بصوت عميق : يا مفروق ما الأمر ؟! .. وما الذي يحدث في جزائر البحر ؟! .. لم يعد سحرنا ينفع ، ويخيف الناس والملوك .. فقد دمرت الجزيرة الكبرى تاج ملكنا وعظمتنا تدميرا قاسيا لم نسمع له مثيلا منذ وجدنا على أرض هذه الجزائر ، وأذل الملك جنـفل ، وسبيت نساؤه ، وما زال الغزاة يهاجمون الجزر الأخرى .. والديك الساحر مريض ، وما زال يعاني من آثار السم .. وأنا بدأت أحس بدنو الأجل .. ولم أجد من هو كفؤ لوراثتي .. رغم أنني التقيت بشاب قوي ونشيط وذكي ومخلص ؛ ولكني أحيانا لا ارتاح له مع ما سحرني به من قدرة وقوة ، فأخشى ذكاءه علينا رغم الإخلاص الذي يبديه فأحس في بريق عينيه وفي نفسه المكر .. رغم أنني أريد أن اصنع منه وارثا لي ، وقد علمت أيضا أن أكثر تلاميذي يحسدونه ويبغضونه لتقدمه عليهم .. فهو يخدمني بتفان ، وما كلفته بأمر أو مهمة إلا فعلها ونفذها على خير

ما يرام ؛ ولكني لا أدري في نفسي شيء مبهم نحوه ، والديك حدثني أنه رأى في عينيه الحقد والكره والانتقام .. ولكنني بحاجة لرجل مثله حسن التصرف والعمل ، فهو حسن التصرف لديه ذكاء وجرأة في الاقتحام والسؤال والمغامرة .. يسألني أنا فاعجب بشجاعته ، يحترمني ؛ ولكنه لا يخاف مني ، فأحيانا أشعر بأنني يجب أن استسلم له واضع ثقتي كلها فيه .

فسمع سحنون الرجل الآخر المنادى بمفروق يقول بحزم وقسوة قلب : إذا كان يشكل خطرا علينا وعلى حياتنا فليمت وتخلص منه وأرح نفسك ووسواسك فالرجال كثير .. !!

الغزاة

ضحك ساحر البحر وقال : أجل الرجال كثير .. الرجال كثير ! وأنت يا سارمون ما تقول ؟

فتنحنح سارمون ثم قال : إذا كان الرجل مزعجا فابعثه في مهمة لا يعود منها حيا .. ولا تتعب نفسك بالتفكير فيه ..

فعاد ساحر البحر يتكلم كأنه حالم : أعجبتني شجاعته وجرأته عندما التقينا قبل سنوات ..

لقد اشتراه دوق بر عبدا رقيقا من مدينة الكمن ، فقد أسره قراصنة البحر وباعوه رقيقا في الكمن لتاجر كبير ، ثم باعه التاجر لرجال الملك دوق بر ، فأرسله لبلاد المال والغال – يحتاج المرء لاثني عشر شهرا أو أكثر ليصل إليها – بما فيها من المخاطر فمع ذلك ذهب إليها ، وأتى بأخبارها للملك دوق بر وعاد ، رحلة ثلاث سنوات .. لم يهرب ! كان بامكانه الحياة في تلك البلاد والمدن .. أي وفاء هذا ! وأي شجاعة هذه ! وكانت معلوماته صادقة ؛ لأنه وقع بين أيدينا ولدان من أبناء تلك البلاد ، وتوافقت الأخبار التي أتى بها بما قالوا ، فهذا يؤكد مسيره لهناك .. ثم أهداه دوق بر للملك جنـفل الأسير .. ثم انتقل ولاؤه لي ، فوقع في البداية من نفسي موقعا حسنا ، وعلمته الكثير من أسرار السحرة ، فتعلمها فأتقنها بسرعة يحسد عليها ؛ ولكني كلما ادقق النظر في عينيه أتوجس منه خيفة ؛ ولكن من ماذا ؟ لا أدري .. أسئلته وأحاديثه مع تلاميذي أحيانا تثير كوامن القلق في نفسي ، وقد مشى منذ أيام للجزيرة ينظر ما حل فيها وما جرى فيها من دمار وفساد .. وأريد أن اقذف به في مهمة صعبة ومرعبة ؛ فإذا نجا من خطرها وشرها سأهبه تاجي ، واقذف نخزات قلبي أدراج الريح ، وأرى أنه أحق به من غيره ، وأن الوسواس لا أصل له ..

ولما لم يعقب أحد على أفكار الساحر ، تابع الكلام قائلا : فلنترك خادمنا سحنونا الآن .. فأين بقية الأعوان ؟! نحن سبعة ، فلم يحضر سوانا .. لقد أرسلت لهم رسلي ، ووعدوني بالمجيء ، ولم يحضر

سواكما .. أريد أن أسمع منكم أخبار الجزر ، ومدى استعدادهم للتمرد الحاصل.. أنت يا مفروق ساحر جزيرة اللوى ما عندك ؟

تلفت مفروق يمينا وشمالا ثم قال : حقيقة يا مولاي ! إن الجزيرة التي أعيش بجوارها لحتى الآن هادئة ؛ ولكنها لا تخلو من التوتر والفوضى .. هذا قبل الأحداث الكبيرة التي عصفت بالجزيرة الكبرى ، فكثير من الشبان الجدد يفتعلون المشاكل ، ويتشاجرون مع الجند ، وتحدث معارك بينهم ؛ ولكن هذا المعارك لم تخرج عن سيطرة الملك الشاب .. وأما الأحداث الكبيرة التي ألمت بالجزائر ، وبالأخص الجزيرة الكبرى كانت مفاجئة لي ولأعواني السحرة ، بل أصابنا الذهول والرعب ! وها هو ملكنا يستعد للدفاع عن جزيرته أو يستسلم لنمرال .. فالأحداث التي جرت في جزيرتنا لم تدفعنا للتشاور معكم ، لم تكن ذات أهمية في نظرنا .. الأحداث الساخنة كانت تجري في جزيرة مورا وجزيرة لولا ، ومع ذلك لم يصل إلينا منها شيئا، لقد كانت العاصفة محكمة التدبير ومفاجئة ، ولما سمعنا بها أصاب الملك جنفل أصابنا الرعب والقلق، وها هم يحاصرون جزيرة برقا .

تنهد الساحر الكبير ثم قال : الحق أننا في كبرى الجزر تفاجئنا بالهجوم ، والذي ساعد هؤلاء على الفوز تعرض الديك الساحر لمكيدة قتل من طرف لا علاقة له بهؤلاء المهاجمين .. فقد حاول ابن أحد ملوك البر البعيد قتله .. وقص عليهم قصة الأمير سبع الغاب والملك دريد ، ثم استمع من الساحر سارمون ساحر جزيرة " هبوب الريح " عن أحوال الجزيرة وأخبارها فلم تكن تختلف عن أخبار جزيرة اللوى كثيرا ، ثم أظهر ساحر البحر الغضب وقال : أود لو اجتمع بساحري جزيرة مورا ولولا ، فلا أدري ما الذي أعاقهما عن هذا اللقاء وأخرهما عن الحضور ؟! فجزرهم غير محاصرة ، بل هي مشاركة في المؤامرة التي تجتاح هذه الجزر ، وستنتظران يوما آخر ؛ فإن لم يحضر أحد من السحرة ، ستعودان لبلادكم ، ولسوف ترون وتسمعون شدة انتقامي من العصاة والمتمردين والغادرين .. سأتركم الآن وأعود للكهف ، وسيقوم العبيد والخدم بما يلزمكم ، وإن أتى أحد من كبار السحرة فاخبروني بواسطة الخادم نبهان .

وودعهم الساحر ، وعاد من ممر سري إلى كهفه ، واستمع سحنون ورأى كل شيء ، وأخذ يستعد للخروج من الحجرة الرابض فيها ، ويتحين الفرصة للانسحاب دون أن يشعروا به ، وكان يقول لنفسه : ماذا ستفعل أيها الساحر ؟! .. فالمتآمرون في عرينك.. فقد كبرت وهرمت

وأعلم ما هي المهمة التي ستطلبها مني أيها الساحر الخبيث !

ومع جنح الظلام تسلل للنفق ومنه إلى الكهف ، وهو يتسمع أمامه وخلفه فلم يسمع حسا ، فتيقن أنه لا أحد منهم شعر به من هؤلاء السحرة والخدم .

ومع ضحى النهار كان سحنون يقف أمام الكهف السري في الجبل ، ويعلن عن نفسه ففتحت الصخرة التي تشكل بابا للكهف فدخل ، ولما وصل للحجرة وقبل أن يدخلها طلبوه لساحر البحر ، فأسرع إليه وقبل يديه وقدميه ، وبكى وهو يحدثه عن حال المدينة والناس والدمار والجثث وأسر الملك وتدمير قصره وسلب أمواله وسبي نسائه وبناته وتدمير قصر الديك وهرب السجناء ، فبكى وأبكى وهو يحدثهم بما حل في البلاد من بؤس وشقاء وفناء بعد عز ورغد عيش ونعيم .. فتمزق قلب الساحر من جديد مما سمع ، ولما فرغ سحنون من وصف المشاهد التي رآها في الجزيرة الكبرى ، قال ساحر البحر بحقد وبغض وثورة : سوف ترون يا أبنائي شدة بأسي وحقدي على هؤلاء الجبابرة العتاة !.. سحنون الشجاع .. هل أنت قوي وشجاع ومطيع لأستاذك ومعلمك ساحر البحر ساحر السحرة في كل هذه الجزائر رغم قصر المدة التي جلستها بين يدي ؟

فصاح سحنون بكل ثقة وجرأة : أنا ولدك المطيع الوفي ، مرني بما تشاء وسأنفذه ولو ذهبت هذه وأشار لصفحة عنقه .

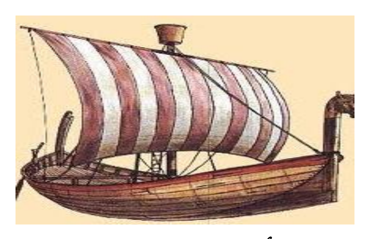
ظهر السرور على وجه الساحر وقال : أيها الشاب الشجاع سأكلفك بهمة صعبة .. أريد منك أن تكون سيف نقمتي .. أريد منك أن تعدم نمرال اللعين الحياة ..أريد أن يهلك هذا الحليف الوحش لهؤلاء الخونة .. هل أنت أهل لذلك ؟!

نهض سحنون وقال بقوة وحماس : سأفعل أيها الساحر ، متى تريد أن تبدأ ؟.

فسكنت روح الساحر قليلا وعاد يقول : بعد أيام ثلاثة انطلق لتنفيذ هذه المهمة الجبارة واعلم أيها الإنسان أنك إن نجوت منها سالما ستكون أكبر السحرة في هذه الجزائر كلها ..ستكون خليفة ساحر البحر ، وترثني ، وسأطلعك على الأسرار العظمى التي تطمع لها الأعناق .. أسرار حكمي وسيطرتي على كل هؤلاء الناس .. بعد أيام ثلاثة سآمرك بالانطلاق ، فاذهب إلى مكانك واستعد لهذه المغامرة والمقامرة .

في ليل اليوم الثالث وسحنون يستعد للرحيل في صباحه قبل بزوغ فجره ؛ لتحقيق شهوة الساحر بقتل القائد البربري نمرال ، دخلت قوات غريبة وجنود كثيفة الكهف السري ، وقبضوا على كل من كان فيه من التلاميذ والسحرة والخدم ،

وربطوا بالحديد والقيود ، وساقوهم إلى شاطئ الجبل حيث البحر ، فأدرك سحنون أن المؤامرة قد تمت للقضاء على ساحر البحر ، وندم على أنه لم يخبر الساحر بما سمع أثناء عودته من زيارة الجزيرة الكبرى ، وعلم من الجنود أنهم ما زالوا يبحثون عن الساحر والديك ، وأنهما اختفيا رغم أنهم قلبوا الكهف حجرة حجرة ، وأخذوا ما فيه من الكنوز والسيوف وحملوهم في سفينة ، وكان قائد الحملة على كهف السحرة شابا دون العشرين .. وأثناء سيرهم في البحر أمر هذا القائد بإلقاء السحرة والتلاميذ في الماء ليتخلص منهم ؛ ولكنه قبل قذفهم في الماء أشفق عليهم فطلب من جنوده فك قيودهم حتى يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم أمام حيوان البحر ، وبعد دقائق كانوا يطرحون في الماء ، فكان سحنون الأسير يقول : هكذا أموت طعاما للأسماك والحيتان !! وداعا أيها التاج ! .. تاج المال والغال ..وداعا يا تاج الساحر الكبير !.. وداعا يا دنيا !



الأمير زعيط بن نمير

عادت الأميرة ظبا إلى والدها غاضبة من زوجها الأمير نمير بن دريد الملك ، وقصت على أهلها الإهانة التي لحقت بها ، فتألم الأب وأنزلها في قصره وأكرم وفادتها حتى فاجأهم رسول الأمير بخبر سفره إلى جزائر البحر ، وأعلمهم بوصية ورغبة الأمير بالمولود القادم ، فولدت الأميرة الغاضبة مولودا ذكرا اسمته "زعيط " كما أوصى والده ، ولما عاد الأمير بعد سنوات عينا للملك دوق بر لم يعلم بعودته إلا المقربون والأخصاء ، ولم يسأل عن الأميرة ، ولا عن ولدها إنما علم بولادتها فقط ، واختفى مرة أخرى كما يعلم القراء ، فعاش الغلام في كنف جده والد أمه ، ولما بلغ سن الفرسان من آل دريد أخبرته أمه عن قصة أبيه وأعمامه العشرة ، وأنه أحق بالتاج من الأمير شرارة نائب أبيه على مدينة الحمراء ، وسمع الفتى قصة أبيه وطمعه بتاج المملكة الكبرى بلاد الغال والمال وسفره لجزائر البحر للإتيان بالديك الساحر ، ثم اختفاء أمره وأخباره ، فذهب للحمراء مطالبا بعرش أبيه ، فغضب عليه أهل المدينة وطردوه شر طردة وعيروه بأن يبحث عن أبيه قبل أن يطالب بعرش أبيه .. فتأثر زعيط من كلامهم الجارح والحاد وعاد لوالدته غاضبا حانقا على عدم تربيتها له في قصر والده ، وقد نمت في رأسه فكرة البحث عن أبيه الأمير نمير ، وحاولت أمه بكل قوة ثنيه عن ذلك الهدف ، وحاول ذلك جده وأخواله، فأبى وأقسم الأيمان المغلظة ، وأنه لابد

من المسير إلى جزائر البحر وأن يعرف مصير والده الذي ذهب منذ سنوات ، ولم تعد تسمع أخباره ، وأمام إصراره وعدم مبالته بغضب والدته ، ندمت أمه ظبا على إطماعه بتاج أبيه ، فقالت له : اذهب إلى عمك جرادي حاكم مدينة كرمه ، فقد تجد عنده أخبار عن والدك الملك .

فرحل زعيط إلى عمه بأسرع وقت واجتمع به وعرفه بنفسه ، فرحب به جرادي، وروى له مغامرته إلى بلاد وجزائر البحر ومحاولته الحصول على الديك الساحر ، وأنه تعلم الزراعة ورحل إلى تلك البلاد مع خادمه المخلص زهدوم ، وكيف وصلا لبلاد الجزيرة الكبرى إحدى الجزر السبعة ؟ وكيف صنع حيلة للوصول للملك جنفل بأن أوهمهم بأن زهدوم هو جرادي وقبضوا عليه وسجنوه وقربوه هو ، فأصبح بستانيا من البستانيين الذين يعملون في قصر الملكة ، وحدثه عن صبره ومحاولته للوصول إلى الديك وفشله ، وأخبره أنه رأى أباه نميرا هناك ؛ ولكنهما لم يجتمعا لخطورة الأمر ولتنافسهما في الوصول للديك ، وذكر له أن عمه الأمير سبع الغاب حاول قتل الديك بحيلة ذكية ، وقد فشل هو الآخر وقبض عليه وطرح في سجن الجزيرة ، وقد التقى به أبوك في السجن ، ثم اجتاحت الجزائر فتنة كبيرة ومرعبة، وحدثه عن بعض تفاصيلها ، فهرب السجناء ومنهم خادم جرادي وسبع الغاب ، وبعد نجاتهم من القتل والحرق مرات ومرات عادوا إلى هذه البلاد ، وأخبره أن آخر أخبار والده أنه انتقل للعمل مع ساحر الجزيرة أكبر السحرة ساحر البحر الكبير فانتقل لجبل السحرة ، وذكر له دخول البرابرة مع القائد نمرال الجزيرة الكبرى وتدمير الجزيرة وحرقها ، ومن ثم اقتحم هؤلاء الغزاة جبل السحرة وأهلك السحرة ؛ ولكنهم لا يعلمون علم اليقين بموت والده أو حياة سحنون وهو اسم أبيه في تلك الجزر، ومكث زعيط أياما في ضيافة عمه ، ثم سار إلى مدينة عمه سبع الغاب الذي أخبره بقصة رحيله لتلك الجزر وعمله طاهيا حتى وصل لقصر الملك جنفل طاهيا والعمل في مطبخه ، ومن ثم محاولته تسميم الديك الساحر بعدما حاول قتل صاحب طعام الديك ، وحدثه عن فشله في قتل الديك ونبذه في السجن ، وقد أتاه سحنون خادم ساحر البحر على السجن ، ثم حدثت الكارثة الكبرى في الجزيرة ، وهربه من السجن وخادم جرادي ، ثم تكلم عن التقائه بالأمير جرادي ، وعودتهم إلى بلادهم بعدما سنحت لهم الفرصة بعد اختفاء دام أكثر من عام ، وذكر له أن القائد البربري نمرال أرسل جيشا لجبل السحرة وأخذ السحرة والتلاميذ وألقاهم في جوف البحر ؛ ولكنه لا يعلم علم اليقين، هل كان

بينهم سحنون الأمير نمير أم لا ؟ ولكنهم علموا أن ساحر البحر الكبير لم يقبض عليه أثناء وجودهم في الجزيرة ، وقد اختفى هو وديكه ، وقد يكون آخرون نجوا من تدمير جبل السحرة ، وبين له أنهم تحروا عنه فلم يصلوا ليقين ، وعادوا لبلادهم بعد غياب طويل يزيد عن عشر سنوات ، ومكث زعيط أياما في ضيافة عمه سبع الغاب كان كل حديثهما عن جزائر البحر والديك الساحر ، ثم ودع عمه وأبناء أعمامه ، وعاد لأمه وروى لها ما علمه من أعمامه ، وبين لها تصميمه وقراره الأخير بزيارة جزائر البحر ؛ ليتأكد من موت أو حياة الملك نمير .

بعد أيام معدودات شد زعيط بن نمير رحله إلى مدينة الغندور ، ومن هناك سافر مع قوافل البحر إلى جزائر البحر، وبعد رحلة طويلة وصل زعيط لمدينة الكمن، وظل فيها أشهرا حتى تمكن من الانتقال إلى جزيرة الضفدعة ، وبرفقة شاب يكبره بسنين يدعى " حسن " ، ولما دخلاها على حين غفلة من أهلها اشتغل حسن عند حداد ، وعمل زعيط مع صاحبه حسن في صناعة السيوف والسكاكين والأسنة ومشاقص النبل ، وسكن زعيط مع صاحبه حسن في بيت واحد استأجراه من رجل اسمه شوان ، ولقد كانت خطة زعيط بسيطة وهي الاحتكاك بأهل الجزيرة والتعرف على الناس قبل الاستفسار عن أخبار والده وساحر البحر وديك الجزائر ، وكان الحب متبادلا بين حسن وزعيط ، وذات يوم دخل عليه شوان وبعد التحية والسلام شرقا وغربا في الكلام ، فسأله الرجل الشيخ عن صنعته ، فذكر له أنه ابن أحد التجار الكبار ، وقد جاء مع قافلة لمدينة الكمن ، ولما باع سلعه واشترى غيرها من سلع هذه الجزائر أرسلها مع عمه وأقربائه ، وقرر السياحة في هذه الجزر والتعرف على أهلها وطباعهم وعاداتهم وأخلاقهم فتصادق مع حسن الحداد في الكمن ، ثم أتيا إلى هنا إلى جزيرة الضفدعة ، وعلم زعيط أن شوان هذا كان يعمل في تربية وتكثير الطيور وبيعها في الأسواق ، ولما كبر سنه ورق عظمه ترك العمل وهو يستعد لساعة الرحيل إلى العالم الآخر العالم الجميل الفاتن ، وتكررت المجالس بين زعيط وحسن وشوان ، واستطاع زعيط معرفة أحوال الجزائر والسحرة والملوك ومعارك البربري نمرال ، وعلم منه أن هذه الجزيرة تابعة الآن لجزيرة مورا ، فبعد أن هزم نمرال البربري حكام الجزر، وخضعوا له ، فأخذ حاكم مورا السابق في زمن جنفل الجزيرة الكبرى بدلا من جزيرة مورا التي تنازل عنها لنمرال على أن لا يتدخل نمرال فيه وفي حكمه ولا جزية عليه ، وكذلك جزيرة لولا لا جزية عليها لتعاونهم معه في اهلاك الملك جنفل

وساحر البحر .. وتملك الجزر الستة الأخرى ملكا تاما يحكمها كيف شاء؟ لإن تلك الجزر تحالفت معه من البداية، فخضعت له الجزر كلها ، فبعضها بالقوة وبعضها بالاتفاق والشروط ، ومنها جزيرة الضفدعة ، المهم أصبح هذا البربري سيد الجزر الأكبر .. فنزل جيشه الكبير مورا ، فهو سيد الجزائر هذه منذ بضع سنين لا ينازعه فيها أحد فلما سمع زعيط هذه التفاصيل والقصص الأخرى قال بهدوء : ولكنني علمت أن ساحر البحر الكبير ما زال الملك نمرال يبحث عنه .. ما حكاية ساحر البحر ؟!

قال ذلك من غير ابداء أي اهتمام موحيا لجاره شوان أن الأمر لا يهمه كثيرا إنما يسمع لمجرد تسلية وتمضية الوقت والقضاء على الملل ، فأخذ شوان يقص قصص السحرة في الجزر بحماس وادعاء علم وفهم ، ثم الحديث عن الساحر ساحر البحر والديك الساحر ، وقد اختفيا أثناء الحرب المدمرة في الجزيرة الكبرى وجبل السحرة ، ولا أحد يعلم هل هم أحياء يرزقون أم أموات يبعثون ؟! وحول هذه الاشخاص كان الحديث يدور بينهم في أغلب الأحيان ، وفهم زعيط في نهاية المطاف أن معرفة أخبار ساحر البحر وسر اختفائه لا تعرف إلا بالاتصال بالسحرة والكهان في الجزر ، فكل جزيرة لها ساحر وله اتباع ، فقد تعاون سحرة مورا ولولا مع نمرال عند استيلائه على المدن ، وعلم زعيط أن الملك جنفل ملك الجزيرة الكبرى قديما ما زال يقبع في سجن نمرال ، ولم يعف عنه نمرال ولم يعدمه الحياة بعد .

فرسم زعيط في نفسه خطة للاتصال بالسحرة وتعلم السحر ، ولما وجد شوان هذه الرغبة في نفس زعيط ، وعده بأن يرسله لأحد السحرة الذين يعرفهم وله علاقة بهم ، فأظهر زعيط الفرح والشكر لشوان ، وبعد حين يسير كان زعيط في قصر أحد السحرة الذي رحب به ، وبعد حديث وتعارف قال الساحر : يسرني أن أرى شابا صغيرا مثلك له تعلق بهذه الوظيفة القاسية التي تحتاج لإرادة صلبة ومجاهدات وصوم .. وأخذ يشرح له تفاصيل الانضمام للسحرة في الجزر وعمل السحرة في الجزر ، وما يحتاجه التلميذ حتى يصبح ساحرا جديدا ، ومن ثم يترقى في درجات السحرة والكهنة ، وبعد حديث طويل أظهر الشاب زعيط تعطشه وشوقه للدخول في سلك السحرة ، واطلع زعيط صديقه حسنا على رغبته الجديدة واتصاله بأحد السحرة ونيته في دخول هذا الميدان ، ولحق زعيط بعد أيام بمعبد السحرة ، وبدأ يتلقى التعليمات والتمارين ، وأظهر نباهة وشوقا للمهنة الجديدة ، واجتاز المجاهدات المفروضة على المريدين والتلاميذ ، وأنهى برنامج الصوم المطلوب

، وقد تعرف خلال هذه الفترة على كبار السحرة في المعبد الكبير معبد السحرة في جزيرة الضفدعة ، وفي خلال سنتين قضاها في المعبد أصبح من التلاميذ الخمسة تلاميذ ساحر المعبد الأكبر ، وتفوق على زملائه فأصبح خادم ساحر المعبد الأول ، فكان يرافقه في زيارته لقصر الملك والأمراء ، وخلال هذه المدة التي قضاها بين أيدي السحرة في معبد سحرة جزيرة الضفدعة لم يصل لشيء عن والده سحنون أو حتى ساحر البحر المفقود ، وبعد زمن أرسله ساحر المعبد مع بعض التلاميذ لزيارة معبد السحرة في جزيرة المورا ومقابلة ساحر الجزائر الكبير ، فرح زعيط لهذه الزيارة لعلها تقرب أمره وغايته ، وبعدما تمت مقابلة ساحر الجزيرة الكبير وكبار السحرة فيها ، وقع الاختيار عليه هو ومريد آخر للبقاء مع سحرة الجزيرة ليتعلموا المزيد من السحر والكهانة حتى يلتحقوا بخدمة ساحر المعبد الكبير الساحر " شردوق " ، وبعد سنة ألحقهم شردوق الساحر بجزيرة السحرة فترة من الزمن ، ثم عادوا وقد ازدادوا علما ومعرفة بالسحر والكهانة ، فلما رجع وقد اجتاز التمارين والمجاهدات الطويلة ألحقهم شردوق بخدمته ضمن الأربعين ساحر ومع الأيام أصبح زعيط عريف عشرة ، وظل يتقدم ويترقى في سلم السحرة حتى أصبح رئيس الأربعين ، ثم جعل نائبا للزعيم شردوق ، وقد اطلع على الكثير من أسرار العمل وعن الخدمة مع الملوك والحكام ، ورغم هذه الدرجات التي ترقى إليها لم يعرف عن أبيه سحنون شيئا ، ولا عن ساحر البحر السابق ، ولا عن الديك الساحر ، أصبح زعيط ذا شأن في الجزر ، فهو نائب الساحر الكبير وهو قريب من الثلاثين عاما فلو هلك شردوق ، فأمامه فرصه أن يبايع كبيرا للسحرة في الجزر إذا وافق كبار السحرة في الجزر الثمانية ، وذات يوم دعي ليرى زوجة الملك نمرال ، فهي مريضة وعلى فراش الموت ، فانطلق إليها مع مجموعة من السحرة ، وقرأوا عليها أورادهم السحرية، وبشروها بالنعيم الأبدي لقاء وجزاء صبرها على مر الحياة والمرض ، ثم دخلوا على الملك وبشروه بموت زوجته القريب ، وعليه أن يهيئ نفسه للحداد ولدفنها حسب الأصول المتبعة ، وبعد أيام طلبوه للملكة المريضة ثانية ، وطلبت أن يدخل وحيدا ليقرأ عليها أوراد السحرة ، فتعجب زعيط لهذا المطلب الغريب ، وبعد تشاور مع السحرة والتلاميذ أذنوا له بالدخول وحده ليقرأ أورادهم السحرية على المحتضرة ، فلما رأته رحبت به ، وبعد كلام عن الموت والمرض والعذاب والحساب عرضت عليه الملكة أن يتخلى عن ثياب السحر والسحرة ، وأن يصبح نائبا للملك نمرال مقابل الزواج من ابنتها

، فتعجب زعيط لهذا المطلب أكثر من تعجبه عندما طلبته وحده واصابته الحيرة فذكرت له أن ابنة لها رأته أكثر من مرة أثناء دخوله للقصر، وأنها عجبت من حسنه وجماله ومن عمله مع السحرة ورغبت به بعلا ، وقد حدثت الفتاة أمها بهذا الإعجاب والميل ، فاعتذر زعيط وخشي أن يكون في الأمر دسيسة وكيد ، فبين لها أن رجل المعبد لا يتزوج النساء وإلا حل عليه غضب جميع السحرة في الأرض البر والبحر وطاردته اللعنة والعذاب هو وزوجته ونسلهما إن لم يقتلوه ، فطمأنته من ناحية الملك ، وسيحميه من شر السحرة ولعنتهم ، ولن يصيبه سوء ، فهو سيكون صهر الملك الجبار نمرال ، فبين لها أن الملك قد يحميه أثناء حياته ؛ ولكن بعد مماته كيف يحميه من غضب السحرة ونقمتهم ؟ فأكد لها أن لا خلود للملك فينتقموا منه بعد موته وذكر لها الأخطار التي ستصب عليه وعلى ابنتها ، مما دب في قلبها الرعب والقلق على ابنتها ، فاقتنعت بالخطر الذي سيحيق بها والخوف عليها من أذى السحرة ، وقرأ عليها زعيط الأوراد ووعدها بكتم الأمر ، وعاد إلى المعبد مع السحرة وهو مهموم يفكر بهذا الخطر الداهم ، ويشاور نفسه ، هل يحدث مولاه الكبير الساحر شردوق بما سمع أم يكتم الأمر كما وعد ؟

ففي الصباح التالي أعلن زعيط أمام السحرة في المعبد عن الصوم عشرة أيام، فحبس نفسه في حجرة من حجر المعبد ، وإذا نوى ساحر الصوم فهو لا يخرج من كهفه البته حتى تنقضي المدة التي نذرها ، فلما أرسلت الملكة المريضة وراءه اعتذروا لها بصومه عشرة ايام ، فدهشت الملكة فطلبت من الملك أن يتدخل ، فهي لا تحب أن يقرأ أورادهم عليها أحد سواه ، فاعتذر لها الملك بدوره وأرسل إليها مجموعة من كبار السحرة ، فرضيت على مضض بالأمر الواقع ، علم زعيط بالأمر ، فطلب الخلوة مع كبير السحرة شردوق ، وكشف له السر الذي دفعه للصوم ، فعجب للأمر ؛ ولكنه لما علم بإلحاح الملكة على حضوره أكثر من مرة ، وتدخل الملك بنفسه وألزم زوجه بقبول غيره من السحرة ، وأن "زعيط " دخل الصوم، تأكد من صدقه وحسن كلامه ، فقال له فيما بعد : أخاف عليك الفتنة أيها الساحر ، فسأرسلك لجزيرة السحرة عدة شهور حتى تذهب روح الملكة ، وهي عندما تعلم برحيلك لن تكاشف الملك بهوى ابنتها فاستعد للرحيل سرا .

قنع زعيط بهذا الحل ، وهاجر من المورا إلى جزيرة السحرة ، وهناك رحبوا به ترحيبا كبيرا ، فهو نائب أكبر ساحر في الجزائر ، وأتم صومه هناك بعدما مدده أربعين يوما لانقطاعه بالرحيل وذات ليلة طلب أحد التلاميذ الخلوة معه، فأذن له، ولما انفردا

قال التلميذ : هنا رجل قادم من بلاد بعيدة يرغب المسارة بحديث ، وهو خائف ، فطلب مني أن اذكره لك ، والأمر كما يخبر خطير ، ولا يريد أن يعرف به أحد أو يراه أحد وهو يتكلم معك بسره فلما أبدى زعيط استغرابه لهذا الكلام قال : كيف نتقابل إذن ؟!

فقال التلميذ : فكرنا في الأمر .. فاقترح أن تسيح يوما في الجبل وفي طرف الجزيرة .. فهو كما يقول سر خطير .. فهو سر رجل يحتضر وينتظر الموت . فكر زعيط بهذا الأمر الغريب ثم قال للتلميذ : حسنا ، غدا أعطيك الجواب .

أدرك زعيط بعد ذهاب التلميذ أن هنا في جزيرة السحرة أناسا خطرين ويتآمرون ، وأن لساحر البحر الهالك قديما رجالا هنا ، وأحس أن لساحر البحر القديم أعوانا ويدا في طلب هذه المقابلة فصمم زعيط على المغامرة ، وطلب السياحة في جبال الجزيرة لمدة يوم وليلة ، وهذا أيضا من طقوس وعبادات السحرة في هذه الجزائر .

قاده التلميذ إلى مغارة في جوف الجبل ، وبعد حين كان زعيط يجلس بين يدي شيخ هرم فان يتهادى بين رجال ، والتقت العيون ، وأشار الشيخ الهرم للرجال بالانصراف ثم قال بدون مقدمات : أنا ساحر البحر يا ساحر الملك نمرال .

تبسم زعيط وكأنه لم يفاجأ وقال : لقد عرفتك ! رغم أنني لم أرك .. ولقد تمنيت هذا اللقاء أيها الساحر الكبير !

دهش الساحر القديم وتمتم : أنت تمنيت هذا اللقاء ؟! وهل كنت تعلم أنك قادم للقائي ؟ وهل كنت تعلم بحياتي ؟

قال زعيط : شعرت بذلك .. ومن معاشرتي للسحرة في جزيرة الضفدعة والمورا عاصمة الملك ومكثي هنا سابقا أثناء التدرب تأكدت أنك لم تمت ؛ ولكنهم يخافون من الحديث عنك .. فوقع في نفسي حب هذا اللقاء .. لذلك لما حدثني تلميذك عن السر والمسارة لم أخش على حياتي .. لأن أي ساحر طامع في مكاني يدس لي هذه الدسيسة ، ومع ذلك وافقت على السياحة يوما حسب اقتراحك لتلميذك .. والآن ماذا تريد أيها الشيخ الفاني ؟!

قال الساحر: قبل أن أذكر لك لماذا أحببت رؤيتك ؟! أريد أن أعرف لماذا تمنيت لقائي ؟!

فقال زعيط : ألا تريد أن تفصح عن طلبك قبل أن تعرف لماذا تمنيت لقاءك ؟!

أجابه ساحر البحر القديم : تكلم يا ولدي فأنت صغير .. هل بلغت الأربعين ؟!

ضحك زعيط وقال : بعد الثلاثين بسنة أنا دخلت سلك السحرة صغيرا أيها الشيخ الهرم .. وأنا أعرف قوتك وعلاقتك مع الديك الساحر ذاك الشيطان .. واعلم أن اتباعك قتلوا بعدما أسروا في

كهفك في جبل السحرة ، والذي تمنيته أن أعرف كيف لم تقع بالأسر ؟! رغم أن الخائن والخونة كانوا من رجالك ، وهم الذين فتحوا صخرة الكهف للغزاة الأقوياء ، فدخل جنود نمرال الكهف ، فأين اختبأت ؟! وأريد أن أعرف ما جرى للديك الساحر لشيطانك ، ولتلميذك الخطير سحنون ؟ .. هذه التي أريد جوابها وتمنيت اللقاء من أجلها ..!!

بكى الشيخ الساحر بكاء مرا ثم قال : ذكرتني بتلك الأيام الخوالي ، أما سحنون الشجاع فوقع في أيدي الغزاة قبل أن يخرج بساعات لتفيذ مهمة عظيمة ، وعلمت أنهم قذفوا بهم لمياه البحر وأما الديك فمات متأثرا بالسم الذي أسقاه إياه ابن الملك دريد أحد ملوك البر ، وأما أنا فلي حجرة خاصة ، وفي داخلها مدخل لحجرة أخرى ، لا يدخلها أحد غيري ، اجتمع فيها بالديك الجني الذي يأتيني بأخبار الجزيرة الكبرى ليلا بدون أن يحس به أحد ، ويدخل من سرداب فلما هجم الجند على كهف جبل السحرة كنا معا ، فدخلنا السرداب واختفينا بداخله حتى انصرفوا فعدنا إلى الكهف واختفينا عن الأنظار حتى تحين ساعة الانتقام ، وقد رتبنا أمورنا ولم يبق إلا القليل .. فنحن بحاجة ومساعدة أمثالك الشباب الطامحين في منصب كبير السحرة .. فقد كشفت لك ما تريد ؛ لتعلم أني أضع ثقتي فيك ، فكن معي وسأمنحك تاجي ، ولا يغرك ضعفي الآن وقوة شردوق ، فشردوق هذا كان من تلاميذي في يوم من الأيام ، وقد طردته وحقرته ، فهو قد انتقم مني وأفسد عليّ رجالي ؛ ولكني سأسحقه فكن معي وسوف تسر، فأنا لم يبق لي في الحياة إلا أيام .. فسأجعلك وريثي الأوحد إن تعاونت معنا للانتقام من هؤلاء البغاة فعندي رجال ينتظرون اللحظة المناسبة ليثوروا في الجزر الثمانية وفي جزيرة السحرة أيضا .. واعلم أن المجرم نمرال سيموت وستقتل جنوده وفرسانه ، ولن أكشف لك سرا إذا قلت لك بأنني أعددت رجالا ليقتلوه ، وهم يتحينون الفرصة والساعة المناسبة لسفك دمه .. فإذا تعاونت معنا ستجد منا الجزاء الحسن ، وأنت تعلم أن نمرال هذا غاصب وقادم من خارج الجزر ، وشعوب الجزيرة خاضعون له من خوفهم ، وسوف تضعف قوته ويزول ويهرب جنوده فنحن في حاجة لبعض السادة والسحرة الكبار في صفوفنا حتى نستطيع إتمام هذا المشروع العظيم .. ثم سيتبعها عملية تطهير كبرى في معابد السحرة فماذا تقول أيها الساحر الطفل الذكي

بعد صمت طويل قال زعيط : سمعت لأفكارك الخطيرة وأقوالك العجيبة ، وأعلم أن روح الانتقام تغلي في نفسك أيها الساحر ! وأنك تريد

إعادة ملك قد زال ، وقد تنجح وقد لا تنجح فالخونة كثر بيننا أقولها بصراحة .. وأنت تعلم أن من أكبر أسباب سقوطك وتدمير الكهف كهف الجبل ضعف رجالك وتلاميذك المقربين ، وأما أنا فتلميذ ترقى في درجات العلم والسحرة حتى وصلت لأن أكون نائبا لكبير سحرة الجزائر ، فقد يجعلني شردوق الساحر وريثا له .. وأنت تعرض عليّ أن أتعاون معك وأكون خليفتك ، وهذا الأمر غير مضمون كما أرى أيها الساحر الكبير ؛ ولكن بما أنك كاشفتني بالأمر الخطير وأسرارك فسألزم الحياد ؛ وكأنني لم

أسمع شيئا .. فوضعي خطير ..

ابتسم الساحر الهرم بحزن رهيب وقال : تلزم الحياد ؟! وكيف أصدق ذلك ؟!

وصفق بيديه فحضر بضعة رجال وأحاطوا بهم ، وسمع الساحر العجوز يقول : تحدثت أمامه كلاما خطيرا .. فلا أحب أن يعود لصومه .. فليمت ، فهو في سياحة ولن يدري أحد بموته .

فقال زعيط بثقة وقوة وضحك فيه نبرة سخرية : تمهل أيها الساحر ! .. فلو قتلتني فلن تعود لك المكانة الأولى ، ولن تنتصر على شردوق ، فهو يعلم أنك تعيش في كهفك السري مختبئا هاربا .. وأنك تتردد على الجزيرة ، وذكرت لك أن بين رجالك خونا . . وعيونا ! .. فشردوق يريد لك أن تموت حزينا مهموما متحسرا .. وأنا لست غبيا حتى أقدم لهذا المكان من غير آخذ احتياطاتي ، وأصدق تلميذا لا معرفة لي به ولا ثقة لي به .. وأنا قبل هذا اللقاء كشفت سر هذا اللقاء لبعض تلاميذي الذين لن يعرفهم جواسيسك في جزيرة السحرة .. وأنا لما أردت الحياد لأني لا أريد أن أدور في صراع على منصب لا أطمح إليه .. فقد عرض عليّ هذا المنصب من شردوق ومن الملك المرعب نمرال ، وعرض عليّ أيها الساحر خلع ثوب السحرة والكهنة والزواج من ابنة الملك نمرال .. ولابد أن جواسيسك هناك عرضوا عليك كثرة ترددي على الملكة .. واعلم أنني جئت لهذه الجزيرة خوفا من الفتنة ومن العودة لحياة العامة .

فقال الساحر بعد تأمل ونظر : سأتوقف عن قتلك هذه اللحظات ؛ ولكني سوف أحبسك وأخفيك عن الأنظار لنتحقق من صدق ما تقول .



روايات قلب الوطن

وهج الحرب ١٠

طلاق وزواج

دخل منتصف أكتوبر الحياة ، وفي سبعة عشر منه اتفقت جريدة وشهاب على الانفصال الورقي بعد

الانفصال البدني ، وضحى اليوم التالي التقيا على باب المحكمة الشرعية في بعنبس وسلمها المحامي مؤخر صداقها ، ووقفوا بين حضرة القاضي ، وأعلن شهاب طلاقه منها ، وأنها تسلمت حقوقها ، وانتهت الحياة الزوجية بعد سنوات بينهما .

ولما انتشر الخبر في الصحف المحلية ، كان في عشرين منه ينشر شهاب إعلان خطوبته على امرأة قريبة له . قابل عارف وجهاد وأختهم وردة أسرة روز في بيتهم الكائن في حي بعنبس بالقرب من مدرسة جوهر ، وسارت معهم سعاد مديرة المدرسة في الزيارة .

استقبلت الأم الضيوف ، وكان شقيقها مهندس الطيران معها ، وتمت الرؤية الشرعية والتعارف ورأت روز الدكتور ، وشرب القهوة التي قدمت له ، ورغم فارق السن اتفقا ، وقبلت الفتاة به مبدئيا ، وعارف المتلهف على الزواج قبلها واتفقوا على ثلاثة أيام تفكير ؛ ليتم كتب الكتاب والزواج ، وكتبوا الكتاب بكل حرية واتفاق ، ودفع العريس المهر كله بدون مؤخر وزيادة ألف على المتفق عليه بينهم ، وأعطاها عشرة أخرى ؛ لتجهيز نفسها بالذهب العرفي والثياب ، وأعطى أمها لتكسوا نفسها وبناتها خمسة آلاف ، وهو خلال أسبوع سيكون جهز الشقة التي يملكها بالأثاث والأدوات الجديدة ، وأرسل كل ما في البيت إلى جمعية جهاد لتوزعه محليا لمن هو محتاج إليه .

وكان الحفل في أول أيام نوفمبر وصادف يوم الاثنين ، وأصبح لعارف زوجة ، ولم يعد ينام وحيدا ، وانتقلت روز معلمة جوهر لبيت عارف الذي أحب أن يجدد زواجه ، وأفرغت عاطفتها في حب زوجها ، وترك لها الخيار بالنسبة للعمل ؛ لأن العمل ينشط الحياة ، ويرفع الكسل والعجز .

وأما هو فقبل العمل مع صديق طبيب مثله في مجمع طبي يعمل من العاشرة صباحا حتى الثانية ظهرا أربع ساعات ؛ لأنه يفكر أن يعمل بالاستشار كابن عمه عصام ، يمتلك صيدليات أو مصانع دواء ، فاقترح عليه جهاد وسالم إدارة مؤسسة يخططون لإنشائها . مؤسسة طبية كبيرة ، تستورد الأدوية والحاجات الأخرى ، مثل الملابس الطبية الكريمات الأدوات الطبية المختلفة للمختبرات والتحاليل ، فارتاح للفكرة . واستشار سامي وحسن في شراء شقة أوسع أو فيلا فاقترحا عليه أن يعود لفيلا أمه ، فهي لم نؤجر بعد ؛ فرفض معللا ستبقى مذكرة له بأمه وبخيانة ميرا وموت بلص.

فاقتنعا بحجته ووعداه بشقة أوسع ، وعادت سلمى لبيت والدها بحفلة لطيفة وبمربية خاصة دبرتها وردة ، وعقد الاتفاق مع مكتب المربيات الغربيات ، وحضر جوهر ووالداه الحفل ، وباركا

لعارف الزواج ولروز ، وقدمت لها وردة مفاتيح سيارة كهدية منها حتى أن روز بكت واحتج عارف ، فلم تقبل احتجاجه ، ولا اعتراضه ، وإنها منها ومن عصام و جوهر.

وعانقت روز جوهرا بحب ، وهي تمسح دموعها بصمت : هذا أنت بطل يا حبيبي ! ها أنا تزوجت خالك!

قال : مبارك يا أبلة ! فخالي يحبني كما يحب سلمى .. حزنت لأخذ سلمى من بيتنا .. سأنام وحدي دون سلمى .. ومن سيحفظ معي قرآنا؟

فقالت : أخذناها أمس .

ـ لم تعد تنام عندنا كما قال أبي.

قالت : أنا أمها يا حبيبي ! وأنت حبيبي يا جوهر ! سأبقى أحدث الأصدقاء أن جوهرا زوجني من خاله الغالي.. شكرا يا دكتورة على الهدية !

قال : أنا أحبك يا أبلة ! وأحب أن أسمع صوتك بالقرآن .

كانت روز تمتاز بصوت جميل في التلاوة ، وتحسن إخراج الحروف من مخارجها وقرأت التجويد وتعلمته ، وخلال الجامعة أخذت عددا من دورات القرآن والترتيل في الجامعة ، والمراكز المنتشرة في الأحياء ؛ لتعليم القرآن والفقه الميسر البسيط ، وتحفظ شيئا كثيرا منه .

قالت وردة : كلما تشتاقين يا سلمى للحديث مع جوهر اتصلوا بي يا روز لآتي وأخذها ساعة زمان وأعيدها .. تعودوا على بعض خلال الشهور الماضية.

كان عصام وعارف يتحدثون بصوت منخفض حتى سمع أخته تسأله عن العروس.

فأجاب : أحلى عروس! أبدلني الله خيرا من الخائنة .

قالت : ستر الله عليها .. الدنيا فيها الطيب والخبيث.

******

نقل لجريدة خبر زواج شهاب بعد الطلاق بأيام على قريبة له ، لا تعرفها ، ولا تذكرها ، وكانت رتبت وماريا رفيقتها قبل إشهار الطلاق أمام القاضي لرحلة سياحية في أوروبا رغم فصل الخريف ، ماريا طبيبة أكبر من جريدة ، عرفتها خلال دراستها في الكلية ، كانت تتقدمها بأربع سنوات ، تعرفت عليها خلال رحلة جامعية على بعض مواقع السياحة الداخلية .

وماريا من سكان تاج الزمان درست الطب في بعنبس ، واستمرت الصداقة بينهن بعد الجامعة وكانت ماريا من دعاة الحرية الجنسية للمرأة ؛ حتى ولو ارتبطت بزوج ؛ لذلك تزوجت بعد التخرج بشاب قبل بشرطها على شرط أن يفعل مثلها ، يمارس الزنا مع أي أنثى ، ولا تعترض عليه ، اتفقا

على البغاء ، كان الزواج صوريا أمام الناس ، عادة هذا الشكل من الزواج يفعله القوادون ؛ حيث يقتسم المال مع من هي زوجته ، ويحلون الزنى بينهما .

فشل هذا الاتفاق بعد سنتين ، لأنه لم ينتفع منه ماليا كما كان يأمل ، كانت تدفع له من راتب عملها له وللزناة ، لم تتأخذ الزنى مهنة ، هي تبحث عن المتعة واللذة .

لما يأت العشيق من طرفها عليه بالخروج للسهر في المقاهي والمسارح ، ولما ينقطع العشاق ويقلّون يأتي هو لها بهم ، ففي هذا الوضع تسمح له بالمكث في البيت ؛ حيث يتظاهرون بلعب القمار ، وكل ساعة أو أقل يدخل عليها غرفة النوم أحدهم يعاشرها ، ثم يأتي التالي، يتبادل زواره معها الفاحشة ، مثل بغاء الجاهلية .

فمرض الزوج الصوري جنسيا بسبب عدم استعمال أسباب الحماية الجنسية كالعازل الذكري الذي أوصت به منظمة الصحة العالمية للوقاية من مرض السيدا فتطلقا .

هي كانت تصطاد الفرائس والزناة من خلال عملها في عيادة المستشفى أو عن طريق القحبات مثلها سواء كن طبيبات إباحيات ممرضات موظفين مرضى ، وبعد حين صادت موظفا شهوانيا شاذا ، وظن أنه العشيق الأول ، وتزوجا مدة سنتين وانتهى الأمر إلى الطلاق بسبب الإباحية الجنسية ، ووجد نفسه يعيش في كرخانة دار الدعارة والبغاء.

فاتفقت مع ملهين ليليين لممارسة الجنس والدعارة ، فصار صاحب كل ملهى يحتاج لخدماتها يتصل بها ، ويرسل لها الزبون سواء كان ابن بلد أو سائح أو سائق شاحنة دخل المدينة يرفه عن نفسه ، هم يسمون الفجور ترفيه عن النفس.

كانت تعمل فحوصا باستمرار ؛ لأن بعض الرجال يرفضون ممارسة الجنس بواقي ذكري . اليوم البغاء فنون ومدارس ، وخاصة مع ظهور الأجهزة الخلوية المتطورة ، ومواقع التواصل الاجتماعي ، وموقع جوجل عامة . كان لابد من هذا التمهيد ؛ لنفهم سبب الانحرافات والشذوذ الجنسي والجندر الذي تدعو له منظمات النسوان في كل العالم.

خططا لهذه الرحلة قبل طرد جريدة من بيت الزوجية ، شهاب يعلم أن زوجته منحلة ، ولم يدخل عليها عذراء ، وهذا الأمر أيام الكلية ، ومتقبل لدعاة الحرية ، ومارس الزنا قبل أن يصاحب جريدة ، ثم لما دخلا في علاقة سمياها الحب ابتعدا فعلا عن الغواية ، وأنتم عرفتم البيئة التي كانت تعيش فيها جريدة ، عم مبغوض، أخوة ضعفاء أمام الانحراف ؛ كما ذكرنا في قصة

وردة ، الآباء عاجزون من تقويم الأبناء ذكورا وإناثا ؛ لكن من حسن حظ شباب المسلمين أن الإسلام ما زال في بلدانهم يقاوم التغريب والإباحية وضياع الأسرة .

لم يستطع الاستعمار والشيوعية من القضاء عليه رغم أننا في فترة السبعينيات وما قبلها كان الشباب المتدين يخجل من إظهار إسلامه ، والمسجد لا يتردد عليه بكثرة إلا الرجال الكبار الذين أكل عليهم وشرب ، وبعض ظهور ما سمي بالصحوة الإسلامية والعودة ، تغير الحال فأغلب رواد المساجد من فئة الشباب ؛ بل تجد في الحي الواحد عددا من بيوت الله ، حتى في بلدان أوروبا المساجد أكثر من الكنائس .. والفضل لله وحده.

لما انتهى ما بين جريدة وشهاب كما ذكرنا بدأت رحلة سياحة بين المرأتين إلى أوروبا عن طريق تركيا ، كانت البداية بالسفر إلى إسطنبول ، فهي مدينة عريقة نصفها في آسيا والنصف الآخر في أوروبا . في السابع والعشرين وصلتا إسطنبول لقضاء ثلاثة ليال ، ومنها بالطيران إلى فينا ، وكان التخطيط أن يسيحا مدة شهر ، شهر نوفمبر كله ، ومنذ بدأت الرحلة تخلت جريدة عن شريحتها المحلية ، واتخذت شريحة دولية ، ومثلها فعلت ماريا ، واعتادت جريدة كلما ظهر موديل جديد من أجهزة الاتصال تمتلكه فورا ،وهذا من أيام الكلية بزعم أنها تحب وتغرم بالتكنولوجيا ؛ فلذلك كلما رن عارف أو غيره ، لا يمكن الاتصال فالخط المحلي مفصول .

مكثن في ملاهي إسطنبول ثلاث ليالي ، بين خماراتها ونواديها الليلة ، وماريا لها خبرة في مثل هذه السياحة فهي الدليل السياحي ومهندسة الرحلة ، وهي التي حببت إليها هذه الجولة الطويلة، بترك البلاد وذكور البلد . انتقلت بهن الطائرة إلى فينا ، والخطة البقاء سبع ليالي في ربوع فينا ، الجو الخريفي بارد في تلك المدن ومتقلب ، وبينما هنّ ينزلن لبار الفندق ؛ ليشربن الخمر رأت جريدة زوجة عارف السابقة أو طليقته ، وعرفتها ميرا دون مواربة ، ولما التقت العيون التقت الأجساد والقبلات ؛ كأنهن صديقات حميمات ، ولما سألتها عن شقيقها، ردت بعدما سلمت ماريا عليها : لم يجد بديلا عنك ، وأنت أصادك أحد؟

قالت : سلمى ما أخبارها ؟

قالت : سلمى تعيش مع وردة مع مربية جوهر ابن وردة .. أنت سائحة أم تحيين هنا ! فشكلك لا يدل على السياحة.

قالت دون تورية : أنا تعاقدت معهم للعمل في الدعارة في هذا الفندق .

قالت : مهنة شريفة ! كيف العمل؟

قالت : حسب الزبون .. الصعب والمزعج هنا

كثرة الفحوصات الجنسية لنا فحص شهري ، فحص كل أسبوع مرة ، مرات كل صباح مارست فيه الجنس وأنت مع هذه ماذا تفعلن ؟

قالت ماريا : تقريبا مثلك بدون مقابل وبدون فحوص .

ـ وشهاب يا جريدة!

قالت : طلقني من عشرة أيام ، وجئت آخذ إجازة مع صديقتي ماريا .. طبيبة مثلي.

ـ ترغبن بالشغل والمتعة في هذا الفندق !

قالت ماريا : ربما نفعل ذلك متى وصلنا روما و باريس ومارسليا ؟

قالت : أنت معك ملايين .. لماذا تعملين يا جريدة ؟!

قالت : للتسلية .. أنا الآن مطلقة مثلكن .. ما أخبار فيرا أختك؟

ـ في إحدى الغرف تلعب رياضة ليلية.

قالت ماريا : تلعب رياضة .. حصة رياضة بجد.

قالت : مع واحد بحب بنات العرب واللحم العربي ؛ كما يقول مسؤول الفندق تشربن شيئا ما دمتن في بار الفندق .

قالت ماريا : ضيافتك الليلة علينا .. نحن أبناء مهنة واحدة.

ـ في زبون سيأتي الليلة للقاء بي ، وأنا أنتظره ؛ فإذا أحبت إحداكن استضافته فأضحي من أجلكن والأجرة لي .

ـ كم يدفعون ؟

ـ حسب المدة ، ممكن ألف دولار ، وممكن أكثر اذا استمتع أكثر .

ـ على الليلة .

ـ يعني

ـ على كل نحن في غرفة ٥١٦ اتصلي بنا اذا رأيته مناسبا .. عندي ساعة وعندها ساعة .. نحن نريد المتعة وأنت لك الأجرة .

المؤسسة

رجع جهاد لمكتبه وكرسيه الفارغ بعد لقائه التصالحي وعمه أمجد محمد والد إبراهيم . ولما جلس في مكانه صفق الشباب فرحا واستقبالا ، فهو لم يباشر العمل فور التصالح ؛ بل بعد ترتيب أموره الخاصة والعائلة ، ورتب أمور الالتحاق بالجامعة الأردنية في مدينة عمان ، وزواج عارف السريع ، والبدء في تأسيس مؤسسة طبية كبيرة برأسمال كبير ، وظيفتها استيراد الأدوية والأجهزة الطبية ، والكريمات الكثيرة العدد والأشكال ، والمقاعد الطبية والأسرة الطبية والأحذية والملابس الطبية . احتفل الرفاق والأصدقاء بمقدمه بقالب من الجاتو والعصائر والمياه المعدنية .

قال إبراهيم : الحمد لله .. والشكر لله .. كان

يعتصرني الألم والندم لم حصل بيننا من تماس كهربائي .. كنت أخشى أن نخسر صداقتنا الممتدة من سنوات لأمر تبين لنا أنه تافه ؛ وإنما الظروف جعلته كبيرا و مدمرا .

قال : الشكر لكم جميعا ! ولنبلكم وعواطفكم نحو شخصي الضعيف .. وأنتم أعز الأصدقاء منذ عملت معكم ، وتدربت في مكتبكم ، وحتى ولو لم أعش معكم ببدني.. فروحي بينكم.. سنبقى أصدقاء يا إبراهيم بعون الله.. والله الموفق للجميع

قال احمد : ستبدأ من مطلع العام .

قال : أجل في بداية شباط ٢٠١١ ، الماجستير سنتان كل عام فصلين ، ممكن تقديم أطروحة رسالة أو ساعات دراسية بدلا من الرسالة ، حوالي ٣٣ ساعة ، والدكتوراه سنتان ٥٥ ساعة معتمدة ، ومنها أطروحة .. قضيت كما تعلمون ثلاثة أيام في عمان وسجلت .. أجور المساكن معتدلة في الأحياء الراقية ، وكلفت ابن قريب لنا يعيش هناك من عهد بعيد ، يعرفه عمي حبيب باستئجار منزل بعيدا عن الجامعة ؛ لأني سأشتري سيارة ، وابن قريبنا اسمه محسن سعيد سيتابع الموضوع ، هو يعرف البلاد جيدا.. ولد محسن في عمان ودرس الهندسة ، وتزوج وأنجب ومعهم جنسية الأردن

قال مهران : نتمنى لك التوفيق .. وشهادة هذه الجامعة جيدة ! هي على مستوى جامعات العالم الكبيرة .. وكل إجازة المكتب مفتوح لك.

قال إبراهيم : وأنا والشباب تحدثنا قبل حضورك بأننا مستعدون للاستمرار بدفع راتبك ؛ لكن مهران زعم أنك لن تقبل .

ضحك جهاد وقال: بالتأكيد لن أقبل راتبا دون عمل ، فهذا لا يجوز أدبا ولا شرعا .. فالمال مقابل العمل ، ولست بحاجة للمال .. فقد وهبنا الله ما تعلمون به وحتى هذين الشهرين سأعمل بدون أجرة ، فقد بدأت أنا وعارف وسالم والأسرة كلها بعون الله بإنشاء مؤسسة طبية كبيرة ، حدثت إبراهيم عنها ، وسيحدثكم عنها ، فراتبي كما خبرتم حول نصفه لجمعية الإغاثة والثاني لجمعية الفضيلة التي تساعد على الزواج .. والأيتام نقدم لهم من استثمارات أخرى.

ـ تقبل الله عملكم الصالح .

قال جهاد : إبراهيم يا حبيبي عليك بتفقد العائلة رندا وزوجة سالم ؛ لأنك تعلم كثرة غيابه.

ـ في عيوني .. سمعت من رندا أنك قد تأخذها لعمان.

قال : هذا بعد حين .. حسب الأحوال ، ووجدت المدينة والجو مناسبا .. فالتغرب صعب على النفس عمان جميلة يا جهاد ! قال احمد: أنا أعرفها ذهبت للدارسة في عمان، ثم عدت ودرست في جامعة بعنبس الدولية قسم القانون.

ــــــ

أوشكت رحلة السياحة الجنسية على الانتهاء ، النمسا روما باريس جنوب فرنسا هناك توقفت الرحلة بانتهاء الوقت ، وبظهور الأمراض الكامنة في الأبدان مع أنهن كن يفكرن بتمديدها لمزيد من اللهو والمتع الجسدية .

ذات ليلة في مارسليا زاد ألم البطن في أسفله لدى ماريا ، فأخذت بعض المسكنات المعتادة ، صداع شديد ، ألم في الحلق ، وبعض التضخم المزعج والصوت ، العضلات تتألم وتتضامن مع الأعضاء الأخرى ؛ ليست أعراض الإنفلونزا ، حكة في الفخذين تذهب و تأتي ، ألم مزعج في العضو التناسلي ، وما صدقن وطلعت الشمس ، فأخذت جريدة صديقتها إلى عيادة أرشدهما إليها موظف الاستقبال في فندقهما.

فلما ذكرت ماريا لطبيبة العيادة أعراضها قالت فورا : هل سبق أن عملت فحوصا جنسية ؟

ـ أنا في جولة سياحية ، والليلة زاد الألم في جسمي ، وسبق أن تألمت قبل أسبوعين بمثل هذه الآلام ومع المسكنات التي اعتدنا عليها خفت.

قالت الطبية: تحتاجين لفحوصات حديثة ، فأنت بصراحة قريبة من مرض السيدا الإيدز .. تحملين الفيروس الخاص به .

قالت ماريا بحيرة وبحلقة بنظارات الطبيبة : إيدز مرض نقص المناعة!

هزت الطبيبة رأسها مرات نعم نعم : واعتقد أنه قديم معك ، وبدأت تظهر أعراضه ، فهذا لا يظهر فجأة ، مع الوقت يتطور .. وأنت وصلت لمرحلة متقدمة .. اذا لا يوجد معك ريالات عودي سريعا لبلدك ، وتابعي العلاج .. الفحوصات مرتفعة هنا عن الشرق الأوسط عليك بكسب الوقت ، وعرض نفسك على أطباء الاختصاص .. فالإيدز لا يظهر من بداية الخطايا وأخطاء الاتصال .. مع الوقت يحدث .

ـ كيف عرفت؟

ضحكت وقالت : تمر علينا حالات كثيرة في فرنسا ، فحفظنا أخطر الأعراض يا جميلة !

صدمت البنتان، وأدركت جريدة أن رفيقتها الإباحية مصابة به قديما ، وهي أيضا تعاني من مرض جنسي تغاضت عنه ؛ خشية شماتة شهاب الذي كان يحضها على عرض نفسها على عيادات الجنس التي انتشرت في الوطن ، مثل عيادات العلاج النفسي ، فهذا سبب عدم تمديد رحلة السياحة الجنسية ، وترك مسارح الجنس والكباريهات الأوروبية وقرى الشواذ في فرنسا وبعد زيارة عيادة أخرى، سمعن نفس التشخيص، فبعد يومين كن في طائرة متجهة لبعنبس وفور وصولهن ساقتها جريدة إلى عيادات

متخصصة في علاج الأمراض الجنسية التي زاد انتشارها مع موجة الإباحية التي غمرت مدن العالم الصغيرة والكبيرة .

فالإيدز منذ ظهر وهو مرعب للإباحيين وغيرهم ، فملايين البشر يحملونه ، ولا علاج قطعي له ، فهو يضرب جهاز المناعة للجسم البشري ، ويسبب أمراضا أخطرها السرطان والأجهزة الحيوية.

ولما تأكد لجريدة صحة ما قاله أطباء فرنسا ، وأن ماريا مصابة به ، طلبت منها العودة لبيت أهلها ومصارحتهم بنتائج الإباحية . وجريدة نفسها خضعت لفحوص واختبارات الإيدز ، فتبين أنها مصابة بالسيلان شقيق الكلاميديا .

أدركت حينئذ عاقبة التنقل من ذكر لآخر دون معرفة ما يحمل أحدهم من بكتيريا جنسية أو فيروسات ، وتبين لها قبح الانحلال ، وترك وسائل الحماية ؛ كما تنصح بها منظمة الصحة العالمية. فالسيلان هو سبب ألم المهبل عندها ، وأنه سبب ظهور القيح على فرجها وتذكرت لما عاشرت رجل فينا ، وأنها تألمت كثيرا من تلك المعاشرة فقال لها : اعرضي نفسك على أهل الاختصاص والمعالجة الجنسية ، ليلتها تألمت كثيرا فلعنت الساعة التي عرفت فيها ماريا التي شجعتها على الحرية الجنسية والاستمتاع بالشباب قبل الكبر . علاج السيلان اليوم ميسور ، وسهل أكثر من الإيدز ؛ ولكنه مزعج ، وسيمنعها من النوم مع العشاق والمتعة ، ويخوف من يتصل بها ، واذا ظهرت أعراضه عليها سيفضحها ، ويحذر الرجال منها ، وستفضح بين القريب والبعيد ،ويعلقون عليها بطاقة احذر جماع هذه المرأة .

وبينما هي في حيرتها اتصل بها عارف ، فقد سمع بعودتها من السياحة الأوروبية كرر الاتصال ، فهي قد عادت لخطها المحلي فور رجوعها ، فهنأها على السلامة فقالت لنفسها : أين السلامة يا عارف ؟ وذكرها بأمواله التي ساهم بها في المستشفى .

فقالت : سأعرضه للبيع يا عارف ، لم نعد بحاجة لمستشفى وحتى العمل.

قال : كلامك معقول ! وهو الأحسن .. هل عرضتيه أم أكلم ابن عمنا وشريكه زوج نوار؟

فهمست لنفسها : هل هؤلاء الأقارب سعداء يا جريدة ؟ إنهم نظاف من صغرهم .. لماذا لم نكن مثلهم ؟ ها هي وردة نظفت نفسها .. لما لا أفعل مثلها ؟ هذا المرض جرس إنذار .

صاح : أين سرحت ؟ مع من تتحدثين؟

ـ مع نفسي يا أبا سلمى .. سمعت شيئا.

صرخ: كيف سأسمع تمتمة ؟ أنا الصراخ لا أسمعه .

قالت : كنت تتحدث عن سامي وحسن ..كلمه

أحسن أنا منزعجة هذه الأيام.

قال : كنت تشمين هواء حول العالم .. فما الذي يزعجك ؟

قالت : عدت مريضة .

ـ مرض السفر .

قالت : هل صحيح أنك تزوجت ؟

قال : قرّبت تولد.

هتفت ضاحكة : أوه ! تزوجتها حامل!

ـ يعني .

قالت : يا لك من فحل نيوزلندي !

أدركت أنها أصيبت بلعنة السيلان بسبب سياحتها الجنسية ، وأنه ظهر عليها سابقا أيام عملها في مستشفى السعودية ؛ حيث كانت تغافل شهابا ، وتمنح نفسها لبعض العاملين في المستشفى بحجة تغيير الجو ، هل كان يعلم شهاب بزناها ؟ كان يهتم بمن تداوم معه ، تقول : كانت علاقاتي بعيدة عن بعضها ؛ ربما كل فصل وآخر أغامر مرة أو مرتين ، كانوا يستعملون رغوة لمنع انتقال أمراض جنسية ، ولمنع الحبل حيث تقتل الحيوانات المنوية ، أحست به ، وعالجها دكتور على سبيل الاحتياط قالت : منذ عدنا أفرطت بمثل هذه اللقاءات ، سمحت لجسدي بلقاء عدد كثير من الرجال ، لم يكن شهاب بالقوي جنسيا ، كان ضعيفا مرة واحدة في الأسبوع فكنت أحب تعويض حاجتي ورغبتي دون إحراجه وضعفه ، لم أقتصر على شريك واحد أو اثنين .. يا ترى هل زوجته الجديدة مستمتعة به ؟ لا اعتقد إلا اذا كانت أمية لا تعرف الجنس والرجال لتقارن.. رجل فينا بدا خبيرا وقال : يا فتاة تحتاجين لتدريب أكثر على الزنا . نعم قال الزنا .. لماذا حرم الله الزنا ؟

فاهتمت بمراجعة أطباء الاختصاص ، وبحثت عن أشهرهم ، وتكتمت عن الأمر أمام رفيقاتها في الإباحية حتى ماريا . وتساءلت :هل أعديت شهابا وهو لا يشعر به ؟ لم يكن كثير المعاشرة بعد شهور من الزواج ، فمن أجل ذلك كنت أخونه ، وللأسف كلهم مثله ، معاشرة واحدة ، ثم يغرق أحدهم في نومه ؛ كأنه جثة هامدة .. الدكتور قال : مرض مشهور وعلاجه ميسور لكنه سيضعف المتعة بالجنس، فنسأل الله الشفاء.

هو أحد أمراض الجنس المشهورة في كل بلدان العالم ، مرض جرثومي بكتيري ومعدي ، قالت : اذا أعديت شهابا ، سيعدي زوجته ، ستكون فضيحة مدوية !

السيلان له تأثير على الحالب والشرج والحلق وعنق الرحم . وأهم أعراضه عند جنس النساء الإفرازات المهبلية ، ترتفع وتزيد عند التبول ، تشعر المصابة به بألم شديد ، ونزيف مهبلي بين

الدورة الشهرية والأخرى ، وبعد الجماع المهبلي ألم في البطن والحوض ؛ لذلك يسبب العقم .

وكذلك يسبب حكة شرجية ، وبقع الدم ، وإفرازات تشبه الصديد والتعب عند قضاء الحاجة والبراز خاصة. وقد يسبب ألما للعين ، والتهابات الحلق والمفاصل .. قالت وهي تقرأ عنه : يا يا أعراض كثيرة ! ينصحون المصاب به بالاتصال بشريك واحد معروف ، عقبت : كم شريك استمتعت معه؟! ومع شريك لا يتصل بأخريات .. أين ستجدين الشريك المخلص؟ والنساء العاهرات مثلك يبحثن عن الزناة في كل مدن ومصانع العالم .. هناك من يمارس الجنس في المكاتب وأسرة المرضى ، لقد فعلت أنا ذلك. الابتعاد عن الاتصال بأكثر من مجرم وخائن. عليّ بأخذ المضادات الحيوية التي وصفت لي.

لما سألها الطبيب عن شريكها ؛ ليجري له الفحوصات والتحليل.

قالت بوقاحة : أكثر من رجل ، وتركتهم في أوروبا ، وأصبت بأعراضه حقيقة قبل السفر .. فلي عشاق هنا ؛ فكيف سأفاتحهم بقبح فعلتي؟ ومن سيقبل بالاعتراف بأنه نام معي وشاركني السرير يا دكتور ! وأغلبهم أو حتى كلهم متزوجون.

تبسم وقال : مشكلة! ألك زوج ؟

ـ طلقني قبل رحلتي الجنسية لعواصم أوروبية .

ولما لزم الصمت قالت : ولم أهتم بداية بما يحدث ، وكنت أتحمل الألم عند أي جماع مهبلي ، فلما زادت اضطررت للقدوم إليك .

وصف لها الطبيب مضادات حيوية خاصة بالسيلان ، وحذرها من أي جماع قبل الشفاء الكامل وزوال أعراض السيلان ، واذا لم تذهب الآلام وألم الحوض تعود لفحوصات جديدة لأنه قد يؤدي لمرض الإيدز ، وبما أنك مطلقة ابتعدي عن الجنس حتى ولو بالألعاب والأدوات الجنسية زوجك قبل الطلاق أظهرت عليه أعراض ، فهو مرض معدي ؛ كما هو معروف؟

قالت : لا أذكر .

ـ تحدثي معه ؛ ليفحص احتياطا.

قالت : لا استطيع ، تزوج قبل رحلتي إلى أوروبا

ـ أعطيني رقمه ، وأتدبر الأمر معه .

قالت : سيشمت بي ؛ لأنه مرات كثيرة حذرني من فتح رجلي لمن هب ودب .

قال بدهشة : يعني يقبل أفعالك !

قالت : لا يقبل حقيقة ؛ لكنه يعرف خيانتي له ؛ لأنه يفعل ذلك يا دكتور !

قال : أنت حرة يا دكتورة جريدة ! أنا اشتريت سيارة من أمك قبل بيع معرضها

قالت : ماتت.

ـ أعلم قرأت نعيها في الصحف يا سيدتي!

قالت : شكرا دكتور باسل .

ـ المرض هذا اذا عولج مبكرا زال من المريض وشفي ، واذا استفحل شكل خطرا عليك ، ويسبب مشاكل في الحلق الملف والمفاصل ويؤدي للعقم وضرب المبيض .

قالت : هل من نصيحة ؟

قال : اذا تعافيت يا صديقي الصغيرة تزوجي شريكا واحدا أفضل ، ولا تستسلمي لشهوات الجسد والإباحية ، واذا تيسر شريك واحد ، فلا يمارس الجنس مع غيرك.

قالت : معادلة صعبة.

قال : هذا ما أنصح به .

قالت : متزوج يا دكتور

قال : لن أتزوج مريضة .. عندي زوجتان أجمل منك!

ـ خفت

قال : لازم أخاف أمراض الجنس .. هناك ما يزيد عن عشرين مرضا نعالجها يا دكتورة .

رنت ماريا على جريدة ، ولما سألتها عن آخر أخبارها ، كشفت ما حاولت تخفيه من تعرضها للسيلان بسبب الممارسات الجنسية المنحرفة ، وأنها تعالجت ، وتأخذ الأدوية الموصوفة لها ، ونصحها الطبيب بإخبار زوجها السابق؛ ليعرض نفسه على الأطباء قبل أن تظهر عليه أعراض المرض ، ويسبب العدوى لزوجته ، فالمرض ينتقل جنسيا ، والمشكلة في رأيها زوجته والطفل اذا حملت ، فالعدوى تصل إليه.

فقالت : تكلمي معه ؛ ليرتاح ضميرك .. متى آخر جماع كان بينكم ؟

قالت : من يوم ما بدأت مشيخته قلّ الاتصال بيننا ؛ ربما حصل مرتين أو ثلاث .. صارت علاقتنا سيئة.

قالت : لابد من تحذيره من باب الاحتياط ، فهذه الأمراض تكمن ، ثم تظهر فجأة .. ولما يتصدع الرأس يذهب الواحد منا للمسكنات والمضادات الحيوية التي تباع بدون وصفات .

ـ وأنت ماذا فعلت؟

قالت : طردوني من البيت خوفا من العدوى ، قالوا طول عمرك تعيشين وحدك ، لما أصبت بهذا المرض عدت إلينا.. استأجري بيتا وسوف نساعدك في أجرته يخافون أن أعديهم ، فحالتي النفسية سيئة عمري ست وثلاثين سنة يا جريدة .

قالت : ما هو أنت أخبرتيني منذ دخلت كلية الطب وتمتعين جسمك.. عشرون سنة .. عمر يا ماريا !

قالت : غير مقتنعين أن العدوى تنتقل من خلال

الاتصال والعلاقة فحسب .. فاضطررت لاستئجار شقة ، ثم فصلني المستشفى ، لما تحقق مرضي ونبذني ، أتقبلين بي؟

قالت : أنا مريضة مثلك ، من الصعب أن تعيشي معي، يكفي ما عشناه معا أيام الفندق والشقة قبل رحلة الشقاء .. هذا ثمن الانفلات ، كما قال الدكتور باسل.

قالت : على كل شكرا، ابقي على اتصال بي ..ألا تقرضينني مالا؟

ـ كم تريدين ؟

قالت : أنت وكرمك.

قالت : اعطني رقم حسابك واسم المصرف ، وسأضع فيه ألف دولار ، وكلما تصرفيها اتصلي بي ، وتابعي العلاج ولا تيأسي .

ـ كريمة وصديقة كريمة!

أغلقت جريدة الهاتف وقالت: دمرنا حياتنا بأيدينا ، حتى لو تزوجت سيصعب عليّ الحمل .. هناك خشية من عواقب السيلان .. شهاب يجب أن يعلم من أجل تلك المرأة من أجل الحمل وسلامة الجنين اذا حملت.

أخذ هذا التفكير منها ثلاثة أيام ، وحسمت القرار ، فاتصلت بشهاب ، وبداية رفض فتح الخط ومن كثرة رنها فتحه وقال: أنا شهاب !

قالت : أنا أعرف أنك شهاب .

ـ ماذا تريد المليونيرة ؟

ـ كيف عملك ؟

قال : الحمد لله تمام .. وأنت هل تزوجت أوروبا ؟

قالت مغتاظة : تزوجت كل رجال العالم .. أنا أتصل لأمر خطير ؛ ليس من أجلك من أجل زوجتك الجديدة .. هل تسمع؟

قال قلقا : أسمعك .. ما هو الخطير ؟

قالت : تبين أني أحمل جرثومة السيلان ، وقد يكون قديما ، ولم أحفل به .. فعليك أن تفحص نفسك في عيادة جنسية .. تعمل اختبارات وتحاليل

قال : متى عرفت ذلك ؟

قالت : وأنا في أوروبا ظهرت أكثر الأعراض ، ولما عدت زرت عيادة الدكتور باسل ..اعتقد بدأ في السعودية ، ثم اختفى أخذت أدوية دون مراجعة المختصين .. استبعدت ذلك.

فور سماع شهاب خبر المرض صعق رعبا ، واشتكى لعارف غدر أخته ؛ لأنه هو الأقرب إليها من جهاد وسالم.

قال عارف : أول مرة أسمع بمرضها هذا ، وهذا يا صديقي شيء ممكن حصوله لكل الزناة الشواذ لا تخف .. اذهب واعمل فحوصات ، وعلاجه سهل وميسور مضادات حيوية يا شهاب وأنت طبيب .. واعتقد لو أنك معدي لظهر عليك

المرض ؛ لكن افحص ؛ لتطمئن زوجتك حامل.

ـ بعد

قال : خلاص هذا الخطير .. فالطفل لا يحتمل هذا المرض .. أنا جريدة من قبل طلاقكم ، لم أرها ، لما سكنت الفندق كانت ترفض مقابلتي مباشرة ، وتقابلنا لما رحلت للشقة المشتراة .. كما تعلم شاركتها في المستشفى ، وطالبتها بإعادة حصتي واتفقنا على بيعه ، وعرضته على سامي ابن عمي ونسيبه زوج أخته حسن .. ويأخذ كل واحد ما دفعه .. اذهب إلى الطبيب .. المرض كشف فحشها ، واعترفت بفحشها وزناها ..أنا أضرب على رقمها مائة مرة حتى ترد مرة .. لما رجعت من رحلة الانحلال اتصلت بها ، وأعلمتها بزواجي ، وذكرت أنها مريضة ومنزعجة ، لم تقل ما هو نوع مرضها.

قال: شكرا دكتور ! آسف لإزعاجك.

قال: موفق شهاب، اذا اقتنعت بالعلاج أنا سأتكفل بالأدوية والفحوص من باب الصداقة والأخوة .

ـ أشكرك صديقي ! مستورة يا دكتور ! شهامة أنت أهلها وأقدرها منك .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال : وعليكم السلام .

أغلق الهاتف ، فقالت روز : من ؟

قال : زوج أختي جريدة قبل الطلاق .. أنت لا تعرفين جريدة .. أخبرني أنها مصابة بمرض إباحي ومعدي ؛ وكأنها أشفقت على زوجته فأخبرته بمرضها ؛ ليذهب ويفحص خشية أن تكون نقلت له جرثومة السيلان .

قالت : شفاها الله تعالى ، لماذا تقع الناس والنساء خاصة المتزوجات في هذا الإثم الفظيع؟ !

قال : أنت تعلمت في الجامعة ، ورأيت بنات الجامعة .. بنات مراهقات .. وزواج بعد أربع خمس سبع سنوات .. والزناة موجودون ، والدول العلمانية تشجع ذلك ؛ ربما نحن أرحم مما نسمع ما يفعله النظام العلماني في تونس العربية من تشجيع الفاحشة ، وممارسة الجنس قبل الزواج .. محاربة رهيبة للتدين.. دكاترة الإباحية منتشرون في أغلب الكليات ؛ لترويج الإباحية والجنس الأمن ، كما يفعل الغرب وجمعيات النسوان تعزف على وتر تعدد الأزواج .. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .. هذا ثمن الانفلات يا روز ! نزور عصاما ووردة الليلة لأنقل لهم الخبر ونرى ما نستطيع فعله لمساعدتها اذا سمحت لنا .. إنها مجنونة !

قالت : سمعتك تقول إنه سهل العلاج!

قال : سهل! لأن دواءه متيسر حبوب ومضادات حيوية ، وترك الاتصال والمعاشرة لحد الشفاء

تمكن العلماء والأطباء من علاجه ، وهو مرض عالمي ؛ إنما الخطير مضاعفاته ، الأخطر منه الإيدز ، له أدوية ؛ لكنها لا تشفيه ، الموت هو الشفاء ومصير حامله، قصرت المدة أو طالت .. هذا الحد الآن لا علاج له ، العلاج يشفي ؛ لكن قد يكمن المرض لحين ؛ ثم يثور كالأنفلونزا ، تذهب ثم ترجع في العام القادم ؛ وربما في نفس الموسم.

قالت : أجهز سلمى لنأخذها معنا أم نتركها.

قال : الأفضل في الليل أن تبقى ، سمعت أن أبا العبد نقل زوجته لمستشفى الولادة قد تلد الليلة أو نهار الغد .

قالت : كان الله في عونها عقبال عندي إن شاء الله!

قال : إن شاء الله .

خبر انتحار



في منتصف ديسمبر كانون أول نشرت صحف الصباح في البلاد الشامخة خبر لفت أنظار القراء والعامة عن انتحار طبيب كبير ، ومشهور أكاديميا في البلاد والأوساط الطبية العالمية ، وهو من كبار المحاضرين والجراحين في جامعة بعنبس الدولية .

الانتحار حادث يومي في أكثر بلدان العالم ، كل نهار يستيقظون على خبر انتحار ؛ لأسباب شتى ؛ وتتصدر روسيا والصين والدول الإسكندنافية دول العالم في أعداد المنتحرين بين مواطنيها بنسبة ١٣ منتحرًا لكل ١٠٠ ألف نسمة ، نشرت منظمة الصحة العالمية تقريرا عن ظاهرة الانتحار حول العالم ، وجاء في التقرير أن شخصا واحدا ينتحر كل ٤٠ ثانية ، أي أكثر من الذين قتلوا في الحروب وعمليات القتل أو سرطان الثدي ، ينتحر مليون إنسان سنويا حول العالم.

لكن الذي أثار الاهتمام بقضية انتحار الجراح ينال روكبس اليوناني الأصل والذي أشهر إسلامه منذ أكثر من عشرين سنة في بلده سالونيك اليونانية ، وتعاقد مع جامعة بعنبس الدولية كمدرس طب ، وطبيب جراحة في مستشفى طب الجامعة وكان متزوجا الدكتورة سلينا انور بلاش عملت في كلية الهندسة في جامعة سالونيك ، فهي آسيوية مسلمة عملت في جامعات اليونان ، وقيل إنها سبب دخوله الإسلام ؛ لأن بلادها تعمل بعدم صحة زواج مسلمة بنصراني فأسلم يعني شكلا ، وهي مسلمة شكلا ؛ لكنهم مسلمون.

ولما انتحر ينال كان قد بلغ من العمر عتيا ٦٥ عاما ، والذي شد الشعب للحادث والانتحار ، ليس

بأنه مسلم ، والإسلام يحرم قتل النفس ، السبب أن الانتحار حدث عندما كان فريق من رجال بحث الأمن السري في طريقهم للحديث معه ؛ وربما اعتقاله لأسباب مخابراتية ، فلما أخبره الخادم اليوناني بأن رجالا مسلحين يرغبون باللقاء به ، دخل مكتبه في المنزل الخاص به وأغلق الباب على نفسه ، ومن ثم سمع صوت اطلاق الرصاص ، فأدركت سلينا أنور بلاش أن زوجها قتل نفسه ، فسمحت لرجال الأمن بالدخول ، وأشارت إلى المكتب ، فاقتحمه الرجال عنوة ، فوجدوه ميتا . طوقت سيارات الشرطة والأمن الفيلا ، وحضرت الإسعاف ، والطب الشرعي المنطقة ، وأصبح المكان مسرح جريمة ، ونقلت زوجته سلينا إلى مكان سري. لم يكن في فيلا البرفسور ينال سواه و وزوجته وخادم وخادمة يونانيان .

وأضافت بعض الصحف غير الرسمية أن سبب الانتحار ليس الكبر والمرض ؛ بل اشتباه بعمل تجسسي ، وأن علاقة بينه وبين عميل إسرائيل الذي قتل في غزة وائل زياد على أيدي عناصر المباحث السرية الفلسطينية .

وذكرت بعض الجرائد قد يكون الدكتور من جذور يهودية ، لقد كانت سالونيك مليئة بأبناء الطائفة اليهودية قبل قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، فهو يهودي يوناني صهيوني ، فلما عرفت المخابرات تلك العلاقة انتحر خشية التعذيب واكتشاف أسراره ، وما زالت الأجهزة المختصة تبحث عن العملاء في قضية وائل الخائن لعروبته وإسلامه ، وتبين أن الرجل المنتحر له علاقات مع رجال وكبار الدولة بصفته طبيب وجراح كبير في بعنبس. فكثير من علية القوم يتطبّبون عنده ، فمن منهم متعاون معه عن جهل أو تعمد أو مقابل مال ؟ وهل وائل همزة الوصل بينه وبين موساد إسرائيل ينقل لهم المال ؛ كما استغل لنقل المال لعملاء الموساد في غزة؟ فكنت تقرأ في الصحف والمجلات نتفا وأقوالا عن ينال روكبس المتظاهر بالإسلام ، وكشفت أوراقه المصادرة صورة للدكتور نجيب عارف وبعض صور أولاده ، مما زاد الإشاعات والأقاويل حتى أن الأمن زار بيت وردة زيارة خاصة في بيتها وسؤلت عن معرفتها بينال ، فقالت : درسني بعض المواد في الجراحة العامة والدم والجراثيم .

لم تكن علاقتهما سوى معلم وطالبة ، لم يكن هناك لقاءات خاصة ، وقد كان رجلا عجوزا بالنسبة لجيلها ، واكتفت المخابرات بذلك ؛ لأنهم تحروا ذلك من غيرها وفي تلك الفترة ، لم تكن التقت بوائل لقاء شخصيا . وكانت وسائل الاتصال الحديثة تبث القصص والإشاعات ويتناقلها الناس على أنها حقائق ومعلومات صحيحة.

وكانت بعض صحف الأثارة التي تسمى الصحف الصفراء تنشر الإشاعات وخيالات ، فقيل إنه رأس كبير في شبكة تجسسيه تعمل في البلاد من سنوات ، وقيل إن وائلا هو الزعيم ، والمخابرات الوطنية تعرف الكثير من أعضاء هذه الخلايا ، فشكل مقتل الزعيم وائلا صدفة انقطاع لأعضاء الشبكة .

كان المحامي إبراهيم يقول : كيف أم عبدالله هذا الصباح؟

قال : بخير والفضل لله ! وكملت فحوص الطفل حبيب .. سميناه حبيبا تفاؤلا بالعم الغالي

قال مهران : أصيل يا أبا عبدالله !

قال : أنا تربيت في بيت عمي حبيب أنا وسالم.

ـ نعم العم!

قال : ترك عمي البنات وعارف لأمي .. أبي خرج من بيروت عام ٨٢ بعد انهزام المنظمة الفلسطينية ، واتفاق الخروج إلى سبع دول ، خرج للشام وحضر الخال هاشم وعلي لنقلنا إلى بعنبس وطننا ، و تابع أبي مخطط الهروب ، ومعه أمي إلى قبرص ، ثم ترك أمي بتمثيلية دون علم لها بها ، وهرب إلى كوبا ، والكل اعتقد أنه مات ، ثم كنت أنا ابن أربع أو خمس سنوات ولما استسلمت أمي لضياع أو موت أبي وعادت لبعنبس أصرت على أخذنا الخمسة ، فأخذني العم وسالم ، وتخلى عن عارف التي أصرت الأم على أخذه وورده ، فتخلى عمي عن جريدة التي ملئت الدنيا صراخا وعويلا ؛ فكانت تربيتها فاشلة وعلى الإلحاد ، وتربية عمي ما ترون القدر ورحمة وفضل الله.

قال : والله معلومات جديدة .. وصور أبيك عند الجاسوس ينال.

قال : الإنسان يا إبراهيم يتذكر .. الصور كلام جرائد.. أبي اختفى قبل وجود ينال في بعنبس

سكت لثوان وقال : كلكم بعون الله مدعون على عقيقة حبيب!

ـ ألف مبارك يا صديقنا !

ـ هل تتابع خبر المنتحر؟

قال : مثله كثير في بلدان العرب ، منذ موت الخائن والأجهزة مشغولة ، لولا أمن غزة لبقي أمره مستورا ، حتى تكتب وتكشف إسرائيل في يوم ما عن قوة جواسيسها وفشل أجهزة العرب عن كشفهم .. حال يرثى لها .. اختراق اختراق

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ...

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

قال : أجهزتنا تطارد المصلين ببراعة مشهودة بحجة أنهم إرهابيون.

قد يتنبأ أحدهم أو بعضهم بثورة في كيان وقطر ما ؛ للإطاحة بالزعيم والقائد الملهم والزمرة المعاونة

له ؛ لتحقيق العدالة ورفع الظلم ، أما مآلات الثورة فعلمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ، ولا ينسى.

رأينا علما ، وقرأنا كتبا عن ثورات على مسار التاريخ ، ثورات نجحت ، فكتب المنتصرون تاريخها ، وثورات فشلت ، ولم يحقق الثوار مبتغاهم ، فنسيهم التاريخ إلا بإشارات لا تغني ولا تسمن من جوع . وقد تقوم الثورة لطرد المحتل والمستعمر أو ذنبه الذي نسي أخذه معه ، وربما صنعوا بطلا للشعب حتى اذا لم يعد الشعب للنوم جاء المنقذ صاحب التاريخ والسجون ليكمل ما عجز عنه الاستعمار .. تأمل ذلك في بلاد العرب أوطاني .

قامت الثورة الفرنسية أشهر ثورة في القرون الأخيرة ، والأميركية ، والبلشفية والصينية ، وكل الدول نهضت بها ثورات وثورات ، مصر العراق سوريا اليمن ومرات تسمى انقلابات أبيض وأسود. ثورات البلقان وبولندا ، ورومانيا .

عام ٢٠١٠ قامت ثورة في تونس ، بدأت كاحتجاجات على الظلم ، ثم صارت ثورة عصفت بنظام بليد من خمسين سنة ، الزعيم هرب مما فاجأ شعب الثورة نفسه والشعوب العربية ، وسميت الثورات بثورات الربيع العربي مع أنها حدثت في الشتاء كفصل.

صفعت شرطية تونسية شابا في حي بوزيد جنوب تونس في منطقة مهمشة يعمل بياعا على عربة تدفع باليد ، قامت سلطات البلدية بإهانة الشاب الجامعي ابن ست وعشرين سنة ، المسمى محمد بو العزيزي ، بائع على عربة فواكه وخضار معيل لأسرة كبيرة من تسعة أفراد أحدهم
معاق ، ويحمل شهادة جامعية عضته البطالة بنابها بسبب ظلم السلطان والأعوان .



والبيع بواسطة العربات شائع في كل بلدان العربان ، موجود من قدم الزمان والسلطات البلدية شغل مطاردة لهم بحجة عدم الترخيص ، ودفع الإتاوات لأشاوس البلدية من شرطة وموظفين قائم ومعتمد ، وبعضهم يبيع الأطعمة والحلويات عليها والفول المسلوق والحمص المسلوق والذرة المسلوقة والمشوية ، ترغب الناس الفقيرة بالستر ، وعدم السرقة ومد اليد.

ذهب الشاب محمد اليائس إلى البلدية للشكوى على الشرطية التي أهانته قدام الناس واستعادة العربة أداة العمل ، فتعرض الضعيف للطرد والإهانة من جديد ، فخرج من المبنى الأسود ، وحرق نفسه عمدا وقهرا أمام البلدية ، ففزع إليه

المشفقون ، ونقل للمستشفى بحروق ؛ ربما من الدرجة الثالثة في تصنيف الحروق .

احتج رفاقه على الظلم الذي لحق برفيقهم الفقير ، وكبرت الاحتجاجات وامتدت إلى العاصمة تونس الخضراء ، لم يستشف خبراء الأمن الكبار في تونس وفرنسا والعالم رياح الثورة والتغيير فهو حادث كغيره من آلاف الحوادث ، دخلت نقابات وعمال على خط الثورة والاحتجاج ، كبرت المطالب ، زار الزعيم المحترق أمام عدسات الشاشات والوكالات العالمية ، في الرابع من يناير مات البو عزيزي كبر الميدان ، أصبحت كل تونس ثائرة ، أرادت الدولة تقديم آلاف العربات للفقراء والضعفاء لتخفيف الاحتقان والنقمة.

والمزاج الشعبي تغير بسرعة ، وسائل الإعلام لم تعير الحادث اهتماما ؛ لأنه متكرر في كل بلادنا فلماذا تهتم به ؟ سخن الجو سخونة حادة ، فبلغ مطلع العام الجديد ٢٠١١ ، فخرجت الأحقاد والدفائن على النظام ، خرج طلب العدالة والثأر ، أصبحت مظاهرات تونس وشعاراتها مهمة لرويتر والجزيرة وبي بي سي ، كبرت الشرارة ، فأصبحت جحيما تعصف بتونس والشرق العربي النار تبدأ بمستصغر الشرر ، عقب سيجارة يحرق غابة ، تكبر وتكبر واحترق الطاغوت ، ولم ينفع شرطي ، ولا جندي ، ولا سلاح ، وانشغل الناس في الثورة ، وأصبحت ثورة ، لم تعد مجرد احتجاجات ، الدول المجاورة أخذت تتفقد أحوالها وفقراءها وأبدانها خشية العدوى ، وانتقال المرض والفيروس الثوري إليها ، وكل رئيس يزعم أن بلاد محصنة ضد العدوى الثورية ، والعدالة متحققة والقضاء مستقل وعادل ، والسجون بيضاء .

طفق تغيير الوجوه في الأمن في الوزراء في قيادة العسكر ؛ لكن خرج المارد من قمقم سليمان ، وفهم الرئيس جاء متأخرا ، واستيقظ بعد سبات عميق وطويل، وسائل الإعلام تنقل الأحداث والتحاليل بقوة ، والشعب يقترب من القصر، الرعب على الحياة والمال ، أوشكت الثورة على النهاية .. تذكروا مذابح الثورات وإعدام رئيس رومانيا مصورا على التلفزيون الرسمي. أرسل زعيم مجاور طائرة لنقل الزعيم إلى مالطة للحياة في فرنسا ، جبنت فرنسا عن تحمله ، تريد إبقاء شعرة معاوية مع الشعب التونسي مع رجالاتها في تونس أين ؟ أين ؟ جدة في السعودية ، استقرت طائرة الهارب جوار مكة بجوار المساجد ، ما حل بجامعة الزيتونة وأخواتها؟ ١٤ يناير انتهى حكم زين تونس ، أصبح ميتا في رعبه في جدة ، يا لها من نهاية مكررة في التاريخ ! تخلت عنه مخابرات فرنسا ، ومخابرات أمريكا وإسرائيل، قبلته دولة اسمها

السعودية في جزيرة العرب هل اعتبرونه مواطنا أم لاجئا ؟

شطب في منتصف الشهر من التاريخ كزعيم ملهم ، لم تلد الأمهات مثله ، انتهى حكمه عن ولاية تونس بعد ثلاث وعشرين سنة من الشجاعة والبطولة الوهمية . نجحت ثورة تونس في شهر بدا عمرا على شعب تونس الخضراء، انتهت بهرب بن علي.. هرب بن علي! وسقطت النياشين .. لم تحمِ البطل ، لم يرها الثوار! الرعب والخوف من جنود الله ! نصرت بالرعب مسيرة شهر .

النخب استولت على السلطة ، رفعت هامتها ، وهي ترفع شعارات الثورة ، أمسوا ثوارا بالشعارات والتعبير ، باراك أوباما ، ودول العرب صمتت خرست ، على من الدور ؟ النخب تعهدت بسماع صوت الأمة ، صوت الحجاب المحجوب في تونس ، صوت جامع الزيتونة الخالد المغلق في تونس ، سمعت همسات رفع الظلم ، لم يكن للثورة قيادة ورأس واحد ، فقد طار الزعيم بطائرة ليبية ، قيل ثورة مخطط لها ؛ ليتزعمها القائد الخفي ؛ لكنها ثورة ، هل تغير نظاما ؟ علم ذلك عند الله ، ثورة عصفت بنظام علماني جلد من خمسين سنة كان يرى محاربة الإسلام بطولة وتقدم ، يسمح بالاختلاط الفاضح ، وإقامة العلاقات الإباحية فضيلة قبل الزواج ، عاد الحجاب لتونس الخضراء ، تململت العروش في كل أفريقيا ، تفاجأ الشعب أنه يستطيع خلع الرئيس ، الشعب يسقط النظام ، ثم تبين " لم يسقط النظام ، سقط الرئيس وحده " . تحرك الشعب ، تحرك اللسان ، الربيع العربي في عام ٢٠١١ في كل الأقطار العربية وبعض بلدان الإسلام ، الكرسي ورثناه كابرا عن كابر ، وصلت الشرارة بعد عشرة أيام مصر.



جرائم العلمانية

مصادرة عربة شعبية لبيع الخضار والفواكه غيرت تونس المعاصرة ، أكثر بلدان العرب علمانية منذ استقلت عن الاستعمار الفرنسي الحاقد على الإسلام ، والمستعمر الفرنسي الذي انهزم أمام الجيش النازي بزمن يسير . لقد توطد الإسلام في تونس ، وارتسمت هويتها الإسلامية منذ أربعة عشر قرناً عندما طرقها الفتح الإسلامي الأول سنة ٣٠ للهجرة ، ولن ترضى تونس ولا شعب تونس بغير الإسلام ديناً ، والعربية لغة مهما اجتهد اليساريون في طمس هويتها وتغريبها ، وإلحاقها

بركب الغرب النصراني أو البحث والتنقيب عن أصولها الوثنية والنصرانية .

ولقد عبَّر بورقيبة عن ذلك بوضوح في أكثر من مناسبة ؛ حيث قال في لقاء صحفي له مع إحدى الصحف الفرنسية : «إني مدين إلى فرنسا بكل شيء، وأساتذتي الفرنسيون هم الذين يرجع إليهم الفضل فيما بلَغْته، وتعليمهم هو الذي نهلت منه، وهو الذي أمدني بالسلاح الذي اعتمدته في السبيل التي اخترتها لنفسي وفي الطريق التي سلكتها منذ شبابي» .



هذا الإنسان كان مغرما بفرنسا أكثر من الفرنسيين ، هو تعلم المحاماة في عهد الاستعمار ، كان مفتونا بالثورة الفرنسية التي قامت ضد الملكية والنبلاء والكنيسة في القرن الثامن عشر للميلاد ١٧٨٩، وامتدت عشر سنوات .

وكان هذا العلماني مولعا بعلماني تركيا أتاتورك بعد خسارته وحزبه الحرب الكبرى الأولى التي تركت تغيرات كبرى على البلدان العربية المشرقية الأسيوية. أصدر الرجل مجلة الأحوال الشخصية ليغير نظام الأسرة الإسلامي بجهله وغبائه لذلك نزل للشارع بمسرحية ، ونزع الحجاب بيده ، ومنع لبسه في البلاد عرضا وطولا كأن الإسلام حجاب فحسب ، دفع بقوة إلى اختلاط الشباب بالفتيات ، فتح لهم المواخير ، دعم البارات بالمعونات ، نشر نوادي الرقص وزاد ؛ حيث راقب المصلين في مساجدهم ، بدّل المناهج التعليمية التي هي مناهج فاسدة أصلا أباح التبني استدرك على القرآن حقد عجيب على الدين ، ومنع المطلقة من العودة لزوجها بعد طلاقها من الثاني ، شرع الطلاق بإذن القضاء ، سمح للمرأة بالإجهاض دون إذن الزوج ، رفع سن زواج الذكر إلى عشرين ، والبنت سبعة عشر عاما ، والزواج لها من أي دين شاءت . جعل الدعوة للصلاة جريمة ، جمع الجمعة بالعصر لمنع صلاة الجمعة ، تفتح المساجد وقت الصلاة فقط ، إعدام الزوج بقتل زوجته الزانية .

لقد طالت الحرب التي شنها بورقيبة على الهوية الإسلامية لتونس جميع النواحي القضائية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية في المجتمع التونسي؛ في مجلة الأحوال الشخصية المختلقة اشتملت على تحريم تعدد الزوجات ومعاقبة من خالف ذلك بالسجن ، وقد أصدر بورقيبة هذا القانون متذرعاً بحرصه على تحرير المرأة التونسية وردِّ الحقوق إليها وإنصافها من

جور الرجل وظلمه ؛ إذ «إن تعدد الزوجات يسيء إلى كرامة المرأة وعنفوانها، ويجعل منها ذليلة لا تهدف إلا إلى إرضاء زوجها خوفاً أن يتحول عنها إلى امرأة أخرى» .. وسمح بالعشيقات والخليلات . لم يغن المرأة التونسية ، ويجد لها سعة في المال .

ومن موبقاته إلغاء المحاكم الشرعية وتوحيد القضاء ، وفي خطاب بورقيبة الشهير الذي ألقاه في مؤتمر المدرسين والمربين ، والذي نال فيه من شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، واتهم فيه القرآن بالتناقض، ودعا فيه إلى تسوية الرجل بالمرأة في الميراث ، وادعى لنفسه فيه حق تبديل أحكام الله وتطويرها بحسب تطور المجتمع ، وتطور مفهوم العدل ونمط الحياة باعتباره من حق الحكام بوصفهم أمراء المسلمين على حد زعمه ؛ ضربه الخرف في كبريات عمره ، وأقيم عليه حجر في بلدته مدة ١٣ حتى هلك عام ٢٠٠٠ . يزعمون العلم والمعرفة وأفعالهم تدل على عمق جهلهم ، يحكمون بالشهوات وطاعة الغرب أعلنها صراحة أن الإفطار في رمضان من مقتضيات التنمية وزيادة الإنتاج القومي ، وما زاد الإنتاج !حظر لبس الحجاب وارتداء اللباس الشرعي على التلميذات في المعاهد والثانويات والجامعة وعلى الحرائر من النساء في الإدارة العمومية؛ حيث اعتبر الزي الإسلامي زياً طائفياً منافياً لروح العصر وسنَّة التطور السليم.

كما اعتبر سُنَّة إرسال اللحى مظهراً من مظاهر التخلف الذي لا يليق بمظهر المواطن التونسي كما يريده محرر تونس وزعيمها الأوحد . اختار بورقيبة منذ فجر الاستقلال يوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية في الدوائر الحكومية؛ بينما اعتبر يوم الجمعة يوم عمل حتى الواحدة ظهراً، وقد شاع لدى شعوب العالم ارتباط يوم عطلة آخر الأسبوع بهوية هذه الشعوب الثقافية والدينية؛ فيوم السبت يوم عطلة لليهود ، ويوم الأحد يوم عطلة للنصارى يمارسون فيه طقوسهم الدينية ويؤمُّون فيه الكنائس ودور العبادة ؛ وكأنما أراد بورقيبة بذلك محق الهوية الإسلامية لتونس وبث روح الانتماء إلى المجتمع الغربي النصراني. استطاع العلماني الجلد بورقيبة أن يربي جيلا كاملاً من حَمَلة الفكر العلماني (اللائكي) وبوَّأهم من تونس مكاناً علياً ؛ فلقد ازدادت الحرب على الهوية الإسلامية لتونس ضراوة في العهد الجديد ، وتعدد رموزها، وتنوعت أشكالها بتحالف التيار الماركسي الشيوعي اليسير العدد مع رموز الحزب البورقيبي الحاكم في مواجهة التيار الإسلامي الصاعد ممثلاً في حركة النهضة التونسية.

في المجال التعليمي والتربوي: بادر بورقيبة منذ

أيام الاستقلال الأولى إلى غلق جامع الزيتونة ؛ حيث أغلقت المدارس الثانوية التابعة للزيتونة بأنواعها منذ منتصف الستينيات، وتحولت الجامعة الزيتونية العريقة إلى كلية تابعة لجامعة تونس الحديثة.

كما أرسى سياسة التمييز الثقافي بتهميشه لأصحاب التكوين الثقافي العربي والإسلامي من خريجي الزيتونة والجامعات الإسلامية في المشرق العربي وإقصائهم من الوظائف الكبرى في الدولة، ولقد استمرت سياسة الإقصاء هذه في العهد الجديد عهد زين بحدة أكثر؛ حيث تم تسريح كل من يُشَكُّ في تدينه من الوظيفة العمومية في المواقع الحساسة في الدولة، وشُكِّلت للكثير منهم محاكم وهمية، وزج بالكثير منهم في غياهب السجون ، ومنعت الفتيات من الالتحاق بالمدارس والمعاهد والجامعات لارتدائهن اللباس الشرعي، بل حُرِمَ بعضهن من الاستشفاء في المستشفيات العامة لتمسكهن برداء الحشمة والحياء ، والتمكين في المجال الثقافي لعناصر التيار الماركسي الإباحي مما شاع معه إنتاج وعرض أفلام خليعة لا تمت إلى الحياء بصلة مثل فيلم: «عصفور فوق السطح» الذي عرضت فيه أجساد النساء عاريات بلا حياء، وعرض فيه مؤدب القرآن الكريم في مشهد يدعو إلى السخرية والاستهزاء، كما لا يجوز لأي حزب سياسي أن يستند أساساً في مستوى مبادئه أو أهدافه أو نشاطه أو برامجه على دين أو لغة أو عنصر أو جنس أو جهة ، بينما فتح الباب واسعاً لأصحاب الأفكار اللائكية (العلمانية) والبرامج المستوردة من الشرق الشيوعي والغرب النصراني من الشيوعيين واللادينيين مما مهد لولادة تحالف قوي بين الحزب الحاكم والعناصر الشيوعية المنبثة في مؤسسات الحزب وهيئاته العليا، والحرب مستمرة بلا هوادة وطرفاها : أقلية فرنكفونية علمانية متنفذة تمسك بزمام السلطة ومقدرات الدولة تعضدها العناصر الماركسية اللادينية المتحالفة معها من جهة، والشعب التونسي العربي المسلم ممثلاً في قدامى خريجي الزيتونة وخريجي الجامعات الإسلامية بالمشرق العربي من أصحاب التوجه الوطني العروبي الإسلامي تعضدهم ثلة من شباب الصحوة الإسلامية المباركة في تونس من جهة أخرى ، لقد أيقظت الحروب الأخيرة في أفغانستان والبوسنة والهرسك وكوسوفو والشيشان والاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على المقدسات الإسلامية والشعب الفلسطيني الأعزل ، لقد أيقظت هذه الحروب في الشعوب الإسلامية روح التمسك بدينها وثقافتها وهويتها الإسلامية، كما أن إخفاق التجربة الشيوعية وانكسارها في الوطن الأم روسيا أسقط أسطورة الفكر الماركسي

المخلّص للشعوب المضطهدة من نير البورجوازية المستبدة وجور الأنظمة الظالمة، أضف إلى ذلك إخفاق الثورة القومية التي رافقت حرب التحرير في الوطن العربي واعتَلَت سدة الحكم في أغلب البلاد العربية في توفير الأمن والاستقرار والتنمية والعزة والكرامة للشعوب العربية؛ بحيث لم يبق أمام هذه الشعوب من سبيل سوى العودة إلى دينها والتصالح مع هويتها الإسلامية ، كما لم يبق أمام الحاكمين بأمرهم في بلاد العرب من سبيل سوى سبيل التصالح مع شعوبهم على أساس احترام ثوابت الأمة وحفظ الدين واللغة؛ وهو أمر قد تنبهت إليه العديد من الأنظمة الحاكمة واستجابت له من خلال استيعابها الاتجاهات الإسلامية المعتدلة كما هو الحال في بعض الدول العربية . في زمن الظلام والجنون أصبح وجود المصحف في منزل أي تونسي مثار شبهة قد تؤدي إلى الاعتقال والمحاكمة ، صار الناس خوفا يستبدلون المصاحف وكتب التراث، بقوارير الخمر في رفوف منازلهم وثلاجاهم ، لتأكيد براءتهم من الانتماء للحركة الأصولية النهضة ، ولخداع الأمن السري .

وصار ارتداء الحجاب جريمة يعاقب عليها القانون ، فلا حق للمحجبة العمل ولا التعلم ، بل وصل المنع إلى حد الحرمان حتى من الاستشفاء في المستشفيات ، إذا أصرت الأنثى على حجابها ، ولم تمتثل بخلعه ، تمنع من رؤية وزيارة زوجها أو أبيها أو قريبها المسجون ، وموررست في حق المنتمين للمؤسسة العسكرية والشرطية كل سبل الاختبار والتمحيص من إلزامهم بحضور الحفلات الماجنة الخليعة وصحبة زوجاتهم، وكل من يلحظ عليه امتناع أو امتعاض، فمصيره التعنيف ، ومن ثم الإبعاد ، وكثيراً ما وصل الأمر إلى حد الاعتقال والتعذيب والترهيب. وصار بعض الناس ينتقمون من خصومهم أو منافسيهم بالاتصال بالشرطة، والادعاء أن فلاناً «خوانجي» (عبارة أطلقها الإعلام التونسي والنظام على كل من يتمسك بدينه، ويقصد بها التشويه واللمز) على أنه من جماعة الإخوان ، وهذه تهمة كافية للقذف بالغريم إلى ما وراء الشمس، ولم يشمل التعسف والقمع الأهوج في تلك الحملة الناشطين الإسلاميين وحدهم ؛ فقد طال أقاربهم ومن لهم به صلة رحم أو نسب أو قرابة ؛ فجرى في كثير من الأحيان اعتقال الآباء والأمهات والإخوة والأخوات، دون جريمة، إلا أن يكون أحد أفراد العائلة من الدعاة إلى الإسلام ، ووُجهت عائلات كثيرة بالحصار الاقتصادي والاجتماعي في محاولة لممارسة أقصى وأقسى أنواع التضييق عليها، واخترعوا «خطة تجفيف ينابيع التدين» ، واضعو

الخطة هم فلول اليسار من الفرنكفونيين المعادين للعروبة والإسلام الذين هزمتهم الحركة الإسلامية في مختلف النزالات الفكرية والسياسية والاجتماعية بالجامعة والمعاهد والنوادي الثقافية وحتى النقابات العمالية التي تعد من القلاع المحسوبة تقليدياً على اليسار ؛ وذلك خلال فترة وجيزة من الزمن، وللانتقام من هذا الغريم الفكري والحضاري اندمج اليساريون في أجهزة الدولة وفي التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم ، وتترسوا بالأجهزة الأمنية، وقد قامت خطة تجفيف ينابيع التدين على محاربة اللغة العربية والدين، فعمل بكل قوة على نشر اللغة الفرنسية ، في حين تخصص قطاع من السينمائيين التونسيين في تحطيم كل المقدسات الدينية والاجتماعية، وفي ترذيل المؤسسات التي حفظت هوية المجتمع التونسي العربية والإسلامية ، وعلى رأسها مؤسسة العائلة، في مقابل التركيز بشكل مفتعل على الدفاع عن صورة اليهود في تونس، وتسجيل إنجازات لهم ثقافية وفنية وحتى وطنية في تاريخ تونس ، برزت إلى السطح في تونس ظواهر غريبة على المجتمع التونسي، مثل ظاهرة عبدة الشيطان، ونشطت الفرق التنصيرية ونشرت بكل السبل الخرافات والبدع والشعوذة لتلبِّس على الناس أمر دينهم. كما عرفت جامعات تونس مساكن مختلطة بين الطلاب والطالبات، وانتشر الفساد الأخلاقي والمخدرات، وشاعت أمراض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) بينهم .

وقد أقضَّت ظاهرة الإقبال على التدين، وارتياد المساجد من أعداد كبيرة من الشباب اليوم في تونس ، وعودة الحجاب الإسلامي للظهور بقوة رغم كل التضييق على من يرتدينه، أقضَّت مضاجع كل المخططين لسياسة تجفيف ينابيع التدين السيئة الذكر ، التي أريد من خلالها القضاء المبرم على دين الناس وثقافتهم وحضارتهم الأصيلة ، بل أصبحت هذه مظاهر التدين العام للناس من مختلف الأعمار والطبقات من الظواهر الشديدة البروز، بالرغم من كل محاولات لجمها أو مسخها وتشويهها ، فالمساجد أصبحت تعج من جديد بالمصلين، وخصوصاً الشباب منهم في كل مدن البلاد بلا استثناء ، والحجاب صار ظاهرة بارزة على الرغم مما يمثله من تحدٍّ واضحٍ لقرار السلطة التي تمنع ارتداءه، وتمنع المحجبات من ارتياد المدارس والمعاهد ومختلف الإدارات الحكومية وغيرها، سواء أكان ذلك لغرض التعلم أو العمل أو المراجعة. ورغم أن كثيراً من هؤلاء المتحجبات يلاقين أنواعاً شتى من التضييق، يصل إلى حد الفصل من الوظيفة والمنع من الدراسة، وكتابة التزامات وتعهدات لدى مراكز الشرطة

بخلع الحجاب، إضافة للتهديد والوعيد الذي يوجه عادة لأولياء الأمور، إلا أن ذلك زاد إصرار هؤلاء القابضات على دينهن، وعزيمتهن على التمسك به .

تعد تونس البلد الإسلامي الوحيد الذي يتبنى منشوراً رسمياً أي قانوناً ـ المنشور ١٠٨ ـ يمنع ارتداء الحجاب ، وينعته بالزي الطائفي، ويحرم المتحجبة من كل حق مكفول لغيرها كالتعليم والعمل الوظيفي، مما سبب ولا يزال معاناة بالغة لكل متحجبة في البلاد.

تباينت التحليلات حول موجة التدين الكاسحة التي تعم المجتمع التونسي في الفترة الأخيرة؛ ومما زاد في غرابة هذه الظاهرة أن كل المؤشرات المشاهدة كانت تشير إلى انحسار شبه شامل لكل مظاهر التدين بسبب التضييق والمراقبة المستمرة، كما كانت تشير إلى أن المجتمع قادم لا محالة على فترة غير قصيرة من العلمنة الشاملة، إلا أن إرادة الله وأمره الغالب كذب كل هذه التوقعات ، (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) ، ولم تكن احتجاجات تونس ؛ لتأخذ بعدا خارج البلاد التونسية ؛ بدأت كأي احتجاج يحدث في بلاد الدنيا ، التي تحدث متأثرة بحدث أو لرفع ظلم أو رفع لسعر الخبز والقمح أو سخط ضد قضاء ، ردة فعل بعيدة جدا عن تغيير الحاكم . انتحار شخص أو حرق نفسه ؛ ليس بالأمر والحدث المهم ، وكثير حرق نفسه بعد تونس دون ردة فعل ، فحوادث كثيرة تحدث في الدول الغنية والدول الفقيرة لأسباب كثيرة لا تصنع ثورة ؛ لكن استمرت نشرات الأخبار تتحدث عن اضطرابات واحتجاجات بوزيد في جنوب تونس ، بلدة مهمشة في كل الخدمات من الدولة دون أن ينتبه لها الإعلام العالمي

عمان

لم يعد التزام جهاد بمكتب شركة إبراهيم ؛ كما كان قديما وسابقا ؛ فهو على وشك الرحيل للأردن ؛ لإكمال الدراسات العليا في القانون ، وسيبدأ بالماجستير الدرجة الثانية حسب الترتيب العلمي والعالمي ، ونظام الماجستير الأردني مثيل الجامعات العالمية في أنحاء العالم ، كل سنة دراسية فصلان ، ويدرسون بطريقتين إما أن يدرس الطالب ساعات البرنامج ورسالة أو ساعات البرنامج وبدلا عن الرسالة تسع ساعات مواد ومحاضرات ، فساعات البرنامج ٣٣ ساعة مع الرسالة ، (وسيمجستر) في القانون العام سنذكر بعض تفاصيله أثناء وجود صديقنا في عمان. ماجستير الرسالة ١٨ ساعة إجبارية و ٦ ساعات اختيارية و ٩ ساعات رسالة.

أخذ يتردد على المكتب بعد ولادة زوجته بصورة

متقطعة ، وبغير التزام بالوقت ، دخل جهاد المكتب ظهرا وبرفقته شاب يرتدي بذلة سوداء ؛ كأنه ذاهب لمقابلة أو استلام عمل.
سلم ، وصافح جهاد ورفيقه الدكاترة الثلاثة ، وأشار له جهاد إلى مقعد ، فقعد عليه .
وقال جهاد معرفا : هذا الدكتور إبراهيم ، وهذا الدكتور مهران ، وهذا احمد وهو دكتور وإبراهيم هذا شقيق زوجتي أم عبد الله .. هو مؤسس الشركة والمكتب مع مهران واحمد .. وأنا عملت معهم من سنوات .. وهذا الشاب هو المحامي أسامة زبدي المتخرج من شهور من سكان بعنبس .. إبراهيم دكتور قانون تجاري ومهران جنائي واحمد قانون دستوري وأنت قانون عام .
رحب الرجال ببعضهم ، وأين درس ، وأعزب أم متزوج . وقال : في هذه الغرفة يا أسامة الطابعة ، وقسم الطباعة ، تعمل فيه أم وليد والأنسة المحترمة نهلة محمد ، وهذا الأستاذ عفان أبو خالد خادم المكتب ؛ منذ فتحه الشباب .
تكرر الترحيب والمجاملات ، وقدم أبو خالد القهوة لجهاد وأسامة ، ودارت بينهم استفسارات وأجوبة.
فقال إبراهيم : نحن بحاجة لمحامي متحرك يا أسامة من أجل الذهاب للمحاكم وأخذ مواعيد الجلسات ومتى ؟ وتأجيلها ، وحسب القضية يذهب معك أحدنا أو يكفي ذهابك وحدك ؟ وقد تصحبك الآنسة نهلة للإجراءات .. هذا العمل في البداية .. وجهاد سيرحل إلى عمان لدراسات عليا ، وقبل توقيع عقد العمل بيننا ستقضي أسبوعا تحت التدريب والتجربة .
رد أسامة : جيد يا دكتور ! أنا عملت شهرا في مكتب لسان الحق المعروف في شارع ونش حي الطيارة ، ولما التقيت بالأخ الكبير جهاد نجيب ذكر لي حاجتكم لمحامي متخرج حديثا .
قال : نحن بحاجة إلى اثنين... أنت ، ونحتاج لمحامية ، نرغب بوجود محامية أنثى ، فقد كانت معنا امرأة في الشركة تعينت في جامعة حقوق تاج الزمان .
قال : أختي محامية ؛ ولكنها تعمل في شركة خاصة قسم القانون من سنوات وترغب بترك الشركة بسبب مشاكل إدارية .
قال : من متى متخرجة؟
قال : إنها متخرجة من خمس سنوات تقريبا.
ـ متزوجة!
قال : متزوجة ، ولديها طفل واحد .
قال : اعرض عليها أمرنا وحاجتنا .
قال : جيد ! متى أبدأ ؟
قال : من الآن .. أسبوع زمان ثم نوقع العقد.
قال مهران بفضول : كيف التقيت جهادا؟

ـ في الشارع . وضحك

فقال : بجد ، أين التقيتم ؟

قال باسما : في المسجد عند باب المسجد ، كان الأستاذ الفاضل يصلي العصر في مسجد شارعنا حي العين مسجد أم سلمة زوج النبي ﷺ ، وأنا عرفته عن طريق جمعية الرحمة ، كنت أساعدهم في تقديم المساعدات والأشياء المستعملة على فقراء بعنبس وتاج الزمان وحتى العاصمة .

قال مهران : عندنا فقراء يا جهاد !

قال : كثير .. السكان الأصليون للحي كان أغلبهم أغنياء ؛ لأن الحي نشأ للأغنياء وطبقة الأرستقراطيين الذين نزحوا من تاج الزمان ، فهو قد كان جزءا من تاج الزمان ، ناس ظلت أغنياء، وناس صارت فقراء ، وكبر المكان حتى صار مقاطعة من عشرين حيا ؛ الفقراء عائلات تغير حالها من الغنى للفقر ، ورثوا بيوت الآباء والأجداد أو عمال وخدم في بيوت الأغنياء ، ولا حي يخلو من الفقراء ولا في اليابان .. الفقير حسب أغنياء بلده.. ناس كدهم المرض والعجز والشيخوخة والإعاقة .

استأذنت وردة فترة الغداء وقالت لشريكتها الدكتورة ثروت حسيب ونوال : اتصلت جريدة شقيقتي ترغب بمقابلتي فاسمحن لي بذلك.

قالت ثروت : سلمي على الدكتورة .. هل أكملت الاختصاص ؟

قالت: سعت أثناء عملها في السعودية للتخصص في الطب الباطني ، ولم تكمل فعادت ، وأنهت عقدها.

قالت نوال : بلغيها تحياتي وسلامي .

ضغطت جرس الشقة ، ففتحت جريدة الباب ، وهي بملابس النوم والسيجارة في فمها ، ورائحة الدخان تملأ فضاء المدخل ، ورأت زجاجات الخمر وعلبه المعدنية مبعثرة في وسط الغرفة ، بعضها على الأرض ، وبعضها فوق منضدة دائرية ، تلقائيا بعد المصافحة ، وضعت كفها على أنفها ، وتأففت و هي تقول : كيف تعشين مع هذه الرائحة والقذارة ؟ دخان .. برز مزبلة .. جو يشيع الكآبة ، رائحة الدخان مرض وقاتلة .. أعقاب السجاير تملأ الأرضية .

قالت: رحم الله أيام زمان!

صاحت محتجة على المقارنة: كنت أرمي أعقاب السجاير على الأرض .. هذا مكان قذر .. كل

الناس تمرض .. الحمد لله على السلامة.

قالت: طيب ..تعالي .. هذه غرفة مغلقة .. لا أستخدمها .. نجلس نتحدث فيها بدلا من أن يبقى المنديل على خرطومك.

بحثت عن مفتاحها ، وفتحت به الغرفة ، وجلستا فقالت وردة : هذا التراب والغبار يملأ مقاعدها .. استأجري خادمة .. نحن نجلس على التراب .. عجلي بما تريدين .. مكان يسبب الأمراض .. مكان قذر !

صاحت : فيما بعد نتكلم .

خرجت وردة ساخطة على صراخها في وجهها وقالت: أفضل من البقاء في مزبلة.

صاحت جريدة : لما أحتاجك أتصل بك .

وخبطت الباب خلفها بشدة : مع السلامة.

لم ترد ، وما صدقت أن وصلت للعيادة ؛ لتسرع إلى المغسلة، وتغسل وجهها وتستنشق ، وتغسل أنفها وفمها حتى أن نوال قالت: رائحة الدخان ؛ كأنها عالقة بثيابك !

قالت: كنت في ضباب من الدخان .. أين ثروت ؟

قالت: في المطعم .. هل أطلب لك شيئا ؟ تسليكة.

قالت: الأسرة تنتظر عصام جوهر محمد مي.

ـ متى يشرفون العيادة ؟

قالت: عند العام يا نوال .. ثلاثة شهور يكتمل العام.

جاءت ثروت ، وبيدها كوب من القهوة ، وقالت: مرحبا وردة عدت سريعا! ألم تجديها ؟

تنهدت بصوت عال وقالت: وجدتها ! والبيت مليء بالدخان ..قولي ؛ كأن عشرة يحششون معها .. وزجاجات الخمر تملأ المكان ..مزبلة .. يجوز أن تكون المزبلة أنظف .. لم أحتمل .. وها هو ريح الدخان عالق بثيابي؛ كما تشم نوال .. أين المراجعات يا نوال؟

قالت: ستحضر بعد قليل ثلاث نسوة حسب المواعيد المتفق عليها .. فهن عاملات في المصنع المتعاقد معنا للإشراف على نساء المصنع.

قالت ثروت : اذا تحبين الانصراف توكلي على الله

قالت : إنهن ثلاث .

قالت نوال : سيأتين بوقت متفاوت .

قالت: أشكركم حقيقة .. الرائحة أرهقتني أنا بحاجة لحمام وتطهير ؛ لعل هذه الرائحة التي علقت بي تختفي .. وهذه الثياب تحتاج لكوا وغسيل .

انتقلت ملكية المبنى الذي شيدته جريدة وعارف في حي الجبل المكون من ثلاثة طوابق فوق الأرض ، واثنين تحت الأرض مواقف سيارات إلى سامي وحسن وشركائهم ؛ ليتحول إلى المؤسسة الطبية

الكبرى ، أجريت عليه تعديلات ، فالطابق الأرضي سيكون فيه صيدلية ضخمة ومستودع أدوية ، وعيادات تؤجر ، وقسم مختبر طبي لفحص البول والدم والحمل وأمراض أخرى ، وقسم لطب الأعشاب الطب البديل والطب الصيني والهندي ، ويستقبل المستودع أدوية أغلبها أوروبية وتركية ، والقليل محلي لوجود صيدليات أخرى يملكونها في بعنبس وتاج الزمان وعنبس العاصمة ، وستباع الكريمات والأدهان الطبية بأشكال كثيرة ، ومعاجين أسنان وغيرها ، وعطور خاصة بالمرضى والموتى ومكتب المدير العام للمؤسسة في نفس الطابق ، الدكتور عارف نجيب ومساعدوه ، والطابق الأول للملابس الطبية والأحذية الطبية والرياضية والمشدات للقدم والركب والرقبة والصدر وثياب الأطباء والممرضين .

والثاني أجهزة التصوير وما يلزمها ، وأسرة المرضى والمستشفيات وأجهزة التنفس والأكسجين ومقاعد قضاء الحاجة للمرضى وغير ذلك ، وكل قسم له مدير ومشرف وإدارة ومحاسبة وموظفين وعمال ، والثالث أدوات المختبرات الطبية والمدارس والجامعات وكليات الطب ، وتم استئجار مخازن في عدة شوارع لاستيعاب أغراض كل قسم ، وتم استئجار مخازن يملكها سامي وحسن في مدينة تاج الزمان .

وسيشرف مكتب إبراهيم على العقود والقضايا القانونية للمؤسسة وعقود الشراء والبيع والاستيراد ، وسيتم إنشاء مكتب محاماة تابع لهم داخل المؤسسة .

بدأت المؤسسة نشاطها للجمهور مع مطلع السنة ٢٠١١. كان سامي بواسطة عارف دفع لجريدة كل قرش تكلفته دون أن تخسر فلسا واحدا ؛ بل عرض عليها عارف الشراكة معهم ، فاعتذرت . فكانت هذه المؤسسة الطبية الكبرى ملك سامي وحسن وعصام ووردة ونوار وكبيرهم حبيب وجهاد وسالم وأعطت وردة سهما لكل من جوهر ومحمد ومي وعلى رأسها عارف مديرا عاما له راتب غير أسهمه . وعين الدكتور عبد القادر جمال مساعدا أول ويحمل دكتوراه إدارة مالية من بريطانيا ، وسليم ناصر مساعدا ثاني دكتوراه إدارة ، وروحي فلفل مساعدا ثالث وسيكون عدد كبيرا من الموظفين والعاملين في أقسام وفروع المؤسسة التي انطلق عملها رويدا رويدا مطلع العام ، ولكل قسم مدير خاص ، وهناك مدير عام للمخازن في بعنبس وتاج الزمان . فبدأت البضاعة تأتي للمؤسسة ، والتعيين تحت التجريب على أن يكتمل عملها خلال العام الذي حل عليهم .

رحبت وردة بعارف وروز في بيتها رغم البرد الشديد ، وتساقط الثلوج في بعض الأماكن من

البلاد ، والمطر في غيرها ، انتقلوا للجلوس في غرفة أصغر من الصالة ؛ ليكون الدفء أكثر لصغر الغرفة ، فأجهزة التكييف اليوم تعمل على نظامين تبريد صيفا وتدفئة شتاء.

ذهبت سلمى لغرفة جوهر حيث الألعاب الإلكترونية على الحاسوب ،ولما تبادلوا أخبارهم .

قالت وردة وهي تبتسم : عام جديد يا عارف هل احتفلت بأول السنة؟

ضحكوا على غمز وردة ، وقال عارف بهدوء : أولا روز حامل.

هاج عصام ووردة ، وارتفعت التبريكات والمشاعر ، وقال عارف : قبل أي سؤال المولود سميته محمدا صلوا على محمد ﷺ .

صلى عصام ووردة على النبي ﷺ ، قال عصام : مبارك يا أبا محمد ! متكتمون على الخير.

قال عارف : أعتقد أنها حملت من أول ليلة .

فغمرهم الضحك والابتسامة ، قالت وردة : حبيبتي روز ألف مبارك ! خبرت أمك .

هزّت رأسها بنعم ، وقالت : أمي شيء كبير في قلبي يا دكتورة ! مات أبي ـ رحمه الله ـ وأنا بنت خمس عشرة سنة قبل ثمان سنين من زواجي عارف.

قال عارف : مات أو اختفى أبي وعمري ثمان سنين ، المؤسسة باشرنا العمل فيها بشكل رسمي فقد تم تجهيز الكثير من بضاعتها ، كانت فكرة رهيبة من سامي وحسن حقا ! رجال أعمال وسوق بحق !

قال عصام : ما شاء الله ! لا تكاد تحصي أعمالهم وشركاتهم بفضل الله .. سامي مثل أبيه مشاريع مشاريع ..شعارهم : ناس تعمل ،وعائلات وأسر تستفيد حتى لو خسر المشروع .

قال : بارك الله لهم ! حقيقة لما اقتربت منهم ضعت .. زكاة يخرجون كثيرا من الملايين .

قال عصام ضاحكا : كنت في أول حياتنا يا وردة ! أقول لنفسي ولهم لماذا كل هذه الصدقات؟ عمل عمل من أجل الفقراء والأرامل ، فيضحك أبي ويقول : أنت لا تعرف يا عصام الإحسان ودعاء الأرملة المحتاجة لتطعم أطفالها ؛ لأنك غارق في الشهوات .. واليد العليا خير من السفلى

قالت: عمي حكيم يا عارف ! كيف أنت وعمي يا روز ؟

قالت: الله يحفظه ، لم أخالطه كثيرا ؛ ولكنّ عارفا غارق بحبه ، والثناء عليه ، فعداني ، ونعم العدوى ، وكيف غير حياته من الحياة من أجل الحياة إلى الآخرة ؟ وهذه المؤسسة تدل على عظم أفكارهم وخيالهم .

شكرها عصام ووردة وقالت وردة : نعم ، أوحى بها لسامي وحسن من أجلك يا عارف .

قال : صحيح علمت هذا . قال لي : عارف لا يحتاج لمال ، يحتاج لشيء يشغله كباقي الناس أنا سعيد بوالدك يا عصام .. وأما رأس السنة فقد حذف من القاموس ـ رحم الله أمي ـ كانت تنتظره بشوق وحنين ؛ كما كانت تنتظر نجيبا .. كان أهم عندها من أعياد الوطن والأعياد الدينية .. ونحن تبعا لها .. ماذا ترانا نفعل ؟ سكر سكر ؛ كأننا باقي السنة لا نسكر .. حمق وغباء حتى بلص جن واحتفل به في بيتها .

قال عصام : الحمد الذي هدانا ولطف بنا يا دكتور عارف! كنا نهتم بالكريسمس ورأس السنة اهتماما أهم من عيد الفطر والأضحى ، وأتعجب من همة والدي لشراء خرفان العيد ؛ لتوزيعها على الأقارب والفقراء.

قالت وردة : الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

ـــــ

الجمعة ١٤ يناير العام الجديد حدث الذي كان غير متوقع هرب ابن علي عن عرشه في تونس نفد بجلده ، صارت ثورة ، وانتصر الشعب ، الشعب صنع الانقلاب .

خرج سالم وجهاد من الجامع بعدما أديا صلاة الجمعة ، فقال جهاد قبل أن يجلس بجوار شقيقه حيث أتيا سوية : تونس الثورة محتدمة ، وبعض المحطات الفضائية تشير أن الرئيس يبحث عن منفى ، ولم يعد يسيطر على الوضع رغم ما غير من وزراء وقادة شرطة وجيش ، والأخير رفض الاشتباك مع الشعب .

قال : أمس أذاعت قناة الجزيرة القطرية أن الأيام المقبلة ستغير وجه تونس .

قال جهاد : حتى خطيبنا اليوم يثني على الشعب التونسي والثوار خاصة ؛ تقول من حماسه كأنه تونسي متحمس جدا!

قال : الشيخ حسني من جماعة الإخوان ، وحركة النهضة التونسية فرع من الجمعية ومنغمسة في الحراك الشعبي بقوة ، وقد فعل فيهم بورقيبة وابن علي الفظائع ، وها هو راح ، وهم بقوا ؛ كما فعل ناصر ، فذهب ناصر وبقي ذكر سيد والإخوان .. الطغاة مستعدون للتعايش مع كل الفرق الضالة إلا فرق الإسلام .. فالنهضة التونسية غارقة بالثورة بكل عزم .. متى ستسافر؟

قال : خلال الأسبوع قبل الجمعة القادمة ، لقد أمن لي محسن شقة في أحياء عمان الغربية كما يقول ، واتفق مع معرض سيارات على شراء سيارة حديثة.

قال : نتمنى لك التوفيق والسلامة والعودة بالشهادات العليا.

قال : بارك الله فيك ! أسامة ابن شارع حي العين ؛ حيث يسكن شقيقنا عارف سيتسلم مكتبي

أو الكرسي ، وانتقلت أخته للعمل في مكتب إبراهيم .

قال : امرأة في المكتب !

قال : لها مكتب خاص ، كانت تشغله دكتورة قانون ، ورحلت للتدريس في كلية قانون بعنبس ثم تاج .. أنت تعرفه ؛ لأنه دائما يقول سلم على المهندس سالم.

قال : أذكره ، هو متعاون مع جمعية الرحمة.

قال : وامرأة عارف حامل .

قال : صحيح!

قال : هذا الخبر من وردة، صرح لهم بذلك في آخر زيارة لهم ، وسيسميه محمدا.

قال : صلى الله عليه وسلم، ما شاء الله ! الله يدخلنا الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

قال جهاد : أمين ! كلفت إبراهيم بتفقد أخواته يوميا عندما تكون مسافرا ، وأخبر عيلتك أن تتصل به فور سفرك ؛ ليأخذ باله منهم .. ورندا احتمال رحيلها معي مع الفصل الثاني .

ـ والعمل.

قال : ستأخذ إجازة من شريكاتها .

قال : اذا أحبت العمل هناك ؛ فلن تعدم ذلك .. أنا زرت عمان مرتين .

قال : امتلكت رقما دوليا لاستخدامه من عمان.

قال : اليوم نفس شركتك المتعاقد معها تحول خطك لدولي أو تزيد ثمن المكالمات .

قال : كنا نفعل ذلك في رحلات العمرة ؛ لكن الخط الدولي سيكون للمقربين.. أنت تعرف خطي المحلي عشرات الأرقام في محفظته .. فترة اعتزال ، ولما أرجع أعيد تفعليه، وسيسافر معي قد أحتاج لرقم شخص .. لن أنقطع عن العالم كليا .

****

أخبر عارف أخته وردة بأن جريدة تقبع في مستشفى نور ؛ حيث اتصلت به من هناك فصدرها يتألم بشدة من الأنفلونزا والرشح ، وطلبت مجيئه.

قالت : اسمع أبا محمد قبل أسبوعين اتصلت بي من شقتها أن أمر عليها ؛ فتركت العيادة وزرتها بيتها مقرف ، مزبلة البلدية .. غيوم من التبغ.. البلاط مبعثرة عليه زجاجات المنكر .. تقول بار أو حانة في البيت .. وأعقاب التبغ على البلاط مزبلة بدون مبالغة .. ذهبنا لغرفة مغلقة جلسنا على التراب يا أخي .. قلت نظفي بيتك استأجري شغالة .. طردتني من البيت ، ولم أعرف ما الذي تريده ..عدت للعيادة والدخان عالق على ثيابي .. اضطررت للاعتذار والعودة للدار للاستحمام .. فعذرا يا حبيبي ! اذهب وحدك وانظر الوضع وخبرني آسف عارف.

قال متحزّنا : فهمت ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، سأذهب لمستشفى النور ، وأرى الطفلة للأسف لم تكف عن السفه رغم ما حل بها من سيلان ، فرفيقتها في السياحة الجنسية كما أسميها انتحرت ماريا تبين وهي في آخر أيام الرحلة أنها مصابة بالإيدز مرض الانحراف والشذوذ .. انتحرت لم تتحمل مرضها اللعين فألقت نفسها عن سطح العمارة ، ووقعت على الشارع ، فهلكت فورا ودفع أهلها لشركة الدفن ليدفنوها .. فسأقنعها بعد الشفاء من نزلة البرد والمرض بمراجعة الطب النفسي .. قبل مرضها هذا قلت تزوجي ولو أرمل واتركي الهبل .

قالت : ما كان الرد ؟

قال: لا تتدخل في حياتي، أنا أعرف بها منك ..فشتمتها وأغلقت الهاتف حتى اتصلت وأعلمتني بحالها ، ودعتني للمرور عليها ..مخبولة لا تعي ما تفعل أو تتحامق .. طلقت الرجل وراحت أوروبا تتهمّل ..وعادت مريضة بالسيلان ، ولما خف أو زال عادت ترود نوادي الإباحية وحانات الهبل .

قالت بعطف وشفقة : أصلحها الله ! طمنّي عليها يا أخي الغالي ؛ فإذا الوضع يحتاج لزيارة سأفعل ؛ لتعلم أني لا أحقد عليها ، ولا أكرهها .

قال معللا : فقدت توازنها منذ عادت من السعودية ، لما سرنا لبيت أبي جميل لخطبة ابنته جنّت كيف تتزوج امرأة معلمة وأنت الطبيب ؟ وأنت ... وأنت ... حتى حيرتني وصدقت أنها ستزوجني من طبيبة ؛ كأنها هي التي ستتزوج .. مع السلامة ، سأخبرك بما يحدث .

قالت : سلم حبيبي.. هي بلا عمل !

قال : هي بلا عمل .. رحلة أوروبا كانت على نفقتها ..هي من أنفقت على ماريا رفيقة السياحة وعلاجها .. كانت تدفعه عنها ، وحتى شقة ماريا بعد تخلي أهلها عنها ، كانت تدفعه جريدة.

قالت : صدقة عنها.

قال: الله يتقبل .

كانت جريدة تستند على وسادة المستشفى لما دخل الأخ الأكبر عليها ، فمدت يدها لتصافحه فغض يده وقال : مرحبا جريدة أم ... عفوا لم تتحصلي على هذا اللقب .. كيف حالك ؟

قالت : تعيسة .. تعيسة ! جلس على كرسي قرب السرير كانت وحيدة في الغرفة .

قال: لماذا أنت تعيسة ؟! حزينة على ماريا لما علمت بانتحارها .. عاهرة وهلكت حتى أهلها كلفوا شركة الموتى بدفنها ، ولم يشاركوا في التشييع ؛ كما كتبت بعض الصحف ، في البداية ظنوا أن أهلها لم يشاركوا لأنها انتحرت ، ثم تبين عدم المشاركة لأنها مصابة بالإيدز ، وهو دافعها

للموت ، وقد تخلى عنها كل الصحاب والعشاق .. في النهاية تخلت عن رحلة العلاج وانتحرت .
قالت وهي تبكي : اتصلت بي قبل النهاية ، قلت لها : لا تفعلي كل مصاريف حياتك عليّ .. تعبت يا عارف! لا أحد يساعدها ويشتري لها الحاجات ، تخلوا عنها أنا تعيسة منك ومن أختي الكبيرة .
قال مستفزا : وسالم وجهاد!
قالت باحتقار : من ؟ من هؤلاء؟!
ضحك قائلا : في سجل النفوس والأحوال المدنية أخوة لك ، وأصبحوا شركاء لي في مستشفى الأحلام .
قالت بحنق : تسخر من أحلامي .. ما أخبار المؤسسة ؟
قال: الحمد لله .. بدأت تعمل بنشاط .. وأنا مديرها العام !
عادت تقول : أنت وأختك سبب تعاستي يا مدير المؤسسة العام !
قال: وردة تسلم عليك ، وتتمنى شفائك من الأسقام ، تقول لو تعقلين قليلا حتى تسعى في الستر عليك من عريس محترم .
قالت ساخرة : عريس! العرسان ملقون في الشارع .. لماذا أتزوج وأنا لا أصلح ؛ لأن أكون أما يا أم ... ؟!
ـ أنت تعيسة مني ، ومن حبيبتي وردة!

قالت : حبيبتك وردة.. وأنا !
قال باسما : وأنت ! نحن الله جعلنا أخوة ورحم .. وهذا اختيار الله يا حبيبة عارف .. صدقي كلنا نحبك .. نحن نبغض تصرفاتك الحمقاء .. روز ذات مرة تسأل لماذا المرأة تزني خاصة اذا كانت ذا بعل ؟ فعلا لماذا سقطت ميرا في الخيانة ؟! أمن أجل النوم خمس دقائق في حضن رجل خائن ؟! وهل التنقل بين الرجال والرجل بين النساء بطولة ؟! ها هي ماريا عشيقتك المفضلة لم تحتمل نتيجة الخيانة !
صاحت بتأفف : لا أحب أن أسمع هذا الكلام !
قال متعمدا التهكم : أين ؟ إلى أوروبا سياحة جنسية ؛ كما سميتها .. نحن قلنا لك خوني شهابا!
احتجت قائلة : هو خانني ، قبل أن أخونه.
قال: ليس المهم البادي .. نحن سببنا لك السيلان وغيره.. خلاص توبي تعلمي من وردة ، لم تستسلم لإبليس ، يغلط الواحد ، ثم يصحو .. أنت الحمقى .. ها أنا كنت أكبر سكير في العائلة .. ببضع كلمات من عمي فكرت ، واستيقظت وأصبحت من خامل وكسول إلى مدير وأنت تغيري ، وأستطيع تسليمك عملا في المؤسسة تظهرين مواهبك فيه .. أي مواهب في مضاجعتك الرجال والنساء؟
ـ عمرك زنيت!

صرخ محتجا : أزني ! أنا أيام الهبل والسكر ، كنت أخجل من خلع سروالي في بار وملهى وبيت خائنة.

قالت : لا أصدق!

قال : ليس بالضرورة أن تصدقي .. أختك الشريفة بسنوات قليلة صارت قدوة للتائبات من تأثير الإباحية والحرية الجنسية .. والناس تحبها وتقدرها ؛ لأنها خلعت ثوب الرذيلة وإبليس .

قالت : شكلك بتحب إبليس .

قال : على المرء أن يتحمل نتائج أخطائه .

قالت : أنا اتصلت بك حتى تسمعني كل هذا الهبل .. كلام وردة.

قال: هذا كلامي يا جريدة ! أنا أيام ما كنت مثلك شريبا ومدخنا ، والله ما ضاجعت امرأة غير ميرا ، ومع ذلك خانتني مع عديلي ، الذي هرب من البلد بعدما تم فضحه في الجرائد ، حتى الواحدة ولو لم تلد تتزوج.. أمك لما تزوجت بلصا تعرفين لماذا ؟حفاظا على سمعتها وشرفها حسب قانونها ، حتى اذا اختلت بتاجر أو زبون ، لا يتهمها الناس بالفاحشة .. بلص غير قادر على الجماع نظر ومداعبة وشم .. فالزواج سمعة ، وخلال شهور ـ إن شاء الله ـ سأرى محمدا .. روز عمرها أقل من خمس وعشرين .. ودرست في الجامعة وعمرها ما صاحبت شابا ، ولو في الجامعة .. مع أنها بنت أرملة .. التربية جيدة .

فترة صمت ثم قالت : سميته محمدا قبل أن يخرج من المعتقل.

قال: معتقل محفوظ من الله .. هو في قرار مكين لا أحفظه أنا أو روز أو أنت .. الله الحافظ .. هذا معتقل رباني .. بعد هذه النكبات والإنذارات عليك بالصحيان أنت تنحدرين للأسفل .

قالت : ما أخبار وردة أختك؟

تبسم وقال : لولا حبي لك ما تفوهت بكل ما سمعتيه .. تسلم عليك وتحبك.

قالت : وأنا أحبها وأعزها ؛ لكنها تتعامل معي ؛كأنني طفلة .

قال بحنق : أنت طفلة بالنسبة لها ، ووردة تحترم الآخرين ، ولم أرها متعالية ، تخاطبنا بلطف وحب حتى قبل أن أستيقظ من نوم الجهل.. إنها تتكلم عن تجربة عاشتها فهي عادت لعصام وهو المسكين لا يستطيع معاشرة امرأة اعتبرت نفسها كعمتنا فاطمة الأرملة الصغيرة .

قالت : لم يشف عصام.

قال : سيشفى بإذن الله ، هناك تحسن في بدنه ؛ لكنه صابر محتسب ، وحتى لو تحسن لا يعود الإنسان مثل أيام الشباب.. النساء بعد الخمسين والأربعين يصبحن عاجزات عن الحبل .. وتموت هرمونان الطمث .. وقد تعيش الواحدة خمسين سنة أخرى

بدون الحاجة لجماع ومعاشرة ووردة تدعو لك بالشفاء .. كيف العلاج؟

قالت : الدكتور يقول ستتعافى القصبات الهوائية ويضعف الالتهاب الرئوي ويخف ألم الصدر هذا كلام الأطباء .

قال: الطبيب ليس حمارا وأنت الطبيبة ، لما ترجعي اتصلي بشركة تنظيف المنازل والشقق .. فبيتك الملوث هو سبب مرضك هذا .. وتعاقدي مع خادمة نهارية لتنظف البيت وراءك ووراء شلتك القذرة .. تقدم الشركات خدماتها يوميا أسبوعيا شهريا .

قالت : والله فكرة غابت عن ذهني!

قال : لم تغب، أنت تغافلت عنها ؛ لأنك تحبين القذارة ورائحتها .. تحبين سمها .

قالت بلين : ما أقساك ! أين الحنان على أختك الصغيرة ؟ هؤلاء الرفاق يشربون ويسكرون لتسليتي حتى لا أبقى وحيدة تحت وطأة السيلان والوحدة ، ونلعب الشدة عن بعض المال نتسلى.. وللأسف يلقون أوساخهم على البلاط ، لا يشمون يريدون أن أنظف خلفهم ، كانت سجادة في الصالة خمّجت من بقايا السكر وقشر البزر ، فطلبت من بواب العمارة التخلص منها.

ـ تزوجي

قالت : من يتزوج عاقرا ومريضة ؟!

قال: أخلصي النية مع الله ، ستجدين ابن الحلال ، كما هناك نساء عواقر فهناك رجال عواقر .. كان لي صديق متزوجا من بنت الناس ، خلف منها ثلاثة أو أربعة طلقها يا سيدة جريدة !

وتزوج امرأة لا تلد من أجل رعاية الأطفال، وتحقيق رغبته ورغبتها .. تزوجي يا بنت الحلال.

قالت : بنت الحلال ! هل أنا بنت حلال !

قال: تبقين بنت حرام !

قالت : الله اعلم!

قال: أمك مرات ومرات سمعناها تتكلم بأنها لم تنم في حجر رجل سوى نجيب ثم بلص رغم إلحادها .

قالت : وأبي!

قال : لا نعرفه جيدا ، لما اختفى كنا صغارا.

قالت : الأفضل أن أتعاقد مع شغالة .

قال: ألا تخشين عليها من زبائنك ؟

قالت : لا ، البيت للشراب فقط والقمار ، منذ ظهر المرض ابتعدت عن الجنس ، وهم يعلمون بمرضي ، ويخافون انتقال العدوى حتى لو أنني تعافيت.

قال: ما أحلى العفة والطهارة ! لما اتصلت ؟

قالت : فقط لأراك ، وأرى أحدا من أهلي يدخل عليّ المستشفى يطمئن .

قال: أنا مستعد أن أسمح لك بالعيش معنا اذا تحسن سلوكك ، وسنجد لك الحبيب المناسب.

قالت : صعب يا عارف ! أنا بحبك وبحب وردة وجوهر .

قال: على ذكر جوهر .. هل تعلمين هذه العروس زوجّنيها جوهر؟

قالت : جوهر بعرف النسوان!

روى القصة فعجبت منها ، فقالت: حبيبي جوهر ،كم أنا مشتاقة له يا عارف!

****

ركب جهاد بجوار سالم متجهين للمطار الكبير في عنبس ؛ ليسافر جهاد باتجاه عمان لدارسة الماجستير ؛ وذلك مساء الخميس ، وفي صباح الجمعة كان المهندس محسن سعيد في استقباله في مطار الأردن الدولي ؛ حيث رحل والده ابن بعنبس للعمل في الأردن من عهد ليس بالقريب ، ويستقر فيها ، قبل ولادة محسن بسنتين أو ثلاث .

التقيا في المطار وتعانقا ، وركب بسيارة المهندس نحو غرب عمان في إحدى الضواحي من ضواحي الأثرياء والطبقة الثرية ، كانت الشقة في الطابق السابع ، ركبا المصعد فحملهما إلى الشقة ، وأكلا ما أحضره محسن ، وسلمه المفاتيح ، واتفقا على اللقاء صباح السبت .

صباح السبت فتح جهاد لمحسن ؛ حيث جلب معه الطعام الشهير في بلدان العرب الحمص والفول والفلافل . وأحضر معه معلبات خضار ولحم وجبنة وخبز ، وأخذا بالمضغ وشرب الشاي الذي أعده جهاد .

وقال محسن: في مطعم في الشارع العام ، قريب من العمارة ومخبز ومغسلة وكوّى ، وبقالات ..

وسآخذك في جولة قبل أن نذهب لمعرض وبيع السيارات ؛ لترى سيارتك.

قال: أشكرك أيها الصديق ؟ودفع إليه مغلفا . قال : فيه عشرة آلاف ؛ لتسديد ثمن الأثاث والأشياء الأخرى.

فكان محسن قد استأجر البيت ، وجهزه وفرشه وأثثه على الهاتف وتطبيق واتس آب ، فامتلأت الشقة بالثلاجة الغاز غرفة النوم فرش الصالون والستائر .

قال الشاب وهو يخرج الشيك من المغلف: فيه زيادة !

قال: هي حلال زلال لك .

كانت العطلة الأسبوعية في عمان الجمعة والسبت ، والجامعات تعطل السبت إلا بعض البرنامج مستثناة . خرجوا بعد الفطور ، وعملوا جولة قرب العمارة والمكان سيرا على الأقدام ولما ركبوا السيارة متجهين للمعرض أعطاه مغلفا ثانيا فيه خمسمائة دينار ، وانتظر محسن ليفهم لماذا ؟ فقال : أنت خدمتي وأنا نائم هناك .. ولم تقصر .. فهي بدل أعطال يا صديقي !.. وهي هدية عن طيب

نفس.

ـ العشرة فيها زيادة

قال: بارك الله فيك ! حلال عليك .. وبارك الله في جهدك .. وأنا أملك الكثير من المال بفضل الله يا أخي يا محسن!

قال: كرمك عجيب يا أبا عبدالله !

علل جهاد فقال: المعطي الحقيقي الله ﷻ .. أنا أرغب بالدراسة ليس لتحسين وضعي المالي أو ليقال الدكتور جهاد ، جئت أتعلم رغبة بالعمل بالتدريس .. أنا ورثت عن أبي ـ رحمه الله ـ ثلاثة ملايين ، ونصف ، ونصفها عن أمي ـ رحمها الله ـ ولي بفضل الله استثمارات كثيرة مع إخواني وعمي ، فلو نمت في البيت وعشت قرنا لن تذهب ببركة الله ، لم أعرف طريق الخمر والنساء صغيرا وكبيرا ، وحتى السياحة مقل منها .. فشكرا لك .

قال: بارك الله لك فيها ! والله أنا أول مرة أتعامل مع مليونير بهذه الروح التي لم استوعبها بعد وشجعتني على دفعك للاستثمار في بلدنا ؛ لأنك تحب الاستثمار من أجل أن يعمل الشباب .

قال: صحيح هذا .. أهم أهدافنا ؛ كما تعلمنا من عمي حبيب عارف أن لا يبقى المال في خزائن البنك ، يستغله البنك وحده ، رغم التعب والشقاء أثناء معاملة الخلق أي استثمار تراه مناسبا ، ولا يتعارض مع وقتك ، وفيه فوائد للناس ندرسه ونعمله .

قال معجبا : ما شاء الله ولا قوة إلا بالله!

قال: لا أنسى كل الساعات التي قضيتها من أجلي.

قال: واجبك علينا يا أبا عبد الله ! كما طلب أبي ، وأنت سيد من بلدنا الأولى وأخدمك ما دمت في عمان .

ـ سأقضي بعون الله بداية سنتين الماجستير ، وقد " ندتكتر " هنا عامان آخران اذا ارتحت للتدريس في بلدكم .

وصلا المعرض ، وتعرف جهاد على مديره ، ونظر السيارة التي اختارها محسن وقال صاحب المعرض : اذا تريد أخي بدلا عنها يمكنك فعل ذلك أو لون آخر.

قال: ما اختاره محسن بركة ! تمت المباركة ، وأخذ الرجل الشيك ، وسيعمل على صرفة من البنك ، وخلال يومين بالكثير ثلاثة ، سيتم تسجيل ملكية السيارة باسم جهاد ، وسيتم تسليمها على باب العمارة ، ولابد من مراجعة بعض الدوائر .

التحقيق الجنائي والجريمة

رجل اسمه سنار

الحلقة ٣ والاخيرة

فقال رباح : تقليد المفاتيح ؟

ـ نعم ، عندنا مشغل لتقليد المفاتيح .. الذي يعمل فيه لا يعلم أنه يقلد مفاتيح لسرقة السيارات .. هو يقلدها لسيارات شركاتنا ومحلاتنا .. عندما يطلب منا تأمين سيارة جيدة لمكان ما .. أذهب أنا وأحيانا سنارا خاصة في أيامنا الأولى قبل أن نستعين ببعض الأفراد الذين يعملون معنا .. أذهب لمحطة كبيرة لتصليح لغسل لصيانة.. وأثناء وجودي في المكان في انتظار دوري .. أشاهد سيارة تصلح للعملية .. وخاصة أن بعض الزبائن يتركون المفاتيح للعمال ليحركوا السيارة .. وبواسطة معجونة خاصة أطبع عليها مفتاح السيارة ومفتاح الباب.. ومرات نشعر هؤلاء الصبيان بأننا معجبون بالسيارة فيسمحون لنا بالجلوس فيها مقابل دينار أو علبة سجائر .. ونذهب بالمعجونة إلى صانع مفاتيح مشهور ويتردد عليه الناس لصنع مفاتيح بيوتهم وخزائنهم المفقودة .. ثم كونّا مشغلا كما حدثت آنفا ، وكنا نعرف بطريقة خاصة من العمال في مكان التصليح أو التنظيف عنوان صاحب السيارة أو شركته أو مكتبه .. وعندما يقترب موعد نقل السيارة نتلقى اتصالا دوليا يطلب منا وضع السيارة في يوم كذا ووقت كذا.. فتتنكر وننفذ السرقة للسيارة المطلوبة وننقلها للمكان المطلوب ونترك المفاتيح تحت عجلها الخلفي ..ونعود بسيارة أحدنا الذي كان يتابع العملية بسيارته عن بعد .. واعلموا أيها الضباط أننا عادة نملك عددا من المفاتيح المقلدة لعدة سيارات.. لأننا عندما نذهب لسرقة سيارة قد لا نجدها في مكانها فسنذهب لغيرها .. وبعد زمن وجدنا رجالا يقومون لنا بهذه المهمة .. وهم تحت السيطرة بالمال والإغراق بالشهوات .. وهم لا يعرفون ماذا نفعل بالسيارات المسروقة ؟ ولكنهم يعلمون أننا نفعل بها شيئا مخالفا للقانون .. بل لنا أكثر من ورشة تصليح يديرها رجال يعملون معنا ولكنهم لا يعرفون بهذه اللعبة .. هم أدوات فقط .. فهذا الشرح لابد منه .. لأن هذا ظللنا نمارسه للعصابة حتى بعد حادث تركيا .. كنا نقبض على كل سيارة تسرق لتنفيذ مهمة عشرة آلاف دولار .. ثم تعود السيارة لصاحبها .. لا تحول إلى خردة تسرق لمهمة .. نحن نعرف أنها نقل مخدرات .. طبعا بصمات آثار لا يجب أن نترك في السيارة المسروقة ، ولا نعرف من سيأتي لقيادتها .. ولا يهمنا ماذا سيجري بالسيارة ؟ هل أمسكت الشرطة بالسيارة قبل العصابة ؟ أو بعدها ؟.. المهم نفذنا السرقة للسيارة ونقلت للمكان المطلوب .. وكذلك عمليتنا في خارج البلاد.. إذا احتجنا

لنقل البضاعة بسيارة .. نذهب في وقت معين ويوم معين إلى مكان معين .. فنأخذ المفتاح من تحت العجل الخلفي الأيمن أو الأيسر .. ونمشي بالسيارة لمكان معين فنقابل ناسا لديهم مفاتيح التفاهم من شيفرات متفق عليها فيأخذون البضاعة بسيارتهم أو نفس السيارة التي نقلنا فيها البضاعة ، ويتركوننا في أقرب مكان للمواصلات والنقل .. ويختفون.. نحن قبلنا بالاستمرار بالعمل معهم في تأمين السيارات المسروقة على أمل المحافظة على حياتنا بعدم قطع كل العلاقات معهم .. قبل الجريمة طلب منا سرقة سيارة خاصة بامرأة متزوجة .. وإن كان هذا غريبا .. لكنهم يطلبون أحيانا سيارة صاحبها رجل أو صاحبها امرأة .. لماذا ؟ لا نعرف السبب .. سرقنا سيارة الموظفة في مدرسة خاصة ومتزوجة .. والذي نفذ سرقة السيارة أنا وسنار هذه المرة .. ذهبت أنا وإياه بسيارتي .. وذلك يكون عادة بعد نصف الليل حيث تخف حركة السيارات في الشوارع .. أوقفنا السيارة قريبا من بيت السيدة .. أتظاهر بأن عطلا وخللا حدث في سيارتي أفتح غطاء الماتور وأطفئ الإنارة .. موهما الرائي والمار والدورية بعطل في السيارة والكهرباء.. وعادة نسعى لسرقة السيارات التي تكون خارج البيت تقف أمام البيت .. ونحن نعرف مكان السيارة التي ننوي سرقتها إما من عمال الورشة وإما بعد خروج السيارة من التصليح أو الغسيل فنتابعها عن بعد ، ثم نعود مرة أخرى لنتأكد من عنوان وسكن صاحب السيارة.. العملية مدروسة ومنظمة .. والمبلغ مغر هو ثمن سيارة جديدة .. ولكننا سرقنا سيارات من داخل الفلل.. وأفضل وقت لسرقتنا عند الثانية فجرا .. وكانت سيارة السيدة التي وقع عليها الاختيار تقف خارج البيت .. فسهل الأمر علينا.. ونحن نضع لوحة أرقام مزورة ليلة السرقة خشية اعتراض دورية أو حدوث خطأ ما .. اقترب سنار من السيارة ودخلها خلال ثوان ، وبعد دقيقة اشتغل الماتور وانطلق بها حيث الهدف ، ثم أغلقت باب ماتور سيارتي ولحقت به إلى المكان المعروف لنا.. وكان ليلتها في شارع حاتم الطائي في حي جمار النخل.. وركنا السيارة على طرف الشارع.. وتركنا شباك السائق مفتوحا ، ووضعنا المفاتيح أسفل العجل الخلفي .. وانتقل سنار إلى سيارتي ومشينا إلى أحد البارات وقضينا فيه ساعة من الزمان ، ثم أوصلته لبيته.. وفي الصباح بلغ أن المهمة تمت وفي ظهر اليوم وصل المبلغ على أحد البنوك ، وحول لحسابي نصفه .. أما من اغتال سنار فهذا لا أعرفه ..

فهذه مشاركتي في جريمة الاغتيال ؛ لأنني عرفت أن السيارة التي سعينا لسرقتها نفذت بها الجريمة

ـ من أين عرفت ؟

ـ منهم .. اتصل أحدهم بي .. وأخبرني قائلا بأن سيارتكم شاركت في عملية القضاء على سنار.. السائق لسيارة الجريمة والقاتل هل هم من هنا أم من الخارج ؟ لا أدري يا سيدي والراجح لديّ أنهما من الخارج خاصة القاتل .. أما السائق ربما يكون من الداخل .. وبالتأكيد أن لهم مناصرين ومساعدين من البلد لتسهيل عملية الهرب والاختفاء.. وأنا مستعد لأي سؤال واستفسار .. وكشفت لكم أوراقي قبل موتي واغتيالي.. هكذا قانون هذه المنظمات الرهيبة.. واعلموا أنه ليس بيني وبين السيدة ربما أي علاقة خاصة لا عشق ولا غيره .. وهي امرأة سيئة بالمجمل ، ولا أدري كيف كان يعيش معها سنار ؟! ولكن كان زواجه لعلاقة بينه وبين أبيها أمير.

فقال حيدر الصامت : وهل لأبيها علاقة بالمنظمة الإجرامية ؟

ـ لا أعتقد .. فهو رفيقنا في رحلات تركيا .. لما نشطت تجارتنا بالاستيراد من تركيا لتغطية أعمالنا السرية وسفراتنا الكثيرة عرفناه فهو تاجر ورجل أعمال مثلنا .. وله أفعال مثلنا من الحفلات والنوادي فصار صديقا لنا .. وأنا مرة أخرى وأخرى أطلب منكم ترك القضية .. حتى لو بحثتم أكثر وأكثر.. فهؤلاء الرؤساء والزعماء خارج البلاد.. فإذا كان القاتل أتى من تركيا أو أثينا فكيف تعرفونه ؟ وكيف تقبضون عليه؟ لا يعرف إلا إذا صاح هو نفسه معترفا أمام العالم أنا قتلت الرجل أمام فندق عصفور وهذا لا يحدث حتى لو قبض عليه البوليس المحلي والدولي .. وربما هي المرة الأولى والأخيرة التي رأى بها ضحيته هو مأجور.. صدقوا أني خائف عليكم .. فالذي يتورط مع هؤلاء الناس عليه أن يعيش فقط .. عليه أن يذوب .. يلتهي بالملاهي والنساء والخمر والسفر وينفذ الأوامر كالأرنب .

فقال حيدر : إنهم يسيطرون عليكم سيطرة تامة

ـ لا رحمة لديهم فهم يبيعون السموم .. فكما يعطونك الأموال بسخاء فلهم قدرة على سلبها وتدميرك .. فهم يحرقون البيت على صاحبه .. وأحيانا نسمع عن صراعات بين الزعامات وهي صراعات شرسة مرعبة دامية .

فقال رباح : الشكر لك يا جبران على كل هذه المعلومات الخطيرة جدا ، وأرجو أن تتعاون معنا لإنقاذك من الرعب المتلبس بك .. والقضاء على

كل أعوانهم وأيديهم هنا .. تعاون معنا .
ـ كيف أتعاون معكم ؟!
ابتسم رباح وقال : عندما يطلب منك تأمين سيارة أخبرنا بالأمر .. ونسق معنا للقبض على الذين يستلمون السيارة بعد أن تترك في المكان المعين .. وستبدو أمامهم أنك بريء .. فكما خدمت للشر وأخلصت له .. تعاون لإنقاذ الناس والشباب المندفع والمتحمس لتجربة المخدرات .. ننقذ الذين يتعاطون هذه السموم
قال العميد حيدر : اسمع يا جبران .. أنت أثبتت لنا أنك شجاع .. وعندك مرارة منهم وبعد مقتل ابن عمك يلزمك أن تتخلى عنهم كليا .
فتنهد جبران وقال : لي أكثر من عشرين سنة .. قل ربع قرن وأنا أعمل معهم .. وهل تعتقد أنني أنا وسنار كن نعمل معهم فقط ؟! لابد أن لهم أعوانا غيرنا يا سيدي .. ولا تعرف أي مجموعة غير نفسها .. نظامهم مثل شبكات التجسس .. فربما تتكون المجموعة من شخصين مثلي ومثل سنار .. وربما أكثر.. وأنا منذ مقتل ابن عمي لم أكلف بسرقة سيارة واحدة .. والعمليات الخارجية تركناها منذ حادث تركيا الذي تخبرونه .. ومرة مكثنا عامين بدون عملية في الداخل ولا في الخارج .. وهذه الرسالة التي قرأتها في بداية اللقاء تذهب إلى أنهم يريدون التخلص مني ، ولا غاية منها إلا أنني انتهيت .. أنا مستعد للتعاون معكم لأقصى حد بعد هذا الاعتراف وبعد هذه الرسالة .
قال رباح : سأضع بعض رجالنا حولك لحمايتك وسأرتب لهم كمينا .. أعترف أننا لا نستطيع محاربتهم في دولهم .. هذا يحتاج لجهد دولي وتعاون دولي مع منظمة الإنتربول الدولي .. ولكننا نستطيع حماية بلدنا من هذه السموم البيضاء .. وعليك أن تجاهد معنا وتبدأ حياة إيجابية .. صحيح أننا لا نستطيع إدانتك لأنه لم يثبت عليك سرقة سيارات أو إدخال مخدرات .. فأعتقد يا ابن عمي عليك أن تتعاون معنا من أجل دم ابن عمك فقد أصبح دمه هدر جزاء تورطه بهذه الأعمال المشينة وخيانة بلده وأهله .. وأنت أعطاك الله فرصة للتوبة والأوبة.
فأكد العميد حيدر كلام رباح فقال : معه حق المقدم رباح .. نحن قدر لنا أن نهتم بالموضوع لوقاية البلد من الشر القاتل .. المخدرات تفتك بالشباب والناس ..
قال جبران : أنا هنا لا شيء عندي منها ..أنا لا أتعاطى المخدر .. قد تعاطيتها فترة في تركيا لم أدمن عليها بحق .. فأنا مدمن خمر .. مرضت من المخدرات فتركتها فورا .. ولما كررت

التجربة عدت للمستشفى مرة أخرى .. وسنار لم يعشقها كذلك .. أكرر أنا مستعد للتعاون لأنني تعبت من المغامرات .. أحلم بالاستقرار .. وأرجو أن لا يكونوا قد علموا بهذا اللقاء .

ضحك الضابطان من خوف جبران وقال حيدر : لا تخشى شيئا.. العصابات تحب أن تهول عملها ومعرفتها بنشاط أفرادها.. الصدفة التي تخدمهم في كثير من الأحيان .. وثرثرة الأعضاء لكثرة شربهم للخمر وحالة السكر ..والآن من باب الفضول لا أكثر سمعتك تقول إنك ستطلق زوجتك التي تزوجتها من شهر لماذا ؟!

ضحك جبران ضحكة مقتضبة وقال : لا تصلح أن تكون امرأة بيت أو ربما أنا لا أصلح ! لسانها سليط بمعنى الكلمة .. تسكر بغير عقل .. لا تحترم الزوج .. كأنه ابن شارع .. تحب السهر مع الرجال دون معرفة سابقة بهم.. مجرد أن تلتقي برجل يبتسم لها حتى يصبح صديقا ؛ كأنها تعرفه قبل أن يولد ..

ـ وهل كانت تفعل ذلك مع سنار ؟

ـ تزعم أكثر من ذلك ؛ بأنه كان يسمح لها بالسفر والرحلات مع الرجال للخارج .

قال رباح : حقيقة يا سيادة العميد كانت علاقتنا بسنار علاقة ضعيفة ، لم يكن اجتماعيا معنا، كانت زيارته لبيت العائلة قصيرة بضع دقائق ، وزوجته كانت تناصبنا العداء بسبب عدم قبولها بيننا عند بداية الزواج .. وعملي الدائم لم يكن يسمح لي بفتح علاقات مفتوحة مع الأخوة .. على كل حال لا تتعجل في أمر الفراق والطلاق حتى ننتهي من هذه العصابة



تجارة المخدرات

اجتمع رباح بمدير مكافحة المخدرات وشرح له موضوع جبران وعصابات المخدرات ، فقال العقيد موسى طبلة : فعلا نحن لا نستطيع إثبات جريمة المخدرات عليه ما لم يقبض عليه متلبسا أو يعترف بمحضر رسمي .. وما دام يعمل في نقلها في الخارج لا نستطيع القبض عليه إلا بطلب من الإنتربول البوليس الدولي أو دولة بيننا وبينهم اتفاقية تبادل المجرمين .. فالرجل نشاطه في الخارج .. وأما سرقة السيارات قد يعاقب عليها هنا .. ولكن ما دامت السيارة المسروقة لم تدمر.. فستكون عقوبتها بسيطة ربما إزعاج الأمن.. فالجريمة يجب أن تثبت على الجاني بالقبض عليه متلبسا أو معترفا بها بكامل قواه العقلية لكن من استجواب الشخص وبناء على الاستجواب تقدم الأوراق للمدعي العام

.. وقاضي التحقيق المدني .. لو طلبت السلطات التركية القبض عليه لاعترافات فربما يجري التحقيق معه .. فالسرقة يجب أن تثبت بالتلبس بالجريمة .. أحكام سرقة السيارات أحكام مخففة إلا في بعض الدول .

ـ ابن عمي لا يعرف الذين يهربون المخدرات .. هو يقدم لهم دعما بسرقة السيارة التي ستنفذ بها العملية يا سيدي.. يسرق لهم السيارة حسب الطريقة التي شرحتها لك.. وهو لا يدري ماذا يفعل بالسيارة ؟ والذين ينفذون العملية لا يعرفون من قدم لهم السيارة حتى لو قبضنا عليهم فهم لا يعرفون السارق الحقيقي سيتهمون بسرقة السيارة واستخدامها في التهريب .. فجبران قاس على ما يفعلونه في أوروبا ونشاطهم في تلك الدول .. هو له معارف ببعض رجال العصابة المنظمة في تركيا.. يجلس معهم يتعامل معهم .. ويقضي جل وقته في الحانات والخمارات .. وهؤلاء أعضاء في منظمة كبيرة .. من يديرها ؟ من يخطط لهم؟ لا يعرفون .. وأكيد هؤلاء أناس عريقون في الإجرام .. وأصحاب عقول كبيرة في الإجرام ما دام يخططون على مستوى دول .. فالعضو الناقل ولو قضى مليون سنة معهم لا يعرف أسرارهم .

قال العقيد موسى: هو لو حاول أن يعرف لسحق منذ زمن .. وأولئك يعرفون كيف ينتقون أعضاء الجمعية ؟ .. لو قبض على أحدهم وكثيرا ما يمسكون فلا تجد لديهم معلومات مهمة .. ولما يدخل الممسوك السجن لا أحد يهتم به .. لا العصابة ولا الشرطة لأنهم يعرفون أنه لا يعرف شيئا مهما يوقع الرؤوس الكبيرة .. الكبار يقعون يا سيدي المقدم بصراع وتنازع بينهم على الزعامة الكبرى أو على مناطق النفوذ مثل الحيوانات المفترسة.. أو بأخطاء قاتلة أو وشاية من زعيم آخر يريد الانتهاء منهم .. وأما السجين الذي عمل معهم فبعد خروجه إما يقتلونه أو يهملونه كثوب بال .. فهو معروف ومكشوف للبوليس لا فائدة منه أصبح ورقة محروقة كما يقولون .. ونحن سنحاول الاستفادة من قريبك للوصول لأعضاء الشبكة هنا .. والمخدرات تدخل البلد من أكثر من عصابة أو مجموعة.. والعصابات تبحث عن أسواق في كل البلدان .. وتروج بتنافس كبير بين تلك العصابات .. والشباب الفارغ يقبل عليها بغير وعي وإدراك لمخاطرها .. كيف وبس .. والقبض على المروجين والتجار قائم على قدم وساق.. لكن الرؤوس الكبيرة لم ننل منها يوما ما .. لأن أكثرها خارج القطر.. لا

يخلو أسبوع من القبض على مجموعة ومجموعات ، وأكثر المقبوض عليهم من المغلفين .. منذ استلمت الدائرة قبل ثلاث سنوات لم أقبض على رأس كبير محلي .. رغم بأس رجالنا .. يذهب الشاب في نزهة خارج البلاد يعود محشوا بالمخدرات .. يذهب للدراسة للخارج يعود محشوا بالمخدرات ومتعاطيا .. سائق شاحنة يخرج مرتين ثلاث في الرابعة يعود محملا بهذه السموم .. وبعضهم يحملها دون علمه إلا بأنها بضاعة خاصة عليه توصيلها لشخص مقابل عشرة دنانير خمسين دينار .. فيحس أنها شيء تافه .. ولمن ستوصلها ؟ يقول شخص سيتصل به على شركته أو بيته إذا ترك هاتف البيت لديهم .. فعندما يتصلون به في البيت تبدأ إجراءات استلام البضاعة المجهولة بعد أن تأكدوا من فلتانه من الجمرك والمكافحة .. ويأخذون بإجراءات الاطمئنان حتى لا يكون متواطئا مع الشرطة .. وسيستدرجونه بالكلام والمواعيد للاطمئنان قبل استلام البضاعة والحاجة .. أحيانا ننتظر شهرا ، ومرات سنينا ، ولا يحضر أحد لأخذها فتكون النتيجة إما الرجل كاذب، وإما صادق ، ونسي العملاء تلك الكمية المصادرة لسلامتهم ، فيسجن الرجل بتهمة إدخال المخدرات .. وأحيانا تكتشف أن رجال الحدود يعملون أو يعمل بعضهم معهم .. المال الكثير مغر للقلوب الضعيفة ، وهؤلاء يدفعون بسخاء تعجب له .. علينا أن نقوم بواجبنا قدر الإمكان والاستطاعة .. وما دام السيد جبران يجهل هذه العصابات لا نستفيد منه .. ولكن إذا كلف بسرقة سيارة فليكن تحت إشرافنا ونظرنا ـ هذا حدثته عنه .. وذكر أنه منذ مقتل سنار لم يكلف بشيء من قبلهم .. ولكنه ذكر أنهم ربما يهملونه لفترة .. فقد قضى عامين بدون مهمة داخلية ولا خارجية .. وأنا متأكد أننا لن نصل لقاتل أخي الحقيقي العقل المدبر ، قد نقبض على اليد التي نفذت الجريمة إذا كان من سكان المدينة .

ـ أنا مستعد لكل تعاون أيها الزميل العزيز .. فكلنا في خدمة الشعب والعدالة والمجتمع ، وكلنا نقوم بواجبنا بأقصى طاقة ..لا تهاون في محاربة الجريمة مهما تغيرت أشكالها وصورها.. نحارب تاجر المخدرات .. التاجر الكبير والتاجر الصغير .. نحارب المروجين سواء مقابل المخدرات أم مقابل عمولة .. ونحارب النقلة لها ونطاردهم ونقدمهم للعدالة .. الإجرام في سوق المخدرات معقد ومنتشر لأنها تجارة .. فدول تتاجر بالمخدرات .. دول معترف بها في الأمم المتحدة تبيع المخدرات وتشجع على

زراعتها .. لأنهم يزعمون أنهم يزرعونها لأغراض طبية وصناعات دوائية ، فيذهب بعضها للطب والبعض الآخر لتجارة المخدرات .. وبعض السياسيين يصلون لمناصب عليا بأموال المخدرات والتهريب .. نحن قانوننا يجرم التجارة فيها.. فالبائع يعاقب والمشتري يعاقب.. فعلينا حماية بلدنا.

ـ هذا لا شك فيه يا سيادة العقيد .. قضية المخدرات قضية معقدة ومتشعبة .. فأوضاع الناس المالية والفقر تشجع الكثير منهم للتعاون مع هذه العصابات .. الثراء السريع .. التغول في الشهوات والملذات.. فيقبلون بالتهريب لها والترويج لها وحتى التعاطي لها .. أشكرك يا سيدي على رغبتك في التعاون معي .. سأفكر بهذه القضية بشكل واسع .. وكما قلت وقال غيرك الوصول لشخص أو اثنين لا ينهي القضية ، وما هو بحل جذري نحن نتعاون مع دول العالم ؛ ولكننا نحتاج لتعاون حقيقي صادق.. فأمريكا نفسها عاجزة عن القضاء على عصابات المخدرات والإجرام ، ولديها التكنولوجيا والقوة .. فلنحمِ بلدنا ونشكر ربنا .. والتوعية خير سلاح لحماية الشباب وإنقاذهم من التورط في مشكلات المخدرات .. لكن حسب الإحصائيات التي أطلع عليها زادت نسبتهم .

ـ الشباب يحبون التجربة للأسف .. لا يتعظ السوي بالمدمن، يحب أن يجرب فيقع.. قد يصبح لصا لتأمين ثمنها.. يسرق أمه أباه جاره .. بعضهم قتل للحصول على المال ليشتري به المخدر اللعين .. وللأسف أنها تروج في الجامعات والمعاهد عند رجال الدولة في المستقبل .. الاستهتار في الصحة عجيب لدى بعض الشباب من الجنسين .. الضمير يضعف .. الدين يضعف .. الأخلاق تضعف .. وسائل الإغراء كثيرة ومتنوعة .. كلما بعد الناس عن الدين والأخلاق أصبح صيدهم وتوريطهم أسهل.. الكثير منهم يرى أن أسرع وسيلة لتصير مليونا كما يروج تجارة المخدرات .. صفقات المخدرات .. أحلام كبيرة وعقول صغيرة .. الأخلاق الفاضلة هي التي تقلل الجريمة وهذه التجارات .. التقليد الأعمى عدو للشباب .. الأفلام الرديئة تنشر الأحلام المريضة والخيالية ، دمر الناس لتصير مليونيرا ، أفلام تشجع على المخدرات .

مفاجأة

جاءت رسالة لجبران وكان مضمونها فندق سبأ يوم الأحد ١٤ آب الساعة العاشرة ليلا القاعة الماسية ، هذه أول مرة تأتيه رسالة فيها طلب إلى

لقاء شخص داخل البلد .. كانت العادة أن يطلب منهم سرقة سيارة ، ووضعها في مكان معين في تاريخ معين.. وينتهي العمل عند هذا الحد .. ولكنه بعد أن تحدث مع رباح في الموضوع قال معللا ذلك : يظهر أنهم وجدوا لي شريكا للتعاون معي في سرقة السيارات.. وهذا الفندق أول مرة يطلب مني الذهاب إليه .

ـ نحن سنكون معك في الفندق .. وإذا أحسسنا بخطر عليك سنتصرف .. اطمئن يا جبران ورجالنا حولك .. نحن بشوق لاصطياد بعض هذه العصابة المعقدة التنظيم .. فكأنهم لما أدركوا عدم اكتراثنا باتهامهم .. بقتلك لسنار اعتقدوا أننا أهملنا القضية .. هل ترى خطرا عليك بالاغتيال؟

ضحك جبران للسؤال وأجاب: الخوف منهم متواصل يا سيدي .. الإنسان لما يشتغل مع أشباح سيبقى الخوف ملازمه ، ولكن الخمر تذهب هذا الخوف .. وسأذهب إلى الموعد ، وأتعرف على شريكي الجديد البديل .. وأنا كما وعدتكم سأتعاون معكم لأقصى درجة .

قبل الموعد المبين في الرسالة القادمة من تركيا لجبران بحوالي ثلاث ساعات ، وبينما هو يجلس في مكتبه في إحدى الشركات جاءه تلفون ، ولما تأكد للمتصل أن الصوت لجبران قال اذهب إلى فندق الزهرة في مدينة (بلون) نفس الوقت وانقطع الاتصال .

اكفهر وجه جبران ووضع السماعة مذهولا وبتخاذل وحيرة ، ولاحظ أن الموظفين ينظرون إليه بقلق فتمالك نفسه وقال : تلفون مزعج .. يبدو أن النمرة غلط .

وبعد نصف ساعة غادر المكتب قائلا : إني ذاهب يا أحمد للبيت .

وكان يقول لنفسه هل عرفوا أن الشرطة على علم أم احتياطات أمنية ؟ .. إنه مجرد تعارف .. شخص بدل لسنار .

وقفت السيارة أمام عمارة ممتلئة بالمكاتب التجارية ، ومن إحدى المكاتب اتصل برباح ، وأعلمه بالتطور الجديد ، وبعد دقائق ترك المكتب بعد أن شكر صاحبه معلما له أنه اتصل بمكتبه ، دخل البيت وغير ملابسه، وأخبر ريما بأنه قد يتأخر الليلة، فاستأذنته بالذهاب لبيت والدتها للمبيت عندها فأذن لها وقال : لو تقضين أسبوعا آخر عندها .

فردت عليه ساخرة : أنا أعرف كرهك لي ، وأنك نادم للزواج مني ، ولماذا لا تطلقني وتخلص مني ؟!

ـ سوف أفعل.. أنت تظنين أنني تزوجتك من أجل المال الذي ورثتيه عن سنار .. لا أعتقد

أنك آخر أنثى في حياة جبران ..
ضحكت ضحكة ساخرة وقالت باستهزاء : أنا طبعا موقن من ذلك .. ولليوم أفكر لماذا قبلتك زوجا ؟!
ـ أبوك الذي أقنعك بي.. كما أقنعني بك .. تظاهر بخوفه وشفقته على ابن سنار .. أبوك مجرم في حقنا .
فصاحت في وجهه: أنت المجرم .. أبي أشرف منك .
ـ آ .. فعلا أبوك شريف .. على كل مع السلامة يا بنت الشريف .
ـ على كل حال سأخبرك بشيء أغيظك به .. ربما أطلقك أنا هذه المرة .
قهقهة جبران وقال : أنت ؟! وتتنازلين عن الخمسين ألف المؤخر !
ـ اضحك صرخ .. أنا أعرف أن هذه المبلغ المؤخر هو الذي أخر طلاقي .. قد نتفق على هذه القضية ، وأعمل لك تخفيضا وخصما .
ـ أفكار عجيبة ، أنا كنت سكرانا لما وافقت على هذا المؤخر .. سخر أبوك مني .. غدا تستفيد من الربع مليون التي ورثتها عن سنار .. كنت أحمق .
ـ كنت طماعا جشعا حقيرا.
ـ طماع ! أكيد أنا طماع .. آ .. كيف ستطلقينني يا كيلو بترا ؟
ـ هناك زوج خير منك .
ـ زوج !! عجيب أمر النساء !
ـ ألست تحقد عليّ وتكرهني وتكره الأرض التي أمشي عليها ؟.. وتقضي لياليك مع بنات الهوى والملاهي .. فأنا أكرهك وسأطلقك .
فقال باسما وغير مصدق : سأحتفل احتفالا كبيرا يوم طلاقنا، وسأدعوك لهذه الحفلة .. على كل أنا مستعجل في مشواري فيما بعد سنعرف هذا العشيق .
صرخت بغضب : العشيق !! وهل تظن لو أن لي عشيقا سأخاف منك يا عجوز .. مع السلامة اغرب عن وجهي .. ستجدني مع أمي ارتب أمر الطلاق يا شريف يا عفيف !
انطلق جبران بالسيارة نحو فندق الزهرة في المدينة المذكورة في هاتف العصابة .. وما زال الحوار الذي دار بينه وبين زوجته يتردد في جوانحه ووصولها إلى زوج وهي على ذمته ، وكان في قرارة نفسه يود ذلك ؛ لكنّ المؤجل الذي وافق عليه عند الزواج هو الذي يؤخره.. وهو قادر على دفعه ، وإنما يرى أنها لا تستحقه ، ولا تستحق فلسا منه .. وظلت الأفكار حول الانفصال تراوده حتى وصل فندق الزهرة .. فسأل عن القاعة الماسية.. وصعد إليها عن

طريق المصعد ، وجلس على مائدة يراقب الجالسين ، وقبل الوقت المحدد للقاء رأى والد زوجته أميرا يتقدم نحوه .. فانزعج لظهوره في هذا الوقت ، ودهش أيضا لوجوده وخشي من فشل اللقاء.. فتصافح الرجلان وعادا للجلوس، فقال جبران بقلق ظاهر عليه: ما الذي أتى بك وإلى هنا الليلة ؟! فقد أرسلت البنت إليكم هذا المساء .

ـ طلقتها ؟!

ـ لا ، هي التي تريد تطليقي .. وجدت زوجا خيرا مني .

ـ ماذا تقول ؟!

ـ هذا ما سمعته قبل مجيء إلى هنا .. لم تجب عن سؤالي .. ما الذي رماك هنا الليلة ؟!

تبسم أمير وقال : الذي أتى بك .

صعق جبران وقال بصيحة منخفضة : أنت معهم !!

ـ ما لك دهشت ؟.. أتجهل أني معكم ؟! .. ألم يخبرك سنار بأني معكم ؟

وضع جبران يده على فكه وحملق بأمير وقال : سنار! .. أقسم لك أني لا أعرف .. أعرف أنك رجل أعمال وتاجر كبير يستورد من تركيا وأوروبا .. وهل أنت الرجل الذي أرسلوني للتعرف عليه ؟ .. هذا أنا مغفل !

ـ نعم ، أنا جاءني أمر بالتعرف عليك واللقاء بك هنا.. وأنا أعلم أنك عضو في تلك الجمعية .. وأنا حقيقة استغربت لما طلب مني ذلك .. يبدو أن سنارا هو من نفسه أخبرني أنك عضو في جمعيتنا السرية .. كنت أظنه أخبرك بأمري .. كما أخبرني بعضويتك .

صفن جبران للحظات ثم قال : منذ متى وأنت معهم ؟

ـ منذ تعرفت على سنار.

ـ لك زمن طويل معهم .

ـ بعد تعرفي على المهندس سنار ومرافقته في عدة رحلات عرض عليّ العمل بالتهريب .. فقبلت ، فالمال كثير.. ونحن تجار ابتداء .. ووفقنا في العمل معهم.

قال جبران: تلقيت رسالة لألتقي بك وأنا طبعا لا أعرف أنك الرجل المطلوب التعرف عليه .. في فندق سبأ ، وقبل ساعات جاءني اتصال للالتقاء بك هنا .

ـ لأقوم معك بسرقة السيارات .. فقد شاركت سنارا بعض العمليات ، أنا كنت أظن أنك تعرف أنني أعمل معكم .. ويبدو لي أنهم لا يعرفون أننا نعرف بعضنا البعض .. اتصلوا بي للذهاب إلى هذا الفندق واللقاء بك الساعة العاشرة ليلا .. حسب الإشارات الخاصة

ـ أنا مذهول أيها السيد .. هل ترى أن سنارا تعاون مع غيرنا ؟

ـ ما دام أنك شريكه القديم ولم يكشف لك أمري .. فربما له رجال آخرون يعملون معه .

ـ مفاجأة كبيرة بالنسبة لي !..ابنتك تعرف شيئا ؟

ـ لا ، لا تعرف عملي بهذه المنظمة السرية .. ولا زوجتي .

ـ هل من مهمة غير التعرف ؟

ـ نعم ، طلبوا تأمين سيارة مسروقة .

وأخرج ورقة مرسوما عليها عنوانا قربها لجبران ، فلما أطلع عليها جبران أسرع أمير بتمزيقها ، وقال جبران : لم يبق لتسليمها سوى أيام ثلاثة .. أعندك مفاتيح جاهزة ؟

ـ طبعا يا سيدي .. اشتغلت مع سنار .. عدة مرات .

ـ أتعرف شيئا عن مقتل سنار ؟

ـ لا ، صدق هذا .. فوجئت مثلك ؛ ولكنه حدثني عن الخطر المحدق به .. وكان يتوقع أن يقتل .

ـ هل تعلم أن البوليس يشك بي وأنني أنا القاتل ؟ .. وحدثه عن رسالة العصابة وشك ابن عمه الضابط في الشرطة به .

فقال أمير : وهل أنت قاتل لسنار ؟

ـ طبعا لا ، ولا لربما يد حسب معرفتي .. وهل كنت أعشقها وهي زوجة لسنار ؟ .. هذا كذب .. وأنت الذي رغبني بالزواج منها .. من أجل ابن سنار .. أن أكون له أبا .. أنا اليوم مثل سنار قبل أن يقتل .. الوضع خطير ..

ـ ومزعج .. أنت فعلا تفاجأت من لقائي بك .

ـ كان سنار كتوما معي نحوك .. لم أتصور أنك عضو معهم ..

ـ هم يعرفون أنك لا تعرف أني في المنظمة.. لذلك رتبوا لنا هذا اللقاء .. لما تعرفت على ابن عمك من خلال التجارة والفنادق .. عرفني سنار على رجل منهم في تركيا .. وبعد حين ضمني الرجل للمنظمة .. فهمت أن ذلك كان عن توصية من سنار .. ولما تعمقت العلاقة الخاصة بيني وبين سنار.. وعلم أن لي بنتا طلبها للزواج لتقوية أواصر العلاقة بيننا .. ثم عرفني عن نشاطه في تأمين سيارات لتهريب ونقل المخدرات في البلد .. وأخذت في مشاركته في تلك العمليات .. مقابل الدولارات في كل سرقة سيارة .. مع أن المبلغ تستطيع العصابة شراء سيارة به .

ـ السرقة أسلم لهم .. السيارة تحتاج لتسجيل أو نقل ملكية يا فهيم .. وأنا جاهز للتعاون والعمل معك يا سيد أمير .. ماذا في هذه القاعة

الليلة من سهرات ؟
ـ بعد نصف الليل ستكون حفلة غنائية لمدة ساعتين للمطرب جاجو.. من جاجو ؟ لست أدري .
ـ جيد ! هل ننزل للمطعم لنأكل ونشرب قبل بداية السهرة ؟
ـ مسموح أن تأكل هنا.. ، ولكني حجزت مائدة شهية أسفل هيا أبا نسب .

النهاية

تفاجأ رباح بما سمع من جبران وقال : زوجتك كانت في البيت عندما كشفت أمرك لنا ؟
ـ من حسن الحظ أنها كانت في بيت أمها.. أمها لها فترة مريضة تشفى وتمرض .. فمنذ عدنا من شهر العسل وهي تقضي نهارها عند أمها .. والخادمة في البيت أجنبية لا تفهم من العربية إلا القليل .. أنا لما عرفت أن أميرا هو الرجل الآخر وقع قلبي تحت رجلي من الرعب .. هي عينه عليّ حقيقة .. وربما كانت على سنار كذلك .. هو زعم لي أن سنارا هو الذي رغب بها زوجة .. بدأ لي اليوم سنار غامضا جدا .. ولكن لو سمعت شيئا لاستفادت منه .. أنا كما اتفقت معكم سأنفذ السرقة كما هو معتاد ..
ـ ستذهبان للمكان المعطى لكم .. ونحن بعد نقلها للمكان المطلوب سنضع عليها جهاز تعقب صغير .. أمير هو الذي سيقوم بعملية السرقة ، وأنت ستلحق به لتعود به لبيته .. أنت لا تعرف السيارة المسروقة الآن .
ـ هو الذي قلد المفاتيح ، وهو الذي سيسرقها ، وأنا سأقوده للمكان وأغطي عليه .. أنا لا أعرف سيارة من سيسرق ؟ .. أنا فقط أعرف مكان ترك السيارة .. قرب فندق سبأ من الجهة الخلفية .. فعليكم تركيب الجهاز بسرعة خشية أن يكون رجال العصابة قريبين منكم
ـ الجهاز سريع التركيب هو مغناطيس شديد القوة .. يوضع بمكان خفي .. ونحن سنراقب السيارة أيضا .. بعد الحادية عشرة ليلا تحرك جبران بسيارته لبيت أمير حيث خرج إليه ، وجلس على مقعد القيادة، وتحول جبران للمقعد المجاور.. وتمشيا في السيارة في شوارع المدينة .. وملأ الرجل السيارة بالبنزين .. ثم انطلق بها إلى المكان الذي سيسرق السيارة منه .. ونزل الرجلان وفتح جبران غطاء الماتور ، وتظاهر بعلاج عطل طارئ .. واقترب أمير من السيارة التي تقف أمامه ، وشغلها وانطلق بها ، كانت العملية سهلة وسريعة ، وتبعه جبران حتى وصلا لفندق سبأ من الجهة الخلفية ، وقرب مجموعة من الأشجار صف أمير السيارة الصالون ، ووضع المفتاح تحت العجلة الخلفية ،

وركب بجوار جبران الذي ابتعد به نحو بيته .. وانصرف جبران إلى حانة يروي غليله من المسكر.

أما رباح فلما ابتعد جبران بسيارته ، تقدمت بضع سيارات إلى المنطقة الخلفية من الفندق وساق أحدهم السيارة المسروقة ، وتركوا سيارة خاصة بهم على نفس الوضعية، وقد وضع عليها جهاز تعقب ومتابعة .. وأعادوا السيارة المسروقة إلى البيت الذي سرقت منه.. فكما تعلمون أن رجال البحث الجنائي يراقبون السيد جبران ، فقد عرفوا الموقع من مراقبتهم له

جاء أفراد العصابة المحلية عند الفجر، وأخذوا السيارة التي يعرفون أنها مسروقة ، وساقوها إلى عمارة خاصة ، ومكثت السيارة داخل العمارة حتى الليل .. وما زالت السيارة تحت مراقبة الشرطة.. وكذلك العمارة.. خرجت السيارة من العمارة ليلا ، وعلى أحد الطرق السريعة أوقفها رجال الشرطة على أنه تفتيش عارض ومفاجئ .. وطلبوا رخصة السائق ورخصة السيارة .. قال الضابط وهو يمسك برخصة السائق : هل هذه السيارة لكم ؟

رد السائق : إنها لأحد الأصدقاء .

ـ هذه سيارة مسروقة قد عمم علينا رقمها .

وفتح الضابط أمامهم جهاز الاتصال ليسمعوا الكلام فسمعوا تحفظ عليها وعلى من فيها ..

وقال الضابط : سيأتي صاحبها الآن

ولم يكد الضابط يتم جملته حتى فتح أحد الرجال المقعد وخرج مشهرا مسدسا وقبل أن يستعمله كان قد طار من يده .. ومطروحا على الأرض ..وأحاطت سيارات الشرطة بالسيارة ، والقيء القبض على الجميع .

وفي الصباح كان الضابط يتهمهم بسرقة السيارة ونقل مخدرات فيها ، وأقر الرجال الثلاثة بنقلهم للمخدرات ، وقد اقتحم رجال الشرطة العمارة التي أخفيت فيها السيارة ، ووجدوا كمية أخرى من المخدرات وبعض رجال العصابة .

ونشرت الصحف في اليوم التالي خبر القبض على عصابة مخدرات وبعض التفاصيل التي سمحت بها الشرطة .

أخبر جبران رباحا أن رسالة من تركيا طلبت منه السفر إليهم بأسرع وقت ، فطلب رباح منه ألا يسافر ليدفعهم للمجيء للبلد .. وتحدث معه أمير أن الرجال يطلبونه في تركيا.. فتعذر له بالمرض وعدم رغبته بالسفر.. وقد يعمل عملية قلب مفتوح لقلبه .. فطلبوا منه السفر لقبرص ، فبين لهم أن قلبه لا يحتمل السفر .. ثم أخبره أمير أنهم يريدون سرقة سيارة قبل العملية

فوافق مضطرا .. ونفذ مع أمير سرقة سيارة .. والشرطة فعلت بها كما فعلت في المرة السابقة استبدلوها من غير علم جبران.. وقد اختفت السيارة عدة أيام هذه المرة .. وحدث رباح جبران أن السيارة مختفية فربما يقصدون اغتياله كما فعلوا مع سنار .. فالسيارة لم تشحن بالمخدرات ..

اتصل أحدهم بجبران ، وطلب منه اللقاء به في منتزه (الوردة البيضاء) ، أخبر رباح بالاتصال واللقاء .

ذهب جبران للمكان وعند الأشجار العالية في المنتزه أقبل رجل وعرف نفسه أنه من المنظمة من الفرع التركي ، وهدده بالموت إن لم يسافر لتركيا أو قبرص قبل العملية القلبية وكان جبران يتظاهر أمامه بالاعتلال والألم .. فأصر جبران على عمل العملية قبل السفر ، فلما رآه الرجل مصرا : دع سيارتك هنا واذهب معي لمقابلة .

وصلا لسيارة رجل العصابة ، وركب معه جبران ، وهو يدرك أن حياته في خطر .. ولكن النهار شجعه على الركوب والمغامرة .. ودخلا منطقة صحراوية .. وفي منتصف الطريق كانت هناك سيارة يقف أمامها أربعة أشخاص وهي السيارة المتصلة بجهاز الشرطة.. ولما وصلوا إليها أوقف الرجل التركي السيارة بجوارها وقال لهم بحدة إن جبران يرفض السفر لتركيا أو قبرص ومصر على عمل العملية الجراحية لقلبه المريض .

وجرى حوار بينه وبين أحد الأشخاص الأربعة حول السفر ، وأعاد جبران اعتذاره عن السفر لصحته الضعيفة .. ولما انتهى الحوار أخرج الرجل مسدسا وصوبه لجهة جبران وقال : أخ جبران معي أوامر بقتلك ، وترك جثتك في هذه السيارة المسروقة .. فالأفضل لك أن تسافر قبل العملية .. قد لا تحتاج لهذه العملية .

فقال لهم بهدوء : اعلموا أن هذه السيارة ليست السيارة المسروقة .. وأكمل جبران : يبدو أنها سيارة شرطة .

وحاصرت المكان بسرعة سيارات النجدة والشرطة . أمروا برفع أيديهم للأعلى، وإلقاء المسدس على الأرض فقال أحدهم لجبران : هذه خيانة !

ـ لا ، بل ندم .

تقدم رباح معانقا لابن عمه وقال : أنت شجاع يا ابن العم !.. وانتهى دورك اليوم .. وستبدأ حياة جديدة بإذن الله .

كانت ضربة كبيرة للعصابة ، وكان من بينهم القتلة الذين قتلوا سنار حمدي ، وطلق جبران ريما

أمير، ومنح جواز سفر جديد بصورة أخرى واسم جديد ليختفي عن المسرح بضع سنوات ، وانتقل للحياة في بلاد بعيدة لا يعلمها بعد الله إلا رباح حمدي .. قل منفى اختياري أو اضطراري .

انتهت قصة ...

رجل إسمه سنار

روايات اجتماعية

أيتام الحداد

الحلقة ١٠ والأخيرة

هند

شرح إبراهيم لخليل على الهاتف التطورات التي حدثت هذا المساء ، ثم تحدث مع أمه منى التي لم تزد إلا أن قالت افعل ما تشاء ، وتحدث ربيع مع ابن أخته خليل داعيا له للعشاء هو وزوجته فوافق ، وتحدث ربيع مع بيت مالك فلم يجده في البيت ، فأعطاه برهان رقم تلفون ، فاتصل به فوجده في اجتماع مع شباب الحزب ، فدعاه للعشاء ، فاعتذر له عن العشاء ووعده بالمرور عليه بعد انتهاء الاجتماع .

قضى الأخوان سهرة ممتعة في بيت خالهم ربيع ، وشارك فيها بعض أولاد الخال ، وتناول الجميع الطعام الذي أعده لهم أبو ساعد وأم ساعد ، ثم أقبل المحامي ابن ربيع عضو رئاسة النقابة السيد زياد وعمه مالك ، فوضعت لهم زوجة المحامي الطعام ، ولما أكلا ذهبا إلى حيث يسمر ربيع مع ضيوفه ، وتحدثوا في السياسة والحروب والأزمات العاصفة في العالم والأمم ، والمواضيع التي يحب أن يجول فيها مالك أبو برهان .. ثم انتقل الحديث للزواج والبنات وسفر إبراهيم لبريطانيا بعد تخرجه للتخصص في جراحة القلب والشرايين والصدر ، حتى وصلوا لبيت القصيد وهو زواج إبراهيم قبل سفره ، وتحدث ربيع عن رغبته بتزويج إبراهيم من ابنته سعاد ولكنها لا تريد الزواج اليوم أي قبل إنهاء الدراسة والجامعة ، وصارح ربيع أخاه مالكا برغبتهم بمصاهرة إبراهيم ابن أخيهم برهان وأختهم منى ، وإن لإبراهيم هوى في ابنته هند .

ضحك مالك ملء فمه وقال : لفغتم الشرق والغرب والعالم كله لتصلوا لهذه الجملة .. والله هذا أحسن نسب يا إبراهيم .. أنا دائما أناجي أباك ، لا تفكر أن أمك فقط تعيش مع ذكرياته وأنا مثلها .. ذاك الإنسان حبه كبير في قلبي .. ولا تظن أنني عندما سميت ابني برهان ضعف حبي له .. يا رجل أبوكم جزء من كبدي وقلبي .. سبحان الله! هذا المخلوق أحببناه حبا كبيرا حتى العم خليل ـ رحمه الله ـ أحبه مثلنا .. أمكم كانت قد

تورطت في دين كبير قبل زواجها من أبيكم رحمه المولى .. فلما أخبر بذلك الدين لم يتردد ولو للحظة في سده ، ولم يحتج ، ولم يقل لها أنا لا دخل لي بك .. بل قال أنا أسدد عنك .. بل الأصح أنه وافق على التسديد قبل أن يشاورها بذلك .. وهو مبلغ لم يكن بسيطا في ذلك الزمان ، وكان في أول صعود السلم .. حوالي اثني عشر ألف دينار يا رجل .. حتى الأخت حنين تأثرت جدا وقالت لو كان أحد غير برهان ربما تزوج بهذا المبلغ امرأة أخرى .. وذهبت أنا وإياه للدائنين وراجعنا الدين ، ودفع المبلغ عن طيب نفس .. هذا موقف واحد من مواقف أبيكم معنا .. وأنا أقدر لكم هذا الاختيار .. وأنا أقول أمامك يا ابنة أخي أنك خاسرة يا سعاد ! ولا تفهمي من كلامي أنني أريد تخجيلك لتتراجعي عن قرارك ، وإنني لا أريد أن أزوج ابنتي لابن أختي بل هذا تشريف وفضل كبير لنا كما قال الأخ ربيع .. ونحن مع حرية الاختيار والقناعة بشريك الحياة .. هذه حياة ليس لقاء عابر أو شركة مؤقتة .. وهذا جيد جدا أن يكون إبراهيم من حصتنا .. الليلة إن شاء الله تعالى أتحدث مع هناء التي لن تعارض بالتأكيد ، فهي تعلم مدى صداقتي لوالدكم رحمه الله .. المهم الفتاة يا إبراهيم أن توافق .. فهي ترى نفسها صغيرة بعد .. رغم أن الزواج فطرة .. لكن بنات اليوم يحببن الدراسة والعمل .. سأقوم بدوري ، وأنت عليك دور آخر يا إبراهيم وهو مهم أيضا .

قال إبراهيم : كيف يا خال لم أفهم ؟!

ـ نحن يا خال لا نحب الحديث عن الزواج أمام أبنائنا سواء كانوا ذكورا أم إناثا ، حتى ولو عن مداعبة ومزح .. فنترك الأمر لهم حتى يكبروا .. البنت بالتأكيد ستفاجأ بالأمر .. ولكني سأسمح لك بالحديث معها.. هي في مقاييس زواج هذا الزمان طفلة .. صحيح أنها في آخر سنة دراسية وأنها امرأة بالغ ، ولكن المسؤولية والزواج يبدو لي أن بنات الجامعة لا يستوعبنه بشكل جيد .. حاول الحديث معها مرة ومرتين .

ـ سأفعل يا خالي.. أنا راغب بالزواج قبل سفري ، وأحب أن استقر عاطفيا ؛ لأنني لا أريد أن تشغلني هذه القضية أثناء مكثي هناك الذي قد يستغرق عشر سنوات بين دراسة وعمل .

فقال مالك : بل نحن مسرورون منك ومن تفكيرك السليم .. وكما قلت لكم هذا النسب يشرفنا وكرم منكم يا ابن أختي .

وبعد سهرة جميلة غادرهم مالك نحو بيته القريب في حي برقوقة ، ثم انصرف خليل وزوجته بسيارته ، وتبعه إبراهيم أيضا بسيارته .. دخل إبراهيم على أمه التي وجدها تجلس في الصالون فقبل يدها وجلس ملاصقا لها وقال بحب :

وحدك يا أمي ؟!

ـ قبل قليل انصرف أخوك وزوجته .. ماذا فعلتم مع أخوالكم ؟!

حدثها بكل شيء حدث أثناء الجلسة ، فقالت أمه : ستقبل هند يا ولدي .. وستسافر معك .. ستتركنا يا إبراهيم !

ـ العلم يا أمي عندهم ! في قديم الزمان كان أبناء أوروبا يسافرون لحواضر العالم الإسلامي في إسبانيا الأندلس ومصر والشام.. اليوم نحن نرحل إليهم .. لقد قرأت كتاب خالي مالك القديم عن العلم في الإسلام وهو مترجم أيضا .. كتاب جميل وممتع لو يعيد خالي طبعه سأذكره بذلك ما رأيك يا أمي بأن ترحلي معي؟ .. سأسر بوجودك الدائم معي .. ستملئين عليّ البيت وتشدي من أزري .. بريطانيا بلاد جميلة كما يقال .. إذا تزوجت من ابنة خالي مالك سنلتقي بأقارب أمها فهم متجنسون هناك .

صمتت منى لحظات ثم تكلمت بضع دقائق حتى سمعها تقول : أأترك دار برهان .. وأنفاسه لأعيش هناك في البرد والثلج ؟!

ـ نأخذها معنا يا أمي !

نظرت في عينيه لحظات وقالت بحيرة : كيف نأخذها ؟! هل نأخذ القصر معنا ؟!

تبسم إبراهيم لإثارة أمه وقال : ليس كذلك .. نأخذ الكتب التي كان الوالد يحب قراءتها .. الثياب التي كان يرتديها .. الأوراق التي كان يكتبها .. الأشياء الحلوة الخاصة عنده !

ـ الجدران التي كان يضع يده عليها .. النوافذ التي كان يفتحها .. المقاعد التي كان يجلس عليها كيف سنأخذها معنا ؟!

ـ ستبقى هنا ريثما نعود .. لن تطول غيبتنا يا أمي .. لقد ذهبتم كما أعلم إلى هناك ، مشيتم في شوارع لندن ومعالمها !

ـ لا .. دعني هنا يا ولدي الحبيب .

ـ سأشتاق إليك كثيرا يا أمي ! أنا تعودت على رؤيتك كل يوم .. لا أنام قبل أن أقبل رأسك سأفقد كل هذه اللحظات .. أنا تعودت عليك منذ مات أبي رحمه الله !

ـ مات أبوك .. مات جسده فقط .. أما روحه فهي ما زالت موجودة معنا !

ـ أكيد يا أمي أن جسده فقط هو الذي غادرنا .. والروح معنا وستذهب معنا وتسافر معنا لتبقى معنا .

ـ لا ، الروح ستبقى هنا في هذا القصر ، لن تخرج حتى أموت أنا .

تنهد الفتى وتأوه : آه .. آه يا أمي .. هل نامت أم السعد ؟

ـ انصرفت قبل دخولكم .. أتريد شيئا ؟

ـ كنت أريد .. أن أشرب قهوة أو أي شيء .

ـ لا تزعل ولا تتضايق .. أنا سأصنع لك القهوة .

ـ لا أريد يا أمي .

ـ لا ، ستشرب ، أتظن أنني لا أحسن صنع القهوة ..

ونهضت باتجاه المطبخ ، وقال إبراهيم : سأذهب معك يا أمي .. أنا أعرف أن قهوتك رائعة ، ولا أحد يجاريك في صنعها وأنك ماهرة في غلي القهوة ودخلا المطبخ معا ، وأنارت الكهرباء وأخذت تعد وتصنع القهوة ، وإبراهيم يتابعها حتى غلت القهوة وملئت الفناجين منها، وجلسا في المطبخ يتحدثان ويرشفان القهوة .

ولما دخل مالك البيت قريبا من نصف الليل وجد أن زوجته هناء مستيقظة ، وتجلس في مكتبة المنزل ، فاتجه إليها ووقف على بابها محييا ومسلما ، ثم قال : ما زلت مستيقظة ؟!

ردت السلام وأجابت باسمة : كنت قد انتهيت من القراءة ، وأردت النهوض فسمعت صوت سيارتك فانتظرتك .. كيف الأهل ؟!

فدخل المكتبة وجلس وقال : بخير ويسلمون .. اجلسي مالك وقفت ؟!

ـ ألا تريد النوم ؟!

ـ بعد قليل !

ـ أتريد شيئا؟!

ـ أنا تعشيت في بيت ربيع ، وكان هناك خليل وإبراهيم أولاد منى .. وجرى الحديث عن الزواج زواج إبراهيم ابن أخي برهان رحمه الله .. وكان ربيع لديه رغبة بتزويجه ابنته سعاد ؛ ولكن البنت لا تفكر بالزواج منه أو من غيره في الوقت الحالي .. فطلبوا ابنتا هندا .

هتفت بعجب واستغراب : هند!

ـ نعم .. وأنا هذا الطلب الوحيد الذي أرجوك أن لا ترفضيه يا هناء !

وحدثها عن ملابسات الموضوع ، وعن حبه العتيد لبرهان محمود ، وأن هذا النسب سيبقي العلاقة بينا وبين أسرة برهان ومنى ، فكل أولاده تزوجوا من أقاربهم إلا إبراهيم ، والشاب محب لمصاهرتنا قبل السفر لبريطانيا للدراسة والتعليم العالي

تعاطفت هناء مع كلام زوجها وقالت : أنا مثلك أحب منى وزوجها المرحوم برهان .. وإبراهيم شاب ممتاز جدا فكثير ما يتردد علينا ويجلس معنا ولكن هند هل تصلح زوجة ؟! فنحن لم نهيئها لذلك .. ولا تعتقد أني أعارض زواج الشابة الصغيرة .. لكننا نعيش في مجتمع لا يتحمس لهذا الزواج .. فشهادة الجامعة أصبحت إحدى الأوليات المهمة لدينا .. فالدراسة والتعليم والجامعة يا أبا برهان

ـ كل هذه أعرفه وأقدره يا أم برهان .. تحدثي مع

البنت في الأمر الخطير ، وبيني وجهة نظرنا بكل صدق وصراحة ، واسمحي لإبراهيم بالحوار معها ، فادعيه للغداء أو العشاء لعلها تقتنع به وبكلامه .

ـ حاضر يا سيدي ! سأفعل كل ما بوسعي ولتقر عينك !

ـ أهي نائمة الآن ؟

ـ سأطرق باب حجرتها .

كان مالك يريد أن ينهي الموضوع بسرعة ليدخل الابتسامة على العائلتين ، وليطمئن قلب إبراهيم وتسكن جوارحه ، قامت المرأة ، وطرقت الباب كانت بناتها الثلاثة يرقدن في حجرة واحدة ومستيقظات ولكن تحت اللحف ـ فقالت إحداهنّ : آ يا أمي خير ؟ الدنيا آخر ليل !

قالت الأم بصوت ضعيف : أنا ظننت أنكنّ في سابع نومة ..

وفتحت الباب وأدخلت رأسها تقول : ما الذي يقلقكن لهذه الساعة ؟!

قالت واحدة منهن : كنا ننتظر والدنا .. فتأخر فأصابنا القلق وطار النوم عن عيوننا .. ولما سمعنا السيارة ارتاحت قلوبنا ، وقلنا الوقت غير مناسب للحديث معه في نصف الليل !

ـ أحسنتنّ يا بنات .. بعد صلاة الفجر عندما يرجع من المسجد تحدثنّ معه .. أما أنت يا هند تعالي إلى المكتبة أريد أن أتحدث معك في موضوع مهم لك .

ضحكت البنات الثلاثة لهذا الطلب ، فتسألت الأم عن سبب هذا الضحك ، فقالت واحدة منهن : موضوع مهم يا أمي ومع هند !

ـ آ موضوع مهم وخاص .

فعدن للضحك من جديد ، قالت الأم لهند التي نهضت من فراشها ولفت نفسها بثوب سميك : لماذا يضحكن ؟!

ـ امشي يا أمي .. هؤلاء .. وسكتت

عادت الأم تتسأل ، فقالت إحداهنّ : موضوع خاص أو مهم معناه يا أمي أن هناك عريسا لهند

صعقت الأم وقالت : ويلكن أكنتنّ تسترقن السمع ؟!

أنكرن هذه التهمة باسمات ، وقالت إحداهنّ مستفسرة : يا أمي أنت دائما تتحدثين معنا كلنا كفريق واحد .. إلا هذه اللحظة .. فماذا سيكون الموضوع إن لم يكن زواج وعرسان ؟! .. من هو حضرة العريس ؟!

فصاحت هند : وهل وافقت حتى تسألن عنه ؟ نمن خير لكن .

فصاحت هناء بدون مواربة : إبراهيم برهان ابن عمتك منى ما دمتنّ تعرفن في مثل هذه القصص فهتفن متعجبات : أوه !!

وأخذت هناء هندا ، ومشت بها نحو المكتبة التي غادرها مالك، فشرحت لها الموقف بكل صراحة ووضوح ، ثم قالت : الأمر إليك وبين يديك .. هذا مصيرك ، إن طاب لك الاقتران بإبراهيم ودراسة الجامعة في بلاد الإنجليز فحسن هذا وأهلا وسهلا ، وإن رفضت لا بأس عليك ، وكل واحد عند أهله !

صمتت هند فترة ثم قالت: وأنت يا أمي ؟

ـ أنا بصراحة أحب لك أن تتزوجي من ابن عمتك منى .. إبراهيم شاب عاقل وطموح وممتاز جدا .. وبعد شهور يتخرج طبيبا، وبعد الزواج سيسافر للخارج ردحا من الزمن .. وبزواجك منه تذهبين إلى هناك وتتعلمين هناك ، وكذلك تتعرفين على أخوال أمك وخالتك شمسة التي تزوجت من ابن خالي .

ـ أروح لندن مرة واحدة !

ـ ليست جديدة لندن علينا .. عشت أنا وأبوك فيها زمنا .. وأبوك كما قلت أيضا راغب بهذا الزواج وإن كانت سنك صغيرة بعد .. هذا رأينا نحن ، والرأي كما يقال الأول والأخير لك يا حبيبتي .. وأكرر أن الزواج مسؤولية وحمل ورضاع .

ـ والدراسة ؟!

ـ بعد نجاحك في الثانوية سيكون الزواج إذا حكم النصيب ، وبالطبع هناك إبراهيم سيهتم بدراستك الجامعية والماجستير والدكتوراه إذا أحببت المتابعة

حسم الأمر

طلبت الفتاة التفكير والنظر في الموضوع بعدما تنتهي من امتحانات المدرسة والتقت عدة مرات بإبراهيم ، وشرح لها رغبته الكبيرة بها ، وإن الدراسة ليست عائقا للحياة الزوجية ، ومع كل هذه المحاولات طلبت الفتاة الانتظار حتى تنتهي من امتحانات الثانوية العامة ، ولم تبدِ قبولا صريحا ولا رفضا قاطعا ، إنما ستحسم الأمر بعد الثانوية ، فقبل إبراهيم بالانتظار هذه الأشهر المتبقية للتقدم لامتحان الشهادة الثانوية الذي تعقده الحكومة للطلاب .. مع أن هذا الجواب المرن لم يشجعه ، وخشي أن يذهب انتظاره إلى لا شيء .. ومالك أيضا تضايق من توقف وتردد ابنته في القبول .. كان يريدها أن تقبل وتتم الخطبة ويؤجل الزواج إلى أي وقت يشاءون ، ولكن هندا اعتذرت لأبيها ، وإن أدركت ما تركت في قلب أبيها من ألم ، فهو ربما يحب أولاد برهان أكثر من أولاده .. فهو دائما يذكره ويتحدث عنه .

حاولت هند التخفيف من ردها عن قلب أبيها ، وبعد عتاب أمها لترددها في حسم الموقف ، ورغم الكلام الذي سمعته من أمها قالت لأمها يا أمي أخاف أن أتسرع في مثل هذه القرار ثم أندم ،

وأدمر حياتي وحياة الأخ إبراهيم والأسرة كلها .. أنا أعرف محبة إبراهيم لنا، والغاية من الزواج منا وغايته الأخرى من هذا الزواج قبل السفر
فتركتها الأم وشأنها ، ولم تعد تفتح معها موضوع إبراهيم ، وحاولت هند شرح موقفها لوالدها والتخفيف عن قلبه ، فقال لها كلمة واحدة : أنت حرة يا هند .. فاليوم أنت توقفت في حسم الأمر ، وقبل إبراهيم على مضض ، كان يريد جوابا صريحا نعم أم لا .. وغدا نحن قد نتوقف إذا تقدم إليك عريس ولم يعجبنا .
- إلى ذلك اليوم يفرجها الله .. وأنا لم أرفض إبراهيم يا أبي! إنما أحببت التأني في الجواب .
- الشاب مستعجل ، لو قلت نعم انتهى الإشكال ، هو يصبر ونحن نصبر .. وهو قد جلس معك مرات محاولا سماع نعم ، وأنت تصرين على الانتظار .
- أنا حائرة يا أبي يا حبيبي .. أخشى التسرع في القبول ، ثم لا نندمج معا ويفسد الزواج ، ماذا سيحل بالعائلتين يا أبي ؟! هذا التصور مخيف !
- على كل حال رضي الشاب بالانتظار هذه الشهور .. هو شارينا ونحن نتململ .. أنا حزين له يا هند !
كلما تجلس هند مع أبيها تكرر أسفها واعتذارها له ، حتى تفاجأ ذات يوم وهم يدعونه لحضور خطبة إبراهيم من إحدى بنات عماته ، فصعق مالك وربيع وهناء للخبر حتى أن مالكا ذرف الدمع مما أدمع قلب هند الصغير وأبكاها ، وسألها هل حدث بينكم شيء ؟! فقالت بأسف وبكاء : منذ افترقنا لم يتحدث معي!
ولما التقى إبراهيم بخاله اعتذر له عن عدم صبره وانتظاره أكثر من شهرين .. ، فبكى مالك ثانية بين يدي ابن أخته وقال : كان باستطاعتي إرغامها على الرضا بك يا إبراهيم ! ولكني كنت حريصا على سعادتك وحياتك الهادئة .. فأنت لا تقبل العيش مع فتاة لم تجزم أمرها .
قال إبراهيم : أعرف ذلك وأتمنى لها كل سعادة وتوفيق .. وأنا كنت أحب أن ادخل السرور على قلب أمي بالزواج منكم ، ولكن أقول قدر الله وما شاء فعل .. فالسكينة والرحمة ضروريتان للحياة والسعادة الزوجية .. وصعب عليّ رهن مصيري لشهور ثم أسمع بعد ذلك كلمة آسف
ترك هذا الزواج في نفس مالك شيئا مؤلما وجرحا كبيرا في قلبه ، وأحس بالخجل لفشله بإقناع ابنته من الزواج من ابن أخته وحبيبه برهان .. وفي هذه اللحظة أدرك أن الحبل الذي كاد أن يمد قطع ، وها هم أبناء أخته الخمسة يعودون لحضن عائلتهم العائلة الطيبة ، وقالت هناء مواسية لزوجها الحزين ومخففة من العناء النفسي عنده :

غدا لما نزوج برهان نزوجه من أقارب برهان.
ـ لا يصح يا هناء ! فزواج إبراهيم من بناتنا كان أفضل ، ولكننا سنبقى أخوال الأولاد !
ـ أنا أشعر بما أصابك من ألم .. لا حول ولا قوة إلا بالله .
وكان المهندس ربيع ساعد أيضا قد شعر بالأسى والخسارة الكبيرة في فشلهم من تزويج إبراهيم الذي رغب فيهم .. وربما كل العائلة تأثرت بهذه القضية .. وأدركوا أن أولاد برهان ومنى ابتعدوا عن حياتهم ، ولسوف يرونهم في المناسبات واللقاءات العابرة .
وقبل أن تنتهي هند من امتحان شهادة الثانوية كان إبراهيم يتزوج من ابنة عمته الطالبة في الجامعة ، وسكن في الفيلا أو القصر الجميل كباقي إخوته .. ولما أنهى الجامعة ، وتخرج منها أرسل أوراقه إلى جامعات الطب الإنجليزية .. ولم يطل الانتظار ، فعندما كانت هند تفرح بنجاحها في الثانوية العامة ، كان إبراهيم وزوجته يغادران أرض الوطن إلى الجزر البريطانية حيث الشهادات العالمية والعلم والعمل .
عندما التقى مالك بمنى عاتبته كثيرا على عدم تزويج ابنته من ابنها ، فبكى بين يديها كالطفل الصغير ، وقال معتذرا : كان بقدرتي إجبارها يا أم خليل ! ولكن خفت أن تجعل حياة إبراهيم شقاء ونكد ، ونندم عندما تحس أننا أجبرناها على الزواج منه .
وذكرته بأيامها الأولى عندما تزوجت حازم ، وكيف كان موقفه حادا ؟ وكيف كان رفضه ومعارضته رغم صغره آنذاك ، فقال : أنا لم أنس ذلك يا منى .. وأنا نبهت ابنتي من هذا الموقف قلت لها غدا ستأتيننا بزوج لا نرضاه ستبكين .. سامحيني يا منى !
ـ ليس لي عندكم شيء ، إنما كان الأمل والعشم ؛ ولكن أرسلت وراءك لأخبرك أنني سأسافر إلى لندن للحياة مع إبراهيم ، إنه يريدني أن أكون بقربه وأنه لا يستطيع العيش بدوني .. وقد تأثرت بدموعه ونشيجه على الهاتف .. فإبراهيم ولدي الأخير وفلذة كبدي .. وأنا أحسست بفارغ كبير لما تأكد لي بعده .. وسأترك حبيبي برهان برهة من الزمن.. فخذ بالك من الأولاد ، وساعدهم إذا واجهوا أي مشكلة أو قضية ، فهم يحبونكم ولكنكم بخلتم عليهم بفتاة .. ربيع لم يستطع إجبار ابنته .. ومالك لم يستطع ذلك .. أنا أعذر ربيعا لم أعرف من شخصيته المسالمة الهادئة الوديعة ، أما أنت يا مالك كنت تعمل نفسك في وجهي بطلا وشجاعا .. لا تبكي انتهى الأمر !
ـ لا تقسي عليّ يا منى !
ـ أنا لا أقسو عليك ، فالولد غير الأخ والأخت !

ـ سامحيني .. أنا لو أنه ضغط عليّ إبراهيم بعض الشيء ولكنه لم يفعل !

ـ أخلاقه لا تسمح له أن يفعل ، كان يريدكم وأنتم رفضتموه .. على كل حال كان لابد لي من معاتبتك فاقبل ذلك مني .. وسأتصل بكم من لندن .

ـ ألا تريدين أن نودعك ؟!

ـ لا داعي فوقتكم ثمين !

ـ منى يا أخية ! لا تقسي علينا !

ـ أنتم قسوتم على أنفسكم ، عندما جاءني إبراهيم وقال لي إنه سيتزوج من ابنتك .. فرحت وبشرته بموافقة هند لم أعلمه من شخصيتك وقدرتك على الإقناع .. تفاجأت لما لم يحدث هذا الزواج .. انظر بنات أخواتهم وإخوتهم يوافقون بدون تردد إذا وافق الأب ، لم يكن للبنت كلمة ومع ذلك لا تجبر .. فأنا الآن عرفت تربية الحاج محمود من تربيتنا نحن .. كان أولاد الحاج محمود كلهم يد واحدة ، عندما كان أحدهم يريد أن يفتح مصلحة يجمع إخوته ويتشاورون ويتفقون أو يختلفون .. تذكرت اجتماعاتهم عند إنشاء المصنع مصنع الحديد .. اجتماعاتهم عند بناء المدارس .. مكتب برهان .. المستشفى .. مصنع الدواء .. وغير ذلك من الاستثمار

ـ صحيح ، هم خير منا وأجمع منا وأوفق منا ، هذا واضح للعيان يا أخية .. معك حق يا منى غفر الله لنا يا أخية .. متى ستسافرين أحب أن أرافقك للمطار ؟

ـ سأتصل بك من هناك .

ـ هذه قسوة وعتاب شديد ، ما زلت غاضبة ؟!

ـ عندما أموت سينتهي كل شيء بينكم وبين أولاد الحاج محمود .

ـ سنبقى أخوال أولادهم .. وسأزوج برهان من فتاة منهم .. سنبقى متصلين بهم .. أنا لا يمكن أن أنسى العزيز برهان مثلك يا منى .. برهان جدد لي حياتي وقوى عزيمتي في الاندفاع للأمام ، كان مستشارا صادقا وشجاعا وأمينا أيضا !

ـ حسنا ! سأقبل عذرك اليوم قبل غد ، اذهب الآن واخطب ابنة مريم أخت برهان ، فزوجها من العائلة وهو ابن عمها .. فلزوجة إبراهيم أخت توأم !

ـ سأفعل الآن .. بس سامحيني .. وسيتزوج إن شاء الله قبل سفرك يا منى.

مسحت دموعها وهي تعلم أنها قست على أخيها ، وقالت : أرجو أن يوافق ابنك ، ولا يفعل بك كابنتك ، وألا يكون ينظر لفتاة ما .

قبل مالك باحترام يد أخته الكبيرة التي أخذت تمسح دموعه ودموعها حتى أن الدكتور خليلا

دخل عليهما ولم يشعرا به وهم في هذا الوضع الغريب ، فقال دهشا : دموع وشهقات .. ما الأمر يا خالي ؟!

قبل مالك يد أخته ثانية وقال : سأفعل كل ما تشتهينه يا منى .. قاتل الله الضعف .. ستعرف كل شيء قريبا يا خالي .

ونهض قائما وقال خليل : اجلس أبا برهان .. اجلس يا خال نتحدث بعض الوقت .

ـ لا يحق لي الجلوس هنا قبل أن أحقق ما اتفقت عليه أنا وأمك سامحيني يا منى .. أمك ستسافر يا خليل إلى لندن ، وأخشى أن لا نرى بعضنا بعد هذه السفرة !

قالت منى قبل أن يتكلم خليل : الأعمار بيد الله يا أخي .. انطلق وافعل ما هممت به !

ترك مالك أخته مهموما مقبوض النفس ، وقال خليل لأمه : ما الذي هم به أخوك ؟!

فتبسمت الأم وقالت : ستعرفه بعد ساعة !

ـ بعد ساعة !.. حسن وما قصة السفر الذي أشار إليه الخال الفاضل ؟!

ـ ألم أقل لك إن إبراهيم يتحدث معي يوميا وهو يبكي ؟! .. صعب عليه فراقي فيريدني معه حتى ينتهي من الدراسة .. وأنا أيضا صعب عليّ بعده عني يا خليل!

ـ رغم أن هذا يؤلمني يا أمي .. أتحمل وأصبر من أجل إبراهيم الصغير! متى يكون السفر ؟

مع أن إبراهيم دائما يتحدث معي لكنه لم يذكر شيئا ، نحن تعودنا على نفسك معنا .. سيحرمنا إبراهيم من هذه النعمة ! تغيير الجو لا بأس به يا أمي

ـ لا يعني هذا أنني سأترك برهان .. لا .. سآخذ كل ما يذكرني به معي إلى هناك .. ولو يحمل القصر والأثاث لأخذتهما معي .

صفن خليل لحظات وقال : افعلي ما تشائين يا أغلى أم .. ستتحدث معكم كثيرا كل يوم إن شاء الله ..

وبينما هما يتناجيان أقبل أخوه محمد وزوجاتهم وأطفالهم والتفوا حول الأم ، وقد استغربوا لما علموا برغبة منى بالسفر المفاجئ .. فهي منذ ترملت لا تحب مفارقة البيت ولو لساعات .. فهي لم تفارق البيت إلا مضطرة لعيادة مريض أو تعزية عزيز أو تهنئة بزواج أو نجاح أو مريضة إلى المستشفى والعيادات .. فهي تريد ترك القصر وذكريات برهان .. رغم فرحهم بهذا التطور المفاجئ .. قلقوا على فراقها .. وبينما هم يعبرون عن مشاعرهم بحرية وصدق ويتحدثون عن أخبارهم وأحلامهم رن جرس القصر معلنا عن ظهور قادم ، ودخل برهان وتقدم من عمته وقبل رأسها ويدها وقال : أرسلني أبي إليك ، وأنا بين يديك يا عمتي الحبيبة

قبلته من خديه ، ودعت له بالخير ثم قالت : برهان ! آه يا حبيبي ! كم فرح زوج عمتك عندما أخبره أبوك بمولدك وتسميتك برهان .. وكم فرح زوج أمي جدتك جميلة العم خليل عندما أخبره برهان بأننا سمينا ابننا خليلا .. سبحان الله! الأسماء مع أنها على أبدان مختلفة لها تأثير وحلاوة على النفوس .. كان أبوك يحب برهان ، فأراد أن يعبر عن هذا الحب فسماك بهذا الاسم العزيز والغالي يا ابن الغالي .. تعال اجلس بقربي أيها الحبيب .

فجلس على الكنبة أو الأريكة التي تجلس عليها فأخذت تداعب وتعبث في شعره وتقول : أهلا بابن الغالي .. وهو يتمتم بكلمات الشكر ، وقالت : أقال لك أبوك شيئا ؟!

قال بحزن : دخل علينا باكيا .. فبكينا ظنّنا أن مصيبة ألمت بنا أو مات أحد .. ثم صرف الجميع وتحدث معي وحدي فقال : اذهب إلى عمتك الدكتورة منى ربيع .. لتزوجك ممن تشاء .. ففهمت القضية .. فجئت إليك سريعا !

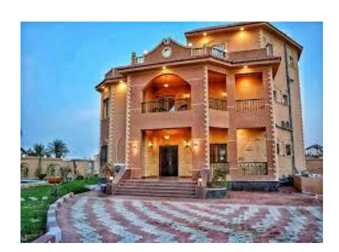
ـ أتقبل أن أزوجك كما أشاء يا حبيبي يا برهان !

وضمت رأسه لصدرها وقبلته ، وتساقطت دمعات من عيونها ثم شرقتها وهي تسمع الشاب يقول: ولو لم أقبل لم آت يا عمتي.. فدموع والدي عزيزة وغالية علينا .. ونحن منذ تزوج إبراهيم ونحن نعيش في حزن وألم وبكاء.. فأنا خفت على والدي من جلطات الدم وغيرها ..

ـ سلامة أبيك ألف سلامة .. جيد قبولك يا برهان ! وعافى الله أباك .. خليل اتصل بزوج عمتك مريم .. وأنت يا محمد اذهب مع أخيك ، وسأركب أنا مع ابن أخي مالك .. سنخطب ابنة عمتكم لابن أخي .. توأم زوجة إبراهيم .

قال محمد : أنت ستخطبين له؟!

ـ نعم أنا!



تعجبت مريم أخت برهان وزوجها من هذه الزيارة ، وممن من منى ربيع ! فحصل استنفار عجيب في البيت ، فمنى تفارق البيت جرا ، وما تصدق أن تعود وتنتهي من حاجتها خارج البيت .. وكان الوقت مساء بعد العشاء بقليل لم يكن بيت مريم بعيدا عن قصر السيد برهان استقبل موسى ومريم أم خليل بالترحاب الحار الدافئ والفرح الواضح ، فهي أيضا حماة ابنتهم منى ، وكانت أخت برهان صديقة لمنى منذ تزوجت شقيقها برهان ، وكان زوجها ابن عمها موسى .. فلما ولدت ابنتيها التوأم سمت واحدة منهما منى ، وهي التي تزوجها إبراهيم وسافر بها إلى بريطانيا.. وجلس الضيوف وأهل البيت في صالة واسعة ،

وكان أهل الدار يرحبون بضيوفهم الكرام ، ثم تحدثت منى عن سبب هذه الزيارة المفاجئة ، وأشارت لابن أخيها برهان وطلبت منهم أي فتاة ، وإن كانت توأم منى الآنسة أميرة فذلك خير.. فسر القوم ، وقامت مريم تعانق منى وهي تقول : يا أهلا بكم جميعا .. وأهلا ببرهان سمي أخي العزيز برهان رحمه الله تعالى ..

وقال زوج مريم عندما نظرت إليه زوجته : أهلا وسهلا بك يا أم خليل والله هذا شرف آخر تقدميه لنا .. فأهلا بك يا برهان .. وعلى الرحب والسعة .. يا مريم تحدثي مع البنت ، وليراها الشاب فإذا راقت له فبها ونعمت .. وإن لم ترق له فلها أختان.

فقالت منى : بارك الله فيك يا أبا أيوب ! .. ستروق له فسنعيد إليكم البرهان الجديد .

ـ شكرا لك يا أم خليل .. مقدارك عظيم عندنا .. كل العائلة تجلك .

قالت مريم : جزاك الله خيرا يا أم خليل .. أنت بركة عائلة الحاج محمود .. سأرسلها لكم لتسلم عليكم وترونها .

سرت منى وأولادها لسرعة إجابة موسى وزوجته لرغبتهم ، وأثنت على أبي أيوب بما فتح الله عليها من الكلام الحسن والامتنان ، وما عادت الأم للجلوس ثانية حتى أقبلت الفتاة المنشودة وقد لبست ثيابها الشرعية .. فهؤلاء الناس ما زالوا يراعون المحافظة وعدم الاختلاط والخلوة فسلمت على زوجة خالها برهان وقبلتها ، وحيت الجميع ، وجلست حيث أشار لها والدها وقال موسى : هذه يا برهان توأم منى زوجة ابن عمتك أم خليل .. وهذا يا أميرة برهان ابن الأخ الفاضل مالك ربيع شقيق الدكتورة منى .. فقد أقبل بعمته وأولاد عمته يطلبونك منا .. فنحن رحبنا بهذا ، والقول الآن لك ؟!

تبسمت الفتاة وقالت وهي تنظر في عينيّ برهان الذي احمر وجهه خجلا : وأنا قبلت يا أبي ! اختيار امرأة خالي رحمه الله .

لم تطلب الانتظار مع أنها طالبة في الجامعة كأختها منى ، فقامت منى جذلة واحتضنت الفتاة مقبلة لها عدة قبلات معبرة عن فرحها وسعادتها بسرعة جوابها وقالت : مبارك يا ابنتي .. ونعمت التربية يا أبا أيوب ويا بنيتي .

ومسحت دمعات تساقطت على خديها مما أدهش العروس وأهلها واعتبروها دموع الفرح ؛ ولكن برهان فهم مغزى هذه الدموع .. وقال موسى : ألف مبارك يا أم خليل .. أميرة قدرت مجيئك شخصيا لطلب يدها لأبن أخيك .. آ ، يا برهان لم تقل شيئا ؟!

تمتم الشاب بخجل وحياء: لا كلام لي يا سيدي ..

أنا سعيد بموافقتكم وقبول الآنسة بي .

انتقلت منى لابن أخيها واحتضنه هو الآخر وباركت له وقالت : أنا سعيدة اليوم يا أولاد .. عدنا أسرة واحدة بمشيئة الله ..

وقام خليل بالاتصال بخاله مالك ربيع ، وطلب منه المجيء ليطلب ويخطب لابنه .

وجرت الاتصالات موسى بوالده وبعض إخوته ، ومريم تحدثت مع أخيها عبد القادر وعبد الرحيم ، وكان مالك يتصل بربيع وبأخته حنين وبنضال وعزمي بعض أشقاء هناء ، والتقوا على باب بيت أبي برهان ، ثم انطلقوا إلى بيت أبي أيوب ، والتقى الجميع هناك ببيت ابن عم برهان المحبوب لهم ، وحدثت الخطبة بحضور كبار العائلتين ، وحدثت سهرة كبيرة بين تلك الأسر ، واتفقوا أن يكون الحفل الكبير للإعلان عن الزواج في وقت قريب ، وقبل سفر السيدة منى إلى لندن.. وكانت منى نجمة هذا اللقاء.. فهي منذ عشر سنوات أو أكثر لم تشاهد بمثل هذا الحبور والسعادة والمشاركة كأن العروسين ابناها .

ولما غادروا البيت ركبت منى مع أخيها مالك في سيارته نحو بيتها ، فقال لها وهم عائدون : جزاك الله خيرا يا أختاه ! لقد صنعت لنا عملا عظيما .. لقد أعدت البسمة لقلوبنا .

ـ خسارة يا مالك ! أن نخسر هذه العائلة.

ـ أعرف ذلك .. مع أننا ندعي أننا محافظون على عاداتنا وتقاليدنا فهم خير منا .. فبناتهم كريمات طاعتهنّ لأهلن دون تردد .. همس لي برهان بكل ما جرى وهو لا يكاد يصدق .. بنت في الجامعة ترى الخطيب أول مرة لا تطلب مهلة ما دام والداها وافقوا !

ـ نعم ، لم تطلب مهلة ولو دقائق.. هو وافق وذهبت الأم لحجرة الفتاة وحدها ، لم يقم الرجل من مجلسه لنقول ضغط عليها .. أنا كانت يدي على قلبي أن تتردد وتطلب مهلة أو لما تتخرج من الجامعة كما فعلت ابنة ربيع .. دائما خيرهم كبير وكثير علينا .

ـ والله لا ننسى ذلك يا أخية .. الحمد لله الذي وفقنا لهذه الخطوة الصغيرة لترضي عنا وعلينا .

ـ لا تزعل من كلامي معك مساء هذا اليوم .. أنا من حبي لكم تكلمت بما سمعت مني .. أنا أريد أن يبقى أبنائي قريبين منكم .. النساء تقرب وتباعد .. فبالمصاهرة نبقى قريبين من بعض أكثر

ـ أدرك هذا القصد الكبير.. لا تعلمين كما ندمت عندما علمت بخطبة إبراهيم .. صعقت لدرجة أنني أول مرة لم استوعب ما حصل .. ولكنه صار والحمد لله هو وابني عديلان وسنعزز هذه المصاهرة بغيرها يا منى .. فأعطونا برهان الغالي وها نحن أعطيناهم برهان فلذة الكبد .

ـ ابنك رائع ومهذب جدا وأعجبني للغاية !
ـ هو أدرك الألم الذي أصابنا من زواج إبراهيم .. أنا قلت له الأمر ، ثم قلت اذهب لعمتك فقال لبيك يا أبي وأنا تحت أمركم .
ـ أنا هكذا أحب الأبناء.. فلا يجب أن نتأخر كثيرا بالتفكير الفردي والانفلات في الحرية الشخصية .. نحن ما زلنا أسر لديها دين عظيم .. ونعيش في مجتمع لا يمكن أن ينفتح انفتاح الغرب .. ما أخبار حزبك العجوز ؟!
مسح دمعة سقطت على خده وقال : تريدين تغيير الموضوع والحوار .. أنت أختنا الكبيرة اليوم أي أمنا يا منى ، رحم الله الحاجة جميلة .. ورحم الله أبا أحمد .. وأنا وهناء ـ وكانت هناء على ذكرها قد ركبت سيارة أحد إخوتها ، فقد شعرت أن منى ستتحدث مع مالك ، فلم ترغب بحشر نفسها والاستماع ـ نقدر لك هذا الجهد وممتنون لك فعلا .. وأرجو أن لا تسافري قبل زواج برهان .. فبرهان ابنك اليوم .
ـ هذا الولد أحببته منذ ولد .
ـ وما زلنا نحتفظ بالهدية التي أرسلتموها لنا إلى لندن بمناسبة ولادته.. رحمك الله يا أبا خليل فكلما أجلس مع نفسي وأتذكره تبكي وتدمع عيناي يا منى .. لا أقول ذلك نفاقا يا منى .. واليوم ولدنا طيار ماهر في سلاح الطيران العسكري

ـ هل تعلم أنهم لم يسألونني عن عمله ؟!
تبسم وقال : نحن أهل يا منى .. لابد أنهم يعرفون .. فبرهان ليس غريب عليهم .. لقد كان برهان العزيز يصحبه معه كثيرا .
ـ أحسنت !
ـ سنتصل بإبراهيم ونخبره بهذا الخبر السعيد ليصفح عن أخواله .
ـ سيتصل هو .. لقد اتصلت أميرة عروسكم بأختها قبل مجيئك بأهلك ، لابد أنه اتصل هناك ليبارك لهم ، وربما اتصل بكم في البيت ، إبراهيم أكثر أبنائي حبا لكم .. وسيتصل هنا ، ولابد أنه طلب الحديث معي ، سنعرف الآن من زوجات الأبناء .
وقفت السيارة على باب البيت ، ثم تبعتها سيارة خليل ومحمد وبرهان الذي نزل وقال لهما : كنتم تسيرون ببطء شديد .. وكأنكم نسيتم أن الوقت نصف ليل .
قال مالك : لم ننس اذهب بمن معك للبيت سأسهر مع عمتكم .. أنا منذ زمن افتقدت مثل هذه السهرات الرومانسية أو الشاعرية مع الأخت الحبيبة.. انصرف يا ابني وقل لأمك لتنام قد يطول السهر !
تنهدت منى وهي تسمع كلمات مالك ولما سكت قالت : منذ مات برهان !.. نعم منذ مات برهان !

.. تفضلوا .

وبينما هم واقفون جاءت هناء التي كانت في سيارة أخيها نضال الذي تقدم نحوهم ، وشكر بدوره الدكتورة منى ، فتقبلت شكره بحنان وامتنان ، وقالت هناء : لك الشكر يا أم خليل.. وسنظل نشكرك .. فأنت أعدت لنا الصفاء بجهل البنات .. فهنّ لا يعرفن مثل هذه المعاني العائلية الكبيرة والسرور والحبور بين القلوب .

ـ لا بأس يا امرأة أخي .. سامحيني إذا أخذت دورك في الخطبة لابنك .. تفضلوا نحن ظنّنا أنكم عدتم لبيوتكم .

ـ بارك الله فيك الوقت متأخر ..

وركبت هناء في سيارة برهان الذي قال لعمته : السلام عليكم ، سنمر عليك يا عمة أنا وأمي والعروس ، فهي تريد أن تشتري أنت لها الذهب والزينة .

ـ أنا .. أبشر وسأدفع ثمنه أنا إكراما لعيونكم جميعكم .

احتج برهان وقال : لا ، لا .

قال مالك : اسكت يا برهان .. أنا أعرف عمتك ، هي تريد تسديد دين قديم أو تذكرني بدين قديم ! ضحكت منى وقالت : لا والله ! أنا أعرف أنك وضعت ألفين دينار من ذلك الدين ، دين المصنع لا أنسى ، فبرهان صارحني بذلك عند موته .. وخيرك كثير يا مالك .. لقد كانت هداياك لنا كبيرة وثمينة .. ولكن أحب أن أشارككم فرحتكم ، وابنة أختي مريم تطلب ذلك مني .

ولما ابتعدت سيارتي برهان ونضال دخلت منى القصر ، وكان أولادها قد سبقوهما بالدخول ، قالت منى : مع أن الوقت صيف أشعر ببرد في هذا الليل .. فلنجلس في المكتبة حيث كان برهان الحبيب يحب المكث والسمر والإطالة يا مالك

ـ حاضر .

جلس الأخوان في مكتبة البيت ، وأحضرت لهما خادمة البيت أم السعد القهوة .. أخذت منى كتابا كان يحب برهان قراءته وطفقت تقلب صفحاته .

قال مالك بعد صمت : أراغبة بالرحيل يا أخية ؟

ـ أجل أيها الأخ الحبيب .. أنا أحب إبراهيم ، ربما أكثر من إخوته ، وهو حبيبي ، وهو شبيه أبيه صورة وخلقا .. فكلما أراه أحس أنني أجلس مع برهان .. فهذه الشهور القليلة التي غابها عن عيناي آلمتني وأحسستني بفراغ كالفراغ الذي أحسست به عند فقد برهان .. دموعه عزيزة عليّ يا مالك ! .. وكأنه هو الآخر يحس بفقدي ، لقد مات أبوه وهو صغير عشر سنوات تزيد سنتان أو ثلاث على ما أذكر .

ـ كان عملك معنا اليوم كبير ، فالشكر لك يا منى! ونحن فرحنا بخطبة برهان ، وفرحتنا أكبر

بمشاركتك لنا وظهورك في حياتنا من جديد .. كان الكل مشدوه بوجودك معنا .. لقد خاف الجميع على عقلك يا منى .. ومع ما تعرفين عني كان ينتابني بعض الأحيان قلق وتوجس .. الحمد لله رب العالمين على عافيتك .. وعيشي مع حبيبنا برهان كما يطيب لك ، وخذي أوراقه وكتبه ورسائله ، وسنأتيك نحن لندن .. ونكتفي بسماعكم ريثما تعودون لنا سالمين ظافرين .

وغرق الأخوان يتذكران الماضي ، وأيام زمان ، وسهراتهم مع برهان والعم خليل ونوادر برهان اللطيفة .. وفجأة كأنه تذكر شيئا فقال : أتذكرين عبير ناصر؟!

ـ وكيف أنساها؟! وهي أول امرأة عملت موظفة صغيرة عندها ، آ.. مالها؟!

ـ اتصلت بي منذ أيام .. ودعتني لحضور حفلة زواج ابنها البكر فهو يستعد للزواج .

ـ تزوجت هي ؟! .. آ ، أذكر أنها تزوجت بعدما تصالحنا مع أهل خليل فرفر .. كأنني أذكر يا مالك أنها دعتنا للحفلة يومذاك !

فقال مالك : ذهبت أنا وعدنان وأمي والعم خليل واعتذرت أنت .. وكأن برهان لحق بنا .

ـ نعم ، نعم ، برهان وحده ذهب .. ما شاء الله ابنها كبر ويريد الزواج !

ـ الأيام تعبر سريعا يا أم خليل .. رحم الله الحاج خليل أبا أحمد .. كان نعم الرجل والأب .. أخونا ربيع يقول إنه يفكر بإنشاء مسجد عن روح خليل زوج أمنا

ـ فكرة طيبة ! .. نعم ، كان لنا نعم الوالد .. فنحن لا نعرف أبانا ساعدا ـ رحمه الله ـ كما عرفنا خليلا ، الوالد مات ونحن أطفال يا مالك .. صورته خيال في ذهني .. أبو أحمد رجل نادر ، ومع ذلك لم يحتاج لنا كثيرا طول حياته .. قل لربيع إنني سأساهم في هذا المسجد .. ما زالت أموال المصنع مصنع عبد الرحيم تهل علينا .

ـ لقد أصبح المصنع عدة مصانع شركة ضخمة .. خلاص سنشترك كلنا ، وسأتحدث مع حنين إذا أحبت أن تساهم بشيء ، حتى لا تغضب علينا إن تجاهلناها .. ويقول الأخ الكبير ربيع إن المسجد قد يزيد بناؤه وأرضه عن مائة ألف دينار .

ـ المال ليس مهما يا أخي .. أموال أمهم لم يحتاج إليها الأولاد ، فحتى

دراسة إبراهيم كانت من أموال خليل ومحمد .. أصروا على دفع أموال الدراسة ، وحتى سفرة لندن هم يمولونها .. فهم يدعون أنهم استفادوا من أموال الوالد ، وإبراهيم لم ينتفع منها كثيرا وتقبل إبراهيم الأمر بطيب نفس ومن غير حساسية .. وطلبوا منه أن يصرف أمواله إذا أحب على نفسه

وزوجته.. فوافق إبراهيم أيضا .. إبراهيم طيب مثل أخي ربيع يذكرني بمسالمته ومسايرته بربيع ساعد .

ـ هم تربيتك وتربية أبي خليل ـ رحمه الله ـ تربية ممتازة يا أخية .. وإبراهيم زاد عليهم بأنه تربيتك أنت خاصة .. والله كان مناي وبودي أن يتزوج ابنتي هند .. لكن الدلع زاد عندنا .. والله يا منى إن هناء تألمت مثلي وزيادة .. وكانت راغبة بهذا الزواج والنسب .. سوى القربى التي تجمعنا كانت راغبة أن يتزوج ابنتها ليكون قريبا من رعاية أخوالها ويعيش معهم براحة .. وخالتها لهند متزوجة منهم كما تعلمين .. ولكن نقول ما علمناه الرسول صلى الله عليه وسلم قدر الله وما شاء فعل

السفر

وبينما هما يتسامران ويتذاكران أيام الشباب وقصص الشباب ، اتصل إبراهيم طالبا الحديث مع أمه ، وشكرها على خطوتها الجميلة ، وتحدثت منى زوجته مع منى أمه ، وأثنت عليها كثيرا وباركت جهدها الخالص بتزويج أختها من ابن أخيها وأبدت شوقها لرؤيتها قريبا كما وعدتهم ولما علم إبراهيم أن خاله يسمر مع أمه في مثل هذا الوقت سر قلبه وطلب الحديث مع الخال ، وبعد التهنئة قال : كنت أرغب أن أكون البطل عندكم ولكن للقدر حكمه ، والله فعال لما يريد.. لن تزعل إنها تسمع ، فهي تعلم أنني رغبت بمصاهرتكم رغبت ببنات أخوالي ورفضنني بحجج واهية.. وأحسنت أمي باختيار أميرة عروسا لبرهان مالك.

أخذ مالك في الضحك لصراحة ابن أخته ، وقال : سأسافر مع أمك ، واعتذر إليك ثانية .

وأخذت منى موسى التلفون من زوجها ، وهنئت الدكتور المحامي المعروف مالك ربيع ، ودعته بحرارة لزيارة لندن مع عمتها فوعدها بتلبية الدعوة .

ولما ترك الأولاد الهاتف قالت منى : ألا تريد العودة لبيتك ؟ فأكيد هناء وبرهان ينتظرونك للتشاور .

ـ ذكرت لهم أننا في يوم تاريخي من حياتنا بعد فقد الكثير من أحبابنا .. قلت لهم سأستعيد ذكرياتي الليلة مع أختي منى ربيع .. فإن سهروا فهم يسهرون بفرحتهم بابننا برهان .

ـ وهل حقا سترافقني في السفر؟!

ـ نعم .. أنا تعبت أعصابي في الفترة الماضية .. وستسافر معنا أم برهان .. ولي أيضا عمل هناك طباعة كتاب .. فقد تحدث معي ابن خال هناء في ذلك .. وأنت شجعتيني .

وظلا سهرانين حتى صليا الفجر ، ثم غادر مالك بيت أخته عائدا للبيت وهو حالم لا يريد النوم مما غمر قلبه من الحبور بما حصل لولده برهان ، ومن

رضا منى عليه .. ولما وصل البيت وصعد للطابق الثاني ، وجد هناء ما زالت تجلس في المكتبة ، فخطر له أنها قامت للصلاة ، وجلست تقرأ في المصحف ، لم يخطر له أنها ساهرة مثله ، فسلم وحيا وألقى ببدنه على أريكة ، وقالت : قبل قليل انصرف الأولاد .. فخشيت إذا نمت أن تذهب عليّ صلاة الفجر .. لعلك قضيت سهرة ممتعة مع أم خليل؟!

ـ أجل يا أم برهان .. لقد عادت بي الذكريات لسنوات خلت .. كبرنا ومرت تلك السنون مستعجلة.. وقد نسافر مع منى لندن.. رحلة نزهة ما رأيك بمرافقتنا ؟! ونزور أختك وأخوالك .. وأنت تذكرين أن ابنة خالك كتبت لنا عن أحد الكتب التي أعدتها للنشر.. وأنت ذكرت أن ابن خالك تحدث أيضا بهذا الشأن .. فهي فرصة .

ـ وزواج برهان ؟!

ـ ستسافر منى بعد زواج برهان .

ـ إذا تمكنت من أخذ إجازة سأفعل ، وحتى إذا سمح لبرهان بالسفر إلى الخارج لقضاء شهر العسل فنأخذهم معنا فيقضون إجازة عرس في أوروبا .

خلال شهر واحد تحقق زواج برهان مالك على أميرة موسى ، وتم الزفاف المنشود ، وتحقق الفرح للجميع ، ولم تتمكن هناء من السفر مع زوجها ، وكذلك برهان بسبب أنه ضابط طيار وقد فرح أحباب منى وأصدقاء العائلة وأحفادها بمشاركتها لهم العرس ، وبسفرها وترك القصر ولو إلى حين.. فهي منذ هلك برهان وهي معتصمة بين جدران القصر ولا تخرج إلا مضطرة .. أو مجاملة لأقصى درجة .. وقامت ببعض الزيارات ، ودفعت أموالا لربيع للمشاركة والمساهمة في بناء المسجد عن روح خليل أحمد فرفر وقضت مع أخيها مالك أياما جميلة في معالم لندن ، ثم عاد مالك مسرورا مطمئنا على صحة أخته وعافيتها .. وسر إبراهيم من وجود أمه معه ، وكذلك زوجته منى ، ولم تنقطع الاتصالات الهاتفية مع أفراد العائلة ، فما يمر يوم إلا وهم يتلقون اتصالا من فلان ، وآخر من فلان مستفسرا عن حالتهم .. وبعد عودة مالك للبلد كانت منى تبقى عاكفة في البيت حتى يرجع إبراهيم من الجامعة ، ومنى من جامعتها ، وزارتها أخت هناء شمسة عدة مرات بناء على اتصال أختها بها وأصبحتا صديقتين غربة .. وكان أخوال هناء يترددون عليهم لزيارتهم والسمر معهم أيضا بطلب من هناء عبد الكريم .. وكانت بعض نسائهم الكبيرات في السن والمتقاعدات من الوظائف والأعمال يترددن على الدكتورة في الصباح لشرب القهوة والثرثرة والحديث معها ، وجاءتها أنباء الانتخابات لمجلس البرلمان في بلدها ، وقد علمت

وهي تقرأ صحف بريطانيا الإنجليزية والعربية بفوز أخيها مالك نائبا عن حي برقوقة والدائرة التابع لها هذا الحي من المدينة .. وكان نجاحه متوقعا للجميع ، ولو شارك في دورة سابقة لحقق مثل هذا الفوز لشهرته في تلك المنطقة.. فهو شخص شعبي أي معروف للعامة والخاصة في الحي ، وقصة نجاحه وخدمته لأبناء الحي معروفة .. في النشاطات العامة والخاصة ومساعدته للناس معلومة فهو شعبي من أيام العم خليل الحداد .. ومكتبه كان متعاونا ومفتوحا للضعفاء قبل الأقوياء .. وكان أهل الحي ينتظرون مشاركته قديما لاهتمامه بالسياسة الوطنية والدولية.. ومع هذا الفوز لمالك فإن الحزب الذي يتزعمه لم يحقق الآمال الكبيرة والخطط التي نفذها ورسمها.. فأمام هذا الفشل للحزب اضطر مالك وغيره من قيادات الحزب عن التخلي عن زعامته لقيادة جديدة كما اتفقوا سابقا ، وبرزت قيادة مشتركة من القدماء والشباب الجدد .



اتصلت منى على أثر معرفتها بالفوز بمالك وهنأته ، ولكنها شعرت بأنه غير سعيد بالنجاح ، ولم يكن مسرورا كثيرا بهذا الفوز الذي كان واثقا منه ، وشكى لها ضعف نتائج الحزب ، فتمنت له التوفيق والبحث من جديد عن أسباب الفشل ، وشكرها الشكر الجزيل على اهتمامها بأخباره وأخبار العائلة ، وسمع منها أخبار إبراهيم وقرينته



وبعد حين يسير استقبلت خبر نجاح ابن أخيها ربيع المحامي زياد بفوزه بمنصب نقيب المحامين في بلدها بالطبع ، لم تكن المفاجأة كبيرة لها ، ولا لإبراهيم بسبب أن ابن أخيها كان من أعضاء القيادة في النقابة في الدورات الماضية ، فكان الوصول لهذا المقعد متوقعا ، وتحدثت مع ربيع ومع ابن أخيها وباركت له هذا التقدم وهنأته بهذا الفوز له وللعائلة .

وبعد حين اتصل بها ربيع مخبرا لها أن ابنته سعاد راغبة بالدراسة العليا في بريطانيا ، وطلب مساعدتها بذلك فرحبت بذلك ووعدته خيرا .. وكلمت منى إبراهيم فسعى لها بالحصول على قبول في إحدى الجامعات الإنجليزية العريقة .. واستقبلها هو وزوجته في مطار هيثرو الإنجليزي ، وأسكنها معهم في الشقة الواسعة ، وأحسنت عمتها استقبالها والترحيب بها .. وقام إبراهيم وزوجته بعد استقرارها بتعريفها على أهم معالم لندن وأهميتها في العالم الحديث ، وأن العلم فيها يعادل العلم في أمريكا الشمالية وحواضر العالم

الأخرى .

لم تشعر سعاد خلال الشهور الأولى من وجودها في بيت عمتها وابنها إبراهيم بأي وحشة أو غربة .. ولم تشعر من إبراهيم وزوجته منى بأي مضايقة رغم أنها رفضته ذات يوم كزوج وقرين وحتى زوجته التي تعرف بهذه الحكاية لم يحدث بينهنّ أي مشادة أو موقف فيه غيرة وقلق .. وكانت هي قلقة ومتخوفة من هذه الناحية ؛ ولكنها مع الأيام ذهبت واستقر الأمن ، وأدركت أن الأخلاق شيء عظيم عندهم، وشكرت الله على ذلك ، فقد كانت خائفة أن يعاملها إبراهيم بحساسية وانتقام ، وتضطر للحياة بعيدة عن جو الأسرة والأهل .. وعمتها منى كانت تضفي عليها الحنان والحب .. وكانت أمها تتحدث معها باستمرار وكذلك الوالد وكانت تصارح والديها بهذا العطف والحنان لتزيل عنهم ذلك القلق الذي كان عندهم أيضا لموقفهم الضعيف من زواجها .. فخشي من بغض إبراهيم لابنتهم .. ولكن لما طمأنتهم الفتاة فرحوا بهذه الأخبار فرحا كبيرا وتيقنوا أكثر ما هي تربية منى وبرهان .. مع أن إبراهيم لم يعش من حياته مع والده كثيرا ؛ ولكن تربية العائلة بشكل عام لها تأثير على الآخرين ، فأعجبهم ذلك واطمأنوا على ابنتهم .

كانت حياة الدكتورة في بريطانيا مع ولدها وزوجته هادئة جدا كما كانت في بلدها ومسقط رأسها ، وتأتيها الأخبار باستمرار ، والاتصالات لا تنقطع من أولادها من زوجاتهم أو أزواج بناتها من أبناء إخوتها وبناتهم ، فكانت مطمئنة عليهم ؛ كأنها تحيا بينهم ، حدث حدث يوما ما حرك السكون الراكد في البيت اللندني .. لقد عرفنا أن لهناء أهل مالك شقيق منى أقارب في بريطانيا منذ زمن ، وأن أختا لها قد تزوجت منهم ، وذكرنا أنها كانت تتردد على منى في بعض الأحيان ، على طلب ورجاء من أختها هناء التي كلما تتصل بها تذكرها بزيارة منى والثرثرة معها ، حتى لا تشعر بالوحدة خصوصا في الفترة الصباحية عندما يذهب الأولاد للدراسة والعمل .. وكانت منى تفرح بذلك اللقاء وتشكر هناء في نفسها ، وتدرك أن هذا من حثها ورغبتها بإدخال السرور على قلبها .. ومع أن منى اعتادت على الوحدة والحياة الصامتة منذ هلاك برهان .. الإنسان يحب الونس والحديث والحوار .. وكانت منى تفرح أيضا لمجيء المرأة في أول النهار عندما تكون وحيدة مع الصحف والمجلات والتلفاز .. زارت هذه المرأة الطيبة شقيقة هناء ذات صباح منى كالمعتاد ، ورحبت بها منى واندمجن في الحديث والأخبار والسياسة والاقتصاد والبطالة وقضايا العالم الشائعة في ذلك الحين ، وكانت منى قد أعدت القهوة وأحضرت

الفاكهة والمكسرات قبل الجلوس والاستغراق في هذه الأحاديث المسلية .. فهذه ليست أول مرة تلتقيان .. وبينما هنّ مستغرقات في الثرثرة النسائية خرجت سعاد من حجرتها في ذلك النهار ، ولم يكن عندها محاضرات اليوم ، وقد كانت قد سهرت طويلا ليلة أمس على التلفاز ، فاستغرقت في نوم عميق ، لولا أن عمتها أيقظتها للصلاة لما استيقظت وربما صلت وهي نائمة .. سألت المرأة الضيفة منى عن هذه الصبية ، فكأنها أول مرة تصادفها وإلا هي تعرف زوجة إبراهيم ، فقالت منى : هذه ابنة أخي الأكبر المهندس ربيع ..

ـ أوه ما شاء الله ! عروس جميلة يا أم خليل ..ماذا تفعل هنا زيارة .. رحلة ؟!

ـ لا ، يا أم سعيد ، خلصت جامعتها الأولى هناك في البلد ، وأحبت أن تدرس وتحصل الماجستير والدكتوراه هنا ، فأرسلها أخي ربيع ، فجاءت تعيش معنا لتتعلم وتحصل الشهادات

العليا .. أحبت استغلال وجودنا هنا .. ولو لم نكن نحن هنا ما أرسلها ربيع .

كانت سعاد في هذه اللحظة قد غسلت وجهها وحسنت من تسريحتها ، وجاءت وحيت المرأة وعمتها ، وسمعت آخر كلام عمتها .. ثم جلست ، وبعد أن عرفت منى ابنة أخيها على شقيقة هناء أم سعيد التي فرحت بهذه المعرفة .. قالت لها أم سعيد : أمتزوجة أنت يا سعاد ؟!

احمر وجه سعاد ونظرت لعمتها وأجابت المرأة بحياء : لا يا خالتي .

وتحدثت عن امرأة عمها بحديث حسن وطيب ، أفرح وسر منى وأخت هناء ، ثم نهضت واستأذنت لدخول المطبخ لأعداد طعام الفطور لنفسها ، فهي لم تفطر بعد وعرضت على المرأتين مشاركتها الطعام ، فشكرتها أم سعيد وقالت منى : قد أفطرت مع الأولاد .. افطري يا حبيبتي .

ولما اختفت الفتاة في المطبخ قالت أم سعيد : عندي ابن يا منى في سن الزواج وهو من جيل سعاد .. ألا تزوجوننا هذه البنت ولتبقى عندنا هنا في بلاد الإنجليز ؟!

ضحكت منى وقالت : الله يحسن إليك يا أم سعيد أنتم بركة .. ومنذ دخلت علينا هناء لم نسمع بمشكلة بينها وبين أخي مالك .. وسمت ابنها برهان وقبلت به عن طيب خاطر .. والأمر في النهاية للبنت وأهلها أقصد والديها .

وحدثتها بقصة إبراهيم مع سعاد ، فأعجبت المرأة بالفتاة ، وعجبت من حياتها معهم أو في بيت يسكنه إبراهيم الذي رفضته ، وكررت طلبها ورغبتها بأخذها لابنها ، فقالت لها منى : سأتحدث معها في الموضوع يا أختي العزيزة نحن أهل وأقارب ، وتشرفنا كثيرا لما تزوج أخي مالك من

ابنة النقيب الكبير المرحوم عبد الكريم والدك الفاضل ، وأصابنا حبور عظيم ، وكان جميل هذا القران وحلم صعب ..

فشكرتها أم سعيد على ثنائها على والدها وإخوتها وأخوالها القاطنين بريطانيا وراحت منى تتحدث عن ذكرياتها وزواج مالك شقيقها من ابنة النقيب عبد الكريم ، فسرت المرأة مما سمعت من ذكريات وهمسات وحب لها ولأسرتها ، وأحست أن الأمر سيكون كما ترغب ، وقامت تنصرف ولما وقفتا عند الباب ، قالت أم سعيد : كلامك رائع يا أم خليل وزادني ثقة بقبولكم ! شاوري البنت وأنا سأشاور ابني وسأتصل بك الليلة أو صباح الغد

ولما عادت منى للجلوس أقبلت ابنة أخيها عليها ، قالت وهي تلقي بنفسها على الكرسي : كنتن تتحدثن عني .. ماذا تريد شقيقة هناء ؟!

ـ ألم تسمعي شيئا ؟!

ـ كأنني سمعت أو فهمت ، فكانت تكثر الحديث عن ابنها.. عن ابنها محمد ماذا يعمل ؟ ماذا يعمل يا سعاد ؟ مدير شركة مع والده !

ـ ليس هذا المهم.. المهم أن هذه المرأة أعجبت بحضرتك ، وتريد أن تشاور ابنها ليتزوجك ، وأنا مطلوب مني أن أشاورك !

ـ وأنت ما رأيك يا عمتي الغالية ؟ وعانقتها ضاحكة .

ـ اجلسي .. الرأي لك يا ابنة أخي .. فهؤلاء الناس عرفناهم ، وأختها زوجة عمك مالك ليست غريبة .. ومن يوم دخلت أسرتنا وهي سيدة فاضلة .. ولم نسمع عن أي مشكلة أو مشاجرة بينها وبين عمك .. مع أنها تزوجته وهي طبيبة كبيرة وابنة النقيب وابنة عائلة مهمة وأظن أنك ولدت على يديها فهي قابلتك .. وكثير من بنات أقاربنا الحوامل ترددن عليها ، ولم نسمع أنها أخذت منهن فلسا واحدا ، بل كانت تصرف لهن الدواء على سبيل الهدية ..

ضحكت سعاد وقالت بهدوء : آ ، يا عمتي الحبيبة ! أتريدين تعريفي بزوجة العم الغالي ؟

ـ جميل هذا!.. شاوري نفسك، فإذا كنت راغبة بالزواج كأي امرأة في العالم ، ثم وافق الشاب على اختيار أمه ، سأتحدث مع والدك الغالي يا غالية .. بس اعلمي أنك ستعيشين هنا ، هؤلاء الناس مواطنون هنا ليسوا مثلنا !

ـ آ، يا عمتي !! .. أنا جئت للعلم للدكتوراه ! أريد أن أصير دكتورة مثلك !

ـ يا بنت أنا صرت دكتورة وكان عندي أربعة أولاد ، كلهم إلا إبراهيم ، ولد أثناء مرض أبيه رحمه الله .. واليوم من النادر أن يمنع أحد من التعليم ، وطرق ووسائل التعليم تنوعت وتعددت ويمكن للعاشق للتعليم أن يتحصل على شهادات

ودراسات عليا بقليل من الوقت .. بالانتساب والمراسلة وغير ذلك مم نقرأ عنه .. أنا لم أر الشاب يا سعاد لأبدي رأيي ولكننا نعرفهم من معرفتنا بهناء وأهل هناء .. فنحن نعرفهم قبل هذا اللقاء ..

ـ لا أحد يقدر على مجادلتك يا عمتي الغالية .. سأتحدث مع إبراهيم .

ـ إبراهيم ! .. وما دخل إبراهيم ؟

ـ أحب أن أسمع رأيه .. الزواج هنا يعني البقاء هنا .

ـ أكيد أيتها الطفلة .. ماذا سيقول لك إبراهيم ؟! هل سيقول لا تتزوجي يا سعاد فأولاد البلد والوطن أفضل ؟!

ـ أحب أن أسمع رأي من كان يحلم ويريد أن يتخذني زوجة في يوم ما .

ـ دلوعة.. أنا أعرف أخي ربيعا ، طيب وعنده حنان أكثر من اللازم ، ومتساهل لآخر نفس .. شاوري إبراهيم كما تحبين .

فلما عاد إبراهيم مساء حدثته سعاد بما قالت أمه منى ، ولما انتهت من شرح قضيتها أو مداعبتها قال: أنا أعلم أنك تتحدثين بمواضيع مهمة بطريقة المزح والضحك.. وكما قالت عمتك إنهم أناس قد عرفناهم .. ولا تعتقدي أننا نريد التخلص منك .. أو ضقنا بك خلال هذه الشهور التي تقترب من سنة .. لا أظن أنك رأيت منا تبرما و ...

قاطعته قائلة : نحن أهل يا إبراهيم .. أنا ابنة خالك ربيع وأنت ابن عمتي منى .. صدق أنني قصصت على أبي وأمي عن حبكم لي ، وأنكم تعاملونني كأنني ابنتكم

نهض صائحا متظاهرا بالهياج : يا مجنونة ! أنت ابنتنا .. شئت أم أبيت .. أمي عمتك وأبوك خالي .. أنت منا من لحمنا ودمنا ..

ـ اهدأ !

ـ أنا هادئ .. أنا لا استفز بسهولة .. أنا قلت تلك الملاحظة حتى لا يقع في قلبك أننا متعبون ومنزعجون منك ، ومتضايقون ننتظر اليوم الذي تفارقينا به بشوق وعجلة .. الأمر لا يحتاج لتفكير طويل وممل .. فإذا راقت لك الحياة والاستقرار في لندن مثل هؤلاء الناس ، ووافق الشاب فتزوجي وادرسي .. أما إذا كنت تريدين أن تتزوجي بعدما تصبحين دكتورة فانتظري وقولي لهم لا .. فالشاب سيتزوج منك أو من غيرك ، ولست البنت الوحيدة في الدنيا !

ـ يا الله ! ما أقسى قلبك !

ـ أنا ؟!

ـ لا ، أنا ! أنت تريد أن تذكرني بموقفي معك عندما أراد والدي تزويجي لك .. تريد أن تذكرني بأنني اعتذرت لك عن الزواج قبل سنتين أو ثلاث

ـ يا حبيبتي يا ابنة خالي .. أنا لم أعش معك قصة غرام لأبكي على الأيام والليالي التي كنا نضحك بها على بعض .. أنا كنت راغبا يا مجنونة ! لا تزعلي من هذه الصفة .. أنا كنت راغبا بالزواج منكم من بنات أخوالي من أجل خاطر أمي الحبيبة .. كل إخوتي تزوجوا من بنات أعمامهم وعماتهم .. وزوجتي هذه الجالسة الصامتة منذ جلسنا أحسن من مائة واحدة مثلك .

ضحكت سعاد وهي تنظر لعمتها الصامتة لهذا الحوار ، ونظرت لمنى زوجة إبراهيم أيضا الصامتة كالتمثال ؛ ولكنها تبسمت لكلام إبراهيم الأخير وقالت سعاد باسمة : أكيد هي أحس منى مليون مرة ، أليست زوجتك وستضع لك الابن البكر بعد أيام ؟! إذن أنت ترى أن الزواج مناسب لي وسترة للبنت .. والدكتوراه تأتي فيها بعد .

ـ لازم تسخرين !

ـ كما تسخر أنت مني ، وعامل نفسك رجل عليّ .. صح يا عمتي ! .. صح يا منى موسى ؟!

قالت الزوجة : أنا وعمتي جمهور .. آ ، يا عمتي ؟!

قالت منى ربيع : فعلا نحن جمهور يا ابنة أخي .. نحن سعيدون بوجودك بيننا ، ونحن أهل يا عاقلة.. على كل حال عندما تتحدث معي أم سعيد في الموضوع وتنقل رأي ابنها سأقول لها هات ابنك حتى تراه العروس ، فإن النظر له كلام ، فإن راق في نظرها قبلته زوجا ووافقت عليه

قالت سعاد باسمة وهي تنهض معانقة لعمتها : نعم ، هذا هو الكلام المنطقي يا أخ إبراهيم !

رن الهاتف ، كان المتحدث مالك سلم ، وناول إبراهيم السماعة لأمه قائلا : خالنا العزيز مالك!

تناولت الأم الهاتف ، وتكلمت مع أخيها بشوق وحب ، وسمعته يقول بعد ذلك : طلب مني بعض الصحاب الكبار أن أرشحك لكرسي الوزارة !

هتفت بصوت مرتفع ودهش : الوزارة ؟!

ـ نعم ، إنهم يريدون امرأة كبيرة في السن ومعها دكتوراه .. لتكون ضمن تشكيل الحكومة الجديدة .. ماذا قلت فهم مستعجلون على الرد ؟!

ضحكت منى ملء شدقيها وقالت : أنا منى ربيع أصير وزيرة ! .. شكرا يا أبا برهان .. شكرا لك ولجهودك الكبيرة .

تمت قصة ايتام الحداد خليل

التحقيق الجنائي والجريمة

جثة في البركة

الحلقة ٢والاخيرة

٦

يوجد في مزرعة حامد موسى ثلاثة كلاب ضخمة ، وكان بيت الكلاب الرئيسي في آخر المزرعة في الجهة المعاكسة لمدخل المزرعة .. وكانت مطلقة السراح تجوب المزرعة بكل حرية ..ولما سافر حارس المزرعة .. كان السيد حامد نفسه لما يأت للمزرعة يتفقدها ، ويقدم لها الطعام بعد أن يعيدها لبيتها في آخر المزرعة .. وفي الصباح قبل مغادرته يطلق سراحها ، وهي في الغالب تبقى قريبة من بيتها .. وكان في وسط المزرعة بركة سباحة (حوض سباحة) يبعد عن القصر حوالي نصف كيلو متر تقريبا ..وحوله مظلات تحتها مقاعد وآرائك ودورة مياه .. وهذا الحوض يقع في طريق بيت الكلاب .. فالقاصد لبيت الكلاب .. يمر من أمام البركة ، ويوجد في المزرعة طرق مرصوفة ومسفلتة.. تستطيع السيارات المشي عليها لتعبئة الثمار والزروع .. وهناك ممرات مرصوفة بالحصى والرمل أيضا للمشي عليها أثناء الشتاء والوحل ..ويمر أحد الممرات من أحد جوانب البركة .. وحوض السباحة نفسه مظلل بمظلة متحركة .. تحجب الشمس والمطر عن الحوض عند الحاجة إليها ، وهي مزخرفة بألوان زاهية وصور جميلة ونجوم وشموس ..

ولما اقتربت سيرا من المسبح شعرت بتوتر وانقباض في قلبها .. وتطلعت حولها فلم تر أحدا ، ولكنها لاحظت فردة حذاء على العشب قرب المسبح ..حذاء تعرف لمن هو ؟! لا أحد على الكراسي ؟ هكذا أجابت على سؤال خطر في بالها فهمست : إنها فردة حذاء السيد حامد بلا شك !!

فاقتربت من حوض الماء نفسه ، ونظرت بداخله فرأت جثة حامد في ثيابه في قاع الحوض فصرخت وصرخت.. ثم أسرعت نحو القصر .. وكان القوم قد سمعوا صراخها فخرجوا أمام مدخل القصر ..ونزل توفيق الدرجات مستقبلا المرأة وهو يصيح : ما هنالك ؟!

فكانت تصيح وتشير إلى جهة الحوض دون أن تتكلم .. فأسرع توفيق وتبعه عصام نحو المسبح .. وهناك وجدوا الأب مسجى في قاع المسبح ..وهو يلبس بدلته .. هذا يدل على أنه لم يكن يسبح .. هل وقع بنفسه أو بفعل فاعل ؟ ..هذا ما خطر في ذهن توفيق للوهلة الأولى .



وبعد وصول الزوجة وأخيها للبركة، ورأت الجثة على ضوء الشمس صرخت وبكت ، فأجلسها شقيقها جابر على أحد الكراسي ، وكان يتمتم بكلمات مبهمة ، وأخذ يخفف من اضطرابها وبكائها وهو يقول : الموت هو مصير كل كائن حي .. الموت امر الله!!

وأما توفيق المهندس فهرع للقصر ، واتصل بالشرطة والإسعاف .. والشرطة بدورها اتصلت بأقرب نقطة شرطة تتبع لها المنطقة .. وبعد ساعة ملئت سيارات الشرطة والتحقيق الجنائي المكان ، وأكد رجال الإنقاذ أن الرجل ميت ..ولما انتشلت الجثة تقدم الطبيب الشرعي إليها ، وفحصها ثم أعلن أن الرجل خنق عمدا .. ثم ألقي في المسبح ، وأن جريمة قد حصلت .

وبدأ رجال الأمن بالعمل بهمة ونشاط ، بعمل الإجراءات اللازمة والتحريز والتصوير .. ولما انهوا عملهم طلبوا من رجال الإسعاف نقل الجثة إلى مكان تشريح الجثث في المنطقة؛ ليقوم رجال الطب الشرعي بعملهم وتقديم التقرير الطبي للوفاة من بيان سبب الموت ووقت الجريمة وأداة القتل .

وبينما كان البعض يرحل الجثة استمع الضابط المحقق ووكيل المدعي العام للقصة التي سردناها عليكم في الصفحات السابقة حسب رواية السيد توفيق حامد .. واستمع لسيرا التي هدأت بعد هذه الساعات ..وأرسل في طلب أبي خالد ورفاقه .. وطلب منهم الاتصال بناصر ورفيقه ولينتظروا جميعهم في مركز الأمن .. وطلب المحقق تحريات سريعة عن السيارة التي كانت على بوابة المزرعة عند مغادرة رفاق القتيل القصر .

٧

استمع الضابط لأقوال كل من كان في المزرعة ، ولما حضر سعيد أدلى بأقواله، وهو يذرف الدمع على أبيه المقتول ، وأدلت فادية التي حضرت مع سعيد بقصة ناصر مع والدها ، واستمع الضابط لأقوال الفراش ماهر ..الذي أكد قول توفيق بأن والده تأخر بعض الوقت في المكتب ، وعلم منه وهو يتركه في مكان ركوبه لبيته أنه ذاهب للمزرعة للمبيت فيها ، كما يفعل منذ سفر الحاج مروان .. وكلفت إدارة التحقيقات الجنائية الضابط بلسما ومساعده محمود صبري بمتابعة التحقيق في هذه الجريمة من كادر ضباط دائرة الأمن العامة.. ولما انتهى بلسم ومساعده من قراءة ملف التحقيق الابتدائي .. ، قال بلسم وهو ينهض متمشيا في غرفة التحقيق الخاصة به : سنذهب إلى مسرح الجريمة والحدث .. فتقرير الأطباء يؤكد أن الرجل قتل خنقا ، ولم توضح الأداة المستعان بها على خنقه ، ويقول أحدهم ربما يكون ضغطا باليد

حتى فارقت الروح الجسد وبعد موته سيق إلى المسبح وطرح فيه ..حتى إذا بقي فيه حياة سيموت من الماء ؛ ولكنه كان ميتا قبل رميه ، وربما كان القصد من رميه في المسبح لتضليل التحقيق بموته غرقا.. ولكن هل كانت هذه الجريمة طارئة وفجائية ؟ ولماذا ألقي في الماء ؟!

قال محمود : هناك صراع بين حامد وشريكه وناصر في الشركة والمصانع .. فالجريمة كأنها مدبرة .. لماذا اختيرت المزرعة ؛ لتكون مسرح الحادث والقتل ؟!.. واختيار المزرعة يدل على معرفة الجاني أو الجناة بالمزرعة والمسبح .. وغياب البواب.. وإبعاد الكلاب لآخر المزرعة .. أسئلة تحتاج لأجوبة .

قال بلسم : جميل ! .. ولكن القتلة هل كانوا يعلمون بوجود رفاقه معه في المزرعة ، ثم انصرافهم ؟ ..وما الذي كان بين ناصر زوج ابنته ورفيقه وحامد ؟!

ـ لابد أنهم يعرفون عاداته بالسهر مع رفاقه كل ليلة .. وعادة الانصراف مع نصف الليل .. ولكن الأصدقاء انصرفوا قبل الحادية عشرة ليلة الجريمة .. لماذا ؟ .. وقد غادروا بدون الاستئذان من الرجل ؛ ألأنهم أحسوا بأن الجو غير مناسب للسهر ولعب الورق ؟!

قال بلسم: ولماذا كان لقاء ناصر به في المزرعة ؟ ولماذا أخذ معه المدعو غسان ؟ .. والشجار الذي سمع الرفاق بعضه .. ما موضوعه ؟ هل كان الحديث حول الطلاق كما زعم ناصر لزوجته ؟ لأن عمه أخبره أنه عاجز من إرجاعه لعمله قبل هدوء الأمور بين الشريكين .. الشاب هذا يجب متابعته يا محمود ..إذا أجبنا عن هذه الأسئلة نصل لحل لغز هذه الجريمة .

ـ السيد ناصر هو الآن تحت المتابعة .. ويجري التحري عن السيارة التي شوهدت أمام المزرعة كما أخبر توفيق .. وناصر لم يفصح بتفاصيل لقائه مع عمه في المزرعة

ـ حسنا يا سيدي! سنذهب الآن لمسرح الجريمة نلقي عليه نظرة دقيقة .. ونشاهد حجرة السيد في القصر .. فقد أمرت بإغلاقها ، وعدم دخول أحد إليها ..ونشاهد المزرعة والمسبح هل يمكن أن يكون خنق باليد أم في رباط العنق ؟

ـ التقرير يؤكد الخنق ، ويبين أن أداة الخنق لم تترك خدوش على الرقبة ، والرباط لا يترك أثرا إذا حدث الموت سريعا ..والخنق باليد على شكل دائرة لا يترك أثرا واضحا على العنق أيضا ؛ لأن الشخص يضغط أيضا بقماش أي بكم القميص أو الجاكيت ..ورباط العنق وجد في الماء وحده لم يكن مربوطا في مكانه حول رقبة القميص .

وغادر الضابطان المكتب ، وكان السائق في

انتظارهما ، فحيوه وأمروه بالانطلاق إلى مسرح الجريمة للمعاينة في القرية الزراعية ، لدراسة الجريمة ، وطلبا قبل مغادرتهما من ضابط التحقيق الأولي التابع لتلك المنطقة أن ينتظرها عند مدخل المزرعة .



٨

ولما انتهى الضباط من معاينة مكان الجريمة في مزرعة حامد ، قال ضابط المنطقة لهم : لقد استمعت لأقوال أولاد المجني عليه كلهم ، وأمهم وخالهم جابر وابنه عصام ، وزوج ابنته ناصر ورفيقه غسان ..كلهم يرون أن عاصفة عصفت بهم ؛ ولكن أن تحدث جريمة قتل لم يتوقعها أحد .. فالاختلاس والرشوة أعمال تكثر بين الناس .. لذلك الدافع لهذه الحادثة غير واضح بالنسبة لي .. وأقوالهم مدونة في محاضر الشرطة ..ولابد أنكم اطلعتم عليها ..

فقال بلسم : نعم قرأنا الملف كاملا وتقارير الطب الشرعي ..

فقال الضابط : ومع ذلك أرى أن لدى الجميع أقوالا أخرى .. ربما عندما تخف حدة الصدمة سيتكلمون .. ويتذكرون أشياء لم تُقل أمامي .. وأشياء لاحظوها ولم يهتموا بقولها .. فلو عدتم لسماعهم مرة أخرى .. والسيارة التي تحدث عنها رفاق الميت لم يعرف عنها شيء في منطقتنا .. وربما تكون أقوالهم غير صحيحة .. وإنها خدعة وكذبة منهم .. وإنهم ادعوا ذلك لتضليل العدالة .. فهم آخر من رأى الضحية ؛ لكن لا مصلحة أو فائدة لهم لحتى الآن في الجريمة .. فأبو خالد صديق قديم للرجل كما قال ابنه ..

فقال محمود : أتقصد أنهم قتلوه .. وطرحوه في المسبح ؟

ـ احتمال إذا ظهر أن لهم دافعا للاغتيال .. هم آخر من كان في القصر بعد انصراف ناصر وغسان .. وهم الذين ذكروا أنه صعد لغرفته بعد نقاشه الحاد مع نسيبه .. ثم زعموا أنهم خرجوا بدون إخطاره .. مدعين أن التوتر كان يخيم على السهرة .. قطعوا السهرة المعتادة بينهم .. فهم يسهرون على لعب الورق .

فقال بلسم : يلعبون القمار؟

ـ نعم ، يلعبون القمار ؛ ولكن ما فهمته من توفيق أنهم يلعبون عن مبالغ بسيطة .. لإعطاء اللعب الحماس والتنافس .. فليس عن مبالغ تدفع للقتل والاغتيال ..وأنا تركت التحقيق معهم لكم ..

فقال محمود : مكان قتل الرجل أين بالضبط ؟ هل قتل عند المسبح ؟ فتقرير الطب الجنائي يبين أنه قتل أو خنق قبل أن يقذف في البركة .. مع أن

حجرته في الطابق الثاني كما جاء في تقريركم تدل على أنه جلس ونام على التخت .. إلا إذا كان الوضع ما كان عليه في الليلة السابقة .

ـ هذه النقطة هي التي تدل على زعم الرفاق الثلاثة أنه صعد إلى غرفته بعد النقاش الحاد بينه وبين ناصر وغسان ..وسيرا الخادمة تقول إنها لا تدخل غرفة السيد .. لترتيبها .. عملها محصور في الطابق الأول ..وعندما يريدون تنظيف كامل الغرف والقصر يسعى البواب إلى جلب بعض الخادمات للعمل عدة ساعات ..

قال بلسم : شكرا على جهودك يا سيدي الضابط .. نحن سنتابع التحقيق في المدينة هناك .. ومكان حدوث الخنق سنعرفه في حال القبض على القاتل .. ولكن عندما يعود الحارس من سفره أرجو التحقيق معه ، وإفادتنا بالجواب عن موعد سفره .. هل كان عفويا أم أن أحدا دفعه للسفر في هذا الوقت تمهيدا للجريمة ؟

ـ حاضر يا سيدي .. والمزرعة ما زالت تحت الحراسة .. ومنذ موت الرجل لم يأت إليها أحد حتى الخادمة أوقفنا مجيئها ، ثم سمحنا لها بالمجيء لإطعام الكلاب .. بل صرح أولاد المجني عليه أثناء التحقيق أنهم سيعرضونها للبيع بعد الانتهاء من معرفة الجاني .

ـ البيع بهذه السرعة!! لعله من باب التشاؤم .. هل من أحد عرض عليهم شراءها ؟

ـ قتله غاية شرائها ؟ .. لم أسمع بذلك .

ـ شكرا والسلام عليكم .

ـ مع ألف تحية وعليكم السلام .

٩

كان مدير المصانع شريك حامد موسى في انتظار الشرطة منذ علم بمقتل شريكه في مزرعته ، لذلك استقبل الشرطة بناء على موعد سابق ، وأدخلتهم السكرتيرة عليه فور وصولهم .. ونهض عن مكتبه مرحبا ومصافحا لهم ، وقد طلب لهم قهوة الضيافة منذ أعلمته السكرتيرة بوصولهم ..وبعد التحية والمجاملات التقليدية .. أشار لهم بالجلوس على المقاعد الموجودة في المكتب .. وجلس هو الآخر على أحدها ، ولما سكن المكان إلا من أنفاسهم قال المحقق الجنائي بلسم : أنت تعلم لماذا جئنا إليك يا سيد سلام ؟ .. فشريكك وجد مقتولا في بركة مزرعته.. ولابد أنك شاركت في تشييع جنازته ..وأنا وزميلي محمود كلفنا في التحقيق والبحث في مصرعه .

وتنحنح الضابط لحظات وتابع قائلا : ونحن للآن لم نعرف الدافع لهذه الجناية .. ولماذا قتل ثم ألقي في الماء ؟.. فكان بالإمكان تركه حيث صرع ..وقد ظهر من إفادات بعض الأصدقاء ومن أقوال زوج ابنته المدعو ناصر ..العامل عندكم في المصانع أنه

كان بينكم في الآونة الأخيرة اختلافات واختلاسات وفصل وطلاق أو تهديد بالطلاق .. وأنك يا سيد سلام اكتشفت الرشوة والاختلاس ، وطردت ناصرا على أثر هذه الاكتشافات ..فأسمعنا معلوماتك ورأيك؟

وقبل أن يجيب المدير طرق الباب ، ودخل العامل ، وقدم المشروبات للضيوف ، ثم انصرف مغلقا الباب وراءه ، ولما بدأ الشرب للقهوة ، قال مدير المصانع بعدما مسح فمه بمنديل ورقي : هل لموت شريكي حامد علاقة بطرد صهره ناصر ؟

قال بلسم : لا ندري الآن بالضبط .. لكنه كان في مسرح الأحداث ليلة موت الرجل ..كان بينهم لقاء في المزرعة .. ومن كان قريبا من الأحداث سمع بعض الكلام الحاد .. ولكنه أنكر أن يكون قد تشاجر مع عمه ..إنما كان حديثهم حول إعادته للشغل أو تطليق البنت.. وإنه لا يجب أن يتحمل الضرر وحده .. فغضب حامد وطرده هو ورفيقا له جاء معه اسمه غسان .. وإنه وهو يغادر أمهله ثلاثة أيام .. ليحسم الأمر .. أمر عودته للعمل معكم ، وغادر القصر هو وغسان .. الذي ادعى أنه رافق ناصر للتوسط بينهم ..

فردد سلام : غسان .. يا غسان !

ـ أتعرفه ؟!

قال متعجبا : كيف لا أعرفه ؟!

فقال بلسم : للأسف أنا لم أره .. فالتحقيق الابتدائي جرى في منطقة الجريمة قبل أن ينتقل إلينا في هذه المدينة .. المهم أن السيد ناصرا طرد ابنة حامد ليلة الحادثة ، وأعلمها أنه ذاهب لمقابلة أبيها لإنهاء الأمر.. وذهب فعلا للمزرعة وبرفقته غسان .. وهناك وجدا رفاق حامد .. فتركوا الرفاق ودخلوا حجرة وجرى بينهم النقاش الذي وصف بالحاد .. وبعض صياحهم كان يصل للضيوف ولكنه غير واضح .. وانصرف الرجلان .. والضيوف أكدوا أنهم لم يسمعوا أي تهديد بالقتل .. كانوا ينظرون للقضية قضية عائلية .. ولن تتطور لقتل وموت .. والأولاد نفوا أي تهديد لأبيهم بالقتل من قبل ناصر .. التهديد كان حول الطلاق .. والعودة للشغل .

وبعد فترة صمت قال المدير : ما المطلوب مني ؟!

قال بلسم : معلومات .. لماذا فصل ناصر ؟ ولماذا يهدد الرجل عمه ؟! .. هل فقط لأنه زوج ابنته ؟ أم له دور في الرشوة والاختلاسات التي ثبتت على ناصر .

ـ هذه أمور تخص الشركة .. وأسرار الشركة ...

قاطعه محمود : ربما يا سيدي هي سبب هذه الجريمة ؟

ـ ربما ..

قال بلسم : وهو شريكك وصاحبك أيضا .

ـ وهو زوج ابنته ..وأنا أخشى أن لا تكون الرشوة والاختلاسات التي أدين بها ناصر لها أي علاقة بالجريمة ..هذه قضية وتلك قضية .. أنا المسئول عن إدارة المصانع هنا والإنتاج يا سيدي الضابط .. وعملي هنا .. وفي مكتب الشركة حيث يعمل حامد الإدارة الرئيسية والتوزيع والتسويق والسجلات والمعاملات وشراء المواد الخام .. فما يدور هناك متروك لشريكي ..وما يدور هنا لا دخل له فيه .. أما بالنسبة لقضية الرشوة والاختلاسات التي قام بها ناصر فكانت هنا.. المبيعات تخرج لبعض الزبائن بدون معاملات ومستندات ، فكانت هذه الصفقات تذهب أموالها إلى حساب ناصر .. فكانت تباع من ورائي .. وأنا عرفت ذلك من بعض الزبائن .. وبعض محاسبي الإنتاج كانوا حقيقة يلمحون لي بين الحين والحين بالنقص .. ولكن لما تزيد كمية المبيعات المسروقة عن حدها يظهر السر والفضيحة .. وهذا ما كان في الفترة الأخيرة .. فتكشف لي أن ناصرا هو الذي يدير العملية بمعية بعض العمال .. عصابة أيها السادة .. وقد تم فصلهم جميعا .. وكان بالإمكان شكواهم للشرطة وتقديمهم للشرطة .. ولكن الأدلة لم تكن كافية .. إنما أقوال واعترافات لم تكن كاملة .. قد تتغير أمام المدعي العام ..فاكتفيت بطردهم .

قال بلسم : أنت ترى يا سيدي أن هذه الحادثة لا علاقة لها بمقتل حامد .

قال سلام : لا أدري! لا أجد رابطا بينهما إلا إذا تهور نسيب حامد .. وقتل عمه .. أو عصابته في الشركة أصابهم جنون وتورطوا بقتله .. فهو بعيد عن إدارة المصانع

فقال محمود : ألا يكون حامد متواطئا معهم أو مع نسيبه على الأقل ؟

ـ حقا ، لا أستطيع إثبات ذلك .. وإليك قصة ومجمل الرشوة والاختلاسات .. أحد التجار يسأل عن عدم وصول طلبيته (البضاعة المبتاعة).. فأخبره مسؤول المبيعات أنه لا طلبية مشتريات له في الشركة .. وبعد تحقيق تبين أنه يأخذ ويحصل على المواد عن طريق ناصر وعصابته .. ويأخذ منه السيد ناصر رشوة أو عمولة .. أما هل شريكي حامد شريك له .. فليس لديّ فعلا أي إثبات ..وأعتقد أن جواب هذا السؤال عند ناصر .. واليوم بعد موت حامد صعب إثباته .. إلا بأدلة مادية .. أليس كذلك ؟!

ـ صدقت ، لو ادعى ناصر ذلك واتهم عمه بالشراكة يحتاج الأمر لأدلة قوية .. هل تتذكر شيئا يفيد التحقيق ؟ قال : للأسف الآن لا أذكر شيئا

ـ لو طلبنا أسماء الرُشاة والذين يشترون خفية عنكم أيمكن تزويدنا بذلك ؟

ـ هذا ممكن إذا كان في ذلك ضرورة .. إذا اضطررتم فأنا في خدمتكم .

ـ شكرا ..وإلى اللقاء .

١٠

انطلق الضابطان من إدارة المصانع إلى إدارة الشركة في وسط المدينة التجارية ، وبعد أن عرفا بأنفسهما للقائمين في الشركة ، ادخلهما المسؤول عن الحسابات إلى مكتب حامد ، وطلبا الحديث مع الفراش ماهر .. ولما أغلق الباب قال بلسم : ذكرت في إفادتك للضابط نور الدين أن المدير تأخر هنا في المكتب هذا بعد انصراف الموظفين أكثر من نصف ساعة عن الدوام المعتاد .. وذكرت أنه كان قلقا مشغول الذهن ، ويظهر عليه بعض الغضب .

فقال ماهر : نعم يا سيدي! .. السيد حامد كان متوترا ، وكانت مشكلة صهره ناصر تقلقه .. وأخبرته بانصراف الموظفين ، فطلب مني التأخر بعض الوقت .. حوالي نصف ساعة .. ولما لبس الجاكيت المعلقة عادة بجانب هذه المرآة ـ وأشار إلى مرآة معلقة على الجدار ، ومثبت بجوارها حمالة ثياب ـ وقبل أن يخرج رن جرس الهاتف .. وفهمت من الكلام أنه سيبيت في المزرعة .. وأنه يتحدث مع البيت .

فقال بلسم : حسن هذا يا سيد ماهر .. وكما تعلم ويعلم الجميع أن السيد مات مقتولا .. فهل يمكن أن يقتله زوج ابنته نتيجة طرده من المصانع ؟

حك الرجل رأسه عدة مرات ، وأخذ يحدق في وجه الضابط السائل وقال : كان بينهم يا سيدي في الأيام الأخيرة مشاجرات ومشاحنات ، سمع بها كل من يعمل في هذه الشركة .. وما أدركته من شجارهم أنه كان حول الرشوة والاختلاسات التي قام بها السيد ناصر .. وأن على السيد حامد أن يعيد ناصرا لمركز عمله .. ويضغط على شريكه بإنهاء المشكلة قبل أن تخرب مالطة .. وحقيقة كان السيد حامد مرتبكا ومضطربا ومنزعجا من هذه الفضيحة .. ويرجئ الشاب بالصبر لبعض الوقت ، وأنه سوف يعود للعمل في المصانع وينتهي الإشكال.. ويطلب منه الهدوء والصبر والصمت .. ولكن ناصرا كان يصر على العودة على الفور .. وحتى أخذ يهدد الرجل بطلاق كريمته فادية .. فهذا أوقع في نفسي حقيقة ريبا وشكا ، وأن بين الرجلين شراكة .. فمهما كان الرجل نسيبا فلا يتحدث مع حماه بالأسلوب الذي كان يظهر من الشاب ناصر ..لا أدري .. فمن المشاحنات التي كانت تجري أحسست إحساسا عميقا أن الرجل كان يختلس بعلم والد زوجته .. وقد سمعته أكثر من مرة وهو يردد أمامه لا يجب أن أتحمل المسؤولية وحدي ولا يجب أن تتشوه سمعتي

وحدي وعملي في الشركة سيرد لي اعتباري وسمعتي .. فهذا في حدود معرفتي تهديد مبطن .. وكان السيد ناصر وقحا وشرسا .. وهو لا يعمل في هذا القسم فمكانه هناك في المصانع ؛ ولكنه يتردد كثيرا علينا هنا ..كنا نرى ذلك بحكم العمل والمصاهرة .. أما القتل بسبب ذلك لا أستطيع أن أقول هذا .. يمكن أن يكون ذلك بسبب المشكلة .. ومع ذلك لم أسمعه يهدده بالقتل يا سيدي .

قال بلسم : أحسنت يا سيد ماهر! .. أنت رجل شريف وحر .. السيد سلام هل أدرك ما أدركته أنت من تواطأ بين حامد وناصر ؟

وضع ماهر نظره في الأرض دقيقة ثم قال بحزم : أعتقد ـ والله أعلم ـ أنه أدرك ما أدركته من علاقة بينهم .. وناصر عصبي المزاج ، وأعتقد أنه تكلم بشيء من ذلك أمام السيد سلام ؛ ليخفف سلام من غضبه وهجومه عليه .. وجرى لقاء حاد بين سلام وحامد هنا في هذا المكتب .. ولكني لم أسمع منه شيئا واضحا ؛ لأن السيد حامدا أغلق الباب بالمفتاح من الداخل ..وقد سمع بعض الصوت العالي .. ولما خرج سلام من المكتب كان بادي الغضب والضيق .. وحتى أنه من شدة غضبه لم يلق التحية علينا على غير عادته يا سيدي .. وهم شركاء منذ زمن .. وأعتقد أنها كانت صدمة كبيرة لسلام عندما علم أن صديقه يسرقه كما خمننا بواسطة صهره .. وناصر عمل في الشركة منذ سنوات قليلة ، وبواسطة حامد ، وبعد أن تزوج من ابنته فادية .. من ورط الآخر لا ندري أو أنا لا أدري ..عين للعمل في المصانع .. والإنسان طماع .. والشركة منذ ثلاث سنوات تعاني كما أسمع من مدير الحسابات .. وأرباحها قليلة .

فتكلم الضابط محمود بعد سماع ماهر وصمته الطويل : إذن كان نزاع خفي دائرا بين سلام وحامد .

ـ هذا أعتقد يعرفه كل من يعمل هنا.. وكان السيد حامد منذ لقائه الحاد بسلام يدخل مكتبه.. ويتحدث بعض الوقت مع الموظفين .. ثم يغادر المكتب عند الظهيرة ساعتين ، وقبل انصراف الموظفين بنصف ساعة يعود للمكتب حتى ينصرف الموظفون ، فيمكث بعض الوقت ثم نغادر معا.. الأمور مضطربة ومرتبكة بعد فضيحة ناصر .

قال بلسم : القتل .. ألم يتحدث به أحد؟

ـ لأ ، وكان المتوقع الانفصال بين الشريكين ..والسرقات كانت تحدث قبل وجود ناصر في المصانع ..ولكن سرقاته كانت مدوية وكبيرة .

ـ ألم تسمع أي شيء من لقاء الرجلين ؟

ـ لو سمعت شيئا لقلته لكم ..عندما يغلق الباب إغلاقا تاما من الصعب سماع الكلام .. ولكن

الحال يدل على أن اللقاء كان عاصفا وحادا .
وقف الرجلان وتبعهما ماهر أيضا وقال بلسم : إذا تذكرت أيها الإنسان الصالح شيئا يفيد التحقيق .. فبلغنا به .
ـ سأفعل يا سيدي .. وأحب أن أقول قبل انصرافكما أنه كانت هناك بعض المشاكل في البيت بين الرجل وأسرته .
ـ كيف ؟!
ـ كنت أسمع الرجل أحيانا يسب على زوجته وأهل بيته على الهاتف طبعا .



١١

كان الضابطان يجلسان في مكتبهما يتحاوران حول المعلومات التي تم جمعها عن حادث مصرع السيد حامد موسى .. وبعد نظر في التقارير والبيانات المتوفرة بين أيديهما ، قال محمود صبري : هل تحدثت مع الشريك سلام عن الحوار الحاد الذي جرى بينهما في مكتب حامد ؟
ـ لم ينكر هذا الحوار .. واعترف أنه كان حول اختلاسات زوج ابنته ناصر وعصابته .. واعترف له الرجل بأنه ليس بينه وبين السيد ناصر أي اتفاق .. وصارحني بأنه لم يصدق ذلك رغم قسمه
ـ إذن كان اللقاء كما اعتقد السيد ماهر ..
ـ أجل .. هل وصلت كل المعلومات حول الأشخاص الذين طلبناها من إدارة التحريات والمباحث الجنائية ؟
فقال محمود : بعضها وصل ..أنا اتصلت بحرم السيد حامد ..وسألتها مباشرة أكان عندها علم بما كان بين زوجها والسيد سلام ؟.. فأقرت أن الرجل غاضب جدا من زوجها.. وطالبه بتغطية كل ما اختلسه زوج ابنتها.
ـ لم يتحدث سلام معنا عن هذا الطلب ؟
ـ وهي لا تعلم قيمة المبلغ المطلوب ؛ ولكنها تراه مبلغا كبيرا ، وسبب لزوجها الهم والغضب من ناصر ومن شريكه .. وسأتحدث بذلك مع ناصر .. لعله يعلم قيمة هذا المبلغ ..
ـ لابد أنه يعلم أليس هو السارق؟.. هذا تطور جيد .. أهناك معلومات أخرى ؟
ـ هي لا تعرف كم هو المبلغ الذي طالب سلام به .. وأشارت ربما يكون أخوها جابر على علم به .
ـ جابر .. شقيقها .. ما معلوماتنا عنه ؟
قال محمود : علاقته مع حامد علاقة قرابة ونسب ؛ ولكن يبدو أنه في الآونة الأخيرة كان بينه وبين حامد شغل قال ذلك أحد الأبناء .
ـ عصام ؟
ـ لأ ، ابن آخر ..
قال بلسم : ألا يوجد أنباء عن السيارة التي كانت

أمام المزرعة ليلة الحادث ؟

ـ لحتى الآن لا معلومات عنها .. ورفاق حامد يصرون على عدم معرفة من كان فيها ..كانوا خارجين والسيارة مطفئة الأنوار ..ولكن لما اقتربت سيارتهم منها شاهدوا الأشخاص الثلاثة وكان ذلك في لمحات خاطفة .. السائق .. وبجواره آخر .. وامرأة في المقعد الخلفي .. ومروا مسرعين متظاهرين أنهم لم يروا ركاب السيارة .. لأنهم عندما خرجوا لاحظوا أنهم أطفأوا أنوار سيارتهم .. كأنهم يقصدون ألا يتحدثوا مع أحد ..والسيارة من نوع (تويوتا كورولا اليابانية) ولونها أزرق .

فقال الضابط بلسم : إذن كان وقت انصرافهم قرب الحادية عشرة ليلا .. وأعتقد أن لها دخلا في جريمة المزرعة .. لأجل ذلك اختفت .. يبدو أنهم جاءوا للقاء السيد حامد .. ولما شاهدوا السيارات انتظروا حتى خرجت كل السيارات من المزرعة وبقي حامد ..

فقال محمود : يبدو أنهم جاءوا بدون موعد ..وأحبوا أن يكون حديثهم على انفراد بالرجل .. فانتظروا حتى انصرف ضيوفه ..

ـ والرجل لم يكن إلا على موعد مع ضيوفه الثلاثة

ـ سأتحدث معهم شخصيا .

ـ افعل .. لعلهم بعد أن خفت حدة الإزعاج والتوتر الذي أصابهم يتكلمون بشيء جديد .. أما أنا فسأزور بيت حامد .. وأتحدث مع أسرته وأولاده من جديد.. وأعرف ما مدى المشاكل بينه وبينهم في الفترة الأخيرة ..وأنظر أوراقه في البيت مرة ثانية .



١٢

استقبلت زوجة حامد ضابط الشرطة المحقق في قضية مقتل زوجها ببرود وقلق وبعدما جلس الضابط جلست مقابلة له فقالت : ماذا يريد حضرة المحقق منا اليوم ؟!

لاحظ الضابط التوتر النفسي عليها بوضوح وأنها منزعجة جدا فقال لها باسما : نحن يا سيدتي إزاء جريمة قتل متعمد .. قتل زوجك السيد حامد ! ولن يهدأ لنا بال حتى نصل للجناة ..يا سيدتي .. فكلما توفرت لنا معلومة تساعدنا في القبض على الجاني علينا مساءلة من لهم علاقة بها ..فعليك أن تتحملي ذهابنا وحضورنا إليك ..علمنا أن مشكلة مالية كبيرة كانت بين زوجك وشريكه .. وعلمنا منك أنك لا تعلمين قيمة المبلغ المطلوب للشريك سلام .. السؤال وضعكم المالي في الأسابيع الأخيرة هل كان مستقرا ؟

قالت بجفاء: يا سيدي ..لا أدري ما الغاية من

وضعنا المالي بالنسبة للتحقيق ومقتل حامد ؟!
ـ جميل هذا الاعتراض .. نحن عندنا أحد الفروض لارتكاب هذه الجريمة المال .. المال وراء ارتكاب هذه الجريمة ..أزمة مالية عصفت بالشركة .. عندما تكشف للسيد سلام السرقة التي قام بها صهرك زوج ابنتك في الشركة ..
قالت بحدة : لا أعتقد أن لفعلة ناصر دخل في مقتل زوجي .
ـ هذا نحن نقرره ..مع كامل الاحترام لك ..لماذا قتل الرجل برأيك ؟
ـ لست أدري .. بالنسبة للبيت ليس عندنا مشاكل مالية يا سيدي ..وأما في الشركة فلا أدري الوضع المالي فيها ..والذي ضايقنا في هذه القضية هو تهديد زوج ابنتي لحامد بطلاقها ..ولماذا يحشرها في مشاكل الشغل والعمل ؟ ولماذا يريد أن يحمل عمه جريمته ؟! فهذا ما غاضنا جميعا ! جعل من زواجه من فادية ورقة مساومة .. أليس هذا إجراما ؟!
ـ طبعا هذا فعل أخرق إلا إذا كان زوجك متورطا معه يا سيدتي ..كما يعتقد شريك زوجك ولهذا طلب المال من زوجك ؟
ـ هو الآخر مجرم .. زوجي غير متورط في اختلاس ورشا .. ولكن صهرنا سيء واستغل زواجه لأبنتنا ليختلس من الشركة مدعيا أن حامدا شريك له .. هذا كذب يا سيدي ..

ـ لا بأس .. هل من علاقة تجارية خاصة بين أخيك جابر وحامد ؟
ردت بسرعة وحدة : لأ .. حامد لا يبيع لجابر شيء .. وإذا وجدت بضاعة من مصانعنا عند محلات أخي وأولاده ..فتكون عن طريق مورد يأخذ من عندنا .. فحامد لا يحب أخي جابرا.. وجابر مثله .. علاقات باردة للغاية .
حدق الضابط في عينيها وقال : صحيح هذا .. لكن العلاقات التجارية ليس الحب سببها .. ولدينا معلومة يا سيدتي أن حامدا في الفترة الأخيرة طلب من جابر مالا .
ترددت قليلا ثم قالت : هذا ممكن .. ولا أعتقد أن ذلك ثمن مبيعات .
ـ أمتأكدة من ذلك ؟
ـ اسأل جابرا الجواب عنده .. أنا حسب معرفتي أن أخي لا يأخذ موادا مصنعة من عند حامد مباشرة لمشاكل قديمة بينهم ، وتعسره في السداد والاتكاء على زواجه مني .. وها هو توفيق اسأله
التفت الضابط نحو توفيق وسعيد وقال : هل بين والدكم وخالكم معاملات مالية ؟
قال توفيق : ممكن .. استلاف وسداد .
ـ أنتم كيف علاقتكم بحضرة الوالد ؟
رد سعيد كأنه متفاجئ من الاستفهام : علاقتنا بأبينا ؟!.. كعلاقة سائر الآباء والأبناء يا سيدي

المحقق .

ـ ألم يكن بينكم مشاكل مالية ؟

هب توفيق قائما وهائجا ومحتجا : يا سيدي هل يعقل أن نقتل أبانا لمشاكل مالية فرضا أنها كانت بيننا ؟

ـ ولم لا ؟..هذا يحدث في دنيا الناس .. المجلات والصحف تجد فيها أنباء أبناء يقتلون آباءهم من أجل المال والميراث .

فصاح توفيق ثانيا : ولكننا لم نفعل يا سيدي ..لماذا نقتل أبانا ؟! .. فنحن نعمل بعيدين عن الوالد .. ونحمل شهادات جامعية .. أنا مهندس وكذلك أخي ..

ـ اجلس وهدئ من انفعالك ..المال يا سيدي المهندس سبب الكثير من الجرائم الصغيرة والكبيرة .. اطمئن لقد تحرينا عنكم جيدا ..ونعلم أن والدك يا سيد توفيق لم يكن على علاقة جيدة بزوجتك.. وحاول منعك من الاقتران بها ..نحن نقوم بواجبنا على قدر طاقتنا .. وسنصل للمجرم بإذن الله ﷻ .

١٣

ـ سيد سلام كم أردت من السيد حامد عندما تشاجرتم أو تناقشتم في مكتبه في الشركة ؟

ـ قدرت يا سيدي قيمة البضائع المختلسة والمسروقة بواسطة ناصر ، فكانت حوالي مائة ألف دولار ، وألزمت حامدا بخمس وسبعين ألف وإلا تقدمت بشكوى ضد المذكور ناصر وعصابته .. وتعهد لي الرجل بدفعها.. وتعهد لي بعدم عودة ناصر للعمل.. وأنا قدرت العشرة والشراكة .. فنحن شركاء منذ أكثر من خمس عشرة سنة .

ـ وكيف وعدك بسدادها؟

ـ تعهد لي بذلك وكفى .. ولم ندخل في تفاصيل السداد .. وعرض تقسيم الشركة .. فرفضت ذلك ، قلت له : سدد هذا المبلغ المسروق ..وبعد حين نقسم الشركة .. فوعد وتعهد بالتسديد

ـ وجابر أخو زوجته ما دوره بينكم؟

ـ جابر تاجر كبير وقديم .. وهو أحد الذين كانوا يأخذون البضاعة المسروقة عن طريق ناصر.. وأعتقد أن حامدا كان على علم بذلك .

ـ هل تقصد أن ناصرا كان متآمرا مع حامد ؟!

ـ هذا اختلاس له سنوات كما تبين لي ..وهو اختلاس منظم .. ولا أعتقد أن حامدا يجهله مثلي ولكن تهديد ناصر لحامد يثير الريبة .. وردد أمامي أنه لا يعمل وحده .. وأنه سيخرب مالطة والمصنع إذا طرد من العمل .. إنه لا يعمل وحده ..وليس لديّ إثبات حازم في القضية .. ورضوخه لدفع الغرم يزيد من التأكيد أن له يدا مع ناصر . وكان يخشى التشهير في الموضوع ويخشى طلاق ابنته .

ـ جابر لا يستلم مشترياته من هنا مباشرة ؟

ـ منذ زمن بعيد حدث بيننا إشكال ، كان يتقاعس عن التسديد ويماطل ويعتمد على حامد ، فطلب مني شريكي وقف التعامل معه .. فوافقت وساءت العلاقة الشخصية بينهما .. وأنا تفاجأت بشرائه مواد مسروقة .. وهو يعلم أنها من مصانعنا

ـ أخيرا يا سيدي ..حامد كيف هو مع أفراد أسرته ؟

ـ أولاده يشتغلون في شركات خاصة بعيدين عن عمل والدهم .. زوجته لا تتدخل في عمله حسب معلوماتي .. لكنني سمعت أن له بعض المشاكل مع زوجات أولاده .

ـ أشكرك يا سيدي ..فلنذهب لمقابلة السيد جابر وعصام .

١٤

استدعي السيد جابر إلى دائرة الأمن لمقابلة الضابط بلسم وزميله محمود ، وكان الاجتماع في غرفة خاصة لتسجيل الحوار دون معرفة السيد جابر ، وكان هذا اللقاء بعدما كملت التحريات عن السيد جابر ، وبعد الترحيب والحديث عن الصحة وشربه لفنجان القهوة قال بلسم : يا أخ جابر ..أنا قرأت إفادتك في التحقيق الابتدائي في مقتل زوج أختك ..قلت إن أختك تحدثت معك عن اختفاء حامد صباح اكتشاف الجثة ، فحضرت أنت وعصاما وسرتم للمزرعة .. وهناك صعدتم حيث ينام توفيق الذي ذهب من الليل ليبحث عن أبيه الذي لا يرد على التلفون وكانت الساعة قريب الثامنة صباحا عندما دخلتم المزرعة .. ثم حضرت الخادمة ، وهي في طريقها لإطلاق الكلاب من بيتها اكتشفت جثة الرجل مطروحة في حوض سباحة المزرعة .. سؤالي الآن هل علاقتك في الأيام الأخيرة جيدة مع السيد حامد ؟ ..أو هل طلب منك مالا ؟

ـ يا سيدي أنا علاقتي الخاصة بزوج أختي وقريبي حامد لم تكن طيبة منذ القدم .. إنما هي علاقات رسمية .. علاقات مجاملات ومناسبات فقط .. وحتى أفراد أسرتي معهم كلهم هكذا .. علاقات غير ودية .. لكن العمل يتطلب منا في بعض الأحيان بعض المعاملات المالية بحكم المصالح والاضطرار .

ـ هل طلب منك مالا في الأيام الأخيرة ؟

ـ طلب مالا يا سيدي الضابط .. أقول بصراحة أنا أستورد مواد غذائية من الداخل والخارج وكان الغبي ناصر صهر أختي زوج ابنة حامد ..يبيعني المواد المنتجة بمصنع زوج أختي بأسعار رخيصة .. وأعرف للأسف أنها مسروقة من المصنع بدون علم السيد حامد وشريكه سلام .. ولكن بعد زمن علمت من ناصر نفسه أن زوج أختي على علم بهذا التهريب دون علم السيد سلام .. وبضاعة

رخيصة مغرية للتاجر يا سيدي الضابط .. والطمع المجبول على البشر له دور .. أو شطارة كما يسميها البعض .. كنت أعقد أنا نفسي معه توريد صفقات سرية .. وكان السيد حامد يعتقد أنني لا أعرف بتعاونه مع ناصر .. واستمر البيع هذا لسنوات مضت ومع مرور الوقت ينسى المرء صواب وخطأ طريقة التوريد ..فلما اكتشف سلام الخداع من ناصر والذين يتعاونون معه من أفراد العمل .. غضب وعرف مكر شريكه وسرقته له فأصابه ألم وضيق .. وألزم زوج أختي بخمس وسبعين ألف دولار أمريكي لحسابه الخاص بدل كل هذا الخداع طوال كل هذه السنوات .. مبلغ لا يدخل خزائن الشركة .. والحق أنني أنا الذي سربت لسلام أمر التهريب ..لأن السيد ناصرا زاد طمعه وزاد عمولته من خلف زوج أختي حامد .. وأخذ يتلاعب فيّ .. المهم من الزعل والضيق سربت معلومة لسلام شريك حامد .. وكان قصدي تخويف ناصر حتى لا يلعب بذيله .. ويبدو أن السيد سلاما كانت لديه شكوك حول الموضوع .. فكبر الأمر ، وروقب ناصر، وقبض عليه متلبسا بالتهريب من وراء المدير .. واعترف ناصر بخيانته وتورطه بالسرقة .. وحاول استغلال اسم حامد معتقدا أن المدير سلاما سيخفف من هجومه ولا يتقدم بشكوى للمدعي العام ..

وكشف التحقيق السري ناصرا وعصابته وظهر الاختلاس ، واعترف بعض التجار بالرشاوي التي كانت تدفع لناصر ومن معه .. ففصل الجميع من الشركة ..وناصر أخبر السيد حامدا بأنني أنا الذي أفشيت السر وفضحت المستور ..ولما تعهد بدفع المبلغ الذي فرضه عليه سلام أراد السيد حامد أن أدفعها أنا ..فرفضت بشدة وأنكرت تسريبي للأمر ، واتهمت ناصرا بالكذب لخلط الأوراق.. وتدخلت أختي في الموضوع ..وإنني لا يلزمني شيء نحوه ..ولكن حامدا أصر وأرادها مني .. ولكني أبيت وقلت له لا حق لك عندي .. أنا كشفت أمر ناصر .. ولم أكن أعلم أنك متفق معه ومتورط ، فكذبني وقال : إنك تعلم وناصر أعلمني أنك تعلم إنني أعلم بهذا التوريد .

ـ هذه كله عرفناه بطرقنا الخاصة ..يا سيد جابر قل لنا الآن دورك في الجريمة ؟

ـ دوري .. لا دور لي يا سيدي ؟

حملق الضابطان في جابر وقال بلسم : يوم الجريمة علمنا من أحد عمالك أن السيد حامدا اتصل بك وأنت في المتجر .. وأكد عليك للذهاب إلى المزرعة ليلا بالمال.. وسمعك العامل وأنت ترفض وتصيح غضبا .. وتضع السماعة وتقول بصوت مسموع للعمال وأنت تقول لعصام

الذي كان يتابع ردك وغضبك : المجنون حامد !

..يريد لقائي في المزرعة ويريد الشيك الليلة.

ـ حصل يا سيدي ولكني لم أذهب ليلتها .

ـ بل ذهبت يا سيدي .. فضيوف حامد رأوك وأنت وابنك وامرأة وهي أختك زوجة حامد.. رأوك وهم منصرفون من المزرعة قبيل الساعة الحادية عشرة بعد شجار حاد بين حامد وزوج ابنته تلك الليلة ..كنتم أمام المزرعة بمائة متر .. تنتظرون مغادرة الضيوف ..السيارة مطفئة الأنوار من نوع (تويوتا كورولا زرقاء اللون) ولكنهم بأنوار سيارتهم قد لمحوكم .. رجل في مقعد القيادة وآخر بجواره ، وامرأة في الكرسي الخلفي .. ونحن وجدنا السيارة معروضة للبيع في حراج بيع للسيارات ، ووضعت فيه في اليوم التالي للجريمة وهو يوم اكتشاف الجريمة .. وهي باسم ابنك عصام .. وقمنا بالبحث عن جميع سيارات العائلة ومن لهم علاقة بالأسرة .. ولو كانت السيارة بريئة لما اختفت .. وصاحب معرض بيع السيارة المستعملة أكد لنا أنها تخص ابنك .. المسألة كانت مسألة وقت .. وابنك الآن في الطريق لدائرة التحقيق .. وضيوف حامد عرفوا زوجة حامد .. ولكنهم كتموا الأمر فهم لا يتوقعون أن لكم ولها يدا في مقتل زوجها .

ـ هي لم تقتل زوجها يا سيدي .

ـ هل تستطيع أن تثبت لنا عدم وجودك على مسرح الجريمة يا سيد جابر ؟

تنفس نفسا عميقا وقال باستسلام : أنا كنت على مسرح الجريمة .. بعد ذلك الاتصال الذي أشرتم له وبعد تردد شديد .. اتصلت بأختي وحدثتها بطلب زوجها اللقاء بي في المزرعة .. فجاءت لبيتي ..وأخذنا عصام للمزرعة قبل منتصف الليل .. وكان اتصال حامد بي بعد حديثه مع ناصر فقال : ناصر كان هنا وهو مصر للعودة إلى المصنع .. ومصر على طلاق فادية وطلب مني المجيء إليه .. فقلت له في النهاية أنا قادم .. اصرف ضيوفك .. ولما اقتربنا من المزرعة وقبل أن ينزل عصام لفتح البوابة رأينا أضواء سيارات الضيوف فأطفأنا نور سيارتنا ، وانكمشنا على أنفسنا، وقال عصام: كأن ضيوف الرجل في طريق الانصراف .

فانتظرنا ريثما ابتعدوا ، واختفت أضواء سيارتهم ، ودخلنا حتى وقفنا أمام القصر .. فصعد

عصام مناديا على زوج عمته الذي جاء غاضبا مهدرا ومتضايقا من إحضار زوجته معنا ، وأساء إليها بالسباب ، وطلب مني كتابة شيك فورا بالمبلغ المطلوب ، وإنني يجب أن أتحمل نتيجة الغدر به وفضحه أمام شريكه .. واشتد بيننا النقاش والسباب حتى أن عصاما حاول أكثر من مرة أن يضربه من كثرة ما وجه إلينا من لعن وتجريح .. ولولا تدخل أختي المتكرر لضربه .. ثم

فاجأنا يا سيدي بإخراج مسدس من جيب جاكيتته ولوح به علينا من الغضب المتلبس به ، وحاولت أختي ثنيه عن جنونه وعصبيته وتهدئة الوضع ، فقال لها : أنت سأبدأ بك .

وأطلق طلقة على الحائط حقيقة .. نحن لا ندري فعلها قصدا لتخويفنا أو خرجت رغم أنفه وكان عصام قريبا منه يا سيدي فضربه على ساعده بسرعة خاطفة فسقط المسدس على الأرض وخنقه بذراعه .. وصاح حامد ؛ ولكنه من ضغط عصام سقط أرضا .. ظننا أنه أغمي عليه .. ثم تبين لنا موته السريع .. وبعد ذهول وصدمة جررناه إلى المسبح وانصرفنا .. زاعمين أننا لا نعلم بموته .

ـ وعادت الأم للبيت عند منتصف الليل تطلب من أولادها البحث عن أبيهم .

ـ هذا ما حصل يا سيدي .. الموقف كان قاتلا وصادما لنا جميعا .. عصام لم يقصد قتله.

ـ والمسدس .

ـ أخفيناه .

تمت القصة بفضل الله



قصص وحكايات الفوارس

حصرم بن سلام

الحلقة ٣ والأخيرة

ملك السنجاب

عندما زرنا صاحبنا حصرما بعد أيام من سماعنا منه حكاية الكاهن ، وتناولنا الطعام وما لذّ من الشراب الطيب ، أصغينا آذاننا لمحدثنا ابن سلام بعد أن قال هانيء : يا سيدي حصرم وصل بنا الحديث عندما ركبتم السفينة مغادرين جزيرة الكاهن جزيرة السمكة الحمراء فماذا جرى لكم بعد ذلك ؟!

قال حصرم : يا أيها السادة الكرام ! فهمت من الصبية الأميرة أنّ بلادها قريبة من جزيرة السمكة وفي أول مدينة رست فيها السفينة ودعنا الشاب المعلم والغلمان ، وأخذت الفتاة الأميرة وبحثنا عن سفينة مسافرة لبلاد السنجاب أو جهة تلك البلاد ، ولما تيسر لنا ذلك سافرنا ، ووصلنا لتلك الديار بسلام ، بدون عوائق تذكر في هذا المقام ، وكان هدفي الأول أيها الكرام رد الفتاة "صفا" لأهلها ردا جميلا ، وصلنا ساحل مدينة السنجاب ليلا ، ومن الميناء اكترينا حمارين من أحد الحمارين ، وطلبنا منه أن يوصلنا إلى قرب قصر ملك السنجاب (بوقة السالي) ، ولما وصلنا قلب المدينة كان الظلام قد خيم بشدة على المدينة ، ولما اقتربنا من قصر الملك صرفنا الحمار ، وبحثنا عن خان نمضي به ليلتنا ، وقد وجدنا ما أردنا ـ وكما تعلمون

أيها الكرام ـ أن الأميرة لها بضع سنوات غائبة عن البلاد ، وهم يعتقدون غرقها وموتها ، وقد تقرر بيننا أن تذهب الأميرة إلى قصر والدها وحدها، وتطلعهم على جلية الأمر ثم ترسل ورائي لتعرفني على أسرتها ، ولما لاح الفجر بنوره الوضاح اتجهت الأميرة إلى القصر لتلتقي وتجتمع بأحبابها ، وغابت يومين ثلاثة أيام ، فاعتقدت أن الأميرة صفا نسيتني مع فرحتها بلقاء الوالد والوالدة والأحبة ، ففكرت بنسيانها والبحث عن الملك الذي يعشق الجواهر النادرة صاحب القبطان شادور؛ ولكن سمعت من صاحب الخان ذات مساء ، وهو يهمس في أذني أن فتاتي قد ادعت أنها ابنة الملك بوقة السالي ، وهي مسجونة في سجن الحوت ، تعجبت مما سمعت ، وسألته أول سؤال : كيف عرفت بالأمر ؟! فقال: لي صديق يعمل حارسا في السجن ، والفتاة طلبت منه أن يوصل إليك الخبر، وقد وهبته خاتما من أجل هذه الخدمة ، وعلم أن الفتاة تدعي أنها ابنة الملك بوقة الأميرة صفا ، وأنها الأميرة التي اختفت يوم زواجها منذ سنوات ، وقيل إنها قد غرقت وماتت ، فلما سمعت كلامه صدقته، وقلت : يا هذا اكتم الأمر ودعني أفكر بالأمر ، وأقسمت له بإلهي العظيم أنها الأميرة صفا ابنة بوقة السالي ، ولابد أنّ التباسا قد حصل ، وسوف أبذل جهدي وذكائي في كشف السر .

وسألته عن خلق وطباع الملك والسادة الوزراء والأمراء ، وطلبت منه مساعدتي بالاجتماع مع رفيقه السجان ، وتم لي ذلك أيها السادة الكرام ، وفهمت من السجان أنّ الفتاة قد مشت إلى القصر وتحدثت مع رئيس الحرس "جهمار" ، ولم يصدقها وكذبها ، وأمر بحبسها ، وهي مسجونة عندهم ، وتصيح وتقول :أنا ابنة ملككم ! أنا الأميرة صفا ! وقال لي : نحن لا نستطيع تصديقها ورئيس الحرس قد أمر بحبسها ، وقال " إنها مجنونة وكذابة " ، فقلت له : اذكر لها أنّ رسالتها وصلت اليّ ، واطلب منها الصمت حتى أدبر أمرها ، وأوصل أمرها للملك لوالدها ورويت له قصتها باختصار ، فصدقني ، وأوصيته عليها خيرا ، وأن يكتم الأمر حتى يحدث الله لها أمرا .

وبعد تفكير عميق وقلق على الأميرة قلت : على الأميرة خوف حتى أنهم لم يتحققوا من صدق أقوالها ، فرسمت فكرة لإخفائها وخطفها من سجن الحوت قبل فوات الأوان، وكانت الخطة تقوم على الهرب من السجن بمساعدة السجان جوهان، ورتبت الأمر مع السجان ، ففي نصف الليل دخل السجان غرفتها خفية عن زملائه ورفعها حتى وصلت إلى النافذة الوحيدة في الغرفة وكنت في انتظارها من خارج الغرفة ، فأنزلتها ثم

اجتزت بها سور السجن ، وذهبت بها إلى مكان قد هيئته لإخفائها ، وقد تم لنا ذلك بسهولة ويسر وبمساعدة كبيرة من السجان جوهان الذي أظهر لأصحابه أنه متعب ، وتظاهر بمغادرة السجن واختبأ فيه حتى تم تنفيذ العملية بيسر وسهولة ، فعاد جوهان لبيته سالما مطمئنا ، وقد زودته بألف قطعة ذهبية جزاء مساعدته لنا ، وأخذت فتاتي واختفينا عن الأنظار بضعة أيام ، ثم تنكرت بشخصية شحاذ ، وعادت بي الذكريات إلى هاوان والشيخ عبدون ، ثم شاركتني صفا التنكر ، وبدأنا نتابع أخبار الملك وجههار لاكتشاف الدافع الحقيقي وراء سجن الأميرة حتى نصل إلى طريقة توصلنا للملك بوقة السالي ، وفي المساء نعود للبيت الوضيع في حي الشحاذين والفقراء ، عرفنا من اختلاطنا بالناس أن أمر الأميرة كبر وعظم بعد هربها من السجن ، وأنّ رئيس الحرس غضب على حرس السجن أشد الغضب لتهاونهم في أمر المسجونة ، وأبعدهم إلى سجون أخرى ومواقع حراسة أخرى ، وعلمنا من صاحبنا السجان جوهان أنهم يبحثون عن الأميرة سرا ، فقلت له : هذا يؤكد أن هذا الرجل قد عرف الأميرة حق المعرفة ! ولو أنها امرأة مجنونة كما يزعم فلماذا كل هذا الاهتمام بهروبها ومعاقبة الحراس ؟!.

أيها الكرام مضت أيام ولم نكشف سر عداوة جههار لابنة الملك العائدة ، ولماذا لم يساعدها في الوصول إلى أبيها الملك ، فقلت للأميرة : سأحاول الاتصال بوالدك ، وسنترك التخفي لابدّ أن العيون قد خفت عنك بعد مضي أربعة أشهر من هربك من السجن ، وسنسكن في حي أحسن حالا من هذا الحي الفقير ، وهم اليوم يظنون أنك خرجت من المدينة .

لقد تأكد لنا يا صديقاي أن الناس يعتقدون بموت الأميرة وزوجها في مياه البحر الهائلة ، ولما تيقنت الأميرة أنّ زوجها قد مات عرضت عليّ الزواج من نـفسها لتكافئني على مساعدتي لها ، فاعتذرت وبينت لها أن هذا الأمر لا يشغل بالي كثيرا ، وحدثتها عن سيف شادور ، وختمت كلامي معها قائلا : عندما تعودين لأحضان والدك قد يكون لنا حديث في الموضوع ، أما الآن فلا ، ولكنها كررت المحاولة والرغبة ، وأصررت على الصبر والتأجيل ، ثم علمنا بعد رحلينا لحي آخر أن والدتها الملكة قد توفيت منذ سنوات ، وأن والدها تزوج من امرأة مشهورة بالجمال والدهاء والخبث ، وأن أخواتها كلهنّ تزوجن من أمراء وأبناء وزراء ، وكذلك اخوتها تزوجوا جميعهم ، وتبين لهم من تلقط أخبار القصر أن الملك الحقيقي والحاكم لبلاد السنجاب زوجته الملكة "شريكار" ابنة وزيره الأكبر سلحار، فلما تجمعت هذه المعلومات أمام

صفا قالت : يا مولاي! كأنني بدأت أفهم سبب غضبهم عليّ ، وقالت أيضا : إنّ هذه الأميرة شريكار تكرهها وكان بينهما بغض وعداء خفي ، وتقول : ولا أدري كيف تزوجها أبي ؟! فهي امرأة ماكرة ، ونفسها خبيثة ، وتحب الشر ، وتكره الخير ، وتعشق الدسائس والمكايد ، ولقد حاولت الزواج من أخي الأكبر بعد أن أوقعت بينه وبين زوجته ، فطلقها ؛ ولكني حذرته من القران بها ، وحدثته عن خبثها ومكرها فرفض عرضها ، وها هي تصل إلى قلب أبي .

قال حصرم : لما عرفت هذه المعلومات كلها قلت للأميرة بعد تفكير عميق أميرة صفا لابدّ أنّ هناك علاقة مهمة بين جهمار قائد الحرس والملكة شريكار، وهي التي دفعته إلى سجنك وإخفاء أمرك عن أبيك .. فلو وصل الملك خبرك حتى لو كان كذبا فعلى الأقل يطلب رؤياك ليرى سبب انتحال شخص شخصية ابنته .. فالأرجح أن الملك لم تصله أخبارك أو وصلت إليه أخبار مشوهة ، فيلوح لي أن القائد حبسك رغبة لزوج أبيك الجديدة ، فهناك أمور مخفية ، وستظهر لنا مع الأيام والمهم أيتها الأميرة عليك أن تغيري اسمك ومن شكلك عند الخروج فأنت الآن "كاله" وأنا زوجك "جاريد" من سكان بلاد الراب أعمل في تجارة الخيول والبغال والحمير فلقد استأجرت مكانا واسعا في سوق الدواب اشتري بسعر قليل كميات كثيرة ونبيع بثمن عال ، فقضيتنا تحتاج للصبر والوقت ، فصبرت الأميرة ، وأنا أحببت أن اكمل معروفي معها ، وكنت أظن أنني سأمكث أياما في بلاد السنجاب ، وأغادرها باحثا عن الملك صاحب شادور البحار لأبيعه سيف الملك برغوش ملك جزيرة الغراب .

يا أصدقائي الكرام مع البيع والشراء للخيول صار لي معارف ، بعض الأمراء والأجناد ، وذلك كان غاية لي وطريقة للوصول لأهل الحكم والسلطان ، وقدر لي في إحدى الصفقات أن أشترى حصانا أصيلا وجميلا من سلالة عربية ماجدة ، وكان ثمنه غال جدا ، وهو حصان ملوكي ، قلت لنفسي "هذا الحصان سيجمعني بملك السنجاب الملك بوقة " ، ودفعت مبلغا لأحد المنادين ليمشي في أنحاء المدينة ؛ لينشر خبره بين جميع الأهالي ، وانتشر خبره في قلب بلاد السنجاب ، حتى أنّ جهمار سيد الحرس في قصر الملك أتى لينظر إليه ، وأعجب به غاية الإعجاب من حسنه وقوته ودفع مبلغا كبيرا ؛ ولكني طلبت ثمنا له مائة ألف قطعة من الذهب الأحمر ثلاث مرات ، فدفع ثلث المبلغ فاعتذرت له ، وأرشدته لفرس غيرها ، فرفض وانصرف وهو يقول : لا أعتقد أنّ أحدا غيري يدفع لك مثل ما دفعت ، فقلت : يا سيدي إن لم

أجد من يدفع ثمنه المطلوب سيكون لك هدية مني .

ولم يطل الوقت فقد جاءني يوما رئيس ساسة خيل الملك ، وأخبرني أن الملك سمع من رجال حاشيته بالحصان الغالي وهو يرغب فيه ، ولما شاهده رئيس السياس أكد لي أنّ هذا الحصان أصيل ، ولابد أنه كان عند ملك عظيم ، وبين لي الرجل رغبة الملك بشرائه ، فوهبته أيها السادة للملك بدون مقابل ، فتعجب الناس من كرمي وسخائي وشهامتي! وطار صيتي في بلاد السنجاب كلها ، وأصبحت تاجر الخيل الأول في البلاد ، وأخذ الأمراء والفرسان يوصونني على شراء خيل لهم ، أمام هذه التضحية صرت أتردد على اسطبل الملك ، وازداد احتكاكي بالفرسان والوزراء وأخيرا تشرفت بمقابلة الملك بوقة السالي الذي شكرني على الحصان الهدية وأذن لي بزيارته والتشرف برؤيته في كل آن ، وجرني ذلك إلى التشرف بلقاء الملكة التي طلبت مني عددا من الخيول الأصيلة ، ومع اتصالي بهؤلاء السادة الكبار، وبترددي على قصر الملك ، وقد أعجبته حكاياتي وكلامي ، فأصبحت من علية القوم في أقل من ثلاث سنوات ، وبان لي أيها الأصدقاء الكرام أن الملك مخدوع بزوجته شريكار، وأن علاقة أثيمة بينها وبين جهمار رئيس الحرس ، وتبين لي أنّ بينهما قصة عشق وغرام ، فكان هذا الرجل أكبر من حجمه ، فقررت أن أصل لقلب هذه المرأة اللعوب ، فصرت أرسل لها الهدايا الثمينة من الجواهر والعطور بالخفية ، فما يمضي أسبوع إلا وأرسل لها شيئا جميلا خاتما قلادة إكليلا حتى أصبحنا أصدقاء ، وبدأت تجرؤ وتسمح لي بحضور جلساتها الخاصة مع صديقاتها الأميرات والأمراء ، فتأكد لي أنها امرأة مستهترة غارقة في ملذاتها وشهواتها الحيوانية ، وأن زوجها الملك لا علم له بهذه الأحوال وأنها تخدعه ؛ ولكن كيف سيعرف الملك هذا الأمر الصعب؟! .. اعلموا أيها السادة أنه أصبح بيني وبين هذه المرأة ود ، واعترفت لي بكل وقاحة بهواها لشخصي ، فقلت لها بكل جسارة "وعشيقك جهمار ماذا سيفعل بي إن علم؟! " فقالت بهدوء : لا تخف منه ، فهو ألعوبة في يدي فإن شئت أوردته المهالك أو نفيته إلى آخر بلاد السنجاب ، فقلت : وأنا أتصنع الهلع والولهة : لا أحب القتل أيتها الحبيبة! .. نفيه أفضل حتى يخلو لنا الحب والغرام .

وكان ذلك بعد أيام ، وأنا أريد ذلك لتبدأ بينهما العداوة والبغضاء والشر؛ ولعله يكشف الأمر للملك ، وحصل هذا ، فمن منفاه البعيد أرسل خطابا للملك يطلب منه مراقبة زوجته الخائنة ولم يذكر اسمه ؛ ولكني أنا أوحيت له بذلك ، وقد

عرفت بأمر الرسالة من الملكة اللاهية ، قالت لي: أن أحد حسادها أرسل للملك رسالة يذكر له خيانتي الزوجية له ، والملك حدثها بأمر الرسالة ، فأقسمت له بأنها شريفة عفيفة ، ولا يمكن أن تخون مولاها وسيد نعمتها ، فوجدتها فرصة لأبتعد عنها ، فأظهرت لها الخوف والجزع ، وأنني يجب أن أبتعد عن مجالسها فترة من الوقت ، وكان ذلك ، وهي نفسها أخذت جانب الحذر ، وبدأت تبحث عن الواشي أو الواشية، ولم يخطر ببالها أنه جهار ؛ لأن في ذلك خطر عليه كما قالت ، وهو إنما اقتنع بكشف أمرها للملك لأنه شعر بأنها استبدلته بعاشق آخر ، فرأى أن يتخلص منها وممن حل مكانه .

قال حصرم : وقبل أن أنسى أيها السادة الكرام فقد تأكدت أنها هي التي أمرت بحبس الفتاة صفا عند مجيئنا المدينة أول نهار ، وقد استدرجتها ليلة في الحديث عنها ، فقالت : لا أدري لماذا هذا الشعب يتذكرها ؟! إنها فتاة حقيرة ! لقد عشقت شابا مغمورا ، ورفضت الزواج من أمير فارس ، وغرقت في البحر هي وزوجها ، فقد غضب عليهما الإله وأكلتهما الأسماك ، والعجيب أنه قبل سنوات أتت فتاة تقول إنها الأميرة صفا ، فذكر لي جهار ذلك ، فأمرته بحبسها والتخلص منها ، والأعجب أنها هربت من السجن واختفى أمرها .. فالأمر كما توقعت الأميرة صفا حقد وحسد وغيرة .. والملك بالطبع لم يعرف بأمر الفتاة وحياة ابنته ، ذات يوم أرسلت لي الملكة شريكار ، وعلمت منها أن جهار قائد الحرس المنفي يريد الاجتماع بها في قصرها الخاص لأمر خطير ، واعترفت لي بذلك خشية أن أعرف بالأمر فيتغير حبي لها ونحوها ، فشكرتها على حسن ظنها بي وعلى شجاعتها نحوي ، وعرفت زمن اللقاء فذكرت ذلك لابن الملك الأكبر الأمير "جوري" ، فهو صديقي ، وجرى بيني وبينه حديث صراحة ، وأطلعته على جلية الأمر بالتفصيل ، والتقى بأخته سرا ، فلما أعلمته بالحقيقة كلها وموعد العاشقين ، فكما قال لي: أخذت والدي الملك متخفين بزي جنود إلى قصر الملكة وسمعنا كل كلام شريكار وجهار، وكان غاضب عليها ، ويهدد بفضحها أمام الملك إن لم يعد لقيادة الحرس ويعود العشق والود بينهما ، ويريد أن يعرف منها العشيق الجديد ، وكشف كثيرا من الأسرار القذرة أمام مسمع والدي ، فقال أبي : " هيئ سيفك " واقتحمنا الغرفة وعلى الفور قتلت جهار والمرأة الخائنة ، وغضب الملك غضبا مرعبا ، وأمر بقتل كل الجواري والخدم وحرسها الخاص ، وجرت عملية تطهير مرعبة في كل القصور الملكية ، وما هدأت الأمور إلا بعد شهر من الزمان.

ولما هدأت نفس الملك ، كشف له الأمير جوري عن حياة ابنته صفا والدور الذي لعبته من أجلها ، فتعجب الملك من شهامتي وكرمي ، وفرح بعودة الأميرة الملك وكل الناس ، وشكروني على الجهد والصبر الذي بذلته من أجل الأميرة ، ووهب لي الملك مالا كثيرا ، وعرضوا علي مركزا رفيعا في بلدهم ، واعتذرت لهم وذكرت لهم قصة السيف الثمين سيف الملك برغوش ، وحاولت الفتاة الزواج مني مرة أخرى ، فتأسفت لها وللملك وقلت لهم : إن عدت سالما من بلاد الملك الشمام سآخذ قرارا مهما في شأن الزواج ، وودعتها وودعت أهل السنجاب وقد أودعت أكثر أموالي عند الأمير "جوري "، ورحلت باحثا عن بلاد الملك الشمام ، فقطعت البراري والقفار والأنهار حتى دخلت مدينة يقال لها "ياقوتة" ؛ ولكن قبل أن أدخل قلب المدينة التقيت بعجوز شمطاء تجلس وحيدة عند شجرة عملاقة في السماء فقلت لنـفسي " لابد أنها تستظل من شدة الحر في هذا النهار " ، فألقيت عليها التحية بلساني ومشيرا بيدي ، فما سمعت منها جوابا ، فسألتها عن ماء ، فكذلك لم أسمع جوابا ، فصحت فيها قائلا : يا عجوز السوء .. أخرساء أنت أم لا تحبين الكلام مع الأغراب ؟ وإلى لقاء آخر يا سادتنا! وفي المرة القادمة تسمعون ما جرى لي في بلاد الياقوتة من أعاجيب الدهر ومكر الشياطين في بني الإنسان منذ غابر الأزمان والدهور، فحكايات الناس لا تنتهي ما دامت الحياة الدنيا قائمة، وغرائب الأيام لا نهاية لها ما دامت الحياة مستمرة .

الشجرة العجيبة



قال سلامة أخذت صديقي هانئا ، وانطلقنا على بغلته إلى قصر صاحب هذه القصص السيد حصرم بن سلام ؛ لنسمع منه حكايته مع العجوز الشمطاء في بلاد الياقوتة ، وكعادته رحب بنا ترحيبا كريما ، ولما انتهينا من أكل طيبات الطعام أحضر الغلمان أزكى الشراب المباح والفواكه اللذيذة والحلوى الجميلة الشهية ، وحينئذ حان وقت الاستماع فاعتدل حصرم في جلسته وقال : أيها السادة الكرام! تركتكم عندما ألقيت السلام والتحية على العجوز الشمطاء الجالسة تحت شجرة غليظة الجذوع وعملاقة تمتد في السماء ، ولما سألتها عن ماء ، فلم ترد عليّ صحت فيها ووصفتها بالسوء ، فقالت : يا مسكين أنا لست خرساء ؛ ولكني خائفة عليك من سوء المصير..وكثرة الكلام قد تؤدي بك إلى الهلاك ..

فقلت عدم الرد عليك يدفعك للرحيل عاجلا ، وبما أنك ثرثار وتحب الكلام تعال فاجلس بـقربي لتسمع حكايتي .
فاقتربت منها وجلست بقربها كأني لم أسمع سوء مقالتها ، فقالت : أيها الشاب الغريب إذا كنت شجاعا ومقداما كن معي ، وساعدني على لقاء ابنتي "مي" فاقتل زوجها " راس" ولك كل الأموال الموجودة في بطن الشجرة .
فقلت : يا عجوز .. لم أفهم شيئا فسري الكلام ؟!
قالت: أعرف أنك غبي فلم تفهم شيئا .. فاسمع من البداية لعل النهاية تكون على يديك .. يا ولدي في أعلى الشجرة تجويف إلى أسفلها ، وفي الأعلى حبل مدلى للأسفل .
ثم توقفت قليلا وأخذت نفسا عميقا ثم قالت : النصح لازم ، فيا ولدي إن أتى زوج ابنتي ورأك هنا عدمك الحياة .. فهل تستطيع الدفاع عن نفسك ؟!
فكرت قليلا وقلت لنفسي : يبدو أنّ وراء هذه العجوز قصة كبيرة ، فقلت لها هيا نغير المكان إذا كان جلوسنا تحت ظل هذه الشجرة الفارهة فيه خطر علينا أيتها العجوز المليحة ! .. لنسمع حكايتك مفصلة .
فمشت العجوز وتبعتها حتى ابتعدنا عن الشجرة كثيرا فجلسنا فقالت : هل تستطيع الوقوف معي وتساعدني ؟ .
فابتسمت وقلت : لمَ لا؟! ..إذا استطعت يجب أن أساعدك ، وسوف أفعل من غير تردد أيتها العجوز المليحة .. ما قصة الشجرة وابنتك وزوجها؟!
فعادت تقول بحزن وألم: ابنتي مي فتاة جميلة ، ومحبوبة من كل الناس ؛ ولكن المسكينة حظها سيء وتعيس ، لقد رآها لص كبير ومجرم عتيد فخطفها منذ سنوات لا أعلم عددها ، وهذا الوحش اسمه يرعب الخلق ، ولا أحد يقدر عليه إلا رب العباد يلقب بالصمصام ، وإن تحدث أحد عنه في قوم ولوا مدبرين ؛ ولأنك غريب فتراك تسمع كلامي .. كلام هذه العجوز الحمقاء ولا تعرف أنت الصمصام جيدا ؛ ولكن لعل إنقاذ ابنتي مي على يديك يا غريب .. فمي محبوسة ومسجونة في جوف الشجرة التي كنا نجلس تحتها .. يا ولدي ما اسمك ماذا سماك أهلك لأناديك؟
فقلت من غير شعور وتفكير: حصرم بن سلام ! فهذه أول مرة منذ خرجت من قريتي جمانوسا أصرح باسمي الحقيقي ، أي لم أتخذ اسما آخر ، ذكرتني بأمي وحزنها عفا الله عنها .
فقالت : يا ولدي يا حصرم ! هذا الوحش فجعني بابنتي مي ، وليس لي غيرها في الدنيا ، لا ولد ولا زوج ، ولا أحد يقدر على مساعدتي ورفع الظلم

عني وعن قرة عيني مي .
فكنت أسمع كلامها المكرر ، وأهز رأسي ، وأدرك أن مصيبتها كبيرة ، ثم قالت : في يوم من الأيام الخالية زارتني مي ، والدموع في عينيها، والنحيب في جوفها ، وذكرت لي حالها ، ووصفت لي هذه الشجرة يا سيد حصرم ، فهذا اللص الكبير الصمصام اللعين يسرق أموال الناس هو وعصابته الأربعون بدون رهبة ودون وجل ودون عقاب ، وكل الأموال التي يسرقها ويغتصبها من مدينتنا ومن المدن المجاورة يخفيها في بطن الشجرة ، وله ولعصابته في الجبل قصر ، وكل صباح أول النهار يأتي إلى الشجرة ويصعد عليها وينزل في جوفها إلى ماله وزوجته مي ، ويبقى حتى الظهر ثم ينصرف لرجاله وجرائمه، وقد يغيب عنها الأيام والليالي هكذا قالت لي مي ، ويرسل لها الطعام مع بعض رجاله ..لا أحد يريد أن يسمع هذه القصة مني يا ابني يا حصرم ، لا أحد يصدقني ، فساعدني على إخراج ابنتي من سجن المجرم ، وخذ كل الأموال التي يجمعها اللعين.. فأنا يا سيدي كلما يزداد بي الشوق لابنتي أزور الشجرة لعلي أسمع صوت مي ، لعلي أرى إنسانا يصدقني ويساعدني .. فالله أرسلك لمساعدتي وإنقاذ مي من ذلك الوحش الآدمي فكن معي وساعدني .
بعد هذه الاستغاثة بي وتفكير عميق قلت : أيتها العجوز المعذبة ! أنا ذاهب إلى بلاد الشمام في مهمة ، وعندما أعود سالما من مهمتي سأعود إلى الياقوتة من أجلك ، فادع لي بالعودة سالما .. فعرفيني بيتك . فدلتني على بيتها ، فسألت بعض جيرانها عن عقلها وإدراكها ، فلم يتهمها أحد بالجنون والخبل أو الخرف، وجازفت وسألت عن الصمصام ، فلاحظت أنّ الرعب يرتسم على الوجوه عند ذكره ، فمكثت أياما في بلاد الياقوتة ، وأنا حذر من الوقوع بين يدي عصابة الأربعين ، ثم تابعت مسيري في قطع المدن والقرى والوديان والجبال ، تارة مع القوافل وتارة وحدي إلى أن وصلت لبلاد الشمام برعاية الملك الواحد القهار رب العزة الرحمن الرحيم ثم تفرجت على البلاد والعباد عددا من الأيام ، ثم يممت نحو قصر الملك الشمام صاحب البلاد وطلبت مقابلته لأني أملك جوهرة يرغب بها ملك تلك الديار، فالملك مشهور بين ملوك ذلك الزمان بعشق الجواهر والتحف النادرة ، فما كاد يعرف برغبتي والغاية منها ، حتى فرح ورحب، وأمر بإدخالي عليه على الفور ومن غير تأخير ، ولما سلمت عليه ونظرت في جلسائه كان من أعاجيب القدر أن رأيت غريمي شادور في ديوانه العامر بالرجال .. شادور القبطان القديم الذي فارقته منذ أكثر من عشر سنوات .. فارتبكت قليلا ثم قلت لنفسي " بيننا حساب ..

فهو يبدو لي أنه لم يعرفني لاعتقاده أني مت قديما، وقد بلعتني القرش والحيتان " فرسمت على جبيني ابتسامة خفيفة ، وسمعت الملك يقول : من الضيف وما يحمل لنا ؟!

فقلت : خادمك يا مولاي حصرم بن سلام من بلاد الغرب ، وقد سمعت أنّ مولاي يحب النوادر من المرجان والياقوت والجمان ، فوقع بين يدي سيف جميل تحفة للناظرين ، فعلمت من الركبان رغبة مولانا صاحب الشأن العظيم أن له فيه رغبة ، فجئت به إليك يا أيها الملك الشهام! لعلي أفوز برضى الملك ، وأحقق له رغبته في امتلاك هذا السيف الجميل ، وأنال بعض الجزاء من صاحب الملك السعيد الملك الشهام !.

فابتسم الملك لحسن كلامي وطرب وقال سعيدا : هات ما عندك ؟.

فأخرجت السيف الملفوف بالحرير ، ووضعته بين يدي الملك وأنا أقول :هذا سيف الملك برغوش ملك جزيرة الغراب . وعدت القهقرى حيث كنت .

أخذ الملك المبهور يتفحص السيف وينظر إلى جماله ، وينظر إلى البحار شادور تارة وإليّ تارة أخرى ، وقال : كأنه سيف برغوش الملك القديم ..أيها الرجل من أين أحضرته ؟!

كان شادور يدقق النظر فيّ وقد تلون وجهه ، فقلت مجيبا الملك: يا مولاي .. حصلت عليه من جزيرة الطيور أو الغراب كما يسميها أهلها .

فعاد الملك يقلب السيف والغمد والجواهر التي عليه من جديد ، ثم قال بعد تدقيق نظر : كأنه هو .. كأنه هو !!

فقلت : مولاي ما الأمر ؟! ..إنه سيف الملك برغوش .

فقال الملك : أيها الرجل ! هذا ليس سيف برغوش الحقيقي ، فهو سيف يشبه .

صعقت لكلام الملك وذكرت له قصتي في جزيرة الطيور ، فقال معلقا : يبدو أنهم خدعوك .. خدعك اللصان يا حصرم بن سلام ! وعرفوا أنك لا تعرف سيف برغوش ، وأنت متلهف لسيف، ولا تعرف الصفة الحقيقية للسيف فخدعوك بهذا

فقلت : ربما .. رغم أنني تابعت الحفر معهم للنهاية ؛ ولكن يا ملك هذه البلاد كيف عرفت أنه المقلد ؟! ولم لا يكون هو الحقيقي ؟!

فنهض الملك عن سريره وقال : تريثوا أيها الناس حتى انظر سيف برغوش ، وحتى يتأكد هذا المغامر أنه خدع .. ولسوف أشتري منك هذا السيف ، فهو يحمل بعض الجواهر الجميلة .

ودخل الملك القصر ، وران السكوت التام على القاعة ، فاقتربت من شادور وهمست في أذنه : أنا أحمد الذي ألقيته في البحر.

ففزع الرجل وصرخ : من أحمد ؟!
وأخذ رجال الملك ينظرون إلينا بدهشة وحيرة ، وعاد الملك يحمل سيف الملك برغوش المعتقد أنه الأصلي ، ورفع السيفين أمام الناظرين وهو يهتف قائلا : انظروا أيها الناس تزييف متقن إلى حد كبير ، ولولا أني متأكد أن هذا الشاب لم ير سيف برغوش الحقيقي لقلت إنه محتال كبير ، فالذي صنع هذا السيف لابدّ أنه رأى سيف برغوش .
فحينئذ قلت : شكرا سيدي الملك ! واعتبر هذا السيف هدية مني إليك ، رغم أنه كاد يكلفني حياتي ، فقد تعرضت لغدر القبطان شادور من أجله ، وأفصحت للملك عن الذي أرسلني لجزيرة الطيور ومكثت سنة هناك ، ولما عاد القبطان فرح بحصولي على السيف ، وحاول أخذه مني هو وبحارته ، ولما شعرت بطمعه أخفيت السيف وشددته على فخذي حذرا من غدرهم ولما نمت القوا بي في البحر ، وظللت أعوم حتى وصلت لجزيرة السمكة الحمراء ، ولي أكثر من عشر سنوات أتنقل من بلد لآخر حتى وصلت إليك أيها الملك ، وهكذا كانت النتيجة أنني احمل سيفا مزورا يا قبطان شادور!
عندئذ قال شادور: أعترف يا ملك الدنيا أنني طمعت بالثروة وحدي ، وأغراني الشيطان اللعين بالتخلص من هذا الشاب المغامر ، ولما رميناه في البحر اعتقدنا أننا ملكنا السيف ، ولقد كان ذكيا فطنا عندما احتاط لنفسه ، ولقد قلبنا السفينة رأسا على عقب فلم نجد السيف ، وغرق الرجل وأكلته دواب البحر وغرق السيف معه للأبد ، ولقد رأيت السيف جيدا ومسكته وقلبته فصدف أن تعرفنا على صانع جواهر ماهر لدرجة كبيرة ، فوصفت له سيف الملك برغوش ، فقلده تقليدا متقنا حتى اقتنعت أنا أنه سيف برغوش ، فجئت به يا ملك الدنيا .
فضحك الملك وقال: آه !! ما أطمع بني أدم! على كل لقد أرسلت وراء أمهر صانع جواهر في
بلادنا لينظر في أمر السيفين ؛ ولكنك اعترفت يا شادور قبل أن اكتشف كذبك ، فحسابك قادم يا قبطان شادور ، وأما أنت أيها الشاب المغامر سأعطيك عشرة آلاف درهم التي خسرتها للصوص القبور ، وعشرة أخرى مقابل الجواهر المرصوصة على السيف والغمد ، وعشرة ثالثة هبة مني إليك على أن تحدثنا شيئا من مغامراتك الأخرى ، كل هذا سوى المائة ألف هبة السيف
فرويت لهم حكايتي مع الشيخ عبدون ، ومكث في ضيافة الملك بضعة أيام، ثم ودعته ، وسكنت المدينة بضعة شهور ، ثم رحلت بها أحمل من الهدايا والمال، وقد قررت أن أجعل مغامرتي القادمة في الياقوتة آخر مغامرة ، ومن ثم العودة إلى بغداد

والحياة فيها حتى النهاية ؛ ولكن بعد المرور على جمانوسا وتفقد أختاي ، ولما دخلت الياقوتة وضعت أموالي في مكان أمين ثم استعددت للمعركة مع عصابة الأربعين يا أصدقائي الكرام .



لم أجتمع بالعجوز أم مي ، وبدأت أتردد على مكان الشجرة ، وبينما أنا يوما أتمشى بالقرب منها أمسك بي رجلان ، وسألاني ماذا أفعل هنا ؟ ! فقلت لهم عابر سبيل فضرباني وحذراني من المجيء إلى هذه المنطقة ، فقلت في نـفسي : لابدّ أنهما من عصابة الصمصام ، فانصرفت راكضا وأنا أتظاهر بالضعف والخور ، وزاد يقيني أن العجوز صادقة في قصتها ، فصرت أحمل سيفا قصيرا أخفيه تحت الثياب ومدية قوية ، وتذكرت كلمات العجوز مرة أخرى ، وبعد زمن يزيد عن شهر قررت اقتحام الشجرة ، فرصدت المكان عن بعد ، ولما خرج الصمصام من الغابة المحيطة بالشجرة كما حدثتني العجوز ، فانتظرت إلى الليل ، وتحركت إلى الشجرة ، وصعدت متسلقا جذعها الضخم حتى وصلت إلى ارتفاع عال ، فوجدت فيه فتحة كالنافذة لدخول شخص ، ووجدت الحبل متدليا للأسفل كما قالت العجوز ، فنزلت رويدا رويدا إلى أن أصبحت على الأرض ، وكان الظلام شديدا وحالكا لا يرى المرء اصبعه من شدته ، فوجدت نـفسي في نفق ، ولما أخذت على الظلام لمحت بصيص نور بعيدا عن جوف الشجرة فزحفت في النفق مبتعدا عن جوف الشجرة ، ولقد كنت أسمع دقات قلبي ، وبعد سير مرهق وصلت إلى مكان الضوء المنبعث من تحت باب حجرة تحت الأرض ، وهمست قائلا : يا مي ! يا مي ! .. وكانت تقفت مي خلف الباب وقالت : من .. الصمصام ؟! فقلت : لأ ، أنا صديق ، لا تخافي ، أرسلتني أمك لإنقاذك أمك العجوز .

فتحت الباب فازداد النور ، ورأيت امرأة شابة تقف في عرضه ، وتحمل المصباح في يدها ، فعرفت الفتاة على نفسي ولقائي مع أمها ، وأنني قادم لمساعدتها للخروج من هذا الحبس الرهيب ، فبكت الفتاة بين يدي بكاءً مريرا حتى أبكتني لبكائها ، وذكرت لي قصة عذابها ، عذابها من الصمصام ، ولها أكثر من عشر سنوات تعيش في هذا القبر العجيب ، وكان لغرفتها نافذة صغيرة تطل على واد عميق يدخل منها الهواء وبعض الفضاء ، فتعجبت من حالها وصبرها ، ولما سألتها لماذا لم تحاول الهرب ؟! فقالت : أين المفر؟! ثم قالت : لقد سمح لي هذا المجرم مرة واحدة برؤية

أمي ، وحذرني من الهرب ، وهددني بسفك دم أمي ، فقضيت أياما عندها ، فذكرت لها ما أعانيه من العذاب ومكان الشجرة ، وذكرت لي سوء خلق زوجها الصمصام وصفة مجيئه إليها ، فقلت لها وكلي غضب وهيجان : لابدّ من قتل المجرم غدا إن شاء الله ، وكنت قد رأيت كنوز ذلك المجرم من صناديق المال والذهب والفضة والعقود والسيوف الذهبية المزينة بالجواهر ، ثم رتبت معها الكمين لقتله ؛ ولكنه لم يحضر في النهار التالي فقد خرج في مهمة على ما وضحت مي ، فقد بعث أحد رجاله بالطعام والفواكه ، ولما هبط الرجل القادم طعنته على الفور ، وأخذت ما معه من طعام ، وهنا احترت كيف أتخلص من جثته عندما أخبرتني مي أنّ هذه الجثة ليست لزوجها ؟! فربطته بحبل وسحبته لأعلى الشجرة وألقيت جثته في الغابة لأثير القلق والتوتر في رجال العصابة ، وفي الليل سمعت رجالا بالقرب من الشجرة وقد وجدوا جثة صاحبهم ، وهم يتسألون عمن تجرأ على قتله ؟! .

وفي صباح النهار التالي هبط الصمصام جوف الشجرة ، وهو يزمجر ويصيح : مي .. مي ولما استقر على الأرض ، كان خنجري يغمد في صدره ، فخار كما يخور الحيوان الذبيح ، وقلت لمي سأرميه من نافذة غرفتك في الواد العميق لتأكله السباع والكلاب ، وعملت من صناديق الأموال درجا وألقيته لوحوش البراري ، وهكذا خلصت الياقوتة من الصمصام وانتهى أمره ، وقلت لمي علينا أن نبقى هنا بضعة أيام ، فكلما جاء أحدهم صرعته وقذفته من الشباك على الوادي ، وفي الليل سمعنا حركة في جوف الشجرة ، فذهبت مي وقالت للقادم : الزعيم متعب ويأمرك أن تحضر غدا واجلب معك طعام لمدة أسبوع فالصمصام يريد الاستراحة ، فصدق الرجل على الفور وانصرف ، ثم عاد صباحا وهو يحمل سلال الطعام ، فقالت له مي : انزل يريد الزعيم الحديث معك ، هل جاء معك أحد ؟

رد اللص : معي روجا ، ونزل واستلمت مي منه السلال وتقدمته في النفق ، ثم فاجأته بطعنة مدية أوردته المهالك ، ولحقت جثته بجثة صاحبه ، فسمعت على أثر ذلك زئير الوحوش في الوادي كأنها تتصارع على من يبدأ الأكل من جثته ، وبعد قليل سمعنا صوتا ينادي في أعلى الشجرة فذهبت وقالت: روجا اهبط الزعيم مريض وغاضب ، فنزل من غير تفكير ولا تردد وما كادت قدماه تلامس الأرض حتى خر صريعا ، وألقى للحيوانات الجائعة ، فقلت : أربعة يا مي كم بقي منهم ؟

ردت قائلة : سبعة وثلاثون .

وفي اليوم التالي هرع للمكان جملة من الرجال ، وصعدوا معا للفتحة في أعلى الشجرة ، ولما سمعوا صوت مي قالوا : ما الأمر يا زوجة الزعيم ؟!
فقالت : الزعيم مريض وأرسل روجا وصاحبه لجلب دواء له من عند أحد الكهنة
فقال أحدهم: لم يحضر روجا أو صاحبه إلينا.
فقالت : قد يكونا ذهبا إلى الكاهن من دون المرور عليكم ..كم أنتم ؟
قال أحدهم : نحن خمسة ، هل يريد الزعيم منا شيئا ؟
ردت : انتظروا حتى أساله .. فها هو يصيح عليّ ، فقلت لها فلينزلوا للزعيم واحدا واحدا فهو يريد الحديث معهم .
فاقتربت من جوف الشجرة وقالت: انزلوا واحدا تلو الواحد ، الزعيم يريد الحديث معكم ، فلما نزل الأول ودخل النفق طعنته في صدره ، وقد وضعت يدي على فمه حتى لا يرتفع صوته وكما هو معروف أن الرجل المنتقل من الضوء للظلام الدامس يحتاج بضع دقائق ليرى جيدا في الظلام ، وقامت مي بسحب الميت إلى حجرتها ، وكان الثاني قد دخل النفق فلقي مصير صاحبه وفلتت منه صيحة؛ ولكنها خفيفة ، فقلت رافعا صوتي : لعلك تعثرت موهما النازل أني الرجل الأول ، وكان الثالث قد نزل إلى الأرض ، وقال : لمَ الصراخ ؟! ولكنه ما كاد يصل للنفق حتى لحقت روحه بصاحبيه ، ثم قتلت الرابع والخامس ، ثم قمت بقذفهم لواد الوحوش ، وما انتهيت منهم حتى أصابني وهن شديد ، لقد كانت ملحمة ، فقامت مي بغسل وجهي وسقي الماء ، وقدمت لي طعاما مما أحضره رجال العصابة ، وزاد صوت الضواري في الوادي لتصارعها على جثث المجرمين ، وامتلأ المكان من نزف دماء العصابة ، واستمر رجال العصابة يتوافدون على مخزن الزعيم سبعة أيام بلياليها حتى تمكنت من الفتك بالأربعين مجرما وزعيمهم ، وخرجنا من السجن ونحن كالغربان وإلى بيت العجوز التي فرحت فرحا كاد يهلكها ، فأخذت بتقبيل مي تارة وتقبيلي تارة ثانية ، فلقد كانت لا تصدق أنها سترى ميا مرة أخرى في حياتها، وطلبت منهما كتم أمر هلاك العصابة حتى أرجع إليهما ، وانطلقت إلى قصر حاكم الياقوتة ، ولما قابلته رويت له قصة مصرع الصمصام وعصابته ، وبعد جهد جهيد صدق كلامي ، فطلبت منه قوة من العسكر لمداهمة قصر الصمصام في الجبل وتطهيره من المجرمين ، وبعد أن رأى سرا بقايا جثث رجال العصابة في الوادي ارتفع الخوف عنه بعض الشيء وأعطاني سبعة رجال ، وهم غير مصدقين بمصرع الصمصام ، ويظنون أنها حيلة لتوريطهم مع الصمصام ،

واقتحمت القصر وقتلنا ما فيه من كلاب الحراسة ، فلم نجد فيه إلا نساء وأطفال رجال العصابة ، وانتشر الخبر في الياقوتة ، وخرج الناس كلهم عن بكرة أبيهم يهدمون قصر الصمصام ، ويرون الرجل الذي صرعهم ، وعمت الأفراح في الياقوتة ، والمدن والقرى المجاورة عندما وصلتها الأخبار كانوا يهرعون إلى قصر حاكم الياقوتة ليتأكدوا من الخبر ، ويسمعون القصة من فمي ، ويذهبون للوادي حيث بقايا الجثث والعظام ليزدادوا اطمئنانا ، وأصبحت في نظر الناس بطلا خرافيا ، ويزورون ميا لسماع القصة منها مرة أخرى ، وبدأ الرعب يخرج من النفوس رويدا رويدا ، وقد وهبني الحاكم كل ما وجدته في قصره من مال وخيل وما في جوف الشجرة ، فوضعت ما وجدناه في القصر في ميدان واسع في المدينة ، وذهبنا للغابة وقام الحطابون بحرق الشجرة المرعبة ولما سقطت على الأرض ظهر النفق السري ، وحفر الحفارون ثم دخلنا بالمشاعل والمصابيح حيث الكنوز ، ونقلت الكنوز إلى الميدان الواسع ، وأمام الملك طلبت من المنادين أن يدعو الناس الذين فقدوا شيئا أن يأخذوه من كنوز الصمصام ، وبعد شهر قلت لحاكم الياقوتة خذ ما شئت من كنز الصمصام وكان الحاكم لما تأكد له مصرع العصابة قد منحي كل كنوزه ؛ ولكني أحببت أن أعيد للناس ما سرق منهم ؛ ولكن تبين أن أكثره مسروق من بلاد أخرى ، فتقدم الملك للكنز وتناول بعض المجوهرات والسيوف المرصعة بالجواهر ثم قال : هذه الأشياء للذكرى ، فأنت وحدك تستحق هذا المال ، فلنا أكثر من ثلاثين سنة نعيش تحت رعب هؤلاء الطغاة ، والمفروض أن نعطيك من مالنا الخاص جزاء تخليصك لنا من شرهم وظلمهم .

وما أنهى الحاكم كلامه حتى تقدم تجار المدينة الكبار ـ وهم يحملون أكياس المال والثياب يستأذنون الملك في هدايتها لي ـ فسر الملك سرورا عظيما، وأذن لهم في ذلك ، فقبلت هديتهم ووهبت نصفها ونصف أموال الصمصام لأهل المدينة، وطلبت من الحاكم تزويجي ميا ، وكم فرحت الفتاة بي وكذلك أمها ! واحتفل أهل المدينة بزواجي من مي ، وقد مهرها السلطان المهر عني ، ومكثت عندهم سنة واحدة ،

ثم يممت على الرحيل إلى بغداد ، كما عاهدت نفسي وأنا في بلاد الملك الشمام . جهزت نفسي وزوجتي ميا وأمها ، ولحقت بقافلة متجهة لبلاد السنجاب حيث أموالي عند الأمير جوري ، فاعلموا أيها الأصدقاء أنّ هذا الأحداث التي رويتها لكم استغرقت من السنين ما يقرب من ثلاثين عاما ، فجهزت مائة بغل بغلمانها، وتحركت

مع القافلة الكبيرة المتجه لبلاد السنجاب وما حولها من المدن الكبيرة ، وبعد مسير طويل وجدت الأميرة صفا في انتظاري ـ وكنت قد حدثت ميا عنها ـ فتزوجتها عن رغبة ورضا منها ، ومكثت في ضيافة الملك بوقة السالي ، وبعد شهور قضيتها عندهم حملت الأحمال وهدايا الملك وثياب الأميرة ، وزودني الملك بسرية من الفرسان إلى بغداد ، وبرفقة القوافل ومن بلد لبلد وصلنا لبغداد البلد العظيمة عاصمة الملوك من بني العباس رحمهم الله ، وبحثت عن بيت كبير يليق بمقامي وجهادي في هذه الدنيا ، فوجدت ضيعة الوزير بهاء الدين أحمد قد عرضها الورثة للبيع بثمن عال ، فاشتريتها منهم حسب شهوتهم ، وها نحن نسكن فيها أيها السادة الكرام ، ثم تزود جنود الملك بوقة بما في بغداد من الخيرات والهدايا ورحلوا لديارهم ، وبعد الاستراحة والاستقرار ومعرفة بغداد وأهلها سررت بها غاية السرور ، وتركت أهلي بضعة شهور وسافرت إلى سلهوب ، فلقد تركت فيها بعض الأموال عند صاحبي رباب ، وكم كان اللقاء بعد طول غياب جميلا ورائعا ! وزرت الصاحب حسنا ، وعلمت منه أنه قتل مغنيته القاتلة ، ورويت لهم قصتي واستقراري في بغدان مدينة السلام ، وأنني تبت للرحمن ، وهجرت الخمر والميسر والخلاعة بكل أشكالها وألوانها ، وأنني استعد للحج بزوجاتي الاثنتين ، ثم ودعتهما ، ورحلت لجمانوسا قريتي الأولى باحثا عن أختاي بعد كل هذا الزمان ؛ ولكن فقد وجدتهما مفارقتين للدنيا فبكيت على قبريهما، وتصدقت على فقراء القرية من أجل روحيهما، وأكرمت ذريتهما غاية الإكرام ، وحفرت بئرا وسبلتها لأهل القرية ، وأخبرت الناس أنني نزيل بغداد فمن زارني سيجد عندي بمشيئة الرحمن غاية الوفادة والإكرام ، وعدت لبغداد ثانية فوجدت زوجتاي في قلق كبير عليّ ، فحدثتهما بما فعلت، وهدأت النفوس ، والتم الشمل من جديد ، ثم رحلنا لمكة من أجل فريضة الله الحج الأكبر، وزرنا مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم عدنا لقصرنا في سلام وأمان إلى أن كان يوم ذا شجون وعذاب ، لقد كنت في ضيافة أحد الأصحاب في وسط بغداد العظيمة نتسامر بقصص الحياة والدنيا عندما دهمنا رجال الوالي واتهموننا بالتآمر على السلطان ، ومكثت في السجن بضعة شهور وأيام إلى أن جاءت البراءة من رب البرية فحنن قلب السلطان علينا ، وأنا رجل لا مطمع لي في السياسة والحكم ، واسكن في ضواحي بغداد دار السلام ، فبعد العفو خرجت مع نسائي صوب مصر وبلاد النيل ، ووكلت بقصري الغلمان تحت اشراف أحد السادة الكبار وعشت بتلك البلاد والديار

سنوات ، وحالها في تلك الأوقات لا يسر البال ، ثورة على الوالي فلان أو مصرع الوالي فلان ، والظلم فيها منتشر مع عدم استقرار الحكم ، وقد جرت لي قصة فيها لا بأس من اضافتها يا أستاذ سلامة ، فقد جرت لي فيها قصة طريفة .

ذات ليلة عدت للبيت متأخرا قليلا ، فوجدت البيت لا شيء فيه قد سرقه اللصوص ، فأخبرت رجال الشرطة بذلك ، فوعدني الوالي خيرا وبمتابعة الأمر، فاشتريت فراشا ومتاعا جديدا ، ومرة أخرى تأخرت في السهر عند أحد الأصدقاء ، ولما عدت مع زوجتيّ للبيت ، وجدت البيت نظيفا مسروقا ، فأخبرت شرطة الوالي مرة أخرى فوعدوني خيرا وبمتابعة الأمر فاشتريت أثاثا جديدا ، وبعد زمن حضرت زواجا لأحد الأصدقاء ، ولما عدنا لبيتنا وجدنا البيت مسروقا مرة ثالثة ، فأخبرت الوالي ورجاله فوعدوني خيرا ، كلما أتأخر في السهر لسبب ومعي أهلي أجد البيت خاويا ، فقلت لنفسي لابد أن يكون هذا أمرا مرتبا ومحكما ، فرتب لي بعض الأصدقاء لقاء مع السلطان ، وأثناء صلاته في مسجده الكبير قصصت عليه أمري وتهاون شرطته في البحث عن السارق ، فاستدعى الوالي وكلفه بالقبض على السارق بأسرع وقت .

طال الانتظار ولم يقبض على المعتدي ، وأنا خلال هذه الفترة لم أتأخر في السهر ليلة واحدة ، وذات ليلة كنت وزوجتيّ عند إحدى الأسر الصديقة ، وتأخرنا يا قوم بالعودة ، ولما دخلنا منزلنا وجدناه نظيفا مما فيه من المتاع ، فعندئذ صممت أن أمسك اللص بنفسي ، فاشتريت أثاثا جديدا ، ولما دعيت لسهرة اتفقت مع زوجتيّ أن أترك السهرة فجأة بحجة ما وقلت لهما: لا تخافا سوف أعود إليكن، ونفذت هذه الخطة ، فأثناء السهرة تحججت برغبتي بقضاء حاجتي ورجعت للبيت هرولة وسعيا واختبأت فيه ، وكم كانت المفاجأة قاسية عندما وجدت أنّ الذي يسرقني صاحبي الذي يدعوني لهذه السهرات عنده وعند الأصدقاء ! والله لقد كنت ألحظ تغيبه أثناء السهرة أو الحفلة ، ولم يدخل في بالي خيانته ، فشكوته لشرطة الوالي فحبسوه أياما ، وتركوه قبل أن يعيد لي حقي ، فرفعت أمره للوالي ؛ فإذا هو صاحبه فلم أحصل على شيء ، فلما رأيت الظلم متفشيا ، ولا أحد يهتم بمصالح الناس ، والأمور لا تسير على ما يرام ، والعدل مفقود عدت لبغداد عدت للهدوء والراحة ؛ ولكن للأسف ذلك لم يطل أيها السادة ، والشر ما زال كامنا في نفوس البشر ، والشيطان لا يموت ، فكنت أركب قارورة مائية (مركب بحري صغير) في ليلة مقمرة مع صاحب بغدادي ، والملاح يغني لنا وهو يجدف في مجاديفه ، والسهر

في الليل والصيف في بغداد جميل ومثير ، فكيف مع ضوء البدر ؟! ولما اقتربنا من أحد الجسور على الدجلة سمعنا صرخة امرأة تطلب النجدة ، فنظرنا حيث الصوت ؛ فإذا امرأة تقف على حافة الدجلة تصيح وخلفها رجلان فألقت نفسها في الماء وكنا قريبين منها فجدفنا نحوها وانتشلناها من الماء ، وقام صاحبنا الملاح بمعالجتها ، وأخذت أنا وصاحبي بالتجديف مبتعدين بالمرأة عن الشابين اللذين يصرخان ويأمراننا بالتوقف ، وابتعدنا عنهما كثيرا ، وفاقت صاحبتنا البغدادية فنظرت إلينا ثم قالت : هل ابتعدنا عن هؤلاء الأشرار ؟؟

فقال صاحبي العراقـي : لا تخافي يا أمة الله ، فهل تسمعينا حكايتك ؟ لعلنا نستطيع مساعدتك ونرفع أمرهما للوالي .

فقالت : كيف تساعدانني منهما ؟! أحدهما أخي والأخر ابن عم لي يريدني حليلة ، وأنا لا أريد فهو رجل سوء صاحب شراب و فجور ، وأنا أحيا عند أخي وزوجته التي ترغب بالتخلص مني ليبقى بيت الوالدين الميتين لها ولزوجها ، وأخي يريد تزويجي لهذا الرجل الفاجر، وهذه الليلة أحضر أخي وابن عمي معهما شاهدان لعقد نكاحي ، فرفضت ، فقاما بضربي فهربت فتبعانني ، ولما رأيت النهر ألقيت نفسي فيه ، فاخترت الموت على الزواج من ابن عمي ، فسخركما الله لإنقاذي ، بارك الله فيكما ! فخذوني جارية لديكم ، ولا تردوني لأخي ، وبعد تفكير وتقليب للأمر بيني وبين صاحبي البغدادي اقترح عليّ أن أتزوجها ، فعرض الأمر عليها فوافقت، وتكفل صاحبي البغدادي بترتيب الشأن مع أخيها ؛ فإن لم يوافق سيزوجني إياها عن طريق القاضي مباشرة ، وأمام إغراء المال وافق الأخ ورد ابن عمه ، وتزوجتها على شرع الله وهدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي الآن عندي، ووهبني الله تعالى منها ولدا عاش أشهرا ، ثم مات إلى رحمة الله الواسعة ، والحمد لله على كل حال ، فعندي ثلاث زوجات من ثلاث بلدات بفضل الله تعالى ، وأيضا لديّ صحة وعافية بفضل من الله تعالى ، وأما ذرية فلا ، فهذه قصتي يا سلامة من المبتدأ إلى المنتهى ، فاكتبها كتابة مقبولة فهي تسلية للقلوب في ساعات الملل والضجر، وقد يجد بها بعض البشر فوائد وعبرا .

فرد سلامة : إي والله! إنها لقصص مشوقة يا سيد حصرم ، فلحظات البؤس مع لحظات السعادة .. لحظات الفقر مع لحظات الغنى .. ساعة في البحر وساعة في البر، وساعة أخرى تحت الأرض .. فإنها لذكريات جميلة تستحق التدوين ، بعد أيام ـ إن شاء ربي ـ ستكون هذه القصة مكتوبة كما سمعتها

منك، لم انقص منها حرفا ، ولم أزده أيضا ، فما أنا إلا ناسخ لم سمعت وحفظت ، والآن حان وآن وقت الانصراف .

فضحك حصرم وقال : ليس بدٌ من المبيت ، فتباشير الفجر ظاهرة ، نصلي للباري ، ثم ننام ، فهذه آخر سهرة .

فضحكنا وقلنا : لا ، يا سيد حصرم ! لن تكون آخر سهرة ، لقد صرنا أصحابا وأصدقاء إلا أن تطردنا .

فابتسم وقال : يا سادة ما أجمل لقاء الأصدقاء ! إذا كان لغير دنيا وهوى ، لقد عاشرت أقواما هنا وهناك ، فكانت تربطنا الأموال والحرام ..فلتربطنا معكم الصداقة والحلال ومحبة الرحمن .

فابتسمنا وقلنا : نرجو ذلك يا ابن سلام .. يا أخانا الكبير ! وندعو لك بالخير والسلام من الله السلام

قال سلامة : عشت وكبرت ، وظللت أتردد على صاحبي حصرم بن سلام ، وقد شاب شعره وأصبح شيخا كبيرا ، وعاش حتى شاهد زوجته ميا وهي تموت، ومنذ عرفته أيها السادة الكرام وجدته طيب النفس كريما يعطي بسخاء يعشق الخير ويساعد الضعفاء ، ومرضت إحدى زوجتيه ، وأنفق عليها دون ملل وكلل ، وما زال يبذل الغالي والرخيص كما يقولون حتى هجمه الموت ، حزنت عليه جداً ، وتألمت لفراقه رغم فارق السن بيننا ، وقمت بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه والتصدق عنه، وكنت وصيه على زوجتيه الأميرة صفا والمرأة البغدادية ، فحملني حملا ثقيلا، وقدر استطاعتي الضعيفة قمت بالواجب الملقى على عاتقي ، فهذه أيها الأصدقاء مغامرات وسيرة الصديق حصرم بن سلام نزيل مدينة السلام.

تمت بفضل الله مغامرات حصرم

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي ٦

الدكتور هنري

هنري تيدي جوليانز جراح مهم في قسم الولادة في المستشفى العام ، وهو من أصول فرنسية ، فهو كندي أصيل كما نقول ، لما عملت زهيرة كطبيبة نساء وتوليد وفي عيادات طب الأسرة ، التقت به بحكم الوظيفة ، وكان بينه وبين سامر معرفة سطحية بحكم عملهم في مستشفى واحد ومع عمل زهيرة في نفس المستشفى ازدادت المعرفة ، وتعرفوا على زوجته العاملة في المستشفى الطبيبة جنفياف بوكر ، كندية ومن جذور فرنسية مثل هنري ، فتعمقت المعرفة والصحبة ، وصار بينهم تبادل الزيارات والتهنئة بالأعياد الإسلامية والنصرانية والوطنية الكندية ، ولهنري بنت واحدة مادلين ، عند طلاق زهيرة كانت تدخل سنتها الأولى في الجامعة وكلا الزوجين من أتباع المذهب

الكاثوليكي ، المذهب الذي يتبع كنيسة روما .
وهذا الرجل كغيره من الغربيين مغرم بزيارة الشرق كمصر والعراق وسوريا وإيران وفلسطين فلهم جولات سياحية في الإجازات إلى تلك البلاد ، كان في بعضها يرافق زوجته وأحيانا كثيرة وحده وللرجل اهتمامات بالصحافة وثقافة الشعوب ، فهو يكتب في الصحف الكندية والأمريكية خاصة صحف نيويورك وواشنطن ، والمجلات العلمية والطبية .
كاشفت زهيرة الطبيبة جنفياف بوكر موريسن بكلام زوجها ورغبته بالزواج منها فقالت لها : ليتك تفعلين ذلك ! هنري أصبح مملا وعجوزا لا يصلح للنساء ، ولكنه كاثوليكي من الصعب أن يغير دينه .. وهو منذ أيام سامر يرغب فيك كزوجة ، ويحلم بالاقتران بك ، حدثني عن ذلك صراحة .. فالرجل يشتهيك منذ عهد بعيد ، لا تتألمي من صراحتي .. فقد تمناك أمامي أكثر مرة زاعما أنه يحلم بالزواج من امرأة عربية ، فأقول له أكثر العربيات مسلمات ، ولا يتزوجن المسيحيين، فيقول أكفر بديني وأعتنق دينها .. وقد فرح بطلاقك من سامر ، وربما كان أفرح الناس بذلك .. هو طبعا يجعل اعترافه مزحا ومغيظا لي ونوعا من الفكاهة .
كانت زهيرة تسمع هذا الكلام المفاجئ ، وتتعجب منه ومن صحته ، فلم يحاول هنري رغم سنوات عملهما معا مغازلتها وإثارتها ، مع أنه كان أحيانا يتلفظ بألفاظ فاحشة ، لكن ليس أمامها وحدها ، بل أمام عدد من العاملين ذكورا وإناثا .
لذلك تساءلت زهيرة في نفسها هل هذه المرأة صادقة لصراحتي معها أم مقهورة غاضبة ؟! أنا كنت أظنه مازحا معي مشفقا .. يشتهيني اللعين .. هذه هي نتيجة الاختلاط بالرجال واستمرت جنفياف تكشف عورات زوجها حتى ملت زهيرة ، وغادرتها لمكان عملها في المستشفى ، فلما جلست ترك هنري السماعة وقال وهو يتركها : فضحتني جنفياف أمامك لم تبق عليّ سترا .
ـ أكانت تتكلم معك ؟
ـ نعم ، هل هذه امرأة ؟!
ـ كيف تزوجتها يا هنري ؟!
ـ هي بالطبع ليست أول امرأة في حياتي ، أنا صاحبت الإناث منذ سن المراهقة ، وهذا عندنا أمر طبيعي ، ليس كالشرق عندكم .. هنا في هذا المستشفى التقيت بها ، ولما تزوجتها طبعا لم تكن عذراء ، فهذا غير مهم عندنا ، فالعذرية عيب .
ـ أسمع عن ذلك
ـ تعارفنا يا مدام زهيرة ، وعشنا مدة سنة كأزواج ، ولما حملت بمادلين عقدنا الزواج ، لم نحب أن تلد طفلتنا غير شرعية ولو شكلا ، ولما ولدتها وعملنا

فحص DNA استمر الزواج ، فالبنت مني أنا ، وأنا أعرف أصدقاءها ، لا تظني أني مغفل ، وأنا نفسي لي عشيقات وصديقات ، فالخيانة الزوجية أمر مباح بيننا .. ربما لو تزوجت شرقية قد يحدث الاستقرار لديّ .. فكري بعرضي عليك إلا إذا ما زلت تحنين لزوجك الأول ، فالشرقيات عندهن مثل هذا الهاجس ، تترمل المرأة صغيرة وتظل طول عمرها أرملة بحجة الأولاد ، وإذا وافقتي على زواجنا سأطلق امرأتي ، وهي لا تمانع ، ستفرح بذلك وقد ترقص سعادة وتحتفل، فهي تعتبرني عجوزا ، ثم أشهر إسلامي في المركز الإسلامي في عاصمة كندا أوتاوا ، ونتزوج على طريق الشرقيين ، وسنقضي شهر العسل في أي مكان تختارينه من العالم .

ـ عندي مشاكل في الجهاز التناسلي ، فأنا غير صالحة للحمل والولادة .

ـ ليس مهما ، بل أحسن ، أنا أبحث عن الاستقرار النفسي ، والاطمئنان عندما أنام أن لا يدخل رجل بيتي ، وينام في حضن امرأتي على مسمع ومرأى مني ، يعاشر زوجتي وأنا مطروح كالدابة بالله عليك أن تفكري جيدا .

ـ ألا تزعل جنفياف مني ؟

ـ ستشكرك أنك خلصتيها مني ، ومن بعض الغيرة التي تبدو مني .

ـ معقول !

فصار هنري كلما يلتقي بزهيرة في العمل والمكاتب أن يكون حديثه حول الزواج والطلاق ، ويسألها ملحا هل فكرت بأمرنا ؟ إني أبحث حقيقة عن الدفء العائلي والاستقرار العاطفي والأمان على شرفي

فتبتسم له زهيرة : صدق أنني أفكر جديا بما تردد ، وإنما عاداتكم تختلف كثيرا عن عاداتنا وطباعنا يا دكتور هنري ، وأنت نفسك اعترفت لي بتكرار خيانتك الزوجية .. فأنا لا أطيق هذا الوضع كما تقبله جنفياف ؛ لأنني لا أسمح لنفسي بالخيانة لأغيظ زوجي والمعاملة بالمثل .. وليس المهم يا دكتور الذهاب للمركز الإسلامي وإشهار إسلامك ، فالإسلام التزام حق ، وليس كما ترى الكثير من المسلمين هنا أو حتى في بلاد الإسلام .. سكر وخمر وزنا وفجور .. فهؤلاء مسلمون بالاسم والله أعلم ..

وبعد صمت عميق من هنري تابعت زهيرة قائلة : هل تستطيع يا هنري أن تبتعد عن الخمرة والنساء ؟ ستقول ها هم المسلمون يسكرون ويزنون .. هل كل النصارى يمارسون الدين والطقوس النصرانية ؟ قد يكون من أتباع لينين وماركس والناس تعده من النصارى .. عندما نقرأ في ملف بلاد أو مدينة سكانها كاثوليك إنجيليون

أقلية مسلمة نظامها الحكم الشيوعي .. كم عدد هؤلاء الشيوعيين ؟ هذه كوبيك فيها أحزاب ، وأحدها يطالب بالانفصال والعودة لدولة مستقلة تابعة لفرنسا الأم .. فأرى أن نبقى أصدقاء .. فالإسلام يا دكتور ليس ورقة واعتراف من الجامع بأنك مسلم .

ـ قد أصير مسلما حقيقيا على يديك .

عاودها الابتسام قائلة : عندما تصير مسلما حقيقيا ؛ لعلي أقبل بك زوجا بلا تردد .. اقرأ عن الإسلام ، وتعرف عليه بصورة حقيقة ، ولا تتعرف على الإسلام من الناس ، كان معي في الجامعة مبعوثون من بلاد إسلامية ، لا يعرفون شيئا عن الإسلام .. تعلموا في مدارس علمانية لا تعلم شيئا عن الدين ، ولا أظن أنهم مسلمون إلا بالاسم .

فقال هنري بضيق : عقدت الأمور يا زهيرة !

فردت زهيرة : اسمع إذا كانت عقدتك الزواج من عربية فحسب ، فيمكنني أن أسعى لك بذلك ، فهنا أسر عربية مهاجرة من سوريا ولبنان والعراق ومصر ولا يعترضون على مثل هذا الزواج .

ـ أنا رغبت فيك أنت .. ولي صديقات من مثل هذه الأسر ، وقضينا ساعات وشهوات ، وهم مثل بنات الأمة الكندية .. فيك شيء يجذبني إليك .. رغم أنك لست بالحسناء التي يتغزل بها الشعراء .. لا تغضبي .

ـ أنت تدفعني لأرحل من هنا ، وأغير مكان عملي

ـ أرجوك ألا تفعلي ، سأفكر بالإسلام الذي تتحدثين عنه .. لنبق أصدقاء كما كنا .. ستسمعين قريبا خبر طلاقي ، قد تحدثنا في الأمر ولم تعترض وقالت الأمر سيان عندي يا هنري! .. أرأيت أنها غير متمسكة بي درجة واحدة ؟!.. فلها عشاقها !

ـ أكثر العاملات هنا متخذات أصدقاء .. زواجهم (بوي فرند) كما تسمونه شركاء المنزل .. كل هذا حتى لا يتحمل الرجل النفقة على المرأة وعلى أولاده.

ـ ولماذا ينفق عليها وهي تعمل معه ومثله ؟! هل تقضي وقتها في البيت وترعى أولاده ؟.. ويلجأ الناس لهذا الزواج أو العلاقة حتى لا يتقاسما الثروة عند الانفصال والطلاق القانوني ، ولا يرثا بعضهما .. فعند الخصام والشقاق يذهب كل في طريقه ، ويبحث له عن أنثى جديدة، وهي تفعل مثله .. وإذا كانت لديها شقة فستجد الذكر سريعا .

ـ وهل هذا زواج ؟!

ـ يسمى زواجا ، وما هو بزواج .. هو وقت لقضاء الشهوة مثل الكثير من الحيوانات .. هو شبيه بالزواج .. ظاهره أن المرأة لرجل واحد ، وكذلك الرجل له امرأة واحدة .. وهناك من يبغضونه وأمامهم دور البغاء ، وحانات الدعارة والمومسات .

بعد حين لم يكن طويلا سمعت زهيرة انتشار نبأ طلاق هنري مدير قسم جراحة النساء في المستشفى العام بالمدينة من زوجته جنفياف موريسون ، ومغادرته إلى الولايات المتحدة في إجازة فلما التقت زهيرة بجنفياف سألتها عن صحة الخبر ، فأكدت الدكتورة جنفياف صحته ، وقالت: أنا منذ زمن بعيد طلبت الانفصال ، بعد ولادة مادلين بخمس أو ست سنوات ؛ لأننا تزوجنا قانونا بسبب حملي بمادلين ، فلم يحب هنري أن تلد ابنته ابنة غير شرعية ، مع أن هذا ليس مهما في بلادنا .. لا تظني أنك سبب طلاقنا ، فنحن زوجان بالاسم ، فهو له صديقاته ، ولي أصدقائي .. الحمد لله انتهيت من هذه القضية .. وأنتما متى ستتزوجان ؟

ـ نتزوج ؟! لن نتزوج يا جنفياف ، الحياة معه لن تكون سهلة حتى لو أشهر إسلامه كما زعم فطباعنا نحن الشرقيين غير طباعكم أنتم الغربيون .. زواج لو حصل لا أعتقد دوامه .. أنا لا أحتمل أن أراه مع عشيقته أو خليلته.. فسأبقى بغير زواج .. خير لي ذلك .. وعملي كما ترين يستغرق وقتي تفاجأت المرأة بذلك الجواب فعقبت تقول : أنا ظننت أنه أسرع بالطلاق ليتزوجك بعد إشهار إسلامه .

ـ تحدثنا عن ذلك الزواج والرغبة بالإسلام ، ولكنني قلت له الإسلام ليس مجرد كلمة وانتهى الأمر والموضوع .. الإسلام تحقيق والتزام بمقتضى ومراد تلك الكلمة .. وهؤلاء المسلمون الذين يعيشون هنا لا يمثلون الإسلام الحقيقي .. رأيت مساجد في بعض المناطق الكندية لا أظن أنها تستخدم إلا أيام الجمع والأعياد الدينية .. لا أدري كيف بنيت وهي مهجورة ؟



ـ قد تكون بنيت في ظروف معينة ، وانتقل المهاجرون والوافدون لضاحية أو مقاطعة أخرى والغريب يا زهيرة أن هنري بعدما كمل الطلاق سافر إلى الولايات المتحدة .

ـ لماذا ؟!

ـ لم يقل لي شيئا .. قال اهتمي بمادلين ومصروفها وعندما أعود سأدفع لك .

فقالت زهيرة : في الأيام الأخيرة قبل سفره المفاجئ ، كان الرجل يكثر من الصمت والتفكير والبحلقة فيّ ؛ كأنه يسعى لغور وسبر أعماقي .. فقلت لنفسي ماذا أصاب الدكتور هنري؟! وأخذ يتملص من مرضاه ، ويحولهم لي أو لزميلنا إدوارد

ـ المهم بالنسبة لي يا دكتورة زهيرة أنني أخذت

حريتي ، وارتحت من غمزه ، فكلما يعلم أنني سهرت مع صديق أو زميل أو قضيت ليلة خارج شقتنا ، فلما يراني فيقول من صاحب الحظ السعيد الذي قضيت ليلتك بين ذراعيه ؟ ؛ كأنه نظيف شريف .. وبعد لحظة صمت تابعت : هو له صديق مهم في نيويورك ، زارنا عدة مرات ، وأعتقد أنه طبيب مثلنا ، التقيا في رحلة سياحية وتصاحبا بعد تلك الرحلة ، ويتزاوران ، فعندما يذهب أمريكا يلتقي به ، والآخر عندما يأتي هنا يجتمعان ، وصاحبه هذه يحب الرياضة ومشاهدة مباريات كرة السلة سواء في مونتريال أو نيويورك وحتى لوس أنجلوس .. وقد عمل هنري فترة من حياته معالجا لإحدى فرق السلة في الولايات المتحدة .. ، فقد تكون هناك بطولة عالمية أو محلية فذهب لمتابعتها بعد تحرره من قيد الزواج .. وهنري محب لعمله كما تعلمين ، ويمارسه بإخلاص مع أنه قد يبدو للعاملين معه كأنه يلعب .. فإجازته كما فهمت شهرا وقابلة للتمديد ؛ لعله ذهب لمشاهدة تلك البطولة ولهنري كما تعلمين شركة في نيويورك مع عم له .. وقد سمعته قبل شهر ـ أتذكر ذلك الآن ـ يقول إن عمه مريض ويفكر بزيارته وعمه من سكان تلك المدينة .

تبسمت زهيرة لها ـ فهي فعلا قد سمعته يتحدث عن تلك الشركة أكثر من مرة ـ ثم قالت : عندما يعود سالما نعرف سبب هذه الرحلة السريعة بعد الطلاق الذي لوح به من شهور .

ضحكت جنفياف وقالت : شهور ، لا ، بل من سنين ، منذ تزوجنا .. فهنري حقيقة أنه طبيب جيد ، وللأسف لا يصلح للحياة الزوجية المستقرة .. وغير ناضج للمعاشرة الزوجية .. مبارك عليك يا زهيرة .

ـ عليّ ! هو نصراني

ـ سيسلم إذا قبلت به .. الزواج حاجة بشرية

ـ لما يسلم فسوف نفكر .

***

كان السيد حميد أبو محمد قد تعلق بجماعة التبليغ الإسلامية الهندية المنشأ ، وكما هو معروف تاريخيا بعد سقوط آخر دولة خلافة إسلامية ١٩٢٤ ، بدأت تنشط وتكبر الجماعات الإسلامية في دول العالم الإسلامي ، وأخذت الجمعيات الدينية تزداد وتنتشر .

فنحن وجدنا صدى كبيرا لتلك الجماعات والجمعيات وارتداداتها في العالم الإسلامي .. كانت بلدان المشرق العربي داخل كيان واحد ، فأمست دولا شتى ، سواء في الشام والعراق والجزيرة العربية .

والتاريخ يذكر أن الشام أصبح بعد سقوط الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ أربع

دول ، سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الأردن لأنها شرق نهر الأردن . ومن الجماعات التي نشطت في بلادنا العربية أو بعضها بعد حرب حزيران ١٩٦٧ جماعة التبليغ ذات الجذور الهندية ، ثم الباكستانية بعد انقسام الهند كالشام لعدة دويلات بعد الحرب الكونية الثانية ١٩٤٥.

ووجدت هذه الجماعة قبولا بين المسلمين في بلاد الشام ، وربما أنشطها حركة ودعوة فرعهم الأردني ، فتكّون لهم مركز مهم في الأردن .

وهذا الجماعة مرحب بها على المستوى الرسمي والشعبي في بعض الدول العربية ، فسمح لها بالنشاط في المساجد شمالا وجنوبا ، لأنهم يبتعدون عن السياسة والاقتصاد والحكم والاحتجاجات والصحافة ، ولا هدف لهم إلا دعوة الناس للتوبة والصلاة في المساجد جماعة ، والخروج معهم في جولات بين الأحياء والمناطق والمدن بما يطلقون عليه الخروج في سبيل الله .

ومعظم نشاطهم الدعوي بعد صلاة العصر ، ثم يجلسون في المساجد بعد أداء صلاة المغرب لبيان الصفات الستة التي يدعون إليها الناس المصلين ولهم جولات محلية لأعضاء منهم يسكنون في حي واحد أو أحياء متقاربة أو شارع كبير أو مدينة صغيرة ، وهذا الاجتماع يسمونه جولة مقامية ؛ لأنهم يتجولون حيث سكناهم وبيوتهم ، يدربون أنفسهم، ويُقوون إيمانهم كما يدعون ، وتكون الجولة المقامية مرة واحدة في الأسبوع ، وبعد صلاة المغرب يلقي أحدهم موعظة على رواد المسجد الذي تجولوا حوله ، وهناك جولة انتقالية ؛ لانتقالهم إلى حي آخر لدعوة الناس لصلاة المغرب جماعة وسماع الدرس الديني حول الدعوة والصفات الستة المشهورة بينهم ، وعندهم ترتيبات للخروج لمناطق بعيدة عن مساكنهم تكون بترتيب من المركز الرئيسي للجماعة ، فيخرجون في الشهر ثلاثة أيام ، وفي السنة أربعون يوما ، وفي العمر أربعة أشهر ، لكن خارج البلد إلى دولة يوجهون لها ، واليوم لهم مراكز كثيرة منتشرة حول العالم حتى العالم الغربي وأمريكا اللاتينية .

التقى حميد بهم ابتداء في مسجد الحي المقيم فيه ، وجلس يستمع لدروسهم ومواعظهم ، ثم أصبح يشاركهم جولاتهم في الحي خاصة يوم الجمعة ؛ لأنه هو اليوم الذي يتوقف فيه عن العمل ، ورغم أن السبت عطلة رسمية في بعض البلاد العربية وبعضها الأحد ، فكان هذا يعتبر فقط للموظفين الحكوميين والمؤسسات الكبيرة ، أما أصحاب المهن والحرف لهم عطلة الجمعة فقط ، وقد تعمقت علاقة حميد مع رجال الدعوة كما يسمون أحيانا .. ويسمون بالأحباب ، أسماء تتردد ولكنها لجماعة واحدة ، ثم التحق مع الوقت

بالجماعة ، فصار يشاركهم في الخروج ثلاثة أيام في الشهر ، ويذهب لمركزهم الرئيس في أطراف العاصمة .

ولما تأت جماعة منهم للحي فكان يشاركهم الاعتكاف ليلا بعد تركه شغله مساء ، ويكرمهم بالطعام وما يسمى بالإكرام ، وقد أطلق حميد لحيته بعد حين من الالتزام معهم وبمبادئهم ، ويلبس القميص الطويل (الدشداشة) ، وتوقف نشاطه معهم داخل البلاد فحسب ، وكان صديقا ومحبا لهم رغم وجود جماعات وتيارات إسلامية أخرى في ذلك الوقت ، لكن الأمر الذي لم يتيسر له برفقتهم هو الخروج لمدة أربعين يوما ، والخروج الخارجي الأربعة أشهر .

ولكل جماعة أو حزب عادة محبون ومبغضون ، فالمبغضون يتربصون العيوب والآفات ، ويضخمونها للتشويش على الحزب والجماعة ، والتشكيك بمبادئها وغاياتها ، وهذا الوصف موجود أيضا في الفرق والأحزاب التي تعمل للإسلام .

يعود تأسيس جماعة التبليغ والدعوة كما هو مشهور إلى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، ولد في كاندهلة ، قرية من قرى سهارنفور بالهند ، ومركزها في دلهي ، ويذكر أن الجماعة تأسست ١٩٢٦ م وقيل ١٩١٩ م حيث كان مؤسسها محمد إلياس أول أمير لها حتى وفاته ، ثم خلفه ابنه محمد يوسف حتى وفاته عام ١٩٦٥ م ، ثم الشيخ محمد إنعام الحسن ١٩٩٥ ، وهذه الجماعة معدودة ومحسوبة على أهل السنة والجماعة.

انتشرت الجماعة سريعا في الهند ، ثم في باكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي ، وبعد ذلك انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم، ولها جهود في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا .

وهم يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد ، فرداً فرداً، فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً ، وأن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً ؛ إذ يحس بأنه قدوة وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه ، فالخروج عندهم ليس هدفا ؛ ولكنه وسيلة لتعلم اليقين وزيادة الإيمان ؛ ولتعلم أصول الدعوة وآدابها.

وهم يبتعدون بقوة ظاهرة كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية والسياسية اتقاء الجدال والانقسام والعداوة والبغضاء، ولا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض فيها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي ترك السياسة .

لهذه الجماعة الدينية أصول للعمل تعارفوا عليها وتوافقوا على تطبيقها في مجال الدعوة في الحضر

والسفر ، ولم يكتبوها في كتب خاصة ؛ ولكنهم تواصوا بها وتوارثوها جيلا بعد جيل ؛ وكأنها مكتوبة ومدونة والعمل عليها ؛ وتقوم على ما يلي : إذا خرجوا للدعوة أمّروا عليهم أحدهم داخل الحي أو خارجه ، فليس لديهم مناصب محددة ؛ ولا وظائف دائمة ، تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما ، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً ، وما يكفيه من الزاد ، والقليل من المال على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.. وعندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها وخرجوا إليها ينظمون أنفسهم ؛ أولاً بحيث يقوم بعضهم بالخدمة ، وبتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه ، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت ، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة أو البيان كما يسمونه ، وإذا حان موعد البيان وعادة يكون بعد صلاة المغرب التقوا جميعاً لسماعه ، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله ، وبعد صلاة الفجر وبعد موعظة الفجر يقسّمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضا من قصار السور حلقات حلقات ، ويكررون ذلك عدداً من الأيام ، وقبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس على الخروج معهم للتبليغ والدعوة ، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً ، كل بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه ، والجماعة تحدّد طريقة لترتيب الخروج أن يكون ثلاثة أيام في الشهر ، وأربعين يوماً في السنة ، وأربعة أشهر في العمر على الأقل ، وهذا لتسهيل عملية السفر والتنقل ، وهي ليست بشرط لازم ، بل يمكن أن تكون المدد أقل أو أكثر ، لا ينزلون ضيوفا على أحد ، ويقيمون في المساجد لا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات ، بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر والحضر ، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على أخيه ، وهم يتعاونون ويكرمون بعضهم البعض ، يعتمدون بصفة كبيرة على قيام الليل في طريقتهم في الدعوة ، والتضرع والبكاء بين يدي الله حتى يهدي الله من دعوهم في النهار ، فهم يُعرفون بقيامهم الليل ، وأنه ركيزة في الدين.

هذه مرتكزات هذه الجماعة ، وبيانهم ومواعظهم تدور حول ما يسمونه الصفات الستة التي سيأتي ذكرها في ثنايا القصة ، واعلم أن جماعة الدعوة نشأت بالهند في عهد الاستعمار الإنجليزي لتلك البلاد العظيمة ، قد يكون هذا السبب الذي دفعهم لتحوير معنى الجهاد الإسلامي للخروج في سبيل الله ، فهي حركة سلمية مسالمة تبتعد كثيرا عن السياسة ، ومشاكل الأمم والشعوب ، وتختلف

بذلك عن جماعة الإخوان المسلمون التي ظهرت بمصر بعدها بسنوات قليلة والتي خاضت غمار السياسة لما اشتد عودها ، وانتشر فكرها ومبادؤها ، وشاركت بالمجالس النيابية والحكومات في أقطار شتى .

وللتاريخ والثقافة قاد الجماعة بعد الشيخ محمد الياس الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ١٩١٧ ـ ١٩٦٥ م ، وهو ابن الشيخ محمد إلياس وخليفته من بعده ، ولد في دهلي ، تنقل كثيراً في طلب العلم أولاً ، وفي نشر الدعوة ثانياً ، زار السعودية عدة مرات حاجاً ، والباكستان بشطريها ، كانت وفاته في لاهور ، نقل جثمانه بعدها ليدفن بجانب والده في نظام الدين بدهلي ، حيث مركز الجماعة الأول وحيث قبور الآباء والأجداد .

بويع بعده الشيخ إنعام الحسن وهو قريب للشيخ محمد الياس المؤسس ، وعديل الشيخ محمد يوسف ، وهو الأمير الثالث للجماعة إذ تولاها بعد وفاة الشيخ محمد يوسف ، كان صديقاً للشيخ محمد يوسف في دراسته ورحلاته فهما متقاربان في السن متماثلان في الحركة والدعوة .

قرر المؤسس لهذه الجماعة ستة مبادئ جعلها أساس دعوته ، وتسمى الصفات الستة بين أنصار الحركة ، ويحصرون الحديث فيها في مؤتمراتهم وبياناتهم العامة ، ويدندنون حولها وهي الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، إقامة الصلوات ذات الخشوع والخضوع ، العلم والذكر إكرام المسلمين ، النية والإخلاص واليقين ، الخروج في سبيل الله أي الدعوة .

ويرون بأن التقليد في المذاهب واجب ، ويمنعون الاجتهاد معللين ذلك بأن شروط المجتهد الذي يحق له الاجتهاد مفقودة في علماء هذا الزمان. متأثرون بالطرق الصوفية المنتشرة في بلاد الهند ، وعليه فإنه تنطبق عليهم جملة من الأمور التي يتصف بها المتصوفة من مثل : لابد لكل مريد من شيخ يبايعه ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية ، وكثيراً ما تتم البيعة للشيخ في مكان عام ، تُنشر على الناس أردية واسعة مربوط بعضها ببعض مرددين البيعة بشكل جماعي ، ويُفعل ذلك في جمع غفير من النساء كذلك.

ولديهم المبالغة في حب الشيخ ، والمغالاة كذلك في حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يخرجهم في بعض الأحيان عن الأدب الذي يجب التزامه حيال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . إقامة المنامات مقام الحقائق حتى تكون هذه المنامات قاعدة تبنى عليها أمور تترك أثرها على مسيرة الدعوة ، يعتقدون أن التصوف هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان في القلوب ، وهذا شائع في العجم منهم

تقوم طريقتهم على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي ، وقد استطاعوا أن يجذبوا إلى رحاب الإيمان كثيراً من الذين انغمسوا في الملذات والآثام وحوّلوهم إلى العبادة والذكر والتلاوة . ومن المعروف والمشهور أنهم لا يتكلمون في السياسة ، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض في مشاكلها وهمومها ، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي أن تترك السياسة ولعلّ هذه النقطة هي جوهر الخلاف بينهم وبين الجماعة الإسلامية الباكستانية التي ترى ضرورة التصدي لأعداء الإسلام في القارة الهندية.

الكمال لله وحده كما نقول ، وذكر السلبيات يدفع لإزالتها أو التخفيف من آثارها ، ومما أخذه عليهم الآخرون أنهم لا يهتمون ببيان ونشر عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعهم ؛ بل يكتفون بالعموميات التي لا تغني في دين الله شيئًا ، كذلك لا يُنكرون الشركيات والبدع التي تعج بها بلاد المسلمين ؛ لاسيما الهند والباكستان حيث منشأ الجماعة . وإنهم يتوسعون توسعاً أفقياً عدديا لا نوعيًّا ؛ إذ أن تحقيق التفوق النوعي يحتاج إلى رعاية ومتابعة ، وهذا ما تفتقده هذه الدعوة ، ذلك لأن الشخص الذي يدعونه اليوم قد لا يلتقون به مرة أخرى، وقد يعود إلى ما كان عليه تحت تأثير مغريات الحياة وفتنتها ؛ ولذلك فإن تأثيرهم لا يدوم طويلاً أمام التيار المادي الجارف ؛ إذ لا بد لمن غرس غرسة أن يتعاهدها.

ويأخذ عليهم خصومهم أنهم لا يضمهم تنظيم واحد متسلسل ، بل هناك صلات بين الأفراد وبين الدعاة تقوم على التفاهم والمودة ، ويؤولون أحاديث الجهاد على الخروج مما يكاد ينسي فريضة الجهاد في سبيل الله الحقيقية ، ويتساهلون كثيراً في رواية الأحاديث الضعيفة مع الإكثار من ذكر الكرامات التي تحصل لأتباعهم ولغيرهم من الصالحين.

يلجأون إلى النوم والأكل في المساجد تقليلاً للنفقة ، وينتقدهم البعض لهذا المسلك، وبخاصة في البلاد الأجنبية ، ولكن هذا المسلك لا يعيبهم طالما أنهم لا يغادرون المساجد إلا بعد أن تكون أكثر نظافة وأحسن ترتيباً.

ولذا لا يكفي عملهم لإقامة أحكام الإسلام في حياة الناس ، ولا يكفي لمواجهة التيارات الفكرية المعادية للإسلام التي تجند كافة طاقاتها لحرب الإسلام والمسلمين ، ولا ينكر أن أسلوبهم البسيط يترك أثره بشكل واضح على رواد المساجد من المسلمين ، أما أولئك الذين يحملون أفكاراً وإيديولوجيات معينة فإن تأثيرهم عليهم يكاد يكون معدوماً.

ومع ذلك أخي القارئ ينبغي أن لا يُغفل ما لهم من

جهود وحماس وحركة مثيرة للإعجاب لهذا الدين ، فقد دخل على أيديهم خلق كثير إلى الإسلام في جميع قارات العالم ، وترك آخرون من المسلمين على أيديهم سبل الغواية والرذيلة ، بل استطاعوا أن يخترقوا قبل غيرهم الستار الحديدي الذي فرضته الشيوعية على بعض البلاد كالقوقاز .

قبل العودة لإبطال الرواية نذكر الجذور الفكرية والعقائدية لهذه الجماعة لتكمل الصورة المرجوة عنهم للقارئ الطيب .

فاعلم أنها جماعة إسلامية ، عقيدة مؤسسيها وكبار علمائها ودعاتها في شبه القارة الهندية هي نفس عقيدة الماتريدية ، على أن مذهبهم الفقهي هو المذهب الحنفي.. وهو مذهب القارة الهندية وتلك الأمصار ، تأثروا بالمتصوفة من مثل الطريقة الجشتية في الهند ، ويقيمون اعتباراً خاصاً لأعلام المتصوفة في التربية والتوجيه ، هناك من يعتقد بأنهم قد أخذوا أفكارهم عن جماعة النور في تركيا (أتباع النورسي بديع الزمان) ، ولا أظن أن هذا صحيحا ، إنما جاءت طريقتهم بالتدرج من جولاتهم الشائعة في نظام الملك دلهي ومناطقها .

يعتمدون في اجتماعاتهم ومحاضراتهم في البلاد العربية على القراءة من كتاب رياض الصالحين وكتاب حياة الصحابة للكاندهلوي ، وفي البلاد الأعجمية على القراءة من كتاب تبليغي نصاب وهو كتاب مليء بالخرافات والأحاديث الضعيفة.

ويطالبهم العلماء بالإقلاع عن اللجوء إلى كتابة التمائم المملوءة بالطلاسم ، وترك الأوراد والأذكار البدعية ، والاعتماد على الرؤى والأحلام كمصدر من مصادر الاستدلال والاهتمام بالعلم الشرعي وبخاصة علم التوحيد .

بدأت دعوتهم في الهند، وانتشرت في الباكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي حيث صار لهم أتباع في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والحجاز ، وانتشرت دعوتهم في معظم بلدان العالم في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، ولهم جهود مشهود لها في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

مركزهم الرئيسي في نظام الدين بدهلي ، ومنه يديرون شئون الدعوة في العالم ، التمويل المالي يعتمدون فيه على الدعاة أنفسهم، وهناك تبرعات متفرقة غير منظمة تأتي من بعض الأثرياء مباشرة أو بابتعاث الدعاة على حسابهم الخاص.

إن جماعة التبليغ هي إحدى الجماعات الإسلامية السنية ، وتعتبر سندًا عاطفيًّا واجتماعيًّا لمسلمي شبه القارة الهندية، وهي رمز من رموز الدعوة إلى الله في أوروبا والأمريكيتين ، وتقوم الدعوة عند هذه الجماعة، على أساس الكلمة الطيبة والخشوع

في الصلاة والعلم والذكر وإكرام المسلمين والإخلاص والخروج في سبيل الدعوة ، ويمتاز دعاتها بالزهد، ولكنهم يعتقدون أن التصوف (بمفهومه القائم) هو أقرب الطرق لاستشعار حلاوة الإيمان ، مع ملاحظة ما عليها من مؤاخذات سبق التنبيه على بعضها ، نتمنى من عقلاء الجماعة تداركها ؛ ليحسن عملهم ويتوافق مع الكتاب والسنة .

انتقل الثقل ثقل الجماعة بعد انفصال الباكستان عن الهند إلى كراتشي بباكستان ، وقد تمددت الحركة إلى جميع قارات العالم وبلدانهم ، وللجماعة أمير كبير ، وفي كل دولة للجماعة رئيس معنوي ، وفي كل مدينة مندوب للتعاون والتنسيق في توزيع الجماعات على المساجد في الأحياء والدول تسمح لهم بالنشاط الدعوي لم عرف وشاع عن سلميتهم وبعدهم عن السياسة ، ولهم شبه بحركة التنصير العالمية في نشر المذاهب النصرانية ، ولهم أكثر من اجتماع سنوي ، يحضره مناصرون من أنحاء العالم ، ولهم اجتماعات أسبوعية ليلة الجمعة خاصة في المراكز الكبيرة .

تعرف حميد نبيل على الجماعة عن طريق مسجد الحي جامع الراشدون ، وأخذ أفراد الجماعة يترددون على محله لتصليح سيارتهم ؛ لأنه صديقهم ، وهو متسامح معهم بحكم الصداقة والجيرة لبعضهم ، وهم من باب الأخوة يرون التصليح عنده أولى ، فذات نهار كان حميد يصلح سيارة لأحد شيوخ الجماعة والزملاء ، فمر عليه ميلاد كما يفعل في بعض الأيام ، ورأى عنده جماعة منهم فقال متهكما : هل عندك اجتماع للمشايخ يا أبا محمد ؟ وضحك ، وضحك حميد والشيوخ ، فقال حميد : أهلا بابن العم ميلاد ، هؤلاء أصدقاء الدنيا والآخرة بمشيئة الله ، والتفت حميد لأحدهم وقال : يا شيخ حسن محمد هذا ابن عمي ومن سني ، لليوم يرفض الزواج لأنه أحب امرأة قبل عشرين سنة ..

ما رأيكم أن تجتهدوا عليه ؛ لعل الله يهديه على أيدكم الطاهرة .

فقال ميلاد متضايقا ومتأففا : أرجوكم لا تجتهدوا عليّ .. لي ديني ولكم دينكم .

فقال حسن : ألست مسلما ؟ فرد: بلى، أنا مسلم .. هل تراني يهوديا ؟

ضحك الجميع وتابع ميلاد : ولكني لن أمشي معكم للجامع ولن أصلي

ـ لماذا ؟ من أجل امرأة تخسر آخرتك.. ومن أجل امرأة تخسر الزواج وتهجره .. ألم تفكر بالنار يوما ؟ وماذا جنيت من حبك المزعوم؟

فقال ميلاد : ما هذه الورطة يا عم حميد مع هؤلاء الشيوخ !

فقال حميد : المشايخ بركة الدنيا .. يريدون مساعدتك للخروج من ذكريات الماضي الأليم .. للخروج معهم يوما واحدا في سبيل الله لعلك تتغير

وأخذوا يتحدثون عن النار والعذاب ، وأن الخاسر الحقيقي هو الذي يخسر الجنة ، ويخسر الحور العين ، ولم يكفوا عنه حتى وعدهم بمرافقتهم إلى مسجد تنزل فيه إحدى الجماعات، وبين لهم أنه جنب ، ولا يعرف الطهارة ، فأكدوا له أن سيتعلم الغسل من الجنابة ، ووعدهم بالتوبة .

ودلهم حميد على بيته ومحله في السوق ، فصاروا يترددون عليه بين الفينة والفينة حتى استطاعوا أن يجروه للمساجد ، ويستمع لمحاضراتهم ومواعظهم .. فارتاح الشاب لمصاحبتهم ، وبعد حين أخبر ابن عمه حميد بأنه يفكر بالخروج معهم أربعين يوما ، فسر حميد للخبر وشجعه على فعل ذلك ، ورتب له خروجا مع الشيخ حسن محمد ، وخلال الخروج ترك الرجل لحيته ، وقد تمكن خلالها من ترك الخمر ، وقلص من عدد السجائر التي يدخنها ، وبالطبع ترك الدعارة بسبب توبته وتنقله بين القرى والأرياف ، وأخذ يفكر بالإسلام بشكل آخر ، وبشكل جديد ، مما أسعد كل من حوله وعرفه ، وتمنوا له الخير من أم وأخ وقريب ، وعندئذ أدرك الوهم الذي كان يعيش فيه ، فأخذ يتأثر بالقوم تأثرا كبيرا ، وبدا يتخيل نفسه داعيا كبيرا من دعاة الدعوة عندما يشاهد الشيوخ والرجال القادمين من كل بلاد الدنيا ليتعلموا الدعوة والصبر وقيام الليل ثم ينطلقون لكل بقاع الدنيا ، وقد سمع قصص شباب الدعوة وما كانوا فيه من زيغ وانحراف وكيف حفظوا القرآن أو سورا كثيرة منه ؟ وكلما سمع ذلك يرتفع الحماس في قلبه.. فقد وصلت الدعوة والجماعة إلى أوروبا وأمريكا وروسيا .. وكان يسمع عن اجتماع يحضره الملايين من أنصار الدعوة في باكستان وبنغلاديش.. فيتحمس للخروج أربعة أشهر لتلك البلاد ، وحضور مثل هذه الاجتماعات الحاشدة والتي بدورها تدفع وتشكل آلاف المجموعات والجماعات للخروج والانتشار في بقاع الأرض .

فلما يسمع ذلك يلتهب قلبه شوقا للخروج الخارجي ، فأخذ يستيقظ من سباته ووهمه وجهله فأخذ يتعلم قراءة القرآن وتلاوته ، ولم تكد تمضي عليه سنتان معهم حتى أصبح شيخا مثلهم ، يقف أمامهم يحدثهم عن الصفات الستة ، ويدعوهم للخروج في سبيل الله ومناصرة الدعوة .. وتفاجأ الأقارب بمشيخته ، ومن الانقلاب الذي حدث له ، وعجبوا أكثر عندما علموا بسفرته لباكستان وبنغلاديش لحضور مؤتمرات الجماعة السنوية ،

وقضى أربعة أشهر يدعو في تلك البلاد يدعو العصاة للتوبة والعودة للإسلام .

ولما رأى حميد صلاح ابن عمه وتوبته أعاد الشراكة التي كانت بينهم ، وظل يشجعه على الخروج الطويل ما دامت نفسه ارتاحت إليه .



لاهور ودكا

قد يكون الشيخ حميد أكثر الناس سرورا بتوبة ميلاد ، وعودته إلى حظيرة الإسلام الصالح ، حتى أنه سمع بعضهم يطلبون منه أن يخفف من تشدده نحو العصاة ، وأن ينكر المنكر بلطف ورفق ؛ فلذلك كان حميد كلما جاءه ميلاد من رحلة دعوة أو خروج في سبيل الله ـ كما يسميه هؤلاء القوم ـ يرغبه بالنكاح والاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال من رغب عن سنتي فليس مني فيرد ميلاد : سوف أتزوج ، أريد أن أشبع من الدين ومن الندم .. قاتل الله الجهل !.. أنا أرغب بالزواج تأسيا بالحبيب ﷺ ؛ ولكني في عطش وجوع للتوبة والدين ، لا أريد امرأة تشغلني عن السفر والدعوة إلى الله ، والسياحة في أرض الله .

ويأخذ ميلاد الذي ولد من جديد يسرد على مسامع حميد قصص الناس الذين رآهم والتقاهم في الهند والباكستان وشرق أفريقيا .. فقد خرج للصومال رغم وطيس الحرب ـ فقد ألم بها حرب أهلية وصراع قبائل ـ فيستمتع حميد بقصص التائبين والناس ، وقد اعتاد على صنع وليمة خاصة لميلاد وبعض المشايخ كلما رجع ميلاد من رحلة خارج البلد أو خرج أربعين يوما داخل البلد وكان ميلاد يلبي الدعوة ، وكذلك الشيخ حسن محمد وغيرهم من شيوخ الحي حي الشيخ حميد.

وكان المشايخ مسرورين من انتقال ميلاد من حياة الفجور إلى حياة أهل السعادة والخير ، ويرجون أن يختم لهم بحسن الخاتمة ، والموت على التوبة والإسلام ، وقد ماتت أم ميلاد وهي سعيدة بتوبة ابنها ، وكانت تودع الدنيا وهي تقول كان مناي أن أرى أولادك يا قرة العين وماتت وهي راضية عنه ، وهي تدعو له بالثبات بعد أن صار مرتادا للمساجد بدلا من الخمارات

وأصبح الرجل مثلا للناس في الحي ، وتروى سيرته الفاسدة والحسنة ، فلم يكن أحد يظن أن ميلادا الذي مات ووالده عليه غاضبا ناقما مطرودا أن يتحول إلى المساجد ، فقد كان الشيطان الرجيم في الحي ، فهو من ملهى لآخر ، ومن فسق إلى فسق

؛ ولكن القلوب بين يدي الرحمن الرحيم يقلبها كيف شاء ، فصار اليوم بين الجولات والمساجد ، فحتى حميد شريكه من جديد لم يعد يطالبه بالعمل والدوام ، ويقول له يكفينا دعاؤك يا شيخ ميلاد ، ولتعلق ميلاد بالخروج رتب لحميد راتبا شهريا يتقاضاه نهاية كل شهر ، ويتقاسمان الأرباح بالسوية ، فرضي حميد لقسم ميلاد على هذا الاتفاق ، ولتهديده بفسخ الشراكة إن يوافق حميد فوافق .

وفجأة اهتز العالم لحادث رهيب ، فقد تعرضت أقوى دولة عسكرية في العالم الحديث لاعتداء عجيب وغريب وغامض ، فقد أصاب الولايات المتحدة الأمريكية ضربة قاسية موجعة ، فقد ضرب البنتاغون مقر وزارة الدفاع بطائرة مدنية مخطوفة ، وتعرض برجي نيويورك للتدمير بطائرتين أمريكيتين مدنيتين ، فانهارا انهيارا كاملا ، وزعموا أن ذلك من منظمة إسلامية متشددة سموها القاعدة ورأسها المدبر في أفغانستان .

وقع ذلك الحادث الغريب في الحادي عشر من سبتمبر أيلول عام ٢٠٠١ ، وقد بث الحادث مباشرة على فضائيات العالم التي غمرت سموات المدن منذ عقد من الزمان ، وعلى أثر هذا الحادث الرهيب الذي حمل للإسلاميين ، ثم أضيف للمتشددين الإرهابيين غزت الولايات المتحدة وحلفاؤها بلاد الأفغان في أواخر العام نفسه ، وأصبح الحديث عن الإرهاب العالمي ذا شجون ، وشددت الإجراءات الأمنية مجددا على المطارات ، ورحلات الطائرات ، وعلى الموانئ والحدود البرية والبحرية والجوية .. واستمرت جماعة التبليغ الهندية في نشاطها وتحركها في أقطار العالم رغم ما وجه لها من إشاعات وشبهات ، والجماعة لم تتأثر بشيء ؛ وكأن الأمر لا يعنيها ، واستمر الخروج والتنقل ، وكأن لم يحدث في العالم زلزال أمريكا .. بل زاد نشاطهم في عقر أمريكا نفسها ، وسمعنا تهافت الناس على الإسلام ومعرفة الإسلام ، وسمعنا أن المكتبات نفق ما فيها من تراجم لمعاني القرآن الكريم .

ورغم الإعاقات التي وضعتها بعض الدول لمنعهم من الدخول إليها ، تدفق دخولهم ونشاطهم وزادت مراكزهم الدعوية في أمريكا اللاتينية والإفريقية ، ومع إغلاق مؤسسات مالية إسلامية وإغاثية استمر الغيث ينهمر .

تعقد جماعة التبليغ والدعوة مؤتمرات سنوية لأعضائها ومناصريها، فهناك اجتماع سنوي في مدينة رايوند قرب لاهور ، وآخر يعقد في دكا في مطلع السنة الهجرية من كل عام ، يجتمع الدعاة في اجتماع عام لسماع المحاضرات والدروس ، ثم يبدأ توزيع التشكيلات أي المجموعات الدعوية داخليا وخارجيا ، ولهم اجتماع سنوي مهم في

جيبوتي شرق أفريقيا ، وآخر في اليمن ونحوه في الأردن ، فكان السيد ميلاد محبا لحضور هذه الاجتماعات في باكستان وبنغلاديش لكثرة ما يسمع عنها من مشايخ التبليغ .. وقبل أن نروي ما جرى للسيد ميلاد في تلك الديار نقرأ باختصار وصف أحد العلماء لتلك الاجتماعات .

ويعرف هذا التجمع الذي تنظمه جماعة التبليغ والدعوة منذ ستينيات القرن الماضي بـبيسوا ليتيما حيث يتجمع الملايين من المسلمين في بنغلاديش في ضاحية تونغي قرب ضفاف نهر توراج على بعد نحو عشرين كيلومترا جنوبي العاصمة دكا، يتدارسون القرآن الكريم ويستمعون لعلماء الدين . ولا يسمح فيه بأي مناقشات سياسية .. وينتهي التجمع بالدعاء وصلاة جماعية عادة ما يحضرها كبار رجال الدولة في بنغلاديش.



وصف أحد الشيوخ الرحلة قائلا : فواصلنا سفرنا إلى كراتشي (مقاطعة باكستانية)، فأخذنا نغط في نومنا ولم نشعر إلا حين أعلن أننا على مقربة من مطار كراتشي فاستيقظنا ، فحمدنا الله تعالى على الوصول بالسلامة ، فدخلنا مدينة كراتشي قبيل صلاة الفجر ، فصلينا الفجر في منزلنا في الفندق . وبعد أن استرحنا زمنًا كافياً للراحة بعد صلاة الفجر ، تبادلنا الرأي بالنسبة للسفر إلى (لاهور) قبل السفر إلى (دكا) كما هو المقرر .. فقضينا يوم الأربعاء في محل الحجز إلى دكا ليوم الخميس، ولكننا علمنا أن السفر إلى دكا عاصمة (بنغلاديش) لا يتم إلا يوم الجمعة بالنسبة لمن لم يسافر يوم الثلاثاء والذي وصلنا فيه إلى كراتشي ، هما رحلتان فقط ، رحلة لطائرة باكستانية يوم الثلاثاء ، ورحلة لطائرة بنغلاديش يوم الجمعة لا ثالثة لهما .

فحجزنا في طائرة يوم الجمعة فسافرنا فيها بعد صلاة العشاء بإذن الله، وصلنا مطار (دكا) في وقت متأخر من الليل ، والمسافة بين مطار (كراتشي) ومطار (دكا) تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة ، وكان في استقبالنا نحن وجميع الذين وصلوا معنا لحضور اللقاء لجنة مرابطة بالمطار لاستقبال الوافدين ، ومعهم عدد من الأشخاص الذين بيننا وبينهم معرفة سابقة من السودانيين وبعض الباكستانيين، فقاموا بجميع إجراءات المطار ، وللوافدين لحضور الاجتماع إجراء خاص ، حيث أنهم لا يفتشون بل لا تفتح شنطهم ؛ وإنما تكتفي بالإشارة عليها

بالتباشير الملون فقط ، بينما يفتّش غيرهم تفتيشاً دقيقاً ، ثم نقلونا إلى مسجد لهم بجوار المطار ليوزعوا الضيوف من هناك على منازلهم في المخيم المهّيأ لهم بجوار مقرّ الاجتماع ، فتم توزيعنا قبل صلاة الفجر ؛ بل هجعنا قليلاً قبل الأذان ثم أذن فصلينا في ذلك المسجد القريب وهو عبارة عن صالون كبير أقيم على مساحة من الأرض تقدّر بـ (كيلو ونصف في كيلو) ليّسع لآلاف من الناس ، ويصلي العدد الكبير الذي قدروه بما يقارب المليون خلف إمام واحد دون استخدام مكبّر الصوت ، بل يُكتفى بعدد كبير من المبّلغين موزّعين في المسجد على أماكن مرتفعة حيث يسمع كل مصلٍ مهما بعد مكانه عن الإمام صوت المبلغ فيّتبع الإمام ولست أدري ما السبب في عدم استخدام مكبر الصوت في الصلاة ؟! علماً أنهم كانوا يستخدمونه في المحاضرات والتوجيه والتعليمات اللازمة !

وأما كيف تم ذلك التنظيم الدقيق والإعداد العجيب ؟ فأمر يعجب الإنسان عن وصفه وصفاً دقيقاً فقد بني المسجد ومنازل الضيوف من مواد بناء خفيفة تستخدم ، ثم ترد لأصحابها في حوانيتهم ، وهي لا تزال صالحة للبيع والاستعمال وهذه المواد عبارة عن زينكو وعيدان الخيزران والخيش والحبال دون استخدام المسامير لئلا يتلف شيء من مواد البناء إذ قد تبرع بها التجار وأصحاب المصانع ، وقاموا بأنفسهم بالبناء والتركيب فإذا ما انقضى الاجتماع فسوف يقومون بحلّ الحبال ونقض البناء بسهولة كما كان التركيب والبناء بسهولة من قبل . في هذا المسجد الغريب من نوعه في ذلك الجو الإسلامي الهادئ يبعث على الخشوع والطمأنينة وبعد الصلاة أخذ المصلون يعقدون جلسات موزعة في المسجد ذلك الذي يشبه مساجد المسلمين في أيامهم الأول عندما كانت المساجد إنما تقصد للصلاة والعبادة فقط لا للتباهي بها وزخرفتها... والله المستعان.

فأخذت الجماعات الموزعة في المسجد تتدارس القرآن حفظاً ، وكانت التلاوة قاصرة على السور القصار التي يحفظها غالباً جميع المصلين أو أكثرهم حتى تطلع الشمس ويحين وقت تناول طعام (الفطور) فبعد الفطور تُعدّ المحاضرات ، وفي ضحى ذلك اليوم .. حضرنا محاضرة ألقاها في طائفة ذلك المسجد فضيلة الشيخ ... باللغة العربية ، وهي محاضرة تخصّ العرب فقط ، ولقد كانت قيّمة ومفيدة أجاب فيها على كثير من الشبهات التي تدور حول نشاط الجماعة ووضعية دعوة الناس إلى الخروج ، والغرض من الخروج وخلاصته تغيير البيئة للدعاة والمدعوين، لأن الذين يخرجون ليسوا كلهم دعاة بل أكثرهم

ممن يُراد إصلاحهم وترغيبهم في الإسلام وحُبّه ، وتعليمهم ما يجهلون من أمور دينهم ، وقد أثبتتْ التجربة أن ذلك لا يتم للإنسان إلا إذا خرج تاركاً مشاغل الحياة المتنوعة وانتقل إلى بيئة صالحة للإصلاح ...الخ وبعد محاضرته أعلن لجماعة العرب أنهم يحضرون محاضرة .. بعد صلاة الظهر وطلب من أحدنا أن يقوم بهذه المحاضرة العامة ، فلبيّنا الطلب طبعاً فألقيتُ المحاضرة بعد صلاة الظهر، فتُرجمت فوراً إلى عدة لغات .. فكنّا نحضُرُ بعد كل صلاة محاضرة مترجمة من الأردية إلى العربية .

هذا ! وقد كان محل الاجتماع بعيداً عن العاصمة ، وهذا مما ساعدهم على إيجاد الهدوء ومواظبة الناس على صلاة الجماعة ، بل ملازمتهم للمسجد مدة الاجتماع.

أما نحن فغادرنا بالسفر يوم الثلاثاء بعد انتهاء الاجتماع مباشرة للقيام بزيارة بعض الجهات في باكستان .

وأما غيرنا فبادروا بالخروج في سبيل الدعوة إلى الله، فكانوا يُشكّلون جماعات متعددة بعد كل محاضرة ، ويوم الثلاثاء كان يوم توجيه للدعاة وتبصيرهم ووداعهم، وهو يوم امتزج فيه الفرح بالبكاء الذي يدل على ما يكنّه القوم من التّحابُب في الله والتفاني في حب الله والتجرد للدعوة إلى الله وتعليق قلوب العباد بالله وحده دون الالتفات إلى ما سواه.

هذا ملخص ما يُستفاد من محاضرات القوم وحديثهم وتصرفاتهم وزهدهم المتعدد ، خلافَ ما يَذكُرُ من لم يعرفهم حق المعرفة أو يتجاهل حقيقة القوم لغرض .

ومما ينبغي التنويه به أن الجماعة تتمتع بما لا تتمتع به الجماعات التي تدعو إلى الله ، وهو الصبر مع من يريدون إصلاحهم وهدايتهم وحسن السياسة معهم ، صبرٌ يشبه صبر الأم الرؤوف على طفلها الحبيب. وقد هدى الله بهم خلقاً كثيراً من مختلف الجنسيات ، وفي مقدمتهم شبابنا الذين نبعثهم للدراسة إلى أوروبا وأمريكا ثم نهملهم ونتركهم وشأنهم دون رعاية أو تربية ، وقد قيّض الله لكثير منهم هذه الجماعة فهداهم الله بها ، بعد أن كادوا يمرقون من الإسلام متأثرين بحياة الجهة التي يدرسون فيها، ولديّ مشاهدات وقصص يطول سردها .

أذكر على سبيل المثال قصة قصيرة عن شاب عربي حضر اجتماع دكا ضمن مجموعة من شباب

في أمريكا بعد أن أنقذه الله من الجاهلية التي تورّط فيها ، بسبب هذه الجماعة ، وهذا أبدى لي رغبة في أن يعتمر ولعل العمرة تُكفّر عنه سيئاته وتذهب بأمر الجاهلية. فشجّعته على ذلك طبعاً بعد أن

ذكرتُ له فضل التوبة، وأنها تجبُّ ما قبلها، فقال: وهو يحسُّ بالخجل والاستحياء باد على وجهه- يا أخ أريد أن أعتمر ، ولكن ما أدري كيف العمرة ؟ وماذا أفعل إذا وصلت مكة لأني نسيتُ كل ما درسته في المرحلة الثانوية قبل أن أذهب إلى أمريكا ! وضيّعتُ كل شيء...... قال هذه الجملة وهو متأثر، وأنا بدوري تأثّرت فقلت له : فتعال بنا إلى بعيد عن الناس لكي أشرح لك أعمال العمرة إلى أن قال : هل تسمح تُسجّل لي ؟ قلت : لا مانع إذا لديك مسجل وشريط، فأحضر المسجل فسجلتُ له بالاختصار ، فشجّعته على زيارة المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وزيارة الجامعة الإسلامية لكي تُزوّده الجامعة بالكتب والرسائل النافعة

والأمر الذي أريد أن أخلص إليه في هذه القصة وما قبلها أن لجماعة التبليغ مكاسب يطول سردها ليست لغيرها من الجماعات التي تدعو إلى الله في العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، وهي مكاسب ملموسة لمس اليد ، لا يقدر أحد إنكارها عدواً كان أو صديقا .

وسرُّ المسألة أن الجماعة جعلت الدعوة إلى الله ومحاولة إصلاح الناس هدفها في هذه الحياة ، ولم تمسك الدعوة باليد اليسرى والتعيش باسمها باليد اليمنى، بل مسكتها بكلتا اليدين، ثم أنها ابتعدت عن التطلع إلى حب المدح والثناء عليها ؛ بل استوى عندها المدح والذم ، حتى أصبحت الحياة رخيصة عندها .

وأكتفي بهذه الإشارة ؛ لأن الأمر واضح ، ولأن أثر دعوة القوم واضح كما قلت والعاملون يستدل عليهم بآثار أعمالهم وبمكاسبهم ، والله ولي التوفيق، وفي ذلك الجو الذي ذَكَّرنا حياة الدعاة الأولين الفطريين... قضينا ثلاثة أيام

ويتابع الشيخ المعجب بهذه الفرقة : ومما يلاحظ أن جماعة التبليغ ليس لها اسم رسمي ، وإنما يُسمّيها الناس بهذا الاسم الذي تدل عليه دعوتهم وعملهم وهو التبليغ والتذكير وأن المِرَانَ على الدعوة والتنظيم والاجتماعات المتكررة كل ذلك أكسبهم دقة التنظيم في أمورهم دون أدنى تكلّف أو ملل ، وفي إمكان الجماعة أن تعقد وتُنظّم لأكبر اجتماع الذي لو قامت للإعداد له جهة غيرهم لتكلّفت نفقات باهظة ، واحتاجت لزمن طويل جداً ، أما جماعة التبليغ فلا تتكلف في مؤتمراتها ولقاءاتها شيئاً يُذكر، إلا ما كان من قِرَى الضيف بالنسبة للوافدين من جهات بعيدة بل أفراد الجماعة يعتبر كل واحد نفسه مسؤولاً عن المؤتمر، فكل واحد منهم يقوم بعمل يخصّه، ويحضر ما في استطاعته أن يحضر ثم يباشر العمل بنفسه فكل واحد منهم يحاول أن يخدم وينفع غيره مما جعل مستوى التحابُبِ عندهم مرتفعاً جداً

دعوة عالمية وجهود جبارة تقوم بها جماعة إسلامية مثل جماعة التبليغ تعجز الدول الإسلامية الكبرى في إقامة هذا الجمع الكبير لخدمة الدعوة الإسلامية في عموم دول العالم .

وقال آخر : على مدار ستة أيام استضاف مركز الجماعة في مدينة (رايوند) قرب لاهور باكستان أكثر من مليون داعية دون ضجيج إعلامي وصحفي وبكل هدوء ، حجزت له كل القطارات من جميع أنحاء باكستان ، ونفدت كل التذاكر قبل أيام من بدء الاجتماع كما ذكرته الصحف الباكستانية ، اجتمعوا من كل مكان في حب الله والتعاون على البر والتقوى .

أكثر من مليون رجل صلوا الصلوات الخمس خلف أمام واحد على فترتين ، وذلك في ميدان فسيح ، وحضروا حلقات العلم ، وتلوا ما تيسر من القرآن ، وسمعوا بيانات مشايخ كلها تنصب في تعظيم الخالق ، وأهمية إتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ، والمحافظة على الصلاة ، والعلم وذكر الله، وأهمية أداء حقوق المسلمين وإكرامهم ،وإخلاص العمل لله ، وإن الحاضرين قد أكرمهم الله وشرفهم بحمل أمانه الدعوة للعالم أجمع ، فلا نبي بعد نبينا محمد ﷺ، ولا أمه تحملت أعباء الدعوة بعد نبيها إلى يوم القيامة غير أمة الإسلام.

وهم يرون أن الدعوة إلى الله وظيفة كل مسلم موحد قائم بالفرائض والسنن، سواء كان عربيا أو أعجميا ، أسود أو أبيض ، عالما أو متعلما ، ضريرا أو بصيرا ، ذكرا أو أنثى ، شيخا كبيرا أو شابا صغيرا ، حافظا للقرآن والعلوم ، أو حافظا ما تيسر منه ، طالب علوم عصرية أو علوم إسلامية ، فالميدان الدعوي يسعهم جميعا ، ولكل منهم نصيب في الدعوة ، والكل محتاج لعلم التقوى والخوف من الله ، والعمل بما يرضي الله عز وجل ، ومتى جاء في المرء علم التقوى احتاج للبحث من العلماء عن علوم الفتوى ؟ ومتى نُزع من المرء علم التقوى وعدم الخوف من الله ، ضرب بعلم الفتوى عرض الحائط ، ولو كان على علم تام بالحكم الشرعي في المسألة ، جموع بشرية هائلة أتوا من كل حدب وصوب ، لمرضاة الله وخُتم الاجتماع بدعاء لله عز وجل بأن يحفظ الإسلام والمسلمين ، ويريهم الحق حقا ويرزقهم إتباعه ، والباطل باطلا ويرزقهم اجتنابه

ثم أهم ما في الأمر من هذا الجمع السنوي المبارك عند مشايخ التبليغ ، هي ثمار هذا الجمع ، والخروج من الميدان للدعوة إلى الله ، وكم جماعة خرجت للدعوة ونشر الدين من ذلك الميدان فهم جزاهم الله خيرا لا يهتمون بالأعداد التي حضرت بقدر ما يهتمون كم جماعة خرجت للدعوة من

قدماء وجدد ؟

وبعد شهر تقريبا من اجتماع رايوند ودكا تراهم على موعد في جيبوتي العربية لاجتماع حافل للتبليغ والدعوة في شرق القارة الإفريقية ، وبعده بأيام وفي جنوب جزيرة العرب وفي مدينة الحديدة باليمن لهم اجتماع العرب ، في اليمن السعيد ، في بلد أهل الإيمان والحكمة كما أخبر بذلك نبي الرحمة عليه السلام ، وهم يتجهزون لاستضافة مائة ألف داعية في ميدانهم ، ويستقبلون آلفا من إخوانهم العرب والقادمين من دول الخليج والدول المجاورة والبعيدة ، يريدون تجسيد حديث النبي حقيقة فيهم وفي هذا الزمان .

واعلم أن بين اجتماع اليمن وجيبوتي أسابيع قليلة ، ويفصل بين المجمعين الدعويين بحر القلزم (البحر الأحمر) ؛ ولكن القلوب موحدة والمنهج الرباني والنبوي هو الرابط بين كل هذه الاجتماعات التي تتم في دكا ورايوند والحديدة وجيبوتي وبهوبال بالهند وماليزيا وإندونيسيا وفنلندا وفي عموم عواصم العالم.

يقولون إنها اجتماعات (لا تسمع فيها لاغية) لا شتم ولا سب ولا لعن ولا تحقير لأهل الإسلام ، ولا تنقيص لجهد المسلمين ، بعيدون عن الغيبة والنميمة ، تسمع سلاما سلاما ، فهي أمة واحدة موحدة بعثت كما نبيها رحمة للعالمين .. يجتمعون لحبه ويتفرقون على دينه ، ودعوة الخلق للخالق ، وتوجيه القلوب من الفاني للباقي ومن الدنيا للآخرة .

وجدت هذه الاجتماعات التي تعقد في كراتشي ودكا قبولا وحماسا لدي ميلاد عادل فيجتهد سنويا للذهاب إليها في موعدها وموسمها ، وذات موسم وهو يحضر اجتماع لاهور في رايوند التقى بداعية مسلم من كندا اسمه أو تسمى بالشيخ عبد الصمد ـ واجتماعات هؤلاء القوم يحضرها العرب والعجم والإنجليز وجنسيات مختلفة انضوت تحت لواء الجماعة أو متأثرة بها ، قد وصل الدعاة منهم للبيرو واليابان ـ فتذكر ميلاد ابنة عمه زهيرة مجدي ، وذكر الماضي وكان الرجل الكندي يحسن العربية ، ولاحظ تغير الرجل ، فظن أنه خرج إليها ؛ لأن جماعة التبليغ لها نشاط قوي وجدير بالاهتمام في كندا ، فربما هي أكثر الجماعات أتباعا ومساجد في كندا فقال مشجعا أذهبت إليها ؟!

فعاد ميلاد لنفسه وأجاب : لم أخرج جهة أمريكا وتلك البلاد ، وربما الخروج اليوم بعد أحداث نيويورك صارت أموره معقدة ..

ـ ما زال التبليغيون ينشطون هناك رغم كل المعوقات .. فالجنسيات البنغلادشية والباكستانية كثيرة هناك ، ولديهم قبول للقاء الجماعة .

ـ المهم عندما ذكرت أنك عبد الصمد الكندي

ذكرتني بأقارب لي هناك هاجروا من سنوات وسنوات ، ولم أرهم منذ ذلك الحين

ـ كندا بلد واسع يا شيخ ميلاد العربي ، وسكانها قريب من الثلاثين مليونا ، وتستقبل سنويا أعدادا كثيرة من المهاجرين من شتى بلاد الأرض، وأكثر الوافدين من أصحاب المال والشهادات والطلاب للعلم والجامعات .. ونشاط الدعوة جيد في تلك البلاد ، ولكنهم موجودون بين الجاليات الآسيوية كالهنود والإندونيسيين .. وأنا مستعد لتنظيم زيارة لك إلى هناك لترى أقاربك .

ـ أيمكن هذا ؟!

ـ يمكن ؛ ولكنه يحتاج لوقت بسبب الأمن والإرهاب .

ـ وهل يسمحون لي بدخولها ؟

ـ هناك تسهيلات لجماعة التبليغ والدعوة ، فيمكن ترتيب رحلة خروج إلى هناك ترافق مجموعة خارجة من باكستان او بنغلاديش لأمريكا وكندا وغيرهما .. وعندما تدخل البلاد يسمح لك بزيارتهم .. فكندا بلد يشجع السياحة سواء كانت دينية أو دنيوية .

ـ سأفكر بذلك شيخ عبد الصمد .. كلام جميل اسمعه .. مرحبا بك .. أنت تأتي هذا الاجتماع كل سنة ؟

ـ منذ ثلاث سنوات فقط ، ذهبت في أكثر من رحلة سياحية لمصر والأردن ولبنان والعراق .

فكر ميلاد وهو يتعرف على الشيخ عبد الصمد الكندي بالذهاب لكندا ليقول لابنة عمه زهيرة مجدي أنا تبت إلى الله يا زهيرة ! وأنا نادم للإساءة التي ألحقتها بك ، نادم لأني حاولت قتلك عند زواجك ، أنا الذي صدمت سيارة زوجك في لحظة جنون واستسلام للشيطان .. أريد أن تغفري لي ، وتسامحيني يا ابنة العم .. أتوسل إليك أن تعودي للبلاد ، ولن تري مني شرا.. كنت أضحوكة للشيطان .. يا لجهلي ! .. كنت موهما نفسي بقيس ليلى وقيس لبنى

كل هذا راود فكر وذهن ميلاد ، وهو يحاور الشيخ عبد الصمد الكندي، ولما أخذ عنوانه ورقم موبايله الدولي قال : هل تعلم يا سيد عبد الصمد لو أوصلتني لكندا ستكون عملت عملا عظيما معي .. لا يذهب بك الظن أني سأذهب للشغل والهجرة إلى هناك .. إنما لرؤية قريب لي ، وقد هاجر إليها من زمن بعيد ، وأرغب بمقابلته لنتصالح ونتسامح .. أيامها كنت ضالا وعاقا فأحب لقياه ليغفر لي ذنبي وإجرامي معه ، وأسأله العفو والصفح ؛ ولكنني هذه المرة غير جاهز للسفر لتلك الديار في أقصى غرب الأرض .. لنبق على اتصال بحكم التقائنا هنا على غير ميعاد عليك مساعدتي يا شيخ عبد الصمد .. ألك زمان في

الإسلام ؟

ـ حوالي خمس سنوات شيخ ميلاد

ـ الله يتقبلكم ..أنتم بإسلامكم تذكروننا بأيام الصحابة ، وقصص إسلامهم كبلال وخباب وسلمان .. هل وجدت صعوبة ورفضا لإسلامك ؟

ـ من ناحية الأهل .. فلا ؛ لأننا نعيش بعيدين عن بعض .. وكل يعتمد على نفسه .. وأهلي ليس لديهم تعصب ؛ لأنهم بعيدون عن الدين .. نحن لما نكبر سنا يعيش كل واحد مع نفسه الأسر علاقاتها علاقة مناسبات وزيارات .. أنا ذهبت لمصر وتعلمت العربية في معهد لغة يتبع جامعة الأزهر العريقة في بلاد المسلمين ، ثم أشهرت إسلامي في الجامع الأزهر أمام لجنة من المشايخ ، وأعطوني صكا بأنني أصبحت مسلما ، وتسميت بعبد الصمد وهو اسم مشهور لأحد القراء للقرآن الكريم ، ثم التقيت بمشايخ من جماعة التبليغ المصريين ، ولهم مركز في الجيزة وأكثر في بلدان مصر ، ولهم نشاط دعوي كبير .. مصر بلد كبير وسكان كثير .

ـ أكثر الدول العربية سكانا وبشر.

ـ وأصبحت مترجما لهم في بعض مناطق دول أمريكا خاصة الناطقة بالفرنسية والإنجليزية .. وأنا على استعداد لخدمتك للوصول لخصمك حتى تتصافى أنت وإياه وتعود المحبة بينكم .. لكن عليك معرفة عنوان قريبك هذا .. وأين يوجد في كندا ليسهل الاتصال به واللقاء ؟

ـ إن شاء الله السنة القادمة إذا قدرت لنا الحياة نلتقي هنا على هامش الاجتماعات ودراسة الأمر ونرتب لرحلة دعوية إلى كندا ندعو ونسعى للقاء الشخص الذي ظلمته .

وهمس لنفسه هل تسامحني زهيرة بعد كل هذه السنوات ؟.. لقد كنت سببا لفرارها وهجرتها



فلما رجع الشيخ ميلاد من بلاد الهنود بعد شهوده مؤتمر رايوند ودكا كان في جعبته لقائه الغريب لعبد الصمد الكندي ، واعلم أن مؤتمر دكا السنوي فهو يعقد منذ عام ١٩٦٦ قبل انقسام باكستان لشرقية وغربية ، فهو يعقد في المحرم من كل سنة غالبا ، لقد تقسمت الهند لعدة دول بعد جلاء الاستعمار الإنجليزي بعد الحرب الكونية الثانية .

فأول دعوة يتلقاها عندما يعود من سفره الدعوي تكون من شريكه وصديق عمره حميد نبيل ويحرص حميد على أن يكون من أول مستقبليه في

الوطن ، ليسمع منه أخبار رحلته ونشاطه خلال تلك الشهور ، ويستمتع بقصصه التي أتى بها من تلك البلاد العجيبة المليئة بالبشر ، الهند وباكستان وبنغلاديش ربما فيها خمس أو سدس العالم ، فمدينة نظام الدين في دلهي ما زالت تستقطب تاريخ الدعوة .

وعندما يسمع حميد أخبار الجماعات التي تخرج يصاب بالدهشة والإعجاب ، ويزداد الأمل في قلبه بعودة الإسلام للعصور الأولى .. وكان أغرب شيء سمعه منه عام ٢٠٠٣ لقاءه بالشيخ الكندي عبد الصمد ، فقال ميلاد والتقيت هذا الموسم جماعة قادمة من كندا يا أبا محمد .. فلم عرفت أنهم كنديون راحت روحي لتلك البلاد وإلى ابنة عمي زهيرة .

خفق قلب حميد وهمس : ويحك !!

ـ أرجوك لا تسيء الظن بي ، أنا تبت إلى الله سبحانه في علاه يا رجل

ـ جميل ! أنت يلزمك الزواج ؛ لتذهب زهيرة من روحك ونفسك إلى الأبد .. والله منذ طلاقها لم نعد نسمع شيئا معروفا من أخبارها .. كيف رضيت أن تعيش هناك بدون أهل وأقارب ؟! سامحها الله في علاه

ـ بل سامحني الله أنا يا أبا محمد .. أنا أجرمت في حقها ، لقد كنت سببا في حبها لتلك الهجرة ، واتخذت الدراسة حجة .. أنا الوحش الذي كانت تخشاه !.. كم أبكي ندما وأسفا؟! آه يا حميد سأفشي لك سرا لم أبح به لنفسي إلا اليوم

ـ سر ! أثرت فضولي

أخذه البكاء والنشيج والحزن وقال باكيا معتصرا لقلبه: سعيت لقتل زهيرة يا حميد

قال حميد : ماذا؟!

ـ نعم ، أرجو أن يغفر الله لي تلك المحاولة .. قبل أن تسافر بأيام صدمت سيارة زوجها سامر وهربت ..

عادت ذاكرة حميد لحادث سيارة سامر قبل سفرهم ببضعة أيام ، تبادل الرجلان النظرات وعاد ميلاد يقول نعم ، قد جننت ، كان يجب أن يموت أحدنا يا حميد .. لم أعتقد أنها ستكون زوجة لغيري ، ولم يخالجني شك بأني سأكون زوجها في النهاية .. كنت مهووسا بحبها والحياة معها كما تذكر .. الحمد لله أنها نجت ، ولم تصب بأذى ، وإلا مت كمدا

وبعد صمت عميق وعدم تعليق حميد بشيء عاد ميلاد للكلام فقال : المهم عندما التقيت بهؤلاء الكنديين وخاصة الشيخ عبد الصمد الذي تعلم العربية بمصر وأسلم فيها قبل مشيه مع الأحباب رغبت بالذهاب إلى هناك لأطلب منها أن تسامحني يا حميد بعد أن أقر لها بجريمتي ، وأطلب

منها المسامحة وإبراء الذمة ؛ لعل الله يقبل توبتي ، وأرجوها أن تعود للبلاد ، ولن أمسها بسوء.. الندم يقتلني ويؤرقني يا حميد

قال حميد : صدق أن هذا جميل منك ! الحمد لله الذي نجاها من الموت ومن الحادث وإلا قضيت عمرك قابيل

ـ يا الهي! رأيت الزنا والسكر يهون أمام شروعي بالقتل .. المهم تحمست للخروج إلى كندا وأمريكا .. ويقول الرجل إن كندا شاسعة جدا ، وسكانها قريب من الثلاثين مليون

ـ من الضروري معرفة المحافظة أو المدينة أو حتى القرية التي تعيش فيها أم شمس.. إذا كان عندهم قرى .. كيف ستعرف ذلك ؟

قال : فكرت في هذا أثناء وجودي في تلك البلاد .. إما من زوجها سامر ولا أعتقد أنه سيصدق شيئا مني ، وأن قصدي المسامحة .. وإذا صدق الحال ربما يعطيني رقم تلفون لها .. وقد يؤدي التلفون الغرض .. ولكن التلفون لن يقنعها بتوبتي وندمي وتثق بالكلام وترجع .. وقد تغلق التلفون في وجهي كما كانت تفعل هنا

ـ والحل الثاني

قال : أن تتعاون معي امرأة عمي هناء ، وتعطيني اسم المكان أو تشجعها للقبول بالحديث معي لأطلب منها العفو

ـ للآسف امرأة عمي ما زالت تكرهك ، ولا تصدق أنك تغيرت وتبت .. وهي تعتبرك السبب الرئيسي في هروب زهيرة .. أنت وأبوك العم عادل ـ رحمه الله ـ ترفض مسامحتكم لليوم .. رغم زواجها تجعلك سبب التفريق بينها وبين بقاء ابنتها هنا .. وإذا طلبت عنوانها فلا أعتقد أن تبخل به عليّ للمودة بيننا .. فأمي ما زالت صديقة لها منذ أيام حياة عمنا رحمه الله وزوجتي تزورها وهي تزورنا .. وزهيرة طيبة قد تسامحك على الهاتف .. ولكن لابد من اللقاء بها لترى أنك ميلاد غير الذي عرفته ، وتطمئن وتعود للبلاد وتتشجع لذلك .. فهي وحيدة هناك مع ابنتها ، ولليوم لم تتزوج مرة أخرى

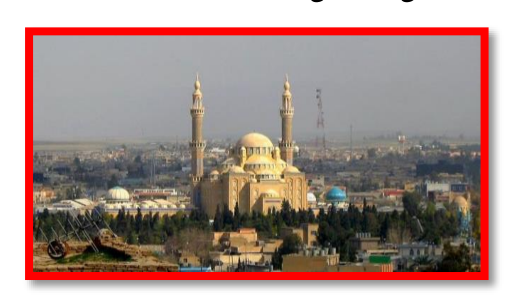
ـ عزباء بعد طلاقها .. نسأل الله لها السلامة .. وسامر هل تزوج ؟

ـ تزوج بعد عودته بسنة ، وعنده أولاد كما علمت من أم زهيرة في إحدى الزيارات .. والرجل لا يصبر على ترك الزواج كالنساء .. عنده بنت وولد .. وهو يتصل بأم زهيرة سائلا عنها وعن صحتها .. عليك أن تجد حلا لتسامحك الأخت زهيرة ؛ لأنك قسوت عليها تلك الأيام السوداء

قال : لن يرتاح لي بال حتى تسامحني وتغفر لي الإساءات والظلم .. الظلم ظلمات يوم القيامة الجهل في الدين قاتل .. غفر الله لأبي الذي أوقع

هواها في قلبي

ـ كله جهل .. جهل



ذهب حميد وزوجته في زيارة لامرأة عمه هناء محمد ، ولم تكن أول مرة يزورها ، فهو الوحيد من أقارب زوجها مجدي الذي يتفقدها ، ويتفقد أحوالها ، وكان يعتبر ذلك من الواجب عليه حيالها وطاعة لأمه التي ما زالت تحافظ على الصداقة القائمة بينهن ، فأحيانا يأخذ أمه ، وأحيانا أخرى امرأته ، يمرون على هناء ، ويجلسون معها ، ويطمئنون على صحتها ، وترافقها أم حميد لمراجعة مستشفى أو طبيب أو عيادة ، ورحبت المرأة بابن سلفها ، وكانت السيدة قد ترملت منذ سنة ونصف تقريبا ، وظلت تعيش في بيت رستم الذي ورثت جزءا منه ، واستقرت فيه ، ورغبت بالتنازل عن حصتها فيه للأولاد ، فرفضوا ذلك وطلبوا منها البقاء فيه وفاء لأبيهم ، وبعد حياة طويلة تمنوها لها سيدفعون بحصتها فيه لابنتها وورثتها .

فلما شُرب الشاي ، وتناولوا بعض الفواكه المبردة ـ وكانت خادمة زهيرة روجا التي انتقلت بعد وفاة أم هناء للعمل عند هناء ما زالت حية وتعمل مع العائلة ـ وتبادلوا الحديث وأخبار العائلة المريض والميت والحي ، قال حميد جئت إليك هذه المرة يا أم زهيرة في حاجة أرجو أن تساعديني فيها

ظهر الفرح والسعادة على وجه هناء أم زهيرة وقالت : هذا يوم سعد أن أخدمك بشيء يا سيد أبي محمد

قال : لي صديق يريد السفر لكندا حيث تعيش الدكتورة أم شمس .. فتذكرت زهيرة وحياتها هناك قلت قد يستفيد من وجودها هناك بمساعدة .. والذاهب لأول مرة لتلك البلاد سيكون كالغريق يحتاج لقشة ينجو بها .. فلو أعطيته عنوان الدكتورة وتلفونها نكون قد خدمناه وساعدناه في أول وصوله لهناك

رحبت هناء بالمساعدة والمعروف وقالت : لا بأس يا بني .. فقبل أيام تحدثت معي زهيرة وهي تسلم عليكم جميعكم .. وستسر بهذه الخدمة لأني دائما أذكركم بكل خير أنت وزوجتك وأمك وكلما نتكلم أحثها على زيارتنا فتقول أنت تعالي وانظري الدنيا .. أنا نسيت البلد .. وعنوانها عندي لأني أرسل لها بطاقات التهنئة بالأعياد .. الفطر والأضحى

قال : هي لم تتزوج بعد ؟

قالت : لا ، لم تتزوج ، وابنتها على وشك الدخول

في الجامعة ، وعلمت منها أن حياة ابنتها المنفتحة على عادات تلك البلاد صعبة وتعاني معها .. فهي متمردة على عادات الشرقيين ، فتخرج سافرة وبالبنطال القصير الشورت إنها كالأجانب .. فلم تستطع تربيتها على الثياب المحتشمة .. حال لا يسر ؛ ولكنها لا تستطيع إجبارها على شيء أو منعها من شيء .. فهي فتاة بالغة وفي آخر سنوات المدرسة الثانوية

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه مآسي الحياة في الغرب .. الحرية المطلقة والأخلاق الفاسدة هذا ثمن تلك الحرية المزعومة .. لا الأب يسيطر على الابن والبنت ، ولا الأم تستطيع ذلك .. هداها الله

وبعد صمت قال : لو أعطيتني عنوانها وهاتفها

مشت هناء ، وأحضرت رسالة أو مغلف رسالة عليه عنوان زهيرة ، فنقله حميد على ورقة احضرها خصيصا لذلك ، وكتب رقم هاتفها وكانت هناء تقول : هي تعيش في مقاطعة كبيرة من تلك البلاد تعيش في مدينة مونتريال كوبيك .. وهي تعمل في مستشفى كبير في تلك المدينة العالمية .

شكر حميد امرأة عمه ، ودعا لها بالصحة والعافية ، واستأذنا بالانصراف والمغادرة ، وبادلتهم المرأة التحية والشكر ، ورافقتهم حتى انطلقت بهم السيارة لبيتهم .

نحن نعلم مقدار صداقة حميد لميلاد ، فهي بدأت منذ الطفولة وخفت قليلا بسبب انحراف ميلاد عادل ، ثم عادت قوية بعد توبة ميلاد واستقامة أمره في الحياة الدنيا ، وهو محب بأن تصفى الأمور بينه وبين الفتاة التي دفعها للهجرة ، والبعد عن كل العائلة ، وتختار الهجرة للغرب ، وها هي ابنتها الوحيدة تضيع في متاهة الغرب وتقاليده وتهاونه في مسألة الجنس والعلاقات خارج الحياة الزوجية ، ولما اتصل حميد به بعد عودته من عند امرأة عمه غمرت السعادة الشيخ ميلاد وعقب : عليّ أن أخرج من هذه الدنيا وقد غفرت لي زهيرة ظلمي لها

ولما أخذ عنوان الدكتورة ورقم هاتف بيتها ، فكر بالاتصال بها فورا ؛ ولكنه تراجع قائلا سترفض الحديث معي ، ولا أستطيع مصارحتها بمحاولة القتل على الهاتف

وأخذ يفكر بالحديث مع الشيخ عبد الصمد ؛ ولكنه كما علم منه أن مكان عمله في نيويورك وليس في كندا وإنما يتردد على كندا زائرا لأسرته أبيه وأمه وابنته الوحيدة ، فهو غير مرتبط بزوجة منذ غير دينه .

وكان ميلاد قد تبادل أرقام الخلوي مع عبد الصمد والكثير من الشيوخ حتى إذا زاروا بلده أو زار بلدهم يسعون للقاء بعضهم البعض .

وفكر ميلاد جديا بالاتصال بعبد الصمد الذي

طابت الصحبة بينهم أثناء وجودهم في مؤتمرات الأحباب في رايوند قرب لاهور ، وفي دكا عاصمة البنغال ثم أمهل نفسه أسبوعا ، وكان يقول لنفسه : هل من فائدة ترتجى من الذهاب لكندا ؟ .. فعبد الصمد رجل قدير ، وهو طبيب بشري كما حدث .. ألا أستطيع تكليفه بالحديث مع زهيرة ؛ ليشفع لي عندها ، وقبولها الحديث معي لتسامحني .. هل تقبل هي بالحديث معه في مثل هذا الموضوع الحساس والخاص ؟ .. بعد أيام اتصل به من عند حميد من بيت حميد .

اتصل من بيت حميد برقم عبد الصمد ، ولم يرد عليه أحد .. وعبد الصمد يحسن العربية ، قد تعلمها بمصر ، وأعلن إسلامه فيها ، وأعطى الرقم لحميد وقال : حاول كل ليلة حتى يرد عليك وعرفه بنفسك حين يرد ، وحدد موعدا لأتصل به .. فهو يحسن العربية ويتقنها أحسن منا ، ولكن لكنته تميزه بأنه غير عربي .

استطاع حميد بعد عدة أيام سماع صوت شخص على الخط الآخر ، وعرفه بنفسه وسمع الصوت نعم ، أنا عبد الصمد ..أنت قريب للشيخ ميلاد .. اذكره .. ليس لنا إلا أسابيع مفترقون .. كيف حاله؟

ـ بخير ، وهو راغب بالحديث معك مباشرة من أجل أقاربه في كندا

ـ جيد ، ميلاد شيخ طيب مسكين

اتفقا على موعد للاتصال ، فقال ميلاد لحميد وهو يتلقى منه موعد الاتصال : هل من فائدة يا حميد من مقابلة زهيرة مباشرة ؟ خاصة بعد كل هذه السنين

ـ إنها ابنة عمنا ، ورحم لنا ، وأنا أشجعك على اللقاء بها ، وفتح صفحة جديدة بينكم ؛ لعلها تتشجع وتعود للبلاد ، وتعيش بجوار أمها ما بقي لهم من الحياة ، فالأعمار بيد الله عز وجل .. وأيضا لتطهير نفسك .. فاليوم درهم ودينار وغدا ـ كما تعلم ـ لا درهم ولا دينار حسنات وسيئات .. ومن كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلله منها اليوم كما أخبر الرسول ﷺ هذا ثانيا .. نحن قصرنا معها أيام الشباب .. وإذا أنت لا تفكر بالسفر إلى هناك للمشقة والمال .. فشفع ذلك الكندي بالاتصال بها واللقاء بها والتعرف عليها ؛ لتقبل بالحديث معك إذا أحسن الرجل نقل الصورة عنك إليها .. لا أعتقد بعد كل هذه السنين بقاء حقدها عليك وكرهها لك

ـ أحسنت يا حميد بكل ما تفوهت به ! وقد راودني فعلا طلب شفاعة الشيخ عبد الصمد .. أنت رجل عاقل يا حميد .. هل صحيح أنك ستزوج ابنتك ؟

ـ أنا ألم أقل لك بعد ؟!

في اليوم الموعود والوقت المحدود جرى الاتصال بعبد الصمد ، كان الاتصال ، وكان الكلام بينهم بحرارة وذكريات تجمع التبليغين في لاهور ودكا ، وقد توعدا يومها على اللقاء في الاجتماع القادم ، وطال الحديث بينهم في الذكريات وحميد يؤشر له بالدخول في الموضوع ، ولما سأله الرجل لمَ يحتاجه ؟ عاد ميلاد لسبب هذا الاتصال فقال : أتذكر عندما عرفت أنك كندي وتعارفنا أنني ذكرت لك عن أقارب لي في بلادكم ؟ .. وذكرت لي سعة البلاد وكثرة سكانها ، وطلبت مني معرفة مكان سكن أقاربي ليسهل اللقاء بهم .. وذكرت أن دائرة الهجرة الكندية قد تساعد في معرفة مسكنهم بشكل عام .. أو معرفة عنوانهم من المراسلات

بعد صمت قال عبد الصمد : أجل يا شيخ تحدثنا عن طريقة الوصول إليهم .. وقد ترافقنا في عدة جولات داخل باكستان بسبب هذه المعرفة .. هل عرفت أماكن تواجدهم؟

ـ نعم ، في الحقيقة هي ابنة عم لي ، تزوجت ، وهاجرت مع زوجها لكندا قبل خمس عشرة سنة ذهبت بصحبة زوجها لدراسة الطب ، وهو عاد وهي ظلت هناك بعد انفصالهم عن بعض .. ولها بنت واحدة حسب معلوماتي ..

قال باسما : مليئة كندا بالأطباء والطبيبات من شتى الدول .. ماذا شكلها ؟ مكان عملها ؟ مكان سكناها ؟

ـ تعلمت عندكم وأصبحت طبيبة وتعمل في مستشفى في مدينة كويبك

ضحك الرجل على الهاتف وقال : هذه مدينتي أنا ، ولدت فيها في كيبك العاصمة ، ثم عملت في مونتريال وهو إقليم تابع لكويبك وشبه مستقل .. وأنا كما تعلم طبيب وجراح يا شيخ ميلاد عرفني عليها أكثر قد أصل إليها بسرعة ما هي صفاتها البدنية واسمها ؟

ـ هي متوسطة الطول ، بدينة إلى حد ما كما اذكرها .. عليها لمسة سمار ، ليست بيضاء ، اسمها عندما كانت هنا زهيرة مجدي حسن

صاح عبد الصمد دهشة : ماذا قلت اسمها ؟!

ـ ما بك ؟

ـ كرر الاسم ؟

أعاد ميلاد تكرار الاسم فقال عبد الصمد : قلت إنها ابنة عمك .. يا شيخ هذه أعرفها حق المعرفة ، وكانت تعمل معي في مستشفى مونتريال العام في قسم جراحة النساء وعمليات التوليد وكانت زوجة للدكتور سامر ماجد جراح في قسم العظام .. وكانوا من أعز الأصدقاء والزملاء

ـ عبد الصمد أراك تعرفها أكثر مني .. هذه المرأة هي ابنة عمي يا شيخ عبد الصمد .. أبي شقيق أبيها .. ومات عنها طفلة سنة أو سنتان .

ضحك عبد الصمد وقال : يا لله ! أتعلم أنها سبب هدايتي يا شيخ ميلاد .. هي التي دفعتني لفهم الإسلام وحقيقة الإسلام .. أهي قريبة لك ؟!

ـ أجل ، يا سبحان الله !

ـ ماذا تريد مني يا شيخ ميلاد ؟

ـ أرغب بلقائها يا شيخ عبد الصمد

ـ لابد أن نلتقي ..سأسعى لك عند السفارة والخارجية ؛ لتسافر لكندا ، ونلتقي في أوتاوا عاصمة الاتحاد الكندي .. قريبتك امرأة محترمة

ـ شكرا ، سأتصل بك مرة أخرى .. على نفس الرقم الذي أعطيته لحميد

ـ نعم اتصل عليه دائما .. ورقم حميد ابن عمك هو رقمك الأرضي

ـ أجل ، بعد يومين اتصل بك ثانية ، وداعا يا شيخ عبد الصمد .

ربما زاد الاتصال عن ساعة ، فقال ميلاد وهو يضع السماعة لحميد : الفاتورة عليّ

ضحك حميد وقال : توكل على الله .. حصل مفاجأة مهمة من الكلام بينكم

قال ميلاد متعجبا : يا إلهي ما أصغر الدنيا رغم سعتها يا حميدا! .. يقول إنها السبب الذي دفعه للإسلام ، ولم أعرف التفاصيل طبعا ؛ ولكنه يحترمها ويعرفها جيدا ، وعمل معها في أحد مستشفيات كوبيك أو كيبيك لا أعرف كيف تلفظ ؟

ـ سبحان الله !! سبحان الله فعلا !! كانا يشتغلان في مستشفى واحد .. وماذا سيفعل لك ؟

ـ سيسعى لي على تأشيرة لزيارة لكندا .. ولكني كما قلنا صرفت نظرا عن السفر .. هل أسافر يا حميد ؟

ـ سأساعدك ماديا إذا قررت السفر .. سافر يا ميلاد قدم اعتذارك شخصيا .. أنا راغب جدا أن تعود ابنة عمنا لبلادنا وديارنا .. فهي تعيش مع ابنتها فقط ، لا زوج ، ولا خلفة ، وإنها تعاني من مشاكل مع ابنتها كما فهمت من الزيارة لأمها لأخذ عنوانها .. تلبس ملابس الغرب العري وتختلط بالشباب ، فربما إذا تقابلتم غيرت رأيها ، وعادت للبلاد

بعد صفون وتفكير: أخشى يا ابن العم أن يلعب الفأر في عبي كما يقال عند رؤيتها ، ويعود الحنين لها ، وأخسر آخرتي .. النساء من إحدى الفتن التي حذر منها الرسول الأكرم ﷺ .

ـ أمعقول هذا يا شيخ ميلاد ؟! أبعد هذا التقدم في الإيمان أن تنتكس ؟

ـ لا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون والخاسرون .. النساء فتنة الأمة .. وأنت تعلم كبر علاقتي بزهيرة

ـ إنها ابنة عمنا ، وليس لها اليوم إلا نحن .. وهي

كما علمت من أم محمد غير قادرة على الإنجاب عندها مرض يعيق ثبات الحمل في رحمها .
ـ يبدو أن لهذا الدكتور حكاية معها
ـ هل هو متزوج ؟
ـ أذكر أن له ابنة ، وقد ترك زوجته قبل رحيله لمصر .. فهو كما علمت منه في الباكستان بدون امرأة .
عندما رجع ميلاد تلك الليلة لبيته من عند ابن عمه ، وقد تعشيا معا استغرق في تفكير عميق ، وكان متحمسا للسفر عندما تعرف على عبد الصمد للقاء قريبته التي يؤنبه ضميره نحوها ، وهو موقن أنه أحد أسباب رحليها للهرب منه ومن أسرته ؛ وهو اليوم في غاية التردد والقلق والخوف .. فهل تقبل زهيرة العودة للبلاد بعدما قبلت الطلاق لتبق هناك؟! ألم يقل له حميد مثل هذا الكلام قديما عندما طلقت ورجع زوجها وحيدا منها ومن ابنتها ؟! وإنها اختارت الهجرة هربا وخوفا منه ومن أفعاله معها ؟ حادث السيارة ربما أدركت أنه من فعلي وجنوني .. ولو طال البقاء ألم أكن أفكر بتكراره ؟ وهل يمكنني مقابلتها والاعتراف لها وطلب مساحتها ؟!.. الأمر يحتاج لشجاعة .. فهل تراها تسامحني وقد جنيت على ابنتها كما أخبر حميد الليلة من انحلالها ؟! ما أجهل الإنسان ! لقد أردت قتلها تلك الأيام .. عجيب أمرك يا مولاي العظيم ! .. من بين أولئك الملايين ألتقي بعبد الصمد لأتذكر ابنة عمي التي أحببتها وتمنيتها زوجة لي .. اليوم أخشى اللقاء بها خشية تجدد الماضي .. فعلا إني أخشى الضعف الحيواني في نفسي .. الرغبة في نكاحها .. الدكتور الكندي يقول إنها سبب تعرفه على الإسلام ثم الدخول فيه .. فحج لمصر وتعلم الإسلام والعربية وأسلم ، وسافر مكة وحج البيت العتيق .. سأسجد لله مستخيرا عدة أيام .. وعندي خروج كما وعدت آخر الشهر الهجري لجنوب البلد .. سأدعو دعاء الاستخارة هل أسافر إلى هناك أم لا ؟ لعل الله يحدث أمرا .
عاود ميلاد الاتصال بعبد الصمد عند الموعد المضروب ، واختار ميلاد السفر لرؤية ابنة عمه زهيرة ، فقال عبد الصمد لما أكد له الرجل الرغبة بالسفر : حسنا يا شيخ ميلاد سأقدم لك طلب زيارة .. فلي صديق يعمل في وزارة الخارجية الكندية تعرض لحادث سير ، وكنت طبيبا له من ضمن فريق العلاج .. معذرة يا شيخ لسؤالي التالي
ـ تفضل يا صاحبي .
ـ هل لك علاقات قديمة قبل المشي مع جماعة الأحباب بجماعات إسلامية أخرى جهادية أم غير جهادية ؟ الأمر مهم خاصة بعد أحداث سبتمبر في أمريكا .
ـ كانت بدايتي وتوبتي كما قلت لك ونحن في الهند على يد رجال الدعوة وعلى يد الشيخ حسن

محمد الذي عرفتك عليه ونحن في رايوند .. فحسن مرشدي الأول ومنقذي بعد الله طبعا من الضلال والغي .. ولا أهتم في السياسة ولا الاقتصاد .. بدأت مع التبليغين وما زلت معهم بفضل الله

ـ جيد ، سأتحدث مع هذا الموظف في الخارجية فأرسل لي صورة جواز سفرك صفحة الصورة والمعلومات المهمة فقط عن طريق الفاكس وسأعطيك عنوان فاكس لترسل الصورة إليه .. ثم أتصل بك لتراجع السفارة الكندية في بلدكم .. فعندما تأتي الموافقة ، وتستعد للسفر إلى أوتاوا عاصمة كندا ، سيكون بيننا ترتيب لنلتقي في المدينة أو في المطار أو فندق حسب الظروف ، ونذهب معا لمقابلة الطبيبة زهيرة سامر .. آهي تخلصت من سامر .. فقد اتصلت بزوجتي المطلقة أم ابنتي ، وعلمت منها أن زهيرة ما زالت تعمل في نفس المستشفى ، ومطلقتي تعمل أيضا في نفس المكان ، وتعيش قريبتك في نفس الشقة مع ابنتها .. فأنا يا شيخ ميلاد منذ تركت العمل عندهم لم أتصل بزهيرة ولا مع معارف المستشفى ، وهي أيضا لم تفعل

ـ أنا خارج مع الجماعة لمدة ثلاثة أيام ، وبعدما أعود بإذن سأتحدث معك على نفس الرقم ، وسأكون قد أرسلت صورة الجواز لك

ـ خذ هذا الرقم ، هو رقم في المستشفى المتعاقد معه .. وإذا اعتذرت الوزارة عن دخولك البلاد الكندية سنلتقي باجتماع دكا .. وسنحاول ترتيب خروج مع المجموعات المتجهة إلى أمريكا الشمالية وكندا .. سلم على ابن عمك حميد .

أرسل ميلاد صورة الجواز الخاص به إلى العنوان الذي أخذه من عبد الصمد ، وطلب من حميد الاتصال بالرجل ليتأكد من وصول صورة الجواز ، وانطلق ميلاد مع الجماعة ، فهؤلاء القوم أهم شيء لديهم هو الخروج المتكرر كل شهر لمدة ثلاثة أيام .

ويسمون هذا العمل بالتشكيل والتشكيلات فهم يشكلون الجماعات من عشرة أفراد تزيد أو تقل واحدا ، وتشكل الجماعات على مستوى العالم وعلى مستوى البلد ، وأكثر دول العالم تسمح لهم بالنشاط في بلادهم ، وبعضهم يشجع شباب البلد المسلم بالالتحاق بهم لبعدهم الشديد عن السياسة ، وشعارهم من السياسة ترك السياسة ، فمركز الجماعة في كل بلد هو الذي يتابع التشكيلات الداخلية ، وأما التشكيلات الخارجية فيتم التنسيق بين المركز الرئيسي للجماعة وبين المركز الخاص لكل بلد ؛ ليسهل تنقلهم بين المدن والقرى والمساجد المنتشرة في البلاد .

وحتى بعض المدن النشطة في الدعوة قد تعمل

تشكيلا خاصا من أهل المدينة ، ويذهبون في خروج إلى مدينة أخرى أو قرية ، وذلك بتنسيق عام مع المركز الرئيسي .

لهم نشاط مستمر ودؤوب ، داخل البلد وخارج البلد ، جولات تنقلية مقامية وانتقالية ، ينشطون في الصيف والشتاء ، وللشباب هوس بالذهاب لمراكزهم في بلاد الهند .

الخروج الشهري أصبح تقليدا للمنضوي تحت ظل الجماعة ، فهم يتشاركون الطعام ويضعون شخصا أو آخر معه للخدمة اليومية ، ويقضون ليلتين أو ثلاث في المسجد الواحد ، ويكون على رأس كل تشكيل أمير مقتدين بالرسول ﷺ ، وبعد الفطور الصباحي يعملون حلقة للخارجين حول الصفات الستة ، وآخر عشر سور من القرآن يحفظونها عن ظهر قلب ، ويحفظون مع كل صفة آية أو حديث .. يقرأون على المصلين بعد صلاة الظهر بعض الأحاديث من كتاب رياض الصالحين ، ويدعونهم لمؤازرتهم بعد صلاة العصر في الجولة على دكاكين ومحلات وبيوت الحي وهم يجعلون أنفسهم متشبهين بالمهاجرين وأهل الحي أو الشارع بالأنصار ، فيرافقونهم في جولتهم المسائية ، ودعوتهم الناس لصلاة المغرب جماعة ، واستماع البيان أو الموعظة حول الصفات الستة التي يحفظونها عن ظهر قلب .. والعصر ربما يقومون بموعظة صغيرة والتأكيد على أهل الحي لمؤازرتهم في الجولة التي تكون قبل المغرب بساعة ، ويتركون أحدهم في المسجد للذكر والدعاء لهم بالتوفيق وهداية الضالين والعصاة حتى يعودوا من دعوتهم للناس في البيوت والمحلات والشارع .. ثم يجتمعون بعد الصلاة مغربا لسماع الدرس والبيان ، وينهض أحدهم بعد سلام الإمام مباشرة طالبا من الناس الانتظار والمكث والصبر وقتا قليلا لسماع كلام الدين والإيمان بعد السنة أي صلاة سنة المغرب .. ويوضع للمختار مقعدا قبالة الناس لبيان الموعظة ، ويجلس على الكرسي ، ولما يبدأ الناس بالخروج والانتهاء من السنة .. يبدأ المختار بحمد الله والصلاة على النبي ﷺ وشرح الصفات الستة بالأسلوب اللائق به .. وآخر الصفات الدعوة والخروج ، فيشجع السامعين على الالتحاق بالجماعة ؛ ليتعلم معهم الإيمان والصلاة وغيرها .. ويشجعونهم على الخروج يوما أو أكثر .. وأحيانا يسجلون أسماء المتحمسين للخروج .

وميلاد منذ ارتاح للمشي معهم وفي ركابهم ، وهو يواظب على مشاركتهم داخل البلد وخارجه لأنه أعزب ، والشيخ حميد كفاه مشقة الشغل ، ويقاسمه الأرباح آخر كل سنة .. وأصبح مثل حسن معروفا للمشايخ ، ويناقش أحيانا في مسائل فقهية عويصة ؛ ولكنه كان شجاعا ، ولا يتحدث

إلا بما يعرف ويفهم وحول الدعوة .. ووضع على رأسه عمامة الجماعة .. واتخذ عصا يتوكأ عليها ويعظ بها .

اتصل حميد بعد خروج ميلاد لجنوب البلاد بعبد الصمد الذي طمأنه على وصول الفاكس ، وأنه يسعى له بدخول كندا ، وأنه سيمر على سفارة بلاده في أمريكا ويقدم طلبا لسفر الشيخ ميلاد ، وإذا لم يتيسر الأمر في الولايات المتحدة سيزور بلده بنفسه لتقديم طلب زيارة .

ودعاه حميد لزيارتهم فقال : أنا أعرف بلدكم ، وربما أسعد بالخروج إليها . وتبادلا التحية والسلام .

لاحظ رفاق ميلاد في جولته الدعوية الأخيرة انشغال باله ، وكثرة سرحانه مما دفع الشيخ حسن محمد الذي يجتهد ميلاد في مرافقته في الداخل والخارج أن يسأله عما يشغل فكره فأجابه بعد تردد : أفكر بالسفر إلى كندا !

ـ ماذا ؟! كندا .. دولة كندا ؟!

ـ نعم ، يا أبا صلاح كندا التي عند القطب الشمالي .. أفكر بالسفر إلى كندا لأريح ضميري من قضية تشغله وتؤرقه .

ولخص للشيخ قصته مع ابنة عمه أيام الجاهلية والضياع ، فعلق حسن بعد سماع القصة : ما شاء الله ! ضمير حي يا شيخ ميلاد ! هل تعلم كم ستكلفك هذه الرحلة ماديا ؟

قال : قال الشيخ حميد تحتاج إلى ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف دينار .. بين تذاكر وفنادق وذهاب وإياب .. ليس مهما المال يا حسن فإن ابن عمي حميد جزاه الله كل خير سيوفر لي المال والدعم

قال حسن : حميد أبو محمد رجل كريم ، وهو محب لك كثيرا ، ودائما يدعو لك بالخير .

ـ نعم ، كرهني إخوتي أيام جاهليتي وابتعدوا عني ، وكان حميد يعاتبني ويحثني على الصحيان وترك الشراب والفجور .. بلطف ، وقسم الشركة بيننا للضغط عليّ أيضا لترك الفجور .. كنت جنديا للشيطان استحوذ اللعين عليّ

تبسم حسن وقال : الحمد لله الذي أنقذك من الشيطان والجاهلية .. وهل اتخذت خطوات عملية للذهاب لتلك البلاد ؟

ضحك ميلاد وقال : حاولت قديما السفر للانتقام وفشلت ، واليوم أحاول السفر لطلب العفو والصفح .. ولعلك لاحظت في رحلتنا الفائتة لدكا ، وخاصة عندما تعرفت على الشيخ عبد الصمد الكندي .. الطبيب الكندي

ـ إني اذكره جيدا ، وقد حدثنا عن إسلامه ، وكيف التحق بالجماعة في مصر ؟ المركز العالمي للدعوة الإسلامية في قرية طموه القريبة من الجيزة

ـ أجل ، وعدني الرجل بالمساعدة ودخول كندا

للقاء قريبتي .. والمفاجأة أنهم قد عملا معا مع ابنة عمي المهاجرة عندما كان يشتغل طبيبا في كندا ، لأنه منذ أسلم يعيش في نيويورك ، وأخبرني أنها هي التي شجعته لفهم الإسلام .

ـ هي ، كيف ذلك ؟!

ـ الدنيا فيها الغرائب والعجائب .. كما أخبرتك هاجرت ابنة عمي للدراسة في كندا مع زوجها الذي طلقها فيها بعد وعاد للبلاد وحده .. ولما اشتغلت في المستشفى تعرفت عليه هي وزوجها والفتاة أحبت الطب يا حسن لأن والدها الذي توفي عنها كان طبيبا فأحبت الطب مثله ، وأنا طبعا لم أفهم هذا وصممت على الزواج منها ، فاضطرت للهرب نحو الغرب ، فزوجها الوصي لطبيب مثله قبل سفرها ، وهي ظلت هناك بعد نيل الشهادات الطبية ، وعاد زوجها إلينا وتزوج بعد سنة من عودته .. وهي ظلت هناك مع ابنتها التي ولدتها هناك .. لماذا بقيت ؟ لست أدري لا أقارب ، لا أهل ، وحتى لم تتزوج مرة ثانية .. المهم رفضت العودة وبقيت .. ربما من ذكرياتها السيئة عنا ، وقد تخلينا عنها وعاشت عند أخوالها .. يا الهي! لقد حاولت قتلها واغتيالها ذات يوم .. كنت مجرما لا أحسن التفكير .. وحميد يشجعني لمقابلتها إذا أمكن لتسامحني ؛ ولعلها تعود للبلاد .. وسيساهم ماديا في رحلتي إلى هناك .. وقد تكون بحكم صحبتها للدكتور عبد الصمد شجعته على الإسلام ، فتحمس وسافر لمصر وتعلم العربية والإسلام وأسلم .

ـ أهي تصلي ؟

ـ عندما كانت هنا كانت تصلي ، وزوجها السابق كان مصليا أيضا ، وتلبس ثيابا حشمة ، لم أرها سافرة أو متبرجة عندما كانت هنا .. المشكلة اليوم ابنتها فهي ابنة الغرب ابنة عاداته وتقاليده .



حكايات الحي أبو خروف

الحكاية الأولى (العائلة ١٩٧٠)

الحلقة ٢ والأخيرة

زواج فريدة

كان فادي شيك يجلس في حديقة عامة عند غروب شمس أحد الأيام .. وكانت تجلس بجواره فريدة كمال ، وكانوا يأكلون البوظة رغم الجو البارد فقال لها : إخوتك عرفوا بأمرنا ما العمل ؟

فقالت : أتخافهم يا فادي ؟

ـ ليست القضية يا فريدة قضية خوف وشجاعة .. زارني فريد بالبيت ، وسألني عن علاقتي بك فاعترفت له بحبنا الشريف العفيف

ضحكت فريدة ساخرة: حبنا العفيف ، ونحن

زوجان بعيدان عن بعضهما .. آيا شريف يا عفيف .. أكمل .

ـ المهم وعدته بالزواج منك بأسرع وقت ممكن

قالت بنفس اللكنة الهازئة : قصدك الزواج الشرعي

ـ آ .. ولكن لا أملك تكاليف الزواج .. كيف سنتزوج ؟

ـ كما يتزوج البشر .. أنا استسلمت لك وملكتك جسدي لأنك وعدتني بالزواج بأسرع وقت ممكن .. ولي أشهر انتظر .. أخشى من الحمل كما حصل سابقا .. ولكنه سقط بسبب شرب بعض الأدوية والقفز كما قلت لي ..

ـ أنت لو استعملت الحبوب التي أعطيتك إياها لما حملت .. أو لعلها فاسدة .. الأمر انكشف لإخوتك

ـ هل علمت أن فراسا يعرض عليّ الزواج ؟

ـ فراس جاركم ..

ـ فراس جارنا .. يرغب بالزواج مني .. إذا أنت لا تريدني سأقبل به .. أنت أوقعتني في شباكك يا فادي ، عليك أن تحسم الأمر قبل أن يصل الأمر للطب الشرعي وننفضح

ـ عليّ تدارك الأمر .. كيف سنتزوج بدون مال ؟

قالت : تفاهم مع فريد .. واذكر له حبك الكبير لفريدة ، وقلة المال بين يديك ، وأنني الفتاة الوحيدة التي آمل الزواج منها .. وسيساعدك .. وأنا من جهتي سأقبل بمهر ضئيل

ـ والثانوية العامة

ـ سأتركها .. لم أعد استوعب شيئا .. لا أريد تقديم الامتحانات .. الحياة الزوجية معك أفضل لقد فضلتك على الكثير من شبان الحي وأنت تعرف ذلك

قالت معترفا : أدرك ذلك .. ولا أنسى مطاردات فوزي لك .. وسلمان وغيرهم ورضيت بفادي وهو رضي بك وتخلص من الأخريات .. عليّ أن أتفاهم مع الأخ فريد .. ليتك لم تستسلمي لي وقاومت شهوتي .. غلبتنا الشهوة .. قهرنا الشيطان

ـ لماذا ؟

ـ أخشى أن يرفض فريد التفاهم

قالت : اعترف له بأننا زوجان ، ضعه تحت الأمر الواقع

ـ قد يقتلني ، جاءني وهو يحمل مسدسا

ـ فريد مثلك له حبيبة أو أكثر وناجح كذلك .. جاءك به للتخويف ، ولتقبل بالزواج مني .. هو جبان .. وهو على وشك زواج كما سمعت من أمي

ـ عليّ أن أفعل لقد تورطنا في الجنس ، لم نشبع من القبل واللمس .. الإنسان ضعيف أمام الشهوة والخلوة والإغراء .. لم نقاوم كثيرا

ـ لأنني أحبك أكثر مما تحبني .. فما كان أمامي إلا أن أرضيك ، ولتعلم كم أهواك وأنا أقدم أغلى ما أملك .. يبدو الندم عليك

ـ الندم على ضعفي

ـ وهل أنا أول فتاة تمارس معها الجنس يا فادي وتركب سيارتك .. أنا فقط آخر حبيبة حسب علمي .

غض بصره وقال : المشكلة أنت تعرفين عني كل شيء .. لم أزعم أنك أول حبيبة .. نعم أنت آخر حبيبة .. رسمت في نفسي أن تكوني زوجتي .. ولكن صراحة لما سلمت نفسك لي .. أعدت التفكير .. فريدة هل أنا أول رجل جامعك ؟

ـ كجماع الأزواج أنت الوحيد يا فادي لأنك غلبتني على نفسي ..

وصراحة لم تكن أنت أول حبيب .. حتى لا تظن أنني أسخر منك .. وأنت تعرف أنني صاحبت صاحبك راميا .. صاحبني قبل سنة فترة وجيزة وتشاجرنا

ـ أعرف .. ولما سألته عن سبب ابتعاده عنك ؟ قال أحبتك يا فادي .. مجنونة فيك .. الحل الزواج

ـ أجل

لم يكن أمام فادي إلا أن يغامر ويعترف لفريد بالعلاقة الجنسية التي بينه وبين فريدة ، وأنه لتصحيح الوضع قبل بالزواج منها ليستر على نفسه وعليها ، وأعلمه أن شقيقته طلبت منه أن يعترف له فيما بينهم من علاقة حميمة ، وليكن الزواج قبل الفضيحة للطرفين ، في البداية لم يستوعب فريد هذه الاعتراف وظنه محاولة للضغط عليهم لقبول الزواج .. وقد استغرب استسلام أخته للغواية بهذه السرعة .. قد تستسلم الفتاة العاشقة للقبلة للمداعبة والغزل ، أما الجماع وتسليم جسدها بسرعة فهذا أدهشه وضايقه وجعله في حيرى .. فبعد تفكير عميق بينه وبين نفسه صعق فقال للشاب وهو يتأمل في وجهه : هل تملك مهر الزواج ؟

ـ لا أملك شيئا .. ولو كنت أملك شيئا لما صارحتك بما بيننا لفعلت كما يفعل غالب البشر بالدخول من الباب .. عليك بتدبير الأمر وترتيب الزواج .. سأدبر أربعمائة إلى خمسمائة دينار ونسلك الموضوع .. وتنهد وتحسر وقال : لا أدري لماذا سلمت لي نفسها ؟!.. أنا تفاجأت من رضوخها لشهوتي الجنونية .

تطلع فريد في عينيه ودهش لوقاحته وقال بحدة : أخذتها لغرفة فارغة ، وأغويتها بكلامك الفارغ ، والآن تقول لماذا سلمت نفسها لي ؟ يا رجل أنت قليل الحياء .. أنا لولا هذا الاستسلام لوضعت في رأسك خمس طلقات .. لكن هي فضيحة لابد من سترها .. احضر المبلغ وأنا سأدبر

القضية ، وسأزعم أمام الناس أننا قبضنا ألفا.. وأنت ادع ذلك ، ولتأت أمك للحديث مع أمي بذلك ، ثم يجري الزواج أمام أهل الحي .. الحي القذر .. عليك أن تتحمل المسؤولية بسرعة يا فادي .. ولتعلم أن هذا ليس أول زواج يحدث في أبو خروف بهذه الطريقة .. فلان عاشر فلانة وظهر عليها الحمل فتزوجا .. وفلان تزوج فلانة بعدما شاعت علاقتها المحرمة بين أهل الحي .. والحالات في حينا القذر كثيرة .. وها أنت أضفت إليهم .. عليك التعجل في أمرك ، فالأخ فراس عرض علينا الزواج منها .. ولو لم نسمع هذه القصة ربما صرفت نظرا عنك لابد أنه يعلم سركم ، فهو يضغط علينا من أجل هذا السر .. المبلغ الذي تملكه في البيت أم البنك .. لنسرع قبل ظهور الفضيحة التي ستضر بنا وبأهلك الطيبين .. أنا لم أكن أظن أن فريدة تافهة بهذا الشكل

ـ أنت وناجح أليس لكم مغامرات مع البنات ؟ .. فريدة ذكرت لي ذلك السر وقالت لقد قرأت كثيرا من رسائل الحب التي تتركونها في الغرفة والأشرطة وكلمة الإهداء من ...

ـ هذا الذي قواها علينا ، كاشفة أسرارنا السيئة .. وأنها كاشفة عيوبنا .. مباركة عليك فريدة.. وصدق أني أتمنى لكما زواجا سعيدا بحق لم يمض أسبوع واحد على هذا اللقاء الخطير حتى احتفلت الحارة بزواج فادي شيك من فريدة كمال وتنفس فريد الصعداء ، وقال ناجح المطلع على تفاصيل العلاقة بين فادي وفريدة : أحسنت صنعا يا فريد !

ـ إنهما زوجان قبل الزواج .

ـ ويحك !

ـ لم يكن ما بينهما علاقة عاطفية ..اعترف فادي بأن أختك أعطته جسدها قبل شهور في شقة أو بناية لم تكتمل في الهواء الطلق

ـ يا الهي ! أصدقت ذلك ؟!

ـ كل أسرارنا ومراسلتنا تقرأها فريدة يا شاطر ..

ـ لعل هذا فِلم من أجل أن يتزوجا ؟

صفن فريد لثوان وقال : فِلم! فكرت بذلك .. ليس من السهل عرضها على الطبيب الشرعي كان لابد من الستر .. أختك فاجرة .. ليس فِلما .. لو لم يكن بينهم أمر قبيح ما تزوجها فادي شيك بهذه السرعة ، وما الذي يجبره على القبول بها ؟ .. مشوا مع بعض في الشارع .. فهي كمزيود وغيرها من زانيات الحي القذر .. وفراس ما كان يعرض عليها الزواج إلا أنه يعرف سرها وأنها امرأة .. أختنا باعت شرفها .. وهل ترى أن يعمر هذا الزواج؟!.. لا أظنه سيطول يا سيد ناجح .. لابد أن ندفع الثمن من أعصابنا ومالنا وحياتنا .

}}}}{{{{

سؤال هل ينتهي الإنسان من المشاكل بزواج أخته من فارس أحلامها ؟! هذا سؤال سأله ناجح لنفسه على أثر الزواج العاصف والسريع لأخته ، فقد اكتشف أنه شريف بالنسبة أو بالمقارنة مع أخته .. فهو رغم صداقته مع العديد من الفتيات لم يجازف ويغامر بارتكاب الفاحشة .. حبه بهنّ بريء على فهمه .. أخته عمرها ثمانية عشر عاما .. وهي تعتبر كبيرة ، ويمكنها أن تكون أما ولكنها تدرس في الثانوية العامة .. السنة التي ستنقلها إلى الكليات والجامعات .. كيف سقطت ذلك السقوط المريع ؟!.. حتى أنه اضطر ليسأل نفسه هل افترسها فراس قبل فادي؟! .. فبيته أصبح مرتعا لبنات الليل والساقطات .. وشاع ذلك في الحي .. وفريدة جارة له ، وليست محصنة ضد إغراءاته وفنونه في الفتنة .. أتراه كان يخدعنا ؟ ولماذا اختار هذا الحي ليسكن فيه؟.. ولماذا اختار هذا الجزء من الحي ؟ .. والحي واسع ربما تعيش فيه أكثر من ألفي أسرة .. وشرق وغرب فكره وذهنه بحالهم وقال : هل انتهينا من مشكلة فريدة التي كنت أحسبها أعقلنا وأحسن منا أم بدأت المشاكل ؟ هل يمكن أن تسلم الفتاة نفسها لحبيب بسهولة ؟.. لقد صاحبت عشرات الفتيات .. ما وصلت بنا الأمور لقضاء الوطر .. ولم تحاول إحداهن إغرائي للوقوع عليها .. وكلهن من نفس مستوانا الفكري والاجتماعي .. وهل صحيح ما سمعناه عن علاقات قبيحة تجري في الحي من قبل نساء متزوجات أو مطلقات وأرامل ؟! لقد انتشر الكثير من الشائعات حتى أن أبا صالح شاع قديما أنه يتردد على بيوت بعض المطلقات والأرامل .. نعم أبي ..الحياة تكشف لنا أسرارا قذرة .. أسرة فاسدة أخلاقها سيئة تعيسة .. لما نحن هكذا ؟! ما الذي يمنع أبو صالح أن يزني إذا راودته أنثى لعوب ؟ فأي أخلاق تردعه؟ .. ربما يتعذر اليوم بالسن ، يضعفه عن مثل هذه الشهوة .. لما لا نغير من أخلاقياتنا الفاسدة ؟ كل تفكيري ووقتي في الحب واللقاءات والشهوات .. أنت عندك عقدة الخوف من أمراض الجنس .. عندما علمت بمرض (فهد) بسبب الزنا ، ظل الخوف يركبك .. إنك لا تزني لخوفك من الله إنما لخوفك من الأمراض ألا يكفي المداعبة واللمس والغزل والرسائل ؟! فريد هل وقع في هذا الإثم ؟ ولماذا لا يقع ؟ فصالح .. تورط مع امرأة .. نجا منها بأعجوبة ، ثم أسرع أبي بتزويجه .. أما جابر رجل الزراعة فقد صاحب فتاة واحدة حسب علمنا ، ثم تزوجها .. ثم استقر في العمل مع الوالد بعد عودته من عمل الزراعة .. أما فريد فكان امرئ القيس البيت ..قصصه أيام المدرسة كثيرة .. وبدأت تخف وتضعف مع الكبر والعمل ، وها هو يسعى

للزواج من أخت صديقه ليفتح صفحة جديدة مع الحياة .. وأنت منذ كشف لك سر أختك تركت الفتيات دون مقدمات والمطاعم والسينمات .. هل تفكر بالزواج حقا يا ناجح ؟! فريدة تزوجت .. ولن يعيرك أحد بعارها ..

وقضى ناجح أياما ، وهو يراجع حياته وحياة أسرته.. وتراوده الخطرات السوداء حتى ضعف التفكير بفريدة وزواجها الاضطراري لستر عورتها وفاحشتها .. عندما يتذكر ذلك يصيبه القرف منها ومن العائلة الفاسدة .. ثم قال هذا هو النموذج الصحيح في مثل هذا الحال .. فالكل منحرف في هذا البيت .. أبي رغم كل المصائب غارق في الشهوة ولعب الورق ، ولا يمل من التربع في مقهى عزب كأنه كرسي من كراسيها .. بل العم مهران يغير الكراسي بعد خرابها واهترائها .. ونحن نطارد الغزلان ونشرب الخمر والكؤوس .. وأحيانا نسوغ لأنفسنا التحشيش .. لماذا لا نتوب ؟ لماذا لا نصلي مثل المصلين ؟ هل حياة الانفلات أفضل ؟ أرى أن حياتنا شقاء في شقاء .. وهل الصلاة والدين للشيوخ الكبار في السن فقط ؟ هل الشباب مثلنا معفوون من العبادة والصوم ؟ في البيت هموم .. في الحي هموم .. وفي الشغل هموم .. وفي الحب هموم .. عجيب أمرنا في هذا البيت .. أم فريد لا تعرف الصلاة ، وخالتي أم ريان شيخة وعالمة في الدين .. لماذا لا تتعلم الفاتحة أمي وتصلي ؟ هل هذه التعاسة التي تحل بنا بسبب بعدنا عن الله ؟ (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).. أتنطبق هذه الآية علينا ؟!

اختفاء

بعد زواجها بأربعين أو خمسين يوما شاعت في الحي إشاعة مفادها أن السيدة فريدة طردت من بيت زوجها فادي شيك ، وهو يهدد ويتوعد بطلاقها ، ومكثت فريدة ببيت أهلها خمس ليال ، ثم أعادوها لبيت زوجها ، وشاع أن سبب طردها أن الرجل ضربها ضربا مبرحا ، وهو في حالة سكر شديد ، وانهال عليها لطما وصفعا، وآخر الأمر طردها من بيته.. فحملت نفسها صباحا وتركت بيت الزوجية ، وقضت أياما عصيبة مع أمها وأهلها.. والناس تتهامس بحثا عن السبب الحقيقي للمشكلة، فضرب الزوجات والأبناء شائع في الحي ، ولا يعتبرونه سببا مهما لحرد وهجر البيت ؛ فلذلك عندما جلس أبو صالح في مقهاه كعادته التي لم تتغير من عشرات السنين ، ورغم المشكلة الكبرى التي عصفت به ما زال يتردد على المقهى ؛ كأن لم تهجر فريدة بيت الزوجية ، وأن الحياة لابد أن تمشي وتسير كما تشرق الشمس من المشرق ، وتغرب في الغرب منذ زمن بعيد ، لا تتغير ولا تتبدل .

فقال نعمان أبو نوح : عادت لبيت الزوج ليلة أمس يا أبا صالح ، ومنذ أن أزعلها ابن شيك وأنت لا تتكلم في شأنها.. ألسنا أصدقاء ونشير على بعض ؟

فنفخ سيجارته وقال : البنات هم حتى الممات .. أنا كلها بنت واحدة ..

الله يعين الذي عنده خمس ست بنات.. صدقوا أن الأمر غريب .. عروس لم تكمل شهرها تتعرض للصفع والضرب والركل .. المسكينة تشوه وجهها .. حتى من شفقتي عليها فكرت بتطليقها منه والخلاص من آل شيك

قال رشيد : المشاكل دائمة يا أبا صالح .. نحن كبار السن ونتعامل مع النسوان والبنات بصعوبة والحياة الزوجية في أولها صعبة

فقال أبو سلمى : سمعنا أنهم تزوجوا عن حب

فصاح سلمان : أي حب؟! .. لقد سمعت أنهم تزوجوا بالغصب .. بس أبو صالح لا يحب الكلام .. مع أنه كل الناس في الحي يتكلمون .. هل يخبأ شيء في أبو خروف؟!

وأخذ القوم يكشفون عورات الناس ، وقصص الناس ، وفلانة نال منها فلان وزوجوهما سترة للعائلتين .. وفلان تزوج من تلك بعد افتضاح ما بينهم .. وفلانة خرج من بيتها فلان .. وفلانة فعل بها فلان ليقبل أهلها الزواج منها .. كل أدلى بدلوه .. غيبة نميمة فساد فتشجع أبو صالح وقال : هذه الحارة الكل يتجسس على الآخرين ..لا سر فيها .. صدقوا يا أخوان أنا تفاجأت مثلكم بزواج فريدة .. كنت أظن أنها مهتمة بالمدرسة والجامعة مثل بنات خالتها أم ريان .. ولكن فريدا فاجأني بقصة فادي شيك ، ولما حاولت تأجيل الزواج لبعد المدرسة والتوجيهي فقال الولد بكل وقاحة البنت امرأة وإنها باعت شرفها ، وهي راغبة بالزواج .. والزواج سترة حاولت أن أغضب فلم استطع فوافقت .. وهل أرفض ؟ وماذا عليّ أن أفعل في هذه السن ؟!

فقال أبو نوح : الحق عليك يا أبا صالح .. أنت لم تحفظ حق الله ليحفظك .. كم سمعنا وسمعنا سيدنا الشيخ يقول في خطبه أو مواعظه احفظ الله يحفظك

قال أبو صالح : هذا الذي جرى .. فبنات اليوم لا يعرفن الشرف والعرض .. يفهمن في الفجور والسفور

فقال أحدهم : وقصة ضربها قبل أيام .. وأرجعتموها لهم بسرعة !

ـ البنات يوجعن القلب يا أصحابي ..أنا لا أفشي سرا ، فالحي لا يخفى فيه سر .. فهذا الرجل رغم زواجه الحديث .. شهر .. شهر ونصف .. أتى بامرأة ليفجر بها في البيت دون خجل يا عالم ،

فقالت له فريدة أعرف أنك فاجر يا فاجر، وأنا غلطت لما صدقت أنك تحبني ، وسلمت نفسي إليك ، وأنت تحب الزنا ؛ ولكن ليس في بيتي فغضب ، وكما قال والده إن صوت الشجار وصل لشقتهم فخرج أخوه رامي وأمه ليروا سبب الصراخ والصوت العالي ، فهم كلهم في نفس العمارة .. وسمعت الأم القصة ، ورأت العاهرة في بيت ابنها ، وكان ثملا للغاية ، فطردوا الفتاة ، وقام أخوه بضربه بمكنسة ، ولما خرجت أمه وشقيقه وتركوه مضرجا بدمه ، فقام بالانتقام من فريدة ، وأراد ضربها بالسكين لولا أن هربت للأسفل حيث شقة شيك ، ونامت باقي تلك الليلة عندهم ، ثم صارت إلينا ، وقصت علينا الحكاية المرة ، فقال لها ناجح شامتا : هذا ما جنيت على نفسك عندما سلمت له نفسك مثل بنات الليل ، واشتعلت النار في البيت وتناثرت الفضائح من هذا ومن هذا .. فوجدت نفسي أعيش في مزبلة .. كرخانة .. وعصب الشاب وضرب فريدة ، وأرادت أن تذهب لمركز الشرطة تشتكي عليه .. لولا الأم وفريد ، ثم جرت بيننا وبين آل شيك وساطات وشفاعات ، ولملمنا الموضوع .. والكلب لا يستقيم ذيله الأعوج .. وأتصور أن ذلك سيكون إلى حين .. فهذا الولد فاجر ، وأبوه أفجر منه .

فقال نعمان أبو نوح : وأنت عليك التوبة يا أبا صالح ، وابعد عن الزنا والخنا .



ارتفع الآذان بين يدي خطيب المسجد مسجد حي أبو خروف وقد امتلأ المسجد عن بكرة أبيه فهو المسجد الوحيد في وسط الحي ، ولما انتهى المؤذن من رفع آذان الخطبة وقف الشيخ الإمام أمام المصلين وحمد الله حمدا كثيرا كما هو مقرر شرعا ، وأثنى على الله ثناء عظيما هو أهل له ، وذكر الشهادة التي سيلقى الله بها كل مسلم يوم القيامة ، وثنى بالصلاة على سيد ولد آدم ولا فخر ، وبالثناء المستحق له رسولنا العظيم ﷺ ، ثم بين الشيخ الإمام لأهل الحي أهمية نعمة الإيمان في حياة الناس ، ووضح لهم نعمة الإسلام إذا عمت بين أفراد وجماعات الحي ، وبين لهم أهمية نظافة وطهارة المجتمع من الفواحش ما ظهر وما بطن .. ثم أعلن أن سورة النور نور للأمة الإسلامية والحي ككل ، ودعاهم للاهتمام بها وفهمها ، والعمل بما فيها من طهارة وأخلاق حسنة وقرأ آية النور { الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }

أرأيتم أيها الناس أيها المسلمون؟ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة .. أفراد يتهاونون في أمر العلاقات الجنسية خارج شرع الله .. فيتشبهون بالكفار الضالين .. وحرم ذلك على المؤمنين .. يسمحون لبناتهم ونسائهم بالخلوة والاختلاط بغير المحارم .. فماذا ستكون النتيجة ؟ إنهم يشاهدون الأفلام المثيرة للشهوات والغرائز الجنسية .. يجلسون يتفرجون على مسلسلات الحب والغرام الأب والأم والأولاد والبنات .. ماذا ستكون النتيجة ؟! .. التقليد .. الحب الآثم .. الجنس المدمر للأمم والشعوب .. وتحدث الشيخ الإمام عن أخطار العلاقات المحرمة على الفرد والأسرة والحي .. وبين لهم أخطار الزنا والانحراف وراء الشهوات الجنسية غير الصحيحة ..

هناك أناس يزعمون أنهم مسلمون يرتفع الآذان عاليا إلى السماء مناديا عليهم لتلبية النداء ، وهم لا يزالون يلهون ويلعبون ويغفلون عن إجابة النداء الخالد الله أكبر قال الله { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ }

المصائب التي تقع علينا بكسبنا وفعلنا.. علينا بتطهير المجتمع من الفساد أو نزيل أكثره حتى تخف عنا النكبات والويلات.. اسمعوا أيها الناس.. الفجور قد زاد في حيكم ، والقصص المرعبة زادت قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }

أيها الأخوة .. إني لكم ناصح أمين ..عليّ بتذكيركم بسبب اللطمات التي تحل ببعض العائلات سببها الاستهتار بالمحرمات وترك أمر الله .. استيقظوا قبل أن تسحقوا وتذهبون إلى الفراق قال تعالى { لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } إذا جاء الموت فلا رجوع ولا حياة .. انتبهوا من غفلتكم وحب الدنيا .. واعلموا أن ما أصابكم من أنفسكم .

وعاد الشيخ ليؤكد لهم أهمية الابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاجتهاد في طهارة المجتمع ونظافته

وفي الخطبة الثانية ركز على مصائب اللواط والشذوذ الجنسي الآخذ بالتفشي ، وحذر من الاستهتار بالعلاقات الاجتماعية السليمة ، وحث عن البعد عن الفجور والشرور .

وغادر الناس الجامع وهم متأثرون من كلام وموعظة سيدهم الشيخ وحديثه في هذا الأمر الدقيق والحساس ، والكل في نفسه بيت وأسرة أبي صالح وشيك .. لذلك لما التم رفاق أبي صالح عصرا في المقهى كعادتهم الدائبة ، قال أحدهم : كأن الخطيب اليوم يتمثل مأساتك .. فتحدث أن

الزانية ينكحها زان .. فتخيلت أن قصة فادي وفريدة وصلت للإمام الخطيب .

فرد أبو صالح بسؤال : هل يدفع الأبناء ثمن جريمة الآباء ؟ .. كنت ضعيفا أمام مراودة النساء ماذا أفعل ؟

فأجاب أبو نوح : لا شيء .. فقط أعلن توبتك أمام الله وصلي وصم .. أنت لم تصم ربما في حياتك كلها ـ لم أعرف الصيام منذ أيام الصبا .. غرقت بالشهوات .. وأولادي مثلي في الملذات .. وكيف أتوب وقد مشيت في المعاصي ؟

ـ باب التوبة مفتوح ، وحسب ما أسمع أنه لا يغلق إلا عند الموت .

=++++=

وكما هي عادة البشر يتأثرون ليوم أو ساعات بكلام الواعظ أو الخطيب أو أثناء السماع فحسب والخطبة التالية تنسي التي قبلها ، وهكذا ينسى الناس المواعظ ؛ لذلك رغب الإسلام بالتكرار والتذكير بين وقت وآخر .. ورغم انتشار خطبة شيخ أبو خروف حول الزنا والانحرافات الجنسية في بيوت الحي وإعجاب السامعين له وكثر التعليق عليها.. استمرت قصص الانحراف والزيغ نحو الرذيلة ، واستمر ضعف إقبال الشباب على مسجد الحي ، لا يمتلأ جوف المسجد إلا يوم صلاة الجمعة .. واستمر الواعظ في نصحه وتذكيره والدعوة للفضيلة والنجاة والدعوة للبعد عن الفجور .. واستمر دعاة الفجور أيضا في دعواهم وفسادهم .. واستمر أبو صالح في المعصية والآثام ، ونسي قصة فريدة وطريقة زواجها ، ونسي خطبة الشيخ كغيره من رواد المسجد فالقصص والحوادث بعضها ينسي بعضا .. ومضت الأيام كما تعود عليها منذ عقود وعقود انتشر خبر رغبة فريد بالزواج في المقهى والحي.. وكنا قصصنا أن فريدا رغب بالزواج قبل زواج فريدة ، وقصة زواجها أوقفت المشروع لأجل غير مسمى ، ولما هدأت العاصفة أعلن فريد لرواد المقهى والأصدقاء أنه سيتزوج ، واحتفلت الحارة وخاصة أهل القسم الذي يسكن فيه والده احتفالا بهيجا دعي إليه الراقصون والمغنون ، وقضى أهل الحي ليلة طرب يصفونها بالجميلة ومن الأيام المعدودة في حيهم ..لأن الزواج مشى حسب الأصول وعادات الناس ، ولم يكن زواج تسليك حال ودرء فضيحة .

استأجر فريد بيتا في الحي ، وانتقلت زوجته إليه ، وهي من أسرة متدينة إلى حد ما ، ولم تكن من سكان أبو خروف .. كانت تصلي وتحرص على المحافظة على الصلاة بوقتها .. وصلاتها هي التي شجعته على التمسك بها ، وقد وعدها ووعد شقيقها من قبل بالالتزام بهذا الواجب الديني في

الوقت المناسب والقريب .. وقد ترك الخمر كما اتفق مع بشير شقيق الفتاة .. ومنذ خطبها لم يدخل خمارة .. ولم يشتر زجاجة مسكر .. ولكنه حنث ليلة الدخلة والحفلة التي أقامها رأى أنها تحتاج لخمر .. ولم يشرب كثيرا كما قال لناجح .. ولما عاد لعمله بعد إجازة الزواج .. أخذ بالصلاة وترك لعب الشدة إلى حد ما .. وصار يدخل المسجد مع سلمان وأبي نوح وأبي أحمد .. وقلّ جلوسه في المقهى ، وإذا جلس يلعب دورا واحدا أو اثنين وينصرف .. فصار يصحب الزوجة لزيارة أهلها والسهر معهم أو يزور بشيرا صاحبه .. وتعرف على أزواج شقيقات زوجته أكثر .. ويتبادل معهم الزيارات العائلية .. ووجد لديهم قبولا وترحيبا ، وهم يشاركونه الزيارات ، ووجد أحدهم شيخا بمعنى الكلمة .. فرغب بتعميق معرفته به ؛ ليستفيد مما عنده من العلم والثقافة، مع أنه لم يتخرج من جامعة شريعة ، إنما تعلم من القراءة والجلوس مع العلماء والمشايخ .. وعجب أن الناس تأتيه للإفتاء ، ويقبلون فتواه وكلامه .. فطابت لفريد صحبته ، والرجل اعتبره صديقا وقريبا ، وسمح له بمناقشته والحوار معه ما دام راغبا في الفهم وزيادة الإيمان ، وكان الشيخ ماجد متفهما لظروف أسرة فريد وبعدهم عن جو الدين منذ الصغر ، ولسوء سمعة حي أبو خروف في الغالب .. وكان يشجع زوجته بالاهتمام بهم ، وتشجيعه على الثبات على طاعة الله بكثرة زيارة أختها ، وهي بدورها تشجع زوجها ، ووجد ذلك قبولا لدى فريد ، وأحس برعاية ماجد له ولزوجته ، وبدأ يدرك كم كان تافها أيام المراهقة ؟ .. أيام مصاحبة المراهقات والعبث بهن وإفسادهن .. فأخذت هذه الصور التي كان يراها السعادة والفتوة تكبر في خياله فيشعر بالندم والحزن على نفسه وحاله وأهله .. وكيف كان مستغرقا بشهوات الجسد ونسيان أمر الله؟ وأخذ يذكر والده بالتوبة وترك لعب الورق قبل فوات الأوان ، وفاجأه أن أباه طلب منه عدم الحديث معه في مثل هذا الكلام ، وألا يعمل نفسه أبا نوح وسلمان وأبا أحمد .. فهم يصلون في الجامع الصلوات الخمس ويجلسون على مائدة اللعب فيقول : افعل مثلهم صل واجلس على المقهى .. أن تموت مصليا خير من أن تموت مقامرا .



لم يكد السيد فريد كمال يضع قدميه على بساط التوبة ، ويعرف الإسلام حتى كان خبر صاعق ينزل على دماغه ، فقد هربت فريدة من بيت زوجها لمكان مجهول .

جاء فادي إلى بيت والديه يسأل عن زوجته المتغيبة عن بيته من يومين ، وقد زعمت له وهي خارجة

إنها ذاهبة لبيت أهلها .. ولما جاء ليعود بها ويتأكد من غيابها ؛ لأنها عندما كانت تذهب لبيت أمها تعود للمبيت في شقتها ، فنادرا ما تقضي ليلتين عندهم ، فأخبرته حماته عندما سأل عن فريدة أنها لم تأت منذ شهر ، ولم تطأ أقدامها البيت منذ عودتها إليه ، وزواج فريد ، فقال بصراحة واتهام صريح : لابد أنها هربت مع أحد عشاقها يا أم فريد .. لأنها كانت تهددني بذلك منذ تصالحنا آخر مرة عندما هربت إليكم .

فقال ناجح ساخطا من اتهامه الصريح لأخته بأن لها عشاقا : لابد أنك أعدت الكرة وأحضرت بغايا للبيت . ثم لطمه على وجهه وصاح فيه : نذل .. حقير كنت أيام المدرسة أجبن فتى في المدرسة .

فصاح فادي وهو يرفع يده ليضرب ناجحا وقد أمسك الآخر بيده : أتضربني يا ناجح ..

وأخذت الأم تبعدهم عن بعض فقال ناجح : سأقتلك .. أنت الذي جعلها تهرب .. عندما تحضر البغايا لبيتك ..

ـ أختك امرأة قبل أن أتزوجها ..أنا كنت آخر ضحاياها .. اسأل جارك فراسا .. لقد افترسها منذ حط رجله هنا يا بطل .. هو قال لي ذلك

ـ ولماذا قبلتها زوجة يا نذل ؟

ـ اشتهيتها وأحببتها .. فلم يكن أمامي إلا الزواج بها .. خاصة لما واقعتها فظننت نفسي أول رجل ينام معها .



ـ حسنا أيها المجرم .. أين ذهبت ؟

كانت أمها تسمع هذا الكلام وتبكي فقط ، فبدا لناجح أن أمه تعرف بعلاقتها بفراس ، وأنها لذلك لزمت الصمت ولم تتكلم .. كان يذهب للشغل وفريد مثله وهي إلى المدرسة .. وهل تذهب فعلا للمدرسة ؟ ..

فرد فادي وقال : لا أدري.. كرهتها بعد الزواج بأسبوع واحد .. صارت أبغض النساء لقلبي ورفضت الطلاق .. والتنازل عن المتأخر من مهرها .. فريد جعل عليّ متأخرا قدره خمسة آلاف حتى لا أفكر بالطلاق بعد يوم أو يومين أعرف هذا .. هددتها بتحويل البيت لماخور .. لبيت دعارة قالت متحدية افعل وتحديتها وبدأت ادخل بنات الهوى للبيت .. ففضحتني أمام أسرتي بالقصة التي تعرفها ، فضربني شقيقي الأصغر مني ، وتعدى عليّ ومعه أمي .. وعادت إليكم فريدة .. بضعة أيام وتصالحنا .. ولما رجعت اتفقنا على ترتيب أمر الطلاق ولكن بعد حين .. وانشغلتم بزواج فريد .. وقبل أيام تناقشنا بأمر الطلاق ، فرفضت تنفيذ الاتفاق ، وزعمت بأنها

حامل مني .. ثم تبين كذبها .. فعدت لجلب بنات الهوى للبيت من جديد ، فانزوت في حجرتها وقالت افعل ما تشاء ليكن البيت بيت دعارة وخمارة ثم هددتني بأنها ستفعل مثلي فقلت افعلي ما تشائين .. ولا تظني أنني صدقت أني أخذتك بكرا ولم يقربك غيري.. أنا أعرف بعلاقتك بفراس جار دار أبيك .. فقد حدثني هو نفسه بعلاقته معك .. لكني تورطت معك وعليّ ترقيع الأمر .. أنت لم تكوني عفيفة قبل معرفتي بك .. ولا أظن أن عشاقك تخلو عنك .. وقلت لها بصراحة .. لا تزني في بيتي .

ـ أما أنت فتسمح لنفسك بالزنا في بيتك ..

ـ أنا أتكلم معك بصراحة .. وقد تعتبرها وقاحة حتى تفهم أختك على حقيقتها .. ربما لم يحدثك فريد بشيء مما كان بيني وبين فريدة .. المهم أنها أخبرتني بأنها سوف تهرب مع أحدهم في يوم من الأيام .. وأدركت أنها تخطط لفعل ذلك .. لما أخبرتني أنها ستذهب إليكم لأن أمها مريضة صدقت ذلك .. فالناس تمرض .. ولما لم تعد ليلا قلت ربما مرض أمها شديد ، واضطرت للبقاء عندها .. ليس لها إلا فريدة .. ولما مضت الليلة الثانية جئت لأرى .

ـ رغم الألم الذي أسمعه من هذا الكلام الجارح .. لقد عرفنا أختنا في النهاية يا فادي .. ولما كنت أنت غير مقتنع بالزواج منها لفسادها كان عليك ألا تتزوج .

ـ قلت لك أحببتها بصدق .. وندمت على استسلامها لي .. وعاتبتها في ذلك .. وقلت لها كان عليك أن تقاومي شهوتي .. ولكني اليوم أعلم أن ذلك كان مدبرا ووقع عليّ الاختيار ، لأكون كبش الفداء والزوج القواد

ـ بمن تشك ؟

ـ أعرف لها أصدقاء قبل العلاقة التي بيننا ، وصدقت أنها تركتهم لأجلي .. ولكن أعتقد أن فراسا هو الذي هربت معه .

ـ فراس ! فراس الحرامي يهرب بها

ـ كانت تذكره كثيرا ، وهما صديقان منذ سكن هنا .. وكان يطمعها بالزواج .

كان ناجح ينظر إلى أمه بحقد ، ويعرف أنها كانت تخفي عنهم علاقتها بفراس .. لقد كانت وحشا .. فقد خاف هو منها عندما حدثه سلمي عن علاقتها بفادي ، وهو يتسأل الآن لماذا صارحه بذلك وعن فادي خاصة دون الآخرين ؟ .. وقد تبين له أن لها عددا من العشاق .. وكان يظن نفسه ديك النسوان .. كل يوم يسهر مع فتاة .

وأخذ يتذكر اهتمام فريدة بجارهم الجديد ، وكان يتحمس لتقديم أمه له صحن الطعام .. يا لنا من مغفلين! .. شفقة .. كانا يرتبان مواعيد الحب

والعشق .. وما سكن هنا إلا من أجل فريدة.. وأوهمنا بصداقة مزيود وغيرها . قال ناجح لفادي: اغرب الآن .. اذهب وبلغ الشرطة عن اختفاء زوجتك وهربها مع عشيق .. اتهم من شئت .. لم يعد الستر مطلوبا اليوم فلا تستر علينا ولما استدار الرجل خارجا أكمل لنفسه يا فريد ماذا ستفعل بتوبتك بعد هذه الفضيحة المدوية؟!

الزوجة الطيبة

صعق فريد كما ذكرنا لسماع الخبر، وأخذ ينتحب وينشج عدة دقائق ، وطفقت زوجته تهدئ قلبه وتقول : هون عليك .. هذا أمر متوقع يا فريد ، وأنت نفسك توقعت أن الزواج فاشل؛ لأنه لم يقم على قواعد سليمة وصحيحة .. ولما قصصت عليّ قصة أختك، قلت يا سيدي ..الله يهديها للصواب .. والأخطاء سيتبعها أخطاء .. أخطاء بدأت وتتابعت ، وزواج لم يكن موفقا فاصبر ولا تتحدث عن عار وشرف .. فالقضية خرجت عن هذين الوصفين.. ومن قصة الأخ ناجح .. زوجها دفعها لهذا الخيار.. واتخاذ هذا القرار .. ما دام يأتي بالغواني لبيته .. ليفجر بهنّ أمامها.. لو كان فعله القبيح خارج البيت ربما غضت الطرف عن فسقه .. أصبحت معركة شيطانية بينهم .. ودور أهله سلبي وضعيف مع ثنائك عليهم .. فربما عرفوا بالسبب الحقيقي من زواج فادي لفريدة، وأن هذا زواج غير طبيعي كعادة الناس.. وأنه علاج لفضيحة.. فلزموا الصمت .. عليك أن تتعامل مع القضية بواقعية وعقل .. الانفعال والغضب ليس وقته الآن .. البنت خرجت عن الطريق الصحيح ، وهي عالجت مشكلتها بمشكلة أخرى .. واليوم لها زوج عليه أن يتحمل المسؤولية أيضا ..

كان ناجح يسمع كلام نوران بدهشة وانبهار، وأدرك أن فريدا تزوج فتاة جيدة وقوية ، ولها شخصية وقدرة ، وسمع فريد بعد أن بكى تلك اللحظات يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله .. لم نسمع عن أسرتهم أي انحلال .. إلا عن فادي ، لم نسمع لهم حكايات قذرة .. لكن موجة الانحلال غمرت البلاد .. جرفت الشباب ، ولم يصمد لها الشرفاء .. تيار جارف يا نوران .. ألا يمكن أن نتحدث مع ماجد في هذه الفضيحة ؟

ـ سأتصل بأختي .. فكلام ماجد سيكون دواء لك إن شاء الله .. لقد اختارت أختكم دربا مؤلما وقاسيا .. طريق كله عذاب .

وعاد يبكي ويقول : هل هناك أمل بإصلاحها ؟

وعاد يقول من بين دموعه : الوالد قصر جدا في تربيتنا على الأخلاق الحسنة .. وشببنا على التمرد والفخر .. لم ينهنا يوما عن معاكسة الفتيات ويقول عيب هذا يا ولد .. هؤلاء جيران .. أهل .. كان الأمر طبيعيا ، وربما فخر بمغامراتنا

وشكوى الناس له من سلوكنا نحو بناتهم .. والأم مثله .. لا تهتم ولا تكترث تخاف من الجميع .. لا تستطيع أن تسأل فريدة أين كنت ؟ ولماذا تأخرت ؟ .. لا زاجر لنا .. قبل زمن يسير شكى له أحدهم من ناجح وها هو يسمع .. فقال يا ولد يا ملعون دوّر على غيرها.. هذا ما يتفوه به.. لكن لم أتوقع منها أن تفلت هذا الفلتان كنت أتوقع أن أسمع عنها كما أسمع عن زميلاتها .. من رسائل غرام .. محاولات حب .. أما الانزلاق السريع للفواحش.. فكان صدمة لي .. وكان عليّ ترقيع الأمر والزواج .. كما يحدث في حينا بين فترة وأخرى .. عمري أنا ولا ناجح جلبنا فتاة لبيتنا ، كنا نمارس الجهل في خارج الحارة كان نشاطنا الفاجر خارج الحارة .. بعيدا عن الحي كنت أرى الزواج هما فاشلا .. كنت أراه مسؤولية فارغة.. أبي يترك الدكان لجابر ويظل لنصف الليل في المقهى ، وهذا شأن اعتاد عليه منذ قدر لنا الحياة .. لقد صدمنا بانحراف فريدة القاتل .. عرفنا صحبة النساء والفتيات ؛ ولكن لم نمارس البغاء ، أما فريدة فتهاوت سريعا في آتون الفاحشة .. كل هذا من جار السوء الخبيث فراس.. آسف لما أقول .. أغلب الظن أنه هو أول من ضاجعها بالحرام وضحك عليها وعلينا.. كانت تدفعنا للشفقة عليه وتقديم بعض الطعام له .. والمعلبات.. والفواكه .. وكانت هي التي تذهب لتوصيلها .. نظن أنها شفقة ورأفة .. نذهب للعمل ، ونحن نعلم أن البنت تذهب للمدرسة .. كنا نحس بشيء ولم نكن نراه .. لا ينفع الندم اليوم .. ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .. سامحيني يا نوران على هذه الكلمات أمامك وأمام هذا القرد .. لا تتخلي عني لسوء سيرتنا وسمعتنا حتى لو رأيتني أضعف أمام الشهوات .

ـ سأكون معك يا ابن العم .. سأذهب وأتصل بأختي نور لنزور الأخ ماجدا .. وتسمع منه بعض الكلمات الرقيقة .. فماجد كما تقول شقيقتي .. يحترمك ويحترم تفكيرك .. ويرى لك حماسا قويا اتجاه الدين والعلم .. وأنك تتقدم في تعلم التلاوة الصحيحة .

ـ أخشى الضعف بعد هذه الضربة !

قالت: قضية فريدة الآن عند الشرطة .. وستعود فريدة لعقلها ، وتصير امرأة صالحة إن شاء الله لقد جرفها الهوى والغزو الانحلالي .. في التلفزيون في الشارع .. حكايات التائبات والنادمات كثيرة في تاريخنا وحياتنا .. تحمل واعلم كما قال تعالى (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

تنهد وقال : صحيح ؛ ولكن علينا مسؤولية أدبية نحوها .

قال ناجح الذي ظل صامتا سامعا لهم : ماذا

سنفعل ؟ هي اختارت هذا الطريق القذر .. فالسيد فادي سيطلقها بعد هذه الفضيحة .. ولا أعتقد أن يفعل سوى ذلك .. هو الذي يمنعه من الطلاق المؤخر المرتفع بالنسبة إليه .. وإذا قبلت الطلاق دون المال أو تتنازل عن جزء منه فسيحدث الطلاق بسرعة .. وسيتزوجها الخاطف إذا قبلها .

فقال فريد بسخط : يا للعار !!

قالت نوران: أي عار يا رجل ؟! أأنت قلت لها افعلي كذا وكذا ؟ العار على الفاعل نفسه .. الرجل في عمله ووظيفته ، وامرأته تزني .. ما ذنبه وأي عار يلحقه ؟! .. العار يلحقه إن صدق ولم يطلق .. وسينسى الناس .. ولن يلومكم أحد .. هي هربت من بيت زوجها .

قال ناجح وهو ينهض للانصراف : أنت زوجة رائعة يا أخت نوران !! حافظ على هذا الكنز يا فريد .. علينا بالصبر .. ليست كل النساء واحد .



رغم ألم هذا الحادث الصاعق ، فالسيد كمال نزو لم يكترث له كثيرا ، عندما رجع ليلا سمعه ، سب وشتم ونام ، ولما يُسأل عن آخر أخبار ابنته الهاربة من بيت زوجها ، فيتحدث كأنه يتحدث عن ابنة أحد الجيران أو فتاة من فتيات أبو خروف .. هل مات قلبه ؟! أم الغيرة اختفت من ذاك القلب؟ لا ندري .. لذلك عندما دخل المقهى كعادته ، وجلس في الزاوية المعهودة والمفضلة له وقد التمت الشلة ، كان أول سؤال يُسأل عنه هل من جديد يا أبا صالح ؟

أشعل سيجارته ، وسحب عليها كم نفس ، ثم يطلقها في الهواء ، ثم يتمتم قائلا : لا جديد .. الشرطة تقول إنها خرجت بنفسها وليست مخطوفة .. وفراس الجار الملعون ما زال مختفيا .. فيظهر أن كلام الشيطان فادي صحيح بأنها هربت معه .. أنا الذي ـ ويرفع سبابته من يده الخالية من السيجارة ويشير لدماغه ـ يحيرني لماذا قبلت بالزواج من فادي ما دامت رغبتها بفراس اللعين وهو كلمنا بذلك ورفضناه لما رأينا هواها مع فادي .. اليوم نسمع أنها كانت خليلة له .. كانوا يضحكون على لحانا .. هل نلطم لستر شرفنا ؟ هل نقتلها لغسل العار ؟ فالعار لو قتلناها سيبقى ملازما لنا .. حتى لو شرب من دمها ناجح كما صرخ .. فهل يذهب عارها عنا ؟.. والله لا تستحق الفاجرة دمعة تذرف عليها ، ولا حبة زعل .. ولا حتى تمد اليد إليها بصفعة أو بصقة وهي ليست أول امرأة تفجر في التاريخ ، ولن تكون الأخيرة .. فالبلد مليء باللواتي على شاكلتها

ـ اتق الله يا رجل .. البلد فيها خيرات حسان

وشيخات .. هذا الخلق فيه الطيب وفيه الخبيث.. مثل المعادن فيها النفيس وفيها الخسيس .. هل أصابعك نفس الشيء ؟

قال أبو صالح : أنا قلت لناجح إياك أن تمسها إذا عادت .. وتخسر حياتك في السجن من أجلها إذا عادت قلت له سنطردها وتعيش كما تريد على حل شعرها ، لا أريدها ، ولا أعرفها .. ما دام لها بيت وزوج وقبلت به لماذا تهرب ؟ خليه يحضر لبيته من شاء من الزانيات ما دمن قبلن بالمجيء معه .. هل تظنون أنه بهربها تأثر؟ بل ربما رأى السعد وقد خلى له البيت .. بل هو فرح بذلك ، وسمعنا أنه يسعى في طلب طلاق غيابي بعد أن بلغ عن غيابها واختفائها من بيت الزوجية ، واتهامها بالخيانة الزوجية فسيسهل أمر الطلاق .. أرأيتم فجور الناس ؟ الخيانة الزوجية .

فقال أحدهم متعاطفا : الله يعطيك الصبر .. والده رجل محترم ومسكين ومغلوب على أمره بالنسبة لزوجته .. هي التي تسيطر على البيت منذ عهد بعيد وما زالت .. وهي كانت رافضة لهذه المصاهرة ، ولما أدركت أن الزواج لتغطية فضيحة سكتت وقبلت على مضض .. مواعظ الشيوخ لم تعد تؤثر في سكان حي أبو خروف

فقال أبو نوح : وهل يسمعها أولئك ؟ فهم لا يأتون المسجد .. فالمصلون هم الذين يسمعون هذه المواعظ .. الكلمة حقا قد تغير بلدا .. وهتلر حارب العالم بخطاباته .

ـ هتلر ، من هو هتلر هذا ؟!

ـ يا رجل هذا هتلر زعيم العالم في أوروبا .. ألم تسمعوا بهتلر ؟

فقال أبو أحمد : ما هو هتلر صاحبك خرب الدنيا.. وأهلك الرجال ورمل النساء وزاد الفجور والفسوق بسبب حروبه الدامية .

فقال نعمان : يا رجل الفسوق موجود من أول الدنيا .. ألم تقرأ في القرآن عن أهل سدوم قوم لوط ؟ .. فالفاحشة موجودة بوجود الحياة .. لم تأت من هتلر ولا أبي هتلر .. والحروب موجودة من قبل هتلر ومن بعده .. ها هي أمريكا تخوض غمار الحروب في فيتنام .. ويقال إن الناس تموت بالآلاف .

قال سلمان : يا عالم دعونا من مآسي العالم ، ولنبق مع مأساة أخينا أبي صالح .. ماذا ستفعلون للبحث عن البنت ؟

ـ الشرطة تقول إنها سترجع وحدها كما خرجت وحدها .. إلا إذا ظهرت مقتولة فتتدخل الشرطة

الطلاق

بينما ناجح عند الغروب يرتدي ملابسه ليسير إلى المقهى الذي أصبح من رواده ، بعدما ترك الذهاب لوسط المدينة لمقابلة صديقاته ، ويتعشى معهن ،

ويسهران في سينما أو مسرح أو حديقة أو يمشيان في شوارع وسط المدينة ، فقد كان مذهولا ومصدوما من أحوال شقيقته وعاجزا عن فعل شيء ضدها .. وقد اعتاد أن يقف عند النافذة ، وهو يلبس ، وبينما هو يفعل ذلك ليمشي لمقهى عزب شاهد سيارة نقل صغيرة أمام بيت فراس ، ورأى شابين ينقلان أثاثا من داخل البيت ، ويحملونه في السيارة ، فنزل مسرعا إلى السيارة وسأل السائق عن سبب نقل الأثاث فقال السائق : أرسلنا صاحب العقار لتفريغه من الأثاث .. فمستأجر هذه الشقة سلم المفاتيح للرجل ، وطلب منه بيع أثاثها وأخذ إيجاره .. وسيسكن ساكن جديد فيها أحد الطلاب العزاب

فقال ناجح : هل صاحب العقار هو أبو حسام الفار ؟

ـ نعم ، هو نفسه .

تابع ناجح إخلاء المأجور ، بل دخل للشقة ووقف يراقب الحمالين وهم ينقلون الأثاث القليل للسيارة النقل ، ومع آذان المغرب تحركت السيارة ، وودع السائق ناجحا الذي أكرمهم بإبريق شاي ، وأعلم السائق ناجحا أن امرأة ستأتي لتنظيف الشقة بالماء والمنظفات .

وأعاد الشاب الشاي والكاسات للبيت ، وأخبر أمه بإخلاء الشقة من الأثاث ، وسيأتي ساكن جديد .. وختم قائلا : وهذا يؤكد أن ابنتك مع ذلك اللعين فراس .

ـ هل قالوا لك ذلك ؟

صاح فيها : هؤلاء جاءوا من قبل صاحب العمارة .. وفراس الخائن سلم المفتاح لصاحب الدار وأمره ببيع الأثاث وأخذ الأجرة الشهرية منه.. وكلام فادي صحيح .. والله أعلم إن البنت عنده

قالت : سمعت أنه قدم طلب طلاق للمحكمة .

فصاح هائجا : ولماذا يبقيها على ذمته ؟ خزاها الله

ـ كلنا مخطئون يا ولدي .. كلنا مستهترون .. نحن أشفقنا عليه وحزنّا عليه .. ولم نعلم أنه خائن وغادر .. قدمنا له بعض الطعام شفقة وعطف

ـ هل أصدق أنك ما كنت تعلمين ما بينه وبين فريدة ؟

ـ لو أحسست ما الفائدة اليوم ؟!

ـ معك حق.. يقولون الأم أدرى بابنتها.. وكما قلت لو أحسست ما الفائدة اليوم؟! الملعونة كرهتني في جنس حواء .. كستنا بالعار .. إلى الأبد

ـ يا ولدي كما قال أبوك لا تخسر حياتك من أجلها .. فالعار يلحق بها وحدها .. نحن لم نقصر معها في شيء .. ثياب .. مدرسة .. مصروف .. كانت تستغفلني.. وأنا للأسف كنت واثقة منها .. لم يعد لي بنات

ـ أمعقول يا أمي ؟! إنك أمها .. وكيف سنتركها

للشارع ؟

ـ تعيش وحدها تشتغل وتصرف على نفسها

ـ كلام فارغ .. وحبسها في البيت لا يحل الإشكال .. أبي لا يكترث لها ولفسادها

ـ أنا معكم يا ولدي .. كنت مصدومة فاقدة للوعي لما أسمع وتكشف لي .. أنا ما قلت لها افجري .. ولا قلت لها أن تخون زوجها ولو كان أفسد الناس .. أو تخونكم أنتم

ـ أنت طيبة جدا يا أمي .. لا تفهمين باللف والدوران .. أنت مسكينة .. أنا سائر للمقهى .. لعلي أجد فريدا هناك .. ففريد وجد في الدين والتوبة سلوته وقضاء وقت فراغه .. وصالح لا يهتم كأن العرس عند الجيران .. وجابر ما تفوه بكلمة .. تقولين كأنها ليست أختا لهما .. وكأن الحادث في أمريكا أو في الصومال .

ـ المساكين ماذا يفعلون يا ابني ؟ الكل من داخله مجروح ومهموم .. وأقول ما قاله أبوك لا تستحق أن يلوث أحدكم دمها بيده .. إنها الآن في جحيم الخوف والهوى ..

ـ أصبحت الحياة قذرة ومذلة .. خزتنا ووطت رؤوسنا أمام الخلق .. كنا نعد أنفسنا ديوكا .. نتسلى ببنات الناس.. أما اليوم فغمرنا بالخزي والعار

تلقى فادي شيك اتصالا هاتفيا من فراس يخبره فيه أن زوجته عنده ، وأنها ترغب بالطلاق بأسرع وقت ممكن ، وطلب الاجتماع به سرا لتدبير الأمر التقى الرجلان في وسط المدينة أمام أحد المقاهي الشعبية ، وفي داخل المقهى قال فادي دون تمهيد : كيف تحبون أن يكون الطلاق ؟ .. ومباركة عليك العروس .

ـ شكرا يا عم فادي .. لا تريد أن يعلم أهلها ولا أحد بطلاقها الآن .. أنت سعيت لديها لتقبل الطلاق منك ، ورفضت هي كما أخبرتني .. وأنت أيضا سعيت لدى المحكمة بالطلاق غيابيا ، ولم توفق بسبب غيابها عن بيت الزوجية والمتأخر من المهر .. فالبنت تقول ستقبل الطلاق إذا دفعت لها ألف دينار وتسامحك بالأربعة الأخرى .

فصاح فادي : من أين سأدفع الألف؟ .. أنا لو معي الألف لتزوجت بها وأبقيتها على ذمتي .. أنا يوم تزوجتها لم يكن معي إلا خمسمائة دينار وهي تعلم ذلك .. وأنا ليس لي إلا راتبي الشهري والبيت لأبي

ـ خفف من صوتك أولا ، وثانيا خذ من أبيك أو أمك من البنك دبر نفسك

ـ لا أستطيع يا رجل ، نحن لنا بضعة شهور متزوجون .. سأدبر نصف الألف .. أقنعها بذلك يا فراس يا حبيبي .. أرجوك أن تقنعها بذلك

ـ يا رجل أنا أقنعتها أن تكتفي بالألف .. على كل

حال سأتصل بك ثانية إذا قبلت وسنرتب أمر الطلاق .. اغرب الآن عن وجهي ..
غادر فادي المقهى وهو يقول : تريد الملعونة .. ألف دينار لتعطيها لك .. أنا لا أدري كيف رضيت بالزواج منها ؟!.. هل حقا خفت من تهديد أخيها أم خفت من هذا الرجل ؟ أنا عرفتها قبل أن تعرف فراسا .. أكانت تعرفه قبل رحيله لحي أبو خروف؟ .. لا .. الرجل كان في السجن خرج من السجن ثم سكن في أبو خروف .. كيف ستعرفه؟.. تعرف عليها واتخذها خليلة .. ثم زعمت أنني حبيبها الأول ، ووهبتني جسدها للتدليل على حبها لي .. وصدقت ذلك .. لأنها تخلت عن الصرصور ، وصدقت أنها أحبتني لما رأتني أول مرة والتقت بي وهجرت الصرصور.. لعنها الله ما أفجرها!.. استغلت عاطفتي نحوها .. لقد فتنتني بجمالها ورأيتها أجمل فتيات الحي ، وأجمل من التقيت بهنّ .. إنها فاتنة .. كانت تريد زوجا لتخفي أسرارها وعريها كله تخطيط من هذا الشيطان .. وتظاهر أمام أهل الحي أنه راغب بالزواج منها .. صفقة خاسرة سأدبر الألف إذا اضطررت .. ساعة سيئة التي قبلت بها زوجة .. أحاطت بي ظروف لم تدع لي التفكير السليم .. لقد اشتهيتها بقوة .. هل سيتزوجها هذا اللص ؟ .. سيعملون فِلما جديدا.. كل كم شهر يحصلون على ألف أخرى .. حيلة كنت أنا بطلها .. فراس لص ماكر .. يتاجر بكل أهله ليصل للمال .. وربما سيطردها شر طردة بعد أن يأخذ نصيبه من المال .. وأعتقد أنه هو الذي استولى على دكان العم أبي صالح .. وقد يكون ذلك بالتواطؤ مع تلك الخنزيرة .. هناك أشياء فهمتها بعد الزواج .. فليست أول امرأة أفسدها على زوجها .. الصرصور يعرفه جيدا ، وسجن معه عدة مرات مصيرهم السجن من جديد هل أكتب رسالة للشرطة عنهم ؟ سيقتلونني إذا عرفوا يوما أنني وشيت بهم للشرطة .. رسالة من مجهول .. كيف ستثبت السرقة عليهم بعد هذه الشهور؟!.. فالأطعمة قد أمست في كروشهم .. والدخان دخنوه أو باعوه .. اللهم اكفني شرورهم .. وشر فريدة .. لماذا سمح لي الصرصور بالذهاب معه عند لقائه لفريدة ذاك اليوم ؟.. ثم تظاهرت بأنها معجبة بي من وراء الصرصور .. لعبة شيطانية .. بعد أن اغووها بالزنا .. لبسوني إياها .. إن اللعبة تتكشف لي اليوم .. كنت مغفلا .. وهي كان عليها أن تنفذ مخططهم بعدما باعت جسدها لهم .. أنت جنيت على نفسك يا فريدة مع هؤلاء الأشرار .. وأنا مثلك حمار مغفل .. من أين سأدبر الألف أو حتى نصف الألف .. عليّ أن أنجو منهم .. ربما لو كان معي الخمسة آلاف لنقدتها إياها لأخلص منها

، وهي وهم سيتقاسمونها بينهم .. فلما يئست عملوا لعبة الهرب من البيت .. والآن يكتفون بألف .. فكل راتبي اصرفه على الدخان والنسوان والمخدرات .. لابد من الخلاص منها .. إذا حملت منهم سينسبون الولد لي ، فهي ما زالت تحمل اسمي .. هؤلاء ناس لا ضمائر لهم ، سيقولون هربت وهي حامل .. لقد أشارت في الأيام الأخيرة إلى الحمل .. اللعنة على اليهود .. سأكلم أمي سيدة البيت .. دخل بيت الأسرة مكشرا غاضبا ، فلمحت أمه ذلك عليه فقالت : مالك ؟! مثل الذي قتل القتيل ومشى في جنازته

ـ أنا في ورطة عويصة يا أمي

ضحكت أمه وقالت : طول عمرك في ورطات ، ولا تسمع النصيحة والمشورة .. ما هي الورطة الجديدة ؟

ـ أريد أن أطلق المرأة سرا دون علم أهلها .. يريدون ألف دينار بدل المتأخر الذي كتب عليّ

ـ لما نصحتك لا تقبل بخمسة آلاف قلت حبرا على ورق .. لما يحدث الطلاق نتفاهم

ـ وها نحن تفاهمنا على ألف

ـ هل قابلتها؟

ـ لأ ، قابلت عشيقها الرجل الذي هربت معه

ـ فراس ؟

ـ نعم فراس ، وهل غيره يستطيع إقناعها بالهرب ؟ بس الذي يحيرني متى تعرف عليها ؟ وقد التقيت بها عندما كان في السجن .. فهو خريج السجون .. لص ومحتال معروف .. وقضى أياما في بيت أمه الأرملة ، ثم رحل لأبي خروف وجاور أبي صالح .. وتعرف عليها بعدي .. إنهم يريدون ألفا مقابل الطلاق .

قالت أمه : الخلاص منها غنيمة ، سواء عرفتها قبل فراس أم عرفها قبلك .. أنا منذ حدثتني عنها وأنا لم استسغها .. فتاة قوية متكبرة رغم جمالها الفاتن .

ـ هو جمالها الذي قضى عليها .. لما رأيتها مع الصرصور وقع هواها في قلبي ..

ـ دعنا من هواك .. كل الشرور فيك يا فادي .. ولكنك ابني .. كم تملك حضرتك ؟

ـ لا شيء سوى راتبي

ـ دبر خمسمائة ، وأنا سأدبر مثلها .. البعد عن فريدة غنيمة ولو دفعنا مليونا .. والمرة أنا التي ستزوجك .. وإياك وإحضار المومسات للبيت .. إنهن مريضات .

ـ من أين سأدبر يا أمي ..أبي لا يقرضني إياها

ـ دعك من أبيك ..أبوك يريد تزويج رامي .

جاءه تلفون آخر من فراس يستفسر فيه عن تدبير المال ، فوافق على اللقاء في حديقة النور حديقة تعرفها فريدة حق المعرفة .

وفي اليوم المحدد التقت فريدة وفراس بفادي

ورامي الذي تعرفه حق المعرفة ، وافق فادي على دفع المبلغ عند القاضي ، وسيكون المبلغ معه عند إعلان الطلاق ولم يتكلم فادي مع فريدة بكلمة واحدة ، وكان كلامه كله مع فراس .. وأمام المحكمة التقوا في اليوم الموعود ، وقدموا طلب الطلاق .. وبعد سؤالها من قبل القاضي هل أخذت متأخرها ؟ قالت نعم ، وعلى أثر ذلك أعلن القاضي حكم التفريق بينهم ، وأخذت فريدة وثيقة بذلك وفادي مثلها ، وقد أخبرها كاتب القاضي أن تنتظر ثلاثة قروء قبل التزوج من جديد .. وانصرف الجميع من قاعة المحكمة ، وكل يحمل عقد الطلاق بيمينه.. وانصرف فادي ورامي بدون أن يكلما فريدة جملة واحدة .

وانصرفت فريدة وفراس إلى أحد المطاعم ، وأعطته مائة دينار نظير جهوده ، وتغديا معا ، وقالت وهما يغادران : بقي عليك تنفيذ الجزء الثاني من الخطة .. دبر مبلغا بسيطا ، وأنا سأدبر الأمر مع الأهل بمجرد انتهاء العدة سنتزوج .

ـ ولماذا ننتظر لانقضاء العدة ؟

ـ القانون والشرع

ضحك فراس لتلفظها بكلمة الشرع وقال هازئا: وأين كان الشرع وأنت عندي في البيت؟! .. أي شرع وأي قانون؟! الشرع في الجامع فقط .. فلتبق عندي ، ولما تنته العدة أو يقرب انتهاؤها تعودين لهم لنكمل المشوار.

ـ العدة من اليوم تبدأ .. تلك الأيام كنت زوجة هاربة في نظر فادي والناس .. ولي شهر ونصف مغادرة بيت فادي .. ألم تشبع مني بعد ؟

ـ وهل يشبع من النساء الجميلات ؟

ـ عليك أن تصبر ونتزوج حسب الشرع حتى لا يتدخل أحد في حياتنا ، وإذا ولدت يكون الولد شرعيا .. إنما هي شهران ونصف أو ثلاثة .. القانون لا يعقد لنا قبل مضي ما يسمونه العدة الشرعية

ـ ألا تخشين من العودة إلى البيت ؟

ـ لا ، لا تخشى عليّ منهم .. كلهم أنذال يلبسون بدلات

ـ ولكنّ فريدا أصبح شيخا يتردد على المساجد

ـ أجبنهم فريد .. وأبي لا يهتم بي ولا بغيري .. بل هم شامتون بي .. وعلينا أن نتزوج حسب الأصول .. ليس من أجل الجنس ، بل من أجل الأولاد يا فراس .. وحتى لا يطلق على أبنائنا أبناء غير شرعيين

ـ أراك تحرصين على القانون ! وما زلت دون العشرين

ـ السماع والقصص .. جهز نفسك وأنا في انتظارك

ـ أخشى إن ابتعدت أن تغيري رأيك

ـ يا رجل أنا صرت ملكك من أجل الخلاص من

فادي ، فأنت حياتي منذ جئت حارتنا ، صرت الأول تركت كل من صاحبت لحبي لك .. ولو وافقت حقيقة على الزواج مني لما نال فادي مني شيئا ؛ ولكنها كانت خطتك

ـ كنت أخشى الارتباط بك يا فريدة ..وأنت تعلمين ظروفي بالتفصيل .. وأنا رجل خارج من السجن ، وما زالت الشرطة تبحث عني لقضايا لا تنتهي .. فالارتباط كان صعبا يا حبيبتي .. وشجعتك على الزواج منه حتى إذا وقعت في أيدي الشرطة .. لا تظهر عليك الفضيحة .. فكان عليّ أن أقبل شريكا لي في جسدك والغيرة تنهشني .. وقلت اظهري أمام أهلك رغبتي بالزواج منك ليقبلوا بزواجك من فادي .. فهم يفضلونه عليّ .. وقد وافقت على هربك لأنني مغرم بك هذا ولد مجنون حقا كيف يأتي بالنساء الموسات لبيته وأنت معه ؟ والعجب أن أهله سكتوا .. ولو هربت لأهلك مرة أخرى لأعادوك إليه .. هم يريدون الخلاص والفكاك منك .. فكان لابد من إخفائك لفترة .. حتى يقبل الرجل بالطلاق .. خاصة أنه لن يدفع المؤخر كاملا لطفره .. والألف لا بأس بها .. صدقي يا فريدة لو كان صاحبنا يملك الخمسة آلاف لدفعها ليخلص

منك .. وأنا تحريت عنه وعرفت أنه لا يملك إلا راتبه .. فمنه يسكر ويحشش أحيانا ويزني ..

ـ أنا في انتظارك يا حبيبي

ـ المال الذي معك أين ستذهبين به ؟

ـ سأعطيه لأبي ليصمت ، ثم آخذه منه عند زواجنا .. لن اتركه لفريد وناجح

ـ أفضل أن يبقى معي يا فريدة .. وعندما أتقدم للزواج منك ادفعه لك

ـ دبر مبلغا بسيطا مائتين دينار .. أو احتفظ بالمائة التي أعطيتك إياها ، وسيكون زواجنا شكليا وسيكون المقدم دينارا واحدا .. والمتأخر أنت وكرمك .. وبعد الزواج سأسحب المبلغ من أبي ونفتح دكانا أو محلا لتعمل فيه .. ونبدأ حياة هادئة ؛ لعل الله يرزقنا ذرية نفرح بها .. ماذا كنت تعمل قبل سجنك آخر مرة ؟

ـ عملت أعمالا كثيرة .. سنفتح مقهى أو مطعما فإني عرفت هذه المهن

ـ جيد .. فلنفترق على أمل اللقاء الأبدي يا حبيب القلب ..لا تنساني

ـ ألا من لقاء قبل انقضاء العدة ؟

ـ إذا وجدت البيت جحيما سأتصل بك عند ذلك البقال .. إني أحفظ رقمه صافحها بحرارة وقال : إلى اللقاء يا حبيبتي

ـ مع السلامة .. إلى اللقاء أيها الحبيب

ـ آه من الحب والهوى !

زواج ناجح

لما توارى فراس عن نظرها مشت نحو الشارع الرئيسي في المنطقة ، وفتشت عن أحد البنوك ، وأودعت مالها بحساب خاص فيه ، وكانت قديما قد باعت قطع الذهب التي حصلت عليها عند زواجها من فادي ، ووضعت المال في أحد البنوك ولما سألها فراس يوما عنها زعمت أنها أنفقتها على البيت من أجل استمرار الحياة الزوجية.. وظلت تتسكع في شوارع المدينة ، وقد اشترت ثيابا جديدة ولبستها في نفس المتجر ، ولما هبط الليل دخلت مطعما تناولت فيه الطعام ، ثم دخلت السينما ، ولما انتهى الفِلم أخذت سيارة تكسي إلى حي أبو خروف وطرقت البيت ، وكانت تتوقع وجود أمها وناجح .. فتحت الأم الباب ولما رأتها صاحت دهشة : فريدة !

أزاحت أمها عن الباب وزلفت داخلة ، وأغلقته خلفها وقالت : نعم فريدة .. مساء الخير .. كيف حالك يا أمي ؟

ـ كيف حالي ؟ حالي سوداء بعدك

قالت : انسِ يا أمي ها أنا قد عدت ، وقد حصلت على ورقة الطلاق اليوم

ـ هل طلقت ؟!

ـ نعم ، يا أمي انتهى ما بيننا

كان ناجح قد سمع الطرق الليلي ، فهو لم ينم بعد ، فنزل وسمع الحديث الدائر عند مدخل البيت ، فقال ساخرا : أهلا فريدة .. الحمد لله على السلامة كيف الغربة ؟!

لم تلتفت إليه وقالت : هل حجرتي ما زالت تنتظرني يا أمي ؟

فقال ناجح بحدة وغل : هل شبعت من الرجال ؟

ـ لم اشبع بعد .

ـ عاهرة ! .. أصبحت عاهرة .. ألم تجدي خمارة تحويك ؟

فصاحت بغضب وحقد : اخرس يا ولد .. هذا جسدي وأنا حرة فيه .. إن لم تلزم حدك سأذهب الآن للشرطة وأتهمك بالاعتداء عليّ

صفق بيديه وقال : أعلم أنك تفعلينها .. ولماذا جئت إذن إلينا ؟! لا أعتقد أنك تبت عن المواخير

صاحت من جديد : اخرس يا ولد .. أنا أشرف منك .

ـ أنت أشرف مني .. والذي خلقك ما زنيت قط .

قهقهت وقالت وهل أصدقك يا ولد ؟! أنا التقيت ببعض فتياتك

ـ كلهنّ كاذبات .. مفتريات .. صحيح أنا كانت لي صداقات مع فتيات ؛ لكنها بريئة من الجنس والزنا ، وندمت عليها منذ عرفت أنك عاهرة !

ـ اخرس لا تقل هذه الكلمة على لسانك

قال متهكما: وإلا ماذا تسمين غيابك هذا الشهر عند فراس ؟

ـ لو عدت إليكم لرددتموني لفادي النذل ، فكان الهرب معه هو الحل .. وسنتزوج قريبا .
صاح ناجح : آ ، ستتزوجون .. ألا تعلمين أن فارسك الجديد لص حقير؟! .. وعندما سكن هنا كان خارجا من السجن من أيام قليلة
ـ أعرف ، ولم تأت بجديد .. والمسجون أليس إنسانا وبشرا ؟ وهذه دار أبي فلما تكون دارك تطردني منها
ـ لست نذلا لأطردك .. فها هي حجرتك لم تسكن من بعد .. تزوج شقيقك فريد ورحل ، وسأتزوج أنا وأرحل قبل أن تنتهي عدتك .. هذا بيت جحيم .. بيت خزي وعار
قالت بهدوء : ارحل .. ولماذا لم ترحل بعد ؟!
ـ كنت أعلم أنك ستعودين كالكلبة الجرباء .. واحد مثل فراس هذا لا ترضيه امرأة واحدة .. فهو يتنقل بين عدد من النسوة الماجنات مزيود وغيرها .. فهو بهيمة حيوان .. مثل تيس الغنم سأرحل يا سيدة فريدة ليخلوا لك البيت .
أخذت فريدة بالبكاء من القهر من الطلاق من الكلام الجارح ، ودخل أبو صالح والبكاء يسمع فقال : ماذا هناك صوتكم في الشارع ؟!
هتف ناجح قائلا : عادت ابنتك يا أبا صالح .. عادت رافعة رؤوسنا للسماء
تطلع فيها أبو صالح وقال بسخرية : عدت يا فريدة .. أين قضيت شهر العسل ؟
ـ أهلا أبي .. سامحني يا أبي .. أغواني الشيطان .. فقدت عقلي
ضحك ناجح لمكرها وقال : أنت الشيطان
صاحت في وجهه : اخرس هل تريد مني أعيش في الشوارع ؟
فقال أبو صالح : أين كنت تعيشين كل هذه المدة عندما تركت بيت الزوجية ؟
ـ حصل اليوم طلاقنا فجئت لبيت أبي وأمي .. سأتزوج بعد انقضاء العدة
ابتسم كمال وقال : العريس جاهز
فقال ناجح : لديها عرسان ليس عريس واحدا .. سيصير فراس أفندي صهرك يا أبي .
فهاج كمال وصاح : اللص .. الحرامي .. جار السوء
ـ آ يا أبي ، البنت فهمت من كلامها أنها رتبت أمورها مع اللص فراس
فقال كمال : وكيف رضيت به يا ملعونة ؟
قالت بنبرة التحدي المعروفة فيها : وهل اللص لا يتوب يا أبي ؟ هل شارب الخمر لا يتوب يا أبي ؟ هل الزاني لا يتوب يا أبي ؟ هل لاعب القمار لا يتوب يا أبي ؟
قال كمال : كبرت يا فريدة .. تعيرين أباك بجرائمه !

العادة السائدة لأبي صالح كما لاحظتم لا تتغير مهما كبرت وصغرت أحداث أبو خروف ، فدخل المقهى في موعد صلاة العصر ، وجلس على كرسيه المعتاد وطلب الشاي الثقيل ، وأشعل هذه المرة غليونه الإنجليزي ، كما يردد لرفاقه أنه استورده من بلاد الإنجليز ، وسحب ونفخ عدة مرات ، وقال له أبو نوح : أصحيح أن البنت رجعت يا أبا صالح ؟ أم الأولاد أخبرتني ذلك الخبر عند صلاة الفجر قالت البنت الليلة عادت لدار أبيها كيف هي ؟

ـ عجيب أمر الناس ! .. على صلاة الفجر كان الخبر يمشي بين الناس ..

اخرج الغليون من فمه وتابع : عادت كما تعود بنات الناس .. البنات الهاربات .. أنا قلت إنها لن تعود مثل بنت ... ولكنها عادت مطلقة .. طلقت صباح أمس وعادت للبيت ليلا .. وقلنا كم كلمة وانتهى الموضوع .. البنات خزي وذل

ـ التربية سيئة يا أبا صالح.. أنت قصرت في تربيتهم الأخلاق الحسنة .. وأمهم غلبانة لا تتدخل في شيء .. تسمع فقط .. لقد أهملت في حقهم .. وها هو فريد قد هداه الله ، وها هو يتعلم القرآن ، ويجلس مع المشايخ ، ومع الوقت سيصير شيخا

قال آخر : أصبحت ابنتك اليوم مطلقة .. دمرت حياتها بنفسها .. ماذا ستفعل في البيت ؟

فقال آخر : سيأتيها ابن الحلال

فقال أبو صالح بحماس : العريس جاءت به معها فصاحوا دهشة فقال : مالكم ؟! قلت البنت جاءت تقضي العدة عندنا .. لماذا العدة والبنت لا تعرف صلاة ولا دين ولا رمضان ؟!

ـ من هو عريسها الجديد ؟

قال بحزم: الحرامي فراس .. الحرامي الذي هرب بها وغرر بها .. والذي خلاها تترك المدرسة الحرامي خريج السجون .

ـ مرتبة الأمور مع فراس .. جاء السعد !

ـ أي سعد ؟! جاء الشيطان .. كان يوم أسود اليوم الذي شرف فيه حي أبو خروف .. زعم أن والده طرده ، وأبوه ميت من القهر منه .. طلع من السجن وسكن بيننا .. كيف أصحاب البيوت يؤجرون الشقق لأصحاب السوابق والإجرام ؟

ـ صاحب البيت يريد المال .. وهل يبقى المأجور فارغا ؟.. هذه الدار ظلت شهور خالية قبل سكنه فيها .. فهي تحت الأرض وعفنة تملأها الرطوبة .. وما دامت الحكومة أفرجت عنه .. فلماذا يعاقبه صاحب العقار؟ والرجل كان يدفع الإيجار المتفق عليه .

قال أبو صالح : لعنة الله عليه .. المهم جاء وفسد البنت علينا ، وعلى زوجها ، وهو اليوم يوهمها أنه

سيأتي للزواج منها .. ومتى ستنتهي هذه العدة ؟ .. لو تزوجها قبل أن تأتي لكان خيرا لنا .. فها هو ناجح سيترك الدار قبل أن تتزوج .. وهو اليوم مصمم على الزواج قبل انتهاء عدة فريدة وسيتقدم لأبي فواز لطلب يد ابنته زهرة .

ـ لم يجد إلا زهرة .

ـ يبدو أنها لم تطلع من نفسه .. والبنت خطبت وبطلت .. سمعته يحدث في البيت أمه بذلك ، ويطلب منها أن تذهب هي وأختها أم ريان جارتهم للحديث مع أم الفتاة

فعلق أبو أحمد رشيد : ما دامت البنت خطبت وتركت سيقبلون به سريعا .. وناجح ولد جدع ولماذا لا يسكن معكم في البيت ؟ .. وفريدة سترحل عندما تتزوج اللص فراسا ؟ وأنتم بحاجة لرعاية فقد كبرتم .

ـ الله يرعانا .. نفرض ما خلفنا .

قال سلمان : نفرض ما خلفت ، وأنت خلفت خمسة أنفار.. فجابر مليح معكم ومساعدك في البقالة فليرحل للعيش معكم .. لو مرض أحدكم في الليل وتحتاجون لطبيب أو مستشفى فسيساعدكم .. جابر جيد

وزكى الجميع جابرا فقال أبو صالح : ليومها يفرجها الله يا جماعة الخير .. تكلمنا الكثير وتأخرنا عن اللعب

قال أحدهم : ما هي أخبارك تتصدر نشرة الأخبار كل يوم .. أحداث ساخنة .. اليوم فريدة تهرب .. الليلة تعود للبيت .. اليوم تتطلق .. غدا ستتزوج .. الله يهديها وييسر لها ابن الحلال حتى يستر عليها

ضحك أبو صالح وقال : فراس ابن حلال .. هو ابن شيطان وشيطانة

ـ أبوه ميت يا أبا صالح

ـ سمعنا ذلك ، هيا وزع الورق لنكسب دورا قبل صلاة المغرب

ضحك نعمان وقال : أنت تهمك الصلاة .. نحن نذهب للجامع وأنت تظل تلعب .. كم أتمنى أن أراك في الجامع يا رجل !

ـ إن شاء الله !

أوصل ناجح أمه وخالته أم ريان لبيت أبي فواز وقال لهن بعد نصف ساعة سأعود إليكن

هذا ما حدث بعد رجوع فريدة لبيت أهلها بيومين فقط .. استقبلت أم فواز المرأتين ورحبت بهما، وقادتهم إلى غرفة الاستقبال ، وهي تكرر الترحاب بهنّ ، فأم ريان سيدة فاضلة معروفه بنشاطها الاجتماعي بين نساء الحي ، وتقديم الصدقات والإحسان للعائلات ، وقدمت لهن زهرة الشاي والعصير ، ووضعت أمامهن الفاكهة ، وتحدثت أم ريان بالغاية التي جئن من أجلها ، وقد تفاجأت أم فواز وزهرة بالأمر ، وبعد مجاملات قالت أم فواز

: مرحبا بكن .. سأتشاور مع أبي فواز والأولاد ، وزهرة ها هي تسمع .



فقالت أم ريان : شكرا على الاستقبال.. أرجو أن تردوا علينا بأسرع وقت ، فناجح ابن أختي يريد الزواج خلال شهرين إذا تم القبول .

ـ ولماذا العجلة يا أم ريان ؟!

ـ أحوال خاصة فيه .. شاوري الأخ الكريم أبا فواز ..وأنا سآمر عليكم غدا مع ابني حسن .

ولما رافقت المرأتين للباب ، وودعتهما أغلقت الباب ، وعادت لزهرة فقالت : هل بينكم شيء يا زهرة ؟

قالت الفتاة وهي تلحظ نظرة الاتهام في عيني أمها وكلامها : أبدا يا أمي ولا تنسِ أنني قبل أسابيع كنت مخطوبة .. منذ حادث ابن أخيك ولم ينطق لساني بلسانه .. والأمر إليكم .

ـ الآن جاء من الباب الشرعي .. أنت راغبة فيه يا زهرة .. أسمعت بقصة أخته الشائعة في الحي هذه الأيام .. من هربها من بيت زوجها وحياتها لأكثر من شهر مع لص خارج بيت الزوجية

ـ وهذه هي الظروف التي أشارت إليها أم ريان .. المرأة الفاضلة هي خالته وخالتها .. أم المهندسين والمعلمات .. فليس كل الناس نفس الشيء يا أمي .. فناجح منذ زواج أخته قد تغير هكذا تتحدث عنه صبايا الحي .. وأخوه فريد أصبح متدينا يطلب العلم الشرعي عند الشيوخ الناس تتغير

ابتسمت الأم وقالت : أنا أعرف هواك للشاب ؛ ولكني ظننت أننا انتهينا منه .. وزواجك الذي دبرناه قد فشل ، لعل النصيب يكون لناجح .. أنا لا اعتراض عندي عليه ؛ لأن أم ريان امرأة صالحة ، ولو لم تر أن ابن أختها كفء للزواج ما سعت في ذلك ..فالأمر الآن لوالدك يا زهرة .

ضحكت زهرة وقالت : إذا كلمت أبي برأيك ، سيأخذ برأيك يا حبيبتي يا أمي الغالية .

ضحكت أمها وقالت : غريبات البنات .. الزواج له سحر عندهنّ .. الأم أهم حدث في حياتها بعد الولادة زواج أبنائها يا زهرة .. وإذا ارتاحت البنت في بيتها يرتاح قلبها وحياتها .

لما اطلع أبو فواز على القصة ، ومجيء أم ريان وأم فريد لطلب يد زهرة لناجح قال الرجل لامرأته : زهرة ما قولها ؟

ضحكت أم فواز: زهرة لها هوى فيه قديما ، وفشلها في الزواج من ياسر لا يدع لنا مجالا للرفض وهي قالت الأمر لكم والشاب راغب بالزواج ليخرج من البيت ويبني أسرة جديدة .. وخالته أم ريان أنت تعرفها ، لو لم تره كفئا لها ما قبلت المشي

في زواجه

ـ معك حق ، وهذا هو الذي يطمئن .. فأم ريان سيدة الخير في الحي والمنطقة .. نحن صحيح لسنا من سكان أبو خروف ولكننا كحي واحد لا يفصلنا عنه سوى شارع الدوار .. والناس يسمونها أم المساكين يشبهونها بإحدى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم فجهودها معروفة.. لكن القرابة بينهم لها دور .. الحقيقة أن الإنسان يقبل شفاعة أم ريان بدون تفكير .. وأنا راغب بزواج زهرة العاجل .. فهي قد فشلت في المدرسة ، والزواج هو مستقبلها وحياتها

ما دامت هي موافقة على المذكور .. فعلى بركة الله

ـ وأنا مثلك راغب بزواجها .. وعلى بركة الله .. سأدعوها لك لتشاورها في الأمر ، وتعلن لها موافقتنا .. فالمرأة أم ريان ستمر علينا لسماع الرد بالقبول أو الرفض .. لأن الشاب يريد الزواج خلال شهرين .. فهو عاف بيتهم ..

ـ ولماذا العجلة ؟

ـ كما قالت أم ريان الشاب مستعجل .. لقصة أخته المحرجة لهم .. وقالت أم ريان وهي تودعني سبب الاستعجال في الرد حتى إذا لم يكن النصيب عندنا تبحث عند غيرنا

ـ بدون مشاورة الأولاد على بركة الله يا عزيزتي

ـ اشكر ثقتك بي يا أبا فواز

لما أقبلت أم ريان مساء اليوم التالي زفت إليها البشرى بموافقة الجميع على مناسبة أبي صالح في ولده ناجح ، وكان ابنها المهندس حسن ينتظرها في السيارة ، ودخلت تلهث ، فلما سمعت البشرى عانقت أم فواز شاكرة وقالت الأخرى: الشكر لك يا حاجة أم ريان .. ولولا خاطرك وشفاعتك لفكرنا مليون مرة قبل القبول بابن أبي صالح

قالت : أعرف .. وأنا ممتن لكم .. أولاد أختي يريدون الخروج من البيت المظلم .. والأخ فريد بعد زواجه لابد أنك سمعت سيرته .. وناجح يسعى لهذا الهدف .. والبنات كثير في الحي كما تعلمين .. ولكن الشاب عرف ابنتك قديما ، ووصف بأنها ناضجة العقل وتتحمل المسؤولية .. ويرى أن من حظه فشل زواجها من السيد ياسر قريبكم..

ـ يا أختي مباركة عليكم إن شاء الله .. والحاج لما سمع أنك جئت بنفسك رحب وقال الحاجة أم ريان لولا رؤيتها أن ابن أختها كفء لزهرة ما تشفعت في هذا الموضوع الخطير

ـ صدق الحاج يا أم فواز

ـ ألا تريدين الدخول ؟

ـ ابني على الباب .. أين زهرة ؟

نادت الأم عليها ، فلبت النداء سريعا ، وسلمت على أم ريان التي احتضنتها مهنئة ، وقبلتها من

وجنتيها ، وباركت لها وقالت لهنّ : زوج أختي أبو صالح فاسد وضال حياته الجلوس على المقهى ولعب الشدة .. الله يصلحه

قالت أم فواز : على كل حال عرف ناجح من يرسل لنا .. سندعو لك يا أم ريان بكل خير ..

ونحن لا يهمنا أبا صالح ، يهمنا الولد أن يصير صالحا .. وزهرة تقدر هذه الخطوة منك ..

ـ الشكر الجزيل لكم جميعا .. وسأخبره الليلة ؛ لأنه سيمر عليّ بعد صلاة العشاء .. وخير البر عاجله .. لنرتب للخطبة والزواج في آن واحد .. وأنا سأساعده في تحقيق كل طلباتكم .. فأنتم نعم الأهل والجيران .. مبارك يا زهرة

ردت زهرة : أنا بدوري أشكرك يا أم ريان .. أنت نوارة حي أبو خروف وحي النجمة

ـ البركة في الجميع .. سلموا لي على أبي فواز .

جرت الأمور التي تسبق الزواج على خير ما يرام ، قام أبو صالح وبعض رفاق القهوة وأولاده وأبو ريان وأبو محمد زوج الأخت الثالثة بزيارة بيت أبي فواز الذي استقبلهم بمجموعة من أقاربه وأصهاره ، واتفقوا على المهر المقدم والمؤخر وتوابع المهر الأخرى ، وفي اليوم المحدد كتب عقد الزواج أمام القاضي الشرعي في المحكمة الشرعية ، وتم تعيين يوم حفل الزواج ، وقدم له أخوه فريد مساعدة مالية ، وقال مداعبا له : لم تصبر على فراقي فأسرعت بالزواج يا ولد ..

فابتسم له ناجح وقال: عودة فريدة عجلت فكرة الزواج لديّ .. نحن لا نحب الفسق الصريح وهذه فتاة خرجت عن الحد ، ولا تسأل عن شرف ولا كرامة وتقيس نفسها بالرجال .. فالبعد عنها مغنم يا فريد .. وهذا وهي ما زالت دون العشرين سنة ، فكيف عندما تكبر خمس ست سنين أخرى ؟ فلماذا أحرق أعصابي ؟ ها هو ربي أكرمني بزهرة إحدى معارفي في الفترة الأخيرة وهي وإن تركت المدرسة تفهم في الحياة جيدا .. والتوفيق بيد الله وحده .. وأسأله تعالى أن يهديني كما هداك يا أخي الكبير .. ووعدت خالتي أم ريان أن أكون عند حسن ظنها بي .. وأن أغير من نفسي للأفضل ..أخشى يا رجل أن استيقظ يوما وأجد رجلا غريبا في بيت أبيك .. سأرتكب جريمة أسجن أو أعدم بسببها ، وكما قال أبوك إنها لا تستحق أن يسجن من أجلها يوما واحدا .. لو أحدهم اعتدى عليها ودافعنا عنها وقتلنا أو قتلنا ما نندم .. فالخائنة تهمل ، ولا يكترث بها حتى تموت أو تتوب إلى الله توبة صادقة .

ـ الكثير من كلامك جميل .. عقلك يكبر يا ولد .. فالأخ ماجد الشيخ الذي عرفتك عليه ذات يوم ، قال ليس لنا إلا الصبر والتحمل ؛ ليقضي الله أمرا كان مفعولا .. فالقضاء على حياتها ليس هو الحل

الأمثل في هذا الزمان .. يقعد الإنسان الغاضب والمنتقم سنوات وسنوات وراء القضبان والذي حدث حدث .. وهل يعود إليها ما فقدت ؟ .. وبما أن الحدود الشرعية معطلة في هذا الزمان في كل بلدان المسلمين فليس هناك إلا التوبة .. وهذه أمرها إلى الله علام الغيوب وقال إذا الإنسان قتل قريبته زال عنه ما يسمى بالعار .. فالتهمة لاصقة ولا يزيلها إلا الإحسان والتعلق بالأعمال الصالحة والتوبة الصالحة والإخلاص .. فالأخلاق الحسنة هي الباقية ، وفي الإيمان إزالة العار .. في الحقيقة كلمني كلمات كانت بلسما للنفس المكلومة .. فأنت بعد زواجك عليك أن تعود إلى الله ، وتترك فريدة لنفسها ، عسى الله أن يصلحها، وتعرف حقوق أهلها عليها .. والمسيء حقيقة يسيء لنفسه أولا .. وأتمنى لك يا أخي الصغير حياة سعيدة مع الأخت زهرة ، ولا تنس وقفة خالتك أم ريان معك .. والناس تقدر أهل الصلاح رغم الغمامة المحيطة بالشيوخ من أهل الفساد .. فقد أكرمونا وسهلوا الأمور إكراما لأم ريان وللخير الذي تشتهر به أم ريان .. فقد اعتبرتك خالتك ابنا لها ، ودخلت بزواجك بكل قوة لأنها تحب الخير للجميع أنا ما عرفت قيمتها إلا بعدما تدينت قليلا .. فكل شخص التقيته بعد التوبة ، ويعلم أن أم ريان خالتي يتفاجأ من البون الشاسع بيننا وبين أسرة أبي ريان ، فسمعتها مثل الشهد ، وسمعتنا مثل الثوم أو البصل .. فخالتك تعمل الخير وتدعو الله أن يقبله خالصا لوجه .. والمؤمن يحب للناس ما يحب لنفسه

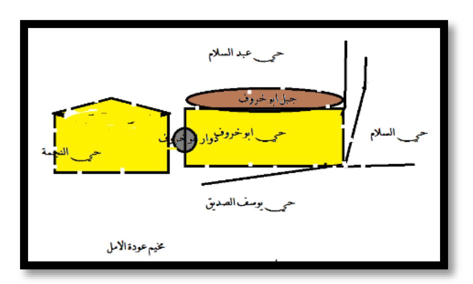
ـ هذا أنت شيخ بجد

ـ الحمد لله .. إني أذكر لما كنت أرى خالتي تمر على العائلات الفقيرة خاصة في مواسم العطاء كرمضان وعيد الأضحى لتقدم لهم المساعدة البسيطة أو كيسا من اللحم أستسخف هذا الفعل وهذا النشاط ، وأقول لمن معي خالتي مجنونة .. شاغلة نفسها في إطعام الفقراء والشحاذين وتوزيع الثياب عليهم كنت أجعل من فعلها بابا للدعابة والنكت ، وأعجب أكثر من مشي ريان المهندس في سيارته على الدور والمنازل معها .. لكني لما فهمت اليسير من الإسلام والزكاة والصدقة والتكافل الاجتماعي الحقيقي ..أدركت أن هذا هو الزاد الحقيق للإنسان عند الله .. فإن خير الزاد التقوى .. فعندما يستطيع الإنسان القوي مواساة ومساعدة الفقراء والضعفاء فيحس ويشعر بالسعادة والإيمان ..أرأيت كيف تجاوب أبي فواز مع شفاعة خالتك بسهولة في أمر زواجك ونسي القصة القديمة فورا ؟! .. وهذا الشيء ألمسه مع الأخ ماجد عديلي زوج أخت زوجتي نوران .. كيف يتفهمه الناس ويقبلون

واسطته في شؤونهم المختلفة؟ .. الناس لا تحب تزويج شاب عمل صداقة مع فتاة حتى لا يقال ويقال ..إلا إذا اضطروا لذلك لدرء وستر شيء كما حصل معنا .. لأن الشائعات بهذا الزواج تصبح حقائق .. شتان بين أمنا وخالتنا !

بيت جديد

استأجر ناجح كمال بيتا قرب دوار أبو خروف حيث تسكن خالته أم ريان، وأيضا أصهاره دار أبي فواز .. في بداية الحي من الأسفل بل في حي النجمة حسب التنظيم البلدي لإحياء المدينة وقام بشراء الأثاث المناسب للزواج ، وساعدته خالته أم ريان أيضا في تأثيث البيت عن طريق الجمعية .. وقبل أن ينصرم شهر على عودة فريدة لبيت أسرتها حتى كان الرجل يغادر البيت عريسا ، وكان وهو يغادر يقول لفريدة مودعا ، وهي رفضت المشاركة في العرس : أتمنى لك حياة سعيدة يا فريدة .. لكنني أقول التمرد على عادات الخير ليس في صالحك .. ها أنا أترك لك الجمل بما حمل ..



ردت عليه هازئة : كلٌ حر بحياته .. هنيئا لك حبيبتك زهرة ..التي صفعت من أجلها أمام كل الناس

وضع يده على خده لا شعوريا وتحسسه وقال : الحمد لله أني وجدت من يصفعني أمام الناس لاستيقظ وأتربى ، ولا اعتدي على أعراض الناس .. أنت لم تجدي من يصفعك على خدك حتى الآن .. صدقي أو لا تصدقي أني أتمنى لك من قلبي أن تتوبي إلى الله ، وتحسني الاختيار لزوج الغد ، وتنظري إلى النماذج الحية الطيبة من النساء.. فها هي خالتك اكتشفنا على كبر أنها سيدة مهمة في الحي والمجتمع .. كنا نراها قديما سخافات وإضاعة للوقت ، فإذا هي أعمال عظيمة عند الناس ، والكل يمدح السيدة ويذكرها بخير ويقبل نصحها .. ولم تتأثر سمعتها بفعلنا وبفعل بنت أختها .. وما زال الناس يحبونها ويأتون لجمعيتها يطلبون المساعدة .. حتى صرنا اليوم نفخر بأنها خالتنا .. وكما يقول فريد هي تعمل لإرضاء الله تعالى ، والله وضع لها القبول في الأرض بين الناس ، وهذا جاء لم تبذله .. تأملي حياة خالتك وابدئي صفحة جديدة خالتك التي كنت تذهبين لبيتها لتعلم الإنجليزية من ابنتها ميمونة ، ثم تذهبين إلى ... لقد صدمنا من فعلتك الشنيعة .. كنا نرى أنك ستذهبين للجامعة وتصيرين معلمة ..

ـ أنا أعلم أنك تكرهني ولا تحبني

ضحك وقال: أنا اكره أعمالك المخزية الأنانية .. عندما تصبحين فاضلة .. سترين حبي الصادق لك .. سلام خذي بالك من أمك المسكينة التي تركتنا على حل شعرنا كما يقال .. تعلمنا الدخان ولا أحد ينهانا .. شربنا الخمر ولا أحد ينهانا .. لعبنا القمار لا أحد يمنعنا .. فلما نبهتنا خالتنا لهذا الخطر قال أبوك : خالتكم مخرفة .. عقليتها عقلية الناس القدامى وتساءلت من هم هؤلاء الناس القدامى ؟ .. إلا إذا كان يقصد أصحاب محمد ﷺ الأوائل .. نخرج مع البنات لا أحد يزجرنا ، ويقول لكم أخوات وأمهات .. لا تحذير حتى صدمنا بما وقع من أختنا .. أصابنا الخزي فاضطر فريد للهرب بالزواج .. وأنا أفعل مثله ؛ لعلنا نعيش بعيدا عن الفتن والشهوات نصيحتي الأخيرة ، وأنا موقن أنك لن تهتمي بها ، لا تتزوجي من فراس .. فهو شيطان مريد لص أغلب حياته قضاها في السجون .. احفظي شرف المكان الذي تنامين فيه .

وغادر ناجح البيت الذي ولد فيه ، وترعرع فيه ، وأقام حفلة زواج متواضعة في إحدى صالة الأفراح والاجتماعات العامة ، وانتقلت زهرة إلى بيت زوجها ، ولما خلا بها كما يخلو الأزواج بزوجاتهم قال باسما : أحبك يا زهرة .. ظلت صورتك في قلبي

قالت : وأنا أحببتك حقا ، وتمنيت هذا اليوم .

كيف الحياة بعد زواج الأولاد يا أبا صالح ؟

طفا الرجل سيجارته فهو يدخن الغليون ، والسجائر حسب المزاج ، وقال بعد رشفه رشفة من كوب الشاي الأسود الثقيل : أنا لم أكن أرى الأولاد كثيرا.. فلم أشعر بأي تغير يا أبا نوح .. كنا نلتقي يوم الجمعة على الغداء ، وأراهم صباحا ونحن نشرب الشاي ، وهم ينصرفون لإعمالهم .. وأسعى للدكان حتى العصر ، ثم آتيكم فأراكم أكثر من المرأة والأبناء .. ولما أعود في الليل أجدهم نياما .. وحتى لما كان فريد يجلس في المقهى لا أحس به .. هذه سنة الحياة أن يستقل الإنسان عن الآخرين ببيت وزواج ، ويبدأ حياة خاصة به .. صالح تزوج وخرج ، وجابر مثله ، وفريد مثلهم وناجح .. وكنا نظن أننا تخلصنا من ست الحسن فريدة ؛ ولكنها خيبت آمالنا وفسدت أخلاقها .. وهي قابعة في قعر حجرتها تنتظر شيخ اللصوص .. والكل يتزوج، والمجرم يتزوج ، والحرامي أيضا يتزوج .. وإذا متنا سنترك لها الدار ترتع فيها ، وإذا تزوجت ذاك الشيطان كما زعمت .. مع ألف قلعة .. فسيأتي جابر للحياة معنا كما أشرتم علينا وقال جابر : لوقتها يفرجها الله .. آ.. تذكرت سمعت أن صاحبنا الحاج أبي أحمد سقيم وأدخل المستشفى قال أبو نوح : نعم ، لم يحضر عرس ناجح .. ذهبنا

لبيته نسأل عنه .. فأخبرتنا عائلته أنه مريض وفي المستشفى .. وغدا سنذهب إليه في المستشفى كما اتفقنا مع الإخوان

ـ إي مستشفى وأي ساعة ؟

ـ مستشفى الصحة وعلى وقت الزيارة ، بعد الظهر نتحرك ، سيأخذنا ابني سليمان فقد رضي بأخذنا .

ـ هل لي وسع في سيارتكم ؟ .. أم أطلب من صالح بأخذي

ـ هناك وسع لخامس

ـ سأرتب أمري .. وأطلب من جابر أن يأخذ إجازة للبقاء في الدكان .. فالأخ أبو أحمد صديق العمر .. ما وضعه الصحي ؟

قال أبو عدنان : يخشون على حياته كما قال العيال ..

فقال سلمان : سأذهب أنا وزوجتي ؛ لأنها صديقة لامرأته ، وستأخذنا بنتنا بيان في سيارتها

فقال أحدهم : أنا أراها تصف سيارتها أمام البيت

قال سلمان : اليوم البنات تسوق السيارات ، وهي تحب زيارتنا ، وهي اليوم أم لخمسة أولاد .. وزوجها رجل محترم ، وكلاهما يدرس في الجامعة

ـ ما شاء الله .. أسرتك كلها تعلمت

ـ الله الموفق أولا وأخرا .. درسنا الأوائل في المعاهد والجامعات.. والأواخر درسوا بمساعدة الأوائل .. والحمد لله .. وبيان كانت ذكية ، وأحبت الدراسة فدرست في الجامعة على نفقة يوسف البكر .. تعلمت الفيزياء .. وبعد أن تزوجت أخذت الماجستير بمساعدة زوجها الذي درس مثلها الماجستير ثم الدكتوراه مع بعضهم البعض .

فقال أحدهم : بارك الله لك في ذريتك أبا يوسف .. وشقيقك أبو نوح مثلك ، أعتقد التعاون مطلوب بين الأشقاء ليتعلموا .

قال أبو نوح : أولادي أغلبهم درس مثل أبناء عمهم ، وبعضهم لم يوفق في المدرسة ، ويعملون أعمالا جيدة ومربحة ، وموفقون والأهم عندي أنهم يصلون ذكورا وإناثا .. لم أسمح لهم بالاختلاط بشباب الحي .. كان أكثر اختلاطهم بأبناء عمهم وعماتهم .. فنجوا من مفاسد أبو خروف .. وعرفوا كيف يبنون حياتهم ؟

قال أبو صالح : الصحيح أولادكم نوارة الحي ، مثل أبناء أم ريان

قال أبو نوح : أم ريان أم الحي من عشرات السنين .. سيدة كريمة ومجاهدة ونشيطة .

قال سلمان : الدخان لا يعرفه أولادنا يا أبا صالح



عندما أوشكت عدة طلاقها على الانتهاء خرجت فريدة إلى بقالة والدها حيث يوجد فيها هاتف فبعدت أن سلمت وأكلت ما طاب لها قالت : أريد أن استخدم الهاتف يا أبي .

أعطاها قطعة نقود معدنية ليتم الاتصال بواسطتها ، وأجرت الاتصال مع البقال الذي تحفظ رقمه ليخبر فراسا باتصالها ، فبعد التحية سألته عن فراس ، فأعلمها أنه قبل قليل اشترى من عنده ، فأعطته موعدا لتتصل بفراس ، وشكرته ، فقال أبوها بعد تركها سماعة الهاتف : انتهت العدة التي لا أفهم لما هي ؟ والذي يسمع ويرى اهتمامكم يظن أنكم شيوخ وأهل دين

ـ لسنا شيوخا يا أبي ، العاقد لا يعقد لنا إلا إذا انقضت تلك الفترة ، وإلا تعرض للحبس والمنع من العقد ثانية .. فلن يكتب العاقد أو القاضي إذا لم تكتمل العدة منذ تاريخ إشهار الطلاق .. ما هو أنا قعدت شهرا ونصفه بدون أن أرى زوج النحس .. القضية قضية تاريخ الطلاق الرسمي .. هذه قوانين الشريعة التي تطبق في المحاكم .. هل عند الأجانب عدة في دينهم ؟

ضحك أبو صالح وقال : هو هل عندهم دين ؟.. خذي بعض الفاكهة لأمك وعلبة شراب

ـ ولي .

ـ ولك ظننتك شبعت .

ملئت بعض الأكياس بفواكه مختلفة من العنب والدراق والخوخ .. فاكهة الصيف الذي أصبح على الأبواب وتناولت علبا من العصير ومن المكسرات وقالت : هل عرفت الشرطة الذي سرقك يا أبي ؟

عاد للضحك ثانية ؛ كأنها قالت نكتة أو طرفة ، وكان يعيد لزبون الباقي وقال ساخرا : تقول سيمسكونه الشرطة ، كما قال جابر إن الحرامي على وشك الوقوع .. فاللص قد سرق عدة محلات .. فهم قد سرقوا متجرا آخر قرب الدوار الذي عند بيت خالتك أم ريان .. وبعد أيام سرقوا محلا آخر في نفس الشارع .. ومصيرهم أن يقعوا

قالت : إن شاء الله يقبض عليهم وتعود لك أموالك

ـ الذي سرق من عندي لا يعاد .. أكل وشراب ودخان ومال .. مواد مستهلكة .. ولصنا حتى سرق دفتر الديون ؛ لذلك قال المخفر إن اللص زبون عليه ديون للدكان .. وأغلب الحي الذين يشترون من عندي على الدفتر ولآخر الشهر .. وحصلنا الكثير منها جزافا وعلى النية .. سلمي على أمك.

ابتعدت فريدة بما حملت عن الدكان وقالت متعجبة : لص يسرق دفتر الديون ! .. هؤلاء لصوص صغار يسرقون طعاما وعصيرا ودخانا .. لماذا لا يسطون على محلات الأجهزة الكهربائية ؟ الجهاز الواحد ثمنه مبلغ من المال .. أخذها التفكير في حياة اللصوص .. ولما دخلت شارع المنزل قالت : فراس كان متهما بالسرقة .. فماذا

يسرق ؟ ماذا سرق قبل دخوله السجن ؟ لم يكن يتحدث عن الأشياء التي يسرقها.. كأنه تحدث عن سرقة مطعم .. سرق الغلة اشتغل في المطعم ثم سرقه ، واتهمه صاحب المطعم مباشرة ، وثبتت عليه السرقة ، وقضى سنينا في السجن.. واضطرت لتسأل نفسها هل هو الرجل المناسب لك يا فريدة بعد تجربة الزواج من فادي؟! .. فادي محترم ؛ ولكنه يحب النسوان .. لقد أقر لي أكثر من مرة قبل زواجنا بزناه عدة مرات ، ومن نساء متزوجات .. وقبلت الزواج منه لأن فراسا طلب ذلك لنخفي علاقتنا الجنسية عن الانكشاف والانفضاح.. فبعد أن ضعفت أمامه قال علينا أن نزوجك يا فريدة .. فأنا لا أستطيع الزواج منك هذا الزمن .. لأني مطارد من الشرطة .. فقبلت اللعبة ، واستمرت العلاقة بيني وبين فادي وتصنعت حب فادي الشديد ، ثم أقنعني بالاستسلام له ليقبل بالزواج مني .. ومضت القصة كما رسم فراس .. كيف سخروا مني وأصبحت عشيقة لهم ؟!

خرجت في اليوم التالي لدكان أبيها لإجراء الاتصال عند الساعة العاشرة .. الساعة التي يستيقظ عندها فراس .. سلمت على الرجل العجوز الذي هو كوالدها سنا ، والذي يشتري منه فراس كما كان يشتري من أبيها .. وتذكرت وهي تتصل أن الرجل سرق كما سرق أبوها .. وكانت السرقة معلبات ودخان ومال فقد جاورته أسابيع ، وحدثت السرقة وهي مختفية هناك ، ولم يبلغ الرجل الشرطة واعتبرها صدقة عن الأولاد ، كما قال لفراس والصرصور وعسود ، فقيل أيضا كما قيل هنا لص جوعان سمعت صوته على الهاتف ، ولما عرفها فقال : لم يأت منذ ذلك الاتصال .. عاودي الاتصال غدا .

قضت ثلاثة أيام تتردد على دكان والدها حسب الموعد ، والبقال يرد عليها : لم يحضر لا هو ولا أحد من رفاقه .

لم يشتروا من عنده شيئا من أيام ثلاثة ، فانزعجت فريدة ، وعرف والدها القضية فقال : لم يظهر بعد .. لعله أوصى الرجل بإنكار رؤيته

تطلعت بعيني والدها متسألة : لماذا ؟

ـ قد يكون التقى بأنثى أخرى .. هل يصبر زان عن الزنا كل هذه المدة ؟ .. التعود على الشيء يصعب التخلص منه .. فاللص يظل يسرق ويسرق حتى يقع ، والمعاصي هكذا .. هل صدقت كلمة لص ؟

ـ لص !

ـ ألا تعلمين أنه لص ؟ .. سرق مطعما عمل فيه أياما .. وسرق صيدلية .. فهو سجن أكثر من مرة

ـ ولكنه تاب .

ـ صدقت أنه تاب .. وكيف تاب وقد سرقك من زوجك ؟

ـ سرقني من زوجني ؟!.. زوجي فاجر .. أترضى لابنتك أن ترى زوجها يجامع النساء على سريرها بدون خجل وحياء ؟ .. اسكت اسكت يا أبي .. سأذهب إليه بنفسي .. لترتيب الأمر ولتخلص مني .

ـ مع السلامة

أخذت علبة سجائر وكبريت ، وأخذت بعض المال من صندوق المال ، وكمال ينظر إليها صامتا ولما خرجت قال يا رب فرجك

ركبت سيارة إلى المكان الذي اختفت فيه ستة أسابيع ، ولكنها قبل الذهاب لبيت فراس عرجت إلى البقال العجوز ، وتحدثت معه بضع دقائق ، وأعاد عليها ما سمعته منه قبل ساعة .. ثم مشت إلى الشارع الذي يقع فيه البيت ، طرقت باب الشقة التي عاشت فيها فترة الحرب وكررت الطرق حتى فتحت امرأة الباب من شقة ثانية ، تشترك مع شقة فراس بالمدخل ، وقالت : نعم يا أختي

قالت فريدة بارتباك : عفوا ، أنا أطرق على باب هذه الشقة ـ وأشارت بيدها لباب شقة فراس ـ أريد صاحب هذا الشقة الأستاذ فراس

أخرجت المرأة نفسها من الباب وقالت : هو صار أستاذا يا ابنتي ؟ .. أذكر أني رأيتك أكثر من مرة تدخلين هذه الشقة منذ زمن ليس بالبعيد .

ـ نعم ، قضيت هنا تقريبا شهرا ، وأريده في أمر خاص بي

فقالت المرأة بنبرة مشوبة بالغضب : اختفي خيرا لك

ـ اختفي لماذا ؟!

ـ يا سيدتي .. قريبك هذا أو صديقك الشرطة أمسكت به من يومين أو ثلاثة .. ووجدوا في بيته مسروقات .. وقالت الشرطة إنه حرامي مطارد من شهور

ـ حرامي وممسوك !

ـ هذا ما جرى وما سمعنا ، وجاء صاحب الشقة وأخرج ما فيها من فراش ووضعه في مخزن تحت العمارة.

خرجت من العمارة باكية العين ، وقالت مؤنبة لنفسها : تاجرت في رجل فاسد .. من أين سآتي برجل قرينا لي .. صدقت كلمات فراس وتوبته .. سيشمت بي فريد وناجح وأهل الحي كلهم



عادت لدار أبي صالح ، والشمس في عينيها ظلام ، سألتها أمها : مررت على أبيك فقال لي إنك ذهبت لمقابلة النحس متى سيأتي ؟

ـ لن يأتي يا أمي .

ـ مات ؟!

ـ ليته مات .. دمر حياتي وتركني وحيدة .. قبضوا عليه .. عاد للسرقة

ضحكت أمها على غير العادة وقالت : أهو ترك السرقة ليعود إليها ؟ فهو قد سرق قلبك واستغل ضعفك وشبابك .. لا تبكي عليه لا ينفع الندم اليوم

أخذت الفتاة تنتحب ، وارتفع صوت البكاء حتى أشفقت عليها أمها وقالت : الله يعوضك خيرا منه .. فهو لا يستحق أي دمعة بعد أن أفسدك وأفسد زواجك .

فقالت الفتاة من بين الشهقات والتنهدات : أبكي على نفسي يا أمي .. أبكي على نفسي كيف سخروا مني وافترسوني؟ .. أبكي على نفسي كيف ركبني الغرور وظننت أني أعيش في الكون وحدي ؟ ولا أحد له دخل بي .. وأن جسدي ملكي أهبه لمن أشاء.. أشفقت عليه ، وعطفت عليه ، وصدقت توبته ، وأنه ضعيف ويحتاج إلى من يقف معه ضد المجتمع الذي يعاديه ويضيق عليه الحياة ، كنت أظن أنني أنقذته من العودة للسرقة سلمت نفسي إليه ليطمئن إليّ وأنا راضية به زوجا أخطأت كثيرا يا أمي وأخذنا نعالج الخطأ بخطأ.. إني أسمع طرقا على الباب الخارجي

خرجت الأم لتقابل الطارق ، فكان الطارق ساعي البريد الذي قال للأم رسالة يا أم فريد للآنسة فريدة

كانت فريدة تسمع ، فلما سمعت كلمة آنسة قالت لنفسها آنسة .. ماتت الآنسة .. ضاعت الآنسة .. لا أدري كيف قبلت به عشيقا ؟! ثم تزوجت فاديا الذي أحببته قبل لقائي بفراس لأخفي ما حل بي ، ودفعني للإيقاع بفادي بجماعي لتوريطه بالزواج مني .. كنت حمقاء مغفلة

غلبتها شهوة الجنس والرجال ..

دخلت الأم وهي تردد : رسالة لك يا فريدة من تراسلين ؟

أخذت فريدة الرسالة من يد أمها الممدودة بتلك الرسالة ونظرت إليها وقالت إنها من فراس وفتحتها سريعا وقرأت :

تحياتي لأحب امرأة عرفتها خلال سنوات العمر التي مضت من عمري أحبك .. أحبك .. أحبك .. تأكدي من ذلك ، وفعلا كنت أطمع بالزواج منك شرعا بعد قضاء فترة العدة اللعينة .. وأعتقد أنها انتهت ، وأنت تقولين لما تأخر فارس الأحلام ؟.. الرجل الذي أحبني بصدق سامحيني يا فريدة لقد عدت للسرقة من جديد وأصارحك أنني لم أعرف كيف أتركها ؟ .. إنني لم أترك السرقة ؛ لأنها وظيفتي في هذه الحياة.. كنت تسألينني عندما أغيب عن الحي يومين أو ثلاثة أو أكثر أين اختفيت ؟ فأحيانا أقول في عمل ، وأحيانا عند أمي المريضة الحقيقة أنني أكون في

عملية سرقة أو سرقات .. عملي سرقة المنازل والاستيلاء على ذهب النساء ، وسرقة المتاجر الصغيرة لتامين الغداء والدخان عرفت خلال هذه السنوات العديد من النساء ، ولكنك الوحيدة التي أحببتها بصدق ورغبت أن أتزوجك زواجا صحيحا .. لكني لص وفي أي وقت كنت متوقعا أن تمسكني الشرطة .. فالزواج كان مشكلة لي .. ولما خضعت لي وأصبحنا نعيش كزوجين .. كان من الصعب الزواج ومن الصعب تركك وقد أصبحت امرأة .. فكان لابد من زواجك .. وأقنعتك بالزواج من فادي الذي كان صديقك قبلي .. ففادي له قريب يعمل معنا فنعرفه ، وفادي كان يشتري منا الحشيش في بعض المرات .. فكان لابد أن تسمحي له بمعاشرتك معاشرة الأزواج ليصبح زوجك أمام الناس ويغطي على علاقاتك الجنسية الأخرى .. والرجل كان تحت سيطرتي لعمله معنا في بعض الأوقات .. وقبل الزواج منك بعد استسلامك له ، وظن أنه تورط في علاقة محرمة .. فنحن الذين ألزمناه بالزواج لا خوفا من أخيك فريد وغيره .. لكنه بعد الزواج أدرك أن له شريكا في بدنك ، فثارت نار الغيرة في قلبه وخشينا أن يعترف للبوليس ، وأنا متأكد اليوم حيث أنا في السجن أن له يدا في حبسنا أنا والصرصور قريبه وصديقه .. واطلبي من أبيك أن يسامحني فقدت استوليت على متجره ودكانه .. لا أقول لك انتظريني ، وأنني جنيت عليك بتوريطك بعلاقات آثمة .. لكني فتنت بحسنك .. وأنت قبلت ذلك ، كانت لك رغبة قوية بهذه العلاقة صدقي إذا عدت للحياة خارج السجن وتقابلنا من جديد ستكونين أنت الزوجة الأبدية أحببتك صدقا رغم أنني لص فاللصوص لهم قلوب يحبون بها ، رغم أنهم لا يحبون الارتباط بواحدة للأبد .. السرقة حياتي ومصدر رزقي .. وإذا قدر لي الخروج سنتزوج كما وعدتك .. لا أقول سامحيني لأنني أعرف أنك أحببتيني بحق .. سنصلح الفاسد .. أحبك أحبك أحبك ..

رغم كل ما حدث سلمي على أم فريد المرأة الطيبة المسالمة الساكنة كأبي الهول .

المحب السجين فراس غصوان

القرار الأخير

كانت فريدة عندما رجعت من بيت فراس الأخير ، قد قررت إنهاء حياتها ، فقد أصيبت بإحباط قاتل ويأس ، وهي قد فكرت بهذا خلال فترة الانتظار الجبرية ، فقالت لنفسها إن لم يحصل الزواج سأضع حدا لهذه الحياة ، فمرت على صيدليات واشترت منها علب منومات ، لقد فكرت بالانتحار ، وكانت في غاية الاكتئاب ؛ لذلك لما قرأت الرسالة حسمت الأمر ، فصعدت إلى غرفة أخويها الفارغة منهما ، كانت أمها تراقبها وهي تقرأ الرسالة ، وعرفت أنها من فراس السجين ، لم تتكلم معها بعد قراءتها بشيء ، فقط قالت سأصعد لغرفة الشباب ورأتها تصعد الدرج ، ظنت أنها ذاهبة للنوم فيها ، فقد كانت تفعل ذلك بعد رحيل ناجح .

وقبل العصر جاء أبو صالح للبيت على غير العادة ، فهو بعدما يخرج للدكان صباحا لا يعود إلا بعد منتصف الليل ، فدخل الدار شامتا حزينا لا نعرف بالضبط ، فوجد المرأة تغط بالنوم على كرسي واسع أريكة ، فأيقظها صارخا : أين البنت يا امرأة ؟!

كأنه بحث في غرفتها ولم يجدها ، فعاد لغرفته حيث ترقد زوجته ، ففتحت عينيها وقالت مجيبة : جاءتها رسالة من المقصوف فراس عريس الهنا ، ولما قرأتها صعدت إلى فوق ماذا تريد منها وقد تركت دكانك ؟! قال أبو صالح :جئت لأقول لها إن الذي سرقنا عريسها فراس .
ـ فراس هو الحرامي ! قال: من أول يوم والناس يتهمونه بسرقتنا ؛ لأنه سرق دفتر الديون ليتملص من سداد كامل المبلغ .. الحمد لله الذي كشف الغمة .
صعد الدرج الذي لم يصعده من قبل ، منذ بنيت هذه الغرفة ، طرق الباب ، لم ترد فريدة ، دفعه ودخل ، كانت نافذة البيت مفتوحة رآها ممددة على أحد الأسرة نادى عدة مرات ، ظنها نائمة اقترب من السرير ، هزّها لم ترد فقال كأنها ميتة!
صعدت الأم وصاحت : احضر الطبيب يا أبا صالح ..ها هي الرسالة التي قرأتها إنها محروقة ها هي علب أدوية ورسالة على المنضدة قرأتها انتهت حياتي .. سامحوني فريدة
وكان في التقرير الطبي أنها قتلت نفسها بتناول عدد كبير من الحبوب المنومة وأنها فارقت الحياة قبل دخول المستشفى، وتركت رسالة تخبر بأنها تريد الموت .
وشيع أهل الحي فريدة التي ذهبت ضحية الجهل والغفلة والشهوات والإباحية .. ماتت فريدة بقتل نفسها مع أنها لم تكن أول ضحية لتلك الشهوات ، وتقبل أبو صالح العزاء فيها ، وكان يقول الحياة حلوة ، لقد قصرت في حق الأبناء لم أربهم التربية الصالحة .. كنت فاسدا منحرفا جنيت على نفسي وابنتي ، لا ينفع ندم بعد موتها .
فقال أبو نوح : باب التوبة لم يغلق يا أبا صالح .. باب الندم لم يغلق يا رجل يا كبير عمرك فوق الستين .. أدرك نفسك .. اتعظ من حادثة ابنتك المرحومة فريدة .. فهي لم تخبر الحياة بعد .. من أول تجربة ومصيبة اختارت الموت .. نسأل الله أن يرحمها
فأمن السامعون قائلين آمين ، وانتهى العزاء ، وعاد أبو صالح للجلوس في المقهى ، ولم ينقطع عنه إلا أيام العزاء فقال الشيخ : لم يبرد لحم ابنتك يا أبا صالح وعدت للمقهى .. على كل حال لقد قرر صاحب العقار هدم هذا المقهى وإلحاقه بالمسجد .. فعليك أن تبحث عن مقهى جديد أو تعتزل المقاهي كما سيفعل العم مهران .
فنظر أبو صالح لسلمان وقال وقد بدا مصدوما للخبر ربما أكثر من صدمته بموت فريدة : أصحيح ما يقول الشيخ ؟!
فقال سلمان : هيا ادخل معنا المسجد الآن .. فالشيخ راغب بالحديث معك شخصيا .. وأنت

في أيام العزاء .. وافق صاحب هذا الجزء من العقار أن يتحول هذا الجزء إلى المسجد ، ثم رفض أولاده أن يوقف على المسجد وإذا استرده والدهم سيحولونه لسوق أو محل كبير فرفض مهران التخلي عنه

فقال أبو صالح لا حول ولا قوة إلا بالله

وانتهت هذه الحكاية من حكايات أبو خروف والحكايات فيه كثيرة ، كل إنسان كل أسرة له حكاية وحكايات ؛ فلعلنا نكتب المزيد من قصص ناس أبي خروف .

تمــت الحكاية الأولى

قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

حكاية كهف الشروق

كانت البداية في كهف الشروق في جبل عظيم من جبال الشرق ، هذا الكهف العملاق كان مدرسة من مدارس سالف الزمان، كان الحكيم شردي يستقبل تلاميذه ويعلمهم فيه .. وكان شردي حكيما شيخا هرما عندما بدأت هذه الحكاية .. وشردي هذا له تلاميذ من كافة المدن والقرى في تلك الأرض الواسعة ، وقد وصل كثير من مريديه وأتباعه إلى مراكز ومناصب في إمارات ذلك الزمان ، وكان بعض التلاميذ يأتون من بلاد وأماكن نائية لينهلوا من حكمة شردي والاعتكاف في كهفه الشهير كهف الحكمة والتأمل ، وكان هذا الزاهد الحكيم يقبل الهدايا والهبات من الأمراء والحكام في الولايات المختلفة وينفقها على تلاميذه وضيوفه ، وكان بعض التلاميذ يمكثون عشر سنوات عند الحكيم، وبعضهم أكثر من ذلك ، ثم ينطلقون في الأرض ينشرون أفكار وأحلام شردي الحكيم لإسعاد البشرية وبني الإنسان ، وكان بعض الحكام يقبلون وصاياه التي يرسلها لهم ، ويحترمون كلامه ويقبلونه ويعظمونه ، ومن التلاميذ ما زال ملازما للحكيم منذ خمسين سنة كتلميذه "بزغ" وتلميذه "شرم" ، وكان لهما في قلب سيدهم احترام خاص وكبير، وبعض التلاميذ لهم ما يقارب الثلاثين في كهف الشروق ، منهم التلميذ المشهور بالذكاء والحيلة "حمدون" ، وهذا الرجل يعتبر أمين سر الشيخ الزاهد وله عند سيده مقام محبوب ، وهو أيضا محبوب من أكثر التلاميذ ، فهو جاد وقت الجد ، وهازل وقت الهزل والمزح ؛ ولكن كانت البداية لهذه الحكاية عندما كان حمدون في مهمة خاصة لمولاه الحكيم عند أحد الملوك في بلاد بعيدة قبل أكثر من عشر سنين ، ولما قضى المهمة وعاد

باتجاه كهف الشروق وفي غابة من الغابات وجد عند شجرة من الأشجار غلاما يبكي بكاء حارقا للفؤاد وهو دون الخمس سنوات ، فتحدث معه وسأله عن سبب وجوده ، فوجد أنه ضائع تائه من أيام ، فأطعمه وسقاه وحمله إلى الكهف وتبناه وسماه شهدون ، وكان ينادى بابن حمدون ، ونحن الآن بعد هذه الحادثة بعشر سنوات ، وقد شب الغلام وأخذ العلم عن الحكيم شردي وتلاميذه ، وكان شردي يستعد للسفر الأخير، فهو طريح الفراش فراش الموت ، والمريدون حوله جزعون لرحيله ، ومنهم شهدون بن حمدون ، وبدأت القصة منذ اعلان وفاة الحكيم وجعل بزغ خليفة له بناء على وصية الشيخ ورغبته، تم دفن الحكيم ووري جثمانه التراب قرب نهر الشرق القريب من كهف الشروق ، وقد خيم الحزن على الكهف بشدة وحسرة على فراق الحكيم ، ثم قام المريدون ببيعة الحكيم بزغ بعد دفن الحكيم شردي ، وبعد هدوء الكهف ببضعة أيام تقدم شرم من بزغ قائلا : أيها الخليفة!.. سأمكث أياما ثم ادع الكهف واعتزلك أيها الخليفة أنا وأتباعي إلى كهف آخر بعيد .. فأرجو مباركة ذلك العمل حتى لا نسيء لسيدنا ومولانا الحكيم شردي.. فأنا لا أجد نفسي لك طائعا فاقبل عذري .

تلفت بزغ الخليفة حوله ثم قال بهدوء : لمَ لم تقل هذا أمام مولانا الزاهد أم أنك تحسدني على خلافة الزاهد ووراثتي مكان الشيخ الجليل يا شرم ؟!

فقال شرم : كانت لدي الرغبة بالانفصال ؛ ولكن لمحبتي للزاهد صبرت حتى توفاه الملك العظيم، وكان السيد على فراش الموت منذ سنوات فلا يمكن إزعاجه بالانفصال بعد كل هذه العقود الطوال ، وقد بايعتك على استحياء منه حتى لا يموت وفي قلبه حسرة علينا ، ونفسي لا ترضى بالخضوع لحكمتك ، ولا أحب أن يرانا التلاميذ الصغار في تنافس وصراع على خلافة الزاهد ، وأنت الوريث الشرعي ، أفلا يحق لي أن أرعى كهف الحكمة وانشر فلسفة وحكمة الزاهد؟!.. سأمكث أياما أخرى أبكي على روح الحكيم شردي ، ثم أسيح في الأرض بمن يريد أن يتبعني من التلاميذ ، ولعلنا نعود نادمين إليك أيها الحكيم ! وتطيب النفس لأخذ الحكمة منك ، ولا أحسدك، فالحسد شر أيها الأخ .. أما الفراق فليس بشر.. فهو قتل للشر والحقد والحسد .

فقال بزغ: أيها التلاميذ لقد سمعتم ما نطق به الأخ شرم بحضرتنا من الكلام الأليم، ومن نقضه لبيعتنا إماما لكم ، ولا أحب الفساد في الأرض ، ولا أحب أن أكون جبارا في الأرض ، ولا أحب أن تأخذني العزة بالإثم ، وأمامكم أقول أنني سأفكر وأتامل بكل ما سمعته منه ثم يكون عندي

الجواب وحسن الصواب .. عد يا شرم إلى حجرتك ، ولا تخرج منها حتى أنظر في أمر ا لانفصال والانشقاق .

وحصل هرج ومرج في الكهف، وغادرهم الحكيم الجديد إلى حجرته بالكهف قبل أن يكمل البيعة لنفسه معهم ، وطلب حمدون للتشاور والتدارس في هذه القضية الكبرى التي يواجهها ، ولما خلا بزغ بحمدون خاطبه قائلا : ما تقول أيها الحكيم الشاب فيما جرى اليوم من الزاهد شرم ؟!

فبعد صمت عميق قال حمدون : سأقول بحرية وصراحة وجرأة يا سيدي الحكيم بزغون .

فقال بزغون ببطء وهدوء : تكلم بكل صراحة وراحة وصدق ، فالأمر جد خطير وكبير ، تكلم ودع الأمانة بين عينيك واجعل الصدق هواك .

فقال الحكيم حمدون : النصح صدق ، والغش كذب ، فاسمع مني الكلام الحصيف يا سيدي بزغون ، فحكايتنا نحن الحكماء تلاميذ الحكيم شردي الآن تذكرني بحكاية سمعناها من الحكيم أيها الحكيم .. حكاية الثور والحمار والكلب .

فقال بزغون ببطء وتأمل : وما حكايتهم أيها الحكيم حمدون ذكرني بها ؟

فقال حمدون : هؤلاء الثلاثة كانوا في مزرعة الفلاح "سمران" ، لقد كانوا في راحة بال ، كل قائم بواجبه خير قيام دون قلق ولوم ، كان الكلب يقوم بحراسة الماعز والغنم والأرض والدار وكان الثور يقوم بحراثة الأرض دون كلل وملل ، وأما الحمار فكان ينقل عليه صاحبه سمران الطعام والثمار إلى سوق المدينة ، وكان هذا الحمار يفتخر على صاحبيه براحته وحب صاحبه له دون الآخرين ، ويكرمه بالعلف والعشب والشراب إلى أن كانت ليلة وعاد الكلب من سهرة مع إخوانه الكلاب كما اعتاد أن يفعل في أكثر الليالي، فعندما يرقد الجميع يخرج إلى أصدقائه، ولما عاد تلك الليلة وجد صاحبه في انتظاره ، فلما وصل انهال عليه ضربا بالعصا على ظهره استيقظ على أثرها من غفلته وسباته وفر هاربا صارخا، وعاد مع الفجر متسللا وعرف من الحمار أن أحد الذئاب سلب حملا صغيرا في غيابه ، فهو لم يقم بواجبه ، فعرف الكلب خطأه فابتعد عن البستان والمزرعة ؛ ولكنه أخذ يتردد عليها باستمرار فله فيها ذكريات وأحلام ، وقد رأى أن صاحبه أحضر كلبا آخر ليقوم بحراسة الدواب والثمار فيأس حينئذ من رضا صاحبه وسيده ؛ ولكنه ظل يتردد على الثور والحمار مظهرا لهما ندمه وأسفه على تفريطه وتقصيره ، وذات يوم شكى له الثور من التعب من كثرة الحرث ، وأن الحمار يفتخر عليه كثيرا ، وأنه حمار سمران المدلل المنعم ، فوجدت هذه الشكوى هوى في نفس الكلب ، فأراد أن يفسد

على سمران ثوره وحماره ظانا أنه ينتقم من سمران فقال مخاطبا الثور : يا صاحبي العزيز أنت ثور أحمق وجاهل لا تستطيع تدبير شأنك .. الحمار ألا يستطيع أن يحرث مثلك وتستريح ؟

فقال الثور : يا صديقي الكلب أنا لا أستطيع أن أقوم بعمل الحمار وأحمل سيدي سمران والسلال والأقفاص إلى السوق .

فقال الكلب الماكر : يا عزيزي الثور .. أنت تتعب من كثرة الحرث .. فلماذا لا يساعدك الحمار في هذه المهمة ؟ .. تظاهر بالمرض أيها العزيز وقلل من بلع الزاد الذي يقدم لك ، فتصاب ببعض الهزال ، فيحزن عليك سمران، فيريحك من الحرث ، فيضطر أن يحرث بالحمار وبهذه الحيلة البسيطة تستريح من الحرث .

وبعد صمت عميق قال الثور فرحا : إنها فكرة ! ولابد من تنفيذها ليحرث صاحبي على هذا الحمار المتكبر المتعجرف.

فودعه الكلب وهو يقول : سأعود بعد أيام لأراك متظاهرا بالمرض يا عزيزي الثور .

قام الثور الغبي بتنفيذ الخطة ، فبينما هو يحرث في الأرض صدم نفسه بشجرة كبيرة ، فخر صريعا يخور من شدة الألم خوارا مؤلما ، فانزعج منه الفلاح وحزن عليه صاحبه ونقله إلى الحظيرة ، وقدم له الماء والطعام فرفضهما واستمر في ثورته وهياجه المفتعل ، وقام سمران بمتابعة الحرث بواسطة الحمار وهو خائف على الثور من الموت والهلاك ، ولما شاهد الثور صاحبه يحرث على الحمار سر وعاد له الهدوء وأكل ما قدم له من طعام وماء ، أما الحمار المدلل فقد تألم من الحرث وظهر عليه التعب سريعا فأخذ بالتذمر والسقوط ، وكان سمران كلما أخرج الثور للحرث، فبعد وقت قصير يطرح نفسه على الأرض متظاهرا أنه ما زال مريضا فيأخذ بالخوار الحاد فيعيده الفلاح لحظيرته ، ويكمل العمل بالحمار ، وبعد حين شكى الحمار للكلب المطرود ما حل به من الإرهاق والعرق والتعب ، وأن الثور يتظاهر بالمرض والضعف والجنون للهرب من الحرث ، فقال له الكلب مشفقا : وأنت يا صديقي القديم تظاهر بالمرض والضعف والإغماء فيضطر سيدك أن يخفف عنك، فيبيع الثور ويشتري ثورا شابا ، وتعود لأيام الراحة والضحك والسرور

أعجب الحمار بمشورة الكلب فأثنى عليه وشكره وقال : هو ما تقول .. فالثور أصبح حسودا لي وعجوزا أيضا فليأخذه سمران للجزار .

وتركه الكلب ، وترك في قلبه فكرة سوداء ، وأقنعه بتلك الحيلة ، وأظهر الحمار ضعفه ومرضه لسيده ، فانزعج الفلاح سمران من قلة نشاطه وحركته ، ولما يئس من ضعف الاثنين أخذهما للسوق في

المدينة، وباع الحمار لأحد الناس، وباع الثور لأحد الجزارين ، واشترى ثورا صغير العمر وحمارا قويا ، وعاد بهما لأرضه .. فهذه حكاية الثور والكلب والحمار يا حكيم بزغون .. فبما أن صاحبنا شرم طامع في الخلافة للزاهد شردي ، وقد اختارك الزاهد لهذا الكهف فدعه ينصرف ويسعى في بلاد الله الواسعة ، وأذن لمن شاء بالانصراف ، فكم من التلاميذ دخلوا هذا الكهف وخرجوا كما تعلم أيام الزاهد الحكيم شردي .. فالحكمة والعلم يحتاجان إلى هدوء وروية ومحبة وخروج من نوازع الحياة الدنيا .. فهذه مشورتي يا حكيم بزغون .

فلما خيم الصمت عليهما قال بزغون : الاتفاق جميل وطيب ، فلو ظل الثور والحمار والكلب على وفاق وقناعة ورضا ، وكلٌ يقوم بدوره ، وكلٌ قام بواجبه ، ولم يدخل بينهم الحسد والكره ما طرد الكلب وما ذبح الثور وما بيع الحمار .. فأنا لا يهمني يا أخي حمدون ذهاب شرمون وغيره من المريدين .. فهذا أمر طبيعي أي الفراق ؛ ولكنه تلميذ عاشر الزاهد طويلا ، ولم تمض أيام على خروج روحه يريد الفراق، فإن خرج من هنا نخشى أن يتقول علينا كثيرا ، ويشكك في وراثتي للحكيم ، وهو كذلك نقض للبيعة الأولى ، فلو بايعني ثم استأذنني في السياحة في الأرض لكان الأمر غير ذلك.. وعلى كل حال لا أحب أن يصير بنا كما صار في غابة الطيور يا حمدون .

فقال حمدون : وما الذي صار في غابة الطيور يا أخي يا بزغون ؟!

فبعد صمت والتقاط نفس عميق قال الزاهد بزغون : اسمع يا ولدي الذي جرى في غابة الطيور ، قيل إنه كان يعيش في إحدى الغابات الكبيرة عدد كبير من الطيور العملاقة ، واجتمعت هذه الطيور ذات مرة على أحد الصقور وقد أصابه صياد بسهم ، ولم يقتله على الفور بل طار ونجا إلى الغابة ، فالتمت الطيور حول الصقر الجريح تواسيه، وتتحزن لما حل فيه، وهو يصيح ويزعق من الألم والوجع، وكثر اللغط بينهم إلى أن قال أحد الطيور : يا طيور الغابة نحن لماذا لا ننصب طيرا منا ملكا علينا ؟ نطيعه ويقودنا للأنتقام من بني آدم الذين يعتدون علينا ، ويصيدوننا فإذا هجمنا معا على الصيادين فروا وخافوا منا ويخشوننا ، ولا نعود نرى مثل هذا المسكين يتأوه ويتعذب بيننا .

فقال طائر آخر متحمسا للفكرة : كلامك مقبول ؛ ولكن العداوة بيننا وبين الصيادين لا تنتهي بتنصيب ملك علينا فهي عداوة جذورها قديمة .. ولكن لا بأس من تنفيذ الفكرة .. إنني أتألم لهذا الصديق المصاب .. المهم يا ولدي حمدون ! أعجب الاقتراح القوم ورأوا في الاجتماع والاتحاد قوة ،

فاختاروا أكبر الصقور سنا ونصبوه ملكا ، ثم دفنوا صاحبهم المصاب بعدما فارقته النسمة وهم ينظرون إليه بحسرة وألم .. ولما استقر الصقر الأسن ملكا اتخذ حاشية من الطيور التي بايعته ملكا عليهم وفرض عليم طعاما يقدمونه له كل يوم مقابل تسلطنه عليهم ومضت الأيام وأشرف الصقر الهرم على الموت ودخل في مرض الوداع ،



فطلبت منه رعيته اختيار وريث له ، وبعد تفكير عميق وتشاور مع حاشيته المقربين وجد بينهم ثلاثة يطمعون في الرئاسة والزعامة ، وبعد تدقيق وتدبير اختار صقرا كهلا وبايعته الطيور ومات الملك ، ولما واروه التراب تسلطن الملك الجديد على طيور الغابة ، وبعد حين انشق الطائران الآخران اللذان كانا طامعين في الملك على الصقر الكهل ، وأعلن أحدهم نفسه سلطانا ، وعين الآخر وزيرا وخليفة له من بعده ، وحدثت بين الطيور فتنة ومعمعة ، ورضخ الملك الكهل للأمر وما حصل من المنشقين ، وأما الملك المنشق فقد أعلن أمام أتباعه وأنصاره أنه رفع عنهم وجبة إطعامه هو والحاشية ، فسرت الطيور من هذا العبء الذي انزاح عن كاهلهم ، وزعم أنه مجرد قاض بينهم ليفض أي نزاع يحصل بين أتباعه، ومع الأيام وجد الملك الكهل نفسه وحيدا وأتباعه يتناقصون ويلحقون بغريميه، فعزم الاعتزال والتنازل عن سلطانه ، فزار الصقر المتمرد وأعلمه برغبته ، وترك الغابة لخصمه اللدود إلى غابة أخرى ، وبعد ذلك قام الوزير بدس السم في طعام الملك الغاصب خفية عنه فأرداه قتيلا ، فهذه يا حمدون قصة غابة الطيور ، فأنا أخشى الفتنة والنزاع وأن تذهب تعاليم وحكم شردي أدراج الرياح .. فالاتحاد قوة.. وإخضاع شهوات النفس للروح قوة .

فقال حمدون: نحن لسنا في غابة طيور أيها الزاهد.. ولسنا نتنافس على ملك دنيا .. نحن كلنا استقينا الحكمة والعلم من الزاهد شردي ، فمهمتنا نشر هذا العلم بين الناس والحكام ..وكم من التلاميذ في حياة الحكيم شردي حملوا العلم وساحوا في الأرض والبلاد ! .

فعاد بزغون يقول : ولكن شرمون طامع بكرسي شردي .. وتنازلي عنه خيانة للزاهد شردي .. على كل سألتقي به مرة ثانية لعله يعدل عن فكرة الانشقاق والانقسام .. وأخبر التلاميذ بلقاء هام ضحى الغد..نحن علينا أن نتنافس في الخير والعلم والحكمة ، ونحذر الشر ونزغ الشيطان بيننا ، ولابد من الإيثار مع الإحسان ، وكذلك من المهم

المحافظة على أفكار وتعاليم فيلسوفنا العظيم شردي

ضحى اليوم التالي عقد القوم اجتماعا خطيرا وفاصلا ومهما في كهف الشروق من جبال الشرق العاتية ، وتكلم فيه خطيبا الحكيم بزغون وريث الزاهد شردي كلاما طويلا ، ذكر فيه فضائل الحكيم الزاهد شردي ، وترحم عليه وبكى وأبكى المريدين ، ومجد وأثنى على التلاميذ الخلص ودعاهم للتمسك بتعاليمه وحب الخير والإيثار من أجل الجميع، وترك الأنانية ، وحب الرياسة والحذر من مكر الشهوات ، ثم أعلن في الختام بانفصال الحكيم شرمون عن الكهف ، وأظهر لهم رغبة شرم في تأسيس مدرسة في بلاد بعيدة ؛ لنشر تعاليم الحكيم شردي في هذه الدنيا، وبين لهم موافقته على ذلك ورضاه ، وأنه أذن له بذلك الابتعاد ، ولمن شاء منهم بأن يتبعه ويصحبه، ثم أذن لمن شاء بمغادرة الكهف والسياحة في الأرض ، وبعد أن انتهى الحكيم من خطابه العاطفي انصرف التلاميذ إلى حجراتهم الصخرية ، ودخل شهدون على أبيه حمدون بعذ ذلك الخطاب ، وأعلمه برغبته بمغادرة الكهف وخلع ملابس الزهاد والحكماء والسعي في مناكب الأرض والدنيا ، فتعجب الأب من هذا المطلب ، وذكر له أنه ما زال صغيرا دون العشرين ، والحياة مليئة بالشر والفساد والظلم والقسوة ، فقال شهدون : يا والدي الطيب أرغب في رؤية الدنيا والاحتكاك بالناس مللت من دروس الحكمة .. ونفسي لا تعشقها كثيرا .. أريد أن أتعلم الفروسية والرماية .. أريد أن أملك جوادا وسيفا .

حاول حمدون الحكيم ثني ولده شهدون عن الخروج للدنيا ، وصعب له الفراق وقسوته ؛ ولكن الفتى أصر وصمم على الخروج للدنيا والتعلم منها ، وقال له في نهاية المطاف : اصبر عاما آخر حتى يشتد زندك..يا ولدي فالدنيا مليئة بالأشرار والفجار

فقال شهدون: لابد من الخروج من هذا الجبل ومشاهدة العالم والناس .. أنا بحاجة لدروس أخرى .. الفروسية وركوب الخيل والأفيال وقتل النمور والضباع .

فلما يئس الأب من إقناع ولده وتلميذه شهدون من البقاء ولو عاما واحدا قال : انتظر أياما حتى أكتب لك كتابا إلى أحد ملوك الدنيا.. فالملك جهازون ملك بلاد الفند صديق قديم لي ، ولديه مدرسة لتدريب الفرسان، سأرسلك إليه يا شهدون، وعندما تلقاه ادفع له كتابي ، وانقل له تحيات الزاهد بزغون ، وأعلمه بموت الحكيم الزاهد شردي .

شهدون يغادر الكهف

ولما جهز حمدون رسالة التوصية بولده وتلميذه شهدون إلى ملك بلاد الفند قام الشاب الصغير بوداع الحكماء والتلاميذ ، وتزود ببعض الخبز والماء ، وانحدر من الجبل برفقة بعض التلاميذ الذين قرروا مغادرة العزلة والعلم ، ومن ثم السياحة في الأرض لنشر مبادئ وتعاليم الحكيم شردي ، وبعد أيام دخلوا أول مدينة مأهولة بالبشر ، وتركهم شهدون وتابع سيره منفردا بعدما أمضى فيها يومين استراح فيهما وتزود بالطعام والماء ، وبينما هو يمشي وحيدا في أحد الوديان بين جبلين عظميين لمح أمامه خيالا فصاح به فسمعه الخيال فتوقف عن المسير وانتظره وقال : ما بك أيها الغلام ؟ ولم تصرخ ؟

فقال شهدون : يا هذا أين طريقك ؟ .. إنني ذاهب إلى ملك الفند فأرشدني إلى الدرب الصحيح ؟

فقال الخيال : ملك الفند ولماذا ؟!

فقص شهدون قصته القصيرة للخيال بصدق وطمأنينة فقال الرجل : إنها بعيدة أيها الشاب الصغير وتحتاج إلى أسابيع حتى تحل فيها .

فقال شهدون : أين دربك يا أخي ؟ ألست ذاهبا إليها ؟

فقال الفارس : لا ، اسمع أيها الفتى فأنا هارب من قومي ، فأنصحك أن تسير وحدك ، وتبعد عني حتى لا يصيبك أذى بسببي فبعد قليل سترى عددا من الفرسان يطاردونني .

فقال شهدون : ولماذا أيها الفارس ؟!

فرد عليه قائلا : حكاية لا داعي لذكرها على مسامعك ، ولكن امضِ فإذا التقينا مرة أخرى في هذه الحياة الدنيا سأذكرها لك .

فقال شهدون : يا هذا شوقتني لسماع حكايتك !

فقال الفارس : اصغ يا هذا إنني أسمع صوت خيل مقبلة من بعيد وداعا ، ولا تقل إنك رأيتني تذكر الفارس "عيون" يا أخ شهدون .. سلاما عليك .

ووكز حصانه وانطلق يسابق الريح هاربا من مطارديه ، وبعد ساعات أدركت شهدون عصابة من الفرسان فاستوقفوه وسألوه عن الفارس الهارب ، فاحتار شهدون بالإجابة هل يكذب ؟! أم يصدق ؟! ولكنه قال : فارس تبحثون عنه ولماذا أيها الأسياد ؟!

فنهره أحدهم وصاح فيه:هل رأيته؟ فارسا يركب فرسا حمراء سار من هذه الطريق؟

فقال شهدون وهو يهز أكتافه نفيا : أبدا !!

فتركه الفرسان وتابعوا ركضهم ، وتابع بطل قصتنا سيره أيضا حتى دخل بلدة مسكونة فبحث عن مأوى ، فأرشده الناس إلى بيت عجوز القرية، العجوز "شهبانة" ؛ فإنها ترحب بالأغراب

والاضياف ، فاستقبلته العجوز استقبالا سارا وقدمت له الطعام الطيب والشراب البارد ، فسر منها شهدون وقص عليها قصته القصيرة ، وحياته في كهف الشروق ، وتتلمذه على يد الحكيم شردي وأبيه حمدون ، وتركه ذلك السكون والراحة والزهد في الدنيا ، وتعلقه في الفروسية ، وأنه سائر لبلاد الفند لتعلمها ، فعرضت عليه العجوز شهبانة المكث عندها ، وأن تكون له أما ترعاه ويرعاها ، وتعلمه صنعة يرتزق منها ، وأنها سوف تنكحه فتاة جميلة طيبة مثله ، وأمهلته ثلاثة أيام يفكر في عرضها ، وفي إحدى الليالي أحس شهدون بحركة في البيت بعد منتصف الليل ، فاسترق السمع فلاحظ أن العجوز استقبلت رجلين فظنهما للوهلة الأولى ضيفين أغراب مثله ؛ ولكنه شعر بحركة قرب الحجرة التي يرقد فيها ، وسمع العجوز تقول لهم : إنه نائم يا حازم .. لماذا جئت الليلة ؟! هل من شيء ؟!

فسمع المدعو بحازم يرد على العجوز : هناك أشياء .. أين تريدين أن نجلس؟ .. فالأمير زمرار مرهق جدا ومتعب .

فبغتت العجوز وقالت وهي تلتفت للرجل الآخر : ويحك ! أمعك الأمير ولم تنطق باسمه ، ظننته أحد رجالك .. اتبعوني إلى غرفتي الصغيرة .

تعجب شهدون من هذا اللقاء وطار النوم من عينيه من لقاء بين عجوز وأمير ورجال ، فحركه الفضول لاستماع كلام القوم ، فتسلل من حجرته إلى غرفة العجوز بخفة الهر، وهناك تمكن من سماع أشياء غريبة ، علم أن الأمير زمرار أخ لأمير هذه المدينة ، وأنه غاضب على أخيه وطامع في تاجه ، وهو مطارد ورجال الأمير يبحثون عنه للفتك به، وله أنصار في المدينة، ويلتقون في بعض الأحيان في بيت هذه العجوز الماكرة لشهرتها باستقبال الأغراب وفتح بيتها للضيوف وعابري السبيل ، ولما سمع شهدون الحكاية عاد لغرفته يفكر في هذه الحياة وفي هذه الحكاية الجديدة .. فارس هارب يطارده قومه لماذا ؟! وهذا أمير يطارده أخوه لأنه ينافسه على الحكم ؟ وبعد تأمل قال لنفسه : الرحيل خير لي ..وتأوه قائلا : آه يا نفس ! إنني خالفت تعاليم الحكماء والزهاد ..كذبت وتلصصت وتجسست .. لا ، أنا كذبت لانقض الرجل الهارب .. ليتني عرفت قصته قد يكون ظالما .. الفضول داء حذرنا منه الحكيم شردي ، ولكني لم أتخلص منه ، فإني قد مارسته الآن .. نعم ، أنا تجسست لأحذر من هؤلاء الناس .. الرحيل يا شهدون .. الرحيل ..

وبعد انتهاء موعده مع العجوز اعتذر لها ، وبين لها تصميمه على الذهاب إلى بلاد الفند وتعلم الفروسية وعندما يعود سيمر عليها ، ولما أصبح

خارج البلدة قال : سأمر عليها .. إنني كذبت عليها متى سأعود ؟ ولماذا أعود إليها ؟! لا أهل ولا مال ولا وطن لي هنا .. اللسان ينحرف إلى الكذب .. من غير وعد لماذا كان الوعد ؟! وداعا يا عجوزتي الطيبة .

مشى شهدون وظل ماشيا حتى أطل على قرية من قرى الدنيا مع ضحى أحد الأيام ، فشاهد حائطا مزروعا بأحلى الأشجار والثمار من جنان العنب والتين والرمان ، فقرر أن يستريح في هذا البستان الجميل، فدخل من مكان مهدوم من جدار البستان ، ولما أصبح في داخل البستان صاح بصوت عال : يا صاح .. يا صاحب البستان ..نادى بصوت عال ، فلم يسمع همسا ولا حسا ، فتناول بعض الثمار فأكله، ثم رقد تحت شجرة فنام من الإرهاق والمشي ، ولم يطل به المنام ، فقد استيقظ على أحد السودان يهزه بشدة وهو يقول : ماذا تفعل هنا أيها الغلام ؟!

فتح شهدون عينيه وجلس فرأى حوله رجلا بثياب جميلة تبهر العيون والأنظار وبين يديه خمسة من العبيد السمران الأقوياء الأشداء كما توحي هيئاتهم ، فلما نظرهم تذكر أنهم ينتظرون الجواب فقال بهدوء : أنا شهدون بن حمدون من تلاميذ الحكيم شردي الكائن في جبال الشرق.. وأنا سائر إلى ملك بلاد الفند الملك جهازون يا سادة يا كرام .. ونزلت استريح هنا من تعب السفر والترحال وقد ناديت قبل الدخول يا صاحب البستان ، فلم أسمع الجواب ، فوجدت ثلمة مهدودة ، فدخلت منها وأكلت بعض الثمار ، ثم نمت .. فهذه قصتي بالتمام والكمال يا أيها السيد ويا أيها السودان .. أراكم تنظرون إليّ بغضب وشرر يتطاير من أعينكم ما الذي بيني وبينكم ؟!

فقال الرجل الوسيم ذو الثياب الفاتنة : ألم تر رعيان عندما دخلت من هنا يا شهدون ؟

فهز رأسه نافيا رؤية أحد غيرهم ، فقال السيد موضحا الصورة لشهدون : هذا ـ وأشار لأحد العبيد ـ تشاجر مع بعض الرعيان الذين هدموا السور ودخلوا البستان فضربوه ..فأتانا في القصر الكبير فجئنا نبحث عنهم فوجدناك .. واعتبر نفسك أيها الغلام الرشيد ضيفا عندي وحياك الله في قريتنا .

فقال شهدون : جزاك الله خير الجزاء ..فأنت وسيم وكلامك وسيم .. ولا أحب أن أثقل عليك أيها الفاضل فدعنى استرح قليلا وأتابع المسير أيها المفضال .

فاحتد الرجل وقال : هذا لا يكون أيها الضيف .. يا مرحبا.. والتفت للرعيان وقال : أيها الغلمان انظروا خارج البستان وابحثوا عنهم ثم رمموا الجدار .. وهيا أيها الفتى إلى قصرنا الجميل ..

فأنت ضيفنا ونحن نحب الضيفان .. فأنا سمعت عن الحكيم شردي ولي أخ من زمرة أتباعه من قديم الزمان .

فقال شهدون بحزن : مات شردي الحكيم منذ أسابيع وتصدر القوم تلميذه الوفي بزغون أيها السيد الفاضل .

وسار شهدون برفقة السيد، وكان حديثهما عن حياة الحكيم شردي وتلاميذه وزهدهم وحبهم للحياة الآخرة ، وعن فلسفتهم ونظرتهم للإنسان والكون ، وبعد زمن يسير وصلا إلى قصر شاهق البنيان بين الأشجار العملاقة وروضات من الأشجار المثمرة والمزهرة تملأ الجو بأريجها وسمع أصوات الخيل والدواب فغبطه شهدون على هذه النعم ، وانتشر الخبر في القصر بقدوم ضيف على السيد مهران ، فجلس الضيف في إيوان القصر وقدم له الشراب البارد وعصير الليمون ، ووضع بين يديه أشكال وألوان مختلفة من الفواكه المحمولة بأواني الذهب والفضة ، وأمضى شهدون نهاره في الفرجة والمشاهدة في قصر السيد مهران ، فتفرج على الجواري والغلمان والطيور والخيول والكلاب والبقر والعجول والأغنام والفهود والصقور، فخيل إليه أنه ينزل في قصر ملك من ملوك الدنيا مما دفعه لأن يقول لأحد الغلمان : هل سيدك ملك من ملوك الدنيا ؟!.

فابتسم الغلام لانبهار الضيف الزاهد وقال : لا .. إنما ورث كل هذا عن والده لقد كان والده من حاشية الملك ملك مدينة الجلاء فأقطعه هذه الأرض فصنع عليها كل هذه الخيرات .

فقال شهدون : وهل المدينة بعيدة ؟

فرد الغلام : هي مدينة تبعد عن هذه القرية مسيرة نصف يوم .

فعاد شهدون يسأل الغلام وهو يتفرج على الحدائق الغناء فقال : وهل لصاحبك ذرية ؟

فأجابه الغلام : ورث مولاي مهران هذه الأرض هو وأخوه من والدهما .. وقتل الأخ في حياة الوالد وبعد أيام تبعه الوالد فانتقل هذا الملك كله للسيد مهران .. ولا أولاد عند سيدي مهران وكان قد تزوج امرأة في حياة والده ، ولما قتل أخوه طلقها واعتزل النساء والزواج ، وهو يمضي جل وقته في الصيد والقنص ومطاردة الوحوش والغزلان .. وله أخت تسكن المدينة تزوجت من أحد أمراء الملك ، وينزل للمدينة بين كل فصل وآخر مرة واحدة ..

وفي المساء عاد شهدون من جولته في أملاك السيد مهران ، وهو يتعجب من فضل الله تعالى على خلقه ثم سأل نفسه : لقد أخبرني مهران أن له أخا من أتباع شردي ولكنه لم يذكر لي اسمه لعله من الاتباع القدماء .. وربما لما عاد إلى بلده قتل .. ولا

حول ولا قوة إلا بالله .

ووجد السيد الكبير ينتظره على مدخل القصر فلما رآه قال : أهلا بك أيها الشاب الصغير .. لعلك تمتعت بما رأيت من نعم الله علينا أيها الهاجر الزهد والحكم .

فرد الفتى قائلا : تبارك الله .. ما شاء الله لا قوة إلا بالله .. جنة من جنات الدنيا أيها السيد

الكريم إنها تجلب السرور إلى النفس، وتغبط عليها، ولست لك بحاسد، فالجلوس مع الحكماء يزهد الفتى في مثل الجنات .

وبعد تناول العشاء أخذ الرجلان يتحدثان ويتسامران حتى نصف الليل ، ثم طلب السيد مهران أحد عبيده وقال له : امض بالسيد الصغير إلى حجرة خاصة يقضي به ليلته ، وقم على خدمته حتى الصباح .

فشكره شهدون وقال للخادم : دلني على منامي ، وأنا أخدم نفسي أيها السيد الكريم ومع الصباح سأودعك أيها الصديق ، ولعلنا نلتقي ثانية ، وأعرف منك سر قسمات الحزن المرتسمة على وجهك في يوم من الأيام .

فقال مهران بدهشة : على وجهي حزن ؟!

فتبسم شهدون وقال : على مثلي لا يخفى ذا .

فابتسم مهران بدوره وقال : لابد أن أحدهم حدثك شيئا .. على كل حال أشكرك على قبول ضيافتي ، وأحب أن تبقى أياما تستريح من تعب السفر، وأسمع المزيد من حكم وعلم الحكيم شردي .. فالرحلة طويلة أيها الصديق ..

ومضى شهدون إلى غرفة نومه ، ولما استلقى على الفراش تذكر الأيام التي قضاها مع العجوز الطيبة، وشكر الله سبحانه الذي يسخر له هؤلاء الناس، ويحميه من أذى الجبال والوديان والوحوش ، وفي الصباح الباكر كان شهدون يودع مضيفه وداعا حارا ؛ كأنهما أصدقاء منذ سنوات ، وقام السيد باهداء شهدون حمارا وزوده بالماء والطعام والمال رغم أنفه ، وحثه على العودة والحياة معه بعد تبليغ الرسالة .

فابتسم شهدون بعد تقبله هدايا الرجل وقال : سوف أفعل إن شاء الرب سبحانه .

وركب الحمار وانطلق يقطع البلاد والجبال الشواهق حتى أشرف على مدينة جديدة وبحث عن خان ينزل فيه، فدله الناس إلى خان في وسط المدينة ، فاستقبله صاحب الخان أحسن استقبال، وأنزله في حجرة صغيرة ، وقاد حماره للاصطبل ، وبعدما استراح قدم له الطعام ، فشكره شهدون وتحدث معه قليلا ، ثم دخل حجرة النوم ، وأثناء الليل سمع ضجيجا في الخان ، فاسترق السمع فسمع مالك الخان يتحدث مع رجل قريبا من الاصطبل ، ورآه من شق الباب قد دفع حماره

لذلك الرجل وقد قبض منه نقودا ، ثم هدأت بعد حين تلك الضجة ، وغرق شهدون في سبات عميق، وهو يظن أن الرجل سيجلب حملا على ظهر الحمار ، فراح يحلم بحماره وصاحب الخان .

ومع الصباح الباكر سمع دقا على الباب فجفل واستيقظ واستعاذ بالله من الشيطان وشره وقال : من يطرق الباب ؟!

فرد صاحب الخان بضعف مفتعل : أيها السيد الصغير .. افتح الباب لقد حدث أمر .. قضية

قام شهدون منزعجا وفتح الباب وهو يتمتم مستفسرا:ما الأمر يا صاحب الخان؟! هل مات الحمار ؟!

فقال الرجل متظاهرا بالحزن والأسف : يبدو يا سيدي أن أحد اللصوص استولى على حمارك الليلة .. فقد ذهبت صباحا لأضع له العلف ، فلم أجده ، فبحثت عنه فلم أعثر عليه .. فعليك يا سيدي أن تبلغ رجال الحرس لعلهم يمسكون باللص .. لقد سرق غرباء كثيرون .

فهز شهدون كتفيه وهو يسمع ويدير القضية في رأسه وقال متهكما: لا عليك أيها السيد .. ابحث عنه مرة أخرى ، ولما استيقظ تماما سوف أشاركك البحث ، لا تأسف ولا تحزن ، ما هو إلا حمار .. والأمر بيد الله ..

وانصرف سيد الخان متظاهرا ومهتما بالبحث عن حمار شهدون ، وعاد شهدون يحلم بحماره وخيانة هذا الرجل وقال : الحمد لله رب العالمين..خلصتني منه على كل حال..ولن أدفع لك درهما واحدا يا خبيث جزاء خيانتك.. إيه يا دنيا !

لما استوت الشمس في كبد السماء، وقد تناول شهدون إفطاره وقرر الرحيل، فطالبه صاحب الخان بثمن المنام والطعام والشراب ، فضحك شهدون وقال : خذه من ثمن الحمار .. عندما تجد الحمار خذه أو بعه ـ وغمز بطرف عينيه هازئا ـ لأحد اللصوص .. وخذ حقك .. واعتبر الحمار لك وداعا يا محترم .

بلع الرجل ريقه وسكت فقال شهدون : كم يبق لي من ثمنه ؟ .. على كل حال أيها المحترم سامحتك وداعا يا صاحب الخان ..واحذر عاقبة الخيانة .

رحل شهدون عن هذه البلدة بدون حماره ، وبعد أيام وليال قليلة وجد نفسه خلف قافلة من الجمال والبغال والتجار فلحقها ، وأخذه الحرس الذين يحمون القافلة من اللصوص وقطاع الطرق إلى رئيس القافلة الشيخ الكبير " نادرما " فرحب به شيخ القافلة، واستمع لقصته فاطمئن له وتيقن أنه عابر سبيل وليس عينا لقطاع الطرق أو عينا لأحد

الأمراء الغزاة ، واستضافه على مائدته ، وبعد حين ومع الفجر تعرضت القافلة لهجوم عدد كبير من اللصوص الملثمين ، ودارت معركة شرسة بين اللصوص وحرس القافلة استمرت بضع ساعات ، ثم اختفى من نجى من اللصوص في الجبال والكهوف والوديان ، وسقط بعضهم أسرى وبعضهم جرحى ، ولما قدموا لرئيس القافلة علم أنهم من عصابة شديدة الخطورة في هذه الوديان ، وعلم أن زعيمها رجل أعور قوي البأس يدعى " سلطان الزمان " ، فأمر الرئيس بقتلهم ورميهم للكلاب والسباع ، وعجب شهدون من قسوة الزعيم مع كرمه الشديد معه ، فلما سارت القافلة وبعدت عن المكان قال الشيخ : هؤلاء مجرمون أيها الحكيم الصغير!.. أشرار ولصوص أنذال كانوا يريدون سلب أموالنا ، ولو عفونا عنهم سيعيدون علينا الكرة مع من نجا منهم ، فنحن نتخلص منهم ، ونخلص الناس من ضررهم ، ونبقي واحدا منهم حيا جريحا ليخبر قومه بقسوتنا حتى ينتشر الرعب في أفئدتهم ، وما من مرة أدخل هذا الوادي الأسود إلا وأتعرض لعصابة الأعور المسمي نفسه سلطان الزمان .. ولابد يا ولدي من القسوة والشدة في بعض الأحيان .

ومشى معهم شهدون حتى ساروا في درب لا يوصل لبلاد الفند ، فودعهم وسار في دربه ، وهو يتعجب من أحوال الناس والدنيا ويقارن بحال أهل الكهف الهادىء الوديع ، وبينما هو يمشى وحده غارقا في أحداث الدنيا تفاجأ برجل مقنع يلقي عليه التحية ، فجفل منه أولا ثم رد عليه تحيته بأحسن منها ، وشاهد ثيابه الرثة الممزقة ، فرثى لحاله وحزن عليه وأشفق عليه عندما سمع قصته ، وهي تتلخص بأن لصوصا اعترضوه وأخذوه لكهف وأخذوا منه ماله وطعامه ومزقوا ثيابه ثم طرحوه كسير الجناح ، فقاسمه شهدون طعامه وذكر له بعض قصته ، وسار الرفيقان حتى الليل فمالوا إلى كهف يقضيان ليلتهما فيه ويستريحان من تعب الطريق ، وبعد العشاء تظاهر شهدون بالنوم فهو غير مطمئن من رفقة صاحبه الأشعث "حزوم" فقد رابه شأنه ، وبعد وقت أخذ يتقلب شهدون يمنة ويسرة متظاهرا أنه مستغرق في النوم ومن بين أجفانه المطبقة كان يراقب صاحبه الذي كان هو الآخر يتظاهر بالنوم العميق ، وكان شهدون قد وضع كيس نقوده عند رأسه واحتفظ بالخنجر تحت إبطه ، وطالت المراقبة حتى غلبه النوم من شدة التعب ، ولما دخلت الشمس الكهف نهض من نومه ، فلم يجد صاحبه فقال لنفسه : لم تخف علي هيئته.. لص ساذج غبي ، وأخرج كيس نقوده الثاني من صدره وتفقد نقوده وهو يقول : لن يجد فيه إلا قطعا قليلة من النقود

وبحث عن جراب الطعام فلم يجده .

... تمت الحلقة ١

روايات اجتماعية

رهاب الطلاق

طلاق المحامي طارق

الحلقة ١

نادي الخط العربي

جلس مجموعة من الأصدقاء في نادي الخط العربي ؛ حيث يلتقي هواة ومحترفو الكتابة بالخطوط العربية التراثية والمتطورة والمعاصرة وأصدقاؤهم يثرثرون عندما لا يكون عندهم نشاطات ثقافية أدبية شعرية ، يتحدثون في أحوال البلاد ، وقضايا السياسة والاقتصاد والأسعار ، وكل يدلي بدلوه ؛ كأنه الخبير فيما يتحدث عنه.

وهؤلاء الأفاضل يعملون في مهن وحرف شتى ، الطبيب المهندس المحامي المدرس الشاعر الإعلامي ؛ الضابط ؛ لكن حب الخطوط يجمعهم كما يقال ، وبعضهم يتحدث عن همومه المتنوعة في العمل والوظيفة أو في البيت مع الأسرة مع الزوجة مع الأبناء مع الجيران مع الآباء والأقارب ، يسعون للتنفيس عن أنفسهم .

جلست مجموعة منهم تتحدث عن سيرهم بفشلهم في زواجهم ، وعلاقاتهم الزوجية ، ويشاركهم الإصغاء من يحب سماع قصص الطلاق والفراق ، فتراه معهم مصغيا لحكاياتهم ، مواسيا لنفسه أو لزميله في نادي الخط ، فهم أعضاء فيه لإشغال أنفسهم بالخط العربي وزخرفاته ونسيان القضايا والغموم أثناء الكتابة والتخطيط ، فالزواج والفراق حديث لا ينتهي ، فلان تزوج ، فلان طلق ، فلان ترمل ، ونظرة منك إلى دور المحاكم الشرعية ومؤسسات الإحصاء تتأكد من ذلك ، ناس فرحة وسعيدة بعقد الزواج ، وناس مقطبة وحزينة وهي تستلم عقد الطلاق .

أسباب التسريح والفراق كثيرة ، منها سوء الاختيار للشريك أو الشريكة ، ظروف معينة ، عادات وتقاليد لم تتغير بطول الأيام ، وأشياء أخرى منها الضعف الجنسي والأمراض والفرق الكبير في السن بين القرينين ، والحياة الصعبة والفقر والعجز ، وربما عدم الكفاءة والمجتمع المريض اجتماعيا ، ولا ننسى ضعف الدين وهجره ، والأفلام والمؤسسات الاجتماعية الضعيفة .

جلس المحامي طارق سليم ورفيقه عزيز وآخرون يستعرضون الأيام وحكايات انفصالهم ، لعلهم يواسون أنفسهم من هذا الفشل ونجاح غيرهم، لماذا فشلوا ؟! لماذا نجح غيرهم ؟!

نحن يهمنا أن نسمع القصة ونكتبها فأي تعليق قد لا يجدي نفعا !

بدأ المحامي طارق سليم بحكايته مع الطلاق في

أسرته ، وعزيز فارس يصغي إليه بشغف وأسف .
اذا كان هناك يوم أسود ويوم أبيض فكان طلاق أم طارق من سليم يوما أسود ، وسيزيد الظلمة في حياته ، وإن لم تكن الأيام جميلة وبيضاء في بيت والده فالمشاكل والنزاعات كثيرة في البيت ، فمنذ ولد وهو يسمع الصراخ والضرب والشتم واللكم ، وكلما كبر فهم أكثر. لم تكن حياة سليم حياة مثالية فمنذ تزوج نهى شادير وهو يعيش معها حياة نكد ومشاجرات ، كانت في نظره سيئة وبلاء ابتلي به ، وتعتبره هي أسوأ رجل في العالم، وتلعن اليوم الذي رأتها فيه أمه ، ومالت إليها كزوجة لابنها سليم .
لما وضعت مولودها الأول عايدة ، ظن الأهل من الطرفين أن الأمور قد تتحسن وتهدأ المنازعات بينهما والتي تحدث في البيت كل ساعة ؛ ولكن الأمور ظلت على سابقتها .
ويقول له أخوه سعيد : لما تكبر زوجتك في السن ستتحسن وتبتعد عن المشاكل، فزوجتك صغيرة أربعة عشر عاما دون خبرة وتجارب ، فستكبر وستكبر الطفلة، فيرد سليم : أمي تزوجت في مثل سنها .. ساعة سوداء التي رأتها فيها أمي.
قال سعيد مبررا فعل أمه : أنت كنت ملهوفا على الزواج يا سليم ! لا تجعل الحق على أمك ، أنت لما رأيتها رأيت القمر ، وأحسن فتاة في العالم تشبه الممثلة المصرية فلانة ، لم تعد تحتمل الصبر عن الزواج ؛ بل أسرعت بالزواج ، لم تنتظر عودة أخيك سرحان من السفر للمشاركة في حفلة زواجك.
قال سليم مكسوفا : كنت أريد زوجة ، كنت أخشى على نفسي الفتن والنساء ، أصبحت ابن اثنين وعشرين سنة يا سعيد! ألا ترى الكاسيات العاريات أينما مشيت ؟!
قال سعيد : عليك أن ترضى بنصيبك وقدرك.
قال سليم مادحا حماه : والدها رائع! ويقف بجانبي .. المأساة أمها تقويها عليّ وتتهمني بالظلم وإهانة ابنتها التي هي امرأتي .. هل ضرب الرجل امرأته يصبح ظلما ؟!
قال سعيد : غلط أيضا أن يضرب الرجل امرأته!
قال سليم : إنها تثير أعصابي وغضبي يا سعيد! إنها لا تحسن الطبخ والنفخ ، ولا كوي الملابس ولا غسل الثياب .
قال سعيد : إنها صغيرة ! ولم تكن أكبر أخواتها ؛ لتتعلم قبل الزواج ، لم يلحقها دور التدريب.. الكبرى أولى ؛ لأن الناس تتوقع زواج الكبرى قبل الصغرى فتأخذ الأمهات بتدريب الأكبر على أعمال المنزل يا فهيم !
قال سليم : يا رجل ! لها عندي سنتان ، ولم تتعلم شيئا.

قال سعيد : سوف تتعلم يا سليم! الصبر مفتاح الفرج والنجاح.

قال طارق للسامعين : وضعت أمي مولودها الثاني ، وسموه طلالا ، بعد استراحة الولادة وزيارات الناس للوالدة ، رجعت المشاجرات والعنف والزعل والحرد والصلح حتى أنها صارت تسيء لحماتها بدون حياء ، ولا تجلس معها ، ولا تلتقي بها ، وتتهمها بأنها زوجتها وحشا لا بشرا.

ونتيجة لهذه الكلمات تنشب المعارك ، يضرب سليم زوجته ، ويرتفع الصراخ والعويل ، ويفزع الجيران والإخوان ، هذه حياة سليم، فطالبته أمه بأن يرحل لبيت مستقل ، لم تعد الجدة تحتمل مشاكله وأم طلال ، فرفض الطلب.

وقال : لا آمن عليها أن لا تخونني أثناء ذهابي للعمل.. تربيتها فاسدة ، فهي تهددني دائما بالهرب وترك الدار .

عاد يوما من الشغل ، ووجد الدنيا مقلوبة رأسا على عقب، فقدت مدت يدها على أمه ، دفعتها بقوة فسقطت على الأرض ، فقامت بناتها عماتي بضربها بالأحذية والشباشب ، فطردها سليم بعد ضربها إلى بيت أمها.

قضت بضعة أشهر عند والديها ، ثم تدخل أهل الإصلاح ، وردوها لبيت زوجها ، واعتذرت لعمتها حماتها وقبلت يدها ورأسها ، وخيم الهدوء والسكون على البيت عدة أيام فقط . وضعت أمي مولودها الثالث ، وكانت أنثى سميت عالية ، شجع بعض أصدقاء سليم بالزواج على امرأته عساها تعقل ، ما دام عاجزا عن طلاقها بعد ولادة ثلاثة ، بقولهم الساذج لا يفل الحديد إلا الحديد ، ولا يغلب المرأة إلا المرأة يقصدون الضرة، وأخذ هذا الاقتراح حيزا من فكره ، وفكر أن يتزوج سرا عن أسرته وزوجته ،ولكنه لم يجد من تقبل به بهذه الصورة ، زواج بدون علم الأقارب وأمه وزوجته فأخذ يقلل من وجوده في البيت ، يتعشى بعد العمل ، ويخرج ويسهر في المقاهي وعند الأصحاب ، وزوجته غير مبالية بسهره ، وحتى أنها لا تفتح له الباب أو تقدم له الطعام بعد السهر ، تجعل من نفسها غارقة في النوم . ولد الرابع طارق سليم ، لم تخف وتقل المنازعات ، واعتاد سليم السهر في المقاهي ولعب الشدة لجوف الليل ، وبدأ السفر في رحلات خارج البلد بزعم الراحة والسكون والاستجمام.

وأخذت الإشاعات تسري عنه ، وتردد في البيت الكبير أنه يدخل الخمارات ودور البغاء ، وهو يقسم للأسرة بكذب ذلك.

فقال له أبوه : اذا كنت تفعل ذلك بسبب امرأتك طلقها، وتزوج غيرها.. خمر.. زنا ، لا أقبله لأي ابن .

قال سليم : والأولاد!

ـ يذهبون معها .

قال سليم : والنفقة عليهم !

فقال أبوه : ألست تنفق عليهم ؟ أنا لا أحب أن أسمع أنك تسكر وتزني بحجة المشاكل مع أم طلال .. فأنت لا تسيء لنفسك وحدك ، أنت تسيء لنا لأخواتك للعائلة ، لا تجعل زوجتك شماعة للفجور .. تمنعك من القرب منها ، طلقها وأرح رأسك.

قال سليم : والأولاد!

فقال له أبوه : لست أول من يطلق وله أولاد ، أو تزوج عليها.

قال سليم : لا تقبل تريد الطلاق قبل الضرة .. تناقشنا في الموضوع.

فقال له أبوه : خلاص طلق يا ولدي ! منذ تزوجتما وأنتما في فضائح ، ومعارك البسوس .

قال سليم : سأفكر بذلك .

فقال أبوه : إياك مما أسمع .. سأطردك من البيت العائلي ، وأغضب عليك.. لا يكون حل المشاكل بالخمر والزنا.

قال طارق: لم أدخل المدرسة عندما رحلوا من بيت جدي منذر ، سكنّا ببيت قريب من بيت جدي شادير كان الرحيل مؤلما وقاسيا ، حملت السيارة الأثاث من بيت أبي إلى البيت الجديد وعلمت من أخوات أمي أن أمي طلقت ، وفهمت منهن أن أبي تخلى عنا لأمي . برغم الطلاق واختفاء أبي من بيتنا وحياتنا ما زالت أمي عصبية ومتوترة باستمرار ، تصيح وتصرخ فينا لكل سبب مهم وغير مهم ، تتشاجر معنا بدلا من أبي ، وتتشاجر مع أمها جدتي حليمة في كل زيارة لبيت جدي بزعم أنها سبب زواجها من أبي وتزويجها بسن مبكرة ثم طلاقها ، وحرمتها من تكميل المدرسة والجامعة وأفسدت عليها حلمها ؛ حيث كانت تحلم بالعمل ممرضة ، مدرسة مثل شقيقتها أو قريباتها.

دخلت المدرسة بعد حادث الطلاق ، وعلمت أن أبي يرسل لنا المصروف وإيجار البيت ، لم يغمر السكون البيت ؛ كما كنا نرجو ونحلم ، كنت أرى الأكبر مني يبكون ، ويضربون ، ويصرخ في وجوههم ، ويتلقون البصق والسب ، كثيرا ما رأيت عايدة وعالية في بكاء ، وتمسحان الدمع باستمرار ، ولم تعودا تتحملان عصبية أمي ، فتهربان لبيت الجد شادير ، وعلمت أن جدتي بعد شهور من الطلاق والرحيل أخذت تسعى لإعادة أمي لزوجها أبي ، ولما فشلت في مسعاها فأخذت تسعى لتزويجها من رجل آخر ، وأمي ترفض الزواج ؛ ولو من الوزير ، وبينت رغبتها بالعودة للدراسة رغم بلوغها السابعة والعشرين ، وتحدث المشاجرات بسبب هذه الرغبة ، وأسمع والدها

يشجعها على الزواج بدل المدرسة والكلام الفارغ ، وأن تعيدنا لأبينا بدل تحمل مسؤوليتنا ، وأمي ترد وتقول : لو رميتهم على سليم فلن أتزوج ، أريد أن أبقى مطلقة بدون زوج .. هو الزوج غنيمة !

سمعنا بعد سنة وأكثر أن أبي وجد من تقبل به زوجا ، وأن زوجته ترفض قبولنا للعيش معها فلنعيش عند أمه ، ونحن الأربعة لم نحب العودة للعيش معهم، نريد البقاء مع أمنا المتمسكة بنا ، وترفض الزواج من أجلنا ، ونتمنى أن يغمر البيت السكون .

كانت عايدة تهتم بتدريسي ورعايتي في المدرسة ، كانت صبية قد بلغت سن الرشد والبلوغ ؛ كما أسمع ، وأصبح عمرها في سن زواج أمي نهى شادير ،كانت حياتي رغم صغري عذاب مع أمي ، لا تهدأ ، ولا تكل ولا تمل من النزاع والشجار حتى مع جاراتها ، الحياة مع أمي كانت صعبة وقاسية وبذيئة بألفاظها القذرة ؛ مسببة للحرج والقبح للذكور والإناث ، ونتعرض للصفع والرفس بسبب وبدون سبب ، وكان همها الأول العودة للثانوية العامة والدراسة . لم تكن حياتنا أصلح وأحسن من بيت أبي ، لم تكن حياتنا سعيدة في البيت الجديد صياح ضرب هرب لبيت الجدة ، كثرت المشاجرات الحادة مع الجدة جارتنا ، جدتي راغبة بزواج أمي قبل فوات الأوان ، وأمي ترفض بشدة ، وهمها التقدم لامتحان الثانوية العامة .

ولما أنهيت الثاني الابتدائي طلقت خالتي فايزة ، كانت مثل أمي كثيرة المشاكل وإن بصورة أقل طلقها الأستاذ عيسى احمد ، وسبب تركها وطلاقها عجزها عن الخلفة والولادة ؛ كما علمت عندما كبرت ، وأما جدتي فادعت أن زوجها هو الضعيف والعاجز عن الإخصاب ، وأن ابنتها سليمة وصحتها سليمة ، وكان طلاقها متوقعا كطلاق أمي نهى ، رجعت للعيش مع والديها ؛ ليس معها ذرية لتعيش مثلنا في بيت مستأجر ، وهذا أزعج كنائن جدتي ، وأنا الصغير كنت أفكر لماذا يتزوج الناس ويتطلقون بعد حين بعد سنوات؟! عقلي الغريزي لم يستوعب القضية ، أمي طلقت بسبب زواجها أبي رغما عنها ، وأنها تزوجت صغيرة على الزواج ، لما كبرت ونضجت فوجدت في الحياة أن هذا ليس سببا لحصول الطلاق ، فالكثير من الأمهات تزوجن في سن صغير ، حتى قانون الأحوال الشخصية يجيز زواج ابنة الأربع عشرة سنة ، ثم رفع إلى ست عشرة سنة لقلة زواج البنات في ذلك السن ، وإتاحة فرص الدراسة للبنات ، فتصل البنت إلى ثماني عشرة سنة لإنهاء الثانوية، أقصد عندما يجيز القانون زواجهن بهذا العمر فهن أهل للمعاشرة والولادة

فأبي بعد طلاق أمي فتح مطعما خاصا به في المدينة ، انفصل عن شريكه غيث ، وكان يستقبلنا في الشهر مرة .

****

لما أنهيت السنة الابتدائية الثالثة علمت أن أختي الكبيرة كبرت وتركت المدرسة لتتزوج فهي في عمر يصح به زواجها، وجدتي تلح على زواجها ، وهي نفسها ترغب بذلك لتتخلص من شرور أمها ، وكانت تصاحب أبناء الشوارع الذكور ، ولا تهتم لزجر وعادات حسنة ، فلما كثر الكلام على عايدة أخذت جدتي تبحث لها عن عريس ، فأمي غير مبالية بأخلاقنا ، فأولاد أخوالي وخالاتي وجدي مستاؤون من أفعال عايدة وعلاقاتها الغرامية مع شبان الأحياء الأخرى ، حتى أنها كانت تأخذني معها عند بعض مقابلاتها الغرامية ، وكنت استغرب اجتماعها بمثل هؤلاء الأغراب واسمع غزلهم لها وتقبيلهم لها في عتمة الليل ، وكلام الحب والغرام . وأبي لما سمع أن أحدهم تقدم إليها رحب بذلك سريعا ، فقد وصل إليه خبر مشيها مع المراهقين من أخوالي وأبنائهم ؛ لأنهم سعوا إليه ليأخذها من حضانة أمنا ويرفض أخذ بعضنا يطلب بأخذنا كلنا الأربعة ، وأمنا ترفض .

وخلال عطلة الصيف رحلت عايدة كزوجة ، كان زوجها شابا يعمل نجارا من حارة بعيدة عن حارة جدي ، وأمه صديقة لجدتي أم أمي ، واحتفلنا بزواجها كما يحتفل أهل الحي ، ويستطيع المرء السير إلى بيتها مشيا على القدم في أقل من ساعة نكون عندها ، أحسسنا ببعض الفراغ بعد رحليها ، ثم أصبحت ذكرى في حياتنا ونحن نصارع هذه الحياة بحلوها ومرها ، وبعد انتهاء قصة بكر أمي عادت الجدة تلح على أمي بالزواج ، أسمعها تقول : الأولاد سيكبرون ويتزوجون وتظلين وحيدة والسنوات تمضي ، وعليك بالزواج قبل فوات الأوان ، وأنك ما زلت شابة لم تبلغ الأربعين ،وستجدين من يقبلك كضرة مع نسائه .

ولكن أمي نهى ترفض فكرة الزواج نهائيا وبشدة ، وإنها كرهت الرجال والأزواج، وكانت قد حاولت النجاح في الثانوية العامة ، ولم تفلح في المرة الأولى ومرة ثانية وفشلت ، ثم استسلمت للفشل ، وأخذت تفكر بالعمل خارج البيت بحجة أن ما يدفعه أبي أصبح قليلا لا يكفي الإنفاق على البيت مع أن البيت نقص مصروف عايدة ؛ ولكن جدي وأخوالي رفضوا هذه الفعلة . وبعد شهور من رحيل شقيقتي أخذت أمي وجدتي تكرران من زيارتها خلال الأسبوع فعلمت أنها حامل وعلى وشك الولادة بمولودها الأول ، فتذهبان لمساعدتها بأعمال البيت ، وطهو الطعام لزوجها.

أنا كنت أقضي نصف نهاري في المدرسة ، والنصف الباقي في اللعب مع أطفال الشارع ، كنت أحب اللعب والشارع أكثر من البيت ، صراخ وزعيق الشارع أهون على نفسي من زعيق وصياح أمي ، ورغم ذهاب عايدة ظلت المشاكل والنزاعات والعويل في البيت ، تحول وانتقل أكثرها لأخي الكبير طلال ولأختي عالية، وشتم الأب مستمرا في جو البيت ، وحتى لأبيها وأمها ؛ كما يشرب أحدنا الماء ، وأم أبي لها حصة في السب والقذف بألفاظ بذيئة واتهامها بالعهر والفجور كلمات أخجل أنا الذكر من نعت أحد بها ؛ لأنهم دمروا حياتها وحرموها من إكمال مدرستها ، وكانت تلعن الساعة التي رأتها أم سليم مع أمها وأحبتها ودخلت قلبها ، ورغبت فيها حليلة لابنها ..أبي.

كنا نذهب لمطعم الوالد في وسط المدينة ؛ حيث أصبح مالكا لمطعم ، كما حدثت سابقا ، وقد انفصل عن شريكه ، وكان يكرمنا بوجبة وببعض المال ، وكنت أحس بأنه غير مسرور من زيارتنا الشهرية ، منذ طلقنا لم يدعنا لبيت جدي أو التعرف على زوجه الأولى والثانية ، وكان يهملنا ويطلب من عمال المطعم عدم الاهتمام بنا كثيرا حتى نمل وننصرف بسرعة ، فيعطينا بعض قطع النقود لنعجل بالعودة لأمنا .

كنا نعلم وندرك أنه تزوج بعد ترك أمنا ، وطلقها بسبب عجزها عن الحمل العاجل ، ثم تزوج الثالثة ، وما زالت على ذمته ؛ كما نسمع من الجدة ، وهي امرأة مطلقة مثل أمي ، ولها أولاد من طليقها الأول أو الثاني، وعلمنا أنها لم تلد من أبي حتى ذلك الوقت ، وسمعت جدتي تقول لأمي بأنه غير قادر على الإنجاب بعد طلاقها ، فقد قامت الجدة بعمل سحر لأبي وشعوذة أدت مفعولها فيه .

أنهى طلال الثانوية بنجاح كبير رغم بيئة بيتنا السيئة والظروف الصعبة ، ورغب بدراسة الطب ورفض أبي تقديم أي دعم ومساعدة بأعذار شتى ، لا صحة لها ، وطالبه بالعمل بدل تضييع سبع سنوات في الطب ، وتعلم غز إبر ، وحمل سماعة طبية على رقبته ، وأنه غير ملزم بتعليمه، فغضب طلال منه وهجره ، ولم يعد يصحبنا للمطعم وزيارة سليم أبي ، واستعان بمساعدة بعض الخيرين بجمعيات خيرية تقدم مساعدات للدراسة ، وقبلته الجمعية ، فصرت أذهب وحدي لزيارة أبي ، وأنقل له أهم أخبارنا ، وأحيانا ترافقني عالية للخروج من جو البيت ، ولعن أمي وصياحها الذي تعودنا عليه ، وكانت ترفض أي شيء يقدم لها من أكل وحلوى ومال . تفاجأنا لما استقر شقيقي في كلية الطب بطلاق عايدة ، ورغم التوقيت المفاجئ كان هذا متوقعا من كثرة المنازعات ، كانت نسخة عن أمي ، وصمد الزواج

خمس سنوات ، نتج عنه طفلان ، ورغم الوساطات أصر الزوج النجار على الطلاق وأختي نفسها ترفض الرجعة ، وأنهت العدة الشرعية في بيت أمي ، وكانت أمي طلبت منها إعادة الطفلين لأبيهما ؛ لرفضه الإنفاق عليهما إلا بما قررته المحكمة وهو مبلغ بسيط ، لا يفتح بيت ، ولا حتى إيجار بيت ، وتنازلت عن حضانتهما لحماتها ، وخيم على البيت الألم والحزن على الخيبة والفشل ، ورحل طلال إلى سكن طلبة خارج أسوار الجامعة.

كنت أسمع وأصمت ، لم يشتد عودي للتدخل في مشاكل الكبار ؛ كما تقول لي أمي ، ثم أصبحت غير مبال بأمر الأسرة ، بعد شهور ستة من الطلاق تقدم رجل لشقيقتي المطلقة وقبلت به أمي سريعا ؛ كأنها تريد التخلص من عايدة ، هكذا بدا الأمر ، وعلمت أن هذا الرجل هو سبب طلاقها من زوجها ، وهو الذي شجعها على الطلاق ليتزوجها بزعم الحب والهوى ، وانخدعت به ، وكانت تلتقي به خفية وعرف زوجها بخيانتها وحبها ، فكان الطلاق. ورفضت عالية أي زواج قبل الجامعة ، ووافقتها أمي على ذلك ، ولم تقبلا بأي عريس من قبل أم أمي ، ولا من قبل وطرف أبي ، وأخذت الثانوية العامة بنجاح وقبلت في الجامعة ، ووافقت الجمعية على مساعدتها ؛ كما تساعد طلالا

اقترب امتحان الثانوية لي ، لحقت بهم ، طلقت عايدة من حبيبها رايق ، وقد ولدت له طفلا واحدا ، وسعى أهل الخير بينهما ، فرفض عودتها بحجة أنه بدأ بمشروع زواج جديد ، وأنها غير أمينة على شرفه وسمعته ، وهو الذي أفسدها على زوجها النجار .

أنهيت الثانوية بنجاح ، وكانت عايدة تزف لزوج ثالث ، رجلا يكبرها بعشرين سنة ؛ لكنه فتن بجمالها وملاحتها كما زعم لنا ، هي كانت تفرح بالزوج ، وكنت أفرح بكلية الحقوق ، وبدعم من الجمعيات وقرض تعليمي من الحكومة .

*****

تيسر لأخي الكبير الدراسة في كلية الطب ، كما حلم ورغب وعلى حساب جمعية الخير على أن يسدد نصف القيمة والمصاريف عند الوظيفة ، الطب يستغرق سبع سنوات تعليم ، وذكرت أن أخي ترك البيت عندما طلقت عايدة ، وعادت لبيت أمي ، وسكن مع زملاء في سكن خارج الجامعة ، وكان قليل الزيارة لنا ربما في الشهر مرة ، ويطلب بعض المال لينفقه على نفسه من جدي أو أخوالي، ومرات توجهه أمي لأبي ، فيضطر أمام ضغط الحاجة أن يذهب فيتحصل على القليل ، والكثير يتحصل عليه خاصة في سنواته الأواخر.

أبي كان يدفع أحيانا رغم رفضه لتكاليف الدراسة

؛ لأنه لم ينجب من نسائه بعد أمي ، وتزعم جدتي بأنها عملت له سحرا وحجابا قضى عليه ، وثانيا أصبح يقال له أبو الدكتور طلال ، فينتشي أمام رواد المطعم وأهله ، وكان طلال يستغل ذلك الإحساس فيغامر بالذهاب إليه وقد قضى أكثر من سنة لا يقابل أباه ، ونحن نراه بين الحين والآخر.

أمام إصراره تقدم في السنوات ، وكان لا يحب الشكوى ؛ فكان والد أمي يعطيه بين الفينة والأخرى خفية عن أبنائه ، ويمدح شجاعته وعزيمته .

أنهت عالية دراسة بكالوريوس اللغة الإنجليزية قبل إنهاء سنوات الطب السبعة، فشهادة الآداب أربع سنوات فحسب ، وفي آخر سنة تعرفت على شاب ؛ كما زعمت ، وجاء لأمي خاطبا فقط ، والزواج بعد التخرج والعمل ، وفعلا حدث ذلك تزوجا بعد التحرج ببضعة شهور ، وعملت عالية في قطاع التعليم ، وهو مثلها ، هما يزعمان أنهما تزوجا عن حب وتعارف ثم تبين أن هذا غير صحيح فبعد أقل من شهرين حردت عن بيت الزوج من مشاجرة صغيرة بينها وبين حماتها اضطر الشاب أن يصف مع أمه ، وحدث الصلح بعد أسبوع وعادت لبيت الحبيب بحلم أن يعيشا وحدهما خارج بيت الأسرة الكبيرة ؛ ولكنّ إيهابا عاجز عن تنفيذ هذا الاقتراح بحكم أنه أكبر أفراد أبيه ، وأنه تعلم على نفقتهم ومالهم فهو لا يستطيع اتخاذ القرار وحده ، فبعد أن يتعلم أحد إخوته ويتزوج ، فيفرغ له الشقة ويستأجر بيتا ... متى هذا ؟ الله اعلم .

المحاماة أربع سنوات مثل الآداب ، طلال تخرج قبلي بعام ، عرض أبي عليّ الزواج من ابنة أخيه بعد تخرجي ، فرفضت ، ولا أرى الزواج مهما في حياتي أنا ، فاستعرضت طلاق أمي ، وطلاقه من زوجته الثانية ، وذكرت عايدة خلال سنوات تزوجت ثلاث مرات ، زواج نهايته طلاق لماذا ؟! خالتي طلقت ، عالية كادت تطلق ، أصبح زواجها على مهب الريح ، واذا فكرت بالزواج يوما ما سأتزوج أجنبية إنجليزية أو فرنسية.

فيضحك الوالد ويقول : ومن أين ستأتي بهذه الإنجليزية وأنت في هذا البلد الأسود العقيم ؟

فأقول : سأسافر إلى هناك إلى بريطانيا لدراسة الماجستير أو الدكتوراه ، سأعمل وأجمع بعض المال ، وأسد بعضه للجمعية التي صرفت عليّ مصاريف الجامعة ، وها أنا بدأت بالمراسلة لجامعاتهم.

فيضحك أبي ويقول : سنصاهر الإنجليز آخر الزمن ! ويصير لي كنة إنجليزية.. كيف سأتحدث معها؟!

قلت مازحا : تتعلم الإنجليزي.

قال معترضا : هي تتعلم العربية.

فصرت كلما ألقاه يهمس : تزوج بنت أخي، بنت عمك ، أخي بحبك .

قلت بقسوة : أين كان حبه لما طلقت أمي؟ أين كان حبه لما دخلت الكلية ؟ تخليتم عنا أنت وعليتك ، تسولنا من الجمعيات .

اشتغلت في مكتب محاماة متدربا حتى يسمح لي بمزاولة العمل ، تعليمات وزارة العدل.

ـــــ

عملت كمتدرب في مكتب أحد المحامين المهمين في البلد وذلك بشفاعة وواسطة خالي الدكتور رمضان شادير ، وكنت فعلا مقتنعا بفكرة الزواج من أوروبية لكثرة الطلاق في حياتي سواء من جهة أمي أو من جهة أبي ، أبي مطلق ، وطلق الثانية ومشاكل بينه وبين زوجته الثالثة معها ومع أولادها الذين شبوا كما نسمع ونخبر ، وطلاق أمي وخالتي ، الحق أن خالتي كانت مظلومة في طلاقها؛ لأنها لا تحبل عاقر ، وأمي كانت ترفض الزواج ثانية ، وحاولت الدراسة ولم تفلح ، ثم رأيت طلاق أختي الكبيرة كرتين ، ثم استقرت في بيت رجل يكبرها بعشرين سنة ، وأختي المتعلمة والمعلمة زواجها في مهب الريح ، ويرفض زوجها ترك بيت والديه ، وتزوجت خالتي العاقر رجلا لمجرد خدمته وإمتاعه جنسيا اذا كان عنده طاقة لذلك ، فزوجته عليلة، ولا يريد المزيد من الخلفة .

تخرج طلال وعمل في مستشفى خاص ، بقيت أنا مع أمي في البيت ، وأبي طبعا توقف من زمن من دفع مصاريف البيت ، فقد انتهت الحضانة . وطلال يشجعني على الزواج فأقول أنت الأولى أنت الكبير ، فأخبرني أنه قريب من الزواج ، فقد صادق طبيبة تكبره بسنتين منذ سنوات ؛ ربما يغامر ويتزوجها فاعترضت على كبر سنها.

فقال مبررا : عرفتها في الجامعة ، وهي طبيبة جميلة ومحترمة بمعنى الكلمة ، وتخرجت قبلي ، وجرى بيننا استلطاف وإعجاب ، وسأصبر سنة فإذا لم تتزوج سأتقدم لها وأغامر .

أخي يرى الزواج مغامرة ، وفعلا بعد تخرجه بعام ونصف تزوجا ، وقد ظلت الفتاة تنتظره ،

وتمهل أهلها ، حتى حصل بينهم المقدر الزواج ، وكان والدي سيد وديك الحفل ؛ كما أحب أن يظهر ، وكان يشيع أنه هو الذي تكفل بتدريسنا ونفقاتنا ، ونحن نعرف كذبه بهذا الاستعراض والكثير يصدق ويثني عليه ،ولما يتحدث أحدهم لنا بذلك ندهش ، ومضى العرس بسلام ، وطلال لم يكترث لما أشاع سليم للناس .

وقال بأدب : هو أبي ،والمقربون يعرفون من تكفل بتعليمنا .

فبعد زواج شقيقي قررت دراسة ماجستير في

القانون ، وانتسبت لأهم جامعة في البلد ، وعملت في شركة قانونية كبرى ، واشتريت سيارة صغيرة ، وخططت لدراسة الدكتوراه في بلاد الغرب تعرفت على فتاة تدرس مثلي في الجامعة ، وأعجبت بها ، حسناء بمعنى الكلمة وراودتني فكرة الزواج منها ، ونسيان بنات الغرب ، وتركت مراسلة الأجنبيات اللواتي يتركن عناوينهن في صفحات المجلات الأجنبية للتعارف والمراسلة ، علمت منها أنها خطبت فترة قصيرة من قريب لعائلتها ، ثم تركا بعضهما ، سعيت لمعرفة سبب الانفصال والبعد ، فزعمت أنها لم ترض تصرفاته ، ولم ترتاح لأمه.

سمحت لنفسي بالجلوس معها والحديث عن حياتنا الخاصة ، وعن أحلامنا ، ونتناول الطعام في المطاعم ، وبعض السهرات في المسارح ودور السينما وتبادل الهدايا .

ذات جلسة قالت: أخبرتني بأنك ما زلت أعزبا .

قلت : نعم.

قالت : ألم تفكر بالزواج؟

قلت : أفكر فيه مثل خلق الله ؛ إنما أخافه.

قالت : لماذا؟!

فتحدثت لها عن طلاق أمي وأبي وأختي وخالتي ، وقلت: لماذا الزواج ونهايته طلاق ؟!

قالت : هكذا الحياة.. رجل لم ينسجم مع امرأته فماذا يكون؟ الطلاق هو الحل.

قلت : الطلاق سيء يا سامية! يقسم العائلة إلى عائلات مشاجرات حرب إشاعات ظلم الأطفال .. كانت أمي أحسن حالا عند زوجها ، سمعتها طيبة .

قالت : أمك ليست هي المقياس، هي تزوجت في سن صغيرة لم تستوعب الزواج والحقوق والواجبات ، وتزوجت دون رضاها الكامل ، لتقبل وتتحمل مسؤولية خيارها .

قلت : ولماذا تتزوج بغير رضاها يا سامية ؟! كانت تصب سوء اختيارها علينا نحن .. تصب غضبها علينا ؛ كأننا نحن الذين زوجناها لأبي ، أبي كان مهملا لنا غير مهتم بتربيتنا ، وحتى الإنفاق علينا ، ولولا حكم المحكمة لما دفع لنا شيئا ، الحقيقة مرة حياة المطلقين .. صعبة وعذاب بصمت سواء للرجل أم المرأة.

قالت : لا يصح أن تجعل حياتك مقياس للمجتمع وللسعادة والشقاء ، فجداتك من الجهتين لم تتطلقا ، وأعمامك وأخوالك كذلك ، شرع الطلاق كما تعلم حلا لمشاكل زوجية يا طارق ؛ لذلك طلاق النصارى ممنوع خاصة طائفة الكاثوليك إلا بحدود ضيقة، لذلك يقال زواج كاثوليكي ، نتيجة لصعوبة الطلاق يقبل الزوجان الخيانة الزوجية بكل صمت .. فمشاكل الحياة لا

تنتهي .. مشاكل في البيت في العمل في كل مكان .. ونحن محامون أليس كذلك ؟ تعلمنا لمعالجة ومساعدة الناس في حل المنازعات والقضايا .. فحياة الناس اليوم خاصة المدن معقدة وكثيرة .. وأنا متخصصة في قضايا الأسرة والمرأة الشرعية .. فالنساء ضعيفات أمام الأزواج والقهر من الزوج ومن أهلها .. وفي الغالب تنتهي القضايا بالصلح

قلت : قضايا الأسرة كثيرة ، وبخبرتك ما هو أكثر سبب للطلاق؟

قالت بعد تفكير : الأسباب والدوافع كثيرة ، والأهل لهم دور كبير سواء من جهة الأب أو من جهة الزوجة، فعدم انسجام الزوجة بحماتها وحميها وذريتهم تكثر النزاعات والاتهامات ، وضعف استقلال الرجل عن الأسرة في حياته ومشاكله ؛ وربما عدم قيام الزواج على الكفاءة يسبب النزاعات ، وكذلك المستوى الاجتماعي بين الزوجين ، فالأهل لا يعرفون بعضهم إلا بعد زواج الشابين ، طباع عائلة الزوج تختلف عن طباع أسرة الزوجة ، والانصهار يحتاج لزمن لذلك تجد زواج أهل الريف أقل طلاقا من زواج أهل المدن ، وكل له طريقته في حل المشاكل ، ويتعجلون في الإنجاب سعيا في تثبيت الزواج من أي هزة ومحنة ، والإنجاب السريع قبل التكيف يذهب ضحيته المواليد ، الأهل يرون الإنجاب سدا لنجاح الزواج والزوج أو الزوجة يريان الخشية من الضعف الجنسي في تأخير الحمل ، وتكثر الإشاعات والأقاويل اذا تأخرت في الحمل ، وعند الطلاق لا يقف الأطفال مانعا وعائقا للانفصال ، ولا الأخلاق تمنع ذلك .

قلت : الطلاق فعلا مشكلة يا سامية ! مشكلة اجتماعية تعم الأرض .

قالت : لذلك في الغرب يسمحون للعلاقات خارج بيت الزوجية خارج قانون الأسرة ، وهذا لا ينفع عندنا لارتباط اجتماعي كبير بين العائلات ، البالغ عندهم لا يكلف والده بالتدخل بحياته والإنفاق عليه ، ويكون بينهم الشباب والشابات علاقات شبه زوجية دون عقد زواج موثق.

كانت دراستي الماجستير مسائية وليلية ؛ لعملي صباحا حتى العصر ، فالدراسة سنتان أربعة فصول على الأقل ، وإعداد رسالة قانونية في نهاية الدراسة ومناقشتها أمام لجنة من رجال القانون في الجامعة. كانت صداقتي لسامية خلال هذه السنوات ممتعة ، نقضي ساعات الفراغ سوية في المطعم الجامعي أو مطعم خارج أسوار الجامعة ، حسب الفراغ بين المحاضرات نجلس في ساحات وحدائق الكلية أو مكتبة القانون في الجامعة لإعداد أبحاثنا الجامعية ، وتقليب صفحات المراجع الكبيرة . كانت حياتي أمامها ، علمت قصة حياة

أبي وأمي والأسرة هي لم تكن لديها الشجاعة ؛ لتتحدث عن نفسها وأسرتها بالكثير من التفاصيل ، حدثتني عن أخ يكبرها بسنوات ، ويعمل مهندسا ، وبدا لي أن علاقتها به جيدة وممتازة رغم أنه متزوج ، ويسكن في فيلا بعيدة عن بيت الأسرة ، هو الوحيد الذي علمت منها بعض حياته وسيرته.

ذات يوم قالت: ألا تريد الزواج بعد الماجستير أم ما زالت عقدة الأجنبية في نفسك ؟

قلت : الحقيقة لم أتخلص من فكرة الزواج بأوروبية.

قالت بابتسامة : وهل لا يتطلقون أولئك ؟!

قلت : الطلاق في كل المجتمعات حسب معلوماتي حتى الكاثوليكية.

قالت : إذن جرب الزواج من عربية.

قلت : ما زال صراخ وصياح والديّ في أذناي ، طلاقهما حصل وأنا صغير ، نستيقظ من النوم على صياحه وشتمه وذلك قبل ذهابه للمطعم، معركة في الليل معركة في العطل .. معارك .. ولما حصل الطلاق ، لم أفهمه بعد يا سامية ! كنت على وشك دخول الصف الأول ، ولما رحلنا عن بيت أبي وأسرته ظلت أمي تصيح وتصرخ في وجوهنا ووجه أمها على الحامية والباردة كما يقال ، ولا نفهم لماذا الشجار مع الجميع ؛ كأننا نحن الذين طلقناها.

قالت : وكيف هي اليوم بعد أن خلت الدار ؟

قلت : تريد أن أتزوج وأسكن معها ، فأقول لتفضحيني بالشجار ، لو تزوجت سأهرب مثل طلال شقيقي الطبيب.. اليوم تذهب لجدتي أمها تتصايح معها، وما زالت تتهمها بتدمير شبابها وتركها المدرسة .. أبي رغبني بالزواج من ابنة أخيه ، وهي تلح عليّ بالزواج من ابنة أخيها أو أخواتها.

قالت : وهل بينت لها رغبتك بالزواج من إنجليزية كما تحلم؟

قلت : راسلت بعضهن ، فأنا أتقن الكتابة والقراءة بلغة الإنجليز حتى اذا ظهرت رواية مترجمة ولها دعاية وصورت فلما ، أطلبها بلغة الإنجليز ؛ ليس حبا بهم ؛ إنما لغتهم لغة عالمية يتواصل الناس بها في أنحاء مدن العالم الكبرى، لولا المال لأخذت الماجستير عندهم ؛ ربما الدكتوراه افعلها ؛ لعلي أفتح شركة واعمل في التدريس مثل هؤلاء المدرسين، أنت تعلمين قيمة شهادة بريطانيا فرنسا ، لها أهمية في البلاد المستعمرة عربية كانت أو إسلامية.. أنت لماذا تهتمين بزواجي أم مجرد حديث لتمضية الوقت ؟ هل مللت من جلساتي؟

قالت : أنا أستمتع بسماعك يا طارق ، والجلوس معك ومرافقتك للمسرح والسينما وأقدر احترامك لي !

قلت : ألا تتحرجين من ذلك يا سامية!

قالت : لا ، منذ دخلت الجامعة ملكت نفسي ملكا حقيقيا ، لا أحد يتدخل في حياتي الشخصية لا أب ولا أم ولا أخ ، المهم أن أحسن الخيار في الأصدقاء والصديقات ؛ كما يردد أبي وأمي .. هناك ثقة كبيرة بي.

قلت : أو لم تزل القدم بك نتيجة هذه الثقة!

قالت : قليلا ، رافقت فتاة وشابا في أول شركة عملت فيها ، لما سمحت النقابة لي بالعمل بعد حصة التدريب ، اشتغلت رسميا في تلك الشركة القانونية ، رأيت فسادا بينهم وأمورا سيئة فأسرعت بالابتعاد عنهما ، تبين لي أن بينهما أكثر من زمالة وصداقة ، بينهما علاقات جنسية ، وهذه لا تروق لي ، ولا يعني هذا أنني متدينة ، أنا لا أرحب بالعلاقات الجنسية قبل الزواج ، ثم اكتشفت أنهما يحملان أفكارا الحادية وشيوعية ، نعود نفكر الله موجود وغير موجود ، قضينا فصولا في الكلية والجامعة حول هذه القضية ، فتركت الشركة ونسيتهما ، سعوا لتجديد الصداقة معي ورفضتها ، ثم تعرفت على شاب ، وجرى بيننا استلطاف ومشروع زواج ، وعرضني على أمه وبعض أهله ، ودعاني لتناول الطعام معهم أكثر من مرة وبعد فترة رفضت الارتباط به ، لقد رأيت سيطرة أمه عليه في أكثر من زيارة.

قلت : ربما تظاهرت بذلك لتبعدك عنه .

قالت : لا أعتقد ، فشخصيته داخل الشركة قوية جدا ، أما أمام أمه فشخص باهت دون شخصية .

قلت : لكنه شجاع عندما زوّرك بيته ، وعرضك على أمه وأهله .

قالت : في الأول رحبت بي كزوجة لابنها في المستقبل ، ثم لاحظت من خلال الجلسات عدم راحتها للزواج من ابنها يا طارق ، لم تشجعه على الزواج ، صرنا نتحدث عن السياسة والاقتصاد ثم أحجمت عن الزواج منه ومن غيره.

قلت : لو فكرت بالزواج من عربية ؛ لكنت أنت يا سامية ! قد أفكر فيك .. خبرتك ، وخبرت عمق تفكيرك وتحليلك للمسائل والقضايا.

قالت : لكني أنثى ! أغضب وأفرح .

قلت : أعرف أنك أنثى ، وتحملين صفات النسوان .. اليوم الدكتور أنثى وذكر والهندسة والقانون .. الفروق تذوب في المدن .

قالت : ما أخبار جدك والد أمك ؟

قلت : جدي كما أخبرتك سابقا ، ما زال يرقد على سرير الشفاء والعافية ، لي خال طبيب ، وكان يقوم على مساعدتنا ماديا ومعنويا خلال الجامعة ، وعند طلاق أمي وهو بار جدا بأبيه ، فيقضي الكثير من الوقت معه في المستشفى ومع الأطباء ، وأشعر أن جدي مقبل على الموت ، والله تعالى أعلم

قالت : ألا تريد أن تعرفني على أمك المجاهدة؟!

قلت : مجاهدة ! أمي لم تجاهد ، زهقتنا عيشتنا قبل الطلاق وبعده.

قالت : إنها أمك ، ورفضت الزواج من أجلكم .

قلت : مرات أقول كيف تحملها أبي خمسة عشر عاما ؟! ونحن أطفال كنا نظنها مظلومة حقا ولما بدأت أفهم رأيت أن أبي هو المظلوم بتحمله مشاكلها وصراخها ، الرجل عندما يعود من العمل يحتاج للراحة ؛ وليس الشكوى من أمه من أبيه من أخته من جيرانه ، يحتاج للسكون والهدوء قبل سماع القصص ، ما هو استوى من مشاكل الشغل والشارع .

قالت : إنك تلتمس عذرا لأبيك ، وتلوم أمك ، هل تساعده ماديا ؟

قلت : لا ، يرفض أي مساعدة بحجة أنه لم يدعمنا أيام الجامعة لضعف إمكانيته المالية ، وهذا صحيح ، كان يملك مطعما ، وما زال يملكه بعد طلاق أمي كاملا فخوفه من أمه يبدو مثل صاحبك الذي تحدثت عنه ، أقول إنه كان بخيلا ؛ بل مثل الناس ينفق ؛ لكن بدون سخاء وكرم.

قالت : ألم تختلف معه بشأن زواجك؟

قلت : هذا موضوعه الدائم.

مات شادير جد طارق سليم بعد هذا اللقاء بأيام ، وذهبت سامية لصيوان العزاء ، وصحبتها شقيقتها شادية ، وعزتا والدة طارق وطارق ، وتعرفتا عليها وعلى أمها ، وشكرها طارق على هذه اللفتة والمواساة ، فلما التقيا في الجامعة وبعد منوعات من الحديث ، قال فضوليا : الفتاة التي صحبتيها أصغر منك !

قالت : نعم ، تدرس في الجامعة سنة رابعة بكالوريوس رياضيات .

قلت : إنها لطيفة ! مخطوبة .

قالت : لا ، ترفض الزواج قبل التخرج .

قلت : إنها جميلة ألا تقبلني زوجا !

ضحكت و قالت : غيرت رأيك عن الأوروبيات!

قلت : العين لها دور يا سامية!

قالت : أتحب أن أحدثها عنك؟ حب من أول نظرة ؛ لكنك ستنتظر سنة أو باقي السنة.

قلت : أنت واثقة من قبولها!

قالت : لا طبعا ، سأقول لها عنك ، وستتعرف عليها اذا وافقت.

قلت : هل ترين أني أصلح زوجا ؟

قالت : عجيب سؤالك ! من معرفتي بك ومعرفتي بأختي أرى أنك مقبول لدى الأسرة.

قلت : سأدعوكم للعشاء يوم الخميس القادم أنت وشقيقتك شادية، هل تقبل الدعوة ؟

قالت : سأعرضها عليها .. أنت في نظري شاب

جيد ومكافح.

قبلت شادية الدعوة والتقوا ليلة الخميس على مائدة العشاء ، وجرى تعارف موسع بينهم أكثر من ليلة العزاء ، وشكرته على الاهتمام بها ؛ كما نقلت سامية وقالت: عجيب أن تغير رأيك بالزواج من رؤيتي من أول مرة وفي العزاء!

قلت باسما : العزاء اليوم كأنه كرنفال احتفال يا آنسة!

قالت شادية : في صحة في كلامك ، لم يعد الحزن كما كنا نراه صغارا... يتبع ان شاء الله

حديث سمرة

عَنْ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ" :هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟" فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ" :إِنِّي أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي :انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةِ الْأُولَى .قَالَ :قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانَ؟ قَالَا لِي :انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا. فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبُ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المَرَّةِ الْأُولَى.

قَالَ :قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ :قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ :فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ، وَأَصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا .قُلْتُ :مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي :انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ، حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :أَحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ. كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا .قُلْتُ لَهُمَا :مَا هَذَا؟ قَالَا لِي :انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا. فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المِرْآةِ، أَوْ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْأًى، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا .قُلْتُ لَهُمَا :مَا هَذَا؟ قَالَا لِي :انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتِمَةٍ فِيهَا مِنْ

كُلِّ نُورِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ :مَا هَذَا؟ وَمَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَا لِي :انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ! قَالَا لِي :ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ .!وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ! قَالَا لَهُمْ :اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .قَالَا لِي :هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ، فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ. قَالَا لِي :مَنْزِلُكَ .قُلْتُ لَهُمَا :بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، فَذَرَانِي فَأَدْخُلُهُ .قَالَا :أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ .قُلْتُ لَهُمَا :فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَا لِي :أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ. أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ، وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا، وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ .وَفِي رِوَايَةَ الْبُرْقَانِي :وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ ."فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ :يَا رَسُولَ اللهِ! وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" :وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ"وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ."

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ البخارِيُّ، وَأَحْمَدُ..

كمل الجزء الثاني عشر


مشاهد تربوية
منشورات
المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
حق المسلم
حسن الخلق
إكرام الضيف
فليصل رحمه
حسن الاسلام
كل واشرب
مضغة
نفس كريمة
المعروف
الزهد
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوئيا والملك برباز
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٣

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

جمع واعداد

جمال شاهين

قصص

المصباح

المضيء

الجزء

الثالث عشر

قصص الأنبياء

إدريس عليه السلام

هو أحد الرسل الكرام الذين أخبر الله تعالى عنهم في كتابة العزيز، وذكره في بضعة مواطن من سور القرآن. قال تعالى: { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا(56)وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)٥٧} (مريم وهو ممن يجب الإيمان بهم تفصيلاً أي يجب اعتقاد نبوته ورسالته على سبيل القطع والجزم لأن القرآن قد ذكره باسمه وحدث عن شخصه فوصفه بالنبوة والصديقية. نسبه: هو إدريس بن يارد بن مهلائيل وينتهي نسبه إلى شيث بن آدم عليه السلام واسمه عند العبرانيين)خنوخ (وفي الترجمة العربية)أخنوخ (وهو من أجداد نوح عليه السلام. وهو أول بني آدم أعطي النبوة بعد)آدم (و)شيث (عليهما السلام، وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام ٣٠٨ سنوات لأن آدم عمر طويلاً زهاء ألف سنة. حياته: وقد اختلف العلماء في مولده ونشأته، فقال بعضهم: إن إدريس ولد ببابل، وقال آخرون إنه ولد بمصر والصحيح الأول، وقد أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم، ولما كبر آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة)آدم (و)شيث (فأطاعه نفر قليل، وخالفه جمع خفير، فنوى الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له، وأين نجد إذا رحلنا مثل)بابل (فقال إذا هاجرنا رزقنا الله غيره، فخرج وخرجوا حتى وصلوا إلى أرض مصر فرأوا النيل فوقف على النيل وسبح الله، وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الناس إلى الله وإلى مكارم الأخلاق. وكانت له مواعظ وآداب فقد دعا إلى دين الله، وإلى عبادة الخالق جل وعلا، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة، بالعمل الصالح في الدنيا وحض على الزهد في هذه الدنيا الفانية الزائلة، وأمرهم بالصلاة والصيام والزكاة وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة، وحرم المسكر من كل شي من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد. وهو أول من علم السياسة المدنية، ورسم لقومه قواعد تمدين المدن، فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها وأنشئت في زمانه مائة وثمانية وثمانين مدينة . وفاته: وقد أُخْتُلِفَ في موته. فورد أن الله أوحى إلي إدريس: أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم – لعلهم من أهل زمانه – فأحب أن يزداد عملاً، فأتاه خليل له من الملائكة، فقال له: إن الله أوحى إلي كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه ثم صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدراً، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ قال هو ذا على

ظهري، فقال ملك الموت: يا للعجب! بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟! فقبض روحه هناك. فذلك قول الله عز وجل }وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّا)

النبي اسحاق

ولد سيدنا إسحاق من سارة زوجة إبراهيم، وقد كانت البشارة بمولده من الملائكة لإبراهيم وسارة لما مروا بهم مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدمروها عليهم لكفرهم وفجورهم. جعله الله نبيا يهدي الناس إلى فعل الخيرات، جاء من نسله سيدنا يعقوب. لا يذكر القرآن الكريم غير ومضات سريعة عن قصة إسحاق.. كان ميلاده حدثا خارقا، بشرت به الملائكة وقد جاء ميلاده بعد سنوات من ولادة أخيه إسماعيل وورد في البشرى أن اسم ابنه يعقوب} ..فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ(٧١{ (هود ولقد قر قلب سارة بمولد إسحق ومولد ابنه يعقوب، عليهما الصلاة والسلام.. غير أننا لا نعرف كيف كانت حياة إسحق، ولا نعرف بماذا أجابه قومه.. كل ما نعرفه أن الله أثنى عليه كنبي من الصالحين

النبي يعقوب

{ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ويسمى إسرائيل وتعني عبد الله كان نبيا إلى قومه.. ذكر الله تعالى ثلاثة أجزاء من قصته.. بشارة ميلاده.. وقد بشرت الملائكة به إبراهيم جده.. وسارة جدته.. أيضا ذكر الله تعالى وصيته عند وفاته.. وسيذكره الله فيما بعد – بغير إشارة لاسمه– في قصة يوسف. نعرف مقدار تقواه من هذه الإشارة السريعة إلى وفاته.. نعلم أن الموت كارثة تدهم الإنسان، فلا يذكر غير همه ومصيبته.. غير أن يعقوب لا ينسى وهو يموت أن يدعو إلى ربه.. قال تعالى في سورة)البقرة} :(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (133)البقرة{ (إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في ساعة الموت ولحظات الاحتضار، مشهد عظيم الدلالة.. نحن أمام ميت يحتضر.. ما القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار..؟ ما الأفكار التي تعبر ذهنه الذي يتهيأ للانزلاق مع سكرات الموت..؟ ما الأمر الخطير الذي يريد أن يطمئن عليه قبل موته..؟ ما التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه وأحفاده..؟ ما الشيء الذي يريد أن يطمئن – قبل موته– على سلامة وصوله للناس.. كل الناس..؟ ستجد الجواب عن هذه الأسئلة كلها في سؤاله)مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي .(هذا ما يشغله ويؤرقه ويحرص عليه في سكرات الموت.. قضية الإيمان

بالله. هي القضية الأولى والوحيدة، وهي الميراث الحقيقي الذي لا ينخره السوس ولا يفسده.. وهي الذخر والملاذ. قال أبناء إسرائيل: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا، ونحن له مسلمون.. والنص قاطع في أنهم بعثوا على الإسلام.. إن خرجوا عنه، خرجوا من رحمة الله.. وإن ظلوا فيه، أدركتهم الرحمة. مات يعقوب وهو يسأل أبناءه عن الإسلام، ويطمئن على عقيدتهم.. وقبل موته، ابتلي بلاء شديدا في ابنه يوسف. سترد معنا مشاهد من قصة يعقوب عليه السلام عند ذكرنا لقصة ابنه النبي الكريم يوسف عليه السلام .

النبي الياس

الروايات المختلفة حول دعوته: جاء في تاريخ الطبري عن ابن اسحق ما ملخصه: إن الياس عليه السلام لما دعا بني إسرائيل الى نبذ عبادة الأصنام، والاستمساك بعبادة الله وحده رفضوه ولم يستجيبوا له، فدعا ربه فقال: اللهم إن بني إسرائيل قد أبو إلا الكفر بك والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك فأوحي الله إليه إنا جعلنا أمر أرزاقهم بيدك فأنت الذي تأمر في ذلك، فقال إلياس: اللهم فأمسك عليهم المطر فحبس عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت الماشية والشجر، وجهد الناس جهداً شديداً، وما دعا عليهم استخفي عن أعينهم وكان يأتيه رزقه حيث كان. فكان بنو إسرائيل كلما وجدوا ريح الخبز في دار قالوا هنا إلياس فيطلبونه، وينال أهل المنزل منهم شر وقد أوي ذات مرة إلى بيت امرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن خطوب به ضر فآوته واخفت أمره. فدعا ربه لابنها فعافاه من الضر الذي كان به واتبع إلياس وآمن به وصدقه ولزمة فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان إلياس قد أسن وكبر، وكان اليسع غلاماً شاباً ثم إن إلياس قال لبني إسرائيل إذا تركتم عبادة الأصنام دعوت الله أن يفرج عنكم فأخرجوا أصنامهم ومحدثاتهم فدعا الله لهم ففرج عنهم وأغاثهم، فحييت بلادهم ولكنهم لم يرجعوا عما كانوا عليه ولم يستقيموا فلما رأى إلياس منهم دعا ربه أن يقبضه إليه فقبضة ورفعه. ويذكر ابن كثير أن رسالته كانت لأهل بعلبك غربي دمشق وأنه كان لهم صنم يعبدونه يسمي)بعلا (وقد ذكره القرآن الكريم على لسان إلياس حين قال لقومه)أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥ (وَاللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ). ويذكر بعض المؤرخين أنه عقب انتهاء ملك سليمان بن داود عليه السلام وذلك في سنة ٩٣٣ قبل الميلاد انقسمت مملكة بن إسرائيل إلى قسمين، الأول ، يخضع لملك سلالة سليمان وأول ملوكهم رحبعام بن سليمان والثاني يخضع لأحد أسباط افرايم بن

يوسف الصديق واسم ملكهم جر بعام. وقد تشتت دولة بنى إسرائيل بعد سليمان عليه السلام بسبب اختلاف ملوكهم وعظمائهم على السلطة، وبسبب الكفر والضلال الذي انتشر بين صفوفهم وقد سمح أحد ملوكهم لزوجته بنشر عبادة قومها في بني إسرائيل، وكان قومها عباداً للأوثان فشاعت العبادة الوثنية، وعبدوا الصنم الذي ذكره القرآن الكريم واسمه)بعل (فأرسل إليهم إلياس عليه السلام الذي تحدثنا عن دعوته فلما توفي إلياس عليه السلام أوحي الله تعالى إلى أحد الأنبياء واسمه اليسع عليه السلام ليقوم في نبي إسرائيل، فيدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار. وأرجح الآراء أن إلياس هو النبي المسمى إيليا في التوراة.

قصص من السنة

غزوة نبي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُوْلَ اللهَّ ﷺ قَالَ :غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهَّ وَسَلَامهُ عَلَيْهِمْ، فَقَال لِقَوْمِهِ :لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيْدُ أن يَبْنِي بِهَا، وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا. وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوْتَاً وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوْفَهَا، وَلَا أَحدٌ اشْتَرَى غَنَمَاً أَو خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا. فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ العَصْرِ، أو قَرِيَباً مِنْ ذَلِك، فَقَال لِلشَّمْسِ :إِنَّكِ مَأمُوْرَةٌ وَأَنَا مَأمُوْرٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ -يَعْنِي النَّارُ- لِتَأكُلَهَا فَلَمْ تَطْعمْهَا، فَقَالَ :إِنَّ فِيْكُمْ غُلُوْلَاً، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيْلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَال :فِيْكُمُ الغُلُوْلُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيْلَتُكَ، فَلَزَقَتْ يَدُ رَجُلٍ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيدِهِ، فَقَالَ :فِيْكُمُ الغُلُوْلُ. فَجَاءُوا بِرَأسٍ مِثْلِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا، فَجَاءتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، فَلَمْ تِحلِّ الغَنَائِمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الغَنَائِمَ لَمَّا رأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنا، فَأَحَلَّهَا لَنَا."

هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

موسى وملك الموت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : جَاْءَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَال لَهُ :أَجِبْ رَبَّكَ .قَالَ :فَلَطَمَ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَيْنَ مَلَكِ المَوْتِ، فَفَقَأَهَا .قَالَ :فَرَجَعَ المَلَكُ إِلَى اللهَّ تَعَالَى، فَقَالَ :إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيْدُ المَوْتَ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي .قَالَ :فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ :ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ :الحَيَاةَ تُرِيْدُ؟. فَإِنْ كُنْتَ تُرِيْدُ الحَيَاةَ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ، فَإِنَّكَ تَعِيْشُ بِهَا سَنَةً .قَالَ :ثُمَّ مَهْ؟ !قَالَ :ثُمَّ تموتُ!! قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيْبٍ. رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحجَرٍ." قَال رَسُوْلُ اللهَّ :ﷺوَاللهَّ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ، لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيْقِ عِنْدَ الكُثَيْبِ الأَحْمَرِ." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

موسى متهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَ ﷺ :كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمَ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا :وَاللهَّ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ!، قَالَ :فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ، قَالَ :فَجَمَعَ مُوسَى بِأَثْرِهِ، يَقُولُ :ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى، فَقَالُوا :وَاللهَّ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ .قَالَ :فَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا."

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :وَاللهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ، ضَرْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمَ بِالْحَجَرِ" ... ونزلت:

}يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهَّ وَجِيهًا]{الأحزاب: ٦٩.] هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مسح ظهر آدم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضْيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَ ﷺ :لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ :أَيْ رَبِّ! مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ :هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى مِنْهُمْ رَجُلًا فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ :أَيْ رَبِّ! مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ :هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ: دَاوُدُ .فَقَالَ :رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ ! قَالَ :سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ :أَيْ رَبِّ! زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ، جَاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فَقَالَ :أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ !! قَالَ :أَوَلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ !قَالَ :فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنُسِّيَ آدَمُ فَنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ" هَذَا حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ سَعْدٍ في"الطَّبَقَاتِ"، وَالحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

قصص وحكايات الفوارس

نمير وزعيط في جزائر البحر

الحلقة ٣ والأخيرة

قرية الصيادين

وأمر الساحر رجاله أن يوثقوه ويسوقوه إلى قرية الصيادين ، وعند صيادي البحر يحبسونه حتى تنجلي معركة الثأر ، فقام الرجال بتقييده ، ولما دخل الليل حملوه إلى البحر ، ومن هناك ساروا به إلى قرية الصيادين ، وهي قرية مليئة بأكواخ الصيادين وهي قرية كبيرة .. وهي قرية يسكنها الصيادون فنسبت إليهم ، ومع آخر الليل كان زعيط ينقل لأحد الأكواخ الخاصة برجال صيد الساحر ، فقذف في حجرة تحت الأرض ،

وأوصوهم بالمحافظة عليه ، وأنه رجل خطير ، وخطره على الجميع ، وعليهم رعايته حتى تأتيهم أوامر أخرى من الساحر ، ورجعوا للبحر ، ومن رآهم ظنهم من الصيادين حضروا بصيد أو أنهم جماعة خارجون للصيد في البحر

وجد زعيط نفسه على أرض رطبة عفنة فابتسم وقال : لابد من قسوة العيش .. ولابد من الصبر وأدرك أن حياته في خطر ، وعليه أن يفكر بطريقة يهرب بها من هذا المكان بدون إمهال ، وقبل أن تبزغ الشمس بخيوطها الذهبية كان زعيط يحل قيوده ، ويتسلل من سجنه هاربا ، وظل يمشى حتى وصل إلى بيت له أشجار كثيرة ، فتسور جداره ، وقفز إلى داخله بخفة الغزال ، فأصبح بين الأشجار ، ولما وصل للبيت هدأت أنفاسه قليلا ، وأخذ يصغي ويتلفت يمينا وشمالا ، فلم يسمع الا أصوات الطيور والبلابل تغرد في ذلك الصباح ، وعجب في نفسه لوجود هذا المنزل الجميل في قرية الصيادين الممتلئة بالأكواخ ، وبعد لحظات شاهد امرأة ورجلا يجلسان في مدخل البيت ، فصنع حركة أشعرت صاحب البيت بوجوده ، فدهش الرجل ودخلت المرأة البيت ، فتقدم إليه زعيط وهو يطلب المغفرة ويعتذر أشد الاعتذار ، وذكر للرجل حاجته للاختفاء من مطارديه ، وقص على الرجل بعضا من قصته ، فعطف عليه الرجل ، وقاده إلى منزل أخفاه فيه وقال له : سوف أعود لك واستمع قصتك بالتفصيل ، فأمرك خطير وقصتك تثير الاستغراب ؛ ولكن ثق بي واطمئن لي ، ولا تحاول الهرب سوف أخفيك وأدافع عنك .

وعاد الرجل حيث كان يجلس هو والمرأة وطمأن زوجته وقال لها : رجل هارب من أناس يطاردونه ، فقد كان مسجونا عندهم ، وحل قيوده وهرب ، ولا تذكري شيئا لأحد من الناس حتى نتدبر الأمر ونسمع حكايته .



عند الظهيرة حضر رجال وسألوا صاحب البيت عن رجل دخل منزله ، فأنكر الرجل وقال : للأسف أيها الصيادون لم نشاهد ما وصفتم ..ولكن أسمح لكم بالتفتيش في البساتين وبين الأشجار ؛ فلعله دخل عن طريق الأسوار والشجر ، ولكن ما قصة هذا الرجل الهارب ؟!

فرد أحدهم : هو خادم لنا عاقبناه فحبسناه فغافلنا وهرب .. وهذا المنزل يقع في طريقه ، وقد سألنا عنه في كل الأكواخ المبعثرة في الطريق .. فلم يره أحد فقلنا لعله تطفل عليكم .

فهز صاحب البيت كتفيه وعاد للجلوس وقال : على كل حال ابحثوا في البستان وأطرافه قد يكون لجأ إلى هنا .. أما أنا فلم أره .. تفضلوا .. ولا أعتقد أن رجلا هاربا يدخل منزلا كهذا..لأنه يعرف أنكم ستقصدون هذا البيت للسؤال والبحث عنه

انتشر بعض الرجال في أطراف البساتين وعادوا بعد حين وهم يقولون : لا أحد هنا ، لعله قفز إلى البحر .

فرد آخر : لقد رآه أحد الناس يسير في هذا الدرب المؤدي لهذا المنزل .. فتابعوا البحث في الأكواخ الممتدة من هنا .. فهو رجل خطير ..

فسمع صاحب المنزل هذه الكلمة فقال : رجل خطير ! ولكنكم قلتم إنه خادم لكم .. وهل هذا الخادم بهذه الخطورة ؟!

هزوا رؤوسهم وخرجوا يتابعون بحثهم عن زعيط الذي لا يعرفونه جيدا ، هم رأوا رجالا دخلوا به إلى حجرة معتمة في ظلام معتم وطرحوه فيها ، وأمروهم بالمحافظة عليه والإحسان إليه إلى حين وانصرفوا ، وهم تابعوا نومهم ، ولما استيقظوا في الضحى بعد سهر طويل كما هي عادة أولئك الصيادين تذكروا السجين، فأخذ أحدهم له بعض الطعام ، فوجد القيود ولم يجد السجين ، فاضطربت أمورهم وأصابتهم الصاعقة ، فأخذوا يبحثون هنا وهناك عن غريب لا يعرفون صفته الصحيحة ، وعندما أتى الليل أخذ صاحب البيت الذي لجأ إليه زعيط الهارب طعاما وماء وذهب بهما إليه ، ولما انتهى زعيط من طعامه وشرابه ، وعادت إليه حيويته سمع الرجل يسأله: والآن تكلم أيها الرجل الغريب؟ وكن مطمئنا لي ولا تخش أحدا .

فقال زعيط ممتنا : بعدما أكلت طعامك ، وشربت ماءك ، وأخفيتني لا حاجة بي إلى دليل لأثق بك .. سأقول لك من أنا .. فاعلم أيها الشجاع أنا الساحر هارون نائب الساحر شردوق ساحر جزائر البحر.. لابد أنك تعرفه أو تسمع به ؟

فقال الرجل : كيف لا ؟! ولي في هذه الجزائر أكثر من ثلاثين سنة وكيف لا أعرف شردوق وهو أهم رجل في هذه الجزيرة ؟! .. ولكن ما الذي قذف بك إلى قرية الصيادين ؟! .. فأنت رجل تعيش عند الملوك والأمراء وكبار السحرة وبين المعابد والقصور !!

فقال هارون : معك حق ؛ ولكن لهذا حكاية سأذكرها لك لعلها تنفعك وتفيدك فاعلم أيها الرجل أنني أنا فعلا نائب شردوق الساحر ، وقد أصبح وريثه يوما ما ، وأني سأذكر لك سرا صغيرا جدا احذر أن يعرفه أحد غيرك ، فأنا رجل من رجال السحرة ، وأنا صغير بالسن بالنسبة لكبار السحرة ، ومن يصلون لهذه الرتبة والمكان الرفيع يستطيع الدخول على الملوك والأمراء والقصور

كما تعلم .. فشاهدتني إحدى الأميرات بل قل بنت الملك نمرال ، فوقعت منها موقعا مقبولا ورغبت بي بعلا ، وأنت تعلم أن رجال السحرة والكهنة لا يتزوجون وإلا عوقبوا بالسجن أو القتل ، وهذا الإعجاب لم أعلم به إلا من فترة وجيزة عندما دعيت لقصر الملكة المحتضرة لأقرأ عليها أوراد المعبد مع مجموعة من الكهنة ، وهو عملنا المعتاد ؛ ولكنها طلبت الخلوة وكشفت لي رغبة ابنتها ، فرفضت وبينت لها الخطر المحدق بنا بسبب هذا العمل فطمأنتني بقوة نمرال وجبروته ، فقلت لها إنهم يهلكوننا بعد موته ، وذكرت لها من العلل والأسباب حتى صرفت نظرا عني ، وحاول الملك معي مرة أخرى ، فبين له الكاهن الكبير شردوق شر هذا الأمر المحدث في تقاليد السحرة والمعابد ، فنذرت الصوم والخلوة حتى لا تتصل بي الملكة وتحاول إغرائي ، وطلب مني شردوق بالاعتكاف في جزيرة السحرة لإبعادي عن خطر الملكة حتى ترحل روحها للعالم الأبدي الآخر ، وفي جزيرة السحرة التقيت ببعض السحرة الذين يتآمرون على شردوق الأكبر ، وحاولوا استمالتي إليهم ، وجمعوني بساحر رهيب له ذكريات قديمة في الجزيرة ، وهو ساحر حاقد وناقم على الملك نمرال وأعوانه وكبير السحرة شردوق ، ويحاول إعادة أمجاده الميتة .. وبما إنك ابن هذه الجزائر من ثلاثين سنة لابد أنك تعرفه وتسمع عنه ، فهو ساحر البحر الكبير ذو السطوة والجبروت في عهد الملك جنفل أسير الملك نمرال

جفل الرجل لسماع هذه الأقوال ، ثم اغمض عينه كأنه يتذكر ، ثم قال : ساحر البحر الكبير ساحر جبل السحرة ما زال حيا ! .. هذا شيء عجيب ! .

فعاد زعيط يقول : نعم ، هو حي منذ حادثة جبل السحرة ، فقد نجا بواسطة الدهاليز الخفية في الجبل .. اجتمعت بهذا الكاهن الحاقد وعرض عليّ العمل معه مقابل خلافته وتاجه ..

فأخذ الرجل يردد : تاجه .. تاجه ..!!

فقال زعيط : نعم تاجه ! .. فوعدته بالتزام الحياد ، فلم يعجبه الأمر فأراد قتلي ؛ ولكن لكلام هددته به ، أمر رجاله بحبسي في قرية الصيادين عند أعوان له لإخفائي عن الأنظار حتى يروا ردة فعل اختفائي في هذه الجزائر ، وعلى أثرها يفكرون بنهايتي .. فهذه قصتي وسبب وصولي إلى هنا أيها الرجل الشجاع ! .. فاعلم أنك الآن في خطر عظيم لمعرفتك هذه الأسرار ! وكذلك لإخفائك لي ، وأنا لن أنسى معروفك ما حييت ، وإذا عدت لمكان عملي في جزيرة المورا سأجزيك خير الجزاء .

بعد أن عرف الرجل صاحب البيت هذه الحقائق المذهلة عاد للبيت مودعا هارون قائلا : بعد ما تسكن الأمور أيها الساحر الكبير سأفعل ما

يؤمنك من هؤلاء الوحوش الكواسر .
فقال هارون : أشكرك أيها السيد المجهول على أفعالك الطيبة، واعلم أنني أتمنى أن أرد لك الجميل .. وإني لحظت في تمتماتك وبريق عينيك حكاية فيا حبذا لو سمعتها على نور هذا المصباح لعلي أساعدك وأخدمك في يوم من الأيام .. مع السلامة أيها الرجل الشجاع .

لاحظ صاحب المنزل توتر الوضع في قرية الصيادين ، وظهور رجال من الجزر ، وتردد تلاميذ السحرة إلى القرية ، فعرف وأدرك أنهم يبحثون عن صاحبه هارون ، وبعد فترة هدأت الأوضاع والحركة ، وخف رجال ساحر البحر القديم ، وقد اقتنعوا بهربه من قرية الصيادين أو اقنعوا أنفسهم بذلك ، ولما اطمأن هذا الرجل على الأمر ، طلب من صاحبه الهارب أن يعمل معه في الصيد ، فهو صاحب عدد كبير من قوارب الصيد ، وأحضر له ملابس صياد ، وغير من شكله وشاربه ، وبعد أيام أعلن هذا الرجل أمام الذين يعملون معه عن رغبته برحلة صيد طويلة ، فجهز مركبا كبيرا له ولزوجته وللذين سيذهبون معه ، وانتشر الخبر في القرية بأن الصياد الكبير عبلوم اشتاق للصيد ونزول البحر ، فهو له زمن لم يركب البحر .. ولما تجهز المركب كان مع عتمة الفجر يركب عبلوم وزوجته وزعيط وعدد من البحارة المركب ، وانطلق القوم إلى الصيد ومن جزيرة إلى جزيرة حتى وصل المركب لجزيرة المورا ، وفي المكان الذي يصطاد فيه أهل الجزيرة رسا المركب ، ونزل عبلوم وزوجته والصياد المتنكر للتفرج على الجزيرة ، وطلب عبلوم من الرجال الصيد حتى يعود من زيارة بعض الأصدقاء ، ومن ثم مشوا إلى المعبد الكبير، ولما دخلوا المعبد طلب هارون مقابلة رئيس المعبد ، ولما عرفه الرئيس قبل قدميه وعانقه وفرح لعودته ، فقص عليه بعض الخبر ، وطلب منه أن لا يخبر أحدا لخطورة الأمر ، وعليه إعلام الساحر الكبير شردوق ، وحضر الأخير على الفور واستمع لحكاية زعيط ، فغضب غضبا شديدا ،واطلع الملك على جلية الأمر ، وما تعرض له الساحر هارون من الخطف ، فقامت قيامة جزيرة المورا وقامت حملة بقيادة أحد القادة إلى الجزيرة الكبرى ، واحتلوا جبل السحرة وقبضوا على الساحر الكبير ومن وجدوه هناك ، وقامت حملة أخرى بالذهاب إلى جزيرة السحرة ، وانتشر خبر الحملات في الجزائر الأخرى انتشار النار في الهشيم ..

ولما وصل ساحر الجزيرة القديم ساحر البحر إلى جزيرة المورا خرج الناس لرؤيته، فكان يوما مشهودا في تلك الجزيرة ، وبعد أيام عقد كبار السحرة جلسة واصدروا حكمهم الصارم على

إعدام ساحر البحر ، فنصبت له مشنقة كبرى في أكبر ميادين الجزيرة ميدان الفرسان ، وتلا عليه هارون الحكم الصارم بموته أمام الناس ، وأتي بالملك الأسير الهزيل جنفل وبعض قادته وشاهدوا مقتل ساحر البحر الذي كان اسمه يهز قلوب ملوك الجزائر كلها في السنوات الخوالي وعلموا أن ديكه الساحر قد مات منذ سنوات من السم الذي وضع له من أحد أبناء البر ، ولما قتل انصرف الناس عنه ، وبقيت جثته معلقة لبضعة أيام كما أمر الملك نمرال والساحر شردوق فاقترب من جثته الرجل الذي ساعد هارون بالاختفاء بعد انصراف الناس عنه وهمس : وداعا أيها الشيخ الماكر !! ..كم قبلت قدميك ولثمت يديك ؟!..كنت أحد تلاميذك.. كنت تعدني بتاجك.. ولا أدري كم شخص وعدته به ؟! .. كنت الزعيم المطلق لهذه الجزائر .. ولك أكثر من خمس عشرة سنة تعيش خائفا قلقا طريدا .. وقد سقط ديكك وصاحبك سحنون .. وها أنت رأيت جنـفل الملك الميت .. إن عاقبة الظلم سوداء .. وداعا يا سيدي !! .. والآن يا نمير ألا تريد أن تعود لبلادك ؟ .. أما زلت تذكر بلادك يا نمير تركتها من أجل التاج الكبير .. وجئت إلى هذه الجزائر فغرقت في بحرها وهمومها .. أين أنت يا سبع الغاب ؟ أين أنت يا جرادي ؟ هل ما زلتما أحياء ؟ أليس لي ولد من الأميرة ظبا ؟ هل يا ترى هو حي يرزق ؟!

ولم يستيقظ نمير من غفلته إلا عندما ربت أحدهم على كتفه فجفل ؛ فإذا هو يرى هارون يقول : أين أنت ؟ وأنا أبحث عنك ، وأنت تقف هنا عند هذا المجرم .. هل تعرفه يا عبلوم ؟!

ضحك عبلوم ضحكة قصيرة ثم قال : لقد كنت خادما له في يوم من الأيام أيها الساحر .. لقد انتقمت لي ولنفسك منه .

فقال هارون وهو يفكر بعبارة عبلوم : انتقمت لك ! .. ألا تذكر أنني قلت لك يوما أن لك حكاية يا عبلوم ؟ رأيت ذلك في عينيك ونحن في قرية الصيادين ألا تحب أن اسمعها ؟

فقال عبلوم : أخشى إذا سمعتها أن تلحقني بصاحبي القديم ، ورفع رأسه إلى جثة الساحر المعلقة .

قال هارون : آ .. ألهذا الحد أيها الرجل الشجاع ؟ أنت تشوقني لسماع حكايتك وعلاقتك بهذا الساحر ، وكيف انتقمت لك مع أنك تعيش بعيدا عنه في قرية السمك والصيادين ؟!

فعاد الوجوم والحزن لعبلوم وقال : لهذا أيها الساحر قصة طويلة ، ولا أدري إن كان الوقت مناسبا لسردها ، وأخاف على نفسي منك ومن أسيادك .

فقال هارون : يا رجل لك عليّ معروف كبير .. أنت انقذت حياتي وعذابي من هؤلاء الطغاة الذين لم أسيء لهم قيد أنملة ، ورغم ذلك حكموا عليّ بالموت والذل .

قال عبلوم بحزنه وغموضه : أيها الساحر ! حكايتي لا تهمك كثيرا ، فأريد أن أعود لقريتي ، وفعلت ما استطعت أن أقدمه لشخصك الكبير ، فوداعا .

وأراد أن يمشي ، فقبض عليه هارون من ذراعه وقال : ألا تريد أن نكافئك ؟ فالملك منحك مالا كثيرا ويرغب برؤيتك وشكرك ..؟

فقال عبلوم وهو يرفع يد هارون عن ذراعه : لا أريد شيئا .. ولا أرغب برؤية الملك أيها الساحر فاعفني من ذلك .

فقال هارون : أمرك عجيب !!.. أحد يرغب الملك برؤيته وهو يزهد في هذا .. إن هذا شيء عجيب !.. الساحر الكبير شردوق يرغب بمنحك بركاته والثناء على شجاعتك .

فرفض عبلوم وقال : يا سيدي ! لا أريد ذلك دعني أعود لقريتي .. وأعيش بالهدوء الذي كنت أعيش فيه قبل أن نلتقي .

فقال هارون باستغراب : أمرك عجيب وغريب !! .. هل من شيء يمنعك عن مقابلة هؤلاء السادة والكبار ؟

فرد عبلوم : لا شيء ؛ ولكني عاهدت نفسي أن ابتعد عن السحرة والملوك .

فقال هارون : يا رجل شوقتني لمعرفة حكايتك .

فقال عبلوم : إن كنت فعلا ترغب بسماع حكايتي وقصتي ، فدعني أرحل وزرني في بيتي في قرية الصيادين وسأفتح لك قلبي يومذاك .

فتنهد هارون بعمق وقال : سأفعل إن كان هذا يرضيك .. وسألحق بك بعد أيام ، وسأرتب أمر رحيلك أيها الرجل الشجاع .

وجهز له مركبا خاصا ووضع فيه صناديق المال والهدايا والثياب ، وودعه بكوكبة من السحرة وأرسل معه حرسا أوصلته لجزيرة السمك والصيادين .

انتهت عاصفة مقتل ساحر البحر في الجزائر الثمانية ، وعادت الأيام هادئة رتيبة بالنسبة لزعيط أو الساحر هارون ، فانشغل من جديد يفكر بأبيه سحنون ، فالسحرة يؤكدون موته ليلة الهجوم على جبل السحرة قديما ، وساحر البحر الهالك يرى ذلك فقال لنفسه متسائلا : هل مات والدي نمير حقا ؟ .. الساحر اللعين لا يدري بالضبط ؛ ولكنه منذ افترقا لم يجتمعا .. عندما خرجت غاضبا من بلادي ظننت الأمر سهلا ، ولي سنوات ولم أصل لشيء يقيني ، لم أتيقن من موته ، ولم أتيقن من حياته ..ولكنهم ذكروا أنه قذف في اليم ، هل غرق

وأكلته الحيتان ؟ .. جثته لم تظهر لأحد ، وقد تكون ظهرت عند قوم لا يعرفونه .. الملكة المريضة التي ظننا أنها ستموت عادت تطلبني من جديد ألا تريد أن تموت ؟! ألم تيأس مني بعد كل هذه الأحداث الجسام ؟ هل أهرب وأعود لبلادي دون أبي ؟ .. صديقي حسن سأزوره .. ثم أزور صديقي الصياد عبلوم .. سأهجر هذه الجزيرة حتى تهلك روح الملكة .



بعد أيام سافر زعيط لجزيرة الضفدعة ، وزار صديقه حسنا الحداد ، فوجده أشهر حداد في الجزيرة وصاحب حانوت كبير في الحدادة ، وعنده العمال والخدم ، وله زوجة وأولاد ، فمكث عنده أياما ، والصداقة لم تنقطع بين زعيط وحسن ، فكان كلما أتى جزيرة الضفدعة ينزل عند صاحبه حسن ضيفا، وبعدما قضيت الزيارة ودعه وسافر للجزيرة الكبرى لينتقل منها إلى جزيرة الصيادين أو قرية الصيادين ، فقد كان في داخله شعور مهم ويدفعه إلى هذا اللقاء ، وهو لقاء عبلوم شيخ الصيادين ، ووصل لقرية الصيادين بعد تنقل في المراكب وبعد جهد .. وسار إلى بيت الصياد عبلوم فوجده مغلقا ، فاستغرب هذا ، فسأل عنه الجيران فقيل له إنه قد سافر منذ أسبوعين ولا ندري أين سافر وذهب؟ فتألم هارون لفشله في لقاء عبلوم ، وسار للبحر حيث يتجمع الصيادين فالتقى بجمع منهم فسألهم عن عبلوم شيخهم فذكروا له أنه سافر إلى جزيرة الضفدعة ولسوف يعود .. فترك له رسالة صغيرة عندهم ، ورحل لجزيرة السحرة ، وطلب كهفا واعتزل فيه .

الفارس نمير

نعود لنمير بعد مقتل ساحر البحر صديقه القديم ، فمكث أشهرا ينتظر زيارة الساحر هارون فلم يأت ، ثم فكر بالعودة لبلاد المال والغال بعد الثلاثين سنة التي مضت وهو في جزائر البحر وغلبه الحنين والشوق إلى دياره وقومه ، فودع الصيادين ، ولم يخبرهم بقراره النهائي لأنه هو نفسه متردد في الأمر ، فأخبرهم برغبته بالذهاب لجزيرة الضفدعة ، وهناك قرر أن يتخذ القرار الأخير الحاسم ، فأخذ زوجته ورحل من جزيرة إلى جزيرة حتى نزل في جزيرة الضفدعة ، فبحث عن منزل يسكنه ، فدلوه على حسن الحداد ، فقد أصبح من الملاك في الجزيرة بعدما استقر في الجزيرة ، فاجره حسن حجرة ، وللقدرة التي يريدها الله جرت الأحداث التالية ، ذات يوم ونمير جالس في بيته طرق بابه شوان الرجل الهرم الذي هو على حافة القبر ، ولكنه مازال يتحرك من مكان لأخر ،

فرحب به نمير ، فقال شوان بعدما استقر على الوسادة التي قدمت قال : من أي الجزائر الرجل ؟

قال نمير للعجوز : من قرية الصيادين قرب الجزيرة الكبرى .

فقال شوان : آ..آ .. جزيرة بعيدة ، ولكني أعرفها ، أنا دخلت كل الجزر في أيام الشباب والقوة أنت صياد إذن ؟

فرد نمير : بالتأكيد أنا صياد ؛ ولكني صياد ماهر .

فعاد شوان يقول : هل تعلم أن هذه الحجرة الجميلة التي تنزل فيها كانت لي ؟ .. سبحان الله ! دنيا فعلا عجيبة .. حسن هذا الذي أجرك هذا المكان ، كان يسكن فيها هو وصاحب له اسمه زعيط ..

جفل نمير لهذا الاسم ، فقد تذكر بلاده وظبا والمولود ووصيته لها بتسمية ولده" زعيط " ، فسرح في الماضي البعيد .. الملك دريد وسبع الغاب وجرادي ؛ ولكنه همس فقال : بلاد بعيدة كيف سيأتي إلى هنا ؟! وما يهمه من أمر أبيه .. ؟! فهو لم ير أباه لينشغل به .

فعاد يستمع للشيخ شوان الذي صمت لشرود عبلوم وعجب لتمتمته وسمعه يقول: مالك شردت الذهن أيها الصاحب ؟! .. صدق أن حسنا وزعيطا سكنا في هذه الحجرة .. فعمل حسن حدادا وبرع في عمله وكبر ، ثم استقل بالعمل وتزوج امرأة من هنا ، واشترى بيتا مجاورا لبيتي ثم اشترى مني هذه الحجرة فيما بعد .. فهو ينزل فيها ضيوفه أو يؤجرها للمسافرين ، وأما زعيط وهو الأمر الأغرب أيها الصاحب ..

فقال نمير وكله شوق لسماع أخبار زعيط الذي انقبض صدره لذكره ، وتفاعلت العواطف في كيانه من أجله : الأمر الأغرب ! .. كيف .. تكلم أيها العجوز الفاني ؟!!



فقال العجوز شوان : زعيط هذا عندما أتى الجزيرة أتى لا عمل له ولا حرفة ، اشتغل مع حسن بضعة أيام ، فحدثته يوما عن السحر والسحرة ، فتعلق بها فدفعته إلى أحد أصدقائي السحرة فأعجب به وألحقه بمعبده ، فتعلم السحر والكهانة ، وترقى في درجاتها ، ورحل لجزيرة المورا وتعلم وكبر حتى أصبح نائب الساحر الكبير شردوق ، فهو اليوم الساحر الكبير هارون ..

فردد الصياد اسم هارون عدة مرات وهو في دهشة كبيرة ، مما أثار عجب شوان ، ثم صفن لهذه الحكاية الغريبة وقلبها شرقا وغربا ثم قال : زعيط

صاحبك وصاحب حسن أصبح هارون نائب شردوق .. كيف أصدقك يا هذا ؟!

فاحتد الرجل شوان وهو يقول : صدقني يا هذا ! وأقسم لك على ذلك .. بل قد زارنا منذ أسابيع .. أنت تقول شوان عجوز خرف .. اسأل حسنا .. لقد قدما من الكمن معا ، وسكنا عندي معا ، ثم أصبح زعيط الساحر هارون ، واعلم أنه رجل طيب، فهو ما زال يرسل لي مالا بين حين وآخر



عرفانا منه بادخاله سلك السحرة .

كان نمير حائرا في تصديق ما يسمع ، فقال للرجل بشرود : صدقت ! هذه دنيا غريبة أنت الذي حببت إليه عمل السحرة فأصبح ساحرا كبيرا .

فقال شوان بفخر ونشوة : إيه يا صياد عبلوم ..في سنوات معدودات إنه شاب ذكي فطن .. فهو من سلالة الملوك كما ذكر لي صاحبه حسن .

وما صدق نمير بعودة حسن الحداد في الليل حتى زاره واستمع منه قصة الساحر هارون فأكدها وهو يقول : نعم ، جئنا معا إلى هذه الجزيرة .. فعملت مع الحدادين ، والتحق رفيقي زعيط الصغير بالسحرة كما حدثك الشيخ شوان ..وقد سار في درب السحرة لغاية في نفسه وحاجه في نفسه ، فقد أتى وأقبل لهذه الجزائر باحثا عن والده.. فأبوه ملك ابن ملك كبير كما قال لي ذلك ، وقد قضى سنوات طوال في البحث عنه ولم يجده ، فقد يأس من البحث ، وهو يفكر بالعودة إلى أمه إن لم يكن قد عاد ، لقد قدم إلينا منذ أسابيع ثم غادر إلى إحدى الجزر .

فظهر الاصفرار الشديد على وجه عبلوم ، فقطع حسن الحديث عن صاحبه الساحر وقال : ما بك يا سيدي هل من شيء ؟! .. هل أنت مريض ؟!

فرد عبلوم: رأسي تؤلمني اسقني ماء ، ستعود لي العافية ، ما زال في العمر بقية .

خرج حسن للإتيان بكوب ماء لضيفه ، وكان عبلوم يتمتم بدهشة : زعيط .. هارون .. ولدي يا لها من مفاجأة شديدة ! .. لقد انعطف إليه قلبي عندما دخل عليّ البستان أول مرة ! ابني ! ولكن كيف يخطر هذا في قلبي ؟ ابن لم أره وهو لم يرني .. لماذا أتى يبحث عني ؟ دنيا .. دنيا !! لقد أحببته ونحن في قرية الصيادين .. ليتني كلمته عن قصتي إنه يبحث عن سحنون .

عاد حسن بالماء فشربه عبلوم ، وعادت إليه أنفاسه ثم قال : لم تكمل قصة صاحبك زعيط يا حسن ، فقد ظننت أن العجوز شوان قد خرف .

فعاد حسن يؤكد صدق شوان فقال : تعرفت على

زعيط في مدينة الكمن ، وتعمقت بيننا الصداقة ، فكشف لي أمره وسبب مجيئه لهذه الجزر ، وأنه قادم من بلاد المال والغال للبحث عن أبيه الأمير نمير ، وقص على مسامعي قصة طويلة بين فيها الأسباب التي أتت به لهذه الجزائر، فلما عرض عليه شوان العمل في سلك السحرة وجد ذلك قبولا في نفسه ، وفعلا تعلم وتقدم رويدا رويدا ومن درجة إلى أخرى حتى أصبح نائب كبير السحرة في الجزائر كلها ، وما زال صديقا لنا يودنا ويعطف علينا ، وقبل شهر زارني وأخبرني أنه مازال يبحث عن أبيه ، فاخبرني أنه التقى بالرجل الذي كان يخدمه والده ساحر البحر القديم ، وحدثه عن والده واختفائه بعد

أسره من قبل رجال نمرال ، وهذا الساحر قتل منذ شهور ، فهذه غاياته يا سيدي .

وقص نمير عليه قصة التقائه بهارون في قرية الصيادين ، وهذا هو سبب اهتمامه بقصة الساحر هارون ، ثم ختم قصته قائلا : هذا شاب مخلص ووفي لأبيه ! رغم أنه لم ير والده منذ ولادته .

فقال حسن : هذا هو الغريب في أمره ! له تعلق كبير بوالده رغم أنه عاش في بيت جده والد أمه بعد رحيل والده الأمير نمير لجلب ديك الساحر الذي يتحدث عنه الناس بهلع وخوف .. وقرر هذا الشاب البحث عنه ؛ لأنه لما كبر وأراد أن يعتلي ملك أبيه ، رفض أهله وشعبه ذلك حتى يعلم مصير أبيه .. فصمم على اللحاق بأبيه ، وها هو له أكثر من عشر سنوات يتحرى ويبحث ولم يتيقن من حياته ولا من وفاته .. إنني أحزن واشفق عليه كثيرا ..

وامضيا زمنا يتحدثون عن الساحر هارون وأبيه ثم انصرف نمير لبيته ، وهو يفكر ويحلم بلقاء هارون ويقول : هل هو ابني حقا ؟!.. سأنزل جزيرة المورا .. آه يا بني ! .. عشنا سوية وأكلنا سوية ونحن لا نعرف بعضنا بعضا .

ودع نمير حسنا وشوان ، وأخذ زوجته ورحل إلى جزيرة المورا ، فلما أتاها ترك زوجته في الخان وذهب لمعبد السحرة يطلب لقاء الساحر هارون ، فأخبروه أنه سافر إلى جزيرة الصيادين ولم يعد بعد ، فأسف نمير لذلك ، ومكث أياما في المورا ، ثم رحل إلى الجزيرة الكبرى ، ثم استأجر مركبا إلى قرية الصيادين ، ولما وصل المكان رحب به الأهالي وأصحابه والرجال الذين يعملون على مراكبه ، ولما انتهى الترحيب سألهم عن الساحر هارون ، فتذكروه واحضروا له رسالته القصيرة التي يخبره فيها بحضوره إليه ولسوف يعود ، فسأل الصيادين هل عاد فنفوا ذلك .. ولكن لا صبر عند الانتظار ؛ ولكن أين يبحث ؟ ! فسألهم هل حدثكم بشيء ؟! أين ذهب ؟ أين مشى ؟! فنفوا ذلك فشكرهم

، وأخذ يدبر ويفكر بالموضوع وكيف يتصرف ؟ وهل ينتظر أم يتحرك ؟ ومكث شهرا في الانتظار ويصبر نفسه ، ثم سافر للمورا ثانية ، وطلب رئيس المعبد ولما تمكن من مقابلته ذكر له أنه الصياد الذي انقض هارون من رجال ساحر البحر القديم ، وهو يود مقابلة الساحر هارون لأمر ضروري ومهم ، فحاول الرئيس معرفة هذا الأمر الضروري فقال بإصرار " إنه لا يتكلم إلا لهارون لأنه أمر شخصي " وأمام إلحاحه همس رئيس المعبد بأذنه قائلا : الساحر هارون في جزيرة السحرة في عزلة تامة .. ولا يعلم أحد بذلك إلا أنا وكبير السحرة ، واحذر أن تذكر هذا لأحد من الناس انصرف ، وسلم على الساحر هارون، واذكر له أن الملكة تودع الدنيا ، وسوف يفهم عليك .

فودعه عبلوم وسافر إلى جزيرة السحرة ، ولما وصل إليها طلب الحديث مع رئيس الجزيرة ، فلما التقاه أبدى له رغبته بلقاء الساحر هارون ، وأنه يحمل له رساله شفوية من رئيس معبد جزيرة المورا ، فأخبره رئيس الجزيرة أن الساحر هارون غادر الجزيرة منذ أيام ، ولم يذكر له وجهته ، فأكد عبلوم أهمية اجتماعه بالساحر هارون ، فأقسم له الرئيس أن الساحر هارون خرج من عزلته ، وأنه خرج ولم يذكر لهم جهة انصرافه ، فخاب رجاء وأمل عبلوم باللقاء فقال لنفسه : لعله مشى جهة قرية الصيادين فإليها المسير .

سافر للجزيرة الكبرى جزيرة الذكريات ، ومنها إلى قرية الصيادين ورغم لهفتة الشديدة على لقاء ابنه فلم يجده فيها ، فامتلأت نفسه بالإحباط بعد أن داعبها بعض الأمل ، فعجز عن طريقة يصل بها لزعيط ، وندم بأنه لم يكشف السر لحسن الحداد لعل زعيطا يمر به ، فأراد أن يكشف السر لزوجته ؛ ولكنه خشي أن تفشيه لأحد ، فهي لا تعلم سوى أنه يرغب برؤية الساحر هارون لحاجته إليه ، فظل شهرا يفكر ويقلب الأمر شرقا وغربا وعلى أمل مجيء الساحر كما ذكر ذلك في الرسالة التي وضعها بين أيدي الصيادين ، وفي ذات مساء قال لزوجته إنه صمم أن يتنقل من جزيرة إلى أخرى ، ومن جحر إلى جحر حتى يجد الساحر هارون ، وعرض عليها الانفصال والفراق إلا إذا رغبت بالبقاء معه وتحمل مشاق البحث ، فهو يفكر بعدم العودة لهذه الجزيرة ؛ ولكنها رضيت بالفراق ، فصحتها لا تساعدها بالدوران وكثرة ركوب البحر، فوهبها البيت والمراكب التي يملكها ، وأعلن أمام الصيادين انفصاله عنها ، وأعلم الرجال الذين يعملون عنده أن زوجته المنفصل عنها هي المسئولة عنهم من الآن فصاعدا فعليهم أن يتعاملوا معها .. فعرض أحد الصيادين نفسه

عليها زوجا فقالت له : سوف ننظر في الأمر ..

فاعملوا معي كما كنتم تعملون مع سيدي عبلوم .

ثم أردفت تقول أمام الصيادين : واعلم يا سيدي عبلوم .. أنك متى حللت في هذه القرية ؛ فأنت ضيفي العزيز على الرحب والسعة ، ولا تتردد بضيافتي في أي وقت تشاء .



وودعهم عبلوم ورحل إلى جزيرة السحرة مرة أخرى يبحث عن ولده الساحر هارون ، وهناك سأل وتحرى عنه فتبين له أنهم لم يسمعوا عنه خبرا منذ غادر المكان ، فانتقل لجزيرة المورا وقابل رئيس المعبد الذي استغرب لاختفائه ، وأرسل رسولا من طرفه، ولما عاد الرسول أكد أن الساحر هارون قد اختفى منذ شهور ، فاطلع رئيس المعبد ساحر الجزائر الأكبر شردوق الذي فوجئ هو الآخر بالخبر ، وقلق على حياة الساحر هارون ، وطلب من رئيس المعبد البحث والتفتيش خفية دون إثارة للموضوع أمام الأمراء والسحرة .

فتركهم نمير يبحثون وسافر إلى جزيرة الضفدعة ، ولما دخلها مشى لمنزل حسن الحداد ، فعرفه حسن فأحسن استقباله ، فسأله نمير عن الساحر هارون ، فقال حسن : لقد كان هنا منذ شهرين فمكث أياما ثم انصرف .

فصعق نمير للخبر فأغشي عليه ، ولما أفاق عجب حسن لما أصابه ، فكشف نمير له أمره ؛ بأنه والد زعيط ، فبكى حسن تأثرا وأسفا ، وأخذ يضرب كفا بكف ويقول : يا ليتك ذكرت لي ذلك في المرة السابقة يا سيدي الأمير !! .. لقد حضر هنا زعيط يائسا من لقائك وحياتك ، فهو لا يعرف أنك والده ، فهو يعتقد أن والده قتل في ذلك الحادث .

فروى له نمير قصته من الألف إلى الياء ، فقال حسن بعدما انتهى الأمير من قصته وأخذ في النحيب : يا لها من قصة تكتب بإبر الذهب ورموش العين ! .. والآن يا سيدي الأمير فأنبئك بآخر ما قاله لي في الزيارة الأخيرة إنه يفكر بترك الجزائر والعودة إلى أحضان أمه الحزينة خائبا فاشلا ولا أدري هل نفذ ذلك أم لا ؟! .. وبما أنك تركت السحرة يبحثون عنه ، ولم تجده ، فأقول لعله عاد لبلاده ، فسوف نرحل صباحا إلى الكمن ونسأل عنه يا سيدي .

فقال من بين دموعه الغزيرة التي ما بكت قديما : لا داعي لسفرك سأذهب وحدي

فرد حسن قائلا : سيدي ! سوف أساعدك قدر الإمكان .. فلي أصحاب كثر في الكمن .. وإن التقيت به سأرسله وراءك ، فما عليك إلا أن تسافر لبلادك ، فقلبي يحدثني برحيله إلى هناك ، لقد كان

يتحدث عن أمه بشوق الولهان .

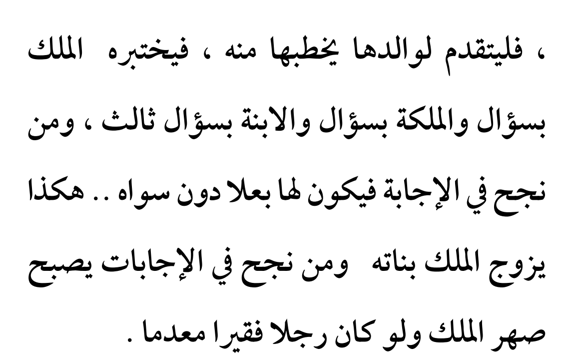
سافرا إلى الكمن وقام حسن بالمطلوب ، واستفسر وبحث ، فعرف أن سفنا تحركت منذ أسابيع إلى مدينة الغندور ، فرجح حسن سفره مع إحدى السفن ، فشكره نمير على ضيافته وكرمه وودعه وهو يقول : لابد من العودة الآن سأفتش عنه الدنيا بأكملها وداعا يا حسن ! فإن جاءك أو عرفت بحياته فاذكرني له ، وإنني ذاهب للبحث عنه في بلاد الدنيا كلها ، وسوف يكون مستقري في بلاد المال والغال .

اللـــــــقاء

انتظر الأمير نمير قافلة مغادرة لبلاد الغندور ، وبعد طول انتظار تجهزت قافلة فسافر نمير معها ولما وصل للغندور سافر لبلاده متنكرا بصورة جواب آفاق في الأقطار والأمصار ، وسكن في خان ، فعرف أحوال البلاد وأخبارها وما جرى فيها في كل العقود الماضية التي قضاها في جزائر البحر ، ثم سافر للمدينة التي تسكن بها زوجته ظبا ، وقضى أياما يسأل ويتحسس أخبار الأمير زعيط فلا خبر ولا أثر، فاحتار نمير في حاله وحال ولده ، فيتساءل " هل أعود للجزائر ؟! .. جزائر البحر .. آه يا أبتاه ! لقد جنيت علينا .. لا لا ، بل نحن جنينا على أنفسنا! .. الحمد لله .. فسبع الغاب حي ، وجرادي حي ، وأنا حي .. إنهم عادوا إذن ونجوا وها هو كل أمير مستقر بأمارة ومدينة .. آه لقد أمضيت عمري اركض وراء الوهم ! وعدت ومعي الوهم الكبير .. أشرب حسرة التاج .. وحسرة الولد .. هذه هي الدنيا يا نمير بن دريد .. ماذا أعمل هل أعود لمدينة الحمراء ؟! .. إنني لم أنس اسمها بعد..واكشف نفسي..وهل يصدقنني أبناء العمومة ويعطونني ملك مدينتي ؟ هل ينكرونني ؟! لا يستطيعون ، فأخي سبع الغاب يعرفني ، وكذلك جرادي لا لن اكشف نفسي قبل أن يظهر ولدي زعيط .. هل أرحل لجزائر البحر ؟! الزمن ! آه منك يا زمن .. احتاج لسنوات للوصول هناك هل يتقابل زعيط بحسن ونجتمع ؟ أريد الحياة لأرى ولدي وأعانقه وأشم رائحته قبل وداع هذه الدنيا !

ترك زعيط عزلته في جزيرة السحرة ، وتدبر حاله وتذكر أمه وحن إليها حنانا كبيرا شغلت نفسه وأحلامه ، وترجح لديه هلاك أبيه ، فقرر أن يعود للبلاد ، فخرج من جزيرة السحرة وخلع ثوب السحرة المعروف ، وتنقل من جزيرة إلى أخرى حتى التقى بحسن كما ذكرنا ، وحدثه بحنينه وشوقه لأمه ولبلده وفعلا سافر للكمن ، ومنها إلى الغندور ، ولما ترك الغندور وسار باتجاه بلاده دخل مدينة اسمها " حمار الرحى " ، وكان دخوله مع الضحى ، فشاهد الناس جماعات

وأفرادا وبكثرة ، فسأل أحد الناس عن الأمر ، فقال الرجل : ابنة الملك قد بلغت سن الرشد ، وسوف تخرج للساحة العامة ساحة المدينة ؛ لينظر إليها الشباب والناس ، ومن استحسنها ورغب بزواجها



، فليتقدم لوالدها يخطبها منه ، فيختبره الملك بسؤال والملكة بسؤال والابنة بسؤال ثالث ، ومن نجح في الإجابة فيكون لها بعلا دون سواه .. هكذا يزوج الملك بناته ومن نجح في الإجابات يصبح صهر الملك ولو كان رجلا فقيرا معدما .

راقت الفكرة لزعيط وصمم التريث في هذه المدينة ؛ لينظر الأميرة المعروضة للزواج لعله يفوز بنكاحها إذا وقعت من نفسه موقعا طيبا ، فيخطبها من والدها ويعود بها إلى أمه بعد أن فشل بأن يعود بأبيه ، فسار مع الناس إلى الساحة العامة ، وهناك وجد الناس بالآلاف ، وعند الظهيرة ظهرت الأميرة " زهرة " على جواد أبيض وثياب زاهية ، وخلفها ثلاث جواري على خيول حمراء مزركشة بالأجراس والقماش الملون ، وخلفهم كوكبة من الفرسان .. ودارت الأميرة ساعة في الميدان أمام أعين شبان المدينة ، وهم يحيونها ويرمون عليها الأزهار والورود ، ثم توقفت أمام عرش الملك والأمراء ، فنهض رجل جهوري الصوت وصرخ بأعلى صوته : ابنة الملك العظيم الأميرة زهرة قد بلغت سن القران !! وها هي ظهرت أمامكم ، فمن وجد في نفسه قوة لمصاهرة الملك فديوان الملك مفتوح يرحب بكم .. هلموا أيها الناس إلى مصاهرة الملك .

وصفق الناس طويلا ، ثم أخذوا بالانصراف لمنازلهم ونواديهم ، وتبعهم زعيط بن نمير ونزل في فندق في المدينة يلتقط أخبار الخاطبين والطامعين بمصاهرة الملك بنكاح ابنته الأميرة زهرة التي كانت في الساحة كالبدر ليلة تمامه، فعلم أن أكثر من عشرة شبان تقدموا للأميرة وفشلوا في الاختبار ، وحبسوا حتى ينجح أحد الناس بخطبتها فيخرجون من السجن ، صبر نفسه حينا من الزمن في الانتظار حتى علم أن الخطاب قلوا ، فزحف لديوان الملك ، وقدم نفسه بأنه غريب وشاهد الأميرة في ذلك اليوم الغريب ، وهو مستعد للامتحان ، فرحب به الأمراء وأذنوا له برؤية الأميرة العروس والحديث معها ، فأول من يسأل الخاطب عادة الأميرة نفسها ثم الملكة ثم الملك ، فلما دخل على الأميرة تفحصته من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ، ثم سألته عن اسمه وحاله ، فبكى صاحبنا ، فتعجبت الأميرة وقالت بدهشة وخوف : ما بك ولماذا تبكي ؟!

فقال من بين دموعه : أنا مثلك أيتها الأميرة أمير ابن أمير ، فهل طرق مسامعك اسم الملك دريد ملك بلاد المال والغال فهو جدي ؟
فقالت : يحدثنا الآباء عنه .. فهل أنت حفيده ؟!
قال : أجل ، يا ابنة الكرام ! وقص عليها بعض قصته ، فبكت الأميرة بكاء حزينا ورق قلبها له فلما طال الحوار دخل عليها الحرس فصرفتهم ، ثم قالت له : ذهبت إلى جزائر البحر تبحث عن أبيك ؟ وصنعت ما صنعت من أجل أن ترى أباك الذي تركك في بطن أمك باحثا عن العلا إنني معجبة بك ووقعت من نفسي موقعا جميلا ..سأدعوك لتقص قصتك على أمي وأبي ؛ فإن وافقا عليك سأقبلك بعلا وأعفيك من الأسئلة لشهامتك ولحبك لأبيك ؛ ولأنك اخترتني وأنت الأمير ابن الملك .. ولكن هل أنت واثق من نفسك وتريد الأميرة زهرة حليلة لك ؟!
فقال : إي والله .. سأقص حكايتي على والديك ؛ ولكني سوف أجاوب على أسئلتكم .
ضحكت الحسناء وقالت : سأكشف لك السر .. سر الأسئلة أيها الأمير الشجاع الطيب .. فهل تريد فتاة مثلي زوجا مقداما خيرا منك ؟! فلقد أثرت فيّ حكايتك أشد التأثير أيها الفارس سنوات عظيمة من شبابك أفنيتها في البحث عن أبيك .. هذا شيء عظيم !.

لقد سحر زعيط من كلماتها وذاب بها شوقا وهياما ، ذلك الشاب الذي قضى سنوات عمره وشبابه في معابد السحرة والكهنة فقال بانجذاب : وأنا أعجبت بك أيما إعجاب ! ولكني سوف أجاوب الأسئلة كباقي الخلق ، وإن نجحت سأرضى بك، وإن فشلت فهذه قسمتي أيتها الأميرة .
فقامت الأميرة تتمشى في الحجرة ، ثم التفت للفارس النبيل وقالت : تمهل أيها الفارس ! .. سأقص عليك قصة الأسئلة وأسبابها .. حتى لا تظن بنا سوءًا .. اعلم أيها الرجل أن والدي ملك مسالم ، وله من البنات خمس ومن الذكور واحد فقط ، فلما بلغت أختي الكبرى سن الزواج طلبها كثير من الأمراء ، فاحتار أبي في الاختيار من يقبل ومن يرفض ؛ لأنه يريد إرضاء الجميع ففكر في القضية ، ووضع هذه الطريقة أو سمها هذه الحيلة وهي الاختبار .. فإذا أعجبت الفتاة منا بأحد الأمراء دون الآخرين ، فتذكر الفتاة موافقتها على فلان لوالديها وهو مناسب لها ، فتكون المخطوبة قد تفاهمت مع من رضيت به ، وأنها اختارته على سائر الناس والفضلاء ، وتسأله سؤالا امام مجلس الحكماء تكون قد أعطته هي جوابه ، فيعتقد الآخرون أنهم فشلوا في الاختبار والامتحان ، وأن فلانا قد فاز عليهم وعرف الإجابة ، والأمير الفائز يعتقد أنه هو حقا الفائز ، ويبقى مقدرا الفضل

للأميرة التي فضلته على الآخرين وذكرت له الأجوبة قبل جلسة السؤال ، وبهذه الحيلة اللطيفة يتجنب الملك الصراع والتنافس على الأميرات ، فالفائز مسرور والخاسرون مسرورون أيضا .. واعلم أن هذا السر لم يكشف إلا لك ، ولا يعلمه إلا أبي وأمي والأميرة المخطوبة .. وها أنا قد كشفت لك الأمر قبل الموافقة عليك من أبي وأمي ؛ لأن قلبي يكاد أن يخرج من صدري هوى لك أيها الفارس .. ولي أختان تزوجتا بهذه الطريقة ، ولتعلم أن أزواجهما لا يعلمان بهذه الحيلة ؛ ولكني سحرت بقصتك أيها الأمير !

فأبدى الفارس امتنانه الكبير لحبها الجميل له ، ووعدها بالسعادة والوفاء وسمعها تقول : وغدا عندما أسئلك امام القضاة سيكون معك الجواب ؛ فإذا أجبت بالصواب ، ستقابلك الملكة وتتعرف عليك متظاهرة أنها عرفتك لنجاحك بالاجابة على السؤال الأول - لأنني ساعرفك عليها بعد قليل – وسأهمس لك بجواب اليوم التالي ، وستدخل على الملكة في اليوم التالي وسوف تقابلك وتسألك سؤالا أمام القضاة ، وكذلك يفعل أبي في اليوم الثالث ما دمت قد رضيت بك .. وما يفعل والدي ذلك إلا حماية للمملكة من الفساد والخراب ..

فتكلم زعيط بكلام جميل يعبر فيه عن مكنون قلبه وهواه بها ، وعن اعجابه بحيلة الأب لاختيار أزواج بناته ، فعادت الفتاة تدافع عن هذا الحيلة قائلة : فإذا رضيت الأميرة بشاب ووافق هواها واتفقا واقتنعت بأنه الزوج المنتظر تذكر له البنت منا سؤال الغد وجوابه ، وهو يتظاهر بعدم معرفته أمام القضاة ، ثم يكشفه للأم ثم للأب ، فيظن الزوج أن الأميرة كشفت له الجواب للحب الكبير له في قلبها .. ولكني صادق في الميل لك أيها الأمير فعاد الأمير يعلق قائلا : الحق أنها حيلة جميلة ولطيفة ! تريح والديك من المشاكل والقلاقل والآن فما سؤالك يا أميرة الدنيا ؟ .

ضحكت الأميرة ووقفت أمامه وقالت : السؤال هو هل تعرف اسمي ؟ .. اسمي زهرة وهو المعروف بين الناس وأما اسمي الحقيقي " نور القمر " لا تنس ذلك يا سيدي الأمير !.. وبعد غد تسألك أمي عن اسمها .. فاسمها الملكة جويرية ، وإن سألت غير ذلك فاجب حسب معرفتك وثق بأنني سأكون لك بعون الله ..

فقال ضاحكا : أنا سعيد بلقائي بك .

وعاد الحرس يطرقون الباب ، ففتحت لهم الباب وقالت لهم : اين والديّ ؟.

وذهبت به الى والدتها الملكة ، ثم جاء الأب ملبيا النداء ، وسمعوا قصة الأمير زعيط وتأثروا بها غاية التأثير ، وسلموا بزواج الأميرين ، فالملك

دريد بن أنهار رغم هلاكه منذ عقود ما زال الناس يتحدثون بسيرته وحروبه ، ثم ودعهم وقفل للنزل وهو سعيد بما حصل معه من رضا الحسناء عنه ، وعجب من حيلة هذا الأب ليتجنب أهل الشر وتنافسهم على نكاح بناته وقال : حيلة لطيفة !.

في اليوم التالي ادخلوه على مجلس القضاة ، وكانت الأميرة زهرة تجلس بينهم ، وبعد الترحيب شرح له أحد القضاة فكرة الاختبار ، ثم سألته الأميرة متظاهرة بالجدية عن اسمها ، فأحسن الجواب ، وخرج القضاة معلنين توفيقه في الجواب ، ثم اتت الملكة لتتعرف على صهرها حسب الترتيب المعتاد ، وتركوه مع الملكة الأم برهة من الزمن ، وهنأته بفوزه بقلب الأميرة زهرة وأوصته عليها خيرا ، فوعدها خيرا، ثم أشاع الحرس أن الشاب أحسن الجواب ، وقبل مغادرته مجلس الملكة ذكرته زهرة بجواب الغد ، فشكرهما وهو مسرور من حبها له ، وعاد في اليوم التالي وادخل على القضاة والملكة ، وبعدما رحب به من قبلهم سألته الملكة عن اسمها المخفي عن الناس ، فبعد تمهل مصطنع أجاب زعيط أمامهم ما همست له به الأميرة زهرة ، فتبسم القضاة لتوفيقه ، وتسأل هو بين نفسه ، هل هؤلاء القضاة يدركون تلك الحيلة اللطيفة ؟! ، واثنت عليه الملكة ، وأعلمته أن الملك سيقابله بعد خروجه من هذه الحجرة ، ولما انصرف القضاة أخذه أحد الحجاب لغرفة ينتظره فيها الملك ؛ ليجري بينهم التعارف كالمعتاد وكانت زهره هناك ترحب به وهمست له بحل اليوم الثالث والأخير قبل أن يجلس قبالة الملك وفي اليوم التالي وأمام القضاة سأله الملك عن اسم ولي العهد ، فأجاب بما أخبر به يوم أمس وعندئذ طلب الملك منه أمام مجالسيه بعدما عرف عن نفسه أن يحدثهم عن نسبه وقصته في جزائر البحر ، فقص عليهم قصته وقصة أبيه الأمير نمير ، فانفعل القوم لهذه القصة والمغامرة العظيمة ، ورحبوا به صهرا لملكهم وزوجا لابنة الملك ، ثم أعلنت الأفراح في المدينة بموافقة الملك على زواج ابنته زهرة من الأمير زعيط بن نمير حفيد الملك المشهور دريد بن انهار ذلك الملك الجبار الحاكم لعدد كبير من المدن والأمصار في ذلك الزمان ، ولقد تم الزواج السعيد ، وفرح الأمير بزواجه من الأميرة زهرة ، ومكثا سنة في رعاية الملك الوالد ، ثم استأذن الأمير من عمه الملك واصهاره بالعودة لبلاده ، فتجهزت قافلة الأميرة والحرس اللائق ، وكان الأمير قد أرسل رسولا إلى أمه وأخواله بخبره ، ثم مشت القافلة تقطع الأراضي والأودية حتى وصلوا البلد ، فخرج الأمراء وجده العجوز والد ظبا لاستقباله والفرح بعودته حيا بعدما يئسوا من حياته ، فرحبوا به وبعروسه ، وكان لقاء تحدثت

عنه المدينة والأجيال ، وفرحت به أمه فرحا شديدا ، وأنزلوه في قصر جميل ، ولما استراح من وعثاء السفر قص قصته على أهله وأخواله ، فعجبوا منها غاية العجب، وفرحوا لعودته سالما من جزائر البحر ونجاته من كيد ساحر البحر ، وأقيمت الأفراح في المدينة الصغيرة فرحا بعودته وزواجه ، وسار خبره في القرى والمدن إلى أن وصل للأمير نمير فتحفز للقاء الكبير والمهم في حياته ، فسار متنكرا لمدينة زوجته ظبا ، ولما هيأ نفسه وروحه للقاء والاجتماع ، ذهب لقصر الأمير زعيط وذكر للبواب حاجته ورغبته في مقابلة الأمير لتهنئته بعروسه ، وقل له عبلوم صياد جزائر البحر في قرية الصيادين على الباب .

دخل الحاجب على الأمير ، وذكر للأمير ما سمعه من الرجل ، فظن الأمير أن الحاجب مخبول أو مجنون ، فطلب منه إعادة الرسالة ، فلما سمعها ثانية قفز مسرعا نحو الباب ؛ كأن به جنة ، وأن ما تفوه به البواب كذبا وخبلا ؛ ولكنه وجد الصياد عبلوم بشحمه ولحمه يقف بالباب ، فالتزمه وعانقه وبكى وهو يقول : الصياد عبلوم يا إلهي !! كيف أتيت من تلك الجزائر ؟! بل كيف عرفتني وعرفت بيتي ؟!

وعادت الذكريات بالأمير زعيط وعبلوم لأول لقاء كان بينهما في قرية الصيادين ، ودخلا إلى ديوان الضيوف ، وهو يرحب به أشد الترحيب ، وجاءت أمه وزوجته يرحبان بضيف الأمير عندما علما أن ضيفه من جزائر البحر ، وأنه ذاك الصياد الذي انقذ الأمير من مطاردة رجال ساحر البحر ، وأخفاه في بيته حتى اطمئن على حياته ، ثم رافقه لجزيرة المورا ، فقدمتا له الشكر والامتنان على حسن معروفه ، فبكى وانتحب الأمير نميرا بكاء شديدا عندما رأى زوجه ولم تعرفه ، فبكوا لبكائه ؛ وفجاءة أمسك عن البكاء ، والتفت للأميرة ظبا وقال بنبرة حادة أدهشت السامعين : ظبا ! ظبا ! .. ألم تعرفي بعلك أيتها الأميرة ؟!

نظر إليه القوم بدهشة وذهول ،ونظرت إليه ظبا بشدة ووقفت تحدق به ، ثم صاحت مذهولة مصدومة : الأمير نمير ! .. الأمير نمير بن دريد !! فأغشي عليها وصاح زعيط : أبي .. أنت أبي ! عبلوم أبي !!

وصاح الأمير بانفعال شديد : نعم ، أنا أبوك يا زعيط أنا سحنون الذي مشيت تبحث عنه !

وسقط مغشيا عليه ، ووقع الصراخ في البيت ، ففزع الخدم وحضر الأمراء على الفور ، والحقيقة كما يقول الرواة كانت ساعة رهيبة عجز القلم والرواة عن وصفها ، دموع تملأ الآماق وتنساب على الوجنات ، وتنهدات تخرج من أعماق الأفئدة ، شهقات وزفرات عنيفة تخرج من الرئات ،

وهناك قبلات ومعانقات حارات ، واستمر النشيج والشهيق والزفير ساعات حتى عادت الأرواح والنفوس لهدوئها وسكونها مما ألم بها من انفعالات وعواطف جياشة ، وكم كان اللقاء ممتعا رائعا بعد فراق طويل .. طويل ! سنوات وسنوات ! وسمع الحاضرون قصة الأمير نمير مفصلة محفوظة في الصدور ، وكيف قبضوا عليه كالعصفور في كهف ساحر الجبل ؟ وهو يستعد للانطلاق لاغتيال ملك البرابرة نمرال ؛ ليصبح خليفة لساحر البحر ، وسيق إلى السفينة مكبلا بالقيد والحبل ؛ ومن ثم قرر قائد الحملة بالتخلص منهم وقذفهم في وسط البحر طعاما وقوتا للأسماك ، وذكر لهم شفقة القائد من موتهم مكبلين موثقين ، لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أمام حيوان البحر ، فأمر بقذفهم محررين من القيود حتى يحاربوا الأسماك والحيتان في قاع البحر ، وكان نمير من أوائل من قذف بالماء ، فلما أحس بالماء قال : أحببت الحياة ، فرفست الماء بقدمي ، فإذا أنا على سطح الماء بالقرب من مؤخرة السفينة الكبيرة التي تمشي على مهل في عرض البحر ، وهم يقذفون الأسرى رويدا رويدا .. فتعلقت بها وجسمي في الماء ورأسي على سطح الماء مخفي في مؤخرة السفينة ، وكانت تسير وأنا متشبث بالحياة ، فحمدت الله على شفقة القائد علينا وفك قيودنا وإلا أكلتني الأسماك فعلا ، ومضت السفينة وأنا قابض على أحد الحبال في المؤخرة وأخشى النوم والضعف ، وأخشى أن يكشفوني فيغرقوني ؛ ولكنهم غارقون في شرابهم وخمرهم حتى وصلت السفن والسفينة التي أنا متعلق بها إحدى الشواطى ، وفي ظلام الليل تسللت إلى الرمال والمرجان ، وأخفيت نفسي حتى رحلوا مع انتصاف النهار ، وكنت منهك القوى ؛ ولكن رغبتي بالحياة جعلتني أقاوم الموت والضعف ، فأكلت من السمك الميت على الشاطىء ، وشربت بعض الماء ونمت ولا أدري كم نمت ؟ ثم مشيت ؛ فإذا أنا في قرية الصيادين ، ولي بها معرفة عندما كنت في خدمة ساحر البحر ، وتظاهرت أمامهم بأني صياد غدر به أصحابه من إحدى الجزر وألقوني في البحر ، وبدأت حياتي مع الصيادين باسم عبلوم ؛ لأنني كنت من الرجال المطلوب التخلص منهم لعلاقتي المهمة بساحر البحر ، ومع الأيام كبرت في الصيد ، وبنيت ذلك البيت الذي أخفيتك فيه يا زعيط ، وأصبحت من كبار الصيادين في تلك القرية ، وتزوجت امرأة منهم تخدمني إلى أن التقيت بك وتعرف ما جرى ، ثم كنت يوما في زيارة جزيرة الضفدعة وسكنت عند شاب اسمه حسن الحداد وجار له اسمه شوان ، وذات يوم كان العجوز يتحدث معي وذكر

اسمك أمامي فتذكرت هذا الاسم الذي أوصيت والدتك أن تسميك به ، وتطور الأمر وذكر لي بعض أخبارك وأنك الساحر هارون ؛ ولكني شككت بكلامه واتهمته بالخرف حتى التقيت بحسن فقص عليّ حسن قصتك ومجيئك للجزيرة تبحث عن والدك نمير ، ولم أكشف نفسي لحسن هذا ، وقد ظننت أنني سألقاك في جزيرة المورا فعلمت أنك خرجت منها وذهبت لقرية الصيادين ، فوجدت رسالتك وسرت لجزيرة السحرة ومرة هنا ومرة هناك ، ولم أعثر عليك ، فعدت لقرية الصيادين انتظر مجيئك مرة أخرى كما ذكرت في الرسالة ؛ ولكنك لم تحضر ، وطال الانتظار، ففارقت زوجتي ووهبتها أملاكي ، وعدت إلى جزيرة السحرة ، واجتمعت برئيس المعبد في المورا ، وقاموا بالبحث عنك سرا ، وغلب على ظنهم موتك من قبل أعوان ساحر البحر الهالك انتقاما منك لدورك الخطر في القضاء على ذلك الساحر اللعين ، وندمت أنا بعدم كشف شخصيتي لحسن ، فرحلت إليه وذكرت له من أنا فبكى وانتحب ، وذكر لي أنك كنت عنده من شهور وربما سافرت لموطنك الأول ، فغامرت وجئت إلى هنا متنكرا ، فصدمت عندما علمت أنك لم تعد ولم أسمع لك خبرا، وعدت للحمراء أفكر بالأمر وبالعودة لجزائر البحر ، وكلي أمل أن أراك ، وأتمنى أن تمر على حسن فينبئك بالأمر ، وهذا الأمل الذي منعني من السفر ثانية لتلك الجزر ، ولما سمعت بخير عودتك وظهورك أتيت إليك سريعا يا ولدي .. فهذه هي قصتي أيها الناس !! لي أكثر من أربعين سنة أبحث عن المجد والأمجاد .. وأحمد الرب أن قدر لي هذا اللقاء بولدي قبل الموت وغدا يا أهلنا سنعود إلى مدينتنا وملكنا.. وستكون أنت الملك يا زعيط ، ولن أحكم أحدا ، وسأعوض أمك عما فقدته بغيابنا عنها كل هذه السنوات .. وأطلب السماح والعفو ..وأعلم أن الأيام التي مضت لن تعود .. ما فات مات .. إنما تكفينا سعادتك يا ولدي !

وعاد الجميع للدموع والعتاب والصبر على حوادث الزمن ، وتجهز صباحا الأمير نمير والأمير زعيط وزوجاتهم ، وأرسل الملك نمير وفدا إلى مدينة الحمراء يبشرهم بعودته بعد هذه العقود من السنين والضياع ، فخرج الناس ومن يتذكر الأمير نميرا أو سمع به لاستقباله بعد ذلك الغياب الطويل العجيب ، فاستقبل استقبالا حسنا ، وتنازل الورثة للعرش عن التاج بدون إثارة مشاكل ، فالملك نمير معروف بفروسيته ، وإنه ما غادر البلاد إلا طمعا بحكم المدن الخمس عشرة ، وعين الأمير زعيط ملكا على مدينة الحمراء ، وأقيم احتفال كبير بمناسبة هذا التتويج دعي إليه اخوة

نمير الملوك الأحياء وأبنائهم ، وحضر جمع كبير من الأمراء والأميرات من كل المدن لمشاهدة الأمير نمير بعد هذا الغياب الطويل بعدما اعتقدوا جميعهم هلاكه في تلك الجزائر وليسمعوا قصة الأمير نمير بن دريد في جزائر البحر ، وكان من جملة الحاضرين سبع الغاب وجرادي ، وهكذا أيها السادة الكرام انتهت قصة الأمير نمير وولده زعيط ، ويقول لكم الراوي جابر بن نادر : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإلى لقاء آخر في قصة أخرى غريبة وعجيبة من حكايات الناس وغرائبهم في غابر الزمن ، قصص تسلي النفوس ، وتبعد عنها الملل فحكايات الأمراء كثيرة وحكايات الناس أكثر .تمت حكاية السحرة

قلب الوطن

وهج الحرب ١١

دخل جهاد عمان صباح الجمعة ٢١ يناير ، والسبت امتلك السيارة ،وخلال الأسبوع ستسجل باسمه ، وسيبدأ الفصل الثاني مطلع فبراير والفصل الدراسي الأول الفائت سيأخذه في الفترة المسائية .

في خمسة وعشرين منه تجمهر شبان وشابات مصريون لعمل ثورة شبيهة بثورة تونس ، للخلاص من مبارك الزعيم المصري. الإعلام اشتغل بها قبل أن تبدأ ، مصر من أهم بلدان العرب في العصر الحديث ، وبدأت يوم الثلاثاء ، وكانت أسرع من الثورة التونسية في إزالة الزعيم ، هربت الشرطة يوم ٢٨ من الساحات والمراكز ، انهارت أمام الجماهير ، وتدخل الجيش لضبط الأمن ، كثرت التصريحات والتحاليل ، وعمت المظاهرات الشعبية المدن المهمة في مصر وتظاهر الجيش بالتعاطف مع الجماهير . ارتفع الصراخ في الميادين بتغيير النظام ، وكانت الاعتصامات ، وتعطلت الحياة العادية في مصر ، صراع إرادات ، صراع المخابرات مع الشعب محطات التلفزة الفضائية من قلب الميادين تبث أفكار ورغبات الثوار ، بين صراع كر وفر ، خلع المجلس العسكري حسني من كرسي العرش ، أصبحت مصر من غير رئيس في ١١ فبراير ، يحكمها مجلس عسكري من كبار الرتب والجنرالات. تأكد للشعب قوته من جديد ؛ كما فعل شعب تونس ، ثمانية عشر يوما أزاح الشعب المصري الرئيس .

قال محسن لجهاد : الثورة حكاية عجيبة يا أبا عبدالله ! تونس انتصرت مرة أخرى اكتشف

المصريون أنهم قادرون على إزاحة حسني.

قال: كما قلت ثورة كالعاصفة .. يؤتي الملك من يشاء ، وينزعه عمن يشاء قال الحق في علاه { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} .. لاحظ لفظة وكلمة ينزعه الله .. سخر الشعب لينزع التاج عنه رغم أنوفهم وجيوشهم وجبروتهم ومخابراتهم ..أتراهم يتأثرون بخلعهم عن العروش ؟

قال محسن : الشعب مسكين ! الشعوب العربية مسكينة ! فعلا كلها بليت بزعماء رباهم الاستكبار ؛ لذلك يحترمونهم ويخشونهم أكثر من شعوبهم المطحونة بالضرائب ولقمة العيش.. يولد الطفل العربي وعلى بلده مليارات الدولارات لدول الظلم ، خلعوا الرئيس ، ويبحثون عن رئيس جديد .. صنم جديد.

ـ تقرأ سياسة يا محسن !

قال: الصحف عادة سياسة ، وأقرأ مقالات الصحف لمن يعجبني من المحللين ، وأسمع بعض الفضائيات ، لا أنتمي لحزب سياسي .

قال : عندكم أحزاب !

قال: إلى حد ما .. عندي ثقافة سياسية ، وتابعت يوميات الثورة التونسية، وكانت مفاجأة للمراقبين هزيمة بن علي بشهر ؛ لذلك تتبع الناس الثورة المصرية أكثر من ثورة تونس .

قال : مصر حقل تجارب لدول الاستعمار ، يجربون بها كل شيء ، ثم ينقلونه لباقي دول العرب

قال مؤكدا : صحيح التمثيل الأفلام الغناء والملاهي والانحراف بكل أشكاله بدأت فيها.

قال جهاد : لا تنسى بيروت .. اللبس الموضة في مصر ولبنان .



الأقصى تحت الاحتلال

كانت وردة تجلس مع جوهر ومحمد ومي في غرفتهم ، وكان جوهر تحدث معها ظهرا من خلوي والده مخبرا أن المعلمة التي تعلمهم مادة الدين قرأت لهم قصة عن المسجد الأقصى المحتل من قبل اليهود المغتصبين بلاد فلسطين ؛ بما فيها المسجد الأقصى ، ووعدته أنها ستسمعها منه في الليل .

" العدل قيمة إنسانية عالمية ، وهي مسعى لكل الأمم وسيلة وغاية ، والظلم لا ينتهي ، فالسلطان ياقوت ليبق عادلا في رعيته سمى مدينة حكمه مدينة العدل ، كان هذا السلطان جالسا في ديوان ملكه ، وبين يديه وزيره رشيق وقادته وأمراؤه ،

وكانوا يتهامسون ويبتسمون وفجأة تنحنح السلطان ، فصمت القوم ، ولم تعد تسمع لهم همسا ؛ وكأن على رؤوسهم الطير فقد علموا بأن السلطان عنده كلام ، وقد طال الصمت برهة من الزمن ، ثم قال السلطان مخاطبا وزيره : يا وزيرنا .. يا وزير مدينة العدل .. تأخر وفدنا الذي بعثناه لمدينة السلام .. تلك المدينة المطهرة المباركة من رب السماء ..الوفد الذي أرسلناه لينظر الظلم الذي أصاب البلاد والعباد في تلك الديار .. لينظر ما فيه الناس من سجن وعذاب .. وخاصة تلك المدينة المقدسة .. بيت الله .. ما الخطب أيها الوزير اللبيب ؟

تردد الوزير الحكيم لحظات ثم قال : الخطب يا مولاي السلطان ! أن تلك البلاد احتلها عدو لئيم ، وقاتل مأجور لدول الاستكبار ، وجنس خسيس من إخوان إبليس اللعين .. عدو استغل لحظة ضعف أصابت أهل تلك البلاد ، وغدر بهم ونال منهم ، وأجرم في حقهم ، فشرد الآلاف ظلما وبغيا وعدوانا ، وقتل الكثير وما زال القتل في ذلك الشعب الغلبان .. ومع ذلك بقي الكثير صابرا متحملا الشقاء في موطنه محتسبا عند ربه .. وللأسف الشديد دول العالم الكبرى تقف مع الظالم ولا تنصف المظلوم .. فالوفد ذهب كما تعلم لمعرفة أحوال تلك البلاد ، وما يحدث من ظلم للمسجد المعظم مسجد الأنبياء .. ولكنّ هؤلاء الظلمة لديهم أفتك الأسلحة ، وأخطر الأدوات والمعدات التي قد تكشف من يدخل من جو السماء .

فقال الملك : أرجو لهم العودة سالمين، وأن يعودوا بخير ويقين ، وبخبر تلك المدينة المظلومة .

فقال الوزير : إن شاء الله أيها الملك السعيد !

وما كاد الوزير ينهي كلامه بين يدي السلطان حتى صاح حاجب الملك معلنا بصوت واضح للعيان : عاد الوفد يا مولاي السلطان !

فتطلعت العيون تجاه مدخل الديوان حيث رفرفت أربعة طيور محيية السلطان وحاشيته ، وجلست حيث يحق لها الجلوس .

وقال السلطان ياقوت : مرحبا ! .. يا مرحبا بوفدنا الشجاع القادم من أرض بيت المقدس .. الأرض المطهرة المباركة !

فلما أخذت الطيور مكانها في المقاعد المخصصة لها ضمن الحاشية الملكية ، وانتهى الترحيب والسلام وتقديم الاحترام لسلطان مملكة العدل ، قال الوزير رشيق : حمدا لله على سلامتكم بعد هذه الرحلة الخطيرة إلى بلاد المسجد الأقصى .. يا أهلا بالطيور الجميلة وفد السلطان .. أيها الهدهد حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ سيد وملك تلك البلاد في غابر الأيام ماذا عندك من الأخبار ؟ وما حل

بمدينة السلام بيت المقدس الذي جدد بناءه النبي سليمان بن داود عليهما السلام ؟

رفع الهدهد رأسه إلى السماء ، ثم خفضه ، وأخذ يمسح الدموع المتساقطة على وجهه حتى أبكى من كان جالسا في الديوان ، وأدركوا ما حل في البلدة من ظلم وعدوان وما أصاب المسجد الأقصى من ذل وهوان في زمن علو اليهود على أرض فلسطين المباركة ، ثم قال : يا مولاي الملك ويا سيدي الوزير ! فليحدثنا الطير أبو سعد عن المسجد الأقصى ومكانته وصفته ؛ ليعلم السامع أهميته وقيمته لنا عباد الله المسلمين قبل أن أعلمكم بما أجرم أعداء الله اليهود على ذلك البيت المعظم ، وما جنوا وظلموا ليدركوا عظم الكارثة والمأساة التي أحاطت بالمسجد وأهله الضعفاء .

فأشار الوزير لأبي سعد (اللقلق) أن يتحدث بما طلب الهدهد رئيس الوفد الذي زار الأرض المقدسة ، وهذا الهدهد حفيد هدهد سليمان الذي ذكره الرحمن في سورة النمل من القرآن ، وقد بعثه سليمان بخطاب لملكة اليمن .

رفرف أبو سعد بجناحيه، وتلفت بوجه يمينا ويسارا ، وحمد الله وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال : لكل أمه أماكن مقدسة تقدسها وتعظمها .. فكيف إذا كان المقدس المسجد الأقصى بتقديس الله ﷻ له فهو الذي ذكره في مطلع سورة الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وقد أسرى الرحمن بعبده محمد ﷺ من مكة المشرفة إلى بيت المقدس المبارك .. والأقصى اليوم أيها القوم .. مظلوم يعاني من جهل كبير من أمته ومن عدو أمته .. فهو محتل من عدو غاصب باغٍ في الأرض . واعلموا أيها الأخوة السامعون أن المسجد هو اسم لكل ما دار حوله السور ، الواقع في أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من مدينة القدس الشريف .. أولى القبلتين وثالث المسجدين فهو يشمل القبة " الصخرة المشرفة "القبة الذهبية الموجودة في وسط قلب المكان ، والمكان مليء بالمعالم الإسلامية التاريخية.. فهناك ما يزيد عن مائتين معلم تقع ضمن حدود المسجد الأقصى ففيه المساجد والقباب وسبل الماء والمصاطب والأروقة والمدارس والمحاريب والمنابر والمآذن والأبواب والمكتبات .. ويمثل المسجد الأقصى نحو سدس مساحة البلدة القديمة ، وشكله شبه مستطيل .. والقدس قائمة على عدد من الجبال جبل المكبر وطور زيتا وجبل المشارف وجبل موريا وهو القائم عليه المسجد الأقصى ويسمى أيضا جبل بيت المقدس وهناك جبل صهيون . والصلاة في المسجد الأقصى تضعف وتفضل على غيره من المساجد ما عدا الحرمين

الشريفين المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة .. وهو ثاني بيت وضع للناس في الأرض وقد بناه آدم أول البشر عليه السلام ، ثم جدد بناه يعقوب عليه السلام ، ثم بناه سليمان عليه السلام كما أخبر النبي محمد ﷺ في الحديث الصحيح عنه .

فقال الملك : ذكرنا يا وزيرنا بحديث بناء سليمان للمسجد الأقصى ، فاليهود يزعمون أن سليمان بنى هيكلا لهم .

قال الوزير : أمر مولانا السلطان . . كما قرأنا عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه . ومعنى ينهزه يدفعه .

فهتف السلطان غابطا الطيور : أوه ! لقد كسبتم الصلاة فيه في هذه الرحلة ، ونلتم تلك الفضيلة أكمل الحديث يا أبا سعد .

قال أبو سعد : أمر مولانا السلطان .. لم يبق إلا القليل أسرده على مسامعكم .. فتح المسلمون بيت المقدس في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ العام الخامس عشر من هجرة نبينا ﷺ وبقي في حوزة المسلمين إلا زمنا يسيرا عندما استولى عليه الصليبيون .

ويرجع بناء المسجد الأقصى كبناء إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأتمه ابنه الخليفة الوليد .. وأما القبة المشهورة فيه بناء مستقل عن بناء المسجد الأقصى .. وبنيت هذه القبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك عام ٥٦٦ وكمل البناء في عام ٥٧٢ قام على بنائها المهندسان رجاء بن حيوة الكندي وهو من مدينة بيسان ، ويزيد بن سلام مهندس مقدسي .. وشيد مسجد الصخرة لعلاقة له برحلة المعراج النبوي إلى السموات العلى .. فهذه أهم معالم وأخبار المدينة المقدسة .

فأثنى القوم على الطير أبي سعد على ما قدم لهم من معارف ، والتفت الوزير لرئيس الوفد الهدهد الشجاع حفيد هدهد النبي سليمان ﷺ .. وقال : لقد سمعنا رسولنا أبو سعد أيها الهدهد معرفا لنا بذلك المكان المعظم في شريعتنا .. تكلم .

قال الهدهد الجميل الهيئة : نعم ، القدس بلد عظيم تعرض لكثير من الغزو والاحتلال .. وأشار أبو سعد لاحتلال الصليبيين له مدة من الزمان .. وهو اليوم معذب ، مضطهد من قوم يزعمون أنهم من

أبناء يعقوب وأتباع موسى عليهم السلام .. وموسى بريء منهم .. الأنبياء لا يعرفون الظلم ، لا يعرفون المجازر الوحشية .. فبعد سقوط المدينة في يد جيش اليهود الصهيوني تعرض المسجد لمئات الاعتداءات ، كان أسوأها الحريق الشهير عام ١٩٦٩ في شهر آب في اليوم الحادي والعشرين .. على يد دنيس مايكل روهان اليهودي الأسترالي .. فاحترق يومها منبر نور الدين زنكي وصلاح الدين ، منبر فتح بيت المقدس ، وامتد الحريق ليشمل ثلاثة أروقة قضى على أغلبها ، إضافة إلى سقف الرواق الشرقي الخشبي للجامع بالكامل وانصهر الرخام الذهبي عن الواجهة القبلية والمحراب .. واعترف الجاني بجريمته ، ثم زعموا أن الفاعل مختل عقليا فأخلي سبيله .. وللأسف يا مولاي كان رد فعل المسلمين ضعيفا لا يكاد يسمع البتة .

فقال الملك : حسبنا الله ونعم الوكيل .. وهل من مصائب أخرى حلت به ؟

قال الهدهد الحزين : أجل يا مولاي ! فقد صادر اليهود باب المغاربة بعد هدم حارة المغاربة ، وهو باب مؤد للحرم ، وبدأت الحفريات التهويدية من عام ١٩٦٨ حول الأقصى حفريات بمحاذاة الجدار الجنوبي ، وحفريات بمحاذاة الجدار الغربي وعلى شكل نفق ، فتصدعت نتيجة تلك الحفريات مبان تاريخية وأثرية ، وفي عام ١٩٨٢ قام الجندي الصهيوني ألن جولد مان بإطلاق النار داخل القبة فقتل اثنين من المسلمين وجرح ٤٤ آخرين ، مما دفع اليهود لإدخال قوة حماية داخل الحرم القدسي .. جرت محاولات نسف للمسجد بالمتفجرات ؛ ولكنها لحد الآن باءت بالخيبة والخذلان .. وتهويد المدينة قائم على قدم وساق .. والعالم الإسلامي يتفرجون لا يحركون ساكنا . وكذا الاعتداءات على مقبرة مأمن الله الإسلامية مستمرة ، أرأيتم يا قوم حتى مقابر القدس لم تسلم منهم ؟!

قال الوزير : بارك الله فيك ؛ ولكن الآن انتبهت أنكم أربعة ، والذين سافروا خمسة فأين الطاووس الأبيض ؟

ذرفت دمعة من عين الهدهد وقال : لقد اغتالوه يا مولاي ..!

سمع صوت همهمة ودهشة فقال الهدهد مبينا : أخطأ الطاووس الدرب ، وطار فوق منطقة عسكرية ، فحسبوه طائرة مقاتلة تريد أن تلقي عليهم قنابل ، كما يفعلون في البلاد المحيطة وغزة فسقط شهيدا كآلاف الشهداء .. حتى يتم أمر الله ﷻ .. والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال الملك : بماذا تنصحنا يا أيها الهدهد الشجاع ؟

قال الهدهد : يقول الناس حائط المبكى والصحيح

أنه حائط البراق حيث ربط النبي ﷺ البراق عندما عرج للسماء ، ويقولون هيكل سليمان والصحيح أن نقول المسجد الأقصى .. والقدس هي القدس .. وليس البناء فقط .

قالت وردة : برافو حبيبي جوهر أتحب الأقصى ؟

قال باستهجان : كيف لا أحبه ؟ وله كل هذه الفضائل كما يقول أبي.

ـ عظيم ! قرأتها على أبيك .

قال عصام : منذ جاء .. فاتك شيء .

ـ أي شيء ؟ وكانت تلتفت تارة لعصام وتارة لجوهر.

فصاح جوهر فرحا ، وقال : آسف حبيبتي ماما .. نسيت أن أقول لك اسم كاتب القصة .. الأقصى تحت الاحتلال.

قالت : من ؟ ! المعلمة أم ...

ضحك جوهر سعيدا ، وقال: قال أبي الكاتب صديق لكم .

ـ صديق لي ! ما اسمه ؟

قال: جمال بن محمود.

قالت بدهشة : بحق ! محرر صفحة الإسلام في صحيفة فجر الأمة .. نحن دائما ننظر صفحته الدينية .

قال عصام : هو صديقنا الذي دعوناه لهذا البيت ، لنتعرف عليه شخصيا .. فلما قرأ جوهر القصة اللطيفة اتصلت به ، وأكد لي أنه هو كتبها فعلا لبعض المراكز المهتمة بالأقصى .. وطبعوها ووزعت على الأطفال .

انشغل الناس مثقفون وعوام بثورة الشعب المصري ، واهتموا بها لحجم مصر وأهميتها في العالم العربي والعالم ، وجاءت بعد نجاح الثورة في تونس ، والاحتجاجات في مصر قائمة من عهد بعيد ، تنشط وتضعف

وانشغل الطالب جهاد نجيب بدراسة القانون صباحا مع طلبة الفصل الثاني الدراسي ، ومساء مع طلبة دراسة الفصل الأول ؛ لأنه لم يلتحق بالجامعة إلا في الفصل الثاني مطلع شباط .

الماجستير الأردني ثلاث وثلاثون ساعة معتمدة ، توزع على أربعة فصول ، كل سنة فصلان ، وتوفر الجامعة فرصا للدراسة المسائية حتى يتاح للموظفين والعاملين الالتحاق ببرامج الدراسات العليا ، وعندهم برنامج يسمونه الشامل يأخذ الطلاب ساعات دراسة بدلا من كتابة الرسالة ، ومن يتعاقد على الرسالة ينقص من ساعاته تسع ساعات ، يعني أن الرسالة تعادل تسع ساعات ، فاختار جهاد كتابة رسالة ؛ لعلها تفيده في حياته الأكاديمية.

سيقدم أطروحة بعد إنهاء الساعات المعتمدة ، ويبدأ الإعداد للرسالة من البداية وتناقش بعد

اكتمال والنجاح في المواد المدرّسة ، ويعين أستاذا مشرفا على الرسالة من قبل عمادة الكلية ، يتابع ما يكتب الطالب أولا بأول ، ثم تعين لجنة آخر الدراسة لمناقشتها ، وتبيين أخطاءها . وكان يحدث رفيق عمان عن المساقات ، بأن بعضها إجباري ، وهو الأكثر وبعضها الاختياري يختار مادتين من عدة مواد .

قال : تعرفت على طالب من بلادنا من نفس المنطقة ، لكنه من تاج الزمان ، وأنا من الحي بعنبس ؛ لكنه لا يصلي ، وأنا لا أرتاح لصداقة لمن لا يصلي، أخذت ذلك عن عمي حبيب ، لي أخت أصغر مني لا تصلي ، لا نتكلم معا ، نتهرب من اللقاء ، الصلاة عمود الدين ، لا خير في رجل لا يصلي ، الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. فكيف سنأمن لمن لا يصلي يا محسن قال الله { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا } أرأيت ؟ من لا يصلي سيتبع الشهوات .. اكتفينا مرحبا .. السلام عليكم ، ووجدت لديه أفكارا غير مريحة أضطر في الكلية والكافتيريا للجلوس معه .. فحاول أن يستدرجني للقاءات خارج الكلية فاعتذرت بضيق الوقت .. كما ترى ، ولا أحب جلوس المقاهي إلا حالة الاضطرار لمقابلة شخص .

قال محسن : ولا أنا ، لا أحب لعب الورق ، قراءة مقال في مجلة أو صحيفة خير وأفضل من جلسة ورق وشدة .

قال على هيئة مذاكرة : الفصل يا أبا صهيب ثلاثة مواد ، والمحاضرة ساعة ونصف ، يمتد الدوام إلى نهاية حزيران ، ثلاثة أيام في الأسبوع والمسائي أربعة أيام ، كل المواد أو أغلبها معروفة ودرستها في البكالوريوس تتوسع قليلا ، الفصل الحالي سأدرس مجموعة من القوانين ، القانون الإداري الذي يهتم بالتنظيم الإداري للمؤسسات في الدولة في الجامعة في المستشفى في الشركات الكبرى وحتى الصغرى كل شيء اليوم محكوم بقانون وأنظمة ، الوظيفة العامة ، العقد الإداري القرار الإداري، الأموال العامة التنظيم ، ومادة القانون المدني تعني عقود البيع الإيجار المعاملات المالية كما في الفقه الإسلامي ، وأما المادة الثالثة الضرائب والمال العام للدولة الإيرادات والمصروفات وميزانية الدولة ، منازعات ضريبة الدخل ، والجمارك .. الماجستير إعادة تذكر ما درسنا في البكالوريوس ، ففي الحياة العملية يمارس نوع واحد أو اثنان .

قال: والله نحن نوقع عقودا ، لا نمارس القانون في الشركة ، ولكن لديهم فريق محاماة وقع أوقع

قال جهاد : مادة القانون العام الدولي ، والجزائي، التسوية السلمية ، قانون البحار القضايا

والمنازعات الدولية المنازعات المسجلة مشاكل بين الدول ، أما الجزائي أو الجنائي فله علاقة بالعنف والجرائم والعقوبات التحقيق الجنائي قانون العقوبات طرق الأثبات وطرق النفي والطعن فيها ، والمادة الثالثة جميلة وهي مادة اختيارية المواريث في الشريعة الإسلامية ، الوصايا موانع الإرث ، أصحاب الفروض والحجب .. علم دقيق .

ـ أنت اخترت الرسالة .

قال : رأيتها أفضل مستقبلا ، كمدرس جامعة أفضل من الساعات .

ـ كم ساعة المجموع ؟

قال: ١٨ ساعة مدار العامين إجبارية ، وست ساعات اختياري أي مادتين ، ورسالة تغني عن تسع ساعات ، وسأزعجك بالحديث عنها لأذاكر أنا .

قال: مع أنه موضوع أكاديمي يا جهاد ! لكنه ممتع .. نحن نتحدث مع أبنائنا بمعلومات مدرسية كلنا مرت عليه ، نحن كما تعلم في قضايا القانون نفزع إليكم ؛ لتساعدونا .. أنت لماذا اخترت القانون ؟

قال معاكسا : لماذا أنت اخترت الهندسة؟

قال باسما : أنا أبي حبب إليّ هذا الفرع من الدراسة ؛ كدخل جيد ، وموقع اجتماعي بين الناس والأسرة خاصة .

قال جهاد : أنا ولدت في بيروت ، أبي له قصة مع الموساد ، اتهم أو شارك بقتل ضابط شاباك ، عندما عمل طبيبا في رام الله مع إحدى المنظمات الفلسطينية اليسارية ، حركة صغيرة ، لا مع جورج الشعبية ، ولا حواتمة الديمقراطية ، ولا احمد القيادة العامة ، كانت عشرات الفصائل تعمل لتحرير فلسطين من البحر الأبيض إلى نهر الأردن والبحر الأحمر .. فلسطين كل فلسطين كلها تعمل في الساحة الفلسطينية ، لما سقطت الضفة ، كما اشتهر عام ٦٧ هرب إلى هنا ، ثم تسلل إلى سوريا ، كان للفدائيين نشاط قوي هنا قبل حرب أيلول الأسود ، ومن سوريا إلى لبنان وحين انتهى أمرهم هنا قويت شوكتهم في لبنان، وسمحت لهم سوريا بعمل قواعد تدريب دون نشاط عسكري ضد إسرائيل ، ولما اضطرت إسرائيل لمحاصرتهم في بيروت عام ٨٢ خرج أبي لقبرص برفقة أمي ، وهناك اختفى حتى اعتقدنا أنه مات ، ووزع ميراثه ، ثم تبين أنه لم يمت .

قال: والله قصة مشوقة يا جهاد !

قال: نشرتها الصحف في منتصف عام ٢٠٠٩ عندما تبين أن والدي كان يعيش متخفيا باسم آخر في كوبا بحماية مخابرات كوبا .

قال: صحف ٢٠٠٩ شهر ...

قال: أيار ، مات في أول يوم من ٢٠٠٩ ، وعرفنا

خبره في آخر خمسة ، فوجدناه مليونيرا في الكاريبي البحر الذي يفصل بين الأميركتين .. ولولا تلك الملايين ما علمنا بحياته .

ـ قصة رهيبة !

قال جهاد : ترك مذكرات ذهبت وأحضرتها من كوبا، والعائلة تفكر بدفعها لصحفي أو كاتب مشهور يجعل منها كتابا للأجيال ، لم يكن أبي للأسف مؤمنا ، كان ماركسيا ، وأثّر على أمي التي درست إدارة عمل ، ومن خلال عيادة أبي تعرفا وتزوجا ، وكان عمره ٣٨ ، وأمي ٢٣ ، وولدت منه خمسة قبل هربه مختفيا من الموساد ، ولدنا في بيروت ولست أصغرهم ، لي شقيقة أصغر مني.. فأبي طبيب وأختي الكبيرة بكر الأبوين طبيبة نساء ، وأخي الأكبر طبيب عام ، وأخي سالم مهندس ، وأنا اخترت المحاماة ؛ ليس حبا بها ؛ إنها الرغبة في التغيير والمخالفة والصغيرة طب عام .. أنا وشقيقي سالم ابتعدنا عن الطب .

ـ سيرة عجيبة يا أبا عبدالله ! أنت متدين على خلاف أبيك .

قال: لما اختفى كنت طفلا دون الخامسة ، فلما خرج من بيروت هاربا ، حضر خاليّ لسوريا ، وساقانا لعمي في بعنبس ، وعمي مهندس زراعي متدين جدا على خلاف أبي .. أبي درس قبل الخمسينات في جامعة بيروت الأمريكية وهي جامعة تنصيرية وتلك الأيام انتشر فكر ماركس وأنجلز في بلدان العالم والإلحاد ، والعم رفض أن يسلمنا لأمنا .. وهذا من فضل ربنا ورحمته فوفقنا الله للتدين صغارا.

قال: حديثك ممتع جدا ! ماذا تحب أن تشرب ؟ فنحتاج لشرب الشاي.

قال جهاد قائما : أنا سأعمل شايا .. ذكريات يا محسن ! الإنسان تأتيه لحظات يتذكر فيها صفحات من الماضي والتاريخ .. كيف صار طبيبا مهندسا محاميا ؟!

قال : نحن واحد ما دمت عازبا ؛ فأنا في مكتبنا أحب أن أكرم الإخوان بالشاي .

قال: نحن واحد .. أنت اعمل الشاي ، وأنا احضر بعض الخبز والجبن والزيتون.

نشطا إلى المطبخ ، كان هذا الوقت من نهار الجمعة الأولى من شباط ، جهز الشاي والخبز والزيتون والجبن وتخلل الطعام الحديث عن مظاهرات مصر والثورة الناشبة فيها .

قال جهاد : أنا عملت محاميا في مكتب أخ زوجتي منذ تخرجت ، تدربت عندهم ثم تصاهرنا أحببت الدراسة في أوروبا فرنسا ، وحدثني صديق بتقديم أوراقي للجامعة الأردنية عن طريق مكتب مساعدة الطلاب للالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية ، وشجعني للدراسة في عمان

قال: هل تتابع أخبار مصر ؟
قال: أحيانا أتفرج على قناة الجزيرة الإخبارية ، كلها عن مصر ، لهم مصور في قلب الثورة وميدان التحرير.
نهض محسن ، وشغل الرسيفر على قناة الجزيرة لسماع برنامج آخر الليل ، كانت الاحتجاجات نشطة في عدد من الدول العربية ؛ مطالبة بالتغيير والإصلاح والعدالة ، ومحاربة الفساد ومكافحته ، حراك في الأردن والسودان والجزائر واليمن ؛ لكنها لم تكن بقوة زلزال مصر وتونس.
قال: هل يطالب شعب الأردن بتغيير نظام الحكم والملكية؟
قال: لا ، الإصلاح ، ومحاربة الفساد، النظام الأردني والحكم الهاشمي عامل توازن واستقرار في هذا البلد .
قال: كيف؟
قال: فهنا شوام ، أعني سوريين ، وسكان أصليون يعيشون هنا قبل قيام الدولة عرب وشركس وكرد وشيشان ودروز تتر وحضر وبدو وفلسطينيون قبل النكبة وبعدها ، أول رئيس وزراء لشرق الأردن لبناني درزي اسمه رشيد طليع على ما أذكر من عشائر بني معروف الدرزية ، كانوا أنصار الملك الأول عبد الله ابن الشريف حسين مؤسس المملكة الهاشمية ، وهذا البلد أسسه الإنجليز بعد انتصارهم على الأمة العثمانية التركية ، وأسسوا العراق الهاشمي الملك فيصل الأول مؤسس أول حكومة عربية في دمشق ، وفرنسا أنشأت لبنان وسوريا وأضافت بريطانيا إسرائيل عام ٤٨ ، وشطبت الشعب الفلسطيني من قائمة الدول ، والعرق الكردي لم يحظ بدولة ، فالإنجليز أنشأ مملكتين ، والفرنسيون جمهوريتين ، ودولة لا هي جمهورية ، ولا هي مملكة ، هي إسرائيل ، وشعب بدون دولة.

زيارة عائلية

طرقت الباب بعد ضغطها الجرس ، فجريدة تعرف مستقر شقة عارف في حي العين من أيام زواجه بميرا ابنة صديقة أمهم ، ففتحت روز الباب ، وسمعت : مرحبا روز ! أنا جريدة شقيقة زوجك هذا . الرجل الذي كان يقف وراء روز.
سلمت على روز وقبلتها ، وصافحت عارفا ، والتزمته مقبلة وجنتيه ورأسه ، وفعل مثلها بتقبيل رأسها .
وساقها عارف لغرفة الزوار ، كان الجو باردا وماطرا ، والأرصاد الجوية تتحدث عن سقوط الثلج ، فأشار لها بالقعود ، وقال : هذه حبيبتي روز يا جريدة ! تأمليها جيدا ، وفي بطنها محمد
تأملتها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها وهمست ممازحة : كيف حالك يا عمة لوز ؟ .. عفوا روز

بدون عمة .

قال : روز أو لوز قد لا تحب كلمة عمة يا حجة جريدة ! روز أصغر منك بسنوات سبع سنوات وأشهر .

قالت : الحمد لله يا سيدتي ! شرفت المكان ؛ ولتأخذ راحتها ما دامت أختك ، فهي أختي ؛ لكنها لا تشبه الدكتورة .

قالت جريدة : يا يا تلك ملكة جمال يا سيدة روز!

فقال عارف : وأنت ملكة الزنوج .

فغمرهم الضحك ، فعارف يحب المداعبة واللعب على الكلمات والمزاح .

قالت : أهلا وسهلا دكتورة .. بماذا نبدأ ؟

قال: شاي يا حبيبتي! سأتصل براتب ليجلب لنا العشاء .. فهذه زيارة كبيرة !

قالت : موجود لدينا الطعام الزاكي .

قال : جريدة تحب طبيخ وطعام المطاعم ، تعودت على ذلك . فتح الهاتف ، وهو ينظر في عيني أخته ، ويطلب من راتب أصناف الطعام ، وجريدة تهز رأسها ؛ لأنه يطلب ما تحب هي،

اغلق الهاتف ، وقال : نسيت أن أسالك عما تحبين.

قالت : سمعت ما طُلب ، لم يصل السقم أذناي ..كله طيب ، بس لم تطلب ذاك.

قال: إجازة لبعض الساعة يا ابنة الكرام ! والتفت لروز وقال : تسأل عن المسكر .. شربينا الشاي يا روز .. ها هي المربية في باب المطبخ .

قالت : عندك مربية!

قال: نسيت سلمى ، المربية لسلمى ، وليست لي ، ولا لروز ، روز تربت أحسن تربية ، عمرها ما رافقت شابا في المراهقة ، ولا الجامعة .. أمها امرأة صالحة.

قالت : هل تعلم أني رأيت أمها وأنا في فينا ؟

صرخ : أم من ؟! عفوا قصدك ميرا أم سلمى ! ماذا تفعل هناك؟ كانت تشم هوا في برد فينا .

نظرت لروز وقالت : هل تعلم روز لم طلقت ميرا؟

قال: تعلم أنها خائنة لفراش الزوجية ،وماذا تفعل في فينا؟

نظرت لروز من جديد ، وقالت : تشتغل في بار الفندق .وابتسمت .

قال: هذا مصير كفر النعمة والخيانة .

قالت : هناك عمل آخر !

قال: عرفته ! الدعارة .. ابتسامتك بينت ذلك .

قالت : تشتغل بجد.. الزنا بفلوس .. يدفعون ألف دولار للزانية ، وخمسة آلاف دولار .

قال: أغلبها يا حجة جريدة تذهب للفحوص والعلاجات اليومية والأسبوعية خشية نقل الأمراض الجنسية ، ومنها قسم للضرائب.. هناك بنات الهوى لهن رخص للزنا .

قالت : ضرائب على الزنا .
قال: الدولة تأخذه ، والبغاء مهنة عالمية .
قالت : أول مرة أسمع !
قال: ألا تسمعين بالإتجار بالبشر والنساء والرقيق الأبيض ؟ في بلاد تصدر عاهرات ومومسات والسياحة تنشط من أجل ذلك .. هل هم يسافرون لرؤية الحجارة والتماثيل وبس .
فقالت روز بسذاجة : لماذا تخون المرأة زوجها ؟
ضحك عارف عاليا ، ووجمت جريدة ، وقال : هبل ، وبحث عن الإثارة ، كله كذب وحمق ، الرجل الخائن يفعل ذلك ؛ لأنه يفعل أمام الزانية ما لا يستطيع فعله مع الزوجة من قبح ، والخائنة تفعل ما لا تستطيع فعله لزوجها من قبح ..
وتابع ساخرا : لو اشتغلت أنت والمنتحرة هذه الشغلة في سياحتكم الخاصة لعرفتم القانون .. الحمد لله الذي نجاكم من ذلك .. اشربي شايك الذي ثلج مالك واجمة يا روز ! لا تخافي منها ومن حدة نظرها ،فهي تحبني .. وأنا أحبها أختي الصغيرة .
حضر الطعام العاجل تحمله سيارة نقل الطعام للأسر والتجمعات ، فتح لهم عارف الباب ، وأدخل عمال راتب الطعام إلى مائدة الأكل في المطبخ ، أعطى عارف السائق الثمن حسب الفاتورة ، وأعطاه بقشيش العمال ، وذكره بتوزيعه ، وهو يثني عليهم ، وأغلق الباب خلفهم وصاح بمرح : إلى المائدة يا أختي الحبيبة!
استدعيت سلمى للمشاركة معهم ، وحملتها عمتها وقبلتها ، وأجلستها على مقعد حول الطاولة وكانت المربية تناولت حصتها من يد روز ، وبدأ الطعام .
فقالت : زوجتك معلمة كما قلت لي ، وأنت معلمة حبيبنا جوهر تجلسين معنا ؛ كأنك تلميذة على مقعد الصف .
قال ضاحكا : هكذا ربيت وعلمت ، هكذا الأدب والتربية .. روز لا تحب كثرة الثرثرة والكلام اذا لم تسأل أو يوجه لها الخطاب تلزم الصمت .
ـ معقول !
قالت : لا أدري هو يقول ذلك ؛ ربما تعودت على قلة الكلام مع الناس .
قال : هذه صفة طيبة اذا بقيت فيك !
ظل الكلام حتى انتهى الطعام ، وأخذت روز بتنظيف المائدة ، ونقل ما ينفع للثلاجة ، وما لا يصلح لسلة القمامة .
وعارف وأخته سبقوها لغرفة الاستقبال ؛ حيث بدأت الجلسة ؛ وحيث رفع حنجرته بقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين .
وتابع : لعل السبب لمجيئك إلينا منذ رحلت سببا وجيها .. سنة لي أسكن هنا .

قالت : سنة لك راحل !

قال: لا وقت لديك للزيارات العائلية .. أهلا وسهلا .

أحضرت روز إبريق شاي لذيذ ، وسكبت الأكواب ، ووضعت أمام جريدة كوبا وآخر أمام زوجها ، وآخر صغيرا أمامها ، فشكرتها جريدة ، وفتحت حقيبة اليد التي ما زالت من علامات الأنوثة ، ومصيدة للنشالين لسرقة الخلويات والمال وأخرجت علبة مجوهرات: مبارك يا روز الزواج ! هدية الزواج اقبلي هذه الهدية المتواضعة من أختك جريدة .. لا تنتظري الإشارة العارفية .

ابتسم عارف وقال : خذيها .. الهدية لا ترد .

وأخرجت ساعة ثمينة مطرزة بجواهر ، ومدت بها لعارف ، وقالت : هذا الشيء لك يا أخي الكبير من أختك الصغيرة .

تحسسها وقال : حلوة ! ساعة توصية . وضعها على ساعده .

شكرت روز جريدة على هديتها وإن تأخرت، وقالت : غالية من الغالية.

قالت : شكرا روز! أتمنى لك السعادة مع هذا الأخ العزيز .. للأسف لي أخوة ويزعمون أنهم شيوخ ، ولا يتصلون بي رغم الأمراض التي حلت بي في الفترة الأخيرة .

ضحك عارف وقال : دائما يرسلون معي تحياتهم لحضرتك .. بس هما لا يحبون رؤية أختهم بهذا الزي ، لو لم يكن الجو باردا لجئتنا شبه عارية .. المعطف اخفى بدنك .

صاحت : أنت سخيف ! هذه ثياب عارية يا روز

قال: تنورة أو فستان للركبة ! أليس عريا يا جريدة ؟ يا روز البنت تستورد الألبسة الغربية حسب الموضة .. كيف تقبل النساء بهذا الزي؟ واذا علق أحدهم ترد عيب .. حرام .. أنا مثل أختك .. أمك تشتري فستانا أو تنورة أو أي اسم بآلف دولار خمس آلاف .. لا يصلح ممسحة

قالت : طولنا التنورة ، وألبس السراويل الطويلة ـ لأجل المطر .

قالت : هكذا تعودنا يا روز ؛ كما تعودت أنت على لبس الجلباب وتغطية الرأس.

ثم قالت جريدة : سمعت أن جهادا سافر إلى عمان .

قال: له أسبوعان مسافر في طلب الدكتوراه ـ سهل الله دربه ـ سيتزوج عَمانية ويستقر هناك.

ضحكت روز ، وردت جريدة : أتسخر مني ؟!

قال: ممن سمعت ؟ من كشف لك السر ؟ فالذي أخبرك لم يقل ماذا ذهب يفعل ؟

قالت : أرغمت نفسي وذللتها ، وتحدثت مع أختي الكبيرة لأزروها ، فرفضت استقبالي .. فعصام لا يحب أن يراني سافرة ؛ كأنهم لا يرون السافرات في

شوارع بعنبس يا روز !

قال: حر هو في بيته .

قالت : فاتصلت بالحر على الفور ؛ فكأنه ذكر اسم جهاد في الحوار ، فسألت عنه مجاملة وخجلا منه ، فقال عصام : سافر جهاد لعمان ، وخجلت أسأل ماذا ذهب يفعل في عمان ؟ فقلت لنفسي اذا فطنت أسأل أخي الكبير الذي يخبرني بأخبار أسرة نجيب عارف باستمرار .

قال: ماذا قال عصام عن اللباس ؟

قالت وهي تضحك : رحب بي ، ولم أسأله عن اللباس المناسب لزيارة وردة ؛ لذلك أريد أن ترافقني إليهم .. اشتقت لجوهر .

قال: كبر جوهر صار طولك .. البسي بنطالا أسود ، ومعطفا أمريكيا أسود فتبدين محتشمة .

قالت : أسود ! وما الفرق يا جميل بين الأسود والأخضر ؟!

صاح : أسود أسود .. متى ؟

قالت : حسب وقت المدير .. قلت لي في المستشفى إن لديك عملا لي .

قال: ما زال التوظيف قائما .. ها هي أخت روز توظفت عندنا ، وبدأت تنتهي عملها في شركتها فهي محامية ، فعينها إبراهيم للعمل في المؤسسة مندوبة عن مكتبهم ، ولدينا أشياء لولا المؤسسة ما عرفتها .. أعرفها لأول مرة ، ولديّ مساعدون دكاترة في الإدارة والتجارة.

قالت : ما الذي يصلح لي لتسلية نفسي ؟

قال: عمل للتسلية فقط أم هناك جدة يا حلوة!

قالت : ماذا تبيعون في مؤسستكم التي بدأت إعلاناتها في الصحف واللوحات الإلكترونية ، أتبيعون الدخان ؟

قال: نبيع ما يساعد على ترك الدخان ، لدينا أنواع كثيرة من الصابون الطبي الذي لم أسمع به من قبل .. حليب أطفال عشرات الأصناف من دول العالم خاصة أوروبا .. قطع شوكولاتة طبية .. ملابس طبية لبعض الأمراض .. جوارب لمنع الجلطات أثناء العمليات ، جوارب لتسلق الجبال .. الجورب بمائة دولار .. ملابس داخلية لمن يعاني من أمراض جلدية وحساسية مع أني طبيب وجدت نفسي أميا ؛ لكن كتالوجات عالمية تجدين فيها هذه الأشياء.

قالت : ملابس داخلية طبية لماذا ؟

قال ضاحكا: أنت طبيبة عليك الاهتمام والمعرفة .. أنا أتكلم ؛ لتعرف روز .. هي للرجال والنساء والصغار .. تساعد على امتصاص العرق ، وتسربه إلى الملابس الخارجية .. حمالات الصدر التي لا تترك أثرا على البدن ، ولا تسبب الالتهابات تحت الصدر .. والسراويل الضيقة تسبب زيادة في الإفرازات المهبلية ، وتسبب الحكة .. فالثياب

الفضفاضة والقطنية ومواد أخرى تمنع ذلك وتخففه .. مرضى سلس البول والجرب يحتاجون ملابس طبية ، ملابس فترة النفاس والولادة القيصرية من أثر الجرح .. حزام البطن بعد الولادة .. وأحذية وشباشب طبية لبعض المرضى وللأصحاء .. ولدينا مستودع أعشاب طبية الطب البديل عشرات آلاف الأصناف تدخل المستودع الطبي الطب الطبيعي .. عندنا أكثر من عشرين نوع من العسل .. لدينا عسل مر من شجر الكينيا ، شمع العسل.. العطور والشموم ذات الروائح منومات حديثة ، مهدئات، منشطات مباحة .. حبوب فتح الشهية ، والكراسي الطبية ، والأسرة ، والعصي.. نحن أميون أمام هذه المنتجات الرهيبة .. مجاهر المستشفيات ، ومختبرات المدارس ، والجامعات والمراكز العلاجية.. أعشاب تستخرج من البحر من البر والجبل .

قالت : ماذا أعمل معكم ؟

قال: سكرتيرة لي .

قالت : لم تعينوا سكرتيرة .. مدير بدون فريق من السكرتاريا .

قال: أنا عندي سكرتير وسكرتيرة ، وكل مدير له نفس العدد ، تقام في العالم معارض وتجمعات لمثل هذه المنتجات ، فلابد من رحلات عمل بدلا من رحلات الجنس.

قالت : الرحلات حلوة ! تناسبني هل من مجال فيها؟

قال: سأرى .

قالت : عندما ترى ، قدم لي طلبا .

ربيع العرب

فور انصراف جريدة وإغلاق باب الشقة خلع ملابس الخروج ، ولبس ملابس البيت ، وعاد لغرفة الاستقبال ، وخاطب حليلته : كيف رأيت أختي الصغيرة ؟

قالت : ماذا أقول ؟ لقد كنت قاسيا عليها .

قال: هكذا تعودنا يا روز الغالية ؟ كيف صحة الجنين ؟

ردت : تقول وردة وشريكتها ثروت : إنه تمام ـ بفضل الله ورحمته ـ وزنا وطولا ودقات قلب الحمد لله .

قال: الحمد لله .. لم أكن اعتقد وأتصور أنه يوجد بنات بهذا الأدب والخلق .. هدوء احترام .. وبحبك لهذا العجوز.

قالت : أنا بحب العجوز .. أنت قدري ونصيبي يا سيدي ! وأمي تهديك التحايا وتشكرك على العسل الذي أرسلته لها .

قال: لما دخلت مستودع الأعشاب ، ذهلت مما فيه من بضاعة وأسماء.. الدكتور سميح وابنه خبراء طب شعبي أو بلدي آلاف الأسماء .. العسل أكثر

من عشرين نوعا من بلاد شتى .. أغلبه من مصر وتركيا ..كل أعشاب العالم تباع عند سميح و سعيد.

قالت : الله يوسع عليكم .

قال: آمين .. اسمحي لي .. سأتصل بوردة .

قالت : أقدم لك شيئا .

قال مفكرا : اذهبي للنوم.. سأكلم وردة عن زيارة جريدة ، ورغبتها بالصلح مع جهاد وسالم فهذا يا روز يوحي بشيء مهم .. يا روز الصلح مع جهاد يعني تغييرا في نمط حياة جريدة .. حتى زيارتها المفاجئة فيها رسالة ما .

انصرفت الفتاة لغرفة نومها بعد أن مرت على غرفة سلمى، فوجدتها نائمة فقبلتها ، ودعت لها بالحياة السعيدة .

قال: كيف حال أختنا الكبيرة ؟

قالت : بشوق للحبايب .

قال: هل اتصلت بجهاد ؟

قالت : غير رقمه .. انتظر اتصالا منه ، يبدو أنه انشغل بتجهيز الشقة والدروس ويقول سالم إنه يدرس صباحا ومساء ؛ لتعويض الفصل الماضي .. وأنت ما أخبارك وأخبار روز ؟

قال: روز كانت عندكم اليوم .. كيف أمورها ؟

قالت : ما شاء الله ! بارك الله لك فيها! سمعت أن عندكم أنواعا من العسل .

قال: كل أعشاب الدنيا عندنا ، المستودع فيه ثلاثة أطباء سميح وابنه بدر وسعيد شريك لهما .. سيقدم سعيد لعصام وصفة يشفى بها بإذن الله من مرض الأعصاب لابد من التجربة يا وردة !

قالت : رضينا بقدرنا.. ورحنا أمريكا، ثم فرنسا.

قال: الأسباب من القدر ؛ كما جربتم أدوية الطب البشري فجربوا طب الأعشاب .

قالت : كما تشاء ..

قال : كيف هو الدكتور ؟

قالت : كلنا بخير .. وجوهر يسلم عليك ، ويسأل عن سلوم .

قال: ستزوره بعد زوال فترة البرد ..كانت عندي جريدة.. خرجت قبل الاتصال أحضرت لي ولروز هديتين بمناسبة زواجنا قبل ثلاثة أشهر .

قالت : خبر خطير على الشاشة يا عارف! رئيس مصر يتنحى هكذا يقال .. تنحى عن العرش انكسر الكرسي الثاني .. الشعب المصري يكتب تاريخا جديدا .

قال: صحيح !

قالت : بيان بتنحي الرئيس عن حكم مصر .. ما أخبار أختنا الصغرى ؟

قال: ترغب بالصلح.

قالت : معي!

قال: مع جهاد وسالم .

قالت : مع جهاد ! معقول ! هي تعلم أن جهادا في عمان من عصام.

قال: قالت لي ذلك .

قالت : هل ستسافر لعمان لتصالح جهادا؟

قال: هذه بوادر طيبة يا وردة ! الصلح مع جهاد يعني بوادر تغيير .. عليك أن تسعي في ذلك

ـــــــ

قال محسن مهوّوسا : العدوى شغالة ! تونس مصر اليمن الأردن ليبيا .. تغيرات كبرى تحدث في التاريخ المعاصر .. هل تصحى شعوب العالم النائم ؟ العراق البحرين الجزائر السودان المغرب .

قال : رغم أنني لا أحب السياسة ودهاليزها ، وكذبها كثيرا .. مرت عليّ فترة عشقتها .. في آخر سنة في الثانوية ، وأول سنة جامعة .. الكل يتكلم في السياسة والأخبار ، فكنت أشتري مجلات سياسية محلية وخارجية .. مثل المستقبل الحوادث على ما أذكر .. الوطن العربي من باريس فلسطين الثورة .. فلسطين المسلمة وأسماء كثيرة .

قال: لم تعد مهمة بعد ظهور الفضائيات الإخبارية

قال: كانت الوطن العربي من باريس ، الشرق الأوسط من لندن ، الجمهورية المصرية وإصدارات دار الأهرام مجلة الشباب ، لغة العصر .. الجمهورية السورية .. اليمامة السعودية مجلات الثورة الفلسطينية.. فلسطين المسلمة وغير ذلك من المجلات .. فاكتشفت في آخر المطاف أن ذلك تضييع وقت ولا أي فائدة بالنسبة لي .. واهتممت بالجانب الديني والكتب الإسلامية والمجلات الإسلامية مثل كتاب الأمة ، مجلة منار الإسلام ، عالم المعرفة الكويتية ، الأزهر ، الحقوق الكويتية ، مجلة الدراسات الإسلامية الكويتية مجلة الحكمة اللندنية ،البيان اللندنية السلفية .

قال: أحسن شيء فعلت ! السياسة تؤثر فينا مهما ابتعدنا يا صديقي! مرغمون على القراءة والسماع .. السماع وحده لا يكفي .. من يسمع فقط سيتوه ، لابد من القراءة لمعرفة وجهات النظر .. هذا الشعب الذي ابتعد عن السياسة والحكم طحنته هذه الأنظمة ؛ لذلك تمرد ، واستيقظ، شبع ظلما ، وخسفا ، وسخطا فاضطر للسياسة .. عشرات الملايين هاجروا ، تركوا أولادهم ووالديهم وزوجاتهم الصغيرات من أجل لقمة العيش للستر ؛ لإبعاد شبح الجوع عنه وعن أسرته ، فساد في توزيع ثروات الوطن الذي يفدى بالأرواح .

رن الهاتف قال : هذه أختي الكبيرة يا أبا صهيب !

قام محسن وقال: سأقوم لعمل كوبين شاي مصري .

أشار له بتفضّل وقال: نعم ، أم جوهر .. وعليكم

السلام عساك بخير !

قالت : الحمد لله وأنت .

قال: أتكلم مع صديق عماني ،المهندس محسن ، ووالده المهندس سعيد مهاجر من بعنبس لعمان كيف الأهل ؟

قالت : كلنا بخير وبفضل ورحمة من الله .. وأنت وبدون أم عبد الله .

ـ الحمد لله .. اليوم ظهرا تحدثنا سوية.. تفكر بالرحيل إليّ .. ما رأيك؟

قالت ضاحكة : أفكر بمرافقتها .. زمان ما خرجت من بعنبس.

قال: فعلا زمان ! كيف حبيبي عصام والفتيان ؟

قال: هو يسمع الدردشة ؛ لأني فاتح الـ سبيكر .. بسلم عليك ، وسيتكلم معك سأفكر بجد عصام يقول غياب أسبوع فقط ، مسموح السفر .

أعطت الهاتف لعصام ودردش مع عصام بضع دقائق، ثم قال : تابع مع وردة .

قال: يقول رتب مع أختك ، وأنت أقول رتبي مع أختك أم عبدالله ؛ لأنها تلح بالسفر والحياة معي ؛ كأنني لي سنة غائب لم أكمل الشهر.

قالت : الحب الحب يا حبيبنا !

قال: ونعم الحب .. كيف محمد ومي ؟

قالت : ما شاء الله يمشون ، ويأكلون معنا .. أنا اتصلت لأمر قبل أنساه.

قال: تفضل يا محسن .. ما هو الأمر ؟

قالت : أختك الصغيرة لديها رغبة بفتح صفحة معك .. تريد الصلح معكما.

قال: الصلح ! هي محاربتنا وتعتبرنا خصوما وأعداء .. تصير مثلك تلقائيا نعود أخوة وحبايب يا وردة .. نصير أصدقاء والأهم مني ومن سالم العم .. أخبرني عمي أن عمتي أخته سعيدة تعبانة

قالت : الحجة سعيدة تعبانة ؟ هي أكبر من عمي

ـ أجل ! قمتم بزيارتها .

قالت : فعلنا ذهبت وعصاما وعارفا وروز .

قال: جريدة!

قالت : تلعب وحدها .. جريدة تفكر بالعمل بالمؤسسة .

قال: ماذا ستفعل؟

قالت : يقول عارف ستعمل في قسم الرحلات ، رحلات عمل لحساب المؤسسة

قال معجبا : والله فكرة ! هذه أفكار عارف .

قالت : أخته !

علق فقال: عارف موهبة ! كانت أمك دافنتها بسيطرتها عليه .. سلمي عليها وهي عارفة شروط الصلح .. حبي لكم .

الجاسوس

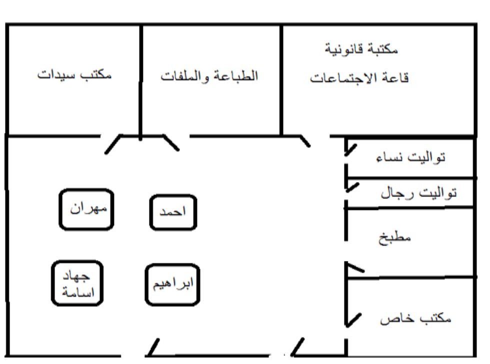
ترك مهران القراءة ووضع الجريدة على المكتب أمامه ، وخلع نظارة القراءة ، ومسح عينيه بكفيه ،

وقال بصوت يسمعه من في المكتب احمد وإبراهيم وأسامة : هذا الطبيب ـ تطلعت العيون الستة إليه ـ الذي انتحر قبل أشهر قالوا عنه جاسوسا ، ولما أراد الأمن السياسي القبض عليه نحر نفسه ، وأخفيت زوجته اليوم ينشرون أنه لم يكن عميلا لإسرائيل ، ولا لأحد ، ولم يكن الانتحار خشية القبض عليه ، ينفون عنه تهمة التجسس ، وأنه زعيم الشبكة ، وأن قتيل غزة يتعاون معه .. ما الأمر أيها الناس ؟!

بدا احمد بالقول فقال : قصة محيرة أدهشتني ؛ كما أدهشتك .. أنا أقرأ بالخبر وغير مصدق ! رجل لبسوه صفة العميل الأكبر في البلاد والزعيم ، واليوم يتراجعون ويبرئون .. وذكرت هذه الصحيفة التي بين يديّ الخبر ؛ كما قال مهران وزادت أنه لم تكن علاقته بوائل سوى علاقة طالب بمعلمه ، واستمرت الصداقة بعد الجامعة لعمل وائل في مستشفى الجامعة لسنوات .

هزّ مهران رأسه وقال : صحيفة فجر الأمة لم تضف هذه الجملة.

قال أسامة : القضية شغلت الرأي العام ؛ كما تذكرون ، وصورت الأجهزة الأمنية على أنه إنجاز عظيم في تعقب الجواسيس وشبكة وائل زياد .. هو في الحق تبريرهم الضعيف لما حدث من مقتله على أيدي داخلية غزة ، وإشارة بعض صحف إسرائيل إلى أنه جاسوس إسرائيلي .. وأنا تابعت



قصته في صحف غزة والقدس ولندن .. فوائل فما هو بجاسوس بمعنى جاسوس.. هو يقدم خدمات لوجستية للموساد والشاباك ، مثل تصوير مكان ما ، الاهتمام بشخص ما ، مثل نقل المال الرسائل.. لا يعمل ضمن شبكة ، ولما قتل في غزة كان مع صديقته البلجيكية وقيل الهولندية في حملة إغاثة تابعة لجهات الإغاثة الأوروبية أو حملات الإغاثة الدولية لمساعدة محتاجي غزة ، وكان ضمن البعثة البلجيكية ؛ لتقدم الإسعاف والعلاج للمحتاجين في القطاع كغيرها من البعثات الإنسانية ، وهذه البعثات من السهل العمل معها واختراقها ، لا يهتمون بالجانب الأمني ، المهم العمل وتقديم الخدمة والإغاثة ، لأن العاملين فيها يتبدلون يتغيرون كأي مؤسسة تطوعية ، فعمل معهم للعمل في القطاع مقابل راتب هو وصديقته ، وستؤمن لهم البعثة البلجيكية المنامات لمدة ستة شهور على الأقل ، ويأتي غيرهم أو يمددون عقدهم ؛ ليس كل من

يرافقهم متطوع ومتبرع ، فها هي حملات الإغاثة ، كما تكتب الجرائد يحضرون لأسطول حرية ثاني سيبحر إلى غزة فيه ناشطون من عدة دول أوروبية وكندية وعربية.

قال مهران : أكمل قصة وائل.

قال : عفوا يا سادة ! عادة هؤلاء الأوروبيون يدخلون عن طريق إسرائيل ؛ حيث مطار اللد أو ابن غوريون الصهيوني معلن إنشاء دولة إسرائيل عام ٤٨ ، لا يدخلون عن طريق معبر مصر والرجل يحمل الجواز الإسرائيلي بحكم ولادته في بلدة عربية في شمال فلسطين عرب ٤٨ ، فكلف من قبل أجهزة الأمن الإسرائيلية بنقل أموال لأحد كبار العملاء آلاف الدولارات ؛ لأنه منذ سيطرت حماس والقسام تابعت مطاردة العملاء والقضاء عليهم بشدة ، وصراع شرس بينهم أصبح من الصعب على العملاء أخذ الأموال الكبيرة من البنوك الغزية بدون لفت نظر ، ففي ذلك مخاطرة ، وكل من يتنقل عن طريق المعابر اليهودية العين الأمنية عليه .. كلفوه بنقل حقيبة المال ، وبعض التعليمات للوصول للعميل الذي كشفت الصحف الغزية اسمه مضطرة ومطاردة ومتابعة الأمن له ، فأحيانا يا إخوان يقبض على العميل ، وأحيانا كثيرة يترك لمعرفة غيره منه ، وهذه البعثات معروف أنها مخترقة من أجهزة أمن أوروبية وإسرائيلية ؛ وربما هي أنشأتها بثوب إنساني للتجسس .. فهذا أمر معروف .. أقيمت مستشفيات جمعيات جامعات مدارس للتنصير باسم التبشير.. السفارات أوكار للتجسس في أنحاء العالم فالعملاء موجودون بينهم وبين الصحافة بين عمال الوكالة.

قال : ما شاء الله تابع!

قال : دخل غزة مع أفراد البعثة كموظف ، والعميل الغزي تلقى إشارة من مصدر غير معروف لحد الآن ؛ كما تذكر مواقع الأمن على شبكات النت ، فالعميل مراقب تحرك إلى جهة مسجد ؛ لأن الناس تخرج لصلاة الفجر ، وهو تحت الرصد حتى وصل لمكان محدد ، فجاء وائل سيرا على الأقدام ، والتقى العميل ، وسلمه الحقيبة في كيس خضار يحمله ، وهنا جاء الأمر بالاستسلام فهرب وائل مما دفع أحد أفراد المتابعة بإطلاق النار عليه ، فقتل وأسر العميل وفتشت ملابس وائل وحاجياته في مقر البعثة ، وأعلن عن مقتل جاسوس من أجل القضاء والنيابة وحكومة بلجيكا ، ووالده لوائل خدم في أمن الاحتلال .

قال إبراهيم : عندك معلومات أكثر من مخابراتنا .

قال : لأنه في البداية علق بالقتيل أنه جاسوس لأغراض أمنية ومخابراتية ، وللحرب النفسية زعمت إسرائيل أنه عميل لتبرير حمله للمال

..وعندنا ظلت عقدة العجز عن عدم كشفه لطوال سنوات ، وتزوج ابنة نائب مدير المخابرات ظلت القضية مزعجة للجهاز المختص ، فلما بدأت تتحلل وتتفكك قصة وائل حدثت فضيحة الدكتور ينال المنتحر ، ثم تبين كما نشرت الصحف اليوم أنه لم يكن جاسوسا ، وهذا كان معروفا منذ الحادث ، كما نشرت صحف أمريكية وحتى إسرائيلية عن براءة ينال روكبس من العمل كجاسوس .

قال مهران : حقيقة أنت مبدع يا أسامة ! حللت لمتابعتك لتلك القضية .. أظن ما زال الكثير من الغموض في القضية .. قضايا التجسس كثيرة الغموض.

قال احمد: لماذا أنت اهتممت بالموضوع وقضية وائل؟

ابتسم قال : لذلك حكاية وسيرة حياة.

ضحك إبراهيم : أنت صغير يا أسامة صار لك سيرة!

قال : سيرة الحياة يا دكتور تبدأ بولادة الكائن الحي

قال احمد لما صمت المكتب : لعل أوامر صدرت من دول كبرى لقلب الموضوع وتحويل المنتحر إلى ضحية.

قال مهران : ما مصير امرأته ؟

قال إبراهيم مجيبا : بعد أيام عادت للبيت ؛ كما أخبرني أبو محمد نسيب اللواء خميس ضابط المخابرات المتقاعد من عشر سنوات ، والضابط يا إخوان لما يتقاعد يبقى ضابط احتياط ويعمل حتى الموت ، لا يعني أنه تقاعد انتهى، يبقى له ارتباط ولو بخيط عنكبوت مع الأجهزة الحساسة

قال احمد : ما قال نسيب المخابرات؟

قال: إنه حدث تسرع من بعص الضباط الذين مشوا لاعتقال المدرس ، ونقل بعضهم الخبر سريعا للصحافة ووكالات الأنباء.. تسرع .. فهم ظنوا بالانتحار أنه بالفعل الجاسوس الذي يتعقبونه منذ مقتل وائل ، فقد تسرعوا بربطه بوائل ، أما لماذا انتحر ؟

قال : هل عندك معلومات ؟

قال إبراهيم : معلومات بسيطة من دردشة أخي مع أسرة اللواء .. تتلخص لما طرق رجال المباحث السرية البيت للحديث معه ، لم يفهم الخادم عملهم بأنهم مخابرات ، فهو يوناني مثل الدكتور وزوجته ، فظن الدكتور أنهم جاءوا لخطفه ...

هتفوا دهشة :لخطفه !

قال مهران: نحن في شيكاغو .

قال : قال الخادم للسيد رجال يريدونك وهم مسلحون، ففهم أنهم عصابة بينه وبينهم قصة لم تعرف كاملة بعد .. قبل سنة كان الطبيب يقضي إجازة في بلد أوروبي وتعرض لعملية خطف

فاشلة .. لماذا يسعى ناس لخطف طبيب مسالم بعيد عن السياسة ؟! وماذا دفعه للانتحار؟ ولماذا أخفيت زوجته أياما ، تقل عن أسبوع ؟! ولماذا ظهر اسم وائل في القضية سريعا ؟

قال احمد : أسئلة تحتاج للإجابات!

قال إبراهيم : أخذت الصحف تضيف وتسقط لتشبع فضول القراءة ، ولزيادة عدد القراء باستغلال الحادث ، انتحار بسبب التجسس ، بسبب الخطف حتى أن بعض مقالات الكُتّاب والأعمدة تعلق وتعقب ، فمما قيل إن الرجل لم ينتحر قتل على أيدي المباحث بخطأ أو بتعمد لإخفاء سر الرجل.

قال أسامة : وآخرون أكدوا أنه جاسوس دولي ، وأن هناك ترتيبا بين أجهزة مخابرات دولية ؛ لتصفية القضية ، ولا تقدم القضية للمدعي العام ؛ لخلط الورق .. وتساءل بعضهم عن باقي أعضاء الشبكة بعد كل هذه الشهور ، فلا يعقل أن يعمل طبيب وحده في شبكة تجسسيه .. لماذا الاستخفاف بعقول الناس؟ .. قضت الصحف أسابيع وهي تتناظر وتتجادل حول قضية ينال روكبس في تفسير انتحاره ، وشاع من خلال المقالات أن الدكتور صنع سما جديدا في مختبره المنزلي ، سما لم يكن معروفا فتتصارع عليه أجهزة المخابرات؛ لتمتلك أوراق هذا السم ، وعينات منه.

قال احمد : وذكر بعضهم أن علاقته بوائل ، لم تكن علاقة تجسس وعملاء ، كانت علاقته علاقة أستاذ بطالب فقط ، واستمرت الصداقة بينهما ، وأن وائلا لم يكن جاسوسا لإسرائيل ، نفس الكلام الذي حدثنا به أسامة مجرد نقل مال .

ــــــــ

وافق مدير شؤون التوظيف بعمل جريدة بناء على توصية من عارف ومساعديه الثلاثة ، وعينت مديرة لقسم الرحلات التجارية والمعارض ، وكان الفريق مكونا من مساعد مدير ، وثلاثة شبان، وثلاث شابات ، كلهم خريجو كليات تجارة ومعهم فريق من الفنيين في الأجهزة الطبية والملابس الطبية ، وما له علاقة بالطب والمختبرات من مواد تحليل ، وفحص أجهزة الترا ساوند الموجات فوق الصوتية ، وأدوات العمليات الطبية ، والوقاية والعدوى ، قبلت أن تكون تحت التجربة ؛ فاذا لم ترتاح للعمل في هذا القسم ، تذهب لأي قسم ، والسبب أنها لا ترغب بأخذ راتبا ، ولسوف تدخل شريكة في مطلع العام القادم ، وتكتفي بحصتها في الأرباح كباقي الشركاء .

وسمح لها بالعمل في عيادة المؤسسة كطبيبة عامة ، ووافقت على اللبس الخاص بنساء المؤسسة وهي منذ طلب منها عارف تغيير نمط لباسها بعيدا عن السفور ، وتضع غطاء رأس يخفي الكثير من

شعرها ، فأصبحت قريبة من المحتشمات ، واللباس الشرعي ، والزي الموحد ينتشر في المدارس والشركات والورشات والمستشفيات ليميز العاملون من الزبائن والمراجعين .

وأكد لها الدكتور باسل طبيب العيادة الخاصة بالأمراض الجنسية بشفائها من مرض السيلان ، ونصحها أن تبتعد عن الحياة الجنسية لمدة سنة على الأكثر ؛ لتتأكد مائة بالمائة بزوال جراثيم وبكتيريا السيلان ، ونصحها بالزواج خشية نومها مع رجل له شريكة أو شريكات فيتجدد نشاط المرض، فكثير من الأمراض لا تموت تماما تكمن لحين ؛ ربما تثور بعد حين أو عدوى جديدة .

فقالت لنفسها وهي تسمع إرشادات ونصائح باسل :لأكن مثل وردة لها سنوات لم تعاشر عصاما أخبرت عارفا بما أوصى به الطبيب المعالج والمتابع لصحتها ، فقال : جيد ! أخبار طيبة فعلا ، وأتمنى أن لا تعودي ، وتحني لليالي السيئة والماضية ، ومن الآن لسنة ؛ لعلك تجدين الزوج الصالح النظيف العفيف.. فأمي رغم إلحادها ؛ كما تعلمين لم تزن هنا أو في بيروت رغم خيانة أبي لها كما اعترفت .. ومات أبوك وهي شابة مثلك عمرها حين اختفى ثلاثا وثلاثين سنة ، ولما تزوجت بلصا ؛ ليس لأنه فحل ؛ بل لدرء شبهات الاختلاط بالرجال وقول الإشاعات .

قالت : أنا فعلا راغبة بالخروج من الماضي بحلوه ومره ؛ ولكن كيف سأتزوج وأنا لا ألد ؟

قال : كثير من المتزوجين ، لا ولد لهم ، هذا بأمر الله وقدره .. فالذرية مهمة للوالدين ؛ ولكن يعيش الزوجان دون ذرية لمشيئة الله ذلك ، أناس أقوياء بدنا وصحة ممتازة ، وحيواناتهم المنوية ميتة ضعيفة ، لا يجب أن يؤرقك هذا .. اذا لك نصيب برؤية ذريتك سيتحقق ذلك بإذن الله ، والنبي زكريا الله أصلح له امرأته وحملت زوجه بيحيى .. الله يصلح الزوجة والزوج .. وأنت لست عقيمة .. عندك مشاكل في المبايض، وقد تعالج عند الجد .. وأنا سمعت أن زوجة شهاب حامل.

قالت : صحيح ! اتصلت به شخصيا ، لما نقل لي ذلك ، فقال نصيب يا جريدة ، لا يدري الإنسان من تلد له أو يولد لها.

قال متعجبا : شجاعة أن تتصلي به !

قالت : إذن المشكلة كانت مني .

ضحك عارف وقال : المشكلة منك من زمان .. أنت تكابرين ..كنت مهتمة بعلاقات خارج عش الزوجية ؛ ولذلك لم تهتمي بالعلاج بعلاج نفسك وسأكشف لك سرا.

قالت بتعجب : سر ! ما هو سرك ؟

قال : شهاب أخبرني عند إجازة لكم في بعنبس ، قال جريدة أنا أعرف أنها لم تتزوجني عذراء ولم

يكن هذا الأمر مزعجا لي ؛ لأنني أنا مثلها خائن للفراش ، لم أقصر عندما كانت تسنح لي فرصة مع طالبة أو محاضرة منحلة ، فلما تلاقينا أنا وإياها أحببنا بعضا تعاهدنا على الوفاء لبعضنا ، فلا هي تخونني ،ولا أنا ، وتزوجنا في آخر فصل كما تعلم ، وكان العهد لنحمي أنفسنا ولنبعد عن الأمراض الجنسية التي أصابت بعض الزملاء ، وقال الكلام سهل يا عارف وكانت تأخذ حبوب منع الحمل كأي فتاة معنا.

صاحت : أرجوك اختصر .. أين السر ؟ حدث بيننا أكثر من اتصال قبل عقد الزواج تنفيذا لتعليمات الجامعة ، وسكوت الدولة العلمانية من تجربة الجنس قبل الزواج .

قال : الدولة تتساهل بذلك باسم العلمانية ، ومحاكاة أوروبا ؛ لذلك لم تعد فضائح الجنس في الجامعات تثير الصحافة والرأي العام ، ولا أحد يثق أنه تزوج بكرا يا حبيبتي ! ويزعمون أن الشاب العربي يعاني من العنت والكبت ، لا يمارس الجنس إلا ليلة الدخلة ، وليلة الدخلة يكون ضعيفا مستهلكا ، وقد يلجأ للخمر والمقويات ليواري عجزه وضعفه .. الدول اليوم كلها غضت الطرف وشجعت فماذا جنت إلا الخيبة ؟ وأكبر دليل على الفشل الإباحي تونس حاربوا الدين حاربوا الحجاب .. حاربوا العفاف .. ظل الدين ظل الحجاب ظل العفاف والفضيلة .

قالت بضجر وملل : رجعنا للمحاضرات .

قال : أسطوانتهم العلمانية الإباحية مشروخة يا جريدة ! أكذوبة الجنس الآمن شائعة بين الطلبة ولما يصاب أحدهم بالكولاميديا والسيلان والسفلس والهربس والإيدز يصبح الشخص وحشا لا تقربه بنت ، والبنت لا يقربها شاب.. أصبحوا غير صالحين للعمل .. أين الجنس الآمن ؟! كم من البنات انتحرن بسبب الجنس الآمن ؟ حمل إجهاض .. أين وردة طبيبة الإجهاض ؟

قالت : أين السر يا دكتور ؟

قال : السر كما أخبرني زوجك في إحدى جلسات الفضفضة والاعتراف اللاشعوري اللاإرادي علم أنك تخونينه مع أطباء القسم ، والمستشفى كمدراء الأقسام وداخل المكاتب وغرف المرضى

قالت : وكان هو يخونني!

قال : فكان يلجأ لأخذ أدوية قتل المنوي حتى لا يحصل حمل ويعيش في دوامة ابني ليس ابني خشية أن تحملين من غيره ، ويصبح الجنين ابنه قانونا ، ويضطر لفحص دي ان ايه.. فهذا هو السر !

ضحكت قليلا ، ثم بكت ، ولما انتهت موجة البكاء ، قالت : كنت أتجنب فترة الإخصاب أي اتصال مع غيره ؛ لأني متعودة على حبوب منع

الحمل من أيام الجامعة والكلية، وأكثر البنات يفعلن ذلك ، وكنت أعلم بخوفه من حبلي من غيره من أفعاله وتصرفاته ، وأعرف أخذه لأدوية خاصة بالرجال ، فكان يحذرني من السقوط والحمل وأنا أسهر معهم ، وكان يترك الأدوية والعازل لما نتصالح .. أنا طبيبة أعرف تلك الأدوية والحبوب ، وانقطعت فترات طويلة عن الاتصال بغيره ، ولم يحصل الحمل ولا إجهاض ، وهو بصراحة ضعيف جنسيا ؛ أحيانا في الشهر يعاشرني مرة أو مرتين ، ويستعين بالفياجرا ، والمنشطات لإتمام عملية اللقاء.

قال : هذه المنشطات لا دخل لها في الحمل ، فها هي أختك حملت بدون اتصال مباشر .. هذه الحبوب تقوم بمساعدة الجهاز التناسلي لإقامة علاقة حميمية كاملة وجيدة ؛ فلذلك تباع بالمليارات في أنحاء العالم المتمدن ، فالشركات المصنعة تثير حولها الإشاعات والقوة للمزيد من المبيعات وفي أحيان كثيرة لا فائدة منها .. حالة نفسية للرجل ؛ لكنها حديث الرجال ، وحتى النساء من باب الثرثرة والفحولة المفقودة ..بعضهن تحبل بعد سنة بعد خمس سنين ، وأكثر من ذلك .

قالت : ولماذا التهافت على شرائها ؟

قال : أولا اعلمي أن الأدوية المنشطة لا تقوي الرغبة في الجنس ابتداء ، العقاقير التي تستخدم "كمقويات جنسية" من الفياغرا المشهورة وأشباهها، فائدتها تشمل الذكر والأنثى حيث تؤدي المقويات إلى زيادة تدفق الدم في الأعضاء التناسلية ، وهذا ما تحتاجه المرأة ؛ كما الرجل للشعور بالإثارة والرغبة الجنسية.

ولكن يا جريدة ، لا بد من اللجوء إلى استشارة طبيب لاستخدامها ، وذلك لتحقيق فائدتها ، لا الصيدلي ، الصيدلي بياع ، فالطبيب يساعد على تلافي المضار التي قد تصاحب استخدامها.

وأزيدك معرفة وعلما حسب ما نقرأ عن هذه المقويات ، وظيفة هذه الأدوية والعقاقير العمل على تنشيط "أوكسيد النيترات" الذي يرخي عضلات الأوعية الدموية في العضو الذكري ، فيسمح بورود المزيد من الدم إليها، مما ينشط انتصاب العضو في حالة الإثارة الجنسية. من الكذب طبيا وعلميا الزعم أن هذه الأدوية تقوي الرغبة في الجنس، فإن لم توجد الرغبة لدى الرجل ، لا يتوقع لهذه العقاقير أن يكون لها أي أثر إيجابي في معالجة العجز الجنسي.

وما دمت صامتة راغبة في المزيد من الفائدة ، حد علمي العقاقير الفموية الموجودة في صيدليات البلاد أربعة أصناف أساسية حالياً ، أشهرها الفياجرا الأمريكية . تحتاج في بدء نشاطها من ١٥

– ٦٠ دقيقة ، وفي طول تأثيرها من ٦ إلى ٢٤ ساعة ، لكن على المصابين بضعف الانتصاب أن يعالجوا أنفسهم قبل اللجوء لهذه العقاقير . يجب أن تكون الرغبة للجماع متوفرة قبل تعاطي هذه العقاقير، وينصحون باستخدامها على معدة فارغة من الطعام. لهذه العقاقير يا أخت جريدة مضاعفات جانبية ـ كما لكل الأدوية ـ فمنها الصداع، احتقان الأنف ، ألم البطن ، احمرار الوجه اضطراب الرؤية ، التهاب المسالك البولية ، الإسهال، الدوار الدوخة ؛ لذلك قالوا لابد من استشارة طبيب.. مريض الذبحة الصدرية تشكل عليه خطرا كبيرا ؛ لأنهم يتناولون أدوية النيترات ، المصاب بانخفاض الضغط ، أو بارتفاع الضغط الذي لا يستجيب للعلاج ، المرضى بقصور الكبد أو القصور الكلوي الشديد.

قالت : أنت موسوعة!

ضحك وقال : كثير من الأصدقاء يسألوننا عن استخدامها كلهم ضعفاء جنسيا فنضطر للمعرفة حتى نحسن النصح ، واعلمي أنه لا يستجيب لهذه العقاقير أكثر من ٧٥ في المائة من المرضى في أحسن الحالات ، ومن المعروف أن المصابين بأمراض القلب ، وتصلب الشرايين، والمرضى بالسكر ، والذين استؤصلت غدة (البروستات) لديهم، هم أقل استجابة لها. واذا حصل المحتاج على موافقة صريحة واضحة من طبيبه ، فلا شيء يمنع الاستفادة من هذه الأدوية التي صارت تستخدم في كل بلاد العالم، والتي حسنت أحوال الملايين من البشر ، ووفرت لهم السعادة الزوجية.. الجنس حاجة لكل الناس ، ومشاكل الأزواج في أول حياتهم الزوجية الضعف الجنسي .

قالت : صديقتي مريم ثلاث سنوات حتى تمكنت من الحمل ، وأنجبت مولودها الأول .

قال : وردة بعد أكثر من سنتين حتى حملت بجوهر .

قالت : فها هو شهاب ينتج !

قال : ولو جامع أحدنا زوجته مرة في الشهر ممكن تحمل ، هناك فترة للتلقيح قد ينجح ، وأكثره لا ينجح .. فالرجل بعد الحمل يعاشر أمراته يا دكتورة طول فترة الحمل ، ولا حمل فوق الحمل

قالت : ممكن أحمل يوما ما !

قال متفائلا : ممكن ، عمرك ٣١ ، واذا تيسر الزوج الصالح وأذن الله ستحملين .. هذه الموانع التي تبدأ البنات بأخذها من المرحلة الثانوية ، هي التي تسبب أمراض العقم ، وتؤخر الحبل .. بإضعافها للرحم من القيام بواجبه .. الاستعانة بالله تيسر الحال ، وقد يحتاج الشخص للعمل مثل وردة .. فأختك مثال لك .. استغنت عن الذكر كما تعيش الأرملة .. وها هي سعيدة كما أرى ، عمرها منذ

رجعت لعصام شكت منه .. سلمت أمرها لله ..
وها هو عشاب المؤسسة الدكتور سميح وسعيد ركبا له وصفة من العسل والحبة السوداء وأشياء أخرى قد تقوي جهازه العصبي والعضلات؛ لأن الجهاز العصبي يقوي العضلات ، وطلبا منه التوقف عن أدوية فرنسا ، ولما جلس مع سميح وابنه و سعيد تفهم ، وقبل التجربة ، وخلال ستة شهور سيبدأ ـ إن شاء الله ـ التحسن في الجهاز العصبي ، وتبقى مشكلة عظام العمود الفقري المهشمة .

قالت بوهن : حبيبي يا عارف ! أنت أحسن واحد بالنسبة لي من إخوانك.

قال : كلنا إخوانك ، ونحبك ، ووردة حدثت جهادا عن الصلح ، والصلح خير .. حدثته عن رغبتك بالصلح ، فقال: الصلح تلقائيا اذا رجعت لما فطرنا عليه .

قالت : حدثتني وردة بذلك ؛ ومن أجل ذلك قبلت العمل تحت قيادتك ، لم أكن أعلم أنك بهذه القدرات الإدارية ، أنت تغيرت من يوم موت أمك .. عملت لإزالة الملل والزهق وترك الرفاق .. وأحضرت شركة ونظفوا البيت ودهنوه بالدهان ، وغيرت كل الأثاث، أخذوه واشتريت غيره ، سمعت كلامك ، ولم أعد أشرب إلا القليل

قال مشجعا : خطوة جيدة!

هزة الموت

ماتت سعيدة عارف عن عمر يزيد عن خمس وسبعين سنة ، اتصل سالم بجهاد مخبرا ومعزيا بوفاة العمة الكبرى ، وبادله جهاد العزاء ، وقال : سأركب الطائرة الليلة بإذن الله.

اتصل بشركة مكتب طيران للسفر إلى عنبس في أقرب رحلة ، ولما رتب أمور السفر ، اتصل بإدارة الكلية صباحا معتذرا عن الدوام .

وكان قد قدم العزاء لعمه وعمته فاطمة ، وبعض أبناء عمته سعيدة هاتفيا ، وترك الباقي ريثما يقابلهم ، فسعيدة من سكان عنبس أثناء سرد أحداث القصة ، لها بنت متزوجة في تاج الزمان عمة جهاد الأخت الشقيقة لعمه حبيب ، أنجبت سبعة مواليد ، خمسة من الذكور ، وهي تكبر عمه بأكثر من سبعة من السنين ، وعمته فاطمة ، ولدت ثلاثة وتسكن مع ابنها محمد بعنبس بجوار حبيب أخيها حي بنت الباشا ، وابنتها البكر طبيبة علياء يوسف ، متزوجة من قريب لأبيها ، والوسطى صيدلانية منى ، وزوج ابنتها صيدلاني مثلها ، تزوجا بعد دراسة الصيدلة ؛ حيث التقيا في الكلية ، والصغير محمد مهندس معماري يعمل في بلدية بعنبس .

وأما سعيدة عارف أم حسين فابنها الكبير حسين جادر ، رجل معروف في عنبس العاصمة مدير

مستشفى حكومي ، وهو جراح دماغ وأعصاب .
حسين أكبر أبناء سعيدة كان في هذا الوقت مديرا لمستشفى حكومي ، فهو جراح دماغ وأعصاب ، والابن الثاني حسن طبيب قلب ، والبنت الكبرى سكينة جادر دكتوراه سياسة سفيرة في دولة آسيوية ، وأبوهم جادر كان ضابطا كبيرا في سلاح الطيران العسكري حمل رتبة فريق ، ومات بسكتة قلبية قبل عشر سنوات ، وماجدة مهندسة طيران تعمل في عُمان هي وزوجها ، ولهم شقة في تاج الزمان ، وحمدي مهندس طيران في سلاح الجو الوطني ، والذي يليه الدكتور الاقتصادي علي يحاضر في جامعة أمريكية ، درس هناك وتزوج أمريكية واستقر فيها ، وهما دكتوراه اقتصاد ، ومن عهد بعيد لم يحضر للوطن ، وأصغر أبنائها حاتم جادر ، درس المحاماة ، عمل بها قليلا وتركها ، وعمل في التجارة والصناعة ، فربما هو أغنى إخوته يملك مجموعة مصانع ومتاجر وعقارات ، تأثر بخاله حبيب ، مشروع ناجح يفتح آخر ، وكان محبا لخاله حبيب أكثر من إخوانه ، لا يكاد يمر أسبوعان إلا ساق أمه وزوجته إلى زيارة أخيها وكان دائم الاتصال بخاله مثل جهاد ، لكن مسرح عملياته عنبس والتاج ، والمدن الصناعية ، وزوجته أم أولاده ابنة عمته ، تزوج في حياة أبيه .
لم تدفن في عنبس حيث دفن زوجها جادر ، دفنت سعيدة عارف في مقبرة العائلة في بعنبس ، بوصية منها أن تدفن عند والديها عارف وأمها ، يسمح نظام البلدية بشراء مقابر خاصة داخل المقبرة العامة ؛ لرغبة بعص الأسر بدفن موتاهم في مكان واحد ، لتسهل زياراتهم جميعا ، فتباع قطعة أرض لعائلة باسمها ، وتكون مكونة من عشرات القبور ، واذا امتلأت دفن في القبر الأقدم تم الدفن بعد العصر، بعد أن صلى عليها الإمام في المسجد الأقرب للمقبرة ؛ لكسب الوقت لقصر النهار ، صلاة الجنازة تختلف هيئتها عن كثير من الصلوات التي شرعها الإسلام ، صلاة قيام بدون ركوع ، ولا سجود ، توضع الجنازة أمام المصلين ، يكبرون أربع تكبيرات ، تقرأ الفاتحة أولا ، والصلاة الإبراهيمية بعد التكبير الثاني ، ثم الدعاء ، ثم الدعاء والسلام ، وتحمل الجثة للمقبرة لتدفن بالتراب داخل حفرة تسمى قبرا ، لا تدفن بتابوت كفعل الآخرين ، ولا تحرق كالهند وغيرها ، وأقام أولادها سرادق العزاء في عنبس لاستقبال المعزين . ماتت سعيدة عارف شقيقة حبيب في العشرين من آذار من العام ٢٠١١ ، ومات زوجها الطيار عام ٢٠٠١ عام أبراج نيويورك الشهيرة .
سيبقى جهاد في البلاد طوال أيام العزاء ، درج الناس للجلوس للعزاء ثلاثة أيام وينتهي السامر ثم سيعود لعمان الشاخة لإكمال الفصل ، وسترافقه

زوجته وذريته وشقيقته وردة وزوجها وأطفالها ، ومربياتهما لجولة سياحية لمدة أسبوع في ربوع الأردن .

فرتب لهم إبراهيم بخبرته الفندق الذي سينزلون فيه فترة السياحة القابلة للزيادة ؛ كما رتب مع إدارة الفندق في عمان موعد الطيران والاستقبال ، وسيرافقهم للمطار إبراهيم نفسه ، وسالم الذي وجد في البلد أثناء العزاء والجنازة .

التقت جريدة بجهاد وسالم في بيت وردة قبل السفر ، ولما احتضنها جهاد ، وألقت صدرها على صدر أخيها ، كانت تبكي على صدره كالطفل الصغير ، فهم من سنوات متدابرون، والأصح هي بعيدة عنهم ، وتتجنب اللقاء بهما ، فقد أدمع المشهد قلوب عيون السامعين والرائين ، حتى قال عارف: ألا تكفي هذه الدموع ليحصل الانفكاك ؟

ابتسم الجميع ، وانتقلت لصدر سالم ، ثم رفعت رأسها قائلة : أنا أعتذر إليكم جميعا .

وقبلت سالما وهمست :كنت طائشة ؛ كما قال عارف يوما!

قالت وردة وهي تحتضنها وتقبلها : الله يرعاك بفضله ورحمته حبيبتي جريدة ! الحمد لله .. جمعنا موت عمتنا سعيدة .. أسعدها الله في قبرها وجعله روضة من رياض الجنة

- آمين !

قالت : كلنا نحبك يا جريدة ! أنا وعارف وسالم وجهاد .. أنت أختنا .. الله أراد لنا أن نكون إخوانا في الرحم سوى أخوة الإيمان .. إنما المؤمنون أخوة .

ملس جهاد على شعرها وقال : لم نكرهك يوما ما ! إنما نكره أفعالك .. أفعالك لم تتوافق مع أفعالنا الحسنة والبسيطة .. هل ترافقيننا لعمان ؟ ما رأيك؟

فألقت رأسها على صدر جهاد ، وتجدد بكائها، وقالت : عزيزي حبيبي سأقبل دعوتك .. تعال يا جوهر إلى صدر خالتك .

هجم ثلاثة عليها : جوهر ومحمد ومي.

انتهت الرحلة العمانية أو الأردنية لأسرة عصام وأسرة جهاد ، وضيفة الشرف جريدة. جميعهم نزلوا في فندق واحد حسب حجز إبراهيم ، وكان المهندس محسن رتب لهم الرحلة السياحية مع مكتب وشركة سياحية ، بدأت الرحلة بوسط وقلب العاصمة ، زيارة إلى المدرج الروماني أو مدرج عمان ،ومتاحفه ، ثم صعد بهم إلى جبل القلعة المقابل لمنطقة المدرج ؛ حيث قلعة تاريخية ومشاهدة متحفها .

المدرج عبارة عن قاعة مسرح قديمة تشبه مدرجات ملاعب كرة القدم ، المدرجات هي

أماكن دائرية أو بيضاوية في الهواء الطلق ، مع مقاعد مرتفعة ، مدرجات بناها الرومان في أنحاء الإمبراطورية الشاسعة ، استُخدمت لأحداث معارك المصارعين ، ومصارعة الحيوانات مع الأسرى والعبيد للتسلية والترفيه ، عن السادة والأمراء ، والأميرات ، وكانت أيضا ساحات لعمليات الإعدام ، عُثر على نحو ٢٣٠ مدرجا رومانيا في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

يعود تاريخ المدرجات الأولى إلى فترة الجمهورية ، لكنها أصبحت أضخم خلال عصر الإمبراطورية. تتميز المدرجات عن السيرك ، ومضامير سباق الخيل، التي كانت عادة مستطيلة ومشيدة بالأساس لأحداث السباق، والملاعب المشيدة لألعاب القوى.. كلمة المدرج تعني «المسرح الملتف (الدائري)»، وبالتالي يتميز المدرج عن المسارح الرومانية التقليدية نصف الدائرية بأنه دائري أو بيضاوي الشكل.

يتكون المدرج الروماني من ثلاثة أجزاء رئيسية ؛ تُسمى منطقة الجلوس الكافيا والأرينا وهي الساحة ، والفومِتريوم .. تتكون الكافيا من صفوف متحدة المركز من المدرجات ، الكافيا ثلاثة أقسام أفقية ، تتناسب مع الطبقة الاجتماعية للمتفرجين ، (الكافيا السفلى) وهي الجزء الأدنى من الكافيا الذي يحيط مباشرة بالساحة ..كانت مخصصة عادة للمراتب العليا في المجتمع.. مثل تخصيص الكراسي الأولى في القاعات الاحتفالية للشخصيات المهمة .

الكافيا الوسطى وكانت مفتوحة لعامة الناس، لكنها كانت محجوزة للرجال عادةً ، السوما كافيا هي أعلى قسم ارتفاعًا ، وكانت مفتوحة عادة للنساء والأطفال.

متى شُيدت المدرجات الأولى وأين لا يُعرف ؟ هذا ذكر أشهرها عالميا . مدرج بومبي سواحل إيطاليا ، المؤرخ تشييده بدقة ٧٠ قبل الميلاد بقليل في عصر الإمبراطورية ، أصبحت المدرجات جزءً أساسيًا من المشهد الحضري الروماني ، استوعبت المدرجات الإمبراطورية بسهولة ما بين ٤٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠ متفرج وأكثر .

سُجل آخر تشييد لمدرج عام ٥٢٣ في بافيا تحت حكم ثيودريك ، كان الغرض الوحيد المتبقي للمدرجات هو أن تكون مكانًا للإعدام والعقوبات العلنية ، ثم بعد أن تضاءل هذا الغرض تدهور العديد من المدرجات إلى حالة سيئة ، وفُكّكت تدريجيًا للحصول على مواد البناء، أو هُدمت لإفساح المجال أمام المباني الجديدة ، أو خُرّبت .

لفترة طويلة حكمت الإمبراطورية الرومانية أجزاء كبيرة في العالم القديم ، فبجانب سيطرتها

على كامل أوروبا وأسيا الصغرى تركيا اليوم سيطر الرومان على بلاد الشام وكامل شمال



أفريقيا. وأثناء تلك الفترة ترك الروم ان أثار معمارية كبيرة في بلادنا العربية وفي أوروبا، لعل أشهرها المدرجات الرومانية التي شيدوها لأغراض فنية واستعراضية .



نستعرض معكم هنا أشهر المدرجات الرومانية في العالم: الكولوسيوم في روما ـ إيطاليا ، وهو المدرج الأكثر شهرة وأهمية في أوروبا ، ويعتبر منطقة جذب سياحي في إيطاليا. مدرج آرل ـ فرنسا ، صمم لسباق المركبات، والمعارك اليدوية القديمة ، ويستخدم حتى الآن في مصارعة الثيران وحفلات الموسيقى خلال الصيف . مدرج ساحة نيم ـ فرنسا ، يستخدم كحلبة لمصارعة الثيران.

مدرج ساحة فيرونا ـ إيطاليا ، ويستخدم حاليًا في عروض الأوبرا. مدرج الجم ـ تونس ، بني في مدينة الجم التي كانت واحدة من ضمن المدن الرومانية البربرية في أفريقيا.

المدرج الروماني في عمان ، بالتحديد على سفح جبل الجوفة على أحد التلال المقابلة لقلعة عمان قد بُني إكراماً للإمبراطور مادريانوس الذي زار عمان سنة ١٣٠م ، تقع إلى جانب المدرج ساحة الفورم .



وفي اليوم التالي قامت رحلة إلى آثار ومعابد وساحات وأعمدة جرش ، وفي نفس اليوم سار بهم نحو قلعة عجلون المشهورة في الأردن . وفي يوم آخر رحلة إلى مدينة البتراء التي يؤمها السواح من كل بلاد العالم الغنية ؛ حيث مدينة الأنباط الصحراوية ، وكانت رحلة صعبة ، وفيها مشي على الأقدام أو الدواب .

على العموم استمتع الجميع بهذه الرحلة ، ونزلوا وسط عمان لرؤية أسواقها ومسجد عمان الكبير المسجد الحسيني ، وسبيل الحوريات ، وتسوقوا في عمان القديمة . قضوا عشرة أيام سياحة في الأرض ، ثم رجعوا للديار ، ورجع جهاد لشقته والجامعة ،وتشجع الرجل لسفر زوجته وأولاده للحياة معه في عمان ، ما دامت المدام رضيت بذلك في الخريف القادم ، ووضع إعلانا بمساعدة محسن لكراء فيلا

لأن المربية والخادمة ستسافران مع الأولاد ، وطلب من محسن أن يؤمن له شغالة أو خادمة للبقاء في البيت اذا رفضت خادمته الإفريقية الانتقال إلى عمان ، تشتهر عمان باستيراد الخادمات الآسيوية من الفلبين وإندونيسيا وبنغلاديش والسريلانكيات.

تعرفت زوجة محسن المهندسة نوال على زوجات جهاد وعصام وجريدة ، ودعاهم الشاب إلى بيت العائلة ، وتناولوا الغداء مع الأسرة ولقاء الوالد سعيد وأمه .

رن هاتفه ليلا ، وفتحه ، مع أن اسم المتصل لم يظهر

قال المتصل : السلام عليكم يا دكتور جهاد!

قال : أهلا زياد بن حسن .. وعليكم السلام .. حبيبي أخذت الرقم من عمي!

قال : صدقت ! لا أعرف في العائلة الكريمة إلا الأخ جهاد رفيق البحر الكاريبي الدكتور جهاد جيفر كرانسي والسيد حبيب عارف .

ضحك جهاد وقال : حياك الله ! كيف الحال ؟

قال : الحمد لله .. كثيرا ضربت رقمك ، لا يجيب ، فلما لم يستجب ، اتصلت بالحاج حبيب

فتكرم بإعطائي رقمك الدولي الجديد ، لم تستخدم رقم رحلة الكاريبي .

قال : فُقد ..كيف عيالك والشركة؟ هل من جديد من كوبا؟

ضحك زياد حسن وقال: أجل ، جديد كوبا يا أبا عبدالله ! انتهت أخبار كوبا.

قال : هل تمت تصفية أملاك أبي وأسهمه في تلك المصانع والشركات ؟ ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ ونحن في ٢٠١١ سنتان استغرقت العملية !

قال : كم شهر وتكتمل السنتان ، أرسلت الشركة الموكلة بمتابعة أملاك الوالد الكوبية بنقل الأموال التي باسم جيفر إلى حسابنا في بنك سويسري ، ولم يعد لكم ارتباط بأي منشاة كوبية والبلاد حولها .

قال : انتهت علاقتنا بكوبا الشيوعية.

قال : حسب المعلومات الواردة لشركتنا ، لم يبق باسم الوالد شيء باسم جيفر كرانسي.. وأخذوا أتعابهم ، وأرسلوا لنا أتعابنا ، وتم إرسال الصافي لحسابك حسابنا في سويسرا ، وقد بلغ حسب الأوراق المرسلة ثمانية ملايين ونصف ، كان أبوك رأسمالي يعيش في دولة اشتراكية

قال : مبلغ كبير بفضل الله ﷻ .

قال : البركة من الله ، ولولا هذا المال ما علم أحد بحياة الوالد ، لم يبق إلا أمر واحد .. مبارك على الجميع!

قال : سنضطر للسفر يا زياد !

قال : ومن أجل السفر اتصلت بك .

قال : اعتقد أن البنك يتحمل حتى يتيسر لي السفر

قال : لابد من وجودك ؛ لأنك الوكيل والمال حول

باسمك.

قال : ننتظر لاكتمال الفصل ، بقي شهران يا زياد !

فيلا عارف

سكن عارف الطبيب في حي الجمل الحي الحديث ، أقام عارف في الفيلا الجديدة التي تملكها من ابن عمه سامي وحسن وليمة أو دعوة عشاء بعد صلاة المغرب ، وحضرتها وردة وجريدة وعصام .

قاموا عن المائدة تباعا إلى صالة الفيلا ، أخذ عارف بعد تدينه يلبس القميص العربي، الذي يقال له اليوم دشداشة ، ثوب طويل بأكمام أو نصف كم ، القميص اليوم يطلق على لباس الصدر والبطن الذي يغلق بأزرار ولبس الدشداشة لباس رسمي في دول الخليج الستة ، وضعت روز المكسرات أمام الزوار وصحون الفاكهة والسكاكين والشوك بعد همهمات وتمتمات وشكر ومجاملات ، قالت جريدة : هل الدعوة لها سبب ؟

قال عصام : أكيد لها سبب ، أوصاني عارف ألا أخبر وردة بالسبب .

ضحكت وردة ، وردت : لو لم تقله يا عصام يا قرة العين ! فأنا أعرفه .. تكلمت ظهرا مع حبيبي جهاد .. أنا أحفظ برنامج وقت محاضرات الدكتور جهاد!

قال عارف : رائع يا أهل الخير!

قالت : اتصلت كالعادة .. أنا أحب سماع صوته ودردشته في وقت فراغي وفراغه سواء أثناء وجودي في العيادة أم في البيت .. أحب سماع صوت هذا المخلوق اتصلت أسأله عن حاله ودراسته وعن اقتراب نهاية الفصل ، فذكر لي أنه سيقوم بزيارة لسويسرا عندما يعود للوطن .

ضحك عارف وقال بأسف : نسيت أنك تتواصلين معه كل يوم أو يومين .. أختك يا جريدة لو قرصتها نملة ، ستتصل به تقول ما تفعل؟ طبعا بعدما يشير عليها عصام برأيه ، ثم يختم اسألي جهادا ؛ ليؤكد لك حلي.

ضحكوا فهذا الواقع ، فلما تطلع على الجريدة الصحيفة ، ويشكل عليها فهم الكلام المكتوب تتصل فورا بجهاد تستوضح ما لبس عليها ، فقال عصام مواسيا لابن عمه : صدق يا عارف أن وردة تقر لك بالألمعية والقدرة على أخذ القرار ؛ لكن حبها لأخيها الأصغر الطفل أكثر.

قالت مبررة لتعلقها الزائد بشقيقها : لا أدري ! منذ تصالحنا وأنا أحب الحديث والمناقشة معه في الدين والدنيا .. وأنا أقدر الجميع يا عصام ! وأنتم أحب الناس إليّ ؛ وليس لي أصدقاء سواكم .. تعرفون هجرت الجميع إلا بالحدود الدنيا . . حياتي البيت ، ولولا أن العمل ينفعني دنيا وآخرة لتركته ؛ كم أستلذ عندما أسمع دعاء فقيرة

محتاجة تأتي العيادة ، وهي تدعو لي ولزوجي وأولادي وأهلي .. سهر معكم .. زيارات لكم .. سفر انتهى.

قال عارف ممازحا : أنا أعرف وردة جيدا.. كلنا نحبك .. أنت أمنا ؛ كما يقول جهاد ؛ ولكننا نرى جهادا مرجعا دينيا مثل مرشد ايران أو الإخوان .. ماذا تطالع وتقرأ أختنا اليوم غير القرآن ؟

قال عصام باسما : سأخبرك ببرنامج حبيبتا وأمنا وردة .. تستيقظ قبل نداء الفجر تصلي ثمان ركعات ، ثم تجلس للذكر والتسبيح ، حتى يؤذن أبو احمد مؤذن الجامع المجاور لدارنا ، فتوقظني " الصلاة يا عصام ".. تصلي السنة التي هي خير من الدنيا وما فيها ، ثم تصلي الفرض ركعتين ، وتجلس تذكر أذكار الصلاة والفجر أو الصباح ، ثم تحضر شراب العسل والحليب وتعود لقراءة القرآن حتى تشرق الشمس وتصلي الضحى ، وتساعد الخادمة في إعداد الإفطار ، ونفطر جميعا الصغير والكبير وتساعد المربية في غيار جوهر وساندويشة المدرسة ، ولما يأت باص المدرسة تأخذ المربية أو الخادمة بيده إلى معلمة الباص ، وهي تقف قرب نافذة الصالة تراقبه وهو يشير إليها مودعا بتحرك الحافلة، وتطلق قبلة في الهواء مودعة ، ثم تعود للجلوس بقربي وتسأل عن برنامجي اليوم ؟ نشرب القهوة عند اقتراب موعد خروجها للعيادة.. وتبسم وهو يقول : وأنتم كيف برنامجكم ؟

تبسمت روز وقالت : نفس برنامجكم .. هل يختلف شيء يا عارف ؟

قالت جريدة : والله يا أبا جوهر دقيق في وصف البرنامج .. حبيبتي وردة لا تنسيني من حبك!

قالت : أنا أحبك بحق وليس مجاملة ! اسالي عارفا عن مقدار حبي لك .. ومنذ وفقني ربي إلى الإسلام ، وأنا أدعو لكم جميعا بالنصر والثبات.. فأنت أصغرنا ، وتحتاجين لعطفنا وحبنا

أليس كذلك يا مديرنا ؟ أنا لا أعاملك كطفلة ؛ كما شكوتيني لعارف .

قالت جريدة : عارف لا يؤتمن على تعليق .. سامحيني.

قال عارف : كما قالت روز برنامجنا الليلي قريب من نشاطكم يا عصام ، لم نعد نركض من مسرح إلى آخر ، من سينما إلى أخرى .. هل تعلمون أن روز عمرها ما دخلت سينما أو مسرح؟.. في الجامعة حضرت بعض المسرح للتدريب على ذلك لاستخدامه كوسيلة تعليمية كنا أنا ورفاقي في المدرسة نتباهى من شاهد أفلاما أكثر .. من دخل مقاهي أكثر .. وها نحن سعداء بدون مسرح ، بدون سينما بدون مقهى حتى التلفاز مللنا منه .. فأختكم روز تصلي وتصوم من نعومة أظفارها ؛

كما يقال .. قصص الحب ورسائل الغرام ومطاردة المراهقين وتبادل كاسيتات الأغاني.. لا تعرف هذا الجهل البتة .. الحقيقة والدتها أم فاضلة وصارمة يا وردة ! فروز تقوم الليل وتصوم الاثنين والخميس إلا اذا منعتها ، وأنا لا أمنعها ؛ لأن نهار ذاك اليومين غالبا ما أكون في العمل ، وأما أنا فأصلي أربع ركعات قيام قبل النوم يا جريدة ! أصلي وأقرأ ثم أدحل وأنام على وضوء .. هل تعلمين يا وردة أن روز تقول أن هناك أربعين نوعا من الصلاة؟

قال عصام مستغربا : أربعون صلاة ..كيف يا روز ؟ هل هناك غير الفرض والسنن؟

قالت وردة بابتسامة مشجعة : فهمينا يا أم محمد ! ﷺ على محمد .

قالت : حبا وكرامة ! قد لا أتذكر أسماءها كلها ؛ كما قال أبو جوهر نحن نعرف الفرض والسنن .. الصلوات الخمس وسنن راتبة للفروض الخمس صلاة الجمعة صلاة العيد صلاة الميت صلاة الاستسقاء صلاة الخسوف والكسوف صلاة الخوف صلاة الإحرام بالحج قيام الليل الوتر التوبة صلاة الحاجة الضحى النوافل المطلقة صلاة الاستشهاد كما فعل سيدنا خبيب صلاة الفتح .. هذا ما أذكره الآن .

قالت : جزاك الله خيرا نوّرتينا .. ما شاء الله !

قال عارف : نعم ، فجوهر يسر لي كنزا كبيرا في العلم الديني ..تعال عندي سأبقي مدينا لك بهذا الكنز ـ اقترب الفتى من خاله الذي قبله ، وأجلسه على جنبه على الكنبة ، وقامت سلمى وجلست بجوار جوهر ، مما أضحك الجميع ـ وهل هناك أروع من هذا الحب بين الأخوة يا جريدة ! فأبي سجّل كل أملاكه باسم أخيه رغم ما بينهما من البعد العقدي .. الأخوة خطب كبير لمن يفهمها.. أخوة على سرر متقابلين .. فوردة تاج رؤوسنا يا جريدة ! اجلسي يا روز الخادمة تقوم على ما نريد أحسن أن يتعب محمد .

قالت وردة : اطمئن الجنين صحته ممتازة بفضل الله تمام .. وأنا أقرأ اليوم بإرشاد من جهاد بكتاب مشهور للشيخ سيد سابق رحمه الله اسمه .. فقه السنة.

قال عارف : كتاب معروف ومشهور .. كأن جهاد لا يعرف إلا هو .. ونصحني أيضا بقراءته وحتى روز قرأت الجزء الأول منه في بيت خالتي أم هيفاء.

قالت جريدة : لماذا لا تعطوني رقمه في عمان ؟ لقد تصالحنا حتى أعوض ما فاتني من حب لأخي الأكبر مني بثمانية عشر شهرا ،وما أكنه له من مشاعر .. نسيت طلبه منه أيام عمان الجميلة

ذكر لها عصام الرقم ، وحفظته على الجهاز :وقالت

: الليلة سأتحدث معه من شقتي حتى لا أبكي أمامكم ، وتضحكون مني.

ضحكوا وقال عارف : ضحكنا سلفا ومقدما أيتها الطفلة !

قالت : مهما قلت ، فأنت مديرنا آخر الزمان .. عارف مدير على جريدة!

قال : أنا مدير على مئات الموظفين .. أنت مجرد فرد واحد .. اسمعوا وافرحوا جمعتكم أيها الاحبة ؛ لأخبركم أن جهادا سيسافر لسويسرا قريبا ، بعد انتهاء بيع وتصفية أملاك أبيكم نجيب عارف في كوبا والكاريبي وما حوله ، ولم يعد لنا أي شيء في بلاد العم كاسترو الذي كان مزعجا للولايات الأمريكية التي وراء كل انقلاب في العالم منذ الحرب الكونية الأولى والثانية .. وبلغت أيها الأحباب وابن العم الغالي ثمانية ملايين ونصف ، وبعض الفراطة سنهبها لجهاد جزاء أتعابه معنا.

هتف جريدة : يا الهي ! هذا أبي كان غنيا هناك !

قال مفسرا : أبي كعمي وجدنا يحبون العمل والمشاريع ،حتى أنهم عدونا يا عصام!

قال : معك حق ! لما صار معي الحادث يا دكتور وبدا شريكي في العيادة يتذمر من كثرة جلوسي في البيت، وعن عجزي بالعمل بيديّ ، شكوت الأمر لأبي ، حقيقة لم يقصر بمساعدتي في إدارة البيت والمصروف والعلاج أكثر من وردة العاملة في العيادة منذ تخرجت .

همست وردة ودمعة خرجت من عينها : كنت حمقاء ! أصرف على الخمر والدخان والزينة والعطر ، وأستخسر مساعدة عصام .. آسف يا حبيبي !

قال : هذا انتهى يا حبيبتي!

قالت جريدة : ماذا فعل لك والدك ؟

ابتسم عصام وقال : شكوت له ضعفي وقلة الدخل يا أخت جريدة ، فقال : اشتر المزيد من الأسهم ، والسندات الحكومية ؛ لأني كنت يومها لا أصلي ، وإلا هي حرام يا جريدة ! اشتر صيدلية ، ووظف فيها فنيون ، تملك مصنع دواء ، وساعدني سامي وحسن ، وامتلكت صيدلية بمساعدتهم ، وامتلاك عمارتين لتأجيرهما ، شاركوني في مصنع دواء ، وتحسن أمري ، وأنا أجلس في البيت ، ولما تصالحنا مع وردة زادت المشاريع ، ونملك اليوم خمس صيدليات ، وحوالي خمس عمارات ومشاريع مع أخي ، وزوج نوار ، ولأول مرة أصرح أمامكم أن وردة سجلت في حسابي الخاص مليون دولار .

أخذت وردة بالبكاء وتشهق ؛ كأنها تعتب عليه كشفه هذا السر ؛ مما أدمع روز وجريدة ، نهضت وردة حيث غسلت وجهها ، وعادت تعتذر لضعفها أماهم ، فقال عارف : بالعكس ، نحن

فرحنا بها سمعنا ، وجزاك الله خيرا .
قال عصام ختاما : فارتحت من الحاجة لمساعدة أحد .. واليوم نحن نغرق بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى .
قال عارف : سيذهب حبيبنا جهاد والمحامي زياد صيفا بعد عودته لسويسرا لجلب المال ؛ لتوزع علينا .. لا تخشوا الفقر .. انفقوا .. اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا .. نحن تعلمنا من مدرسة عمنا حبيب حب الإحسان وفتح المشاريع لفائدتنا أولا وفائدة العاملين ، وتقليل ما يسمى اليوم البطالة .
قالت جريدة مكررة : هذا أبي كان ثريا !
قال : أبي كعمي وكأبيهما .. هكذا تربوا على الاستثمار والإنتاج ، وتعلم الكل منهم ، كنت قبل شهور قبل سنة أعتمد على وظيفة الدولة ؛ السبب أمي .. كانت مستثمرة مثل العائلة .. وكانت تنفق عليّ وعلى الخائنة وبلص، لم تشجعني يوما على الاستثمار ؛ كما فعل عمي مع عصام ووردة والمشروع الأخير حقيقة كان مفاجأة عظيمة لي ! كنت أظنه حلما أو خيالا ، وهم يضعون أفكارهم ، ويلتقون بفلان وفلان .. طبعا أنا كالأطرش في الزفة .. لا يسمع ما يردد الذين يزفون العريس ، حتى كنت أستغرب مناقشة عصام معهم وطرحهم الأفكار والخطط وكيف تحول مستشفاي أنا وجريدة إلى مؤسسة تجارية كبرى؟.. فحتى أن جريدة قالت بتأفف : خلصنا من تلفونات عارف ؟ متى ستعيدين أموالي ؟ حقيقة زهقتها .
قالت : وأنا ما صدقت أن أجد من يشتريه سامي أبو سامي .
قال : سيستفيد منه بإذن الله نحن والأجيال ، وجدنا ما دفعناه أمام ما اشتري قليل وأسمع اليوم بعد انتهاء العام المالي وتقييم العمل، قد يوسع أو يرحل قسمان لبناء جديد، ويسمح بمشاركة جريدة في الشركة وغيرها.
قال عصام : هناك مساهمون جدد.
قال : النية إبراهيم يرغب بذلك ؛ ليستثمر أمواله معنا ؛ وزوجتا جهاد وسالم وسأسجل حصة باسم سلمى ومحمد وأمه ـ إن شاء الله ـ حقيقة المشروع واعد .
قال عصام :كم موظفا عندك؟
قال : الآن ألف وخمسمائة ، والمخازن الخارجية تسعة كم فيها لا أعلم ؟ .
قال : كم ستصبح يا عارف؟
ـ قريب من الثلاث آلاف .
قالت روز : ما شاء ثلاثة آلاف موظف !
قال عصام : أولئك فقط الذين تحت مسؤولية الدكتور .. المخازن كل ثلاثة مخازن له إدارة خاصة

قال : الحق أن ابن عمي سامي وحسن عمالقة في الإدارة والتجارة ، ولا يظهر عليهم هذا الإبداع والتخطيط ، وهم يعملون مشاريع إسكان وأبراج في تاج الزمان والبلاد .. يقيمون برجين في ضمن مشروع الثلاثين برجا ، ووصلوا الطابق العشرين من مجمع الثلاثين برجا .. البرج سيكون أكثر من ٧٠ طابقا، مثل أبراج الخليج وشيكاغو ونيويورك وأمريكا وماليزيا .

قالت جريدة : وأنت تستطيع السيطرة على ثلاثة آلاف .

قال : بتوفيق الله ممكن .. يدير مدير مستشفى كادر ومرضى بعشرة آلاف.. الإدارة تسلسل هرمي .. ومهمتي مراجعة تقارير من كل قسم ، وقسم المال يتابع الداخل والخارج .

قال عصام: سمح سامي بمعالجة أي موظف وأسرته في مستشفاه الخاص ، واذا لم يتوفر العلاج والأخصائيون ينقل إلى أي مستشفى وعلى حساب الشركة .

قالت وردة : والله رائع! طلب مني سامي أن أعالج نساء الشركة وزوجات الرجال على حساب المؤسسة ؛ كما نقدم هذه الخدمة لمصانع وشركات نتعاقد معها .

قال عارف: هذا التطور سيقوم إبراهيم بعمل العقد مع عيادتك في بداية تموز .. كل الحوامل وغيرهن لمن ترغب المراجعة عندك .. وهناك احتمال أن يطلبوا منك تغير مكان العيادة لأضاقه طبيبة أو أكثر .. فهناك مبنى امتلكناها .. قريبا من موقع المؤسسة ، تصلح لمركز طبي لمرضى المؤسسة وعيالهم بما يسمى تأمينا صحيا خاصا .

قال عصام : دردشت وسامي في ذلك ، ولم أعرضه عليكِ حتى يصلح البناء وعرض أن تكوني مديرة ، لا تعملين بيدك مثلي.

قال عارف : أطباء الأعشاب يرغبون بحجز نصف طابق عند انتقال الأقسام ، أنا لم أكن أظن أن أحدا يذهب لهؤلاء العشابين ، كنت أظنهم مشعوذين، فهم يحملون شهادات مثلنا يا وردة ومستودع الأدوية والكريمات والدهون والزيوت يريدون حصة ، والأمر الآخر ...

قالت : عندك أمر آخر غير الملايين !

قال باسما : هذه الفيلا أصبحت ملكي .. والملك لله.

ـ والشقة.

قال : هدية لأختي جريدة .

قالت : وشقتي !

قال : بيعها .

قالت : لست فقيرة!

قال : الهدية غير مرتبطة بالفقر والغنى.

***

خاطب مهران إبراهيم : ذهبت لعزاء أسرة عارف.

قال : عزاء عمة جهاد .

قال : ذهبت ، وعرفت شيئا أو أشياء ، لم أكن أعرفها ، مع عشرتنا الطويلة لجهاد !

قال بفضول : ما الجديد الذي عرفته ؟

قال أحمد داخلا على الخط : ماذا عرف صديقنا أبو نزار؟

قال متعجبا : وجدت أن زوجها.. الحجة سعيدة الميتة .. وصل لرتبة فريق في سلاح الطيران ومات قبلها بسنوات ؛ ربما لذلك لم نسمع جهادا أو شقيقه سالما يتكلم عنه ، وثانيا ابنها الكبير حسين مدير مستشفى في عنبس ، وابنة عمته سفيرة .. كل الأولاد من علية القوم .. هل سمعتم جهاد يتكلم عنهم؟!

قال احمد : أنا سمعت عنهم شيئا قليلا .

قال إبراهيم : كعائلة سمعنا عنهم ؛ لكن ليس بمثل ما سمعنا يومين العزاء .. وجهاد بطبعه لا يحب التفاخر بأقاربه أو يتحدث عنهم وحتى سالم مثله.

قال مهران : المعرفة والأخبار ليست من التفاخر .. كلنا يخجل من التفاخر ؛ لكن للحاجة والشفاعة ، لما نعرف أن والد زوجتك مثلا ضابط مخابرات نطلب مساعدته عند الضرورة .

قال أسامة : وجهة نظر طيبة يا دكتور!

قال إبراهيم : ربما السبب أن تواصلهم مع بعض رسمي ؛ لأن جهادا من عائلة وزوج الحجة سعيدة من عائلة أخرى ؛ كما أنا وجهاد فنحن من عائلة ، وهم من عائلة ، ليس من مشترك بينهم في كل هموم وقضايا العائلة ، ونحن مثلهم .. هذا العزاء مثلا .. لو لم يكن له علاقة بجهاد ما ذهبنا .. هكذا العزايات اليوم .. جهاد أولا ثم أقاربه الأقربين .

ـ يبدو اختلاطهم قليل ؛ وليس بينهم مصاهرات حديثة .. فالنساء تجمع وتفرق .

قال إبراهيم : الحجة سعيدة عارف كبيرة في السن ، كان جهاد وسالم يزورنها في كل فرصة متاحة وابنها الأصغر اسمه حاتم جادر محامي مثلنا ؛ لكنه طلق المحاماة وعمل بالتجارة والصناعة متأثرا بخاله حبيب ، ومحب لخاله ، فكان يحضرها لزيارة حبيب أو السيد حبيب يزورها باستمرار وتكرار وصّال للرحم ، وحاتم أكبر مني بسنة ، قريب من الأربعين .

قال مهران معلقا : أسرة تحب الاستثمار ، الكل يحب الاستثمار ؛ ولكنهم يكثرون من المشاريع لتشغيل الناس يستفيدون ويفيدون مع أنها لو وضعت في البنوك وأخذت فوائد ؛ لكسبوا الملايين بدون تعب ومناكفة الناس ، تعيين موظف ، علاج موظف ، ترك موظف.. ذات يوم جلست مع

مليونير ، يملك ما يزيد عن عشرين مليونا ، فقلت له أين تستثمر ثروتك ؟ أجاب يا مهران استثمرها في البنوك في النمسا سويسرا أريح نأخذ عنها أرباحا دون مشقة ودون ضريبة عملت عدة شركات انكسرت رواتب موظفين ضريبة مخالفات بيئة .. فوضعها في البنك لا أحد يسألك عنها .. هذه عقلية .. وحبيب عقلية .

قال احمد : بارك الله لهم في أموالهم ، ورثوا ذلك عن أباهم وأجدادهم .

فقال أسامة : يتصدقون كثيرا ، عملت معه في التوزيع ، عندما نذهب لأسرة معينة في الكشف تتطفل علينا أرملة فقيرة فيعطيها من ماله الخاص زيادة على المخصص .. أسرة تحب الجود
بالفطرة .

قال إبراهيم :هذا معروف في أبي العبد قبل أن يصير مليونيرا .. أنت قل عاوز دين عشرة عشرين فسيعطيك بدون أن ينتظر السداد ، لو فعلت لا يقبلها ويعتبرها هبة .

قال احمد: الناس الطيبون لا يمّل الناس من ذكر محاسنهم أيها الإخوة .. الجريمة التي حدثت قبل أسبوع .. اتصل شخص بنا للدفاع عن ابن أخيه .. فالقاتل ابن أخيه ، ويزعم أنه لم يقصد القتل ؛ إنما هي ساعة غضب.

قال مهران بتهكم : ساعة غضب ، ومعه مسدس ، هو ذاهب لحرب .

قال احمد : المسدس المشكلة ، زعم أنه كان يحمل المسدس لبيعه!

قال إبراهيم المختص بالقانون الجنائي: نشرت الصحف تفاصيل الحادث يبدو أن في الجريمة مخدرات ، وليس بيع مسدس .

قال أسامة : وهذا كشفته جريدة الشرطة العدد الأخير .

قال احمد : رأيت جهادا في العزاء وأخذت رقمه الدولي ، واتصلت به بعمان فأخبرني بتصفية أملاك أبيه في كوبا ، وسيذهب صيفا لسويسرا ، ونقل ما تم تصفيته لبنكه هنا ، وقال لي ضاحكا : ترك لنا ثمانية ملايين ونصف .

قال إبراهيم : تحدثت أختي أم عبد الله، وزوجة المهندس سالم بذلك .. العجيب أنه جمعها في بلد شيوعي اشتراكي حازم .

قال أسامة : كيف ؟!

قال إبراهيم : خرج نجيب من بيروت هاربا من الموساد ، وتزوج كوبية عميلة مخابرات كوبية بشخصية جديدة ، لم يعد يعرف بنجيب عارف ، فلا أحد يعلم من أهله وأقاربه أنه حي يرزق في كوبا إلا هو ، ومن ساعده على أخذ الاسم جديد كزوجته الكوبية ، وهو طبيب ، فعمل طبيبا ، واستثمر مع شركات أجنبية ـ الاستثمار يسري في

دمائهم ـ تعمل في كوبا لصناعة الدواء وفي جزر الكاريبي الموالية لأمريكا مثل هايتي والدومنيكان وكولومبيا فرغم الاشتراكية ، فكانت تسمح لبعض الشركات أن تعمل في كوبا لتبادل السلع والأموال ، حتى في روسيا لم يكن كل شيء اشتراكيا ، فهناك شركات قريبة من الاقتصاد الحر صمت القوم قطعه مهران : المؤسسة الطبية العالمية شيء مذهل يا إبراهيم ! ذهبت لمراجعة بعض قضاياهم القانونية فأخذني الدكتور عارف في جولة سياحية .. فذهلت حقا ! .. أشياء حتى في الدعاية والإعلان ما عرفتها .

قال إبراهيم : نجحت بسرعة ، نيات صادقة ، وعمل جاد ، فيها مدراء خبراء بحق ، وفي العام القادم سيجري تغييرات ، وفصل الأقسام إداريا وماليا ، سيبقى المبنى كله للطب والصيدلة وطب الأعشاب والكريمات والزيوت ، وينقل القسم الثاني والثالث إلى أماكن أخرى حتى الشكولاتة التي يقدمها عارف لزواره طبية وعلاجية .

فقال أسامة : أي عقل رتب هذا المشروع؟

ضحك إبراهيم قال: عقل أسرة عارف!

فقال أسامة : شخص!

قال إبراهيم باسما : شخص ! مجموع عقول .. كان سامي قد رأى مثلها في أوروبا .. في بلد زارها ، وظلت فكرة حتى نضجت ، ووجد من يعمل ويقتنع بها.

فقال أسامة : ما شاء الله .. لا قوة إلا بالله!

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي ٧

السفر

عندما عاد ميلاد للعاصمة توجه لمكان العمل ، فوجد حميدا وابنه عمادا في انتظاره ، وبعدما تعانقا وقدم الشاي الساخن لميلاد أعلمه حميد أن الرجل يسعى له في السفارة ووزارة الخارجية وقال : إن الأمر يستغرق وقتا ... شهر شهران .. فتصريح السفر ليس سهلا لأنه ليس هناك اضطرار ولا يأخذ صفة الاستعجال لعدم وجود ضرورة كميت أو مريض أو دراسة

فقال ميلاد : الأمر لله ، لولا تلك المحاولة الجنونية لما فكرت بالسفر.. أنا وقفت ضد زواجها لأتزوجها.. أنا طمعت بذلك .. ولما تزوجت رغم أنفي فقدت صوابي .. ولا أظن أنها ستعود يا حميد.. فهي تخلت عن زوجها من أجل البقاء في تلك الدنيا

ـ أترى أن لا حاجة للسفر لمقابلتها ، وأن لا أمل في عودتها ؟!

ـ قضيت أيام خروجي الأخيرة أفكر بذلك .. أفكر بهذه الرحلة حتى أن الشيخ حسنا والمرافقين لنا انتبهوا لانشغال ذهني فصارحت حسنا بكل

التفاصيل
ـ وما رأيه في سفرك ؟
ـ لم يعترض عليّ .. بل دعا لي بالتوفيق وحسن الضمير ، وسألني عن التكاليف لهذه الرحلة وسكت ولما فكرت بتخليها عن زوجها ، قلت لنفسي أيمكن أن تعود معي أو تعدني بالعودة ؟ فهي منذ غادرت لم تأت بزيارة واحدة حتى لأمها التي ليس لها إلا هي .. ترملت أمها يا حميد وما جاءت
ـ صحيح أنها لم تحضر ؛ ولكنها تتحدث معها دائما يا ميلاد .. ولا تنس أن لها ابنة هناك .. وأما تخليها عن الزوج .. فكما علمت من أمها أنها تركته ؛ لأنه كان يفكر بالعودة للزواج والإنجاب لم تقبل أن تعيش ضرة وزوجة ثانية .. وثانيا ابنتها رفضت المجيء إلى هنا ، فهي كما تعلم ولدت هناك ، وحملت الجنسية الكندية منذ ولدت ، فكان على زهيرة أن تبقى مع فلذة كبدها الوحيدة وأنا شجعتك للسفر ليس لتعود بها ، إنما لتطهر نفسك أنت ، وتحمسها للعودة .. ولتعلم صدقك بالتوبة نحوها ، خاصة عندما تراك وأنك تعتذر عما سبق من مضايقتك لها .. ونشعرها أننا مقصرون نحوها ؛ ولعلها بعد هذا الاعتذار والأسف تغير أفكارها .. وتعلم أننا نكن لها الود والحب والتقدير .. فيا أخي الفاضل إذا كنت غير متشجع لهذه الرحلة فاصرف النظر عن السفر .. وحاول بالتلفون أو كاشف الدكتور عبد الصمد بسبب سعيك لزيارتها ؛ وليقوم هو بهذه المهمة عندما يعود لوطنه ، وأن يقنعها الرجل بأن تسامحك ما دام صديقا لها واشتغلا معا وقد تقبل بالحديث معك على الهاتف

بعدما رجع ميلاد من خروجه الدعوي الأخير ولقائه في الصباح التالي مع ابن عمه حميد حسم الأمر ، وقرر ألا يذهب لكندا ، فكتب رسالة يعتذر فيها لزهيرة من سوء سيرته معها ، ويطلب منها أن تسامحه وتغفر له وتقبل اعتذاره ، وأن تتصل به على بيت حميد نبيل ..وإذا شاءت أخذت رقم هاتف المنزل من والدتها .
ولما راجع الرسالة بشكل جيد اتصل ذات ليلة بعبد الصمد في شقته بنيويورك ، ولم يجده في البيت ، وبعد عدة محاولات اتصل بهم عبد الصمد بناء على موعد تركوه له ، فقال ميلاد بعد التحية والسلام : يا أخ عبد الصمد .. آسف جدا لإزعاجك معي .. وأنا قد صرفت نظري عن السفر لكندا .
ولما سأله الرجل عن السبب تعذر بالتكاليف المالية ، وأنه يفكر بالزواج بالمبلغ الذي سينفقه على هذه الرحلة ثم قال : بما أنك زميل سابق للدكتورة زهيرة ، وبينكم معرفة كما أخبرتني في مكالمات سابقة ، سأكتب رسالة خاصة سأرسلها إليك ،

وعندما يقدر لك العودة لموطنك ، أرجو أن تسلمها لها ، وتتشفع لي لديها وتحثها على الاتصال بي على الرقم المذكور في الرسالة .. وأريد منك أن تطلب منها أن تعفو عن الأخطاء والإساءات التي ارتكبتها بحقها أيام الجهل والعصيان .. وعندما نلتقي باجتماع الدعوة آخر السنة أرجو أن تكون وفقت في شفاعتك بيننا وإذا حدث الاتصال سأعتذر لها بنفسي .. وأطلب صفحها ، ولكن أعتقد أنها سترفض الحديث مباشرة معي .. كانت علاقتنا معها سيئة للغاية يا دكتور عبد الصمد أنا وأسرتي.

تنهد عبد الصمد ، ولما استوعب رسالة ميلاد قال : أنا قدمت طلب موافقة لك على دخول

كندا كضيف وزائر .. وأنا خلال شهر أو شهرين سآخذ إجازة لأزور أهلي والبلاد لمدة أسبوعين فعجل بإرسال الرسالة .. اكتب صندوق البريد الخاص بي هنا .

ولما وضع ميلاد السماعة قال لحميد بانكسار : أرى أن هذا الحل الأمثل في هذه المرحلة يا عم حميد ..فلا أعتقد أني إذا قدمت اعتذاري ، وقبلته ستعود فورا .. فقد كانت تبغضني أشد البغض وأنا كنت راغبا بالزواج منها أشد الرغبة .. فأنا لما سمعتك تقول إنها تخلت عن زوجها للبقاء وحيدة بين تلك الملايين ، فهذا يؤشر أنها ما زالت تكره

ميلاد بن عادل .. وأذكر أنها لم ترسل برقية تعزية في وفاة عمها عادل ، ولا امرأة عمها

ـ ولا عمها نبيل .. أمها عزت عنها ، وزارت امرأة أبيك قريبتها معزية

تنهد ميلاد بعمق وقال : المهم أنها نسيتنا .. فهل إذا قلت لها سامحيني يا ابنة العم ؟ .. أنا آسف أنا نادم ستحمل حقيبتها وتعود .. وكذلك لا تنسى أن ابنتها تتعلم هناك .. فهل تترك المدرسة لتعود بها ؟ .. فأمر مجيئها أراه صعبا ، وربما مستحيلا .. والذي يهمني من الاتصال بها فقط العفو وأن تغفر لي ظلمي لها .. وإذا قدر لي الخروج في سبيل الله في يوم من الأيام لتلك البلاد سأسعى للقاء بها والسلام عليها

فقال حميد : وهل حقا ستتزوج كما سمعتك تقول لعبد الصمد ؟!

ـ الشيخ حسن مصمم على زواجي .. عندما التقينا في مركز الدعوة ليلة الجمعة أعلمني أنه تحدث مع أحد مشايخ الدعوة في هذه الموضوع ، والرجل شاور ابنته فقبلت بي دون أن تراني .

فقال حميد فرحا : والله هذا تطور جميل ! ولا أظنها طبعا ترفض شيخا مثلك .. يا ما تمنيت أن أراك زوجا وأبا .. لقد تأخر زواجك كثيرا ..

فضحك ميلاد وقال : ألم يتزوج عمي مجدي على الأربعين؟ فأنا أحاكيه

ـ أوه !! نحن وصلنا فوق الأربعين يا شيخ ميلاد

ـ لما تأكد لشيخنا حسن صرف فكري عن السفر لكندا قال معقبا خلاص فلوس كندا تحول لزواج الشيخ ميلاد .. ودع أمر ابنة عمك للقدر .. وهي لم يصبها شيء من الحادث كما قلت ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له

ـ جميل هذا من الشيخ أبي صلاح ! ولكنه حق عباد !

ـ وهذا الذي يؤرقني يا حميد .. حق زهيرة

ـ رحمته واسعة وقريبة من المحسنين .



تلقى السيد عبد الصمد الكندي رسالة الشيخ ميلاد الذي عرفناه قديما بهنري جوليانز الطبيب بالمستشفى العام في مدينة مونتريال ، وتركناه وقد طلق زوجته الكندية ذات الأصول الفرنسية متجها إلى الولايات المتحدة في إجازة ، ثم ظهر بعبد الصمد في رايوند الباكستان مصاحبا للشيخ الجديد ميلاد عادل ، أخذه الحماس لإيصال الرسالة لزهيرة التي لم يرها منذ ذلك الفراق ، فرتب أموره لقضاء أيام في كندا ، واستقل الطائرة من مطار لاغوارديا في مدينة نيويورك إلى مطار مونتريال .. إلى المدينة التي ولد ونشأ فيها ، وتعلم في إحدى جامعاتها الطب والجراحة ، وكما تفاجأ ميلاد وحميد بمعرفته بقريبتهم ، هو أيضا عجب لتصاريف القدر ، فأوجد ذلك حماسا وهمة لرؤية زهيرة سامر ، هكذا عرفها في المستشفى .

والغربيون يحبون إذا اعتنقوا الإسلام أن يغيروا أسمائهم إلى أسماء عربية إسلامية عميقة على أسماء الصحابة ، والعلماء ، فتسمى هنري بعبد الصمد المقرئ المصري المشهور عبد الباسط عبد الصمد .. لا تستغرق الرحلة من نيويورك إلى كندا سوى ساعات يسيرة ، فكندا والولايات مشتركون في حدود طويلة ، فوصل ليلا ونزل في فندق فخم يحب النزول فيه كلما عاد للمدينة فهو كان شريكا لزوجته جنفياف في شقة ، يدفعان أجرتها بالمناصفة ، قضى ليله في غرفته في الفندق .. ولم يتصل بأحد إلا بأمه مخبرا له أنه سيمر مسلما عليها ، ويتناول معها الغداء ، ثم يتعشى مع والده المنفصل عن أمه منذ سنوات طويلة ، وكان يتواصل مع أخته وأخيه بالهاتف فقط ، وله أخت من أبيه من أم أخرى أو عشيقة بالأحرى ، ثم اعترف أبوه بها بعد خلاصه من أمها .. ووالداه من أتباع المذهب الكاثوليكي ، ومتعصبان له بشدة رغم عدم معرفتهما بالتدين كما يقول هنري عنهما ، وبعد مشاركة أمه الغداء اتصل بمادلين ابنته معلما لها بوجوده في المدينة إذا أحبت رؤيته والحديث معه ،

فأخبرته أنها ليس لديها وقت هذا اليوم فترك لها رقم الفندق والغرفة .. وفي الليل ضاف والده وجلس معه وقتا يسيرا ، ثم مر على بعض معارفه من الأطباء الذين ما زال يتواصل معهم ، وعاد لفندقه عند منتصف الليل ، وجلس في الصالة يشرب القهوة واتصل عدة اتصالات .. وقضى ليلته الثانية في الفندق الذي اعتاد أن ينزل فيه كلما

قدم المدينة وقبل الظهر خرج في جولة في المدينة ينتشر في مونتريال وأحيائها عدد من المساجد ، في سان لوران مسجد الإسلام والروضة ، والمدينة ، والرابطة ، ومسجد كلية فانيير، ويوجد في منطقة لافال مسجد خالد بن الوليد والأنصار ، ومركز الثقافة ، ومسجد عقبة بن نافع وفي منطقة الدو بارك مسجد الإحسان ، والسنة النبوية ومسجد الأمين ، ومسجد عثمان بن عفان وفي منطقة كوت دينيج مسجد بلال الإسلامي ، ومعاذ بن جبل ، والفلاح ، وطيبة ، ومسجد جامعة مونتريال ، وأبو بكر الصديق ومنطقة شمال مونتريال وسان ليونارد مسجد نور الإسلام والشورى ، مركز بدر الإسلامي السالم ، الفاروق ، وللطائفة الشيعية مساجد خاصة بهم وخاصة مهاجري العراق

أدى صلاة الظهر في مسجد السنة النبوية ، وبعد أن غادر المسجد دخل مقهى في نفس الشارع واتصل بمستشفى مونتريال العام حيث تعمل الدكتورة فأخبر أنها غادرت العمل قبل وقت يسير ، فاتصل ببيتها على الرقم المعروف له ، وقد علم من بعض رفاقه أنها لم تغير سكنها ، فردت عليه الخادمة وهي كما يذكر فتاة من أمريكا الجنوبية من غواتيمالا ، هكذا كان يهمس لنفسه وقال ما زالت لديها نفس الخادمة .. لا أعتقد أنها نسيتني بعد خمس سنوات .. فذكرها بنفسه فعرفته ورحبت به ، ثم أخبرته أن المدام زهيرة لم ترجع للبيت بعد ، واتصلت بها عند مغادرة المستشفى وأخبرتها أنها في السوق ، وأنها سوف تجتمع بابنتها للغداء في المدينة .. فأخبر بأنه سيتصل بها ليلا ، ولتعلمها بهذا ، وغادر المقهى وهو يقول : لماذا لم أخذ رقم الموبايل الخاص بزهيرة ؟! تمشى نحو المسجد من جديد فوجده مغلقا ، فتعجب ثم تذكر أن أحداث نيويورك وواشنطن جعلت الإدارة الكندية تغير من نظام فتح وإغلاق المسجد ، وكندا فيها جالية إسلامية لا بأس بها ، وإن كان عددهم بالنسبة للسكان الأصليين ضئيلا ، فجلس على مقعد أمام المسجد لدقائق ثم دخل كوخا صغيرا

يبيع الكتب الإسلامية والأشرطة وأقراص الكمبيوتر واشترى كتابا دينيا ومر على عيادة طبية لزميل له يعمل فيها ، وهي خاضعة لإحدى الجمعيات ، فتصافحا وقال زميله : أنت شيخ مسلم بحق يا هنري ! .. قلت لي إنك تحمل اسم صمد حمد .. عبد الصمد .

ـ نعم ، يا جون .. هذا اسمي العربي .. يا الله يا جون ! عندما ترى نفسك واحدا بين ملايين المسلمين في مجمع واحد من أقطار العالم تصاب بالذهول .

وطفق يحدثه عن اجتماع دكا السنوي في بلاد الهنود في وسط آسيا بإعجاب وإسهاب ، ولما سكت قال جون : أو ليس هؤلاء هم الذين فجروا أبراج نيويورك ؟ أو ليسوا هم مسلمين ؟!

تبسم هنري لخبث جون وغمزه وقال : ليس كل المسلمين واحد ، كما ليس كل النصارى واحد الذي فجر أوكلاهوما لم يكن مسلما يا جون .. إرهاب في المسلمين إرهاب في الشيوعيين إرهاب في المسيحيين .. ولا تنسى أن عددا من المسلمين قتل في أحداث نيويورك في أحداث مبنى التجارة العالمي .. وأنا عند الأحداث تلك كنت في المدينة أعمل في أحد المستشفيات الكبيرة

ـ فعلا هنري ، لماذا تركت مدينتك هذه للعمل في نيويورك؟! .. أيدفعون لك أكثر من هنا ؟

ـ لا ، أنا ذهبت للإسلام .. نيويورك مدينة مليئة بالمسلمين والعرب والهنود .. وأجور الأطباء هنا كما هي في أمريكا بشكل عام .. وهناك تفاوت بسيط بين ولاية وأخرى .. تنتشر في نيويورك آلاف المطاعم التي تبيع الطعام الحلال والرخيص أتصدق هذا ؟!..

تفاجأت زهيرة مفاجأة حقيقية لما أعلمتها خادمتها باتصال هنري تيدي والد مادلين ، فهي منذ طلاقه لزوجته وتركه العمل في المستشفى لم تره ، ولم تسمع صوته ، علمت بخبر سفره ، وانتشار خبر إسلامه في الوسط الطبي ، ماذا يريد مني بعد كل هذه الغياب ؟! فأخذت ذكرياتها مع هنري وأسرته تتوارد على ذهنها وخيالها .. عادت بها الذكرى لقسم المواليد في المستشفى العام بمونتريال حيث التقيا أول مرة .. فهو الجراح النسائي الماهر والذي كان يقوم بعمليات قيصرية وولادة متعسرة ..

فعندما كان رئيسها كانوا يتبادلون الزيارات العائلية ، وذلك قبل طلاقها وطلاقه .. وتذكرت أنها لما انفصلت عن زوجها لم يعد بينهما سوى لقاءات وحوارات المستشفى أثناء العمل ودقائق الاستراحة .. لم يعودوا يذهبون للحدائق والمتنزهات المنتشرة في منطقة مونتريال .

ولم تقض زهيرة هذه السنوات في راحة وسعادة مع

أنها كانت تسافر هنا وهناك لتغيير الجو والخروج من رتابة العمل وجدران البيت .. فكانت تأخذ إجازات العمل وتتجول في البلاد ، وشاركت بعدد من الرحلات السياحية الداخلية .. وكانت تصحب ابنتها في بعضها ، وبعضها ترافق شمس



زميلاتها في المدرسة والنوادي التي تتردد عليها .

وكانت زهيرة في لهفة واضحة لسماع صوت الدكتور هنري خاصة بعد إشهار إسلامه ، وفي شوق لمعرفة لماذا قطع علاقته معها كل هذه السنوات ، لذلك كان الترحيب بينهم حميما وحارا وبعدما اطمئن كل منهما على صحة الآخر قال : كيف سنلتقي ؟ ما رأيك بعشاء في مطعم عام وعال الجودة في وسط المدينة قرب الحي الصيني .. فهناك أكلات عربية وإسلامية .

ـ أنا عندي إجازة غدا ؛ فليكن غداء يا دكتور هنري في نفس المطعم .

وسط مونتريال يوجد فيه الأبنية المرتفعة والفنادق والمسارح ومراكز التسوق على جانبي المنطقة وهناك محلات الألبسة والمطاعم ، ومجمعات المكاتب والشقق الخاصة ، ومراكز المؤتمرات ، والحانات المخصصة للدعارة وحيث تنتشر فتيات الليل والمومسات حتى ماين وقرية الشاذين ويمتد شارع ماين من الحي الصيني وموازيا بولفار سان لوران .. وشارع ماين يعتبر مركزا للمحلات والمطاعم الصغيرة والمقاهي الرخيصة .. بينما يعتبر شارع سان شريانه التجاري ، ويعتبر شارع ماين وسط المدينة خليطا ثقافيا ، ففيه معظم اللغات والجاليات العرقية ، تتجاور فيه المحلات الإيطالية والبرتغالية واليونانية والبولندية والصينية ، وتمتد معه صعودا من الميناء حتى الجبل ، وكان شارع ماين محطة استقبال المهاجرين الرئيسية للشقق الرخيصة فيه ، فيأتي الغرباء لماين لصفقات شراء بالجملة ، ووجبات طعام رخيصة ، وعقاقير غير قانونية .

التقيا في المطعم المعروف لهما منذ زمن ، فلما رأته زهيرة ذهلت وهتفت ببشر : هذا أنت شيخ بحق ! لحية ودشداش عربية وعمامة..! أراك مثل شيوخ بلادنا أتمشي بشوارع كندا بمثل هذه الثياب ؟!

ابتسم ورحب بها ، واعتذر عن مصافحتها كما تعودا ذلك قديما ، ولما جلست شكرته وقالت : والله أنت شيخ جميل يا هنري !

ـ غيرت اسمي صرت عبد الصمد .. مرحبا

بالدكتورة العزيزة والصديقة القديمة ومحررتي من الكفر والضلال .

كانت تسمع ذلك ، وهي في دهشة مما يردد ، فتابع : أنا لبست هذه لمقابلتك بها ، ولكني ألبسها في بلاد المسلمين .. وعند الصلاة .. كيف ابنتك يا زهيرة ؟

ـ الحمد لله .. حدثني عن نفسك أيها الإنسان ؟

ـ الحمد لله رب العالمين يا دكتورة .. ما أخبارك ؟

ـ كما هي على افترقنا عليه عمل .. عمل .. نوم .. قليل من الرحلات .

ـ أما زلت بدون زواج ؟

ـ أتزوج ؟! ومن يتزوجني يا هنري عفوا عبد الصمد ؟ .. لست بالحسناء والمثيرة للرجال .. ومؤسسة الزواج عندكم شكلية .. لا الرجل يخلص لزوجته ولا الزوجة الشابة تخلص لزوجها إننا نسمع حكايات غريبة لكبار السن .. زواجكم معقد .. زواج بدون زواج .. وهذا لا يوافق تقاليدنا كما تعلم .. لم يحدثني أحد عن الزواج بعد انفصالي عن سامر إلا أنت ، وذلك قبل سنوات لعلك تذكر ذلك .

ابتسم لها وقال : وهل أنساه ؟!

قدم لهم النادل الطعام الذي طلبه هنري ، ولما بدآ يأكلان قال هنري : صدقي يا دكتورة أنني كنت تلك الأيام راغب بالاقتران بك على دين محمد ﷺ ، كنت سيدة فاضلة في نظري وما زلت وأنا معجب بالوفاء عند النساء العربيات والإسلاميات في مجتمعهن وحتى في المجتمعات الغربية ، رغم ما يشوب ذلك اليوم من الانفلات والضياع .. ولا يخلو مجتمع من فسق وفجور أما أن يصبح الفجور أمرا طبيعيا فهذا مأساة .. كنت أرى حياتكم أنت وسامرا ، فأعجب من اكتفاء كل واحد منكم من الآخر .. نحن أزواج بلا زواج .. عندما يدخل الرجل شقته ويجد ويرى بين أحضان امرأته رجلا من الشارع .. سيسكت .. وسيعالج المشكلة بإحضار عشيقته للبيت أو بنت هوى .. فهذا يحارب هذه وتلك تحارب هذا شيء مؤلم ! .. ما زلت في نفس المستشفى ؟

همست وهي تمسح يديها وفمها بمناديل المائدة قائلة : أجل ، الحمد لله على النعم .. شكرا على هذا ـ وأشارت للطعام ـ وبارك الله فيك .

ـ شكرا على تلبية الدعوة .. لم تأكلي كثيرا .. لكني أعرف عادتك هذه ..

ـ وأنت لم تتزوج بعد ؟

رد وهو يبلع لقمة وضعها في فمه : تعرفت على ممرضة في مستشفى نيويورك .. تريد علاقة بدون زواج ، ولما علمت أنني مسلم حقيقي رفضت الزواج البتة .. وتركت الأمر لليوم .. فأني أقضي وقتا طويلا من السنة في الترحال .. وقد مللت

الجنس والحياة الزوجية ..
ولما نظف يديه وفمه بمناديل المائدة الرطبة قال : فكرت أن أعود إليك خاطبا بعد إعلان إسلامي بمصر وأخاطبك قائلا ها أنا عدت إليك مسلما حقيقيا .. ليس مسلما من أجل الزواج فقد تعرفت على بعض المسلمين من جماعة يسميها الناس جماعة التبليغ والدعوة ولهم مركز نشط في قرية طموه قرب الجيزة في القاهرة .. فرغبت بزيادة إيماني ونشر الإسلام بين الناس الضالين خاصة أن الدعوة تحتاج لناس يتقنون اللغة الفرنسية والإنجليزية والعربية فتشجعت وتحمست والتحقت بهم .. فسافرت الهند والباكستان وبنغلاديش وإندونيسيا وماليزيا والنمسا وبلغاريا وروسيا .. بعضها نمكث فيها أسابيع وبعضها أياما .. وبعضها أشهر كالباكستان ودكا .. ولما عدت لأمريكا تيسر لي عمل في أحد مشافي نيويورك .. وهي مدينة عظيمة وتاريخية فعلا .. كل أجناس العالم تقطنها .. ومن كل ولايات أمريكا يفدون إليها للسياحة للعمل .. وخرجت إلى تشيلي كمترجم مع جماعة من الباكستان .. لمدة عشرة أيام .. وغادروا للبيرو وعدت لعملي .. وهكذا تمضي أيامي بفضل الله .. فلم تشغلني قضية الزواج بعد دخولي الإسلام لولا أنها سنة النبي محمد ﷺ ..

فتممت زهيرة بالصلاة والسلام على نبي الإيمان والإسلام ، وهي مستغرقة في التفكير في هذه المخلوق الذي عرفته ماهرا في الطب ، وماجنا مع الموظفات ومع المريضات ، وعاد يقول : حياة ممتعة لإنقاذ الناس من الجاهلية والكفر .. هيا نخرج ونجلس في إحدى الحدائق .. ألا تحبين هذه العادة ؟

ضحكت وهما ينهضان ويغادران المطعم وقالت : جميل منك هذا يا عبد الصمد ! .. ما زلت تذكر أشياء أحبها .. فقد قدمت لي الطعام الذي أحبه .. وها أنت تدعونني للمكان الذي أحب الجلوس فيه ..

ـ فهنا حديقة قريبة .. فلتبق سيارتك مكانها .. أم ترغبين بالانصراف

ـ لا ، بل أنا مسرورة بلقائك .. وكنت بشوق لمعرفة أخبارك يا هنري .. فنحن قضينا عمرا نعمل فيه معا .. فأنت زميل له ذكريات حسنة في قلبي ونفسي .. كيف أسلمت بالتفصيل ؟

مشيا إلى تلك الحديقة التي يعرفها هنري وزهيرة منذ زمن بعيد .. فحدائق مونتريال كثيرة ومنتشرة في كل أحياء وشوارع المدينة ، وجلسا على مقعدين منفصلين مقابل بعضهم البعض وطلبا شايا من أحد باعة الشاي: أنت جميل يا هنري بهذه اللحية الشقراء وبهذا الدشداش العربي !

ـ هذا بفضلك يا زهيرة .

قالت متعجبة : بفضلي .. لا .. هذا بفضل الله أولا .. وأنت كنت بحاجة للإسلام لتنقذ روحك بعدما شبعت من الشهوات شهوات الجسد .. كنت تبحث عن شيء يملأ روحك .. فرأيتني فظننت أن راحتك الروحية بالزواج مني ..وأنك بمجرد التلفظ بالشهادتين سيسهل الزواج من زهيرة

ـ نعم .. أعرف أن كلامك حق .. أنا لم أفكر بالإسلام يومذاك كدين حقيقي .. مسلم كما رأيت كثيرا من المسلمين في بلادنا ..لا يصلون لا يصومون .. يسكرون يرتادون الحانات ودور البغاء لكنك كنت تختلفين عن الآخرين أنت وسامر .. أرى صلاتكم ومعاناتكم في رمضان .. بعدكم عن الخمر والزنا .. لم أرك تكشفين ساقيك وشعرك ككثير من بنات العرب والمسلمين هنا .. تجتهدين حتى لا يرى ذراعيك أثناء العمل .. فهذا جميل وجميل ! ولا تهتمين بمعاكسات الأطباء وغيرهم .. فأعجبت بك حقا ، ولما طلقت رغبت بك زوجة حقيقة يا دكتورة .. ولكنك أدركت أن إسلامي من أجل شهوة .. وليس من أجل الدين .. ولما عرفت الإسلام ورأيت المسلمين في الباكستان وبنغلاديش .. أدركت الفرق بين إسلامك وإسلامهم أدركت أنك لم تكوني متدينة بمعنى التدين الملتزم .. معذرة يا دكتورة

ـ اعرف يا هنري .. الملتزمات في بلدي حق الالتزام يلبسن الملابس السميكة ، يسمونه الجلباب ولكن لباسي هذا يعتبر محتشما ، ولا يعتبر سافرا كما ترى في فتيات التعري ، وكشف الشعر والشورت .. حدثني عن رحلتك الإيمانية .

ـ كلامك عن الإسلام الحقيقي دفعني للرحيل والبحث عن الإسلام الحقيقي .. راجعت بعض المراكز الإسلامية في نيويورك .. فنصحي أحد الأئمة بالذهاب لمصر ، وتعلم العربية وفهم مبادئ الإسلام ثم إشهار إسلامي .. وأخذت بنصيحته وأنهيت خدمتي في مونتريال .. وسافرت لأعرف الإسلام الحقيقي الذي تتحدث عنه زهيرة العربية .. أنا كما تعلمين تعاملت مع المسلمين هنا سواء عربا أم غير عرب .. من خلال العمل .. من خلال الصحف الكندية والمجلات .. من خلال الشارع .. ورفاقي المسلمون من العرب والهنود كلهم أيد كلام ذلك الإمام .. فرحلت إلى مصر أم الدنيا كما يقول أهل مصر .. ذهبت للأزهر .. ووجدت تشجيعا من كل من التقيت بهم ، ورغبوا إليّ الإسلام ، وكذلك بعض علماء الأزهر .. والتحقت بمعهد تعليم العربية لغير الناطقين بالعربية .. ومن سمع حكاية وسبب هذه الرحلة يثنون عليك خيرا وقالوا إن تلك المرأة ناصحة ..

الإسلام ليس فقط لفظ الشهادتين وانتهى الموضوع .. وأخذت أقرأ عن الإسلام باللغة الإنجليزية والفرنسية .. وبعضها جميل ، ويكتب عن الإسلام بإنصاف وآخر يكتب بتشنج وتعصب نصراني .. فبعضها بنفس علمي وتاريخي ، وبعضها بنفس استعماري مشكك .. وبعد أشهر تعلمت الكثير من العربية ، واستطعت قراءة بعض كتب تعرف بالدين الإسلامي بشكل موجز موجه لغير المسلمين .. ثم أشهرت إسلامي في مكتب خاص بجامعة الأزهر .. ومنحوني وثيقة رسمية بأني أصبحت مسلما وعليّ أن اتبع تعليمات وأحكام الإسلام ، وأعطوني كتبا أو كتيبات عن الصلاة بالعربي وبالإنجليزي .. وتسميت بعبد الصمد على اسم مقرئ مصري مشهور سمعت بعض قراءته اسمه الشيخ عبد الصمد .. وبدأت أقرأ الكتب العربية .. والتقيت كما قلت لك بجماعة نشطة في القاهرة والريف يتأسون لباسا وزهدا ودعوة بالرسول ﷺ والتحقت بهم وبنشاطهم .. وهي جماعة نشأت بالهند قبل عقود واشتد عودها بالباكستان ونشاطها على مستوى العالم ، وخرجت معهم في مصر ، وبعد أكثر من سنة عدت لأمريكا ، وعملت في مستشفى في مدينة نيويورك في كوينز لوجود أصدقاء درسوا معي في كلية طب كوبيك .

استمعت زهيرة بقلب منفتح لرحلة إسلام هنري وبكل تأن وصبر وإعجاب ، وعجبت لكلمة خرجت من فيهها قلبت كيان هذا الجراح ، ولما صمت الرجل ، ونظر في عينيها منتظرا كلاما منها قالت :إنسان عظيم يا هنري ! عفوا يا عبد الصمد !

ـ لا بأس بأي الأسماء ناديتني فهو مقبول .. ومنذ ماشيت جماعة التبليغ وأنا أحرص على الذهاب للاهور ودكا للمشاركة في أهم اجتماعات الجماعة .. هناك أعلم هيبة هذا الدين يا دكتورة .. ملايين تحضر هذين الاجتماعين .. مثل الحج لمكة .. دعاة من قارات العالم يتوافدون لسماع المحاضرات الدعوية ، ثم تخرج الجماعات الصغيرة إلى أركان الأرض المعمورة للدعوة لدين الإسلام .. هذه هي حياتي الجديدة يا دكتورة زهيرة ..

ـ إذن حججت يا هنري .

ـ نعم ، ذهبت وأنا في مصر لأداء عمرة بعد دخولي الإسلام .. ثم حججت في موسم الحج .. المشهد مهيب ومثير .. أدعية بشتى اللغات واللهجات .. الحج ركن عظيم من أركان الإسلام وقد قرأت بعض رحلات الرحالة في زياراتهم للديار المقدسة .. ولدي رغبة بالعودة إليها في يوم من الأيام .. ونحن الغربيون لنا معاملات مميزة في دول الخليج أو باكستان وبنغلاديش .. فالناس يعجبون من

دخولنا الإسلام .. والدنيا مفتوحة لنا ، فكيف نترك الدنيا إلى الإسلام؟! فالمسلمون لديهم كنز عظيم العالم بحاجة إليه .. رغم ما رأيته من فقر وحاجة للناس في الباكستان ودكا، فهم سعداء يعيشون كأنهم يملكون الدنيا .. فأنتم يا دكتورة لأنكم ولدتم مسلمين لا تشعرون بما نشعر به عند إسلامنا .. فتتقمص فينا أحاسيس مرهفة .. نشعر كأننا ولدنا من جديد .. نشعر بلذة أثناء أداء الصلاة والعبادات .. وأعجب من جهل المسلمين بإسلامهم .. وابتعاد الناس عنه والبحث عن مذاهب وديانات أخرى .. هم يرون محاسن الغرب فقط ، لا يرون أو يغضون النظر عن مساوئ وسيئات حضارتنا .. الحياة المادية والشهوانية حياة الجسد .. فمنذ وعيت وتركت زيارة الكنيسة أيام المراهقة ، كانت حياتي حياة شهوات وجنس ، والبحث عن الملذات من الأكل والشراب واللعب واللهو والمخدرات .. حياة مادية .. ورغم لذتها لكن زوالها سريع .. وكم من معارفنا هلك بالإيدز ؟.. بالموت بجرعة زائدة من المخدرات .. التعرض لحادث سير أثناء حالة سكر .. الزنا مباح بصور وأشكال مختلفة وأنت لك سنوات تعيشين بيننا ، ورأيت من المشاكل .. وكم عالجنا نساء حوامل يتعاطين الكحول والمخدرات وهن غير مباليات بحياة الأجنة؟ .. ولماذا يقبلن بالحمل وهنّ راغبات بقتله؟! .. زنيت باسم الحب ، وامرأتي كانت تزني باسم الحب والحرية الشخصية .. أليس هذا حمقا وسفاهة؟ ..

ـ عندكم العلم !

ـ هو هذا الذي يخفي عن أعين الناس حياتنا الماجنة .. عندنا التكنولوجيا والصواريخ .. فجرت أمريكا بطياراتنا .. فاخترعوا الإرهاب العالمي ليمنعوا الناس من الإسلام .. ولكن الناس أخذت تسأل عن الإسلام .. ولماذا جرى هذا الحادث بهدم الأبراج ؟

ـ إننا نحمل جنسية كندية .. ومع ذلك فنحن نعاني من هذا الحادث .. فأصولنا الإسلامية تطاردنا .. ويسخرون منا ويعتبروننا قنابل مؤقتة ..

ـ زوبعة في فنجان ..إنهم يريدون مسلمين بلا إسلام ، لهم الأسماء فقط ؛ ليقولوا بلادنا تجتمع فيها جميع ملل العالم ، وهي تعيش بسلام ووئام .. لا يريدون المزيد من المساجد ..والمراكز الإسلامية .. أما التبشير فمسموح به في بلاد المسلمين بالتطبيب بالتعليم بالأفلام .. طال مقامنا في هذه الحديقة ، سأذهب للصلاة في المسجد القريب .. هل تذهبين للصلاة ؟

قاما وقالت : أكرر أنني سعدت وسعيدة بلقائي هذا يا حاج عبد الصمد .. وفرحة بإسلامك وأتمنى لك الثبات .. هل يطول بقاؤك هنا ؟

ـ لا ، أيام معدودة .. أسبوعان فقط .. وصدقي أنني جئت لأقابلك شخصيا .

خفق قلبها وقالت برعشة : لعلك ما زلت تأمل بالزواج مني ، من مسلمة عربية ؟!

تبسم لاضطرابها وقال : لا ، الحق لا ، مع رغبتي لذلك

عجبت زهيرة وقالت : لم أفهم ؟!

كان يتابعان الحديث ، وهما يمشيان للمسجد القريب من تلك الحديقة العامة ، فرد هنري قائلا : لما طلقت من الدكتور سامر أحببت الزواج منك ؛ لمعرفتي الكبيرة لك .. لأنني كنت أبحث عن الاستقرار العائلي .. وأحسست بشفقة وعطف نحوك .. لأنك عدت وحيدة في هذا البلاد فتحمست للزواج منك ، والخلاص من جنفياف ، وكنت مستعدا لإشهار إسلامي ليتم الزواج ولكن صمودك القوي أمام اندفاعي ، ورغبتك في أن يكون إسلامي جديا وحقيقيا دفعني للتعرف على الإسلام بحق .. وتعمق فكري بنصيحتك .. وقبل أن يدخلا المسجد قال : آسف لم أسالك عن شمس كيف هي اليوم ؟

ابتسمت له وقالت وهي تكاد تدمع : سيئة يا هنري فشلت في تربيتها .. المجتمع البيئة جرفتها تعرفت على شباب مستهتر ، وتسافر معهم وترافقهم ، وتزعم لي أنها ما زالت عذراء .. طبعا أنا لم أصدق ذلك ، وجدت معها حبوب منع الحمل ، ولا أستطيع أن أطلب منها الكشف عن عذريتها..

بكت زهيرة فجأة ، مما حرق قلب هنري ، فهو يعرف أهمية العذرية عند العرب والمسلمين خاصة المحافظين ، وأخذ يخفف عنها وقال : لا أدري ما الذي دفعني للسؤال عنها للأسف كنت أتوقع لها ذلك .. هي ابنة تقاليد هذه البلاد .. رغم سنها الصغير كانت متمردة حتى مع وجود أبيها هنا وأذكر أني قلت لكم يوما إنها ابنة هذه البلاد فانتبهوا لها

مسحت دموعها وهمست : لم أنس ذلك يا هنري .. إنها كنا عاجزين عن فعل شيء ، كنا بين دراسة وعمل .. والخادمة ماذا ستفعل لها ؟! ليس باليد حيلة في مجتمع منفتح كهذا .. الحكومة مع الانحلال باسم الحرية .. والإقناع لم نوفق فيه معها .. فما كان أمامي إلا الصمت والدعاء بالهداية وأن تحس بالمسؤولية .. البيئة قاتلة خاصة عندنا نحن المسلمين الذين نزعم أننا محافظون وهذا أحد أسباب تحمس سامر للعودة للوطن قال البنت تكبر يا زهيرة ، ولا طاقة على تربيتها كما تربينا .. وعندما ترى صاحباتها وزميلاتها سواء في الثانوية أم النوادي يتحدثن عن الحب وممارسة الحب والجنس وتسمع عن تجاربهن مع الشباب

والطلاب .. فستقلدهن وتحاكيهن .. والمجتمع معها ويهون عليها أي اتصال خارج قانون الزواج

ـ على كل أنت فعلت ما عليك.. لكل بيئة محاسنها ومساوئها .. يبدو أن الأذان اقترب ، فها هو المؤذن يدخل المسجد .. وأما عدم رغبتي بالزواج فهي باختصار أن الظروف تغيرت .. وأنت أخبرتيني بمشاكلك الصحية من ناحية الإنجاب .. ولي اليوم رغبة بالإنجاب ذرية مسلمة

ـ نعم ، أذكر ذلك يا هنري

ـ هذا سبب صرف نظري عن الزواج منك .. رغبة بالذرية الصالحة ، والإسلام يرغب بالولد الصالح والذرية .. فآمل بامرأة تلد لي إن شاء الله .. معذرة يا زهيرة .. لم يعد الزواج لديّ قضاء الشهوة فحسب ، كما هو حال الناس في هذه البلاد .. ولد واحد أو اثنان فقط .. ثم تصبح الحياة للجنس والملذات .

بعدما خرجا من المسجد التقيا ثانية ، واتجها إلى سيارة زهيرة ، فقالت بعد صمت : كأنك ذكرت لي قبل الصلاة أنك جئت المدينة لتراني شخصيا .

ـ نعم ، أخذت هذه الإجازة لأرى السيدة الفاضلة زهيرة .. لم تنسي الدكتور هنري رغم السنوات الخمس التي مضت على فراقنا .

ضحكت وهي تستدير ناظرة في عينيه وقالت : أنساك ! لقد كنت من أفضل زملاء المستشفى وأصدقاء العائلة .. ماذا جئت تطلب مني ؟

ابتسم ، وتابعا المشي وقال : كلفني أحدهم بتوصيل رسالة إليك باليد .

توقفت زهيرة وعادت تنظر في وجهه ووجدته جادا فقالت : رسالة ! .. جئت من أمريكا لتوصيل الرسالة .. لم أفهم يا دكتور ؟!

ـ رسالة مكتوبة بالحبر .. قريب لك شيخ التقيته برايوند باكستان ، وصحبته لدكا ومناطق أخرى في البلدين .. فالشيخ لما عرف أنني كندي تذكرك وتحمس لي وظللنا على اتصال .. ولما عدنا ظل الاتصال بيننا ، وكان يفكر بالسفر إلى كندا بواسطتي للقائك ، ويعتذر إليك عن إساءات ألحقها بك قديما ، عندما كان ضالا في غياهب الجاهلية .

لم يمشيا طبعا ، تقابلا وجها لوجه وهو يذكر لها سبب مجيئه إليها خاصة فهمست : ضال .. ضال!!

ما اسم هذا القريب الذي أساء إليّ والتقيته بباكستان ؟!

ـ هو يزعم أنه ابن عمك .

هتفت دهشة : ميلاد .. اسمه ميلاد عادل !

ـ نعم ، اسمه شيخ ميلاد عادل .. وهو من مشايخ الدعوة في بلادكم .. هو شاب طيب ومتحمس للدعوة .. هل عرفتيه ؟

كانت مذهولة زهيرة وهي تردد في نفسها ميلاد

شيخ .. ميلاد شيخ
فلما سمعت سؤاله ضحكت ملء فيهها وقالت : أعرفه ؟! كيف لا أعرفه؟! .. كان أحد أسباب خروجي والتفكير بالخروج من بلدي ..
ـ التقينا في بلاد الهنود وتصاحبنا .. وهو تحدث معي في هذا المعنى ، وهو يشعر بتأنيب الضمير بعدما هداه الله للتوبة والإسلام .. وصارحني بما تفوهت به الآن .. وحدثني بأنه كان طامع بالزواج منك قبل أن تصبحين دكتورة .
هزّت رأسها تعجبا وكررت : ميلاد أرسلك لي برسالة ؟!
وفصل لها حكايته مع ميلاد وابن عمه حميد ، وحدثته بدورها عن حكايتها مع ميلاد ، وقال هنري وهو يدفع لها برسالة مغلقة : هذه هي رسالته إليك ، وهي التي جئت من أجل توصيلها لك .. وذكرتني بزميلتي زهيرة والسعي لمقابلتها هذا اللقاء الطويل .. وميلاد الذي حدثتيني عنه غير ميلاد الذي حدثتك عنه .. فاليوم ميلاد شيخ يهاجر في نشر الدين والإسلام شرقا وغربا وربما يصل هذه البلاد داعيا ومرشدا .. ولا يوجد إنسان كامل يا زهيرة .. هو كان يسعى للسفر لمقابلتك وطلب العفو منك لتغفري له وتسامحيه حتى يلقى ربه بريئا من حقوق العباد .
عادت للبكاء والدموع ، وهي تعود بذاكراتها للبلد والوطن ، ومشت وقالت : أنا آسفة من جديد يا هنري! بكيت أمامك اليوم أكثر من مرة .. لنجلس في السيارة أعصابي تعبت .. ولما جلسا في السيارة قالت : هل تحب أن أقرأ الرسالة على مسامعك .
ـ لا ، لا ، أنا أفهم ما فيها ، فالرجل أخطأ في حقك ، فلما هداه مولانا العظيم أدرك كبر جرمه فندم ، وراغب بإصلاح ذات البين .. وقد ألغى السفر الذي كان سيكلفه خمسة آلاف دولار ؛ ليتزوج بها ، فهو لليوم لم يتزوج .. وإذا أحببت الاتصال به مباشرة فستجدين في الرسالة رقم تلفونه الخلوي .. وإذا أحببت أن أنقل له أنك سامحتيه أفعل .. والآن اسمحي لي بالانصراف ، وقبل مغادرة المدينة سأتصل به .. مودعا
فقالت : كنت أرغب بدعوتك للبيت لأشكرك ، وترى شمسا ؛ لعلك تقدم لها نصيحة ، ولعلها لما تراك ترى عظمة الإسلام وكيف غيرك ؟ ولكن عند طلاقي لم أسمح لرجل أجنبي كما يسمى عندنا بدخول بيتي .. وأنا لن أنساك يا هنري .. هل تحب أن أنقلك لمكان ما ؟
غادر المقعد وقال : أبدا، سأتمشى بالمدينة وأعود لفندقي .. ودفع لها رقم الغرفة وتلفون الفندق وأغلق الباب ، وأشار بيده مودعا ومشى ، وقد بلغ الرسالة وطلب منها قبول شفاعته .

عادت زهيرة لشقتها مع غروب الشمس ، فوجدت ابنتها في الشقة على غير عادتها ، فهي تعود متأخرة في أغلب الليالي ، فبعد الجامعة تنطلق مع صاحباتها وأصحابها للسمر في الملاهي والمقاهي والنوادي والشوارع ، فقالت لأمها : تأخرت يا أمي .. هل رأيت العم هنري ؟

كانت على علم بأن أمها ذهبت للقاء الدكتور هنري ، وهي ما زالت تذكره ، وتذكر امرأته وابنته مادلين ، وليلة أمس عندما اتصل هنري بالبيت ردت عليه هي أولا ، ثم دفعت السماعة لأمها التي كانت تنتظر المكالمة بشغف ؛ لأن الخادمة أخبرتها بذلك ، وكانت الأم بلهفة للحديث مع هنري ، فهو منذ غادر كندا لم يلتقيا ، فكانت بشوق لمعرفة أسباب اختفائه ، لذلك لما عادت للبيت تفاجأت بوجود شمس في البيت بمثل هذه الساعة المبكرة من الليل ، ولما جلستا في غرفة المعيشة قالت شمس : كيف عمي هنري ؟

ـ بخير، ويسلم عليك ، وهو بشوق لمشاهدتك بعدما كبرت ؛ ليرى كيف صرت بعد هذه السنوات ؟

وفاجأت شمس أمها قائلة : هل اتفقتم على الزواج ؟

دهشت زهيرة لسؤال ابنتها ، فحدقت بها استغرابا ، وارتبكت وهي تردد : الزواج !! وبعد صمت بينهما قالت : وهل كنت ذاهبة للزواج ؟

ـ ألم تحدثيني قديما أن الدكتور هنري يطلب منك الزواج ؟ ولماذا بعد هذه السنوات من القطيعة تذكرك ؟

قالت زهيرة بحدة : أنت حمقاء !

فوقفت شمس وترد قائلة :أأنا حمقاء يا أمي ؟! لأني صريحة .

ـ أي صراحة ؟! .. أنت لماذا عدت مبكرة الليلة على غير ما عودتيني ؟ سمعتك أمس تتحدثين مع أحدهم أنكم ستدخلون المسرح الذهبي .

ضحكت شمس وقالت : أريد التخلص منه .. جاك مزعج وثقيل الدم .. وهو يغار من روني صديق في النادي .. أتبكين يا أمي ؟ ما الأمر ؟! أساء لك العم هنري ؟

فصاحت زهيرة في وجهها : ابكي عليك يا شمس ! .. كيف غيرت جلدك ؟

صاحت شمس : قلت لك ألف مرة نحن أبناء كندا لسن أبناء العرب .. عليك أن لا تنسي ذلك ماذا يربطني ببلادك وأهلك؟! .. نحن أهلنا هنا .

ومشت غاضبة إلى حجرتها ، ولما شبعت زهيرة

بكاء نهضت وغسلت وجهها ، وطلبت كأس ماء وفنجان قهوة من العاملة لديهم ، ودخلت حجرتها غرفة نومها ، وما زالت تضع صورا فيها لسامر ، وما زالت تحتفظ بالسرير المزدوج ، لم تغيره .. ربما لأن شمس بعد طلاق أمها كانت تنام معها ؛ لأنها كانت صغيرة بعد ابنة إحدى عشرة سنة ، فقالت وهي تجلس على حافة التخت هل كان بإمكاني العودة مع سامر ؟! وعادت بها الذكريات لميلاد وسامر وماهر الوصي وإلى بيت جدتها وزيجات أمها ثم همست أمي لي فترة لم أسمع صوتك

ولما دخلت الخادمة ووضعت القهوة والماء وخرجت اتصلت بأمها وهي تشرب الماء .. وردت عليها خادمة أمها فأخبرتها أن أمها في المستشفى ، فأخذت رقم المستشفى ، فردت عليها ممرضة وأخبرتها أن أمها مستغرقة في النوم بسبب المنوم بعد عملية متوسطة في الصدر ، فشربت القهوة وقامت للصلاة .. وبينما هي تصلي فتحت شمس الباب ، وأطلت برأسها ، ولبثت دقائق ثم انصرفت ، فلما قضت صلاتها نادت الخادمة وسألتها : ماذا تريد شمس ؟

جاءت شمس عندما أخبرتها الخادمة أن أمها أنهت صلاتها ، وكانت زهيرة تقول لنفسها لابد أن هناك رحلة أو مشوارا وتريد المال

قالت شمس : مرحبا أمي! .. تقبل الله منك الصلاة

ـ شكرا .. ألا تعلمين يا شمس أن لك أخوة في الوطن ؟

صاحت بضيق : أعلم وأرسل لي أبي صورا لهم .. وحثني على زيارة بلده .. أريد أن أغيب عن البيت يومين أو ثلاثة

ـ أين هذه المرة ؟

ـ ليس مهما أين هذه ؟ المهم أني أخبرتك حتى لا تبلغي البوليس .

ـ مع السلامة أرجو أن لا تعودي

ـ أنت تكرهينني يا أمي

ـ اخرجي اخرجي

فصرخت شمس في وجهها: يبدو أن الدكتور هنري لغى موضوع الزواج

ـ ليس بيننا موضوع زواج .. مع السلامة .. أنا قد أغادر إلى بلادنا يا شمس .. عليك تدبير حالك .. هل سمعت ؟

ضحكت شمس وقالت : أنت التي كرهتيني في تلك البلاد .. كنت تقولين هذه بلادنا وتقولين إنها أبغض البلاد .. ومن أجل ذلك قبلت الطلاق والانفصال عن أبي .. ماذا لك في البلد ؟

ـ أمي .. أمي مريضة في المستشفى

ـ وهل هذه أول مرة تمرض أمك ؟

ازداد بكاء زهيرة مجدي وقالت : يا إلهي !!



الأم وابنتها

لقد كانت علاقة زهيرة بابنتها سيئة وزادت سوءا عندما التحقت البنت بالمدرسة الثانوية ، ففقدت السيطرة عليها تماما ، لذلك لما خفت البكاء كما تفعل عادة بعد كل حوار حاد ألقت بنفسها على السرير وقالت : ما الفائدة من المال وقد خسرت ابنتي؟! .. لمن سأجمع المال ؟ لم لا أعود لأمي ؟.. لي قريب من عشرين سنة لم أرها منذ غادرت البلاد ، منذ أن تزوجت ، وها هي شمس في سنتها الأولى في الجامعة .

وبينما هي تفكر بزيارة لأمها واتخاذ القرار المناسب ، تذكرت رسالة ميلاد وقصته مع هنري ، وإرساله شفيعا له ، فقالت ميلاد عادل يطلب الصفح والعفو .. ميلاد أصبح شيخا يدعو الناس للتوبة والإسلام .. يا الهي! هل تمسي شمس شيخة ؟! فنهضت عن سريرها إلى حقيبة اليد وأخرجت رسالة ميلاد فقرأتها مرة وثانية ، فالرجل يطلب العفو والغفران ، ويقر بأنه أساء إليها بحمقه وجهله وضيق تفكيره ، ويعترف بندمه ، ويود ويتمنى أن تتحدث معه ليسمع منها صوت العفو والصفح .. فأخذت تتذكر ابن عمها عندما كان يزورها مع أمه وأبيه ، وكيف كان يختلس إليها النظرات ؟ وهمست مسكين كان ضحية والديه! .. أقنعوه بالزواج مني من أجل المال الموروث ؛ لكن زهيرة أحبت العلم على الزواج .. أحبت أن تكون طبيبة لتكمل رسالة والدها في علاج المرضى .. فقد ترك لها والدها مالا لتتعلم وتعيش عيشة طيبة .. حاول الشاب مرة أخرى بعد الثانوية العامة .. ولما قبلت في كلية الطب أصيب بالصدمة والخيبة ورأى أن المسافة بعدت بينهم .. فازداد عنفا وحمقا .. هو ترك المدرسة في الإعدادية واتجه لتعلم حرفة يقتات بها .. وزهيرة ستصير طبيبة .. لجأ للتخويف .. نعم ، لقد خفت منه حقيقة .. وكنت واثقة أنه عاجز عن فعل شيء لأنه يعيش في بيت ، وأنا أعيش في بيت وللبيوت حرمتها عند الناس .. لقد كتب لي رسالة معلنا رغبته بالزواج مني ، وأنه يتابع حركتي في الجامعة .. وها هو اليوم يكتب رسالة أخرى يطلب العفو والصفح ويعلن ندمه .. تذكرت أيام الطب في البلد ، عندما كانت تجلس مع ولديّ خالتها نزار ولمياء .. وقريبتها سمر أصبح نزار مهندسا ، ودخل عالم السياسة عن طريق النقابة .. نزار الهادئ الوديع تزوج من ابنة عم له وعنده خمس أطفال .. صاروا اليوم فتيانا .. كما أخبرتني لمياء باتصال قديم .. أما سمر فقد تزوجت شابا من خارج العائلة كأنه أستاذ مدرسة

وعندها خمسة أبناء .. آه ! اشتقت لرؤيتهم والجلوس معهم .. كان الاحترام بيننا كبيرا .. لمياء تزوجت ابن جار لهم ، وولدت ثلاثة أطفال ظلوا أحياء ، ومات لها اثنان .. وهي حامل كما قالت في آخر اتصال .. هؤلاء هم أصدقائي وأهلي في الوطن .. حميد ابن عمي نبيل .. كان يحاول كبح جماحه نحوي .. هكذا كانت تتحدث أمه صديقة أمي .. وهم ما زالوا يترددون على أمي كما تخبر أمي .. ترك شركته مع ميلاد ليصرفه عني .. هل هو الذي حاول قتلي قبل سفري ؟

لم يذكر في رسالته هذه الحادثة .. كان لديّ شعور أنا وسامر أنه هو الفاعل .. ربما لو طال بقاؤنا هناك لعرفنا الحقيقة .. لكنه لم يذكر شيئا في الرسالة .. هل أساء إليّ الرجل فعلا كما يعترف ؟ إنها تصرفات حمقاء تصدر من عقل ضعيف .. هل أتحدث معه وأسمع كلامه ؟ دنيا عجيبة فعلا هنري عبد الصمد صديق للسيد ميلاد .. سبحان الله ! أمر لا يخطر على بال !

طرق الباب ففتحت زهيرة فرأت ابنتها بالباب تدخن فقالت : ألم أقل لك دعيك من هذا الدخان ؟

ـ هذه ليست دخانا إنها سيجارة ماريجوانا .

ـ ماذا تريدين ؟

ـ لعلك هدأت

ـ أهدأ وأنت تضعين مني

ـ كل واحد حر في نفسه يا دكتورة لست طفلة .. لما أتخرج من الجامعة سأترك لك البيت للأبد

ـ ولماذا تنتظرين كل هذه السنوات ؟!

ـ أنا قلت سأغيب عن البيت ، وأنا بحاجة لبعض المال

ـ بعض المال وما هو بعض المال عندك ؟

ـ خمسمائة دولار

ـ بس

ـ بس يا أمي

ـ هلا حدثتي أباك عنها

ـ رفض تحويلها .. فقال ما دام ندفع فلوس الجامعة لماذا خمسمائة دولار ؟

ـ هلا أجبته لماذا ؟

ـ على التلفون اخبره .. عيب يا أمي .. هل أقول له سأذهب مع أصدقائي لمكان كذا ؟ .. عيب

ـ أنا آسفة يا شمس .. عليك أن تعملي وتنفقي على نفسك وعلى الماريجوانا .. نحن علينا مصروف الجامعة وثمن المحاضرات .. الرفاهية والسهرات والرحلات والمخدرات لا دخل لنا بها

ـ كيف لا دخل لكم بها ؟

ـ أنا مللت من دلعك .. لم أعد أطيق رؤيتك

ـ هل أقتل نفسي حتى لا تريني ؟

ـ لم تعد تهمني حياتك بعد أن فقدت كل شيء

ـ فقدت كل شيء .. ماذا تقصدين ؟

ـ أنت تعرفين ماذا أقصد ؟

ـ صدقي أنني لم أفهم قصدك .. لا أحد ينام معي

ـ حبوب منع الحمل لماذا تستعملينها ؟

ـ وهل إذا وجدت معي حبوب منع الحمل يعني أنني استعملها حتى لا أحمل ؟ لو فعلت ذلك لست قلقا من ناحيتك يا أمي .. وأنت تعرفين ذلك .. ألست حرة بما أفعل ؟ وأنت حرة بما تفعلين ؟

ـ هناك أخلاق !

ـ وهل زميلاتي اللواتي يمارسن الجنس مع شباب الكلية بدون أخلاق ؟ .. هذه عقدة الشرقيين ينظرون للجنس نظرة تعصبية وجريمة ..

ـ هنا ينظرون للاغتصاب جريمة .. والخيانة الزوجية لا تعتبر جريمة .. وإذن لماذا تحملين حبوب منع الحمل؟ .. أليست لممارسة الجنس الأمن كما يزعمون ؟

ـ اليوم الشباب يستخدمون الواقي الذكري لممارسة الجنس .. وهو أكثر أمنا لهم من ناحية عدم حمل الفتاة ووقاية صحية .. فهم لا ينتظرون أن تستخدم الفتاة الحبوب .. حتى لو حملت فعيادات الإجهاض موجودة .. أريد خمسمائة دولار .

ـ أين ستذهبين بها ؟ أين ستنفقينها ؟

ـ سنذهب في رحلة إلى جزيرة تشرشل

ـ تشرشل مرة واحدة عند الدببة

ـ نعم

تروج مدينة تشرشل الكندية لنفسها على خريطة السياحة العالمية بأنها معقل الدببة القطبية في العالم ؛ حيث يتمكن السائح خلال جولته في منطقة التندرا من الاقتراب من هذه الحيوانات الضخمة ذات الفرو الأبيض بشكل لا مثيل له ، ولا يخرج السياح في هذه المغامرة التي تحتبس لها الأنفاس إلا برفقة حراس مسلحين لحمايتهم من الأخطار التي ربما تحدق بهم عند مواجهة وحوش الجليد وجهاً لوجه.

وتذكرت زهيرة رحلتها وسامرا مع عدد من الأطباء وعائلاتهم إلى تلك المدينة وأثناء الانطلاق في هذه المغامرة ، قال المرشد السياحي بصوت خفيض عند رؤيتهم لإحدى الدببة :هذه هي الدبة الأم ، يكفي الاقتراب منها بهذا القدر ، ورأوا في تلك اللحظات هذه الحيوانات المفترسة ذات المخالب السميكة تقف في مواجهة بعضها البعض ،وظلت على هذه الحالة لفترة طويلة .

ولم تمثل المسافة الفاصلة بين الدببة القطبية والسياح ، التي كانت تبلغ حوالي ٣٠ متراً أي مشكلة على الإطلاق ، لكن المشكلة ظهرت عندما اقترب دب صغير من السياح ، فبدأت الدبة الأم في التثاؤب ، وهنا همس المرشد السياحي لهم قائلاً : التثاؤب

يعبر عن قلق وتوتر الدبة الأم وحرصها على سلامة صغيرها.

وقد نصح المرشد السياح من قبل بضرورة التواجد في مجموعات حتى يكونوا في مأمن من هجمات الحيوانات القطبية المفترسة ، ويؤكد على أن الفرار من أمام الدبة القطبية لا يمثل وسيلة للنجاة منها ؛ لأنها تجري على الجليد أسرع من الخيول .

وفتش المرشد السياحي في جيب سترته عن بعض الأحجار الصغيرة التي يرميها من وقت إلى آخر في وجه الدبة لإبعادهم عن مناطق تواجد السياح ، هنا انطلق الدب الصغير مسرعاً صوب الدبة الأم مرة أخرى، وهدأت حدة الموقف وزال الخطر.

وتمثل الإقامة في الأكواخ الخشبية وسط منطقة تندرا بمقاطعة مانيتوبا الكندية ، تجربة فريدة من نوعها بكل ما تحمل الكلمة من معان ، على الرغم من بساطة تجهيزات الإقامة.

وتذكرت أن من الأمور المثيرة في هذه الرحلة السياحية وجود حراس مدججين بأسلحة الصيد كذلك ظهور صغار الدببة القطبية، التي لم يتجاوز عمرها عامين، أمام الأكواخ الخشبية التي يقيم بها السياح ، ويوضح هذا الموقف مدى التناقض في هذه الرحلة ، التي تُمثل وضعاً معكوساً لحديقة الحيوان، حيث تتجول الحيوانات في الخارج بحرية كاملة ، بينما يظل السياح محتجزين داخل الأكواخ.

وتتيح المنطقة المحيطة بمدينة تشرشل بمقاطعة مانيتوبا الكندية للسياح فرصة مشاهدة الدببة القطبية عن كثب، بشكل يندر وجوده في أي مكان آخر في العالم ، ويتدفق في هذه المنطقة نهران يصبان في البحر الواقع على حافة خليج هدسون، لكنهما يتجمدان مبكراً بسبب المياه العذبة، لذلك فإن العديد من الدببة القطبية تنطلق خلال فصل الشتاء لصيد حيوان الفقمة في هذا الخليج المتجمد.

وأضاف المرشد السياحي : تركيز وانتشار الدببة القطبية في هذه المنطقة يعتبر من أعلى المعدلات عالمياً، ولا يمكن مقارنتها إلا مع منطقة الملك كارل النرويجية بالقرب من أرخبيل سبيتسبيرغين وجزيرة وانغيل الروسية التي تقع شمال سيبيريا ، لكن لا يتمكن السياح من الوصول إلى الدببة القطبية في هذه المناطق إلا بصعوبة بالغة ، وسمعته يخبر ويصل عدد الدببة في خليج هدسون الغربي ما بين ٩٠٠ و ٩٥٠ حيوان، في حين أن عددهم كان ١٢٠٠ حيوانا قبل عشر سنوات ، وأضاف المرشد السياحي : في أحد أيام الصيف بلغت درجة الحرارة في هذه المنطقة ٣٧ مئوية، لتصبح أكثر المناطق سخونة في كندا.

وتشتهر مدينة تشرشل، التي يوجد بها ٩٠٠ نسمة، بأنها المعقل العالمي للدببة القطبية ، ويُعد

هذا الاسم تكريماً لهذه الحيوانات التي بدونها ستتحول مدينة تشرشل إلى مدينة أشباح ، وقد شهدت حقبة الثمانينيات من القرن الماضي إغلاق القاعدة العسكرية في هذه المنطقة ، والتي تم إنشاؤها خلال الحرب العالمية الثانية، وهو الأمر الذي دفع كثيراً من السكان إلى ترك مدينة تشرشل؛ لأن تجارة الفراء لم تعد تجني كثيراً من الأموال ، وبالتالي حدث تدهور اقتصادي.

ويتعامل المرشد مع الدببة القطبية باعتبارها وسيلة من عوامل الجذب السياحي، في حين يضطر الحارس في مدينة تشرشل إلى التعامل مع الدببة المشاكسة ، ويحكي أحد الحراس للموارد الطبيعية بمدينة تشرشل قائلاً : لقد اضطررنا مؤخراً إلى إطلاق النار على دب يبلغ وزنه ٢٧٠ كيلوغراما. ويضيف هذا الحارس الذي يحمل مسدس ٩ مللم : لقد حاولنا إبعاد هذا الدب عن المدينة بواسطة سيارة بيك آب ، لكنه ركض باتجاه السيارة وخشيت أن يصل هذا الحيوان المفترس إلينا من النوافذ الجانبية.

ويؤكد الحارس الذي يبلغ من العمر ٤٩ عاماً، أن إطلاق النار على الدب يعتبر هو الحل الوحيد في مثل هذه المواقف الخطرة ، وعادة ما يتم تخدير الدببة القطبية ، التي تفضل التجول في الشوارع ليلاً، ثم يتم نقلها بعد ذلك إلى مكان احتجاز الدببة القطبية ، وفي هذا المبنى الفريد من نوعه في العالم والذي يقع على أطراف المدينة، تم احتجاز ١٠ دببة، وفي مرة أخرى بلغ عددهم ٣٠ دباً.

وتظل الدببة القطبية في مكان الاحتجاز حوالي ٣٠ يوماً، ولا يتم تقديم أي طعام لها خلال هذه الفترة سوى الماء، ثم يتم نقلهم جواً بعد ذلك ، ويقوم الحراس باحتجاز الحيوانات والامتناع عن تقديم الطعام لها، ليتم ردعها ولكي تبقى بعيداً عن المدينة.

وكان لانتشار الدببة القطبية في المنطقة المحيطة بمدينة تشرشل تأثير إيجابي على الحياة الاجتماعية للسكان ؛ لأن الدببة القطبية تجبر السكان على الانتباه والحذر إلى أقصى درجة ممكنة وهو ما يستدعي وجوب التواصل بين الأشخاص بعضهم البعض.

وأوضح المرشد السياحي : نحن نثق في بعضنا البعض، لذلك فإننا لا نغلق أبواب بيوتنا أو سياراتنا، حتى يجد المرء مأوى بسرعة إذا شعر بالخطر عند مقابلة الدب القطبي في الطريق.

وقد لاحظ المرشد السياحي بعض السلوكيات الغريبة على الدببة القطبية ، ويقول : تظهر الآن بعض التصرفات غير المعتادة على الدببة؛ حيث إنها تتناول مثلاً التوت البري من شدة الجوع ، وهو النبات الذي لا يأكله سوى الدببة الحوامل.

وبينما كان المرشد يتحدث عن الأخطار المحدقة بالدبة القطبية جذب انتباه السياح شيء آخر، حيث ظهر الدب الصغير وهو يتقلب على ظهره ويرفع مخالبه في الهواء، ويدس أنفه في الجليد، بينما تقف الدبة الأم إلى جواره وتنظر إليه في سعادة غامرة، ولا يظهر عليها علامات التثاؤب ، لأن هناك مسافة كبيرة تفصل بين السياح وهذه الحيوانات المفترسة.

رحلة للوطن

تحدث هنري مع زهيرة وهو يغادر المدينة ، وكانت أثناء المكالمة تعمل في المستشفى فقال : هل اتصلت بالرجل ؟

ـ لم أفعل يا هنري .. أين أنت الآن ؟ .. هل يمكن أن نلتقي ؟

ـ لماذا ؟! أنا أجلس في صالة المطار أنتظر إعلان الركوب .. هل من شيء يضطرني لتأجيل الرحلة

ـ لا ، كانت لديّ رغبة بالجلوس معك ثانية .. فلنبق على اتصال يا هنري .. ربما أسافر إلى للبلد وأقابل الرجل .. فأنا ليس بينه وبيني شيء هو مجرد كلام وزعل ، ونسيته لما وضعت قدماي في هذه البلاد .

ـ جيد ، إذا فكرت بالسفر ربما أفكر بمرافقتك لزيارة الشيخ ميلاد .. وأزور مركز الدعوة عندكم لنكن على تواصل يا دكتورة .. ما أخبار شمس ؟

ـ ليتني لم أنجبها .

ـ ستعود لأصلها إنها أيام طيش .. أنت عملت ما استطعت ، وما قدرت عليه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .. أليس هكذا يقول القرآن ؟ .. إقرائي القرآن يا دكتورة ستهبط عليك السكينة .

ـ أنت شيخ صحيح يا هنري! شكرا لك مع السلامة يا دكتور

لما رجعت لبيتها عاد إليها التفكير بالسفر لرؤية أمها ولقاء ابن عمها وفتح صفحة جديدة مع الأهل والأقارب .. فالرجل قد تغير وهداه الله ، ولكن كيف ستترك ابنتها مع الخادمة كما اعتادت فعل ذلك في إجازاتها ؟ ثم قالت : وهل بقائي يفيدها ؟ فهي تنتقل من رحلة لأخرى ألم تذهب مع شباب كليتها لترى أبراج أمريكا المدمرة ؟ أصبح المكان ساحة سياحية .. وتنهدت وهي تقول ومن لي هناك إلا أمي ؟ هناك من بقي حيا من أخوالي وخالتي وأبنائهم .. كانوا يتعاطفون معي ويودونني .. حتى بعض أعمامي خاصموا عمي عادل من أجلي .. إنني أذكر يوم الوليمة .. التي خرجت منها غاضبة .. لو قابلت سامرا وأعتقد أن هذا سيحدث ـ فبيننا شمس ـ فعندما يسألني عن ابنته التي كان يقول لي البنت كبرت .. البنت تنضج بسرعة .. عاداتنا غير عادات هؤلاء الناس .. ولكنها هي التي اختارت البقاء هنا

وذلك أمام القاضي والمحامي .. اختارت لأنك باقية هنا .. لو عدت لعادت معك .. لو عادت وهي ابنة إحدى عشرة سنة أو اثنتي عشر سنة لما صبرت يوما واحدا .. والجامعة والمدرسة تعودت على المدرسة هنا .. كيف ستدرس في البلد ؟ .. لم تكن محبة للعلم مثلي .. لو أحبت العلم مثلي لاستقرت من الفوضى التي تعيش فيها .. لابتعدت عن الكثير من الشباب والشابات الذين لا هم لهم إلا الشهوات والموبقات باسم الحرية .. آه ماذا أفعل يا ربي ؟ أنا ضعيف .. هل لو بقي سامر لما فسدت ؟ .. المجتمع قاهر .. ماذا سيفعل لها ؟ لقد حاولت الاندماج كليا معهم .. الكثير من العواجيز يترددون على الكنائس صباح الأحد لسماع ما يسمونه القداس حتى شمس رافقت بعض الفتيات لمثل هذا القداس ، ولم استطع منعها حتى لا تقول عني معقدة ومتشددة .. يا لها من تجربة ! يا لها من حياة قاسية !! أعصابي تعبت لم تعد تتحمل .. تشرب كأس الخمر كأنه كأس ماء .. تدخن المخدرات .. وتستغرب مني لعدم شربي الخمر وتعاطي المخدرات رغم طول مكثي هنا .. عليّ أن أذوب ذوبانا كاملا مثلها .. إنما هي جرعة صغيرة !

طرحت زهيرة الحيرة جانبا، واتخذت قرارا بالسفر والزيارة لبلدها ؛ لعلها تدرك أمها حية .. فهي تذكر كلمات أمها عندما تحدثت معها وهي في المشفى هل أموت قبل أن أراك يا زهيرة ؟ وأمتع عيناي بك ، ذرفت دموع الحزن والشوق وقالت قريبا سأكون عندك يا أمي ! أرجو من الله أن يمد في حياتك حتى أقبلك .. كلي شوق وحب لمعانقتك ولمس وجهك ويديك .. أقسم على ذلك يا أمي إني بحاجة لحضنك والتزامك

تذكرت هذه الكلمات بينها وبين أمها في آخر اتصال ، فقالت لنفسها كم مرة تركت شمسا وحدها مع الخادمة ؟! .. مرات ومرات .. لماذا أنا خائفة عليها؟! إنها بالغة سن الرشد وطالبة في الجامعة .. وهي حرة ومستقلة مستغنية عني ، ولا تسمع لي.. بعدما حسمت أمر السفر.. اتصلت بهنري .. على تلفونه الخلوي فرحب الدكتور بها ، وقال بعدما سمع رغبتها بالسفر لزيارة أمها المريضة .. قال : هذه الأيام لا يمكنني أخذ إجازة يا دكتورة .. وبما أن أمك مريضة فتوكلي على الله وحده .. وإذا تيسر لي اللحوق بك نلتقي هناك .. أنا لديّ رغبة فعلا بزيارة بلدكم .. فقد زرتها مرة كسائح .

ولما قفلت شمس من رحلتها إلى جزيرة تشرشل الكندية حيث الدببة القطبية ، وتركت رفاقها ودخلت البيت أعلمتها أمها بقرار السفر لقضاء شهرين في بلاد الآباء والأجداد لرؤية أمها المريضة

، وعرضت عليها اللحاق بها عندما تنهي فصلها الدراسي لترى والدها وإخوتها من أبيها وجداتها ، ثم ختمت كلامها اتصلي بي إذا وجدت هوى في السفر

ورغبتها بالسفر وهناك تتعرفين على العاصمة التي ترعرعت فيها والصحراء العربية

ـ قرأت عنها نعم ، لي رغبة في مشاهدتها .. أمك مريضة شفاها الله .. لم تسأليني عن الرحلة ؟

ـ ولماذا أسألك يا شمس وأنت لا تقولين الصدق ؟!.. أنا أعرفك جيدا

ـ صدقي يا دكتورة أنني كنت في تشرشل ورأيت الدببة الكبيرة والصغيرة .. ومعي صور كثيرة معها .. أنت لا تثقين بي

قالت الأم : منذ دخلت الجامعة أصبحت عدوة لك .. ألم تقولي لي هذا ؟ ولما صرت في الثانوية قلت مثل هذا .. على كل حال أتمنى لك السعادة يا شمس وخلال يومين سأسافر .. لقد حجزت تذكرة على الهاتف ، وغدا سأمر على الشركة شركة الطيران لتأكيد الحجز ودفع ثمن الرحلة .

ـ أتمنى لك رحلة سعيدة يا أمي .. وسلمي لي على أبي إذا التقيت به ..

ـ إن شاء الله .. أرجو يا شمس كما اتفقنا قديما أن لا تسمحي لأحد من أصدقائك الذكور دخول البيت ..

ـ حاضر يا أمي .. أوامر أخرى

ـ سلامتك .



علم هنري بسفر زهيرة فور ركوبها الطائرة إلى الشرق الأوسط ، فاتصل بالشيخ ميلاد مخبرا له بسفر ابنة عمه زهيرة ، وأنها في الطريق إليهم ، ففرح ميلاد فرحا عظيما ، وكاد يطير من شدة الفرح لهذا الخبر ، فكلف حميد بالاتصال بامرأة عمه يسألها عن وصول زهيرة .. فدهشت من الخبر وقالت : من قال لك ذلك ؟! هي قالت ستأتي .. وهي لم تصل .

فاستغرب حميد وسألها عن صحتها ، ووعدها أن يزورها هو وامرأته قريبا للسلام والترحيب بالدكتورة أم شمس .

وكان حميد قد وضع نفسه تحت أمرها ، وأدخلها المستشفى هو وامرأته وبعض بنيه ، واعتبر ذلك من الوفاء لعمه الميت مجدي ، ولوصية أبيه أيضا الذي حثهم على برها ومساعدتها ، وحثه على رعايتها لنهاية العمر، وكان أبناء أشقائها وشقيقتها يترددون عليها ، ولكن حميدا أخذ

نصيب الأسد .. ولقوة الصداقة بين أمه وهناء ، فرحبت بتعاونه واعتبرته كابن لها ؛ لذلك كانت تناديه في بعض الأحيان يا أمي يا ابني ، وهي تعاني من أمراض السكر والضغط ومشاكل في القلب .

وبعد أن ترك حميد الهاتف بساعات دخلت زهيرة على أمها التي احتضنتها باكية وتعانقتا بشدة وشوق وهي تهمس زهيرة حبيبتي آه ! لقد عشت ورأيتك .. آه! يا حبيبتي أنت دنياي .. لم تخبريني لأرسل لك حميدا أبا محمد يستقبلك في المطار .

ـ لقد تعودت يا حبيبتي على السفر والرحلات العلمية والترفيهية .. أنا مشتاقة إليك جدا يا أمي كم أحبك ! .. كيف صحتك كيف حالك ؟

تعانقتا من جديد وموجة أخرى من القبل المعبرة عن الود والحب بينهم ، ولما انفصلتا تقدمت الخادمة الآسيوية إليها مسلمة ومعانقة ، ولما سألتها عن صحتها وحالها عادت زهيرة وأمها للجلوس تحدقان في بعضهما وقالت هناء : قبل ساعات اتصل بي حميد ابن عمك يقول هل وصلت الدكتورة زهيرة ؟ فاستغربت من سؤاله فقال لابد أن الطائرة ما زالت في الطريق هل تتحدثين معه ؟

ابتسمت : أبدا يا أمي .. منذ سافرت لم أتحدث إلا معك وبضع مرات مع المهندس نزار وأخته لمياء ..

ـ وكيف عرف إذن ؟!

ضحكت زهيرة وقالت : أعرف كيف عرف؟ .. لي صديق طبيب يعرف بسفري لابد أنه هو الذي اتصل به أو بميلاد فهو صديقه .

قالت هناء : ميلاد الذي عرفتيه وعرفناه قبل سفرك غير ميلاد اليوم

ـ أعرف يا أمي، كتب لي رسالة يطلب الصفح والعفو عن الماضي .. وربما كانت رسالته هي التي عجلت باتخاذي قرار الزيارة لك يا أمي ؛ ولذلك حكاية كتبها القدر .. فالدكتور صديقي صار صديقا لميلاد وهما في الباكستان ..

وسردت عليها قصة ميلاد والطبيب الكندي كما فهمتها من هنري ، فعقبت الأم قائلة : أنا أسمع من حميد عن رحلات ميلاد في داخل البلاد وخارجها

ـ هل زارك ميلاد يا أمي ؟

ـ منذ تاب إلى الله تحسنت أخلاقه ، وقد ترك الشراب والدخان .. في البداية رفضت استقباله ، ولكن مع إلحاح حميد رحبت به وسامحته .. وهو يزورني بصحبة أبي محمد .. وهو كما أعلم يبحث عن عروس أو أن الزواج سيكون قريبا فهناك شيخ سيزوجه من كريمته .. أو شقيقته .. فتاة ترملت وعندها ثلاثة أطفال .. وابن عمك حميد رجل فاضل وأمه ما زالت صديقتي رغم ما تعاني من أمراض السن، وزوجته ترافقني إلى مراجعات العيادة والمستشفيات

طلبت هناء من الخادمة أن تطلب لهم عشاء من المطعم فقالت زهيرة : أتشترين الطعام ؟

ـ أحيانا .. والخادم تصنعه بعض الأيام .

رن جرس الهاتف فردت الخادمة وقالت : الشيخ حميد يا سيدتي .

أخذت هناء الهاتف وقالت وهي تبتسم : آ يا أبا محمد .. نعم دخلت قبل زمن قليل .. سلمك الله شكرا لك .. بارك الله فيك .

ومدت الهاتف لزهيرة التي رحبت بابن عمها .. وشكرته على الاهتمام بها وبأمها وقالت : شكرا يا أبا محمد بما تقدمه لأمي .. يسرني اللقاء بك وبزوجتك .. على الرحب والسعة البيت بيتك .. قبل قليل طلبنا من المطعم العشاء.. شكرا يا سيدي .. أرجوك لا تحلف .. سنقبل دعوتك .. فنحن أهل .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



ساقت زهيرة أمها إلى مستشفى خاص ، وطلبت من مدير المستشفى إجراء فحوص واختبارات كاملة لأمها ، وتابعت علاجها لمدة أسبوع حتى اطمأنت عليها ، وقد رافقهم السيد حميد كسائق لهم خلال هذه الأسبوع ، وذات يوم وهم سائرون لإجراء فحص قالت : ابن عمك تغير تغيرا كبيرا يا أبا محمد .. لقد عرفته شيطانا واليوم يتشبه بالملائكة .

أجاب حميد فقال : ميلاد مسكين! .. أنا يا دكتورة كنت لا أضع اللوم عليه .. كنت أضع العتب على عمي عادل رحمه الله .. رغم ثقافة عمي كانت تقاليد وعادات مسيطرة عليه ، يرى حياة المدينة كحياة القرية التي جاءوا منها للعاصمة .. يرون أن بنات العائلة أولى من بنات العائلات الأخرى .. فعلى ابن العائلة أن يتزوج من قريباته .. وميلاد ظل يحمل مثل هذه التقاليد السائدة والأخ ميلاد نادم فعلا ، وأدرك حجم الإساءة التي ارتكبها نحوك .. بزعم تلك التقاليد الهالكة فهي كانت تصدر عن غباء وحمق وسذاجة .. وصدقي أنني نصحت له من هذا الهبل .. حتى اضطررت لفصل الشراكة القائمة بيننا لأضغط عليه ليستيقظ من جنونه وانحرافه بزعم الحب

ـ لقد سامحته يا أبا محمد .. ونسيت كل شيء فعله ضدي

ـ وأنا سامحيني يا دكتورة ربما شاركته في بعض المواقف من باب العاطفة والقرابة والشفقة .. نحن بشر .. ونحن عشنا أصدقاء ، وتركنا المدارس شبابا صغارا ، فحظنا من التعليم والثقافة ضئيل .. ثقافتنا تقاليد وثقافة شعبية .. ثم تعلمنا

مهنة تصليح السيارات وتشاركنا في محل واحد .. ولما تزوجت شجعته على الزواج ونسيان كلام أبيه وأمه من الزواج من زهيرة .. فأخذته كما يقال العزة بالإثم .. وعاند وركب رأسه .. وظل الجهل مسيطرا عليه .. حتى العم عادل لما التحقت بالجامعة قبل الهجرة .. اعترف له بخطئه وطلب منه أن يبحث عن فتاة يتزوجها .. فعاند ، وأخذ يشرب الخمر زاعما أنه يفعل ذلك لنسيانك .. طبعا هذا كلام فارغ

ـ أخبرني مرة أنه دفع ناسا للتجسس عليّ في الجامعة

ضحك حميد وقال : كان لي دور في هذه القضية .. لأنه زعم أيامها أنك ترفضينه لعلاقة لك مع شاب من الجامعة .. كما نسمع عن بنات الجامعات تلك الأيام .. فأحببت أن أبين له كذب هذه الادعاء ..

ـ كيف أنت ؟

شرح لها حميد دوره في تلك القصة ، وختم قائلا : وأكدت له أنا وذلك الشاب وشقيقه كذب هذا الادعاء ، وأنك بريئة مما يشيعه حولك من كثرة قوله أرغب أعرف من هذا الذي سرقها مني فأقول له يا رجل زهيرة رفضتك قبل أن تصل الجامعة .. فكان عليّ أن أقنعه بالكف عن هذا الاعتقاد .. وفعلا جاء الشاب بعد أن تأكد من طهارتك من هذا العبث وذكر له ذلك وأنك فتاة محترمة ، وأنك تلتزمين حدود الأدب والأخلاق ، وأنك ترافقين بعض أقاربك .. وأنا لما وصفهم الشاب عرفتهم على الفور خاصة الشاب لأنني التقيت به في مناسبات .. وأنا قمت أيضا بتأكيد ذلك .. كل هذا فعلته ليكف عن إطلاق الإشاعات ونسيان الأخت زهيرة ولكنه للأسف عنيد ومخه جامد تلك الأيام .. ثم قدر الله لي أن أسلط عليه بعض المشايخ من أصحابنا فردوه للدين ، وتعلق بهم ورافقهم ، وصار شيخا أكثر مني .

ـ عرفت ذلك الشاب اسمه أحمد .. وكان طالب كلية التمريض

ـ أحسنت ! نعم هذا اسمه .. ورغم أنه أقنع ميلادا بأن لا أحد في حياتك الخاصة .. وحثه على الزواج ورغبه فيه .. وبين له الفارق العلمي الذي بينكم .. فقال له أنت أعمى أو تتغاضى عن ابنة عمي

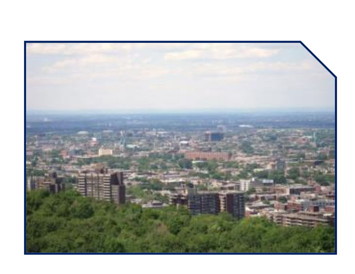
عندئذ وصلا المستشفى فصف السيارة في كراج المستشفى ، وقاد هو والدكتورة السيدة هناء إلى العيادة المنشودة ، ولما دخلا قالت زهيرة : نحن نعتذر لك يا أبا محمد للإزعاج وتعطيلك عن العمل .. أمي تحبك وتقدر عطفك الكبير نحوها وبرها

فرد بحياء : هذا واجبنا يا دكتورة .. الناس لبعض .. فهي زوجة عمنا المرحوم مجدي .. فوالدك ترك

بعض المال .. فقد ورثته إخوته كما ورثتيه .. ونحن ورثناه عن أبينا .. فجميلكم سابق .. ونحن أهل ، فأنت ابنة عمنا وهي أمك .



أقام الدكتور سامر مائدة عشاء في أحد الفنادق الراقية إكراما لزوجته الأولى زهيرة ، ودعا إليها الدكتورة وأمها ، ورافقهم في هذه الدعوة السيد حميد ، وهو يعرف الدكتور منذ عهد بعيد عندما تزوج زهيرة ، ولم يكن بينهم مجاملات وزيارات لقصر حياتهم في المدينة عندما تناكحا ، وحضر بصحبة الدكتور زوجته الثانية وأولاده منها وجرى التعارف بينهم ، وكان الدكتور قد تلقى هاتفا من زهيرة تخبره بوصولها لزيارة أمها ، فرحب بها ، ورتب لهذه الدعوة ، وقد قبلتها زهيرة وأثناء الطعام سألها عن شمس ولماذا لم تأت معها ؟ فأخبرته بأن وقت الدراسة لم ينته ، وأنها رفضت المجيء ، واعترفت له صراحة أن شمسا ابنة الغرب ، وأنها متمردة ، ولا تسمع النصيحة والكلام .. وكان سامر لما علم بوجود زوجته في البلد قد اتصل بشمس ، وطمأنته على نفسها ، وذكرت له سفر أمها لزيارة أمها .. وفي نهاية اللقاء دعته لزيارة كندا لرؤية ابنته وتعريف أبنائه على شقيقتهم .. ولتشجيعها بزيارة مسقط رأسه بعد إنهاء جامعتها .. فوعد الدكتور بالتفكير في ذلك وقال : من يقبل الحياة هناك عليه أن يتحمل نارها فنحن هنا اليوم لم نعد نسيطر على أبنائنا .. الانفتاح كبير والشرخ كبير



فأجابته زهيرة بنوع من الضيق : كنت أعمل ، وأنت كنت تعمل ، وأنت تعلم أن العمل هناك لابد منه للحياة والإنتاج .. إذا عملت أكلت ونمت .. والقوانين الدارجة لا تستطيع محاربتها خاصة إذا كنت أجنبيا .. إذا أسأت للصغير وعلمت الحكومة فيأخذونه منك .. ليس أمامي إلا اللين والكلام .. فاستخدام العنف والضرب لا يجوز .. فهم لا يسمحون لك بترك الطفل دون الثانية عشرة وحده في البيت يا سامر .. وأنا لم أعرف العنف يوما .. وما ضربت شيئا .. غضبي في لساني والهجر .

ـ أسأت فهمي ، آسف يا عزيزتي .. أنا لا ألومك بشيء .. أنا أعرف شدة وجدة ذلك المجتمع في العمل وتساهله في الأخلاق .. بارك الله فيك .. المسؤولية لا تقع عليك وحدك .. للأسف العلم الذي عندهم هو الذي يشدنا إليهم .. وهذه ضريبة العلم .. أنا أتشاجر معها على الهاتف في

الغالب ننهي مكالمتنا بزعل .. وأنا لم أتهرب من أي مسؤولية نحوها .. لكن ماذا أفعل لها ؟! وأنا تركتها لك لأنها هي أرادت البقاء .. سأفكر جيدا في رحلة قصيرة لتلك البلاد .. لا تغضبي يا دكتورة .. هل تفكرين بالبقاء هنا ؟

قال حميد الذي كان يسمع الكلام كغيره : طلبت منها يا دكتور البقاء بيننا

فاستدارت إليه زهيرة باسمة وقالت : صعب يا أبا محمد .. عملي هناك وابنتي هناك .. فلو تجيء شمس وتستقر هنا فربما أفعل مثلها .. سأمكث شهرين إن شاء الله .

فقال سامر : سأبذل جهدي بإقناع شمس للمجيء والحياة معنا .. سأظل اضغط عليها خلال السنوات الباقية لها في الجامعة .

كان حميد كلما زار بيت امرأة عمه ، ويلتقي بالطبيبة يضغط عليها للعودة إلى البلد والبقاء بين الأهل والأقارب ، فتعتذر بعملها وابنتها وتضيف : أنا أعلم أن أمي بحاجة إليّ في هذه السن ، ولكن مصيري تقرر هناك يا أبا محمد، وليس فقط ابنتي تربطني بتلك البلاد .. أنا قبلت الطلاق من زوجي حتى أبقى في كندا .. ارتاحت روحي لتلك البلاد لا أدري سر هذا !

ـ يا أختي الفاضلة .. الإنسان يتخذ قرارات مصيرية ثم يتراجع عنها .. لا سمح الله عندما يتوعك الإنسان يجد أهله وأصدقاءه حوله

ابتسمت قائلة : وأولئك يفعلون ذلك .. الإنسانية موجودة عند جميع الناس يا حميد .. ما فعل ابن عمنا بزواجه ؟

ضحك حميد لتغيير الموضوع وقال : تلك الأرملة .. نعم .. الأمور تسير سيرا طيبا .. والمرأة قلقة من ناحية الأولاد .. هي متعلقة بهم فهي أم .. ولها رغبة بالزواج ، وتخشى أن يأخذ أهل زوجها الأولاد بسبب الزواج .. فأمها ميتة .. وجدة الأبناء من جهة الأب حية ؛ فكأن القانون يجيز لها طلب الحضانة إذا تزوجت الأرملة .. وهي متمسكة بهم .. هم ثلاثة أطفال دون العاشرة من العمر .. ووالد الفتاة شيخ من شيوخ الجماعة .. وشقيقها رفيق وصديق لميلاد أو الأدق صديق الشيخ حسن الذي اهتدى ميلاد على يده وهم جميعهم أصدقاء .

ـ أبكاني ميلاد وهو يعتذر لي .. كان يطلب السماح وهو يذرف الدمع .. كانت لحظات مؤثرة في وجداني

ـ ميلاد القديم مات يا دكتورة .. حتى أن أمك ظلت فترة لا تصدق أن ميلادا تغير .. حتى عاد مرة من بلاد العجم ، فقبلت اللقاء به ومسامحته .. سبحان الله مغير الأحوال .. كل يوم هو في شأن !

ـ ألا يشتغل معك ؟

ـ منذ هدايته أصبح شريكا في الربح .. وأصبح لي راتب شهري مثل العمال معنا وأصبح المشغل كبيرا .. وحتى أصبحنا نبيع السيارات المستعملة .. فأمك لما ضعف بصرها وضربت مرة طفلا ولم يصب إصابة كبيرة ، وتعافى سريعا ، بعت لها السيارة التي هي سيارتك .. فعملنا جيد بفضل الله ، ومعي ولدان لي يعملان في المحل .. أحدهما في معرض السيارات ، والآخر ميكانيكي مثلي فعملي باليد قليل هذه الأيام ..والأخ ميلاد متعلق بالخروج في الداخل والخارج .. وهو كما تعلمين لا أب ولا أم ولا زوجة ولا أولاد .. حر عصفور طليق بعد .. وقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة .. وعقارات عمي عادل كما تعلمين كثيرة .. كان غنيا على عكس ما كان يظهر أمام الناس وميلاد يقطن بيت العم ولا يدفع إيجارا .. وحتى فواتير الكهرباء والماء والهاتف الأرضي يدفعها أشقاؤه الذين يسكنون البيت .. فهو يتكلف مصاريف الأكل والشرب الخاص به .. وكثيرا عندما يصدف وجوده في البيت يقدم له أخوته الطعام خاصة الغداء .. وهو متحمس من الزواج من تلك الأرملة لتربية الأولاد والإنفاق عليهم رغبة بما عند الله من أجر كفالة اليتيم في الإسلام فستعيش المرأة في بحبوبة من العيش معه .. ونساء أخوة ميلاد أغلبهن من أقاربنا .. فأم ميلاد كما تعلمين ابنة عم لعمي عادل .. تزوجها قبل الرحيل للمدينة للعمل كمعلم هنا .. ووالدك درس الطب .. وكل أعمامك متعلمون ويحملون شهادات .. كان جدي حسن محبا لتعليم أبنائه ووفق إلى ذلك .. نحن الأحفاد قصرنا في متابعة الدراسة .. والأخ ميلاد ربما يتكلف سوى الطعام والشراب بعض الثياب عند السفر ، ونفقات الخروج وهي مبالغ بسيطة داخل البلاد .. وفي الخارج ثمن التذكرة .. بل ينفق ماله على رفاق الخروج ويتصدق على الفقراء

ـ وهلا فعلت مثله ؟

ـ ذهبت مكة عدة عمرات ورافقت أمي في فريضة الحج .. ورافقت ميلادا في رحلات دعوة داخل المملكة .. لليوم لم يتيسر لي الخروج خارج البلاد .. وعندي ولد تعلم وأنشأ سوقا تجاريا مع ابن خال له ، وساهم فيه ميلاد .. وابني محمد أنهى الثانوية العامة ؛ ولكنه لم يكمل الجامعة أو حتى المعهد فهو يعمل مع خال في شركة بحرية في اليونان وهو متزوج وعنده طفلان ..

ـ كأنك عرفتني به

فقالت هناء التي كانت تأكل الفواكه وتشرب العصير طول هذه الحديث : هو شاب محترم ويعرف الأصول .. فأبو محمد من أحسن أقارب والدك المرحوم مجدي حسن .

ـ لست هذا يا أمي.. وأنا ممنونة لك يا شيخ أبا

محمد .. وأنا فعلا عاجزة عن شكرك .. وبارك الله فيك وفي ذريتك

ـ بل نحن آسفون قصرنا معكم يا أم شمس .. ربما كانت ظروفنا وسننا هما السبب تلك الأيام وكان العم عادل كبير العائلة ـ رحمه الله ـ ما زال في عقلية القرية فوتر الأمور .. وكان رجلا متعلما ، فكنا نظن أنه كان يقوم بالواجب الاجتماعي نحو زهيرة ..

استمتعت زهيرة بإجازتها بأرض الوطن ، واستقبلت الكثير من أقاربها من جهة أبيها ومن جهة أمها ، ومن جملتهم المهندس نزار رفيقها أيام الجامعة ، وأخته لمياء وأمها وهي خالتها .. ورأت سمرا التي سعت لرؤيتها لما علمت بزيارتها للبلد .. فكانت لقاءات الأقارب هذه المرة تختلف عن الصورة التي تركت البلاد عليها .. وتعمقت صداقتها بابن عمها حميد وأولاده وزوجته خلال هذه الزيارة ، الذي لم تكن تراه إلا في الأعياد عندما يصحب والده وأعمامه للمعايدة عليها وزارت أمه عندما دعاها حميد وأمها للغداء في بيته .. ومضت الأيام سريعا ، وودعت من ودعت وأوصت حميدا مجددا على أمها ، لما أدركت ارتياح أمها له ولأسرته ، وغادرت البلاد إلى مهجرها مباشرة ، ولما دخلت الشقة صباحا مع شروق الشمس لم تجد شمسا في البيت ، ولما سألت الخادمة اللاتينية قالت لها لها أسبوع خارج البيت .. لم أرها منذ أسبوع

ـ تحدثت معها من يومين ، وكانت في غاية الشوق والسعادة لقرب عودتي .. أين هي ؟!

ـ لم تخبرني يا سيدتي .. وإنما سمعتها قبل غيابها تتحدث على الخلوي مع أحدهم لا أدري ذكرا أم أنثى .. يتحدثون عن السفر لنيويورك لمشاهدة شيء لم أعرفه ، ربما فيلم جديد أو عرض أزياء .

ـ نيويورك .. ماذا يوجد هناك ؟ ذكرى سبتمبر.. هل تهتم شمس بمثل هذه الاحتفالات ؟!

بدأت أقرف من هذه البلاد .. وهناك ماذا سأفعل ؟ أمي .. غربتي ابنتي .. غربتي وابنتي.

دخلت الحمام واغتسلت وصلت الفجر ، فقد أذن والطائرة تقترب من أجواء مونتريال .

قدمت لها الخادمة القهوة بالحليب كما اعتادت على ذلك وسمعت الخادمة تقول : الدكتور جيرارد كنت اتصل فأخبرته بسفرك لبلدك الأصلي .

ـ شكرا ، سأتصل به اليوم ، وأخبره بعودتي وأنني غدا سأباشر عملي .

ولما قضت شرب القهوة دخلت مخدع النوم ، وفي المساء اتصلت بالدكتور جيرارد المحاضر في كلية

الطب ، وتحدثت معه عن مشروع الكتاب الذي يكتبه لطلبة كلية الطب ، وشاركت معه في الكتاب عن أمراض الولادة والحمل ، وأخبرته أن المادة جاهزة ومكتوبة على الكمبيوتر ، وتحتاج للمراجعة والتدقيق ، وأنها سترسلها له قريبا ، وأنها ستباشر عملها غدا في المستشفى ، ووعدها بالمرور عليها للاحتفال بعودتها ، والغداء معها ، وسماع أخبارها، وأخبار رحلتها فرحبت بدورها به .

وفي الصباح ركبت سيارتها ـ في كندا مقود السيارات على اليمين ـ متجهة للمستشفى العام بمدينة مونتريال الكندية ، وباشرت العمل المعتاد ، وأخذت تستقبل المريضات من النساء .

وبينما هي تباشر عملها بأيام سمعت هنري يتحدث معها ويطمئن عليها قال ضاحكا : أرسل لي الشيخ ميلاد الشكر لنجاح شفاعتي لديك .

ولما شكرته وصمتت قال : عندي خبر سيء لك .

جفلت ـ ولأنه حدثها عن ميلاد ـ قالت : ماذا ؟ هل مرضت أمي ؟

ـ أمك! .. لا .. لا .. الخبر عن ابنتك .

ـ ابنتي! .. عدت يا هنري ولم أجدها في البيت .. لها أكثر من أسبوع خارج البيت ، ولا ترد على الخلوي

ـ هي هنا في نيويورك .. لقد جاءت مع عدد من طلاب كليتها وجامعتها لزيارة المدينة .. ومشاهدة بعض العروض السينمائية الجديدة .. هنا فيلم يعرض لأول مرة .

ـ لم تقل لي الخبر السيئ يا هنري !

ـ الخبر السيئ أن ابنتك في المستشفى

ـ عندك ؟

ـ لا .. في مستشفى آخر

ـ أفصح ما الأمر قلبي يدق بعنف؟!

ـ الأمر يا سيدتي أن ابنتك تعرضت للاغتصاب من عصابة مكونة من ثلاثة رجال كما قالت .. تعرضت للجريمة هي وصديقة لها في أحد شوارع المدينة .. وبعد اغتصابهنّ طعنوهنّ بالسكاكين .. فصديقتها ماتت ، وشمس أغمي عليها ، فظنوها ميتة .. وألقت شرطة نيويورك القبض على الجناة .. ولما استيقظت شمس وأصبحت قادرة على الكلام اتصلت بي ، وعلمت قصتها منها ومن شرطة المدينة فإذا أحببت المجيء

ـ طبعا سأجيئ الآن

فذكر لها عنوان المستشفى الراقدة فيه في منطقة

بروكلين وقال : اتصلي بي عندما تصلين ، فأنا أعمل في كوينز حيث مطار كنيدي .. وأنا تحدثت مع مدير المستشفى ليسهل سفرك .. أنا بانتظارك

ـ أنت صديق عزيز يا هنري

ـ هذا واجب عليّ .. أليس ديننا يحث على مساعدة الضعفاء والمحتاجين ؟

ـ إلى اللقاء يا سيدي الدكتور .

رهاب الطلاق ٢

المحامي طارق

الحلقة ٢ والأخيرة

تناولوا الطعام مع دردشة وكلام حول الزواج والطلاق ، ووافقت مشاركتهم بعض السهرات للمزيد من المعرفة ، وهكذا كان.

تخرجت وسامية من الماجستير ، وقويت صداقتي بشادية ، وأصبحت ترافقني في السهرات بمعرفة سامية ، وأمر زواجنا أصبح واقعا مرحبا به من سامية وأهلها ، وتمنت لنا السعادة والتوفيق ، وتفاجأت بزواجها بعد الماجستير بأقل من شهرين، تزوجت أحد أخوة زميلة عمل ووافقت بسرعة أدهشتني ، ولما تخرجت شادية تزوجتها ، وفوجئت بكلام من شادية أن أختها كانت ترغب بي زوجا ؛ ولكنها لم تحب أن تبدأ هي في طلبي ، وكانت سريعة بتعريفي بشادية ، وشادية قبلتني بسرعة بدون تردد ، حصل الزواج بيني وبين شادية ، وكان الحفل في فندق مشهور ، دفعت الكثير مما أملك والدين ، واستأجرت شقة تليق بعروسي مع أن أمي انتقلت للعيش مع أمها لرعايتها التي فقدت نظرها وضعف جدا رغم وجود زوجات أخوالي في نفس العمارة ، ظلت الشقة مستأجرة ، أمي لم تعد الأم القديمة التي عشت معها ، منذ خلصت الكلية لم يعد جلوسي معها كثيرا .

بدت شادية زوجة طيبة وجيدة ، وتعد الطعام بشكل جيد ، وترحب بالضيف والصديق ، ولم تستثقلهم ، ولم تكن مشغولة بالحمل وملهوفة لتتأكد من صلاحها كم يزعم العرسان الجدد ، حتى اضطررت أن أسالها ألا تحبين الحمل ؟

قالت : أحبه ؛ ولكني لست مستعجلة.

قلت : وأنا مثلك ، فلنترك الأمر لله وحده.

قالت : وهو كذلك.

مضت سنة على زواجنا ، وكنا في غاية السعادة والانسجام ، كنا نزور سامية وزوجها المهندس ياسين ، وكان شابا جيدا ومهذبا وانطوائيا ، وكانت سعيدة معه وتحبه ، وأنهما يتعالجان من أجل الحمل. كانا يفرحان بكل زيارة نقوم بها لهما ، وكانت سامية تشجع شادية على الحمل خشية أن أسافر لبريطانيا والزواج من إنجليزية ، مع أني طردت هذه الفكرة من رأسي بعد زواجي من

شادية ، اعتقدت أنني خلصت من تلك العقدة ، وزواجي منها يؤكد ذلك.

طبعا لا تخلو حياتنا من المنغصات ، ومشاكل الحياة الدنيا ، ولا أنكر أني تزوجت زوجتي عن حب وعشق من أول نظرة . مرت صفحات حياتي في الجامعة والماجستير بكل احترام للجنس الآخر ، كلنا بشر ، ولم أحاول العبث بأي فتاة ، كانت صداقاتي واضحة بينة ، وكانت رغبتي فعلا أن أتزوج غير عربية ؛ ولكني لم أخطو خطوات جادة وصارمة ، ولا أنكر أن شادية فتاة جميلة وفائقة الجمال ، وأن حسنها وطفوليتها شدّتاني إليها بسرعة حتى أني تسألت مرات هل أتت بها سامية للعزاء عن قصد أو غير قصد ؟ فهي لم تكن تحدثني عنها أبدا ، كانت زوجة مثالية ؛ لكن بعد التحاقها بالوظيفة العامة بشهور أخذت حياتنا تتغير ، أنا لست ضد عمل النساء ؛ لكن عملهن أفسد حياة الناس ، الزوجة أهم عمل لها الوجود في البيت ، تعمل في البيت الحقل ، حدث التقصير ، أعود من الشركة لا أجدها ، الطعام تعمله مبكرا، تأتي مرهقة تعبانة ، تنام رأسها فيه صداع ، وبدأت تطرح فكرة جلب خادمة للبيت ؛ لتقوم بتنظيف البيت والطهي والغسيل ، فتسألت ليس بخلا هل هذه الأشياء تحتاج لخادمة ؟ نحن اثنان فقط ، والشقة صغيرة لا مكان للخادمة فيها ، كنت أرى الخادمات في بيت خالي الدكتور رمضان ، وبعض أخوالي الآخرين ، وتفاجأت أنها تريد مني أن أدفع راتب الخادمة ، فقلت بصورة مزاح الذي يريد الخادمة يدفع أجرتها.

فصاحت فجأة: أتقارنني بالخادمة ! هل أنا مجرد خادمة لحضرتك ، وفي نظرك.

قلت : لا ، أنت زوجة وحبيبة .. هل شرائي للخضروات والفواكه وكل شيء يعني أني خادم بمعنى كلمة خدم .. البيت لا يحتاج لخادم أو خادمة ليس لدينا أطفال بحاجة إلى مراقبة وحماية أثناء انصرافنا للعمل .. مجرد صحن طبيخ أو كوب شاي يحتاج لخادم .

المهم حدثت مشاجرات وبدأت تكثر ، واشتد الكلام حول استئجار خادمة ؛ لتقوم بأعمال شادية المنزلية ، ورفضت جلب خادمة بقوة ، لم ترق لي الفكرة وذكرتها بأني ما زلت أسدد ديون الماجستير والزواج . غضبت مني ، وطلبت الذهاب إلى بيت أسرتها لقضاء يومين أو ثلاث ، فسمحت لها دون تشنج .

لم أكن أتصور أن تكون قضية الخادمة لتبق شادية أسبوعا في بيت أهلها حتى اضطررت للذهاب إلى هناك ومعرفة سبب التأخير ، وجرى النقاش في بيت أسرتها وعن ضرورة جلب خادمة ؛ لتخفيف أعباء البيت عن شادية ، فتعجبت من كثرة الأعباء

التي يتحدثون عنها ، والراحة والشغل ، وذكرت لهم: نحن اثنان فقط فلماذا ندخل خادمة البيت؟! في النهاية انتهى الجدل بأن أدفع نصف أجرتها ، وهي تتكفل بالنصف الثاني، أنا استأت من شادية وحتى أهلها وشعرت حينئذ أن الفراق اقترب ساورني رهاب الفراق ، نحن نسكن شقة صغيرة فأين تبات الخادمة ، ولم ترتاح نفسي لهذا الضغط ، وتدخل سامية صديقة الماجستير وزوجها في فرض رأيهم عليّ.

تكفل زوج سامية بسؤال مكاتب تشغيل العاملات في البيوت ، وجاءت الخادمة فاضطررت لتغيير الشقة بأوسع من أجل غرفة لمبيت الخادمة ، والرحيل وما أدراك ما الرحيل ؟ تذكرت يوم رحلينا من بيت سليم حين طلقت نهى أمي ، الحق تطيرت ، ووقع في قلبي الطلاق من جديد ؛ كما حدث يوم نزاعنا على جلب خادمة ، آه أيها الرفاق على وجع الرحيل! واستسلمت للأمر خشية الطلاق ورهابه ، لا أريده ، تزوجنا عن حب متبادل واقتناع.

الشقة الجديدة لم تبعد كثيرا عن شقتي الأولى ، فلما استقرت الخادمة في الشقة بدأت أتأخر في العودة للبيت ، قلت ما دام لدى الزوجة من يسليها في البيت صرت أسهر مع الزملاء والمعارف القدماء والجدد من أمثالكم ، وعدت لنادي الخط العربي ، فأنا عرفته من أيام الكلية ووجدت راحة فيه ، وهربا من مشاكل البيت والأقارب ، ممتع تعلم فنون الخط والاستغراق في رسم آية أو حديث أو بيت شعر أو حكمة ، وعدت أدخل المقاهي من جديد التي كنت أتردد عليها قبل الزواج ، وسبب تغيير المنهج بمشاكل ونزاعات مع شادية ؛ ولكني لم أكترث ولم أعد أرافقها في زيارة أهلها وسامية وغيرها من الشقيقات ، وامتلكت سيارة خاصة بها ، فقلت اسهري عند سامية وأمك.

فقالت بانفعال غاضب : تفعل ذلك ؛ لأني أجبرتك على استئجار خادمة!

قلت بهدوء : أنا لم أجبر يا سيدتي! اختصرت الشر والفتنة فحسب ، وقبلت ذلك من أجلك وأجل راحتك ، والأعباء الملقاة على عاتقيك ، ومن أجل خاطر سامية ، وزوجها دعاني أن لا أكبر المسألة ، وأنه متعاقد مع خادمة ، ونسي أن الخادمة ليست من أجل عيون زوجته ؛ إنما من أجل أمه الضعيفة التي تعيش معهم .

قالت بصوت عال : لا ، لا تضحك على نفسك ، أنت منذ طلبت الخادمة تغيرت نفسك ؛ كأنني طلبت رأس كليب ، ولبن العصافير ، واليوم تتأخر بحجة وجود الخادمة معي ، وأن تأخرك لا يضر بي.

قلت : بدأت أفكر بالضغط على أمي ؛ لتعيش معنا

باقي عمرها ، فقد سمعت أنها تتذمر من الحياة مع أمها.

قالت بصوت عال : أتريد أن تفعل مثل سامية وزوجها ؟

قلت : بوجود الخادمة لن تؤثر عليك ، ولن تحتاجي لخدمتها ، والخادمة قادرة على خدمتنا نحن الثلاثة ، وبدل أن تبقى الخادمة وحدها تكون أمي معها .

قالت بتحد : لن تقبل أمك بالرحيل عن أمها ، أنا أعرف نفسية أمك يا طارق ! أنت لم تعد تحب الهدوء ، تبحث عن المشاجرات ، أنا صممت على الخادمة حتى لا تراني مقصرة في خدمة البيت وخدمتك.

قلت : يا عزيزتي! الخدمة .. من يغسل ملابسي ؟ لا أنت ، ولا الخادمة .. الغسالة تغسلها ، وكنت أغسل ثيابي في بيت أمي ، والملابس الخارجية البذلات نذهب بهن إلى المغسلة والكوى والطعام أكثره من المطاعم يا بطة !

قالت: ألا ترى في كلامك ظلما لي واتهاما بالتقصير في طاعتك ورعايتك ؟ وجبة الفطور هي التي تجمعنا ، الغداء بالمطعم وصار العشاء.

قلت : أنا لا أحب طعام هؤلاء العجم .. أقرف من طبخهم .

قالت بصوت عال : المطاعم من يعمل بها ؟ اذا السهر مع الشباب يريحك مني فافعله .. سأتحمل أيها الزوج العزيز.

أخذت أقلل من السهر ليلا ؛ لأني مدرك أن الانفصال قادم ، شعور تملكني بقوة ؛ لكنه ينتظر القشة ، فكنت أرجع عند العاشرة ليلا أو مع هبوط الليل ، وأعتقد أن زوجتي سكتت على مضض واختصار للشر ، وتركتُ زيارة أهلها أختها أخواتها انتهت في برنامجي إلا الزيارات الضرورية التي لا بد منها في حالة المرض ودخول أحدهم المستشفى ، أما السهر للسهر فاعتذر دائما ، وتذهب وحدها وهي تحمل اعتذاري ، وفور خروجها ، ولم تحترم وجودي أغادر الشقة فورا حتى قالت يوما : لم تعد الحياة معك تعجبني .

قلت : لماذا ؟!

قالت بعد أخذها نفسا عميقا : لم تعد طارق الذي تعلقت به من مدح سامية ، لم تعد الصديق الحبيب .. كل هذا بسبب دفع نصف أجرة الخادمة أنا سأدفع نصفك .

قلت : أنا لم أتغير يا شادية ! أنت التي تغيرت منذ استلامك للوظيفة .. أصبح العمل أهم مني لعل الحب برد اذا كان الحب يبرد.

قالت: أنا ما زلت أحبك ، وها أنا أذهب للطبيبة للحمل منك ؛ لتتأكد أني أحبك.

قلت : وأنا فعلت ذلك بعد زواجنا بسنة ، لما لم

يحصل الحمل ، ولا تأخذين موانع فذهبت أطمئن على جودة المني .

اعترفت تلك الساعة أنها كانت تأخذ موانع حمل منذ تزوجنا ، تريد معرفة قوة حبنا ، وهل يثبت زواجنا ؟ وإنها تركت ذلك من شهور.

فقلت لها وأنا أسيطر على أعصابي : لماذا فعلت ذلك بدون علمي ودون اتفاق ؟!

قالت: ألم نتفق على تأخير الحمل ؟

قلت : لا ، لم نتفق يا شادية ! نحن قلنا أن يأتي الحمل بأمر الله وحده وقتما يريده ، لا أن نمنعه نحن .. إني أتألم جدا من هذه الحقيقة.

قالت: لم أكن أرغب بالحمل سريعا ، فأخذت الحبوب ، وأنت تعلم أن الحبوب لا تمنع الحمل بالكلية مائة بالمائة.

قلت : لكنك بفعلتك هذه جعلتيني أخضع لفحوص طبية لا لازمة لها ، ولما أسمع نتيجة الفحص أظن أن خطأ حدث فاذهب لمختبر آخر ، ظننت أني عقيم .

قالت: لم أفكر بذلك ، ولم تقل لي أنك تفحص قدرتك الإنجابية ، وأنا أخطأت واعترف بذلك.

قلت : بهذه البساطة يا شادية!

قالت: أنا آسف ، دعني أسالك عن أمك.

قلت متهكما : دعني أسالك عن أمي ، ثم تابعت : أمي مريضة وعاتبة عليك ، فإنك لم تذهبي إليها ولم تتصلي بها، وقالت لي لعلك متزوج بنت الرئيس .

قالت: لم تطلب مني ذلك ، ولم تقل لي عن زيارتها ، وغدا سأمر عليها وحدي وأعتذر لها.

قلت : وأعتذر لها .. على كل حال أحب أن أخبرك بأنني سأسافر لليونان لمدة أسبوع تغيير جو وربما منها لفرنسا وبريطانيا.

قالت: فرنسا وبريطانيا لم تتحدث عن ذلك!

قلت : ها أنا تحدثت .. رحلة اليونان سياحة مع شركة سياحية.

قالت بسخرية : مجرد سياحة!

قلت : مجرد سياحة! أما إذا تمكنت من السفر لفرنسا أو بريطانيا فمن أجل الدراسة والدكتوراه.

قالت بتهكم : الحلم القديم!

قلت : حلم الدراسة ؛ وليس الزواج ، ولولا عشقي لك ليلة العزاء لما تزوجتك .

قالت: أما زلت تحبني يا طارق مثل تلك الفترة؟

قلت : لا أدري!

قالت بحزن : لا تدري! ومن يدري ؟

رافقت المجموعة السياحية بالطائرة إلى أثينا عاصمة بلاد اليونان ،كنا عشرين سائحا بين ذكر وأنثى ، بعضنا فرادى مثلي ، وبعضهم أزواج رجل وامرأته أو أخته ، كان في صحبتي صديقي احمد

ناصر المحامي ، تعرفت عليه أيام التدريب ، وظلت الصداقة مستمرة ، ونلتقي بين الفينة والأخرى، انطلقنا في حافلة إلى فندق الحجز ؛ كما رتبت شركة السياحة ؛ لنزور معالم أثينا السياحية التاريخية القديمة والمعاصرة ، وجولات تسوق في أهم الأسواق ، وبعد الجولة المرتبة سيسمح لنا التحرك بحرية داخل المدينة على أن نبقى على اتصال مستمر مع مرشد الرحلة خشية التعرض لإحداث وحوادث ، والأفضل أن يترافق كل اثنين أو أكثر في أي مشوار ، وعند الدخول للحانات والملاهي الحذر والانتباه من اللصوص وحرامية السياحة والنشل.

الأيام الأولى كان أغلبنا يدور ويتحرك قريبا من الفندق ، اللسان العربي متواجد في المدينة ، والمسارح بالعربي متيسرة لخدمة السواح العرب ، والسحنة الشرقية موجودة ، فقد علمت أن اليونان كانت تخضع للحكم العثماني كسائر بلاد العرب قبل تفكك إمبراطورية آل عثمان ، أنا لا أتعاطى الخمر رغم ظروف تفككنا الأسري ، ولم أمارس الزنا في يوم من الأيام رغم سهولة ذلك في مثل هذا الزمن ، ولست أحسب نفسي متدينا شيخا مع أن بعضهم يلقبني بالشيخ ، ولا أحافظ للآسف على الصلاة ، لم تكن أمي تهتم بذلك قبل الطلاق وبعده ، ما رأيتها تصلي أبي كان متدينا ومصليا ، كنت أيام المدرسة أصلي متقطعا ، أما أخي طلال فكان من أهل الصلاة ، ويرتاد المساجد ، ويصلي الجمعة ، وكان يمشي مع الجماعات الدينية ، واستمر على ذلك أيام الجامعة ، وكان نشيطا في الحركة الإسلامية ، لم أكن أهتم بذلك.

زوجتي شادية مثلي لم تعرف الصلاة ولا الصيام ، ولم نكن نتحدث عن ذلك في البيت ، تركت رفيقي يستمتع باللهو والحانات ، وأما أنا فأتركه وأمشي لمراكز علمية أخذت عناوينها قبل الرحلة ، وقمت باتصالات بفرنسا وبريطانيا لتأمين رحلة دراسة ، ووفقت بذلك في جامعة خارج لندن على أن أرسل لهم صورا عن البكالوريوس والماجستير ؛ لذلك لما عدت من السياحة تابعت المراسلة ، ثم كانت الموافقة في تلك الجامعة .

وكانت شادية تتابع ذلك بصمت وغير مبالية ، فهي تعلم كم راسلت قبل زواجنا والتعرف عليها ، ولم تحاول تشجيعي على السفر ، فلما تمت الموافقة ،قالت : هل سأسافر معك ؟

قلت : أنا سأدرس على نفقتي وبعض القروض ؛ لست مبتعثا .. والحياة في أوروبا ليست كما هنا .. إنها مكلفة ، والدراسة لن تطول .

قالت بصوت عال : وهل سأبقى وحدي؟

قلت : الخادمة معك أو عيشي مع أمك ريثما أرجع

وفجأة قالت : ما رأيك بالانفصال؟

هتفت رعبا ودهشة: الطلاق!!

قالت: نعم ، الطلاق.

قلت : أنا أحبك، وما زلت على حبك ، وأراك الزوجة والحياة يا شادية ! رغم الفتور بيننا.. أبغض الطلاق وحتى الكلمة !

قالت : لكني أخذت أفكر فيه منذ سفرك لليونان دوني.

قلت : صدقي يا شادية ما زلت كما عهدتيني ، لم أمس امرأة غيرك كل حياتي ؛ وكما قلت لك قديما أن عملك أبعد روحك عني ، ومن حقك العمل ؛ ولست ضد عمل النساء ، واذا كنت تفكرين أنني سأسافر للزواج من إنجليزية فأنت مخطئة ، فقد انتهى ذلك منذ تزوجتك.

قالت : أنت لم تعد طارق الذي أحببته.

قلت : أنا ما زلت طارقا ، وقبلت عذرك بالنسبة للحمل.

قالت: لنا قرب السنة ولم يحدث.

قلت : عندما يريد الله يحدث ، وعندما أرتب أموري هناك سأدعوك لزيارتي نحتاج لمال كثير ، وأنا كما تعلمين لست غنيا .

قالت : فكر بالانفصال.

كان يجلس في مكتبه ذلك اليوم الأخير للعمل ، وهو يستعد لترك الشركة للسفر إلى أوروبا ، ويفكر بالطلاق الذي تعقد منه يوم غادر بيت أبيه مرافقا لأمه لأنها طلقت ، يفكر فيه بعمق ، وليس هناك أطفال سيرافقون شادية إلى بيت أمها ؛ لن يتأثر الأطفال بالطلاق ، إنه لا يريد الطلاق ، ولا يريد صحبة زوجته لبريطانيا ، لماذا تريد الطلاق بعد سنوات من الزواج ؟ هي التي كانت غير راغبة بالحمل والولادة .. الطلاق كم أبغضه وأخشاه ! أهو الحل في رأيك ؟ إنها مجرد سنتين وأعود ، قد أشتغل محاضرا في الكلية يا شادية!

ـــــــ

كان طارق يتذكر الطلاق في أسرته عندما همست شادية برغبتها بهذه الصفة ، وعلمت برغبته بالسفر لبريطانيا كطالب حقوق ، وهو يرغب بالسفر وحيدا لتقليل تكاليف الحياة في دولة صناعية متقدمة ومن الدول العظمى الخمسة.

فقال لنفسه وهو يسرد مشاهد حياته ، والطلاق في حياة الأسرة : هل جاء الدور عليّ ؟ ها هو طلال يعيش سعيدا مع الطبيبة التي تكبره بسنتين ، ولم أسمع أن الأمر بينهما وصل للطلاق ، وكذلك عالية تزعزت حياتها قليلا ، ثم استقرت ، هل تطلق يا طارق شادية أم تطلق الدراسة ؟ ولو فعلت هل تستمر الحياة ؟

عاد للبيت مهموما ومحتارا ومفكرا ، ولما تعشى مع زوجته ، وقد اتفقا على ذلك العشاء معا ، ولما جلسا في غرفة المعيشة ، قالت وهي تسكب القهوة

لها : ما أخبار السفر ؟

قلت : سيكون قريبا يا حياتي !

قالت: وأنا!

قلت : أنا أحبك ، وقانون الغرب لا يسمح بالتعدد يا شادية! هما سنتان ، وأصبح دكتورا في القانون ، لو سافرت للعمل في الخليج ؛ كما يفعل الكثير من الأصدقاء والمعلمين لا يصحبون زوجاتهم .. أنا ذاهب للدراسة ؛ وليس للزواج ، ولن تطول الغيبة.

قالت: ولماذا لا أصحبك في هذه الرحلة؟

قلت : وعملك.

قالت: يسمح لي بإجازة دون راتب ، كما يفعل المعلمون المعارون لدول الخليج .. وهل تسمح لي بالسفر للعمل هناك دونك؟

قلت : هذه المقاربة غير عادلة يا شادية ! هل تذهب زوجة للعمل هناك دون زوجها؟

قالت بصوت ساخط : لا فرق بين ذكر وأنثى.

قلت : نظريا يا سيدتي ! واذا سمحت نفسك بالعمل هناك دون زوج أو أخ فافعلي

قالت بصوت عال : إذن سأرتب سفرا للعمل هناك حتى تعود .

قلت : افعلي ذلك اذا كان هذا يمنع طلاقنا.

قالت بصوت كله غضب : واذا قلت إني مصرة على الطلاق.

قلت : لم أعد أصلح لك زوجا ! واذا رفضت السفر تصرفين نظرا عن الطلاق.

قالت: لا ، أنا ومنذ قضية الخادمة أفكر بهذه الفكرة ، ومنذ عرفت أنك اعتبرت ذلك هزيمة لذكوريتك ، كما تردد هذا الكلام.

قلت : حسنا يا شادية! سنحتكم لشقيقتك سامية.

قالت صارخة : وما دخلها في حياتنا الخاصة ؟!

قلت : نعم ، أدركت فيما بعد أنها هي التي كانت ترسم لزواجي منك ، وكانت ذكية في ذلك ، ولم يكن اللقاء في العزاء صدفة يا شادية!

قالت : بل صدفة أحبت أن أرافقها في أداء العزاء لصديقها في الماجستير ، وكانت سامية تتحدث عنك بإعجاب ؛ وربما كانت تعتقد أنك ستتزوجها يوما ما.

قلت : كانت أكبر مني بسنة ، وأسمع أن من أسباب فشل الزواج كبر المرأة عن الرجل.

قالت بصوت عال : كلام فارغ يا طارق ! فلا داعي لأخد رأي سامية في هذه المسألة .

قلت : أهناك ذكر آخر؟

أظهرت الغضب ، وبدا متصنعا ، وقالت : أنا محترمة يا طارق ! وأنت تعرف ذلك لا أسمح لنفسي بخيانتك ما دمت قد رضيتك ذكرا لي ، لم أحب رجلا قبل اللقاء بك .

قلت : وإلا ما السبب الحقيقي للطلاق ؟

قالت: السفر والدراسة ، وأنا متأكد أن حلمك القديم ما زال مخزونا في عقلك وخيالك .

قلت : جيد! هو حلم كما تفوهت .. ما كل ما يتمنى المرء يدركه يا حبيبتي! قلت لك مرارا وتكرارا إن هذه الفكرة طارت مع شوقي وحبك ، وتلك البلاد لا تسمح بالتعدد قبل طلاقك .

قالت ضاحكة : الرجال متقلبون ، غمزة من حسناء تنسون عشرة عمر ، لم أعد أحس بحبك يا طارق كما كنا قديما !

قلت : أنت تصنعين المشاكل والبرود.

قالت : وأنا أقول أنك أنت الذي يجعل من الحبة قبة ، وأنا صممت على الخادمة حتى لا أقصر في حقك وفي خدمة البيت ، وأنا وفية لك ولشرفي ، وأنت الزوجة عندك مجرد خادمة وغسالة .

قلت : هكذا هي الزوجة ، وهذه هي النظرة القديمة ، فلم أتعامل معك على هذا المبدأ .

قالت: هكذا الحال يا صديقي! لم تتحمس لوجود الخادمة لما اقترحت ذلك ، وقلت إن البيت لا يحتاج لخادمة .

قلت : ألا تريدين الحديث مع سامية ؟ ناقيشها في الطلاق .

قالت: أنا بكل قواي العقلية يا طارق لست بحاجة لمشورة أحد في حياتي الخاصة

قلت : الطلاق يعني أنك تقولين تزوج إنجليزية لتحقق حلم صباك!

قالت: أخشى أن ترسل لي خطاب الطلاق ؛ لأنهم كما تعلم لن يسمحوا بالزواج قبل تطليقي وأنت لا تقبل أن تتخذ خليلة لتجرب نساء الإنجليز

قلت : وهل تختلف النساء في كل أنحاء العالم عن بعضهن ؟ خليلة .. أنا درست في الجامعة ، وتعرفين الجامعة مسرح للهوى والعشق ، وقابلت فتيات شتى ، فلم تهفو نفسي للفاحشة ؛ إنما هي سنتان يا حبيبتي !

قالت: قد تغير رأيك وتستقر هناك .

أخذت تتحدث عن حرية أولئك الخلق وسعادتهم والتزامهم بالقانون والابتعاد عن المحسوبية والقبلية. ثم تسألت وقالت: أليس لديهم احترام للنساء ؟ كما نسمع وأن الناس سواسية أمام القضاء أو هكذا نسمع، أما الواقع فالله أعلم.

قلت : حسنا يا شادية! اذا حدث السفر يكون لك ما شئت ، وسأدفع لك المؤخر كاملا دون تقسيط ، أنا أعلم أن السنوات الأخيرة معك كانت كلها كره وبغض لي ، وصبرت على أمل أن يعود الصفاء المفقود .. ما الذي قلبك وغيرك ؟ لست أدري ! وقضية الخادمة لا اعتقد أنها السبب .

قالت: أنت مخطئ .. الغِ السفر سألغ طلب الفراق

قلت : ولماذا ألغي السفر ؟! ألا تريدين أن أصير كبيرا في البلد محاضرا أكاديميا وزيرا .

قالت : يسرني ذلك ، وفخر لي ، ويمكنك أخذ الدكتوراه هنا ، اذا الشهادة ستجعلك وزيرا .

قلت : أغلب قادة البلد الأكاديميين شهادتهم غربية ، وأنت تعلمين قيمة الشهادة من بريطانيا في بلد كان محكوما لهم في يوم من الأيام ، فمن درس في أوروبا الشرقية وموسكو يتأخر عملهم في الحكومة والسفارات والوظائف العليا ، ولولا الحاجة اليهم كأطباء لما عملوا إلا في القطاع الخاص ، فكيف بمحامي ؟

قالت: إنهم يحصلون على الشهادات بالمال والواسطة وبالدخول في الشيوعية والبلد يرفض النظام الشيوعي والاشتراكي والفكر الإلحادي يا طارق!

قلت : فلنفكر في حياتنا من جديد ما دمت أنا المخطئ .

قالت: أنا أريدك ومتمسكة فيك ؛ ولكني قلقة من سفرك لبلد قضيت سنوات تكتب لهم من أجل قبولك.

حياتي الزوجية كانت كما يقال على كف عفريت ، الدراسة في الغرب أو الطلاق كنت أتعامل مع الوضع بهدوء وروية ، بعيد عن الانفعال ، ورمي يمين الطلاق، فهو لا يربطني بها إلا الحب والاختيار وعقد الزواج الشرعي ، فتحدثت مع صديق، من أهل العلم والمشايخ الدكتور غازي محمود دكتور شريعة تعرفت عليه أثناء دراسة الماجستير ؛ لأن في دراسة القانون مواد الأحوال الشخصية والمواريث ، وكان اللقاء في منزل الدكتور عن موعد متفق عليه ، وبعد حديث ذكريات قصير ، شرح له طارق قضيته وكرهه للطلاق وبغضه له منذ رأى طلاق أمه وأخته وأثره على نفسيته ، وقصة الاختيار بين السفر أو الطلاق قال الدكتور غازي : إذن هي خائفة من الطلاق بعد سفرك ،وتريد أن تسبق الأحداث.

قلت : هي تظن أنني عندما أحط رجلاي هناك سأجد زوجة في انتظاري ، وأرى طابورا من بنات الإنجليز يرحبن لاختار واحدة ، وإني ذاهب لتحقيق حلمي أو كلام رددته قبل الزواج أمام شقيقتها أثناء دراستنا الماجستير، وإني مفتون بالعيون الزرق والشعر الأشقر ؛ وكما غيرت رأيي وتزوجتها ، سأفعل ذلك هناك.

قال الدكتور غازي : أتعتقد من داخلك أن هذا هو السبب فعلا ؟ أم هناك أسباب خفية أخرى، كعجزها عن الحمل ، وزعمت لك بأنها كانت تأخذ مانعا للحمل .

قلت : أنا صدقتها بفعل ذلك ، وكانت مفاجأة لي ؛ لأننا من البداية اتفقنا على الخلفة بكل راحة لم تأخذ موانع لولب أو حبوب حتى تفاجأت بأنها خائفة من الطلاق فأحبت تأخير الحمل ، ولم

يحدث الحمل ، فشككت في نفسي فقمت بفعل عدة فحوصات بدون علمها ، وكلها بينت أنه لا مشاكل عندي للإخصاب ؛ ربما الإعاقة من الزوجة ، واعترفت أنها منذ تزوجنا وهي تتعاطى الحبوب ثم تركتها رغبة في الحمل.

قال الدكتور غازي : وهل حقا ستتزوج أجنبية اذا سافرت؟

قلت : لا ، انتهى موضوع الزواج من غربية منذ نكحتها ، وأنا عندي المرأة مرأة في كل البلدان خاصة من ناحية المعاشرة ، هي خائفة من تجدد هواجس الماضي ، وأنا محب للدراسة في الغرب لأهمية شهادتهم في بلدنا وغيره من بلدان العرب والمستوى الاجتماعي والاكاديمي ، وفرصة تكون للعمل الجامعي بشهادة أوروبية وأنت تعلم وزن مثل هكذا شهادة في بلادنا.

قال الدكتور غازي : نعم ، أعرف ، وأنت لا تستطيع أخذها معك .

قلت متسائلا : وهل أخذها يا دكتور يمنعني من الزواج والطلاق ؟ عندما يريد الإنسان تدمير حياته الزوجية هل يصعب عليه ذلك ؟! لكن وجودها معي يعني تكاليف أكثر وأنا لست غنيا أعتمد على الله وعملي يا دكتور غازي! فالواحد ليس كاثنين ، ستمل سريعا من الوحدة خلال شهور ، وتحتاج لشم هوا ونزهات ، وستحن لأهلها أريد أن أزور الوطن أرى أمي وأبي، ستمل من البيت وحدها ، هي لم تفكر بمثل هذه التفاصيل والأشياء ؛ ولكني فكرت فيها ، هي تظن بمصاحبتي ستمنعني من الزواج عليها ، غير مصدقة أنني ذاهب للدراسة فحسب.

قال الدكتور غازي : هل ناقشت أمرك هذا مع أحد غيري؟

قلت : لا ، كنت سأناقش الموضوع مع شقيقتها سامية التي درست وإياها إنك تعرفها، درسنا معا ، وكانت السبب في زواجي من أختها ، ولا أدري هل هي التي رتبت الزواج أم جاء عفويا ؟!

قال الدكتور غازي : اذكرها ، وتتحدث معي هاتفيا حول بعض القضايا الأسرية والأحكام الشرعية والنفقة والميراث ، والتقينا أكثر من مرة شخصيا ، وهي سيدة فاضلة ومتزنة ، ولاحظت ذلك أيام الجامعة .

قلت : نعم ، وأنا زوج أختها منذ أكثر من أربع سنوات.

قال الدكتور: أنت لا تريد الطلاق ، وتريد السفر ، ألا تفكر بالبقاء هنا ودراسة الدكتوراه هنا من أجل بقاء الزواج.

قلت : استطيع البقاء هنا ، والدراسة هنا ؛ لكني غير مقتنع باعتراضها وتوجسها وأنا اليوم أرى أن الطلاق حاصل في أي لحظة ، ما دام الطلاق دخل

البيت .

قال غازي : ليس شرطا يا طارق! هي خائفة من شيء ، قد يكون خوفها وقلقها في محله ؛ ربما هي تعرف صفات وأحوال فيها تدفعها لهذا القلق والاحتياط ولا اعتقد أن في حياتها رجل آخر يدفع بها للطلاق .

قلت : أنا شككت بذلك ولا أعتقده .

قال الدكتور غازي : لو أنك متدين يا طارق! ربما دفعها هذا للثقة بك أكثر.. الصلاة حماية للأسرة.

قلت مستغربا : وما دخل الصلاة يا دكتور بالطلاق ؟ كان أبي مصليا وطلق أمي !

قال الدكتور: ما يجري معك غير ما جرى مع والديك ، الصلاة تزرع الطمأنينة بين الناس الفرد والمجتمع ، بين الزوج والزوجة ، فالذي يكون متصلا بربه تزداد ثقته بنفسه ، ويثق به الآخرون ويقولون إنه يصلي ؛ لذلك تجد من يريد خداع الناس يتظاهر بالتدين.. أعد حياة الدين لبيتك.

قلت : وهل بذلك ستسمح لي زوجتي بالسفر وتتخلى عن الطلاق؟

قال الدكتور غازي : أنا لا أرى أن السفر سبب الطلاق أو طلب الطلاق ، هناك أمور أخرى لدى زوجتك.

قلت : فكرت؛ ولكني لم أجد شيئا بيننا.

قال الدكتور: قل لها إنك ستأخذها معك عندما تسافر ، وتستقر في تلك البلاد وترى الأحوال .

قلت : والمال يا سيدي !

قال الدكتور غازي : أنا سأسلفك ما تشاء من المال.

قلت : أوه يا دكتور هذا كثير !

قال الدكتور غازي : أنا واثق أنك ستسدها يا صديقي !

قلت : والموت! قال الدكتور: إن مت قبلي سوف أسامحك بها.

الصلاة

تفاجأت شادية بصلاة طارق وعودته لقراءة القرآن ويجهر بالتلاوة ، وشراء كتب الدين وتعلم الصلاة ، كانت تراقب ذلك بصمت فبعد العشاء

قالت : ماذا فكرت بطلاقنا بالمعروف؟

قلت : لا أستطيع فراقك ، أنت حياتي وقدري حتى ولو لم تلدي ، هذا أمر الله وستسافرين معي إن شاء الله .

قالت: غيرت رأيك!

قلت : تيسر لي قرضا حسنا .

قالت: دين .

قلت : نعم ، وسأسدده على أقل من مهلي .. تيسر المال .. عليك أن تطلبي الإجازة من عملك فاذا بدأت الدراسة سافرنا.

قالت: والصلاة!

قلت : عدت إلى الله نصحني غازي بالصلاة قبل السفر والتوبة.

قالت: من غازي؟

قلت : صديق في كلية الشريعة ، درسني بعض مواد القانون أيام الماجستير ، تعرفه أختك سامية.. درسنا معا.

قالت: حدث أمر.

قلت : أمر ! ما هو؟

قالت: حدثت سامية عن طلاقنا والسفر ، فنصحتني أن أسمح لك بالسفر وحدك .

قلت : لا ، لا، إن شاء الله سنسافر معا ؛ لتثقي أنني ما زلت على العهد ومخلصا لك ، وبأنني لن أتزوج أجنبية ، وشكرا على نصيحة سامية ، وأنت رفضت حشرها في الموضوع ما الذي جد ؟

قالت: لا أدري من أخبرها ؟

قلت : أنا لم أحدثها بذلك ، وأنا فعلا تيسر لي المال الذي كان عائقا .

قالت: ممن ؟

قلت : من الدكتور غازي .

قالت: ما قصة غازي هذا؟

قلت : لا قصة ، ولا حكاية ، ذهبت أسأله عن حل لمشكلتنا فنصحني بالصلاة والتوبة قبل السفر وعرض عليّ المال لبقاء حياتنا الزوجية قائمة.

قالت: إنه رجل فاضل كريم!

قلت : نعم.

قالت: إذن سافر دوني ، أنا أعلم قدر حبك لي رغم كثرة أخطائي وشطحاتي ، أنت تغيرت بعد طلبي للخادمة ، واعتبرت نفسك مهزوما ، وأجرة الخادمة ؛ كما قلت كلها عليّ ، وأنا أراجع الطبيبات من أجل الحمل.

قلت : ستسافرين معي يا شادية !

قالت: سأزورك يا سيدي ! أنا واثقة من عواطفك نحوي ، وأثق بكل أفعالك هذه الأيام التي أعادت السكينة لنفسي وقلبي ، وأتمنى أن أكون أمّا لأطفالك.

قلت : وهذا يتطلب مرافقتي .

قالت: سأكرر زيارتك في كل إجازة تلوح لي ، وسأصلي مثلك .

قلت : جميل أن أسمع ذلك ! أفضل سفرك ، والعلاج هناك ميسور ، والمال تيسر بفضل ربي ؛ بل الرجل سامحني بها اذا مت قبله.

رن جرس الهاتف ، فذهبت إليه كما هو مرتب بينهم ، فكانت سامية ، وتحدثنا قليلا والتفتت إليه : سامية تريد الزيارة هي وزوجها فأذنت لهم.

قلت : حسنا يا شادية ! سأذهب وألبس ثيابي .

فطارق لا يحب استقبال زائريه بلباس البيت والنوم ، يستقبلهم بلباس الخروج، في أقل من ساعة كانت الأسرة تستقبل سامية وزوجها

وطفلهما الصغير ناصر .

قام الترحيب والعناق ، وجلسوا يتسامرون ودار الحديث عن الصحة والحال والطقس والأخبار الخاصة بالعمل والأهل ، ووضعت الفاكهة والمكسرات أمامهم ، وجرى الحديث عن قصة صلاة طارق وتوبته ، فشكر ربه ، وحدثهم عن زيارته للدكتور غازي ، مما أدهش سامية فهي تعرفه ، وذكرت سامية أنها تتحدث معه حول قضايا فقهية ، وزارته أكثر من مرة ، وقال ياسين لشادية : ماذا حدث في موضوع الطلاق؟

نظرت إليه بحدة ، ثم نظرت لسامية ، وخيم الصمت فقالت سامية : تحدثت مع ياسين في ذلك وأنك ترغبين بالطلاق بسبب رغبته بالسفر لبريطانيا ، وأحب ياسين الحديث معكم بهذا الأمر الخاص.

قال ياسين : لا تجعل سفرك سبب طلاقك ، يمكنك الدراسة هنا حتى لا تخسروا بعضكم ، وتجعلوا السفر سبب الفراق وقطع العشرة.

قال طارق بضيق : سنسافر معا يا أبا ناصر استلفت مالا لتكاليف الحياة في الغربة.

قالت شادية بصوت جاد وحانق : قلت لك لا داعي للاستلاف ، وأعد المال اذا أخذته للدكتور غازي .

قالت سامية : استدنت من غازي يا طارق!

قلت : الرجل من نفسه عرض عليّ ذلك حتى لا يحدث الطلاق.

قالت شادية : أنا ضغطت عليك لأعرف عمق حبك لي

قال ياسين : لا داعي للدين يا أستاذ طارق !

قالت شادية : سيسافر وسأبقى هنا في الانتظار ؛ فأنا أثق به.

قالت سامية : ماذا يقول السيد طارق؟

قلت لهم بكل هدوء : أنا قررت أن أطلقك يا شادية !ولن أسافر .

صاحت سامية : هل جننت؟

قلت : لم أجن ؛ ولكن حياتنا أصبحت بأيدي غيرنا ، اشهدوا أنني أطلق شادية أنت طالق ! وغدا نقوم بين يدي القاضي .. لا تبكي .. عندما أشرت عليك أن نشرك سامية في المشكلة ، رفضت واعترضت ، وقلت لا داعي ليتدخل أحد في حياتنا الخاصة ، ولما استشرت الدكتور ، واستعد لمساعدتي ماديا لتسافري معي قلت إني اختبرك.. فهل هذا اختبار ؟ فنحن معا من سنوات ، وخدعتيني بأخذ أقراص منع الحمل سنوات خشية الطلاق وضياع الأطفال؛ حتى ظننت أني مريض عاجز عن الإخصاب ، وعملت عددا من الفحوص ، فذهبت وتحدثت مع سامية عن رغبتك بالطلاق ، ونصحتك بعدم ذلك وعدم

السفر فاستمعت لها أما أنا فزبلت رأيي وقولي .
وختم فقال : وهكذا يا أخ عزيز كان طلاقي من زوجتي بعد أكثر من أربع سنوات زواج .. وأحمد ربي أنها لم تلد مني ، وتربطني بها ذرية ، كما حصل بين سليم ونهى.



التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة الأولى

١

لقد كان السيد رفيق حلمي البحار القديم في استقبال المحامين مجدي حامد وفيصل حسني ، فالأول ابن صديقه أو قريبه حامد سجاد ، والآخر ضابط متقاعد من الأمن ، وقد تخرج محاميا أثناء عمله مع الشرطة .

كان رفيق حلمي يستقبلهما بنفسه مساء ذلك اليوم ، وهذا على غير عادته ، فمن المعتاد لزائريه أن تستقبلهم خادمته الآسيوية الفلبينية ، وتفتح لهم الباب ، وترحب بهم بعربيتها الركيكة ، وتجلسهم في قاعة الضيوف ، ثم تخبر سيدها بمجيء ضيوفه ، فيخرج إليهم والجلوس معهم ، أما هذه المرة وهي من النوادر قام باستقبال ضيوفه بنفسه ، والسبب أن هذا اللقاء مهم وخطير، فلما كلمه المحامي مجدي مخبرا برغبته بالمجيء بصحبة زميل ، طلب من الخادمة الاستقرار في حجرتها ، وظل هو في صالة الشقة منتظرا لضيفيه .

وشقة الرجل كائنة في الطابق الخامس ، ولا يشمل هذا الطابق إلا على شقة واحدة على خلاف الطوابق الأخرى ، فهو مالك هذه البناية ذات الطوابق الستة سوى الطابق الأرضي التي أنشاها منذ سنوات للاستثمار ، فجعل بعض الطوابق شقتين وبعضها ثلاث ، لتناسب عائلات متنوعة صغيرة وكبيرة ، وللعمارة مصعد جيد ، ومن أحدث الطرازات يوم إنشائها ، ويحيط بالمبنى حدائق غناء بالأشجار والأزهار ، وطابقه الأسفل جعل موقفا للسيارات ، وفيه حجرة التدفئة المركزية ، وعدادات الكهرباء والطاقة ، وحجرة كمخزن لأدوات الزراعة والصيانة ، وفي الطابق الأول كانت شقة لبواب العمارة وأسرته ، وأما الطابق الخامس فكان شقة واحدة للسيد رفيق سكنا ومكاتب لإدارة شركاته واستثماراته ، فهي شقة واسعة.

دخل الرجلان الزائران شقة السيد رفيق حلمي ، وصافحهما ورحب بهما ، وساقهم بعدما أغلق الباب الرئيسي للشقة بالمفتاح إلى غرفة جعل منها مكتبة ، لم يأخذهما لغرفة المكتب ولا صالة الشقة ، فلما جلسوا رحب بهم غاية الترحيب ، وقام المحامي مجدي بتعريف السيد رفيق على المحامي فيصل ، وضغط رفيق على جرس داخلي أقبلت على أثره الخادمة ، فطلب منها إعداد القهوة لضيوفه .

والسيد رفيق حلمي في هذه الأيام عام ٢٠٠٠ قد تجاوز الستين سنة ، وكان الثلاثة يجلسون متجاورين كأنهم ملتصقون ببعضهم البعض ، فقال مخاطبا لهم : أنا رجل عشت أكثر العمر في البحر .. ما يقارب ربع القرن .. سافرت اليونان وأنا ابن خمس عشرة سنة .. كان العمل في بلادنا تلك الأيام ضعيفا .. فقد هاجر عم لي إلى أوروبا ، وفي إحدى السفرات رافقته وصحبته أنا أتقدم بهذا الكلام يا سيدي العقيد ؛ لأنه مهم في قضيتنا قال المحامي العقيد المتقاعد فيصل : خذ راحتك في الحديث يا سيدي !

ـ رحلت أو هاجرت واشتغلت مع عمي في البحر ، وعلى ظهر السفن كحمال وعتال وعامل ثم صرت مساعد بحار لعمي الذي يعرف البحر منذ نشأ ؛ لأن مسقط مولده مدينة بحرية .. ثم أصبحت قبطانا على السفن والبواخر الصغيرة .. ولما كبرت سني وزدت عن الأربعين هجرت البحر والسفن ، وعدت لهذا البلد بثروة كبيرة .. طبعا تنقلت في أثناء العمل بين موانئ أوروبا والعالم .. ولكن أكثر أيامي كانت في إيطاليا حيث عملت فترة مهمة من حياتي وتزوجت امرأة طليانية كانت لها مراكب عملت عليها ، قد ورثتها عن أبيها .. ولم يقدر لي الإنجاب منها .. فلما ماتت ورثت المال الكثير منها والمراكب سواء كانت للصيد أم النقل .. وبعد خمس سنوات يا سيدي ...

دخلت الخادمة بالقهوة والماء ، وقدمتها لسيدها والضيوف وانصرفت ، وبعدما أغلق الباب ، وأخذ الرجال بالرشف تابع رفيق الكلام قائلا : بعد هلاكها أي زوجتي الأجنبية بخمس سنوات بعت أملاكي ومراكبي وعدت إلى هنا حيث مسقط رأسي .. لأن والدي وإخوانه رحلوا لهذه المدينة العظيمة التي نعيش فيها اليوم .. فأنشأت مصنعا لصناعة الأحذية والحقائب .. وشركة استيراد .. وبنيت فيلا من طابقين ، وكنت قد تزوجت بعد وصولي بقليل .. وأنجبت لي زوجتي الثانية ولدا وبنتا .. الولد يدرس ويعمل في إيطاليا .. والبنت منذ سنة تخرجت من دراسة الصيدلة ، وهي تعمل في صيدلية خاصة الآن .

رشف رفيق رشفة قهوة ، وكان المحاميان يرشفان وهما مصغيان لقصة الرجل الشيخ ولم يعلقا بشيء ، فتابع الرجل قصته قائلا : أيها الكرام كنت أثناء عملي في إيطاليا ومالطة والبحار عامة قد تحصلت على مجموعة جيدة من المجوهرات والأحجار الكريمة .. تقع في أيدينا من البحارة ومن الركاب الذين يمرون في ظروف صعبة فيجبرون على بيع مثل هذه الأشياء بأثمان بخيسة إلى حد ما فيبيعونها للبحارة .

وأحضرت هذه الكمية من الجواهر معي ، لم يكن بي حاجة لبيعها بفضل ربي .. وضعت بعضها في صندوق تخزين خاص في البنك ، والقسم الآخر ظل في البيت ، وله خزائن خاصة ، أمتع نفسي بالنظر إليه ، وأتحسسه وقتما أشاء.. لهذه الجواهر سحر غريب على النفس والخيال يتكون مع الوقت وطول الزمن .. ومنها مجموعة مسابح جميلة لها لذة عجيبة أثناء التسبيح بها وهذه المسابح مصنوعة من اللؤلؤ الطبيعي أو الماس الأصلي .. وهي ثروة كبيرة بذاتها .. وهذه المسابح هي الحكاية .

أحضرت الخادمة أكواب العصير ، ولما غادرت تابع السيد رفيق الحكاية فقال : وقبل أن أترمل للمرة الثانية قمت ببناء هذه العمارة ـ وأشار بأصبعه للأسفل ـ التي نجلس في أحد طوابقها.. كما أخبرت قبل لحظات كنت احتفظ ببعض الجواهر في خزائن معدنية خاصة في البيت الأول ولما سكنت هنا أيضا أعددت لها خزائن معدنية خاصة هنا فاستقرت تلك الجواهر فيها .

وأخذ نفسا عميقا ..وهمس قائلا : وقبل أيام اختفت مسبحة مكونة من اللؤلؤ والماس الأصليين !!

ولما لم يسمع كلاما تابع قائلا : قد تكون قيمة هذه المسبحة ما يساوي خمسين ألف دولار وربما أكثر من ذلك .. سوى أنها تحفة فنية رائعة !

شرب بعضا من كوب العصير ثم قال : تحدثت مع ابن صديقي العزيز المحامي مجدي حامد عن موضوع اختفائها الغريب بعد أن بحثت بطريقتي الخاصة هنا وهناك ، ولكني لم أعثر عليها ، فأخبرته بالسر ، وأنه لا رغبة لي بإخبار البوليس في الوقت الحالي .. فأعلمني بأن له صديقا محاميا قد خدم في الشرطة والتحقيقات الشرطية ردحا من الزمن .. وهو أنت يا ولدي يا فيصل !

قال فيصل : يا مرحبا يا سيدي وأنا في خدمتك .

ـ بارك الله بك .. وأنا لا أدري كيف اختفت ؟!

لأن المفاتيح والأرقام الخاصة بهذه الخزانة معي .. ولو اختفت المفاتيح بعض الوقت فالأرقام معي ، ولا أحد يعرف الأرقام السرية إلا أنا !.. رغم ضعف بصري لم استعن يوما بأحد لفتح الخزانة .. ولكن قبل أيام كنت أتحسس هذه المجوهرات ،

وأتفقد المسابح وأعد حباتها في أحيان كثيرة .. فعندي عشرة منها بعضها من اللؤلؤ ، وبعضها من الماس وبعضها من العقيق .. المهم وجدت مسبحة لؤلؤية ماسية عزيزة عليّ مفقودة .. فاضطربت وتوترت وأصابني ذهول وغضب وحيرة شديدة ..كيف فتحت الخزنة؟! .. وكيف سرقت المسبحة؟!

قال المحامي الشرطي : أمتأكد أنك لم تخرجها من الخزانة ؟

ـ طبعا متأكد .. ولو أنني أخرجتها من الخزانة لوقع في نفسي أنني نسيتها في مكان ما .. أو سقطت مني ولم أشعر بسقوطها .. ومع ذلك نقبت البيت حجرة حجرة متوهما أنني حملتها بدون وعي مني وضاعت .. أنا عادة أفتح هذه الخزانة الموجودة هنا في هذه المكتبة.

ونهض قائما وأزاح خزانة مكتبة متحركة وفي الجدار خلفها خزانة معدنية من الخزائن الثقيلة التي صممت لحفظ الأشياء المهمة وقال مخاطبا لضيفيه : أفتحها .. وأنظر إلى هذه المقتنيات المثيرة .. ربما آخذ بعضها إلى هذا المكتب ـ وأشار لمكتب صغير في وسط المكتبة ـ وآخذ بتفحصها والتأمل بها .. أو أسبح ببعض المسابح مرة أو أكثر ثم أعيدها حيث كانت .. وأتأكد من وجودها كلها وأحيانا أعد حبات المسابح ، ثم أغلق الخزانة ، ثم أتأكد من إغلاقها مرة أخرى .. ليس خوفا من السرقة بل بحكم العادة .. وكنت أيام زوجتي أسمح لها بلمس هذه الجواهر ، وقد أهديتها بعضها ، ولكنها كانت تبيعها وتتصدق بثمنها .. ومن النادر يا سيدي أن أسمح لأحد الناس برؤيتها .. فمن عادتي استقبال ضيوف العمل في مكتبي أو مكتب الشقة الثانية حيث ملفات العمل والسكرتيرة .. وزائري الآخرين أستقبلهم في غرفة الاستقبال .. وأدخلتكم اليوم هنا لأهمية الحادث ولتروا مكان الجواهر .. ولما أجريت التجربة منذ أيام وجدت مسبحة لؤلؤية مفقودة .

وأخرج لهم البوم صور من المكتبة المتحركة ، وأخرج منه صورة لمسبحة اللؤلؤ المختفية وقال وهو يقدمها لهم : هذه صورة لها .

وتأمل الرجلان الصورة للحظات وقال فيصل : ألا تسمح لأحد من أصدقائك برؤية هذه الأشياء الثمينة ؟

ـ في الحقيقة أفعل ذلك ، وبعضهم لمسها ، ووالد محامينا حامد حصلت له هذه الفرصة مسك بعضها وداعبها .. ولكني حريص للغاية على حفظها وتفقدها .

ـ ألا يشكل هذا خطرا عليك أي ببقائها في البيت ؟!

ـ أدرك الخطر.. ولكن عملي كمغامر وبحار..

ومعايشتي المخاطر والتآمر فأصبح الخطر ضعيفا عليّ .. فكنا نحمل هذه المجوهرات شهورا ، ونصل بها مهجرنا سالمين.. وأيضا لديّ أكثر من مسدس ، وأحسن استعماله بحكم رحلاتنا البحرية

ـ ومشى إلى درج خاص في المكتبة ، وأخرج منه مسدسا، وعرضه أمام ناظريهم ـ وهو يقول : وهذا احتياط .. وهذا مرخص يا سيدي .. وفي غرفة النوم مسدس آخر .. ومنذ جئت هذه المدينة لم أصادف خطرا عليّ بسبب اقتناء هذه الجواهر .. بل بلادنا أكثر أمنا من بلاد الطليان واليونان .. لا يوجد مافيات عالمية هنا أو ما يسمى الجريمة المنظمة .. وأصدقاء البيت قلة أيها الأخوة .. ولا أقيم حفلات في الشقة.. أحب الهدوء والسكون.. لكن كيف سرقت فهذا ما يريد أن يذهب بعقلي وفكري ؟!!

ـ ولِمَ لم تلجأ للشرطة ؟!

ـ طلب مني ولدي مجدي فعل ذلك .. فالشرطة ستأخذ أقوالي .. رفع بصمات .. فسارق قطعة كهذه لا أعتقد أنه سيترك بصماته .. من سأتهم ؟!.. لا أتهم أحدا .. ولا أشك في أحد.. فالخادمة تعمل هنا وفي البيت القديم منذ عشر سنوات ؛ وربما أكثر وكيف ستفتح الخزانة ؟! لا أذكر أنني فتحتها أمامها .. ابني مسافر .. والبنت انعزالية .. وموظفو الشركة العاملون معي هنا لا يمكن دخولهم إليّ هنا .. بحكم العادة .. فالسائق حلمي ينتظرني في الصالون عند مدخل الشقة أو يجلس في شقة العمل عند السكرتيرة ، وهو ابن صديق ، وكذلك السكرتيرة لمياء فتواجدها الدائم في الجناح الآخر.. ورفاق العمر من النادر أن يدخلوا لهذه الحجرة .. وأعتقد أنهم منذ شهور لم يدخلوا هذه الحجرة .. فمجلسنا المعتاد في الصالون .. المهم كيف فتحت الخزانة ؟!.. هذا اللغز .. البواب أبو سلمى أقصى ما يصله المطبخ إذا أحضر شيئا للخادمة والبيت .. والسائق كما قلت لا يتجاوز بهو الشقة .. هذا هو اللغز يا سيدي العقيد .. فالسيد مجدي كاشفته بهذا السر .. فلما سمع مني هذه القضية أخبرني عنك ، وأنك عملت في التحقيقات الجنائية والأمنية والتحريات .. وها أنا أطلعتك على القضية العجيبة .. وأنا جاهز لإكرامكم ودفع كل ما يلزم من أتعاب وأجور !



٢

خيم الصمت على القوم فترة ، ثم خاطب مجدي زميله فيصلا قائلا : هذه هي القصة يا أبا منذر

..الوالد أبو سامر يؤكد أن المسبحة منذ خمسة أيام كانت داخل الخزانة السرية المصفحة وتفقده لمجوهراته مستمر وأصبح متعة وعادة عنده .. وهو كما تحدث لا يسمح بدخول أحد إلى هذه الحجرة إلا نادرا .. ولم يحدث هذا النادر خلال هذه الأيام الخمسة .

فقال الضابط مستفهما: والخادمة ؟

رد أبو سامر : الخادمة تدخل لتنظيف المكتبة والغبار.. وفي المرات النادرة إذا أدخلت ضيفا هنا لا يمكن فتح الخزانة أمامه .. كيف فتحت الخزانة وسرقت المسبحة ؟! .. هذا هو المحير ويكاد أن يجنني ؟!

ـ لابد من معرفة كيف فتحت هذه الخزانة السرية ..؟!

عاد مجدي يقول : ما تقول في هذا اللغز يا أبا منذر ؟ ألم يتكوّن في فكرك وخيالك شيء ؟!

قال الرجل بعد تأمل وفكر : طبعا ، لا يمكن سرقة مسبحة من داخل الخزانة ما دام الفاعل لا يملك أحدهم المفتاح والأرقام السرية إلا في حالة السطو الخطير.. وأبو سامر هو الوحيد الذي يملك المفتاح والأرقام السرية .. ولو أن أحدهم استطاع تقليد المفتاح فكيف حصل على الأرقام ؟!.. ما دام أخونا أبو سامر لم يطلع أحدا عليها .. والسارق لماذا سرق المسبحة فقط وقد وصل لفتح الخزانة ؟!..لابد أنك راجعت معلوماتك جيدا يا سيدي ، وأنك لم تتركها خارج الخزانة ولو للحظة .. خطر في بالي الآن سؤال .. هل هناك عليها تأمين ؟

ضحك رفيق حلمي وقال : لا .. لابد أنك تشك بي يا سيدي .. أنا لست بحاجة لمال فالأمور تسير على أفضل ما يرام ..ولو أردت الاستفادة من التأمين للجأت للبوليس.. ولشركة التأمين ولشهرت بالقضية ..

قال الضابط المحامي : أنا آسف يا سيدي ! .. لم أقصد الإساءة لشخصكم ؛ ولكن التحقيق كما تعلم يأخذ كل فرض واحتمال ودراسته .. واسمح لي يا سيدي بالاستعانة بالشرطة وبعض الزملاء لأخذ البصمات عن الخزانة وسيكون الأمر خفية كما تحب .

فقال مجدي مشجعا الاقتراح : جميل يا فيصل!.. فإذا كان هناك بصمات لغيرك يا سيد رفيق فهناك لص .

ـ لا أعتقد سارقا اليوم يترك بصماته في مكان الجريمة .. وربما تجدوا بصمات الخادمة ، وهذا لا يثبت جرمها فهي ممن يتردد على هذه الحجرة .. إنها تدان إذا وجدتم في حوزتها المسبحة .. وقد بحثت في حجرتها ولم أشعرها بذلك.. أنا شككت بنفسي أيها الناس .

قال فيصل : يا سيدي الفاضل! لابد من عمل

تحريات سرية عنها .. لا يكفي دفاعك عنها وثقتك .. فهذه المسبحة لو وصلت إليها لأغنتها الدهر، وهجرت هذه المهنة ، وعادت لبلادها .. سآخذ اسمها الكامل وأعرف مسيرة حياتها منذ جاءت هذا البلد وعند من اشتغلت حتى نتأكد من براءتها .. هي صحيح قد لا تكون قادرة على فتح خزانة ؛ ولكن رجل مدرب وخبير خزائن يمكنه فتحها .. فربما التقت بمثل هذه الرجل ، وأثناء مغادرتك البيت أدخلته أو رجل يعرفك غرر بها وورطها ، واستولت على مفتاحك ورصدتك وأنت تفتح الخزانة وحفظت الأرقام من تكرارك لعملية التفقد .. أليس كذلك يا مجدي ألا يمكن ذلك ؟!

رد مجدي بحيرة : احتمالات ممكنة .

قال رفيق بحيرة وشك : امرأة عاشت بيننا كل هذه السنوات !.. ولم أحس بتغير في سلوكها منذ عرفتها ، تنقلب فجأة لتغامر هذه المغامرة الكبيرة .. لم أذكر مرة أنها سرقت دينارا واحدا بل عندما كانت تجد ولو قطعة صغيرة من العملة تعطيها لأم سامر أو لي .. أتراها تمهد الطريق لمجرم ؟! أو تتعاون معه ؟!

ـ حبة منوم يا سيدي تقدمها لك فتغرق في سبات عميق

ضحك رفيق وقال : لا داعي لهذا المنوم .. فأنا أحيانا ألجأ إليه .

ـ هي الوحيدة يا سيدي التي تعرف مستقر ومكان المجوهرات .

ـ كل الأعزاء يعرفون أن لديّ خزانة خاصة ولديّ حفنة مجوهرات .

قال فيصل : ولكنها هي وحدها التي تعلم مكان الخزانة ، وأنها خلف هذه المكتبة المتحركة .

ـ المفتاح يا سيدي معي وحدي .. والأرقام معي وحدي .

ـ المفتاح ممكن تقليده اليوم وبسهولة وبمبلغ بسيط .. والرقم أليس مكتوبا في مكان ما داخل هذا البيت؟!

ـ هو مكتوب في مكان ، ولا أعتقد أن أحدا يستطيع أن يستدل عليه ، فهو ضمن أرقام للخداع وثانيا مكان وجوده لم استعمله منذ استعملته وحفظته.

ـ الراغب في السرقة يراقب ويتابع يا سيد رفيق .. يسرق المفتاح ويطبعه على معجونة خاصة ، ويقدم لصانع مفاتيح فيصنع نسخة منه .. ويقدم له عذرا أنه فقد سلسلة المفاتيح والخزانة مهمة ولا مجال لكسرها .. والحيل كثيرة .. ولكن العقدة الرقم .. ولكن عدة محاولات ربما تؤدي الغرض ..

ـ ولكن السرقة قريبة الحدوث يا سيدي الضابط

ـ أنت يا سيدي طيب وعندك ثقة كبيرة فيمن

حولك .. ولكن عند البوليس كل الناس في دائرة الاشتباه حتى المُبلغ وصاحب المصلحة حتى يخرج الكل من دائرة الشبهات .. وهناك احتمالات أخرى لسرقة الخزانة ما دام لم يستخدم العنف .. احتمال مهم وهو أنك تركت الخزانة مفتوحة لسبب ما .. ودخل أحدهم وتناول المسبحة المعروفة له .

بعد صمت ونظر قال رفيق : لا أنكر مثل هذا الاحتمال ؛ ولكن متى تركت الخزانة مفتوحة ؟! وكيف عرف السارق بهذا الوقت ؟!.. هل نسيتها مفتوحة وغادرت البيت ليأتي السارق ؟!

ـ إذا كان السارق من داخل البيت كان الأمر سهلا .. نسيتها مفتوحة ، ودخلت الحمام ..ألم تنسها يوما وتدخل الحمام أو للرد على الهاتف؟.. فهذه دقائق مهمة!

ـ الخادمة استغلت هذه الدقائق المهمة لتسرق المسبحة لماذا لم تسرق غير المسبحة ؟

ـ هذه قضية أمست معقدة !

ـ نحن يا سيدي نضع فروضا، ونرى من أقربها للصواب والتحري نحوه .. وهذا عمل المحقق .. هل حصل أن تركت الخزانة مفتوحة وخرجت لأمر ما ؟

ـ الحق يحصل هذا .

هتف فيصل باسما : رائع !.. رائع هذا الاعتراف يا سيدي ! في الفترة التي سبقت الأيام الخمسة هذه أو ما بين آخر فتحة التي اكتشفت فيها السرقة والتي قبلها هل حصل مثل ذلك الفعل ؟

ـ حصل معي ذلك فعلا .. كان السائق حلمي في صالة المدخل كالعادة .. والخادمة في غرفتها أو في المطبخ ؛ لأنها قدمت للسائق كالعادة كوبا من الشاي أو العصير حسب رغبته .. وكانت الخزانة في ذلك الحين مفتوحة ونادتني السكرتيرة للحديث من الجناح الآخر جناح العمل والإدارة الخاصة بي ، وتحدثت بالهاتف مع مدير أحد المؤسسات .. بحدود خمس دقائق أو عشر

ـ جيد يا سيدي جيد ! ..إذن في الفترة الأخيرة قد ذهبت للحديث من الجناح الآخر ، وكانت الخادمة والسائق حلمي في البيت والخزانة السرية مفتوحة .. ما الكلام الذي تحدثته مع مدير المؤسسة الذي اضطررت للذهاب إلى هناك ؟ ولم لم تتكلم من هنا من هذه الشقة؟

فكر رفيق قليلا وقال : كنت أستعد للخروج من البيت ، فاتصلت لمياء بالسائق وحضر ، وكنت قد لبست ملابس الخروج ، وأثناء شربه للشاي كانت لمياء قد طلبت لي مدير المؤسسة وخرجت من هنا لأنظر حلميا وقلت له : هل حضرت أهلا حلمي؟ .. فنهض وسلم عليّ .. ونظرت كوب الشاي أمامه يا سيدي .. فقلت اشرب شايك إني

في انتظار مكالمة .. وكنت أثناء خروجي لرؤية حلمي قد تركت الخزانة مفتوحة .. وأفعل ذلك بالعادة أجلس أتأمل هذه الجواهر وأنا في انتظار حلمي أو غيره ، ولما تخبرني الخادمة بوصوله أبدأ بإغلاقها ريثما يشرب شايه .. خرجت وتحدثت معه يومها .. وبينما أنا أكلمه نادتني لمياء للحديث مع مدير المؤسسة التي طلبتها لي .. فمشيت وتناولت السماعة.. وكان حديثنا عن تقديم معونة لعامل مات ـ وهو عامل في أحد المصانع ـ كنا نريد تقديم مبلغ من المال لأسرته .. بعد أن تحدثنا في الموضوع طلبت منه انتظاري .. وعدت لجناح النوم ، وكان حلمي جالسا مكانه وقد شرب شايه .. فأغلقت خزانة الجواهر .. وخرجنا سوية ونزلنا بالمصعد إلى الطابق الأول ومنه للسيارة .. ولا أذكر أنني لاحظت توترا وارتباكا في تصرفات الشاب ذلك اليوم .. فكان تصرفه طبيعيا كما اعتدت عليه .. وهذا الرجل هو ابن صديق عزيز لي .. وهو يعمل معي منذ خمس سنوات .. وهو بالطبع ليس ملاكا .. ولكنه في العمل معي ملتزم بالأدب وحسن الدوام ولكن كيف تسلل لغرفة المكتبة وهو لم يدخلها قط ؟!.. هو في العادة عندما يكن الانتظار طويلا .. يجلس في الجناح الثاني .. في جناح العمل عند لمياء ، وهناك مكان للجلوس وصنع الشاي والقهوة والتدخين ..ولو كان سارقا ما أدراه أن الخزانة مفتوحة .. وما أدراه أني سأذهب للحديث من مكتب لمياء والخزانة مفتوحة ؟!

ـ السكرتيرة هل تركتك وأنت تتحدث مع مدير المؤسسة ؟

ـ أبدا ظلت بجواري لتتلقى أي تعليمات .. وهي لم تكن مكالمة سرية .. والسكرتيرة من النادر أن تدخل البيت ؛ لأن كل دفاتر العمل عندها ، وهي تدخل جناح الشركة من باب خاص ، وكذلك حلمي السائق ، والباب الذي يفصل بين الجناحين يفتح من هذا الجناح فقط .. أما الجهة الأخرى لا يفتح إلا بالمفتاح الخاص به .. فالمكتبة لا يدخلها إلا القليل .. وإذا كنت مريضا ودخلت السكرتيرة للسلام أو الحديث في شأن العمل يكون لقاؤنا في حجرة النوم أو الصالة التي في مدخل الشقة .. وهي أيضا ابنة صديق عزيز أيضا

تبسم المحاميان وقال مجدي : وأنا ابن صديق للسيد رفيق

قال فيصل : سمعت ذلك من أبي سامر في أول لقائنا .. الاتصال الذي تركت فيه الخزانة مفتوحة لبضع دقائق متى كان ؟

ـ قبل الظهر في العاشرة صباحا تقريبا .. والسائق حلمي قبل إصابتي بالجلطة أو السكتة الدماغية منذ أكثر من سنة كان عادة ينتظرني في السيارة عند

مدخل العمارة .. لم يكن يصعد لهنا ..وإذا تأخر نزولي كان يصعد إلى شقة الشركة عند السيدة لمياء حتى أجهز للخروج .. ولكن بعد تلك الوعكة الحادة أصبح يرافقني حتى أدخل الشقة ثم ينقلب نازلا .. ولما نطلبه بدأ يصعد ليمسك بي أثناء هبوطنا بالمصعد ..هذه ملاحظة أحببت تبيانها .. لأن التوازن اضطرب عندي يا سيدي بسبب المرض.. فصعوده طارئ ، ولا أذكر أنه تجاوز صالة الاستقبال لأشك فيه.. أنت عليك أن تشك بالجميع كما قلت ، ثم تبرئ من تشاء .. ولكن بحذر وسرية ؛ لأنه لا يعلم باختفاء مسبحة اللؤلؤ الأصلية سوانا نحن الثلاثة .. وأذكر الآن أيها السادة في ذلك اليوم أو الصباح الذي تركت الخزنة فيه مفتوحة ، وذهبت لأتحدث بالتلفون من عند لمياء.. أن ابنتي سامية لم تخرج لعلمها ذلك اليوم ..ولما علمت بذلك من الخادمة دخلت غرفتها وسألتها فأخبرتني أنها متعبة ومريضة .. فدعوت لها بالعافية ، وتناولت فطوري ودخلت مكتبتي هذه أتأمل مجوهراتي كالعادة التي تسري في دمي .. ولما تجهزت للخروج قلت هيا يا حلمي .. فتقدم وأخذ بيدي وغادرنا الشقة ، وأغلقت الخادمة الباب بالمفتاح خلفنا كالعادة المتبعة.. هؤلاء من كان حولي في تلك الساعة وكلهم فوق الشبهة والشك .

ـ وأنت بعد هذه القصة افتقدت المسبحة ؟

ـ نعم ، ها أنت دفعتني لتذكر هذه التفاصيل .. فالخادمة كانت في البيت وابنتي والسائق والسكرتيرة .. فكيف أسرق في هذه الدقائق ؟!

ثم عاد يقول : تذكرت أنني فتحت الخزانة ذلك الصباح أيضا لغرض آخر .. أخرجت مبلغا من المال النقدي ؛ ربما لأجل ذلك أبقيت الخزانة مفتوحة.. ولم يسرق دينارا واحدا من الخزانة

ـ وأنت متأكد أنك عندما فتحت الخزانة ذلك الصباح ، وأخذت مبلغا من المال أن المسبحة كانت موجودة .

ـ أنا متأكد أنها لم تكن مختفية يومئذ لأنني سبحت بها .. وخرجت لأرى السائق والسكرتيرة .

قال فيصل حسني : لابد من وجود لص .. وكان على مسرح الحادث .. الخادمة .. السائق .. السكرتيرة ؛ ولكنك قلت إن السكرتيرة كانت معك خلال هذه الدقائق التي تركت الخزانة من غير إغلاق فلا يمكنها التسلل لهذه الغرفة .. يبقى ثلاثة هذا إذا حدثت السرقة حسب القرائن في تلك الدقائق .. الخادمة .. والابنة .. والسائق .. وهؤلاء كلهم ثقات عندك

ـ والله لا أدري كيف سأشك بهم ؟!.. وكيف عرفوا أني تركت الخزانة مفتوحة ليسرقوني بهذه العجلة ؟!

ـ ما دام يا سيدي أن الخزانة لم تفتح من غيرك ..فهذا هو الاحتمال الواقع .. والطمع موجود بين البشر .



٣

اتفقوا على جلب عامل من المختبر الجنائي لنقل البصمات الموجودة على الخزانة الحديدية ومقارنتها ببصمات المترددين على الشقة أو الذين وجدوا في ذلك اليوم الذي تركت الخزانة فيه مفتوحة لبضع دقائق ، وعمل تحريات عن الخادمة الآسيوية ماجندا ، ثم البحث عمن حضر هذه الدقائق الخطيرة ومتابعتهم سرا .

ولما غادر المحاميان شقة رفيق حلمي ، وركبا في سيارة المحامي مجدي قال الضابط فيصل : هل صاحبنا بكامل قواه العقلية يا مجدي ؟

ـ هو عليل بحكم السن أولا .. وثانيا أصيب بجلطة دماغية كما أخبرنا .. وها هو قد احتاج لمن يمسك به أثناء ركوب المصعد ؛ ولكن بشكل متقطع .. وليس له مصلحة في إخفاء المسبحة كما قال وكما أرى .. وعدم التأمين عليها يؤكد أنه ليس في حاجة للمال .. وحسب معلوماتي الدقيقة أن وضعه المالي في العالي .. وهذه الجواهر ثروة كبيرة بين يديه .. ويخيل لي أن السارق أخذها معتقدا أن السيد لن يكتشف الأمر سريعا ..

ـ سؤالي يا سيدي عن قواه العقلية .. لأسأل هل يمكن أن يخرج المسبحة ويتركها في مكان ما وينسى أين تركها ؟

قال مجدي : من ناحية طبية لا أدري .. علينا بسؤال الطبيب المعالج له .. ولكنه ذكر لنا أنه بحث في البيت في هذا الاحتمال .. ولكن الجلطة الدماغية من الأمراض الخطيرة والصعبة كما أعلم ..وتؤثر على الذاكرة والحركة .. فالرجل الطبيعي ينسى ويذهل .. فكيف المريض بهذه العلة؟! .. ألا نضع شيئا وننسى مكانه ثم بعد حين نتذكر أين نسيناه ؟!

ـ يحصل هذا لنا كثيرا ؛ ولكن هذه مجوهرات ليست قلما أو مفتاح سيارة أو علبة دواء .

قال مجدي : أنا شخصيا أرى أنه وضعه الصحي غير مريح .. وهو يكلمنا قبل قليل كنت ألحظ عليه الشرود أحيانا ..

ـ إنه يتذكر الأحداث .. فهو غير مستوعب أن يسرقه أحد ممن حوله .. وهو لا يريد أن يصدق أنه قد سرق .

ـ علينا بالحديث مع طبيبه الخاص أو أطبائه .. ولكننا قد نضطر لمكاشفتهم بالقضية .. ليحدثونا

بصراحة .

قال فيصل : إذا لم يكن هو الجاني نسيانا أو غفلة .. فالخادمة لابد أن يكون لها دور ويد .. فهي مهما كانت طيبة .. فالجواهر تدير الرأس وتفتن العقول .. وهي بالصبر والمتابعة تعرف الأرقام وبعدة محاولات استطاعت فتح الخزانة .. وعلى الفرض الثاني كان أمامها فرصة لدخول المكتبة بحجة التنظيف ورأت الخزنة مفتوحة فتناولت المسبحة بثوان معتقدة أن السيد لن يكتشف الأمر على الفور فهي بين عدد من المسابح .. والسائق أمامه فرصة إذا أحس بأن الخزنة مفتوحة ولكن فرصة الخادمة أكثر وآمن .. فلو فاجأها السيد أمامها حجة التنظيف المعتادة وهي تعرف البيت ونظامه ..أما البنت لم أفكر فيها بعد .. ما رأيك فيها ؟

ـ سامية فتاة هادئة ولطيفة جدا .. وخجولة جدا.. هل تعلم أنني حدثت أبي بخطبتها لي من العم رفيق .. ولما علم والدها بذلك أخبر أبي بأن أخته طلبتها لأحد أولادها .. وهو ما زال لم يقطع أمرا ، ولم يحدثها أبوها بأمر ابن أخته بعد ، وهو مهندس طيران أو شيء له علاقة بالطيران .. ولا حدثها عني بالطبع فالأمر معلق بعد .

ـ يعني أنها لا يمكن أن تسرق المسبحة !

ـ لا أستطيع أن أنفي ، لا علاقة خاصة لي بها سوى التحية إذا تصادفنا .. سؤال يا صديقي .. لو وجدنا يا سيدي بصمات الخادمة على الخزانة فهذا لا يفيد كما أعتقد

ـ من الخارج لا يفيد ، أما إذا وجدت بصمة لها من الداخل داخل الخزنة .. فهذا يفيد ويدفعنا للبحث عن مكان إخفاء المسبحة ثم الاعتراف .. والبصمة تدفعنا لوضعها تحت مراقبة الشرطة

٤

رتب المحامي فيصل موعدا بين فريق البصمات والسيد رفيق، واختاروا يوم جمعة حيث لا عمل للسائق حلمي فيه إلا حسب الطلب والحاجة ، ولا عمل للسكرتيرة كذلك ، وهو يوم إجازة للخادمة فيسمح لها بالمغادرة وزيارة معارفها ، ولم يجدوا إلا بصمات السيد رفيق في الداخل والخارج ، وإذا مسحت بصمات الخارج فيكون ذلك قبل اكتشاف السرقة ، وأكد لهم الرجل أنه منذ اكتشف السرقة منع الخادمة من دخول الغرفة ؛ لأنه كان يفكر باستدعاء البحث الجنائي لرفع البصمات وإشراك الشرطة في القضية ، وكان يصحبهم خبير متخصص في الخزائن السرية ولما قام بفحصه أكد لهم هو الآخر أن الخزانة لم تفتح إلا بمفتاحها الأصلي ولم تجر أي محاولات لفتح الأرقام ، فلما ودع العقيد فيصل رجال البحث الجنائي ومعمل البصمات قال لرفيق ومجدي : ليس أمامنا إلا نعترف بأن السرقة كانت ذلك اليوم الذي نسيت

أو تركت الخزنة فيه مفتوحة وتحدثت من هاتف الشركة .. لقد غامر شخص ودخل المكتبة .. هل السيدة ماجندا غادرت المنزل بعد تركك الخزانة ذلك اليوم ؟

ـ أغلب الأيام تخرج .. إذا احتاجت لشيء من شاي قهوة عصير ثوم خضار تهبط وتشتريه من المحلات القريبة .. البواب ليس مستعدا لتلبية ذلك كل الأوقات .. وإلا قضى نهاره في خدمة سكان العمارة .. فالبيت يلزمه أشياء كثيرة للطعام والمطبخ .

ـ لقد أجريت تحريات عن الخادمة .. فهي سيدة محترمة ، ولم يسجل عليها أي سرقة .. ولها تخدم البيوت عشرين سنة .. تنقلت بين عدد من الأسر .. كل من سؤل عنها أثنى عليها خير الثناء .. وسافرت لبلدها في عدد من الإجازات ، وهي أم لرجلين في الأربعينات .. عمل أحدهم فترة في البلد ثم رجع لموطنه .. ولها ثلاث بنات متزوجات في بلدها الفلبين .. وهي رغم حجمها الصغير تبلغ الخامسة والخمسين .. ومع سيرتها الحسنة يبقى بريق الذهب والجواهر مثير ومغري يسيل له اللعاب كما هو معروف .

وضع كوب العصير بعدما أفرغه في جوفه كاملا وعلى نفس واحد وقال : الحمد لله .. طيب

أما السيد حلمي سائقك الخاص .. لم نجد له أي سرقة في ملفات الشرطة .. ولكن كان له في صغره منازعات وخصومات حادة .. ولكنه لما بدأ يشتغل خفت وعاد للهدوء .. تعقل كما يقال .. وفي النهاية أقول يا سيد أبا سامر قد بذلت قصارى جهدي العقلي والشرطي لمعرفة الجاني ، ولم أوفق لمعرفته .. وأشكر الزميل مجديا على الثقة الكبيرة التي وضعها في شخصي الضعيف .. ولكن لا أقول أن القضية انتهت وقيدت ضد مجهول ..فالأمل سيظل موجودا .. وعندي اقتراح بناء على أن السارق لم يأت من فراغ .. فهو له علاقة ومعرفة بالبيت وبالسيد رفيق ..

ولما ظل الرجلان صامتين استرسل فيصل قائلا : ما رأيكم بأن نضع له طعما ؟! فالذي سرق أول مرة سيعاود الكرة ، هذه عادة أهل الشر .. فالسارق إذا لم يعرف ويعاقب فيعتقد أنه يستطيع معاودة الكرة مرة ومرات ما دام قد ظل بعيدا عن الحساب الدنيوي ..سأحضر لك مسبحة مقلدة .. وعليك إظهارها باستمرار أمام زوارك وضيوفك ؛ لعلنا بهذه الخدعة نثير شهية الفاعل ليقوم بسرقة جديدة .. ربما تتحرك غرائزه الشريرة .. غريزة الطمع والغرور .. فهو الآن مطمئن أن القضية لم تصل للشرطة ، وأنك لم تعر الأمر اهتماما ، وأنك لم تعرف بسرقة المسبحة .

قال مجدي: لم أخبر أحدا بالقضية الخاصة ولا حتى أبي .. وفكرة الطمع والإغراء فكرة ربما تفيد ولن

تضر .

قال رفيق : حسنا عليّ أن أرضى بهذا الاقتراح الفيصلي .

وضحك الرجال ، وبعد أيام كان المحامي مجدي يضع بين يدي رفيق حلمي مسبحة من أحجار الماس الزيف أو الصناعي ، وهي في غاية الإتقان والجمال ، وقام رفيق بالدور المطلوب منه ، فكان يظهرها أمام مخدوميه وزائريه ، ويدعي أنه حصل عليها حديثا من أحد محلات المجوهرات في بلجيكا ، وثمنها يعادل مائة ألف دولار .. وكان يكثر من الحديث عن الجواهر وحبه لها كما كان يفعل قبل فقد المسبحة اللؤلؤية .. وكان يتظاهر أيضا بعدم اكتشاف ضياع المسبحة .. وكان يقوم بهذه الدور العجيب وهو يفكر بعمق بكيف اختفت المسبحة رغم حرصه الشديد ؟ .. وبينما هو يمارس دورا ماكرا في الحياة زاره ثلاثة رجال أجانب وعرفهم وتذكرهم .. رجال ممن عرفهم في اليونان وإيطاليا .. رفاق البحر أيام الشباب والمغامرات .. ودار بينهم نقاش حاد في عدة جلسات .. وفي آخر لقاء طردهم شر طردة .. محذرا لهم من البقاء في البلد .. فقد جاءوا يسألونه أن يرد إليهم جوهرة هندية اشتروها قديما من أحد موانئ الهند .. وقد أكد أمامهم بأنه اشتراها ، ولا يرغب ببيعها وردها للهنود مهما بذلوا من المال .

٥

وبعد حادثة طرد الرجال الأجانب دخل رفيق المستشفى للعلاج من الضيق والتعب الذي أصابه من لقاء هؤلاء الرجال ، ووضع تحت المراقبة الطبية بطلب من طبيبه الخاص الدكتور باسم بيدو ، وكان أطباؤه عندما أصيب بالجلطة الدماغية حذروه من الانفعال الشديد والعصبية الحادة .. وكان لقاؤه بهؤلاء الرجال وتره وهيجه ، وأصابه بالغضب الشديد ، وأفقده السيطرة على أعصابه.. وعلينا أن لا ننسى أيضا الغم الذي أصابه من ضياع مسبحة اللؤلؤ .. ولما تحسنت صحته واستقرت وزالت أخطار تكرار السكتة ، وسيطروا على ضغط الدم الزائد سمحوا له بالخروج ، فعاد للبيت منهك القوى.. وكان محاميه مجدي قريبا منه ، ويكثر من التردد عليه .. ودخلت عليه السكرتيرة لمياء صباح يوم بعد تحسنه من الألم والمرض ومعه في ذلك الصباح المحامي الشاب قالت : يا سيدي .. لقد جاءت عدة دعوات من عدد من الجمعيات والنوادي تدعوك لحضور مناسباتها الخاصة ومهرجاناتها .. وأهمها الجمعية النسائية في مدينة الخد .. وهم يلحون بشدة على حضورك حفلهم السنوي .. وأنا ذكرت للسيدة الدكتورة سعيدة أنك خارج من المستشفى منذ أسبوعين ، وصحتك لم تعد تقوى على السفر

البعيد .. ولكن السيدة ترغب بالحديث معك من أجل ذلك .

التفت رفيق للمحامي وقال : هذه دعوى لا ترد يا أستاذ مجدي .. بيني وبين تلك السيدة علاقة خاصة .. وأنا أحد المتبرعين لجمعيتها باستمرار .. ولكني منذ مرضت مرضي الأخير منذ عام أو أكثر لم أشارك لها في حفلة أو نشاط وهي حريصة دائما على دعوتي وحضوري .. فالمسافة إلى تلك المدينة تحتاج إلى أربع ساعات ونصف ..والعام الفائت في حفلة آخر العام اعتذرت .. وها هي تدعونا لها هذا العام .. وأنا لست على ما يرام .. والحفلة ربما تحتاج إلى أسابيع قبل أن تقام .. مرضني هؤلاء الملاعين الطليان .

كأن المحامي تفاجأ فقال : من هؤلاء الطليان الذين أمرضوك ؟!

ـ أنا لم أحدثك عنهم ؟!

وروى للمحامي زيارة الأجانب الثلاثة لحضرته ومطالبتهم له بجوهرة قديمة ، وساعدته السكرتيرة بالرواية فقالت : قبل مرضه الأخير زارنا ثلاثة من الأجانب كانوا يعملون معه في البحر والمحيطات .. وطردهم بعد أن أغضبوه حتى هددهم بالاتصال بالشرطة حتى غادروا الشقة .. ومنذ خرج من المشفى وهو يتصلون من جديد لتحديد موعد للتفاهم وحل المشكل بينهم.

فالتفت المحامي لما سكتت الفتاة لرفيق وقال : ماذا يريدون ؟ جوهرة قديمة !

قال رفيق: مشاكل قديمة منذ عشرين سنة تخيل ! .. فعلا هناك أناس مجانين في هذا العالم .. يدعون أن لهم حقوقا عندي ..صبروا كل هذه السنوات ، ثم استيقظوا .. جنون هذا !

قال : هدأ من نفسك يا أبا سامر .. لا يستحقون العناء والانفعال .. سأتصرف معهم يا سيدي

ـ لا تسمحي لهم يا ابنتي يا لمياء بالمجيء إلى هنا .. وليكن لقاؤهم بالمحامي مجدي ولينصرفوا لبلادهم خيرا لهم .. وأنا لولا العشرة القديمة وذكريات المرأة الأولى لاتصلت بالبوليس من أول اجتماع بهم .. لكن الذكريات القديمة لم تسمح لي باللجوء للبوليس .

قالت لمياء : ماذا أقول للسيدة سعيدة ؟

ـ السيدة سعيدة .. متى يكون احتفالهم هذا العام ؟

ـ سيكون يوم خميس مع وقت الظهر تاريخ ٢٥ – ٤ –١٩٨٥ بعد ثلاثة أسابيع من اليوم .

ـ حسنا قبل الاحتفال سأقرر يا سيدة لمياء ! .. وسأتحدث مع سعيدة بنفسي .. هل من شيء آخر ؟ قبل الشيء الآخر .. تذكرت خبير الجواهر .. رضا هل اتصل بي ؟

فقال المحامي : خبير الجواهر .. ولماذا ؟!

ـ أنا لم أقل لك .. منذ شهور تحدثت مع صديقنا رضا شاه في بلجيكا.. عامل في متجر مجوهرات دولي .. خبير في الماس والأحجار الكريمة .. اتصلت به منذ شهور يا سيدي المحامي ، ودعوته لزيارتي ليطلع على مجموعتي من الجواهر ، ويعمل لها فحصا معتادا بين وقت وآخر.. ولكنه اعتذر لي عن المجيء في ذلك الوقت .. وقبل شهرين على ما أظن اتصل بي وقال إنه قريبا سيكون
هنا .. وها نحن منذ شهرين في انتظاره .. هل اتصل يا لمياء أثناء وجودي في المشفى؟
ردت السكرتيرة : أبدا يا سيدي .. هل تحب أن أتصل به من جديد ؟
ـ فيما بعد .. على كل حال هو سيأتي .. إذا خف عنه العمل ، لابد أن يزورني ؛ لأنني عميل قديم عنده منذ أيام إيطاليا والبحر ـ وتنهد شوقا لتلك الأيام ـ كلما كنا نعود من سفرة ببعض الجواهر إما أن نذهب إليه أو يأتينا روما أو أثينا ..ومن عادته الوفاء بالوعد ..اذهبي يا لمياء لمكتبك .
لملمت الفتاة أوراقها وملفاتها وغادرت ، ولما اختفت قال رفيق : هذه الفتاة تعمل معي منذ عشر سنوات ، وهي ابنة أحد الأصدقاء كما تعلم .. والمسكينة قد تزوجت ابن عم لها ، ثم طلقها متعلقا بامرأة أخرى .. ولكن الصحيح أنه لم يعرف أن يستفيد من أموال أبيها .. ولما عجزت على إدارة العمل من مكتبي في الشركة نقلت جزأ من المهام لهذه الشقة وجئت بها للعمل معي هنا .. فهي نشيطة وتفهمني بشكل ممتاز يا مجدي.. كما تفهمني أنت وتتعاون معي فتقدم لي تقارير دقيقة ومختصرة كأني أعيش في كل الشركات التي أملكها .. الحمد لله على توفيقه .

٦

اتصلت الدكتورة سعيدة بنفسها مع السيد رفيق حلمي ، واطمأنت على صحته ، وحثته على المجيء للمشاركة في الحفل السنوي للجمعية النسوية في مدينة الخد ، وبينت له أنهم هذا العام سوف يقدمون تكريما خاصا لبعض المحسنين الذين لهم أيادي بيضاء على تاريخ الجمعية ، ودعموا مشاريعها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، وأنه على رأس المكرمين في هذا العام ، ولما رأى إلحاحها ورغبتها الملحة بمجاملته والسعادة برؤيته والحديث معه مباشرة قال لها : سأكلم طبيبي الخاص، وإذا سمح لي بهذه الرحلة الطويلة سأكون بين الحاضرين ..فسرت الرئيسة لهذا الأمل .
ولما عاينه الطبيب الخاص باسم بيدو رخص له القيام بهذه الرحلة رغم استغراقها لأربع ساعات ونصف في القطار ، فهو كلما يسافر لمدينة الخد يركب القطار ، ربما عادة أحبها أثناء وجوده في

أثينا وموانئ إيطاليا وجنوب فرنسا ، وهي عادة التنقل بالقطارات ، وقطارات اليوم تمتاز بالسرعة والراحة .

فلما أخذ موافقة الطبيب على السفر اتصل بمجدي محاميه الخاص قائلا : سيكون السفر مساء الأربعاء، وقد حجزت لمياء غرفة في فندق الخزان في قلب مدينة الخد .. ما رأيك بمصاحبتي في هذه السفرة ؟

ـ لدي بعض المشاغل ؛ ولكنني سأنطلق إليك صباح الخميس مبكرا ، وأكون معك أثناء الحفل وربما قبل الحفل .

ـ جيد يا ولدي !.. سأقضي ليلة أخرى في الفندق .. سأعمل على أن تتعشى معنا السيدة سعيدة في مطعم الفندق .

ـ هل أنت مسافر بالقطار كالعادة أم بالسيارة ؟

ـ في القطار إن شاء الله ..وسأترك القطار في مدينة لبى ، فهو لا يمر من مدينة الخد نفسها .. وستكون في انتظاري سيارة مرسلة من قبل السيدة سعيدة .. وبين لبى والخد حوالي خمسين كيلو متر .. ولبى محطة القطار تابعة إداريا للخد .

ـ سأرافقك إلى محطة القطار مساء الأربعاء .. ويوم الخميس ظهرا سأكون معك بعون الله تعالى.

ـ سيكون غداؤنا بضيافة السيدة سعيدة في صالة خاصة .. صالة شرف ، فهي تقدم أفضل الوجبات في تلك البلدة .. وسأعرفك بها ، وندعوها للعشاء معنا في الفندق.

ـ إن شاء الله يا سيدي .

ـ ضروري أن تكون هناك يا مجدي .. فقد أقوم ببعض الأعمال الخيرية أيها الابن العزيز .

ـ أمرك يا سيدي .. سأكون في الفندق قبل الظهر .

ـ رائع !.. ستكون حجرتك محجوزة .. وقد حجزت لي لمياء مقصورة خاصة في القطار حتى أستطيع التمدد وحتى النوم .



٧

ركب السيد رفيق السيارة التي يقودها السائق حلمي ، وركبت السكرتيرة لمياء في المقعد الخلفي وكانت حقيبة الثياب وضعت في صندوق السيارة ، ثم أعطي السائق إشارة الانطلاق إلى محطة القطار محطة الشرق حيث سيركب قطار الساعة الخامسة والربع مساء المتجه إلى محطة لبى القريبة من مدينة الخد .. وكان قد تم حجز مقصورة خاصة للسيد رفيق .

ووجدوا المحامي مجديا في انتظارهم على رصيف المحطة ، وسلموا على بعضهم البعض ، واطمئن المحامي مجدي على صحة السيد رفيق ، وأنه جاهر لهذه الرحلة .. قام السائق بإدخال الحقيبة الخاصة

بالسيد رفيق إلى مقصورته .. وصعد رفيق إلى المقصورة الخاصة المؤثثة بأثاث يليق بأصحاب الأموال ورجال الأعمال ، وكان بداخلها مقعد يتحول إلى سرير عند الحاجة، فلما استقر الرجل على المقعد المريح شكر القوم ، وذكر مجديا بموعد الغد .. وبعد دقائق انطلق القطار رويدا رويدا حتى يغادر المحطة لتزداد سرعته حتى يقترب من المحطات الأخرى فيعود للهدوء وتخفيف السرعة فلما ابتعد القطار قال مجدي : لماذا لم تذهب معه يا أستاذ حلمي ؟! ألا يحتاج لسائق هناك ؟

ـ قال إن السيدة سعيدة ستوفر له سيارة خاصة وسائقا .. وطلب مني أن أبقى في خدمة السيدة لمياء .

فقالت لمياء : السيد رفيق يحب السفر في المسافات البعيدة بالقطارات أو الطائرة .. والطائرة غير متيسرة لهذه الرحلة ، وصحته أيضا لا تساعد لو ركب الطائرة .. وهو يحب الاستمتاع برحلة القطار ؛ فأنها تذكره بوجوده في القطارات السريعة في أوروبا .. وهناك يستفيد من سيارات الفندق .. والدكتورة المحترمة ستدبر أمر السائق والسيارة كما علمت منه ..

وعاد حلمي السائق يقول : وأنا سائق لهم .. السيد رفيق والسيدة لمياء .

فقال المحامي مخاطبا لمياء : هل تحبين أن أوصلك للبيت أو أي مكان آخر؟

تبسمت له وقالت : شكرا يا سيدي المحامي .. سأعود لشقة العمل بعض الوقت ، ثم انصرف لبيتي .. فالسيد حلمي سيقوم بالواجب .. أشكرك ثانية .

فودعهما قائلا : غدا بمشيئة الله سأكون في خدمة السيد رفيق في مدينة الخد .

فقال حلمي : بإذن الله رافقتك السلامة .

انطلق المحامي بسيارته نحو غايته ، وركبت لمياء بجوار حلمي ، وانطلق بها نحو شقة رفيق حلمي



لما وصل مجدي قبل ظهر يوم الخميس فندق الخزان بمدينة الخد تفاجأ بأن السيد رفيقا لم يصل للفندق ليلة أمس .. فدهش وظن أن السيد رفيقا مرض في الطريق ونقل لأحد المستشفيات ؛ ولكن المدير أكد له أنهم كانوا في انتظاره حسب الترتيبات والتعليمات من الدكتورة سعيدة السيدة المعروفة للفندق الكبير .

أخبر المدير السيد مجديا أن أحدا اتصل بهم ليلا ، واعتذر لهم عن عدم مجيء السيد رفيق الليلة.. وكان السائق الخاص بالفندق قد ذهب إلى محطة لبى منتظرا للسيد رفيق بناء على طلب الدكتورة ..

وفهمت من الاتصال أنه سيأتي اليوم .. فلما اتصل بي السائق من المحطة بأن القطار وصل وليس عليه السيد رفيق .. فطلبت من العودة .

فكر مجدي بما سمعه من المدير وقال : يا سيدي .. أمتأكد من المعلومات ؟

ـ طبعا يا عزيزي .. قلت لك إن السائق عاد من لبى من غير أن يلتقي بالسيد رفيق .. قالوا إنه نزل في محطة سابقة .. وكانت مقصورته فارغة .. واتصل بي فأخبرته أن أحدا أخبرهم أنه أجل مجيئه لليوم .. وأمرته بالرجوع .

ـ أنا يا سيدي محامي السيد رفيق ، وأنا ودعته بنفسي في محطة الشرق مساء أمس .. وموعدي معه اليوم هنا ظهرا لنذهب لصالة الشرف للغداء على شرف السيدة سعيدة .. ثم لنحضر الحفل السنوي للجمعية النسوية التابعة للدكتورة سعيدة .. فهل الذي اتصل بك رجل أم امرأة ؟

ـ لم أتلق الاتصال بنفسي.. الاستقبال هو الذي تلقى الهاتف واعتذار السيد رفيق عن المبيت الليلة الفائتة ، وطلب عدم إرسال سيارة لمحطة لبى .. ولكن عندما جاء الاتصال كان السائق قد مشى لهناك .

اتصل مجدي بالسكرتيرة لمياء وسألها عن السيد رفيق فقالت : منذ ودعناه على رصيف المحطة لم أتكلم معه رغم أنني حاولت هذه الصباح الحديث معه ؛ ولكن لا أحد يرد من الغرفة .. فظننت أنه نائم أو مشغول بشيء ، وأجلت الاتصال إلى فترة ما بعد الظهر .

ـ ألم يبت بالشقة ؟

ـ شقته هنا ؟! كيف؟!

ـ آ!

ـ لا ، طبعا ، من أين تتكلم ؟

روى لها الموضوع باختصار ، وقالت مظهرة الاستغراب : لم يبت في الفندق ؟! هل أصابه شيء ؟ هل نزل في الطريق ؟!

ـ لا أدري .. اسألي الخادمة ماجندا ؟

وضعت السماعة وسألت الخادمة التي نفت عودته ليلا ، وأنه منذ خرج لم يتحدث معهم ولم يرجع ، ولما نقلت ذلك لمجدي قالت له : سأتحدث مع بعض المستشفيات ؛ ربما تعب في الطريق ونقلوه إلى مستشفى في أول محطة توقف فيها القطار .

ـ حسنا تابعي الأمر من عندك، وأنا سأتابعه من عندي .

تحدث المحامي مجدي مع الدكتورة سعيدة ، فأكدت أن السيد رفيقا لم يتصل بها ، بل لما اتصلت بالفندق لتتحدث مع السيد رفيق في الصباح تفاجأت من عدم مجيئه ليلة أمس ، وتركت الاستفسار لانشغالها بالإعداد للحفلة ، والترحيب بباقي الضيوف .. ثم أنهت الاتصال

قائلة : الأرجح أنه دخل المستشفى .. تحدث مع مدير المحطة ربما يكون عنده الخبر اليقين .

ـ ولكن السائق سأل عنه في المحطة فلم يروه ، ويقولون ربما نزل في نقطة سابقة شكرا .

اجتمع مجدي بالسائق الذي ذهب لمحطة لبى لاستقبال السيد رفيق فقال للمحامي : يا سيدي المحامي ..قبل موعد وصول القطار بساعة تحركت للمحطة التي تبعد عنا خمسين كيلو متر .. وصلت إليها قبل وصول القطار القادم من العاصمة .. لما ذهبت للمقصورات الخاصة .. حسب إرشادات أحد موظفي المحطة ..وهناك سألت موظف المقصورات الذي كان يهبط على الرصيف فأخبرني أن أحدهم استقبله في محطة صغيرة .. ونزل الرجل معه .. فاستغربت هذا التصرف ، وعدت للفندق بعد أن اتصلت بهم وقالوا ارجع لقد اعتذر عن المجيء هذه الليلة

انطلق المحامي إلى محطة لبى وتحدث مع الإدارة الصغيرة في المحطة ، وأخذ اسم العامل الذي كان يخدم مقصورة السيد رفيق ، وانطلق إلى المحطة الصغيرة التي تسبق لبى محطة (عين المها) وهناك علم منهم أن السيد كان متعبا ومجهدا ، وكانت في انتظاره سيارة (بويك أمريكية) ، وصعد السائق لمقصورته ، وقام هو والعامل (ناصر) وأحد موظفي المحطة بنقله ونقل حقيبته إلى السيارة البويك ، وعلموا من الشاب أنه سيذهب به إلى مدينة الخد وفندق الخزان .

أدرك مجدي أن هناك مؤامرة وعملية خطف مدبرة ، وأن السيد رفيقا تعرض لعملية خطف قذرة ، وتذكر الأجانب الثلاثة الذين زاروا رفيقا منذ شهر فقال : من وراء هذه اللعبة ؟! ولماذا لم يسمحوا له بالوصول للخد وحضور الحفلة ؟!

جلس مجدي في كافتيريا المحطة يتفكر بهذه الجريمة وماذا نهايتها ؟ وهل للطليان الثلاثة يد في هذه الحادثة الغريبة ؟ وبعد تناوله بعض الشراب والمأكولات اتصل بالمحامي فيصل حسني فقال له الآخر : هذا أمر خطير يا مجدي ! لماذا يرغبون منعه من الوصول لمدينة الخد ؟! لا أرى سببا لذلك .. أم أن الأمر له علاقة باختفاء مسبحة اللؤلؤ ؟

ـ مسبحة اللؤلؤ ! وما علاقة ذلك باختفاء السيد رفيق يا فيصل ؟ ذلك أصبح من الألغاز الغامضة .. أنا خطر في بالي الأجانب الثلاثة .. لابد أن نلتقي .. أنا في انتظارك لتحقق في الحادث هنا ..وتبلغ الشرطة أيضا .

مع غروب يوم الخميس كان المحامي فيصل حسني عند محطة عين المها المحطة التي اختفى عندها السيد رفيق حلمي ، وكان بصحبته ضباط شرطة من تلك البلدة ، واستقبلهم مجدي وعرض القضية عليهم فقال : كنت مساء أمس الأربعاء

بنفسي في وداع السيد رفيق في محطة الشرق ، وكان معي أيضا السائق الخاص به وسكرتيرته الخاصة أيضا ، وودعناه وجلس في المقصورة الخاصة المحجوزة له ضمن الجناح أو القسم الخاص .. حجزت له ليكون وحده ، وليكون في راحة تامة حتى يتمكن من النوم ، فالرحلة تحتاج لوقت وصحته ضعيفة ، والأدوية التي تقدم له فيها كثير المسكنات .. وكان في انتظاره عند الوصول إلى محطة لبى سائق من فندق الخزان حيث سيقضي ليلته فيه.. ومن ثم أجتمع به صباح هذا اليوم لنذهب للغداء على دعوة الدكتورة سعيدة رئيسة جمعية أهلية في مدينة الخد.. ولما سألت عنه قبل ظهر اليوم في الفندق أخبرني مدير الفندق في مدينة الخد أن أحد الناس اتصل بهم قبل وصول القطار لمدينة لبى بثلاث أرباع الساعة .. أن السيد رفيقا أجل المجيء هذه الليلة وسيصل صباح الغد .. يعني اليوم .. وكانوا قد أرسلوا السائق لمحطة لبى قبل حدوث الاتصال المجهول .. ولما وصل السائق إلى هناك ووصل القطار .. وجد أن الضيف غير موجود ، وأخبره عامل المقصورات الخاصة أنه نزل في محطة عين المها .. وكان متعبا وشبه نائم ، وأخذه سائق بسيارته.. ولما اتصل السائق سائق فندق الخزان بالفندق أمروه بالعودة .. لأن السيد اعتذر عن المجيء تلك الليلة .. واتصلت بالسكرتيرة لمياء، فعلمت منها أنه لم يتكلم معها منذ سافر وأنه لم يرجع للعاصمة .. وتحدثت مع السيدة سعيدة فقالت إنها كانت تنتظر الصباح للتحدث معه وتطمئن عليه .. وحاولت الاتصال به في غرفته فلم يرد أحد فظننت أنه ما زال نائما .

تكلم ضابط المنطقة مع المسؤول عن هذه النقطة فأجاب : عندما وقف القطار في المحطة لبعض الوقت كالعادة لتنزيل من يرغب وتحميل من يرغب .. كانت سيارة (بويك أمريكية) فيها رجل متوسط الطول يلبس بدلة بنية اللون واسعة نوعا ما.. يلبس نظارة خضراء .. سأل عن القطار (رقم ٢٧) .. فقلنا له سيصل بعد دقائق .. بعد مضي ربع ساعة تقريبا وصل القطار (رقم ٢٧).. ولما توقف القطار رأينا الرجل يذهب إلى المقصورات حيث يوجد السيد رفيق ..كما عرفنا اسمه فيما بعد .. وصعد الشاب مع عامل المقصورات ناصر حامد ورجل من المحطة اسمه (خليل) .. وكان الرجل كما أخبرنا ناصر كأنه يستيقظ من النوم ، وكان مرهقا ..وقالا اقترب الرجل من رفيق وهمس في أذنه كلاما .. وقال ناصر إن الرجل كان طول الطريق شبه نائم كأنه مخدر وهذا ما لاحظه موظفنا خليل أيضا .. وأمسك الشاب ناصر والسائق بالرجل وساعدوه على النزول بناء على

رغبة سائق البويك.. واستسلام رفيق له لم يظهر أي تمرد ورفض .. وحمل خليل حقيبة الرجل ..ولم يخطر في بالهم أن هناك عملية خطف ، فالأمر مشى طبيعيا .. والرجل لم يبدِ مقاومة للسائق ليثير انتباههما لشيء سيء يحدث وقاده ناصر والسائق إلى السيارة التي حضر بها الشاب .. ووضع موظفنا خليل الحقيبة في السيارة .. وعاد ناصر مسرعا لقاطرته وقال السائق لخليل مودعا : كنا نخشى عليه السفر ، فهو مصاب بجلطة .

ولما استقر الرجل في مقعده والسائق في مقعده أعطى خليلا ورقة من المال وهو يقول : إنه عمي .. شكرا لكم . وانطلق بالسيارة خارجا من المحطة كما قال العامل خليل يا سيدي .

وعاد الرجل يقول : كان الأمر طبيعيا يا سيدي .. والموظف لم يخطر بباله أن السيد يتعرض لعملية خطف .. ولما ذكر لهم أنه مريض فظنوا أن نوبة مرض جاءته أثناء الرحلة.. وناصر أعلمني أنه لم يطلب أي خدمة خلال الطريق سوى قنينة ماء مفلترة .

فلما سمع الضباط والمحاميان أقوال مدير المحطة الصغيرة قال ضابط المنطقة : سنأخذ السيد خليل لسماع أقواله .. وعلى السيد ناصر أن يقدم أقواله في أي مركز أمني ، وإذا تيسر له المجيء إلينا يكون من الأفضل .

والتفت الضابط لفيصل وقال : لماذا خطف ؟ هل يريدون مالا ؟!

فقال فيصل : سنعرف بعد ساعات إذا كانت القضية قضية مال .

عاد الضابط موسى خالد يقول : أعتقد أن خطة الخطف وضعت خيوطها في العاصمة .. هناك بدأت الجريمة يا سيدي العقيد .. لأنه لا أحد يعرف السيد رفيقا هنا ..

قال العقيد المتقاعد فيصل : إذا كانت هناك جريمة كما يلوح في الأفق إنها بدأت فعلا في العاصمة كما تقول .. لكن التنفيذ كان هنا .. هناك أسئلة كثيرة تحتاج لإجابات .. وأهمها كيف استسلم السيد رفيق للرجل الغريب وترك القطار؟ ماذا همس سائق البويك في أذنه عندما صعد المقصورة ؟ ولماذا كان متضعضعا ومتعبا ؟ وهل حقا كان مخدرا ؟ واستيقظ عند توقف القطار ! ولماذا اختار هذه المحطة بالذات فمحطات توقف القطار أكثر من خمس محطات قبل أن يصل إلى هنا أو ربما أربع ؟.. ومن الذي اتصل بفندق الخزان معتذرا عن وصوله ؟ وصل القطار هنا حوالي الثامنة والربع مساء .. وتظاهر السائق أمام موظفي المحطة بأنه بانتظار السيد رفيق وأتقن دوره .. حتى أنه لم يثير في رجال المحطة أي شبهة كما يبدو من كلام مدير أو رئيس هذه المحطة ؟ وأخبرني الأستاذ مجدي أن

السيدة سعيدة الداعية له إلى مدينة الخد لا تعرف له أي أعداء في الخد .. وأن علاقته معهم علاقة دعم ومساعدة مالية للجمعية .. وكان يشارك في كثير من الأعوام في مهرجانات وحفلات الجمعية .. ولكنه السنة كان على موعد معهم رغم علته لأن الجمعية ستقوم على تكريمه ويقلدونه درع الجمعية ، هو وعدد آخر من المحسنين للجمعية وبعض رجالات المدينة من كبار الموظفين .. وحتى ولو لم يحضر بشخصه كان سيقدم له الدرع إما باليد وإما بالبريد .. ولكن لرغبتها ومحبتها للرجل كانت محبة لأن يستلمه بيده كسائر ضيوفها .. فأذن له طبيبه باسم بالسفر .. هذه معلومات جمعها الأخ مجدي .

فقال مجدي : وأنا في انتظارك عاودت الحديث مع السيدة سعيدة ، وهي في غاية الخوف والقلق على حياة الرجل .. ولهذا الحادث الغريب .

عاد فيصل محدثا الضباط وهم يجلسون في أحد مكاتب المحطة يتناقشون حول الحادث واستغراب وقوعه فقال : الجريمة مدبرة .. لكن الدافع للآن غير واضح إلا إذا كان للرجال الطليان الذين زاروه من فترة لحاجة قديمة بينهم يد في هذا الخطف ، وقد طردهم ورفض استقبالهم ، وهددهم بالشرطة.

فقال الضابط : هل كان تحت مراقبتهم ؟! ..

وكيف عرفوا تحركاته يا سيدي ؟

ـ المجرم والمترصد يتابع ويرتب خططه يا سيدي .. ولكن حاله عندما نزل من القطار دون أن يسأل عامل المقصورة عن مكان الوقوف .. وإتباعه للرجل دون أي كلام يدل على أمر غامض كيف استسلم له طائعا؟ هل عرف الرجل ؟! هل ظن أنه وصل لبى ؟ وأن هذا سائق الفندق فهو تعرض لمكر .. هل خدر في الطريق تخديرا معينا حتى إذا وصل لهذه المحطة كان منهكا ومتعبا ؟! ولا يدرك ويعي من الأمر شيئا .. لا بد من سماع أقوال ناصر وغيره من عمال القطار على المحطات لعل أحدهم رأى شيئا لم يدقق فيه أثناء الرحلة .. خطة ماكرة ومعمولة بشجاعة .. عندما دخلوا مقصورته لتقديم الخدمات هل كان واعيا أم نائما ؟ .. هل قدم له طعام مدسوس فيه مخدر ما ؟

قال مجدي : ولكنني كأنني سمعت المدير يخبر عن ناصر عامل المقصورات يخبر أنه لم يطلب إلا عبوة ماء مفلترة .

قال فيصل : أمامنا شغل كبير ..وتحقيق طويل .. فهو قد بدا للشابين وللسائق المزعوم أنه منهار ومحتاج لعون عند وصوله لمحطة عين المها .. فالعامل لابد أنه يعلم أن تذكرة الرجل لمدينة لبى .. فحتى لا يحتج أو يرتبك عنده نزوله كانوا بحاجة أن يظهر بذلك الضعف ويبدو الأمر

طبيعيا ، وأنه نزل مضطرا وليس مخطئا .

فقال الضابط : سنقوم بمساعدتك بهذا التحقيق ..وسنخاطب إدارة القطارات للتعاون معنا في هذا التحقيق المهم للغاية .. ومدير المحطة هنا سيقدم لنا كل العون .. ونسمع شهادة خليل وغيره من موظفي مكتب الاستعلامات ليصفوا لنا الرجل حتى نستطيع البحث عنه إذا أمكن ذلك ..ولسوف نتحدث مع عمال النظافة في المحطة لعل أحدهم لاحظ شيئا ما .

قال فيصل : نحن سنعود للعاصمة أنا والأخ مجدي .. وأنت يا موسى خالد نور الدين تابع القضية هنا ..وسنقوم بمعرفة ملابسات الحادث والبحث عن الطليان الثلاثة .. وسأتصل بدائرة الشرطة الكبرى لتكون على اتصال معنا، ونتعاون على إرسال الفاكسات والتقارير .. ستكون قصة اختفاء السيد رفيق قصة كبيرة !!

انتهت الحلقة ١

قصص وحكايات الفوارس

انتقام الفارس شهدون ٢



بـلاد الـفـند

فقام من مكانه ، وترك الكهف سائرا إلى بلاد ملك الفند جهازون ، ذات نهار أطل شهدون على سهل واسع وشاهد عجبا..المكان ممتلئ بالجنود والرايات والخيول والدواب والخيام والفرسان، فأدرك أن هنا معركة قائمة أو ستقوم ، فاحتار هل يهبط ويسأل أم ينأى بنفسه عن المتصارعين؟ ولكن قبل أن يقرر سمع الصراخ والطبول والصهيل واشتباك بين الطرفين ، فأخذ يتابع الفريقين ومع انتصاف النهار شاهد الجيش الذي أمامه يتقهقر ويتفرق الفرسان يمينا وشمالا ، وخصومهم يطاردونهم وهم يهتفون بالنصر ، وفجأة وجد نفسه أسيرا مع الأسرى موثقا بالحبال ويقاد مع من وقع من القوم، ووضع في إحدى الخيام مع طائفة من الأسرى، وعلم من مرافقيه أن هذه المعركة نشبت بين جند الملك جهازون ملك الفند وملك بلاد الأهوال، لقد قتل أحد أبناء ملك الفند على يد ابن ملك بلاد الأهوال الملك "برديس"، وكانا قد التقيا عند عين ماء وهم يطاردون وحوش الفلاة ، وتشاجرا وتبارزا فقتل ابن الملك برديس ابن الملك جهازون ومن معه من الفرسان، فغضب جهازون وحضر لقتال هؤلاء القوم فالتقوا بهذا السهل وقد قتل ابن الملك برديس في هذه المعركة، وهرب من هرب من جنوده وأسر من أسر، ولسوف يسوقونهم أسرى لبلاد الفند،

وفي الصباح التالي انتهت المطاردة لفلول الجيش الهارب ، وأمر قائد الحملة الناس بالعودة إلى البلاد للقاء الملك جهازون ، ثم الاستعداد لمعركة جديدة ، فحمل الجرحى من الطرفين على ظهور الخيل والدواب وقيد الأسرى كالأغنام بعد أن تم دفن القتلى ، فكان شهدون يتعجب من حاله ويقول : عجيب يا دنيا .. آدخل بلاد الفند أسيرا مكبلا بالحبال ؟! صبر صبر يا نفس ! "

وبعد أيام دخلت الحملة المنتصرة مدينة الفند، وكان الناس في استقبالهم ، وعلى رأسهم الملك بنفسه ، وعلقت رأس ابن الملك برديس على خازوق أمام أحد أبواب المدينة ليراه الناس ، وقد طيف بالأسرى في أنحاء المدينة ، وهم في غاية الذل والمهانة، ثم أخذهم الجنود إلى سجن الدولة، وتحمل شهدون المذلة والمهانة كباقي الأسرى ، ولما دخل السجن دفع الرسالة التي يحملها من حمدون لقائد السجن، وترجاه أن يوصلها للملك ، فعجب القائد من أمر هذا السجين ، واستمع لقصته ، ووعده بتوصيلها لملك البلاد بأقرب فرصة عندما تهدأ وتسكن الأوضاع بعد هذا النصر والثأر، وبعد حين دعي شهدون لمقابلة الملك الذي استمع إليه ورحب به أشد ترحيب ، وحزن لما علم بموت الحكيم شردى وقال : رحمه الله .. لقد أمضيت بصحبته خمس سنوات أيها الفتى وقلت إن الحكيم بزغون جلس مكانه إنه أهل لذلك .. وأين حمدون الآن ؟

فقال شهدون : انقسم التلاميذ فريقين بعد وفاة شردي الحكيم ، والزاهد حمدون ممن فضل البقاء في كهف شردي، وطلبت منه أن يأذن لي بالانطلاق في هذه الدنيا، وقد اكتفيت بعشر سنوات من الحكمة والعلم ، وأظهرت له الرغبة بتعلم الفروسية لأصير من الفرسان المحاربين .. فلما تأكد ورأى إصراري وتشبثي بذلك أرسلني إليك وذكر لي أنك تعرفه حق المعرفة .

ابتسم الملك لأسيره أو ضيفه وقال : أجل أيها الفتى! فأنا أعرفه حق المعرفة.. كنا أصدقاء وجلست بصحبتهم خمس أو ست سنوات .. وسأنفذ رغبته وإلحاقك بمدرسة الفرسان لتحقق رغبتك في تعلم الفروسية والقوة .

وأخذ الملك يسأله عما درس وتعلم ، فوجده حافظا لمواعظ الزاهد وتعاليمه ، فسر به سرورا طيبا ، وقال مشجعا له : إن أحسنت الفروسية وأتقنتها يا شهدون ستكون من أبطال المدينة ذوي الشأن .

وأرسله مع غلام إلى مدرسة تدريب الفرسان ليبدأ بالتدريب والمران .

مكث شهدون ثلاث سنوات يتعلم ويتدرب على فنون السيف وركوب الخيل والرمي بالنبل

والطعن بالرمح ، وبعد مضي هذه السنوات أحضره مدربه الخاص إلى الملك جهازون وقدمه للملك بأنه الآن قد أصبح فارسا من فرسان الملك الأشداء وقوي عوده واشتد ساعديه وعضلاته ، وأنه معد الآن لمبارزة الفرسان ، فجعل له الملك موعدا ليتبارى مع الشجعان ، وفي اليوم الموعود نزل شهدون لميدان الفرسان على حصان عربي أصيل أعطي له أثناء التدريب والتعلم ، فاستعرض نفسه أمام الملك وحاشيته ساعة من الزمن في كر وفر حتى أدهش الحضور بخفته وحركاته ، ثم نزل له فارس فتصارعا وتطاعنا حتى غلبه شهدون وعلمه ببضع علامات بالزعفران والحناء ، فنزل له آخران ثم ثلاثة ، وكلهم فاز عليهم بنشاطه ولياقته حتى استحسن الحاضرون مهاراته وبراعته ، فأمر الملك حينئذ أن يدخلوه على أسد ليرى شجاعته أمام وحش الفلاة ، فجئ بقفص كبير فيه سبع مهيب ، ووقف الفرسان الأشداء برماحهم على شكل دائرة كبيرة ، وفي وسطها شهدون بحسامه الحاد بدون جواد ، وفتح القفص فخرج الأسد القوي يتمطى ويزمجر زمجرة تدب الرعب في القلوب ، فوجد شهدون الشاب المشهر سيفه أمامه ، فقفز السبع عليه قفزة مرعبة ، فما كان من شهدون إلا أن تلقاه بسيفه على هامه بقلب أقوى من الحجر الصلب ؛ فإذا الرأس يشق قسمين وتناثرت الدماء عليه ، فصاح الناس وماجوا ، وفرح الملك بفارسه الجديد وأمر له بثياب أخرى ، وطلب منه أن يحضر للقصر بعد أن يستريح لينظر في أمره وفرح شهدون لمَ صار إليه من القوة والشجاعة ، ومن صموده أمام الأسد ملك الغابة والوحوش وفوزه عليه ، فصاح هاتفا فرحا : أين أنت يا حمدون لتراني ؟! لقد تحقق الحلم .. وأصبحت فارسا من فرسان الملك جهازون .

ثم أردف همسا : ولكن هل سأقتل بقوتي بشرا ؟! هذه أول مرة أرى الدماء تسيل من يدي !.. يا الهي العظيم !.. لا .. لأ .. سأستعمل قوتي في نصر الخير ونصر المظلوم ودفع الأذى عن الضعيف .. ولكن لو أمرني الملك بقتل أحد الناس من خصومه هل أرفض ؟! .. لا تتعجل الأمر أيها الفتى .. سأترك البلاد ولكن أين تذهب ؟ .. إذن لماذا تعلمت الفروسية ؟! .. هناك جرح غامض في الأعماق .. الهروب إلى الغابة البعيدة .. لقد تركت أمي .. هربت خوفا من القتل والسفاحين .. الحياة .. قتل .. دم .. هناك جرح عميق في نفسي يستيقظ .. صبرا أيها الفتى إنك لم تنس الماضي مع أنك كنت طفلا ذا خمس سنوات .. أمي أمي ! ماذا جرى لها ؟ تركتها وهربت .. بل هي طلبت مني أن أهرب كانت تقول : اهرب يا ولدي للغابة.. سيقتلونك إنهم يكرهوننا ويبغضوننا إنهم يحقدون علينا ..

من هم؟! من هم هؤلاء ؟! يا لثارات أمي .. إني أتذكر دموعها الحارة على خدي ؛ ولكنها كانت تقول : إنهم يقتلون الرجال أبي لم أره ! لقد مات وأنا رضيع هكذا كانت أمي تحدث أخي خلدون .. أين أنت يا خلدون الآن؟! .. عندما ركضت نحو الغابة لم أرك .. هل ركضت قبلي ؟ سأبحث عنك يا أمي .. لقد حققت حلمك وحلمي وأصبحت فارسا .. سأدافع عن المظلومين بسيفي وخنجري .. الخير لابد له من مقاتل محارب .

كان شهدون في الليل في قصر الملك ، وقد لبس حلة ملكية جميلة ، وقد تقلد حساما مرصعا بالجواهر الثمينة ، وكان قد أتى القصر ممتطيا متن جواده وهو ساهم الذهن شارد إلى الأفكار التي تجمعت في ذهنه عندما فتك بالأسد الرئبال ، وكان القصر كله في استقبال شهدون ، وقد أنير بالشموع الكبيرة والقناديل المعطرة، وكان الحرس يحيون شهدون ويباركون شجاعته رغم صغر سنه، وقام الملك جهازون بنفسه يرحب به ويعانقه وهو يهتف : مرحبا بفارسنا الجديد .. مرحبا بشهدون بن حمدون الحكيم .. الآن يا حمدون جمعت العلم والفروسية فيحق لي أن اعتبرك ولدي وأفخر بك.. وقال بحزن : لقد صرع ولدي فعوضني الله الكريم بشهدون الفارس ..يا مرحبا يا مرحبا بالفارس الهمام .

خجل شهدون من كلمات المدح والثناء التي سمعها من فيه الملك وحاشيته وشكرهم بكلام لطيف وبأحلى عبارات الثناء والود والمجاملة، وقد أحس شهدون الحسد في عيون كثيرة لما حباه به السلطان من حسن الكلام والمدح ، ثم عاد الملك يقول وهو مسرور : أيها الفارس الصغير .. لتصبح فارس مملكتنا الكبير وندا قويا لهؤلاء الفرسان والقادة الذين ينظرون إليك بحسد وغيظ كما أرى في بريق العيون .. فعليك أن تثبت لهؤلاء الأبطال بأنك تستحق ما ألقيته على عاتقك من لطيف الكلام والثناء .. فعليك أن تخرج غدا في حملة من ألف فارس وتغير على بلاد الملك برديس لتشفي غليلي على فقد ولدي المحبوب قتيل الغدير يا ولدي يا شهدون .



جرت همهمة بين الفرسان لكلام الحاكم الغريب فقد سكنت الحرب منذ سنوات بين الخصمين، فأخذت الوجوه تنظر إلى بعضها البعض في حيرة ودهشة، ولما عاد الصمت والهدوء للمكان نطق شهدون الفارس فقال : سأفعل يا ملك الزمان .. وسأسير غازيا لبلاد الملك برديس مع أنك عجلت

في هذا الأمر إلي .
نظر الملك وحاشيته ووزير الملك إلى شهدون بعجب لجسارته حتى أن الوزير غضب واحتد وقال : ما هذه الوقاحة أيها الفارس ؟!
فقال شهدون بعجلة وذكاء وهجوم: حتى أنت يا سيدي الوزير لي حاسد ؟! .. إني أرى أن الملك أوسع صدرا منك ، أنا اعتبرت الملك والدي .. أنا عندما أتيت هذا الديار كما تعلم يا مولاي الملك جئت لأتعلم الفروسية ..جئت لأتعلم الفروسية فقط ! وما كنت أحلم بأن أصبح فارسا من فرسان الملك جهازون .. كنت راغبا بتعلم الفروسية والعودة لبلاد الشرق وأبي حمدون .. وبما أن الملك يريد أن يمتحنني ويضعني في ميدان المملكة ومن فرسانها فعليّ أن أكون أهلا لثقة الملك فيّ مع ما أشار إليه الملك من الحسد نحو شخصي الضعيف من كثير من هذه العيون التي تنظر إلي ..فغدا أيها السلطان سأغزو بلاد عدوك برديس .. فأنا أحب الصراحة وأبغض التملق .. وعلى كل بعد الحرب إن قدرت لي الحياة سأغادر .. ولكن سأقضي وقتا في بلادكم إذا رغبتم ببقائي قبل الرحيل .
قال الملك : حقا إنك لصريح ولجريء ولقوي يا شهدون وتستحق أن تضع حسامك في خدمة الملوك وتنسى حياة الكهوف .. والوزير قد أساء إليك بحسن النوايا فهؤلاء القوم لم يعرفوا مثل هذه الصراحة معي ، وهذه الجسارة تفقد الإنسان رأسه ؛ ولكنك غريب وضيف وحكيم فنغفر لك ما قلته أمامنا ، وعندما تعود ظافرا سنخيرك بالبقاء هنا وتحت حمايتنا أو تعود لكهفك عند والدك حمدون والزاهد بزغون .
ونظر إلى فرسانه وحاشيته وصاح منبها : حياة شهدون تهمني أيها الفرسان فلا تسيئوا إليه ..
والتفت إليه وقال له وللآخرين : إنك في أمان السلطان .. اذهب يا شهدون واستعد للثأر .
حيا شهدون الملك وانصرف إلى بيته القريب من مدرسة التدريب التي تلقى فيها دروس الفروسية والقيادة ، وهو يفكر بهذه الحملة التي لا ناقة له فيها ولا جمل كما قيل في المثل ، وفي الصباح الباكر كان الفارس شهدون في ميدان الفرسان يمتطي صهوة الجواد وهو مرتد عدة القتال من الدرع والمغفر والجنود بين يديه ، وكان قد كتب خطابا للملك برديس يخبره بزحفه نحو بلاده للثأر لابن الملك جهازون أو يسلم نفسه للملك جهازون ، وقد انطلق الرسول بخطاب شهدون للملك برديس ، وكان هذا الخطاب حتى لا يأخذهم غدرا وغيلة إنه يريدها حربا متكافئة ، وانطلق الألف جندي بقيادة الفارس شهدون لمنازلة الملك بدريس ، ولما اقترب من بلاد برديس كان الملك في انتظاره

بجيشه الجرار ، وفرسانه المغاوير ، وفي نفس السهل الذي حدثت به المعركة التي أسر فيها شهدون سابقا ، فتعجب من الأقدار فقد تذكر عندما وقف يتفرج على المعركة وعلى الفرسان ، وكيف سقط أسيرا ؟! فقال لنفسه : هل ننتصر يا ترى على هؤلاء الرجال ؟

فأرسل غلاما للملك برديس يعرض عليه اللقاء قبل الحرب بين الفريقين ، فرضي الملك ، ونصبت في وسط الميدان خيمة صغيرة وتقدم نحوها القائدان أمام عيون الفرسان من الطرفين خوفا من غدر أحد الطرفين بالآخر، فترجل الفارسان عن جواديهما وتصافحا وتكلما وتجادلا حتى قال الملك برديس : أنا أكبر فيك كرهك للظلم والبغي والعدوان يا فارس شهدون ؛ ولكن أن اسلم نفسي للملك حيا فهذا صعب لا تقبله نفسي ولا جندي ولا قومي ، فنحن لا نحب إراقة الدماء وسفكها والفساد في الأرض .. نعم أخطأ ابني بقتله ابن الملك جهازون ، ولكن ذلك طيش شباب وتسرع من كلا الفريقين ، وقتل ابني جزاء وفاقا ، فهل يبقى للملك عندي ثأر؟! ابن ملك مقابل ابن ملك .. فقدومكم علينا بعد هذه السنين من الصمت للاعتداء علينا ظلم وعدوان ، ونحن لم نطالب بثأر في مقتل رجالنا وفرساننا ، وتقبلنا الهزيمة لأننا اعتبرنا أنفسنا ابتدأنا بالظلم .. ولا عذر لكم الآن في ظلمنا .

فسكت الفارس لحظات ثم قال : يا مولاي الملك! أنا أبغض الظلم ولا أريد أن أسفك الدم الحرام من أجل فلان أو فلان .. فالصلح خير وأريد أن أصلح بينكم هل من حل عند شخصكم ؟

فعاد الملك يقول : لا أستطيع أن أطيعك وأسلم نفسي لمولاك .. ولا أستطيع وأنا أرى أخلاقك الكريمة أن أغريك بالمال لتلحق بي إنني أراك رجلا حكيما وتدافع عن المبادئ التي تعلمتها في كهف الشروق ، مع أنك لو شرفتني في بلادي لزوجتك إحدى بناتي الأميرات ، وأمنحك قصرا جميلا لم تر مثله في الأحلام .

تبسم شهدون وتذكر مهران وبساتينه للحظات وقال: يا مولاي وهل إذا وافقت على عرضك يدع مولاي جهازون قتالك؟ .. لا .. لا ستبقى المشكلة قائمة .. فالحل عندي الصلح ، أما كيف سأعرض عليك رأيي ؟ وأرجو أن تقبله حتى لا نريق دماء هؤلاء الناس من أجل لا شيء الحل أيها الملك أن تكتب خطابا للملك جهازون تظهر له الأسف والحزن على ما جرى ، وتبدي رغبتك في الصلح وحقن الدماء وإنهاء حالة الحرب ، وتعرض عليه الوحدة بين مدينتكما ، وتزوج إحدى بناتك لأحد أبنائه أو العكس .. فبهذا لا

تراق الدماء ولا يستمر مسلسل الثأر والدم هذه خطتي .

صمت الملك صمتا عميقا وطويلا يفكر بالصلح بين المدينتين وقال في النهاية : دعني انصرف الآن وأتشاور مع القادة بمبادرتك ؛ ولكن هل هذا الاقتراح من عند مولاك ؟

ضحك الفارس وقال : لا ، إنه من عند نفسي لأنني أكره الظلم والاعتداء والعدوان كما قلت لك في أول الكلام ، ولم أرق دما بعد ، وصدق أن الملك جهازون لا يعلم بذلك فإذا كتبت فسأكتب له أيضا أشد أزرك وأقنعه بالصلح والسلام .. فكر يا مولاي بما جادت به قريحتي لعلنا نحقن دماء الناس .

احتضن الملك الفارس وصاح : إنك نبيل يا شهدون ورجل سياسة وحكمة ولست رجل فتك وسفك .. غدا نجتمع في هذه الخيمة .

وودعا بعضهما البعض ، وركب كل منهما جواده وعاد إلى معسكره .

لما اجتمع شهدون بالقادة الذين تحت إمرته سألوه عما حدث بينه وبين الملك برديس ، ومتى ستنشب المعركة ؟ فقال بهدوء : بذلت جهدي حتى لا تراق قطرة دم .

فعجب القادة لما سمعوا من قائدهم ، فذكر لهم خطته مختصرة ، فازدادت دهشتهم لذكائه وشفقته حتى أن أحدهم صاح : إنك يا شهدون تحب العدل ! ولولا أني خبرتك في ميدان التدريب لقلت إنك تخاف الدماء والموت .

فرد عليه الفارس بثقة قائلا : جئتكم من بلاد بعيدة وحدي ، قطعت فيها غابات وجبالا وأودية وكنت ابن خمس عشرة سنة .. ولو كنت أخاف الموت والدماء ما وصلت سالما أو قطعتها وحدي؛ ولكني جبلت على حب العدل والإحسان وكره العدوان والبغي من غير سبب .. ألم يقتل فرسانكم ابن الملك برديس انتقاما لمقتل ابن ملكنا جهازون؟ .. فلماذا تتجدد الحرب والمعارك ؟! .. إني أرى من بعيد رسولا قادما من جهة ملكنا جهازون .

وصل الرسول في حالة من الإعياء الشديد إلى خيمة القائد شهدون وهو يتمتم قائلا : قطعت المسافة على نفس واحد يا سيدي القائد لأمر جلل وخطير .. هذا كتاب الملك !.

وأخرج الرسول كتاب الملك وقبله وناوله للقائد شهدون ، فتناول منه الرسالة وقبلها وفضها فإذا فيها " عد حالا الوضع خطير والتفاصيل في قلب الرسول "

نظر القائد بخوف وقلق للرسول وقد ظهر التوتر على قادة الفرسان والجند وقال شهدون للرسول : ويحك .. ما الخطب ؟!

بعدما تناول الرسول الشراب وشرب قال : سيدي القائد ! .. بعدما خرجتم من البلاد قدم نحونا جيش عرمرم يريد غزو بلادنا والتقت الفرسان بالفرسان ، والحرب سجال بيننا..والملك بحاجة للجنود والفرسان الذين معك ويقول لك " دبر الأمر مع الملك برديس وعد حالا " فهؤلاء الغزاة يريدون المال والنساء وتدمير البلد والقضاء على الملك جهازون .

فابتسم شهدون وهو يقول : أرايتم تدبير السماء أيها الرجال ؟! فالظلم ظلمات الآن ـ إن شاء الله ـ ستعرفون من هو شهدون ابن حمدون عندما يدافع عن الحق وأهله ؟

فأرسل رسولا يطلب اللقاء بالملك برديس قبل غروب الشمس الذي دهش للأمر والتقيا في الخيمة خيمة الأمان وقال شهدون : أيها الملك رب السماء يهيئ لك الفرصة في السلام وإنهاء العداوات ، ولكن قبل أن أقل لك ما جدّ في الأمر ما رأي قومك ورجالك في تجادلنا حوله صباحا ؟

فرد الملك: انقسم القوم قسمين ؛ ولكن الأكثر يرغب في الصلح ما الذي جدّ عندكم ؟

قص شهدون الأمر بصدق على مسامع الملك فدهش الملك ثم قال : إنها فرصة للقضاء عليكم

فقال شهدون : بل فرصة لنذهب معا لدحر أعداء الملك جهازون ، وسيكون هذا موقفا كبيرا لدى الملك ، وسيعيد الصفاء لكم ولهم، واحذر الظلم والغدر أيها الملك .

فقال الملك : إنك يا شهدون شديد الدهاء إن أفكارك تدهش النفوس .. الظلم مرتعه وخيم نعم .. إنها فرصة للسلام إن الأقدار تخدمك يا شهدون

وفي الصباح التالي كان الجيشان يتحدان بعد أن خدمهما القدر ويسيران نحو بلاد الفند ، وكان الملك برديس يقول لشهدون همسا ومداعبا : إنها فرصة طيبة أيها القائد الصغير لننصبك ملكا على بلاد الفند .

فعاد شهدون يكرر : الظلم سيئ ، والغدر أسوأ ونهايته سيئة ، والخيانة نهايتها الموت والهلاك ، ولا أطمع بمثل هذا المنصب أيها الملك الجميل .

كان الرسول الذي بعثه الملك جهازون قد سبق الجيش يبشر الملك بعودة جيشه المحارب وبصحبته جيش عدوه ، فانتشر الخبر في المدينة سريعا ، وعجب الناس لاتفاق الطرفين المتحاربين ، وموافقة الملك برديس على محاربة الغزاة مع عداوتها البغيضة .

واطلع الناس على دور شهدون في الصلح بين البلدين ، ثم اطلع الملك جهازون على الرسالة التي وصلته من الملك برديس ورغبته في الصلح والاحتكام للعقل والإنصاف والسلام ، وأمام ضغط الغزاة وما حل بأطراف المدينة من دمار ،

وخروج الناس إلى قمم الجبال رضخ جهازون للصلح وتقابلوا في قصر الملك ، وكان اللقاء مشهودا بين القادة والفرسان من الفريقين ، وكان الفضل لشهدون الذي أصبح ذكره على كل لسان ، وقاد شهدون الفرسان نحو ميدان المعركة حيث يتصدى الجنود للغزاة، والتقى بالقادة والفرسان ، واطلع على سير المعارك والمبارزات ، ثم كتب رسالة شديدة اللهجة لقائد الغزاة يطلب منه الانصراف وترك البلاد في سلام ، فهزئ القائد من شهدون ومن جسارته وطلب مبارزته ، وفي الصباح برز شهدون أمام الفرسان فصال وجال في الميدان ، وطلب مبارزة الأبطال فسقط إليه فارسا فأرداه قتيلا مضرجا بدمه ، فأتاه آخر فأضحى صريعا ، فطلب ملكهم أو قائدهم للمبارزة ؛ ولكن زعيمهم أمر بهجوم الجيش فبدأت معركة رهيبة بين الفريقين استمرت لليل ، ثم انفصل الجيشان لتالي الأيام ، دارت معارك قوية بينهم لمدة عشرة أيام ، ثم اجتمع الوزير بالقادة والفرسان واستمع لآرائهم في هذه الحرب الضروس الدائرة منذ شهر ، فتكلم القادة والفرسان بآرائهم حتى وصل القول لبطلنا الفارس شهدون، فاقترح أن يرسل خطابا شديد اللهجة للملك الغازي "زهمان" للكف عن العدوان والانسحاب بأسرع وقت ، وفي نفس الوقت نعد خطة هجوم شرسة وقوية كما اقترح القائد " جاليش " نصف الجيش يقاتل في النهار والنصف الآخر عند دخول الظلام حتى سطوع شمس النهار.. وأنا مستعد للقتال في الظلام .

فكتب الوزير رسالة تهديد ووعيد للملك زهمان ينصحه فيها بالابتعاد قبل فوات الأوان ، فجاء الرد بالموافقة على ترك تدمير البلاد إذا دفع الملك جهازون ألف قطعة من الذهب ومثلها من الفضة وألف ناقة وألف فرس وألف قطعة من الثياب ومثلها من الدروع والسيوف والرماح والمدى وألف جارية فإذا جاءت هذه الآلاف العشرة فعند ذلك يرضون بالصلح ويوافق الملك زهمان عليه ، فلما سمع شهدون بذلك قال : هذا هو البغي والاستخفاف بعينه غدا ننفذ الهجوم الأخير ، وقد أمرت فرساني بلبس ثياب حمراء أثناء الهجوم الليلي ، وأمرت الغلمان بإشعال النيران الضخمة والمشاعل العالية وسيشاركني في الهجوم فرسان الملك برديس وجنود جاليش والنصر من عند الله

بدأت المعركة صباحا بنصف جيش الملك جهازون ، ودافع الجنود والفرسان دفاعا قويا باسلا عن بلادهم ووطنهم وقد استطاعوا أن يصمدوا أمام هجوم الأعداء القوي وصدوا هجومهم ولما أقبل الليل دخل فرسان شهدون المعركة وقاموا بهجوم عنيف ، ويا لها من ليلة ليلاء

كأنها ليلة من ليالي السعير ، وتقدمت الجنود تقاتل الأعداء المنهكين حتى وصل شهدون والفرسان إلى خيام الملك زهمان الذي قد ولى هاربا من هول المفاجأة والهجوم الكاسح ، وما بزغت الشمس حتى كانت جيوش الملك جهازون تطارد فلول الجيش المنهزم في الوديان والجبال ، وطلب شهدون من جنود النهار الاستمرار في المطاردة قبل أن يلملم المنهزمون فلولهم ، وكانت أخبار النصر الكبير قد وصلت لقصر الملك والشعب فعمت الأفراح في البلاد .

فلما عادت الجنود والعساكر للمدينة وهي مظفرة ومكللة بأكاليل النصر والسرور أمر السلطان بإقامة الأفراح والولائم لمدة سبعة أيام من خزائن الملك ، وارتفع صيت شهدون بعد هذه المعارك ، وزادت شهرته ، وأثنى عليه الجميع أشد الثناء ، وأقروا له بالفروسية وحسن القيادة والتدبير، وأيضا كثر الحساد له ، وقام الملك باستقباله وأهداه فرسا من أفراسه الخاصة ودرعا وسيفا وخوذة ورمحا ودبوسا ومدية ورغبه بالزواج من ابنة الوزير، فشكره شهدون وذكر مكارم الملك وقال : يا مولاي .. أنا أحب أن تزوج أحد أبنائك الكرام من بنات الملك برديس لتصفى النفوس .. كما اقترحت عليه ونصحته ، وأما أنا فما زلت صغيرا على الزواج .. بل إني أفكر بالرحيل والعودة لأبي حمدون ، فلي أكثر من ثلاث سنوات مفارقه ، ولم أسمع عنه خبرا .

ومكث شهدون في بلاد الفند حتى شهد اكتمال الصلح بين البلدين وزواج الأمراء بين المدينتين ، وودع الأصدقاء والأحباب ، وغادر البلاد عائدا إلى بلاده .

عصابة سلطان الزمان

مضت أيام وشهدون يقطع البراري والقفار على متن جواده الهدية من الملك جهازون ، وذات مساء قبل هبوط الظلام وبينما هو يسير في أحد الوديان إذ أحاط به عدد من الخيالة ، وصاح به أحدهم بصوت مرعب : انج بنفسك أيها الرجل المتدثر بثياب الفرسان .. وانزل عن حصانك، وهات مالك ولك حياتك.

أوقف شهدون جواده وتلفت حوله ثم قال بكل هدوء : من زعيمكم أيها الأبطال ؟

فتقدم رجل ضخم كأنه الفيل وهو يضحك برنة عالية ساخرة وقال : أنا الزعيم أيها الشاب الناعم المدلل !.. فهذه ثيابك تدل على أنك من أبناء اليسار والثراء .. ولقد سمعت ما قال شهوان .

فظل شهدون ينظر إلى الزعيم بقوة وقال : أنت رئيس هؤلاء الأوباش ـ والتفت لرجاله ـ هل هو حقا سيدكم ؟

فهمهم الرجال بصوت مرعب وعيون تقدح منها

الشرر حتى أن أحدهم قال : إن الزعيم يصبر عليك كثيرا .. حتى ثيابك يريدها الزعيم سلطان الزمان .

فقال شهدون : إذا فعلت ما تريدون هل تدعون لي حياتي ؟ واستل سيفه بسرعة البرق وتابع كلامه وهو يلوح بسيفه : فهذا السيف هدية من الملك جهازون ملك بلاد الفند ، وهو مرصع بالجواهر النادرة التي لا أظن أنكم رأيتم مثلها وهزه وصاح : انظروا إلى هذا السيف الملوكي ، وهذا الحصان أيضا هدية من الملك جهازون وهو من خيوله الخاصة فما وقع بين أيديكم مثله على ما أظن .. وهذا السرج الذي أجلس عليه من أفضل السروج وأثمنها وهو هدية من الملك برديس بن قان.

سال لعاب اللصوص مع بعض القلق من ذكر أسماء هؤلاء الملوك ، ثم تشجع الزعيم وصاح : أيها الغلام .. أتسخر منا ونحن عصبة ؟!

قال شهدون : أيها السادة .. هذه بضاعتي ـ وأخرج قلادة من عنقه ، ولوح بها أمام أعينهم ـ وتابع قائلا : وهذه القلادة هدية من الملك برديس أيضا .

فصاح أحدهم : إنك تثير لعابنا للفتك بك .. ماذا تريد بهذا العرض المغري ؟!

فقال شهدون : ماذا أريد ؟! .. حقا ماذا أريد ؟ .. هذه الأشياء تستحق مني أن أدافع عنها .. أليس كذلك يا سلطان الزمان ؟ .. وأنا لا أحب الغدر أيها السادة .. فاعلموا أنني شهدون بن حمدون أطلب منكم أن تدعوني أمر من هذا الوادي بدون قتال وإلا أفنيتكم جميعا أو أموت دونها. همس أحدهم في إذن الزعيم الأعور بكلام ، ثم قال الأعور لشهدون : يا هذا سمعنا عن شجاعتك وعن بسالتك .. ولك الأمان منا حتى تخرج من هذا الوادي .. على أن تعطينا من بعض ما معك ..

قال شهدون : الحمد لله على النعم .. وعلى الشجاعة يا سادة ! ما رأيكم بأن تدعو هذه القرصنة وتلحقوا بي وبخدمتي، وتتوبوا إلى الله ، وتدافعوا عن الخير، وتحاربوا الظلم كما رسمت لنفسي فالأشرار كثيرون في الدنيا.. وأنا أعلم أن الذي دفعكم لقطع السبيل هو الظلم والفقر والجوع وأنا مثلكم مظلوم .. هربت إلى الغابة وأنا ابن خمس سنوات ، وتركت الصدر الحنون صدر أمي ، وتكفلني رجل كريم فعلمني حب الخير والضعفاء والمساكين من بني البشر .. وتعلمت السيف وفنون القتال وخططه والكيد ومكره لأحارب الأشرار ، وأرفع الظلم عن كل مظلوم ألتقي به ، وبما أننا التقينا وأنتم مثلي مظلومون فاتبعوني ولنتحد على مقاومة الظلم وإنقاذ الضعفاء والمظلومين في أي مكان !

وتكلم شهدون عن الطغاة والطغيان والظلم

والفساد والفقر والخير والشر حتى أبكى العيون من حسن كلامه وتعابيره حتى أنه نزل عن الجواد ، وترك الحذر ، وأحاط به الرجال وهم يبكون ويصيحون ولسان حالهم يقول : لم نسمع بمثل هذا الكلام من أحد قبلك يا شهدون !



ولما هدأت العيون ودقات القلوب الباكية قال الزعيم الأعور : لقد سحرتنا يا شهدون يا أبا الضعفاء والمساكين .. نحن عبيد لك افعل بنا ما شئت .

فقال شهدون بتأثر بليغ : بل أنتم أحرار كما جئتم إلى هذه الدنيا ، وكلنا عبيد لرب العبيد والعباد نحن ضحايا الظلم والظالمين.. وأنتم بأفعالكم هذه تظلمون ، وفي كل مرة تعترضون قافلة لتنهبوها تفقدون بعضكم ، من نجا اليوم قد يقتل غدا ، وكل محروم يلجأ إليكم .. ولكن الدائرة تدور على الباغي ، ويموت الإنسان منكم ولا أحد يترحم عليه .. ويموت ولا أحد يهتم بدفنه ومواراته التراب .. أما الإنسان الذي يدافع عن الحق فهو ممدوح في الدنيا والآخرة .. فهو يموت من أجل غاية.. فلنغير من نفوسنا ونعاهد الرب العالي بالدفاع عن الحق والمظلومين .

وما بزغ النهار حتى كان شهدون زعيما لهؤلاء الأشرار ، وقد لانت قلوبهم القاسية ، وكلهم رغبة في تنفيذ أوامره ، وانطلق الزعيم وجماعة منهم واحضروا صناديق المال التي أحرزوها من خلال عملهم في سلب الناس ، وأحضروا بقية الرجال معهم فإذا هم ما يقارب الخمسين رجلا.. وفي أول مدينة اشترى لهم شهدون ثيابا جديدة وخيولا وسيوفا لمن لا يملك سيفا وفرسا ، حتى أن ملك تلك المدينة وصله خبرهم فأرسل إليهم واجتمع بشهدون وعرف منه قصته معهم ، فباركه وأثنى على قدرته وشجاعته وقال : لقد كان يزعجون رعيتي بين الفينة والأخرى فجزاك الله خيرا لقد خلصتنا من شرورهم .

ومنحهم المال والخناجر الجميلة على سبيل الذكرى ، ولما تجهزوا رحل بهم شهدون إلى مكان وأخذ في تدريبهم وتمرينهم على فنون الدفاع والهجوم ، وبعد زمن يسير كان بين يدي شهدون أربعون فارسا، كل عشرة منهم تحت إمرة عريف، وكان سلطان الزمان رئيسا عليهم وأمير القوم شهدون الفارس الحكيم ، كان شهدون يرغب في البحث عن أهله أمه وأخيه خلدون ، فظل يمشي بهم حتى وصل للغابة التي وجده فيها أبوه حمدون ، وعند شجرة عملاقة جلس شهدون يبكي حتى

عجب منه فرسانه ورجاله فقال له الزعيم : ما الأمر يا أميرنا ؟ .. إنك تبكي بكاء حارا ومؤلما !
استمر الشاب بالبكاء والقوم حائرون حتى رأوه تنهد أخيرا وقال : أيها الطيبون سأذكر لكم
قصتي .. منذ سنوات بعيدة فقدت أمي ، تركتها في المدينة ، وأتيت إلى هنا هاربا ؛ لأنجو من
القتل .. هكذا قالت لي أمي .. كنت صغيرا ذا خمس سنوات .. هربت أمام إلحاح أمي إلى هذه الغابة ، ثم التقطني الحكيم حمدون وهو عائد من سفرة من سفراته ، فنقلني إلى كهف الشروق في جبال الشرق ، ورباني وعلمني القراءة والكتابة وبعض العلم حتى مات سيد الكهف الحكيم شردي، فانقسم القوم إلى فريقين وخرج فريق من الكهف ، فقررت أنا بدوري ترك العلم لأتعلم ركوب الخيل والفروسية ، فأرشدني والدي حمدون بأن أذهب لبلاد الملك جهازون بكتاب منه ، فهو صديق له ، وقد تعلمت الطعن والضرب والرمي في ثلاث سنوات ومكثت بعد التدريب سنة ، ثم قررت البحث عن أمي ، فالتقيت بكم ، وجرى بيني وبينكم ما تعلمون فهذه حكايتي ، أريد أن ألقى أمي لأعرف الحكاية ، لماذا دفعتني إلى الهرب للغابة قبل حضور الرجال ؟! .. من هم هؤلاء الرجال الذين تخاف أمي منهم عليّ ؟!
فقال سلطان الزمان : إنها قصة محزنة يا سيدي الأمير! .. ستجد أمك التي كانت تخشى عليك القتل من هؤلاء الرجال ، ومن أجل ذلك حثتك على الهرب إلى الغابة .. ستجدها إن شاء الله
فقال شهدون : أرجو ذلك .. أيها الاخوة الطيبون
وبينما هم في هذه الأشجان سمعوا صراخا آتيا من أحد أطراف الغابة فقال أحد الرجال : هل سمعتم يا سادة ما سمعت ؟! صوت بل أصوات تصرخ .
أشار شهدون لرجلين أن ينظرا الأمر لعل أحد الناس يحتاج لمساعدتهم، فانطلق الرجلان وعادوا بعد حين وهما يقولان : هناك مجموعة من العبيد ، ومعهم عدد من النسوة يعذبونهن .
فقفز شهدون على جواده وقال للقوم : اتبعوني .
وانطلق سريعا إلى مكان الصراخ وحوله رجاله ؛ فإذا بعدد من العبيد وبينهم ثلاث فتيات مشدودات الوثاق ، وهن يصرخن من الضرب بالسياط ، وفوجئ العبيد بالفرسان تحيط بهم على صورة دائرة ، فقفز بعضهم على خيلهم ، فقال شهدون بصوت مرتفع : ما الحكاية ؟!
فصاحت امرأة منهن : أنقذنا منهم يا سيدي الفارس .. سأقول لك أنا الحكاية .
فصفعها الرجل الذي هو قريب منها، فصرخت ، وقال لها والنار تتطاير من عينيه : اخرسي أيتها الحمقاء .
فقفز شهدون عن جواده ، واقترب منه وصفعه

على وجهه صفعة قوية طرحته على الأرض ، فاستل الرجل خنجره وأخذ يزمزم ويدمدم وهو يقول بغضب عنيف : ويحك ألا تحترمنا وتخشانا ؟

وانقض على شهدون ؛ ولكنه قبل أن يصل إليه هجم عليه ثلاثة رجال فصرعوه وسحبوا منه الخنجر وأوثقوه بعمامته ورموه بين يدي شهدون ، وأمرهم الأمير بحل وثاق الفتيات وقال مخاطبا العصابة : من كبيركم ؟

فقال رجل منهم والشرر يتطاير من عينيه الحمرواتين وقال : أنا زعيم القوم أنصحكم بتركنا ولا تغتروا بكثرتكم ، فرجالي كثيرون وسوف يأتون بعد قليل ودعوا شأن هؤلاء النسوة ، ولا تأخذكم الحمية والشهامة فنحن أهلهن .

اقتربت الفتيات بعد أن فك الرجال قيودهن من شهدون وهن يقلن : لا تتركنا أيها الشاب إنه مجرم .. إنه سفاك إنه متعطش للدماء .

أمر شهدون رجاله أن يقدموا لهنّ الماء والطعام وهو يقول : ما الحكاية ؟!

فقال زعيم السودان : لا حكاية ولا شكاية .. انصرف أيها الفتى إنني أراك صغيرا على مقارعة الفرسان .. أنا العبد البطل الصنديد " دوان " فارس الفرسان ومذل الشجعان .

ضحك شهدون لافتخار العبد وقال له ساخرا : فارس الفرسان! وأشجع الشجعان! وتهين العذارى وتخطفهن يا دوان ..الفارس الحق ما يعرف البغي والعدوان.. تكلمي يا فتاة عن قصتكم مع فارس الفرسان العبد الصنديد دوان ؟

احتج دوان بشدة ، فأمر شهدون رجاله بربط كل العبيد بالحبال ، وهم يصيحون ويولولون .

فقال شهدون : لما نسمع الحكاية من البداية وإلى النهاية ننظر في أمركم أيها الكرام .. تكلمي أيتها الفتاة الصغيرة ، ولا تخش شيئا وأنتن الآن في حماية سلطان الزمان والفارس شهدون بن حمدون .

نظرت الفتاة التي تريد أن تتكلم للعبد دوان نظرة كلها خوف وقلق ثم قالت: يا سيدي الفارس أنا ابنة ملك بلاد السمر ، وأولاء أختاي ، فنحن ثلاث أميرات يا سيدي شهدون .. وهذا العبد من فرسان أبي ، وهو فارس شديد البأس ، وله أفضال كثيرة على أبي والبلدة ، وأبي الملك يحترمه ويكرمه هو وجميع فرسانه الزنج غاية الإكرام والاحترام إلى أن كان يوما رآني فيه فطمع بالزواج مني ، وأرسل لي بهدية ثمينة مع امرأة من فصيلته ، وحدثتني عن رغبته بالاقتران بي ، فاعتذرت لها بأدب ورفضت الهدية وتجاهلت الأمر، فما كان منه إلا أن كلم أبي بالأمر ، فاستغرب والدي طلبه ، واعتذر له هو الآخر بأدب واحترام ؛ ولكن دوان أصر وأغلظ القول لأبي ، فطرده أبي هو ورجاله من

البلد إلى أن كنت أنا وأختاي في نزهة قرب النهر ، فخطفنا رجاله وأتوا بنا إليه وكان في انتظارنا في هذه الغابة .. فهو يعذبنا ويهيننا لاحتقارنا إياه ، فهذه القصة يا سيدي الفارس شهدون .

فقال شهدون متعاطفا : طبن مقاما أيتهن الأميرات .. فأنتن الآن بأيدي أمينة بإذن الله ، ولابد أن أباكن يبحث عنكنّ ، كم تبعد مدينتكن عنا ؟

فقالت إحداهن : نصف نهار جهة الشرق .

فأمر شهدون بحمل الفتيات على خيولهم، وحمل دوان وأعوانه على خيولهم ، وتحركت القافلة مع المساء ، ومع نصف الليل كانوا يدخلون مدينة السمر التي كانت في قلق وغضب على اختفاء الأميرات الثلاث ، ولقد فرح السلطان فرحا كبيرا عندما اجتمع ببناته من جديد ، واحتضن شهدون ورجاله وهو يقول لهم : أنا مدين لكم أيها الفرسان ! فيحق لك أن تأخذ تاجي وملكي لقد أعدتم لي شرفي وكرامتي .. لقد غفلت عن مكر دوان .

وأنزلهم الملك في قصر الضيافة ، وأمر بحبس دوان ورجاله حتى الصباح لينظر في أمرهم ، وأمر بتشديد الحراسة عليهم .

ولما طلع النهار وارتفعت الشمس في السماء كان الملك همام يستقبل شهدون وسلطان الزمان في إيوان القصر ، وكرر شكره لهم ثانية ، ورحب بهم أجمل ترحيب ، وبينما هم يتحدثون أعلن الحاجب عن وصول الوزير الذي دخل ، فوجد الديوان عامرا بالفرسان والوجوه الغريبة ، فأصابته دهشة فاقترب من الملك وهو يتلفت في الوجوه ، وكان ينتظر أن يتكلم السلطان ، فقال السلطان معرفا بوزيره : هذا وزيرنا يا أمير شهدون .

وكان شهدون يحدق النظر بشخص الوزير، فقد رآه من قبل ، ونظر الوزير بدوره إلى الرجل الذي خاطبه الملك بشهدون فرآه أصغر القوم ، وسمعه يخاطبه قائلا : أيها الوزير ! .. لقد التقينا منذ سنوات في أحد الأودية .. وأذكر أن اسمك عيون يا هذا ؟!

دهش الوزير وأخذ يتذكر فقال : نعم ، اسمي عيون.. وكيف التقينا إني لا أتذكر؟! .. ذكرني أيها الأمير ؟

فقال شهدون وهو ينظر للملك المستغرب من معرفة الشاب الفارس شهدون لوزيره عيون : نعم ، إنك لا تذكر ، إنك كنت يومها هاربا من مطارديك .. وسألتك يومذاك عن بلاد الفند ، وذكرت لي أن لك قصة وقلت لي إذا التقينا ثانية ستروبها لي .. يا سبحان الله! ها نحن اجتمعنا ثانية .. واعلم أنني يومها التقيت بعد فرارك بمطارديك وكذبت بأنني لم اركَ.. ولقد كانت أول كذبة تكون مني يا سيدي الوزير من أجلك!

دق الوزير على رأسه وقال متذكرا ذلك اليوم وبدا مرحا : إيه والله !! .. إني بدأت ألمحك في صفحات المجهول .. ولكنك كنت صغيرا جدا يومها ، وقلت إنك من تلاميذ الحكيم شردي إني أتذكر تلك اللحظات الخاطفة .

فقال شهدون وهو يهز منكبيه باسما : نعم .. أيها الوزير حياك الله وبياك ..

رحب الوزير بشهدون وتعانقا عناق الأصدقاء بعد غياب طويل ، وسر الملك لتعارفهما ، وقص على مسامع الوزير والحاشية حكاية شهدون والأميرات المخطوفات ، وصنع الملك وليمة كبيرة لشهدون وفرسانه الأربعين ، وفي المساء استضاف الوزير شهدون ، وبعدما استقر بهما المكان قال الوزير وهو يضع بين يدي شهدون تفاحة كبيرة :أيها الفتى حدثني بحكايتك ، يومذاك رأيتك في حال واليوم في حال آخر!

قص شهدون على الوزير حكايته منذ التقيا في الوادي ، ثم وصوله لبلاد الملك جهازون والتدرب على الفروسية ، ومشاركته في الإصلاح بين الملك جهازون والملك برديس،ومحاربتهم للملك زهمان وانكسار جيشه، ثم التقاؤه بسلطان الزمان، ومن ثم التقاؤهم ببنات الملك همام في الغابة بين يدي العبد دوان ، وفي النهاية قال : هذه قصتي أيها الوزير عيون .. والآن أحب أن أسمع حكايتك التي وعدتني بسردها في يوم من الأيام .. وها قد قدر الله لنا اللقاء .. فهات ما عندك يا سيدي الوزير .

قال الوزير : أيها البطل الهمام .. قبل أن أصبح وزيرا للملك همام كنت قاضيا في هذه المدينة ، ذات يوم اشتكى رجل بأن أحد الأمراء غصبه ضياعه واحتال عليه ، وأخذها منه وطردوه من البلد ، فجاءني وروى لي حكايته مع ابن الملك الأكبر ، فاتصلت بالسلطان وذكرت له الشكوى والرجل المظلوم ، فغضب الملك على ولده ونفاه من البلد إلى مدينة تحت حكم ملك صديق له حاولت ثني الملك عن هذا النفي ؛ ولكنه أصر على النفي .. ومولانا الملك يكره الظلم والبغي والإثم ، فحقد عليّ هذا الفتى حقدا قاتلا ، وكان له أصدقاء فأخذوا بمضايقتي ومعاكستي ، فقررت ترك البلد سرا ؛ لأن الملك عجز عن حمايتي فهربت بالخفية ، ويومها رأيتك بالوادي ، وقد علم بعض رجال ابن الملك بخروجي سرا ، فعندما علموا بهربي قاموا يطاردونني ، وظللت أكثر من سنة أتنقل من مكان إلى آخر، ولما سوّى الملك الأمر بينه وبين ابنه أرسل يبحث عني ، فلما هدأت الأمور أيها الصديق عدت وجعلني الملك وزيره وعزلني عن القضاء ، هذه هي قصة هربي أيها الصديق العزيز ، وقد عادت المياه لمجاريها كما

يقولون ، وخف التوتر بيني وبين ابن الملك بموته ، فقد هلك في أحد أسفاره .. وقصة هؤلاء العبيد أنت تعرفها .

وأمضى شهدون وبعض رجاله الليلة في ضيافة الوزير ، ولما ظهر الصباح ساروا لديوان السلطان فرحب بهم الملك ترحيبا كبيرا ، وبعد ساعة من الزمان أطلع شهدون الملك وحاشيته برغبته ورجاله بالرحيل للبحث عن أمه التي فقدها منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، فأكرمه الملك ورجاله بالهدايا والسيوف وصحبهم لطرف المدينة ، ورجع لتخت الملك يحكم ويرسم وأما شهدون الحكيم وعصابته فواصلوا المسير إلى الغابة وقبل أن يدخلوها إذ بهم يفاجئون بدوان ومعه مائة من العبيد والأعوان ، وكان يعترضهم وهو يقهقه بصوت يتجاوب صداه في الفضاء ، وكان شهدون ورجاله في دهشة من هذه المفاجأة الحقيقية ، فقد تركوه في السجن ، فصاح شهدون وقد سيطر على نفسه وأعصابه : بهذه السرعة وجدت فرصة للهرب .

فاستمر في قهقهته وهو يصيح ساخرا : أنا في انتظارك من أول يوم أيها المنقذ .. أنا لم أقض في السجن إلا بضع ساعات.. أنت أيها الغر لم تعرف دوان أخذتنا على حين غرة .. وانشغل الملك بالترحيب بك والثناء على بطولتك..وأنا أعددت لك هؤلاء الرجال الأشداء ليثخنوك بالجراح ويرسلوا رأسك لذاك الملك الرعديد .

فقال شهدون : جميل هذا! .. أنت الآن مستعد للنزال ؟ .. فلنتبارز ومن قتل صاحبه فالرجال الآخرون في حل .

أخذ دوان يضحك ويزمجر ويقول بثقة كبيرة : ستموت أنت وهؤلاء الأنذال اللئام .

وأشار لرجاله بالهجوم ، وكان رجال شهدون على أهبة الاستعداد فتصدوا لهجومهم ، وبدأت المعركة ويا لها من معركة ! .. وصبر رجال شهدون ساعة من الزمان ، فأخذ رجال دوان يتململون أمام ضربات شهدون وفرسانه ، وكان دوان يشجعهم ويمنيهم بالغنائم والذهب بفوزهم؛ ولكنهم بدأوا يتساقطون واحدا تلو الآخر، واقترب شهدون من دوان وكان بينهما عراك شديد تكسرت فيه الرماح ، وفجأة رأى دوان يده تطير من ضربة سيف حاسمة وسقط عن جواده ، فتركه شهدون يولول ويصيح وهجم على رجاله الذين أخذ أكثرهم بالتقهقر والنجاة بالروح ، ثم خلا الميدان منهم بعد اختفاء صوت دوان ، فبحث شهدون عن دوان فلم يجده فقال : لقد قطعت يمينه ، ولم أكمل عليه وها هو قد هرب

تمت الحلقة الثانية

حكايات الحي أبو خروف

الحكاية الثانية امونة الخياطة ١٩٧١

الحلقة الأولى

أمّونة

أمّونة عانس فوق الأربعين لم يتيسر لها الالتقاء بابن الحلال ، وقد يكون والدها أبعد عنها ابن الحلال ، وحجبه للاستفادة من المال الذي تحصده من عملها كخياطة نسائية في دكان في وسط المدينة العاصمة الرسمية للدولة ، وحيث تيسر لها إتقان هذه المهنة وتعلم فنونها وتجارتها ، وحصلت على شهرة واسعة في شارع تكدس فيه أهل التطريز والخياطة ، وصناعة الألبسة الجاهزة والتفصيل ، وسمي الشارع أو السوق شارع سوق الخياطين لأن الغالب عليه وفي عماراته أهل هذه المهنة ، وأدواتها من خيوط ومقصات ومكائن وقماش وأصباغ وكوي .

عاشت في بيت والدها رشيد الذي تزوج بعد ترمله عن أمها وأم شقيقها الوحيد حسونة ، لما ماتت أمها كانت في المرحلة الأولى من التعليم الأساسي ، وكان حسونة يصغرها بسنوات .

وهي من أهالي أبو خروف ـ في مطلع حياتها أو قل قبل زواجها ـ الحي الزاخر بالحكايات كغيره من الأحياء .. فكل إنسان له حكاية وحكايات .. فبعد موت زوجته صبر رشيد أو تريث بضع سنين ، ثم نكح امرأة أخرى كباقي البشر ، فلما أنهت أمونة السادس الابتدائي أرسلها إلى إحدى النساء الخياطات العاملات في المنازل ، ويحترفن الخياطة للنساء ، ولا يخلو أبو خروف منهن ، فكانت الخياطة المنزلية في ذلك الزمان تجد لها من الزبائن من تجد ، وتجد الماهرات وصاحبات الخبرات اللواتي يشار لهن بالبنان ، تعلمت أمونة المهنة وأتقنتها أحسن إتقان ، ورأت حياتها فيها ، فأخذت تبدع وتتقن وتضيف ، وانتقلت للعمل في مشغل في وسط العاصمة ومركز النشاط التجاري والمهني .. وذلك في شارع سوق الخياطين ، وتعرفت على أنواع الأقمشة ودلالتها وجيدها ورديئها .. ولما بلغت العشرين تيسرت لها الفرصة لشراء المخيطة من صاحبتها المرأة العجوز بعدما قررت إحالة نفسها على التقاعد لكبر سنها ولأمراض دهمتها .. ولم يطلب أحد يدها للزواج مع بلوغها تلك السن .. فأحبت مهنتها وغرقت فيها وشغفت بها .. وأصبحت حياتها وقرة عينها .. ورضيت بنصيبها من عدم الزواج ، لم يطلبها أحد من أبناء عمومتها ، ولا من أبناء أخوالها وخالتها ، ولا حتى أبناء الجيران رغم تملكها للمال الكثير الذي يكون سبب نكاح النساء ـ كما جاء في الحديث النبوي ـ نعم ، أمونة لم تكن فتاة رشيقة جميلة ، كانت بدينة قصيرة إلى حد ما ، وكانت

دميمة ، ولم تكن بيضاء البشرة إنما تميل إلى السمار لم تكن من الناحية البدنية مغرية للرجال من جيلها وهي فتاة صغيرة ، ولم تكن بالغنى كما هي اليوم ، عندما بلغت فوق الأربعين ؛ لذلك فاتها القطار ، وكانت ربما تأمل أن يخطبها أرمل مطلق ضرة ثانية ثالثة رابعة .. ومع الوقت ضعفت رغبتها بالزواج .. ومع غناها منذ سنوات ظلت بدون زواج حتى أنها لم تعد تفكر إلا بشغلها والبيع والشراء .. وقد تمكنت من بناء شقة فوق بيت الوالد رشيد .. وساهمت في بناء شقة بجوارها لشقيقها الوحيد من أمها السيد حسونة ..وكانت تدعم والدها بالمال شهريا وفي المناسبات ، وكانت تساهم في أثاث بيت والدها وزوجته ، وكذلك أخوها وأخواتها من أبيها .. وقد حاول الأب في بعض الأحيان السيطرة على كل ثروتها .. فرفضت ذلك بشدة .. وأعلمته عند كل محاولة قدرتها على حفظ مالها وتنميته ، وأنها تدير مصلحة تحتاج للمال في كل وقت ، كرواتب للعاملات معها .. شراء مواد خام والأدوات وصيانة الماكينات ودفع ضريبة للدولة .. فيصمت .. فهي تخيط الثياب للمؤسسات والمستشفيات والمدارس التي تعتمد الزي الموحد لطلبتها والأطباء والمصانع وفازت ببعض عطاءات ومناقصات الدوائر العسكرية والشرطة .. والرايات والأعلام عند الاحتفالات

واستقبال الزعماء على مستوى الدولة والبلديات .. فلها علاقات تجارية بعدد من الوزارات .. فقنع الأب بما تهديه وتهبه من راتب وفي المناسبات كرمضان والأعياد .. وساعدت في زواج حسونة .. وبناء شقتها وشقته .. وأخوتها من أبيها لم تقصر معهم ماليا وملابس وهدايا وساعدت في تعليمهم وزواجهم .. كانت باختصار سندا للعائلة .. والكل يقدر لها هذه الوقفات والنفقات .. وتمنت كثيرا أن تعيش الحياة العائلية الزوج والأولاد .



كان والد أمونة قد ولدت له زوجه الثانية ثلاث بنات وولدين ، مات أحدهم صغيرا بحادث والثاني تعلم مهنة فنية ـ كهرباء منزلية ـ ويعمل في قسم الصيانة في إحدى الجامعات وما زال ولما تزوج سكن خارج أبو خروف في بيت قريب من عمله ؛ لتوفير أجرة المواصلات ، وتزوجت الفتيات الثلاث ، وكان الطابق الأول من بناية رشيد يتكون من شقتين متوسطين ظل يعيش في واحدة منهن ، وأجّر الأخرى .. وبنت أمونة لها ولشقيقها شقتين فوقهما سجلت واحدة باسم حسونة الأصغر سنا منها ، وسجلت الثانية باسمها ، والأرض بقيت باسم الأب وتقع البناية

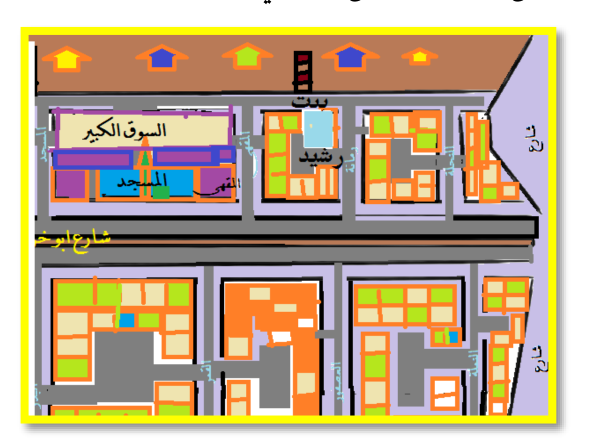
بين شارع رمانة وشارع المقهى ، ويطل مدخلها على شارع جبل أبو خروف .

ولما خلت الدار من البنات والابن رغب رشيد بإنزال أمونة للعيش في شقته مكان شحام ، وتأجير شقتها .. فرفضت أمونة ذلك خشية عودة المشاجرات القديمة بينها وبين امرأة أبيها قبل بنائها لشقتها ، وجاء الرفض الشديد من زوجته أم شحام ، رفضت عودة البنت للسكن معها في نفس الشقة ، ويتحدث الناس أنها تنفق على زوجة أبيها ، فسكت الرجل .

كانت فتاة قصتنا تساعد الأسرة على قدر الإمكان ، وعلى حسب رغبتها ، وأغلقت موضوع الزواج والولادة والحياة الأسرية ، واستسلمت لنصيبها وقدرها .. ولم تخلُ الحياة من منازعات بينها وبين أخيها وأبيها وزوجة أبيها ؛ فكان مالها يخمد الألسنة ، ويعود الهدوء للبيت ، وفي سنة ١٩٧١ م حدث تطور كبير في حياتها ، فقد وجدت من يقبل بها زوجة .. وبعد تردد بسيط منها قبلته لما شجعها ، فلما أخبرت والدها بقرارها صعق وعظم الأمر عليه ..هل اعترضت زوجة الأب ؟ هل اعترض الأخوان والأخوات سالمة وريا وكوثر ؟ كلهم متزوجون .. لماذا يرفض رشيد زواجها ؟!

الأرمل

كان ذلك الانفجار في بداية الصيف ، اعتادت الآنسة أمونة أن تباشر عملها عند الساعة العاشرة من صباح كل يوم ما عدا الجمعة ـ فهو عطلة رسمية لكل البلاد ـ فتجد العاملات معها قد فتحن المشغل ، وجلسن عند ماكيناتهن وباشرن الخياطة .. فتحيهنّ ، ثم تدخل لمكتبها الصغير داخل المشغل حيث يكون في نهاية المشغل والمخيطة .. ولما تتحصل على عطاء كبير تتعاقد مع مشاغل ومخيطات في نفس الشارع لإنجاز العمل ، وتظل في العمل حتى العشاء أو قبله بقليل فتغلق المحل هي ومساعدتها وتنصرفان ، أما العاملات فيغادرن صيفا عند الخامسة عصرا ، وفي فصل الشتاء عند الساعة الرابعة عصرا ، إلا إذا تطلب العمل السهر والشغل الإضافي .



كانت تبقى مع مساعدتها أحلام صادق لليل حيث يشرفن على تنظيف المحل وإغلاقه ، وكان يخدم الشارع عامل نظافة تابع للبلدية ، وكان العامل يساعدهم في التنظيف والتحميل والتنزيل والإغلاق مقابل مساعدة بسيطة توضع في يده ..

واسم هذا العامل سميح عبد السميع، وكان يأخذ أكياس النفايات ليضعها في مكان تجميع النفايات في الشارع حتى تأتي سيارة البلدية ، وتنقلها إلى مكب النفايات ليجري حرقها والانتهاء منها .

وهذا الرجل يعمل في الشارع شارع الخياطين منذ ما يزيد عن عشر سنوات.. فهو يعرف كل المشاغل والمحلات .. وكلٌ يتعامل معه حسب حاجته.. ولكن علاقته بمشغل أمونة قوية وقديمة ، فهو يساعد في إدخال القماش الخام لفات القماش ، وفي نقل الثياب المخاطة ووضعها في السيارات البيك آب ون إيت وغيرها .. فعلاقته طيبة مع المشغل ، ورجله معروفة في المحل ولدى الفتيات العاملات ؛ فكان ينظر إليه كوالد وأخ كبير ، ولم تكن أمونة خلال هذه السنوات تقصر معه ، وتشفق عليه .. والرجل طيب ومتعاون ، وله بيت ملك ، وهو كهل ، ومتزوج ، وابنة وحيدة ـ كما أخبر أمونة ـ ومتعلمة في الجامعة ، وتخرجت من كلية الإعلام ، وعملت فترة في إذاعة محلية ، ثم انتقلت للعمل في صحيفة يومية ، وتزوجت قبل أحداث هذه القصة بزمن يسير .. قامت أمونة وأحلام بحضور حفل الزفاف والمشاركة فيه ، وقدمن هدية للسيد سميح وابنته.

هذا الرجل النحيف البنية ترمل منذ شهرين .. ماتت زوجه من مرض عضال ألم بها ، وفي أقل من سنة قد غادرت الدنيا إلى رحمة الله الواسعة لعباده المسلمين .. وقامت عاملات المشغل تتقدمهنّ مديرتهن بتعزيته ومواساته ، ومساعدته ماديا رغم أنه ليس بحاجة لمال ؛ ولكنهنّ تعودن على فعل ذلك والشفقة عليه ، وعلى غيره من البسطاء والعتالين العاملين في المنطقة والشارع ، وهو قد تعود على أخذ ما يقدم له .. لا يستطيع رفض عطاياهنّ ، بل جمع له الشارع مساعدة كبيرة عند موت زوجه .

الحزن لا يدوم ويضعف أو يزول ، اختفى حزن سميح على وفاة زوجه ، ووجد نفسه وحيدا في بيته ، فهمس الرجل في أذن أمونة عن رغبته بالزواج .. وبين لها أن الرجل لا يحتمل أن يعيش بدون زوجة تحضر له طعامه ، وتغسل له ثيابه .. فدهشت أمونة في البداية فالرجل أرمل من شهرين فقط ؛ ولكنها بعد تفكير أدركت أن الرجل لا يستطيع الحياة بدون أنثى في بيته ؛ للتخفيف من آلامه وشقائه طول النهار وجزءا من الليل في الشوارع .. فقالت : أعينك على واحدة من عاملات المشغل ؟!

ـ أريد امرأة بسيطة .. نستر على بعض .. تقبل بالحياة معي .. ونكمل مشوار الحياة معا .. فالبيت عندما يخلو من امرأة يصبح جحيما

ـ أنت تعلم يا عم سميح أن أغلب فتيات المشغل متزوجات ما عدا نوال وسعيدة

ـ وأنتِ !

صدمت للوهلة الأولى وتمت : وأنتِ ! نعم ، وأنا .. أتقبل بي يا عم سميح .. أنا العجوز زوجة لك ؟!

ـ عز الطلب .. أنت المهم أن تقبلي بي .. أنا لا أسعى للخلفة رضيت بنصيبي .. وأنا سأسعى لإرضائك قدر الطاقة .. وأنت لا زلت شابة .. أنا العجوز .

وقالت وما زالت دهشة حيرى : أمرك عجيب يا عم سميح أنا من جيلك ! كم عمرك ؟

ـ إحدى وخمسون سنة

ـ بيننا ثمان سنوات ..وأنا نسيت أمر الزواج والرجال في حياتي . وتنهدت حزنا

قال مشجعا :أنا أراك مناسبة لي يا أخت أمونة .. والزواج ليس عيبا .. وليس له سن.. وأنا ابنتي متزوجة ، كما تعلمين ، وهي تعمل في جريدة .. وأنا أريد الستر ؛ فإذا خلفت فبها ونعمت ، وإن لم يحصل نكمل المشوار سوية .. وقريبا سأنهي خدمتي في البلدية .. وسيكون لي راتب تقاعد يستر علينا في الدنيا حتى مماتنا .. وربنا يستر علينا في الدنيا والآخرة .

لقد نسيت فعلا فكرة الارتباط برجل بعد الأربعين ؛ لذلك لما كان أحد يمازحها في أمر الزواج تأخذ الأمر على سبيل المزاح والمداعبة ، فلما سمعته يقول : فكري يا أختي بجد .

نظرت إليه بعمق ، وتنهدت من جديد ؛ كأنها غير مصدقة أن أحدا يتطلع إليها كزوجة وقالت: أأصلح للزواج بعد كل هذه السنين؟!.. ثم قالت لتتخلص من الأفكار : تعودت على العمل يا سميح لا أستطيع البقاء في الدار .. العمل حياتي

ـ أعرف ، لن يكون العمل عائقا لحياتنا الزوجية .. سنعيش سعداء .. وأنا سيكون تقاعدي قريبا ..فقد قضيت مدة الاشتراك ، وحياتنا الليل .. والنهار لعملك كما أنت حتى أنت تتركينه من رغبتك

ـ أأنجح في الحياة الزوجية بعد هذا العمر يا عم سميح ؟! على كل حال دعني أفكر في هذه الخطوة عدة أيام يا عم سميح

قال متوسلا : أرجوك عجلي بالرد ..مللت الوحدة والعزوبية .. صدقي أنني لم أفكر بك كزوجة أو مراهق أيام امرأتي .. رغم أنها مرضت سنة .. وإنما حدث هذا بعد موتها بفترة .. أخذت تراودني فكرة الزواج .. فوقعت في نفسي .. ولا أريد التغرير بك ؛ ولكني أراك امرأة ناضجة محترمة شريفة عفيفة عشرة عمر كما يقال .. وأنا ابن الشارع هذا مثلك .. وصدقي أني فكرت مطولا قبل أن أتحدث معك في موضوع كهذا .. فكري كما تشائين .. وليكن الرد سريعا .. فالبيت

موحش بدون امرأة فيه .

ـ عجيب أمر الرجال!.. فأنا أذكر عندما ترمل أبي عصبيته عليّ .. ولكنه قضى ثلاث أو أربع سنوات قبل أن يتزوج

ـ ولكنه تزوج

اضطربت الأفكار عند أمونة ، لم تكن تحلم بعد هذه السن من العنوسة واليأس أن يفكر رجل بالزواج منها ولو زوجة ثانية ثالثة رابعة .. لقد أصابها الإحباط من هذه الناحية فبعد ثلاث وأربعين سنة تتزوج .. فلقد فاتها القطار كما يقال .. وثانيا دمامتها أبعدت عنها الرجال لم تكن جميلة ، فالجمال مرغوب لدى الذكور ويقدم على المال والأخلاق والحسب عند الكثير من الخلق فهذا أول رجل يكلمها بهذا الأمر مباشرة وبشجاعة ، وهي همست لنفسها لقد ذكرني أني أنثى وما زلت أنثى ومرغوبة لأحدهم .. هل أصلح للزواج بعد هذه السن ؟! وهل يصلح لي هذا الرجل زوجا ؟! ألم يتزوج من قبل وينجب فتاة ؟ هل يقبله أهلي زوجا لي ؟ وهل عامل النظافة لا يتزوج ؟! لقد تزوج سابقا ، وإذا لم أتزوجه سيتزوج غيري .. أيمكن أن ألد بعد هذا العمر وأصير أما ووالدة ؟! ما أروع هذا وأجمله لو تحقق !.. المهم أن أصبح زوجة .. ويصبح لي زوج أحبه ويحبني .. هل يقبل أبي هذا الزواج ؟ لقد سلموا أنني سأقضي حياتي دون زواج ودون أولاد .. فاتحت مساعدتها في عرض الزواج .. فقالت دهشة: سميح هذا حدثك بذلك؟!

ـ هذا ما صارحني به أمس عندما خلا بي في هذا المكتب .. وأنا نسيت قصة الزواج .. هل تصلح المرأة بعد هذا العمر للزواج والحياة الزوجية؟!

ـ العمر ليس عائقا يا أختي الفاضلة .. العائق للمرأة الكبيرة هو رغبة الزوج بالأولاد .. والرجل الطيب سميح لا أعتقد أنه يفكر بالزواج من أجل الأولاد .. فهو كما نعلم ليس له إلا بنت واحدة .. ولو كان راغبا بالذرية لتزوج ثانية أو طلقها إلا إذا كان العقم من جهته

ـ لا أعتقد أن يكون العائق منه ، فقد فهمت من كلامه الصريح معي أنه يأمل أن ألد له ؛ ولكن لا يعتبر ذلك من شروط صحة الحياة الزوجية .. تكلم أمامي كلاما لا أستطيع إعادته

ـ وأهلك ..أبوك كما علمت منك أنه يعتمد على مساعدتك الدائمة له

ـ حسب معرفتي به سيعترض في البداية ، ولما أؤكد له أن مساعدتي لن تنقطع سيلين .. ويبارك الزواج .. أما شقيقي حسونة فلا نرى بعضنا إلا في المناسبات أو عند مرض كلينا أو مرض الوالد .. وأنا خائفة يا أحلام من هذه المغامرة .

ـ ولماذا الخوف ؟! فالرجل طيب وسلس ..

ومعروف لنا منذ جاء ليعمل في هذا الشارع .. ويتحمل كل أخلاق أهل هذا الشارع الطويل .. ونحن نراه يوميا أكثر من الآباء والأمهات .. فهو من السادسة صباحا حتى العاشرة ليلا فهو جزء منا.. ولولا هذه الألفة بيننا ما تجرأ من طلب يدك منك أنت .. وإذا كنت لا تطمعين بعد هذه السن بذرية فستعيشين معه على خير ما يرام وبسعادة .. وبرنامج عملك لا أعتقد أنه سيتغير كثيرا حتى لو تقاعد كما حدثتيني.. فتوكلي على رب العباد .. وخذي فرصتك مع الرجل ..وهذه فرصة نادرة

كانت كلمات ناصحة مشجعة خرجت من قلب أحلام ، فردت أمونة : أشكرك ، عقبال عندك ـ إن شاء الله ـ أنت شجاعة وصادقة وقويت عزيمتي لخوض هذه المغامرة المفاجئة لي .. الليلة بإذن الله سأفاتح أبي بالموضوع أم أبدي موافقتي لسميح أولا ؟!

ـ سميح شاري .. فانظري رأي أبيك وإخوتك

ـ وإذا رفضا !

ـ يبدو أن عندك احتمال رفضهم .. نحن كبيرات في السن .. المال السلاح الجميل .. اخبريه بأنك سترفعين دخله .. وإغراء المال جيد

ـ لابد أن أكون شجاعة .. وأنا إذا صار النصيب وتزوجت سأبقى بشقتي التي تعلمين كم دفعت لتصير ؟ وهي واسعة ولم ينقصها إلا الزوج .. وها هو على الأبواب .. فقد أبعدتني عن زوجة أبي وبناتها .. فرغم مساعدتي لها ولبناتها كانت قاسية معي وتعاملني كجارية .. اعملي سوّي.. وأخشى اعتراضها على زواجي ..وتقوية أبي على الرفض .. ستكون عدوة لي ، لا تعترف بخيري عليهم

ـ الغيرة والحسد .. ولا تهتمي يا أمونة الله معك .. وحقك الشرعي أن تتزوجي كسائر نساء العالم .. المهم أن يقبل الأب لأنه الولي .. الفصل بيد الوالد .. وليس حسونة وأم شحام

ـ أرجو أن تسلك الأمور .. قلبي ينتفض من ذلك

ـ أتخشين الزواج ؟ .. هذه سنة الله في خلقه .. اليوم الزواج تعقد ومشاكله تزيد .. لي أخ منذ تزوج وهو يعيش حياة شقاء ونكد منها



الانفجار

حسمت أمونة رأيها بعد تحاورها مع مساعدتها أحلام صادق ، وقبلت بمشروع الزواج من سميح عامل النظافة الزبال ـ كما تصفه العامة ـ فتركت العمل قبل صلاة المغرب ، وقبل صعودها لشقتها طرقت شقة والدها رشيد ، فقالت لها امرأة أبيها

بدهشة : أمونة ما الأمر ؟! عدت مبكرة .. خيرا ؟!
- أين أبي يا أم شحام ؟
- أبوك يا حبيبتي حيث يكون كل يوم .. يلعب الشدة ـ ورق اللعب ـ في مقهى عزب .. يبدو أن أمرا ما يحدث !
- لقد نسيت أن أبي لا يعود إلا بعد صلاة العشاء .. حسنا ألديك رقم المقهى لأتصل به ؟
قالت بحدة ظاهرة : الأفضل أن تذهبي للمقهى إذا كان الأمر مهما ، لا أعرف رقم المقهى .
- جيد مع السلامة يا أم شحام
كل هذا الحوار حدث على باب الشقة ، فقبل أن تستدير أمونة صاعدة لشقتها في الأعلى ، سمعت زوج أبيها تقول: لم تقولي ماذا تريدين منه ؟!
- كنت سأعطيه بعض المال ، والحديث معه في شأن مهم
- وما هو الشأن المهم يا بنت جميلة ؟
- لما اخبره به ، فسيخبرك به .. السلام عليكم
- طيب هات المال ..أنا أعطيه إياه .
- أنت !..لقد فعلتها من قبل كذا مرة ؛ ولكنه أنكر وصولها إليه
صاحت أم شحام فيها قائلة: آه ! متى أخلص منك يا نكسة! يا أم لسان .. أبوك كذاب يزعم ذلك ليأخذ منك من جديد .
- كذاب صادق لا يهمني هذا يا سيدتي

صعدت لشقتها تلاحقها لعنات أم شحام ونظاراتها الماحقة بغضا ، فعلاقتهن سيئة ، ولم تكن ولابد ، فمنذ زواج أبيها بهذه المرأة أخذت أمونة تعتمد على نفسها ماديا ، لم تكن المشاجرات كبيرة بينهن لبقاء أمونة في عملها طوال النهار ، فكان الاحتكاك بينهن ضعيفا .. ويوم الجمعة يوم العطلة تطهو أمونة لنفسها تأكل وحدها ، وتعتذر عن دعوات حسونة الذي نسيها ويدعوها على استحياء ، وكذلك لأبيها الذي كان يجاملها بعض الأحيان ، فتعتذر بل كانت تلبي دعوات خالها وأخوالها وخالاتها بعد تردد ، وهم أيضاً يجاملونها ويحضرون عندها للغداء أو العشاء .. وكان ذلك يغيظ أم شحام ورشيد وحسونة ؛ ولكنهم يلزمون الصمت ، فهم مقصرون ، ويأخذون ما تجود به عليهم من مساعدة وملابس .. وهي تفعل ذلك سرا دون دعاية .. تعطي الجميع وتحسن إلى الجميع كان شحام قبل زواجه وخروجه من بيت العائلة يسيء إليها ولا يحترمها .. فكانت تحزن ـ وهي الأخت الكبيرة ـ وربما تبكي وتصمت .. فهي تعلم أن الشاب مشحون من أمه عليها .
وكانت تجهز طعام العشاء من المعلبات ـ معلبات الأطعمة التي بدأت تنتشر وتشيع في البلد ـ وبينما هي تتوضأ فطرق الباب فأنهت وضوؤها ، ووقع في نفسها أن امرأة أبيها اتصلت بأبيها على المقهى

وجاء .. الفلوس لها سحر لدى الناس ، وكان الطارق رشيد فدخل وهو يخبر أن سليمة اتصلت به في المقهى تخبره بعودة أمونة ، وأنها تريده .. فرحبت بأبيها الذي ظن أن داهية حلت بالبنت .. فجلس في حجرة الاستقبال ، وضعت كوب ليمون أمامه ، وأنهت طهو الطعام ثم جلست .. فقال : ما الخطب؟ قذف مجيئك المبكر في قلبي الوهن والخوف .. وهذا المجيء قبل العشاء أمر نادر !

ابتسمت رغم الاضطراب في قلبها وقالت ببطء: وهذا من النادر .. اتصلت بخالي بكر أبي محمد

نظر في وجهها وقال: نعم ، ماذا هناك ؟!

– اشرب العصير عندما يحضر أبو محمد نتكلم

– وكيف أصبر؟!

– إنه في الطريق ... وها هو يطرق الباب أسرعت نحو الباب ؛ لتستقبل خالها الكبير .

وسلم عليها مصافحا ومقبلا والتفت إلى رشيد وقال: آ ، أبو حسونة كيف حالك؟

نهض الرجل متثاقلا وصافح نسيبه القديم وقال: أهلا أبا محمد

تحدث الرجلان بضع دقائق وهم يجلسان ، وعادت أمونة بالقهوة لهما ، وشكرت خالها على مجيئه وتلبيته الدعوة ، وسألته عن حاله وصحته وصحة زوجته ، وذلك كله ضايق رشيد ، وتحمله على مضض ، فهم منذ موت جميلة أم حسونة وعلاقتهم الاجتماعية باردة ما عدا أمونة ، فهي تصلهم ويصلونها ، ولما رشف خالها القهوة ، قالت دون تمهيد : لقد طلبني رجل للزواج .. وأنا قبلته وأرغب أن أعيش كزوجة وأسرة وبيت

حدق والدها في عينيها وردد بعد صمت وسكون: تتزوجين؟!

– نعم يا أبي ! أليس هذا حقا لي ؟! ألست أنثى كغيري من النساء ؟! .. عندما يتقدم رجل لطلب يدي هل أرفضه ؟!

قال خالها بكر: نعم ، لك الحق أن تكوني زوجة وأما .

[][][]

ساد الصمت القاتل الحجرة ، وكانت عينا الأب تقدح غيظا ؛ فينظر تارة في وجه ابنته ، وتارة في عيني بكر ، ولما لم يتكلم أحد بعد صمت بكر ، فقال رشيد: تتزوجين بعد هذا العمر ..من الأحمق والأعمى الذي سيتزوجك؟!

قالت بدهشة يصحبها غضب خفيف وضيق : أحمق أعمى! ـ رفعت صوتها ـ أعرف أنك عرقلت زواجي أكثر من مرة .. كانت أخوات من خطبوني يذكرن ذلك لي .. ويتسألن لماذا يرفض أبوك زواجك ؟! .. يظنك طفلة بعد .. وكنت أعرف هذا بعد فوات الأوان .. اسمع إذا لم توافق

على زواجي هذا ، بعد كل هذه السنين سأتزوج عن طريق القاضي .. وسأمنع نفسي من الدفع إليك أي فلس .. الرجل يريدني .

وقصت القصة أمامها ، قصة عامل النظافة سميح عبد السميع ، فصاح أبوها محتجا :

زبال تتزوجين زبالا جننت يا بنت ؟!

فقال بكر المدرس المتقاعد : وماذا يعني زبالا ؟! أليس رجلا مثلنا ؟ لولا الزبال لقتلتنا الأمراض أنت ترى لما تتأخر سيارة البلدية في نقل القمامة لعدة أيام ماذا يحل في المكان من الروائح والحشرات والحيوانات ؟ ما دام الرجل شريفا وسيتقاعد قريبا ولن يعود زبالا فلتتزوج .. وله ابنة تعمل في الصحافة وما أدراك ما الصحافة يا رشيد!! وكأني اذكر أني قد قرأت لها بعض المقالات والتحقيقات .. والبنت ليست صغيرة .. وهي فرصة نادرة لا تعوض يا رشيد .. والبنت مقتنعة به .. فمن رأيي أن يتم هذا الزواج .. ولا تحرم البنت من فرصتها هذه .. وهي ستستمر بمساعدتك ومعاونتك في مصاريف البيت مع أن هذا من واجب أبنائك .. ولن يتغير عليك شيء .

قالت : وربما أزيده أيضا ؛ لأني سأبقى في الشقة .. وسنؤجر شقته .. أرمل طالب الستر من امرأة دميمة وغير جميلة ..ولا يطمع منها إلا بالحياة الزوجية الهادئة .

فقال رشيد بحدة: طامع بمالك

فردت بسخط : هو يعمل ، ليس جليس البيت ، وليس ينتظر ابنته ؛ لتصرف عليه .. سيتقاضى تقاعدا من مؤسسة التقاعد حتى يموت هو وزوجته .

تظاهر بأنه لم يكترث لتعييرها فقال : إنه زبال كناس شوارع

– وماذا يعني لديك زبالا يا أبي؟! .. وأنا قابلة به .. وهو رجل أعرفه منذ انتقل للعمل في شارع الخياطين .. ترمل منذ شهرين فقط.. وكنا نستغله ونستعمله لإدخال الأقمشة للمحل ونقلها للسيارات وتنظيف المحل .. فلما فكر بالزواج بعد ترمله رغب بي .. ويراني زوجة تصلح له ليست قضية شفقة .. فلدينا عوانس في المحل والمشاغل الأخرى .. إنه يريدني أنا ليس طمعا بمالي .. وهل تراني سأتزوج دكتورا ؟ أو ملكا ؟ .. ما هو أنا مجرد خياطة يا أبا حسونة .. تعلمت للصف السادس .. لقد عرضت عليه أخريات ؛ لكنه يريدني أنا يا خالي

فقال الخال: رجل شاريك يا أبا حسونة .. لا تنظر ماذا يعمل الرجل؟

انظر إلى أخلاقه .. المهن والوظائف ليست شرطا لصحة الزواج والقبول .. والبنت بعد هذا الانتظار من حقها أن تكون زوجة وأما إذا شاء

الله

ذرفت عيون أمونة أمام كلام خالها وحنانه اتجاهها ، وقالت وهي تستنشق الدموع : كنت أظن أن أبي سيفرح وينهض معانقا ومباركا .. أنا منذ عملت منذ زمن بعيد وأنا أعيش وحيدة يا خالي.. أنام وحدي ، وأكل وحدي دائما ، أفطر وحدي ، عمرهم ما دعوني بجد .. تفضلي الغداء معنا .. وإن قالت ألسنتهم ذلك ترى عيونهم تقول لا تفعليها .. اكظم حزني ودموعي وحدي أنتم تدعونني للغداء معكم دونهم .. لا يحسون بي .. حسونة أو زوجته الذي بابه ببابي لم يدعوني بجد اليوم تغدي معنا يا أمونة حتى ولو مجاملة .. أحيانا أم فؤاد المستأجرة عند أبي تفعل ذلك وتحس بي وتشفق عليّ .. وإذا تأخرت في دفع مصروفه يسهر تلك الليلة حتى يسمع صوت دخولي من بوابة العمارة .. فيقول: أريد أن اشتري كذا يا أمونة .. وعشرات المرات اشترى الجهاز ليأخذ المصروف .. والآن لما جاء ابن الحلال يريد أن يعطل الأمر

ربت خالها على كتفها بحنان وعطف ومسح رأسها وقال: من حقك الزواج ، وبناء بيت .. وأنا أفضل أن تتركي هذا البيت رغم بنيانك له ، وتؤجريه وتدفعي الأجرة لوالدك .. وأنا سأساعدك في شراء بيت أو شقة

فقال رشيد ساخطا : ما هذا الكلام الفارغ يا بكر ؟! هذا كلام شيطان .. تريد إفساد ابنتي عليّ وترحلها عندك .. أنت طامع في مالها

– لست طامعا في مال ابنة أختي يا سيد رشيد .. أنا مدرس متقاعد كما تعلم وشبعان ، وأسكن في بيت كبير .. والأولاد أنت تعرفهم حق المعرفة ، وكلٌ يعمل عملا جيدا .. فكيف أطمع بمال ابنة أختي المسكينة ؟! وهي لجأت إليّ لأعمل على نكاحها .. سأقف معها

صاح رشيد : تقف معها ضدي

– أقف معها ضد من يعارض زواجها .. فلتخذ حقها من الدنيا ؛ لعل الله يهبها طفلا تقر عينها به

– إنها كبيرة ، وكيف ستلد ؟!

– المرأة ربما تلد عند الخمسين سنة

اعترضت قائلة: حتى ولو لم ألد .. فالزواج حق لي .. الرجل طيب وهو سمح على اسمه

قال رشيد غضبا : لولا كبر سنكم لقلت أن هناك قصة حب كالتي نراها هذه الأيام في التلفزيون

غمرهم الضحك لحظات رغم الموقف المتشنج ، وقالت ساخرة : حب! رجل ترمل من شهرين وابنته متزوجة ولديها طفل .. كن أبا .. أنا قلت كلامي إذا لم يحصل هذا الزواج سأمتنع عن الدفع لكم ..سأتصدق بكل مالي

صرخ الأب: هذا تهديد ! هذه وقاحة!

– خالي سأترك البيت الليلة .. فلما يقبل ويوافق أبي ارجع للبيت أو أبيع هذه الشقة ، فهي مسجلة باسمي كما تعلمون

– لن أسمح بذلك يا ابنة ...

فقال بكر: عيب .. تأدب يا رجل أنت أبوها وحاميها وراعيها

– إنها تهددني وتفرض عليّ رأيها ..وتفرض عليّ زبالا

– وماذا أنت ؟! ما تعمل ؟ ماذا كنت تعمل يا رشيد ؟!

– أتريد أن نفتح الدفاتر العتيقة؟

قال بكر : هي تريد من يدافع عنها ويقف معها

– تتزوج رغم أنفي

قالت :أنا ابنتك

– هذا فرض أمر واقع وتهديد وضغط

مشت الفتاة إلى غرفة نومها ، وجهزت حقيبة فيها ملابس وقالت : سأقضي أياما عند خالي بكر فلما تصل لجواب أنت وعائلتك فاتصل بي .. وإذا مضى أسبوع فسأقدم شكوى لدى حضرة القاضي .. وتأكد إذا حصل ذلك سأكون لك عاقة ، ولن يصلك شيء مني .. لك أولاد فلينفقوا عليك .. أنا حسمت أمري وقراري .. وسأتزوج هذا الرجل ـ إن شاء الله ـ أنا لم أكن أحلم أن يتقدم لي إنسان بعد هذا العمر .. والحياة الزوجية فرصة قد لا تتكرر ـ أتسمع ـ النساء كثيرات .. والرجل اختارني من دونهن .. وأنا اليائسة من الاقتران برجل .. من سينفعني منكم غداً لما أمرض ؟ .. من يبقى عندي؟ زميلات الشغل أو نساء وبنات أخوالي كن يقمن بالواجب



أغلقت أمونة شقتها وحمل خالها حقيبتها السفرية ، ولما وصلوا لباب البناية قالت: فكر يا أبا حسونة فصرخ فيها : أفكر بالزبال .. ألا تستحين أن يقال لك امرأة الزبال ؟

– وماذا يعني الزبال؟! أليس هو من بني آدم مثلك ومثل خالي ؟ وأعلم أنني لم أقل للرجل بعد أنني قبلته .. أحببت عرض الأمر عليكم .. وأخذ موافقتك .. وكنت أرى الحياة والعيش معكم وبينكم وفي شقتي

– على كل سأفكر وأشاور إخوتك وأخواتك .. أنا غير مرتاح لهذا الزواج

قال بكر: أنت تظنها ابنة أربع عشرة سنة .. بنت عشرين يا رشيد .. هذا عريس من السماء .. البنت إذا تجاوزت الثلاثين راحت عليها .. من سيتزوجها بعد الثلاثين إلا مطلق أرمل أو معذور ؟ .. اتق الله يا رجل في ابنتك

– ابنتي مباركة عليك

– بنت كريمة .. وهي مثل بناتي .. وأمونة تعرف ذلك منذ وفاة أمها ـ رحمها الله ـ ولقد سعيت لتزويجها أكثر من مرة ، ولم أوفق

خرجوا من باب العمارة ، فأشار بكر لسيارة تكسي ، وأدخل فيها الحقيبة ، وجلست الفتاة في المقعد الخلفي ، وجلس بكر بجوار السائق ، وكانت امرأة رشيد تقف أمام باب الشقة تتابع وتسمع حتى عاد إليها رشيد ، وكانت منزعجة من الصراخ والصوت العالي ، فصاحت فيه قبل أن يدخل باب الشقة الخاصة به : ماذا دهاك؟! سمعت صراخك وأنت فوق

قال بتهكم وصوت ضاحك : واحد أرمل عارض عليها الزواج ، وتريد موافقتي .

نظرت إليه بعمق وقالت: وماله ؟ أنت زعلان لماذا ؟ ألم تكن أرملا وتزوجتني يا رشيد ؟!

– أنا غير .

ضحكت بضيق : ولماذا أنت غير؟! أنت لازم تفرح لما يقبلها أحد وهي في هذه السن ، وبعد كل هذا الانتظار

فصرخ في وجهها: تريد الزواج من زبال كناس شوارع

عادت للضحك الخافت وهما يدخلان الشقة : زبال! هو الزبال ليس برجل يا نمر ..أخي عمل فترة في البلدية ، ثم تحول إلى عمل أخر

– والله أمرك عجيب يا سليمة !

صرخت فيه وهما يجلسان على مقاعد في صالة مدخل البيت: من حقها الزواج ..أنت كان لازم تزغرد ، وتعلن الأفراح أن وجدت ابنتك بعد أربعين سنة زوجا .. وتذهب إلى الرجل وتحضنه شكرًا ، وتقبل أياديه .. ابنتك عانس وقبيحة الوجه وقصيرة وبدينة .. هذا الرجل أعمى .. يظهر أنك تعتقد أن أمونة طفلة في سن المراهقة ..وملكة جمال النسوان

– أنا على رأيك غلطان !

صاحت : مائة غلطان .. هذا إجرام في حقها

– وتريد أن تسكن مع الأرمل هنا .. ويؤجر بيته

– وتسكن هنا .. البيت بيتها

– هذا أنت تحبينها وأنا لا أدري !

– القصة ليست قصة حب يا حبيبي .. بنت كبيرة أتتها فرصة لتعيش مثل خلق الرحمن .. واحدة تقدم لها ذكر بعد طول صبر وانتظار لمَ تحرم من هذه الفرصة يا غبي ؟! .. لو طلبها إبليس اللعين فزوجها .. هذه معجزة من معجزات العالم .. ولماذا أخذها خالها ؟!

– خالها يريد لها الزواج ..وأمهلوني أسبوعا وإلا تزوجت عن طريق القاضي.. القاضي سيصير أباها وولي أمرها

- وهل ستبقى تعطيك شيئا ؟

- بل ستزيد الراتب إذا قبلت بالزبال

قالت بسخط: أنت مجنون !.. أنا منذ تزوجتك وأنت قاعد لا تعمل أو كنت في آخر أيام شغلك في تلك الشركة .. والآن تستعر من الزبال؛ كأنك وزير أو تعيش في قصر السلطان .. لو كنت أكره ابنتك فأنا أحب لها الخير والسترة .. ليس للمرأة إلا الزواج والعيش في كنف الزوج .. المرأة حياتها الزواج والبيت .. ليست قضية أكل وشرب ونوم هذا حاصل لكل الناس .. المرأة خلقت لتكون زوجة وأما ولها بيت وأولاد لولا الكره بيننا لذهبت إليها وأعلنتها بموافقتك

- أنا غير موافق .. سأشاور حسونة

ضحكت سليمة وقالت : حسونة ! أكيد تلصص عليكم لما سمع صراخك .. وتجده عرف الحكاية .. وهو غير مبال .. هو وزوجته حياتهم الكأس والشراب .. هل يهمه تزوجت أمونة أم لم تتزوج ؟ وسيتظاهران أنهما لم يستمعا شيئا من ثقب الباب .. اصعد لحسونة .. قد تجده صاحيا

- حسنا ، سأصعد الدرج ثانية ..كنت أريد أن تشدي عضدي في منع الزواج من زبال

- زبال أشرف منك.. هو يعمل ويسترزق .. وأنت منذ اشتغلت أمونة وأنت عاطل عن العمل

- ما أقذر لسانك وأطوله !.. منذ تزوج ابنك لم آخذ منه درهما واحدا يا امرأة !

- إنه يعطيني أنا .

مشاجرة عائلية

بعد الكلام الحاد الذي سمعه من زوجته ، وقد كان يتوقع أن تؤازره في رفض زواج أمونة ، وأن تعارض بشدة ، صعد لشقة حسونة ابنه الكبير ، فوجده في انتظاره ، ويلبس ملابس الخروج ، فقال وهو يدخل الباب : أين؟

- كنت ذاهبا للمقهى .. فقد سمعت صياحكم .. وخروج أمونة مع خالي بكر

فقال بسخط : يا سيدي أختك وجدت زبالا في أحد شوارع العاصمة ، يريد أن يضحك عليها ويستولي على ثروتها ، ويتزوجها بعدما شابت وترمل

قال حسونة وهما يجلسان على كنبة كبيرة في مدخل البيت : هذا هو مربط الفرس ... وقبل أن يتابع تعليقه خرجت زوجته ترحب بعمها وقالت بعد الترحيب: طبعا وإلا لماذا سيتزوجها لحسنها وفتنتها ؟! لم يخلق أبشع منها قصيرة بدينة .

فصاح حسونة في وجه زوجته : ولكنها غنية ثرية.. تتصدق علينا .. والمرأة تنكح لثروتها .. وأنت محروقة محرورة لماذا؟!

قالت: عيب ! واحدة وصلت لهذا السن وتتعلق

بالرجال .. زبال!

تطلع حسونة يمينا ويسارا وقال : آ ، ماذا أقول ؟!

ماذا يشتغل السيد عماد ؟

صاحت بغيظ : غلط وعمل شهرا وندم

– ندم! بل طرد .. أنت ترفضين من أجل مالها أم لأنه زبال .

صرخت بقوة : كلا الأمرين يا باشا !.. هذا يا عم طامع بمالها وشغلها .. وأيضا تريد أن تسكن هنا ليس في بيته ؛ ليكسب أجرة بيته .. وأن تتزوج ابنتك من زبال هذه كارثة ! .. نحن مستوانا أعلى من هذا المستوى

ضحك حسونة وقال: نحن ماذا مستوانا ؟! .. الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى

صرخت فيه بحدة ونقمة : صرت شيخا

– لست شيخا ؛ ولكن هذا كلام الخطيب كل جمعة .. والعمل ما هو عيب .. ربما العيب أن تعمل أمونة وتسرح من الصبح حتى منتصف الليل

قال رشيد باستغراب : أمرك عجيب يا أبا حلمي !

– لا عجيب ، ولا شيء ، أنا أرى أن من حقها الزواج ، ولو بلغت مائة سنة

قال رشيد: أمرك مثل امرأة أبيك ، لا تمانع من زواجها من زبال حتى من حمار .. حقها أن تتزوج رأيك يا أم حلمي أن لا تتزوجه ؟

قالت بحقد ظاهر : هذه بعدها لم تتزوج وتتحداك .. هذه ستحول رصيدها له ، ثم يلقيها في الشارع .. أنا أعرف هؤلاء المتمسكنين .. ارفض ارفض يا عمي .. لا ترد على حسونة ولا على أم شحام

دفع الباب فجأة وسمعت سليمة آخر الكلام وربما سمعته جله فصاحت: تريدين أن يرد عليك يا وقحة .. أنت يا رشيد لازم تطردها من العمارة

صاحت بهياج فيها : هذا شقتنا يا قليلة الأدب! تدخلين البيت مثل العصابات .. حسونة بناها من عرق جبينه .. ليس من مصاريك ومصاري { تقال عن العملة } عمي ..البيوت لها حرمة

– اخرسي يا وقحة !.. وأنا أقف أمام الباب لأطرقه .. فسمعتك سمعت كل الكلام .. أرغب لها بالستر ..أنت لا تبغين لها الستر بعد كل هذه السنين .. عيناك على مالها أنت ورشيد .. أما حياتها وسترها لا أهمية له عندكم ..قالت لأبيها : إذا لم تنكح الرجل الذي من جيل أبيها ستترك كل المال للجمعيات الخيرية .. فالأفضل أن تصمتوا وتخرسوا ، وتباركوا الزواج حتى تبقى صدقتها مستمرة على الجميع .. أنا رغم بغضي لها .. المعروف للجميع .. فلا أنسى إحسانها على بناتي حتى تزوجن ، وعلى هذا الرجل ، وهو يزعم أمامي أن المال الذي تدفعه أمونة إيجارا للشقة كأنه

هو الذي بناها ، وكأن إيجار الشقة في أبو خروف خمسون دينارا .. ما هي الشقة السفلى مؤجرة بعشرة دنانير يا عالم .. أنت تأخذ منها خمسين غير الهبات .. وهي وعدته بالزيادة والرجل لو أنه زبال وكناس ؛ لكنه صابر مكافح ..فقد ربى ابنة ودخلت

الجامعة .. وهي متزوجة وتعمل صحفية اليوم .

صاحت زوجة حسونة: لا ترد عليها يا عم رشيد .. شهر زمان ثم تقطع عنك المعونة الخمسين دينارا .. هذا الرجل طماع .. داخل على طمع .. قلة بنات أصغر منها يمكنهن الحمل أسرع من أمونة ولماذا أمونة؟!

صفعت أم شحام أم حلمي صفعة حادة قوية بنقمة وكره رمتها أرضا وهي تصرخ فيهم: مجرمة ! واعلم إذا أطعت هذه السكيرة العاهرة .. وإذا لم تتزوج أمونة سأترك لك الدار يا رشيد .

وهجمت امرأة حسونة على أم شحام بعنف وشدت شعرها وهي تصرخ فيها بأقبح الشتائم وارتفع الصراخ والضرب والقذف وأم حلمي تصيح : اخرجي من بيتي يا ملعونة

- سأخرج يا قليلة التربية .. يا نذلة يا شريرة .. هيا يا رشيد يا جبان .. أنا لا أعلم كيف تزوجها حسونة؟! .. امرأة فاسدة حسودة

فقال رشيد وهو يدفع امرأته خارجا : عيلة مثل الحذاء .. الحقني يا حسونة

وصاحت أم حلمي: الليلة ستطلقني يا حسونة .. لا يمكن الحياة مع هؤلاء الوحوش ، إما الطلاق ، وإما الرحيل فلن أجاور امرأة وحشة غولة

استدار رشيد داخلا وقال: ما هذا الكلام الفارغ ؟! هدئ زوجتك يا حسونة .. سنفكر برؤية

قالت أم شحام: لا أدري من سيتزوج أنت أم أمونة ؟! أنت لست رجلا يا حسونة ارجع إلى خمارتك أحسن لك

صاح الرجل في امرأة أبيه وشتم وقذف



دخل العمارة شحام ورأى أمه تبكي أمام الباب خارج الشقة من كلام حسونة ، فهاج وقال بغضب : ماذا هناك ؟! ما بك تبكين في الشارع ؟! أنت اتصلت لتخبريني بأن رجلا يريد طلب يد أمونة .. لماذا تنوحين؟! لعلك ضربتها . وجه هذا الكلام لأبيه

فرغم الموقف المؤلم ضحك رشيد خافتا وقال: أنا اضرب أمك ! أنا أقدر على هذا الفيل !

فقالت وهي تنظر لأعلى الدرج حيث يقف حسونة وزوجته أمام بسطة الدرج ومدخل شقتهما: حسونة .

كان حسونة لما رأى شحاما يدخل من بوابة البناية

، قد كف عن الكلام ، فصاح شحام في أمه وهو يصعد نظره إلى بسطة شقة حسونة : ماذا فعل حسونة؟!

قالت من بين دموعها واستنشاقها النفس : يسب عليّ ، واتهمني بالفجور

– ماذا؟!

فصاح حسونة: لم اتهمها بشيء ؛ بل هي التي أساءت إليّ تتهمني بشرب الخمر

فصاح شحام وهو يلوح بيده لأعلى : وهل هذا اتهام ؟ وهل أنت لا تشربها؟ وصعد إليه

وهرب حسونة بعد أن دفع زوجته للداخل ، وأغلق الباب بسرعة ، وهجم شحام على الباب المغلق يضربه بحدة ، فانفتح ، فهو شاب قوي البنية ممتلئ القوام ، وقد تدرب على الملاكمة والمصارعة في فترة المراهقة وأول الشباب ، ولما صار في جوف البيت شاهد حسونة يحمل سكينا كبيرة من سكاكين المطبخ ، يقول له مهددا: إذا لم تخرج سأقتلك

وكانت زوجته تصرخ فقال شحام : عامل نفسك راجل على أمي يا سكير .. كم مرة أتيت بك سكرانا من شوارع المدينة ؟! ارم السكين على الأرض

كان يهدد بها ويصيح: اخرج من هنا من بيتي .. الشرطة قادمة اتصلت بالشرطة

تقدم شحام نحوه وقال: ارم السكين ، وانزل قبّل رجل أمي

امتلأت العمارة بالمارة والجيران الخارجين من المقهى لبيوتهم ، والعائدين من السينما والمسارح ومقاهي المدينة حتى أن بعضهم صعد ليصلح بين المتشاجرين لما سمع القصة وصوت الصراخ من امرأة حسونة ، وتقدم الشيخ سلمان يوسف أبو يوسف الخارج من مقهى مهران ، واتجه يتبعه شقيقه جهة الصوت ظانا أن حريقة حدثت في أحد البيوت أو وفاة صعد إليهم وقال : يا عمي يا شحام اهدأ .. اختصر لي والدك القصة .. وأنت يا حسونة ارم السكين .. أنتم أخوة .

شحام وحسونة كلاهما يعرف الحاج سلمان ، وربما تعلموا عنده أيام الشباب ـ فهو عمل مدرسا في جميع المراحل ، ثم مدير المدرسة الثانوية الحكومية في حي النجمة ، حيث تستقبل طلاب أبو خروف والأحياء المجاورة ـ وهو صاحب أبيهم ، فقال الشاب : يسب على أمي يا عم أبا يوسف .

فقال سلمان : فهمت الحكاية يا ولدي .. أغلق بابك على نفسك يا حسونة

وأمسك سلمان بيد شحام ، ونزل به إلى شقة أبيه وأمه ، وكان رشيد يشد وينتف ما بقي من شعر في رأسه، ويبكي كالأطفال ، فلما هدأ الأمر ، وانصرف الخلق ، أغلق سلمان الباب ، والتفت

للمرأة وقال: ما الحكاية يا أم شحام؟

قالت وقد اختفت دموعها: الحكاية أن رجلا بسيطا ترمل منذ شهرين طلب يد أمونة من نفسها حيث يعمل زبالا في نفس شارع مشغلها ، فجاءت مع المغرب ؛ لتأخذ موافقة أبيها قبل نقل موافقتها للرجل ، فرفض بحجة أنه زبال وطفران ..وهو عامل سيتقاعد من عمله كما فهمت من رشيد .. ويأخذ راتبا حتى يموت وتموت أمونة

حول سلمان نظره إلى رشيد وهزّ رأسه، وروت مجيء خالها بكر ، وزعلها وذهابها ، وقصت كل ما سمعته وعرفته فقال سلمان لرشيد: أنت كان عليك أن تفرح وتبارك بزواج ابنتك البكر المسكينة .. عملت مشكلة كدت أن تخسر أولادك فيها .. وهي إذا لم تتزوج عن طريقك ورضاك سيقف معها القضاء .. وحتى قد تتزوج بدون قضاء ؛ لأنها كبيرة في السن .. وامرأة راشدة .. تدير مصلحة يا رجل .. وصل صياحكم للمقهى

– يا أبا يوسف هذا رجل طمعان في مصاريها

– خليه طمعان فيها .. تزوجت لمالها وثروتها .. لماذا تقف في طريق سعادتها ؟ أنت تعلم أن السيدة أمونة امرأة كبيرة .. الفرص أمامها معدومة.. نحن نعرف بعضنا البعض يا أبا حسونة

– أنا لا أرضى أن أوضع تحت الأمر الواقع

– أي واقع يا رجل؟! رجل يعمل في الشارع حيث المشغل ، وتعرف عليها بحكم العمل ، ولما ترمل استحسن الزواج منها ..الفتاة الهادئة الوديعة .. والرجل له بيت كما فهمت من أم شحام وابنتك ترغب بالبقاء هنا .. والزبال من بني آدم مثلنا .. ولولا هؤلاء الرجال لدهمتنا الأسقام والدود .. أنت صديق يا أبا حسونة اختصر الشر .. ولا تخسر الأولاد .. واتصل بابنتك ، وبارك لها هذه الخطوة .. وأدعو الله أن يرزقها الزوج الصالح الطيب والذرية الطيبة .. فالله هو الوهاب الجواد الكريم .. وأم شحام كما قالت بصدق ـ رغم عدم حبها لأمونة ـ فهي ترى زواجها حق لها .. والمال مالها يا عمي .. وهي امرأة تصلي وتعرف ربها .. ولن تعقك وتحرمك هي قالت ذلك غضبا .. لن تحرمك ما فرضته على نفسها لك .. فأنا أعرف أمونة .. وزارت امرأتي وبناتي وخاطت لهن الثياب .. أرجوك يا رشيد لا تكن حجر عثرة في اختيارها .. عيب أن تقول هذا زبال وهذا طيار مع الاحترام لكم .. أمونة ليست مهندسة أو طبيبة .. فالإنسان يختار من مستواه لينجح الزواج ؛ لتستمر الحياة الزوجية .. وحتى أني سمعت أم شحام تذكر أن له ابنة واحدة فقط تعمل في الصحافة ومتزوجة .. ولم تستعر من أبيها ، ولم تطلب منه التخلي عن وظيفته .. المهم أن لا يتسول الإنسان ، ويمد يده للغير .. وأنت يا شحام يا ولدي عليك أن تحافظ على

الأخوة بينك وبين ابن أبيك .. فالدم لا يصير ماء

قال شحام: يا عمي أنا لم أفعل معه شيئا .. اتصلت بي أمي عند العشاء قائلة : إن رجلا طلب أختك أمونة وأبوك رافض .. فتعشيت وجئت ، فوجدت هذه ـ وأشار لأمه ـ تبكي من كلام حسونة الجارح .. فأصابني الغيظ وأردت أن أدبه فهرب إلى بيته ، وأخذت زوجته تولول وتصيح حتى فزّعت علينا أهل البلد ، ودخلت عليه ، فوجدته ينتظرني بسكين المطبخ

قال سلمان : على كل حال شر وانتهى .. والآن سأصعد وأتحدث مع حسونة ؛ لينزل ويتصالح مع امرأة أبيه ويعتذر لها .. وتتشاورون بحكمة وتعقل في زواج أمونة .. وطالبوا بمقابلة الرجل وتعرفوا عليه ، ولا تنظروا للوظيفة فقط .. وماذا تعني وظيفة السائق ؟ ووظيفة عامل الفرن ؟ فهذا إنسان شريف بسيط يطلب الستر .. ويسعى للحياة الهادئة مع ست محترمة ، ويسعى في عمله للمحافظة على حياتنا كالأطباء وغيرهم .. بائع العربة المتجول رجل شجاع طيب يعمل ولا تنسوا أن أمونة ليست صغيرة .. فهذه أول فرصة زواج أسمعها عنها .. نصيبها تأخر كونوا معها .

رشيد يتراجع

كان لتدخل سلمان بين أفراد أسرة رشيد تأثير قوي ، فالرجل معروف في الحي ، وهو من رجاله المعدودين ، وكثيرا ما تدخل في إصلاح ذات البين ، وحل مشاكل الأسر ، وخاصة لمن له بهم معرفة شخصية ، فالسيد رشيد من معارفه منذ عهد ماضي ، ومن جلسائه في المقهى في بعض الأحيان عندما يحب الحديث مع شلة أبي يوسف وشقيقه أبي نوح .

ولما أصلح الرجل بينهم بكلماته القوية الهادرة ، فغادرهم بعد هبوط حسونة وزوجه واعتذارهم لأم شحام ، وشربهم الشاي بمعية سلمان .

فقال السيد رشيد : الرأي أن نقابل الرجل ، ونتعرف عليه ونبارك الزواج .

قالت أم شحام: كما وعدت العم سلمان ؛ ولتجرب البنت حظها

قال حسونة : أنا لا دخل لي تزوجت أو لم تتزوج .. وهي حرة ..وهي سيدة كبيرة تتحمل المسؤولية .. وكما قال سلمان خيرها على الجميع .. وكان من الغلط أن نضخم ونكبر الموضوع

قال شحام: حصل خير يا جماعة !.. الشيطان له دور .. الآن سأذهب لخالنا ـ خال أمونة وحسونة ـ وأبين لهم أنه لا مانع من زواجها ممن تشاء ، حتى لو من إبليس نفسه .. كما تقول أمي فلها الحق أن تتزوج مثلنا .. والأمل بالخلفة أمل كل زوجين في الدنيا .. ونحن نؤكد عليها بالاستمرار بدفع المال لأبينا .. فأوضاعنا المالية ليست بزيادة وعلى قد

الحال .. والأفضل أن تبقى تعيش في شقتها بيننا ؛ لأن البعد سيضعف همتها من الدفع الشهري للوالد .

قال رشيد : هي وعدت بزيادة المصروف إذا قبلت زواجها .

ـ سأذهب أنا وأمي إلى بيت أبي محمد ونصلح الأمور ؛ ولتعلم أن موافقين على اقترانها بذاك السيد .. وأننا نحب لها الخير .

ولما جهزت أم شحام كانت سيارة شحام في انتظارها ، ولما جلست فيها انطلق بها شحام نحو بيت بكر الذي لا يبعد كثيرا عن حي أبو خروف ، ورغم تأخر الوقت واقترابه من نصف الليل إلا أن الرجل لم يكن قد نام بعد ، فاستقبلهم ورحب بهم ، ورحبت زوجته بأم شحام ، وأعلن شحام أمام أخته وخالها وامرأته موافقتهم على هذا الزواج ، وتركوا الأمر لها لترتيب لقاء تعارف بينهم ، ففرحت أمونة بهذا الكلام ، وشكرت زوجة أبيها وأخاها ، وشكرت دعمهما لها ، ووعدت بالعودة لشقتها بعد عودتها من شغلها يوم غد ، وعند الخروج أخذ شحام حقيبتها ووضعها في السيارة ، وسيتركها عند أمه لتأخذها عندما تصل البيت ، وكان بكر يقول: أنا دهشت لرفض أبيك هذا الزواج .. كنت أظن أن المعارضة ربما تكون من أمك الفاضلة .

ابتسم شحام وقال : وأنا مثلك .. لما بينهن من المشاحنات التي تحدث بين الأولاد وامرأة الأب قد تعترض أمي لبعض الوقت ؛ ولكني فعلا ذهلت لما علمت أن أبي يرفض زواج أمونة .. لو كانت صغيرة لقلت من حقه أن يعترض .. لكن أمونة قدر الله لها ذلك .

قال بكر : الحمد لله أن حلت الأمور .. أنا قبل حضوركم تحدث معي صديقنا الأستاذ سلمان اشتغلت معه فترة عندما كان مدير ثانوية النجمة وقال : الأمور تسير إلى ما يحب المحبون واختصر لي المعركة التي جرت بعد خروجنا من العمارة .

ـ الحمد لله يا خال

قالت أمونة: جزاكم الله خيرا .. صدقوا أن الزواج ذهب من فكري بعد هذه السنين الطوال .. وحتى لما فاتحني سميح بالموضوع ، فكرت أنه يقصد فتاة من فتيات المشغل .. عندي ثلاث غير متزوجات ؛ ولكنه كاشفني أنه يقصدني أنا بطلبه ، فذكرت له كبر سني ، فقال : ليس مهما عندي الأولاد .. غداً ـ إن شاء الله تعالى ـ سأخبره بموافقتي ؛ وليات لمقابلة أبي وإخوتي

فباركوا لها جميعهم من جديد ، وسألوا الله لها أن يتمم عليها على خير ما يرام ، فقالت شاكرة: على بركة الله .. الناس بأفعالهم ، لا بأقوالهم .. السيد الوالد صنع المعركة من لا شيء .. أنا طمأنته أمام

خالي بكر أنني سأستمر بدفع نصيبي من مصروفه .. وأنا أعتقد أن لا أحد يدفع إليه باستمرار وبشكل دائم إلا أنا .. وأنا أقدر ظرفك وظرف حسونة وإيجار الدار الذي تدفعه وبقايا أمواله أيام عمله .. واعتبر ذلك قربى إلى الله .. والقوي ماديا يساعد الضعيف دون منة فالمنان هو ربي .. ربما خطر في بالي أن ترفض امرأة أبي لم بيننا من الحساسية ..ولكني أشكر وقفتك الشجاعة معي يا أم شحام .. القلوب بين يدي الله يقلبها كيف شاء ؟ .. وأنا أحب البقاء معكم لنبقى أهلا .. فالرجل ليس عنده ذرية ليزعجوكم .. وابنته الوحيدة متزوجة ، ولها طفل ولدته من عهد قريب .. وهو قد يتقاعد بعد الزواج .. وسيحصل على راتب شهري كما هو معروف حتى يتوفاه الله .. الشكر يا خال ، والشكر لأم محمد

ـ يا ابنتي نحن أهل .. وكنا نتمنى لك ذلك من زمان .. لكن الأمور كلها لله وبيده .. سيفرح لك كل المحبين .. ونحن نحب لك الخير والسعادة .. ونرجو أن يكون السيد سميح اسما على مسمى ، ويكون رجلا مقدرا لك .

وتحدثت لهم عن معرفتها بالرجل من خلال عمله في الشارع ، ومساعدتهم في تكنيس المحل ، وتفريغ السيارات ، وتحميل المصنوعات ، واحترامه لها ولفتيات المشغل ، ولم يمازحها يوما بما يمزح به من كلام جارح أو محرج ، وصبره على مرض أهله حتى توفاها الله ، وخلصوا في نهاية السهرة إلى الاتكال على الله ليحصل النصيب والمقدر ، وأن يطعمها الله الذرية الطيبة والسعادة الأسرية .

هدأت العاصفة قبل سطوع الفجر ، في نفس الليلة قبلت العائلة زواج أمونة من ذلك الرجل الذي لم يروه بعد ، ولم يكد يبدأ النهار حتى سعت الفتاة لعملها مبكرة على غير العادة ، وقد عادت إليها الحياة الحالمة ، حياة الزواج ، وبيت الزواج ، حياة الرحمة والمودة والسكن التي اختفت من أحلامها منذ عقد وعقود ، دغدغت أفكارها الأمومة التي تتحدث عنها الأمهات والوالدات ، فوصلت المخيطة أول الواصلين ، مما أدهش العاملات عند دخولهن ، ولما لمحت سميحا في الشارع أشارت إليه بالقدوم ، فلبى النداء بلهفة العاشق الولهان بعد أسبوع من الانتظار ، وقد عرف الجواب ، وأدرك أن فتاته أقنعت أهلها به زوجا لها ، ساقته نحو مكتبها في زاوية المشغل ، وطلبت الشاي للجميع ، وأبلغته موافقة أبيها على زواجهما ، وأعطته عنوان البيت في أبو خروف ، فوعدها بأن يكون في بيتهم عند الغروب ، وأعرب عن امتنانه عن قبولها به ، وسيسعد بها ، وأنه عند كتب العقد سيقدم طلب التقاعد من البلدية ، وقبل بأن يعيش معها في بيتها دون حرج ، وأنه سيؤجر بيته ، وبعد

مغادرته لمكتبها أعلنت للعاملات معها سبب دعوة الرجل للمشغل ، فأخذن يقبلنها بحرارة ، ويهنئها بالزواج ، فالزواج أهم حدث في حياة النساء ، ربما أهم من شهادة الجامعة ، واحتضنتها مساعدتها بقوة وفرح ودموع ، وتمنت لها السعادة ، ودعت لها أمونة بأن تجد ابن الحلال هي الأخرى ، وأرسلت أمونة إحدى الفتيات لشراء الحلويات لمثل هذه المناسبة التي لا تفوت ، وغمرت المشغل السعادة ، وشاركهم سميح هذا الفرحة والاحتفال وقال لها : إنه قدم على إجازة ، وغادرهنّ سعيدا على أمل اللقاء مساء هذا النهار ، وبعد الظهر ذهبت أمونة لصالون تجميل وتمشيط الشعر ، ومشطته العاملة بسرعة وهنأتها على هذه المناسبة ، وعادت للبيت مخبرة للأسرة ما دبرته من ترتيب ، وعبرت شكرا من جديد لزوجة أبيها لدعمها لزواجها وموقفها الكريم، ووضعت في يدها عشرة دنانير كهدية بهذه المناسبة ، فقال أبوها الذي رأى الدنانير تنتقل من يد امونة ليد سليمة : وأنا .

فأخرجت عشرة أخرى وضعتها في يده باسمة قائلة : أنت لا تشبع .. الليلة سيكون مجيئهم ومعه شقيقه للتعرف عليكم والحديث معكم ، ولما نكتب العقد سيقدم طلب تقاعد .

فقالت أم شحام : أهلا وسهلا بهم ، رغم ما كان بيننا من سوء تفاهم أو حساسية أنا أتمنى لك كل الخير والتوفيق والنجاح مع السيد سميح ؛ وذلك من قلبي صدقي ذلك .. فأنا أعرف أنك طيبة .. ألف مبارك



استقبل السيد رشيد وأولاده بعد صلاة المغرب السيد سميح عبد السميع الذي جاء مرتديا لبذلة جاهزة وجميلة ، ويصحبه شقيقه وعائلته ، وابنته وزوجها ، ورحب به رشيد وولداه وزوجاتهم ، وتصافح القوم ، وجرى التعارف التقليدي ، وقبل رشيد زواج ابنته البكر من السيد سميح ، وجاءت الكنافة المشهورة في بلاد الشام للاحتفال الأولي بهذه المناسبة السعيدة ، وقبل انتهاء اللقاء حضر بكر وأهله ، وقدم سلمان برفقته ، فقد مرّ عليه في المقهى وأخذه معه ـ وكانت أمونة قد اتصلت بخالها ، وأخبرته بالترتيب لهذا اللقاء ـ فشاركوا القوم فرحتهم وسعادتهم ، واتفق أن يكون إعلان الزواج خلال أيام ، ثم العقد الشرعي لدى المحاكم ، وقبل السيد الحياة في حي أبو خروف في شقة أمونة الزوجة

شهرت الخطبة ، وانتشرت في الحي وفي شارع الخياطين ، وبدأت الاستعدادات لكتابة العقد ، وتحديد موعد الزفاف ، وأخذت الفتاة تغير ترتيب

البيت لشراء أثاث غرفة نوم ، وقدم سميح المال اللازم، وشاركت أمونة بذلك مراعية لمشاعره ، وأصرت على الدفع سرا لحفلة الزواج ، واشترت الفتاة بما دفع لها من مهر ذهبا ، وزادت من جيبها فابتاعت الأساور والحلق والخاتم

وبعد أسبوعين من كتابة عقد الزواج أمام القاضي الشرعي ،كانت تحتفل بزواجها في صالة أحد النوادي الاجتماعية خارج أبو خروف ، وكان ذلك هدية من أحد أخوالها الذي له علاقة خاصة بذلك النادي ، واحتفل القوم احتفالا كبيرا ؛ كأنهم يزفون عروسا صغيرة لزوجها ، فأمونة لها شعبية تكونت خلال هذه السنوات ، فهي خياطة ماهرة في الحي وفي المدينة ، ولها صداقة بأم ريان التي عرفتموها في قصة سابقة ، وتقدم لجمعية البر المال والملابس الجديدة والتي لم تباع ؛ وإن كانت تحرص على فعل ذلك سرا وخفية ؛ ولكن هذا الأمور تكشف مهما سعى المرء إلى إخفائها ؛ لذلك وجدت عاقبة ما قدمته من خير في حفل زواجها ، وعادت عند نصف الليل إلى شقتها تزفها السيارات الصغيرة والمحتفلون ، وكانت تقلها وعريسها سيارة خاصة مزينة بالورود والأزهار والزينة.. كانت تجلس في قلبها أمونة وزوجها سميح ، وصعد بهما إلى شقتها بالزغاريد والأهازيج ، ولما أغلق الباب عليهما تقدم سميح إليها ، واضعا يده على ناصيتها داعيا بالخير مستعيذا من شرها ، وطلب منها الصلاة ركعتين كما هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم. [*]

وهكذا أيها الأصدقاء تزوجت أمونة بعد انتظار دام أكثر من ثلاثين سنة ، وعادت لها الحياة النضرة ـ حلم كل أنثى طبيعية ـ بعد دهر وقبل دخول سن اليأس وللقصة تتمة .

---

*- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ زَادَ أَبُو سَعِيدٍ « ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ ». فِى الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ.

الحياة الجديدة

قضت أمونة أياما بعد ليلة الدخلة تستقبل المهنئين من الأقارب والجيران والأصدقاء ، والسيد سميح تحصل على إجازة زواج لمدة أسبوعين ، وقد قدم طلب إنهاء الخدمة لما كتب عقد زواجه الجديد ، وكان والد أمونة يكبره بعشر سنوات أو تسع ؛ فلذلك حصل بينهما انسجام واضحا أمام زبائن المقهى .

انتهى الأسبوع الأول للزواج فعادت المرأة لممارسة عملها في شارع الخياطين والترزيين ، وقد زارها

الكثير من أصحاب هذه المخيطات والمشاغل والمحلات يقدمون لها التبريك والدعاء ، وكانت مساعدتها أحلام تجهز الحلوى يوميا لتقديمها للمهنئين ؛ لأنها تعرف عمق العلاقة بين أمونة ورجال ونساء الشارع ، والكل فرح بزواجها بعد يأس قاتل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وبعد حين عرضت أمونة على مساعدتها المشاركة في المحل ، لأنها هي الأخرى تفكر بالتقاعد وستحسم الأمر عند تقاعد زوجها ، وقبلت أحلام التفكير في العرض .

فكانت تقضي نصف نهار في تدبير المصلحة وترتيب الأمور ، وتنظر العروض وتغادر للبيت ، تريد أن تحس وتشعر أن لها بيتا وزوجا .. فهي قبل الزواج كانت تعود بعد آذان العشاء .. فتصل للبيت منهكة القوى ، وتنام سريعا ، أما اليوم فهناك رجل يحتاج لها والحديث معها ويسمر معها ويأكل معها .

وأما سميح فقد مضت الإجازة دون أن يبث في طلبه التقاعد من العمل ، فله أكثر من عشرين سنة يباشر العمل في هذه المهمة التي يستقلها الناس مع أنهم لا غنى لهم عنها ، وإلا تكدست القمامة في الشوارع والطرقات ، وعمت الأوبئة البشر ، فحتى الغابات حيث تعيش الوحوش فتجد حيوانات قمامة كالضباع والكلاب البرية مهمتها أكل الجيف وغيرها ، بل بعض الضباع تساعد الأمهات في حالة الولادة عند موت الجنين في أرحامهن ، فيظل الضبع يدور ويلف حتى يسحب الحيوان الميت من المها والحمار الوحشي ، فالمهن تكمل بعضها البعض ، وكان يريد السعادة بعد معاناة دامت سنوات في علاج الزوجة الميتة .. واليوم قد من الله عليه بأمونة المرأة الضئيلة الطيبة التي يعرفها منذ انتقل للعمل في شارع الخياطين .. وقد عرفها قليلة الكلام على غير عادة النساء من حبهن لكثرة الكلام إلا ما رحم ربي .. ونظر كلاهما لنفسه ؛ كأنه عاد لعهد الصبا والمراهقة .

رجع سميح لعمله في شارع الخياطين حتى يصدر قرار إحالته على التقاعد .. وتلقى هدايا من أصحاب المحلات تجاوزت ألف دينار .. فشكر الله وحده .. وعرف مقدار حب الناس له وعطفهم عليه .. ولم يكن أمامه الرفض فقد اعتاد على تقبل عطاياهم ومساعداتهم منذ عمل في هذا المكان .. ولما تشاور مع أمونة باركت له فيها .. ونصحته بالتصدق ببعضه ففعل .. ووهب والد أمونة خمسين دينارا منها .. وبعد تمنع وحياء قبلها رشيد شاكرا .. لما علم الرجل مصدرها .. فهو خطر له في أول الأمر أن أمونة أعطته إياها ليدفعها له .. فلم تعجبه هذه الطريقة أن يأخذ المال من يد زوج ابنته .. وابنته قادرة على توصيله له .. فلم

وضح له الرجل المصدر قبلها شاكرا داعيا ، وكان سلمان يوسف كلما رآهما وقابلهما في المقهى معا ، يقول مداعبا ومازحا: آ ، يا أبا حسونة كيف أنت وأبو نسب المحترم ؟

فيبتسم ويعرف أنه يذكره بتلك الليلة العصيبة التي طلبت البنت الموافقة على زواجها منه ، وجرت معركة كادت تنتهي بمجزرة ، فيرد : عسل عسل يا حاج أبا يوسف .. ساعة شيطان الحمد لله ربنا لطف .. ما تعرف الناس حتى تعاشرهم وتقابلهم .. أبو سعاد رجل غانم وكريم

فقال سلمان: عسل فعلا .. كيف حال ابنتك وزوجها يا أبا سعاد ؟ أنا أكبرت شجاعتها وعزيمتها وقدرتها عندما لم تطلب منك ترك عملك الذي يستعر منه بعض الخلق .

قال سميح : تعلمت من أموال هذه المهنة يا حاج سلمان .. الحمد الله الذي أكرمني بها .. وأتمنى أن يجعل الله بيني وبين ابنة الرجل الفاضل أبي حسونة طفلا ..آمل بذلك بكرم الله العظيم .

أمن الجميع على رجاء ودعاء سميح وقال سلمان: هذا أمر الله .. صحيح أن السعادة لا تكتمل إلا بالأولاد والبنات ؛ ولكن الحياة الزوجية الهادئة السليمة أيضاً سعادة .. فكان البيت كما يعلم رشيد مليء بالأولاد والبنات ؛ لكنهم تزوجوا وغادروا .. وبقيت أنا والعجوز أم يوسف ، وعمك رشيد ظل هو وأم شحام .. هذا حال الدنيا يبدآن وحدهما ، ثم يعودان وحدهما ، ثم يهلك أحدهما ثم يتبعه الآخر .. جيل ذاهب وجيل قادم .. صح يا عم رشيد .

هتف رشيد : حكم حكم كلامك يا أستاذ الشباب .. صحيح كان البيت مليئا بالضجيج والصوت .. واليوم وحدنا معنا التلفزيون .. هكذا الدنيا تبدأ وحيدا وترجع وحيدا ..أنت أو هي ونأتي الله فردا

قال سلمان موجها الكلام لسميح : إذن لا تحزن يا سميح .. واعلم أن ذلك لله .. وكذلك على أمونة أن ترضى بنصيبها .. فالزواج هو السكينة والرحمة

قال سميح: أنا عرفت السيدة أمونة منذ عملت في شارع الخياطين .. عرفتها أختا فاضلة شريفة محافظة.. لا تبرج وليست سافرة .. وكل العاملات عندها نساء .. ولما بدأت أعرف أن أم سعاد مشرفة على الموت بسبب المرض القاتل ، وقع في قلبي التفكير فيها كزوجة .. الرجل لا يستغني عن امرأة في بيته

مضى على زواجهما شهران عندما قبلت البلدية للعاصمة بيت السلام إنهاء خدمات سميح عبد السميع ، وتوقف عن خدمة الشارع ونظافته لعامل جديد أو موظف بلدية جديد .. وقد

يستغرق سميح شهرين أو ثلاثة ، وهو يجري معاملات الانفصال ؛ ليتحصل على راتب شهري من دائرة التقاعد الوطنية للمدنيين أو صندوق التقاعد المدني للموظفين .



وكانت السيدة أمونة قد رتبت أمور الشراكة بينها وبين مساعدتها أحلام التي شاركتها في نصف رأس مال المشغل ، ويخصص لها راتب شهري مقابل الإدارة والعمل كسائر العاملات ، وستأخذ أمونة نصف الأرباح ، ولما وقعن عقد الشراكة عند أحد المحامين في وسط المدينة ، توقفت عن الذهاب للعمل إلا في زيارات اجتماعية ومتابعة العمل بشكل سريع وخاطف أو إذا احتاجتها أحلام لأمر ضروري لعطاء أو مشاورة .

مضت الشهور الأربعة على زواجها ولم يحصل لها أي حمل رغم أن الطمث لم ينقطع عنها ، فنشبت غريزة الأمومة في قلبها وصدرها ، فترجت سميحا أن يقوم هو وإياها بالفحوصات اللازمة عند أهل الاختصاص ، فبعد تردد بسيط قبل سميح ، ومن أجل دوام زواجها وسعادتها ؛ فهو يعلم سن أمونة المتأخر .. فأمونة تقترب كثيرا من سن اليأس وانقطاع الطمث

قاموا بتلك الاختبارات الطبية ، وتبين لهم أنه من الصعب حمل أمونة لضمور كبير في الرحم ؛ ولكن الطبيبة الأخصائية قالت: إن الأمل موجود .. وتحتاج لوقت وخضوع لعلاج مستمر ، والرجل رغم تجاوزه للخمسين سنة فلديه نطف قد تؤدي للإخصاب بمزيد من العلاج .

ذات ليلة لما عاد سميح من المقهى ـ فالرجل بعد صلاة العشاء في جامع الحي ينقلب للبيت ، لا يحب السهر ككثير من رواد المقهى ـ فبعد العشاء قال : لقد استلف مني حسونة مائة دينار بعد زواجنا ، وحصولي على مبلغ الألف دينار من أهل شارع الخياطين ، قد سمع بها ، واستلف مني فاستحييت أن اكسفه فداينته منها .. ولليوم لم يسدها أو شيء منها .. وقبل أيام التقيته في المقهى وطلبتها منه ، وذكرته بها ، فأنكر ذلك ، وزعم أنني وهبتها له .. ما العمل ؟

تابعت صمتها بضع دقائق ، ثم قالت بشرود : استغل طيبتك .. حسونة رجل فاسد .. أقول هذا مع أنه شقيقي ، ولا يمشي إلا مع الفاسدين ..كان عليك مشاورتي قبل التعامل معه في المال لكنك طيب سمح .. وتظن أن كل الناس مثلك يحسنون الظن بجميع الناس .. السوق علمني يا أبا سعاد

.. خدعت من بعض الناس من التجار من العاملات .. هل تظن أنه أنفقها على الطيبات ؟ لا ، أنفقها على الخمر والحشيش .. فهو يحشش وامرأته مثله ، وحتى ابنهم الوحيد حلمي حشاش مثلهم .. وحتى أبي أو زوجه لا تعطي أحدا منهم قرشا واحدا قبل عرض الأمر عليّ .. أنا سأعطيك المائة دينار، ولا تقل لحسونة أو غيره أنها وصلتك .. هم تعودوا على الاقتراض مني ، ثم ينسون السداد .. وأنا كنت أغرش عن ذلك باسم الرحم والأخوة .. وتنهدت متابعة : وأتخلص ببعض الدين من أحدهم عدة شهور قبل أن يعيد الكرة .. عليّ التخلص من دواوينهم .. فهو ما دام يعلم أنه لم يسددها لن يطلب منك قبل زمن .. أما إذا عرف أنك لا تريدها فسيكرر الطلب في أقرب زمن .

فقال سميح : هو شغيل على جرافة .. فأرى أنه يحصل دخلا جيدا ..ولا يدفع إيجار بيت .. وابن واحد يعمل .

ـ راتبه لو صرف في موضعه يكفيه ، ويدخر جزءا منه ؛ لكنه تعلق بالخمر والمخدرات .

قال سميح في حيرة : لا أدري كيف يقتل الإنسان نفسه وصحته ؟! قلنا الدخان ضرره أخف من الخمر والحشيش .. حلمي يشتغل مثله

ـ أجل ، يعملان كليهما في شركة حفريات .. يعملان على آليات ثقيلة الحفارات الجرافات ويحصلان دخلا جيدا ؛ ولكنه تعلق كأبيه وأمه بالمنكرات ومصاحبة بنات الهوى .. وهو هذه الأيام يسكن في بيت جدته لأمه .. عندها غرفة زيادة .. فترك بيت أبيه للعيش فيها .. وسمعت من فترة أنه سيطرد منها .. لقد قبض عليه أحد أخواله ومعه فتاة فيها .. وتمت لملمة الموضوع وتعهد لهم بعدم تكرار عمله .. وأنه سيمارس فحشه في حانات المدينة .

– ولماذا لا يسكن مع أبيه ؟!

– حدثت بينهم قبل زواجنا مشاجرة كبيرة كادت أن تؤدي لطلاق أمه وتدخل أخواله وأخذوه عندهم .

– هو لماذا لم يتزوج بدل الفجور والذنوب؟!

– لا يريد الزواج والحلال .. ولا يريد الارتباط بأنثى وأسرة ..ولا يريد أولادا ؛ ليتعسوا في الدنيا

قال بإنكار : سخف! يخرج الحي من الميت والميت من الحي .. لقد رأينا آباء فاسدين ، وأبناؤهم صالحون وعلماء وأدباء .. على كل علاقتي بشقيقك باردة وسيئة .. يسخر مني ومن عملي في البلدية .. يقول أمام أهل المقهى: كيف قبلت أن تعمل زبالا كناسا لزبالة وأوساخ الناس ؟ .. مهنة حقيرة أنت رجل وسيم تستحق أن تكون وزيرا ..أرأيت السخرية وقلة الأدب ؟!

– على كل حال أنا أعيش بينهم ؛ كأنني لست

منهم ـ إذا شاء الله ـ

وحملت ـ إن شاء الله ـ سنرحل من هذا الحي .. إما أن اشتري بيتا أو قطعة أرض نشيد عليها بيتا .. بيت العمر ..ونبتعد عن هذه العائلة

الرحيل عن أبو خروف

كان سميح يتعرض لمضايقات وسخريات من حسونة منذ تزوج أمونة ، وكانت في أول الأمر قليلة وتبدو مداعبة ، فكان يهزئ به في المقهى في الشارع ، أينما التقيا يسمع منه الكلام الساخر وهذا دفعه للشكوى لزوجته ، ثم بدأ يحدثها عن نفوره من البقاء في أبو خروف ، وكانت تتكرر شكواه من حسونة ، فتحدثت أمونة مع حسونة ، ويعدها بالكف عن المزح معه ، ثم لا يفي بالوعد ، ويزعم لها أنه ينسى ، أو اعتاد على هذا المزح ، ورغم كثرة تحذيراتها ظل الحال على ما هو حتى أن سميحا صار يغادر المقهى فورا عندما يدخل حسونة ، إما أن يعود للبيت ، أو يمكث في المسجد في انتظار الصلاة ، ذهبت تشتكي لوالدها وتكررت الشكوى ، فشكت له غاضبة سخرية ابنه من زوجها ومناداته أمام الناس بالزبال ، والسخرية من مهنته بكلام جارح ومحرج ، وكيف صبر عشرين سنة يكنس الطرق والزبالة ؟ ويبتعد عنه بحركة ساخرة خشية العدوى أرجوك ابعد عنا حتى لا تعدينا.. فقال الأب: والله تحدثت معه أكثر من مرة ، وقلت له عيب هذا الكلام ، الرجل صهرنا زوج أختك ، يزعم أن ذلك مزح فماذا أفعل له يا أمونة ؟

قالت بضيق من سلبية الجواب : هذا هو جوابك

– قولي لي ماذا أفعل ؟

– حسنا ، والسلام عليكم

وصعدت لشقتها غاضبة ناقمة ، فلما رآها سميح أدرك فشلها من غضبها فقال: ماذا فعلت؟!

– تحدثت مع أبي العاجز عن فعل شيء .. سنرحل يا سميح .. سأتكلم مع خالي بكر ليستأجر لنا بيتا قريبا من بيته .

– بيتي موجود

– فليبق بيتك مؤجرا .. أنا لديّ ثروة كبيرة يا سميح .. أنت قرة عيني وحياتي لنتمتع بها .. أنا عاجز عن شكرك واختيارك لي زوجة بعدما نسيت هذا الأمر .. سأشتري بيتا وأهديك إياه .. فأنت تستحق مني كل محبة وتقدير .. لقد جعلتني أن أعود أنثى كسائر النساء .. أنت حياتي كلها .

اعترض الرجل على كتابة البيت باسمه ، فأصرت قائلة : هو هدية مني .. وهذه الأموال أتريد أن اتركها لحسونة ليسكر بها ويحشش .. ولأبي الذي لم ينصفني منذ ماتت أمي.

– والدك مسكين كما ظهر لي

ـ والدي المسكين ليلة عرضت عليه أمر زواجي منك رفض وبشدة .. لا يريد لي الزواج والعيش كسائر النساء .. لولا امرأته أم شحام وقفت معي تلك الليلة لأصر على الرفض .. ولم يعبر وجود خالي بكر تلك الليلة.. أنا أعلم أنك إنسان طيب يا سميح ..لا تحب عداوة أحد ، ولا تحب التفكير العميق والأمور المعقدة .. وأنا مع احترامي الكامل لك خبرت الحياة والإدارة والشراء والبيع .. عليّ أن أتصرف بسرية تامة .. حبيبي لا تتكلم أمام أبي عن الرحيل .. وبعدما نرحل إلى بيتنا الجديد ، ونستقر فيه ، سننشر الخبر وسأحول هذه إلى شقة مفروشة للإيجار .. تذكرت الآن فأنا لي معرفة لمكتب عقارات لتأجير وبيع الشقق .

فقال الرجل مستسلما : أنا أقدر ذكاءك وقدراتك الإدارية والتجارية ، وأعلم طيبتك وإحسانك على الفقراء والضعفاء .. سامحيني يا أمونة من كثرة شكواي .. أنا من جيل والده .. فليس المزح جائزا في كل حين ومع كل أحد

قالت آسفة : لا تعتذر ، أخي سيء .. وأنا أتصدق عليه من الحين للآخر ، كما أتصدق على الغرباء .. فالصدقة على الأرحام لها أجران يا سميح .. وبعد رحيلنا سأكف عن الصدقة عليه

– أنا آسف يا حبيبتي .

– لا تأسف ، أنت من حقك أن تعيش كريما محفوظ القيمة .. إنه لا يعرف هذه المعاني .. وهذه القيم .. قبل أيام حبس ابنه في قضية اعتداء على قاصر .

– وا!!

– نعم ، وربما يعود للحياة مع أمه وأبيه هنا .. فقد ضاق أخواله وجدته به ذرعا من فساده وانحرافه .. أنا كنت أحب البقاء هنا ؛ لأن الشقة تعبت في تشييدها .. فهي حقي ومن أجل والدي الكبير .. وهو الذي يربطني بهذا الحي.. وإلا أنا أكثر وقتي في المدينة بين العاملات والشغل ما كنت أظن يا حبيبي أنني سأتزوج في يوم من الأيام .. إنما أعيش وأكل وأشرب ؛ لكنك جعلت للحياة عندي معنى رائعا لا يمكن نسيانه

– آه ! كم أتمنى أن يهبك الله ولدا تقر به عينك

– هذا أمره إلى الله .. أنت اليوم كل شيء لي في هذه الدنيا .. أنت أمي وأبي وابني وابنتي .. أنا أتابع العلاج ، وأعرف أن نتائجه ضعيفة ، ولست مهتمة به كثيرا .. سلمت أمري لله .. أنت كل شيء لي في هذه الدنيا .. من يسيء إليك يسيء إليّ .. لا أحتمل دموعك يا حبيبي أرجوك لا تبكي.

كان قد أخذ بالبكاء فقال : إنها دموع العرفان .. إني عاجز عن شكرك والثناء على عطفك

– لا أنسى أبدا أنك جعلتني امرأة حقيقية كسائر النساء .. العنوسة صورة من العذاب النفسي يا

سيدي الطيب .. هل تعلم أن صاحبتي أحلام وشريكتي قد تتزوج قريبا؟

- حقاً!

- نعم ، وجدت أو وجدها ابن الحلال .. رجل من أقاربها .. وكان ذلك عن طريق أقارب لها كان يفكر بالزواج على امرأته ، فذكروها له فترك الأمر لها فوافقت .. وكما أخبرتني منذ ساعات الأمور تجري على أحسن ما يرام .. والرجل لا يمانع من استمرارها في عملها في مشغلنا هذا من بركات الدعاء.

- نعم ، هذا شأن الله تعالى .. كل يوم هو في شأن

- أنت طيب للغاية يا سميح .. فعرضك عرضي يا سيدي .. وأنا أعرفك من عقد وأزود



خيار البناء يحتاج لوقت كما ظهر لأمونة ، وقت لشراء قطعة الأرض ، مخططات البناء ، البناء نفسه ، فرجحت أن تشتري بيتا جاهزا أو شقة في عمارة ، وعرض عليها المكتب العقاري شراء عمارة من طابقين بثمن زهيد ، فذهبت وسميح لمشاهدة ومعاينة البناية ، وعلمت أن سبب بيعها هجرة أصحابها إلى أمريكا الشمالية ، والعمارة قديمة بنيت في مطلع الأربعينات ، وهي من الحجر القديم البارز ؛ ولكنها في حي كان قديما مهوى الأغنياء وعلية القوم ، وذلك قبل ظهور الأحياء الراقية الجديدة والحديثة ، وكان يحيط بالمنزل حديقة ، وهي مهجورة منذ عهد ، تحتاج لبعض الصيانة ، ويوجد فيها أشجار زينة عالية كالصنوبر ، والكينيا ، والجوز البري ، ولما قابلت وكيل المالك وعدها بخصم مبلغ معين إذا تم البيع ، ووجدت أن بإمكانها تأجير الطابق الثاني بعد عمل مدخل جديد له ، ووعدها صاحب المكتب العقاري بالمساعدة على الفصل الكامل بين الطابقين وأي صيانة أخرى ، فقد أدخل المالك على البناء التدفئة المركزية قبل سفره بسنوات وابتاعتها بخمسة عشر ألف دينار شاملة تكاليف نقل الملكية ، وسجلت باسم سميح الذي عاود الرفض ؛ ولكنها أصرت على أن تكتب باسمه وحده قائلة : حتى لو طلقتني بعد كتابة البيت باسمك ورميتني في الشارع سيكتب باسمك .فبكى الرجل حتى بل لحيته ، واستعاذ بربه من فتنة الدنيا .

أشرف أحد مكاتب الصيانة والترميم على إعادة تأهيل الفيلا ، فهي مهجورة منذ ثلاث سنوات منذ رحل صاحبها ، وكان مصرا على بيعها ويرفض تأجيرها ، نظفت الحديقة من أوراق الشجر المتراكم خلال هذا السنين ، وأعيد تأهيل أسلاك التيار الكهربائي ، ومواسير المياه ، وأنابيب التدفئة

المركزية ، والمضخة وفرن التدفئة ، والمغاسل والحنفيات والحمامات وأعمال الطراشة والدهان وتنظيف الشبابيك والأبواب ، وظل فصل الطابق الأول عن الثاني وهذا سيشرف عليه ابن خالها بكر المهندس محمد .

ولما انتهت أعمال الصيانة وتأهيل الطابق الأرضي للحياة فيه ، قامت أمونة بتأثيثه بعفش جديد وكانت الأمور تجري بسرية تامة عن أبيها وأخوتها ، ولما جهزته دعت خالها لزيارتها ، فجاءها تصحبه زوجته وابنه المهندس محمد وأهله ، ووعدها الشاب بفصل الطابقين لتتمكن من تأجيره وباركوا لهم ، وتمنوا لها السعادة ، وأن المال قل أو كثر سيبقى في الدنيا ، ولن يصحب صاحبه إلى قبره .

واختفت أمونة من أبو خروف نهائيا ، فهي قد زعمت لهم ـ الفترة الماضية ـ أنها عادت تدير المشغل لزواج شريكتها ، وكان سميح يلحق بها إلى الفيلا الجديدة يتابعان الأعمال ، ويقدمان الطعام للعمال ، ولما لم تظهر أمونة ولا زوجها من بضعة أيام قالت أم شحام لزوجها: لي أيام لم أسمع حس أمونة ولا سميح .

قال الرجل: أمونة في بيتها لي أيام لم أقابلها ، سمعت أنها عادت لإدارة المشغل .. طرقت الباب عليهم أمس ولم يرد عليّ أحد .. ربما ذهبت عند ابنة زوجها سمعت والدها يقول : إن سعاد على وشك الولادة .. ولما لم يرد أحد والباب مغلق ، ردت عليّ امرأة حسونة قائلة: إنهم ذهبوا في رحلة خارج البلد .

– رحلة ! ذهبوا في رحلة ، فلهم ثلاثة أيام لم نحس بهم ، أرسلت ابن سالمة يطرق بابهم ـ كانت سالمة ترغب بالسلام على أختها ـ فعاد يقول : لا أحد يرد ، وكنت أريد بعض القهوة من عندها فأعطته امرأة حسونة

صاح محتجا : القهوة انتهت من عندنا .. أنت تسرفين بشرب القهوة .. رطل القهوة لا يكمل الشهر عندنا .

– أنت شريكي فيه .. البنات في الشهر حتى تطل إحداهن .. وشحام كل عشرة أيام يأتي ليسهر معنا ، ويشرب فنجان القهوة .. أنا وأنت

– أنا اشرب الصبح فقط ..وطول النهار إما عند سميح وأمونة أو في المقهى .

صاحت سليمة بانفعال : كذاب .. أنت تشرب هناك الماء والشاي واليانسون .. أين ذهب جيراننا ؟

– من آخر مرة اشتكت أمونة اللعين حسونة ، وقد تغيرت أخلاقها معي .. وبعدها بأيام عادت للشغل .. وسميح يجلس بعض الوقت في مقهى مهران .. ثم ينزل للمدينة تغير .. لم يعد يطيب له

الجلوس بعد الظهر في المقهى .. يجلس صباحا كما قال الحاج مهران ، ويصلي الظهر ، ثم يغادر إلى مركز البلد .. وأنا مكسوف منه حتى أني علمت أن حسونة استلف منه مائة دينار.. وله سنة لم يسددها .. لو يسد منها ولو شيئا يسيرا وأمونة صدقي أنني لا أدري .

جاء آخر الشهر ، ولم يظهر الزوجان ، رغم التحري والتعسس لم يصل رشيد لشيء ، جاء بكر لبيت رشيد فلم يجده في البيت ، فمشى إلى المقهى ، وهناك أعطاه الستين دينارا ، وأعلمه برحيل أمونة وزوجها من مضايقات حسونة وامرأته ، وأنها اشترت بيتا ، وأنها سوف تؤجر الشقة عن طريق مكتب عقاري . وقال: ولماذا رحلت ؟!

قص على مسامعه إساءات حسونة المتكررة لزوجها والاستهزاء به أمام الناس ، وفي المقهى والشارع ، ونصب عليه بمائة دينار ، ومشاكله المستمرة في بيته مع عائلته والكفر والسب لله .. أسباب تجمعت فكان الرحيل والبعد الحل الأمثل

– هذه أفعالك يا بكر

– أبدا يا سيد رشيد .. أمونة سيدة سوق ومديرة عمل نشط ، لا تحتاج لمشورة مني ، أم أنت لا تعترف بقدرات النساء لليوم .. صدق لما سكنت دعتني أنظر البيت ؛ لأن ابني المهندس محمد سوف يعمل لها شغلا ، فهي تعرف التعامل مع المكاتب العقارية .. هي ابنة المدينة والسوق .. ولما شكت لك حسونة آخر مرة قلت لها : ماذا افعل ؟.. فهي فعلت .. وأنا كل نهاية شهر سأمر عليك ، وأنقل لك المبلغ .

– أنت !! .. ذلتني ابنتي .. كان عليّ أن أرفض زواجها من هذا الزبال

– أنت الآن حسونة

– اغرب عن وجهي .. ولا أريد الستين دينارا التي جئت بها .. سأتبرأ منها.

ضحك بكر وقال : لماذا؟! ..حسنا سأترك المبلغ عند مهران صاحب المقهى

– لا ، لا أريد شيئا منها .

شقة أمونة

رجع رشيد للبيت ناقما غاضبا على ابنته وبعلها سميح وكل الناس ، حتى أن الحاج سلمان لما سمع صياحه في القهوة سعى لفهم الموضوع ، فقال له بحدة : أرجوك يا حاج سلمان أن تتركني وشأني . فتركه وشأنه ، وعاد حيث كان جالسا مع شلته التي تعرفنا عليها في أول حكايات أبو خروف وتبعه بكر ، وشرح له القصة .

فقال السيد: نعم ما فعلت ! كان ابنه حسونة سيئا معه ، جعله أضحوكة الناس ، يسخر منه في الشارع في المقهى ، وهو زوج أخته وصهره ، ورجل من جيل أبيه بينهما بضع سنين ، حتى أنني

نصحته فلم ينتصح .. والسيد سميح طيب وبشوش .

- أعرف كل ذلك يا حاج .

وغادر المقهى ، وكان رشيد قد سبقه بالخروج للبيت ساخطا ، ولما وصل قال بصوت عال هادرا : أرأيت الرجل الطيب والبنت ماذا فعلوا؟! اشترت بيتا ورحلت إليه سرا .. وبعثت المال مع اللص بكر

هزت المرأة البدينة رأسها وأطفأت السيجارة وسعلت وقالت: الراتب

- أرسلته مع بكر

- هذا المهم يا قليل الشغل .. ابنك حسونة السبب .. ولما تشكوه تقول لها ماذا أفعل؟ وأنا أقول ماذا ستفعل الآن؟! .. والشقة

رمى نفسه على كنبة صغيرة في مدخل البيت وقال: ستؤجرها شقة مفروشة

- بنت فهانة جدا .. سيسكن في عمارتنا جيران جدد .. أين تسكن ؟

- اشترت بيتا في أحد أحياء المدينة .. لم يقل بكر أين أو اسمه؟.. إنما كلفته بإيصال المال لي .. وسيفعل ذلك كل شهر .. فرفضت .. فقال اللص سيضعها عند مهران .

- معلم المقهى

- نعم

فصاحت فجأة : يا جماعة لماذا لا تتركون البنت تعيش حياتها ؟! فهي طول عمرها وحيدة ابنك حسونة سيء .. قلت له مرة صدفته وأنا أقف على باب الدار : عيب يا حسونة أن تستهزئ من زوج أختك الشريف السمح .. فقال بعجرفة : يا امرأة أبي لا شأن لك بي ، وأنا أحب أن أمزح معه ، أنا لا أدري كيف قبلته أمونة ؟ هذا رجل كالنساء.. لأنه شريف يصلي ولا يسكر مثله .. هذا كلام ابنك الساقط في نسيبه .

وبينما هي قد أنهت كلامها طرق الباب ، فقام رشيد لفتحه فكان حسونة ، فقال بغضب خفيف: ادخل يا لعين .. ها أنت هججت أختك وزوجها .. هربت من أفعالك الدنية!

- اخبروني بذلك في المقهى .. مررت أستريح دقائق .. إلى أين هربت الملعونة ؟

- اشترت بيتا ، ورحلت إليه .. ولم يقل لي خالك اللص أين هو ؟

- سأعرفه !

فقالت أم شحام متهكمة: وإذا عرفته ماذا ستفعل ؟.. وهي هنا .. لم تكن تسمح لك بدخول شقتها .. وأكيد أنها ستقف عن دفع المعونة لك .

حرك رأسه بكره وقال : هذا ما كان يخطط له القط المسكين سميح عبد السميع القط الغادر.

أعجب الشيخ بهذا الوصف والقذف .. وامرأة

أبيه تضحك من حنقه وتسخر ، فقالت : فعلت عين الصواب .. الباب الذي يأتي منه الريح سده واستريح .

- أي ريح ؟ أخشى أن تكوني أنت التي شجعتيها على الهرب والرحيل ؛ لتأجري الشقة لك ، ولهذا الرجل . وأشار بإصبعه لأبيه

قهقهت لتغيظه : أختك ذكية وابنة سوق .. واعلم أنها تعرض شقتها ؛ لتؤجر شقة مفروشة .

صاح هائجا: تحلم ! لن أسمح لأحد غريب بالحياة معنا ..سأزوج فيها حلميا

وفيما حسونة ينهي كلامه الغاضب ، طرق الباب ودفع فدخل شحام تتبعه زوجته ، فألقى السلام وقال: ماذا هنا؟! إنكم مجتمعون.

قصت الأم القصة عليه قبل أن يجلس ، فالتفت لحسونة قائلا: سأعود للحياة هنا .. أنا متزوج وأدفع إيجارا .. أين أمونة الآن؟

- خالها بكر يعرف ذلك

- سأزوره ، وأتحدث معه وأنا منصرف عنكم .. سأمر عليه ـ إن شاء الله ـ .. آ .. ماذا قلت يا حسونة؟

قال بصوت عادي : أمونة يا شحام أختي الشقيقة - وأنا أخوها .. أبوها أبي.. فليبق ابنك الفاجر عند أخواله أحسن لك أم اشتقت لضربه لك دون حياء وخجل وتهديدك بالقتل .

غادر حسونة البيت فورا لبيته فوجد زوجته تدخل فقال: أين؟

قالت: نزلت أرى ما الذي يجري في الدنيا ؟ .. كنت افتح شباك غرفة النوم ، فسمعت صوتك يلعلع تحت .

صاح فيها : هيا نخرج شحام سوف يستولي على بيت أمونة بعد أن ثبت رحيل أمونة ، ولم تكن في رحلة عسل ولا بصل ولا علاج .

فقالت وهي تتطلع في حماها: ماذا ستفعل معها يا عم رشيد ؟

ضحك رشيد وقال مجيبا: أفعل معها ! ماذا سأفعل معها ؟! هي حرة يا بنتي .. وشحام سيستولي على الدار أحسن من الغريب

فقالت أم شحام: أخشى إن استولينا على الدار أن تقف عن دفع الستين

قال شحام: أنا أدفع ما فيه النصيب .. أنا زهقت من الإيجارات

ابتسمت أمه وقالت : لك سنة ونصف يا ولدي تدفع إيجارات

- الإيجار حتى لو كان بسيطا ؛ فإنه يكسر الظهر يا أم شحام

تابع حسونة صعوده إلى شقته ، وقالت زوجته لهم: مع ألف قلعة .. إن شاء الله لن ترجع البيت

فردت عليها أم شحام: انصرفي يا بنت الشيطان

أمونة أحسن منك ألف مرة .

- لأنها تدفع لكم ثمن الشاي والقهوة والسكر والدخان .. أنت تحششين وزوجك يحشش

فقال شحام بصوت عال: ولماذا الغلط يا بنت الناس ؟! الزمي حدودك ، والحقي بزوجك اللعين فأخذت تشتمه مما دفعه لأن يغضب ويصفعها كفا على وجهها طرحها أرضا تصيح وتولول ، فرجع حسونة يحمل سكينا ويقول : مجرم .. تضرب امرأة

فقال شحام غضبا: امرأة غير مربية .. لا تحترم عما ولا زوجا ولا امرأة .. وهذه المرة الثانية أراك تحمل سكينة عليّ

- سأقتلك بها

- أنت جبان !

اقترب شحام المنفعل منه وقبل أن يطعن بها قبض شحام على يده وضغط عليها بقوة ، فوقعت السكين على الأرض مع صرخة حادة من حسونة ، وضربه عدة ضربات ولكمات ، وهو يصرخ فيه هائجا ، والنساء تصرخ أيضاً وقال: مع أنك أخي الكبير لو مرة أخرى رفعت عليّ سكينا أو غلطت أنت وامرأتك العاهرة عليّ ، أو على أمي سأمسحكم من الوجود . ورفسه بقدمه

فقال حسونة: سيموت أحدنا .. أرأيت تطاول ابنك على أخيه الكبير؟

فقال رشيد : أنت غلطان يا حسونة تحمل سكينا على أخيك

- العجوز يصطف مع ابنه الصغير ..سأرحل عن الحي أنا أيضاً

فصاح والده غضبا: مع ألف قلعة .. ذرية فاسدة وشريرة .

صعد حسونة وزوجه إلى الشقة بواسطة المارة الذين اجتمعوا وفزعوا على صوت النساء ، وأغلق رشيد الباب على أسرته ، وقال لشحام : أنت غلطت بحق أخيك أيضاً .. هل أحد يهين أخاه الكبير أمام امرأته ؟ .. أنتم أخوة

قال شحام رادا وبصوت مرتفع : اسمع يا أبي إذا أنت تتحمل إهانات ؛ فأنا لا أتحملها .. ولو منك .. أرجوك أن تكف عن اللوم .. فحسونة أنا من دهر كنت أنوي تربيته من جديد .. لا احترام عنده لأمي المسكينة .. وزوجته أنت أعرف الناس بوقاحتها وفسادها

- يا الهي! ماذا أفعل لكم ؟! أمونة وراء كل المشاكل .. أهلكها الله

قالت زوجه : ابنتك مظلومة .. لا دخل لها في مشاكلنا .. طول عمرها وهي في حالها وبالها .. تخرج للعمل من الصباح حتى الليل .. وأيام العطل تمضيها عند صاحباتها أو عند أخوالها وخالتها أو في بيتها مغلقة الباب على نفسها .. لا

أذكر مرة أننا دعوناها للعشاء معنا أو الغداء كنا نتجاهل مثل هذا الأمر .. فلماذا اليوم تهتم بها وتتدخل في حياتها ؟!.. دعوها يا عالم تعيش وتفرح وتحس أنها أنثى مثل سائر البشر

لما شرب شايه غادر شحام وزوجه وابنه الصغير البيت ، تاركا والده يبكي ويولول وينتف ما تبقى من شعر رأسه ، فركب سيارته منطلقا إلى بيت خال أمونة السيد بكر ، فاستقبله الرجل مرحباً بهم ، ولما فهم الموضوع قال : حسنا .

اتصل بابنة أخته المتوفاة بواسطة الهاتف ، وحدثها عن رغبة شحام بالعيش في شقتها في أبو خروف ، ولا داعي لإدخال غريب آخر في العمارة ، وأخذ التلفون من بكر ، وبارك لها بيتها الجديد ، وذكر لها رغبته بالعودة للحياة مع الأسرة وبقربهم ، وأن بإمكانه الحياة في شقة أمه وأبيه كما كان في أول زواجه ، وبما أن شقتها ستفرغ فالأفضل أن يعيش فيها كمستأجر ، وذكر لها رغبة حسونة بتزويج ابنه الفاسد فيها ، وأنه سيحولها لبيت دعارة ، وبعد أخد ورد قبلت له العيش فيها على أن تبيع عفشها كله ، كغرفة النوم وغرفة الجلوس ، ويتنقل بعضه إلى بيتها الجديد ، وتتخلص من الثلاجة المبرد والغسالة .

فقال : قال انقلي ما تشائين .. لديّ عفشي .. وحدثها عن زعل أبيه عليها ومنها .

فقالت له مهونة من الأمر: لا تهتم .. أبي لو كان يزعل بحق .. لتحدث مع ابنه الحشاش بقوة ؛ بل ظل صامتا يقول : ماذا أفعل؟ ماذا أفعل ؟ يستطيع أن يفعل الكثير .. أنت أولى بالسكن فيها من ابنه الضال .. فهو محبوس كما أعلم على قضية اعتداء على قاصر ، وطلبت الحديث مع خالها وشرحت له الموقف ، وأنها ستمر عليه لتعطيه المفاتيح ، وطلبت منه أن يبيع الأثاث أو حتى يتصدق به على من يستحق من الفقراء .

وحصل الرجل على شقة أمونة ، وقبل أن ينصرف بعد قضاء حاجته ، على أمل العودة لأخذ المفاتيح ، فقال له بكر :لا داعي لمجيئك ، عندما أنقل أثاث البنت .. سأترك المفاتيح عند أمك أو أبيك.. فهي تريد بعضه ..وستبيع البعض الآخر .. بس عليك أن تحافظ على الشقة .. وتذكر أنها لأختك .

– أفهم ذلك ، ربما لا أرتاح للحياة معهم ، سأعود للرحيل يا خال .. بارك الله فيك

ولما ابتعدوا عن البيت قالت زوجته: لماذا تريد العودة للحياة بجوارهم بجوار حسونة؟! وأنت تعرف شر حسونة ، وفضلت ترك بيت والديك عند زواجنا هربا من حسونة وابنه وزوجه

ـ إذا لم أسكن أنا فيها ـ يا ست الحسن ـ سيستولي عليها حسونة ، ويعطيها لابنه الفاسد .. وستصبح دار دعارة وفجور كما فعل بدار جدته .. ابنه لن

يتزوج ، ولن يتحمل مسؤولية .. تعود على الفساد .. ليس فقط السكر والعربدة .. فهو يمارس الفجور والزنا مع بغايا البلد وبنات الهوى .. وهذا ليس جديدا ..أبو خروف كغيره من الأحياء لا يخلو من الفسق .. والإنسان إذا فجر مرة واحدة استهواه الأمر وكرره حتى يفتضح .. فهل يعقل أن نسمح لبيت أبي الغلبان وبيت أمونة العفيفة أن يكون بيت فسق وهوى ؟.. أمه فاسدة ، وهي في نظري سبب فساده وحقده على الناس ، لم تكن شريفة عفيفة .. أمه لا تهتم ولا تكترث .. لقد وقع منها ذلك بعد زواجها ، لم تستمر في هذا الضياع خاصة في البيت .. خاصة لما اعترض أبي أحد الرجال داخلا إليها .. وزعمت يومها أنه قريب .. وكاد حسونة يطلقها .. لولا تدخل أهلها وهم أصدقاؤه قبل الزواج وبعده ..لم تعد تستقبل أحدا في بيتها إلا إذا وجد حسونة فيه .. أما في الخارج .. الله اعلم .. فحسونة كما ذكرت لك سابقا تزوجها عن حب وغرام .. كان يتردد على بيت أهلها مع أحد أخوتها ، فهويها وصار بينهم ما صار .. وشقيقها حشاش مثله ، ويعمل معه في شركة الحفريات .. ولما عرف أبي القصة زوجه إياها على مضض .. فهي جاءت من بيتها فاسدة .. ونشأ ابنها على فسادهما وعلى شاكلتها .. حلمي يزعم بفجوره أنه ينتقم لشرف أمه المهدور .. هكذا قال لي مرة وأنا أنبهه وأنصحه ؛ فإذا عاش هنا في شقة وحده فماذا ستكون العمارة ؟ ستكون مقرا لبنات الليل والهوى كما يفعل في غرفة جدته أم أمه .. ونحن في زمن فساد وإباحية لا مثيل لها في التاريخ .. خاصة المدن الكبيرة وحتى الصغيرة .. دعاة الانحلال والشهوات يكثرون بالمجلات والأفلام المهربة كما يزعمون ؛ فلذلك تكثر بائعات اللذة .. ينتشرن في الأحياء والشوارع

– وأهل الخير يزيدون .

قال باسما : لا أنكر ذلك ؛ لكن أرى أن الفساد يبرز أكثر ويكبر وينتشر بسرعة .. انظري إلى بنات اليوم يلبسن البنطال .. ويلاحقن الموضة يلبسن التنورة القصيرة فوق الركبة والشعر المكشوف والتبرج والسفور يملأ الشوارع .. فقد كثرت صالونات التجميل ، وكثر الإقبال عليها ، وتوسعت محلات بيع الملابس والموديلات الغربية .. فبنات المدارس لم يعدن يغطين رؤوسهنّ إلا من رحم ربي .. فالمشهد لا يبشر بخير .. لم يعد الناس يكترثون لمشي بناتهم متبرجات بالبنطالونات في الشوارع .. أذكر وأنا طفل أن هذا كان نادرا أو كان في بدايته وفي بعض الأحياء الراقية .. كشف الشعر اليوم أمر منتشر ولا أحد ينكره ، لا يغطين رؤوسهنّ .. اليوم البنات يدخلنّ السينما والمسرح ، ويتمشين في الشوارع وفي الليل

.. كنا نستهجن ذلك قبل سنوات .. تغير الناس .. تغيرنا .. قلّت الغيرة فينا أو اندمجنا في حضارة الغرب

تأجير شقة

باع السيد بكر غرفة نوم أمونة التي تركتها في أبو خروف ، وأهدى الثلاجة ، والغسالة ، والفرن { فرن الغاز } لبعض المحتاجين ، وترك الستائر لشحام وبعض أدوات الطهي والمطبخ ، وأخذت أمونة التحف والأواني ، والكثير من الكاسات ، والصحون الجميلة ، وسلم بكر المفاتيح لأم شحام ، وانتقل الشاب بأسرته وأطفاله الثلاثة للحياة في شقة أمونة ، وهذا الأمر غاظ حسونة وزوجته غيظا شديدا ، فكانا يتحاشيان اللقاء بهما ، أو حتى رد التحية عليهما ، حتى منزل الوالد منذ تلك الليلة التي تعرض فيها للضرب من شحام لم يدخله ، وإنما يحييه بالإشارة ، وانتقل الجفاء إلى المقهى ؛ فإذا علم حسونة أن شحاما في المقهى أو دخله بعده ، انسحب وغادر المكان إما إلى البيت، وإما إلى مقاهي مركز المدينة بيت السلام ، وكان يفكر في معرفة عنوان أمونة ليذهب إليها يطلب منها العودة للشقة أو طرد شحام منها ، وكان يضيق بصوت الأطفال الذين يلعبون أو يتحدثون أمام باب شقتهم وشقته حيث بسطة الدرج ، فيخرج صائحا في وجوههم : ادخلوا خربتكم يا ملاعين .. أزعجتمونا بصراخكم .. أريد أن أستريح من التعب .. اذهبوا للشارع .. لعنة الله عليكم وعلى أهليكم

كانوا ينظرون إليه باسمين أو ضاحكين ، ولا يكترثون لصياحه ، فهم يعرفون سبب هذا الحمق والغضب والقهر ، وبعد أن يتعب من السب واللعن يغلق الباب على نفسه وهو يقول لزوجته: أولاد غير مربيين ، وقد يعود للصياح فيهم ثانية زاعما أنه يزعجونه ، وهم بدورهم ينزلون لبيت جدتهم يشكون لها سلاطة لسان عمهم حسونة ، فتقول : لا تهتموا بصياحه وثورته ؛ إنه مقهور طمع في أخذ الشقة ليزوج ابنه الذي لا يريد أن يتزوج .. خذوا راحتكم ولا تسألوا فيه .. فهو ملعون

حسونة من تلك الليلة التي تعرض فيها للضرب من أخيه شحام لم ينزل لبيت والده ، ووالده رشيد كذلك لم يصعد لشقته ، ولا لشقة شحام بعد رحيله لشقة أمونة ، وكان يتحاشى الحديث معه مظهرا أنه وقف مع ابنه الأصغر وتحيز له ضده ، واضطر حسونة لإخلاء المقهى عندما يتواجد فيه شحام .. عادة المقهى مكان سماع الأخبار والشائعات وأحوال الناس وقضاياهم .

رفض خاله بكر إعطاءه عنوان سكن أمونة قائلا : أختك تريد الحياة الهادئة ، وأن تعيش بعيدة عنكم

، وعن مشاكلكم الردية .. وأنت بالذات أبعد عنها ؛ لأنك سبب رحيلها .. جعلت من زوجها المحترم أضحوكة لأهل الحي ، بدل أن تفتخر بأنه ستر على أختك بعد سنين وسنين .. جعلته مسخرة للناس والشارع

- كنت أمزح

- المزح له حدود .. مرة .. مرتان ..كيف حال الزبال أو حضرة الزبال سميح أو الزبال أبي الصحفية ؟ أهذا مزح ؟ وأمام السامعين والناظرين .. ها هو أمير الزبالين ما آخر أخبار الزبالة أهذا كله مزح ؟ مع زوج أختك المسكينة التي ما صدقت أن ذكّرها رجل بأنها أنثى مثل سائر النساء .. هناك كمية من الزبالة .. إعلان عن طلب زبال .. أهذا كلام يا ابن بني آدم ؟! هذه أخلاق دنيئة يا ابن أختي ..كله علمته من شيوخ المقهى .. هذا لو كان لديه عزوة أو شباب لمسحوا فيك الأرض ؛ لكنه رجل غلبان محترم ابن ناس .. والرجل أقرضك مائة دينار ، ولم تسده منها شيئا .. ولليوم لم تدفعها له ولو بالتقسيط .

- هو أهداني إياها .. لقد نقطه أصحاب الشارع ألف دينار بمناسبة زواجه .. فأعطى أبي منها وأعطاني

- أعطى أباك خمسين وأنت مائة كيف هذا ؟ يعطى الابن أكثر من الأب

- هذا ما حدث

- أنت استلفتها .. طمعت فيه .. تعهدت له بالسداد ..لو أعطاك إياها هبة ما طالبك بها ، ولا عرف بها الخلق .. أين تنفق راتبك ؟! أما زلت تتعاطى الحشيش يا حسونة ؟ ألم تذكر لي أنك تبت منها ؟.. إنك تعمل على جرافة وتكسب الكثير

- لا كثير ، ولا شيء يا خال .. إني أدخن وأشرب كثيرا من القهوة ، وامرأتي مثلي

- حتى لو دخنت علبتين في اليوم يبقى لديك الكثير

- لا تنسى المشروبات الروحية التي تعلقت بها للأسف .. الوالد رشيد لم يكن ينبهني على خطر هذه الخمور والسجائر ..والمرأة تشرب مثلي

- هذه مشروبات شيطانية تهلك البدن ، لا علاقة لها بالروح .. يا خال .. الله وهبك العقل فضيعته بشرب المسكر والمنكر .. يخطئ الإنسان ؛ لكن مع الوقت يعرف خطأه ويتراجع .. لا يستمر ويصر .. جربت الحشيشة ، لماذا تصبح مدمنا عليها ؟ أنت والد لا تتحجج بأبيك وموت أمك .. رأينا من انحرف ثم عاد وتاب .. رشيد لم يعطك مالا للسكر وتخمر .. أبوك طول عمره معتمدا على أموال أمونة لينفق على بناته وابنه شحام .. فقد ترك الشغل على سيارة الشركة بعد زواج ابنته الكبرى ، واعتمد على أمونة .. وأنت عملت في

الشركة على سمعة أبيك وابنك يعمل على سمعة جدك الذي عمل معهم عشرين سنة .. وأعطي مكافأة ومع السلامة .. وهو منذ إنهاء خدمته وهو يعتمد على أمونة الطيبة .. تب إلى الله .. ورويدا رويدا تتخلص من شرب المشروب اللعين وحتى من الدخان والعادات السيئة .

ـ المشروب لا أستطيع تركه .. الحشيش الخلاص منه سهل ، لست مدمنا عليه كما يشاع ، أتعاطاه في المناسبات وفي فترات متباعدة .. أما الخمر

اللعينة فأنا مدمن عليها إلى حد كبير ، كل يوم أشرب منها ، وأجلبها للبيت ؛ لأن المرأة تشرب أيضاً .. تعودنا .. وها هو الولد ورثها عنا ، وزاد عليها الزنا

ضحك بكر للحظات وقال : ولدك مأساة !.. يعتدي على فتيات صغيرات .. هذه الأشياء لا تورث .. التربية سيئة فحسب .. أيشربها والدك ؟

– الآن لا ، ربما شربها أيام العمل في الشركة .. الأغلب يتعاطاها خاصة السواقون .. أبي اليوم يذهب إلى الجامع .

هز بكر رأسه وقال : أبوك كان يشربها فقط في المناسبات خاصة الأعراس .. كان بعضهم يقدمها للأصدقاء المقربين من العريس ليلة الدخلة .. وينسبون لها بطولات وهمية حول المعاشرة الجنسية .. يضيعون العقل ، والجنس يحتاج لعقل ووعي ، وبعد موت أمك تاب منها نهائيا .. وأنت تب قبل فوات الوقت .. تب إلى الله .. فسمعة ابنك اليوم في الحضيض .. يجالس بنات الهوى

ـ ملعون ومجرم

– قل هداه الله أحسن

كان ابن خال أمونة المهندس محمد يزورها ، وبرفقته طبيب شاب ، فاستقبلهم سميح أمام بوابة العمارة أو قل الطابق الخاص به ، فقد فصل محمد الطابقين عن بعضهما ، فبعد السلام والمصافحة

قال محمد: هذا أحمد زميلي طبيب في مستشفى ، يريد أن يرى الشقة كما أخبرتكم على الهاتف

قال سميح: أهلا وسهلا تفضلوا نشرب الشاي أولا

– لا داعي للشاي فزوجته معه

قالت أمونة التي تقف بجانب زوجها : وهي أيضاً اهلا بها .. نتعرف على بعض

قال أحمد باسما : هي تعرفك .. قد خاطت عندك عددا من الثياب قبل أن نتزوج من عهد قريب

انطلقت أمونة نحو السيارة حيث كانت تجلس زوجة الدكتور ، وهي تتابعهم بعينيها ، فلما رأتها الفتاة قادمة إليها فارقت الكرسي ، ونزلت تسلم على أمونة، ولما صافحتها قالت : أهلا مدام أمونة أشهر خياطة في شارع الخياطين .. أنا أعرفك هل تذكرتيني؟

- يا سلام! نعم ، إني أذكرك ، كنت تأتين مع أمك السيدة لطيفة نونات

ابتسمت المرأة وقالت: أجل أنا سهام محسن وأمي لطيفة نونات

- تفضلي أهلا وسهلا .. نشرب الشاي أو القهوة .. لقد تزوجت آخر الزمن ـ وأشارت لسميح ـ وهذا زوجي .. والله أكرمنا بشراء هذا البيت الرائع .. ويسرني مجاورتك

- أتركت المشغل ؟

- مازال المشغل مفتوحا ، أديره عن بعد

ومشيتا نحو الرجال ، ثم دخلوا البيت .. وأمونة وزوجها يرحبون بهم ، ولما جلس الضيوف

قالت أمونة : المهندس محمد ابن خالي .. وأنت تزوجت منذ عهد قريب

- من شهور يا مدام أمونة .. كنت في مراجعة في المستشفى .. والتقيت بالدكتور أحمد ثم حصل النصيب

قامت أمونة وأعدت لهم الشاي ، ولما جاءت به ، قالت باسمة: لولا أننا فقط اثنان لاستأجرت خادمة .. البيت واسع .. أهلا وسهلا .

وسكبت لهم أكواب الشاي حسب أذواقهم .. سكر كثير وسكر قليل ، وبعد حديث ترحيب وذكريات ، قال أحمد: أنا عرفت محمدا المهندس من أيام الجامعة أثناء الجمعيات المشتركة للطلاب ، وامتدت الصداقة إلى ما بعد الجامعة ، ثم تعرفت على زوجتي من خلال العمل ، والآن أنا أسكن مع والدي ، وكنت أبحث عن شقة لترك منزل أبي لغيري من الأخوة .. وزوجتي موظفة في وزارة الخارجية ، لقد تخرجت من كلية العلوم السياسية .. فوالدها متقاعد من السلك الدبلوماسي

قال سميح: شرفتم بيتنا ، وحياكم الله

قالت سهام: بارك الله لك في بيتك وزوجتك الكريمة .. وأنا وأمي كنا نتردد على متجر أمونة قبل دخولي الجامعة ، وأحيانا أثناء الجامعة .. فالسيدة معروفة على مستوى المدينة كلها حسب علمي ومهارتها في التفصيل والتطريز معروفة

قال أحمد وقد عاد الحديث إليه : صاحبي المهندس محمد علم برغبتي بترك بيت أبي لإفساح المجال لأخ آخر بالزواج فذكركم لنا

قال سميح : تسرنا صحبتكم وجيرتكم إذا قدر الله ذلك

فقال المهندس وهو ينهض : هيا ننظر الشقة

تحرك الجميع خلف المهندس ، وخرجوا للشارع العام ، ثم دخلوا من بوابة الشقة الثانية ، وصعدوا درجا إلى بابها الرئيسي، وشرح لهم المهندس محمد التغيرات التي حدثت لفصل الطابق الثاني عن الأول ، فتح سميح باب الشقة ، وبدأ التجوال في

غرفها ومطبخها وحماماتها ، كانت واسعة ، ولكنها بناء قديم ، وبين لهم المهندس أن صاحبها المهاجر كان يتابع التحديث في العمران فبدل أنابيب التيار الكهربائي بشبكة حديثة ، وكذلك مواسير المياه ، وبدلت شبابيك الحديد بنوافذ الألمنيوم ، وأدخلت عليها التدفئة المركزية

قالت سهام : رائع وجود التدفئة يا أحمد خاصة شهر يناير وفبراير !

قال المهندس: صاحبها كان يتابع الحداثة الإنشائية ؛ ولكنه هاجر إلى أمريكا ، وعرضها للبيع حتى جاءت من نصيب سميح وأمونة

وتابعوا تجوالهم ، قالت سهام : واسعة يا أحمد تحتاج لعفش كثير .. والحي راق .. وكان له عز قبل عقد من الزمن

قال أحمد: رغم ظهور أحياء راقية جديدة .. ما زال هذا الحي يحتفظ برونقه ومجده

قال المهندس: صدقت.

ولما غادروا الشقة قال أحمد : كم سيكون إيجار هذا القصر الصغير يا ترى؟

قالت أمونة: بما أن السيدة كانت زبونة قديمة ومعرفة كما يقال يكفي أربعون دينارا يا مهندس محمد .. نحن كنا كلفنا المهندس لتأجيرها بخمسين

قال أحمد بدهشة : مبلغ زهيد بحجمها يا سيدة أمونة!.. سنفكر بالأمر .. لا يعيب هذا البيت بالنسبة لنا إلا كبره وسعته .. يا مهندس محمد البيت يحتاج إلى أثاث كثير لملء حجراته .. أمهلونا مهلة قصيرة للتفكير

عصر اليوم التالي أقبلت سهام وشقيقتها رهام لمشاهدة الشقة مرة أخرى ، وشرحت سهام لأمونة قائلة : بعد مغادرتنا أمس تشاورت وأحمد حول سعة الشقة ، والحاجة لأثاث يملأها ، ونحن زوجان وحيدان دون أطفال بعد يا سيدة أمونة .. فاتصلت بشقيقتي رهام وهي مثلي تعمل سكرتيرة في وزارة الخارجية ، وزوجها ضابط أمن ولديهم عدد من الأولاد ، فاقترحت عليها أن ترحل إليها .. وأنا أستأجر مكانها .. فشقتها أصغر لزوجين فقط

فتبسمت أمونة قائلة : أهلا وسهلا .. كلتاكما واحد .

ولما شربن العصير أخذتهنّ أمونة للشقة من جديد ، وبعد معاينتها وإغلاقها ، وقفن أمام بوابتها الخارجية على رصيف الشارع ، قالت السيدة رهام: فعلا واسعة .. فيها زيادة غرفة عن شقتنا التي نعيش فيها، ومطبخها واسع وجديد

قالت أمونة: نعم ، لم يكن فيها مطبخ ، ولما فصلت عن الطابق الأرضي حولت حجرة لمطبخ على ذوق المهندس محمد .

ـ وزوجي كما تعلمين يا سهام يبحث عن شقة أوسع من التي نعيش فيها وهو لا يرغب بالاستقرار هنا بعد تقاعده القريب .. وهو يرغب بإنشاء وبناء بيت في قريته بعد إنهاء الخدمة وأقول أجرتها رخيصة .. نحن ندفع ستين كل شهر

امونة : نحن يسرنا التعرف عليكم . وذكرت طرفا من قصة حياتها

ـ أنا حدثتني سهام عنك ؛ كأن ابن خالك ذكر لأحمد بعضا من ظروفك .. وأنا سعيدة بالتعرف على أناس طيبين مثلك .. وأمي تذكرتك ، ولولا الأسقام والكبر الذي ألم بها لاستمرت بالتفصيل عندك .. واليوم الملابس الجاهزة بدأت تكثر

قالت أمونة : الوالدة أنا أعرفها حق المعرفة ، وكانت سخية معي في الفلوس .. ربما أقوم بزيارة لها .. وشرف لنا مجاورتك يا أم علي

– لا يوجد تلفون في الشقة

– هذه الشقة ـ وأشارت بيده نحو بيتها ـ كانت جزء من السفلى ، فالتلفون بقي فيها

– تركيب التلفون بالنسبة لنا مهمة سهلة لطبيعة عملنا الحساس ، ولرتبة زوجي الشرطية .. من حيث المبدأ يا سهام مقبولة ..خاصة أنها في هذا الحي الجميل الوديع ، حتى أن الوالد استغرب من رخص الإيجار في مثل هذا الحي

– نحن وهبنا الله هذا البيت بمبلغ بسيط .. مع الصيانة والفصل دفعت عشرين ألف

– طرح الله فيه البركة ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله

– شكرًا

– الكلام الفصل يا أخت أمونة عندما يراها نيازي زوجي

قالت سهام: أنا كنت أعلم رغبة أختي بشقة واسعة ؛ لذلك آثرتها على نفسي ؛ فإذا لم يقبل نيازي الحياة فيها يا سيدة أمونة ، ستكون من نصيبي .. وأنت إنسانة طيبة وقنوعة

قالت : مرحباً بكن ..وما دام ابن خالي المهندس محمد صديق الدكتور أحمد فنحن أصدقاء وأهل حتى لو لم تستأجروا البيت .. فأنا قضيت عمري بدون زواج .. نسيت أني امرأة حتى طلبني هذا الرجل بعد ترمله ، وليس عنده إلا ابنة واحدة تعمل في الصحافة ومتزوجة .. ولي شقة عند أبي عشت فيها ما يقارب السنة كزوجة .. وكانت مشاكل يثيرها شقيقي لزوجي .. فقررنا الرحيل والابتعاد .. واشترينا هذه الدار عن طريق المكتب العقاري .. وتبين أن صاحبه هاجر إلى أمريكا ويريد التخلص منه .. فكان من نصيبنا . . وثمنه بسيط في نظري وللمكان أيضاً .. وفصل المهندس محمد الطابقين عن بعضهما .. فلسنا بحاجة للطابق الثاني

قالت سهام: أيام معدودة ونحسم الأمر يا مدام

أمونة .. اسمك اسم جميل !
قالت رهام باسمة : مأخوذ من الأمن والله أعلم .. أتركت العمل بعد الزواج؟
قالت أمونة وهن يمشين إلى سيارة رهام : لي شريكة في العمل ، وهي تدير المصلحة ، وأنا تفرغت لزوجي ، وما زلت أتابع العمل والإدارة عن بعد وعلى التلفون .. وأنا لي معارف في وزارة الخارجية .. لقد كنا نعمل لهم أعلاما ورايات للاحتفالات والمراسم .. أعلام الدول الزائرة .
وذكرت أسماء تعاملت معها
فقالت رهام: نعم ، أبو سعد تقاعد من الوزارة .. كان له علاقة في الاستقبال والزينة والتعاون مع البلديات في ذلك .. وأبو ناصف توفاه الله .
- كنا نخيط تلك الرايات أو نشارك في خياطتها ، أو توفير القماش لها
قالت رهام وهي تفتح باب السيارة لتجلس عند مقعد القيادة: تشرفنا بالتعرف عليك يا مدام أمونة .. ويسرني هذا التعرف .. أنا لو أتحدث مع قسم المراسم والزينة لوجدتهم يعرفونك حق المعرفة .. وعادة هذه تتم بالتنسيق بين الوزارة والبلديات .
وصافحت يد أمونة الصغيرة ، ثم تصافحت مع سهام التي استدارت لتركب بجوار رهام قائلة: شكرًا يا أخت أمونة .. نلتقي قريبا سلمي على الأخ سميح أبي سعاد زوجك المحترم

وركبت وانطلقت السيارة تتابعها أمونة بنظرها حتى اختفت عن عينيها ، فتنهدت بعمق وقالت متمنية: آه! لو سميح يحسن القيادة لاشتريت لنا سيارة مثل هذه صغيرة وجميلة
وتنهدت ثانية وقالت: ولكن أين سنذهب بالسيارة ؟! فمعارفنا قلة .. معارف الزيارات ، وليس معارف العمل . واستدارت جهة بوابة شقتها لتر سميحا يقف أمام البيت باسما ، فلما اقتربت منه قال : سيارة جميلة مثل اللعبة!
ضحكت له وقالت: ما رأيك أن تتعلم السواقة ؟
- وهل أستطيع ذلك بعد هذا العمر؟
- جرب .. نشتري سيارة نتجول بها في شوارع العاصمة
- شيء مضحك ! هل يمكن أن أسوق سيارة بعدما كنت أسوق عربة البلدية؟!
- أنا قلت حاول جرب ، لن نخسر شيئا
- لماذا لا تجربي أنت ؟..ها هن نساء يسقن السيارة
- إنها سكرتيرة في وزارة الخارجية مثل أختها .وذكرت قصة زيارتها
قال : هي فعلا كبيرة وواسعة على نفرين .. نحن نعيش في محيط .. فلدينا ثلاث غرف معطلة
- هل تسرعنا في شرائه ؟!
- لا ، لم نتسرع هي فرصة كما يقال .. والمبلغ زهيد في بيت من طابقين ، وفي هذا الحي القديم ، حي

الأغنياء ورجال الأعمال ، ربما لم يبع خلال هذه السنوات الثلاث ؛ لأن الأغنياء يتطلعون إلى الأحياء الحديثة والبناء الحديث .. وأهل الأحياء الشعبية يألفون أحيائهم ، ولا يحبون هجرها كما في حي أبو خروف وغيره

ولما جلسا في غرفة المعيشة قالت: فكر يا سميح بجد في تعلم قيادة السيارات .. علينا أن نتمتع بدنيانا وبمتع الدنيا

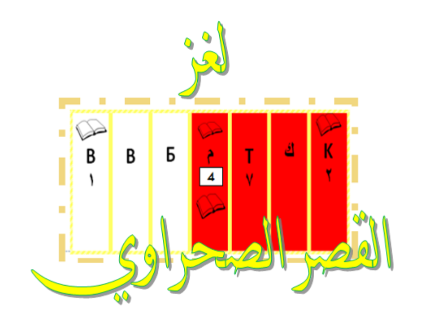
- صدقي سأفعل .. لي ابن عم يعمل في تدريب السواقين على قيادة المركبات .. سأتحدث معه وآخذ رأيه ؛ فإذا شجعني سأتعلم من أجل سعادتنا

- آه ! كم أنت رائع يا حبيبي ! عليك أن تأخذ الموضوع بجد ، ليس مسايرة ومجاملة

انتهت الحلقة



التحقيق الجنائي والجريمة



الحلقة الأولى

١

الحوادث خطب يومي ، بل كل ثانية تحدث عشرات مئات الأحداث ، سرقة نشل احتيال قتل عمد وغير عمد اغتصاب اختلاس رشوة ، وذلك على مستوى العالم كل العالم .

وكثير من هذه الحوادث تدون وتسجل في دواوين الشرطة والأمن ، والأكثر ربما لا يسجل ولا يعرف ، وهناك حوادث وجرائم تشيع في المجتمع المحلي المجتمع الإقليمي ، والقليل في المجتمع العالمي ، فتنتشر في الصحف والكتب والمحطات الأرضية والفضائية .

وأصبحت قصتنا هذه قصة ؛ لأنها وجدت من يهتم بها ويثيرها في الإعلام والصحافة بعد انتهاء فصول أحداثها .

سعاد عيسى فتاة تزوجت حديثا من زميل لها في شركة اتصالات وتكنولوجيا الاتصالات ، هذه المرأة من سكان شوماز بلدة تقع على أطراف العاصمة ، وهي من العاصمة حسب علمي المحدود في نظام البلدات والمدن ، هذه المرأة المهندسة قد سمعت زوجها المهندس أديب يحيى بسيم الجدية يتحدث عن جده بسيم المقتول بغموض ، وهو الذي شيد قصرا عظيما في الصحراء صحراء قاحلة لا يوجد حولها عمران ،

أقرب مدينة تبعد عن قصره مائة كيلو متر شيد هذا الرجل الخطير الذي ستتعرف عليه خلال سطور وكلمات هذه القصة قصره ليحميه من أعدائه الكثر ، ولكنه قتل واغتيل فيه برصاصة واحدة فقط .. ، ومع وجود القتلة أو القاتل في القصر لم يعرفه الشرطة ، ولم يتهم أي شخص من سكان القصر بتلك الجناية .

تحقيق استمر عدة أشهر دون نهاية ، وأخبر محامي العائلة المحامي الكبير داود محمد المهندس أديبا أن التحقيق أغلق وقيد ضد مجهول أو أوقف التحقيق ، مع عدم إنهاء خدمات العاملين في القصر .

وليس هذا وحده المثير في قضية الجد بسيم الجدية ، بل المثير أن الرجل ترك كنزا من المال والوثائق الخطيرة لحفيده ، ولن يصل هذا الفتى الوارث لهذا الكنز ومذكرات جده إلا إذا حل سلسلة من المخفيات والألغاز والشيفرات .

والكنز كما حدث الجد مليء بالجواهر من الألماس والياقوت والزمرد وغير ذلك من الأسماء للأحجار الكريمة .. وحاول هذا الشاب على أثر مقتل جده الوصول للكنز ، ولم يصل إليه مع أنه استعان برجال مهمين ومختصين في ذلك .



وكان السيد أديب يحيى قد تزوج بعد وفاة جدة بستة شهور تنقص أياما ، رفض الزواج في حياة جده ، دون أن تظهر لنا الغاية من التأخير ، قد يكون الخوف السبب أثر مقتل أفراد أسرته بحادث التفجير الذي سنتحدث عنه ، فلما سمعت سعاد عيسى حكاية القصر الصحراوي والكنز تحدثت عنه أمام أخواتها في بيت الأسرة العريقة ، وقدر الله تعالى أن تتحدث الأخوات بهذا الأمر أمام خالهنّ محمد محسن ، وشقيقهن بشر العاملين في الصحافة ، محمد محسن صحفي عجوز قد أفنى سني حياته في الصحافة والحبر والمطابع ، فهو صحفي كبير في بلده وعلى مستوى العالم أيضا ، وابن أخته في الطريق إلى ذلك ، فلما سمع ملخص قصة الكنز وغموض موت الرجل قال لابن أخته بشر : بما أن المهندس أديبا نسيبك اهتم بالموضوع .. فأنت صحافي ومحامي

رد الشاب : الموضوع مثير حقا ! ولكن ليس لي اهتمام كبير بالتحقيقات البوليسية والجنائية وحتى مسألة الكنوز والدفائن والآثار .

ـ أعرف المعاناة التي يجدها الصحفي في مجال الجريمة .. هذا مسموح نشره ، وهذا غير مسموح المحكمة قد تتأثر بأقوال وتعليقات الصحفيين .. وأحيانا كثيرة المحققون لا يحبون إخراج ما في جعبتهم قبل تقديم المتهم للمحكمة .. لكن هذا

كنز نسيبك ، وفي الغد كنز أولاد شقيقتك فقد علمت أن سعاد حامل .. فأنا لولا كبر سني لاهتممت بالموضوع موضوع نسيبنا أديب الجدية استسلم الشاب وقال : حسنا يا خال ! سأسعى لمقابلته وأسمع منه .. وأعرف لماذا قتل جده ؟ وهل للكنز دخل في مصرعه ؟ بل وأعرف لماذا قتلت أسرته من قبل ؟! .. فقد تعرض بيتهم لتفجير رهيب يا خال قتل كل العائلة الكريمة ، ولم ينج منه إلا هو وجده ؛ لأنهما لم يكونا في البيت ساعة الانفجار .

ـ سمعت به ونشرناه في صحفيتنا أذكر يومذاك .

ـ الحادث حدث سنة ٨٢ قبل خمسة عشر عاما .

ـ محرر صفحة الحوادث قد يفيدك في معلومات تلك الجريمة .. فمن العادة أن يتابع محرر الحوادث مآلات الحادث .. والرجل الجدية رجل أعرفه حقيقة ؛ ولكنها معرفية سطحية .. فهو رجل سلاح تاجر سلاح مخضرم .. وتابعت حادث قتله الغامض .. وكان غريبا أن لا تعرف الشرطة القاتل.. ولكن الجريمة لفها الغموض المحيط بها ، ولم تكن جريمة سياسية لتعجز الشرطة عنها .. ربما لو شجعته أعاد الكرة للبحث عن الكنز الذي تركه له جده .. كنت قديما أول دخولي معترك الصحافة تستهويني يا ابن أختي مواضيع الكنوز والاغتيالات السياسية .. ولكن السن له دوره .. فعلى الصحفي عدم الانغلاق بلون واحد من التحرير ..

ـ سأهتم يا خالي بالقضية .. قضية الكنز ، وقد نتابع قضية الجريمة .

٢

ولد المهندس أديب عام ١٩٦٧ ، وهو العام الذي سماه العرب في العالم العربي بعام النكسة ، في هذا العام هاجمت دولة إسرائيل وليدة الاستعمار وبقاياه ثلاث دول عربية محيطة بها ، واحتلت مساحات شاسعة منها ، وقد تفوقت جيوشها على جيوش تلك الدول ، في هذا العام كانت بدايته على هذه الأرض .

وعندما بدأنا سرد فصول هذه القصة عام ١٩٩٧ كان الشاب قد دخل في أول العقد الرابع ، فقد أنهى ثلاثين سنة من عمره . وقد تخرج الشاب من الجامعة كمهندس اتصالات وتكنولوجيا حديثة ، والتحق مهندسا في شركة عالمية تعمل داخل بلده وهو حفيد لرجل معروف على مستوى البلد والعالم ، تاجر سلاح كبير اسمه بسيم الجدية ، وهذا الرجل ترك لحفيده الوحيد ملايين الدنانير والدولارات ، سوى الثروة التي ورثها عن أبيه وأمه ؛ ولكنها لم تكن شيئا مع ثروة الجد بسيم .

ورغم رغبة الجد القوية رؤية حفيده زوجا لم يحقق الشاب هذه الرغبة لجده في حياته ، فتزوج بعد

وفاته بشهور في خريف ١٩٩٦ ، وكانت زوجته فتاة خريجة كلية الهندسة اسمها سعاد عيسى ، ومنذ شهور التحقت للعمل في شركة الاتصالات العالمية.

تعرف عليها الشاب بحكم المخالطة في العمل ، ثم حديث عن زواج وبناء أسرة جديدة ، وسهل الله الأمر ؛ فكان الزواج بفضل الله تعالى .

ومهندسنا أديب كاسمه ، قليل الكلام ، كثير التبسم ، عندما تعاشره وتخالطه لا تحس أن الشاب مهندس ، ولا تحس أنه يملك الملايين من المال والكثير من العقارات ، ويقطن قصرا ، وتتعجب إذا عرفت ذلك لماذا لا يدير الشاب شركة خاصة به ؟!

ولما استقرت سعاد في بيت زوجها قل قصره في ضاحية شوماز ـ فقد أنشأ وشيد له جده قصرا بدلا من البيت الذي دمر في حادثة تفجير مقتل ابنه يحيى والد أديب ـ فسمعت حينئذ هذه الفتاة تفاصيل مقتل والده التي تعرفت على بعضها قبل الزواج ، ثم عرفت تفاصيل عملية قتل جده بسيم في القصر الصحراوي في آخر عام ١٩٩٥ .

وسمعته يتحدث عن الكنز والمجوهرات التي أخفاها جده في القصر ، وتركه خارطة ومفاتيح للوصول إلى الكنز ووثائق جده السرية ، ولما مات الجد فكر المهندس بالوصول لهذه الكنوز ، واستعان برجال مهتمين بمثل هذه الأمور ، ولم يفلحوا في الوصول إليه .

ولولا انشغاله بزواجه ، وعدم اهتمامه الكبير بالكنز لأخذها لزيارة القصر الذي يسميه بالقصر الصحراوي لوقوعه في قلب الصحراء الجرداء .

تكلمت سعاد أمام شقيقاتها بقصة القصر الصحراوي والكنز الخفي كما يتكلم الناس عن الكنوز بإثارة وتهييج ، والشقيقات تطرقن لهذا الكلام أمام شقيقهنّ الصحفي بشر عيسى وخالهم محمد محسن . وأثار الكلام أشجانا وذكريات لدى الرجل الشيخ محمد محسن عليان ، فتحمس للكنز ، ورغب ابن أخته المحامي الصحفي للاهتمام بموضوع هذا الكنز .

تقبل بشر عيسى اقتراح خاله ، ووافق على الاجتماع بأديب وسماع حكاية الكنز الخفي والجد المقتول .. وهل الكنز السبب في مقتله ومصرعه ؟



فبعد أيام يسيرة زار بشر المهندس في مكتبه في الشركة ، والتقى به وبسعاد وفاتحه بالموضوع وسبب هذه الزيارة ، وكانت سعاد حدثت زوجها باهتمام خالها بشأن الكنز وجريمة قتل جده

فرحب أديب بالحديث المفصل عما يعرفه عن أسرار جده ليسعى بشر للكشف عن أسرار الكنز الخفي في قصر جده الصحراوي .

واحتفلت سعاد بمقدم أخيها وهيئت له عشاء مناسبا ، ولما قضوا شهوتهم من الطعام دخلوا إلى مكتبة الجد بسيم وحفيده أديب ، ليكشف لنا بعض أسرار جده وعائلته ، وكانت سعاد قد كلفت الخادمة نور بإدخال المشروبات والفواكه إلى غرفة المكتبة والمكتب ، فجزء منها مكتب لأديب . وهذه ليست أول مرة يزور بشر بيت شقيقته سعاد ، فقد زارها عددا من المرات خلال الأشهر الماضية ، إنما هذه الزيارة لها نكهة خاصة كما يقال ، لها هدف خطير ومهم وهو البحث عن الكنز الخفي ، جاء ليسمع قصة بسيم الجدية الذي اشتهر بتهريب السلاح في أكثر أقطار العالم الرجل الذي عمل في تهريب الأسلحة في الدول العربية أثناء فترة الاستعمار في الجزائر وسوريا وفلسطين العربية . هو من عائلة هاجرت قديما للتجارة في ساحل فلسطين ، واستقر المقام بجده في العمل على سواحل شرق البحر المتوسط .



قال أديب لنسيبه شقيق سعاد : هل أبدأ منذ وجد جدي على ظهر الأرض أم عندما أصبح تحت الأرض أي عند مصرعه الغامض ؟

فقال بشر : هو قتل كما علمت منك سابقا في أواخر ١٩٩٥ .

ـ نعم ، قتل في تشرين الثاني [نوفمبر] من ذلك العام عن عمر ناهز خمس وثمانين سنة .. قتل غيلة في القصر الذي جعله قلعة وحصنا حصينا .. لقد كان جدي يتوقع قتله والغدر به ؛ وإنما خارج الملجأ والمخبأ .. هو نجا يوم مصرع أفراد أسرتي .. هو نجا وأنا ؛ لأننا ليلتها لم نكن في البيت .. لجدي أعداء كثر بحكم عمله في وسط تجارة السلاح ..الذي تمده بالسلاح يحبك.. والذي لا تبيعه السلاح يبغضك ، ويحرض عليك .

قال بشر : عليك يا أديب العزيز أن تبدأ الحكاية من البداية .. فالأفضل أن اسمعها هكذا حتى إذا كتبتها للنشر تكون شبه كاملة .. أنا أعرف أن الكثير من التفاصيل ليس لك بها علم .. وهذا عمر مديد أعطي لجدك ـ رحمه الله ـ وعند النشر نستخلص المناسب والمفيد للقارئ يا أديب ..

مسح أديب فمه بعدما قضم حبة فاكهة ، وقدم لبشر واحدة وقال : كل أيها الصديق .. جدي بسيم الجدية من مواليد ساحل فلسطين التي اغتصبها اليهود ، وجعلوها أرض المعياد .. فلسطين كان يهاجر الناس إليها من بلدان العالم

الإسلامي ، ١٩١٠ ولد بسيم الجدية من أم مغربية تزوجها والده ، فكان والده متزوجا من أكثر من امرأة طمعا ورغبة في الأولاد الذكور فوالده يعمل بالتجارة والتصدير لشواطئ أوروبا حمضيات وفواكه فلسطين ، وعمه كان صيادا وصاحب مراكب صيد ، وكان الذكر الوحيد من نساء والده .. وكانت في تلك الفترة من الزمن الدولة العثمانية التركية باسطة نفوذها على بلاد الشام والحجاز والعراق .. ولكن قبل أن يشب الفتى بسيم حدثت الحرب العالمية الأولى التي استمرت كما تعلم حوالي أربع سنوات كان من نتائجها القاتلة احتلال بريطانيا وفرنسا بلاد الشام والعراق .. وظهر علنا المشروع الصهيوني المراد إقامته على أرض فلسطين ، وتكشفت وثائق سايكس بيكو المشهورة ووعد بلفور لإنشاء الوطن القومي اليهودي على فلسطين العربية .. وانحسر النفوذ التركي العثماني عن بلاد الشام وغيرها من بلدان العرب ..

أعلن الانتداب البريطاني والوصاية على فلسطين .. وبدأت عملية التهويد .. وكان العرب في غاية الضعف في تلك الفترة ..واستسلم العرب الفلسطينيون للانتداب وحكم بريطانيا العظمى التي كانت تحكم مصر قبل ثلاثين عاما من دخولها فلسطين والأردن والعراق .. وقصة الاستعمار معروفة ومدونة في الكتب والملفات .. تعلم جدي في بعض مدارس الساحل كغيره من الأطفال ، وكانت قد ظهرت المدارس النظامية منذ عهد قريب ، وبدأت تنتشر في العالم وبلاد العرب .. وبدأ يشاهد احتكاك العرب باليهود والإنجليز .. وبدأت الثورات تظهر في العراق والشام على الإنجليز والفرنسيس ..وتظهر المظاهرات والاحتجاجات ضد الاستعمار والانتداب والتمييز بين العرب واليهود ، وبعد أحداث حادثة البراق أخذ الشعب الفلسطيني إلى التسلح السري وتشكيل الخلايا المسلحة .

أمام هذا الواقع أخذ الجد بسيم الشاب يعمل في تهريب السلاح من لبنان وسوريا من ليبيا من العراق من صحراء مصر .

لقد شارك الشاب في نقل السلاح ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت له معرفة وباع في كيفية إدخال السلاح للمناطق الملتهبة بالحروب ، وكيفية التعامل مع رجال بيع السلاح سواء سرا أو علنا .

وكانت الثورات في فلسطين والبلاد العربية تزداد لهيبا من أجل الحرية والاستقلال عن الدول المستعمرة ، ومع شدة لهيب الثورات تزداد الحاجة للسلاح ذخيرة وسلاحا ، وتزداد بالتالي تجارته وتهريبه . وقام جدي وكغيره من الشباب بالثورة ضد التهويد والانتداب ، وشارك فيها ، ولما قتل

القسام الشيخ السوري ـ رحمه الله ـ قامت ثورة ٣٦ المشهورة التي امتدت إلى الكثير من بلاد فلسطين . فكان الرجل نشيطا بتهريب وتوريد السلاح للثورة ورجالها .. ومع بداية الحرب الثانية خفت الثورة وحدتها نتيجة الوعود السياسية التي تلقتها القيادات العربية والفلسطينية لحل مشكلة فلسطين والاستعمار .

وخلال سنوات الحرب ظل الجد بسيم يعمل في تجارة السلاح شراء وبيعا وتهريبا حسب الحال فتعلم كما اخبرني أسرار التهريب ، وأسرار الشراء ، وترتيب الصفقات السرية والعلنية مع الجيوش والملوك والرؤساء والعصابات الثائرة والمتمردة .

وشارك مرة أخرى في أحداث الثورة في عام ٤٨ ، ولكن حلت النكبة المؤلمة في الشعب الفلسطيني ، وخسرت الجيوش العربية المعركة ، وأعلنت دولة إسرائيلية على أرض فلسطين المسلمة والعربية .

وعلى أثر الهزيمة العربية هاجرت العوائل العربية عن أغلب الساحل الفلسطيني نحو الشام ولبنان وشرق الأردن وغزة ونابلس وما يسمى اليوم بالضفة الغربية.

وكانت أسرة جدي والده وعمه قد غادروا البلاد مع المغادرين ، فذهب عم الجد إلى مصر ؛ لأن زوجته كانت من أسرة مصرية ، وغادر والد جدي إلى منطقة رام الله والبيرة .

ولما هلك والده محمود الجدية سافر إلى البرازيل ككثير من الشباب طمعا بحياة أفضل من الوضع الصعب الذي حصل للناس عقب التشرد والنكبة . وترك زوجته التي ولدت له أبي يحيى ، وأمه وبعض زوجات جده محمود في دار اشتراها والده في الضفة الغربية التي أصبحت جزءا من المملكة الأردنية الهاشمية ، كما أمست غزة جزءا من مملكة الملك فاروق ملك مصر .

ولما حل الجد في البرازيل التي تقع في العالم الجديد الجنوبي وجد الحروب مستعرة في تلك القارة منها حروب داخلية ، ومنها حروب دول بينها وبين بعض ، فكان المد الماركسي الروسي أو السوفيتي متغلغلا في تلك البلاد .

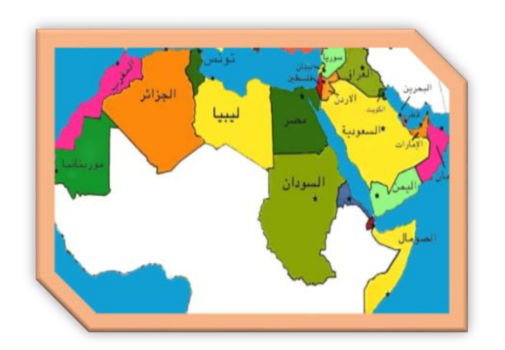
فلما رأى ذلك الحال عاد لتجارة السلاح والتهريب للمنشقين للمتمردين للثائرين للعصابات وكانت هذه العصابات المسلحة تمول الكثير من الصفقات من تهريب وتجارة المخدرات ، فاضطر للاحتكاك بتلك العصابات للحصول على أموال تجارة السلاح ، فتعرف على الكثير من الزعماء للعصابات للدول للثوار .

وكان من نتيجة ذلك وجود أصدقاء منهم ، ووجود الكثير من الأعداء والخصوم ، وكان لا يشعر بالأمان حتى يعود إلى شوماز فيجد بعض الراحة من مطاردة أعدائه وخصومه ، مع الحذر

الشديد أيضا .

وانتشر نشاطه أيضا في أفريقيا لاشتعال حروب الاستقلال والثورات ، وامتد لآسيا حيث الحرب الهندية والفيتنامية وكمبوديا ، فالحروب هي المكان المناسب والملائم لبيع وترتيب صفقات السلاح الخفيف والثقيل .

فأصبح معروفا على مستوى تجارة الأسلحة في العالم ، وله شركات وشركاء في عدد من القارات وكانت تقام بعض الشركات لتغطية أعمال تجارة السلاح . وأصبح السيد بسيم الجدية مالكا لثروة كبيرة ، ولكن العمر يمضي ، وكبر الجد فأخذ يفتش على الراحة والتقاعد .



فقد كانت حياة جدي مليئة بالحركة والسفر ، تارة في الشرق ، تارة في الغرب في الشمال في الجنوب .. كان كثير التنقل ، وكان يلتقي برجال الحكم والمال ورجال العصابات والثوار .. برجال المخابرات والأمن وتعرض مرات ومرات للغدر والاغتيال والخطف أيكفي هذا الليلة ؟

قال بشر : لا أنام مبكرا يا أديب ؛ ربما أبقى في الصحيفة للفجر .. تابع .

دخلت الخادمة ببعض الفواكه والشاي والمكسرات ، وأخذت توزعها على الموائد الصغيرة ، ولما غادرت قال أديب : أخبرتك أن والد جدي كان مزواجا طامعا بعدد كبير من الذكور ، فلم يرزق بسوى جدي بسيم ، أما البنات فكن تسع أخوات ، وبعضهن ما زلن على قيد الحياة ، وهن في غاية السعادة والرفاهية ، ولهن أحفاد ، وكان جدي سخيا معهن ، ومات على ذلك ، والمحامي داود محمد ما زال يتابع مخصصات جدي نحوهنّ .. مع أنهن لسن بحاجة لمال ؛ ولكن وصية محمود لبسيم .. أما نساء والد والد جدي فكلهن رحلن عن هذه الدنيا .. وكان والدي يتفقدهن ويرعاهن حتى متن جميعهن .. تزوج جدي بسيم بعدما بلغ العشرين من ابنة أحد أعيان مدينة القدس من أصدقاء والده .. وبعد سنوات من الزواج ولدت جدتي أبي وثلاثة بنات ماتت اثنتان منهم قبل نكبة الشعب الفلسطيني ، وبقيت واحدة ، وتزوجت وكانت قد تزوجت ابن عم جدي وما زالت هي وذريتها هناك ، وكان جدي يتفقدها باستمرار ؛ بل كثير من أبنائها وأحفادها تعلموا في الجامعات على نفقته .. وما زلنا نلتقي ونتقابل كلما خرجوا من البلد .. وماتت منذ سنوات قليلة ـ رحمها الله ـ وأبي تزوج بعدما استقر

في مدينة بلبل العاصمة هذه التي نعيش فيها الآن .. واشترى جدي ووالدي هذه الأرض التي قام عليها هذا القصر الذي نجلس فيه الآن .. ولما رأى السيد بسيم قلة فرص العمل .. ترك أبي وأمه وهاجر جهة البرازيل ككثير من شبان العرب الطامح بالثروات .. لم تكن بلاد الخليج ظاهرة ثروتها للعيان آنذاك .. فيمم نحو أمريكا .. هو وبعض أبناء عمومته وأخواله .. ووجد سوق السلاح رائجا فعاد إليه بقوة وحقق ثروة هائلة ننعم ونرتع فيها اليوم بفضل الله تعالى .. وكان يرسل المال لابنه يحيى من هناك ولابنته الأخرى في فلسطين .. وتزوج هناك أكثر من مرة ، وأكد لي أنه لم تلد له إلا واحدة برازيلية من أصول هندية شقيقة أحد أصدقائه وشركائه في تجارة السلاح .. عندما يتخلص من واحدة يتزوج غيرها .. وكان سعيدا بذرية أبي .. لقد ولدت أمي ثلاث بنات وولدين ، وأنا ترتيبي الخامس ، ولدت عام ١٩٦٧ في شهر آذار مارس ، وبعد الحرب أنجبت طفلة وولد ثالث .. وترك والدي بلبلا وبنى بيتا في شوماز .. وهو هذا القصر ، ولكن لم يكن قصرا كان بناء عاديا من عدة طوابق ، الأول محلات تجارية ، ونحن نعيش في الطابق الثاني ومعنا الجدة .. لم يكن والدي يعرف أن والده تاجر سلاح في الغربة .. نعرف أنه صاحب تجارة وشركاء .. ماذا يعمل لا يدري أبي ؟ وكان مجيئه للبلد قليلا جدا ، ولما يأت يأتي مسلحا ومعه حرس .. هكذا أخبرتني خالتي التي تعيش معي الآن .. وكان يتحرك بسيارة خاصة ضد الرصاص ، وصلت للبلد بسفينة وبقيت هنا في موقف خاص مجهول لأبي .. علمنا أنها ضد الرصاص .. وكان يملك عدة شقق في العاصمة بلبل وغيرها من المدن .. وكان لا يمكث كثيرا في بيتنا .. يأكل مع الأسرة ، ويطمئن على زوجته وأحوالنا ويختفي ، ثم يظهر مودعا فجأة .. وكانت جدتي كثيرة الأمراض ، وقد ماتت قبل حادث الانفجار الذي أودى بحياة ولدها يحيى .

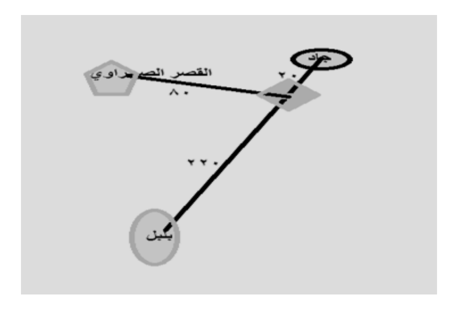
٣

عاد بشر بعد أيام لسماع المزيد من قصة بسيم الجدية تاجر السلاح الدولي، فلما جلسوا في المكتبة المكتبة التي أنشاها الجد لحفيده ولنفسه ، قال أديب : انتهيت في الحديث عن موت جدتي ـ رحمها الله ـ كانت كثيرة الأمراض .. اشرب شايك يا أبا ناصر.. وكان جدي أثناء موتها متنقلا بين البلاد لعقد الصفقات وتهريب الصفقات .

كانت زياراته للبلد قصيرة لظروف عمله وتجارته ، وقبل حادثة مقتل أسرتي قد بدأ في إنشاء قصر في قلب الصحراء صحراء لغد ، وبدأ يفكر بالاستقرار في ربوع البلد ، فكان قد حفر مجموعة

من الآبار في تلك الأرض الواسعة التي اشتراها وتملكها ، ووجد الماء في إحداها ، كنت صبيا وأسمعه يحدث أبي في ذلك ، وأنه سيختبأ في الصحراء في ذلك القصر عندما يجهز وكانت المسافة من مدينة بلبل إلى ذلك القصر تصل إلى ثلاثمائة كيلو متر بالسيارة .. فبين القصر والشارع الموصل بين مدينة بلبل ومدينة جاد حوالي ثمانين كيلو متر تقريبا .. ومدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر .. صحراء جرداء لا حياة فيها ، شجيرات صحراوية متفرقة هنا وهناك .. فالقصر اليوم جنة في تلك الصحراء وهو فعلا قلعة حصينة .. ولسوف تراه ـ إن شاء الله ـ وطريق القصر من الشارع الدولي إلى القصر الصحراوي ترابية فقط .

قبل موت أبي كان القصر في بداياته ، ولم يكن مهما لنا مشاهدته يا سيد بشر ، قامت بالحفر والبناء في الجزء الأول منه شركات أجنبية وذلك بعد استخراج الماء من جوف الصحراء ، فيما بعد علمت أن آبار حفرت ، ووضع فيها خزانات ماء ضخمة لتخزين الماء كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. ثم شيد تحت الأرض طابق ليستخدم كغرف تخزين مواد وأدوات ، وأنشئ فوقه قاعة استقبال كبرى ، وفيها صممت قاعة رخامية بأعمدة رخامية لاستقبال الضيوف عند وصولهم للقصر .. ستراها ـ إن شاء الله ـ ولها هنا صور .. هنا قاعة فيها صور للعائلة .. وأنشئ فوق هذا الطابق الأرضي الطابق الأول ، وفيه حوالي ثلاثين غرفة ، وهو على شكل نون مقلوبة .. هذا القسم من القصر كان جاهزا للحياة قبل حادث ٨٢ .



وأصبح هذا القصر مقر الجد في كل عودة وزيارة إلينا .. فيقضي أياما بيننا ، ثم يختفي في الصحراء أو غيرها من الشقق التي يملكها في بلبل وغيرها من مدن البلاد ، وله عمارة كبيرة في مدينة جاد القريبة من القصر الصحراوي .. أذكر أنه سمح لأبي بأخذنا لذلك القصر للفرجة كان يخشى علينا التعرض لهجوم من قبل العدو عدو جدي المجهول لنا وله .

عاد الجد للبلد في صيف ١٩٨٢ ، وكان الشرق يغرق بالحروب ، والتوترات ملتهبة في أكثر من بلد ، فكان الجد يجعل من بعض وقته في بلبل ليقضيه معنا مع الوالد معنا نحن الشباب الصغار وكان الجد في كل مجيء يتحفنا بالهدايا والأشياء الجميلة ذكورا وإناثا.. ثم ينصرف للقصر الصحراوي ،

ومرات عندما يريد السفر يطلب مشاهدتنا في مكان خاص فنذهب إليه لتوديعه أو يأتي بغتة دون اتصال فيقضي معنا بعض الوقت وينصرف .

جاء صيف ٨٢ لقضاء إجازة في البلد ، وقضى في بيت الأسرة في شوماز حيث نجلس الآن يومين على غير العادة ، لا يمكث في البيت يومين متواصلين ، ساعات يبات ليلة ، ويغادر بوقت غير منتظم في الليل في النهار حسب خطته الأمنية .

ولما غادر البيت سمعناه يخبر أبي بأنه يحس بأن ناسا يطاردونه ويسعون للفتك به ، وانصرف بعد صلاة الفجر ، فقد جاءت سيارته المصفحة وأخذته .

وفي اليوم الرابع من وصول جدي إلينا أي بعد مغادرته بيومين لبيت العائلة جاءت خالتي أم سالم وتغدت معنا ، ولما صلت العصر وأرادت الانصراف طلبت من أمي أن أرافقها وأقضي الليل معها في بيتها ؛ لأن ابنها سالم في رحلة جامعية ، وسينام في الخارج مع زملائه الطلاب ..

وخالتي ليس لها إلا سالم طالب في الجامعة ، وبنت أكبر من سالم ومتزوجة من ابن عم لها أو قريب لأبيها .. اتصلت أمي بابي في المتجر في أسفل العمارة ، فوالدي كان يملك ما يسمى اليوم سوبر ماركت الكائن في الطابق الأول للعمارة الصغيرة ، فقال لي : يا أديب أمك اتصلت تريدك أن تذهب للمبيت مع خالتك هذه الليلة فسالم غير موجود .. وغدا يرجع سالم فتعود .

وكانت خالتي أرملة ، ووضع لي بعض المأكولات والمشروبات في كيس وقال : خذها وتسلى بها أنت وخالتك .

فحييته وصعدت للبيت في الطابق الأعلى ، كنت تلك الأيام ابن خمس عشرة في ذلك العام الذي لا ينسى يا أبا ناصر .. دخلت وغيرت ثيابي ، وكان الوقت عصرا .. ثم ودعت أمي ، ومن كان في البيت من الأخوة والأخوات ..وأوقفت سيارة أجرة تكسي ؛ لتنقلنا لشارع سليمان في حي النصر العربي .. وفي الصباح جاء الخبر المرعب بأن عمارتنا وقع فيها انفجار رهيب قتل فيه كل أفراد الأسرة ، ودمرت البناية تدميرا كبيرا.. لم ينجُ من الأسرة إلا أنا لمغادرتي البيت مع خالتي التي سافر ولدها مع طلاب الجامعة ، وجدي بسيم الذي لم يكن موجودا ساعة الانفجار الغادر.

وكان الانفجار في الثامن من تموز ، ذلك العام ١٩٨٢ يوم الخميس في أول ساعات ذلك اليوم

لما عدت للبيت في الصباح كان المشهد مروعا ، سيارات الإسعاف ورجال المطافئ والشرطة ورجال المتفجرات والبحث الجنائي والأقارب والأصدقاء والجيران .

وبعد مشاهدتي للدمار الذي لحق بيتنا صرت أصرخ وأبكي ، فأخذني رجال إلى بيت خالتي التي

أحضرت لي الطبيب ، وتقرر بقائي في بيت خالتي أم سالم .

وبعد هذه الحادثة الكبيرة ترك جدي السفر الكثير ، وكان يسافر لقضاء حاجة ، ثم يعود سريعا وقرر البقاء حولي لرعايتي أنا الباقي من سلالته ، هو له أحفاد من ابنته التي ماتت في فلسطين حيث تزوجت .

فاشترى سيارة مصفحة خاصة بي ، وكلف سائق هندي يعمل معه في القصر الصحراوي ليعمل تحت أمري .

وبعدما انتهى رجال الشرطة من التحقيق في مكان الحادث ، رفعت الأنقاض ، وقام جدي ببناء هذا القصر ، وأيضا أضاف طابقين في قصره الصحراوي ، ووضع له وسائل حماية معقدة .

وعين كادرا من بلدان شتى في ذلك القصر ، وأقام حولي هنا بعض الحرس والخدم الخاصين ، وله قسم في الطابق الأرضي فيه مكاتب خاصة به وبنشاطه ، له باب إلى القصر ، ولكنه لا يفتح إلا من داخل القصر ، وهو باب مصفح يفتح على الطاقة الكهربائية .. والحافظ هو الله وعشت في بيت خالتي تحت حماية خاصة حتى كمل هذا القصر ، وجئت للحياة فيه ، وبصحبة خالتي التي تزوج ابنها ونحن نبني هذا القصر الحصن .

وكان جدي يقول لي: يا أديب كنت أنا المقصود بالانفجار القاتل .. ولكن قدر الله لنا وأنت الحياة .. واعلم أننا ما زلنا في خطر .. خاصة حياتي أنا ، لقد تكوّن خلال سنوات هذا العمر أعداء كثر لي .. أجهل أكثرهم ؛ ولكني أحس بوجودهم .. لم يبق لي من دنياي إلا أنت .. ولولا مشيئة الله تعالى ، وذهبت تلك الليلة للمبيت عند أم سالم لحل بك ما حل بأهلك .. ولولا أنك بحاجة للدراسة لسقتك للبقاء معي في القصر القلعة .. هناك في الصحراء حيث أعيش .

فقال بشر : تحقيقات الشرطة في الحادث ماذا كانت النتيجة ؟

ـ الشرطة زعمت أن هناك عصابة وضعت المتفجرات في محل الوالد .. وأمام باب شقتنا .. وتم التفجير عن بعد .. فقد وقفت يا سيدي سيارة أمام الدكان قبل صلاة الفجر بساعتين أو آذان الفجر .. موهمون من يراهم أن سيارتهم فيها عطل فني ..لأن بعض الناس أخبروا البوليس برؤيتها تقف أمام المحل .. ففتحوا المحل وادخلوا المتفجرات والمواد المتفجرة .. وبقيت السيارة أمام المحل عند الانفجار .. لم يأخذوها معهم لماذا ؟ لا جواب .. لأن أجزاء بقيت منها ، ولم توجد فيها أي جثة إنما استخدمت لنقل القنابل كما تبين من تحليل الشرطة . واعتقد القتلة أن جدي هلك في الانفجار وأنه من ضحاياه ، ولم يصل الشرطة

للقتلة ، وبعدها لحتى مقتله لم يحدث علينا اعتداء خلال سنوات الجامعة رغب جدي بتزويجي ليرى أحفاد ولده يحيى ، ولكنني رفضت الزواج أو حتى التفكير بالزواج ، وكان خلال سنوات الجامعة يقضي بعض الأسابيع بكمالها معي ومع خالتي ، وجل وقته في هذه المكتبة أو في مقابلة بعض الأصدقاء ، أو متابعة نشاطه مع شركائه من المكاتب التي في أسفل القصر .

جدي رجل واسع المعرفة ، ويتكلم بعدد من اللغات حسب الحاجة طبعا ، وهو يعرف الإسبانية لغة أغلب سكان أمريكا اللاتينية .. ويعرف الكثير من مفردات اللغة الهندية .. والإنجليزية يحسنها لدرجة كبيرة لكثرة ما احتاج إليها وهو يتنقل في مدن وفنادق العالم .

فكان يغيب في قصره الصحراوي عندما يحتاج للعزلة التامة ، وربما استقبل بعض الرفاق الأجانب والشركاء فيه .

وكان جدي يعطف عليّ للغاية ، ولا يبخل عليّ بشيء أنا خاصة وحتى مع كل أقاربنا .. فهو سخي بطبعه .. وطوال السنوات التي قضيناها معا كان خائفا عليّ ومن اغتيالي بيد غادرة رغم الاحترازات التي أحاطني بها .. فلما يرني عائدا للقصر .. فأحس بسعادته واطمأننه .. ولما يقض زمنا في صحرائه يتصل بي يوميا ليطمئن على عودتي للبيت ، وهو أحاطني علما بالأخطار التي تتهدده .. وربما يصيبني شيء منها .. ثم نسلم أمرنا لله .

فقال بشر : سأنصرف الآن يا سادة .. المهم أن التحقيقات لم تسفر عن شيء .. بعضهم اعتبرها جريمة سياسية .. المهم أن التحقيق فيها توقف .

٤

بعد أيام أخرى زار بشر عيسى صهره أديب يحيى لسماع قصة مقتل الجد بسيم ، فرحب الزوجان بضيفهما ، وتعشوا جميعا ، ثم انتقلوا للمكتبة حيث كان السيد بسيم يحلو له المكث عندما يلقي ترحاله في قصر أديب يحيى .

عرفنا السيد بسيما تاجر سلاح كبير في هذا العالم ، ورجلا كثير السفر والترحال ، ولما قتلت أسرة ولده الوحيد يحيى استقر في البلد بلبل ، وخف تجواله العالمي ، وجلست خالة أديب في صالة التلفزيون تقلب القنوات والمحطات التي تتزايد يوما بعد يوم ، وهذه أول مرة يصادف بشر خالة أديب منذ أقبل لسماع بعض تفاصيل حياة بسيم الجدية ..فقد كانت عند ابنتها التي ولدت في تلك الفترة ، فجاملها الرجل ودعا لها ودعت له .

وبيت أديب فيه عدد لا بأس به من الخدم والخادمات ، وأغلبهم من الهنود بدولهم المختلفة .. فالهند عند تحررها من قبضة الاستعمار انقسمت لمجموعة دول كالهند نفسها ، والباكستان قبل سنة

الاستقلال ، ثم بنغلاديش بعد عشرين سنة انقسمت عن الباكستان .. ثم البنغال وسيرلانكا وربما كشمير في المستقبل .

جلسوا كالعادة في المكتبة التي تحتوي على مكتب للسيد أديب ، أحضرت القهوة المرة التي يطيب للصحفي بشر شربها ويفضلها على غيرها من القهوة وتسمى في بلاد العرب القهوة السادة ربما لخلوها من السكر أو على طبيعتها البكر .

ووضعت بين أيديهم وأفواههم أطباق الفاكهة والمكسرات ، وكانت سعاد قد اعتذرت من خالة أديب للجلوس مع شقيقها وسماع حكاية السيد بسيم ، وكانت الخادمة قد وضعت أمام الخالة بعض أطباق الفاكهة التي تحبها .

ولما جلست سعاد قال بشر : قلت إنك ستروي لي قصة مقتل جدك ـ رحمه الله ـ الذي قتل قبل سنتين قال أديب وهو يمسح فمه بمنديل ورقي : مات أو قتل جدي يا أبا ناصر يوم الأربعاء أو فجر الأربعاء ..لا .. مساء يوم الثلاثاء في أول الليل كان الشهر تشرين الثاني نوفمبر ١٤ / ١١/ ١٩٩٥

ـ منتصف شهر أحد عشر من عام ١٩٩٥.

ـ كان المرحوم جدي يحدثني تكررا ومررا عن الأخطار المحدقة به نتيجة عمله في تجارة السلاح .. فهناك صفقات مشروعة كالتي تباع لدول معترف بها من الأمم المتحدة ، وهناك صفقات تهرب لثوار ، وحركات تحرر فتصور أنها ممنوعة ومعادية .. وكان العالم غارق بالحروب الأهلية والدولية .. وتجارتهم لا يتعامل فيها بالمبادئ والأخلاق الحسنة .. أو بالعواطف .. فالحرب مصدر رزقهم .. فيقول لي : إذا بعت سلاحا وذخيرة لباكستان ، فالمتعاطفون معهم يرونك بطلا ومناضلا ومحاربا مع أننا تجار .. والذين يقفون مع الهند في حربها يرونك مجرما قاتلا مطلوبا قتلك .. وقس على ذلك في كل الحروب .. مع أننا أحيانا كثيرة نبيع ونهرب للفريقين المتصارعين.. يأتيك تاجر يطلب منك توصيل كمية من الذخائر والصواريخ الصغيرة لمكان ما مقابل عمولة ما .. فأنت لا تدري لمن ستصل الصفقة ؟..لأنها عادة تجري في ظروف سرية بالغة التعقيد .. مهمتك نقل البضاعة .. لمن ستصل ربما لا تدري بالضبط .. ستسلمها لشخص أو أشخاص .. فنتيجة هذه التجارة تكوّن لجدي أعداء وأصدقاء .. فكان يقول يا أديب تجارة السلاح لا عواطف فيها .. أنت بياع .. هناك صفقات بيضاء وصفقات سوداء .. ونتيجة أخرى أنه يطلع على أسرار مهمة لتلك الصراعات الدولية وقال : لا أشعر بالأمان والهدوء إلا عندما آتي إلى هذه البلد المسالم الوديع إلى مدينة بلبل فأحس بالراحة والحياة الهادئة .. وأخبرني أنه نتيجة

هذا العمل يخوض حروبا مع عصابات أخرى لتهريب السلاح أو تجارة المخدرات لتمويل صفقات السلاح .. فالسلاح يحتاج لأموال كثيرة ولا تنضب .. فالمخدرات تستخدم لتمويل تلك الصفقات .. لأن غالب الدول النامية فقيرة أو متحررة من قيود الاستعمار حديثا فميزانياتها مهلهلة وضعيفة .. والعصابات تخوض حربا ضروسا لتفرض سيطرتها على مناطق ما .. وتلك العصابات خاصة في أمريكا اللاتينية قوية وعنيفة ، ولها علاقات مع رجال الحكم والسياسة كعصابات المافيا المشهورة في إيطاليا والعالم الغربي .. فكان يقول : علينا أن نتعامل مع الجميع .. فالكل يشتري السلاح .

شرب فنجان قهوة سادة قدمته له سعاد ثم عاد يقول : وأخبرني جدي الغالي أن كل أملاكه ستؤول إليّ بعد موته .. فأنا الوارث الوحيد له ؛ ولكنه أوصاني بمساعدة أفراد العائلة وأحفاد ابنته في فلسطين .. والمحامي داود محمد يعرف كل التفاصيل ..وهو ابن صديق منذ عهد الشباب .. وأن المحامي على اطلاع بكل الأشياء الهامة في الحسابات الخاصة لجدي هنا أو في أوروبا أو أمريكا .. وحتى الشركات الشريك فيها في البرازيل وغيرها .. يتابعها مكتب داود مع المحامين في الخارج أو الداخل .

ومن الأسرار التي كشفها لي الجد هو زواجه أكثر من مرة في العالم .. وكان يتزوج ولما يرحل يطلق .. لأنه لا يحل الزنا مهما كانت الظروف ، ولما نزل البرازيل في أول الشباب عند هجرته الأولى إليها تزوج امرأة برازيلية من سكان البلاد الأصليين الذين يسمون الهنود الحمر .. وأنجبت له بنتا واحدة فقط ثم طلقها .. وسماها مها اسم عربي .. وسبب تطليقها قال كثرة تنقله بين البلاد اللاتينية .. وكان يحمل جواز سفر برازيلي .. فكان كلما دخل البرازيل يمر على المرأة ، ويتفقد المرأة ويعطيها المال ويرى ابنته .. ولما جاء المرأة بعد بلوغ ابنته عشر سنوات أخبرته المرأة أن ابنته اختفت ، فتكلم مع البوليس في تلك المنطقة .. فاخبروه أن هذا أمر شائع بين الفتيات والفتيان .. ربما رافقت عصابة أولاد ..أو لحقت للعمل في ملهى أو مقهى أو حانة وقالوا له سوف تعود للبيت فجاءة كما اختفت فجأة .. وعلمت قال إن بعض العصابات تأخذهم لنقل كميات من المخدرات أو نقل رسائل .. أو خادمات في دور الدعارة .. وقال لي إنه بعد سنوات زار تلك المرأة فوجدها قد تزوجت وولدت من جديد ، وذكرت له أن ابنتهم قد زارتها ، وقضت عندها أياما ، ثم اختفت من جديد ، وعلمت منها أن الفتاة متعلقة بشاب من شباب العصابات .. وترك لها عنوان للمراسلة عند

والدتها .. فجدي كما أخبرني وذكرت لك سابقا كان كثير الحركة ، ولا يحب البقاء في بلد أو مدينة مدة طويلة حتى لا يتعرض لخطف أو اغتيال .

فهو له معرفة برجال مال وتجار وملوك ورؤساء وأسر وعائلات وقادة وثوار وقادة عصابات ولما قتلت الأسرة استقر في البلد هنا .. وأصبحت حركته في الخارج قليلة وعند الضرورة القصوى كما قال لي .. وقد أقام القصر الصحراوي ووفر فيه وسائل الحماية ولسوف تطلع عليها إذا زرنا القصر .. ولابد من ذلك لمعرفة مخبأ الكنز .. وقبل مقتله بزمن أحسبه شهور قال لي : يا أديب احترس .. لقد علمت من بعض أصدقائنا أن أعداء لنا دخلوا البلاد .. وأنا في القصر هذا تقريبا في أمان .. لأن الأسوار عالية ، وعليها أجهزة إنذار ، ولها اتصال بشركات حماية .. والقصر بعيد عن الأسوار .. ولكن ليس هناك شيء كامل كما يقول جدي وكل نظام أمني لابد أن يكون فيه ثغرات قد يصل إليها الخصم والعدو .. ولديّ حارس هندي محترف كما يقول جدي قد خدم في بلاده في حراسة الشخصيات ومعه مساعد .. ومعهم زوجاتهم .. وهناك سائق السيارة المصفحة وهو هندي أيضا .. وحتى سكرتير جدي في قصره الصحراوي هندي ، وله زمن طويل مع الجد .. وما قتل الجد إلا في غيابه وإجازته الضرورية رغم الحس الأمني الشديد عند جدي فقد اغتيل في قصره الصحراوي .. وأولئك المجرمون لا يهتمون بالخطأ الذي يقعون فيه كما حصل لمقتل الأسرة كلها .. والشرطة كما أخبرتكم لم تصل لشيء في تلك الجريمة جريمة قتل والدي إلا أن قالوا أناس فعلوها وغادروا البلاد ولم نعرف كيف غادروها ؟ أو علم جدي ولم يحدثني عن ذلك لأني أيامها كنت دون الثامنة عشرة ، وجدي يحمل عددا من جوازات السفر لعدد من الدول كاحتياطات أمنية .. تحصل عليها من خلال خدمته لبعض الدول .. أخذت احتياطاتي كما طلب جدي ، وأخذت التحذير على محمل الجد .. واعلم أنه كان يتلقى الكثير من رسائل التهديد والوعيد .. واتصالات كذلك من الخارج والداخل .. فهو معتاد على ذلك .. وبعد هذا التحذير بشهور ثلاثة تحدث ليلا معي طبيب يزور القصر من مدينة جاد بمقتل جدي ومصرعه في حجرة من حجرات القصر برصاصة واحدة .. فصعقت للوهلة الأولى .. وتسألت كيف قتل في القصر في الحصن ؟ ومن تجرأ على هذا ؟ كانت مفاجأة لي !

قبل موته اتصل بالطبيب جادر ، وهو طبيب متقاعد من مستشفى جاد ، وطلب منه المجيء إليه فورا ؛ لأنه يتحسس ألما في صدره ..ولجدي سوابق في طلبه عند الضرورة ، وهو يرسل المرضى

العاملين في القصر إليه ابتداء ، ومن ثم يحولهم إلى أطباء الاختصاص أو المستشفى .. وقلت لك إن مدينة جاد تبعد عن القصر حوالي مائة كيلو متر ، والطريق من الشارع العام إلى القصر ترابية وأصبحت شارعا من كثرة مرور السيارات عليها .. وجدي له فريق من الأطباء يتفقدونه من حين لحين .. وله علاقة خاصة بمستشفى جاد .. فالطبيب جادر طبيب طوارئ لجدي بسيم وأهل القصر..

اتصل الجد بالطبيب بعد صلاة المغرب مخبرا له بألم شديد يعتصره .. فالطبيب عندما يذهب للقصر في الليل يأخذ معه شرطيا من مركز شرطة جاد .. ويصحبه عادة طبيب مساعد وممرضة أما في النهار فيذهبون بدون سيارة شرطة أو شرطي ..ولما وصل للقصر تفاجأ الحرس بهم .. وجاءت سكرتيرة جدي الهندية وهي زوجة للسكرتير الهندي مايا ..فجدي لم يخبرها باتصاله بالطبيب .. أدخلتهم مايا القصر فهي تعرف الطبيب جادرا حق المعرفة ، فلها تعمل مع الجد منذ خمس سنوات .. ولما وصلوا لغرفة يستريح فيها الجد وجدوه مقتولا برصاصة واحدة ، وأنه فارق الحياة ..وجدوا رائحة مخدر في تلك الحجرة ، ويرجح الأطباء أنه استنشقه استنشاقا ، لم يثبت أن المخدر وضع في عشاءه .. المهم أنه لم يقاوم قاتله .. وأكد جادر وهو يسترجع الاتصال الهاتفي القصير بينهما أن الرجل عندما تحدث معه كان يعاني من حشرجة وصوته ضعيف .. وشرب جدي شرابا قبل موته ، ولم يثبت أن به مادة مخدرة .. وتساءل الشرطة والمحققون هل قتل للاتصال أم أن القاتل أو القاتلة قتلوه بعدما فشلوا بقتله بالذي أطعموه إياه أو أسقوه إياه ولما سمعوه يتحدث بالتلفون أسرعوا بقتله ؟؟ .. التشريح الطبي بين أن طعامه وشرابه لا مخدر فيهما ولا العصير الذي شربه .. فالراجح أن غازا مخدرا استعمل لإضعافه وتخديره .. وقتل من غير سم .

وجرى التحقيق في الجريمة الغامضة ، وحقق مع الخدم والحرس وكل الموجودين في القصر وهم حوالي ثلاثين فردا وعن تحركاتهم في وقت حدوث الجريمة كما حددها الأطباء الشرعيين من وقت الاتصال بالطبيب جادر حتى اكتشاف الجريمة .. ولم يستطع البوليس توجيه الاتهام لأحد .. لم يعرف الخائن بينهم لليوم ..ومن زوده بأداة القتل .. وبالمخدر إذا كان هناك مخدر .. ومن المستحيل دخول شخص من الخارج إلا إذا توطأ مع جميع الحرس .

وأنا بعد الحادث ودفن الجد حيث أراد في آخر البستان في ذلك القصر حيث وضع قبره طلبت من المحامي داود صديقنا العزيز بيع القصر إذا

وجد من يشتريه ، فأخبرني الرجل أن جدي لا يحبذ بيع القصر .. وأنه لا يمكن بيعه وصرف العمال قبل إغلاق ملف التحقيق وتحديد الفاعل لأن كل العاملين في القصر من رعايا دول أخرى .. ثم أخبرني أن جدي ترك لي مجموعة من الرسائل تركها لديهم على فترات لا تسلم لي إلا عند موته .. وأن جدي ترك لي كنزا في مكان ما من القصر ووثائق خطيرة عليّ الاحتفاظ بها ..

قال بشر : كنز من المجوهرات والوثائق .

ـ نعم ، لا يمكنني بيع القصر حتى أمتلك الكنز ومذكرات وأوراق جدي المخفية .. فترك لي جدي رسائل كان يكتبها على فترات .. وفيها أنه يعلم أنني أبغض القصر ، وسيكون باكورة أعمالي بيع القصر رغم وجود قبري { أقصد قبره} في أرضه .. هكذا ذكر في أحد الرسائل .. ولكنه رخص لي بالخلاص منه إذا وصلت لذلك الكنز .. وأخبر أن لغز الوصول إليه ليس بالصعوبة التي تبدو للوهلة الأولى .. ويدعونني رغم أنني لست بحاجة للمزيد من المال إلى الاهتمام والنشاط للوصول للكنز الخفي .. حقيقة لما قرأت الرسائل تفاجأت .. وقد تعهد له المحامي بعدم دفع الرسائل لي إلا بعد موته .. رحلت للقصر مع بعض الأصدقاء المختصين في البحث عن الكنوز والدفائن وحل الشيفرات ، ومكثنا شهرا في القصر .. ولم نوفق بمعرفة موضع إخفاء الكنز .. ثم عزفت عن البحث .. وانشغلت بموضوع زواجي من سعاد .

٥

بعدما أخبر أديب بشرا شقيق زوجه سعاد فشله في العثور على كنز جده في القصر الصحراوي نهض وفتح خزانة معدنية داخل المكتبة ، وأخرج ظرفا كبيرا أصفر اللون ، وأخرج منه عددا من الرسائل ، ورتبها أمامه على طاولة صغيرة وقال : هذه صور عن رسائل جدي .. كتبها على فترات ، وأودعها مكتب شركة المحامي داود محمد ؛ ليسلمها لي على أثر وفاة الجد كما اتفق مع السيد بسيم .. فلما طلبت منه السعي في بيع القصر ، وإنهاء خدمات موظفين القصرين .. ضحك كثيرا وقال : سبحان الله ! جدك توقع ذلك منك .. فلذلك جعل فيه كنزا حتى لا تبيعه قبل إخراج الكنز .. والأهم أوراق ومذكرات جدك بسيم محمود الجدية .. أصول هذه الرسائل محفوظة في البنك يا سيدي في خزانة خاصة .. هذه صور عنها .. خشية سرقتها من أعداء الجد كما قال المحامي .

فقال بشر باسما : فلذلك جعل الجد كنزا ثمينا حتى لا تبيع قصره الصحراوي قبل استخراج ذاك الكنز المادي والورقي .

ـ والغريب أنه جعل لذريتي حقا فيه ..فإذا عجزت عن معرفة المخبأ .. فعليّ أن أورث الأبناء

والأحفاد لهذا الكنز ..لا بيع البتة قبل ذلك يا أبا ناصر .. وإذا بعت قبل معرفة الكنز ؛ فإنه لن يسامحني قائلا في إحدى رسائله إن لديك مالا كثيرا ؛ فإذا لم تستطع الوصول لمذكراتي وأسراري التي أخفيتها مع الكنز فدعه للأحفاد يا ولدي العزيز ..

خذ هذه الرسالة واقرأها ، وقد تناول أديب رسالة من الظرف الذي كان أمامه وقدمها للدكتور بشر عيسى .

فأمسك بها بشر ، وسمع أديب يقول : سأدعك تقرأ الرسائل على الترتيب الزمني .. هذه كتبت بعد مقتل والديّ بحوالي عشرين شهرا ..

فالتفت بشر لشقيقته وقال : أتحبين أن تسمعي يا سعاد .. أم قرأتيها سابقا ؟

قالت : تكرم عليّ أديب بقراءتها .. فهو يعتبرني شريكته في هذه الحياة ، وفي هذا الكنز ..

فسمح لي بقراءتها وقراءة غيرها .. ولو قرأت بصوت مسموع لا حرج يا أخي فتفضل .



بسم الله الرحمن الرحيم

حفيدي الوحيد من الابن الوحيد أديب

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

اعلم أن كل شيء بقدر من الله وحده .. والأعمار والموت بيده تعالى .. فموت أسرتك بقدر ، ونجاتي بقدر ، ونجاتك تلك الليلة بقدر .. وأنت ولدت وتعيش في بلد أغلب إن لم يكن كل أهلها مسلمين .. فالاستسلام للقضاء والقدر يهون من المصاب على النفس .. وإننا خلقنا للحياة الأخرى وأنا كنت أتوقع فشل البوليس والأمن في معرفة الجناة ، وحتى لو قبضوا عليهم .. فما هم إلا مجرد أدوات نفذت الجريمة مقابل بعض المال .. فمخطط الجريمة بعيد جدا عن مسرح الحادث يقبع الآن في البرازيل أو كولومبيا أو البيرو ..فأعدائي كثر نتيجة عملي في تجارة السلاح وتهريب السلاح .. فهذا عالم ملتهب ، وبؤر الصراع كثيرة .. وهذا سوق على امتداد العالم .. مصانع تصنع ، وحروب تشتعل .. فمن حروب الشرق الأوسط .. حتى باكستان والهند .. وفيتنام وكمبوديا والكوريتين .. وسيلان وبورما ..حروب أفريقيا الوسطى والغربية إلى أمريكا اللاتينية .. الكل يطلب سلاح .. عن طريق شرعي أو غير شرعي .. المرء يختار لمن يبيع وممن يشتري .. لأن الوسطاء كثر .. كنت أعمل على عقد الصفقات في البرازيل ، ويكون البيع في زائير .. أو

جنوب إفريقيا .. أو الهند .. قدر لي أن أعمل في هذا العمل المؤلم .. فالسلاح يدافع عن الحق ، والسلاح يقتل فيه الأبرياء والضعفاء .. ولكنها الحرب التي لا ترحم .. شعوب تريد أن تستقل عن الاستعمار والاستعباد .. أحيانا تعقد الصفقة لتكون في فيتنام الشمالية تجدها حطت رحلها في سيلان .. تجارة فيها الصديق ينقلب عدوا والعدو صديقا .. تجد الصفقة عندما تصل لمكان الحرب تقسم بين الخصمين المتقاتلين .. إنها تجارة صعبة فيها الرحمة والقسوة .. عملت في هذا العمل الصعب والمرعب ..تعرضت للاغتيال وللخطف مرات ومرات .. أحيانا كثيرة تجدنا في معركة مع غيرنا من مهربي السلاح .. مع عصابات المخدرات .. لديهم أموال ودولارات .. ويريدون رشاشات لأنفسهم أو لدول يدعمونها .. فكنت يا ولدي كثير التنقل والترحال .. وفقدت الكثير من الأعزاء والأصدقاء خلال تلك السنوات بالقتل والأسر .. كنا في حرب ضروس دامية .. وقد هويت هذه المغامرات منذ شبابي منذ أيام الاستعمار الإنجليزي لبلادنا .. ننام في الصحراء في الجبال في الغابات والكهوف .. ومن الوسائل المفيدة بالنسبة لي التنقل في بلدان العالم وعدم المكث طويلا في بلد حتى لا يفسح المرء لأعدائه الفرصة في اغتياله.. وبلدان أمريكا تجد المدن في كل بلد تتباعد كثيرا عن غيرها .. فيمكن للمرء أن يقضي أشهرا في دولة واحدة لكن في عدة مدن وطبيعة عملي كثرة السفر أيضا ..

أكتب لك هذه الرسالة وأنت لم تبلغ العشرين يا ولدي ..لأنني قد أموت قبل أن تكبر ؛ لتتحمل المسؤولية ، وتدير الثروة الكبيرة التي ستكون لك .. فلنا شركات في بلدان أمريكا مع شركاء ، وكذلك في الهند .. وبعض بلدان آسيا ..وفي إفريقيا ..ولنا عقارات هنا خاصة بنا لا يشاركنا فيها أحد .. وكل هذه الأمور والنشاطات يدير بعضها ويشرف عليها المكتب مكتب المحامي داود محمد .. وكان والده من قبل صديقنا ومحامينا ..وتوفاه الله من عهد قريب .. فكل شيء من أرصدة وحسابات ووكالات هي عندهم معلومة اليوم أخبرك بأني أنشأت القصر الصحراوي لحاجة في نفسي ، أولا لحماية نفسي بدون إرهاق غيري ، وأنت تعرف القصر جيدا ، وأنت لا تحب زيارته .. وأنا أخذت بتصميمه بعد أن استقر الفكر عندي بالبقاء في البلد والإقلال من السفر .. وأنشأت الجزء الأول منه كما تعلم في حياة والدك .. وها نحن أكملنا الجزء الثاني والأخير .. وكان من أهداف بنائه الحياة بعيدا عنكم حتى لا أسبب لكم المعاناة من أعدائي .. ولكن قضى الوالد وأسرته نحبهم قبل استقراري النهائي في هذه

البلاد .. ولحمايتكم كنت لا أمكث بينكم إلا أياما أو ساعات .. وأتنقل في عدد من الشقق الخاصة المجهولة .. أو تسمى البيوت الآمنة ..ولكنهم وصلوا إليّ في بيتكم .. وقدر الله لي ولك النجاة تلك الليلة المشؤومة .. فهم اعتقدوا أن أبات بينكم .. وهؤلاء لا رحمة عندهم واعلم أن لأبيك كما تعلم شقيقة ماتت من سنوات .. وأنا ما زلت أهتم وأنفق على أولادها أو بناتها .. لها ثلاث بنات من زوجها يا أديب .. لا تقصر معهم ، فأمهم قد ماتت ، وتزوج زوجها وأنا أوصيت المحامي على مراعاة شؤونهم .. فتعاون مع داود محمد ..

وأنا لي بنت من امرأة برازيلية هندية كما أخبرت في عدة مناسبات .. وهذه المرأة عمتك .. ولكنها اختفت وهي بنت عشر سنوات .. وكانت تظهر كما أخبرتني مطلقتي الهندية ..ولكن منذ اختفائها لم أرها .. رغم كل جهد بذلته كلما تطأ أقدامي .. ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل القديمة .. فلي مزرعة هناك ..عليها وكلاء من قبلي .. أقول ربما تظهر هذه المرأة أو العمة في يوم ما وتطالبك بمال والدها .. ربما أزعم أنها خطفت لابتزازي .. ولكنهم لما رأوا عدم وجودي الدائم في البرازيل ..تزوج أحدهم منها .. لأن أمها أخبرتني مرة أنها تزوجت شابا منهم .. وأمها لا تعرف هذا الزوج .. وما زال وكلاء المزرعة يقدمون المساعدة للأم وزوجها .. وربما يظهر لك أولاد عمتك الهندية .. فعليك أن لا تصدق شيئا بدون وثائق رسمية غير مزورة .. وأنا وقع في قلبي أن لخاطفي عمتك يد في محاولة قتلي للاستيلاء على ثروتنا في تلك البلاد .. وأنهم حاولوا قتلنا جميعا من أجل ذلك .. ولكن الأيام لم تثبت ذلك .. ولم يتقدم أحد لمحامينا هناك بطلب مال وميراث .. أنا وأثناء البحث عنها في تلك البلاد وقع في نفسي ومن معارفي في الشرطة أنها ربما تكون عملية خطف للابتزاز .. ولم يطلب أحد فدية .. قال البوليس ربما ذهبت برغبتها .. ثم تركوها .. ولكنها لم تعد للحياة مع أمها .. كانت تطل عليها ساعات ثم تعود للاختفاء عليك الانتباه لهذا الخطر .

المشكلة يا أديب أن لنا أعداء لا نعرفهم أحس بهم وأشعر .. فالصديق قد يصير عدوا .. فالخطر عليّ وعليك .. والحافظ هو الله وحده .. لكنني أخذت بالأسباب المادية لحمايتك وحماية نفسي فأنا تهمني حياتك أكثر من حياتي .. لقد أخذت حظي من هذه الدنيا .. فإني أتمنى لك حياة سعيدة ، وأن ترزق بالذرية الصالحة يا ولدي العزيز ..

والقصر اليوم قد أصبح القلعة الحصينة أمام أي غادر .. أمام أي عصابة .. لا يقدر عليه الجيش المسلح .. وهذا بلد آمن وأهله طيبون .

وكل معلومة مهمة تحتاجها تجدها عند وكيلنا داود

محمد .. فنحن أصدقاء منذ حياة أبيه ـ رحمه الله ـ وسأكتب لك بين الفينة والأخرى رسالة ..وعند موتي سيدفعها لك المحامي والسلام عليكم

جدك بسيم محمود الجدية

الأربعاء ١٢ / ١٢ / ١٩٨٤

وضع بشر الرسالة ، وقال بعد صمت عميق : جدك مجهول وغامض يا أديب .. ألم يحدثك شفويا بشيء عن تلك الأيام ؟!

قال أديب وهو يترك كوب الشاي فارغا على منضدة صغيرة : كان يتحدث معي عن بعض حياته ، ولكن لم أكن أركز كثيرا على ما أسمعه من معلومات .. كان مقتل أسرتي ما زال مسيطرا على أفكاري .. وهو فعلا أقام هذا القصر لحمايتي قبل حماية نفسه .. وخف سفره للخارج بعد مصرع ولده يحيى .. فصار يعتمد كثيرا على شركائه ومساعديه .. ويستخدم وسائل الاتصال الرسائل والهاتف والفاكس والبرق .. فلذلك كان في أسفل هذا البناء جزء لمتابعة نشاطات الجد ولتوفر شبكة اتصال جيدة وعالمية في هذه العاصمة .. وكان يستقبل زواره وضيوفه في الفندق أولا ، ثم يلتقيهم في القصر الصحراوي .. الذي جعله قلعة حصينة وزوده بحماية قوية منيعة إذا زرنا القصر ستتعرف على تلك الحماية .. حثني كثيرا على الزواج بعد مقتل أبي ..ولكني رفضت فكرة الزواج المبكر .. وقبل رفضي على مضض .. ولما نجحت في الثانوية العامة ، ولحقت بكلية الهندسة فرح بذلك .. وتمنى أن يطول به العمر ليراني مهندسا كبيرا .. وأنا في الجامعة كتب لي رسالة خاصة أخرى أودعها عند للمحامي ، وتسلم لي بعد وفاته .. وأمسك أديب برسالة أخرى وقال : هذه الرسالة يتبين من تاريخها يا بشر أنها كتبت في عام ١٩٨٧ .

٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وولدي أديب

امتد بي العمر حتى أراك في الجامعة في كلية الهندسة .. أنا قد خصصتك برسالة قبل سنوات .. كنت أرى أنها الوداع .. وإنما الأعمار بيد الله .. وأنا سعيد بأنك كبرت وأنا حي .. رغبت كثيرا أن أراك زوجا صغيرا لعل الباري يهبك ذرية تقر به العين .. طمعت برؤية الأحفاد ينسلون على الأرض .. ليمتد نسلنا في هذا الكون العظيم .. وله وحده الأمر من قبل ومن بعد .

أنا أعلم أن القصر الذي تسكنه والذي كتبته باسمك كما تعلم لا يمنع المقدور ، وأن المال لا ينقصك ، وأن الاحتياطات لازمة والتي أضفناها للحماية بعد حماية الله تعلم بها ، وتلتزم بها فالحافظ يا ولدي يقينا هو الله تعالى فالله خيرا حافظا وهو

أرحم الراحمين وهو القائل في كتابه العظيم خذوا حذركم .

سبق أن حدثتك شفويا عن الابنة التي اختفت في البرازيل أو خطفت ؛ لتكون ورقة مساومة وضغط لتلك العصابات الرهيبة ، ومنذ اختفت لم أرها ، وسعيت سرا وعلنا للالتقاء بها وفشلت ..وأخبرتك أنني نكحت أكثر من امرأة خشية الزنا ، ولم تنجب إلا تلك الهندية .. وعلمت منها أن ابنتنا حية ترزق ؛ ولكنها تعيش مع رجال العصابات .. وأنا أكتب هذه الرسالة اعلم أنها ما زالت على قيد الحياة .. وقد نكحت أحد رجال العصابات ..لم أتلق خطابا بموتها وهدفهم منها استلاب أموالنا في أمريكا اللاتينية.. لأني تلقيت بعض الخطابات القصيرة في هذا الهدف ..ولكن لكثرة الحركة .. لم تجر لقاءات خاصة في هذا الموضوع .. وأنا خمنت ؛ ولست متأكدا أن محاولة قتلنا التي جرت حيث تسكن يا أديب ربما كانت من أجل أن تعلن وفاتي ، وتظهر هذا الأنثى مطالبة بحقها في مالنا .. فاستأجروا قتلة .. وليظهر الحادث ؛ كأن أعدائي وخصومي في تجارة السلاح هم الفاعلون .

وأنا كتبت الكثير من الأفكار ووضعتها في حجرة الكنز ..ولا أطلب منك نشرها .. المهم حافظ عليها ، ودع نشرها وكشفها للأجيال الآتية بإذن الله تعالى

واعلم يا ولدي أن أجمل لحظات شيخوختي وحياتي عندما أجالسك في القصر .. وأنظر في عينيك وشبابك .. فهذه الدقائق والأيام أحسن أيام عمري بعدما كبرت سني ورق عظمي ..

فكل الأمور المالية منظمة عند شركة محامينا داود ، وهو رجل فاضل وابن صديق فاضل .. فابق صديقا له ولعائلته الكبيرة في البلد .. وعمارة مدينة جاد يشرف على إدارتها محام متعاون مع صديقنا داود .. وأنا استثمرتها هناك .. لتوفير المال لموظفي القصر الصحراوي الذين يزيدون عن الثلاثين فردا بقليل ..وبعد موتي .. يمكنك إخلاءهم وإعادتهم بلادهم مع كامل حقوقهم واحتفظ بسكرتيري مايا الهندي فهو صديق قديم ومخلص ، ويعرف الكثير من أسرار العمل والصفقات .. والتي خفت وقلت حقيقة في السنوات الأخيرة .. فالدول لا تتوقف عن شراء السلاح وتجديده والتخلص من قديمه .. وهذا قدرنا ورزقنا أن نعمل بهذه التجارة .. وكثير من شركاتنا المنتشرة في بلدان العالم هي تغطية لتحقيق مثل هذه التجارة .. فلن تجد يا ولدي مشاكل تشغلك عن حياتك العملية والخاصة .. فالمحامي داود يطلع على شؤونها بشكل ممتاز ويساعده مايا على خير وجه .. ولديّ عدد من الشقق المنتشرة في العاصمة ..

كانت تتخذ لحاجات أمنية لي ولضيوفي وشركائي .. وتجارة السلاح ليست خارج القانون .. ولكننا نحتاج مرات لمخالفة القوانين .. لصداقة دولة مع دولة .. نبدو أننا خارج القانون لهذه الدولة .. ونفقات قصرك مرتب أمورها ..لا تكترث لشيء عند وفاتي ..

أشرت لك سابقا في رسالة تركتها عند داود عن كنز .. وتركت بين يديه بطاقة كمفتاح لهذا الكنز .. فالكنز موجود في داخل القصر يا أديب ، وهو عبارة عن أوراق مهمة ومذكرات خطيرة خاصة بي وبعلاقاتي المتشعبة في العالم ..وهناك مجوهرات وأحجار كريمة تيسرت في رحلة الحياة وضعتها مع تلك الوثائق في المكان السري في قصرنا العامر في جوف الصحراء ووضعت مراحل وألغازا توصل إليه .. فهي ليست معقدة ؛ لتقول إن جدك يريد أن يحرمك من بيع القصر الذي ستدفن عظامه وبدنه فيه .. في مكان حددته لداود .. وهو في الجزء الثاني من القصر .. في البستان .. وأيضا ليست تلك الأحاجي سهلة .. فقد قرأت عددا من الكتب المهمة في إخفاء الدفائن والمجوهرات والرموز والإشارات .. فبذلت جهدا متواضعا لفعل ذلك في قصرنا وأنا لا أريد حرمانك من هذه الثروة .. فلقد تركت لك كل المال ..فأنت الوارث الوحيد .. قد تظهر تلك العمة الهندية ..

وأنا لم أنس ذريتك يا أديب .. فكثير منها سيكون لهؤلاء الأحفاد الذين أراهم بعين الغيب .

سأخفي الكنز الصحراوي في أسرار وخارطة سرية تعلمتها من تلك الكتب ..فلا تيأس .. فكر حاول ..

فقد طلبت من المحامي ألا يباع القصر قبل إخراج الكنز .. وأنا أمنعك أدبيا من بيعه قبل الوصول لذاك الكنز .. أنا أعلم أنك ستملك القصر بحكم الميراث الشرعي .. لكن ابحث ستصل .. وعندما تصل يحق لك أن تتخلص منه وأنني أسامحك ..

وإذا وصلت بجهدك أو بجهد غيرك .. ووصلت للوثائق لا تحاول نشرها فهي تشكل خطرا كبيرا على حياتك .. لكن عليك بالمحافظة عليها إلى زمن يصلح فيه نشرها للتاريخ .. وذلك دعه لأبنائك الذين أراهم بعين الغيب

أعود لموضوع العمة المجهولة التي لم أعرف بموتها رغم ما بذلت من جهد لرؤيتها وإنقاذها .. وقد يظهر لها أولاد يطالبون بمالهم .. فلا تغتر بما يقدم إليك من أوراق وشهادات عليك أن تتأكد من صدقها وصحتها .. فالاحتيال اليوم يتم على مستويات دولية عالية .. وعند المحامي من الأوراق والمعلومات الكافية لدحض أي افتراء يا أديب .. ولكن الشياطين حيلهم لا تنتهي ويبغون ويطمعون ويفسدون في الأرض .. فيجدون امرأة

تزعم أنها ابنتي .. ليأخذوا ثروتي . ابحث عن الكنز يا أديب قبل بيع القصر .

جدك بسيم محمود الجدية

الجمعة ١٢/ ٦/ ١٩٨٧

٧

كان هنالك رسالة أخرى مطولة كتبها جد أديب لحفيده ومما جاء فيها : أنت أديب فعلا يا أديب أنا سعدت جدا بتخرجك من الجامعة .. وكنت على استعداد لفتح شركة خاصة لك ولكنك رفضت كما تناقشنا في ذلك .. ولليوم لا أعرف سبب رفضك لذلك .. وكذلك رفضك الزواج أنا كنت أتخيل أنك ستلتقي بأنثى خلال دراستك ويحدث الزواج .. أنا حرت في أمرك يا أديب رغم هدوءك وصفاء ذهنك تتهرب من مسؤولية إدارة أملاكنا .. ما الذي في دماغك يا مهندس أديب ؟ الصمت شعار لك .. أعلمت حضرة المحامي وأكدت له رغبتي بعدم بيع قصر جدك بسيم .. وجعلت فيه كنزا عظيما ليكون حاجزا للعجلة في الخلاص منه ..

أنا لا أخشى عليك القتل بعد وفاتي ، ولا أرى أنك ستحتاج للقصر ؛ ليكون مكانا لك ..وأنا أظن أن أعدائي بسماعهم خبر موتي سيفرحون .. وأنتهي من حياتهم .. مع أنني خففت نشاطي في تجارة الأسلحة ، وتحركاتي قلّت ..لكنهم يترصدون بي شرا ..

فقد التقيت أثناء تجوالي في بقاع الدنيا عصابات وعصابات وأوقعنا بكثير منها في شباك الحكومات الوطنية .. فكثر أعدائي بينهم .. فمنهم من أسر ، ومنهم من قتل .. فعليّ ثارات لهم لا يمكن التساهل فيها ونسيانها .. أعمالنا في الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا وأفريقيا على خير ما يرام كما أطلع على التقارير التي تأتي من شركائي ومن محاميينا في بلاد العالم .. فقد صاحبنا رجال العصابات لحاجتنا لتمرير الكثير من الصفقات .. فهناك بين هذه العصابات والمنظمات السرية تصاحبنا وترافقنا .. ثم تعادينا وتخاصمنا ، ولليوم لم أعرف الطرف الذي فجرنا ببيت والدك .. رغم الشكوك التي راودتني نحو بعض الأطراف والعصابات ..

وكذلك ابنتي الهندية لم أعرف مصيرها لليوم ..رغم اختفاؤها من عشرات السنين .. ربما قتلت ولم تسجل الحكومة شهادة موتها .. ربما زالت حية ونسيت أباها وأمها .. لا تفرط يا أديب في كنزنا .. إذا لم تصل إليه فليبق لذريتك .. لعل أحدهم يصبح مثل جده بسيم الجدية تاجرا جوالا في أنحاء العالم .. المال قوة ..

أتمنى أن تقضي حياتك بسلام وصفاء واستقرار .. وأن توهب الزوجة الطيبة التي تنجب لك الذرية

الصالحة .. أنت وديع وهادي يا ولدي .. وذكي ولكنك لست بالذكاء الحاد العبقري ذكاؤك طبيعي ككثير من خلق الله .. ولكن عليك أن تحاول حل الرموز والشيفرات التي وضعتها لتصل .. سوف تصل ..

أنا سمعت رغبتك بالخلاص من القصر الصحراوي ، وتتعجب ممن يعيش بعيدا عن الناس .. فأنا أصحابي الكتب بما فيها من الشعراء والصحفيين والرجال .. هؤلاء أحياء عندي وأستمتع وأنا أقرأ ما كتبوا وعمن كتبوا ..

ووضعت أمانة في عنق المحامي ألا يباع القصر قبل كشف سري وامتلاكك للمجوهرات والوثائق ..

ربما يكون من حظ أبنائك يا أديب ..

حاول يا ولدي ولا تظن أنني أسخر منك ، ولم أضع أسرارا وأفكارا لهذا الكنز .. ربما تصل لمرحلة وتقول جدي : يسخر مني .. لا حيلة ولا وسيلة للكنز .. أنا لا أمزح .. الكنز حقيقي يا أديب .. واحذر الدجالين والمحتالين .. ربما تكون هذه آخر رسالة اكتبها في شأن الكنز الخفي سأضع في طريقك مفتاحا مهما .. أشرت إليه في رسائل سابقة .. واعلم أن الكنز في القصر .. في غرفة من غرفه .. والقصر فيه ما يقارب مائة غرفة ما بين حجرة وحمام ومكتبة ومطبخ ومخزن وبئر .. وقاعة .. وخدمي كما تعلم لا يعلمون في أي غرفة أقضي ليلي .. في أي طابق في أي غرفة نوم .. حتى حرس القصر لا يعرفون مكان نومي كل ليلة .. إذا رن الهاتف رن في عدد كثير من غرف نومي فأرد من حيث أكون ..

جدك بسيم الجدية

الأربعاء ٢٩/ ٩/ ١٩٩٣



٨

لما قرأ بشر الرسالة الثالثة ووضعها على المائدة الصغيرة قال: أين خريطة الكنز ؟

قال أديب : لا خرائط مع هذه الرسائل .. هناك ثلاث رسائل أخرى لا أهمية لها في البحث عن الكنز وهي في داخل هذا المغلف إذا رغبت بقراءتها فافعل وخذها معك واقرأها في بيتك .. فأنا وسعاد لم نر فيها امرأ يهم قضيتنا .. هي تكرار لما قرأت الآن .

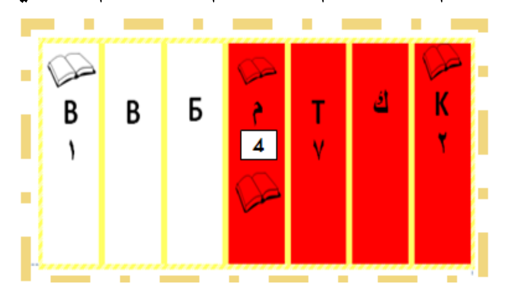
ـ إذن كيف سنبحث عن الكنز ؟ كأنني فهمت أنه ترك شيئا نبدأ منه

ـ هناك بطاقة ..مثل كروت التعريف فيها رموز وحروف وأرقام .. ها هي يا سيدي !

وأظهر بين يديه بطاقة دفعها لبشر .

أمسك بشر بالبطاقة ، ونظر إليها بدقة وفكر ، هي

بطاقة كالتي يستخدمها الناس للتعريف على عملهم وعناوينهم ونشاطهم وهواتفهم ، لا شيء



على ظهر البطاقة بيضاء مصقولة وعلى وجهها إطار مقطع .. حروف أرقام رمز لكتاب أو كتب .. مقطعة إلى سبعة مستطيلات طولية .. برواز أصفر .. قسم منها باللون الأحمر أربعة مستطيلات ، وثلاثة باللون الأبيض ثلاثة مستطيلات

تأمل المحامي الصحفي الكرت بضع دقائق ثم قال : أنا بالطبع لم أفهم شيئا .. هل فهمتم منها شيئا ؟!

ضحك أديب وسعاد وقال : طبعا لما أعطاني المحامي داود هذه البطاقة ، ولما قرأت الرسائل أخبرته أنني لم أفقه شيئا منها .. فزارني وقرأ رسائل الجد كلها ، ونظر إلى هذه البطاقة بعض الوقت مثلك الآن وقال : هل هذا عنوان ؟ لا يوجد رقم تلفون صندوق بريد.

قال بشر : ولكن كما علمت ذهبت للقصر لفك شيفرة هذه البطاقة .

قال أديب : بعد عجزنا أنا والمحامي عن فهم شيء منها ذهبت بصحبة فريق عرفني عليهم المحامي لفك شيفرة الكرت .. أحدهم ضابط مخابرات متقاعد ، وقد قضى عمرا في صنع الشيفرات وفكها وحلها .. ورجل آخر أستاذ متقاعد ، وله اهتمام بالكنوز والشيفرات وقراءة كتب الأسرار ، ورجل ثالث متقاعد من الشرطة قسم البحث الجنائي ، وله اهتمام ونشاط في مثل هذه الأمور.. جمعهم داود وعرض عليهم المهمة .. وبعد ترتيب سافرنا للقصر الصحراوي ومكث بعضهم أسبوعا ، وبعضهم الشهر ، ولم نصل لشيء مهم ؛ ولكنهم فهموا هذا الكرت بعد تفكير عميق .. فالكرت يعني المكتبة .. انظر إلى هذه الجهة من المكتبة وأشار إلى جهة معينة من المكتبة التي يجلسون فيها .

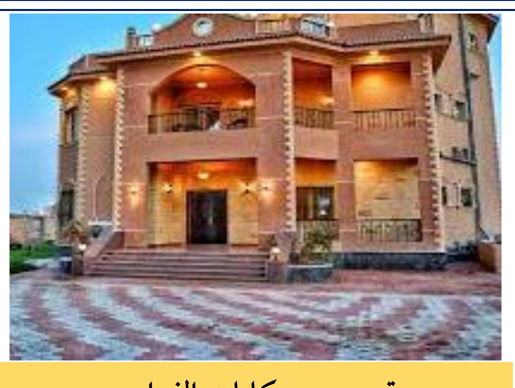
فقال بشر منفعلا : فعلا إن الكرت يشبه هذه الجهة من المكتبة !

ـ في القصر ثلاث مكتبات ، في كل مكتبة واجهة كهذه الواجهة .. كل طابق جعل جدي فيه مكتبة .. فيقول الضابط الكبير إن مكتبات الثاني والثالث صممت من أجل اللغز ، لم تصمم ابتداء .. في الواجهة المقصودة سبع خزائن، أربع باللون الأحمر وثلاث بالأبيض ، وبرواز أصفر أو ذهب أصفر ، وكل خزانة سبعة رفوف ، وكلها مليئة بالكتب ..وتبين لهم أن الحروف الظاهرة على البطاقة هي أول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات منها العربية والإنجليزية والروسية والتركية والفارسية

؛ لكن لماذا هذه اللغات السبع ؟ فالعربية مكتبة فالإنجليزية بوك شوب وهكذا .. عرفنا في هذه الرحلة الكرت ماذا يعني عندما رأينا المكتبة والرموز الحرفية ؟ علمنا ماذا تعني ؟ أما الكتاب في الخانة الأولى والرابعة مرتين والسابعة مرة والأرقام الأربعة ماذا تعني ؟ هل رمز الكتاب هو رسم مساعد أن هذه الحروف تعني كتب ؟ لم نعرف .. بعد فشلنا عدنا ، وبعد حين عاد الرجل الخبير بالأسرار وطلب الذهاب إلى القصر ثانية ، وبعد أسبوع عدنا بخفي حنين كما يقال ، لم نفقه شيئا زيادة على المرة الأولى . فقال ونحن نفترق : عليك بقراءة كل هذه الكتب أو تبحث فيها لعلك تجد ورقة رسالة أخرى .. وأنا ليس لي همة يا أبا ناصر .. ولا أحب ذلك القصر ، وصرفت النظر عن بيع القصر احتراما لجدي ووصيته .. وترك الأمر كما هو .. حتى تحل الشرطة قضية مقتل الجد .. فأبقى المحامي القصر على ما كان ، ولم يصرف أي موظف قبل إغلاق الملف ، وله ربما سنتان ولم نعرف القاتل ولا الكنز ..فهذه قصة الجد بسيم وكنزه .

فقرر بشر قائلا : لدينا لغزان يا أديب .. لغز جريمة القتل الغريب .. ولغز الكنز المالي والوثائق المهمة والخطيرة

ـ أجل أيها الصديق .



قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

الأميرة تاج اللوز

الأمير الكبير معن لقد أصبح اليوم ملكا على البلاد والعباد ، وذلك على أثر وفاة والده الملك الشهير شيبان النابغي ، فلقد كان الأمير معن يخشى أن ينافسه أخواه ربيع و زيدان على عرش المملكة، والذي كان يؤرقه ويزعجه أكثر من ذلك أن يبايع الناس أخته تاج اللوز ملكة على البلاد ؛ لمحبة والدها الملك لها ، ولكثرة حديثه عنها ، لذلك لما تسلم الكرسي وبايعه الخلق من الأمراء والوزراء تنفس الصعداء، وفرح بالتاج عندما وضع على رأسه أشد الفرح ؛ بل كان أسعد البشر لتسلطنه

على خلق الله ، فلما عاد إلى بيته الخاص في الليل وجد زوجته والأميرات ينتظرنه لتهنئته بالملك ، ولما انصرفن ولم يبق في الديوان إلا هو وزوجته الأميرة عبلاء فقال بقلق : لم أر أختي تاج اللوز معكن ؟!

فنظرت إليه زوجته بضيق وقالت : من أنت لتأتي إليك تاج اللوز؟!

فقال بغضب خفيف : أنا الملك .. أنا سيدها ومولاها الملك معن بن شيبان!

قالت : لقد أرسلت إليها خادمي الخاص يدعوها للقصر ؛ ولكنها اعتذرت بأعذار أوهى من خيط العنكبوت ..!

نهض الملك عن كرسيه وهو يقول : صبرا يا عبلاء .. ستعرف هذه المغرورة من أنا ؟! من هو الملك معن ؟!

فقالت الأميرة هامسة ومنبهة لشأن ما: الشعب يحب الأميرة يا معن!.. لا تتهور .. واعلم أن أباك خشي عليكم من الفتنة وضياع الملك من العائلة .. فرضي بأن تكون أنت وريثه الشرعي..

فقال ببطء كأنه استوعب التحذير: لن أتهور أيتها العزيزة ، وكيف أتهور وأنت تشيرين عليّ في الوقت المناسب ؟!

وفي حجرة النوم قالت الأميرة : أخواك .. ! ما أنت فاعل فيهما ؟!

فقال : أما الآن فلا شيء يدور في خلدي نحوهما .

فقالت الأميرة بحزم وعزم : المهم يجب أن تكون ولاية العهد لابنك حسن .

فرد عليها قائلا بدهشة : حسن !! وهل يصلح .. إنه صبي صغير وذو حمق .. وعلى كل سوف أفكر بذلك فيما بعد أيتها الملكة .. سأصنع لك حفلا بهيجا يوم تنصيبك ملكة بعد سنة من اليوم.

فقالت بتبرم :أنتظر سنة لأصبح ملكة .. لم لا تخلع أمك التاج من الآن ؟!

فقال ضاحكا : النظام أيتها الحمقاء .. النظام !! هذه أحلام وأفكار الملك الجديد على بلاد النعام ، خلاصتها الخلاص من اخوته مع أنه أصبح ملكا بموافقتهم ومباركتهم ، ومع أنه اتفق مع زوجته أن لا يتهور ، وأن يحسب لكل خطوة مائة حسبة ، وها هو في اليوم التالي عزل الأمير ربيعا عن قيادة الجيش الملكي ، وعين ابن عمه سالم أخا امرأته عبلاء مكانه ، وعلى أثر ذلك العزل اعتكف ربيع في منزله وقصره ، مما أثار قلق معن فألقى به في السجن ، ولما تدخل الأمير زيدان الشقيق الثالث لإصلاح ذات البين عزله عن قيادة الحرس الملكي، وسلم المنصب لابنه الكبير صعب ، فغضب زيدان أشد الغضب ، وترك المدينة سرا قبل أن يقبض عليه ، والتجأ لملك بلاد الشرف ، ولما علم مكانه أرسل الملك معن رسولا إلى ملك تلك

البلاد يطلبه منه ، على أثر هذه الأحداث المتلاحقة أرسلت الأميرة تاج اللوز رسولا إلى أخيها الملك تطلب حضوره للاجتماع بها أو أن تذهب إليه فوافق على مجيئها ، ودخلت القصر الكبير بفرسانها السبعة ووصيفاتها ، وأمر الملك لما أدخلت عليه بصرف الحاشية فلما خلا المكان من سواهما قالت بقوة وجسارة معهودة فيها : أيها الملك الجبار .. ما الذي تفعله بالمملكة ؟! كيف تسمح لنفسك بعزل أخويك من مناصبهما وتخون وصية والدك الذي لم يبرد جسده بعد ؟! إن الظلم يؤذن بزوال الملك عن الأسرة أيها الملك المغرور !

فرفع الملك صوته غاضبا وقال : ويلك!! .. هذه وقاحة لم اعهدها فيك أيتها الأميرة .. كيف تخاطبي مليكك بهذه الجسارة والقحة ؟! .

فصاحت هي الأخرى : لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام .. اخرج أخاك من السجن، واعتذر له، واعد له منصبه ، ولا تقطع رحمك أيها الأحمق ..

فإن كنت متضايقا من وجوده بقربك فوله

إحدى المدن .. وأيضا أرسل في طلب أخيك الهارب ، واعتذر له أيها الملك الأحمق

فزاد الغضب في قلب الملك معن ، ورعد وزمجر ، وخرج الزبد من شدقيه ورفض عروضها ثم قال بعد ذلك ساخطا: كنت أظن أنك قادمة بلين ولطف لتشفعي لهما .. أتعلمين أيتها الحمقاء أني سأرغمك على الزواج من أحد الأمراء لعل رأسك تلين وتتعلم كيف يكون الكلام مع الملوك؟.. ولن أدللك كما كان يفعل أبي المسكين معك .

ضحكت الأميرة وقالت : أيضا هذه تتدخل فيها!.. يا معن يا ابن شيبان .. سأمهلك ثلاثة أيام أنت وزوجك الماكرة ، وفي اليوم الرابع إن جاءني الرسول وبصحبته ربيع عفوت عنك ، واستقر لك التاج وإلا ستعرف من هو الأقوى أنا أم أنت وعبلاء الحمقاء .

فقال بحدة وهياج : ويلك!! .. ومن أدراك أنني سأنتظر ثلاثة أيام أيتها المأفونة لأرضخ لك .

وصاح بصوت مزق قاعة الحكم : أيها القائد نعمان فتح نعمان الباب .. وسمع الملك يقول : آمرك بالقبض على هذه الأميرة المتمردة فورا .

وقفز نعمان قائد حرس القصر الكبير هو وجنوده ، وأحاطوا بالأميرة وهم يرتجفون خوفا .. فالأميرة تاج اللوز كانت ابنة الملك شيبان المدللة ذات الجمال والقوة ما غلبها فارس في الميدان ورفضت الزواج إلا من بطل مغوار يهزمها في الميدان ولعب الرمح والطعن بالسيف ، ولزمن هذه الأحداث ما التقت بفارس وتمكن منها، فاستلت سيفها من غمده ، وخرج له صفير يقذف الرعب والوهن في القلوب، وابتعد الملك إلى سلم صغير وهو خائف من فشل جنوده ، فهو لا يجهل قوة وشجاعة

الأميرة فهي ابنة أبيه فالتفتت إلى أخيها وقالت : أيها الملك .. دعني انصرف قبل فوات الأوان .

فقال بغضبه السابق رغم خوفه وقلقه : لا يصلح ملكان في دولة .. لا تقتلوها أيها الفرسان .. لقد اخترت لها بعلا لعلها تعود أنثى تحبل وتلد .

فقال قائد حرس القصر نعمان : أيتها الأميرة سلمي سيفك .. نحن نعلم أنك خير من حمل السيف.. ونحن ننفذ أمر الملك.. ويعز عليّ أن استلم سيفك ولكن ولكن..

اشتد غضب الأميرة وضحكت بحدة وقالت : خذه .. إن استطعت .

وقبل أن يرد نعمان كان سيفه يحلق في فضاء الديوان والأميرة تقول : اذهب إليه يا نعمان .. لن أقتلك .. هذا قصر أبي لن تسيل على فرشه دماء إن شاء الله .

بهر الملك والفرسان لسرعتها في نزع سيف نعمان من قبضة يده القوية ، فالملك يعتبره من أقوى الحرس وأشدهم بأسا ، فعاد نعمان بالسيف في جنون وغضب ، ووقف أمامها بتحد أكبر وقبل أن يعبر عن غضبه كان السيف يطير ثانية من بين يديه وقالت بهدوء : أيها الغبي .. لا أدري كيف يرضى بك معن حارسا على حجرة نومه ؟ ابتعد أيها الأنسان.

صاح الملك : أيها الفرسان اهجموا عليها .

لم يتقدم أحد ومشت الأميرة بثبات وهدوء نحو الباب ، والملك والفرسان في دهشة وحيرة وذهول، ونعمان يبكي ويعض أنامله من الغيظ والقهر والفشل ، ولما اعتلت صهوة جوادها التفتت إلى الذي يتبعها ببدنه وهو مسلوب الإرادة : بعد ثلاثة أيام أيها الملك .. وإلا سأنزع هذا التاج عن رأسك .

وسمعت الحاشية والوزراء هذا الكلام الغاضب ، ودخلوا على الملك المذهول وهو يصيح : لا يصلح ملكان في دولة .. يجب أن تموت هذه المغرورة .. إنها حمقاء .. إنها .. إنها ...

اجتمع الملك معن بزعماء الجيش والحرس ، وشاورهم في خطر الأميرة تاج اللوز على العرش والاستقرار، وتدخلها بشؤون المملكة ، ولما انتهى الملك من ذكر المخاطر التي تتعرض لها المملكة من أخته، قال سالم قائد الجيش وابن عم الملك: أرى يا مولاي أن تمهلها الأيام الثلاثة لنرى ما تفعل بتهديدها لنعذر أمام الناس إن أسأنا لها !

فقال صعب قائد الحرس : أرى يا والدي أن تعتقلها ، وتقذف بها إلى سجن حتى تلين رأسها ومن تحرك من الأمة والشعب نفتك به أو نرميه في سجن أو بئر عميق تنهشه الأفاعي والعقارب

وأشار بعض القادة بالمصالحة ونفيها من العاصمة الملكية ؛ لأن الدم سيجلب الدم .. والقتل سيجلب

القتل .. وتنشب حرب داخلية تفتك بالجميع ، ولما كثر لغطهم قال الملك في النهاية : سأصبر ثلاثة أيام أيها القادة ؛ لنرى ما في جعبتها من شر وفساد؛ وليعرف الشعب مدى حبنا لأختنا ومدى صبرنا على تدخلها في شؤون ملكنا .

ولما التقى الملك بزوجته عبلاء خاطبته بحدة وقوة : ماذا فعلت بالملكة الجديدة تاج اللوز؟

فقال بدهشة : أوصلتك الأخبار؟ .. لقد سحقت نعمان أمهر الفرسان بلحظات ؟! إنها قوية لقد خشيت على نفسي منها .. إنها وحش في ثوب امرأة !

أخذت عبلاء بالضحك والسخرية ، وسمعت الملك يقول : لم نفعل معها شيئا .. سأنتظر ثلاثة أيام لنرى ماذا ستفعل أختنا بنا ؟

فصاحت به بحقد جلي على الأميرة : تنتظر .. ولماذا تنتظر ؟! تحرك بسرعة وفورا .. قبل أن تنزع التاج عن مفرق رأسك إن لم يطر رأسك .. أيها الأحمق .. إنها وحش كاسر .. عليك بحبسها ، بل اسفك دمها ودم كل من يتطاول للتاج والعرش .

فقال بانبهار : أأقتلها؟ !! لا .. هذا أمر قاس جدا .. بل انتظر كما أشار قائد جيشنا الأمير سالم .. ولقد أحطت قصرها بالعيون .

فقالت الأميرة بأسف واستسلام : أرجو أن لا تندم

فقال : يا زوجتي الحبيبة .. يا عبلاء الحمقاء .. الناس تعشق الأميرة .. كم من معركة خاضتها مع أبي ؟! وكانت تساعد في كل انتصار ، لها قلب أقوى من حجر الصوان .. بل سحقت كبرياء نعمان ونزعت سيفه مرتين .. وأنت تعلمين من هو نعمان ؟! إنها قوية .. ولا أدري لماذا أخافها وأخشاها ؟

فقالت بمكر وخبث : الحيلة تغلب الشجاعة والقوة .

فقال باستسلام : هات ما عندك من الحيلة يا ابنة العم ؟

فقالت : نزوجها من سالم قائد الجيش.

فغر الملك فمه من الاستغراب وقال بدهشة وتعجب مما اقترحت : سالم أخوك !! وأي حيلة في هذا ؟!

ردت الأميرة عبلاء بمكر : ارسل إليها رسولا يعرض عليها الزواج من القائد سالم ابن عمها مقابل العفو عن ربيع وزيدان .. ولسوف يدبر سالم نفسه معها ويلين رأسها الصلب .

صمت الملك لحظات ثم قال : إنها تكرهك وتكره سالما أشد الكره فكيف ترضى به زوجا لها إن هذا لشيء عجاب يا ابنة الكرام ؟!

فقالت : حبها لاخويها يدفعها للموافقة والرضا بالقائد سالم .

فقال بحيرة وشك : لا أدري المعاني البعيدة التي

تودين الوصول إليها من هذا الزواج .. ولكني سأطيعك لأنني أثق براجحة عقلك .. وافعلي ما تفكرين فيه .

فسرت الأميرة من موافقة زوجها على خطتها وعرضها الغريب ، وأبدت امتنانها للملك وهي تقول : سأدبر الأمر .. لا عليك أيها الملك السعيد .. ارقد مطمئنا من ناحيتها .. واهنأ بالا في ملكك العامر يا قرة العين .

وأرسلت الأميرة وراء الأمير سالم قائد الجيش وشرحت له فكرتها ، فأظهر رفضه الشديد في بداية الأمر وعادت تقنعه قائلة : أيها الأمير .. عندما تتزوجها ستعود امرأة حسناء ناعمة لطيفة تنشغل بالهوى والعشق والأولاد والبنات .. وحبها لربيع وزيدان سيدعها تتنازل عن قسوتها وحميتها .

فقال وهو غير موقن بنجاح زواجه : وإن فشلت في ذلك الحب ؟!

فاقتربت من أذنه وهمست بحقد وبغض شديد على الأميرة تاج اللوز : تتخلص منها .. بقتلها خفية .. ولا يشعر أنصارها ومحبوها بذلك .

فقال هو الآخر بصوت هامس : وبعد ذلك ألا يصحو ضمير زوجك ؟!

فقهقهت الأميرة الحاقدة، وقالت بسخرية وثقة كبيرة بتدبيرها للأمور : لن يصحو .. فهو لا يفكر إلا بأن يكون سيدا مطاعا ملكا على البلاد والعباد ، وهمه رحلات الصيد ومطاردة الوحوش .. وعندما أتوج ملكة سأكون أنا الملكة الحقيقية للبلاد أيها الأخ الكريم .

مرت لحظات من الصمت الغريب ، ثم قال القائد وهو يهز كتفيه استغرابا : كلامك جميل ! ولكن عواقبه وخيمة .. ولكني طوع بنانك يا أخية ، فهذه أول مرة في تاريخ أسرتنا من يستلم منا قيادة الجيش ، بل من ستصبح ملكة .. وذلك بفضلك وجهدك الدؤوب .. دائما نحن في الرتب الدنيا .. لقد كان أبي ذليلا حقيرا أيام الملك شيبان بل لا أعقل كيف زوجك شيبان من ابنه معن ؟! .. ولكنك ذكية ماكرة تحسنين التخطيط والتدبير .

فقالت بخيلاء وغرور : كما رسمت وتزوجت معنا ، ورسمت أن يكون ملكا سأدبر الأمر وانقل الملك إلى أسرتنا .. فبزواجك من تاج اللوز تكون الخطوة الأولى على درجات العرش ابنك منها سيكون الملك المتوج وسوف يعود العز والمجد لأسرتنا دون أبناء عمومتنا أيها القائد

فقال سالم قاطعا أحلام أخته : هذا إذا وافقت على الزواج مني مقابل العفو عن أخويها وإن رفضت ماذا ستفعلين ؟

فنظرت إلى عيني أخيها بقوة وقالت بقسوة وحقد ظاهر : يجب أن تموت كما قال سيدك الملك لا يصلح ملكان في دولة !

ثم أرسلت خادما للأميرة تاج اللوز تطلب لقاءها، فوافقت تاج اللوز والتقت الأميرتان زوجة الملك وأخت الملك وقالت تاج اللوز لها باحتقار جلي : آ .. ما في جعبتك أيتها البلهاء ؟

ابتسمت الأميرة عبلاء وقالت بصوت ضعيف ذليل : أنا لست بلهاء يا ابنة العم .. أنا امرأة أخيك .. أنا عبلاء الأميرة الحسناء ..

فقالت تاج اللوز: نعم .. ما العرض الذي جئت به ؟؟ ترغبين بتزويجي من سالم لينجب لك ولدا يصير ملكا .. أو تدسين لي سما .. أو ..

صعقت عبلاء وفغرت فمها دهشة لَمَ تسمع وقالت : مولاتي .. ماذا تقولين ؟ .. وأين أولاد أخيك عن وراثة الملك ؟! .. أولادي .. هل سأتخلص منهم ليصير ابن أخي ملكا ؟! .. جواسيسك ينقلون إليك أفكار غريبة يا حبيبتي .

فقال الأميرة وهي تهز رأسها : ماذا أقول؟! .. هذا كلامك أيتها البلهاء .. لن أتزوج سالما لأرى كيف تمكرين بي ؟ .. فانصرفي في أمان الله يا ابنة العم ..

عادت عبلاء للقصر ، وكلها غضب وسخط وخزي ، وكان سالم في انتظارها ورآها وهي في هذه الصورة الغاضبة الحاقدة فقال : ما بك أيتها الأميرة ؟!

فقالت : كل القصر جواسيس لها .. كل القصر عيون علينا .. لقد نقلوا لها كل الكلام الذي تكلمت به أيها الأحمق .. يجب أن نتخلص منها على الفور .. إنها شيطانة !

صعق سالم لما سمع وقال : ازداد خوفي ورعبي منها .. لمَ كل هذا الصراع يا ابنة أمي وأبي ؟!



أمر الملك معن بمحاصرة قصر الأميرة بناء على طلب الأميرة عبلاء ، وتحرك سالم على الفور وحاصر القصر من جميع الجهات ، واضطربت المدينة على الفور، وانتشر الخبر بين الناس أن الأميرة تاج اللوز قد حوصرت وأن أخاها الملك يريد القضاء عليها ، فتجمع الناس واتجهوا نحو قصر الأميرة، فطردهم الجنود شر طردة فعادوا لبيوتهم يتوجسون شرا سيعم البلاد ، وبعد ثلاثة أيام من الحصار أمر الملك الجند بإحضار أخته مكبلة بالقيود ذليلة ، فاقتحم الجنود القصر ، ولم يجدوا سوى الخدم وبعض الجنود يحرسون الأبواب ، ولم تكن الأميرة ولا حرسها الأشداء في القصر لقد تركت المدينة بعد مقابلتها للأميرة عبلاء ، وهي الآن في طريقها إلى مدينة الجنود في شمال البلاد ، فلم علم الملك والأمراء بهرب الأميرة دب في قلوبهم الوهن ، وخشي الملك من تمرد في صفوف الجند ، فوهبهم الأموال والمكافآت ، وكان يقول لزوجته : بدأ التاج يهتز

فوق رأسي أيتها الأميرة !

فقالت الأميرة بحنق لفشلها بالقبض على غريمتها: سأرسل وراءها سفاكا ليسفك دمها .. اطمئن أيها الملك السعيد .. ولن يهتز التاج وأنا على قيد الحياة .. أنا أو هي في هذه الدنيا .. ولسوف ترى ما تفعل الملكة عبلاء .

وبينما الملك يتشاور هو والموالون له من الأمراء والقادة جاءه رئيس السجن ليخبره بهرب أخيه ربيع ، فصعق الملك وكاد يقع عن سريره ، ووضع يده يتحسس التاج فوق رأسه ، وبعد أيام وصل الخبر أن الأميرة تاج اللوز نزلت مدينة الجنود ، وأعلنت تمردها على الملك ، وأخذت تحشد الجنود والفرسان ، فتجمع حولها ما يزيد عن ألف فارس ومتطوع ، وفي هذه الأثناء لحق بها أخوها ربيع فسرت بلقائه ، وجرى بينهما حديث طويل وعتاب قال لها معاتبا : ألم أقل يا تاج اللوز أن معنّا يحقد علينا ..وقد ملئت زوجه قلبه علينا ؟!

قالت وهي تشعر بالأسف : لا أنكر ذلك أيها الأمير .. ولكني قصدت منع الفتنة وانقسام البلاد وما كنت اعتقد أن يتحرك بهذه السرعة .. وما عهدته شجاعا في المعارك وتدبير السياسة والحكم إنما البلاء.. كل البلاء من الحية الرقطاء زوجته وأهلها .. كانوا يخططون ويدبرون.. ولم نحسن تقدير خطرهم ومكرهم .

فقال: على كل حال .. لا مجال للتلاوم الآن .. فهل يكفي هؤلاء الفرسان لقتال جنود الملك شيبان ذوى العدة والعدد الكبير؟!

فقالت بحدة وضيق : أليس لنا أنصار وأعوان في جيشه وحرسه ؟!

فقال : لقد علمت أنه أبعد كل فارس ومقاتل هواه معنا .. ولقد غير وبدل في العرفاء والقادة وأعطى ووهب.. فبين يديه المال والذهب والفضة والخيل والسيوف .

فقالت : ألا نقاتلهم؟! ..أم هل نبحث عن حليف؟ ومن يرضى من الملوك أن ينصرنا ويؤيدنا والتضحية من أجلنا ؟! فأنت تعرف أن أباك لم يدع لنا صاحبا ! ما من ملك إلا له مع جولة ومقتلة ، فهذا غزاه في عقر بيته، وذاك قتل أخاه أو أباه أو ابنه .. بل أرى أنهم اليوم مسرورون لما حل بنا من الشقاق والفراق .. وهذا ما كنت أخشاه ! ومن أجله سكت عن عدم إبعاد معن عن الملك والحكم

فقال : ما العمل ؟

فقالت : نقاتل .. ندرب هؤلاء الأبطال، ونلاقي بهم جنود معن ، والنصر بيد الله يهبه لمن يشاء

فقال بخوف : يا أخية .. عددهم قليل.. وجنود الملك الزاحفون يزيدون عن عشرين ألف مقاتل .

فصرخت غاضبة: أين أصدقاؤك في هؤلاء الجنود ؟! .. ألا يمكن أن ينقلبوا على رؤسائهم ؟!

فقال بضعف وخور جلي : سأحاول .

فصاحت مرة أخرى : لابد من المعركة .. إما النصر وتحطيم عبلاء الماكرة التي سخرت منا كلنا أو الهزيمة والموت ببسالة دفاعا عن شرفنا وكرامتنا .. لا حياة للجبناء .

خيم الصمت على الأميرين ثم قال ربيع : أرى لقاءنا معهم انتحارا .. والاعتماد على انقلاب الجنود على زعمائهم أراه انقلابا ضعيفا .. يا أختي العزيزة .. فلنترك المدينة ونبحث عن ملك نصير خير من نخسر هؤلاء الأبطال يا تاج اللوز .

قالت : سوف اجتمع بهم وأرى ما يقولون .

التقت الأميرة بالفرسان وحاكم المدينة وتبين لها أن المدينة لا تصلح للحصار والصمود أمام جنود الملك وأنصاره في المدينة، فشعرت بالخذلان والهزيمة، وقررت الخروج من البلاد ومن شاء أن يتبعها نحو بلاد الشرف حيث سبقهم زيدان فليفعل ، ورحب بهم ملك تلك البلاد البطل جيل الصبوان ووعدهم خيرا ، وأخبرهم خبر رسول الملك معن الذي أتى يطلب زيدان ولم تمض أيام حتى وصل وفد معن يطلب من الملك جيل الصبوان تسليم الأمراء أو الحرب بين المدينتين .

فأمر الملك بضيافة الوفد ، والتقى بالأمراء الثلاثة تاج اللوز وربيع وزيدان وذكر لهم مطلب أخيهم الكبير معن فقالت الأميرة : أشر علينا أيها الملك !

قال : في الحقيقة أيتها الأميرة أنا في حيرة من أمري .. لا أستطيع أن أنسى الحروب التى دارت بين بلدينا سابقا وكم هلك فيها من الأبطال والرجال ؟ .. وما صدقنا وأن جرى الصلح بيننا وانتهت المعارك بيننا ، وتسليمكم لا أستطيع فعله ، فالأفضل أن تخرجوا سرا من البلد ..وادع أنكم هربتم على حين غفلة منا .. وأنصح لكم بالمسير للملك عدنان ملك بلاد الوادي .. فهو فارس مغوار وبطل كرار لا يشق له غبار .. وعنده جيوش لا يعلم عددها إلا الرحمن .

قالوا : هذا رأيك ؟

رد الملك : أجل !

وقبل أن تمضي أيام الضيافة على وفد الملك معن انتشر خبر اختفاء الأمراء واتباعهم ، فغضب الوفد من الملك جيل الصبوان وعادوا لبلاد النعام ، ولقد أصبح الأمراء الثلاثة في حالة يرثى لها وهم يقطعون البراري والقفار والوديان والجبال ، وكانت الأميرة تاج اللوز تقول : لقد ذللنا ذلا شديدا لا يمكن نسيانه يا زيدان .

فقال بأسف وحزن : أسأنا تقدير خصومنا أيتها الأميرة .

فقالت بحسرة ودموع: ليتنا التقينا بجيش الملك وقاتلنا يا ربيع حتى الموت .. لم يترك لنا والدنا حليفا وصاحبا .

فرد ربيع : النصر لا بد له من صبر ومعاناة .
ولما وصلوا لبلاد الملك عدنان رحب بهم وأحسن وفادتهم ، واستمع لقضيتهم ووعدهم خيرا وأسكنهم في منازله وضيافته ريثما يصل وفد بلاد النعام ، ولم يطل الانتظار فقد اقبل الوفد ـ وفد الملك معن ـ يطلب استلام اخوته الأمراء الهاربين، فطلب مهلة ثلاثة أيام يفكر بالأمر مع كبار قومه ، التقى الملك عدنان بالأمراء الثلاثة وقص عليهم مطالب الوفد ، ثم قال : أيها السادة إذا قمت بمساعدتكم فما جزائي مقابل تضحيتي ببضع مئات من فرساني وجنودي ؟
سكت الأمراء قليلا ثم قال عنهم ربيع : ماذا تريد ؟ كل فارس يشارك في القتال له مائة دينار وجواد ودرع وسيف .. وكل من يقتل يعطى ورثته ألف دينار .
فقال عدنان الملك : وأنا سيد هؤلاء الفرسان !
فقال ربيع وهو حائر من غاية الملك : ما تطلب لنفسك من المال والثياب والخيل فهو لك!
ففكر الملك قليلا ثم نظر نحو الأميرة فلمعت عيناها وقال : لا أريد ذلك .. أريد الأميرة تاج اللوز حليلة لي !
نظر القوم في بعضهم بعضا دهشة ، وران عليهم الصمت وتكلمت الأميرة فقالت : سيدي الملك .. إنني لا أصلح أن أكون زوجة .
فأجابها قائلا : اعلم أنك ذات شجاعة وفروسية ولكنك في النهاية امرأة أيتها الأميرة الحسناء
وردت بشيء من الغضب : نعم، ولكن صعب أن أعود أنثى .. تصلح للحب والغزل والأولاد أيها الملك .. أخشى أن تندم على تضحياتك فيما بعد .
فقال بهوى وعشق : لن اندم أيتها الأميرة .. فأنا أعرض عليك ملكي ؛ فإذا كنت تكنين محبة لأخويك الهاربين، وتريدين أن تضعي تاج بلاد النعام على رأس أحدهما فاقبليني بعلا لك .
فقالت : دعني أفكر في الأمر قبل اتخاذ القرار الحاسم والمهم .
فرد عليها قائلا : ولكن رسل أخيك الأكبر ينتظرون .
فصرخت في وجه فجأة محتجة : دعهم ينتظرون .
غادرهم الملك يتشاورون ويفكرون ، وحاول اخوتها الضغط عليها للموافقة على شرط الملك وأمام إصرارهم قالت : غدا صباحا سيكون قراري بين أيديكم .
واجتمعت بأحد فرسانها الأشداء وأصرت له بأمر وفي جوف الليل هربا من بلاد الملك عدنان ولم علم عدنان في الصباح بهربها اشتد غيظه وحنقه ، وأمر بحبس أخويها وفرسانها ، وذهبت أحلامه بالزواج من الأميرة أدراج الرياح .
ولما ابتعدت الأميرة تاج اللوز وفارسها تميم عن

بلاد الملك عدنان ، قررت التنكر وإخفاء شخصيتها ردحا من الزمن ثم العودة لبلاد النعام للمكر والكيد والاحتيال ، فخلعوا ملابس الفرسان في أول بلدة وصلوا إليها وباعوا جواديهما ، ولبسا ملابس عامة الناس ، وتظاهرا بأنهما زوجان مهاجران من بلديهما لضيق اليد والحاجة ، وبعد أيام نزلا بلدة أخرى خوفا من الطلب



والعيون ، واستمر تنقلهما بين المدن سنة من الزمان ، ثم قررا العودة لبلاد النعام سرا على صورة جارية للتاجر تميم الذي أصبح خاتما وجاريته رمح ، وقامت الأميرة ببعض التشوهات على ووجهها وشعرها حتى أصبح من كان يعرفها يشك في شخصها ، وبعد عدة شهور من الرحيل نزلا بلاد النعام ، فاشترى تميم بيتا جميلا قرب النهر الكبير ، ثم بعد حين اشترى دكانا يبيع فيها الملابس ومعه جاريته رمح ، ومكثت الأميرة متنكرة ثلاث سنوات في مملكة أبيها تحاول زعزتها دون فائدة تذكر ، وقد تأكد لها أن الملك قد استقر لأخيها معن ، وأن أخويها ربيع وزيدان يقبعان في سجن المدينة بعدما تسلمهما من الملك عدنان ، وأن عبلاء أصبحت ملكة البلاد وهي التي ترسم وتحكم وما زالت تتحرى وتبحث عنها في بقاع الدنيا كلها ، حدثت بعض القلاقل في الجيش والحرس ولكن الملك أخمدها بسرعة وفتك بالمتمردين بشدة وقسوة ، ولما رأت الأميرة أنها عاجزة عن إحداث فتنة والانتقام وأن اتصالاتها مع كبار أهل المدينة قد فشلت وخشيت من فضح نفسها قررت الخروج من بلاد النعام للبحث عن نصير قوي، وفي الطريق تخلى عنها تميم لمرض ألم به ، واعتذر لها عن متابعة الرحيل معها، فقال لها في الختام : مولاتي أرى أن المرض اشتد عليّ ، وسأعود لبلادي أموت فيها .. وإن قدر لنا الاجتماع مرة أخرى ستجدين البيت والدكان في انتظارك وأنا الخادم الأمين

أثنت عليه الثناء الحسن وعذرته ، وأخذت بالتنقل بين البلاد والمدن وهي متنكرة بزي شاب رث الثياب حتى دخلت مدينة الهناء مساء يوم مثقلة بالتعب والغم ، وإلى أقرب خان نزلت وحطت رحلها ، وفي إحدى الغرف ألقت نفسها على الفراش لتنام وتستريح من وعثاء السفر ولكن القلق والتفكر بحالها وفشلها في القضاء على غريمتها عبلاء ، وانتصار معن عليها منعا عنها النوم تلك الساعات، وعجبت لجبن الناس والجنود وسكوتهم على الظلم ، وأدركت أن

الجنود لا ناقة لهم ولا جمل في هذه الفتنة ، والأجور ما زالت تدفع لهم.. فلماذا يتدخلون في شأن لا يعينهم ؟ اخوة يتصارعون على العرش والملك .. فهم مع المنتصر والقوي ، فكانت تبكي وتشهق من القهر والفشل وتقول : لقد أخطأت في تـقدير قوة خصومي بل لم أكن أراهم أصبت بالغرور والعجب.. وغرتني قوة ساعدي وعضلاتي ، ونسيت العقل والتدبير والحيلة فتوهمت أنني سيدة قوية ؛ والناس مع القوي فخذلوني .. إنما العتب على أبي .. لقد عود الجنود والحراس على الذل والطاعة العمياء .. لا ألوم إلا نفسي لقد كانت علاقتي مع الجنود والفرسان هشة لقد ظننت أن أخواي محبوبان من الجند .. حتى اتصالي مع بعض القادة خفية أثار الفزع والخوف والرعب في نفوسهم وأبو الاجتماع بي .. حتى تميم فارسي القوي ملّ صحبتي .. لقد انتصرت عبلاء ! كانت تحسن علاقتها مع القادة وزوجاتهم وبناتهم ها هي هداياها وأموالها قد نفعتها .

وبينما أميرتنا تناجى نفسها سمعت صوتا أمام حجرتها فظنت أن أحد اللصوص يريد أن يتسلل لحجرتها ، فتحفزت ونهضت بسرعة، وأصغت بكل حواسها إلى الصوت فسمعت صوتا يقول : الحجرة جاهزة أيها الأمراء والسادة .. وهذا الطابق خال من الزبائن .

وسمعت فتح باب مجاور لحجرتها الصغيرة ولاحظت من ثقب الباب عدة أشخاص يزلفون منه فقالت : إما أربعة أو خمسة ثم سمعت صوتا يأمر قائلا : حائر .. قف عند أول السلم وانتظر حتى نخرج إليك، وإن حاول أحد الدخول فامنعه واخبرنا بالأمر .

ابتعدت أقدام حائر ، وانشغل ذهن الأميرة بهؤلاء الرجال ، وأحست أن بالأمر شيئا خطيرا .. أمراء يجتمعون في خان في جوف الليل وليس معهم نساء ، فاتخذت قرارا بالتلصص عليهم لتعرف لماذا التقوا هنا سرا ، ففتحت الباب بخفة القط وتـقدمت نحو حجرة الاجتماع ، فسمعتهم يتحدثون بصوت مسموع ، وأحيانا تخفت حدة أصواتهم ، وأدركت من مجمل حديثهم أنهم يرغبون بالقضاء على السلطان وتولية ابن عمه مكانه ، وأن أحدهم اتفق مع قاتل مأجور للغدر بالسلطان أثناء مروره لقصره بعد عودته من ديوان الحكم والملك ، وأن هذا القاتل الغادر ينتظر وقت الإشارة لتنفيذ جريمته ، وأنهم يفكرون بطريقة يبـعدون حارس الملك عنه أثناء عودته لقصره ليتمكن السفاح القاتل من أداء مهمته ، وعقد هذا الاجتماع للتفكير بطريقة لإبعاد الحارس هائل عن الملك أثناء انتقاله من قصر الحكم إلى قصر النوم في الليل .

وكانت الخطة الرهيبة أنهم اتفقوا على ليلة لقتل السلطان ، ووضعوا خطة لإبعاد الحارس هائل وتتلخص أنه عندما يخرج الملك من الديوان حيث بيته ، فعندما يصل إلى الجسر الموصل لقصره يعترضهما خادم للحارس تم تجنيده لهذه المؤامرة ، ويخبر سيده الفارس الحارس أن سيدته مريضة وهي في خطر شديد وربما هي تحتضر وعلى مسمع من السلطان ، فلابد أن السلطان سيأذن له بالانصراف ، ويقطع الجسر وحده ، وهناك قبل ولوجه القصر سيلتقي بالقاتل السفاك فيطعنه ويختفي ، وفي الصباح عندما يأتي صاحب الحديقة فسيكتشف الجثة إن لم يسمع أحد صرخة الملك ، ثم سيعلم الناس بالخبر ، ولتسارع الأحداث سيتهم الناس الحارس بالغدر به وقال أحد المتآمرين : وهذا يعتمد على شجاعة الخادم وحسن إتقان دوره وشهامة الملك أيضا في التصريح لحارسه أثناء المرور بين القصرين بالذهاب للزوجة المريضة .. لأن الحارس إذا لم يبعد لن ينفذ السفاح جريمته .

اطلعت الأميرة على هذه المؤامرة الهائلة والرهيبة والخطط الشيطانية ، ولما رسمت صورة هؤلاء الشياطين على ذاكرتها والذين كانوا يجتمعون على ضوء الشموع تسللت عائدة لحجرتها ، وهي تعجب للشر الموجود في بعض نفوس خلق الله ، وسمعت هاتفا في داخلها يقول : قد يكون هذا الملك طاغية يستحق الموت .. أنسيت أخاك معنا ..فوجمت وهي في دهشة وحيرة وعادت تسمع نفسها تقول : لماذا يرغبون بالفتك بالملك وتنصيب ابن عمه ؟! هل هو مثل أخي معن ناكرا للجميل .. متسلط وظالم ؟؟ هل تسكت عما سمعت أو تخبر الملك بهذه الصدفة .. وهل يصدقها السلطان؟ .. الحل أن تعرف من هو السلطان وصفات هذا السلطان ؟

عند بزوغ الفجر انسل الرجال المتأمرون الواحد تلو الآخر ، فهدأت أعصاب الأميرة ، واستسلمت لسلطان النوم بعد ذلك الإرهاق الشديد، وأمضت ساعات يسيرة مع النوم ، ثم رحلت عن الخان إلى خان آخر ، وأخذت تجمع أخبارا عن السلطان المسمى سمعان، فعلمت أنه تولى الحكم من زمن يسير، وهو شاب في الثلاثين من عمره ، وهو محبوب من شعبه ، وقد استلم الحكم بعد وفاة عمه الذي أخذ الحكم بعد وفاة والد سمعان ؛ وذلك عن وصية أبيه ، وعلمت أن ابن عمه أي ابن الملك المتوفى يطمع في الملك فقالت في نفسها : لابد أن يكون أحد المتآمرين .. ولكن كيف أصل للسلطان سمعان؟ يجب أن أصل .. فكتبت رسالة ودفعت بها للكتبة الذين يجلسون أمام ديوان الملك يرفعون له شكاوي المظلومين،

فرفعت شكوى على أنها مظلومة ترغب برفع مظلمتها للسلطان ، فلما ادخلوها على قاضي الملك وعلمت أنها بحضرة القاضي قالت له : إن قضيتي لا يساعدني فيها إلا السلطان بنفسه ولن أتكلم بها إلا أمام مولانا السلطان .

وأمام إصرارها ورفضها بالحديث للقاضي قال لها القاضي وهو يظنها رجلا : أيها السيد عد بعد يومين حتى نكلم مولانا السلطان ويستطيع مقابلتك ورؤيتك .

فشكرته وخرجت وهو يعتقد أنه يكلم رجلا ، ومن حسن حظ السلطان أنه وافق على الاستماع لشكواها لما قص عليه القاضي عن إصرارها على لقائه ، وبعد يومين أتت تاج اللوز لديوان المظالم واستقبلها القاضي وكان معه السلطان فقال لها القاضي : أيها السيد .. ها هو صاحب السلطان يستمع إليك .

فنظرت للسلطان وقالت : مولاي السلطان أرغب بالحديث إليك في خلوة .

فدهش السلطان والقاضي والحراس فوافق الملك ، فاقترب منها الحرس وبحثوا عن أسلحة تخفيها في ثيابها وعجبوا أنها امرأة فقالت : أنا امرأة .

فأبدى الملك والقاضي تعجبهما، فخلعت الشارب أمام الجميع فقال الملك : عجيب ! ما عندك يا بنية ؟

وبعد انصراف القاضي قالت بصوت هامس : هناك يا سيدي من يتآمر عليك وروت له قصة سماعها للمؤامرة صدفة ومن غير قصد ، فلما انتهت من الكلام ابتسم لها وقال مصدقا لها : اعلم بذلك أيتها الفتاة الشجاعة ؛ ولكنهم يستعجلون موتي .. هل تعرفين أحدا منهم ؟

فردت بثبات : لا، أنا غريبة قادمة من بلاد بعيدة .. والقوم حددوا يوم الجريمة والطريقة .

وفكر الملك قليلا ثم قال : أشكرك يا أختاه .. أنت الآن أصبحت حياتك في خطر ويجب أن أحميك .. الآن وبعد قليل سأرسلك مع أحد رجالي المخلصين ليخفيك في أحد بيوتنا، وبعد فشل الخطة سأكافئك .. واستمع لحكاية تركك لوطنك فيبدو لي أنك تحملين حكاية كبيرة وجاءت بك الأقدار إلى هنا وأنا أحب نصر المظلومين .

عجبت الأميرة لذكاء الملك وشجاعته أيضا فقالت : نعم ، أيها الملك الذكي لي حكاية مؤلمة عندما تنجون بإذن الله من الحاقدين.. سأقصها عليك لترشدني للصواب .

ولما انتهى الحديث بينهما ، وأثنى على شجاعتها رغم أنها غريبة لا تمت للبلد بصلة استدعى الملك القاضي والحرس وكأنه لم يسمع بمؤامرة على حياته وأظهر الثبات والشجاعة ، وقال للقاضي : أشكرك أيها القاضي بأن سهلت لهذه المرأة بعرض

شكواها على آذاننا ، وأمر أحد فرسانه بالسير بها إلى أحد المنازل وأمره بالمحافظة عليها حتى يرفع الظلم عنها ، وانصرف السلطان بـعد ذلك لقصر الولاية والحكم



وفي الليلة المرسومة لقتل السلطان، وأثناء انصراف الملك لقصر النوم والنساء القريب من قصر الحكم والأمارة ، وعند الجسر الواصل بين القصرين تقدم غلام وخادم الحارس هائل وأخبره بمرض زوجته المفاجئ ، وأنها ترغب برؤيته وكأنها تموت في هذه اللحظات ، وكان الكلام على مسمع من السلطان الذي كان يضحك في سره ، وعلى الفور دفعت الشهامة والنخوة والحمية الملك أن يأذن للحارس هائل بالإسراع لحضور اللحظات الأخيرة من حياة زوجته ، وتابع الملك المسير بشجاعة وثبات ، واجتاز الجسر الفاصل بين القصرين وهبط إلى الممر الذي يدخله لقصره الآخر ، وعند إحدى الشجرات الكبيرة خرج له رجل مقنع وهو يقول : أنا قاتلك أيها السلطان خذها من يد سبع الغاب

وكان القاتل قد استل خنجرا طويلا واندفع نحو السلطان بسرعة ليكون للمفاجأة أثرها على الملك ، وانقض القاتل على الملك، ولكنه حاد عنها بشجاعة وثبات أعصاب ، وكان الفرسان المتربصين بالمكان قد أحاطوا بالقاتل ، فحاول طعن نفسه، فلم يمكنوه وسمع الملك يقول : لقد فشلت المؤامرة أيها القاتل المأجور .. فشلت يا سبع الغاب !

واقترب الملك منه ورفع اللثام عنه وهو يقول : يا ترى هل التقينا من قبل يا سبع الغاب ؟!!

ثم قال : لا .. إنها أول مرة أرى هذا الوجه العفن

وبعد قليل أقبل هائل يجر الخادم الخائن مكبلا ويرميه أمام الملك وقال الملك : الحمد لله لقد نجونا من كيد الخائنين احضروا لي القاضي الآن .. أريد قبل بزوغ الفجر أن يكون كل المتآمرين أمامي.

وبالفعل ما كادت الشمس تسطع بنورها حتى كان القتلة المتآمرون بين يدي القاضي ، وهم يقرون بخيانتهم ورغبتهم بتنصيب ابن عم الملك ملكا على البلاد .

وانتشرت الأفراح في البلاد بعدما علم الناس فشل العصابة باغتيال مليكهم ، وبعد ذلك أحضر الملك تاج اللوز ، وأظهرها للناس وبين شجاعتها لهم وأنها هي التي كشفت خبر المتآمرين للملك بعد أن سمعت حديثهم من غير اتفاق ، وأخبر رجال الدولة بأنه سيتزوجها لمَ قدمته من أجله ، وفوجئت الأميرة بعرض الملك ، ولم تستطع

التعقيب على كلامه ، وحاولت أن تتكلم أمام الملك بقصتها ؛ ولكنه رفض الاستماع قبل الزواج ، وأعلنت الأفراح بمناسبة زواج الملك سبعة أيام بلياليها وكان ذلك ، وتزوجت الأميرة الغريبة من الملك الشاب سمعان ، وكم عجب ودهش وفرح لما علم أنها أميرة وابنة ملوك وأخت ملوك ، فزاد بها فرحا وحبورا ، وسعد بأن كانت زوجته الأميرة تاج اللوز بنت الملك المعروف شيبان النابغي ، وأخبرها أنه سمع ببعض أخبارها من الرواة والركبان ، وسعدت الأميرة بهذه الزوج بعد يأسها من إعادة الملك من أخيها الأكبر لأحد أخويها الآخرين ، وسرت لعودة العز لها بعد ذل هذه السنوات ، ومن التنقل بين المدن والأمصار ، وفرح الناس باختيار الملك وخاصة عندما أنجبت للملك غلامين ، وزادت المحبة في قلب الملك لزوجته وامتلأت نفسه ولها وعشقا ، وذات ليلة كانت تجلس الأميرة أو قل الملكة تاج اللوز مع زوجها في خلوة من الناس والصبيان فقال لها الملك : أيتها الملكة الجميلة .. هل نسيت بعد هذه السنوات السبع ثأرك عند أخيك وزوجته ؟

تفاجأت الملكة بالسؤال ودهشت فقالت : مولاي السلطان! .. ما الذي فطنك بحكايتي وجرحي القديم ؟!

فقال : السنوات التي مضت لم تمسح الحزن عن محياك الفاتن .. الحزن ما زال مطبوعا على وجهك أيتها الملكة .. لم استطع أن أنسيك جرحك !

فقالت بحزن : الحق يا مولاي أنني لم أنس ورضيت بالحال لحبك الكبير لي ولولديك .. وأشكر الرب الذي يسرك لي .. فقد خففت من اتراحي وآلامي .

فقال الملك : أيتها الزوجة المخلصة .. والله لو أنك كنت الملكة لقاتلت معك لأعيد التاج براقا فوق رأسك رغم كل الناس ، ولكن الملك أخوك ابن أمك وأبيك.. والشعب والجند يريدونه ووقفوا معه ضدكم .. فلن نستطيع عزله ، ولو نصبنا أحد أخويك الآخرين بعد هذه السنوات قد لا يستقر الأمر والأمن في مملكة أبيك ، وتتصارعون على التاج من جديد ، فمن أجل ذلك تجاهلت المتآمرين على مملكتك أيتها الحبيبة ولو أنها قريبة من بلادنا لضممناها لمملكتنا ولكن فقالت بقلق ظاهر : ولكن ماذا يا مولاي الملك ؟!

فقال بفرح مما سيقول ويخبر: ولكن عندي أخبار قد تدخل السرور على قلبك، وقد تدفعنا للتدخل في شؤون مملكة أبيك .

فقالت : عجيب أمر مولاي السلطان هذه الليلة ؟!

فقال الملك ضاحكا : لقد وصلتني أخبار عن بلاد النعام.. موطن مولاتي الملكة الجميلة ..

فقالت : جميل أنك ما زلت تذكر موطني وتهتم بأخبارها! .. هات ما عندك يا مولاي ؟

فقال : لم أنس موطنك ألبته.. وكنت انتظر الظرف المناسب .. لقد نـقل لنا أحد التجار القادمين من بلاد النعام ..

فقالت الملكة بلهفة وشوق : عجل وانطق بها في قلبك من الجواهر .

كانت الملكة تاج اللوز بشوق كبير لسماع أي شيء عن مسقط رأسها ، إنها ما زالت تذكر الجاه والقوة أيام ملك أبيها ، وتذكر الذل الذي لحقها من أخيها وزوجته ، وترك أنصارها لها وخضوعهم لعدوتها عبلاء ، فسمعت الملك ينقل لها ما سمع قائلا : لقد اخبرنا المذكور أن بلادكم قد سيطرت عليها الملكة ، وطردت زوجها الملك ، بل حبسته ولكنه تمكن من الهرب ، والبحث عنه قائم على قدم وساق .. وسأرسل عينا من رجالنا يأتينا بالأخبار الكاملة فما تقولين؟!

لزمت الأميرة الصمت برهة ثم قالت بحقد دفين عجب منه الملك : إنها شيطانة ! .. لسوف تضع أخاها ملكا .

وروت له العرض الذي عرضته عليها قبل مغادرتها قصرها هربا لمدينة الشمال ، وكيف خذلها الفرسان والجنود ؟ ، وروت له أطماع عبلاء في نقل الملك لأسرتها ثم قالت : العين الذي تريد إرساله دعني ألقاه قبل رحيله لأكلفه ببعض الواجبات ..

لم ينقضِ وقت طويل حتى عاد الرسول بالأخبار عن بلاد النعام ، وأخبرهم أن الملكة عبلاء هي الملكة الوحيدة للبلاد ، وأخوها سالم نائب لها ، والملك المخلوع معن لا أخبار عنه ، واخواها ربيع وزيدان قد اختفيا من البلاد منذ زمن بمساعدة بعض أصدقاء والدهما الملك شيبان ، وهناك صراع على العرش بين أبناء معن واخوة عبلاء لم يحسم بعد، والغلاء يعم البلاد نتيجة الفوضى في الحكم ، ولما انصرف العين ، قال الملك للملكة : جاء دورنا الآن أليس كذلك ؟!

فقالت كأنها تحلم : ألا يحق لي يا مولاي أن استرد عرش والدي وأضع التاج على رأس ابني غالب؟!

فقال الملك بقلق وحب : ونفترق يا تاج اللوز ! .. كيف نعيش متباعدين أيتها الحبيبة ؟

فهتفت بصدق ووفاء : لن نفترق أيها البطل .. أنت قرة العين والقلب .. عندما نبعد هؤلاء اللئام عن السلطنة ، نضع نائبا لك على تلك المملكة حتى يكبر ولدك غالب فيستقر ملكا على مملكة جده شيبان ، ويكون أسامة ولي عهدك هنا .

فقال الملك : أفكار مقبولة .. إن بلاد النعام تبعد عنا شهرا والعودة شهر .. مسافة بعيدة ؛ ولكني سأغزوها حتى يذهب عنك الحزن بعد كل هذه السنين من الصبر والانتظار .. وأخشى أن أفقدك

يا أم غالب .

فقالت : أنا معك وأطوع لك من بنانك أيها البطل الهمام .



فقال بحماس ورضا : حسنا أيتها الملكة ! سأجهز جيشا بعشرة ألف خيال وأغزو بهم بلاد النعام بنفسي وأعيد لك التاج .. وعلى شرطين أحب أن اسمع موافقتك عليهما .

فقالت بحب وامتنان : مولاي الملك أنا تحت أمرك !

فقال : وعندما ننتصر على قومك وأهلك لا تطلبي مني ترك حكم هذه البلدة فهي مملكة آبائي وأجدادي .

فقالت : والشرط الثاني يا مولاي ؟

فقال بثقة : الأسرى والقادة من قومك وموطنك أنا أتحكم بهم ولا تتدخلي في شأنهم مهما فعلت بهم .. هل توافقين على هذين الشرطين ؟! .

قالت : أوافق يا مولاي ! المهم أن أرى ابنة عمي تقبع في السجن وطريدة مثلي وكل اخوتها معها

فقال : ليس لك هذا أنا الذي أحكم عليها وعلى غيرها .

فقالت : لك ذلك .

فقال : اتفقنا أيتها الملكة.

أخبر وكشف الملك سمعان للوزراء والقادة بحكاية الأميرة تاج اللوز ابنة الملك شيبان ، وأنها من بلاد النعام ، وأنه قد أرسل عينا لتلك البلاد وهو يفكر بغزو تلك البلاد لتكون مملكة لابنه الأمير غالب في مستقبل الدهر ، وبعد مشاورات ومهامسات وافق الوزراء والأمراء على اقتراح الملك ، وتم تنصيب الأمير الصغير أسامة نائبا للملك بوصاية كبير القضاة والوزير بهروان وعم الملك الأمير نعمان ، وأوصى الملك أحد رجاله المخلصين بالأمير الصغير وصاية خاصة؛ وإذا شم رائحة الغدر من الحاقدين الناقمين عليه فعليه أن يهرب بالأمير إلى الغابة ، كان الملك يخشى من أولاد عمومته الغدر بولده أملا بعودة التاج إليهم بعد موت الملك ، وبعد شهور خمس اكتمل استعداد الجيش المحارب ، وتقدم بهم نحو بلاد النعام ، وبعد شهور قليلة وصل الجيش الغازي لأطراف بلاد النعام ، ولم يتعرض لأي معارضة من الملوك الذين مر بأطراف بلادهم وخصوصا بلاد الشرف وبلاد الملك عدنان ، ولما وصل طرف بلاد النعام انتقل خبر الجيش الغازي إلى الملكة عبلاء ، فانزعجت لهذا الغزو المفاجيء ، وجمعت القادة والأمراء وأرسلت الجواسيس فعاد الجواسيس يخبرونها بأنه جيش قادم من بلاد الهناء بقيادة الملك



سمعان ، فتعجبت الملكة والأمراء والرؤساء من هذا الجيش الغازي والزاحف إليهم رغم أنه لا عداوة وثارات بينهم ، وبينما هم في حيرة من دوافع هذا الجيش الغازي أتاهم رسول ومعه خطاب فيه بعد التحية والسلام : لابد أنكم علمتم من نحن ، أنا الملك سمعان ملك بلاد الهناء ذو الفرسان المشهورة والمغاوير الكرام الذين لا يشق لهم غبار ، جئنا إليكم لنأخذ حقنا عندكم وبغيكم علينا ، فأرسلوا وفدا عنكم للقائنا أو اخرجوا بفرسانكم إن كان لديكم أبطال ومغاوير



ثم ختمت بختم الملك سمعان ، فلما قرئت الرسالة على الأمراء والقادة ارتبكت الملكة والأمراء لإعلان الحرب ، فهم منذ أكثر من عشر سنوات لم يخوضوا حربا قوية ، وقد التهوا بالدسائس والمؤامرات والصراع على العرش وطرد أسرة شيبان النابغي عن الملك ، فبعد تداول ونظر أمرت الملكة قادة الجيش بالاستعداد للحرب والدفاع عن ثرى البلاد والتاج وقالت للرسول : اخبر سيدك سيأتيك الجواب قريبا وانصرف راشدا .







مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
جمال شاهين
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا ...
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالونيا والملك برباب
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي
التحقيق الجنائي والجريمة
الفوارس

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٤

٢٠٢٤

اعداد
جمال شاهين

قصص

المصباح

المضيء

الجزء

الرابع عشر

قصص الأنبياء

النبي هارون

هو أخ موسى ورفيقه في دعوة فرعون إلى الإيمان بالله لأنه كان فصيحا ومتحدثا، استخلفه موسى على قومه عندما ذهب للقاء الله فوق جبل الطور، ولكن حدثت فتنة السامري الذي حول بني إسرائيل إلى عبادة عجل من الذهب له خوار ، فدعاهم هارون إلى الرجوع لعبادة الله بدلا من العجل ولكنهم استكبروا فلما رجع موسى ووجد ما آل إليه قومه عاتب هارون عتابا شديدا. لا يذكر الكثير عن سيرة هارون عليه السلام. إلا أن المعلوم هو أن الله أيد موسى بأخيه هارون في دعوته فلقد كان هارون عليه السلام أفصح لسانا. وورد موقف موسى عليه السلام من أخيه حين استخلفه على بني إسرائيل وذهب للقاء ربه، فعبدت بنو إسرائيل العجل الذي صنعه السامري. القصة مذكورة بتفاصيلها في قصة موسى عليه السلام.

النبي ذو الكفل

قال أهل التاريخ ذو الكفل هو ابن أيوب عليه السلام وأسمه في الأصل)بشر (وقد بعثه الله بعد أيوب وسماه ذو الكفل لأنه تكفل ببعض الطاعات فوفي بها، وكان مقامه في الشام وأهل دمشق يتناقلون أن له قبرا في جبل يشرف على دمشق يسمى قاسيون. إلا أن بعض العلماء يرون أنه ليس بنبي وإنما هو رجل من الصالحين من بني إسرائيل. وقد رجح ابن كثير نبوته لأن الله تعالى قرنه مع الأنبياءمن أنبياء الله تعالى، الذين يذكر الله أسمائهم ويثني عليهم، ولا يحكي قصصهم..

النبي ذو اليسع

نبي الله تعالى اليسع. قال تعالى في سورة)ص} :(وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ{وقال في سورة (الأنعام) }: وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ { جاء في تاريخ الطبري حول ذكر نسبة أنه اليسع بن أخطوب ويقال إنه ابن عم إلياس النبي عليهما السلام ، وذكر الحافظ ابن عساكر نسبة على الوجه الآتي: اسمه أسباط بن عدي بن شوتلم بن أفرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد أوجز القرآن الكريم عن حياته فلم يذكر عنها شيئاً وإنما اكتفى بذكره في مجموعة الرسل الكرام الذي يجب الإيمان بهم تفصيلاً. قام بتبليغ الدعوة بعد انتقال إلياس إلى جوار الله فقام يدعو إلى الله مستمسكاً بمنهاج نبي الله إلياس وشريعته وقد كثرت في زمانه الأحداث والخطايا وكثر الملوك الجبابرة فقتلوا الأنبياء وشردوا المؤمنين فوعظهم اليسع وخوفهم من عذاب الله ولكنهم لم يأبهوا بدعوته ثم توفاه الله وسلط على بني إسرائيل من يسومهم سوء العذاب

كما قص علينا القرآن الكريم. ويذكر بعض المؤرخين أن دعوته في مدينة تسمى بانياس إحدى مدن الشام، والله أعلم. اليسع وذو الكفل: ويروي بعض العلماء قصة حدثت في زمن اليسع عليه السلام. فيروى أنه لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل؟ فجمع الناس فقال: من يتقبل لي بثلاث استخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب. فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا، فقال: أنت تصوم النهار، وتقوم الليل، ولا تغضب؟ قال: نعم. لكن اليسع -عليه السلام- ردّ الناس ذلك اليوم دون أن يستخلف أحدا. وفي اليوم التالي خرج اليسع -عليه السلام- على قومه وقال مثل ما قال اليوم الأول، فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا. فاستخلف اليسع ذلك الرجل. فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان، فأعياهم ذلك. فقال دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، وأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام الليل والنهار، إلا تلك النّومة فدقّ الباب. فقال ذو الكفل: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. فقام ذو الكفل ففتح الباب. فبدأ الشيخ يحدّثه عن خصومة بينه وبين قومه، وما فعلوه به، وكيف ظلموه، وأخذ يطوّل في الحديث حتى حضر موعد مجلس ذو الكفل بين الناس، وذهبت القائلة. فقال ذو الكفل: إذا رحت للمجلس فإنني آخذ لك بحقّك. فخرج الشيخ وخرج ذو الكفل لمجلسه دون أن ينام. لكن الشيخ لم يحضر للمجلس. وانفض المجلس دون أن يحضر الشيخ. وعقد المجلس في اليوم التالي، لكن الشيخ لم يحضر أيضا. ولما رجع ذو الكفل لمنزله عند القائلة ليضطجع أتاه الشيخ فدق الباب، فقال: من هذا؟ فقال الشيخ الكبير المظلوم. ففتح له فقال: ألم أقل لك إذا قعدت فأتني؟ فقال الشيخ: إنهم اخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا لي نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جحدوني. فقال ذو الكفل: انطلق الآن فإذا رحت مجلسي فأتني. ففاتته القائلة، فراح مجلسه وانتظر الشيخ فلا يراه وشق عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعنَّ أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام، فإني قد شق عليّ النوم. فقدم الشيخ، فمنعوه من الدخول، فقال: قد أتيته أمس، فذكرت لذي الكفل أمري، فقالوا: لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه. فقام الشيخ وتسوّر الحائط ودخل البيت ودق الباب من الداخل، فاستيقظ ذو الكفل، وقال لأهله: ألم آمركم ألا يدخل علي أحد؟ فقالوا: لم ندع أحدا يقترب، فانظر من أين دخل. فقام ذو الكفل إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه؟ وإذا الرجل معه في البيت، فعرفه فقال:

أَعَدُوَّ اللهِ؟ قال: نعم أعييتني في كل شيء ففعلت كل ما ترى لأغضبك. فسماه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به

النبي أيوب

من سلالة سيدنا إبراهيم كان من النبيين الموحى إليهم، كان أيوب ذا مال وأولاد كثيرين ولكن الله ابتلاه في هذا كله فزال عنه، وابتلي في جسده بأنواع البلاء واستمر مرضه ثلاثة عشر أو ثمانية عشر عاما اعتزله فيها الناس إلا امرأته صبرت وعملت لكي توفر قوت يومهما حتى عافاه الله من مرضه وأخلفه في كل ما ابتلي فيه، ولذلك يضرب المثل بأيوب في صبره وفي بلائه . ضربت الأمثال في صبر هذا النبي العظيم. فكلما ابتلي إنسانا ابتلاء عظيما أوصوه بأن يصبر كصبر أيوب عليه السلام.. وقد أثنى الله تبارك وتعالى على عبده أيوب في محكم كتابه {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (44)ص~ قد كان أيوب دائم العودة إلى الله بالذكر والشكر والصبر. وكان صبره سبب نجاته وسر ثناء الله عليه. والقرآن يسكت عن نوع مرضه فلا يحدده.. وقد نسجت الأساطير عديدا من الحكايات حول مرضه.. مرض أيوب كثرت الروايات والأساطير التي نسجت حول مرض أيوب، ودخلت الإسرائيليات في كثير من هذه الروايات. ونذكر هنا أشهرها: إن أيوب عليه السلام كان ذا مال وولد كثير، ففقد ماله وولده، وابتلي في جسده، فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا زوجته ورجلين من إخوانه. وكانت زوجته تخدم الناس بالأجر، لتحضر لأيوب الطعام. ثم إن الناس توقفوا عن استخدامها، لعلمهم أنها امرأة أيوب، خوفاً أن ينالهم من بلائه، أو تعديهم بمخالطته. فلما لم تجد أحداً يستخدمها باعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره، فقالت: خدمت به أناساً، فلما كان الغد لم تجد أحداً، فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فأنكره أيضاً، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام؟ فكشفت عن رأسها خمارها، فلما رأى رأسها محلوقاً، قال في دعائه: (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .(وحلف أن يضربها مئة سوط إذا شفى. وقيل إن امرأة أيوب أخبرته أنها لقيت طبيبا في الطريق عرض أن يداوي أيوب إذا رضي أن يقول أنت شفيتني بعد علاجه، فعرف أيوب أن هذا الطبيب هو إبليس، فغضب وحلف أن يضربها مئة ضربة. أما ما كان من أمر صاحبي أيوب، فقد كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبا عظيما وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، فحزن ودعا الله. ثم

خرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو. فلما عوفي أمره الله أن يأخذ عرجونا فيه مائة شمراخ)عود دقيق (فيضربها ضربة واحدة لكي لا يحنث في قسمه وبذلك يكون قد بر في قسمه. ثم جزى الله -عز وجل- أيوب -عليه السلام- على صبره بأن آتاه أهله)فقيل: أحيا الله أبناءه. وقيل: آجره فيمن سلف وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم، وجمع له شمله في الدار الآخرة (وذكر بعض العلماء أن الله رد على امرأته شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا. هذه أشهر رواية عن فتنة أيوب وصبره.. ولم يذكر فيها أي شيء عن تساقط لحمه، وأنه لم يبقى منه إلا العظم والعصب. فإننا نستبعد أن يكون مرضه منفرا أو مشوها كما تقول أساطير القدماء.. نستبعد ذلك لتنافيه مع منصب النبوة.. ويجدر التنبيه بأن دعاء أيوب ربه)أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ .(قد يكون القصد منه شكوى أيوب -عليه السلام- لربه جرأة الشيطان عليه وتصوره أنه يستطيع أن يغويه. ولا يعتقد أيوب أن ما به من مرض قد جاء بسبب الشيطان. هذا هو الفهم الذي يليق بعصمة الأنبياء وكمالهم.

وروى الطبري أن مدة عمره كانت ثلاثا وتسعين سنة فعلى هذا فيكون عاش بعد أن عوفي عشر سنين ، والله أعلم. وأنه أوصى إلى ولده ، وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب، وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فالله أعلم.

قصص من السنة

كفى بالله وكيلا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ :ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ :كَفَى بِاللهَّ شَهِيدًا، فَقَالَ :ائْتِنِي بِالكَفِيلِ، قَالَ :كَفَى بِاللهَّ وَكِيلًا، قَالَ :صَدَقْت .قَالَ :فَدَفَعَهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ إِلَى الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ، لِلْأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا. فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرَ، فَقَالَ :اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ :كَفَى بِاللهَّ وَكِيلًا، فرضي بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ :كَفَى بِاللهَّ شَهِيدًا، فرضي بِكَ، وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكِبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَجِدْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا!. فَرَمَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ

يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَهُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخُشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أسلَفَهُ، فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ :وَاللهَّ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ

كذبت عيني

قَالَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ

عِيسَى :سَرَقْتَ؟ قَالَ :كَلَّا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .فَقَالَ عِيسَى :آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ نَفْسِي." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يزرع في الجنة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :إِنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ :أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ !قَالَ :بَلَى، وَلَكِنْ أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ!! فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهَّ :دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ." خ حم

انتحر

عَنْ جُنْدَبٍ البَجَلِيِّ، رَضْيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، فَلَمَّا آذَتْهُ انْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فنكَأَهَا فَلَمْ يَرْقَأِ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، فقَالَ الله :عَبْدِي بَادَرَنِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ." مُتَّفَق عَلَيْهِ.

فاحرقوني ثم اطحنوني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، لَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ :إِذَا أَنَا مُتُّ فَاحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهَّ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهَّ الأَرْضَ، فَقَالَ :اجْمَعِي مَا فِيكِ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فقَالَ :مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ :خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ- !أو قال :مَخَافَتُكَ- فَغَفَرَ لَهُ." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تجاوز عن المعسر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضْيَ اللهَّ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ :إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ :خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهَّ :هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ :لَا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ يَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ :خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهَّ يَتَجَاوَزُ عَنَّا .قَالَ اللهَّ :قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ." أخرجَهُ النَّسَائيُّ، وابْنُ حِبَّانَ، وَالحَاكِمُ.

قلب الوطن

وهج الحرب ١٢

خرج احمد وأسامة للغداء في مطعم قريب من عمارة المكتب ، صعدوا للطابق العلوي من المطعم قال احمد وهم ينتظرون قائمة الطعام : قبل زمن قليل يا صديقنا تكلمنا عن الجاسوس وائل زياد ، وأنك وبعض رفاقك تتابعون مواقع أمنية وتجسسية ومخابراتية ، وتحبون مثل هذه الحكايات وكتبها ، وأفلامها الحقيقية والخيالية.

فقال أسامة متحمسا : حببت لي القراءة يا دكتور وأنا طفل في الصف الرابع أو الخامس ، كنت أقرا قصص الألغاز البوليسية التي تنتشر في مصر والعالم العربي من بداية السبعينيات فمن ضمنها قصص أو الغاز تتحدث عن عالم الجاسوسية ؛ حيث كانت مصر في حالة حرب مع إسرائيل ، أما اليوم فمصر تشارك في حصار غزة ، وتغلق المعبر شهورا بحجة الأمن المصري والقومي .

قال احمد : صحيح ! كنت تقرأ مغامرات المغامرون الخمسة .

فقال أسامة : كل من يحب قراءة القصص البوليسية سيقرأ منها ، فهي أشهر سلاسل الألغاز التي تتكرر طباعتها ، ولنفس الكاتب سلسلة الشياطين الـ ١٣ ، وغيرها من السلاسل ، وقرأت سلسلة المخابرات والعالم للصحفي سعيد الجزائري السوري ، وأسرار الموساد مترجم والمخابرات الأمريكية .. والهدف من هذه الكتب الأجنبية حرب نفسية ضد العرب والشعوب الأخرى ؛ لأنها قبل أن تطبع وتنشر تخضع لدراسة من الأمن الأمريكي الإسرائيلي الروسي ، فكل ما فيها من التفاصيل بعيد عن الحقيقة .. فهناك حرب سرية وأمنية بين عقل شباب غزة وعقل أمن اليهود ، وجوجل فيها مواقع متعددة تهتم بقضايا الجاسوسية ، وتستخدم في التجسس ، فحرب الجاسوسية مستمرة بين أجهزة مخابرات الدول القوية .. وبعض المواقع تنشر مقالات وتحليلات وخيالات عن أحداث أمنية .. ككشف الجواسيس ويختلط الحق بالباطل .. وصراع التجسس قائم بين حماس والموساد .. وقضية وائل بعنبس مثال على ذلك .. فهي حرب ضروس.

قال احمد : نعم ، أذاعت قنوات فضائية ملفات تجسسية ؛ وليس كل ما تبثه حقائق وصادق الجاسوس نفسه لا يعرف كل التفاصيل ؛ ربما المسؤول عنه عنده معلومات أكثر من العميل .. فرأينا ملفات روسية وأمريكية وصينية .

فقال أسامة : كلها كتابات لتعظيم أجهزة دولهم ، أغلب ما فيها بعيد عن الحقيقة قرأت كتاب جورج تينت مدير السي اي ايه في كتابه "في قلب العاصفة " عن أحداث أيلول ٢٠٠١ واحتلال

أفغانستان والعراق .. الكتاب دفاع عن مواقفه وضعفه أمام أحداث أيلول .

قال احمد : اطلعت عليه ، وقرأت كتاب " اقتل خالد" للصحفي الأسترالي بول ماغوو في وصف حادث اغتيال مشعل ممثل حماس في عمان ؛ حيث يدرس جهاد ، وكان فشلا ذريعا للموساد

فقال أسامة : على القارئ أن يقرأ في كتب اليهود وكتب الطرف الآخر .. قد تعرف بعض الحقائق فعلا .. انظر في قضية وائل زياد .. فور الحادث نشر أمن غزة أنه عميل ، فصدق الناس وفيما بعد تبين أنه قدم خدمة ، ولم يعمل مع الموساد ، مخابراتنا هنا انزعجت ، فقد مكث سنوات هنا ، مع من كان يعمل ؟ فلما أرادوا الحديث مع الطبيب ؛ لأن وائلا من أصدقائه انتحر ، ثم تبين أن الانتحار لأمر آخر .. مرة إسرائيل أرادت اغتيال علي حسن سلامة قائد فلسطيني في السويد ، فقتلت نادلا مغربيا ظنوه حسن سلامة .

قال احمد : هل المخابرات تحكم العالم؟

فقال أسامة : لا ، يتظاهرون بذلك ، والثورات العربية تدل على ضعف أجهزة المخابرات في تونس ومصر وليبيا وسوريا والعالم .

قال احمد : لماذا؟!

فقال أسامة : كيف بدأت الثورات ؟ كم مظلوم قتل نفسه ، ولم تحدث ثورة ؟

قال احمد : لأن الثورات لا رأس لها ليعتقلوه وينكلوا به .

الحرية الثاني

أسطول الحرية الثاني ، قامت حملات إغاثة دولية لإحياء ذكرى أسطول الحرية الأول ، سينطلق الأسطول الثاني ، ويتجمع في مواني اليونان بحمولة ٥١ سفينة من أوروبا محملة بالأدوية والحليب والمواد الغذائية وأجهزة طبية ومقاعد طبية وعربات للمعاقين والمعوزين، وستحمل القافلة ٣٥٠ ناشطا من دول أوروبية وعربية وكندا. رفضت إسرائيل بشدة وجنون إبحار هذا الأسطول على ميناء غزة ، واقترحت أن تنزل حمولته في ميناء أسدود أو العريش المصرية. وأدى الضغط الإسرائيلي والأمريكي على اليونان إلى فشل الحملة ، فقد رفض قادة الحملة الخضوع لشروط إسرائيل ، وتفريغ الحمولة في أسدود أو العريش ؛ لأنهم يعلمون أن المساعدات لن تصل كاملة .

هذا ما كان جهاد ومحسن يتسامرون حوله ، وهم يتابعون فشل الحملة الجديدة ، وكان ذلك في آخر حزيران حيث نشرت الصحف الأردنية خبر فشل الحملة ؛ نتيجة للضغوط القوية على اليونان.

فقال جهاد بحزن في نغمة صوته : يبدو أن الضغط الأمريكي أدى مفعوله .. لهم الله العزيز

القهار .

قال : لهم الله .. ما زالوا يضمدون جراح الأسر التي فقدت الكثير من أبنائها وبيوتها .. يا رجل في أول يوم من الغدر الإسرائيلي والعربي صرع ٢٤٠ فردا.

فقال جهاد بحزن : أنا ذهبت لغزة العزة بعد توقف الحرب الأخيرة مع جمعية الإغاثة رحمة في بعنبس.. فرغم قسوة المأساة والمعاناة ، فهم صابرون راضون بقضاء الله ﷻ وقدره .. تجد الكثيرين منهم أشد قوة وبأسا منا .. صبر وإيمان وعزة.

قال: تابعت الأحداث يوما بيوم ، وساعة بساعة .. كانت الحرب على الهواء الفضائي.. أكثر من محطة بث مباشر من غزة طوال الثلاثة أسابيع ، غير نشرات الأخبار في أغلب القنوات العربية والأجنبية ..هل انتهت الاختبارات ؟

فقال جهاد مجيبا: انتهت بفضل الله ، وأنا على وشك العودة لبعنبس في أوائل تموز .. نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه .. وسنبقي على اتصال ـ إن شاء الله ـ أنت صديق عزيز يا أبا صهيب يبدأ الفصل القادم في أواخر أيلول ، سنغيب عنكم باقي تموز وآب وبعض أيلول ، واذا لديك رغبة أنت وعيلتك زيارة أرض الآباء والأجداد يمكنكم مرافقتي وممكن أن تختار الوقت المناسب فالبيت بيتك .

قال: لا مجال أيها الصديق الكريم ؛ ربما في السنوات القادمة .. فأبي زارها عددا من المرات معزيا أو مشاركا بفرح مهم بالنسبة له .

ـ أنا أشرف بزيارتكم .

رن الهاتف ، وحيا عمه المتصل : وعليكم السلام ، التفت لمحسن ، وقال عمي حبيب.

قال: متى تعود ؟ سمعت من وردة أنك أنهيت الاختبارات .

فقال جهاد: صحيح ، أنتظر النتائج ، واستعد للعودة بعون الله وفضله .

قال: بالسلامة ، هناك موضوع خاص أحببت البدء بك قبل أن تعود.

فقال جهاد: حسن ! إني مصغ إليك .

قال: الدكتورة جريدة ، تحدث معي ابن عمتك حاتم جادر المحامي يفكر بطلب يدها والارتباط بها.

صمت جهاد لثوان ثم سأل : هل حدث لأم خالد شيء ؟!

قال: لم يطلقها ، من قريب ولدت له الذكر الأول ، له منها ثلاث بنات ، لم يبلغ المولود الأخير السنة.. قمت أنا وزوجتي بزيارته وتهنئته بخالد .. هو يسكن بين تاج الزمان وبعنبس على الحد الغربي بين الحيين .

فقال جهاد: أعرف بيته ، واعتقد أني زرته فيه مرة ، كنت أوزع طرودا في أحد الرمضانات ، والتقينا في المسجد المجاور لبيته بعد صلاة التراويح ، وأصر على استضافاتنا أنا والشباب ، فشربنا الشاي بمعيته والعصير، وأغلب نشاطه يا عمي في عنبس العاصمة والتاج .

قال: لا أدري ممن سمع عن طلاق جريدة ! وأنها ما زالت بدون زواج .

فقال جهاد: الله أعلم ، أتوقع أيام العزاء ذهبت للعزاء مع وردة وعارف .. والغريب يثير فضول النساء.

قال: المهم أنه سمع عنها .. ممن ؟ سيُعرف اذا جد الجد ، وعلم أنها لا تلد .. هل هي لا تلد حقا حقا كما نسمع ؟

فقال جهاد: عارف قال : إن عندها مشاكل تعيق الحمل ؛ لأن زوجها شهابا حملت امرأته منذ تزوج

قال: الناس تنقل الأخبار ؛ لعل هذه المعلومات وصلت إليه ، كما قلت أثناء عزاء أم حسين ـ رحمها الله ـ لقد أوصت عمتك ببناء مسجد من مالها قبل توزيع الميراث ، وتحدث معي سامي أن ابنها حسينا طلب مساعدته بالمكان المناسب لإنشاء المسجد ، فهي ورثت من أبي ؛ كما تعلم ومن زوجها الفريق جادر الحمدي .

فقال جهاد: الناس تحب نقل الكلام ؛ خاصة اذا اجتمعوا في بيت عزاء أو فرح أين امرأة حاتم من القضية ؟

قال: عملت ربط مواسير بقناتي فالوب بعد ولادة خالد ، فيريد الزواج عليها ؛ لأن صحتها على غير ما يرام .. هو يقول إن بعض الأطباء يشك بوجود سرطان رحم أو مبايض ، لم تعد تتحمل الجماع من الألم .. من أجل ذلك رحبت بأن يتخذ لها ضرة .. فهي تقرب لأبيه ـ رحمه الله ـ ابنة عمة ، فرضيت أن يتزوج عليها ، ولا يطلقها ، فطلب مني أن يسمع رأي أخوة جريدة قبل رأيها، فبدأت بك .

فقال جهاد: جزاك الله خيرا ! أنت ما رأيك ؟

قال: هذا ابن أختي ، ورجل حسن .. وتلك ابنة أخي .. وجريدة كما أخبرني عارف بدأت تستيقظ من الغفلة وحب الدنيا .. وها هي تعمل معه في المجمع الطبي .. وذهابها للعزاء في عمتها خطوة صحيحة وكبيرة .. فهي لم ترها من سنوات من أيام الجامعة .. حتى يوم عزاء أمها كانت في السعودية .

فقال جهاد: أمر مؤسف !

قال: لا بأس .. مصيرها الصلاح .. ناقش وردة وسالما وعارفا في الموضوع .

فقال جهاد حسن ! سأفعل ، وأترك المهمة لعارف، فهو أقربنا إليها هذه الأيام فعلاقتهما جيدة من أيام وحياة أمي .. فنحن تصالحنا حديثا حتى لا تعتبر

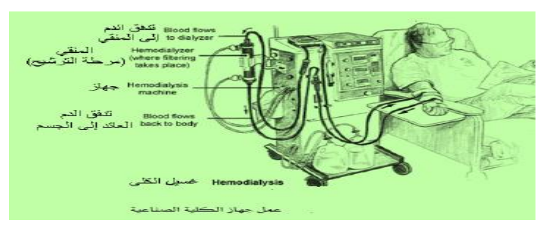
تدخلنا ضغطا وشفقة .

قال: تمام ! وهذا ما دفعني ألا أخاطبها مباشرة .

فقال جهاد: هو في الأصل محامي كما نعلم.

قال: ترك المحاماة من أول سنة ، وحول نفسه للتجارة والصناعة .. اهتم بالموضوع .. ونحن بانتظارك سالما.

فقال جهاد: بعون الله تعالى.



التقى عارف وجهاد وسالم بابن عمتهم حاتم بلقاء نسقه ، ورتبه عارف في صالة مطعم في فندق يملكه حاتم جادر الحمدي .

كان موعد اللقاء العاشرة ليلا ، فلما قضوا حاجتهم من ضيافة حاتم الذي أصر أن يكون اللقاء في فندقه ذي النجوم الثلاث الكائن في أحد شوارع تاج الزمان إحدى محافظات البلاد الشامخة ومن حيث عدد السكان تكبر على بعنبس بزيادة مليون من البشر ، فيها خمسة ملايين بني آدم ، البلاد الشامخة عدد سكانها يقارب الثلاثين مليون نسمة ، بعنبس أربعة ملايين ، هاتان المدينتان كانتا مدينة واحدة كانت تسمى تاج زمان عنبس ، فتشكل حي بعنبس برحيل الكثير من الأسر الغنية من تاج الزمان إليه ، ثم في خمسينيات القرن العشرين تضاعف عدد سكان البلاد الشامخة وكانت أربع محافظات كبرى ، فتحولت لتسع مدن كبرى ،وتحولت بعنبس لمديرية مستقلة ، محافظ وبلدية ، تدعى هذه تقسيمات إدارية ؛ لاستطاعة تقديم الخدمات والأمن للناس ، ودخل الفقراء والبسطاء بعنبس ، ولم تعد تقتصر على الأثرياء واتباعهم ، واختص الأغنياء بشوارع من يدخلها يعلم أنها شوارع أثرياء من القصور والفلل الحديثة ، وهي مدينة اقتصادية مهمة في البلاد الشامخة.

فلما انتهوا من الطعام والضيافة ساقهم إلى صالة خاصة وصغيرة ، غرفة جلوس خاصة ، وقدم لهم عامل الخدمة الشاي والعصير وأكواب الماء المغلقة

قال عارف بعد تقديمه الشكر والثناء على الكرم والضيافة: مرحبا أبا خالد! نحن على العموم أقارب ، وبيننا معرفة بحكم القرابة ؛ لكن لا نعرف تفاصيل حياتك وأنت بدورك لا تعرف تفاصيل حياتنا .. عموميات لا تغني ولا تسمن، أمور عامة ، أما الخاصة فهي خاصة ، ولا اعتقد أحدا منا يتابعها ، ونحن لم نسمع عنك إلا خيرا ، وبارا بعمتنا وكنت تُزوّرها شقيقها حبيبا ، وتقبل الله ذلك منك ، والعم يثني عليك الثناء الحسن ، ويحبذ فكرة الزواج من أختنا الصغيرة .

قال حاتم : أنا شخصيا لا أعرفها أيها السادة ! مع

أنها بنت خالي ، لم ألتقِ بها ؛ ولكنها ظهرت في عزاء أمي ؛ كما سمعت ، وعرّفت امرأة خالي حبيب أختاي وبعض زوجات إخواني على بعض .. امرأتي هي التي تحدثت عنها ؛ لأنني أفكر بالزواج منذ ولادة ابني خالد ، وأخبرني خالي عنها بأنها تعرفت على دكتور درسا معا وتزوجا وسافرا السعودية ، ولما رجعا تطلقا ، ولم يشرح سبب للطلاق واضحا ، وكانت بداية تعيش مع أمها أمك يا عارف ؛ حيث تربت في حضنها ، ولا تتكلم مع الحاج حبيب ، ولا مع سالم وجهاد بسبب ابتعادها عن الدين .

قال جهاد : كلام صحيح ! كنت وسالما متخذين منها موقفا حادا وتصالحنا أثناء عزاء عمتي سعيدة .. وكيف رغبت بها كزوجة ؟!

ضحك لحظات وقال : البنات حولي كثير ، في شركاتي ومصانعي ؛ ربما يعمل معي أكثر من ألف امرأة بين عزباء ومتزوجة .. في هذا الفندق غير شغالات الغرف في الإدارة والسكرتاريا حوالي عشر .. أنا وأنت يا جهاد كثيرا ما التقينا عند خالي وعمك ؛ لكن علاقتنا يا عارف كانت رسمية مجاملات تقليدية أقارب يلتقون فقط ، وحتى سالم عرفته من تلك اللقاءات ، وأثناء زيارتكم لعمتكم كنا نتصادف عند أخي الكبير حسين ؛ حيث كانت تقطن أمي .. هكذا العلاقة.

قال عارف : صح ، كل في عمله وشغله .. وأنت رجل أعمال كبير في البلد .

قال حاتم : الدكتورة جريدة حدثتني عنها قبل خالي زوجتي بهية ، وهي ابنة إحدى عماتي .. الدكتورة جرى بينها وبين بهية حديث وتعارف خلال العزاء والذي فتح موضوع الزواج منها أم خالد ، فأم خالد عليلة وضعيفة ، وبعد ولادة خالد منعت من الحبل والولادة بربط قناتي فالوب ، وأصبحت غير صالحة بشكل صحيح ؛ لتحمل المعاشرة الزوجية ، فبدأت تحثني على الزواج من غيرها ، وتطلب ألا أطلقها ، وأنا من الصعب أن أطلقها ؛ لأنها ابنة عمتي ، والطفل خالد ما زال صغيرا .. وزوجتي قبل ولادة خالد أجهضت ثلاث مرات ، فلما عرفت أن أختكم مطلقة وقريبتي رغبتني بالزواج منها ، وحدثتني عن عجز بها عن الحمل وتحتاج لعلاج

هزوا رؤوسهم وتتمتموا ، فقال : ثم توسعت في طلب المعلومات من خالي ، وهو لا يعلم عنها الكثير ، وأنه سيتحدث معكم ، وها هو تحدث معكم كما وعد ونحن نجتمع من أجل ذلك .

في منزل عصام جلس الأخوة الخمسة وعصام معهم ، ومنعت الزوجات الثلاث من حضور الاجتماع الخاص بجريدة.

عرض عارف الكبير موضوع حاتم جادر حمدي ،

وعرضه الزواج من جريدة دون طلاق ابنة عمته أم خالد ، والسبب للتعدد عجزها عن المعاشرة الزوجية.

وتابع فقال : إن الرجل مستعد لمعالجتك من معوقات الحمل ، فهو يحب ويرغب بمزيد من الخلفة ، وصارحته في حديث خاص عن إصابتك بالسيلان ، والعلاج منه بدون أن أزيد عن سبب انتقاله إليك أو ظهوره ، وهو من جهة يرغب بمصاهرتنا ؛ لأننا من أسرة عارف ، وباب هذه المصاهرة جريدة .

تكلم سالم مبينا وجهة نظره وشجعها على فعل ذلك ، وجهاد أشاد بالرجل ، وكان رأيه من رأي سالم ، وأبدى عصام رأيه حتى وقف الكلام عند وردة محبوبة الجميع ، وسيدة العائلة رقم واحد ، فقد فرضت أخلاقها وأفعالها بعد التوبة حبها وكلامها على الجميع ، قالت : يا حبيبتي الأمر دقيق ، وحسب ما فهمت من كلام عارف بأنه سيستقل بك عن زوجته ؛ ولكن من حقها أقصد بهية أن يقيم عندها ليلة بغض النظر عن حدوث معاشرة زوجية أو لم تحدث ؛ كما يأمر الشرع ، ويمكنها شرعا أن تتنازل عن المبيت والعشرة ؛ كما فعلت أم المؤمنين سودة ـ رضي الله عنها ـ تنازلت عن يومها لعائشة رضي الله عنها ، ولم يطلق النبي ﷺ ، هذا الخيار من حق أم خالد ..

سيكون لك زوج .. لك فيه شريكة ، وهو قريب لنا ابن عمتك التي لا تعرفينها ، ويرغب بمصاهرتنا ، ومعروف لعمي حبيب ؛ لأنه ابن أخته .

قال عارف : جيد أم جوهر ! هذا ملخص الحكاية .. حياة مع زوجة أخرى أم أولاده ، وليست الحياة مع زوجتين ؛ كما مع زوجة واحدة .. الزواج ليس علاقة جنسية فحسب .. مسؤولية بحق هي أم ، والرجل حابب أن تكوني أما ؛ كما فهمنا ، وسيبذل قصارى جهده لعلاج أمرك والشافي هو الله .. الطب وسيلة.

قالت : وهل سنعيش ونأكل في بيت واحد؟

فقال عارف: لا اعتقد ؛ كما ذكرت سابقا ، ممكن تبقين في شقتك ومع الخادمة.. أنت ترغبين بزوج نظيف ، حتى لا يتجدد المرض ، والرجل لم ينزعج من السيلان ، ويدقق من أين أتى وسببه ربما ظن أن العدوى أتت من شهاب ، فعليك نسيان الماضي بحلوه ومره .. العفة تاج على رأس العفيف.. وأنت تنوين أن تبدئي حياة أخرى ، لا حاجة فيها للجنس العابر ، والنوادي الليلية والعشيق وصحبة الماجنات .. تذكري استهتار ماريا حتى نبذها أهلها ، وطردت من عملها ، حتى أصبحت عالة عليك ..الرجل يريد أن يتزوجنا ، وكما قال حوله مئات الإناث في الفندق

والشركات والمصانع .

قالت : هو يصلي ؛ وليس له عشيقات ما دام يعاني من الحاجة للزواج .

قال جهاد : هو يصلي بدون شك ، مرة في أحد أشهر الصيام كنا نوزع معونات في تاج الزمان ، صليت ورفاقي التراويح في مسجد صدف أنه كان يصلي فيه يا جريدة ، وأصر على ضيافتنا في بيته ، وكنا نلتقي ببيت عمي وبيت شقيقه حسين لما نزور عمتي ، ولو لم يكن مناسبا ما تحدث عمك معنا عنه .. المهم أنت أن تصلي .

ضحكت ، وهي تعلم أن الصلاة بالنسبة لجهاد هي الإسلام ، ثم همست : سأتعلمها من عارف.

قال سالم : فعلا أنت بحاجة لحياة هادئة بعيدة عن الطيش ، فزوجة خير من لا زوجة لمن في سنك يا جريدة !

قالت : أنت يا وردة!

ابتسمت وردة وقالت : أنا أحب لك الخير ؛ كما أحبه لنفسي " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " والزواج خير بعلاقة وبلا علاقة ، كما قلت قبل دقائق عن أم المؤمنين سودة بنت زمعة ، والتوفيق قدر .. طبعا الحلال أفضل من الحرام .. الحلال فيه راحة ونية وثواب.. الحرام والزنا قضاء شهوة ، وكل واحد عند أهله ؛ لكن ليس فيه راحة حقيقية ؛ إنما هي راحة اصطناعية متكلفة ، لا يوجد فيها رحمة ولا سكينة .. الزواج آية من آيات الله ؛ كما قال القرآن في سورة الروم " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا " فالمرأة سكن وبيت للزوج " وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ " سكن له ، سواء أحبها أو بغضها " وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً " حب وعاطفة والود ورحمة .. فحتى لو لم تحب المرأة زوجها فتتحصل على الحصانة والرحمة .. فهو خير من الزنا والفواحش يا جريدة .. أنت قضيت مع شهاب خمس سنوات بزواج شرعي ، وأنتما تخونان بعضكما ، كل ينتقم من الآخر رغم حبكما الكبير أيام الكلية . . قرأت عن الأمام الحسن البصري أن أتاه رجل، فقال: إن لي بنتا أحبها وقد خطبها غير واحد، فمن تشير عليّ أن أزوجها ؟ قال رضي الله عنه : زوجها رجلا يتقي الله، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

قالت : أشكركم وأشكرك يا وردة ! كم من الوقت تسمحون لي بالرد ؟

فقال عارف: كم تحتاجين للرد ؟ حتى لا يصرف الرجل نظره .. يوم يومان أسبوع شهر حتى ننقل له الأمر .

فكرت وفكرت ثم اعتذرت جريدة بالزواج من ابن عمتها سعيدة أم حسين ، وزعمت لأختها أنها قد تشكل خطرا على صحة حاتم ، وتنقل إليه

عدوى السيلان ، رغم تقرير الطبيب باسل بزوال المرض ، فجلس جهاد مع حاتم ليعتذر له .
فقال جهاد وهو يشرب القهوة معه : كلفوني يا أبا خالد بالاعتذار إليك عنا وعن الدكتورة ، وهي للآسف ما زالت تعاني من فشل زواجها من الطبيب شهاب ومن السيلان، ومن عجزها عن الحمل خلال خمس سنوات زواج.
قال : المرض ألم تخبروني بزواله ؟!
قال : نعم زال عنها .. حالة نفسية ، حتى أنها أخبرت زوجها السابق عندما اكتشفته بأن يفحص نفسه وزوجته قبل أن تحمل .. هذا سبب الاعتذار.
قال معللا : هي تخشى عودته والخوف من نقله ! والله هذا الفكر يدفعك للتمسك بها وقبول المخاطرة يا أبا عبدالله ! هذا أولا...
قال : والأمر الثاني أنها خائفة .
قال : مني!
ضحك جهاد : لا ، من نفسها .
قال : هل هناك رجل آخر ؟
قال : أنا وسالم تصالحنا معها لما اجتمعنا في عزاء أمك رحمها الله .. علاقتنا معها لم تكن طيبة يا حاتم وحتى عمي .. هي كانت خارج العائلة !
قال : سمعت من خالي نحو ما تكلمت .
قال : أي لا سلطة أو مشورة لنا عليها .. وأما أن هناك رجلا آخر فأنا لم أسمع حتى لو كنت في عمان ؛ لأن عارفا لا يخفي عنا ذلك .. وهو الأقرب إليها ؛ لأنهما عاشا معا في كنف أمي .
قال : لا تريد أن تكون ضرة !
قال : لا أظن ذلك ، لم تتحدث عن الضرة بقبول أو رفض.
قال : والله أنا وجدتها فرصة ؛ لأتقرب إليكم ؛ لأنني أحبكم في الله .. والنساء تقرب وتبعد بين العائلات .
قال : أحبك الله الذي أحببتنا فيه .
قال : اذا كانت محتاجة لوقت فأنتظر .
قال جهاد : أخشى أن أقول ذلك ، ثم ترفض من جديد .
قال : أنا لا أذكر أني رأيتها أو قابلتها أو تعرفت عليها حتى عند موت أمك في العزاء.
قال جهاد: كانت يومذاك في الرياض .
قال : إنما ذكرتها أم خالد ؛ حيث تعرفت عليها في عزاء أمي ، وسمعت قصة طلاقها وأنها أصغر أبناء خالي نجيب ، وطلقت أواخر العام الماضي بعد عودتها من السعودية ، وسبب الطلاق عجزها عن الحمل ، فسألت الخال حبيبا ، فقال : حاول .. وها أنا حاولت .
قال جهاد : عليك بالبحث ، ستجد بعونه تعالى خيرا من جريدة ، واذا لم تجد ما يروق لك

وطال الوقت فبعد حين سنعمل لها جس نبض .. الله يغير القلوب كيف يشاء؟ لم يمض على طلاقها العام ، والمطلقة حسب ما نسمع تحب الزواج ؛ لتثبت لنفسها وأهلها وأصدقائها أنها ما زالت مطلوبة ومرغوبة ، وفي نفس الحين تخشى الطلاق من جديد فيزداد الجرح بسبب سوء تصرف المجتمع معهن ، وزوجها شهاب تزوج بعد الانفصال مباشرة ، وحملت عيلته منه سريعا صبروا على أنفسهم خمس سنين ، والرجل مهما صبر سيهتم بالذرية بعد حين ، فالذرية أهم من العلاقة الحميمية.

قال مستسلما : دع الأيام تمضي ، تلفونك القديم تغير!

قال جهاد : لا ، إنه في إجازة عندما أكون في عمان.. التلفونات ؛ كما تسمع لا تتوقف .

قال : بارك الله فيك !

قال جهاد : هذا هو رقمي الدولي.. اكتب.

أدخله على جهازه شاكرا : شكرا جهاد .. وسلم على كل أولاد خالي .

قال جهاد : يصل بعون الله ، وبعد زمن اذا لم تنكح بنت الحلال اضرب عليّ ؛ لعل الله يحدث أمرا.

قال : أوصل لها سلاما خاصا .

قال جهاد : توكل على الله.

ـــــ

تمكن محسن المهندس من استئجار فيلا باسم جهاد نجيب في نفس الحي الذي تقع فيه الشقة في غرب عمان ، ونقل أثاث الشقة إلى الفيلا المستأجرة بعد عمل الصيانة والدهان لها . وكانت الصور والأفلام القصيرة تنتقل بينه وبين جهاد على فيس بوك وواتس آب وماسنجر .

سمحت له السلطات الإدارية بنقل مربية الأطفال والخادمة للفيلا حتى ينتهي من دراسته الجامعية ، ولم يجد معوقات وقوانين تمنع ذلك.

وكان الرجلان يخططان لإقامة مشاريع تجارية أو صناعية مشتركة بينهما ، وتبادلا الأفكار قبل عودته لبعنبس بداية الصيف الفائت ، وكلفه جهاد بالبحث عن مستشار وخبير اقتصادي في عمان ؛ ليستشيروه في أفضل المشاريع والمناسبة لإقامتها في الأردن عند العودة لإكمال الجامعة .

فحدد محسن خلال عطلة الصيف ثلاثة خبراء ومستشارين ؛ ليجلس معهم جهاد عند بداية الفصل الجامعي الشتوي ، الأول منهم دكتور اقتصاد مشهور في الأردن محاضر جامعة ، والثاني دكتور في وزارة الصناعة والتجارة الأردنية ، والثالث محرر صفحة الاقتصاد في جريدة يومية أردنية . فلما دخل أيلول جاء جهاد لعمان ؛ حيث أشرف على تأثيث أو إكمال تأثيث الفيلا وغرف النوم ، وتحول سريره المفرد للخادمة أو المربية ،

وخزانة ملابس لكل واحدة منهن وسرير ، وغرفة نوم له ولزوجته ، وغرف نوم للأطفال ، وصالون البيت ، وغرفة المعيشة ، والستائر ، وإضافة ما يلزم للمطبخ .

ولما اكتمل العفش أرسل إبراهيم أخته والذرية إلى عمان بواسطة الطيران المدني وخلال ساعات خمس حلت الطائرة بمطار الملكة علياء الدولي ، وكان جهاد بسيارته ، ومحسن بسيارته في استقبالهم ، فركبت أم عبدالله وأولاده مع جهاد والخادمة والمربية مع محسن ، وفي أقل من ساعة ونصف كانوا يدخلون الفيلا ، ويودعهم محسن على أمل اللقاء غدا ؛ حيث ستصحبه امرأته ؛ لترحب بأم عبدالله هما تعارفتا فترة سياحة الأسرة في شهر نيسان الماضي .

بعد الانتهاء من إدخال الحقائب أغلق بوابة الفيلا الخارجية ، وباب الفيلا نفسها وكان الوقت قرب الثانية فجرا ، فصنعت أم عبد الله شايا وكعكا للجميع تناولوه ، ثم ناموا من النصب ، وشعروا على العموم أنهم ما زالوا في بعنبس ؛ إنما الذي تغير اسم المدينة ، والذي تغير أن رندا بدون عمل ودوام ، وكانت تحمل رندا أرقام تلفونات لأقارب لزميلاتها في بعنبس يسكنون في الأردن اذا رغبت بالتواصل معهن .أم عبدالله كانت حياتها في البلد العمل ، والبيت ، وقراءة بعض الكتب والمجلات التي يشير إليها جهاد بقراءتها ، والزيارات العائلية خاصة والد بها.

وتزور بعض الحدائق في العطل والمناسبات لترفيه نفسها والأطفال ، فتلتقي بزميلات العيادة أو قريباتها والأطفال في تلك الحدائق. والمدارس بالنسبة لعبدالله ومي مدارس أهلية سواء في بعنبس أم عمان ، وحبيب خارج المدرسة.

ــــــ

كان عارف نجيب يجلس في مكتبه وحيدا حين دخلت عليه جريدة ؛ لأن سكرتيرات المكتب لهنّ مكتبهن الخاص، فيرونه ويراهن من خلال الفواصل الزجاجية السوداء ، فرحب بها وأشار لها بالقعود ، كان له ثلاث سكرتيرات. وقدم لها قطعة شوكولاتة طبية مما يقدمه للضيوف ، ودعاية لهذا المنتج العالمي، وقدم لها مراسل أو فراش المكتب فنجان قهوة مرة سادة . أرادت أن تخرج سيجارة فأشار لها بلا ، وأشار لها ليافطة أو لوحة " ممنوع التدخين " فأعادتها للعلبة وسمعته يذكرها : هناك غرف خصصت للتدخين وشرب القهوة أو الشاي.. في كل طابق موقع سواء للعاملين أو المتسوقين . .ألم تقرئي اللوحة؟

قالت : أنا بنت المؤسسة .. أدخن في غرفة التدخين .. فقد نسيت.

قال : هل من أمر؟

قالت : أفكر بترك العمل .

قال بدهشة خفيفة : تفكرين بترك العمل .. فلماذا يا ترى؟!

قالت وهي تتطلع بعينيه : وجدت زوجا.

نظر إليها بقسوة وحدة وقال: ألف مبارك ! حاتم تزوج.

قالت : أعلم ، تعرفت على طبيب في النادي بقصد الزواج.

قال : إذن عدت للنوادي !

قالت : اشتركت في نادي جديد ، وقدمتني الدكتورة صفية لطبيب نادي رياضي عمره أربعون سنة ، ولم يتزوج من قبل ، وتثني عليه صفية الثناء الحسن ، وهي التي شجعتني على الاشتراك في هذا النادي ، ولا أعزل نفسي في البيت ، والأمراض تصيب كل الناس .

قال : صفية ! من صفية ؟ لا أعرفها أيام ذاك النادي نادي العائلة!

قالت : هي عضو في نادي بعنبس الوردي.

قال : من هو هذا الطبيب؟

قالت : هو عضو في النادي الوردي ، يعمل في نادي رياضي كطبيب ، أثناء المباريات التي يخوضها النادي مع الفرق الأخرى ، وعيادته الخاصة تعالج أفراد وأعضاء النادي .

قال سارحا : ما المطلوب مني ؟

قالت : المطلوب منك بصفتك الكبير ، وولي أمري أن تسأل عنه ، وعن صحة أنه أعزب كل هذه السنين حتى يطمئن قلبي.

تبسم مرغما وقال : ولي أمرك ! ألك ولي أمر ؟! اكتبي لي اسمه ، واسم النادي .

قالت : مالك زعلان ؟!

قال : أنا لا دخل لي باختياراتك ، سأسأل عنه ؛ لكني غير مقتنع بهذا الاختيار فهؤلاء صيادون نساء ، ويعيشون على كدهن .

قالت : هو صياد!

قال : أكيد ، واعتقد أن هذه الصفية تمكر بك ، ودعتك للاشتراك في ناديها لخداعك .

قالت : أنت لا تعرفهم .

قال : دكتور عمره أربعون سنة ، الأصل أن يكون دخله جيدا.. لماذا لم يتزوج من قبل ؟!

قالت : لي شهر أجلس معهم ، فلم أشعر بذلك الخداع .

تنهد بعمق وقال : آخ آخ يا جريدة ! كله بأمره .. جربي .. أين كانت هذه الصديقة من أول أزمتك ؟ وعند انتحار صديقتك ماريا .. هل يعني الطبيب عريسا ممتازا ؟.. أنا اعتقد أنك أخذت قرارك بالزواج قبل هذا الحوار .. لن أشارك بهذه المهزلة.

احتجت فقالت : أي مهزلة ؟

صاح الآخر فقال: مهزلة زواجك من طبيب النادي ! سأنبك بتفاصيل حياته.. هل تزوج من قبل أو طلق؟

قالت : تقول صديقتي إنه لم يتزوج .

قال : لماذا لم يتزوج لليوم ؟

قالت : لا أدري !

صرخ محتدا : يعني زير نساء .

ـــــ

عمل الرجل تحريات عن الدكتور غانم بارخ طبيب النادي الرياضي وعيادته المفتوحة لأهل النادي، والأمر ليس صعبا ، ثم سافر إلى المانيا لحضور معارض تهم المؤسسة ضمن فريق الرحلات والبحث في الأسواق الأوروبية ، فتقام المعارض باستمرار في تلك البلاد ، معارض لعرض أجهزتهم الجديدة والمحدثة من مجاهر وأدوات طبية للمستشفيات ، مثل المشارط المقصات الإبر خيوط الخياطة الطبية الأدوية الجديدة للأمراض المزمنة ، والكراسي الخاصة بعيادات الأسنان ، وأجهزة التصوير وغير ذلك.

وفاء الأحرار

في ١٨ تشرين الأول تمت صفقة جلعاد شاليط ، أسير المقاومة الغزية ، وشغلت العالم بترتيبها والقلق المصاحب لعملية تسليم شاليط لإسرائيل ، هل ستغدر إسرائيل ؟ شنت حرب قاسية ٢٠٠٩ لتحرير شاليط ، وفشلت فشلا ذريعا عسكريا ومخابراتيا حتى اتهمت حماسا بقتله ، وأذاع القسام شريطا لثوان يؤكد أنه حي يطعم ، ولم يقتل أثناء القصف العشوائي، وبعد هذه الصفقة بيومين أعلن في ليبيا مقتل العقيد القذافي ، بعد حكم استمر أربعين عاما . إليكم تفاصيل صفقة جلعاد ، ومعاناة الأسرى في سجون الصهيونية .

أسير واحد اسمه جلعاد مقابل ما يزيد عن ألف أسير فلسطيني ، في الثامن عشر من تشرين الأول ٢٠١١ تمت صفقة تبادل الأسرى بين حركة المقاومة الإسلامية ، والاحتلال الإسرائيلي أو صفقة شاليط ، أو صفقة وفاء الأحرار ؛ كما يسميها الفلسطينيون ، تعتبر أضخم عمليات تبادل الأسرى بين العرب وإسرائيل ، الفلسطينيون استطاعوا الحفاظ على الجندي الإسرائيلي أسيرا لنحو خمس سنوات ، رغم خوض إسرائيل حربا على قطاع غزة لتحريره .

تشمل الصفقة الإفراج عن ١٠٢٧ أسيراً فلسطينياً مقابل الإفراج عن الجندي الوحيد الأسير الإسرائيلي جلعاد شاليط.

وقد أعلن عن التوصل لهذه الصفقة في ١١ أكتوبر ٢٠١١ بشفاعة مصرية ، وتعد هذه الصفقة الأولى في تاريخ القضية الفلسطينية التي تمت عملية الأسر

ومكان الاحتجاز والتفاوض داخل أرض فلسطين. بدأت عملية تبادل الأسرى صبيحة يوم الثلاثاء ١٨ أكتوبر حين قامت إسرائيل بالإفراج عن ٤٧٧ أسيرا فلسطينيا ، وتسليمهم إلى الصليب الأحمر الدولي فيما قامت حماس بتسليم جلعاد شاليط إلى مصر إيذانا ببدء عملية التبادل.

بعد الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة ٢٠٠٨ـ ٢٠٠٩ عُقدت صفقة بين إسرائيل وحركة حماس تم بموجبها تسليم حركة حماس لإسرائيل شريط فيديو لمدة دقيقة واحدة فقط ، يظهر فيها الجندي جلعاد شاليط حيا ، وقد عُرفت هذه الصفقة بصفقة شريط شاليط ، وذلك مقابل أن تفرج إسرائيل عن عشرين أسيرة فلسطينية ، وكانت الأسيرات من تنظيمات فلسطينية مختلفة تضم الصفقة أسرى من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأسرى من فتح وحماس وحركة الجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين وأسرى من الجولان ومسيحيين ؛ تشمل الصفقة إطلاق أسرى أودوا بحياة ٥٧٠ شخصا . وجهت كتائب القسام عشرات من السيارات رباعية الدفع متطابقة الشكل إلى معبر رفح ، وكان شاليط في إحداها ، ودخل شاليط في تمام الساعة العاشرة صباحاً إلى الجانب المصري من ميناء رفح ، والمشرف على الصفقة القائد القسامي أحمد الجعبري إلى جانب مجموعة كبيرة من مقاتلي القسام ولما اطمأن الاحتلال الإسرائيلي على شاليط أفرج عن نصف الأسرى المحررين ، ثم تحفظ الجانب المصري على شاليط ؛ ليتم الإفراج عن النصف الثاني من المرحلة الأولى من الصفقة ودخل الأسرى المحررون إلى معبر رفح يستقلون عدداً من الحافلات ملوحين بعلامات النصر. وحدة الظل إحدى وحدات كتائب الشهيد عز الدين القسام ، وقد أُنشأت بهدفِ الاحتفاظ بالأسرى الإسرائيليين وإبعادهم عن عيونِ تل أبيب .

حركت أجهزة مخابرات إسرائيل جل عملائها في القطاع لمعرفة مكان سجنه مدة سنوات خمس دون فائدة ؛ بفضل وحدة الظل المكلفة بحفظ شاليط .

جلعاد شاليط جندي إسرائيلي ، تم أسره من قبل حماس عام ٢٠٠٦ ، وظل في الأسر لأكثر من خمس سنوات حتى تم الإفراج عنه في ٢٠١١ . انتشرت حملات ومطالبات من جمعيات حقوقية للمطالبة بالإفراج عنه ، وبعد مفاوضات طويلة ووساطة مصرية تم إبرام الصفقة ، وتم الإفراج عنه ٢٠١١.

في يوليو ٢٠٠٥ تم تجنيده للجيش ؛ وفقاً لقانون التجنيد الإجباري في إسرائيل فأدى خدمته في

سلاح المدرعات ، وبعد أشهر من تجنيده في ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ وقع جلعاد في قبضة المقاومة ؛ حيث تم أسره ونقله إلى قطاع غزة على يد مقاتلين تابعين لثلاثة فصائل فلسطينية مسلحة كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس وألوية الناصر صلاح الدين التابعة لـ لجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام في عملية عسكرية نوعية أطلقت عليها الجهات المنفذة اسم عملية الوهم المتبدد في فجر ٢٥ يونيو ٢٠٠٦ استهدفت العملية قوة إسرائيلية مدرعة من لواء جفعاتي كانت ترابط ليلاً في موقع كيريم شالوم العسكري التابع للجيش الإسرائيلي على الحدود بين مدينة رفح الفلسطينية وإسرائيل ؛ حيث نجح عدد من المقاتلين الفلسطينيين من التسلل عبر نفق أرضي كانوا قد حفروه سابقاً تحت الحدود إلى الموقع الإسرائيلي مما ساعدهم في مباغتة القوة الإسرائيلية وانتهى هذا الهجوم بمقتل جنديين وإصابة خمسة آخرين بجروح وأسر شاليط ، ونقله إلى مكان آمن في قطاع غزة .

ويذكر أن عملية أسر الجندي شاليط كانت من أكثر العمليات الفدائية الفلسطينية تعقيداً وج رأة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى الثانية ؛ حيث تمكن المقاتلون الفلسطينيون من اقتياد الجندي الأسير إلى عمق القطاع بسرعة فائقة رغم التعزيزات الجوية الإسرائيلية الفورية في الأجواء وخصوصاً في سماء مدينة رفح قرب مكان تنفيذ الهجوم. عقب هذه العملية قام جهاز الاستخبارات الإسرائيلي الداخلي الشين بيت بتنشيط مئات من عملائه في قطاع غزه للبحث وللتحري عن مصير شاليط ، ومكان اعتقاله وهوية محتجزيه ؛ كما شن الجيش الإسرائيلي على مدار السنوات الثلاثة الماضية سلسلة من العمليات الخاصة في مناطق متفرقة في القطاع في محاولة لتحرير شاليط أو إلقاء القبض على أشخاص فلسطينيين يشتبه في ضلوعهم في احتجازه. مع أن مكان وجود جلعاد شاليط كان مجهولا ؛ فإنه لم يكن هناك شكٌ في بقائه على قيد الحياة ، إذ في ذكرى مرور عام على أسر شاليط أرسلت كتائب القسام شريطا مسجلا بصوته بمناسبة مرور عام واحد على أسره ، في التسجيل يقول جلعاد شاليط أن حالته الصحية تتدهور ، وإنه محبط لعدم استجابة الحكومة الإسرائيلية لمطالب القسام.

ومنذ أسر شاليط تطالب حركة حماس نيابة عن جناحها العسكري ولجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام إسرائيل بالإفراج عن أكثر من ١٠٠٠ سجين سياسي فلسطيني من ذوي الأحكام العالية ورفع الحصار المفروض على قطاع غزه مقابل إطلاق سراح شاليط حياً.

هذا وقد رفضت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة

شروط حماس وقالت بأنها لن تفرج عن ما أسمتهم "فلسطينيون ملطخة أيديهم بدماء إسرائيلية".
تحملت دولـة مصر مهمة التوسط بين حماس وحكومة إسرائيل لإطلاق سراح جلعاد شاليط ؛ ولكن المفاوضات تعرقلت مرات عديدة خاصة بعد تولي حماس الحكم على قطاع غزة في يونيو ٢٠٠٧ ، مما أدى إلى إغلاق مصر الحدود مع القطاع . وفي أكتوبر ٢٠٠٩ فاجأت كتائب القسام العالم بإصدارها لأول مرة شريط فيديو مصور يظهر فيه الجندي الأسير جلعاد شاليط لمدة دقيقتين مرتدياً الزي العسكري وحاملاً جريدة إخبارية فلسطينية بتاريخ ١٤ سبتمبر ٢٠٠٩ وتحدث بالعبرية مخاطباً رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بالموافقة على شروط حماس وتأمين الإفراج عنه في أسرع وقت ممكن قبل فوات الأوان ؛ كما وجه شاليط رسالة شخصية إلى عائلته قال فيها أنه يتطلع إلى اللقاء بهم عما قريب ، وأكد بأن وضعه جيد وأن كتائب القسام تعامله معاملة ممتازة ، وقد بدا شاليط في حالة صحية وبدنية جيدة وهادئة على عكس توقعات الجهات والدوائر الأمنية الإسرائيلية المتابعة لقضيته والتي تحدثت كثيراً عن احتمال تعرضه لإصابات بالغة أثناء عملية الأسر. ومن خلال هذا الشريط نجح الجناح العسكري لحركة حماس في ٢ أكتوبر ٢٠٠٩ بوساطة ألمانية مصرية في تأمين الإفراج عن ١٩ أسيرة فلسطينية من ذوات المحكوميات العالية مقابل إصدار دليل مادي يثبت بأن الجندي الأسير لا يزال على قيد الحياة ، تمت الصفقة وسلمت حماس شريطاً لإسرائيل يظهر فيه الجندي المختطف بصحة جيدة.
قال أبو عبيدة الناطق باسم القسام: إن المقاومة تمكنت من إحداث اختراق هام في الموقف الإسرائيلي عندما أجبرت إسرائيل على الموافقة على الإفراج عن معتقلين من فلسطينيي ٤٨ والقدس، مشددا على أن هذا يمثل إنجازا هائلا للمقاومة الفلسطينية، وأكد أن هذه الصفقة هي الأكبر في تاريخ الاحتلال الصهيوني.
قال نتنياهو : إن القبول بالصفقة أمر صعب ، وأن الصفقة هي الأكبر في تاريخ الدولة العبرية. كتبت صحيفة يديعوت أحرونوت: "الثمن مبالغ فيه، المخاطر كبيرة والسابقة غير لطيفة، ولكن دولة لم تتمكن على مدى خمس سنوات من تخليص جندي من الأسر بوسائل أخرى لا يمكنها إلا أن تدفع الثمن". صحيفة معاريف : أمس كان مساء استسلام ، مساء نزلت فيه "إسرائيل" على ركبتيها أمام حماس، مساء فشلت فيه قوة الصمود الإسرائيلية، رقة القلب تغلبت على الصلابة ، مساء عقد فيه خالد مشعل، وأحمد الجعبري

وإسماعيل هنية مهرجانات النصر عن حق، مساء قال لي فيه مسؤول فلسطيني هاتفيا، بصوت مخنوق: "ما العمل، أنتم لا تفهمون إلا لغة القوة".

****

معاناة الأسير لنفهم أهمية صفقة وفاء الأحرار في النضال الفلسطيني ، هذه الورقات تتكلم عن معاناة الأسرى في سجون ومعتقلات الصهيونية . فاعلم الأسْر عند اليهود سياسة ممنهَجة وعقيدة ، لا يُراعَى فيه فرقٌ بين رجل أو امرأة ، راشد أو قاصر، أو بين معافًى أو مريض، فمَن لم يُؤسَر نجد أنَّ أحدَ أقاربه في الأسْر ، ومَن لم يقضِ زهرة شبابه في ظلمات السجون وتحت ظُلم السجَّانين، نجده قد قضى طفولتَه أو شبابه أو شيخوخته في انتظار غالٍ ، قد لا يعود من غياهب السُّجون. وممَّا يَزيد الوضعَ إيلامًا أنَّه في الوقت الذي ينادي فيه العالَم أجمعُ بحقوق الإنسان وحقوق الحيوان والخرفان ، واتفاقيات جنيف بحسن معاملة الأسرى ، وصيانة كرامته وحريته نجده يغضُّ الطرْف عما يحدث للأسرى الفلسطينيِّين، ولا يُلقي بالاً لمعاناتهم

ويُشير تقرير وزارة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية إلى أنَّ قوات الاحتلال قد اعتقلت منذ العام ١٩٦٧ عام احتلال باقي فلسطين ، وحتى أبريل ٢٠٠٨ حوالي ٧٥٠ ألف مواطن فلسطيني؛ أي: ما يقرب من ٢٥٪ من إجمالي عدد السكان المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزَّة

يتمُّ الاعتقال وفقًا لمجموعة من الأوامر العسكرية ، أو عشوائيًّا دون أي مذكرات توقيف أو مبررات، وغالبًا لا يتمُّ توجيه تهمة محدَّدة لهم، ثم يجري التحقيق معهم وتعذيبهم بهدف استصدار أي اعتراف منهم ، أو إجبارهم على الاعتراف تحت الضغط أو التعذيب بما لم يرتكبوه. وفي حالِ ما إذا تمَّت محاكمتُهم، فإنَّ هذه المحاكمة تتمُّ في محاكمَ عسكريَّة إسرائيلية دون مراعاة أصول المحاكمة العادلة المنصوص عليها قانونيًّا ودوليًّا، والتي تحفظ للأسرى حقَّهم في المساواة أمام القانون، والمثول أمام محكمة مختصَّة، ومستقلة محايدة ، ومُنشأة بحكم القانون. يتمُّ عند الاعتقال تقييد يدي المعتقل بقيود بلاستيكيَّة ، وتُعْصب عيناه ، ولا يتمُّ إخباره عن سبب اعتقاله، أو عن الجهة التي سينقل إليها، وتترافق عملية الاعتقال بالعنف الجسدي وإهانة المعتقَل، وأكَّد العديد من المعتقلين في شهادات مشفوعة بالقَسَم أنَّهم تعرَّضوا لمحاولات قتْل واغتصاب، وتمَّ في أحيان كثيرة دفعُهم إلى الأدراج (الدرج) بينما كانت أعينهم معصوبة؛ ليسقطوا ويتدحرجوا. هذا إلى جانب العديد مِن ممارسات التعذيب التي اقترفها

الجنود الإسرائيليُّون في حقهم، وكثيرًا ما أُجبِر المعتقَلون على التعرِّي أمام الجميع عند اعتقالهم للإذلال كما أَجبر الجيشُ الصِّهْيوني الفلسطينيِّين على خلْع ملابسهم، عندما قامتْ حملات المداهمة من بيت لبيت .

المعتقل يتعرَّض للتعذيب الشديد قَبل المحاكمة، وتُوجّه له العديد من التُّهم في لائحة تعدُّها المخابرات الصِّهْيونية ، فإن لم يعترف يتمُّ إبلاغه بالاعتقال الإداري وإلاَّ يتم تخييره بين الاعتراف ببعضها، وقضاء محكومية أقل، أو يتم إقرارها كلها بالمحكمة، ويحاكَم على هذا الأساس، كما يخيَّر البعض بين الإبعاد إلى خارج الأراضي الفلسطينية، وبين البقاء في السُّجون الإسرائيلية.

المحاكم الصهيونية تعدُّ مثلاً حمل العَلَم الفلسطيني تُهمة ، وإزالة النفايات والحجارة التي يضعُها جنودُ الاحتلال تُهمة أيضًا، وكذلك تقديم القهوة لشخصٍ ينتمي لمنظمة تعدُّها سلطات الاحتلال غيرَ شرعية تهمة مع الإشارة إلى أنَّ الاحتلال يعتبر جميع منظَّمات المقاومة الفلسطينية غير شرعية.

وتبقى هناك دائمًا ذريعة "الملف السري"، و"الأسباب الأمنية"، التي تستخدمها سلطاتُ الاحتلال متى شاءت؛ لاعتقال مِن أرادتْ عبر الاعتقال الإداري، والذي قد يمدَّد لعدد غير محدود من المرات. يُعاني الأسرى الفلسطينيُّون من أمراض ومشاكلَ صحيَّة مختلفة، بسبب الظروف المأساوية التي يعيشونها في المعتقلات بسبب سوء الطعام المقدَّم للأسرى ، بقلَّة النظافة والحِرمان من الاستحمام لفترات طويلة ؛ ممَّا يؤدِّي إلى انتشار الأوبئة والأمراض الجلدية ، ويعانون بالنقص الكبير في الألبِسة والأغطية، ويعانون بتأخير استلام مستحقَّات الأسْرى التي ترسلها لهم وزارة شؤون الأسْرى الفلسطينيَّة ، أو يرسلها ذَوُوهم ، ويعانون بسبب الحرمان مِن النوم ؛ إمَّا بسبب ظروف الزنزانة القاسية، أو عدم توفُّر فرشات ، أو تقديم فرشات متَّسخة، أو مليئة بالرُّطوبة والعفن ، ويعانون من الحِرمان من العلاج، والإهمال الطبي، وعدم توفير الأدوية والعلاجات اللاَّزمة للمرضى.

هناك الممارسات الصِّهْيونية الخبيثة التي يُقصد بها إذلال الأسرى، وإهدار كرامتهم جرَّاء عمليات التعذيب المنهجة بحق المعتلقين فمنها التحرُّش الجِنسي، والتهديد بالاغتصاب، الضَّرْب الشديد بالأيدي والأرجل وأعقاب البنادق، استخدام المعتقَلين كدروعٍ بشرية ، إجبار المعتقَلين على التعرِّي من ملابسهم ، إجبار المعتقَلين على تقليد الحيوانات وحركاتها كنَوع من الإهانة. إيقاف المعتقَلين في العراء صيفًا وشتاءً لساعات طويلة ،

الشتائم البذيئة والمُهينة ، تعريض المعتقلين للهزِّ الشديد ، الشبح ، وإيقاف المعتقَلين في أوضاعٍ صعبة، وإجبارهم على جلوس القُرْفصاء على رؤوس أصابعهم (جلوس الضغط)،الشدُّ المفرِط للأصفاد القيود ، الحِرمان من النوم لفترات طويلة ، تغطية الرأس بغِطاء قَذِر ، إطفاء السجائر في جِسْم الأسير، تعريض الأسير للصدمة الكهربائية حتى فقدانِ الوعي.



السجون في إسرائيل

أقامت دولة إسرائيل العديد من معسكرات الاعتقال عقب حرب حزيران ١٩٦٧ ، التي احتلت فيها إسرائيل القدس والضفة الغربية وقطاع غزة ، والأسرى موزعون على ٢٢ سجنا ومعتقلا إسرائيليا داخل وخارج الخط الأخضر.

سجن غزة المركزي أنشئ في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان يقع في مقر القيادة العسكرية البريطانية صاحبة الانتداب على فلسطين آنذاك ، وقد جعلت جزءا من المبنى سجنا مركزيا للثوار الفلسطينيين ، وبعد نكبة عام ١٩٤٨ ، ووضع قطاع غزة تحت وصاية الإدارة المصرية ، استخدم هذا المقر كمجمع للدوائر الحكومية، وخصص جزء منه كسجن للقاطنين في قطاع غزة. وبعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ استخدمته إسرائيل كسجن ومركز تحقيق للفدائيين والمنتمين لفصائل الثورة الفلسطينية ، أغلق سجن غزة المركزي، مع عودة السلطة الوطنية إلى قطاع غزة عام ١٩٩٤، حيث تحرر عدد كبير من السجناء على خلفية الاتفاق، وتم ترحيل عدد آخر إلى السجون الواقعة داخل إسرائيل.

سجن بئر السبع المركزي أنشئ في بداية عام ١٩٧٠، وحاولت سلطات الاحتلال إجراء جملة من التجارب على الأسرى، لكن الأسرى، أفشلوا هذا البرنامج ، وقد رحل كافة السجناء الأمنيين عام ١٩٨٤ إلى باقي السجون والمعتقلات الإسرائيلية وبقي السجن للجنائيين فقط، وبعد عام ١٩٨٧ تم إنشاء قسم للعزل بهذا السجن ، وباقي أقسام السجن تستخدم للسجناء الجنائيين اليهود والعرب. سجن عسقلان المركزي أنشئ في عهد الانتداب البريطاني كمقر لقيادة الجيش البريطاني في عسقلان ومحيطها ، وكسرايا لاستقبال الوفود البريطانية الرسمية ، وداخل سرايا عسقلان خصص جناح من المبنى كمركز تحقيق وتوقيف.

وبعد هزيمة ١٩٦٧ وتصاعد المقاومة الفلسطينية وازدياد عدد المعتقلين، أصدرت قيادة الجيش الإسرائيلي عام ١٩٧٠ مرسوماً عسكرياً بافتتاح

سجن عسقلان المركزي ، وشهد افتتاح المعتقل تنكيلا نازيا بالأسرى الفلسطينيين حيث كانوا يمرون وسط صفين لدرك

السجون من البوابة وصولا إلى غرف وزنازين السجن، بينما الهراوات تنهال على أجسادهم.

شيد سرايا الرملة عام ١٩٣٤ إبان الانتداب البريطاني على فلسطين، وبعد إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ تحول إلى مركز للجيش الإسرائيلي، وفي عام ١٩٥٣ تم تخصيص جزء من السرايا كسجن للفدائيين الفلسطينيين، ثم حولت السرايا بكاملها في عام ١٩٦٧ إلى سجن مركزي للجنائيين اليهود إضافة إلى الأسرى الفلسطينيين وخصوصاً من منطقة القدس.

وأنشئ مستشفى داخل السجن تابعة لمديرية السجون الإسرائيلية بهدف معالجة الأسرى، كما ألحق به معتقل للنساء ، خصص للأسيرات الفلسطينيات والجنائيات الإسرائيليات. ويعد سجن الرملة المعبر الرئيسي للتنقلات بين السجون ؛ حيث أنه عادة ما يتم وضع الأسرى المنقولين من سجن إلى آخر في هذا السجن قبل إرسالهم إلى السجون الأخرى.

تم افتتاح سرايا كفار يونا عام ١٩٦٨، ويطلق عليه اسم "قبر يونا" ويعتبر هذا السجن معتقلاً بالمعنى المتعارف عليه إذ يقوم بدور حلقة الوصل بين السجن والتحقيق، فبعد انتهاء التحقيق مع المعتقلين وقرار تقديمهم للمحاكمة يتم تحويلهم وتوزيعهم إلى بقية السجون، ويقع سجن كفار يونا في منطقة بيت ليد على الطريق بين طولكرم ونتانيا داخل الخط الأخضر. يقع سجن المسكوبية في القسم الشمالي من مدينة القدس، ضمن ما يسمى "ساعة الروسي" أقيم في عهد سلطات الانتداب البريطاني ، وهو مخصص للتوقيف والاعتقال.

افتتح سجن النقب الصحراوي أول مرة عام ١٩٨٨ حيث زاره أكثر من خمسين ألف معتقل فلسطيني إلى أن أغلق عام ١٩٩٥، ثم أعيد افتتاحه مع اندلاع أحداث انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، ويقع المعتقل على بعد حوالي ١٨٠ كم جنوب مدينة القدس ، وعلى بعد ١٠ كم شرق الحدود المصرية. كان السجن يدار من قبل الجيش الإسرائيلي حتى شهر ١١ من عام ٢٠٠٦ إلى أن تم نقل الإدارة إلى مصلحة السجون الإسرائيلية المعروفة بالشاباص.

سجن عوفر مقام على أراضي بيتونيا غرب مدينة رام الله، وقد أنشئ هذا السجن في فترة الانتداب البريطاني ، ويطلق عليه السجناء اسم "جوانتانامو" و"الأحمر" نظراً لسوء الأحوال فيه، حيث يعيش في كل خيمة من خيامه ٣٠ أسيراً

، يعانون من نقص الطعام والملابس وسوء الرعاية الصحية فضلاً عن انقطاع السجناء تماماً عن العالم الخارجي .

سجن تل موند يقع جنوبي الخط الممتد بين مدينتي طولكرم ونتانيا على الطريق القديمة المؤدية إلى الخضيرة ، شيد هذا السجن خصيصا للأحداث من العرب واليهود ، وينقسم إلى قسمين، قسم للأحداث الذكور وآخر للأحداث الإناث ، ويحيط بالسجن سور عال يصل ارتفاعه لثلاثة أمتار، وأربعة أبراج عالية للمراقبة. سجن نفحة يعد هذا المعتقل الذي يبعد ١٠٠ كلم عن مدينة بئر السبع و ٢٠٠ كلم عن مدينة القدس من أشد السجون الإسرائيلية قسوة ، وقد استحدث هذا السجن خصيصا للقيادات الفلسطينية من المعتقلين في مختلف السجون بغرض عزلهم عن بقية السجون الأخرى. سجن الدامون أقيم هذا السجن منذ زمن الانتداب البريطاني كمستودع للدخان، بحيث روعي في بنائه توفير الرطوبة لحفظ أوراق الدخان ، وبعد عام ١٩٤٨ وضعت إسرائيل يدها عليه ، وتم تحويله إلى سجن.

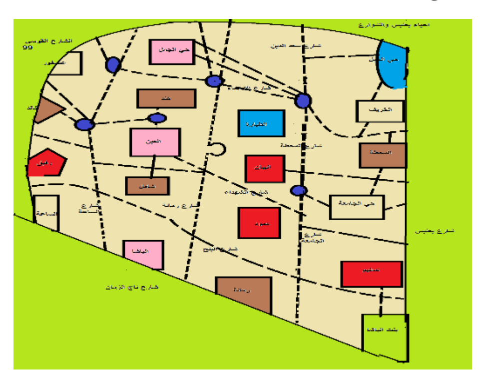
وقد أدلت مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان في واشنطن بشهادة في هذا الأمر جاء فيها أن الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية يعانون من نقص النظافة وسوء الرعاية الصحية والحرمان من الطعام الجيد إضافة إلى سياسة العقاب العنيفة التي تتبعها إدارة المعتقلات في حق السجناء المخالفين لأبسط تعليمات الإدارة والتي تصل إلى حد العقاب الجماعي.

يوجد سجن في دولة الكيان الصهيوني يحمل رقما .. سجن ١٣٩١ .. محبس سري . هو بناية مبنية من الإسمنت ، داخل كيبوتس ، وهو عبارة عن قرية تعاونية استيطانية محاطة بالأشجار الحرجية والجدران المرتفعة. يبدو السجن من الخارج كأي مركز شرطة بناه البريطانيون في الثلاثينات أبان انتدابهم لفلسطين، وتستغل أغلب هذه الأبنية كقواعد عسكرية، وتتم الإشارة إلى هذه الأبنية من خلال لافتات طرق يكتب عليها أرقاماً فقط.

هو قريب من الخط الأخضر، وهو الحدود ما بين إسرائيل والضفة الغربية ما قبل العام ١٩٦٧، مختلف عن غيره من السجون ، فهو ليس بمكان معرّف على الخرائط، كما تم محوه عن الصور الجوية .

وبالرغم من أن سجن ١٣٩١ الإسرائيلي لم يحظ بأي شهرة مقارنة بالسجن الأمريكي في خليج كوبا ، فإنه ينتهك القوانين الدولية والإنسانية بشكلٍ أفظع ، وعلى عكس معسكر الاعتقال الأمريكي ، لا يعرف الجمهور مكان السجن الإسرائيلي ؛ وليس هناك صور فوتوغرافية قريبة

أو حتى بعيدة المدى للمحتجزين فيه كالتي أخذت للمحتجزين في حجيرات معسكر غوانتانامو . وعلى عكس معسكر الاعتقال الأمريكي، لم يفحص أو يفتّش السجن ١٣٩١ مطلقاً من قبل هيئة مستقلة ، مثل هيئة الصليب الأحمر الدولي ، ويعتبر ما يحدث في هذا السجن لغزٌ غامضٌ .



زواج جريدة

عاد عارف مع أوائل نوفمبر تشرين الثاني من أوروبا ، وكان سبب مرافقته لفريق الرحلات معرفة المزيد من المعرفة للشراء والتعاقد . وفور وصوله اتصلت جريدة تطمئن على صحته وسلامته ، واستأذنت زيارته في البيت ؛ لتطلعه على قرارها الحاسم بموضوع غانم بارخ.

وفي اللقاء بينت أنهما اتفقا على الزواج ، وأنها ملّت من الوحدة ، ولا تريد أن تعود لسيرتها القديمة بالعلاقات العابرة ؛ خشية الأمراض والأفضل الشريك الواحد وهو الزوج ، وأن يوافق على الجلوس معه ويسمع منه .

فرفض عارف زواجها منه بشدة وعصبية ، ولن يتعرف عليه ، ولا يلتقي به ، وقال بعصبية : أنت امرأة تملكين أمرك وزواجك ، ولا داعي لديكور وطرطور ، وأنا لا يشرفني اللقاء برجل منحرف وصياد نسوان ، ومبتز إناث ، وتصوريهن شبه عاريات .. وسالم وجهاد لا يعجبهم مثل هكذا رجل.. ولا يحب سالم اللقاء به .

قالت بضيق وصراخ : أنا التي ستتزوج ؛ وليس أنتم ؛ لست مجبرة على الزواج من حاتم.. أنا التي أختار شريك حياتي!

قال : لا أحد أجبرك على الزواج من شهاب ، ولا أحد أجبرك على الطلاق منه ، والرجل تزوج قريبة له من جهة أبيه .. أتظنين رجلا كحاتم ينتظر حتى تتصدقي عليه بنظرة ؟ الرجل أراد تزوجنا نحن .. والمال بين لديه كثير ؛ ليس بحاجة لمالك ؛ ليطمع فيه.

فبكت من توبيخ عارف ، وقالت : وسالم وجهاد لم يرفضا ؟!

قال بنفس العصبية : الرجل فاسد ، معلومات موثوقة عرفتها عنه ، فتحدثت مع بعض أعضاء النادي القدامى والجدد قبل سفري ، وقلت لك فكري جيدا.. الرجل غير مناسب وغادرت لألمانيا ، فله مغامرات نسائية مع بنات النادي ،

ومن خلال العيادة ؛ لكنه دكتور فتتسامح معه العائلات.

قالت : الناس تتغير .

قال : على بركة الله ! تزوجي كما ترغبين .. أنا أعلم أنك عدت للسكر والسهر في الحانات والنوادي الليلية.

قالت : من قال لك ذلك ؟!

قال : أصدقاؤك الفاسدون .

قالت بعصبية : لا أحد وصي عليّ.

قال : تفضلي من غير طرد .. أنا لست وصيا ، ولا مستشارا ، بيني وبينك خمس سنوات.

قالت : تطردتني!

قال بغضب : أطردك ؛ لست بحاجة لنا .. أنت امرأة ناضجة عاقلة تعرف مصلحتها ، والله لو بحثت عن رجل صالح حسن السيرة والسلوك ؛ لكنا معك وفرحنا لك أما أن نفرح لرجل فاسد يتزوج أختنا فكيف نفرح ونقبل ؟! ولو زلنا مع أمنا لسكتنا .. الكلام لها .. كانت ترفض شهابا ؛ ولكنك أصررت عليه .. تذكري ذلك .. صاحبك الجديد حاول اغتصاب امرأة في العيادة .. وصور لاعبة بصور غير لائقة ، وابتزها حتى اضطرت لكشف الأمر لوالديها .. لا تبكي .. طلبت رأيي والسؤال عن الرجل وفعلت.

قامت وقالت: لا تنسى أنك .. أنك تطردتني من بيتك.

قال : لن انسى !

ـــــ

تزوجت جريدة من الدكتور غانم ، ولم تعر اعتراض عارف الأقرب إليها أي اهتمام ، مع أنه ذكرها باعتراض أمها على زواجها من شهاب ؛ لعلها تتراجع . لم يحضر حفلة زواجها من المقربين إليها من الأسرة أحد ، كانت بعد طردها من بيته أعادت له مفتاح شقته ، وعادت لشقتها التي لم تكن أجرتها ، وسكنت فيها هي وزوجها الجديد ، وتركت عمل المؤسسة تلقائيا. لم يكتمل الأسبوعان من الزواج عندما طلب منها غانم بارخ مساعدة مالية ؛ لفتح متجرا لبيع الأدوات الرياضية في عنبس ؛ حيث النادي الرياضي المتعاقد معه لعلاج اللاعبين ،

وقرب عيادته الخاصة . ونذكر أن الرجل كان يسكن شقتها ، كما اتفقا ، فقالت بعد أن بين لها أهمية المتجر لهما : كم يحتاج هذا المشروع ليرى النور ؟

قال متظاهرا بالتفكير العميق في المشروع : سيكون ؛ كما اتفقت مع الدكتورة صفية على مستوى الشرق الأوسط .. وسنبدأ بمائتي ألف إلى ربع مليون .. منك مائة ومن صفية خمسون.

قالت : والباقي!

قال غانم : فيما بعد الدفعة الثانية .. في الأول سنستأجر مبنى قريب من النادي والعيادة التي أملكها في العاصمة .

تركت القهوة ورمت عقب السيجارة في مكانها ، وقالت : قالت صفية: أنك تملك مائة ألف ابدأ بها ، واذا رأيت المشروع جيدا سأدفع الباقي وربما أكثر .

ردد فقال بسخط بين : صفية أخبرتك وقالت لك إني أملك مائة ألف دولار لعنة الله عليها ! وما أدراها ؟

قالت : لا أدري ! وأنت الآن تقول إن صفية تملك خمسين ألفا .. ولما حضرت تبارك لي ، طلبت قرضا حسنا بخمسين ألف .. من أين لها المال وهي تطلب القرض ؟

واحتد النقاش ، معي لا معي ، حتى قالت بغضب : أنا لست مغفلة وطفلة يا دكتور ! أنت تزوجتني لسحب ملاييني .. غادر الشقة ، وغدا على باب المحكمة .

قال مخفضا صوته : أنا أمزح معك.

قالت : خلاص أنا كرهت صحبتكم، واكتشفت خداعكم .. مستعجلون على أخذ المال .. مع السلامة قبل أن أتصل بالبوليس .

قال : أنا بمزح.

قالت : أنت لا تمزح! أنت قذر محتال .. سمحت لنفسي بالاطلاع على اللاب توب ذاك .. وأرى خداعك ونساءك ، وقرأت بعض ملفاتك.

قال : كيف تسمحين لنفسك ؟!

قالت : أنا زوجتك .

قال مترجيا : هل تطلقين بعد أسبوع ؟

قالت : في أناس تطلق على كرسي الزفاف .

قال : عيب أن نتطلق من أول أسبوع .

قالت : عيب أن تخدعني أنت والعاهرة ! رأيت صورها الخلاعية على حاسوبك يا دكتور ! رتبتم على النصب والاحتيال.

وكانت تحدثه وتضرب على رقم بوليس النجدة ، وقالت : أنا الدكتور جريدة شارع النورس في شقتي عمارة الزهر نصاب ومحتال.

فلملم أغراضه وجهازه ، وهو الأهم ؛ وربما هو الذي سرّع هربه ،وخرج مسرعا وهو يقول : متى الطلاق؟

قالت : عندما تهدأ أعصابي ! انصرف مع ألف لعنة تصحبك.

ولما خرج أغلقت الباب بالمفتاح ، ودخلت غرفة الاستقبال ، وراحت في موجة من البكاء والدموع.

همست لروحها : أسبوعان وتطلقين يا جريدة ! ألف لعنة عليك يا صفية! عشيقة لغانم وصور عارية على حاسوبه يحتفظ بها يا للوقاحة ! ترغبون بالاحتيال عليّ .. وأخذت تتذكر كيف عادت

صفية للدخول في حياتها من بضع شهور؟ لما سمعت عارفا يتحدث عن خداعكما ، لم أصدق .. كل الناس تفهم أكثر مني.. لما ذكر لي أنه خدع فتيات وابتزهن ، ظننت أنه يقول ذلك ؛ لينفرني عن غانم .. ولم أصدق تصويرهن ؛ لابتزازهن .. اضطر عارف لطردي لأنني لم أسمع كلامه عندما أنتهي من غانم سأستسمحه .. عارف قلبه كبير ، سيصفح عن عجلتي ، لم أكن أعلم أن عارفا بهذا الذكاء والفطنة .. في حياة أمي كان بليدا كسولا ، لا يشبع من الخمر والدخان واللهو .. تغير .. لماذا أنا لا أتغير؟ يجب أن أتغير اذا أحببت أن أكون قريبا من العائلة .. أصبح الزواج بابا لخداعك يا جريدة! يسعون وراء ثروتك .. ضحكت .. متجر رياضي على مستوى الشرق الأوسط .. يا للسخرية !!

رن عارف على جريدة أخته لما نقل إليه خبر انفصالها عن المحتال غانم بارخ ، وفتحت الخط ،

قالت : نعم!

قال : سمعت الخبر ، وأنا في انتظارك في البيت ، واذا أنت غير راغبة بالحضور لبيت أخيك الكبير نلتقي في أي مكان يناسبك.

قالت : أنا في بيتي .

قال : والخمر و الدخان!

قالت : لا يوجد خمر ، لما أرغب في الشراب أسكر في الخمارات أو ملهى ليلي .

قال موضحا : أنا لا أشمت بك ..أنت حرة في حياتك .. في معدتك .. في سمعك بصرك .. في بدنك .. نحن وقفنا ضد زواجك ؛ لأننا إخوتك .. أرجو أن لا يكونوا نصبوا عليك!

قالت : لم ينصبوا عليّ ، أنا تعبانة يا عارف ! أنا ميتة !

قال مطمئنا لها : لا يوجد فيك شيء! الفشل وسوء الاختيار يترك أثره في النفس ، ومع الوقت يختفي.

قالت باستعطاف : أين نلتقي؟ أنا مشتاقة لك .. أنت سندي الوحيد.

قال : كلنا سند لك ، أنت عشت بعيدا عنهم يا جريدة ! يا حبيبة أختك وردة ماتت دموعا لما علمت بزواجك العاجل ، ويستغل الرجل الطب لابتزاز النساء والنصب ، حدثني أحدهم عن قضية له مع مريضة من النادي.

قالت : قرأت في حاسوبه المحمول ، ورأيت صورا للنساء ، يحتفظ بها في الحاسوب عجبت كيف يحتفظ بها ؟

قال : غرور وكبر .. البيت مفتوح .. حاولت منعك من الزواج من محتال ، لم تأخذي كلامي على محمل الجد .

قالت معترفة : أنا الآن في حانة ، لما أصحوا أمر

عليك في العمل .
قال : العمل مكان غير مناسب للحديث في أمور العائلة .. اعلمي علم اليقين أننا نحبك ..
ونرجو لك الحياة الطيبة والسعادة.
قالت : أنا أصدقك .. الوحدة يا عارف هي التي جعلتني أسقط سريعا .. لي سنة أعيش وحيدة في الشقة .. وهم كشفوا أوراقهم سريعا .. بعد الزفاف جاءتني صفية تبارك وتطلب قرضا بخمسين ألف دولار ، والدكتور النصاب يريد عمل مشروع متجرا لبيع أدوات الرياضة وملابس الرياضة وأجهزة قاعات وصالات الألعاب الرياضية من حصان خشبي فرشات للقفز عليها بمائة ألف دون توثيق ووصولات ودون محامي.
قال : لم أكمل لك قصة الفتاة اللاعبة في النادي .. استطاع تصويرها بصور مخلة للآداب .. ولما رجعت للمراجعة ، رأت صورها السخيفة ، دفعت مائة دولار ، ثم كرة ثانية مائتا دولار .. كانت تضحك على والديها وتأخذ منهما المال بحجة دعم النادي ، ولما طالبها في المرة الثالثة لتأخذ الصور اعترفت لأبيها بدناءة الدكتور ، فقدم بلاغا للشرطة ، ولم تستطع الشرطة إثبات الجريمة لأنه زعم أنه صورها برغبتها ، ولم يبتزها ، وأخذت البنت الصور ، وحذر الطبيب من العودة لذلك ، وطبّب النادي على القصة ؛ لأن الصور أخذت بالحيلة .
قالت : قرأت في بعض ملفات اللاب توب أوسخ من قصة البنت .. وصور كثيرة قبيحة.

كانت جريدة تجلس في شقتها مع طبيبة درست معها أيام كلية الطب اسمها هدى حماد تلقت منها هاتفا من أيام قليلة : أنا هدى حماد .. درسنا معا .. أتذكرينني؟
قالت بعد تفكير قصير: نعم ، أذكرك ، لم أنس أي زميلة درست معها أو صاحبتها تلك الفترة .. نحن دفعة واحدة .. أهلا !
تذاكرن أيام الكلية حتى قالت هدى : قرأت من أيام خبر انفصالك عن الدكتور غانم بارخ .. وأحزنني ذلك ، وراغبة بالحديث معك مباشرة اذا في ذلك مجال .
قالت : أهلا وسهلا .. هل هناك موضوع معين ؟
قالت : لا ، فقط تجديد المعرفة؛ لأنك سافرت فور التخرج للعمل في الرياض .
قالت : صحيح ، أهلا .. عصر اليوم أنا في البيت وذكرت لها عنوان الشقة الشارع والعمارة وقالت : من أين أخذت رقمي ؟
قالت : زرت عيادة شقيقتك الفاضلة وردة قبل الخبر ؛ لأن شريكتها قبل توسيع العيادة صديقتي ثروت حسيب وابنة خالي أيضا ، فلما قرأت الخبر

اتصلت بثروت ووردة أعطتني رقم هاتفك .
قالت : حسنا ! أنا في البيت عصرا الساعة الرابعة
قالت : تعملين أين ؟
قالت : أنا لا أعمل يا دكتورة !
جاءت هدى حماد حسب الموعد إلى الشقة وتعانقتا على باب الشقة ، ودخلتا وهما يرحبان ببعضهما البعض ، وأخذن يتذاكرن أيام الجامعة والمناوبات وقصصا اشتهرت بوجودهن .
قالت: أنت كنت ملتزمة ومحسوبة على التيار الديني ، ونحن على التيار العلماني.
قالت هدى : وما زلت ملتزمة بفضل الله ؛ ولكني أتواصل مع الزميلات قدر الإمكان وحسب الظروف .
قالت : ظاهر من لباسك وغطاء الرأس .. كم ولد عندك ؟
قالت هدى : ثلاثة مثل شقيقتك وردة .. فمنذ تشاركت وردة وثروت وأنا أزور وردة في العيادة أو البيت .. محبوبة الدكتورة كاسمها !
وبينما هنّ مندمجتان بالذكريات رن جرس الشقة ، نهضت لترى الضاغط؛ فاذا هي امرأة محجبة تلبس مثل هدى تقف على الباب ، فتسألت عن سبب وجودها.
فقالت: أنا مندوبة جمعية الإغاثة رحمة في بعنبس ، علمت أنك تحبين مساعدة الأيتام والفقراء

ـ تفضلي.
فلما دخلت الزائرة باسم جمعية الإغاثة ، قامت هدى وقالت : من ؟ عائشة.. صدفة خير .. هذه يا دكتورة تعمل في جمعية رحمة للإغاثة !
قالت : قالت ذلك بالباب تفضلن بالجلوس.
أحضرت الخادمة الشاي والماء للزائرات ، وعرفت عائشة بنفسها لجريدة ، وعن عملها التطوعي في جمعية رحمة ، ولما وصل الحديث عن سبب الزيارة .
قالت : نحن كلما نسمع عن ثري كريم نسعى للوصول إليه من أجل الفقراء والمحتاجين .. تعتمد الجمعية على غني ما فيتوفاه الله ، فورثته يتوقفون عن المساعدة ، فمن أجل ذلك دائما نبحث عن الأغنياء، فقيل إنك من الأثرياء ، ومن محبي مساعدة الفقراء .. فجمعيتنا تكفل عددا من أيتام بعنبس وآخرين في الضفة وغزة .
قالت : حسن ! ومن دلك عليّ أنا بالذات يا سيدة عائشة ؟!
قالت : الدال على الخير كفاعله ، اذا تحقق المطلوب وكفلت يتيما أو أكثر ستعرفين مرشدنا إليك يا دكتورة !
قالت : كم كفالة اليتيم ؟
قالت : اليتيم يكلف من ٣٠ إلى ٤٠ دولارا شهريا .

قالت دهشة : بس !

قالت : بس ! حتى يكبر ويبلغ ١٨ عاما ؛ فإذا دخل الجامعة هناك جمعية أخرى تتابع معه ، واذا ذهب لسوق العمل، لم يعد بحاجة للجمعية .. وأخوك جهاد نجيب صديق للجمعية .

قالت هدى مشجعة : أنا أكفل يتيمين في جمعية الأيتام ، وسأكفل ثالثا مع جمعيتكم.

———

هذه الحركة كانت من الدكتورة وردة والدكتورة ثروت ، كانت هدى في زيارة لعيادة وردة وشريكتها ثروت ، وانتشرت قصة طلاق جريدة من الدكتور غانم ، فعلمت هدى من وردة أن سرعة فشل الزواج ، الفراغ والوحدة التي تعاني منها جريدة ، فمن خلال نقاش طرحت هدى فكرة اشغال جريدة بالأيتام ، ورتبت مع عائشة محمود للقاء بجريدة كما كتبنا .

انتهى الفصل أيها الصديق ! هذا قاله محسن وهو يجلس مع جهاد في بيته ، وزوجته تجلس مع أم عبدالله في غرفة ضيافة أخرى . اعتاد المهندس عندما يقدم زائرا ليلا ، أن يجلب زوجته معه وأحيانا تصحبهم أخته جارة له ، ومرات والدته ؛ لإيناس أم عبدالله في غربتها ، وتارة يأخذ الأطفال معه للعب مع عبدالله ومي ، ووجد ذلك عند جهاد صدى وعرفانا .

قال جهاد : الحمد لله .. انتهت الامتحانات بقي عليّ مناقشة الرسالة في آخر حزيران أو أول تموز لنستعد للدكتوراه مطلع العام الدراسي القادم في أكتوبر .

ودع العالم عام ٢٠١١ بحلوه ومره ، وخيره وشره ، فقد دخل التاريخ ، وصار ماضيا ، ومن أهم أحداثه على الصعيد الغزاوي صفقة الوفاء بتبديل شاليط بألف مقاوم في سجون إسرائيل والثورة في ليبيا أجهزت على القذافي ، ورأينا انتهاء ثورة تونس ومصر ، واشتعال الثورة باليمن وسوريا واحتجاجات في بلدان عربية أخرى .

ما هو الربيع العربي ؟ اسم اشتهر خلال هذا العام ؟! هو حركات احتجاجية سلمية ضخمة انطلقت في البلدان العربية أواخر عام ٢٠١٠ ومطلع ٢٠١١، متأثرة بالثورة التونسية التي اندلعت جراء إحراق محمد البوعزيزي نفسه ونجحت في الإطاحة بالرئيس السابق زين العابدين بن علي، وكان من أسبابها الأساسية انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المَعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ والأمني وعدم نزاهة الانتخابات في معظم البلاد

العربية.

ولا زالت هذه الحركة مستمرة حتى هذه اللحظة ، نجحت الثورات بالإطاحة بخمسة أنظمة فبعد الثورة التونسية نجحت ثورة ٢٥ يناير المصرية بإسقاط الرئيس محمد حسني مبارك ، ثم ثورة ١٧ فبراير الليبية بقتل معمر القذافي وإسقاط نظامه ، فالثورة اليمنية التي أجبرت علي عبد الله صالح على التنحي، وأما الحركات الاحتجاجية فقد بلغت جميع أنحاء الوطن العربي، وكانت أكبرها هي حركة الاحتجاجات في سوريا ، تميزت هذه الثورات بظهور هتاف عربيّ ظهر لأول مرة في تونس وأصبح شهيرًا في كل الدول العربية وهو: "الشعب يريد إسقاط النظام" ، وبعدها بتسعة أيام ، اندلعت ثورة ٢٥ يناير المصرية تليها بأيام الثورة اليمنية، وفي ١١ فبراير التالي أعلن محمد حسني مبارك تنحيه عن السلطة ، وإثر نجاح الثورتين التونسية والمصرية بإسقاط نظامين بدأت الاحتجاجات السلميَّة المُطالبة بإنهاء الفساد وتحسين الأوضاع المعيشية ؛ بل وأحياناً إسقاط الأنظمة بالانتشار سريعاً في أنحاء الوطن العربي الأخرى ، فبلغت الأردن والبحرين والجزائر وجيبوتي والسعودية والسودان والعراق وعُمان وفلسطين والكويت ولبنان والمغرب وموريتانيا. الهدف إسقاط الأنظمة الفاسدة وتحقيق الديموقراطية وتحقيق حياة كريمة للمواطن ، إصدار عفو ملكي في المغرب والأردن عن المعتقلين السياسيين.

في ١٧ فبراير اندلعت الثورة الليبية، التي سُرعان ما تحولت إلى ثورة مسلحة، وبعد صراع طويل تمكن الثوار من السيطرة على العاصمة في أواخر شهر أغسطس عام ٢٠١١، قتل معمر القذافي في ٢٠ أكتوبر خلال معركة سرت ، وبعدها تسلّم السلطة في البلاد المجلس الوطني الانتقالي ، وقد أدت الثورة إلى مقتل أكثر من خمسين ألف شخص، وبذلك فإنها كانت أكثر الثورات دموية قبل دموية الثورة السورية .

وبعد بدء الثورة الليبية بشهر تقريباً، اندلعت حركة احتجاجات سلمية واسعة النطاق في سوريا في ١٥ مارس ، وأدت إلى رفع حالة الطوارئ السارية منذ ٤٨ عاماً وإجراء تعديلات على الدستور ، وفي أواخر شهر فبراير عام ٢٠١٢ أعلن الرئيس اليمني علي عبد الله صالح تنحيه عن السلطة التزاماً ببنود المبادرة الخليجية لحل الأزمة اليمنية ، التي كان قد وقع عليها قبل بضعة شهور عقبَ الاحتجاجات العارمة التي عصفت بالبلاد لعام كامل. معظم الدول العربية تملك سجلاً سيئاً في حقوق الإنسان، وذلك لاستبداد الحكام وتشبثهم بالكراسي لعقود طويلة، إضافة لمجيئهم

للحكم بطرق غير شرعية. كذلك في الأنظمة الملكية كان هناك حكم ملكي مطلق مما أدى لخروج مظاهرات في بعض الدول الملكية مثل البحرين والأردن والمغرب والسعودية وعمان للمطالبة بملكية دستورية ومزيد من الحريات.

ويعتقد البعض أن الربيع العربي عبارة عن مؤامرة تنفذها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني لرسم خريطة الشرق الأوسط الجديد التي قام بها برنارد لويس. في مصر تولى المجلس العسكري إدارة مصر لفترة ١٨ شهرا لم تخلوا من مظاهرات وإضرابات ودماء إلى أن تم انتخاب الرئيس محمد مرسي رئيسا للبلاد ، واستمر حكمه لمدة عام لم يخلو أيضا من مظاهرات وإضرابات وقطع للطرق، وجاءت مظاهرات ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ضد الرئيس مرسي وخرجت مظاهرات أخرى لمؤيدي الرئيس، وفي يوم ٣ يوليو عام ٢٠١٣ قام وزير الدفاع المصري عبد الفتاح السيسي بعزل الرئيس محمد مرسي ، ذلك الحدث الذي أحدث انقسام داخليا وخارجيا حتى على تسميته ، ففي حين يسميه البعض ثورة استجاب لها الجيش، يسميه البعض الآخر انقلابا عسكريا، مما أدى إلى قيام احتجاجات ومعارك من الجيش ضد جماعة الإخوان المسلمين وأنصارها ومعارضي الحكم العسكري.

ثورة الشباب اليمنية ، هي ثورة شعبية انطلقت يوم الجمعة ١١ شباط عام ٢٠١١ الذي أطلق عليه اسم "جمعة الغضب" (وهو يوم سقوط نظام حسني مبارك في مصر) متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م وبخاصة الثورة التونسية والثورة المصرية . قاد هذه الثورة الشبان اليمنيون بالإضافة إلى أحزاب المعارضة للمطالبة بتغيير نظام الرئيس علي عبد الله صالح الذي يحكم البلاد منذ ٣٣ عاماً، والقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، وكان لمواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت مثل فيسبوك مساهمة فعالة في الثورة إلى حد كبير، حيث ظهرت العديد من المجموعات المناوئة للنظام الحاكم ، بدأت بمطالب إصلاحية ثم ارتفع سقف المطالب إلى إسقاط النظام ، ولعبت هذه المواقع دوراً كبيراً في تنظيم الاعتصامات واستمرارها، وفي الخروج بالمسيرات ، وقد كان يوم الجمعة التي عرفت بجمعة الكرامة ١٨ مارس يوما مفصليا في الثورة اليمنية حيث انضم بعدها الكثير من مشايخ وزعماء القبائل والشخصيات الاجتماعية إلى الثورة بعد أن انضم إليها اللواء علي محسن الأحمر يوم الاثنين ٢١ مارس بعد تأثره بمذبحة جمعة الكرامة التي راح ضحيتها ٥٢ شهيدا من الشباب

المعتصمين السلميين في ساحة التغيير بصنعاء إلى جانب أكثر من ٧٠٠ جريح بنيران القناصة التي قال المعتصمون أنهم ينتمون إلى الحرس الجمهوري وبلاطجة الحزب الحاكم، فيما رد الرئيس صالح أنهم من سكان الحارات المجاورة لساحة الاعتصام والذين تضرروا من المعتصمين ورغم كمية الاستقالات الذي حصل بعد انضمام علي محسن للثورة إلا أن التباطئ في الزحف للقصر الجمهوري من قبل شباب الثورة أعطى الوقت لصالح لإعادة ترتيب أوراقه ، واستمرت المناورات بين شباب التغيير والمعارضة من جهة وبين صالح من الجهة الأخرى ، وحصلت بعض الاشتباكات المسلحة بين موالين للنظام ومسلحين قبليين ، وقد غادر الرئيس علي عبد الله صالح البلاد متوجها إلى السعودية يوم ٤ حزيران للعلاج بعد سقوط قذيفة على القصر الرئاسي يوم الجمعة الموافق ٣ حزيران وعاد علي عبد الله صالح إلى اليمن يوم ٢٣ أيلول وفي ٢٣-١١-٢٠١١ ، وقع صالح على المبادرة الخليجية التي بموجبها فوض صلاحياته إلى نائبه عبد ربه منصور هادي ، وغادر صالح اليمن يوم ٢٣/ ١/ ٢٠١٢ إلى سلطنة عمان ، ومن ثم إلى الولايات المتحدة للعلاج .

واعلن عن ترشيح عبد ربه منصور هادي كمرشح توافقي للانتخابات الرئاسية اليمنية، ، وقد حصل على دعم واسع قبل الانتخابات من جميع اليمنيين من قبل الأحزاب ورجال القبائل وعلماء الدين وشباب الثورة السلمية اليمنية.

أما الثورة السورية فهي انتفاضة شعبية انطلقت يوم الجمعة ١٨ آذار عام ٢٠١١ م ضد القمع والفساد وكبت الحريات في تحدٍ غير مسبوق لحكم بشار الأسد متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ اندلعت شرارة الثورة عندما كتب أطفال من درعا البلد حي الأربعين شعارات على حائط المدرسة مدرسة الأربعين ، متأثرين بربيع الثورات العربية الشعب يريد إسقاط النظام ، فقامت قوى الأمن باعتقالهم وشلع أظافرهم وتعذيبهم جسدياً مما جعل الأهالي يطالبون بأبنائهم فكان الرد القبيح من مسؤول الأمن السياسي "العميد عاطف نجيب" ، فثار الأهالي بمدينة درعا فتم اقتحام الجامع العمري بالطائرات المروحية والقوات الخاصة وحدثت مجزرة رهيبة للأهالي ومن ثم انطلقت الثورة. وقاد هذه الثورة الشبان السوريون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ورفعوا شعار: "حرية... حرية"، لكن قوات الأمن والمخابرات السورية واجهتهم بالرصاص الحي فتحول الشعار إلى "إسقاط النظام"، انتشرت المظاهرات

للمرَّة الأولى لتعمَّ العشرات من مدن سوريا تحت شعار «جمعة العزة» بتاريخ ٢٥ مارس ٢٠١١ لتشمل دمشق وريفها وحمص وحماة واللاذقية ودرعا وبانياس والقامشلي ومناطق أخرى عدة، واستمرَّت بعدها بالتوسع والتمدد شيئاً فشيئاً أسبوعاً بعد أسبوع، وبعد القمع الدامي للانتفاضة من قبل القوات السورية تم تشكيل الجيش السوري الحر.

أما الاحتجاجات البحرينية ٢٠١١ م هي حملة احتجاجات شعبية بدأت يوم الأثنين ١٤/ ٢/ ٢٠١١ م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي، سمّيت هذه الانتفاضة بـثورة اللؤلؤ وهناك من أسماها بـ"ثورة الورود" ، قاد هذه الاحتجاجات شباب مستقلون إلى جانب جمعيات معارضة شيعية وليبرالية وقومية وبعثية تطالب بالحرية والديمقراطية التي هيَ حقٌّ مكفول دولياً ودينياً على أرض البحرين ، وتدعي بأنها تطالب بإصلاحات سياسية ولم تكن الانتفاضة هذه بقيادة الأشخاص إذ أنّها كانت شعبية بحتة ، من الجدير بالذكر أنّ الحكومة البحرينية وفي بادرة غريبة إثر الاحتجاجات التي ضيّقت الخناق عليها، قد استعانت بقوّات درع الجزيرة التي من المفترض أن تكون قوّة لفض النزاعات الدولية والهجمات الخارجية على إحدى دول مجلس التعاون مما أدى لانتقادات واسعة ولاذعة للحكومة البحرينية.

في الجزائر ٢٠١١ م حملة احتجاجات شعبية غير أنها عمليا لم تنجح في جذب الشعب إليها ، بدأت منذ شهر كانون الثاني عام ٢٠١١ م، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، وقادت هذه الاحتجاجات أحزاب المعارضة بالإضافة إلى الشبان الجزائريين الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية.

انتقلت الثورات التي تجتاح عدة دول عربية إلى جيبوتي ذات الأهمية الاستراتيجية الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي لأفريقيا ، وصرحت أحزاب معارضة بأن أكثر من ثلاثين ألفا خرجوا يوم الجمعة ١٨/ ٢/ ٢٠١١ م احتجاجا على حكم الرئيس عمر غيلة الذي ألغى العام الماضي فقرة دستورية تسمح له بالحكم لولايتين، ليسمح له بالترشح للمرة الثالثة للانتخابات المزمع إجراؤها في نيسان المقبل.

أما الاحتجاجات العراقية ٢٠١١ م فهي احتجاجات شعبية بدأت منذ مطلع شهر شباط عام ٢٠١١ م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي.

الاحتجاجات الفلسطينية جاءت لإنهاء الانقسام

، بدأت في ١٣/ ٢/ ٢٠١١ قام بها مجموعة من الشباب تحت اسم الحملة الوطنية الشبابية لإنهاء الانقسام والاحتلال ، وكانت أول فعالية في ٢٤/ ٢/ ٢٠١١ في الضفة وغزة والشتات والداخل الفلسطيني ١٩٤٨ وتوجت في أكبر فعالية مشتركة في ١٥ آذار/ مارس عام ٢٠١١ م ، وقاد هذه الاحتجاجات الشبان الفلسطينيون مع بعض الفصائل الفلسطينية للمطالبة باستعادة الوحدة الوطنية ورفع الحصار عن قطاع غزة.

أما الاحتجاجات الأردنية ٢٠١١ فهي موجة من المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية التي انطلقت في مختلف أنحاء الأردن مطلع عام ٢٠١١ م ؛ متأثرة بموجة الاحتجاجات العربية العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، كان من الأسباب الرئيسة لهذه الاحتجاجات تردي الأحوال الاقتصادية وغلاء الأسعار وانتشار البطالة وانتشار الفساد ، وقد بدأت هذه المسيرات يوم ١٤ كانون الثاني ٢٠١١ بعد صلاة الجمعة ، واستمرت في الأسابيع التالية.

الاحتجاجات المغربية ٢٠١١م احتجاجات شعبية انطلقت يوم الأحد ٢٠/ ٢/ ٢٠١١ م ؛ متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، قاد هذه الاحتجاجات الشبان المغاربة "حركة ٢٠ فبراير" بدعم من الهيئات الحقوقية والأحزاب السياسية المغربية وعموم المواطنين المغاربة، وطالب المتظاهرون بملكية برلمانية وبإصلاحات سياسية واجتماعية ، أنشئ دستور جديد يحد من صلاحيات الملك وتقوي موقع رئيس الوزراء، ودخل حيز التنفيذ في ١ أغسطس ٢٠١١، بعدد من الحقوق المدنية الجديدة، بما في ذلك الضمانات الدستورية لحرية التعبير، المساواة الاجتماعية للمرأة ، حقوق لغوية للمتحدثين بلغات الأقليات واستقلال القضاء، خلاصة المطالب: ملكية برلمانية يسود فيها الملك ولا يحكم استقلال القضاء، ومحاسبة المفسدين وناهبي المال العام.

عُمان حملة احتجاجات شعبية انطلقت يوم الجمعة ١٨ كانون الثاني عام ٢٠١١ م، متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ م ، قاد هذه الاحتجاجات الشبان العمانيون الذين طالبوا بإجراء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، وقد قام السلطان قابوس بإجراء بعض التعديلات وذلك بعد الأخذ بعين الاعتبار الكثير من مطالب شعبه.

احتجاجات السعودية متفرقة بدأت يوم الخميس ٣ آذار عام ٢٠١١ م ، قاد هذه الاحتجاجات الشبان السعوديون للمطالبة بإصلاحات سياسية

واقتصادية واجتماعية ، وأعلن الملك عبد الله بن عبد العزيز يوم الجمعة ٢٠١١/٣/١٨ م عن حزمة من الإجراءات تشمل مكافحة الفساد، ومخصصات مالية بمليارات الدولارات لرفع الأجور، وتوفير آلاف الوظائف، وبناء نصف مليون وحدة سكنية للعاطلين والموظفين والطلاب.

احتجاجات سودانية طفيفة انطلقت في ٣٠ كانون الثاني عام ٢٠١١ م ، وكانت هذه الاحتجاجات تطالب بالقيام بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية كما نادى عدد ضئيل منها بتغيير النظام.

الاحتجاجات الكويتية ٢٠١١: هي سلسلة احتجاجات شعبية انطلقت منتصف عام ٢٠١٠ م قبل موجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي وكانت أول من استخدم كلمة "ارحل" ضد رئيس الوزراء وطالبت هذه الاحتجاجات بإصلاحات اجتماعية واقتصادية ، كما قامت مظاهرة حاشدة في ساحة الإرادة للإطاحة برئيس وزراء الكويت ناصر المحمد الصباح، انتهت هذه المظاهرة بإقالة الحكومة وحل مجلس الأمة الكويتي.

الإمارات لم تشهد أي مظاهرات بحد ذاتها، فقد حدث فيها عدد من التوترات والاضطرابات تحسباً من الحُكومة لأي استجابة شعبية اتجاه موجة الثورات العربية، وقد تضمنت هذه التهيئات توقيفات واعتقالات وتضييقات على الناشطين السياسيين وأطياف المُعارضة المُحتملة للنظام الحَاكم.

الاحتجاجات الموريتانية ٢٠١١ م احتجاجات شعبية بدأت منذ مطلع شهر كانون الثاني عام ٢٠١١ م على شكل احتجاجات متقطعة للمطالبة بالإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي وللتنديد بانتشار الفساد والبطالة والفقر ، وقد ردت السلطات بعنف على هذه الاحتجاجات.

الاحتجاجات اللبنانية ٢٠١١: هي حملة من المظاهرات والمسيرات انطلقت يوم ٢٧ شباط/ فبراير عام ٢٠١١ م متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي مطلع عام ٢٠١١ ، وقاد هذه الاحتجاجات الشبان اللبنانيون للمطالبة بإصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية ، كان من الأسباب الرئيسة لهذه الاحتجاجات هو النظام الطائفي الذي يحكم لبنان منذ أكثر من سبعة عقود، حيث أن الرئاسات الثلاث (الدولة ، الحكومة، مجلس النواب) مُقسمة بشكل طائفي منذ أيام الانتداب الفرنسي واستمر حتى بعد جلائه عن لبنان عام ١٩٤٦ ، فجاءت هذه المظاهرات للمطالبة بنظام علماني مدني ينهي التقسيم الطائفي للبلاد الذي كان وقوداً للحرب

الأهلية اللبنانية التي اندلعت بين عامي ١٩٧٥ و١٩٩٠ .

شهد إقليم الأحواز العربيّ مظاهرات مناهضة للنظام الإيراني في عدة مدن أحوازية دُعي إليها تحت اسم "يوم الغضب" في تاريخ ١٥ أبريل ٢٠١١م وتطوَّرت هذه المُظاهرات بعد فترة إلى اشتباكات عَنيفة بين الأمن والمُتظاهرين سقط فيها ٣ قتلى والعديد من الجَرحى بينما اُعتقل ١٥٠ شخصاً. حاصر الأمن الإيرانيُّ مُختلف الأحياء العربية في إقليم الأحواز وأطلق النار في شوارع مدنه بشكل عشوائيّ خلال باقي اليَوم. وقد قامت أجهزة الأمن الإيرانية بقمع هذه المُظاهرات مباشرة مُستخدمة الأسلحة النارية والرصاص الحيّ، كما خرجت المَزيد من المُظاهرات في "حي الثورة" الوَاقع ضمن مدينة الأحواز يوم السبت ١٦ أبريل التالي، إلى أن مصيرها كان ذاته بالتفريق بالرصاص الحي.

قال الرئيس الأميركي باراك أوباما : إن الانتفاضات في منطقة الشرق الأوسط تخدم الولايات المتحدة وتمنحها فرصة كبيرة، ورأى أن هذه الثورات تفتح آفاقا واسعة أمام الأجيال الجديدة ، ووصف أوباما هذه الثورات بأنها "رياح حرية" هبت على المنطقة.

رجح رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن تسفر التغييرات الجارية في العالم العربي عن حالة من عدم الاستقرار تستمر طويلا ، بيد أن نتنياهو عاد وحذر مما اعتبره التداعيات المحتملة لانهيار الأنظمة في الدول العربية المجاورة لإسرائيل على مسألة الشريك السياسي، معترفا بأن أفضل خبراء الاستخبارات في دول كثيرة لم يتوقعوا ما جرى وأنهم غير قادرين على تقويم النتائج.

واستبعد إيهود باراك في تصريحات للقناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي استتباب الديمقراطية الكاملة في الدول العربية في السنوات المقبلة، لكنه وصف التوجه الحالي "بالإيجابي" لكونه يؤدي إلى "مزيد من الانفتاح وحقوق الإنسان والأقليات والتنمية الاقتصادية".

استثمار

قال محسن مخاطبا جهاد : وفقك الله تعالى ، استعرضت المشاريع التي اقترحها علينا الدكتور الاقتصادي خميس حسين هو سألني عنها .

قال جهاد : أرسلت العروض لابن عمي سامي وزوج أخته المهندس حسن ، فهما خبراء في المشاريع والاستثمار ، هناك توجه لإقامة مشروع الإتجار بالسيراميك ، فقال سامي : نجاحه كبير.. أنت ما رأيك ؟

قال محسن : هذا ما أشار إليه أيضا الدكتور خميس.

قال جهاد : حتى اذا وفقنا إلى استيراد السراميك الإسباني والإيطالي والصيني وحتى المصري سيكون العمل ناجحا.

قال: أهناك غيره ؟

قال جهاد : فسامي وحسن خبراء مشاريع واستثمار ، وهم من جيلي، لا تظن أنهم كبار في السن لكن تربية الوالد فتحت عليهم هذه القدرات في الاستثمار والإنتاج ، لهما رغبة وإرادة بتشغيل الناس ، فهما مهندسان مثلك ، ويملكان شركة إعمار كبرى في بلادنا ، ويبنيان برجين في تاج الزمان من ضمن ثلاثين برجا ، ضاحية تسعى الدولة أو البلدية لتاج الزمان لإحيائها تسمى ضاحية الأبراج .

قال محسن : ما شاء الله !

قال جهاد : يملكان ما يزيد عن مائة مشروع يا أبا صهيب! بعضها خاص بهما مثل شركة العقارات ، وبناء العمارات والشقق .. استئجار أو بيع في كل مقاطعات البلاد الشامخة ، وهناك مشاريع لهما فيها شركاء مثلي وأخي سالم وعمي والعائلة .. شركات عائلية خاصة مدارس صيدليات مصانع وورش .. مصانع متعثرة يتملكانها ويعيدان إحيائها ، مستشفى مصنعي دواء .

قال محسن : كيف يتابعان كل هذه المشاريع ؟!

قال جهاد مبتسما : مكتب محاسبة مستقل منفصل عن كل الشركات ، فقد لأخذ التقارير والموازنات من كل المشاريع .. هم شركاء في الأرباح .. إدارة مستقلة لكل استثمار .. قلت هدفهما إيجاد فرص عمل للناس ، فاذا أخبر مكتب المحاسبة ومراقبة الشركات والمشاريع الذي يستقبل التقارير الفصلية النصف سنوية السنوية كالمدارس والعيادات ضعفا وفشلا في مشروع فيعقدان جلسة مع الإدارة بذلك المشروع ؛ فاذا كان التقصير من الإدارة ، هناك حلان الأول امتلاك الإدارة المشروع كاملا ، وإنهاء علاقتهما به بتغيير العقود أو إيجاد إدارة بديلة تحت التجريب ، واذا فشلت الإدارة البديلة يصفى المشروع ويسرح العمال .

قال محسن :والله هذا يحتاج إلى قدرة كبيرة!

قال جهاد : قبل سنة أسسنا مؤسسة طبية برأسمال عشرة ملايين ، وفي هذه السنة سيتم توسيعها وإعادة هيكلتها ، وإضافة شركاء جدد .

قال محسن : شيء مذهل حقا ! والمشروع الثاني.

قال جهاد : مصنع .. مصنع.

قال محسن : مصنع ماذا ؟

قال جهاد: البان أو معادن ، خزائن معدنية لحفظ الأشياء الثمينة أوراق أو مجوهرات .

قال محسن : وهل لها سوق ؟!

قال جهاد : لها سوق.

ـــــ

استطاعت الدكتورة هدى حماد من تعميق علاقتها بجريدة وكذلك عائشة ، فكلما يحدث لقاء نسوي ترافقهم سواء لتوزيع جوائز على أنشطة رياضية ثقافية تقيمها جمعية الإغاثة ، أم زيارة مراكز أيتام لتوزيع هدايا وهبات يتبرع بها أحدهم لمركز معين أو الجمعية نفسها تتبرع بتلك الجوائز ، فقدت شغلت هذه النشاطات المتتابعة جريدة ، واندمجت فيها لشغل وقت الفراغ الذي تعاني منه .

كانت تستضيف عائشة وهدى وسألت : كم مركز أيتام تشرف عليه الجمعية؟

قالت عائشة وهي تتناول صينية الشاي من شغالة جريدة : حوالي تسعة ، خمسة ذكور وأربع بنات .. المركز يرعى من ٣٠ ـ ٥٠ يتيما حسب كثافة الشارع والحي القائم فيه مركز الأيتام ، ويراعى البعد والقرب عن بيوتهم .. المركز الذكوري مديره رجل ، والأنثوي امرأة .. وهؤلاء أشخاص يحملون شهادات تعليم جامعي ، علم نفس ، تربية إسلامية ، معلم مرحلة .. فنكفل حوالى ٤٠٠ يتيم من الجنسين .. وهناك جمعيات أخرى تكفل آخرين .

قالت هدى مضيفة : ولديهم خمسة نوادي رياضية للأطفال ، ونادي رياضي للشباب ، ويشارك مع أندية البلاد كلها في المنافسات ..أنا لي أربع سنوات أتعاون معهم ، وأقدم لهم المساعدة بسعر رمزي ، ولوجه الله أولا .

قالت عائشة: نحن نكفل أيتاما في غزة في الصومال الباكستان بنغلاديش ندعمهم ماديا فقط نحن واسطة فحسب ؛ لأن البعض يحب ويحدد كفالة أيتام غزة فنأخذ المال ونوصله لجمعيات أيتام ناشطة عندهم ، فتقدم لنا تلك الجمعيات اليتيم ؛ ليتواصل مع كافله بالرسائل والحاجات .. ونقل المال خارج البلد لمثل هذه الجمعيات معقد بسبب الأمم المتحدة ، وجهات مالية تراقب الداخل والخارج خشية أن يوجه للإرهابيين على زعمهم .

قالت جريدة : أنا استمتعت معكن بهذا العمل الإنساني ، وإسعاد هؤلاء الأيتام هذه الشهور وغيرتن نمط حياتي .. وأحس بالمتعة وأنا أرى البسمة على وجوه الأيتام وأهلهم .. عمل جاد حقا ! وفيه خدمة للناس .. الدكتور زاهر الدين عرض عليّ إدارة مركز ما دمت متقاعدة ، وغير مرتبطة بعمل ، ووظيفة لإزاحة الملل والضجر عن النفس ما رأيكن؟

قالت هدى : زاهر الدين كما تعلمين هو رئيس الجمعية من عشرين سنة ، ويضحي من وقته وماله الكثير .. له عيادة يعمل بها قليلا ويديرها ابنه جمال .

قالت عائشة مضيفة : يعمل بها قليلا يديرها ابنه وابنته ،وهو يعتمد ماديا على استشارات أكثر من العيادة .. وهو يرأس جمعية ثقافية في تاج الزمن ، ونائبه يقيم نشاطها في الغالب.

قالت : جميل ! هل أصلح أن أرأس مركز أيتام أم لا.. تعملين معي يا هدى!

قالت : عندي عملي يا دكتورة ! ممكن في البداية أعمل معك بضع ساعات مبكرا قبل ذهابي العمل .. ممكن تستفيدين من خدمات عائشة .

قالت عائشة : في البداية سأفعل حتى تتمكني من إدارة العمل ؛ فأنا عملي الرئيس في الجمعية ، والبحث عن المحسنين والمتبرعين وللعمل معنا مثلك ، والمركز هو مثل المدرسة معلمات يقمن بالعمل.. وأنت المديرة عليهن .. ولما تملي أو تتزوجي أو تشتاقي للعمل في الطب تنسحبين بكل هدوء .. هي عبارة عن دروس وألعاب .

ـــــ

انتخب الشعب المصري بعد نجاح ثورته الدكتور محمد مرسي رئيسا للجمهورية لأول مرة في انتخابات حرة ونزيهة ، وتمكن من الفوز على منافسه بواحد وخمسين بالمائة ، وهو أول رئيس مدني من ثورة يوليو ٥٢ . غمرت الفرحة الشعوب العربية الحرة ؛ لأن مصر أهم دولة في الدول العربية ، الجمهورية نشأت أثر انقلاب عسكري عام ٥٢ بدعم أمريكا أو صمت أمريكي . كانت الانتخابات الرئاسية في حزيران ٢٤ منه لعام ٢٠١٢، واحتفلت المحافظات بهذا الإنجاز العظيم ، وإنهاء حكم العسكر بعد أكثر من ستين سنة ، وانتهى حكم المجلس العسكري الذي دام عاما ونصفا.

كان جهاد ومحسن فرحين ؛ كسائر أبناء الأمة الأحرار والشرفاء الذين يضيقون بالاستعباد والتبعية للغرب أو الشرق خلال العقود السالفة ، وكان الأمر في الشارع المصري وحتى العربي هل تحكم مصر بالشريعة أم ببقاء العلمانية؟!

وقبل نهاية تموز ناقش جهاد رسالته ، ومنح درجة جيد جدا ، وأخذ بالاستعداد للعودة للديار لقضاء الصيف ، بين الاحبة والأخلاء ؛ ليعود بعد حين للتسجيل لدرجة الدكتوراه في القانون في منتصف آب أو آخره .

قال محسن بعد أن قدم التهنئة والهدية المتواضعة والرمزية بهذا المناسبة : لقد بانت مهارتك أثناء المناقشة بشكل أدهش المناقشون!

قال جهاد : أنا عملت في المهنة أكثر من ثماني سنين مع شقيق زوجتي الدكتور إبراهيم .. والأخطاء التي أشار إليها المناقشون شكلية ، وهي وجهات نظر خاصة يمكن أن أضيفها عند طباعة الرسالة أو أتجاهلها منذ أن يضع المشرف تقريره انتهى أمر

النجاح .. والحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات

قال محسن : ألف مبارك يا أبا عبد الله !

قال جهاد : والأعمال ما آخر أخبارها ؟

قال: متجر السراميك كان اختيارا موفقا ، ويعمل بشكل ممتاز ، وشركتنا قبلت بشراء كل حاجتها من السيراميك من متجرنا ، ومصنع الخزائن المعدنية بدا من شهر نيسان بالبيع في السوق المحلي ، وهو يستعد للتصدير للعراق والخليج والحقيقة ؛ كما يقول المدير مشروع موفق فيقول كل غرفة في فندق خمس نجمات أو مكتب يحتاج لخزانة لوضع المدام مجوهراتها والرجل وثائقه ، لم كن أعرف ذلك .

قال جهاد : الفنادق البنوك المؤسسات المكاتب ، كلٌ عنده وثائق مهمة ، الجامعات مكاتب المحاماة والمحاسبة .

قال: حقيقة ابن عمك يستحق لقب خبير .. هل هذه مشاريع موجودة عنده ؟

قال جهاد : السراميك من قديم .. بعد أن فتح الله عليهم في العمارة والبناء أنشأوا سلسلة من المتاجر سيراميك بلاط أسمنت حديد تسليح مواد بناء دهانات .

قال محسن معجبا : ما شاء الله ! لا قوة إلا بالله .

جريمة مثيرة

حدثت جريمة قتل في العاصمة الهولندية أمستردام ، كان لها ارتداد في البلاد الشامخة أكثر من هولندا ، الجريمة كانت مساء يوم الثلاثاء ٢٤ تموز صيف ٢٠١٢ كانت بالنسبة للشعب الهولندي حدثا طبيعيا ، ويتكرر بين الحين والآخر ، ولا أهمية له ، وهو جريمة قتل إنسان مجهول مهاجر من الشرق الأوسط، ومثله كثير في العالم كله ؛



ولكنه مهم ومثير ومدهش ومحير في بعنبس وغزة فقتل الإنسان بالسم أو بالرصاص ، لم يعد مرعبا للنفوس ، فآلاف البشر تقتل يوميا بالسيارات بالأمراض بالحروب بالغرق بالهجرة من البلدان الفقيرة إلى البلدان الغنية .

الساعة الخامسة مساء في أمستردام ، غادرت الطبيبتان دايل ويت ، ورفيقتها ليزا تايس عملهما في العيادة التي تعملان بها في شارع لاين . كان لدايل ويت شريك بيت من أصول عربية ، يتقاسمان الحياة بدون عقد زواج مدني ، حتى اذا ملّ الواحد من شريكه ، تركه أو اذا عاشر غيره لا تبعات تتبعه ، لا مشاكل ، وهذا شائع في أوروبا وأمريكا .

رافقت ليزا تايس دايل لشقتها ذلك المساء لممارسة الحب يعني الجنس مع عشيق دايل ، وهذا وضع متكرر ، وكان الشريك الذكر مستعد لتقديم هذه الخدمة التيسية لليزا دون حياء ، دخلتا متجرا لشراء الكحول ووجبات الطعام قبل الوصول للشقة .

وقفت سيارة دايل في الموقف أسفل العمارة الضخمة ، وركبتا المصعد إلى الطابق السادس، وهن يحملن مواد السهرة . ضغطت دايل على الجرس؛ لعلمها أن عشيقها في البيت ، فلقد اتصلت فترة الظهر تحدثه عن ليزا ، وحاجتها لخدماته فرحب بذلك ، لم يفتح الباب ، فظنت أن الشريك خرج للتسوق من أجل السهرة ، فأخرجت مفتاحها الخاص بها ، وفتحت الباب ودخلت ليزا بما تحمل ووضعته على طاولة مدخل الشقة ، ودخلت دايل ويت وأغلقت الباب بالمفتاح وسلسة الأمان . وكانت ليزا تشعل الإضاءة ، ثم التفت إلى صالة الشقة حيث توضع منضدة متوسطة الحجم فرأت الشريك ملقى على أرض الغرفة ، ولم يذهب للتسوق ؛ كما اعتقدن ، فصاحت : إنه هنا يا دايل ! ما به ؟! وهرعت إليه تتبعها دايل، وقد تركت المشتريات بجانب مشتريات ليزا

لاحظت ليزا أن الرجل كان على الكنبة وسحل وانزلق إلى الأرض ، فحصته وهي الطبيبة ، وضغطت على شرايين الرسغ لسماع النبض ، ووضعت أذنها على صدره بعد فك الأزرار ، ونهضت وهي تقول : اطلبي الإسعاف والشرطة إنه ميت !

تظاهرت دايل بالفزع والانزعاج وقالت : جلطة !

حضرت الإسعاف والشرطة والطبيب التابع للبوليس ، ثم حضر فريق التحقيق في الوفاة المفاجئة ، وبين طبيب الشرطة لهنّ أن الرجل ميت بالسم ، ويعني هذا أنه قتل ، هل قتل بفعل فاعل أو انتحار؟ فالانتحار شائع في بلدان العالم ، وأمر الطبيب الشرطة بعد إنهاء إجراءاتهم بنقله لمشرحة الطب الشرعي في الجامعة القريبة من مكان الحادث .

هل حدثت جريمة في هذه الشقة ؟ وبينتا للشرطة علاقتهما بالقتيل منذ سنوات وأن الرجل وهي شريكان في الحياة ، وهو طبيب عربي يحمل الجنسية الإسرائيلية من العرب الذين يعيشون في دولة إسرائيل . وبعد يومين أكدت الصحف مقتله بالسم ، وبينت نوع السم الذي تعاطاه أو أعطي له ، وبينت الكاميرات أن رجلا زاره مساء الثلاثاء ، وغادر البناية قبل الخامسة بساعة قبل مجيئهن من العمل ، عندما رجعت شريكته ورفيقتها للعشاء والسهر ، وجدتاه ميتا ، ولم يعرف الرجل الزائر

من قبل شريكته في الشقة ، والشرطة طلبت شهادة الرجل ، فليزا ودايل صديقات الرجل لم تعرفا هوية الزائر.

والذي شد الناس في بعنبس وغزة وإسرائيل دون العالم هوية القتيل ، ذكر البوليس الهولندي أن الرجل الذي قتل مسموما في شقته في أمستردام اسمه الدكتور وائل زياد من أصل عربي فلسطيني يحمل جنسية دولة إسرائيل .

فصاح الجمهور : ألم يقتل في غزة قبل سنوات ؟!

نشرت بعض الصحافة العربية خبر اغتيال الطبيب العربي المهاجر إلى هولندا من عام ٢٠٠٩ للعمل كطبيب مهاجر ؛ حيث عمل في مستشفى خاص ، ثم انتقل للعمل في عيادات خاصة ثم أشيع أنه قتل في غزة ٢٠١٠، وها هو اليوم يقتل مرة ثانية في أمستردام .. هل مات وائل زياد حقا ؟! وشغل هذا النشر أعضاء مكتب الدكتور إبراهيم ، وضيفهم جهاد نجيب الذي رجع من عمان من فترة .

قال مهران موجها الخطاب لزميلهم أسامة الذي ظهر لهم اهتمامه بقصص المخابرات والتجسس بين العرب وإسرائيل وأمريكا وروسيا والصين فقال: ما القصة يا أسامة ؟

قال : القصة ؛ كما تذكرون أننا تكلمنا ذات نهار عن الجاسوسية أنها يختلط فيها الكذب بالحقيقة والخيال بالحقيقة والشعوذة ، شخص أو جاسوس يموت ، ثم يحيا .. ومثال قريب منكم ، والد صديقنا أبي عبدالله مات في قبرص ، ثم مات في كوبا .. فهذا مثال حي وبسيط نعرفه.. أنا قرأت الخبر ، وذهلت ودهشت مثلكم !.. ألم تعلن داخلية غزة بقتل عميل إسرائيلي دخل غزة ضمن بعثة إغاثة بلجيكية ؛ لأن وثائق التعريف على الرجل بحوزتهم جواز سفره البلجيكي المزور كما قالت حكومة بلجيكا ، والعميل (د) الذي قابله هو يعرفه بكلمات السر ؛ حتى لو عرفه شخصيا اذا التقيا مرات سيعرفه باسم الحركي ، وليس الحقيقي .. الآن سيبحث أمن غزة عن شخصية القتيل .. من هو الذي قتل ؟ وهذا لا يهمهم كثيرا وقد يكون معروفا لهم ، وتظاهروا بأن المقتول وائل ؛ كما في جواز السفر ؛ لذا لا تعرف الحقيقة إلا بعد سنوات وعقود والطبيبتان الهولنديتان هل شاركتا في قتله مع الرجل الذي ظهرت صوره على كاميرات مداخل العمارة وموقف السيارات ؟

قال مهران : إسرائيل اعترفت أن عميل غزة عميل لها، وعمل في بعنبس .

قال أسامة : إنهم يقصدون تثبيت موته في غزة ، ليبقى وائل الحقيقي يعمل بدون مطاردة .. والمخابرات هنا تقول إن الطبيب لم يكن يعمل كجاسوس .. من الصادق ؟ .. من الكاذب ؟

فمواقع قريبة من أمن المقاومة أن القتيل عميل إسرائيل من عرب الطائفة (...) فلسطين فيها عرب بدو كرد ترك دروز يهود السامرة أرمن وشركس وأكثر السكان من العرب واليهود المستوردين ، هؤلاء كانوا رعايا الدولة العثمانية ، ولما ماتت العثمانية ، ظلوا مواطنين عرب ، وهذه الفئات موجودة في كل بلاد الشام والعراق ، فلبنان فيها أكثر من ثمانية طوائف دينية الشيعة عرب المارونيون عرب الدروز وعرب .

وتابع أسامة لما لم يعقب أحد : نشرت صحف غزة من جديد صورة جواز سفره ؛ ولكن من يعرف وائلا يعرف أن الصورة ليست له ، ونشرت بعض الصحف هنا صورا حقيقية له .

قال احمد : ونشرت صورا لصديقته الهولندية التي رافقت البعثة البلجيكية كطبيبة متعاقدة معهم للعمل في غزة ؛ ولكنها بعد مقتل ما سمي وائلا غادرت القطاع واسمها يطابق ما نشرته الصحف الهولندية عنها ، واكتشافها جثة صديقها وشريكها في الشقة .. وهل الذي قتل في هولندا فعلا هو وائل زياد ؟ هناك مواقع قالت لقرائها إنها ستحل لغز هذا الرجل الذي قتل في غزة وفي أمستردام .

قال مهران : تابع الأمر يا أسامة ، وكلما جد جديد زودنا به .

قال أسامة : إسرائيل لم تطلب جثة عميلها القتيل في غزة على غير العادة .. مما أدهش أمن غزة إسرائيل حكمت غزة من عام ٦٧ حتى انسحبت ٢٠٠٥ من طرف واحد تحت ضغط حرب المقاومة .. وكانت تتحكم بآلاف الجواسيس ، ولما عادت غزة للعرب أخذ يقل عدد العملاء والجواسيس .. وفي عهد سيطرة حماس على غزة قلوا كثيرا ، ورأيتم بعد حرب غزة قتل عشرات منهم أمام الناس، إسرائيل تستغل فقرهم ومرضهم لزرع الجواسيس.



روايات اجتماعية

غربتي وابنتي ٨

جريمة

فتحت شمس عينيها فرأت أمها تنظر إليها وهي تبكي فبكت هي الأخرى وقالت : إنهم وحوش يا أمي ! .. كنا نقف جميعا أمام السينما سخروا منا وقادونا إلى شارع شبه معتم قرب الكوبري وحديقة صغيرة ، وأوثقونا واغتصبونا ، ثم طعنونا بالسكاكين .. كنا معهم في السينما ووثقنا بهم وظننا أنهم يقودونا لمطعم قريب من الكوبري .. خدعة .. هل سأموت يا أمي ؟

جرائم الاغتصاب كثيرة جدا على مستوى أمريكا وكندا ، وقد تقع ربع مليون جريمة اغتصاب سنويا في أمريكا ، وكندا يقرب من عشرين ألف جريمة اغتصاب سنويا ، ولديهم مراكز كثيرة لمعالجة المغتصبات ، استمرت زهيرة في البكاء ، فكم من الفتيات عالجت بسبب الاغتصاب في كوبيك ، ويدهشها هذا .. فالجنس ودور الدعارة والحانات مفتوحة لمثل هذا ولماذا يغتصبون النساء ؟! وتذكرت أنها كانت تفحص وتعالج نساء كبيرات في السن عواجيز تعرضن للاغتصاب .. لماذا يغتصبون النساء والدعارة متيسرة ؟ هل بسبب تعاطي المخدرات ؟ أم أمراض نفسية ؟ وقرأت العديد من الأبحاث والدراسات حول جريمة الاغتصاب .. وهذه الجريمة تعني إجبار الأنثى على ممارسة الجنس دون رضا وقبول من طرفها .. الإكراه والتهديد هما أحد أسباب انعدام الرضا في جريمة الاغتصاب ويكون الإكراه ماديا باستخدام العنف ، وقد يكون الإكراه معنويا بالتهديد بالقتل أو الفضح بإفشاء سر خاص بالأنثى ، وينعدم الرضا إذا كانت الأنثى فاقدة للوعي بسبب المسكرات المخدرات المنومات ضعف عقلي جنون .. رغم إباحة الزنا في الكثير من دول الغرب والشذوذ ، ولو بشكل غير رسمي ، تكثر فيها هذه الجريمة المقززة لذوي الأذواق السليمة ، وعلى الفطرة الطبيعية .. وأرقام الإحصاء في تلك البلدان مخيفة فتساءلت زهيرة لماذا كل هذه الإباحية الجنسية ؟!

وعادت شمس تقول لأمها : أمي حبيبتي أرجوك لا تبكي .. هل سأعيش يا أمي ؟

هزت زهيرة رأسها ثم همست : ستعشين إن شاء الله .. الله معك يا ابنتي .. الحمد لله على السلامة .. هنري صديق طيب .. كيف عرفت الاتصال به ؟

ـ آسف يا أمي .. لقد سببت لك الحزن والألم

ـ هذه الحياة يا شمس

ـ أخذت رقمه من مادلين التقينا قبل السفر ، ولما علمت أنني سأزور نيويورك .. أعطتني رقم والدها حتى إذا احتجت لمال أو مساعدة منه فسيقدمها لي .. سبحان الله! جولي ماتت يا أمي !

ـ نعم ، ماتت جاءت طعنة مباشرة إلى قلبها.. كانوا متعاطين للهيروين.. كيف تمشون مع هؤلاء الشباب ؟

ـ التقينا في السينما قبل بداية الفيلم .. كانوا شبابا أمريكيين طيبين .. مزحنا مع بعض .. هكذا بدوا لنا .. ولما خرجنا من الصالة .. عرضوا علينا توصيلنا لمحطة المترو من طريق مختصر .. وصدقناهم .. ولما اقتربنا من أحد الجسور هجموا علينا هجوما خاطفا وصاعقا .. وفعلوا بنا ما

فعلوا ثم شرعوا في قتلنا

ـ كنتم متعاطيين يا شمس مثلهم .. هكذا قالت فحوص الدم

أغمضت عيناها للحظات ثم فتحتها وقالت : نعم ، أعطونا جرعات .. ظننا أنهم طيبون وليسوا غادرين .. وكنا فرحين بصحبتهم داخل السينما فهم أمريكان .. وصاروا وحوشا عند الجسر والحديقة .. ونحن مغفلات

ـ حدثني ضابط التحقيق بكل أقوالك .. وهم الآن بأيدي رجال الشرطة ، وكانت نجاتك سببا للوصول إليهم بسرعة ، فهم معروفون لرجال الشرطة ولهم سوابق .. وقد يحكم عليهم بالسجن المؤبد .. عندما تتحسن صحتك سيعرضون عليك للتعرف عليهم .. أنت عرفتيهم عن طريق الصور

عادت تقول : سأعيش يا أمي

ـ أرجو ذلك .. فالدكتور هنري في انتظاري .. فهو صديق كريم

ـ هو شيخ حقيقي يا أمي ..

ـ نعم ، قد أسلم ، واعتنق ديننا الإسلامي ، فهو يصلي ويصوم ..

ـ لما أخرجوني من غرفة العمليات .. وصحوت تماما من البنج .. أخذوا أقوالي عن الحادث .. وذكرت لهم رقم العم هنري الموجود على الموبايل .. فهم بعد الاعتداء علينا لم يفتشونا .. وتقول الشرطة إنهم تركوننا عندما سمعوا أصواتا تقترب من المكان .. كأنهم هربوا .. واتصلت بالعم هنري ولبى النداء .



شفيت شمس من الجرح البدني ، وبقي الجرح النفسي ، وبعد قضاء أسبوعين في المستشفى تعافت وخرجت إلى أحد فنادق مدينة نيويورك .

مدينة نيويورك هي المدينة الأعلى في الكثافة السكانية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعد المدينة أكبر المدن في ولاية نيويورك ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية ، والأكثر تأثيراً في مختلف المجالات كالتجارة والمال والإعلام والفن والأزياء والعلوم والتكنولوجيا والتعليم والترفيه ، كما تعتبر مدينة نيويورك أحد أهم مراكز التجارة والمال في العالم ، فهي عاصمة اقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية ؛ لكثرة الشركات والبنوك العالمية فيها، ويوجد فيها مقر الأمم المتحدةوسوق الأوراق المالية ومؤشر الداو جونز الصناعي .

من أشهر أحيائها:

مانهاتن وبرونكس وبروكلين وكوينز وستاتن آيلاند ، فيها شارع مشهور يدعى شارع برودواي ، تقام فيه العديد من العروض المسرحية ، وسنترال بارك إحدى أكبر الحدائق العامة في العالم .

يوجد فيها ١٧٠٠٠ مصنعا تعمل في مجال الملابس ، وتنتج نيويورك سدس إنتاج الولايات المتحدة من الطباعة والنشر، كما تنتج الأغذية والمواد الكيميائية ، والأثاث والورق والمنسوجات ويعد ميناء نيويورك من أكبر الموانئ التي تعمل في مجال الاستيراد والتصدير، حيث يعمل به ٢٠٠٠٠٠ عامل ، لكن مكانته تدهورت قليلا بعد فتح الموانئ الأخرى على البحيرات العظمى ونهر سانت لورنس ، أما شركات المال والتأمين والأسهم والعقارات ، فيعمل بها نحو ٤٩٥٠٠٠ عامل ، وأشهرها بورصة نيويورك.

تخدم النشاط الاقتصادي في المدينة شبكة ضخمة من وسائل النقل ، حيث يستخدمها يوميا ثلاثة ملايين ونصف مليون فرد ، وتعد نيويورك أيضا أكبر مركز للاتصال في الولايات المتحدة ، حيث يوجد بها العديد من شركات الاتصال والطباعة والنشر ، وبها نحو ستين محطة للإرسال الإذاعي والتلفاز.

كما تعد نيويورك من أكبر المراكز الثقافية في العالم ، حيث يوجد بها العديد من قاعات الفنون والمسارح والموسيقى والمتاحف والجمعيات الثقافية الشهيرة على شارع برودواي ، كما ينتسب إليها بعض الشعراء والكتاب والممثلين والفنانين المشهورين ، أدى أغنياء المدينة دورا مهماً في دعم النشاط الثقافي .

تضم نيويورك مبانٍ من مختلف التصاميم حيث توجد فيها مبانٍ خشبية مصممة على هيئة صناديق بطابق أو طابقين وسقف مائل ويُرى هذا النمط من المنازل في منطقة بروكلين التي تعود إلى العام ١٦٥٦ كما توجد في المدينة مبانٍ ذات تصميم أكثر حداثة كناطحات السحاب التي تتميز بها مدينة نيويورك وخاصةً مانهاتن حيث الأبراج التي دمرت عام ٢٠٠١ ويعد مبنى امباير ستايت أطول مباني نيويورك وأكثرها أهمية.

يوجد في نيويورك ما يقارب (١١٠) كم٢ من الحدائق و ١٤ ميل من الشواطئ العامة ، ومن حدائق نيويورك : سنترال بارك وبلهام باي بارك التي تعد أكبر حدائق نيويورك .

تواجه المدينة عدة مشاكل اجتماعية مثل : الفقر والجريمة والمخدرات والتفرقة العنصرية ؛ ففي نيويورك وحدها نصف مدمني المخدرات في الولايات المتحدة ، كما أن بها أربعة ملايين مواطن يعيشون على إعانات الضمان الاجتماعي .

تعتبر السياحة واحدة من أهم الصناعات في مدينة نيويورك ، وتشمل الوجهات السياحية للمدينة مبنى امباير ستيت ، وتمثال الحرية ؛ وجزيرة إيليس ؛ وعروض مسرح برودواي ؛ وأيضا المتاحف مثل متحف المتروبوليتان للفنون ؛ وكذلك المساحات الخضراء مثل سنترال بارك وحديقة واشنطن سكوير ، ومركز روكفلر ، وتايمز سكوير بالإضافة إلى مراكز التسوق الفخمة على طول شارعي الخامس وماديسون ، ومن العوامل التي تجذب السياح أيضا المناسبات مثل عيد القديسين في قرية غرينتش ، عروض عيد الشكر لدى مركز مايسيز، ومعرض اليوم في سانت باتريك ، ناهيك عن ذكر الأنشطة الموسمية مثل التزلج على الجليد في حديقة سنترال بارك في فصل الشتاء ، ومهرجان ترايبيكا السينمائي ، والعروض المجانية في سنترال بارك في سمرستيج وكذلك حديقة حيوان برونكس ، كوني آيلاند، وحديقة نباتية جديدة في نيويورك وغيرها . هذه مدينة نيويورك المدينة ، أما نيويورك الكبرى فهي مقاطعات كثيرة ربما تزيد عن خمسين مدينة .

سمحت السلطات بسفر شمس لكويبك موطنها الكندي ، وسيتابع العم هنري تحقيقات الشرطة والمحكمة عن طريق مكتب محاماة كلف بمتابعة القضية وتوابعها ، ولما استقرت زهيرة في بيتها لم تتحدث مع ابنتها عن الحادث وأسبابه وآثاره ، وكانت تقول لنفسها : حياة صعبة في هذه المجتمعات ذات الحرية الجميلة ؛ ولكنها تحطم النفس .. وعلى الذي يعيش فيها أن يدفع الضريبة اللازمة للغربة ويتحملها .

وشمس نفسها لزمت الصمت حيال الموضوع ، وبعد ذهابها للعمل أخذت البنت للعيادة النفسية الكائنة في المستشفى العام بالمدينة ، وشرحت للطبيب الجريمة التي تعرضت لها ابنتها باختصار ، وأعطته تقرير الطبيب النفسي الذي اطلع على حالتها وعلاجها النفسي بمستشفى نيويورك ، والذي أكد لهما أنه عليها متابعة العلاج النفسي لشمس حتى يذهب أثر جريمة الاغتصاب عنها ، ولا تفكر بالانتحار أو المزيد من تعاطي الكحول والمخدرات .. ويذهب أثر مقتل صديقتها جولي ، وأثر محاولة اغتيالها هي نفسها ، ولما غادرت شمس العيادة وجدت أمها تنتظرها في صالة الاستقبال ، فخرجتا معا فسألتها زهيرة وهما تركبان السيارة : هل ستذهبين للجامعة أم لا ؟

قالت وهي تشعل سيجارة : طلب مني الطبيب أن أمارس نشاطي كالمعتاد .. أن أذهب للجامعة ولا أفكر بمقتل جولي ، ولا فيما حصل معي ، وقال بعد حين ستنسين الألم ، وستسير الحياة ، فالأيام أحسن دواء للمصائب .. ونصحني بدواء ..

وأعطت أمها وصفة طبية ، وتابعت: وعليّ أن أمر عليه في الأسبوع القادم لجلسة أخرى

قالت أمها وهي تأخذ الوصفة : عليك يا شمس متابعة العلاج النفسي مع الدكتور .. وسأشتري لك هذه الحبوب المكتوبة هنا .. وعندك في الجامعة عيادة الطب النفسي لو جلست مع أطبائها لن تخسري شيئا .. فأنت بحاجة لعلاج النفسي حتى تخف عنك الأحلام والكوابيس التي تزعجك في الليل .. وعليك بعد هذه التجربة الاهتمام بجامعتك وطلب العلم .. لتصيري دكتورة في الاقتصاد .. اليوم أنت أصبحت ناضجة وواعية للمجتمع والحياة ومستقبلك يا شمس في العلم والدراسة ، وإذا فعلت ذلك ستنسين هذه الجريمة الكبرى في حقك .. أنا لست باق لك .. كلنا سيذهب يا فتاتي .. اهتمي بنفسك وصحتك .. وعليك أن تخففي من الرحلات والرقص والسهرات كما نصحك أطباء نيويورك .. حتى يشفى الكبد والرئة مائة بالمائة

ـ دعوت الله أن أشفى يا أمي .. دعوت الله أن يرحمني يا أمي .. كانت أيام إصابتي الأولى مرعبة وكنت عصبية .. كنت أصرخ رعبا وخوفا من الموت .. فاستجاب الله لي وشفاني .. عليّ شكره فكيف اشكره يا أمي ؟

ـ جميل جدا ما اسمعه منك ! هل كنت صادقة فيما دعوت الله به؟

ـ رأيت الموت يا أمي .. قلت يا الهي لا أريد أن أموت ما زلت صغيرة .. إني أحبك يا ربي .. وها هو يهبني الحياة من جديد لكني ضعيفة ، وأجد نفسي بعد الشفاء ضعيفة أمام الشهوات ساعديني يا أمي

ـ آه يا حبيبتي !.. سأساعدك بكل ما أملك .. ماذا تريدين أن أفعل لك ؟ نجاتك يا شمس حياة لي .. ونجاحك كذلك حياة لي .. نجاحك سيعيد لي كياني وحياتي يا حبيبتي

ـ سأنجح يا أمي سأهتم بدراستي ..

ـ عليك أن تفهمي المجتمع أكثر ..وتعرفي الناس أكثر .. ونجاحك وحياتك هم أهلك وأقاربك هنا .. نحن كما تعلمين لا أعمام لنا هنا ولا أخوال ولا أصدقاء بمعنى الصداقة العميق المعارف والزملاء ليسوا أصدقاء .. فأنا منذ طلقني أبوك قد خفت علاقتي بهم .. صلات عمل ومناسبات دينية واجتماعية .. حياتي العمل كما ترين .. والصديق الوحيد لنا بحق هنري ، وهو صديق بعيد عنا .. فإذا تقدمت في العلم وأنهيت الجامعة ، وصرت دكتورة اقتصاد ستكبرين .. فالعلم أهلك وعمك وخالك .. وستنسين جرحك الدامي وموت جولي وينسى الناس ذلك إني احبك يا

شمس وأريد أن تصيري عظيمة بجد وحق .. وهذا الذي يرفعك في مثل هذا المجتمع ، هم يحترمون العلماء في جميع الاختصاصات .. وهذا سيكون فخرا لأمتك العربية ، وأننا باستطاعتنا أن نصير مثلهم .. عليك بتحديد الهدف والغاية بكل وضوح ووعي .. والسير نحوهما .

حياتي في الغرب

قبل أن ينصرم العام تحدث هنري مع الدكتورة مستفسرا عن حال شمس بعد الحادث الذي أصابها في مدينة نيويورك فردت عليه قائلة : إنها تتعافى رويدا رويدا من آثار الحادث الرهيب ، فقد جعلها الحادث تهتم بجامعتها أكثر .. وأخذت تبتعد عن الأصدقاء الجامعيين الشباب خاصة .. تراهم وحوشا وشهوانيين .. وهؤلاء بادلوها البعد والجفاء .. يبدو كما قال الطبيب النفسي في المستشفى إنها تعقدت من جنس الرجال ، وترى أن علاقتهم بها فقط من أجل قضاء الشهوة .. فهي تتحدث عنهم برهبة وقسوة

فعلق هنري فقال : لقد كانت صدمة كبيرة عليها .. كانت جريمة بشعة .. اغتصاب وقتل من شباب كانت تظنهم أصدقاء ومرحين فانقلبوا لصيادين ووحوش .. وكذلك موت جولي رفيقتها الخاصة .. صدمة كبيرة يا دكتورة .. شفاها الله منها .. أنا حزين من أجلها .. الموقف ليس سهلا

ولما رأى أن زهيرة لزمت الصمت أو أنها تبكي بصمت تابع قائلا : أتصل بك هذه المرة لأخبرك بشيء جد على حياتي يا دكتورة قد أتزوج قريبا هل أدعوك لحفل الزفاف أم لا وقت لديك ؟

ـ شكرا هنري العزيز.. نجح مشروع زواجك الذي حدثتني عنه ونحن في كوينز

ـ تيسر الأمر ، وقد وصلت الفتاة إلى المدينة تقابلنا ، وعمرها اثنتان وثلاثون سنة ، طبيبة أطفال

ـ مبارك يا هنري ! وإني سعيدة بما أسمع .. وعندما تحتفلون أرجو أن أتمكن من الوجود بينكم وفقكَ الله يا أخي هنري أنت صديق عزيز لنا في هذه البلاد .. وأنا نفسي بدأت تراودني العودة لبلادي .. وإنما شمس تقلقني مع أن لا سيطرة لي عليها ، وهي ترى أنها قادرة على الحياة وحدها وتحمل مسؤولية نفسها .. مع أنني لا أرى ذلك صحيحا .. وعد والدها بزيارة لها ، ولعله يستطيع إقناعها بالعودة معه وذلك بعد إنهاء الجامعة ..

سأل هنري من باب الفضول البشري : وهل علم بالحادث ؟

ـ لم أقدر أن أحدثه بذلك ، تركت الأمر لها .. ولا أعلم هل أعلمته شمس بذلك ؟ وأنا كلامي

معه قليل سوى التحية والسلام .. ولكنه يطيل الحديث مع ابنته

ـ عندما يتعين وقت الزفاف سأخبرك .. وأنا أنصحك إذا حللت مشكلة شمس أن تعودي لأهلك خاصة أنك بلا زوج يا دكتورة .. معذرة للتفوه بذلك .

تركت زهيرة الجهاز ، ورددت بانزعاج واضح بدون زوج! .. ومن أين يأتي الزوج ؟ ومؤسسة الزواج هنا شكلية .. والجنس متيسر في كل زاوية من زوايا المدينة ، ولديهم قرى للشواذ .. ويقرون ويعترفون بزواج المثليين .. وهل هذا زواج ؟!.. ولماذا يتزوج الرجل ويتحمل مسؤولية امرأة وأولاد ؟ .. عشيق صديق .. شهر ، شهران ، سنة .. وكل يأخذ طريقه .. لا حقوق ولا واجبات .. غابة .. زواج حيوانات ..

أخذت شمس تعود مباشرة للبيت بعد سماع محاضرات الجامعة ، ولما حيت أمها قالت : هل علمت أن العم هنري سيتزوج ؟

تطلعت زهيرة بعيني ابنتها وقالت بدهشة : من قال لك ذلك ؟!

ـ مادلين ابنته .. رأيتها اليوم أمام الجامعة فقالت لي كنت أظن أن أبي طلق أمي ليتزوج من أمك اتصل بي ليخبرني أنه سيتزوج امرأة باكستانية

فقلت لها : امرأة باكستانية .. ولماذا باكستانية ؟

تذكرت زهيرة أنها لم تسترسل مع هنري بالحديث عن المرأة التي ينوي الزواج منها ؛ لأنها تملك بعض المعلومات عنها ، عندما تواجدت معه في نيويورك فقالت شمس : سألت مادلين عن ذلك .. فقالت : لا أدري .. لماذا باكستانية ؟ .. ربما لأنها مسلمة ، وأمريكا مليئة اليوم بالمسلمات .. إنما اتصل ليعلم هل أرغب بحضور حفلة الزفاف التي ستقام بنيويورك .. هل علمت بذلك ؟

ـ نعم ، اليوم اتصل بي أيضا يعرض علينا الحضور لحفل الزفاف عندما يتحدد وقت العرس ..

وحدثني عن هذا الزواج عندما كنت معك في نيويورك ، أخبر ذات يوم ونحن حول سرير الشفاء إنه قد يتزوج ، فقد التقى بطبيبة باكستانية تعمل في المستشفى ، وحدثها عن رغبته بنكاح امرأة مسلمة ، فأعلمته أنها متزوجة ولها شقيقة في البلاد غير متزوجة ، وهي طبيبة مثلها وسعت له في ذلك ووافق أهلها عليه وقبلوه ، وجرت المراسلات ، وها هي وصلت للنهاية ، ويجري الإعداد لحفل الزواج ، وسوف يدعونا لهذا الحفل أنا وأنت.

ـ أنا مثل مادلين ظننت أن هنري عاد ليتزوج منك يا أمي .. هل أنت حزينة يا أمي لأنه لم يتزوج منك ؟

لم ترد فورا بل وجمت قليلا ، ثم تبسمت وقالت : لست حزينة يا شمس .. وإن وقع في قلبي قديما أننا قد نتزوج يوما ما ، والرجل خطبني عندما تركني أبوك .. وبينت له أن المسلمة لا يجوز أن تتزوج من نصراني، فوافق على الإسلام واستعد للإسلام ، لكني دعوته ليعرف لب الإسلام وحقيقة الإسلام .. فذهب لمصر وتعلم العربية والإسلام ، وأشهر إسلامه في الجامع الأزهر ، وتسمى بعبد الصمد .. واتجه إلى جماعة إسلامية نشأت في الهند ، وما زالت تحمل هم الإسلام والدعوة .. ولما عاد لم نتحدث عن الزواج مني ..

قالت شمس وهي تنهض نحو المطبخ للغداء حيث دعتهم الخادمة لذلك : لقد كان صديقا طيبا أثناء الحادث الرهيب

ـ هنري مسلم طيب ، ويحب الضعفاء ومساعدة المحتاجين

ولما جلستا تأكلان قالت زهيرة : يا شمس أفكر بالعودة إلى بلدي الأول

فقالت شمس بدهشة : تعودين لبلدك .. تعودين لأبي ؟!

ـ أعود لبلادي وليس لأبيك .. أبوك تزوج ، وله أولاد منها .. لقد مللت هذه البلاد .. وما زلت أحس بأني غريبة فيها .. لقد صدمت جدا لم حدث لك .. ولا آمن أن يحدث لي مثل هذا

ـ حدث لي ذلك في أمريكا .

ـ الصحف تنشر مثل هذه الأحداث هنا .. وأنا عالجت الكثير من جرائم الاغتصاب .. ولا يربطنا شيء مهم في هذه البلاد .. نحن جئنا للعلم .. وليس للبقاء .. ولدى الإنسان حنين لبلاده وأهله .. رغم الجفاء والعداء

ـ الانحلال يا أمي موجود في كل بلاد العالم ، والإجرام لا تخلو منه مدينة

ـ أعرف ، وهو قليل في بلادنا .. فما زالت محطات التلفزة تنقل لنا أخبار الجرائم البشعة والعصابات المنظمة الكبيرة .. وأنا لليوم لم استطع أن أذوب في هذا المجتمع .. ما زلت أجد نفرة من أهل البلاد الأصليين لنا أثناء العمل .. ويضيقون منا خاصة بعد أحداث أمريكا قبل أكثر سنة .. ويعتبرون كل المسلمين قنابل إرهابية.. والعرب خاصة.. لأن الذين دمروا أبراج أمريكا شبانا ذوي أصول عربية .. والتحرش الجنسي في العمل شائع ولا حرج .. والانحرافات الجنسية كثيرة .. أخذت أقتنع أن بلادنا خير لنا من الحياة هنا .. ونحن لا أهل لنا .. نحن نعيش وحدنا يا شمس .



وأجلت أم شمس العودة للوطن حتى تتخرج شمس لتقرر مصيرها بنفسها ، للبقاء في كندا أو ترحل مع أمها إلى بلاد العرب ، لقد أوشكت أن تنهي خدماتها في المستشفى وستطلب التقاعد المبكر من العمل .

كانت زهيرة تتحدث مع أمها على الهاتف كما اعتادتا فعل ذلك ، فنقلت إليها خبر وفاة ابن عمها ميلاد ، فتفاجأت زهيرة للوهلة الأولى وانزعجت ، فقالت : ماذا قلت يا أمي ؟

ـ نعم ، كما سمعت يا زهيرة .. مات في بلاد بعيدة

فكررت زهيرة : ميلاد عادل مات ! .. هل خلفت زوجته ؟

ـ نعم ، ولدت ولدا ذكرا .. منذ يومين جاءنا الخبر .. فقد كان مع جماعة من أصحابه جهة روسيا الباردة والجليد .. فمرض ثم فارق الحياة قبل أن ينقل لأي مستشفى .

استرجعت زهيرة وترحمت عليه ، وتذكرته وهو يصدم سيارة زوجها سامر، ثم رددت : رحمه الله رحمه الله يا أمي .. أكيد الشيخ حميد حزين عليه ترحمت هناء عليه وتابعت : أهله والشيخ حميد راغبون بنقل جثته للبلد ودفنه هنا بمقابر البلد ورفاقه الشيوخ يلحون بدفنه في تلك البلاد ليبق شاهدا وذكرى لهم ، ولمن يأت تلك البلاد

ـ رحمه الله يا أمي وغفر له .. وأنت كيف حالك ؟

ـ بخير ؛ ولكني حزينة لزوجته التي ها هي تترمل من جديد مرة ثانية ، وحزينة لابنه رفاعة .. سمى ابنه رفاعة .

هزّ الخبر كيان زهيرة كما أثر بأمها ، فقد كان هذا الرجل عدوها وخصمها العنيد أيام شبابها .. ولم تلبث أن سمعت صوت هنري معزيا لها بابن عمها .. فقالت : وقد عرفت !

فقال: نعم ، واتصلت بقريبه الشيخ حميد وعزيته بقريبه ، وأنا أقدم لك التعازي يا دكتورة .. كنت أظن أنك ستعودين للبلاد .

ـ قريبا ، شهور قليلة .. اقترب تخرج شمس من جامعتها ، وعليها أن تحسم أمرها ، إما البقاء وإما السفر مع أمها.

ـ نعم ما تفعلين يا دكتورة ..أريد أن أقدم مساعدة لأسرة شيخ ميلاد .. فأنا أعلم أنه ترك ولدا وزوجة لديها ثلاث أطفال من رجل سابق

ـ أتريد إرسال مال لهم ؟

ـ سأقدم لهم مالا .. ولكن أريد أن أدرج اسم ابنه عن طريق جمعية أو مؤسسة تعتني بالأيتام حتى يكبروا .. فهناك جمعيات عالمية تهتم بهؤلاء الأطفال

ـ جمعية هنا في كوبيك ومونتريال

ـ نعم ، جمعية تقدم مساعدات في أنحاء مختلفة من العالم .. تحدثت مع حميد ؛ ولكنه اعتذر وقال

سنهتم بالأمر .. بالولد وأم الولد .. والرجل ترك ثروة لا بأس بها .. لكن هذه الجمعية ستهتم به ماديا ومعنويا ، وسيدرس إذا كبر في الجامعة على نفقتها ، فهم يهتمون بتدريس الفقراء على مستوى العالم .. فلهم علاقات على مستوى العالم بجمعيات خيرية ومؤسسات خيرية دولية

ـ سأهتم بالأمر .. وإن أرى أن الطفل له أقارب كثر سيهتمون به .. فأشقاء ميلاد يزيدون عن عشرة ذكورا وإناثا والشيخ حميد شريك ميلاد في العمل والآن كيف أنت وعروسك الهندية ؟

ـ رائعة ! هي على وشك الوضع .. أكرمني الله بفضله وكرمه بذرية منها كيف شمس اليوم ؟

ـ أحسن حالا بكثير من أيام نيويورك .. لقد كان الحادث صدمة كبيرة لها يا هنري .. ما زالت تعاني من آثاره .. وتستيقظ فجأة أثناء النوم وتصرخ .. وتأت للنوم بجواري باقي الليلة

ـ خفف الله عنها ، لم يكن الحادث سهلا عليها .. تحياتي القلبية لها .. وإذا جئت البلاد عند ولادة نورا سألتقي بكم إن شاء الله سبحانه

ـ شكرا لك يا دكتور هنري.. كنت نعم الأخ والصديق لنا في هذه الغربة

ـ إلى اللقاء

وضعت زهيرة سماعة الهاتف وتنهدت وقالت : جميل ! سيصبح هنري أبا من جديد يا الهي ! هنري يحقق حلمه بالمولود المسلم والزوجة المسلمة .. لكنها هندية لم تكن عربية !

عودة زهيرة

تخرجت شمس أخيرا من الجامعة بنجاح وتقدير جيد ، فهي ذكية من ناحية الدراسة ، وإنما كانت تحب العبث واللهو والسهر والرحلات حتى تعرضت للحادث المرعب في أحد شوارع مدينة نيويورك ، فانكمشت على نفسها رغم تعرضها لجلسات طبية وعلاج نفسي ، وذلك بعد تعرضها للموت بالطعن بالسكاكين التي شوهت صدرها



وزهيرة أنهت خدماتها في المستشفى ، وحصلت على تقاعد الضمان الاجتماعي من المؤسسة التي اشتركت فيها منذ دخولها كندا أيام دراستها في هاليفاكس .

جلستا تتناقشان في مصيرهما ، فكانت زهيرة قد اكتفت وشبعت من الغربة كما قالت لابنتها وهي عازمة على العودة لبلدها بعد كل هذا الغياب فهمست لها : أنا اعلم أنك منذ وجدت على هذا الكون قبل ما يزيد عن عشرين سنة وأنت هنا ، ولا

أستطيع إجبارك على الحياة معي .. ولا أحب بقاءك وحيدة هنا يا شمس .. وأنت لك الحرية في حياتك .. فسافري معي لتتعرفي على إخوانك وأقارب أمك وأبيك .. ثم احسمي أمرك إما البقاء معي أم العودة إلى هنا .. بضعة شهور .. تغيير جو .. رحلة للشرق .. وها هي الشقة موجودة ، وستبقى الخادمة فيها إذا أحببت البقاء ، وسندفع إيجار الشقة وراتب الخادمة حتى تصلي للقرار المناسب.. إذا لم يطب لك البقاء تعودين .

احتضنت شمس أمها وقبلتها ، وذرفت الدمع أثناء ذلك ، وقالت وهي تضع رأسها على كتف أمها : فكرت فكرت يا أمي .. عليك أن تذهبي وحدك .. فإذا طاب لك المقام بين قومك وعشيرتك فابق بينهم .. وإذا لم يطب المقام فأنا هنا بانتظارك .. قريبا سأعمل بشركة قدمت لها أوراقي ، والجامعة ستساعدني في الالتحاق بالعمل .. عذرا يا أمي أنا تعودت على الحياة في المجتمع الغربي بسلبياته وإيجابياته .. وربما جئت إليك سائحا في يوم من الأيام .. نحن لن نبقى معا طويلا

ـ إذن فكرت جيدا في مستقبلك وحياتك .

ـ لي شهور أفكر وأفكر وقد حسمت الأمر.. أنا مكاني هنا .. تعودت على حرية هذه البلاد وطبيعتها .

ـ ولكنك رأيت بنفسك ما جنت حرية أولئك الناس .. ومن ناحية اللباس لا يتدخل بشأنك أحد .. وليس كل الناس يلبسون الثياب التقليدية في بلاد العرب والمسلمين .. فلبس الجلباب أو العباءة حرية شخصية اليوم في بلاد المسلمين .. فأنت هنا اليوم ترين فتيات ونساء يلبسن الثياب الشرعية ويغطين شعرهنّ .. وأنا منذ وعيت لأهمية اللباس في حياتنا وأنا ألبس الثياب المحتشمة وأغطي شعري كاملا واكشف وجهي .. ودرست سنة في الجامعة في بلدي وكنت أرى الكثير من السافرات والمتبرجات ولابسات البنطالات

ـ هل يسمحون لي بلبس الشورت البنطال القصير في شوارع المدن العربية ؟

ـ الأجانب يمشون بشوارع المدن العربية منذ عهد بعيد باللباس القصير ، ومن النادر أن يعترض أحد عليهم .. لكن الذوق العام لأهل البلاد لا يتقبل ذلك .. فها هي قرى الهنود الحمر هنا تتزين النساء والرجال بزي تقليدي لأجدادهم .. كما هو الحال في بلاد المسلمين ..

ـ أعدك يا أمي بزيارة عندما أباشر العمل واستقر فيه .. توكلي على الله ، وعودي لأهلك وأمك وسيكون الاتصال دائما بيننا .. هل علمت أن

مادلين ستنتقل للعمل في نيويورك في نفس المستشفى الذي يعمل فيه والدها .

ـ قال لي هنري ذلك

ـ كنت أتمنى أن يقترن بك هنري لتبقين هنا

ـ هنري ليس هنا أنه في أمريكا

ـ كلها بلاد واحدة ، وإن فصلت بينها حدود

كانت الدكتورة زهيرة مجدي قد رتبت مع ابن عمها حميد نبيل بأن يبتاع لها شقة أو فيلا في أرقى أحياء العاصمة ، فوعدها بحجز عدة فلل وشقق ريثما تستقر في البلد وتختار المناسب واللائق بمقامها .

فلما هبطت الطائرة الكندية بمطار العاصمة مع صباح ذلك اليوم من كانون الثاني ٢٠٠٨ .. وكانت على اتصال بحميد الذي رتب على استقبالها ، فلما ختمت جواز سفرها واستلمت حقيبتها من الجمارك التقت بحميد وزوجته في صالة الاستقبال ، وبعد الترحيب والدعاء انطلق بها حيث بيت والدتها التي كانت مستيقظة في انتظارهم ، احتضنتها أمها وتعانقتا على عادة الشرقيين ، فلما انفصلتا عن بعضهما صافحت أم زهيرة زوجة حميد ، وحيت حميد وشكرته فرد لها الشكر وقال : يا دكتورة الحمد لله على السلامة .. وأهلا بك ببلدك العزيز .. والبيوت جاهزة للمشاهدة شقق وفلل .. عندما تجهزين لذلك سنقوم بجولات خاصة إليها .. ثم يتم نقل ملكية البيت الذي تختارينه من صاحبه إليك .

أثنت عليه الثناء الجميل فقال : أرجو أن نخلص من ذلك .. فهذا واجب علينا يا دكتورة .. نحن أهل .

وقبل أن يغادر البيت ويغلق الباب هتفت وراءه : أبا محمد

فتوقف واستدار إليها مستفهما وكذلك زوجه ، فقالت : أريد أن أرى ابن ميلاد ابن ابن عمنا

ـ سنفعل هو الآن مع أمه ، وشكرا لك على المال الذي أرسلتيه له ولأمه .

ـ هو ليس كله مني ، فبعضه من هنري الشيخ عبد الصمد

ـ بارك الله فيكم .. والرجل ترك لابنه ثروة كبيرة .. وأنا قد عملت قسمة للشركة ليأخذ الابن والزوجة حصتهما يتقاسمونها حسب الشرع .. لكن الزوجة ووالدها طلبا أن يبقى المال في السوق .. كما كان أيام ميلاد .. ولما انتهى توزيع الميراث حسب الشرع فأخذت حصة الأم وأشركتها في شغلنا .. أما مال رفاعة فحول لمؤسسة الأيتام لرعايته وتنميته لأنه قاصر .. فهي زوجة طيبة ومسكينة .. السلام عليكم للحديث تتمة ما دمت قد أمسيت جارة لنا .

ـ وعليكم السلام .. سلم على أولادك .. أعود وأشكرك يا أبا محمد .. شكرا أم محمد .
ردت أم محمد بصوت بدا متعبا فقالت زهيرة : آسف .. ما بك يا أم محمد ؟! كأنك مريضة !لم انتبه إلا الآن .
فرد حميد : نعم ، إنها متعبة ، وسنقوم بفحوصات جديدة خلال هذه الأيام .. لما يدخل علينا البرد تبدأ أم محمد بالتعب والمعاناة .. ولما تستريحي سنتكلم عن مرضها ونسمع نصائحك فأنت أخصائية في أمراض النساء .
ـ أنا في خدمتكم ، وفعلا إني في شوق لتقديم شكر عملي لكم .. معروفكم مقدر عندي .. ألف سلامة يا أم محمد .. لم انتبه لمعانتك إلا الآن .
خلال أسابيع تمكنت الدكتورة من ابتياع فيلا في إحدى ضواحي المدينة ، وتم تأثيثها بأحدث طرازات الأثاث والفرش والستائر وأدوات المطبخ وفرن الغاز والبراد (الثلاجة) وغسالة الملابس ، وغرفة نوم خاصة بها ، وغرفة خاصة بأمها وغرفة خاصة بالخادمة .. ولم كمل التأثيث رحلت وأمها وخادمة البيت للفيلا الجديدة .. اشترت سيارة من آخر موديل .. ولما استقرت بالبيت استعانت بخادمة أخرى .. فالبيت الكبير يحتاج لأكثر من خادمة .. وكانت الخادمة الجديدة تحسن الطهي لتقوم بهذه المهمة في البيت .

وأكثر الخادمات في بلدنا من جنسيات آسيوية الفلبين سيريلانكا .. إندونيسيا .. بنغلاديش ..
عرفت زهيرة من حميد أن امرأته تعاني من مرض السرطان سرطان الثدي ، وقد استؤصل أحد أثدائها .. ولكنها ما زالت تعاني من المرض .. فقدمت ما تستطيع من نصائح ، وأهمها استمرار المتابعة والمراجعة في المراكز المعالجة الخاصة .
وفكرت زهيرة بإنشاء عيادة خاصة تمارس بها العمل الذي هو حياتها كما تردد وكما تعودت .. وفي النهاية قررت العمل في مستشفى خاص لتتعرف على البلد وطبيعة العمل في البلد بعد غياب طويل عنه .. والدكتورة لديها خبرة كبيرة وشاركت في تأليف كتب طبية أثناء إقامتها في مونتريال باللغة الإنجليزية والفرنسية .. وما زالت على اتصال بمراكز البحث العلمي والطبي التي نشطت بالعمل معها ، ولديها خبرة عملية كبيرة في المستشفيات وكانت تساعد زوجة حميد في مراجعة المستشفيات المختصة .
حميد منذ وضع نفسه تحت خدمة امرأة عمه هناء محمد ، وهو يتصل بها كل يومين أو ثلاثة أيام سائلا عن حالها وصحتها وحاجتها ، وحلف عليها إذا احتاجته في أي وقت أن تتصل به أو بزوجته ، وكذلك عود نفسه ليزورها في الشهر مرة أو مرتين مساء الجمعة.. برفقة زوجته أو أمه ..

ويرافقها إلى مراجعة طبيب أو طبيبة أو مختبر طبي .. أو مركز صحي الحكومة لاستلام دواء الضغط والسكر الذي تحتاجه شهريا.. وعندما يرافق المشايخ بخروج دعوي .. يكلف أحد أبنائه خاصة عماد الذي يعمل معه بالاهتمام بامرأة عمه .

وكان حميد دون إخوته أكثرهم رعاية لامرأة عمه عن وصية أمه خاصة بعد أن طلق مروان السيدة هناء ، وتزوجت الضابط رستم .. وسفر ابنتها بعد ذلك .. ولاحظت الأم أم سالم ضعف علاقة أبناء رستم بزوجة أبيهم .. وتقبل حميد هذه المهمة بروح طيبة ، وكذلك وصاه والده عند موته بالاستمرار على بره وصلته لها ، وتعمقت علاقة زوجته أم محمد بهناء.. وقدرت هناء هذه الصلة للرحم .. وهذا الود بينهم ، وكانت تألفهم أكثر من أبناء إخوتها وأخواتها .. وكانت تتألم لما أصاب أم محمد من مرض السرطان .. وتدعو لها في كل صلاة بالشفاء والعافية.. ولما ترقد في المشفى تذهب لزيارتها والاطمئنان عليها برفقة أولاد حميد .. لأنها باعت السيارة عندما ضعف بصرها بسبب السكري.. ودعست طفلا ، وكانت إصابته ـ بفضل الله ـ خفيفة .. ولم يصاب بكسر إنما خدوش ورضوض .

واستمر هذا النمط من المساعدة والصلة حتى بعد عودة زهيرة ، رغب أبو محمد بالاتصال الدائم بأم زهيرة ، لم يسع لتغيير ما عود امرأة عمه عليه بحجة عودة زهيرة .. فكان يزورهم بين الحين والآخر .. اجتهد ألا يضعف ما عود امرأة عمه عليه من عادات .. وغالب الحديث الهاتفي يكون بينه وبين هناء الأم .

وفي الآونة الأخيرة كان يصحب ابنته معه الطالبة في الجامعة.. فالزوجة ازداد وضعها الصحي تدهورا .. وأمه أخذت تكتفي بالحديث الهاتفي بينها وبين هناء فالسن أخذ مجراه عليها ، فهي من سن هناء تقريبا ؛ ولكنها تزوجت نبيلا في سن مبكرة ، كان عمرها دون العشرين .. ومرات يأخذ زوجة ابنه محمد التي تعيش معهم .. فبناته الكبيرات متزوجات من أقاربهن .. ومحمد تزوج قبل مجيء زهيرة من كندا بزمن يسير .. والذي يصغره بسنة تزوج قبل محمد لظروف معينة ، ويسكن مستقلا عن والده ، وعماد الذي يعمل معه في محل التصليح يسعى لتزويجه ، فقد خطب له ابنة خاله ، وهو صديق للشيخ حميد ، ورفيقه في الجماعة ، ويسكن قريبا من بيته ، ويعيش معه في نفس البيت الذي بناه .. وبقي عنده حليمة التي تدرس في الجامعة .. وولد واحد أعزب في المرحلة الثانوية .. فصار يصحب ابنته أو كنته نصف أو ساعة في الزيارة ، ثم يعود للبيت ، وغالب زيارته تكون ليلا

بعد صلاة العشاء في فصل الشتاء والخريف ، وفي الصيف بعد العصر أو بين صلاتي المغرب والعشاء وبعد مجيء زهيرة قليلا ما يلتقيان ؛ لأنها تواظب على عملها في المستشفى الخاص ، وتكون في مراقبة ومتابعة حالة خطيرة أو عملية ولادة ، فأحيانا تعود للبيت بعد منتصف الليل .

فهي تشرف على عمليات الولادة أو تساعد جراحا في عملية قيصرية .. فالولادة الطبيعية تقوم به القابلات العاملات في المستشفى أو ممرضات ذوات خبرات خاصة .

ذات ليلة كان حميد تصحبه كنته زوجة محمد في بيت هناء وزهيرة ، وقد جاء ليطمئن على صحة الأم ، فقد كانت في الصباح عند الطبيب لارتفاع الضغط الدموي ، وحدث لها تشويش في الأذنين ، وعزت الطبيبة ارتفاع الضغط أنها تعشت عشاء فيه نسبة زائدة من الأملاح .. فذكرت لها أنها أكلت أقراصا محشوة بخضار السبانخ ، وبعضها باللحم المفروم .. وشربت كوبا من الشاي به القليل من السكر .

ولما شربوا الشاي وأمامهم الفاكهة ، قالت هناء : سمعنا يا أبا محمد أنك تسعى للزواج على أم محمد تضاحك وهو يتطلع في وجه كنته وقال : أم محمد أخبرتك .

تبسمت النساء الثلاث وقالت هناء: نعم ، تحدثت معي لما رجعت من العيادة لتسأل عن صحتي ، وجاء حديث الزواج .

قالت زهيرة : التعدد عند الشيوخ سنة النبي ﷺ ويرونه أمرا طبيعيا

ضحك حميد وقال: التعدد في الإسلام شيء طبيعي ، وقرأ آية النساء (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا) .. وأنا حقيقة يا امرأة عمي عندي سبب للزواج ثانية فأم محمد كما تعلمون اشتد عليها المرض منذ أشهر ، وهي مريضة منذ سنوات .. فلم تعد تصلح كزوجة لأنها تتعب .. والرجل لا يستغني عن المرأة .. والحلال حلال ولا يصير حرام .. فهذه القصة

فقالت زهيرة : ورأي أم محمد في الموضوع ؟

ـ أم محمد منذ مرضت ، وهي تحثني على الزواج .. فلان له زوجتان .. وفلان تزوج الثالثة .. فزوج أختها عنده ثلاث نسوة .. وتحملت من أجل خاطرها يا أم شمس .. وأملت بشفائها التام ، ولكن أمر الله فوق كل أمر (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

ـ يعني أم محمد راضية بزواجك عليها

ـ هي تريد هذا ، وتدفعني إليه ، وها هي كنتها تعيش معنا .

وتحدثت كنة الشيخ ، وأيدت كلام أبي محمد ، وبينت أن حماها وافق هذه الأيام على البحث عن زوجة تقبل به ، وهو في الخمسين من العمر .. وقالت: ونحن نبحث له عن امرأة صالحة تقبل به فقال مؤكدا ما تفوهت به كنته : امرأة صالحة تقبل بي في هذا العمر .

فقالت زهيرة مستفهمة : لم تبلغ الخمسين بعد يا أبا محمد .. أتريد خلفة من جديد ؟

ـ ليس شرط هذا .. هذه تعود للعروس .. لي أكثر من عشر سنوات بدون خلفة.. والولادة والحمل كله بأمر الله تعالى .. أنا الله أعطاني سبعة بين ذكر وبنت .. والتي سأقترن بها ستكون دون الأربعين في فكري .

وفجأة قالت هناء وبدون مقدمات : لماذا لا تتزوج ابنة عمك ما دام الخلفة غير مهمة عندك ؟

التقت عينا حميد بعيني زهيرة التي أحمر وجهها لمفاجأة أمها ، وبعد لحظة صمت قالت زهيرة : ومن قال لك يا أمي إنني أريد أن أتزوج ؟!

قالت هناء : أنا أعلم أنك منذ تركت سامرا ، لم تتزوجي ، ولم تفعلي ما فعلت أمك قديما ، قبلت بالزواج من المرحوم مروان ـ رحمه الله ـ الذي مات بحادث سيارة مخيف .. ثم رستم .. واليوم أنت تعيشين معنا ، ورضيت بالحياة هنا ، فالشيخ حميد رجل ومفضال كما تعلمين .. وأولاده يحبونك وحتى أم محمد تحبك وتقدرك .. والأعمار بيد الله .. فكري بما سمعت يا زهيرة .

قالت زهيرة : وهل يرضى بي أبو محمد زوجة ؟

ضحك حميد ، ونظر لكنته وقال : هذا أمر يرجع إليك يا دكتورة .. أنا لم تطمع نفسي بالزواج منك ، ولا أقدم خدماتي لكم من أجل ذلك أو طمعا بذلك .. أنت لك شهور بيننا ، لم تعرفينا بشكل جيد يا أم شمس .. وموضوع الزواج قديم وجديد ولست مستعجلا عليه .. إنما مغريات الدنيا كثيرة كما تعلمون .

قالت زهيرة بشكل مفاجئ : ما دام الأمر لي .. فإذا قبلتني يا أبا محمد زوجة فإني أقبلك .. أنا عرفت طيبتك من الزيارة الماضية كما تذكر .. وأنا لما طلقت صرفت نظري عن زواج جديد .. وربما كما تقول أمي الوضع هنا غير هناك ..فإذا تراني أصلح لك زوجة فعلى الرحب والسعة

ـ أنا غير مصدق لمَ أسمع يا ابنة العم !

تفاجأ حميد والأقارب بقبول زهيرة الزواج من حميد ، ورد بعضهم ذلك ليأسها من وجود زوج من مستواها الاجتماعي والطبي ، وأيضا لكبر سنها .. وليأسها من الإنجاب ؛ لأنهم يعلمون من

أسباب انفصالها عن زوجها الأول ضعف قدرتها على الحمل .

جرى حفل زواج متواضع لزفاف حميد وزهيرة حيث انتقل للحياة والعيش في بيت زهيرة ، وقدم لها مهرا متواضعا ورمزيا ، وقد غيرت زهيرة أثاث غرفتها لتصبح غرفة نوم بسرير مزدوج وخزانة ثياب كبيرة .

وقد كان الاتفاق بينهم أن يكون مصروف البيت مناصفة لأن حميدا رفض أن تتكفل زهيرة بمصروف البيت ، وطابت الحياة لزهيرة بزواجها ، وعادت إليها أنوثتها وروحها الغائبة ، وعادت النضارة لوجه زهيرة وحب الحياة ، ورأت أن الحياة الزوجية سعادة ومهمة ومودة وسكينة ، والشيخ حميد سلوكه وكلامه دائما عن الدين والإسلام والجنة والنار، وهذه أشياء افتقدتها زهيرة في حياتها الزوجية الماضية ، وفي الغرب ، وهي اليوم امرأة ناضجة ، ولها تجربة شرقية وغربية ، وشاء مولانا العظيم أن يتم سعادته عليها بأن حملت من زوجها حميد ، فكادت لا تصادق ذلك ، لولا أنه حق وواقع ، وقد أثبتت الفحوصات الطبية والمخبرية الحمل ، وهو حمل طبيعي ، فكانت تقول لزوجها : رغم حملي بشمس ومجد وولادتها بسلام لم أسعد كما أنا اليوم .

ـ الله عظيم ورحمته كبيرة !.. ونياتنا خالصة لله .. فنحن نذكر الله عند كل جماع كما علمنا الرسول ﷺ لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا – فإن قضى الله بينهما ولدا لم يضره الشيطان

ـ كلام عظيم من نبي عظيم !

ولدت زهيرة ولدا كاملا سليما ، ولما تشاورت على تسميته ، اقترح حميد أن يسمى مجديا على اسم والدها مجدي حسن ، وبعد تردد يسير قبلت وسمته مجديا ، وعلى أثر الحمل والولادة تركت زهيرة العمل في المستشفى ؛ لتتفرغ للمولود الغالي تفرغا كاملا .

وكان حميد منذ سنوات يشرف على العمل إشرافا بسيطا ، سواء مشغل تصليح السيارات أو معرض بيع السيارات المستعملة .. فكان قليلا ما يعمل بيده ، وكانت السيدة هناء سعيدة برؤية أول حفيد لها بعينيها ، فهي لليوم لم تر شمسا ، فكان حميد يقول : غمرتنا السعادة بولادة مجدي الصغير .. وكانت زهيرة طيبة معي لأقصى درجة ، فلا أحس أنها دكتورة ، ولا أنا فني تصليح سيارات ، لم يكن لهذا ذكر بيننا ، إننا نحيا كزوجين سعيدين .. وهي حقيقة طيبة وواقعية وصبورة ، لم يحدث بيننا منذ زواجنا أي شجار ، فعندما نتناقش حول شيء وأقول لا ، تنسى الموضوع ، فكانت نعم الزوجة

.. وكانت تحثني على الذهاب إلى أم أولادي والمبيت بينهم ، وهي تقول اقسم بننا كما يأمر الشرع والدين فابتسم لها وأقول صحيح هذا يا أم مجدي ، وأم محمد عفتني من القسمة لمرضها وسقمها وكنت أذهب بصحبتها لزيارة أم محمد والبيت القديم ويرحب بها الأولاد وزوجتي الأولى ؛ كأنها أخت لهم وأم ، ونتعشى مع أم محمد والأولاد كأنهنّ أخوات ، بل تعاتبها لعدم سماحها بمبيتي عندها فتقول أم محمد أنا ما صدقت وهو يتزوج .. المرض هدني ، وأنت أعرف الناس بالأمراض

شمس

كانت زهيرة وشمس تتحدثان مع بعضهما في الأسبوع مرتين على الأقل ، وكان قد جرى بينهن بعد زواج زهيرة بفترة هذا الحوار ، قالت لها شمس : سمعت أنك تزوجت ، لم تخبريني بذلك ولم تدعوني لحفل الزواج ؟



ـ وهل إذا دعوتك ستلبين الدعوة ؟! فهذا شأن خاص بي ، ولم أرغب بإزعاجك به .

ـ يبدو أنك حذفتني من حياتك !

ـ أنت حذفت نفسك ، واخترت الحياة وحدك رغم علمك بأنني قررت العودة لبلدي والمكث فيه حتى الموت .. أبوك الذي أخبرك ؟

صاحت بغضب : طبعا أبي ، وقد دهش لجهلي ذلك .. وهو قليل الاتصال بي منذ تخرجت ورفضت العودة معك .. مرة واحدة في الشهر .. هو يطمع أن اتصل به أنا .. لا أدري ما هذا الأب ؟ ـ وأخذت تقلد والدها ـ كيف أنت يا شمس ؟ .. تمام .. موفقة .. مع السلامة .. ينغص عليّ حياتي باتصاله القاتل .. ومرات أقطع الاتصال قبل أن يكمل أسطوانته ..

ـ لم تباركي لي بالزواج !

ـ آسف يا أمي .. حياة طيبة وزواج سعيد .

ولما ولدت زهيرة ، وعلمت شمس بذلك استغربت ؛ لأنها كانت تعلم عجز أمها عن الحمل ، وأنها كانت تجهض كثيرا ، فهنأت أمها على سلامة الوضع ، وفي إحدى المكالمات قالت مداعبة لأمها: أرى أن إخواني يكثرون ! كم لي من جهة أبي ؟! ثلاثة أو أربعة .. ولي من جهة أمي واحد .. جميل أن يكون للمرء أخوة كثر !

فقالت زهيرة بسعادة : والثاني على الطريق .. ألم تجدي زوجا في بلادك ؟

ـ عجيب أمرك يا أمي! .. ولماذا لم تلدي من أبي إلا أنا ؟! .. آ .. وهناك طفل قد مات .

ـ الله يريد أن أنجب من هذا الرجل ..

فعادت شمس تجيب عن سؤال أمها الأخير : لم أجد الزوج المناسب .. من أعرفهم يريدون زواجا غربيا بدون وثائق .. علاقة جنسية وصداقة .. كرهت كل الرجال .. رأيت صديقك هنري .. ذهبت بمهمة للشركة في نيويورك ، وقبل زيارتي إليه .. ودعاني للعشاء معه ومع زوجته الهندية وابنته مادلين وصديقها الأمريكي .. وبارك لي الشقيق الجديد .. فهو على معرفة بأحوالك أكثر مني ..

ـ ما زال يتصل بي بين الفترة والأخرى .. وهو يفكر بزيارتنا كسائح .. لماذا لا تسألني عن جدتك وعن زوج أمك؟!

ـ شيء لا يهمني يا أمي

ـ إذن لماذا أحدثك عن حياتي الخاصة ؟! لم تسأليني كيف تعيشين ؟ هل تعملين ؟ كيف حياتك؟

قطعت شمس الاتصال ، فلم تكترث زهيرة لذلك التصرف ، فهي بدأت تتعافى من عقدة الهجرة .. ورأت الحياة بمنظار الدين والتقوى.. وهي قد اعتادت على الجفاء من شمس منذ زمن بعيد .. فهي لم تكن تتعامل معها كأم حنون .. إنما هي مجرد امرأة ولدتها .. ولا يربط بينهم رابط عاطفي ..



فعلا وجدت زهيرة نفسها تحمل من جديد ، فما كاد مجدي يقترب من النصف سنة حتى شعرت بالحمل الثاني ، فحمدت الله وشكرته .. فهي خاضت علاجات كثيرة في كندا ، وكانت نتائجها أن لا أمل لها بالحمل السليم .. فهي قد حملت أكثر من مرة بعد وفاة ابنها من سامر ، وكانت خلال شهر أو شهر ونصف تسقط الحمل .. حتى أيقنت بأنها أمست عاقرا .

وزاد ارتباطها بالله والتسليم له استسلاما كاملا ، وأن دعاء زوجها لها خير كبير .. ورأت أثر الاستغفار بتحقيق الشهوة للولد والأمومة .. وأحبت حميدا حبا كبيرا ، وليس أنه مجرد زوج لها فهو إنسان طيب وسهل .. وكله حنان وعطف عليها وعلى أمها التي تكاد أن تطير من الفرح لميلاد مجدي الصغير ، وتعتقد أنها هي التي ولدته .. وزهيرة تعلم رغبة أمها الشديدة بالولادة ، وتذكر الحرب التي خاضتها من أجل الولادة .. وتكرر زواجها .. فكانت أمها لا تفارق مجديا إلا عند النوم في الليل ، وعند الرضاعة من صدر أمه..

وكانت هناء تظن أن زهيرة ضعيفة الحمل مثلها ، وظنت أن الوراثة سبب ذلك .. فبان لها هذا

الوهم.. ومشت الأيام، وجاء المولود الثاني حسب المقدر له بميعاده ، وولدت زهيرة في مستشفى خاص كالمرة الأولى.. وسمته محمدا على اسم الرسول ﷺ ولقب بمحمد الأصغر ..

فكانت تقول لحميد بوله ومنة : جزاك الله خير الجزاء.. فقد أعدتني للحياة من جديد .. ظننت أن دور الأمومة انتهى في حياتي ..

ـ هذا فضل من الله وحده ..

ـ للأطفال حلاوة يا أبا محمد وشعور بالحياة من جديد

ـ الشكر لله أولا وأخرا .. والأولاد هبة ربانية .. وبتقدير من الله كما جاء في آية سورة الشورى (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠))

ـ الشكر لله، نعم، الشكر لله .. أنا كان أحد أسباب انفصالي عدم قدرتي على الحمل .. كان عندي مشاكل في الدم .. فزعموا أنها تؤثر على عدم ثبوت الحمل وتؤدي للإجهاض المتكرر .. وأنا راجعت تحاليلي بنفسي ، واقتنعت بما كتب في تلك التقارير .. فلما أخذ زوجي الأول يحن للأولاد والعودة والغرب .. وافقت على الطلاق بسهولة ، وتمنيت له السعادة

ـ قصص الحمل والولادة من أعاجيب القدر .. فمنها يا أم مجدي كان رجل متزوجا من امرأة ، وقضيا سوية عشرين عاما بدون إنجاب .. وتعالج في القدس عند اليهود .. وعند العرب .. وبعد عشرين سنة من الزواج أقنعها بالفراق .. بعد أن رفضت كل هذه السنوات .. وتزوج هو وتزوجت هي .. وولد له وولد لها .. هذا مصداق الآية .. يهب لمن يشاء .. وقتما يشاء .. ولا يعني هذا أن لا يطلب الناس العلاج والطب والأنابيب

ـ فحتى الصديق هنري عبد الصمد الذي تعرفه أخصائي نساء وجراحة نسائية .. أكد لي أن الحمل صعب بسبب مشاكل الدم .. وقد طلبني للزواج قبل إسلامه ، ولكنه لما أسلم طمع بالذرية والولد الصالح ، وذكر حديث أني مباه بكم الأمم

ـ حديث كثرة المواليد تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم .. وشرع التعدد في الإسلام لغايات وحكم كثيرة .. ومنها حتى لا تبقى المرأة العاقر بغير زوج وحياة أسرية والعرجاء تتزوج والعمياء كذلك.. ونساء المسلمين المتعلمات المثقفات يجاهرن بالعداء للتعدد فزادت الفاحشة زادت العوانس .. صرنا نسمع بزواج عرفي وسري وسياحي .. وندوات ومؤتمرات تعقد لتحريم التعدد .. وإباحة الإجهاض والزنا .. وانتشرت دور الدعارة في بلاد المسلمين سرا وعلنا فيقال لنا

الإباحية في الغرب منتشرة بصورة فظيعة ، والانحرافات الجنسية لا حد لها .. وبعضهم يبيح زواج المثلين والسماح بالشذوذ قانونيا .. ونسمع أن رجلا وامرأة يلتقيان كأنهم زوجان وليس بينهم رابط قانوني ..

فعقبت زهيرة : من ناحية الجنس، فهو مباح عندهم بأكثر من طريقة .. فالمرأة تعاشر الرجل عشر سنوات قبل كتابة العقد بينهم .. وربما أكثر ، وممكن أن تنجب ، ولا يعترف به ابنا شرعيا التحرش الجنسي حدث عنه ولا حرج .. زواج الرجل لرجل مباح في بعض المناطق محرم في غيرها .. ويناقش هذا في برلماناتهم وأثناء حملاتهم الانتخابية .. في مونتريال حيث كنت كانت هناك قرية للشاذين .. يجتمعون فيها لممارسة الشذوذ في شقق وأبنية خاصة بهم .. عندهم فساد ولكن عندهم احترام خصوصية الناس .. والحكومات والأنظمة قوية .. فالدولة هي الأسرة والأم والأب

ـ ونحن عندنا حرية .. حريتهم مزيفة .. ماذا صنعت حريتهم بالعراق وأفغانستان وفلسطين حرية مزعومة ؟

دخلت أم محمد المستشفى من جديد ، ولم تلبث أن فاضت روحها لبارئيها ، وفاضت الدموع على روحها من أحبابها ، وتقبل الرجل العزاء فيها من أهله وأهلها .. وترحم الجميع عليها ، وتصدق حميد عنها بالمال والطعام ، وفعلت زهيرة نحوه ، وكانت أم محمد توصي زهيرة على أولادها ، وخاصة الشاب وأخته اللذان ما زالا يعيشان معها ، فوعدتها خيرا .

لذلك بعد انتهاء العزاء نقلت زهيرة البنت والشاب للحياة في بيتها معها ، وكان ذلك بعد تردد ورفض ، ثم رضخا لضغط أبيهم وزوجة أبيهم .. وإنها تفعل ذلك عن وصية لأمهم .. وكانت تقول فأنتم في عيوني وقلبي ، ووالدكم أغلى إنسان عندي

وظل محمد وحده في البيت مع أسرته ، وقال محمد : نحن نعتز بك يا أم مجدي ، وفضلك على رؤوسنا ، وأولادك في قلوبنا ، وهم أخوتنا .. وصدقي أن أمنا كانت سعيدة بزواج أبي .. بل كلنا أصابتنا الدهشة لهذا الزواج منك .. فكانت تراك أما لنا

ـ إني أفخر بكم ، وأنتم كفلذات كبدي حقيقة ، وعاطفتي تسعكم جميعا .. وأحببتكم قبل زواجي من أبيكم ، وكنتم أقول لنفسي وربما لأبيكم أنك ربيتهم تربية عظيمة يا حميد ، ولم تدرس في جامعة ولا تربية وعلم نفس .. وأرجو أن تسعد حليمة ومالك بالحياة معي ، وتدرك أنني أم لها مثل أمها .

وكانت زهيرة قد جهزت غرفة للبنت بما يلزمها من سرير وخزانة ومكتب ومكتبة صغيرة ، وفعلت مثل ذلك للشاب ، وكانت قد أخذت هي وحميد بالاستعداد لتشييد طابق ثاني للفيلا رغم سعتها ، وأبت أن يساهم حميد بشراء أي أثاث للأولاد ، وقبل حميد تلك الهدايا ممنونا وشاكرا لله ثم لها .. نحن نعلم أن زهيرة جمعت ثروة كبيرة من خلال وجودها في كندا ، وهي تحصل على راتب جيد من مؤسسة الضمان الكندية ، فمنذ أن يهبط الإنسان الوافد كندا يحصل على اشتراك في مؤسسة الضمان الاجتماعي .. وقضت زهيرة أكثر من عشرين عاما كما يعرف قارئنا العزيز في كندا ؛ لذلك قالت لحميد عندما رأى سخاء زهيرة : نحن أهل يا حميد .. وأعلم أن الله أعطاك ووسع عليك .. إنما أريد أن أشعر أنني قدمت شيئا ماديا لإخوة أولادي يا أبا محمد .

ـ أنت بركة حلت علينا .. ما كنت أحلم في يوم من الأيام أن ألمس يدك !.. لذلك صعقت لما تكلمت امرأة عمي عن زواجنا من بعض .. فاعتقدت كما يقال إن ليلة القدر فتحت عليّ .. وتعجبت من قدر الله تعالى

ـ النصيب يا ابن العم .. وأنا مثلك عجبت لاقتراح أمي .. فأمي بعد موت أبي كرهت كل عائلتكم .. إلا أمك وزوجتك .. ورغم الأيام ظلت العلاقات بينهم طيبة لم تتأثر بأحداث العم عادل والمرحوم ميلاد .. وأنا كما تعلم لم يكن لدي اعتراض على الزواج ثانية أصلا ؛ لكن لم يحصل ذلك إلا من الصديق هنري .. عندما خطبني ، واعترضت باختلاف الدين ، وقال سوف أعلن إسلامي في العاصمة وأطلق زوجتي .. فطلبت منه أن يتعرف على الإسلام بحق وليس فقط مجرد تلفظ بالشهادتين والحصول على وثيقة إسلام .. ولما عرف الإسلام لم يراجعني بالزواج أبدا .. قضى حياته في مدينة نيويورك .. وقد تزوج فتاة هندية ، وأخبرني أنها أنجبت له ثلاثة مواليد ، وهو يعيش حياة سعيدة معها ومع أطفاله .. وهؤلاء الأجانب ذوي الأصول الأوروبية يكتفون بولد واحد أو طفلين ..

ـ جزاك الله خيرا .. والأولاد كما تعلمين يعتبرونك أما وأختا لهم .

انتهوا من العشاء في غرفة الطعام ، وانتقلوا لصالون الفيلا حيث الدفء والأرائك الوثيرة يتسامرون ، وبعد قليل انصرفت البنت حليمة وأخوها مالك فهما طالبان في الجامعة ، وحليمة في السنة الأخيرة من الجامعة ، ومالك في كلية الهندسة الإلكترونية ، فهو الوحيد الذي تابع دراسته من أبناء حميد الذكور الأربعة .. وكانت هناء تحتضن محمدا ، ومجدي يجلس بجوار أمه فهو قد أصبح

يمشي بشكل جيد ، فقد تجاوز السنة من العمر ..
وبينما هم يتسامرون ويشربون
القهوة قال حميد لزوجته : ألا تريدين تزويج شمس ؟
تطلعت فيه وقالت بدهشة : كيف لا أريد ؟! وهل تكتمل سعادة الأم يا أبا محمد إلا بزواج ابنتها وابنها ؟.. هناك الزواج مدني .. يسجل في السجل المدني .. ثم يوثقه المرء حسب دينه وطائفته .. والطلاق مدني ، ويوثقه الإنسان حسب دينه ومذهبه .. ويحتاج الطلاق لمحامي الأسرة .. والزواج المدني سهل الانفكاك منه .. وقد لا يترتب على الزوج التزامات مالية .. الفتاة تتخذ صديقا لها يعاشرها معاشرة الأزواج دون الالتزام بنفقة لها ودون الالتزام بالأبناء وعندما يجد فتاة جديدة يترك تلك ، فالكثير يبعد عن الزواج الرسمي خاصة في فترة الشباب فالزواج الرسمي يترتب عليه عند الانفصال أخذ الزوجة نصف ثروة الرجل ليتم الطلاق .. أو أي مبلغ يتراضيان عليه .. لذلك اخترع الزواج المدني للتخلص من التبعات المالية وعدم الطلاق .. زواج شكلي صوري صورته زواج

ـ ربما لو أتت هنا تيسر زواجها التقليدي

ـ شمس كما تخبر يا أبا محمد ولدت في كندا ، بعد وصولنا إليها اكتشفت أنني حامل .. فهي ابنة كندا ، واندمجت في الحياة الكندية اندماجا كاملا ، فليس عندها اعتبارات لعاداتنا وتقاليدنا ..

رن جرس الهاتف فقامت زهيرة إليه ، فلما تكلمت وسمعت قالت : سبحان الله إنها شمس .. الخلوي في غرفتي ، كنا نتناول العشاء وكنا في سيرتك الآن

ضحك حميد وقال لامرأة عمه وزوجته معا : سأدخل أتوضأ وأمشي للمسجد هل يلزمنا شيء فتمتمت هناء بلا أدري ، وهزت زهيرة رأسها بنعم ، فدخل المرحاض ، وكانت شمس تقول بعد التحية : هناك مشروع زواج جديد ، والعم هنري طلب مني الحديث معك ، وأتشاور معك وها أنا أفعل .

ـ حياتك هذه وليست حياتي .. بارك الله في العم هنري .. قبل لحظات كان عمك حميد يتحدث عن زواجك

ـ هذا أنا مهمة .. هل لديكم عريس ؟

ـ عندما تأتين يتوفر العريس

ـ وهل يقبل عريسكم بفتاة تعرضت لاغتصاب من ثلاثة شبان وشوهوا صدرها ؟!

ـ المطلقات يتزوجن وكذلك الأرامل

ـ نعم ، ليست كل النساء أبكارا .. كيف صحة إخواني مجدي ومحمد ؟

ـ الحمد لله ، مشتاقون لأختهم الكبيرة

ـ معقول هذا ! هل يعرفون أني أختهم الكبيرة يا أمي ؟ هل يتكلمون؟

ـ مجدي يقول بعض الكلمات

ـ مجدي .. هذا اسم جدي أبوك

ـ رحمه الله

وكان حميد قد توضأ فقالت له : سأتصل بك عندما تغادر المسجد

فحياها وغادر فتابعت زهيرة الحديث مع شمس فقالت : آ يا شمس ما حكاية العريس ؟ عريس العم هنري .

ـ العم هنري صديقنا الوفي ما زال يهتم بي أكثر منكم .. على كل حال كما تعلمين أن مادلين تعمل معه في نفس المشفى .. فهناك طلب صديق له ابنته لابنه ، ومادلين لا تريد الزواج من مسلم تريد زوجا ملحدا كما قال لي ، فذكر له بنت صديقة له في كندا مسلمة وصارحه بمأساتي والجريمة التي تعرضت لها ، والرجل يسعى للزواج من فتاة تحمل جنسية أمريكية أو كندية ليحصل على جنسيتها والمواطنة الأمريكية أو الكندية.. فالرجل إندونيسي مهاجر .. أخبرني بذلك وطلب مني الحديث معك في هذا الموضوع .. فالعم هنري ما زال صديقا للعائلة

ـ هل رأيت الرجل ؟

ـ أنا ما زلت في كندا لم أر أحدا .

ـ حسنا ، رأيي أن تتوكلي على الله .. ليس للزواج الإسلامي مثيل في العالم .. فالبيت هو السكن الحقيقي للإنسان

ـ شكرا أمي



قصص وحكايات الفوارس

انتقام الفارس شهدون

الحلقة الثالثة والأخيرة

شوك الفلاة

تفقد شهدون رجاله ، فلم يقتل منهم أحد بفضل الله إنما هي بعض الجراحات ، قد كان شهدون قد دربهم أحسن التدريب ، وهم يلبسون الدروع وبين أيديهم أشهر السيوف في ذاك الزمان ، وداووا جراحاتهم ، وبعدما استراح الفرسان عدة ساعات تابعوا السير نحو الغابة التي دخلوها مع جنح الظلام ، فقرروا المبيت فيها فأشعلوا النيران ، وتناوبوا على الحراسات حتى الصباح ، ومع شروق الشمس استيقظ الرجال ، وكانت طريقهم إلى مدينة تسمى "شوك الفلاة" ، ونزل شهدون على أحد أطراف المدينة ، وأخذ سلطان الزمان وبعض الفرسان ودخل المدينة يسأل عن أم خلدون ، إنه ما زال يرسم في مخيلته المنزل القديم،

ذهب إلى هناك وسأل، لا أحد يعرف من هي أم خلدون؟ لا أحد يتذكر صفتها؛ ولكنهم صدفوا رجلا كهلا قال له : يا هذا.. إنني أتذكر رجلا كان يعيش هنا منذ عشرين سنة بهذا الاسم .

وساقهم حيث المنزل، ولكنهم لم يجدوا صاحب البيت فيه، وكانت قرب البيت شجرة فجلسوا تحتها ينتظرون الرجل المذكور، وبينما هم يستريحون في ظل الشجرة العملاقة اقتربت منهم شرذمة من الفرسان بقيادة رجل كهل كث اللحية جهوري الصوت يقول لهم : أيها الرجال أنتم مقبوض عليكم بأمر الحاكم .

فقال أحدهم : ولماذا ؟ ألأننا غرباء عابري سبيل ؟! .

فقال الرجل : أرجوكم اتبعونني ومن غير جدال ، ولا احتجاج ، ولا فوضى ، وهناك تكلموا بما أردتم .

فقال شهدون : أيها الرجل سنذهب معك ؛ ولكن هذا ـ وأشار للدليل ـ ليس منا هو منكم جاء بنا ليدلنا على رجل يعيش هنا اسمه سعيدون فاسمح له بالانصراف

فقال الكهل : كلامك لطيف أيها السيد ، ولكن لا أسمح لأحد بالانصراف فمطلوب مني أن أحضركم جميعا .

قال شهدون : حسنا أيها البطل الشهم اركبوا أيها الرجال على خيولكم واحملوا معكم أخاكم

فعاد الرجل الكهل يقول : مهلا أيها الرجال .. لا تركبوا أخشى أن تهربوا .. سلموا أسلحتكم وخيولكم وإلا ..

فاحتد شهدون وقال بحدة: إلى هنا وبس !.. إما أن نركب خيولنا وعلى جنوبنا السيوف وإلا القتال يا هذا .

فأشار الكهل إلى رجاله فأخرجوا سيوفهم واستعدوا للقتال .. وفي هذه الأثناء كان شهدون قد قبض على الكهل فجأة وطرحه أرضا وهو يقول : لا ينفع معك إلا هذا ..

ثم كتفه وشد وثاقه ، ثم قال لفرسان الحاكم ورجاله : هيا سيروا بنا إلى مولاكم الحاكم .

وأشار لسلطان الزمان بإحضار الفرسان ، فتخلف سلطان الزمان عن القافلة على حين غفلة ، وبعد ساعة من الزمان كان شهدون يطرح الكهل أمام الحاكم الملك خبرون وهو يقول : ما علمنا في البلاد التي جبناها شرقا وغربا أن يتعرض لنا ملك بالأسر والهوان .

وقف الملك خبرون مضطربا وغاضبا وقال : هذه جريمة كبرى أيها الفارس !

فقال شهدون : شهدون بن حمدون الحكيم .

فقال الملك بغضب : من رعايا أي ملوك الدنيا أنتم ؟

فقال شهدون : من رعايا ملك هذه البلاد .

فاحتار الملك وقال : ماذا ؟! أتهزأ بنا أيها الفارس ؟!

فقال شهدون بصدق : معاذ الله .. أنا من هذه البلاد شوك الفلاة ..

وقص قصته قصة هربه للغابة قبل سنوات ، فلما انتهى منها التفت الملك إلى وزيره ونظر إلى عينيه نظرات عميقة ثم هتف دهشة : أيمكن هذا ؟ .. ولكنك قلت أن أباك حمدون ؟

فقال : الحق أنني لا أعرف أبي جيدا ، لقد هلك وأنا رضيع ، وكان يدعى على ما أذكر "سالمون"، ولي أخ اسمه خلدون ، وتركت أما، وهربت من العدو المجهول للغابة، فكفلني الحكيم حمدون في كهف الشروق فصار أبي .. ولكن الأصل أنني من هذه البلدة ..

كان الملك كلما ذكر علما من الأعلام أثناء كلام شهدون ينظر إلى وزيره فإذا الوزير يقول

هامسا : لقد اعتقدنا أن ذرية سالمون هلكت جميعها

فاشتد غضب الملك وهو يحدق النظر في عيني وزيره الذي قال : لا عليك يا ملك الزمان أمر ومضى .

فقال شهدون والريبة تغزو قلبه : إني أسمع كلاما أشعر بأنه يخصني أيها الملك هل تعرفون أبي يا كرام ؟!

فقال الملك: لا يا شهدون .. فأنت قادم تبحث عن أهلك وأمك ولكن نصيحتي إليك بأن تترك البلد وتخرج فورا ، وسوف أعفو عنك لتجرئك على خادمي وإن قبضت عليك مرة أخرى فمصيرك السجن والموت .

فضحك شهدون وقال : ما هكذا تتحدث الملوك العادلة ؟ .. فأنا صديق ملك بلاد الفند الملك جهازون ، وصديق الملك برديس ، وكثير من الملوك ما رأينا أحدا يخاطبنا بالظلم ويطردنا ، ولا يساعدنا في البحث عن أسرتي التي فقدتها منذ عمر

فنهض الملك عن كرسيه وقال : لا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام في حضرتي ، وأنا صبّرت نفسي عليك .. أنا أعفو عنك لصداقتي لملك الفند .. ما هذه الضجة يا وزيري ؟!

خرج الوزير وعاد بعد قليل وهو يقول : فرسان هذا الرجل يسألون عنه .. انظر إليهم الفارس حتى يطمئنوا على حياتكم .

شكر شهدون الملك وقال : هيا أيها الفرسان .. إلى اللقاء يا ملك الزمان .

فقال الملك بغضب : إنك جسور .

فرد شهدون : ألم تسمع بي أيها الملك الصنديد فاسأل صديقك ملك الفند ؟

وغادر القصر سريعا وخرج من المدينة على عجلة ، وهناك عقد اجتماعا مهما مع فرسانه ، وفي هذا الاجتماع تقرر خطف الوزير لمعرفة حقيقة سالمون، وفي مغارة كبيرة في أحد الجبال اتخذت مقرا للنوم وتدبير الخطط نزل شهدون وفرسانه ، وبدأ يرسل الرجال بثياب العامة إلى المدينة متنكرين ليرسموا حيلة يصطادون فيها الوزير .

مضى شهر من الأيام ، وقد نسي الملك ووزيره شهدون وجماعته ، وقد تجمع لدى شهدون معلومات عن قصر الوزير وحركاته ؛ وذلك بواسطة العيون التي سكنت المدينة ، في الليل يتسلل أحد الرجال ويلتقي بالعيون ، ويأخذ منهم الأخبار وينقلها لشهدون ، وقبل تنفيذ الخطوات الأخيرة من خطة خطف الوزير، تنكر شهدون على صورة رجل أعمى ودخل المدينة برفقة رجل يقوده ، وزار قصر الوزير ونظر موقعه وعدد حراسه، ثم سار لبيت سعيدون ولم يجده ، وبعد أيام من تنكره عاد للكهف ، ووضع الخطة النهائية لخطف الوزير وزير الملك خبرون ، وقبل تنفيذ الخطف لاستجواب الوزير، نزل شهدون البلدة سرا ورتب الأمور والتقى بالرجال الذين نزلوا وسكنوا المدينة ، وبالقرب من منزل الوزير بعد ثلثي الليل ترك رجاله حول القصر ، واقترب من حراس القصر ، وطلب عريفهم وذكر له رغبته في مقابلة الوزير لأمر هام ، وأمام إصرار شهدون على لقاء الوزير وعدم تصريحه بالسر الذي يريد أن يبوح به للوزير أرسل عريف الحرس جنديا للوزير الذي رفض المقابلة في مثل هذا الليل وفي مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؛ ولكن الجندي لما ذكر له اسم شهدون بن حمدون وبعد تردد أذن له بالدخول عليه، ولما التقيا قال له الوزير غاضبا : هل عدت للمدينة مرة أخرى ؟! .. ألم يحذرك الملك من البقاء هنا ؟ وما هي الأسرار التي ترغب في نقلها اليّ في مثل هذا الوقت ؟!

فقال شهدون بصوت خفيض : لقد غادرت المدينة أنا والفرسان ؛ ولكن بعد زمن وقع في نفسي أنك تعلم سر اختفاء أمي وعائلتي فجئت إليك لأسمع القصة وأعدك أنني بعدما تطمئن نفسي لما عندك من الحقائق أن ادع المدينة والتحق ببلاد الفند أو كهف الشروق أيها الوزير .

فغضب الوزير بشدة وغيض وقال : ألهذا جئت اليّ ؟! .. أيها الجنود اطردوه وانبذوه خارج القصر .

نهض شهدون وهو يقول : شكرا لك .. سأخرج بنفسي لا داعي للطرد والشدة .

وقاده الجنود إلى خارج القصر ، فشكرهم على تعاونهم وعاد للجبل ، وبعد أيام ثلاثة طلب من

رجاله تنفيذ خطة خطف الوزير كما رسمها ، كان لشهدون عين حول قصر الوزير ترصد الموقف ، وقبل السحر تقدم فارس متنكر بلباس حرس السلطان ، وطلب رئيس حرس الوزير وقال له بشدة متظاهرا أنه يعرفه : يا همران ألم يأتك "بلمز" - اسم أحد خواص الملك - لقد أرسله الملك باستدعاء حضرة مولانا الوزير .. فالملك يرغب بلقائه ، وقد تأخر"بلمز" ، ولم يحضر الوزير فأرسلني مولاي الملك إليه .

فقال رئيس الحرس : لم يحضر "بلمز" وهل أنت جندي جديد ؟!

رد الرجل : لا.. ولكني التحقت بحرس الملك حديثا .. لقد كنت من جنود حرس مولانا القاضي مشهورون .. عجل بإخبار الوزير بحاجة الملك إليه .. لا أريد أن أعود ثانية سلام .

وتظاهر بالانصراف فصاح رئيس الحرس : تمهل يا هذا حتى أتكلم مع سيدي الوزير .

فقال الرجل : صديقك شبل .. أخبره أن الملك يريده في بستان الورود قرب النهر إلى اللقاء .

ابتعد شبل ، ودخل الحرسي ،وأيقظ الوزير ، وأطلعه على رسالة السلطان ، فنهض ولبس ثيابه وقال : أين الجندي ؟

فرد أحد الحرس : ذهب أمامك يا سيدي ليطمئن الملك على قدومك .

فقال رئيس الحرس : هل اتبعك يا سيدي ؟

فقال الوزير : حديقة الورد ليست بعيدة .. لا داعي .

ومشى الوزير وحده في جوف الليل نحو حديقة الورود حتى توارى عن قصره ، وانحرف يسارا نحو طريق يؤدي إلى الحديقة المذكورة ، وفيها اقترب منه رجلان بلباس حرس الملك وقال أحدهم : سيدي الوزير هل حضرت ؟

فرد بسرعة : نعم .

فقال أحد الحرس : نحن في انتظارك يا سيدي .

واقتربا من الوزير ، وقام أحدهم بوضع يده على فمه فإذا هو مكبل بالحبال بدون صوت ، ومشوا به مائة خطوة ، ثم حمل على بغل، ومن مكان إلى آخر أصبح الوزير في كهف الجبل ، ووجد نفسه بين رجال تقدح عيونهم جمرا ، ثم قدم له طعام وماء ، ولا أحد يكلمه حتى أشرقت الشمس ، وبدأت الحياة يوما جديدا .

دخل شهدون على الوزير المخطوف ، وهو يلبس إحدى ملابسه الأميرية التي حصل عليها من ملوك الفند وبرديس ، وبعد التحية قال شهدون بقوة : اسمع أيها الوزير باختصار أرغب معرفة الحكاية من البداية وإلا أرسلت رأسك إلى مولاك الملك ، وسوف يكون هو الآخر هنا بعد أن يرى

رأسك مضرجا بالدم بين يديه .. أريد أن أعرف قصة أمي وأبي وأخي خلدون .

فرد عليه الوزير بسخط وحقد : لا كلام عندي أيها الجبان الغادر .

فرد شهدون: أتيتك بالحسنى .. جئت القصر لأسمع فطردتني .. فكيف سأجبرك على الكلام إن لم أخطفك لتعرف قوتنا وتفوه بما في صدرك من أسرار ؟

فقال الوزير: لا أتكلم إلا بحضرة السلطان .

ففكر شهدون بشرط الوزير وقال : كيف يكون ما تريد ؟!

قال الوزير بحقد: تصرف ..

فجحره شهدون لحظات ثم قال بعنف : حسنا ، بعد ثلاثة أيام سأعود إليك ثانية لعلك تبوح بالأسرار عندما تذوق طعم الأسر والهوان .

لقد اضطربت المدينة اضطرابا شديدا على اختفاء الوزير، وأصابت الدهشة الملك وحاشيته وقد احتاروا في تفسير غياب الوزير .. ومضت ثلاثة أيام ولا حس ولا خبر عن الوزير ، وفي الجبل أصر الوزير على عدم الحديث ، وهو يعلم علم اليقين أن شهدون لن يقتله قبل أن يعرف سره العميق ، التقى به شهدون مرة أخرى ، ولكنه رفض الكلام ، فلما يئس منه أخبره بأنه سيظل سجينا حتى تضعف نفسه عن المقاومة ، ووقع في نفسه خطف الملك خبرون وتشاور شهدون مع رجاله في ذلك وقال سلطان الزمان : إذا كان في خطفه يؤدي للغاية التي تسعى إليها من كشف السر فافعل مع في ذلك من أخطار .

فقال شهدون بحزن قاتل : إني أريد أن أعرف مصير أهلي .. لو تكلم اللعين لتركته وغادرت هذه البلدة إلى مكان نرى فيه ظلما فنرفعه عن الناس .. أريد أن أرتاح يا سادة .

وأخذ في البكاء والنشيج حتى أبكى القوم معه ثم قال : دعوني أفكر أيها القوم .

وبينما هم يودعون زعيمهم إذ دخل أحد الرجال قائلا : لقد وجدنا الرجل الذي نبحث عنه منذ دخلنا هذه المدينة وقد أحضرناه .

دخل الرجل العجوز ، فرحب به شهدون ، وأمر له بالطعام والماء، ولما استراح من صعود الجبل سأله الفارس الحزين عن أم خلدون فقال الرجل بألم واضح في كلامه ونبرات صوته : نعم ، إني أذكرها أيها الفارس .. لقد كنت جارا لها منذ سنوات طويلة ؛ ولكن ما علاقتك بها وما شأنك بها ؟!

تمالك شهدون نفسه وأعصابه وقال : سأقول لك فيما بعد أيها الشيخ الطيب ما شأني معها ؛ ولكن قل لي أين هي الآن ؟ وما تعرفه عنها ؟ فإن ذلك يهمني .

حسن الشيخ الكبير من جلسته وقال : بما أنكم غرباء ولستم من أهل هذه البلدة سأذكر لكم قصتها أيها الاخوة الكرام .. هذه السيدة الفاضلة كانت زوجة لأحد قضاة شوك الفلاة يدعى القاضي سالمون ، وكان هذا الفاضل يحب الأمانة والعدل ونصر الضعيف ورفع الظلم عن الفقراء والمساكين ، وذات مرة شكت إليه امرأة من عامة الشعب أن ابن الوزير المفقود منذ أيام قتل زوجها ، وأمر رجاله بنهب متجره الكبير في سوق المدينة ، واستمع القاضي لشكوى المرأة وذهب وعاين الموقع ، واستمع من أصحاب الحوانيت ، فدخل على الملك وطلب القصاص من ابن الوزير ، فغضب الوزير منه أشد الغضب ، ولكن مولانا القاضي طلب تحقيق العدالة ورفع الظلم والقصاص من القاتل ، وأصدر أمرا باعتقال ابن الوزير لمحاكمته محاكمة عادلة ، وحاول الملك تهدئة الأمر ، وثني القاضي عن هذه الحكومة ، وفي أثناء الجدال والمناورات قام أحد أبناء القتيل باغتيال ابن الوزير وهو في سجن القاضي ، افتعل الشاب معركة ولما حبس مع ابن الوزير فغدر به ، فجن الوزير واتهم القاضي بالتواطىء مع القاتل ، فأمر بحبس واعتقال القاضي للتحقيق معه وبعد شهور حكم عليه بالقتل هو وابن القتيل الأول ، وصودرت أمواله وطردت زوجته وولداها ، كان للقاضي ولدان أحدهما خلدون ، وكان في ذلك الحين شاب ابن عشرين سنة ، وولد صغير اسمه عمارون ابن ثلاث سنوات ، المهم أن الأسرة ذاقت الذل والهوان والفقر بعد مقتل الأب القاضي حتى أن أقاربهم ابتعدوا عنهم خوفا من بطش الوزير ، وبعد سنة ونصف من مقتل القاضي سالمون حاول خلدون قتل الوزير ، فكمن له في طريقه ؛ ولكن الطعنة كانت ضعيفة وفاشلة فقبض عليه وأعدم بعد أيام والولد الآخر كما أخبرتني أمه أن رجلا مشفقا أخبرها أنهم يريدون قتله قبل أن يكبر، فأمرته أمه أن يشرد جهة الغابة الكبيرة ، وبعدها لم نسمع عنه شيئا ، فقد قيل أن الوحوش افترسته ، ومنهم من قال أن أحد الناس أخذه ورباه ، وظلت الأم تعيش في المدينة في بؤس شديد وشقاء مرعب حتى ماتت منذ سنوات قليلة فحزنت عليها ، وتركت الحي الذي كنت أسكن فيه ، وما كنت أظن أن أحدا في الدنيا يسأل عنها في يوم من الأيام إلى أن وجدت هؤلاء الرجال في انتظاري عند البيت ، وحدثوني بأمرك وحاجتك ، فجئت بدافع الفضول لأرى من هو الفارس المهتم بهذا الأمر بعد كل هذه السنين

كان شهدون ومن حوله من الرجال يبكون بحرارة وحزن عندما مات الأب والأخ ثم الأم ، وأخذوا يواسون أميرهم ويعزونه بألفاظ المواساة

والصبر حتى أن الرجل شاركهم البكاء، وهو مدهوش لأمرهم، فتسأل عن ذلك فقيل له " إن هذا هو الابن الهارب الذي اختفى عمارون"
تفاجأ العجوز وزاد نحيبه، وقام يعانق الأمير ويبكي ويحدثه عن أمه بحرقة وعن العذاب الذي تعرضت له من رجال الملك والوزير ، واستمرت الدموع والتنهدات تنزف، وشهدون كلما خفت الدموع يقول : حدثني يا سيدي الشيخ عن أمي المعذبة ..أمي المفجوعة بزوجها وولديها يا الله يا الله ! أرأيتم أيها الرجال كيف حفظني المولى لأنتقم من هؤلاء الظلمة والفجرة ؟ .. أرأيتم كم من التضحيات يدفع الإنسان من أجل إحقاق الحق ورفع الظلم ؟! .. ولكن الطغاة لا يرون العدل ولا يحبونه إذا اقترب منهم ..أنا سيف النقمة يا طغاة شوك الفلاة .

وبعد ساعات من الذكريات والدموع الغزيرة هدأت نفس الأمير شهدون ، فرقد على فراشه ونام نوما عميقا .

بدأ التفكير في خطف القاضي الظالم أو المشارك في الظلم والذي حكم على سالمون بالموت فإذا هو كبير قضاة الملك خبرون، ونزل شهدون البلدة متنكرا بزي رجل فقير أعمى ولقي عيونه في المدينة ، وطاف حول قصر كبير القضاة ، وجمع المعلومات عنه وعن حركته ليرسم خطه نقله إلى الجبل ، وبعد تفكير ونظر رأى شهدون أن يتبعوا معه نفس خطة خطف الوزير يستدعى ليلا لقصر الملك ؛ لأنهم اكتشفوا أن رجال الحاكم لم يعرفوا الحيلة التي سقط فيها الوزير ؛ ولاعتقاد بعض الناس أن الوزير اختفى بنفسه ؛ لأن رئيس الحرس أخفى سر خروج الوزير ليلا ، ولما تهيأت الخطة نفذت بحذافيرها ، فكان كبير القضاة بعد أيام يجلس مع الوزير، فلما رآه دهش وتعجب الوزير من خطف القاضي ، فزاد خوفه وقلقه وتيقن القصاص والموت ، وطلب لقاء شهدون ، فرفض اللقاء بهم حتى يجلب إليهم الملك فهمس في أذن القاضي : ساعة الحساب دنت أيها القاضي !
فقال القاضي بخوف وتوتر : الانتقام ممن ؟!
فتبسم الوزير بغيظ من تظاهر القاضي بالبراءة وصاح : منا !.. لابد أنه عرف الحقيقة.. عندما دخل علينا بعد كل هذه السنين أشرت على الملك بقتله ، فقال "دعه إنه لن يعرف شيئا، ولن يستطيع فعل شيء" .. إنه ابن سالمون القاضي القديم .
جفل القاضي وصرخ فزعا وصاح : ويلاه! .. إنه الموت الأحمر!
دخل الرعب في قلب القاضي ، وأحس أن سيف العدالة فوق عنقه، وتسربت لنفسه الضحايا الذين

فتك بهم بدون روية وإنصاف ورحمة، ضحايا المصالح والهوى والشهوة .

وتعجب الملك من اختفاء القاضي المشهور، وقيل له خرج بعد منتصف ولم يعد، ولما دقق في الأمر كم كانت دهشته عندما علم أن حرسيا من حرسه ذهب إليه في الليل يطلبه للملك! فأنكر الملك طلبه له ليلة أمس، وعرف أنها حيلة لاصطياده، فاتصل بحرس الوزير ووجد أن الأمر حصل مثله مع الوزير، فأحس وشعر بأصابع شهدون تتحرك وتعمل، فعادت به الذكرى إلى القاضي سالمون ومقتله، فردد بين جوانحه : هل حان سيف العدل والانتقام ؟! .. هل لي من لقاء بشهدون ؟.. ولكنه ترك البلدة ولم يعد .

طلب الوزير الجديد وحثه على البحث عن رجل اسمه شهدون ، وذكر له أهم أوصافه ؛ ولكن كيف يرون البحث عن رجل مجهول الإقامة؟!

أما شهدون فكان يفكر في خطة وحيلة لاختطاف للملك خبرون ونزعه من بين حراسة الأشداء ، وقال لنفسه : لن نعدم ثغرة نصل منها إليه .. العدل لابد أن يتحقق ويأخذ مجراه .. القصاص القصاص أيها الظلمة .

اندس رجال شهدون بكثرة في المدينة لرصد حركات وأخبار الملك ، وبعد حين قصير تحقق لديهم معلومات كافية عن قصور السلطان وأكثر الأماكن التي يتواجد فيها ويتردد عليها ، وكانت المعلومات تقدم وتوضع أمام شهدون ليجد فيها الثغرة التي يستطيع أن ينفذ منها إلى السلطان ، وكان البحث عن الوزير والقاضي قد خف ، وقد يئس رجال الشرطة من الوصول إليهما ، فقد خطفا بطرق محكمة غامضة ، وكان من الأخبار التي جمعت بين يدي شهدون عن الملك أنه أحيانا يخرج ليلا في نزهة على أحد القوارب في النهر الذي يحاذي المدينة ، ويخرج الملك من قصره عند النزهة البحرية عند نصف الليل ومعه بعض الحراس الأشداء إلى قصره القريب من النهر ، ويمكث فيه ساعة من الوقت ، ثم يصعد القارب مع أحد ندمائه والبحارة ويتجولون في النهر ساعة ثم يعودون للقصر النهري ، فقد رأى شهدون أن فرصة خطف الملك في النهر فرصة طيبة ومشجعة لأنهم لن يتوقعوا هجوما على الملك في النهر.. وبدأ يرسم الخطط المناسبة فقد قام رجلان من أصحابه بشراء قارب صيد من أحد الصيادين ، وتمرنا عليه ، وقاما بربطه في مكان مناسب من النهر حتى يخرج الملك في ليلة من الليالي للنزهة ، ثم يتم اعتراضه في النهر ومن النادر أن يعمل الصيادون والملاحون في الليل في تلك البلدة ، وفي ليلة من الليالي وبعد طول انتظار أخبر شهدون بذهاب الملك إلى قصر الماء أو قصر النهر .. فقاد مجموعة

من الرجال إلى موضع القارب الرابض على طرف النهر.. وبعد حين مر القارب من ناحيتهم ، وكان عليهم اعتراضه أثناء العودة للقصر ، فركب خمسة من الرجال على متن القارب ودخلوا وسط النهر ، فلما عاد قارب الملك اعترضوه فظن أصحاب الملك أنهم جماعة من السكارى والمتسكعين ؛ ولكنهم صعدوا قارب الملك بسرعة ، وبدأت معركة لم تدم طويلا لأن المفاجأة سهلت لهم الانتصار ، فكتفوا رجال الملك الأربعة ، وكمموا أفواههم ، وفعلوا بالملك المرعوب مثلهم وقادوهم للشاطئ ، وقد أصابهم الجزع والخوف الشديد ، وكان رجال شهدون ينتظرون على طرف النهر بين الأشجار ، وقد نزلوا بحذر شديد خوفا من أن يكون أحد سمع صراخ المعركة وبعد ساعات كان الملك خبرون أسيرا في الجبل يجلس بين يدي الوزير والقاضي ، وهو مصفر الوجه يشابه الأموات من الرعب ، فلما رآهم دهش وقال : من أتى بكم إلى هنا ؟! فاستمع لقصص خطفهم ، وروى لهم ما جرى معه بانذهال شديد ، وعند الظهيرة دخل عليهم شهدون وبعض الرجال والزعيم الأعور سلطان الزمان ، ورحب شهدون بالملك الأسير وقال : أيها القوم جمعتكم لقضية قديمة تعرفون تفاصيلها ..وهي مصرع والدي القاضي سالمون وأخي خلدون وأمي المعذبة.. فهل عندكم من دفاع وحجج تقولونها أمام هؤلاء الرجال لعلنا نمتنع عن القصاص العادل والانتقام الحاضر؟ .. هات أيها الوزير حجة تدفع بها عن نفسك العقاب ابنك قتل زوج المرأة ظلما وعدوانا .. فلماذا لم تمكن القضاء أن يقتص منه؟.. ألأنه ابنك؟! وأنت أيها القاضي لماذا أدنت سالمون القاضي المدافع عن الحق والعدالة واتهمته بالمشاركة بقتل ابن الوزير ؟ هات حجة ترفع بها عن نفسك القصاص.. وأنت أيها الملك تعتبر شريكا لهم في الجرائم .. قتل زوج المرأة ومقتل أبي وأخي خلدون .. فهل عندكم من شيء تدفعون به انتقامنا عن أنفسكم المجرمة فأسمعوننا إياه ؟!

صمتوا لم يتفوه أحدهم بكلمة، لم تسمع سوى لهاث أنفاسهم، وترى نظرات أعينهم الواهنة ،

فغادرهم وأمر شهدون بعودة جميع الأعوان من المدينة استعدادا للرحيل عن هذه البلاد، وبعد أيام تحرك الفرسان مع أسراهم الثلاثة ، وكانت طريقهم الغابة المشهورة ، ومكثوا فيها أياما ، ثم تحركوا إلى بلاد السمر ، فرحب بهم الملك همام ووزيره عيون ، ولما استقروا في ضيافة الملك حدثهم الملك عن غارات العبد دوان على المدينة ، ونشره الفساد والقتل والرعب في أطراف المدينة ، فقص عليه الأمير شهدون معركته معه ومع رجاله وهربه مقطوع اليد ، ثم قص عليهم قصته مع ملك

شوك الفلاة ، فتعجبوا من جسارته على خطف الملك ووزيره وقاضيه ، وحزنوا لمقتل أبيه سالمون وأخيه خلدون ، فعرض عليه الملك الاستقرار في المدينة وتزويجه إحدى بناته الأميرات ، فاعتذر الفارس بعدم رغبته في الاستقرار في مكان واحد ، وعندما يفكر بالأسرة والأولاد يفعل الله ما يشاء ، فطلبوا منه المساعدة في القبض على العبد المتمرد دوان ، فطلب شهدون من سلطان الزمان رئيس القوم أن يختار له عشرة فرسان يتابعون معه المسير بالأسرى إلى كهف الشروق ، ويبقى الآخرون لمساعدة القوم حتى يعود من الكهف ، فسر الملك والأمراء بذلك، وقويت عزيمتهم بهؤلاء الفرسان الأشداء ، وتحرك شهدون ومعه عشرة فرسان على رأسهم جموح والأسرى الثلاثة ، واستمر السير حتى وصلوا للكهف بالأحمال ، معهم الطعام والثياب والهدايا لأهل الكهف من شيوخ شهدون وأصدقائه التلاميذ فاستقبلهم التلاميذ ، ورحبوا بهم والتقى شهدون بوالده بالكفالة حمدون ، وانسكبت بينهما الدموع والعبارات الصادقة بعد غياب أكثر من سبع سنوات ، وقد فوجئ بموت الزاهد بزغون ، وقد جلس على كرسيه الحكيم الزاهد حمدون ، وبعد الراحة قص شهدون على والده الزاهد مجمل حكايته الذي عاد لمعانقة ولده قائلا : لقد حزت الفروسية والشجاعة ، فقد مر بنا أحد تلاميذ الكهف من بلاد الفند ، وحدثنا عن أخبارك الطيبة ، وعجبنا لعدم وصولك إلينا مع أنك خرجت من تلك البلاد متجها إلينا ، وقد جاءنا رسول من الملك جهازون يطلب عودتك لبلاد الفند ، فقد تعرضت بلادهم لغزو جديد ، وقد هلك كثير من فرسانه ، ولحق بمدينة الملك برديس فهو في حالة قاسية فقد تحالف عليه خصومه.. فعليك يا ولدي يا شهدون أن تذهب لمساعدته، فهو يجمع جنده الناجين في بلاد الملك برديس .. فقد أحزننا حالهم جدا .

تعهد الابن أمام والده بنصرة ملك الفند وقال : دعني أتابع حكايتي أيها الزاهد .. فقص عليه لقاءه مع قطاع الطرق ، والملك همام والبحث عن والدته ، ومن ثم قصته مع الملك خبرون ووزيره وقاضيه وثأره عندهم .. واستمع حمدون لقصة موت والد شهدون بحزن وبكاء، فبكى هو ومن كان عنده من التلاميذ وفي نهاية المطاف قال شهدون : فيا والدي العزيز جئت أطلب منك النظر في أمر هؤلاء الطغاة ، وهل يحق لي الانتقام منهم وقتلهم وتخليص البشر منهم ومن ظلمهم ؟

وبعد حديث طويل حول الموضوع ذهب حمدون وجلس مع خبرون ووزيره وقاضيه ، وذكر لهم مقتل القاضي سالمون ومقتل ابنه خلدون ، ومحاولة قتل الطفل عمارون ، وأمام حديث الحكيم حمدون

قال الملك : صدق كل ما تفوهت به أيها الحكيم !.. لقد فعلنا ذلك في لحظات ضعف واغترار بقوتنا وسلطاننا؛ ولكن بعد هذه الرحلة في الجبال والوديان والذل الذي رأينا وحل بنا ألا يكفي هذا كفارة لنا ؟! .. فلنا أكثر من شهرين في ذل وهوان ، ونحن مستعدون أن ندفع أموالنا وملكنا لشهدون هذا ويغفر لنا جناياتنا ونسأل الله أن يتوب علينا .. إننا نادمون نادمون .

فقال حمدون : أيها الوزير أتقر بجرمك كما أقر سيدك الملك ؟

فقال الوزير والدموع تنساب على خديه : وهل بعد هذه المذلة والعذاب أن لا أعترف بما اقترفت يداي؟ .. لقد اعتادت نفسي على الجبروت والظلم يا سيدي الحكيم كنا نرى العدل والقصاص إهانة لنا وطعن في شرفنا كيف نتساوى نحن مع السوقة ونحن الأكابر والسادة ؟ ولكن بعد الحياة في الكهوف والسير في الجبال والوديان عرفنا الحياة ، أنا اعترف أنني غضبت من القاضي سالمون ، وأغريت الملك عليه والوقوف معي والتخلي عن القاضي بحجة أن لا نظهر ضعفاء أمام العامة من الشعب والأمة ، وأطلب الصفح ، وأنا مستعد لترك كرسي الوزارة للأمير الشهم شهدون .

فالتفت الحكيم للقاضي قائلا : وأنت أيها القاضي وممثل العدل والتعاليم والآداب ؟

فتنهد القاضي وقال : آه ! ماذا أقول يا سيدي الحكيم ؟.. الفتنة واغراءات الوزير اثنتني عن الحق والوقوف معه ، ورأيت بجبني وربما بحسدي مصلحتي الوقوف مع الأقوياء .. نسيت قوة الله وعقاب الله .. نسيت عاقبة الظلم والعدوان .. أنا أقر بأنني تآمرت مع الوزير وبرضا الملك أن نتخلص من القاضي الأمين الشجاع سالمون وابنه خلدون .. وجرى ما جرى .. وفي هذين الشهرين نسيت السعادة والمال والعز والقوة يا سيدي .. العفو والصفح .

سكت حمدون حينا ثم قال : حسنا أيها القوم !.. فقتلكم بعد اعترافكم لن يعيد الحياة لسالمون والأموات ، وأنتم باعترافكم تستحقون الموت .. أمهلوني أياما حتى أنظر فيما سمعت منكم وأتشاور مع شهدون لعله يتنازل عن حقه.. فاعلموا أيها السادة أنه أحضركم إلى هنا حتى يرى أنكم تستحقون القتل بعد كل هذه السنين ، ولم يقتلكم في بلادكم حتى لا يقتلكم شهوة وهوى واعلموا كذلك أن شهدون ولدي بالرعاية والكفالة.. وأنا علمته الحكمة والعلم ، وأرسلته للملك جهازون يتعلم الفروسية ، فنجح فيها نجاحا يفرح القلب .. وسأجد في قلبه رحمة لكم لعلكم تعرفون الرحمة فيما بعد ، وبما بقي لكم من حياة .

فهجموا عليه يقبلون يديه ، ويبكون ، وقد أحسوا بأمل في الحياة ، وتابع حمدون كلامه كأنه محذرا : مع أن التغير في طباع السادة والملوك ليس هينا .. سلام سلام .

تحدث الحكيم مع ولده شهدون بالحوار الذي حدث بينه وبين السادة الثلاث وإقرارهم وندمهم ورغبتهم في العفو والتوبة ، فأخذ شهدون بالبكاء والنشيج ، فتركه حمدون ساعة من الزمان ، ثم عاد إليه وقال : يا ولدي يحق لك أن تقتلهم فهم مجرمون سفاكون للدماء البريئة ، ويحق لك يا ولدي أن تعفو عنهم .. ولكني أرى أن قتلهم لن يعيد الأموات ، ولن يغير الحال وهم عرفوا الظلم وعاقبته ، وأن القصاص يأتي ولو بعد حين .. فالعفو عظيم لعلهم يغيرون من أسلوب حياتهم مع البؤساء والضعفاء ، ولك ثلاثة أيام تنظر في الأمر المناسب لك .. ففكر على مهلك يا ولدي الطيب .

وبعد الأيام الثلاثة كان شهدون في حضرة والده ، وأخبره أنه اختار الصفح والعفو ، وتركهم لله يفعل بهم ما يشاء ، وبعد أيام كان الأسرى يغادرون الكهف الواسع إلى بلادهم شوك الفلاة، ومعهم تلميذ من تلاميذ الكهف لنشر تعاليم شردي، وغرمهم الحكيم إرسال مؤونة طيبة للكهف كل سنة ، وإرسال بعض التلاميذ ليتعلموا الخير وينشروه في مدينتهم ، ولما وصلوا بلادهم بسلام كانت البلاد في صراع على الحكم والملك ، ووجد الملك ولديه منقسمين لحزبين والجيش مقسوم بينهم ، ودهش الناس من عودة السلطان بعد هذا الغياب ، ومعه أيضا الوزير والقاضي .

وخلال أيام هدأت الأمور والنزاعات بين المتنافسين على الحكم والمناصب ، فغير الملك وبدل وعزل ، وأمر بنشر تعاليم الكهف والفيلسوف شردي في المدينة والمساواة بين الطبقات ، وأرسل مع تلميذ الكهف خمسة غلمان ، وقافلة من الطعام والثياب ، وتحميهم مجموعة من الفرسان ، فلما وصلوا للكهف سر الحكيم من ذلك وقال لشهدون : أرأيت عفوك ماذا صنع يا ولدي ؟! فها هي تعاليم شردي الزاهد تجد قبولا في مدينة شوك الفلاة .. وأطلب منك بعد هذا النصر على النفس وشهوة الانتقام أن تتحرك لمساعدة صديقنا القديم جهازون ، وأرجو أن لا يكون قد فات الأوان .



مصير شهدون

ودع شهدون والده ، وأخذ فرسانه العشرة وأسرع نحو بلاد الملك همام ، ولما وصلها وجد الأفراح

تعم البلاد بسبب مصرع العبد الظالم دوان ، وقد صلب في قلب المدينة ، وقد أنعم الملك همام على الفارس جالود بسيف مرصع بالياقوت والزمرد ، وجالود هذا أحد فرسان الأمير شهدون ، فقد رتب كمينا لدوان فاستدرجه إلى طعم وفتك به وبرجاله ، وقد قص شهدون على مسمع الملك والأمراء ما فعله بالأسرى الثلاثة ، وأطلعه على مهمته الجديدة ، وأخبر رجاله بذلك ، ثم خيرهم بالبقاء في خدمة الملك همام أم السير معه إلى بلاد الفند ، فآثروا الرحيل ودوام الصحبة، فجرى لهم وداع تخللته ذكريات عميقة ، وأسف الأمراء لفراق هؤلاء الفرسان الشجعان الذين لا ينصرون إلا الحق ، ويدفعون أذى وشر الطغاة والجبابرة ويمنعون الظلم ، وتمنى لهم الملك النجاح في غايتهم القادمة وقال له مودعا : هذه مدينتكم في أي وقت أيها المغامرون الطيبون .. وسوف أرسل مجموعة من الغلمان لكهف الشروق للاستفادة من تعاليم الحكيم شردي، ونشرها في البلاد .. فهذا وعد مني بذلك .. وقد كنت أرغب بأن تكون صهرا لي ، فأنت إنسان لا يفرط بك ، ونحن مدينون لكم ولشجاعتكم .

وتعانق الرجلان ورافقوهم إلى ظاهر البلدة ، وعادوا لبلادهم ينعمون ببعض الهدوء والراحة بعدما قتل وهلك العبد الجبار دوان ، وسار الأمير المحارب شهدون ورجاله في الوديان والهضاب والجبال حتى أقبلوا على مدينة من المدن ، فلما أشرفوا عليها تذكر شهدون أنه دخلها من قبل ، وعاش فيها أياما مع العجوز شهبانة ، فأرسل بعض الرجال إلى أسواق المدينة ليتزودوا بالطعام ، وساق معه ثلاثة فرسان ومشى نحو بيت العجوز شهبانة ، ولما رأته العجوز عرفته على الفور وقالت بفرح ودهشة: الله! الله! كبرت أيها الفتى ! .. لابد أنك صرت فارسا وحققت غايتك ، فقد سمعت صهيل جوادك..أو معك فرسان .. أهلا أهلا بضيفي الصغير .

وأمرت العجوز جاريتها أن تقدم لهم الطعام والفواكه، وجلست تتحدث معهم، وقص شهدون عليها بعضا من أخباره حتى أنها كادت ألا تصدق ما تسمع ؛ ولكنها لما رأت ما عليه من مخايل الفتوة والقوة والذكاء والعضلات والهيبة والفرسان والسيوف المزدانة بالجواهر أقنعت نفسها بصدق ما تسمع ، ثم سألها عن نفسها وعن أخبار الأمير زمرار وهل جلس على تخت أخيه ؟ فأصابتها الحيرة والاستغراب وقالت : أعرفت بقصة زمرار ؟

فضحك وقال: في الليلة التي جاءك هاربا متخفيا سمعت بعض الحديث بدافع الفضول أيتها العجوز .. أخبريني ما جرى لهم ولصاحبك حازم

ضحكت العجوز شهبانة وقالت : إنك حذر وفطن وذكي الفؤاد يا شهدون .. لقد كان يجتمع هو وبعض أصدقائه عندي؛ ولكنهم فشلوا في مشروعهم ، ووقعوا في قبضة الأمير زيدان .. فمنهم من قتل ، ومنهم من هرب ، ومنهم من ألقي في السجن .. والأمير ما زال يقبع في السجن منذ سنوات ، وإني خشيت على نفسي ، وقبض عليّ ؛ ولكني ذكرت للقاضي أن بيتي مفتوح للأغراب والأضياف ـ وهذا أمر مشهور عني ـ ولا أهتم بمن يتآمر ويبيت عندي ، وشهد لي بعض الناس فتركوني ، وقد سلم المولى .. ثم تنهدت وقالت : آه! يا شهدون لو أنك فارس كما تدعي فتشفع لهذا الأمير المنكوب .

ابتسم الفارس شهدون ورد قائلا: ولكنه طامع في ملك أخيه ، فكيف يصفح عنه الملك ؟!

أجابت العجوز شهبانة : هو الابن الأكبر لوالدهم قسرون ، ولكن أمه ماتت وهو صغير، فأهمل الوالد تربيته بعدما تزوج من امرأة جميلة وداهية ـ وهي والدة الملك الحالي زيدان ـ فدفعت الأب بأن يجعل ولاية العهد لابنها ، ولما مات قسرون الأب التفت جماعة حول زمرار وأقنعوه بأنه الأحق بالولاية والحكم ، فطمعت نفسه لهذا المنصب، وهؤلاء الجماعة لهم مصالح ومطامع ، فخرج على أخيه بالسيف، فأباح الملك دمه فكبر الصراع ، وحاول زمرار وأعوانه إحداث فتنة تطيح بالملك زيدان ، فحدث الصراع بين أنصار الفريقين؛ ولكن أم الأمير زيدان استطاعت أن توقع به وبرجاله بالدس والحيلة والاغراءات حتى سقط ، فعطف عليه الملك زيدان ، واكتفى بحبسه، فهذه قصتهم بالتفصيل أيها الشهم .. فلو تشفعت فيه عند الأمير ، فإنك تنقذ جاهلا وليمش في أرض الله الواسعة ، ولن يعدم بلدا تؤويه .

فقال شهدون بحماس : سأفعل إكراما لك أيتها العجوز الماكرة والتقي بالأمير زيدان فإن رضي كان بها ، وإن لم يرض لن أفعل شيئا.. فأنا ذاهب في مهمة ، ولست بحاجة لصراع جديد.. ولكن من أجل كرامتك عندي، ومعروفك عليّ في الأيام الخوالي يا عجوز شهبانة سنحاول .

تناول الفرسان الطعام عند العجوز، وما كادوا ينتهون من الطعام حتى أحاط جنود الملك بالبيت ، وتقدم عريف الجند وطلب مثولهم بين يدي صاحب البلاد ؛ لأنهم مقدمة لجيش غازي، وقد أسروا مجموعة أخرى في سوق المدينة ، فنهض شهدون عندما سمع الكلام والاتهام وودع العجوز وهو يبتسم لها ويقول : أرجو أن أتمكن من تحقيق رغبتك مع هذا الأمير أيتها العجوز الطيبة كل السلام عليك .

وخرجوا من بيت العجوز فإذا بالفرسان يقبضون

على خيولهم ، فتكلم الأمير شهدون مع رئيس الجند بكلام لطيف، فترك الجنود الخيول لأصحابها ، وساروا جميعهم إلى قصر الأمير زيدان .

ولما دخل الأمير شهدون باب القصر وجد رجاله الخمسة الذين نزلوا إلى السوق أسرى مكبلين بالقيود وملقون على مدخل القصر ، فغضب شهدون لهذا المشهد ، ونزل عن جواده نحوهم وهو يصيح : من فعل بكم هذا ؟!

فاعترض طريقه الحرس وإذا بصوت في شرفة القصر يقول بصوت عال : نحن فعلنا بهم هذا وسنفعله معكم .

توقف شهدون عن المشي وأدار رأسه ونظر للأعلى وقال : لابد أنك أمير البلاد .. الأمير زيدان

دهش السامعون وقال الأمير : آ.. إنك تعرفني أيضا .. من أنت ؟! ولأي الملوك أنت تابع أيها المجهول ؟!

فقال شهدون وهو يتبسم : أيها الملك ..أنا الأمير شهدون بن حمدون .. لعلك سمعت بهذا الاسم من الركبان والتجار.

وشاهد الجميع أن شخصا يهمس في أذن الملك كلاما ، فنطق الملك على أثره : أنت شهدون بن حمدون فارس ملك بلاد الفند الملك جهازون.. الملك الهارب عند خصمه القديم الملك برديس

فقال شهدون: نعم أيها الملك ! أنا فارس من فرسان الملك جهازون .. وبما أنك سمعت بنا فأطلب منك يا ملك هذه البلاد .. أن تأمر رجالك بفك أسر رجالي على الفور، ورد خيولهم وأموالهم

تلفت الملك حوله وإلى رجاله وصاح : أتهددننا في عقر دارنا أيها المجهول ؟!

رد الفارس وفي صوته نبرة الضيق والغضب فقال : أيها الملك السعيد ! اعلم أنني في حالة من الغضب الشديد ..وإني أضغط على أعصابي قبل أن تنفجر بشدة لأول مرة في حياتي .. فأرجوك أن تأمر بفك القيود قبل فوات الأوان .

عجب الملك من هذه الجسارة ، وظن أن الرجل هو الملك وهو الخادم ، فأخذ يقهقه ويقول بغضب : إنك مغرور جدا يا هذا وصاح في الحرس : اقبضوا عليه أيها الجنود الجبناء .

وفي لمح البصر كان شهدون يمتشق حسامه ويحاكيه رجاله الثلاثة وفي دقائق خاطفة فكت قيود الرجال الخمسة ، وكانت معركة سريعة وخاطفة ، وبعد قليل كان فرسان شهدون الآخرون قد أتت بهم العجوز كما طلب منها شهدون خفية عن الجنود ، وفي ساعة كان الملك مأسورا بين رجال شهدون مطروحا على الأرض باحتقار شديد وفي دهشة مرتسمة على وجوه رجال القصر وأمر شهدون الأهالي الذين التموا على صوت المعركة بنهب القصر ، وبينما هم في

ذلك حضرت بعض الكتائب بعد أن لملمت نفسها لتدافع عن البلاد؛ ولكنهم فوجئوا بأن الملك ووزيره وبعض الأمراء أسرى بين يدي الأمير شهدون وفرسانه الأشداء ، ونصحهم شهدون بالانصراف ، وقاد الأسرى إلى خارج المدينة ، وعمت الفوضى في المدينة من نهب وسلب ؛ فكأن الناس كانوا ينتظرون هذه الساعة ، ثم لحق أعداد غفيرة منهم بشهدون وفرسانه وهم في استغراب لهذا الحادث العجيب، وتقدم بعض الأكابر من شهدون يتشفعون بملكهم المخطوف فأمرهم بالمسير للسجن وإخراج الأمير زمرار لتنصيبه ملكا عليهم ، فانصرف أكثر الناس إلى المدينة ، وخيم الهدوء على المكان فقال شهدون للأمير زيدان: كيف ترى نفسك الآن ؟!

فقال زيدان بانذهال واضح في ألفاظه : ما كنت أظن أني سأرى في حياتي رجلا مثلك بهذه الجرأة والقوة والسرعة والجنون!

فقال شهدون : لن أطيل معك الكلام .. هل تحب أن تعود لعرشك أم أضع أخاك مكانك ؟

فقال بانكسار : ماذا أقول وأنا في الذل والهوان ؟ فالأمر لك .. !

وكانت العجوز شهبانة التي سمعت بهذه الأحداث الكبيرة ، وقد أعجبت من سرعة شهدون بالعمل قد تبعت الناس ، وقد سمعت الحوار بين الملك وشهدون فتقدمت من شهدون وقالت : يا أمير شهدون أنا أمك شهبانة .. أطلب منك العفو عن الأمير زيدان وإعادته لملكه.. فالأمير زمرار رجل ضعيف ومريض لا يصلح لقيادة الناس، وسوف يعطف عليه أخوه الملك ويكرمه ويخرجه من السجن ويجعله من وزرائه .

فسكت شهدون بضع دقائق ثم أمر بفك قيود الملك وأعوانه ثم قال بقوة : أنا ذاهب لنصرة الملك جهازون الهارب .. وسأنفذ ما قالت العجوز الطيبة شهبانة للمعرفة القديمة التي كانت بيننا ..واحذر أن أسمع أنك غدرت بأخيك بعد ذهابنا ، وعليك بإكرام هذه العجوز .. وعليك أن تنسى ما جرى بيني وبينك .

وعاد الناس لمدينتهم بملكهم المذهول ، وتباطأت العجوز لتقول لشهدون : ما كنت أظن أنك بهذه القدرة والجسارة يا ولدي ! .. عندما أتيتني أول مرة كنت طفلا نحيفا رقيقا .. إيه عجيبة دنيانا ! وكم هي عجيبة !! .

مكث القوم حول المدينة أياما حتى تأكدوا أن الملك عفا عن أخيه وأكرمه ، فتحركوا إلى مدينة الملك برديس الذي تلقاهم بفرح وحبور شديدين ، وتألم شهدون لما حل بهم من الذل والهوان وروى الملك جهازون له ما حل بمدينته من الدمار، فوعده شهدون خيرا ، وبدأ سريعا بإعداد الفرسان

، وما مضت بضعة شهور حتى كان بين يدي شهدون خمسة آلاف فارس مستعدون للثأر والموت ، فزحف بهم شهدون إلى بلاد الفند ، وبعد مسير طويل وصلوا إلى الطرف الغربي من المدينة ، فأرسل رسالة إلى نائب الملك زهمان الأمير مهران ، كان في الرسالة بضع كلمات "الحرب .. الحرب .. الحرب" تلقى الأمير الرسالة وأمر جيشه بالخروج لصد الأمير الفارس شهدون ، فجرت معارك بين الطرفين وذات يوم طلب شهدون مهران أمير البلاد للمبارزة ، فلما رآه شهدون تذكر أنه التقى به قديما ، فدهش الرجلان عندما شاهد بعضهما الآخر فقال شهدون : ويحك ألست ذلك السيد المعتزل في أرضه بعد موت أبيه وأخيه ؟!

وقال الآخر: ألست ذلك الفتى الذي ترك الكهف ؟! وكان قادما لهذه المدينة لتعلم الفروسية !

فقال شهدون بدهشة : نعم .. أنا شهدون وقد أصبحت فارسا بفضل الله .. لا أدري يا سيدي كيف سأبارزك وأنت قد وعدتني بأنك ستذكر لي قصتك إذا التقينا ثانية ؟! .. كيف سأسمعها إذا قتلت ؟ .. وكيف تسمح نفسي بذلك وقد أمضيت عندك أياما وأكلت طعامك وأخذت من مالك ؟! .. أين زهمان اللعين ؟

فقال مهران: أواثق من نفسك أيها الفارس ؟! .. فلنتبارز .. فأنا أعفيك من دمي ومن معروفي

فقال شهدون : لن أقتلك يا هذا .. أرسل لي غيرك .. أرجوك افعل ذلك ؟

فضحك مهران وقال : أنت حكيم تحمل أحلام شردي ، كيف أصبحت مغرورا ؟!

رد الفارس قائلا : لا ؛ ولكني واثق من نفسي أيها الفارس .

فقال مهران وهو يسحب سيفه ويهوي به على شهدون : إذن فلنتقاتل .

ابتعد شهدون عن الضربة الغادرة، وأخرج سيفه من غمده ، والتقى السيفان وبعد حين كان مهران أسيرا بين يدي شهدون ، وأمر شهدون رجاله بالهجوم ، ودارت معركة حامية الوطيس وهزمت الحامية التي تحكم المدينة ، وفرح الناس بانتصار شهدون وفرسانه ، ودخلوا المدينة التي فتحت أحضانها لفرسانها ورجالها، ولما علم زهمان بهزيمة جنوده في بلاد الفند أتى بنفسه للانتقام ، فزحف بجيش جرار .

وكان جهازون قد أمد شهدون بجيش آخر، وعاد للبلاد بصحبتهم، وبجيش كبير من جنود الملك برديس على أثر النصر الذي حققه شهدون على رجال الملك زهمان.. ولما أتى جيش زهمان دارت معارك كبيرة ، وكان من نتيجتها مقتل زهمان، فزحف شهدون لبلاده ونهب خزائنه ، وزحف إلى بلاد الملوك الذين ناصروه ودمر مدنهم ، وخاصة

مدينة الجلاء ، وخضع له ملوك تلك المدن ، واعتذروا له عن تحالفهم مع زهمان، واعتذروا للملك جهازون بأنفسهم ودفعوا أموالا كثيرة لهم ، وبعد سنة من القتال والطحان عاد شهدون والفرسان لبلاد الفند مظفرا منتصرا ، واستقر الملك لجهازون بحماية الفارس الحكيم شهدون وجيشه المظفر ، ورحب الناس بفارسهم والجنود الظافرين ، وصمم الملك على تزويج شهدون من إحدى بناته فاعتذر الفارس ؛ ولكن الملك أقسم الأيمان المغلظة على هذا الزواج ، وأمام هذا الإصرار من الملك والأمراء تزوج الأمير شهدون من الأميرة شموخ صغرى بنات الملك جهازون، ثم أذن شهدون لفرسانه الأربعين بالزواج من بنات الأمراء والوزراء والاستقرار في بلاد الفند في رعاية الملك جهازون .

ثم أرسل الملك جهازون أموالا وغلمانا لكهف الشروق، ورسالة للحكيم حمدون سيد كهف الشروق ووريث الحيكم شردي والحكيم بزغون ، أطلعه فيها على النصر وزواج ولده من ابنته وبينما الناس في غمرات الأفراح والعدل جاءت رسالة من أحد السجون رسالة من الأمير مهران فتذكره شهدون وذهب لزيارته بنفسه ، وفك قيده وأخرجه وهو يقول : أنت ضيفي وصديقي وقاده إلى قصره القديم وهو يقول : الدنيا دول يا سيدي

فقال مهران : أنت السيد وأنا العبد .. والدنيا دول كما قلت .. عندما أتذكر اليوم الذي رأيتك في بستاني غلاما يقطع الفيافي والقفار وحيدا عجبت منك ، وأدركت أنك شجاع .. وأما أن أراك بهذه القوة والشجاعة ما فكرت بذلك قط أيها الصديق .. عندما علمت بقتلكم زهمان لم أكن أصدق ذلك .. إنه شرس عنيف دموي .. لقد كبرت وصنعت المعجزات أيها الامير !.. الدنيا ما لها أمان ..ولا يوجد فيها قوي !

بعد الضيافة كان شهدون يسأل مهران عن سبب تركه صيده وأملاكه ؟ فقال مهران : سأقول لك أيها الفارس النبيل .. كان أبي من رجال الملك عدون ملك بلاد الجلاء ، وكان لي أخ أكبر مني ، وأخ أوسط ، ولنا أخت واحدة تزوجها أحد الأمراء على كره منا نحن الاخوة أخي الأوسط تعلق بالعلم والفلسفة ، فسار نحو كهف الشروق ومكث خمس سنوات ثم عاد إلينا ، ثم اختفى بدون علمنا من جديد ، ونسيناه إلى أن كان يوما قتل فيه أخي الأكبر من قبل ابن عم الملك ، ولم نستطع فعل شيء ، فمات والدي حزنا وكمدا وحسرة ، ولا أملك قوة ولا حيلة ، وكنت متزوجا من إحدى الأميرات فطلقتها ، وقررت العزلة وسكنت في القرية التي مررت بها أثناء طلبك للفروسية في هذه البلاد ، وظللت على هذا الحال

.. الهروب من الدنيا والناس ، ولقد كنت فارسا في حياة أبي .. وكنت أنزل المدينة لزيارة أختي المظلومة إلى أن حلت الكارثة بجيش زهمان ، ونجا هو من الموت ، فلجأ للملك عدون ، فأمده بجيش من الغزاة ، وأعاد الكرة على بلاد الفند حتى انتصر عليهم ، وشتت فرسانهم وأذلهم بعد سنين من الحرب والقتال وهو صديق قديم لي ، فلما أتم انتصاره زارني في عزلتي ، واقنعني بترك العزلة والحزن ، فوهبني حكم بلاد الفند مع حامية من رجاله وجنود الملك عدون ، فمكثت حاكما لها نيابة عن الملكين حتى عدت يا شهدون وانتصرت علينا.. ويا ليتني بقيت في عزلتي ! والآن ما أنت فاعل بي ؟!

ضحك الفارس شهدون كثيرا ، وقال ضاحكا : سأعطيك حمارا وصرة من المال تعود بها إلى قريتك وتتابع عزلتك.. وأنصحك بالزواج لعل الله يهبك وريثا .. وكما ترى فالدنيا للأقوياء والفرسان يا فارس الصيد والقنص !



التحقيق الجنائي والجريمة

مسبحة اللؤلؤ ٢

٨

صباح الجمعة يكون قد مضى يوم ونصف على اختفاء السيد رفيق ، وعلم من موظف وخادم المقصورة الخاصة في القطار (رقم ٢٧) أنه دخل مقصورة



السيد رفيق بعد انطلاق القطار بنصف ساعة ، وأنه كان في كامل وعيه ، وكان ممددا على الأريكة في الحجرة ، وتحدث معه بهدوء وأخبره بأنه مسافر لمدينة الخد ، وأنه سينزل في محطة لبى ومنها للخد .. وتذكرة القطار كانت إلى محطة لبى كما فحصها ، وطلب منه عدم إزعاجه حتى يصل لتلك المحطة ، واعتذر عن وجبة الطعام وعن أي مشروبات أخرى سوى عبوة ماء قد يستخدمها عند شرب الدواء وأخبر الخادم أن مقصورته مضاءة طول الرحلة لم يرها أطفئت ..وأن القطار يتوقف على كل المحطات في الطريق للتحميل والتنزيل .. وفي إمكان أي شخص عند توقف القطار أن يدخل لمقصورة السيد رفيق ؛ لأنها لم تكن مغلقة من الداخل ..إنما الباب مردود بدون مفتاح .. وأخبر ناصر خادم ذلك الجناح أنه نظر مرة لداخل المقصورة من نافذة صغيرة أثناء تنقله في ممرات القطار .. فوجد السيد مستغرقا في النوم ، وكان نفسه مرتفعا إلى حد ما ..

والشرطة تتحرى حول صعود رجل في إحدى المحطات وإعطاءه مخدرا أو منوما .. أما ناصر فقد نفى رؤيته لشخص يدخل حجرة رفيق أثناء الرحلة .. وأكد أن أحد ركاب المقصورات الخاصة نزل قبل محطة عين المها ، وبعضهم ركب من قبلها .. فهذا شيء معتاد ..ولكنه استغرب نزول السيد رفيق في محطة عين المها .. ولكنه صعد بنفسه مع الرجل الأنيق ذي البدلة البنية ، ودخل الحجرة وشاهد الرجل يهمس في أذن السيد الذي بدأ منزعجا من دخولنا عليه ، وكان يبدو متعبا .. وقال : فأمسكنا به وقام زميلنا في المحطة بإنزال الحقيبة ، ومشينا به إلى السيارة البويك السوداء الغامقة وهو صامت أو مريض .. الإضاءة لم تكن قوية في ساحة المحطة .. وأجلسناه بجوار مقعد السائق .. وعدت مسرعا للقطار .. لأنه ليس أمامنا وقت طويل للانتظار .. عشر دقائق فقط .. وأخبر أنه لم يفكر أن يُعلم الرجل أن هذه المحطة لم تكن محطة لبى .. اعتمادا على وجود موظف المحطة خليل ، واعتمادا على صمت رفيق وهبوطه بدون احتجاج أو رفض .

كانت الشرطة تتحرك وتتبادل المعلومات والتحريات ، واستمعوا أقوال لمياء حول زيارة الأجانب الثلاثة له ، وتطور الأحداث معهم ، ومشاجرته معهم ، مما جدد له المرض .

ومضت ثلاثة أيام ولم يظهر للسيد رفيق أثر أو سبب لعملية الخطف ، ولم يتكلم خاطفوه مع أي جهة طالبين فدية ، كما هو معتاد في عمليات الخطف ، وكُلف المقدم الأمني عبد الكريم الناصر بالتحقيق ومتابعة ملف القضية من مرتب شرطة العاصمة ، والضابط عصام باب من مرتب شرطة مدينة الخد ولبى ، وكان المكلف المدني من الادعاء العام السيد يوسف محمد يشرف على التحقيق والقضية .

وشاركهم العقيد المتقاعد فيصل حسني والمحامي مجدي ، ولما لم ينكشف لهم شيء يبدد غموض هذا الاختفاء ، كشف لهم المحاميان قصة المسبحة اللؤلؤية واختفائها ، وبحثهما السابق عنها معتقدين أن لهذه المسبحة ربما دخل وعلاقة بحادثة الاختطاف ؛ وربما الاغتيال إذا ظهرت الجثة

قام وكيل النيابة يوسف محمد والمقدم عبد الكريم بزيارة شقة رفيق حلمي والقيام بالكشف الأولي ، وكان في استقبالهم سامر وسامية ابنا السيد رفيق ، وكانا على علم بتطورات الحادث من المحامي مجدي حامد ، وكان سامر قد وصل البلاد صباح الخميس يوم اكتشاف الجريمة أو بداية ظهورها فقال لهم : أنا عندما وصلت البيت فاجأتني السكرتيرة الخاصة بأبي باختفاء أبي وهو في طريقه لمدينة الخد ، فصدمت في أول الأمر ، ثم تمالكت

نفسي ..أنا أدرس في روما وزيارتي للبلد أيام يسيرة .. وأنا جئت في هذه الإجازة لأن أختي سامية أخبرتني عن تجدد مرض الوالد فجئت زائرا لما تيسرت أموري ، وها أنا عدت لأسمع أنه مخطوف .. فليس لدي معلومات عن صداقاته وعلاقاته .. ولكن السكرتيرة أخبرتني بأن ثلاثة طليان احتكوا به في الشهر الحالي ويطالبونه بكنز وجدوه معا منذ عشرين سنة زاعمين أن أبي استولى عليه وحده وفطنوا له بعد كل هذه السنوات يبدو الأمر غامضا ..وعلمت أن الوالد طردهم ، ثم مرض على أثر مشاجرته معهم .. وبعد خروجه من المستشفى حاولوا التفاهم معه فرفض سماع شكواهم ، وهددهم بإخبار البوليس عنهم .

والتفت المحقق يوسف لمكان جلوس سامية التي بدأت مذهولة وحائرة فقال لها : وأنت يا آنسة أعندك شيء يساعدنا في كشف سر اختفاء الوالد ؟

نظرت إلى أخيها سامر ثم قالت بصوت هامس : للأسف ليس عندي شيء خاص يفيد التحقيق .. أنا لا أتحدث كثيرا مع والدي .. وهو لا يطلعني على أفكاره ومشاريعه .. فعندما أخرج لعملي في الصيدلية يكون هو في غرفته .. وتقدم لي ماجندا كوب الحليب وفطيرة في الصباح ، ولا أعود إلا في الليل ، ربما أجده يجلس في هذا الصالون فأسلم عليه وعلى ضيوفه إن كان عنده زائرون ، وأدخل حجرتي فأضع الحقيبة وأرتاح قليلا ، ثم أذهب للمطبخ أو تحضر لي ماجندا الطعام لغرفتي حيث آكل وأشاهد التلفزيون من داخل حجرتي.. هكذا تعودت أيها المحقق المحترم .

ـ شكرا يا ابنتي ..ألا يوجد لديك ملاحظة شيئا سمعته صدفة يكشف بعض الغموض عن سر هذا الاختفاء ؟

تنهدت الفتاة وقالت : سوى مشكلة هؤلاء الأجانب وتعب أبي لم ألحظ شيئا مهما ..أبي لا يحب أحدا أن يتدخل في شأنه وأنا مثله .. وهو يحب مشاهدة التلفزيون باستمرار والكلام يتعبه .. ولا يحب الكلام أثناء قصة أو برنامج يتابعه .. والذي ربما يعرف أبي أكثر مني المحامي مجدي .. والأخت لمياء السكرتيرة .. ووالد مجدي من أعز أصدقاء أبي ، وكذلك والد الأخت لمياء .

ـ عملية الخطف حيكت بدقة وترتيب وتخطيط محكم .. فالذين قاموا بهذه الجريمة لديهم معلومات وافية عن حياة الرجل ، وعن أحواله ، وعن مخطط رحلته .. وعن الفندق الذي سينزل فيه .. وثبت لدينا أن دعوة السيدة سعيدة كانت عفوية وطبيعية .. وليس لها يد أو مصلحة في الجريمة .. فلم يدفعها أحد لدعوته لحضور هذا الاحتفال ، فهي تدعوه كل سنة لمثل هذا الاحتفال

الموسمي .. ولكنها السنة ضغطت عليه لرغبة منها في تكريمه هو ومجموعة من رجال الأعمال الذين يدعمون جمعيتها .. فالذين ارتكبوا هذه الجريمة لهم دراية ومعرفة بأمور خاصة بالسيد رفيق .. ولحتى الآن لم نعرف دوافع الخطف وأسبابه .. فهذا ما يدفعنا للكثير من الأسئلة لحضراتكم .. لعلنا نسمع منكم أن له أعداء ..ولكني بعد مرور هذه الأيام أقول تشجعوا على سماع أخبار سيئة عن الوالد ..رغم بحثنا الدقيق وانتشار دوريات الأمن في كثير من الأماكن .. لم نعثر على شيء مهم .. ونخشى أن نراه جثة .

هتف سامر : الأمل ضعيف بحياته ! .. ولكن لو أراد المجرمون قتله لقتلوه فور أسره أو في نفس المحطة .

ـ ربما قتلوه ، ولم نعثر الجثة بعد .. فالخاطفون عادة يتصلون بعد يوم أو يومين بأهله أي بعد تأمين مكان الأسر يتحدثون مظهرين مطالبهم .. ولكن مضى ثلاثة أيام وها نحن في الرابع ولا أي اتصال

قالت الفتاة وهي تمسح دموعها : هذا فظيع يا سيدي !.. أبي مسالم .. أيعقل أن يقتله هؤلاء الطليان وهم بحاجة له ..فلو قتلوه لخسروا الكنز ؟!

فعلق المحقق : وهذا ما يحير في الأمر ؟! ..الذين يبحثون عن كنز لا يقتلون إلا مضطرين ..إلا إذا أصر الوالد على رفض مطالبهم وقتلوه في لحظة غضب وفقد أعصاب .. هذا ما عندنا يا أخ سامر ويا أخت سامية .. نحن نبذل جهدنا ، ولن يتوقف التحقيق حتى يظهر السيد حيا أو ميتا .. فعليكم بالصبر وتحمل الصدمة . سامر : هو لم يقتل بعد ؟

ـ نحن قلت لك لا ندري ..ولكن هناك احتمال كبير بموته .. رجالنا الآن يبحثون في الأماكن المهجورة حول لبى وحول عين مها ..فنحن نقوم بكل جهد .. وأنت يا أخ سامر عليك بتأخير إجازتك وسفرك حتى نعرف ونصل للحقيقة من وراء هذه الجريمة .. والآن سأذهب وأتحدث مع السكرتيرة في الشقة الثانية

٩

كانت لمياء والسائق حلمي في شقة الشركة في انتظار قدوم وكيل النيابة والضابط المحقق عبد الكريم والمحامين وفريق العمل لسماع أقوالهم في قضية اختفاء السيد رفيق حلمي ، كانت لمياء تجلس في مكتبها ، وحلمي في صالة الشقة التي يجلس فيها عادة عندما يكون في انتظار رفيق لمدة طويلة بعض الوقت ، وفيها تلفزيون وموقد لصناعة الشاي أو القهوة وبراد صغير ، دخل الرجال من الباب الفاصل بين الشقتين ، وحيا الرجال حلميا وزلفوا لمكتب لمياء التي رحبت بهم ، وأشارت لهم بالجلوس ، وقدمت لهم القهوة التي

أعدتها لهم أثناء وجودهم في شقة رفيق وبعد التحية والمجاملات قال الضابط المكلف بالتحقيق : ربما أنت أكثر الناس معرفة بالرجل فأنت تعملين معه منذ سنوات وسنوات ..وأنت كنت في وداعه مساء الأربعاء إلى المقصورة الخاصة في القطار رقم ٢٧ المسافر في اتجاه مدينة لبى .

هزت منكبيها بالإيجاب وقالت : صحيح .. لما وافق السيد رفيق على السفر لمدينة الخد .. بعد تصريح الطبيب باسم بالسماح له بالسفر وأنه يستطيع ذلك .. رغب بالسفر بواسطة القطار ..وهو في غالب سفرياته لتلك المدينة يحب السفر في القطارات حنينا كما يقول لماضيه في أوروبا فكانت أكثر تنقلاته هناك بالقطارات التي تربط بين العواصم الأوروبية والمدن الكبرى ، وذلك عندما لا يكون مشغولا في رحلة بحرية .. فعندما يكون له مشوار طويل يحب الحجز على القطار .. ولم يكن هذا غريبا علينا ، والمحامي مجدي يعرف مثل هذه الطباع عن السيد .. وهو يحب الحجز في القطارات الفخمة والحديثة ، ويحرص على أخذ مقصورة خاصة به ، ومرات قليلة يأخذ حجرة مشتركة لا أدري لماذا يفعل ذلك ؟! يعني ليس بسبب مرضه أخذ الحجرة الخاصة .. إنما هي عادة فيه .. وأنا اتصلت بمكتب الرحلات الخاص بالقطارات ، وحجزت المقصورة على القطار رقم ٢٧ المسافر الأربعاء مساء من محطة الشرق حيث يكون السفر جهة مدينة الخد ويكون النزول في مدينة لبى ، ومنها لفندق الخزان حيث حجزت له غرفة هناك لمدة ثلاث ليال قابلة للتمديد بناء على تعليماته .. ويوم الأربعاء صباحا مررت على مكتب الرحلات ، ودفعت ثمن الرحلة قبل مجيئ إلى هنا إلى العمل ، وأبلغت السيد مشافهة بأن الحجز جاهز ، والقطار في الخامسة والربع سيتحرك لمدينة لبى ، وسيكون في انتظاره سائق من قبل الفندق .. وكانت الدكتورة سعيدة أيضا تأكدت من الحجز ، ومن توفر السائق كما حدثتني بذلك .. وهي كانت فرحة بزيارة رجل الأعمال رفيق حلمي للاحتفال بالموسم السنوي عندهم ، وسعيدة بتقديم درع الجمعية له باليد وشخصيا .. وجاء حلمي في الساعة الرابعة مساء ، وكنت أنا والخادمة جهزنا حقيبة السفر من ثياب وأدوات وأدوية .. فلما حضر حلمي أمسكت بيده ، وحلمي حمل الحقيبة.. ولما تركنا المصعد كان البواب في استقبالنا ، وحيا السيد وتناول الحقيبة من حلمي الذي قرب السيارة ، وصعد السيد إلى السيارة وجلس ، ووضع البواب الحقيبة في صندوق السيارة ، وصعدت في المقعد الخلفي ، ولوحنا للبواب بالتحية ، وانطلقنا لمحطة القطار فوصلنا قبل الخامسة بدقائق يسيرة .. ووجدنا

المحامي مجديا في انتظارنا ، ودار بيننا حديث سريع ، وطلب السيد من مجدي أن يلحق به نهار الخميس .. وأنا في العادة لا أسافر معه في مثل هذه الرحلات ؛ لأنها ليست رحلات عمل .. فهو يعتبرها رحلات استجمام وتغيير جو .. ولما جلس في مقصورته .. حيانا من نافذة الغرفة ..وأكد على مجيء الأستاذ مجدي ،ووعده الرجل بالسفر واللحوق به .. ولما تحرك القطار واختفى عدت للشركة هنا ؛ لأنني أنهي خدماتي اليومية في الغالب مع السادسة مساء .. حتى يومها عرض المحامي أن يوصلني إلى حيث أريد .. فأعلمته أنني عائد للشركة بسيارة حلمي .. وبعد ذلك لم أتصل بالسيد ؛ لأنني حسب الترتيب سيكون في العاشرة في المحطة ، ومنها إلى مدينة الخد .. وأجلت الاتصال للصباح .. وكان موعدنا أنا وحلمي أن نتلقاه في المحطة مساء السبت حوالي الساعة الثامنة إلا إذا مدد إقامته هناك .. وعلمت بأن السيد رفيقا لم ينم في الفندق من المحامي مجدي اتصل بي يسألني عنه ، وأخبرني أنه لم يصل الفندق ، وأنه لم يصل مدينة لبى .. وأخبرته أنه لم يعد للبيت بعدما تحدثت مع الخادمة .

قال الضابط عبد الكريم : هل تعتقدين أن للأجانب الذين زاروه منذ فترة دخل في هذه الأحداث ؟

فكرت لمياء قليلا ثم قالت : لست أدري ! ولكن كيف عرفوا بتفاصيل رحلته ؟ هي لم تكن سرية .. كنا نتصرف كالعادة .. البواب يعرف أن السيد مسافر للخد .. والخادمة تعرف .. وسامية تعرف .. وأنا .. والمحامي .. والسائق .. والدكتورة سعيدة .. وكل أصدقاء العم رفيق يعرفون بأمر هذه الرحلة .. فيمكن لهؤلاء أن يعرفوا مثل هذا الأمر .. لأننا لم نفكر بخطر محيط بالسيد رفيق .. وهذا أمر متكرر .. وبالنسبة للطليان الثلاثة هم جاءوا فجأة بدون سابق إنذار .. واستقبلهم في البداية على أنهم ضيوف ورفاق قدماء ، وفرح بمقدمهم وتذكرهم له .. ولكن لما فتحوا معه موضوع الكنوز والجواهر .. توتر اللقاء بهم ..وحاولوا لقاءه مرة ثانية للتفاهم ، وجرى بينهم نقاش وكلام حاد .. وأنا لم يتح لي سماع كل حديثهم .. لأن النقاش حدث في صالة الشقة الثانية .. ولكن كنت أتردد عليهم ، وفهمت بعض الموضوع ؛ لأن حديثهم كان بلغة الطليان .. ثم طردهم السيد رفيق ورفض اللقاء بهم من جديد .. وهو بالطبع شرح لي بعض المشادة وسبب صراخه .. واتصلوا عدة مرات للقاء الرجل ، ولكنه رفض ذلك ، ثم أصابه انهيار عصبي .. وتعب ونقل للمستشفى .. وبعد خروجه تحدثت الدكتورة سعيدة معه وبينت له رغبتها بمشاركته

هذا العام باحتفال جمعيتها السنوي .. وربط موافقته بصحته عند موعد الاحتفال .. ولما حان موعد الاحتفال سمح له طبيبه الخاص على السفر والاستمتاع بالحياة ومشاركة الناس أفراحهم وحياتهم .

ـ أتشتبهين بأحد غيرهم ؟

فكرت لحظات وقالت : لم أكن أتصور أن يخطفه أحد ..ولحتى الآن الأمر محير ومربك .. لماذا يخطف ؟!

قال الضابط : استدعي السائق يا أخت لمياء واجلسي مكانه بعض الوقت رجاء .

دخل حلمي سائق رفيق وجلس على المقعد الذي أشير له إليه ، ورحب الضابط المحقق بالشاب وقال : كيف برنامج عملك يا سيد حلمي ؟

ـ برنامج عملي بسيط يا سيدي.. وأنا سائقه منذ سنوات .. منذ أن كان قويا وقبل أن يسكن هذه العمارة .. هو يتقن القيادة .. ولكنه في السنوات الأخيرة اتخذني سائقا له .. فكنت أذهب إليه صباحا فأذهب به لمكاتب الشركات ، ويستمر عملي معه حتى الثالثة عصرا .. وإذا احتاجني في مشوار ليلي ، ولم يتدبر أمر السيارة .. يتحدث معي مباشرة أو يطلبني عن طريق السكرتيرة .. وأحيانا كان يسوق سيارة زوجته بنفسه .. لحضور سهرة.. زيارة عائلية ..ولما مرض في السنوات الأخيرة بالجلطة الدماغية .. أصبح يعاني من ركوب المصعد ، ويحتاج لمساعدة في أغلب الأحيان ، فصرت أصعد لمسك يده ومساعدته صعودا وهبوطا ، وكان الرجل كريما معي ويعطيني مكافآت خاصة سوى الراتب الذي أتقاضاه من الشركة المحسوب أنا عليها .. وأحيانا اضطر للجلوس في شقته بعض الوقت ريثما يلبس ملابس الخروج ريثما ينهي اتصال .. وخلال هذه الدقائق تتفضل عليّ ماجندا بالشاي القهوة .. الحلوى الشراب البارد .. ومرات أجلس في شقة العمل في الصالة التي وجدتموني فيها عند دخولكم ..في انتظار مشوار .. وإذا علمت السكرتيرة أن الرجل المحترم لا يريد الخروج صرفتني.. وهو بعد مرضه قلّ خروجه للشركات وتفقد الإدارات ..لأن أكثر الشغل الإداري كان يتم هنا ..

ـ أنت والدك من أصدقاء السيد رفيق ؟!

ـ منذ رجع العم رفيق للبلاد وتعرف على والدي جبر وهم أصدقاء .. وكذلك السيدة لمياء والدها من أصدقاء العم رفيق وكذلك أخونا المحامي مجدي .

ـ أمتزوج يا حلمي ؟

ـ حاولت مرة ولم يكتمل ..ولو كان معي شهادة جامعية لخطب لي والدي ابنة العم رفيق .. ولكني لم أتم تعليمي .. فتعلمت القيادة .. ثم عملت

سائقا في شركات السيد رفيق بعد أن اشتغلت في أماكن أخرى .. ثم اختارني السيد للعمل معه أي سائقا لسيارته الخاصة .

ـ أسمعت السيد رفيق يوما وهو راكب معك يشكو من خطر يحيط به .. قديما أو حديثا ؟ .. أله أعداء ؟

ـ لا يا سيدي .. السيد لا يحب الكلام كثيرا .. وخاصة مع العمال والموظفين الصغار مثلنا .

ـ لا شيء عندك يفيد التحقيق ؟

ـ لا أذكر شيئا .. ونحن لم نكن نتوقع مثل هذا الحادث .

ـ شكرا .

ونهض القوم وخرجوا من المكتب إلى الصالة ، وقبل أن يتركوا مكاتب الشركة قال : اعلموا أن السيد قد يكون قد قتل .

هتفت لمياء برعب لم يبدو طبيعيا : قتل ! كيف عرفت ؟

ـ هذا متوقع يا سيدتي .. فلو أراد الخاطفون حياته لاتصلوا من أجل الفدية .. بعد أن يؤمن الخاطفون الضحية يتم الاتصال بذوي المخطوف لطلب ما يرغبون في الحصول عليه .. وما دام أن الخاطف لم يعلن ذلك .. فلابد أنهم تخلصوا منه ، وأن القصد كان القتل وليس الخطف ولكن لماذا قتل ؟! لو كان الطليان وراء ذلك كم بينت الأخت لمياء والمحامي .. فحياته خير لهم من قتله .. لأنه كما تبين لنا من أقوالكم أنه لم يأخذ شيئا ثمينا معه يدفعهم لاغتياله للحصول عليه .. بل حياته أهم لهم من أجل الكنز .. ومع ذلك نحن نبحث عن هؤلاء الأجانب الثلاثة .

١٠

عقد المهتمون بقضية رفيق حلمي اجتماعا في دائرة الشرطة لمناقشة ما اجتمع بين أيديهم من معلومات ، وكان قد مضى أسبوع على اختفاء الرجل ، ولم تظهر أي جثة مجهولة لحتى ذلك اللقاء لتثبت موت ومقتل الرجل ، والمستفيد من موته ماليا ولداه سامر وسامية ، وقد ثبت بعدهما عن مسرح الجريمة ..وطريقة ارتكاب الجريمة تحتاج إلى ذكاء وقوة تنفيذ ودراية بمحطات القطار لا تتوفر في صفات ولدي رفيق .

وحتى وصية الرجل الخاصة ، لا يوجد فيها ما يغري الطامعون .. مكافأة بخمسمائة دينار للخادمة ماجندا ، وبعض الأرقام للجمعيات التي كان يهتم بها ويرعاها ، ولم يكتب شيئا للسائق والسكرتيرة ولا المحامي ، فكلهم يتقاضون رواتب من الشركات التي ينتمون إليها .

وبدأت السيدة لمياء تستعد للعودة للشركة التي كانت تعمل فيها ، والسائق حلمي كذلك ، والمحامي هو مستقل ؛ ولكنه مشرف ومتعاون مع

القانونيين الذين يعملون في الشركات ، وهو صاحب مكتب خاص ، وكان محاميا خاصا للسيد رفيق .

قال المقدم الشرطي عبد الكريم : من كشوفات المطار توصلنا إلى معرفة أسماء هؤلاء الطليان وتبين أن أحدهم يوناني .. وقد نزلوا في فندق (ذهب) وقضوا فيه ثلاثة أيام .. ثم اختفوا ولم يغادروا البلد بعد حسب معلومات المخارج البرية والبحرية والجوية .. إلا إذا غادروا بجوازات سفر أخرى .. والآن أسماؤهم في جميع نقاط الحدود والمغادرة ..وعممت أسماؤهم على أهم الفنادق في البلد .. واللقاء بهم مسألة وقت .. فهناك بحث جار في الشقق المفروشة .. في العاصمة وفي مدينة الخد وعين مها.. السؤال الآن هل استطاعوا معرفة تحرك رفيق ليقوموا بهذا العمل الكبير؟ .. واختفاء الرجل ليس لمصلحتهم .. هم يريدون شيئا منه فكيف يقتلونه؟ أم هم يضغطون عليه بهذا الخطف والأسر؟ لهم أسبوع ..!

قال نائب المدعي العام : نعم ، قتله يحرمهم من مطلبهم .. وطول مدة الخطف تبعدهم عن مبتغاهم .. لأنهم لن يأخذوا ما يريدون إلا من الرجل نفسه .. فها هم لم يتكلموا مع أولاده ، ولا مع سكرتيرته الخاصة ، ولا مع محاميه للمساومة .. علينا أن نفكر بأشخاص آخرين ، ولا نهمل أمر هؤلاء في نفس الوقت .. وأنا طلبت من زميلنا عبد الكريم أن يضع إعلانا بالصحف الأجنبية المحلية طالبا فيه من هؤلاء الأجانب مراجعة دائرة الشرطة لأمر مهم .

قال عبد الكريم : اليوم مساء سيكون بين يدي بعض الصحف الأجنبية المشهورة عندنا هذا النداء يا سيدي .

قال المحامي فيصل : ربما ظنوا بطول خطفه سيلين ، ويعطيهم الكنز المنشود .. وربما هلك بين أيديهم فاضطروا لإخفاء جثته اضطرارا في مكان ما .. مكان لم يصل إليه رجال البوليس بعد ربما حرقوا جثته .. وأما كيف عرفوا تحركاته ؟.. فهذه تكون بشراء أحد المقربين منه كالسائق أو السكرتيرة .. البواب .. الخادمة .. فعلموا تفاصيل رحلته .. ولما اختفى الرجل بهذه السرعة فهذا المشترى لن يعترف بسهولة .. فالخوف من العواقب والتحقيق والاتهام بالمشاركة دفعه للصمت .. وعلى رجال الأمن دفعه للنطق .

قال عبد الكريم : لا بأس في بحث هذه النقطة ، ولكن بالقبض على هؤلاء الرجال تحل هذه النقطة بمعرفة من المتعاون .

قال المحامي مجدي : اعلموا أن ترتيبات سفر رفيق تمت يوم الثلاثاء ..قبل السفر بيوم .. حجزت لمياء الفندق في ظهر يوم الثلاثاء .. والقطار كان الحجز

عن طريق الهاتف وفي صباح الأربعاء ذهبت لمياء وأخذت التذكرة ودفعت ثمنها ، وأكدت على موعد الانطلاق .

وكيل النيابة : الحديث عن هذه الترتيبات ربما كان منذ فترة ..وهي ترتيبات متكررة كلما كان ينوي الرجل بالسفر .. فالذي يعاشر الرجل يعرف بمثل هذه الترتيبات .. فلا يبقى أمام المجرم إلا معرفة ساعة السفر .

قال مجدي : اتصل السيد رفيق بنفسه بالسيدة سعيدة وأخبرها بأمر سفره ووقته ، ورشحت له فندق الخزان كالعادة .. وقامت لمياء بالاتصال بالفندق والحجز له ..

قال عبد الكريم : الترتيبات النهائية كانت مكشوفة للمجرمين .. وقت انطلاق القطار وقت وصول القطار لمدينة لبى ..وأن سائقا من الفندق سينتظره ..فبعد ذهاب السائق للمحطة أخبروا بإلغاء الحجز ليوم آخر .. وأنا أعتقد أنهم بعدما خطفوا الرجل اتصلوا بالفندق حتى لا تتدخل الشرطة قبل تأمين اختطاف الرجل .. ويظن أن الأمر طبيعي .. فلا يهتم الفندق بعدم مجيء السيد رفيق .. وهذا ما حصل .

قال وكيل النيابة : هذا احتمال قوي جدا يا مقدم عبد الكريم .. هذا الاتصال رتب لصرف النظر بضع ساعات .. فلو لو لم يحدث الاتصال لأخبر مدير الفندق السكرتيرة لمياء أو السيدة سعيدة .. وتدخلت الشرطة بسرعة لمعرفة الحقيقة .. أما الاتصال فأخر البحث أكثر من نصف يوم .. اثنتي عشرة ساعة .. تحروا عن السيدة سعيدة ورجال الفندق وكل من يعرف بسفر الرجل .. وليخضعوا للمتابعة والتحريات وسأصدر كتبا بذلك .. ولسوف نجد خيطا نتابع به تحرياتنا .. التخدير من خدره إذا خدر ليبدو مستسلما أمام موظفي القطار ؟ .. وكيف انقاد للرجل بدون أي مقاومة واحتجاج ؟ .. ولماذا لزم الموظف الصمت وهو يعلم أن الرجل يريد لبى وأخبره بذلك حتى إذا نام يوقظه عند تلك المحطة ؟! ومن أين خدر إذا خدر ؟ في أي محطة حصل التخدير؟

وسكت الرجل لحظات ثم قال : السيارة لم تعرف بعد ؟ لم يعرفوا رقمها .

فقال المقدم عبد الكريم : أدلوا بنوعها ولونها وهذا لا يساعد كثيرا في البحث .. وبالنسبة لصعود أحد إلى مقصورة السيد رفيق أثناء الطريق لم يثبت أن أحدا صعد ، ولا يمكن نفي صعود أحد .. فبعض الركاب ينزلون أثناء توقف القطار لشراء شيء من الأكشاك المنتشرة في المحطات .. ينزلون لتمشية الأقدام .. لتدخين سيجارة .. فهذا أمر شائع بين الناس .. ينزل الركاب .. يصعد غيرهم ..ولكن تحريات رجال الشرطة لم تصل لنتيجة مهمة أثناء

الطريق .. فأهم الأحداث كانت في نقطة عين مها ..كان رجل ممتلئ الجسم يلبس نظارة خضراء ويرتدي بدلة بنية .. نزل من سيارته قبل وصول القطار بدقائق وسأل بعض الموظفين الجالسين في غرفة عن وصول القطار المقصود فأخبروه بقرب وصوله ..وابتعد عنهم ..ولما وصل القطار صحبه موظف متطوعا .. ليدله على المقصورة ، فهو ليس من واجبه مرافقة الناس حيث يريدون .. كان العمل خفيفا ..وتقدم الرجل حيث المقصورة .. وهناك كان عامل الخدمة في تلك المقصورات المسمى ناصرا ينزل ليتمشى على الرصيف ريثما يمشي القطار .. فأخبره الموظف بحاجة الرجل فقال : نعم ، هو في المقصورة رقم ٨ .. وصعدوا وفتح ناصر المقصورة .. فوجد الرجل منهكا ويحاول الجلوس .. فتقدم إليه الشاب الأسمر وهمس في أذنه كلمات ثم قال لهم : إنه سينزل هنا فهو مريض ..وساعده ناصر بمسك الرجل .. وقام الموظف بحمل الحقيبة الوحيدة له .. ومشوا وهم يسرعون نحو السيارة .. فلم ركب الرجل المتعب والصامت .. انصرف ناصر مسرعا نحو قطاره .. وحيا الرجل السائق الموظف بيده .. وانطلق بالسيارة .. ولكن الرجل وهم يسيرون به قال لهم بأنه عمه .

وقد بين أحد الحمالين لرجال الشرطة أن السيارة سيارة سياحية .. لأنه لم نزل الرجل اقترب منها ظانا أن فيها حمولة ..ولما لم يكلمه الرجل ابتعد عنها ؛ ولكنه لاحظ لوحتها السياحية .. وهذه النقطة قد تساعدنا كثيرا ونجري تحريات حولها هنا وفي لبى ومها .. فلا نزال نبحث عنها في مكاتب السيارات السياحية .. وقام رجل الرسم برسم صورة تقريبية للسائق لتعرض على شركات تأجير السيارات .

فقال مجدي : هذا إذا استأجرها بنفسه .. ولم تكن عن طريق غيره .

قال المقدم : أكيد هذا يا سيدي .. إذا كانت جريمة مدبرة كما يظهر لنا ..لن يكون استأجرها بنفسه واسمه .. ولماذا استخدم سيارة سياحية .. فهذا تصرف خطر منه .. وللأسف الحمال لم يكن موجودا عند انصرافهم .. فنخشى أن يكون يتحدث عن سيارة أخرى .. ولكن الحادثة تنطوي على جرأة ومغامرة .. وعلينا بالاستفادة من كل معلومة ..

فقال وكيل النيابة : لا تنسوا أنه قد لا يكون في مخططهم القتل .. إنما القتل فعل طارئ .. أو تعديل للجريمة ..

فقال فيصل : نقطة استسلام رفيق للنزول بدون اعتراض في غاية الأهمية ..إذا كان واعيا وغير مخدر .. فكيف استسلم للرجل ؟ .. إلا إذا كان

يثق به أو يعرفه أو ظن أنه قد وصل محطة لبى وأنه سائق الفندق.. فهو لم يسأل أين نحن ؟

قال وكيل النيابة : نعم هذا مفتاح اللغز .. وقصة اختفاء مسبحة اللؤلؤ هل لها دخل في هذا الحادث ؟

فقال المقدم عبد الكريم : لحتى الآن لا نجد رابطا بين اختفاء المسبحة واختفاء رفيق .. المسبحة قد قام الزميل فيصل والمحامي مجدي بعمل اللازم ولم يصلوا إلى نتيجة .. فهم افترضوا أن المسبحة سرقت أثناء ترك رفيق للخزانة مفتوحة بعض الوقت .. كان يتكلم هاتفيا من شقة الإدارة .. وعلى مسرح الحادث كانت الخادمة وابنته سامية .. والسائق حلمي والفرصة أمام الخادمة أكثر للسرقة ، فلو عاد رفيق ووجدها في الغرفة لن يقع في ذهنه أنها دخلت لتسرق لأغلب على ظنه أنها تنظف الحجرة .. وهل تعمل وحدها أم أن أحدهم حرضها ؟.. وهذا لم يثبت بل ثبتت أمانتها .. والفتاة .. لماذا تسرق المسبحة ؟ وهي تملك ثروة ومجوهرات ورثتها عن أمها ..ولم يثبت لدى الزميلين هوس تعلقها بحب المجوهرات .. والسائق حلمي .. دخوله لغرفة المكتبة فيه مخاطرة كبيرة .. وهو ليس له عادة بدخول تلك الغرفة .. وقد تكون المسبحة مفقودة قبل تلك الفرصة ، وليس أمام الأخوين دليل على فقدها تلك الساعة إلا كلام رفيق .. والرجل قبل المرض ليس بعده .. وعلى الإجمال نحن نضع قضية المسبحة موضع تفكير لكن الرابط غير متوفر في نظري الآن .

فقال فيصل : نحن عرضنا موضوعها على حضاراتكم ..لعلنا نجد رابطا بين الحادثتين ..لأن احتمال وجود علاقة بين اختفاء رفيق والأجانب الثلاثة قد لا يؤدي لشيء .. لأن الذي يريد شيئا من شخص لا يقتله قبل حصوله عليه .. وإلا لماذا خطفه ؟ .. فالذي يريد أن يتخلص من خصمه يصرعه مباشرة في مكانه .. وإذا كان خائفا من الشرطة والناس .. فيبتعد به ويقتله ويظهر جثته .. فلماذا يبحث عن مخبأ لها ؟ إلا إذا كما افترضتم أن القتل كان اضطراريا وطارئا

وقال المقدم عبد الكريم : لسوف تتكشف لنا تفاصيل الجريمة ..

قال فيصل : هذا أكيد ، فلقد خدمت ربع قرن في أجهزة الشرطة والتحقيقات الجنائية، ورأينا وسمعنا وقرأنا قضايا أعقد مما نجابه ثم تحللت فجاءة .. فإذا كشف شيء سيكشف وراءه الكثير ..وقد حدثني السيد مجدي وهم يودعون السيد رفيقا في المحطة أنه دار بينهم حديث حول الخبير رضا خبير مجوهرات ، وأنه قادم لزيارته لفحص مجموعته .. فالسيد رفيق كان يشك إذن في سرقة في جواهره ومجموعته المحفوظة في البيت .. وهو لم

يعرف بالسرقة قبل أيام من تفقده لمجوهراته آخر مرة .. فقد يكون ظهور رضا الجوهري هو الذي حرك الأمور وأثار السارق أو السارقين .. وأنا أرسلت برقية للسيد أخبرته فيها باختفاء السيد رفيق حلمي .. وسألته فيها إذا كان لديه معلومات عنه .. فوعدني بالمجيء .

استحسن المجتمعون هذا التصرف وقال نائب المدعي العام : رائع! .. ويبدو أن لدى الخبير شيئا وإلا تكلم على الهاتف .

ـ هذا ما أدركته أيضا .. وإذا احتاج الأمر لسفر سافرت أنا ومجديا إليه .. والذي يؤخره عن المجيء إلينا عدم ظهور جثة السيد رفيق .

فقال عبد الكريم : هذا الرجل يجب أن تبقى زيارته في طي الكتمان .. زيارة سرية لا يعلم بها أحد سوانا .

فقال وكيل النيابة : أجل ، حتى لا يعلم المجرم أو العصابة بشيء عن المسبحة والمجوهرات .. تابع الموضوع يا أستاذ فيصل ويا أستاذ مجدي .

١١

تنقل المحاميان مجدي وفيصل بين عدة مستشفيات لمشاهدة جثث مجهولة الهوية ، وجدها رجال الأمن في طول البلاد وعرضها ، ولم تكن بينها جثة السيد رفيق ، وحتى البلاغات عن أصحاب جثث وجدت في البيوت لم تسفر عن شيء يكشف غموض اختفاء السيد رفيق حلمي ، وانقضى الشهر ولم يظهر أثر للرجل ، ولما وصل الخبير رضا جناد في المجوهرات الحقيقية من المقلدة البلاد كان في استقباله المحاميان ، وأنزلاه فندقا دون الإعلان عن وصوله في صحف المجتمع ، وطلبا من عبد الكريم أن يؤمن له الحماية خلال فترة إقامته ، وفي اليوم التالي كان يجلس في مكتب وكيل النيابة يوسف محمد ، ويستمع ملخص قصة اختفاء رفيق منذ شهر من الزمن ، ولما سمع القصة تأسف الرجل على اختفائه ، وذكر شيئا عن معرفته للسيد رفيق أيام الشباب ، وكيف تعرف عليه أثناء عمله في البحار وفي شواطئ أوروبا ، ثم قال : أنا ربما كنت أكثر شخص اشترى من رفيق المجوهرات لزبائني .. فكان الرجل بحارا ممتازا وصائد جواهر رائعا ..كان يحسن الحصول على الكنوز أثناء تردده على شواطئ بحار العالم ..وكان يتقاسمها مع شركائه في المغامرات والصيد .. ثم أصبح فيما بعد يحب اقتناءها وشراءها خاصة عندما ورث زوجته التي ورثت الكثير عن أبيها البحار .. وهذه المسابح وخاصة اللؤلؤية منها حصل عليها بواسطتي .. وهي مسبحة ثمينة مجموعة من حبات اللؤلؤ والماس كانت لأمير مسلم من بلاد الهنود أصيب بمصيبة كبيرة أدت إلى بيع الكثير من ممتلكاته وممتلكات عائلته من نوادر الأحجار

الكريمة والتحف الثمينة .. وجاء بلجيكا ليبيع بعضها في أهم أسواق بيع الماس والمجوهرات في العالم .. وكان رفيق يومئذ في بروكسل ، وتحدثت معه عن هذه المسبحة اللؤلؤية وجمالها وروعة صنعها بل القليل من حجارتها من الماس الأبيض حتى لا يفرق لونه عن اللؤلؤ ، ولما رآها رفيق فتن بها ، ودفع ثمنها خمسين ألف دولار أمريكي أمام عيني .. ومنذ شهور مضت اتصل بي للصداقة القديمة بيننا ..وقد استضافني مرات خلال السنوات الفائتة لفحص مجوهراته وما اشترى من جديدها ، فهو يثق بي ثقة كبيرة في فحص الجواهر لتمييز الحقيقي من المقلد.. اتصل منذ حين يسير كما قلت بعد منتصف الليل في توقيت بلدكم ، فهو ذكي وحذر في أمر الجواهر ..وأخبرني أنه يشعر بأن المسبحة اللؤلؤية قد تغير ملمسها بين أصابعه ، ولولا حرجه كما أخبر واستحالة وصول أحدهم للخزانة الخاصة بالمجوهرات لشك في تبديلها .

فقال مجدي مستغربا : تبديلها !!

فتابع رضا جناد : فطلب مني زيارته في الوقت المناسب .. لفحص حباتها .. وأخبرني أن صحته تدهورت أكثر من اللازم .. ووعدته بالاتصال به في النهار لأنظر ظروف عملي والوقت المناسب لزيارته ، ثم جرت بيننا اتصالات حول مجيئ لهذا البلد دون أن نذكر في اتصالنا هدف الزيارة ؛ هذا الحذر من طبيعة شغلنا

فقال المحامي فيصل بعدما لزم رضا الصمت وأخذ يشرب من كأس ماء أمامه : بعد هذا الكلام الخطير جدا أيها السادة في ذهني تصور أرجو أن تسمعوه .

ولما لزموا الصمت قال : نعم .. تكلم السيد رضا كلاما قد يحل هذه الألغاز ..قد يكون صحيحا أن السيد رفيقا قد بان له أن المسبحة بدلت فعلا ؛ وكما قال السيد

رضا كان مستصعبا لوصول أحدهم إليها ..وهذا شعرنا به عندما تناقشنا معه بعد ضياعها .. وهذا كما رأينا صعبا .. رقم الخزانة السري كيف وصل للسارق ؟.. المفتاح لم يفقد .. ولكن لا شيء كامل .. فلابد من ثغرة أو ثغرات يستغلها المجرمون ، كما يستغل رجال الأمن ثغرات الجرائم والقضايا .. ولكنه للحرص الذي يتخذه والحيطة الكبيرة المتبعة لم يقتنع بالتبديل .. ربما ظن أن هناك عيبا في اللؤلؤ ، ولم يكن هناك تبديل .. فخطر في باله صديقه الجوهري رضا ليحسم الأمر .. أنتم واعون لما أقول .

فتبسموا وقال مجدي : استمر .. كلنا واعون لما تقول .

ـ تصوري أن الذين بدلوا المسبحة بواحدة مقلدة .. قد عرفوا بأن الخبير قادم لفحص المسبحة المقلدة

.. وخشوا أن يُقبل الرجل الخبير، ويكشف التقليد ، فستصبح جريمة وشرطة وتحقيق وهذا يدل على أن أناسا قريبون من رفيق يعرفون بأسراره وفتح خزائنه .. فأخذ اللص أو اللصوص المسبحة الأصلية الهندية ووضعوا المقلدة مكانها .. وربما حدثت هذه الحادثة الخطيرة منذ مرض السيد رفيق وعولج من الجلطة فقد مكث زمنا في المشفى ..أقول ربما .. مع أن هذا وقت طويل بالنسبة للأحداث الجارية .. وظن السارق أن السيد إذا مات لن يدرك الورثة أمر هذه المسبحة المقلدة .. لأنه لديه مسابح مقلدة كما أخبرنا يا أستاذ مجدي .. فلن يهتموا بنظر اللص بالمسبحة المبدلة .. ولكن الرجل لم يمت ، كما توهم السارق ؛ بل اكتشف تبديل المسبحة وهو صامت ومنتظر لوصول الخبير ليحسم الأمر ويقطع الشك باليقين .. فكانت الاتصالات بين رفيق والسيد رضا ..فلما علم اللص بهذه التطورات ..قام بسرقة المسبحة المقلدة ، وليست الأصلية ؛ لأنها معه من قبل قد سرقها من قبل .. مما دفع الرجل لكشف اختفائها لمجدي ولي ..

وأخذ نفسا عميقا وقال : ثم دفعه الخوف لإخفاء السيد رفيق .. وهذا يدل على أن السارق ليس وحيدا بل هناك عصبة .. ولا يستطيع الوصول للخزانة المحمية إلا المقربون .. والمقربون هم يا مقدم عبد الكريم هم ...

قال عبد الكريم : تصور مهم ورائق فعلا ..والمقربون هم ابنه وابنته والخادمة والسكرتيرة والسائق .. وزواره الذين ستتعرف عليهم قريبا ..والأستاذ مجدي ـ وابتسم وهو ينظر للمحامي الذي بادله الابتسام ـ وقال : وله أخت وابن أخت .. ووالد مجدي ووالد حلمي ووالد لمياء ..

قال وكيل النيابة : علينا أن نتحرى عن الجميع ما عدا الأستاذ مجديا ، فهو صاحب القضية .. ولا أعتقد أن زميلنا ممثل بارع .

وضحك الجميع لمداعبة قاضي التحقيق ، وقال مجدي : بل من حقكم أن تتحروا عني ، وأنا تقدمت عن طريق أبي لطلب يد ابنته قبل الحدث الأخير .



فقال المقدم : جهودك مشكورة معنا يا سيدي المحامي .. سأدرس هذه الأسماء وغيرها ، ونعمل على المهمين أولا ، ثم نوسع دائرة التحريات عن الباقي .. هذه جرائم محكمة التدبير ولو أعادوا المسبحة الأصلية لأراحوا أدمغتهم ؛ ولكن الطمع أعمى تلك الأدمغة ..

قال فيصل : وعليكم بالتحري عن الطليان الثلاثة

عن طريق البوليس الدولي .. وعليكم بجمع المزيد من المعلومات عن العم رفيق حلمي نفسه . بالسماع لشهادة رضا جناد خبير الجواهر الأوروبي أصبح لدى المحققين ارتباط بين اختفاء رفيق واختفاء مسبحة اللؤلؤ ، فكان المحاميان فيصل ومجدي يجلسان في أحد المطاعم يتناولان عشاء ويتحدثان حول القضية فقال فيصل : المستفيد أولا من موت رفيق ابناه ..وثبت لدى رجال البوليس أن الشاب جاء من سفره نهار الخميس ، فلم يكن في البلاد عند حدوث الخطف .. ولكن مجيئه في مثل هذا الظرف أثار شبهة حوله .. وسامية غير مكترثة لاختفاء والدها ، ويبدو أن هذا طبعها .. لا تسأل كثيرا لا تتصل بالشرطة أو بك لتتابع القضية معك وهذا فعل مثير للشبهة كذلك !

رد مجدي متأملا ما سمع : منذ الحادث سألتني مرتين وكذلك سامر .. هم يتابعون القضية عن طريق لمياء .. فلا يكاد يمضي يومان أو ثلاثة حتى تتحدث معي السكرتيرة .. فأقول لا شيء لم تظهر الجثة ..

ـ حسن ..ورغم كثرة أموال والدها فهي تعمل بعيدة عنه .. ومستقلة .. ولماذا لم تتزوج بعد يا مجدي ؟! فهي غنية والعين عليها .

تبسم مجدي وقال : أنا أعتقد أنه ليس لأبناء السيد رفيق يد في اختفاء المسبحة واختفاء الرجل فحسب معلوماتي فهم ليسوا بحاجة لمال ليسرقوا .. وعمل البنت يدل على أنها مرتاحة في عملها وليس عندها طموح كبير .. فهي منذ تخرجت لم تفكر بإنشاء صيدلية باسمها .. أو مستودع أدوية .. ومن ناحية الزواج تحدث عنها ابن عمتها وحدثت أبي عنها ، ولم يقرر والدها شيئا ..وقد ورثوا الشيء الكثير عن أمهم .. وسألت أبي عن برودة العلاقات بين الأب وابنته فقال لي إن رفيقا لم يكن يحب أمهم إنما هما زوجان فقط وعلق قائلا ربما لأنه تزوج سابقا من المرأة الطليانية .. وتزوج هنا بحكم العادة ورغبة في الولد .. ورغم ثروته الكبيرة كان يعاملها كالخادمة في البيت ، وربما عامل الخادمة بلطف أكثر منها .. ثم قال مصرحا لي أيضا تزوجها بظروف مريبة .. عندما ملّ الغربة والبحار ورجع لبلده أخذ يستثمر ماله ، ويتعرف على رجال المال ، فالتقى بها ، وأعجب بحسنها بسرعة ، وتزوجها بسرعة ؛ ولكنه كما أخبرني أبي قال وبعد حين ندم على زواجه .. ردد ذلك أمام أبي أكثر من مرة ورغم قول ذلك لم يطلقها.. كان أبي يقول كأنه ملّ أيضا جنس النساء ..والأم كانت متعلقة بولديها أكثر منه ..وبحكم عمله الدائم كان قليل الجلوس معها ، واعتادوا على ذلك هو في العمل والسهرات وهي مع الأولاد والنزهات

.. ولما شبا سافر سامر للدراسة والفتاة التحقت بالجامعة هنا .. وكانت الفتاة تشعر بظلم أبيها لأمها ولها ، وخاصة عندما مرضت الأم بمرض عضال كان الأب يرسلها للمستشفى مع السواقين ومساعديه .. وإذا أخبر باحتضارها ذهب وزارها ، ولكن إذا تعافت ولم تأت الساعة ، وعادت للبيت أمر عماله بإحضارها .. فكان أولاده يرون ذلك قسوة وظلما .. وظلت تتنقل بين البيت والمستشفى حتى رحلت إلى رحمة الله ﷺ ..وسامر كما هو معلوم بعدما أنهى الثانوية العامة سافر لروما .. وظلت البنت تتعلم هنا .. فكانت علاقتها بأبيها فاترة وقال أبي : إنه لا يمكن أن يكون لسامية دور في اختفائه وموته إذا مات ..

ـ لماذا ؟!

ـ قال طبيعة البنت هادئة لا تحب العنف .. إنها فتاة مسالمة تحب القراءة للكتب والقصص ومن أجل ذلك رغبنا بتزويجك بها

قال فيصل : الخادمة قمنا بتحريات عنها في موطنها الأصلي وهنا.. وليس لها القدرة على تدبير

عملية خطف بهذه الجسارة والتدبير .. ربما يكون لها مشاركة بإخفاء المسابح .. ولحتى الآن لم يثبت عليها أي دور .

قال مجدي : والسائق حلمي ليس له مصلحة في خطف الرجل ، فهو لن يرث شيئا .. وها هو عاد ليعمل كسائق في إحدى الشركات المملوكة لرفيق .. ومثله السكرتيرة .

فقال فيصل : والحديث مع أصدقاء الرجل كما أخبرني عبد الكريم دل على أن الرجل كان يستعمل المسبحة في مجالسهم ويسبح بها بينهم.. فهم يعرفونها مع أننا فهمنا منه غير ذلك في أول لقاء لي به.. بل وكان يسمح لهم بلمسها والتسبيح بها ويقول لهم : إنها من اللؤلؤ الصناعي المتقن الصنع .. فهي معروفة لمن حوله ، وهذا كما يقول عبد الكريم يسهل عملية استبدالها إذا أدرك أحدهم أنها من اللؤلؤ الطبيعي الحقيقي .. وأنه كان يزعم أمامهم أنها من اللؤلؤ الصناعي حتى لا يتهور ويطمع أحدهم بها .. وقد أخذوا صورتها أو نسخة عن صورتها وأرسلوها إلى بعض دول أوروبا .. لتعرض على أصحاب صناعة المجوهرات إذا مررت عليهم مثل هذه المسبحة أو قلدها أحدهم .. تجار هذا البلد نفوا صنعهم لمسبحة مثلها هنا

ـ خطوة جيدة وذكية .. ولكن هذا المقلد هل يقر بتقليده لمسبحة ؟ وهذا تقدم جيد برأيي .. وهذا يحل لغز الاستبدال كما صورته لنا.. فهو لم يحتاج لرقم سري ولا مفتاح أصلي ولا تقليد ولكن كيف علم باتصالات رضا ، وقام بسرق المستبدلة .. والسيد كما أخبرنا أنه لم يكن يخرج المسبحة

الحقيقية إلا لذاته ..هل عنده مسبحة مقلدة حقا ؟

ـ اللغز أيها الصديق أن اللص عرف بمجيء رضا قصدي أنه سيجيئ وقادم لاختبار وفحص مجوهرات السيد رفيق .. فقام بسرقة المسبحة المقلدة ، فهو كان قد استولى على الحقيقية قديما .. ولماذا لم يعد الأصلية ؟! .. هذا اللغز الكبير .. أم أنه لم يتمكن من إعادتها لضيق الوقت ..أم باعها وتصرف فيها عندما سرقها قبل أن يكتشف رفيق أو يشك في اختفاء مسبحة اللؤلؤ ؟ فاضطر لارتكاب السرقة ، ثم اضطر لارتكاب الجريمة الكبرى ؟!

فعلق مجدي وهما يستعدان للانصراف : المصلحة الأولى في اختفاء رفيق لأبنائه واضحة وهم فوق الشبهات .. ولكن أن يقتل السارق لإخفاء جريمته فهذا قمة الإجرام .

ـ المجرم .. مجرم .. فهم سرقوها معتقدون أنه لن يعود للبيت حيا فيكسبون خمسين ألف دولار عن شغل عشرات السنين ، ولن يدرك الورثة ضياع المسبحة ..فكان يستخدمها مظهرا أنها مسبحة تقليد .. المال فتنة .. وأشكرك على هذا العشاء الطيب يا أستاذ مجدي .

١٢

تحدث المقدم عبد الكريم مع المحامي فيصل عن الطليان الثلاثة فقال : هؤلاء الثلاثة بحارة ، وهم من رفاق السيد رفيق ، وأحدهم قريب لزوجته الأجنبية .. ويؤكد البوليس الإيطالي أن حياتهم لا تخلو من شبهات واتهامات وقصص حول الاستيلاء على أموال سفن غارقة أثناء عملهم في بحار العالم.. ولما ظهرت صورهم في الصحف اتصلوا بالبوليس بواسطة سفارة بلدانهم ، ورافقهم مندوب إلى حيث وكيل النيابة يوسف محمد ، واجتمع بهم وسمع أقوالهم ، وأنهم بعد لقائهم العاصف برفيق لم يروه ، ولم يلتقوا به .. ولقد حاولوا عن طريق السكرتيرة الخاصة فأخبرتهم أنه يرفض الاجتماع معهم مجددا.. وليس لهم أي علاقة باختفائه ، ولا يعرفون لبى والخد ومها ، وأكدوا أن الجريمة عليها بصمات أناس من البلد .

فقال فيصل حسني بعد سماعه هذه الأخبار : معهم حق يا سيدي! .. ترتيب الجريمة يحتاج لشخص يعرف طبيعة البلد ..والأجانب يكشفون بسرعة بين الناس وعمال المحطات .. وتلك الرحلة كما أخبرنا مدير المحطة لم يكن على ظهرها أجنبي .. كلهم من رجال ونساء البلاد ..ولكن أين كانوا كل هذه المدة ؟! ولماذا لم يغادروا بعد انصرافهم وفشلهم مع السيد رفيق؟!

ـ هم لما يئسوا من اللقاء به ..فقد قاموا بجولة سياحية في طول البلاد وعرضها بعد أن سكنوا

شقة يملكها رجل إيطالي يعرفونه ، وهم ـ وهو الأهم ـ كانوا في انتظار شخص رابع صديق عزيز لرفيق في البحر .. وذات يوم أطلعهم مسافر معهم في الجولة السياحية أن صورهم منشورة في إحدى الصحف الأجنبية في البلد .. وأن عليهم الاتصال بالبوليس المحلي .. وهم أخبرونا أن لهم مغامرات في البحث عن السفن الغارقة القديمة التي كانت تنقل الكنوز والتحف وغرقت بسبب القرصنة أو العواصف أو الحروب القديمة ..ولهم معارف حول العالم ينشطون في مثل عملهم .. فالتقطوا بعض صناديق هذه السفن الغارقة وما فيها من أدوات وأسلحة أصبحت اليوم آثارا، ولها سوق عند الأسر العريقة .. وكانوا يقتسمونها بطرق تبعدهم عن البوليس المحلي والدولي والدول صاحبة تلك السفن .. فالبحر كما يقولون مليٌّ بالدفائن والكنوز

ـ هذا يعني أنهم لا دخل لهم في قضية اختفاء المسبحة وصاحب المسبحة .

ـ لم يذكروا المسبحة ولو مرة واحدة أثناء تسجيل أقوالهم .. وبدا لنا أنهم لا علم عندهم بشأنها رفيق رجل عميق .. ولكن عندي لك خبر جديد .

ـ خبر ! أي خبر ؟!

ـ زواج لمياء من حلمي السائق .

ـ سمعت ، ولم أصدق الخبر أو لم استوعبه .. هل تأكد ذلك ؟

ـ نعم ، وهم في شهر العسل في أوروبا كما أخبرنا رجال المتابعة .. فلما استقروا في أعمالهم الجديدة وتركوا شقة رفيق .. أعلنوا عن الخطوبة .. فوالد لمياء ووالد حلمي أصدقاء وأصدقاء للسيد رفيق .. وهم كما تعلم تحت المراقبة والاشتباه .

فقال فيصل : أنا حدثني مجدي عن هذا الزواج ، وقال لي حلمي شاب أمي لا يعرف في الدنيا إلا القيادة ، ولمياء فتاة مثقفة وتحمل ماجستير إدارة أعمال .. وهي لم توفق في زواجها الأول لعلها توفق بهذا الزواج .. وصديقنا مجدي لم يحضر حفلة الخطبة ولا الزواج .. وهو على وشك الاقتران من ابنة الحاج رفيق كما قال لي .

ـ كيف ؟!

ـ قال زرت الفتاة في البيت بصحبة أبي ، وتحدثنا حول اختفاء الوالد ، ثم حدثهم أبوه عن الزواج ، وأنه كان قد تحدث مع صديق العمر بالموضوع .. فشجع سامر أخته بالاقتران بمجدي فهو كان ثقة عند الوالد .. ولكنهم أجلوا ختم الموضوع حتى يعرف مصير الأب المختفي .

فقال عبد الكريم لرفيقه فيصل : هل تعلم أن المسبحة اللؤلؤية قد اختفت مرة قبل إصابة الرجل بجلطة الدماغ ؟

ـ اختفت ؟!

ـ نعم ، كانت في حوزة ابن أخت للسيد رفيق .. وهذا الشاب قد طلبت أمه ابنة رفيق لابنها قبل أن يطلب صاحبك ابنة السيد رفيق ..ولما افتقدها الرجل وحدث أخته بشكه في ابنها . . أعادها وهو يعتذر لخاله ظانا أنها مسبحة بلاستيكية تشبه حبات اللؤلؤ .. فغضب خاله ووبخه على فعلته الشنيعة ، ثم صفح عنه من أجل أخته ، وسمح له بالعودة لزيارته وصحبة أمه معه .. فهل كانت هذه السرقة على سبيل المزح أم على سبيل الاختبار ؟ ..وسألتقي به قريبا في الدائرة وسماع أقواله .

ـ وصورة المسبحة التي أرسلت لمحلات الجواهر العالمية ما آخر أخبارها ؟

ـ ما زال البحث مستمرا ..والأمر يحتاج لوقت .

وبعد هذا الحوار غادر فيصل الدائرة الأمنية للقاء زميله المحامي مجدي لتدارس القضية والمناقشة والمحاورة .



رغم التحريات الكبيرة التي قام بها رجال المباحث لم يعثر على جثة رفيق حلمي ، وكذلك لم يعثروا على دليل يدل على أنه ما زال على قيد الحياة ، ولكن بعد مضي الشهر الثاني من الاختفاء تحركت القضية فجأة وبقوة .

الصورة التي أرسلت للبوليس الدولي صورة المسبحة المختفية أدت إلى تطور مهم في القضية ، فقد سافر المقدم عبد الكريم إلى ميونخ في ألمانيا ، والتقى بصانع جواهر تذكر أنه صنع مسبحة من اللؤلؤ الصناعي شبيهة بالصورة التي عرضت عليه ، بل أكد أنه صنع اثنتين منها تشبهان الصورة التي عرضت عليه ، فقال الرجل الألماني الصانع في شركة خاصة لتقليد وصناعة المجوهرات المقلدة : إن فتاة هي التي طلبت منه صنع هذه المسابح ، وليس رجلا ودفعت عشرة آلاف دولار لتقليد مسبحتين .

وكان من طبيعة العمل عندهم توثيق أوراق الطالب للتقليد ، فأظهر الرجل صورة لجواز سفر الفتاة ، ولما نظر عبد الكريم لصورة الفتاة عرف على الفور أنها سكرتيرة السيد رفيق السيدة لمياء عامر ، فأرسل المقدم يطلب صورة ملونة ومكبرة للسيدة لمياء ، فلما عرضت على رجل المصنع أكد للضابط أن هذه الفتاة هي التي طلبت منه تقليد المسبحة التي في الصورة ، وصور جوازها وأنها وقعت على العقد وأراه عقد البيع وتوقيع الفتاة .. ولما اكتمل صنع المسبحتين أرسلتا بالبريد إلى عنوان الفتاة .. ولما جمع الضابط معلوماته عاد للبلد ، وطلب لمياء لسماع شهادتها حول المسابح ، فقيل له إنها ما زالت في شهر العسل ..فهي في

إجازة حول العالم منذ تزوجت بحلمي وهما يتنقلان بين الأقطار ..فقد أخذوا إجازة لمدة ستة أسابيع .

وتحدث المقدم مع المحامين ، وأطلعهم على آخر معلومات القضية وحكاية الصورة والمسابح المقلدة .

فقال فيصل : هل قابلت السيدة ؟

فقال مجدي : إنها ما زالت في شهر العسل .

فقال عبد الكريم : تحدثت مع الشركة ، فعلمت أنها في إجازة لمدة ستة أسابيع .. وهي على وشك الانتهاء .. إلا إذا مددا إجازتها.. ولكن السؤال هل لها دور في اختفاء رفيق ؟!.. هي وزوجها من المشتبه فيهم.. ولكن لحتى الآن لم يثبت شيء ضدهما .. وهي ذكية ..

فقال فيصل : هما لا يعرفان بقصة اختفاء المسبحة.. حسب معلوماتنا أليس كذلك يا مجدي ؟

ـ بلى ، عندما زرنا رفيقا لأول مرة لم تظهر الفتاة على المسرح ، ولا حلمي ..كان عملنا يجري بالخفية عنهم .. لدقة القضية .

فقال فيصل : على كل حال بعد سماع قولها حول سفرها لصناعة المسابح قد يتغير اتجاه القضية مع أن الأمر يدل على أن سفرها بالصورة قد يكون على معرفة رفيق ..لأننا علمنا بأن هناك مسبحة مقلدة كانت تظهر بين يدي رفيق أثناء تحركاته وجلوسه مع ضيوفه .. وسرقة ابن أخته لها .. فهذا الاكتشاف يؤكد وجود المسبحة المقلدة .. ولماذا اثنتان؟! .. ها هي مسبحة مقلدة أخرى تظهر في الصورة .. ولكن اللغز الأهم هو كيف سرقت المسبحة الأصلية ؟ وإذا بدلت فكيف خرجت المبدلة من الخزانة حتى لا يراها رضا شاه جناد ؟..ولماذا اختفى السيد رفيق أو قتل على الأرجح ؟!

فقال مجدي : هل خدر رفيق والخزانة مفتوحة ؟! ..فإذا حصل هذا فيمكن للسكرتيرة السرقة فمبلغ خمسين لفتاة مثلها مهم .

فقال فيصل : ولكن الرجل لم يشر لمثل هذا الأمر .. وهو كان يتحدث معنا بكامل وعيه عن حادث الاختفاء .

فقال عبد الكريم : وفي حادثة القطار بدا الرجل أمام عمال المركبة ضعيفا مستسلما .. وذكرنا أنه ربما تعرض لتخدير معين قبل محطة مها ..مع أن عامل المقصورات ناصر وعامل محطة لبى نفوا شم رائحة دواء كتخدير وغيره في الحجرة .. ولكن هذا النفي لا ينفي حصول التخدير ؛ فربما استعمل دواء لا رائحة له .

فقال فيصل : قد يكون هناك تنسيق وتأمر بين لمياء وحلمي .. وزواجهما يثير الانتباه والشبهة.. إلا إذا

كانا بريئين فأقدما على التسرع في الزواج .

فقال عبد الكريم : سأجري تحريات عنهما ليلة الحادث .. بعد توديع الرجل في محطة القطار .. كيف أمضيا تلك الساعات ؟ .. ما داما قد أصبحا موضع اتهام .

فقال مجدي متخيلا لقاءاته بهما : أنا كنت ألاحظ الانسجام بين الشاب والمرأة .. وكنت أرى ذلك بحكم العمل في السنة الأخيرة في شقة الشركة ..ولكني لم ألحظ منهما شيئا مخلا بالأدب العام .. ولم أدرك أن بينهما حكاية حب .. فلمياء متعلمة دراسات عليا .. وحلمي سائق فحسب .. ولكن القلوب كما يقال لها شأن آخر .

فقال فيصل: السرقة أسهل وأهون من جريمة الخطف والقتل .. خصوصا القتل المدبر .. فخطف وإخفاء جثة ليس كإخفاء مسبحة ..

مجدي : الخطف حصل بعد الثامنة مساء ..والليل طويل إلى حد ما ..

فقال عبد الكريم : الجثة أين ذهبت ؟ لحتى الآن لم تصل جثته للمشرحة ..حتى جثة متحللة لم تصل .. جثة مشوهة لم نبلغ عن ذلك .. صحيح نجد جثثا مجهولة الهوية .. ربما تكون لمشردين أو غرباء ..ولكن لا بد أن يفطنوا لهم يوما ما .. قام رجالنا بالبحث بالأماكن المهجورة والبيوت المهجورة في الخد ولبى ومها .. متى سنجد الجثة هذا علمه عند ربي ؟.. سماع شهادة الفتاة حول المسابح لعله يلقي ضوءا على هذه القضية .

فقال مجدي : لو كانت مخططة لسرقة المسبحة لأخفت اسمها عن الشركة المقلدة واستخدمت وثيقة مزيفة .. ولماذا مسبحتان ؟ وتدفع عشرة آلاف دولار .

قال فيصل بحيرة : لماذا السيد رفيق لم يكشف لنا أمر المسابح المقلدة لماذا ؟!.. نحن عرفنا ذلك من رضا شاه جناد .

عبد الكريم : هؤلاء الصناع لا يقبلون صناعة شيء بدون توثيق رسمي وجواز سفر أو هوية شخصية .. لأنهم يحذرون من المشاركة في جريمة سرقة ونصب .

فيصل : وهنالك لا يخلو المكان من صناع يعملون دون هذا التوثيق ..فالراجح أن التقليد حصل بعلم رفيق .. فضاعف المبلغ لصانع ماكر فيعمل من وراء المصنع وهو يتحمل نتيجة عمله الإضافي

قال عبد الكريم : نحن سمعنا كما قلتم عن مسبحة لماذا الآن صارتا اثنتين ؟! .. الحل أن نصبر حتى يعود العروسان من شهر العسل والفرح والحب .. أتعرف أين سافرا يا مجدي ؟

ـ عن طريق مركز عملهما نعرف .. وبما أنني محامي بعض شركات السيد رفيق سأعرف خلال ساعات مسار رحلتهما ..

وقام واتصل بمدير الموظفين في إحدى الشركات ، فعلم أنهما مسافران لأوروبا ، وأول محطة لهما كانت سويسرا في مدينة بال ..ولا يعرفون باقي المحطات وبقي على إجازتهما عشرة أيام فقط ..ولم يتصلا بالشركة منذ رحلا .

فقال عبد الكريم : سنصبر ..أي فندق نزلا في سويسرا ..؟

فيصل : لا أعتقد أن الشركة تعرف ذلك ..

ـ أفكر بإرسال رجل خلفهما .

ـ لا داعي لذلك .. لقد فات الأوان لمتابعتهما في الخارج .. فلو كانا سارقي المسبحة الحقيقية لتصرفا فيها منذ وقت ..والأرجح يا صديقنا أن المسابح صنعت بعلم رفيق ..

انتهى شهر العسل كما يسمى في أيامنا، وعاد العروسان حلمي ولمياء ، واستقرا في الشقة التي تملكها لمياء عامر ، وانتظر الشرطي عبد الكريم حتى التحق الشابان بعملهم ، ثم اتصل بهما في بيتهما مهنئنا لهم الزواج والعودة لأرض الوطن ، وطلب منهما تحديد موعد للحديث معهم بشأن قضية السيد رفيق حلمي ، فلما استفسرت لمياء عما جد قال : الأفضل أن يبقى الكلام حتى نتقابل .

ولما التقيا سألها الضابط مباشرة عن قصة المسبحتين والصورة التي ذهبت إلى ألمانيا لصنعهما ، ولمح الضابط بعض الارتباك الذي ألم بها ؛ ولكنها تمالكت نفسها بسرعة فائقة وقالت : وما دخل المسابح في قضية السيد رفيق ؟! وكيف عرفتم بقصة المسبحتين ؟

تبسم الضابط وقال : نحن يا سيدتي ما زلنا نتحرى بموضوع الرجل المختفي منذ ما يزيد عن شهرين .. لم تنته القضية ما زالت الضحية مختفية .

ـ على كل حال يا سيدي! قضية المسابح الصناعية ليس لها دخل في موضوع اختفاء الرجل .

ـ نحن ـ يا سيدتي ـ الذين نقدر ما يهم وما لا يهم

ـ لا بأس .. ذهبت لميونخ بناء على رغبة السيد رفيق حلمي.. ذكر لي اسم الشركة وسافرت وقد أعطاني السيد صورة ملونة لمسبحة عزيزة عنده وعليه كما كان يردد .. وأعطاني اسم الشركة ومصاريف الرحلة .. وصنعوا له مسبحتين مثلها بالضبط منظرا وشكلا وحجما .. أما الحبات فقد كانت من اللؤلؤ الصناعي المتقن مائة بالمائة ، وكذلك حبات الماس .. أما لماذا مسبحتان ؟ صدق يا سيدي الضابط أنني لا أدري .. فالرجل مغرم بالمجوهرات.. منذ علق في البحار كما كان يردد ويقول .. ومرة أخفى ابن أخته إحدى هاتين المسبحتين فغضب عليه أشد الغضب .. ولولا

الخوف من معاداة أخته له لما سامحه أبدا .. ولكن الشاب أعاد المسبحة معتذرا .

ـ هل أعادها نفسها الحقيقية أم أعاد المزيفة ظانا بأنها أي المسروقة من اللؤلؤ الحقيقي عندما سرقها ؟

ـ لا أدري يا سيدي .

قال الضابط : هل تسمحين بالإجابة على هذا السؤال ؟

ـ تفضل يا سيدي .. فأنا يهمني معرفة مصير السيد رفيق .

ـ سنعرف بأذن الله تعالى ..يوم توديعك للسيد رفيق في محطة القطار .. أخبرتينا أنك صعدت بالسيارة مع السائق زوجك الحالي ..وعدت لشقة العمل في عمارة رفيق .. الساعات الأربعة التالية كيف قضيتها ؟

صمتت فترة أطول من اللازم ، ثم قالت ببطء : سؤال خطير يا سيدي .. هل أنا متهمة ؟!

ـ لحتى الآن كل معارف السيد في دائرة الاشتباه ..أنت وزوجك ومجدي وابن أخت رفيق وبعض أصدقائه .. الكل مشتبه به ..وحتى الدكتورة سعيدة .. فعلى كل واحد من هؤلاء تحديد كيف مضت تلك الساعات ؟ ..فرحلة القطار .. والحجز في الفندق ..أنتم أدرى الناس بهذه المعلومات .. والطليان الأجانب ثبت بعدهم تلك الساعات عن مسرح الجريمة .. الكل مشتبه به يا سيدتي .. لم نوجه الاتهام لأحد .. حتى أبنائه في دائرة الاشتباه .

ـ حسنا يا سيدي .. ما دمت مشتبه به .. ولست متهمة فيمكنني الرد على حضرتك يا سيدي ذاكرتي جيدة رغم مرور ثلاثة أشهر على الحادثة .. فإنني أذكر أني عدت بسيارة حلمي لشقة السيد رفيق ، ثم أكملت الشغل الذي تركته، وأغلقت الشقة وعدت للبيت .. لم أسهر ليلتها

ـ ولكن ماجندا يا سيدتي لما سألناها هل عادت السيدة لمياء للشقة ذلك المساء ؟ فنفت ذلك .

ـ ماجندا ! .. يا سيدي الشقة لها مدخل خاص .. وأنا لما عدت لم أدخل من شقة ماجندا .. عملت ما يقارب النصف ساعة ثم غادرت .. وربما البواب لمحني .. لا أذكر .. عليك بسؤاله

ـ وأهل بيتك يا سيدة لمياء لم يشاهدوا ضوء بيتك إلا في ساعة متأخرة ؟

ـ الحمد لله أن لي شقة أضيئها وقتما أشاء .. أنا عندما لا أريد أن يزورني أحد لا استعمل الضوء .. واسأل أهلي عن هذه العادة ..فأستريح ساعة أو أكثر ، ثم أنير البيت لشرب قهوة أو شاي أو أكل قليل من الطعام ؛ لأنني أحيانا كثيرة أتعشى في المطاعم .. ومرات يا سيدي أصعد شقة أبي وأجلس مع أمي بعض الوقت أسمع أخبار

الأسرة والأقارب .. ولكن تلك الليلة كنت أحس بالإرهاق .. نحن من اليوم السابق ونحن مشغولون بسفر السيد رفيق ..

ـ جيد .. ألم تغادري المدينة في ذلك المساء ؟

ـ لم أخرج من المدينة تلك الليلة ، ودعنا الرجل في المحطة ، ثم عدت للشركة ..ثم عدت لبيتي .. ونمت بعض الوقت ؛ ثم استيقظت ، وأكلت بعض الفاكهة وعدت للنوم ثانية .. ثم يا سيدي ما الذي أجنيه من التآمر على السيد رفيق ؟ لم يكتب وصية لي ولست وارثة .

ـ صحيح لم يكتب لك وصية .. ولست وارثة ؛ ولكن كما قلت مبررا سابقا أن الجميع في دائرة الاشتباه فحسب .. لم نتهم أحدا في هذه القضية ..ولكنك من أعرف الناس بحياة الرجل الخاصة ومن المؤكد أنك أعرفهم .. وحتى من أولاده.

ـ معك حق .

ـ والحقيقة وبكل صراحة نحن ليست لدينا أدلة على حدوث جريمة قتل ..لأن جسم الجريمة غير موجود .. واعلمي يا سيدتي أنك ممنوعة من السفر إلا بتصريح خاص من البوليس .

ـ هذا اتهام .

ـ لا ، اشتباه فقط .

ـ هل بقي شيء؟

ـ لا .. وإلى اللقاء .

ـ حياك الله يا سيدي الضابط .

ـ أرجو أن تخبري زوجك السيد حلمي بالمجيء لدائرة الشرطة لنسأله بعض الأسئلة كما سألناك وسألنا غيرك ..فليأت وحده .. معذرة بالطبع .. نريده وحده بضع أسئلة والسلام ..

ـ سأبعثه لكم .. هو الآن في زيارة لوالده وأمه .. ولا أدري متى يعود ؟

ـ نحن في انتظاره أيتها السيدة .

ـ سأبلغه الأمر يا سيدي

ـ الأمر لله والسلام عليكم .

حكايات الحي أبو خروف

الحكاية الثانية امونة الخياطة

الحلقة ٢ والأخيرة

الشباب والفساد

ذات مساء زلف رشيد مقهى أبو خروف ، المعروف للقراء ومصدر الحكايات والخراريف ، فلما جلس مع من يحب من زبائن المقهى من أهالي الحي ، قال له أحدهم : المعلم مهران يشير إليك إنه يريدك.

فالتفت اتجاه المعلم ، فوجده يحرك سبابته نحوه ، فتحامل على نفسه ، ونهض ماشيا إلى مصطبة المقهى أو دكة المقهى ، هي مكان مرتفع عن بلاط المقهى بنصف متر ، عليها مائدة كبيرة كمكتب ولما سلم وجلس رشيد قال: آ ، يا معلم كيف

حالك؟

ـ بخير ونعمة من الله سبحانه .. نسيبك القديم بكر ترك هذا الظرف قبل الظهر ويقول : هذا راتبك من ابنتك أمونة .. أين رحلت يا أبا حسونة ؟

تناول رشيد المغلف بضيق ، وعد الفلوس ، فوجدها كاملة وزيادة عشرة دنانير ، فوضعها في جيبه وقال: لا أدري،لا أحد يعرف أين تسكن إلا خالها بكر ؟ لا تريد رؤيتنا يا خسارة التربية !

تبسم مهران وقال: يا خسارة التربية ! أمونة بركة العائلة يا شيخ رشيد .. هي التي ساتراك .. نحن نعرف أحوال بعضنا البعض .. أنا حدثني الأخ سلمان بالمشاكل التي دارت بينكم وخيرا فعلت .. زوجها إنسان هادئ مسالم ، لا يحب المشاكل والمشاجرات .. أنا شخصيا كنت أتضايق من سخرية حسونة منه ؛ فكأنه لا يعمل في هذه المهنة إلا سميح .. وحتى هو قد تقاعد بعدما تزوج ابنتك وستر عليها .. فأحمد الله أنها ما زالت تحسن إليك.. وها هي تبعث لك الراتب ، وأسكنت شحاما شقتها دون مقابل

– لا ، بالإيجار

ضحك مهران وقال : قال بكر : إنها لا تريد شيئا إنما طالبته بالمحافظة على الأبواب والنوافذ .. فأحمد الله على إحسانها ورعايتها لك

– إني أبوها

– حق ، ولك حسونة وشحام

– فقراء يا معلم

عاود الابتسام : كلنا فقراء إلى الله .. قصدي لولا مساعدتها لك دون الأولاد لمددت يدك للناس فحسونة لا يكفيه دخله على هواه وشربه .. أما شحام فهو خير منه ومحترم ؛ لكني لم أسمع أنه يساعدك بدرهم واحد .. ادع الله تعالى أن يوسع عليها لتوسع عليك .. فهي ابنة صالحة .. وسوف تعود لزيارتك بعد حين كما قال بكر .. مع أنكم لم تكونوا تتعاملون معها إلا مضطرين كأنها لم تعش بينكم يا عم رشيد .. ولم تكونوا تهتمون بها .. الناس لها عيون

– ماذا نفعل؟ كانت تخرج من الصباح حتى الليل

– كانت تمرض ، ويأتي أخوالها وبناتهم لعيادتها والبقاء معها

– وهل أستطيع أنا يا معلم أن أخدمها ؟ والأولاد في الشغل

– ونساؤهم في الشغل وأم شحام .. الله يستر عليها .. كنتم مقصرين طول عمركم معها .. خالها يقول : إنها اليوم تسكن في قصر بفضل الله ، ولا ينقصها إلا أن يهبها الله المولود ؛ لتكمل سعادتها مع أبي سعاد

تنهد رشيد وقال: الله يوفقها .. رغم ما يخرج من فمي من سخط وألفاظ لا يمكن أنسى فضلها عليّ وعلى الأولاد يا أبا عبد الكريم .. الأولاد خيبوا أملي فيهم ، والحياة صعبة ..شحام ـ كما تعلم ـ كان يسكن بالإيجار ولديه ثلاثة أطفال ، أما حسونة فأخباره لا تسر عدو ولا صديق .. حشاش سكير مدخن علاج .. وامرأته مثله ، وطلع ابنه أفجر منه يطارد القاصرات بدل أن يتزوج ويلم نفسه في بيت مثل الناس .. وها هو مرمي في السجن

- هذا منحرف للغاية .. كذا مرة طردته من المقهى .. لا سوالف له إلا عن الزنا ، وأماكن الزنا عامل نفسه خبير نساء وبنات ليل .. وكان له شلة فجرة مثله .. ثم رحل للحياة عند أخواله بعد تطاوله على أبيه عدة مرات ، ما بين شتم ولطم ؛ ولكن علمت أن سجنه ثلاثة أشهر أو أربعة فقط

- صحيح لأنها محاولة اعتداء ، لم يمس البنت .. محاولة هتك عرض .. والمشكلة أنه سيعود للحياة معنا ..فأخواله ملوا منه .. حتى لو طلقت أختهم لا يريدونه .. فضحهم يا رجل .. ولا أدري كيف ستسير حياته هنا ؟ فشحام لا يحتمل وسخه

قال المعلم في حيرة : هذا الصنف من البشر ، السجن أولى له .. فهذه ليست أول مرة يسجن فيها

- طبعا ، قضى مرة سنة ونصف في سجن صحراوي بتهم مخدرات ترويج وبيع وتوزيع ، وبدل أن يردعه السجن عاد للعربدة أكثر

- ليس أمامكم إلا أن تدعو الله له بالهداية والتوبة .. حاولوا تزويجه ، قد يترك الفاحشة إذا تزوج

- أمونة عرضت عليه ذلك .. ما عليه إلا أن يتزوج .. فقال لها : لا أستطيع تحمل رعاية امرأة وأطفال .. يا رجل مرة سافر لقبرص للدعارة والفجور

- سمعت بهذا السفر الذي أنفق عليه ألف دينار .. من أجل ذلك على الشاب عندما يقصد الزواج أن يحسن اختيار الأم أم الذرية ، وأن يظفر بذات الدين والخلق الحسن

- للأسف ، الشباب يبحثون عن الأجمل .. ولو كانت بنت إبليس .. ولما يكون الزوج شيطانا يا مهران كيف سيبحث عن ذات الدين ؟ إنه يبحث عن شيطانة مثله

- معك حق .. على كل حال ادع له بالهداية من قلبك .. وادع لابنتك

كانت سعاد وزوجها ياسر يترددون بشكل دائم ، وأغلب الأسابيع على بيت والدها، وكان ذلك أيضاً من أيام أبو خروف ، وكانت أمونة تحرص على دعوتهم للغداء معهم ظهر يوم الجمعة ؛ لأنه يوم مبارك ويوم العطلة الرسمية على مستوى القطر كغالب الدول العربية ، كانت سعاد في زيارة لهم بعد هذه الأحداث التي مر ذكرها ، فقالت مداعبة والدها : كيف حال السائق الصاعد العم

سميح ؟

غمرهم الابتسام ، وكان أصغر أبنائها المولود حديثاً يجلس في حجر جده ، فأراح الجد جلسته وقال: السيدة الفاضلة مصرة على أن أصير سائقا ، وكما يقول ابن عمي المدرب إنني أتقدم ببطء واحتاج إلى وقت أزود من غيري حتى يذهب الخوف عني ، ويرى أنني بحاجة لنظارة .. وفعلا ذهبت لطبيب العيون ، وفحص قوة البصر ، ووجد أنني بحاجة لنظارة .. وذهبت لمحل صناعة النظارات ، وفحصني ثانية وفصل لي نظارة

قال ياسر : المهم يا عمي أن تتوفر لديك الرغبة بأن تكون سائقا ، ولما تصبح سائقا سترى أن الأمر بسيط وهين

وبعد صمت دام دقيقة أو أكثر قالت سعاد : كيف أنتم وجيرانكم؟

قالت أمونة: نعم الجيران .. دبت الحياة في الفيلا .. حافلة الطلاب صباحا ظهرا .. حفلات خاصة ؛ لكننا نعتذر لهم .. السيدة رهام موظفة خارجية كما قلت لكم سابقا .. وزوجها ضابط كبير في البوليس

قال ياسر : الأحسن الابتعاد عن خصوصياتهم .. المهم أن لا تنزعجوا بحفلاتهم

قال سميح : ناس محترمون ، بل يرسلون الحلوى وبعض الطعام مع الخادمة ، ونستحي أن نرده ومرة كلمت أمونة السيدة ترجوها عدم فعلها ذلك فقالت : نحن في العادة نحضر كميات زيادة ، وأغلب الفاضل أرسله لدار أمي وخالتي ولا حرج فسكتنا

أكدت أمونة فقالت : تحدثت مع رهام في ذلك ورجوتها ألا تفعل ..فقالت :لا يمكن ، يكفي أن نقبل عذركم بعدم الحضور معنا بأجسامكم ، وقالت : هذه الحفلات ضرورية للعمل والأصدقاء ، فاضطررت أن أغض الطرف .. ومقامهم هنا لن يطول كثيرا .. فالرجل على وشك التقاعد ، وقد شيد بيتا في قريته أو يشيده

فقال ياسر: وفقهم المولى سبحانه هل اتصلت بأبيك يا أمونة ؟

تنهدت أمونة وقالت: منذ رحلت من أبو خروف لم أره ، ولم أسمع أنه يسعى لرؤيتي .. أبي يهمه ما أدفع له .. وأنا عنده من النادر أن يدخل شقتي .. لم أره بالعين ؛ ولكني تحدثت معه من قريب .. وقد صوب رحيلنا ، واعتبره تصرفا صحيحا ، وبعدا عن الشر .. وهو قلق من عودة ابن حسونة حفيده حلمي .. فهو سيعود للعيش معهم بعد انتهاء فترة سجنه .. ويخشى من مشاكله مع أبيه ومع عمه شحام الذي لا يحب العوج ، خاصة إذا جلب فتاة للبيت .. فهو يعرف

فتيات العهر .. فهو لا دين يهمه ، ولا ذمة عنده ..صدقوا السجن أفضل لحضرته

قال ياسر : ماذا تفعل له الحكومة عندما تنقضي المدة المحكوم عليها ؟لماذا لا يتزوج مثل خلق الله

قالت أمونة : اللعين سمعته أكثر من مرة كلما يحدثونه عن الزواج ، يقول : ما دامت هناك فتيات ونساء لا يسألن عن شرف ولا كرامة ، ويبعن أجسادهنّ بدراهم يسيرة فلماذا أتزوج ؟! ولماذا يتزوج الناس؟! وينفق الزوج على بيت وامرأة

قالت سعاد: فلسفة الانحلالية .. ها هي أمراض الانحلال تفتك بهم فينتشر بينهم الزهري والسفلس وأمراض الجنس والإباحية والإجهاض .. فيكلف علاجهم أكثر مما أنفقوا على البغاء وإذا أصيبوا بالداء لا يجدون من يقبل بهم إلا المصابون مثلهم .. شعارهم ميت ميت .. فهذا ما يجنيه الزناة والشواذ واللواطيون .. للأسف المدنية فتحت الباب مشرعا للأفلام المثيرة الغرائز باسم الفن والأدب والعلم .. فنحن في فترة تسمى زمن الإباحية الجنسية .. والشباب هم ضحاياها وابن حسونة أحدهم .. نحن في الجريدة نسمع عن قضايا فاحشة غريبة ؛ ولكن لا ننشر منها إلا القليل أو الجزء اليسير للتوثيق ؛ لأن بعض القراء يهتمون بمثل هذه الأخبار فرئيس التحرير يحب إرضاء جميع الأذواق .. بعض المحررين هم علاقات جيدة مع الشرطة .. فيطلعون على الكثير من هذه القضايا .. وبعضهم يعرفها عن طريق القضاء

قال ياسر : تظهر في البلد هذه الأيام المجلات الخليعة .. عري وفجور .. يزعمون أنها تدخل بالتهريب عن طريق الطيران والمطارات

قالت سعاد متممة للفكرة : يدخل بها الأجانب في حقائبهم السياحية .. وهذه لا تخضع للمنع وموظفون الجمارك والرقابة لا يستطيعون منعهم ، فهي أمور شخصية ، وليست من الممنوعات كالمخدرات ، وبعض العاملين على خطوط الطيران تكون معهم على سبيل التسلية

قال سميح بامتعاض: الأمر محزن ..كنت أيام عملي أجد منها الكثير ممزقة ناقصة ، حتى أن بعض العاملين معنا يأخذونها لبيعها للمراهقين والشباب الفاسد مقابل بضع قروش.. كنت ألاحظ ذلك ؛ فهم يعتبرونها كنوز سليمان الحكيم .. الله يهدي الشباب .. ومع هذا نجد الكثير من الشباب في المساجد .. الشباب المحب للإسلام

قال ياسر: أكيد الخير لا ينقطع ولا ينتهي.. إنها الدنيا دار الابتلاء والتمحيص .. إنما المحزن ضياع الشباب وراء الشهوات والمخدرات والحشيش والمسكرات والحانات .. طاقات تهدر في سبيل

إبليس .. هذه خامات كان يجب أن تعمل على بناء الوطن والأمة ؛ لكن الاستعمار خرج وترك ذيوله وأدواته وفساده وأعوانه.



المشاعر

حسونة من ليلة ضربه من قبل أخيه الأصغر وهو يتحاشى الحديث مع أبيه ودخول شقته زاعما أن أباه اصطف ووقف مع ابن الجديدة أم شحام ، ولما فشل بالحصول على عنوان أمونة عن طريق خاله ، طرق الباب على بيت والده ، ففتحت له امرأة أبيه ، ولما حدقت به قالت ساخرة : يا هاجرنا .. آ، ماذا تريد؟

قال بحدة متكلفة : أين زوجك؟

- زوجي أم أبوك ؟

وقبل أن تسمع ردا ظهر رشيد خلفها قائلا: تفضل يا عاق

قال : عاق بار هذا لا يهمني.. أريد أن أسأل عن عنوان أمونة .. سمعت أنها تتصل بك .

قالت: تتصل بنا .. أجل ، لا نعرف عنوانها يا جدع

فصاح بغيظ: أنا أتحدث مع هذا الرجل أرجوك لا تردي

فصاحت :أبعد عن الباب .. هذا بابي

ودفعته ، وأغلقت الباب ، ففتحه وقال : عيب يا امرأة عيب!.. لما يتكلم الرجال النساء تصمت

- أوه! أنت صرت راجلا !.. الله أكبر .. يسعدني الرجالة الذين أنت منهم يا سيد الرجالة

قال رشيد: صدق يا ولد لم تذكر أختك عنوانها ..ولو عرفته ما أعلمتك به .. وأنت سبب رحيلها عنا ؛ لعلك تنسى بسرعة

- خرف العجوز .. هي تقصد الرحيل ، وكانت تنتظر حجة

- ولماذا نترك لها هذه الحجة يا سيد فهمان ؟ البيت الجديد ـ يا سيد فهمان ـ كتبته باسم زوجها أبي سعاد .. أرأيت حماقتك؟

- ألم أذكر لك كذا مرة أنها مؤامرة ؟ لقد رتبوا الأمر

ضحكت سليمة وقالت: مؤامرة ! أنت تتكلم سياسة ..مؤامرة على من يا جدع؟ الفلوس فلوسها ..أتريد أن تتركها لك ؟ لتسكر فيها أنت وامرأتك .. اغرب عن الباب .. أبوك لا يعرف العنوان .. العنوان عند خالك بكر .

فرد عليها قائلا ناقما : ترجيته قبل أن أتحدث مع هذا الرجل ، الرجل الذي لا يستطيع لجم لسانك ؛ ولكنه رفض .. أعطاني دروسا في الأخلاق ؛ كأنني تلميذ في مدرسة .. ما زال يظن نفسه مدرسا لم يتقاعد .. بهدلني

صاحت: تستحق ذلك وأكثر .. كان عليك أن تكون سندا لشقيقتك في هذه الدنيا ..امش يا عاق
ظهر شحام خلف حسونة فقال بصوت هادر: ماذا يفعل هذا العاق أمام الباب؟ أجاء يتسول بعض المال؟
استدار إليه حسونة ورمقه شزرا ، وصعد الدرج لبيته دون رد ، ودخل شحام وأغلق الباب وراءه ، وقال وهو يجلس على كرسي في صالة الشقة : ماذا يريد جارنا ؟
قالت أمه : يبحث عن عنوان سكن أمونة
- يسعى إليها .. أصابه ندم أم يريد إعادة المائة لسميح بعد أن نصب عليه .. نصب على الرجل الطيب بعد أن بهدله في الحي .. لو كنت هنا ما طقت ذلك لحظه .. إنني كنت بعيدا عنه .. لما كانت أمونة تعيش معنا .. كنا نراها صندوق مال .. قصرنا في العطف عليها .. جهلنا أنها أنثى كسائر البشر .. تعودنا على إهمالها .. ما اجهل الإنسان! .. نعم ، لم نهتم بإنسانيتها وحياتها والحديث معها وسماع مشاكلها والسعي لتزويجها .. نسينا هذا ؛ كأنها ليست امرأة .. نسينا هذه الجوانب .. أخوالها كانوا خيرا منا ، ونحن الأقرب إليها.. خالها بكر قال سعيت لتزويجها أكثر من مرة ؛ ولكنه لم يوفق .. نحن ـ كما فهمت مؤخرا ـ كان أبي يطفش من يفكر فيها .. ولما جاءت بالرجل عرفنا أنها إنسانة مثلنا .. وأن الله لا ينسى أحدا مثلما نسينا .. وإنما همنا مالها .. وليس سعادتها .. جرة مال فقط ..لا نهتم بالمشاعر
قال رشيد ممتعضا مما سمع : وماذا يفيد الكلام اليوم ؟! ربنا أرحم بها منا .. ويسر لها الخير بهذا الرجل المسكين الذي لم نحسن جيرتنا له
- لو تزوجت قبل سنوات يا أبي ، ربما كانت فرص الولادة والأمومة أكثر يا أبي .. أنا كنت بعيدا عنكم ، لم أكن أراه كثيرا ؛ لكن السيد حسونة الباب بالباب ، وكان يسخر منه ، ويحرج مشاعره أمام الناس دون حياء .. والرجل من عشاق الصمت
فقالت أمه مشفقة: ماذا سيقول المسكين ؟! وقد اتهمناه بأنه تزوجها على طمع ، ولم نفهم أن زواجه منها حاجة إنسانية وشرعية ، وأن الرجل ليس بحاجة لمال أمونة .. وهو فرد واحد ومحترم ، ويصرف القليل على نفسه ؛ لكنه بحاجة لونيس في الليل .. في أيام العطل .. حكمنا عليه أنه طامع في ثروتها ، وليس لإسعادها وإسعاد نفسه .. فكان هذا الكلام يؤثر فيه .. وأنت مقصر معها الآن يا شحام أسكنتك الشقة دون مقابل ، مع أن أباك يزعم أمام الناس أنك تدفع إيجارا .. ومع ذلك لم تقدم لها الشكر ولو بالهاتف .. كان عليك فعل ذلك

- معك حق يا أمي .. لقد تعودنا على التعامل معها بهذا البرود .. فعلا أنا مخطئ .. قال لي بكر مرة بعد سكني هنا إذا أحببت دفع أجرة رمزية يا شحام فادفعها لأمك أو أبيك .. فأمونة لا تريد سوى المحافظة على الشقة .. ولما رأيت أني ادفع لأمي عشرة دنانير كل شهر أو كل شهرين فنسيت ، وشكرتها في قلبي .. سأذهب لبكر ،وأطلب منه أن أتكلم معها ، ويسمح لي بزيارتها فهي أختي ، وإن لم تكن من أمي

- إنها تتصل بالوالد

- أمعكم رقمها؟

- لم نطلبه

- يا الهي!



لم يتردد السيد بكر بإعطاء رقم هاتف أمونة لأخيها شحام ، ، وشجعه على الاتصال بها ، والسعي إلى زيارتها ، وهي لا مانع لديها من زيارتهم لها ، فشكره شحام معترفا بتبصيرهم اتجاهها ، وتغافلهم عن مشاعرها وعواطفها الإنسانية، وحاجاتها كامرأة ؛ لتعيش في بيت وزوج وأسرة ، وقال : كنا في البيت للأسف كأعداء وخصوم ، مع أن أبي ـ كما تعلم ـ تزوج أمي بعد وفاة أمهم ، ما كن ضرائر .. وتصرفنا كأعداء لماذا ؟! لست أدري .. لما تزوج أبي أمي كانت أمونة صبية دون الخامسة عشرة سنة .. وأذكر ـ كما سمعنا ـ لما كبرنا أنها تركت المدرسة في المرحلة المتوسطة ، وبدأت تتعلم الخياطة في بيوت خياطات أبو خروف ، وبرعت في تعلم المهنة واشترت ماكينة خياطة ، وعملت في البيت حيث يسكن أبي اليوم ، ولما كبرت سنا ، ولم يتزوجها أحد انتقلت للعمل في مشاغل المدينة ، ثم تملكت مشغلا وحدها ، وفتح الله عليها .. فنحن لما شببنا وجدنا أمونة سيدة وعاملة مشغل نشيطة .. تساعد في مصروف البيت .. وتساعد الأب ، كانت كبيرة بالنسبة لنا .. من جيل أمنا ، ربما تكبرها أمي ببضع سنوات .. وكان بينها وبين أمنا جفاء ، ربما ترك أثره علينا وفينا ، وطبيعة عملها لم تسمح لنا بفهمها والحديث معها والحق أنها لم تقصر معنا ، منذ وعيت وأنا أراها تساعد أبي .. مع أنه كان على رأس عمله ، وكذلك عند بلوغي سن الرشد كان يعمل .. وكان حسونة قد تزوج قبل البناء لنفسه ، عاش في الشقة المؤجرة اليوم

قال بكر: نعم ، تزوج فيها ، ثم بنت أمونة لنفسها ، وساعدت حسونة في بناء شقته

- كانت تكرمنا ، ولم نكن نحس أن هذا من باب التكافل والإكرام ، كنا صغارا ، نراه واجبا عليها نحو الأسرة .. فساهمت في مصروف مدارسنا أنا

وأخواتي الثلاث في ملابس المناسبات كالأعياد وفتوح المدارس ، وتعطي أبي في مصروف البيت ، ولما كبرنا كانت مستقلة في بيتها ، ولم تكن بيننا ألفة ومحبة ظاهرة ؛ بل ـ مع الاحترام الكامل لشخصكم ـ كنا نحس ونرى أنها تميل إليكم أكثر منا .. نحن أخوتها .. ربما لسوء معاملة أمنا لها ، رغم ضعف التقائهما ، ربما كان ذلك قبل أن تخرج أمونة للعمل خارج البيت ؛ لكن اليوم بدأنا نفهم العواطف أكثر من الأول ، وأن الإنسان مهما كبر يحتاج لمن يتعاطف معه .. اليوم عرفت السبب سبب ميلها لكم أكثر منا ، العطف الذي وجدته منكم .. لا أذكر أن أبي قال : لو تدعون أمونة لتفطر معنا أيام رمضان .. تعودنا على هذا الجفاء وعدم المبالاة .. وكان يتحجج ـ كما سمعته كذا مرة في المقهى ـ أنها تفكر في المشغل والشغل ؛ ولكن أيام الجمع لا يوجد مشغل ولا شغل ، ولم يكن يفعل ، لم نجد منه حنانا نحوها ، لها حياتها ولنا حياتنا .. الإحساس بالآخر لم نعود عليه .. ولليوم لم نفهم السبب .. هل لأنه يأخذ منها مالا أم لأنه أبوها ؟ .. صدق يا أبا محمد لم أفكر في كل هذه المعاني وحياتنا إلا عند زواجها من الرجل الطيب سميح عبد السميع

أنهى شرب الشاي ، وترك بكر يصب له من جديد وتابع قائلا: كنت أرى يا خالي أن أمونة لن تعرف الحياة الزوجية أبدا ، وأن شيئا حجبها عن الزواج .. كان لابد أن تسمع مني هذا الكلام حتى تعرف أن لها معزة في القلب ؛ ولكن التربية الجافة ، والحياة السيئة ، وربما العداء الصارخ بينها وبين أمي هو سبب هذا الجفاء .. أرجو من الله المعطي أن يطعمها الذرية الصالحة ؛ لتعرف معنى الأمومة

– آمين ، شكرًا لك يا شحام .. وهي تودك أكثر من أخيها حسونة .. هي تقدر موقف أمك من زواجها .. إنما كانت تخشى أن تقف هي ضد هذا الزواج .. تفاجأت من رفض والدها وتشدده حتى دفعها للتهديد بقطع المعونة عنه ، ثم انزاحت الغمة بجهود الخيرين من أمثالك ومثل الحاج سلمان يوسف

قال شحام مستفهما : أنا لليوم لم أفهم سبب رفض زوجة حسونة ، أما قضية أن الرجل عامل نظافة فالبلد ملآى بعمال النظافة .. وهي مهنة شريفة وهامة للمجتمع كسائر المهن .. لماذا فعل معه هذا التصرف؟!

– الله أعلم .. شيء في نفسه ونفس عائلته .. حسونة في أول الأمر لم يكن معارضا ، ثم وقف مع زوجته .. لماذا رفضت وهي لا دخل لها في الموضوع؟! ربما الشقة

– أين ستذهب لو كانوا طامعين بالشقة ؟ .. زيادة في الفتنة وإشعال النار في العائلة

– فكرت بذلك .. سميح لن يصبر على الإهانات والسخرية

– هو طامع بالشقة .. كانوا يزعجونها بالعربدة والسمر برفع صوت المسجل والتلفزيون ، وترك باب شقتهم مواربا ، كانوا يتصرفون تصرفات صبيانية حتى ترحل قبل الزواج وبعده ، ولكن قبل الزواج لم تفكر امونة بتعمده ذلك ، واعتبرت استمراره في ذلك بعد الزواج متابعة لعادته السابقة ، لم تأخذ هذه الحركات الصبيانية على وجه العداوة ، وقد يفعل ذلك مع الأسف لأخذ المال منها ، نوع من الابتزاز ؛ لأن أمونة طيبة وتحل مشاكلها بالمال دون أي تردد

قال بكر: أتعلم قد يكون هذا الاحتمال الأصوب ؟ .. فحسونة طماع ..

فهو ماكر .. فهو يحتال لأخذ المال من أخته .. وتعلقه بالشراب والدخان وامرأته مثله فتجد الدخل لا يكفيهما ؛ فكان يفعل ذلك لتدفع له بشكل دائم .. ألم يأخذ مائة من سميح كقرض ويزعم أنه أهداه إياها ؟ حاول قديما أن يستلف مني ، وفعلت ثم كففت عن إقراضه ، يتجاهل الدين

قال شحام : علمت قصتها ، وشاعت في أبو خروف ، وسمعتها تردد في المقهى ، ولليوم ما دفع منها شيئا .. أتزورها يا خال؟

– أنا ، نعم ، فعلت ذلك .. هي ترحب بكل زائر ؛ لكنها تألمت من أفعال حسونة للرجل الذي أشعرها أنها أنثى كسائر الخلق ، فوجدت راحتها بالبعد عن حسونة وزوجه .. هي لم تعر رفع المسجل والتلفزيون أهمية .. فقد اعتادت على ذلك .. وحتى سميح لم يتذمر أمامي من هذا .. نحن ـ كما ذكرت ـ ما زلنا نتبادل معها الزيارات ، بل المهندس محمد ابني هو الذي فصل طابقي العمارة التي اشترتها عن بعضهما .. وساعد في تأجيرها .. فقد استأجر ضابط بوليس كبير الطابق الثاني ، وزوجته سكرتيرة بوزارة الخارجية .. فالحي الذي تعيش فيه أمونة كان من الأحياء المهمة في فترة الأربعينات ومطلع الخمسينات .. حي الوزراء ورجال الأعمال والاقتصاد في القطر

وقص عليه قصة البيت وشراء أمونة له ، ولما صمت الرجل قال شحام: الحق أن أمونة تستحق كل خير وسعادة .. لقد علمت حديثاً أن لها أيادي بيضاء على جمعية البر في الحي ، وأنها تقدم لهم الملابس التي لم تباع وانتهت موضتها .. وأرجو أن تسمح لي بزيارتها .. أنا اعترف بتقصيري لها .. فأنا الآن اسكن في بيتها دون مقابل

– نعم ، رفضت أخذ الأجرة وقالت : ليهديها لأمه أو أبيه .. فأنا لست بحاجة لعشرين دينار من أخي أو عشرة

- دائماً خيرها علينا يا خال .. أرجو أن تشجعها على استقبالي ، وأن تقبل زيارتي أنا وأم موسى

- أنا أحب أن أسمع مثل هذا الكلام عن أختك .. فهي طيبة .. وتحب أن تحس أن لها أخوة وأخوات .. وأنت تكلم معها .. وأنا بدوري سأبين لها مشاعرك النبيلة نحوها .. وشجع أخواتك على فعل ذلك .. فأخوات سميح يتصلون بها باستمرار .. وسعاد ابنته كل جمعة أو جمعتين تزورها .. الإنسان يحب أن يرى أهله حوله في السراء والضراء .. الزيارات من أسباب المحبة ودوامها .. الإنسان يحب أن يسمع الناس همومه .. وهو يعلم أن الله هو الذي يفرج الهموم والغموم .. انظر كيف هي متعلقة بنا ؟ ماذا بيننا ؟ الكلام والسلام والحب .

الزيارة

اتصل شحام بأمونة فرحبت باتصاله وفرحت به ، ورحبت بنيته لزيارتها ، وذكرت له العنوان دون تردد ، فقال: جميل ! أعرف هذه المنطقة جيدا .. وهذا حي يضرب به المثل لو أنك ساكن في حي الشجرة حي السيادة وأصحاب السعادة.. مبارك البيت ، وعندما عرف مكان البيت بالضبط ، قال : قريبا ـ بعون الله ـ سنكون عندك ومعي العائلة كلها . فرحبت بهم جميعا؛ بل بدت سعادتها واضحة لشحام على الهاتف ، وسمعها تقول: الدم لا يصير ميّ

ولما علم حسونة وأهله بأمر هذه الزيارة ، وأن أمونة ترحب بهم ، فكر بأن يرافقهم ، ثم قال لزوجته: لا أحب مصاحبة شحام اللعين .. هذا أخ سيء .. سنذهب وحدنا علينا بتجهيز هدية كبيرة لها .

فقالت : وهل أمونة بحاجة لهدايانا يا بطل ؟

- الرسول قال تهادوا تحابوا

- آه ! لما تحشر الدين في حياتنا أكاد أن انتحر .. الرسول قال صلوا ، قال صوموا ، قال لا تسكروا تنهد بغضب وقال : أنت تكبرين الموضوع يا بنت الحلال

صاحت : يا رجل إياك نسيان أن أخاك استولى على شقتها .. فهو سيشد الرحال إليها ليشكرها ويتذلل لها حتى يكف عن دفع الإيجار .. ماذا سنفعل بحلمي إذا خرج ؟! سنقول لها نحن أولى بالبيت من شحام اللعين سنزوج حلميا فيه

- لا أمل بعودته للشركة ، طفح الكيل ؛ ولكني ترجيت المهندس شاكرا ، فقال : لما يخرج من السجن نشغل فكرنا فيه يا حسونة ، نحن لم ننس حادثة الموظفة من عاملات الإدارة التي حاول اغتصابها ، وجدها وحدها في المكتب ، فهجم عليها كالوحش الضاري ، وأخذ في تقبيلها ، وهي تدفعه ، وتصرخ في وجهه ، حتى فزع عليهما

الفراش ، وضربه بعصا مكنسة المكتب ، حتى تركها تلهث وتبكي .. ابنك وغد .. قال المهندس : سكتنا من أجل البنت خشية أن يعلم ذلك الناس خارج المكتب ، لو طردناه مباشرة فقد تسوء سمعة البنت .. هذا لو طرد من الشغل سيأخذ راتبي ، لكنه شغيل لا يملّ من العمل إذا اشتغل

– الله يهديه كما تقول أمي

– الله يهدنا جميعا ، بدأت أكره الحياة

ضحكت وقالت: أنت تكره الحياة ! .. أنت اليوم الذي لا تسكر فيه تقول : هذا يوم لم أعشه

– ليتني لم أتعلم شربها .. من فترة قابلت أحد رفاق الشيطان أيام زمان ـ الذين تعلمت وإياهم شرب الشراب ، ومشاهدة الأفلام ـ وقد أرخى ذقنه ولحيته ، أمسى شيخا ، ويرتاد المساجد ، قلت له ساخرا: أراك في لحية طويلة ، لحية تنافس لحية إبليس اللعين .. أهذه مشيخة حقيقية أم زيف ؟ فأدرك أني أسخر منه ، لما يعرف بعضنا عن بعض ، فقال: باب التوبة مفتوح .. إبليس أبو لحية طويلة .. لا أدري أله لحية أم لا ؟! صاحبك كانت أمامه التوبة إنما رفض وتكبر يا عم حسونة .. لي أكثر من عشر سنوات لم أضع في جوفي جرعة شراب ، وحتى سيجارة إبليس .. هداني الله سبحانه على يد أحد الشباب المتدين ، ورزقني الله زوجة صالحة وخمسة أولاد : أحدهم تخرج من الجامعة مهندسا ، فتظاهرت أني لم أصدقه بترك الشراب ، فقال: كأنك لم تصدق تركت بفضله الشراب والأفلام والدخان والنسوان .. يا رجل تب إلى الله .. وذهبت للعمرة أكثر من مرة .. زرت الأرض الطاهرة ، أرض مشى على ترابها سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم .. نحن كبرنا يا حسونة ، وضيعنا أحلى السنوات في العمر في طاعة الشيطان .. عندما أرى ابني يذهب للمسجد وأنا في سنه ماذا كنت ؟! أبكي أبكي بين يدي ربي ندما وتوبة .. وقال : لماذا لم يكن أبي يحثني ويضربني لأذهب للجامع للصلاة ويعلمني الصيام؟ لماذا تركونا بدون تربية حقيقية ؟ هي التربية فقط الأكل والشرب يا حسونة .. والله أدعو لك بالتوبة والهداية ، كنت من المقربين أيام طاعة الشيطان .. اللهم اجعلنا من التائبين ..وافترقنا صدقي أن كلامه أدمعني وأثر فيّ حاله ومقاله .. أذكر أننا كنا نشرب كأسا ، كان يشرب قنينة ..كنا نلقبه برميل لكثرة شرابه .. وأعطاني عنوانه الجديد إذا فكرت بالتوبة ،

وترك الزمن الماضي أن أزوره وألتقي به ما رأيك ؟!

– تب ، ما الذي يمنعك ؟إذا كنت تستطيع ترك المسكر بعد هذه السنين تب إلى الله

– سأتدرب على ترك الشراب رويدا رويدا ؛ فإذا

نجحت فاتركه نهائيا

- سمعت أن لدى الحكومة مصحات لمعالجة المدمنين على الكحول والسموم

- كأني مثلك سمعت بها ، ولم أصدف من تعامل معها .. قد تكون غير نشطة

- وأنا مثلك هدتني الكحول ، تعبت من حياة الخمور والدخان ، وحتى القهوة ،وكثرت عليّ الأمراض ، لا يكاد أسبوع يمر إلا عرضت نفسي على الطبيب الخاص أو عيادة الحي

- وأنا مثلك أعاني .. ودكتور الشركة دائماً ينصحني بترك الكحول والدخان ؛ ولكن لما نشرب نرتاح من الآلام لعدة ساعات

- ولما نصحُ تعود الأوجاع .. نستريح مدة السكر فقط ..هل نحن قادرون على التخلص منها نهائيا؟!

حي الشجرة حي ٥٣ رقم ، هو الحي الذي سكنت فيه أمونة بقدر من رب العباد ، حي رجالات البلد قبل ثلاثين سنة .. المدن تتمدد أفقيا ورأسيا كما نعرف اليوم ، فعندما تكبر المدينة بزيادة البشر تظهر أحياء جديدة للأغنياء ، وأخرى للفقراء ، فالمدينة تستوعب الأيدي العاملة ، فتجد مؤسسات البلد تزيد وتبعد عن المركز ، فظهرت عمارات بناء غربي وإسلامي .. ومباني عدد كبير من الطوابق خمسة ستة عشرة طوابق .. تكبر وتضخم الدوائر الحكومية المدارس المستشفيات .. فعندما أنشئ حي٥٣ كان حي علية القوم من التجار وكبار الموظفين ، فعندما يمر من شوارعه الفقير أو متوسط الدخل ، يحلم بأن يكون له فيه منزل أو قصر يسكنه .. فهو عبارة عن قصور صغيرة أو فلل كما تسمى اليوم .. كل بناية طابق أو اثنان من الحجارة البارزة من الخارج ، وحوله حديقة ، تجد أشجارها عالية باسقة إلى السماء ، تجعله بيتا في غابة ، تجد مواقف سيارات ، فتجد بوابة خاصة لكراج سيارة الأسرة .. الشوارع مزفتة .. وأرصفتها يعتنى بها ، لأنها ما زالت تُكن الموظفين القدامى والوزراء المتقاعدين .. وكل شيء له زمن وبداية ونهاية .. وله عز وتاريخ .. ومع النفط والحداثة والغزو الفكري ظهرت المباني والأحياء الجديدة وانتقل الجيل الجديد إليها فبعدت المباني عن المركز للمدينة .. والشوارع صارت أوسع وأحدث وظهرت إشارات المرور الضوئية عند التقاطعات ؛ لذلك لما وقف شحام أمام بوابة بيت أمونة ونزل الأولاد والأم والأب قال مداعبا: هذا قصر أمونة .. هذه اللوحة النحاسية منزل السيد سميح عبد السميع

قالت أم شحام : الرب كريم وسخاؤه عظيم ! أنا أعرف هذا الحي.. ألسنا من أهالي العاصمة انظر هذه الأشجار الباسقة إلى عنان السماء .. ربك

يعطي بسخاء

قال رشيد بضيق وربما غيرة : هذا بيت أمونة آخر الزمان ؛ ولكن ـ كما أخبرت ـ كتبته باسم الرجل ، لم يعد بيتها

قال شحام وقد شعر بغيظ أبيه : نصيب .. وهذا الرجل هو الذي فتح لها باب السعادة .. أعادها للحياة لقد نسيناها في غمرة صراعنا مع هذه الدنيا ، لم نتعامل معها كإنسانة .. عاملناها كجرة مال .. لها عواطف ومشاعر وأحلام وزوجة وأولاد ..للأسف كانت كما مهملا .. لقد كنا في غفلة عنها .. فهذا الرجل أعادها للحياة ، وأنها أنثى كأمي وأختي وزوجتي.. تطمع أن تكون والدة يا أبا حسونة لها زوج وأسرة

فتح الباب فصمتوا ، خرجت أمونة وسميح يستقبلون قارعوا الجرس ، وجرى العناق والدموع وقالت أمونة وهي ترفع يديها إلى السماء: الحمد لله .. صار لي بيت يزورني فيه أهلي أبي وإخوتي يا مرحباً بالحبايب أهلا بأم شحام وأم موسى تفضلوا

تبعوا الزوجين بعد السلام والمصافحة ، وفي صالة البيت الواسعة جلسوا يتعاتبون ويتسامحون مهما استفحل العداء فهم أهل وأخوة وأصهار ، وتكلم شحام معتذرا عن التقصير الذي كان من جانبهم نحوها ، وأن الجهل والغفلة سببا هذا التقصير ، وذهبت عن أعينهم معاني المجاملات والزيارات والجلسات العائلية ؛ لتبادل الأفكار والأخبار والمسامحة ، والمساعدة في إزالة سوء التفاهم بين الأخوة والآباء والأبناء .. فشكرته أمونة ، واعترفت بوده لها ، وأنه أخ يعتمد عليه ويركن إليه ، ووضعت بين أيديهم أصنافا من الفاكهة الطازجة والعصير الطبيعي ، ثم قدمت لهم الشاي المشروب المفضل ، وشكرها شحام لسماحها له العيش في شقتها ، وتنازلها عن الأجرة فقالت: نحن أخوة .. والحمد لله .. لست بحاجة لإيجارها .. وأنت أولى بها من غيرك

قال سميح: الحقيقة أمونة سخية ، ولا أقول ذلك لأنها زوجتي .. لما تحدثت معها عن رغبتي بالزواج منها ـ كما تعلمون ـ طلبت مني بشدة أن أقبل العيش معها في شقتها في أبو خروف ، وأن أوجّر بيتي .. رفضت مقاسمتي تلك الأجرة .. ولما جرى الذي جرى بيني وبين السيد حسونة .. وقررنا ترك الجمل بما حمل رفضت أيضاً العودة لبيتي.. وكان أن دلها صاحب مكتب العقارات على هذه البناية ، التي هاجر مالكها إلا الغرب .. فأهلا وسهلا بكم ، وأهلا بالشيخ رشيد ..كيف الشيخ سلمان أبو يوسف يا أبا حسونة ؟

فقال: زعلان مني ، منذ رحلت نرد على بعضنا السلام فحسب .. أنا أبارك لكم البيت الجديد

وذكر لهم سبب زعل سلمان ، فقال سميح : سأزور المقهى وأصلح بينكم .. الشيخ سلمان رجل غانم

وأثنى شحام وأمه على سلمان ، وقال شحام : لولا مبادرتك يا أبا سعاد لفعلت ذلك .. لم ألحظ ذلك ..لأن العم سلمان شيخ الحارة .. عسى ابنتك بخير

قالت أمونة نيابة عن قرينها : عسل .. سعاد عندها اليوم طفلان ، ولا يخلو أسبوع من رؤيتهم حتى أن سميحا يلح عليّ بكفالة طفل يتيم من الملجأ .. وعادت تمدح قدومهم : نحن أهل خطوتكم رائعة .. ربنا قال لا تكرهوا شيئا عسى أن يكون خيرا لكم .. فأراد الله أن يكرمنا بهذا البيت الجميل في الحي الجميل فكان حسونة السبب .. وها هو سيدي سميح أنهى تدريب السواقة لنشتري سيارة تليق بمقامنا في هذا الحي الهادئ

فقال شحام مشجعا : يستاهل ، نعم الرجل .. سميح طيب .. ونعم الصهر .. بركة أبا سعاد

تمتم سميح بالشكر والامتنان وقال: أشكرك يا بني كانت السيدة ـ رضي الله عنها ـ كريمة معي

أيام عملي في شارعهم .. كان عطفها عليّ كبيرا ، ولم يكن في بالي أن أتزوجها في يوم من الأيام ، كانت أم سعاد موجودة .. هي مرضت قبل موتها بخمس سنوات .. وكان المرض صعبا .. وكانت مساعداتها متكررة لي ولغيري من فقراء الشارع .. وكانت تستخدمنا في التحميل والتنزيل لتعطينا بدون حرج أكثر مما نستحق .. كنت أدرك هذا الإحسان .. وإلا مكان سوق العمال لا يبعد كثيرا عن شارع الخياطين .. دعيني أتكلم . كانت تشير له بالتوقف فضحكت وقالت: آسف خذ راحتك

فتابع السيد ذكرياته ، فقال: الفضل لا ينسى .. ساعدت في حل أزمات طارئة .. وسبحان الله لما ماتت أم سعاد وقع في قلبي طلب يدها .. فالرجل يصعب عليه بعد تعرفه على الحياة الزوجية أن يعيش بلا امرأة .. فبعد أن تيقنت أنها تصلح أن تكون زوجة ، وبعد تفكير حسمت أمر طلب يدها ، شاورتها في الأمر .. وهي عادت بعد أسبوع تعلن موافقتها ، فغمرتنا السعادة ، وعدت ابن عشرين سنة تغمرني السعادة والحياة .. والحمد لله رب العالمين .. وأنت يا عم رشيد كيف حالك وصحتك ؟

مسح العم رشيد فمه بمنديل ورقي ، وتوقف عن الأكل وقال: تشرفنا بمصاهرتك يا أبا سعاد أهل الحي يسلمون عليكم .. والعم سلمان رغم غضبه مني لما علم بأمر هذه الزيارة تكلم معي وأوصاني بالسلام عليكم ـ فردوا السلام ـ وقال سوف أزورهما أنا وأم يوسف .. ومعارفنا في الحي

يهدونكم التحايا والمحبة .. وعرفنا كم كنت تقدمين من الخير للجمعية والجيران الفقراء والأيتام ، حتى مهران قال : خسارة رحيل أمونة من الحي ويرسل لك السلام

قالت : كان خالي بكر ينقل تحياتهم شكرًا لك يا أبي الغالي

– حقيقة يا أخ سميح أهل الحي بعد هذه السنين وجدتهم يقدرون أمونة تقديرا كبيرا .. أنا لم أكن انتبه لهذا .. ولا حتى شحام ؛ لذلك لما سمعوا بأني سأزورها الكل يطلب مني توصيل السلام لها ، وعبروا عن مشاعرهم النبيلة نحوها .. أتمنى لك الخير يا ابنتي .. وأنا أعترف بأنك لم تقصري معنا ، ولم نكن نحسن الثناء عليك ، وتشجيعك على هذا الخير .. الإلف كما يقول شحام يدفع المرء على عدم فهم العواطف والشكر .. وشحام مقدر لك حق التقدير حبك له ، وتسكينه في شقتك الخاصة .. وكانت النفرة بينك وبين أم شحام بسبب الجهل وطبيعة البشر .. فالأزواج يتنافرون ويزعلون ثم يصطفون ، وتعود الحياة إلى مجاريها طيبة حسنة .. وحقيقة أم شحام منذ زواجك فاجأتني بعواطفها نحوك .. ودائما تكرر لولا أمونة علينا لافتضحنا يا رشيد في الحارة خيرك كبير علينا يا أمونة أرجو أن تصفو قلوبنا .. ونعود من أحسن الأهل .. والبيت في انتظار زيارتكم على أحرمن جمر في أي وقت تشاءون ..وعلى رأسي يا سيد سميح والبيت بيتكم

فقالت أمونة: شكرًا لك يا أبي الغالي ، الكلام بلسم الجراح والأحزان .. وأنا دائماً أقدر موقف أم شحام غاية التقدير .. لقد صدمت من رفضك من زواجي بغض النظر عن الشخص .. أنا التي كان عليك أن تيسر لها الزواج أول الناس .. وبهذه المناسبة الجميلة سأزيد مساعدتي لك ولأم شحام إلى سبعين دينارا في الشهر ـ إن شاء الله ـ لأني على وشك فتح مخيطة هنا .. في هذا الحي مشرفة عليها .. فقط ساعة أو ساعتان في اليوم مع إحدى السيدات التي تلح على تعاوني معها لما تعرفت عليها .. وعلمت أني أعيش بجوارها .. فهي تسمع عني وعن خبرتي ، وربما أنقل فتاة من مشغلنا للعمل معها .

دعا الجميع لها بالتوفيق وزيادة الخير وتابعت بعد صمت: سنقوم بإذنه تعالى بزيارة لكم ، وستعود المياه لمجاريها .. ولسوف أزور الأخوات لما نشتري السيارة قريبا .. وذلك بعد نجاح سميح في فحص الدائرة .. وأشكر أخي شحاما على هذه المبادرة .. والشكر لكل أهل الحي .. ولا أنسى أربعين سنة عشتها في أبو خروف وأهله .. والعم سلمان على العين والرأس ، كانت زوجته كأم لي مع أنهم يسكنون القسم الثاني من أبو خروف ، ولهم أيادي

بيضاء عليّ وأنا صغيرة ، وساعدتني أم يوسف ماديا في بداية تملك المحل ، ووفقني المولى وسددته كله ، وظلت علاقتنا طيبة معهم لليوم مع أم يوسف وبناتها كلهنّ .. فالصدقة والإحسان مطلوبة .. والخير كثير على إنسانة بسيطة مثلي .. وشريكتي أحلام تزوجت مثلي ، وهي مستمرة بإدارة المشغل والمخيطة .. ولدينا عاملات بفضل الله قائمات على العمل على خير ما يرام .. ونحن لا نقصر معهن بالأجرة والمكافآت .. ونتعامل معهنّ بإنسانية يعرفها السيد سميح ، فكانت الفتيات يعتبرنه والدا آخر لهن .. ونحن مصروفنا المنزلي بسيط زوج وزوجة ، وحتى أن تقاعده ترجيته أن يدخره لسعاد وأبنائها ، وأصر على المساهمة ، فسمحت له أن يصرف شيئا بسيطا ، وإلا الثروة التي عندي ماذا أفعل بها ؟.. الحمد لله والمنة لله

واختلط الحديث والذكريات ، وقدمت الحلويات الشهية ، واستمتعت الأسرة بهذه الجلسة النادرة في عائلة رشيد دون مشاجرات ومماحكات ؛ ولعل القلوب صفت بينهم جميعا ، وقدمت لهم أمونة في نهاية الجلسة الهدايا التي أعدتها من الثياب والأقمشة ، لهم ولبنات أم شحام .. كذلك وزعت عليهم المال ، ووضعت في يد والدها خمسين دينارا ، ومثلها لشحام ، وأمه ، مما سمح لهم بذرف الدمع قائلة لرفع الحرج : حلوان السيارة التي في الطريق .. دعواتكم . حتى الأولاد أخذ كل منهم خمسة دنانير وأصرت أمونة على ذلك ، فقال سميح : علينا أن نفتح صفحة بيضاء أيها الكرام ، ولا يبقى بيننا إلا الذكريات البيضاء .وقدم سميح الألعاب بنفسه للأولاد قائلا: هدايا عمكم سميح وحرمه العمة أمونة

وأخذ شحام يد أمونة باكيا مقبلا لها وهو يقول متأثرا بجود أخته: هذه أول مرة منذ وعيت أقبل يد إنسان حتى أبي وأمي . ودعا الله بأن يهبها الذرية الصالحة وقال : أنت خيرنا ، وتستحقين كل الخيرات والبركات.. أمونة أنت أميرة لنا .. زواجك من هذا الرجل الطيب غير نمط حياتنا كلها

غيظ حسونة

كانت الزيارة ليلة الجمعة لذلك لما استيقظ حسونة صباح الجمعة قال لامرأته مفتتحا الكلام: تأخروا الليلة ، طال مقامهم عندها! سأنزل أسمع التفاصيل من أم شحام ؛ لأنها لا تحسن كتم شيء ، لو كان مع عدونا ديان الأعور .

فطرق الباب ، ودخل دون أن يفتح له أحدهم الباب ، ووجد أباه وزوجته يجلسان في الصالة يشربان القهوة ويدخنان ، فسلم وجلس ، وقال: تأخرتم ليلة أمس ، أنا ظننت أنها ستطردكم وتعودون للبكاء والولولة والندم.

قالت سليمة : أختك أميرة !.. الله يزيدها من فضله أكثر وأكثر . وأخذت تسرد على مسامعه احتفاء أمونة بهم ، وما أكلوا وما شربوا وما تحلوا ..وهداياها من الثياب للجميع ، ولبناتها أخوات حسونة اللواتي لم يدخل عليهن منذ تزوجن في يوم عيد أو مناسبة ، وذكرت هداياها المالية ، وزيادة مصروف أبيه ، ومسامحة شحام من أجرة الدار ، وكانت تفصل وتكرر ذلك لتغيظ قلبه ، وتمنت وهي تسرد ما تذكره لو زوجته معه ؛ والتي ما زالت متظاهرة بأنها غضبانة منهم من تلك الليلة التي ضرب فيها زوجها من أخيه الأصغر ، وهي موقنة أن كل ما سيسمعه حسونة سيضعه في أذنها ، وكان حسونة يسمع ويهزّ رأسه ؛ كأنه غير مصدق ، وكان يقاطعها ويلتفت لأبيه ، فيهز رشيد رأسه مؤكدا له صحة ما تقول سليمة ، وأضاف مرة مفتخرا بها على غير العادة : حق أنها جديرة بأن تكون ابنتي! .. أنا الأيام الماضية القريبة عرفت قيمة أمونة في حي أبو خروف كنت أعمى .. عرفت أن لي ذرية نافعة لنفسها وأهلها وللحي .. أخطأت يا حسونة في حقها .. وأنت شقيقها فأمكم واحدة .. وأخطأت في حق زوجها .. أعطتنا مالا ليلة أمس قد يصل لخمسمائة دينار في مجموعه .. حلوان الدار والسيارة التي ستشتريها للسيد .. فعليك بتصحيح خطئك معهم ، والاعتذار لسميح صهرنا العزيز ؛ فإذا لم يصفح عنك الرجل ستبقى أمونة مجافية لك .. البنت مفتونة فيه وتحبه مثل صبية في سن المراهقة

قالت بغيظ : اسكت ، أمونة بنت فهمانة .. وسميح رجل طيب مسالم .. لم يتأفف بكلمة أو حركة مما أهالته علينا ربما أبوك تضايق من فعلها وكرمها.. وسميح لم يظهر منه غيظ أو لماذا ؟ بل قام بتوزيع الألعاب على الأطفال بنفسه

ونهضت لتغيظه أكثر بإحضار الثياب التي أعطيت لها ولزوجها ولبناتها أخواته وقالت: انظر إلى بذلة أبيك ، ربما تحتاج لثلاثين دينار أو خمسين لتلبس واحدة مثلها

برم شفته متكلما بكلام غير مفهوم وتابعت : وأخذ شحام بذلة مثلها ، ونفس القماش واللون ، وبيتها قصر من القصور التي نراها في التلفزيون هذه الأيام ، أو كما يضرب المثل بقصور ألف ليلة وليلة .. الله يكرمها بالذرية ـ يا عم حسونة ـ لتكمل لها سعادة الدنيا

ـ بس تكون ذرية طيبة ، ليست كذريتي وذرية البهيمة التي عندي

قال رشيد: لماذا الغلط؟! هي عرضك وساترتك

وقالت : حتى أن سميحا سمح لها بتبني أو كفالة طفل ملجأ .. وقريبا سيتقدم لفحص قيادة السيارات ـ وفقها الله تعالى ، وزادها من نعيمه ـ

حقيقي كما قال شحام كنا ظالمين البنت دون أن نحسب أن ذلك ظلم .. كانت السعادة ترفرف من وجهها لما رأتنا عندها .. الجاهل عدو نفسه .. أميرة فعلا يا أمونة

تنهد بحسرة لعدم مشاركتهم المصالحة ؛ ليغرف من خيرات شقيقته كما غرفوا ، فخاطب أباه سائلا: ألا تطردني إذا ذهبت إليها ؟

– تطردك ولماذا تطردك ؟ أنت أخوها الشقيق يا محترم ..ستساعدني للذهاب للحج هذه السنة وسيكون الموسم في شهر كانون الثاني مطلع العام الجديد ، وستذهب معنا أم شحام أرأيت ؟! تريد لنا الخير .. هي استأت من أفعالك الصبيانية مع زوجها الطيب اللطيف .. فأحبت أن تبعد عنك حتى لا تخسر زوجها المحترم .. هل تعلم أنها تؤجر الطابق الثاني لرجل كبير في البلد ضابط شرطة .. وزوجته موظفة خارجية .. هم مثل السمن على العسل .. وهو حي الأكابر من علية البلد ..كان ذا تاريخ ، كنا نضرب به المثل قديما ..لو أنك ساكن في حي ٥٣ حي الشجرة .. أذكر أننا كنا نقول ذلك .. وما زالت تقطنه العائلات القديمة تتوارثه .. أنا وجدت أن العم سلمان يعرف ابنتي أكثر مني .. وصارحني أنها تدفع للجمعية جمعية أم ريان .. واعترفت أمس بذلك .. لها أيدي بيضاء على فقراء أبو خروف .. فهي تقدم المال والملابس الفاضلة عندهم للجمعية

فقال حسونة: كل هذا يطلع من أمونة

– نعم ، هذا ما عرفناه في الأسبوع هذا ؛ لأن بنات سلمان وزوجته أصدقاء لها ، فيعرفون عنها أكثر منا ، وكشفت لنا أن سلمان هو الذي ساعدها ماديا عند شراء المشغل ، لما عرضته صاحبته للبيع ، واليوم المشغل أصبح يبيع لبعض الدول ضمن شركات تعمل في الخياطة

– هذا نحن لم نكن نعرف أمونة حق المعرفة

زعقت أم شحام : هذا هو الصحيح ، نحن لم نكن نهتم إلا بما تعطينا إياه فحسب ، لما نستلم المال آخر الشهر ننسى أمونة حتى يقترب آخر الشهر التالي ، رغم أننا عندما نفتكر جيدا ، فهي لم تكن تقصر معنا في كسوتنا وعيديتنا والإنفاق على البنات وشحام حتى كبروا وتزوجن .. كنت أرى أن ذلك واجب عليها ؛ لأني تزوجت أباها ، وليس كرما وجودا .. أختك سيدة كبيرة وتعرف الأصول ، ولا تنتظر مكافأة منا ؛ لأنها تعرف أننا لا نستطيع ذلك ؛ لأنها هي المعينة لنا وبزواجها من سميح أكدت للجميع أنها إنسانة متواضعة ، لم تقل أنا أملك آلاف الدنانير ، كيف أتزوج من هذا العامل البسيط الفقير الأرمل ؟! بل أحبته بصدق وبحق .. ذكرها أنها امرأة تحب وتحب .. هل تعلم يا حسونة أن الرجل لما طلب يدها منها أولا ؟

عرضت عليه فتيات أخريات يعملن معها .. فأصر عليها دونهن .. فقالت لي: تذكرت أني أنثى ، وقد يطلبني إنسان كزوجة ، كدت أبكي بين يديه ، لولا المقام ، قالت هذا لي ولأم موسى ونحن في المطبخ ولليوم لا تنسى موقفي من زواجها ، مع أنه أمر عادي ، لم يكن له قيمة عندي ؛ ولكنها تعتبره موقفا يتغنى به الشعراء .. كان بغضي لها بحكم زوجة الأب والغيرة بين النساء .. أنت تعلم أني أكبرها بأربع سنوات .. ولا أذكر أني خدمتها بشيء .. اعتبرها جرة مال .. هي تجرني إلى هذه الكلام جرا لتوضيح الموقف .. جزاها الله خيرا هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

- أنا كنت أسمع أطراف هذه الحكايات الإنسانية ومساعدة الفقراء ، فأظن أنهم يتحدثون عن أمونة أخرى في أبو خروف

- أختك اشترت الفيلا بخمسة عشر ألف دينار ، وأعادت صيانتها ، وفصل الطابق الثاني عن الأول بحوالي خمسة آلاف دينار .. وابن خالك المهندس محمد أشرف على الفصل .. وكتبت البيت باسم زوجها .. فحبها كبير للرجل .. فرتب أمورك واعقل ، واذهب وصالحها ؛ لعلك تحظى برضاهم ، وتزوج ابنك لما يخرج من السجن .. يكفيه همالة وفسق .. فنحن نغرف من بحر خيرها ومالها !

* * *

صعد حسونة لشقته بعد الذي سمعه من امرأة أبيه عن شقيقته من الثناء والمدح ، ولما سكبت له القهوة أشعل سيجارته فقالت : عدت سريعا

ضحك من استهزائها ورد : لي أكثر من ساعة أسمع المديح على أخت حسونة .. كنت تحتا أطمئن على زيارة القوم لأمونة .. لقد عادوا بالبذلات والثياب الصغير قبل الكبير ، والمال والوعود ..عادوا من الجنة من قصر الست أمونة

حدقت فيه سائلة : ماذا قالوا ؟

- أوه! أوه ! يا امرأة شقيق امونة ! فواكه طازجة .. عصير أشكال وألوان .. ملابس فلوس .. تريد أن تحج وزوجها وأبوها وامرأة أبيها على حسابها نهاية هذا العام

وأخذ يردد ما علق في ذهنه من صفة زيارتهم لأمونة ، وعن ندمهم وتقصيرهم في حقها ، والاهتمام بها قبل زواجها .. اكتشفوا أنهم كانوا على خطأ، وقد اشترت منزلا بخمسة عشرة ألف من الدنانير .. أمونة تملك هذا الكنز .. وأصبح جيرانها رجال الأمن ، وزوجته موظفة وزارة خارجية ، وأخبرها أن سميحا تعلم السواقة ، وسيتقدم للفحص لتشتري له سيارة .. واكتشفوا أنها تدعم جمعية البر سرا وخفية

قالت مؤكدة: هذا سمعته من بعض النسوة اللواتي يترددن عليّ ، ولم أكن أصدق ذلك .. قلت

لهنّ هي تعطينا قرشين بالعافية

- إنها تتبرع لهم شهريا بالمال ، والملابس في المناسبات كعيد الفطر والأضحى ، وعند فتح المدارس ، وربطتهم بعدد من الشركات والمصانع يتبرعون بالزوائد

- معقول كل هذا يطلع من أمونة

- أجل

- نحن لم نكن نجلس معها يا حسونة كلمة على الباب والسلام

قال : الحق نحن من ناحية التقصير قصرنا وأهملناها من حياتنا ، ولم نكن نعترف بها ، لم نكن نعتبرها كائنا حيا يعيش بيننا ، مع إحسانها المتكرر كانت تساعد في كسوة حلمي حتى كبر ، للأسف لم نقدر لها هذا التعاون والعطف .. كنا مثل أم شحام .. لقد نصحتني كثيرا بالاهتمام بالولد .. فأرد عليها خليه يعيش كيفما أحب، فحكايات الناس في الحي تزكم الأنوف حتى صرنا نخشى حياته معنا .. حتى صرنا نخشى العيش معه .. الزمن لا يعود لا يرجع

قالت: اللعين مرة أحضر فتاة إلى هنا وقال : هذه جوعى إنها تريد أن تأكل لحما ، فحاولت طردها ، فأبت حتى أكلت دجاجة ، ثم خرجا .. فقد خشيت أن يجن ويعاشرها في الدار .. ولما خرجوا رآه شحام فقال : لماذا جلبت هذه الساقطة للعمارة ؟! ثم ضربه أمام البنت ، ومسح فيه الأرض ، وبصق على البنت ، وشتمها دون خجل

- أول مرة تقولين ذلك

- حكايات كثيرة لم تسمع بها .. هو أنت صاحي

- لكني ـ كما وعدت ـ بدأت أخفف ، لم أعد مثل قبل أسبوع

قالت بألم : أنا صحتي تتدهور .. خففت منه كثيرا رغم أنفي ، وصرت أدخن علبة واحدة .. متى ستزور أمونة ؟ لابد من رؤية الجنة

- عندما نشتري هدية ملائمة للصلح ، ولدخول الجنة .. سنأخذ العنوان من شحام اللعين .. يبدو أنهم خارج العمارة .. سمعت أمه تقول : إن حماه مريض دخل المستشفى

- آ ، من أجل ذلك لا صوت للأولاد

- كأنه أوصل أمه وأباه ، وذهب لبيت حماته ، لم يبت في الدار .. فكري يا سيدتي بهدية تسهل دخول جنة أمونة .. أختي العزيزة ..أختي الكنز .. كنز علاء الدين

- قبل أن أفكر بالهدية الغالية للغالية تحدث معي عادل شقيقي ..

وأعلمني أن حلميا الأسبوع القادم سيخرج من السجن

- الأسبوع القادم !

- نعم ، وهم مصرون على عدم استقباله ،

ويرفضون عودته للحياة عندهم ، فمغامراته النسائية زادت عن حدها ،وشاعت ، وهو متضايق منه جدا ، ويطلب منا أن نستقبله في بيتنا ، وليس أمامنا إلا ذلك

– في الشركة قد فصلوه ؛ ولكن المهندس شاكرا وعد بعودته ، فهو يقول عنه : حمار شغل ؛ لكنه أمام البغايا والشراب أرنب بري ضعيف .. ألا نستطيع إقناعه بالزواج ؟

– عمره ثلاث وعشرون سنة ليس صغيرا .. يرفض تحمل المسؤولية .. لو شحام لم يأخذ بيت أمونة لزوجناه فيه .. وتكفلنا بالصرف على امرأته حتى يصير محترما

– شعاره لماذا أتحمل مسؤولية امرأة؟! وهو يجد بنات الهوى في شوارع المدينة، إني في عجز كامل أمام جنونه

– الحل عند رب العباد ، سنرحب به ، ونعمل معه اتفاقا

حسونة في بيت أمونة

أنا اعتذر إليك يا سيد سميح ، أسأت إليك ، الخمر ملعونة .. سامحني أيها الرجل الطيب ، هات يدك أقبلها . هكذا قدم حسونة نفسه لزوج شقيقته .

سحب سميح يده من يد حسونة وقال: استغفر الله .. أنت تظل صهري ونسيبي وشقيق أمونة الغالية سامحتك . والتفت لزوجة حسونة مرحبا دون مصافحة باليد فهو لا يصافح الأجنبيات شرعا : أهلا بالسيدة الفاضلة

ردت فقالت: نحن فعلا آسفين جدا يا أبا سعاد ..ونعتذر منك يا أخت أمونة

قالت أمونة بعتب ضعيف: حصل خير .. وهذا الخير الذي يغمرنا اليوم بسبب لسان حسونة الأخ الشقيق الوحيد لي ، الذي يجب أن أشد أزري به ؛ ولكن أقول قدر الله وما شاء فعل .. وأنا قلبي أبيض .. وكذلك سميح .. رجل وهبني الحياة بعد أن كنت مجرد جسم .. أبو سعاد قلبه أبيض مثل قلبي ..لا نعرف الحقد والبغض تفضلوا بالجلوس

عاد حسونة يعتذر للجميع ، ثم قال : سامحني يا أبا سعاد تعلقي بالشراب أفقدني الصواب فأنت سترت عرضي ـ ستر الله عليك ـ والمائة دينار التي أخذتها منك سأسددها ؛ لكن الحال اليوم لا يسر صديق ولا عدو

قالت أمونة : أنس أمر المائة .. السيد سميح سامحك منها لما رأى عجزك عن تسديدها .. فاعتبرها غير موجودة

وأكد سميح هذا الكلام وزاد: أنس أمرها .. فنحن أهل .. الله يوسعك عليك ويخلصك من الشراب ويتوب عليك

قال حسونة: الحمد لله رب العالمين .. لي أيام قد

بدأت أخفف منها لأتخلص منها نهائيا .. لا نشرب إلا كل يومين أو ثلاثة كأسا صغيرا ؛ لأنه يصعب الخلاص منها فجأة

قالت أمونة مظهرة فرحها : خبر جميل ! ورويدا رويدا ستنساها ، وتتحسن صحتكم .. الخمر كما هو معلوم شرعا أم الخبائث والشرور .. والعزيمة والإرادة تحقق كل شيء .. قد تصاب بفترات ضعف لكن اصبر وعد لصوابك .. وبعد شهور سترى ثمرات الإرادة والعزم .. وأدعو الله أن يساعدكم على التخلص منهما الخمر والسجائر .. هناك عيادات صحية لديها برنامج تأهيل للتخلص من الخمور والمخدرات .. وأنا على استعداد لمساعدتكم ودفع تكاليف العلاج إذا صممتم فعلا على الخلاص منهما

فقال حسونة مستنجدا : ساعديني لتحقيق ذلك يا أمونة .. صدقي أني احتقر نفسي ، وأنا أسير هذه العادات القبيحة ، ثم تغلبني الشهوة والضعف البشري . ثم ذكر لهم قصة الشيخ الذي تعلم وإياه الخمر ، وهما شابان صغيران ، وكيف تاب صاحبه ، وصارا شيخا

فعلق سميح على القصة فقال : تستطيع أن تكون مثله بالتوبة والندم بين يدي الرب عز وجل وبالصلاة والصوم .. وها هي الأخت الفاضلة ستساعدكم في مراجعة عيادات هذا النوع من العلاج العيادات المتخصصة في معالجة الإدمان على الشراب وغيره .. المهم كما قالت أمونة العزيمة والإرادة

قالت أم حلمي: كلما أذهب للعيادة سواء الخاصة في شوارع أبو خروف أم عيادة صحة الحكومة .. كلهم علاجك وشفاؤك بترك الكحول .. وهن الجسم لم يعتد يحتمل .. فأنا بدأت أقلل منه قبل حسونة .. وتركت الأصناف القوية إلى أصناف قليلة في نسبة الكحول ـ وإن شاء الله ـ نتمكن من التخلص من العادات السيئة ، ونتخلص منه نهائيا

كانت الفواكه موضوعة أمامهم ، ويقضمونها خلال هذا الكلام ، فكانت الأفواه تأكل وتتكلم أو تسمع ، وقدم العصير والحلوى ، وعاد الوئام خلال هذا اللقاء ، ووعدت بزيارتهم قريبا عندما يحصل سميح على الرخصة الخاصة بقيادة السيارات ، وستكون أول زيارة بسيارتهم الخاصة لحي أبو خروف ، وذكرت أنها تفكر بعمل وليمة كبيرة للعائلة في بيت الوالد .. ولما سئل عن ولده قال بامتعاض: سيخرج غداً أو بعد غد .. وأخواله يرفضون عودته للعيش عند جدته.. وسيعود للحياة معنا .. ونعود لمشاكل زمان

فقالت أمونة مستفهمة: لا يندم الإنسان في السجن ألا يهتم لفقد حريته؟ لا يتحسن حاله

قال حسونة متذكرا الحبس وآثاره : أنا مرة واحدة

حبست ، لبثت في سجن المركز الأمني حتى تصالح أبي مع أهل الولد الذي اعتديت عليه بسكين صغير .. بعدها تبت ، ولم أعد أحمل موسا في قميصي ، أو حتى آلة حادة .. عند المشاجرة لا يسيطر الإنسان على نفسه .. وكيف سنقومه بعد هذه السنوات من الطباع القبيحة؟!

نظرت أمونة باسمة إلى امرأة أخيها وقالت: لابد أن أم حلمي تذكر كم مرة نبهتها لسوء سلوكيات ابنها نحو فتيات المدرسة والشارع ومعاكسته لهن دون حياء ؛ ولكن اليوم لا ينفع الندم .. وسائل الانحراف تزداد .. وبنات اليوم سافرات ، ويتسكعن في الشوارع من غير رادع ببنطالات وأقمصة تكشف الأذرع .. أصلح الله شباب وبنات الأمة

قال سميح: وشباب المساجد يملئون المساجد بفضل الله

بعد يومين من تصالح حسونة مع شقيقته وزوجها سميح في ساعة المساء خرج حلمي حسونة من بوابة السجن ، بعد قضائه فيه مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وأربعة حاملا ملابسه وحاجياته فلما أفرج عنه ، ولم يجد أحدا في استقباله كظم غيظه ، وركب سيارة انطلقت به حيث غرفته عند جدته ، ولم يدخل مسلما عليها ؛ لأنه وجد بعض أخواله في انتظاره أمام البيت ، وأبلغوه قرار طرده من الغرفة التي فتحت له ، فسب وشتم وأخرج أولاد أخواله أغراضه وأشياءه من الحجرة بسرعة ، وأشار أحدهم إلى سيارة { بيك آب} ، ووضعوها فيها مع ما أحضره من السجن ، وبصق عليهم ساخطا ، ولم يكترثوا لفعله ، وسمع أحدهم يقول: أنت رجل فاسد ، لا مقام لك عندنا ، جئنا بك لتصلح حالك ، فازددت فسادا .. فأبوك أولى فيك .. وأحسن إلى أمك التي لو أنجبت تيسا أو بغلا لعاملها بالحسنى

ولما وصل أبو خروف ، كانت أمه على الشباك ترقب وصوله ، فقد أخبرها أحد أخوتها بخروجه وأنه في الطريق إليها ، وقفت السيارة أمام منزل رشيد ، ولما أنزل حاجاته من السيارة صاح فيها: هات إيجار السيارة يا بنت ...

ونزل حسونة ودفع للسائق أجرته ، ثم سلم قائلا: الحمد لله على السلامة

وأمسك بحقيبة ليصعد بها عندما خرج شحام من بيت والدته للشارع وقال: أهلا وسهلا بالبطل .. الحمد لله على السلامة يا عم .. ألست عمك ؟!

حاول مصافحته ؛ ولكن الشاب الغاضب لم يمد يده تجاهله وقال محذرا: اسمع أنت لست عمي أنت عدوي .. السلامة التي منك لا أريدها . ورفع رأسه حيث تقف أمه صائحا: أنزلي هذه الأغراض تحتاج لرفع .. وأنت يا سيد حسونة هات خمسة

دنانير ، سأصل وسط المدينة لي سنون لم أرها .
– اخرج للبيت أولا ، وبعد أن تستريح تذهب إلى جهنم الحمرا
– ظمآن يا عالم .. لا أريد أن اصعد هات . ومد يد على طولها ينتظر الدنانير الخمسة
قال شحام زاجرا : تأدب يا ولد مع أبيك ، واصعد معه واغتسل وتعشى ، ثم اذهب للسم الهاري
صاح حلمي في عمه: أنت لا تتكلم معي .. انصرف لبيتك
ضحك شحام وقال: بيتي صار هنا جارك .. عدت إلى هنا سكنت شقة أمونة
تطلع في عيني أبيه الذي قال: نعم ، عمك سكن في شقة عمتك أمونة .. أمونة اشترت دارا ورحلت إليها .. وعمك استأجر الشقة منها
فصاح محتجا: عدنا لعهد الوصاية !
تناول حسونة ورقة بخمسة دنانير صائحا في ولده : خذ هذه الخمسة ، ولعمرك دخلت
خطفها من يد أبيه وقال بحدة : ادخلوها البيت ـ العفش ـ إني أكرهكم ! متى تموتون وادفنكم وارتاح منكم ؟!
استدار شحام عائدا لبيت الوالد ، وجاءت أمه تساعد زوجها في رفع الفرشة والحقائب ، وكان الشاب قد اختفى ، ولم ينتظر حتى يسلم عليها ، وقام أولاد شحام بمساعدة عمهم حسونة بنقل أغراضه لشقة عمهم.
ولما انتهت عملية رفع أغراض حلمي أغلق حسونة الباب دون توجيه كلمة شكر للأولاد
وقال للمرأة التي كانت تلهث من رفع حقيبة واحدة : عدنا للمشاكل ، ماذا سنعمل ؟ إلى أين سأرحل؟!
– إذا ظلت حياته هنا للأكل والشرب فلا حرج نتحمل .. الله يعيننا ، أما إذا حاول العودة لحركاته القديمة ، فعلينا أن نجد حلا لفجوره وضياعه وجنونه
– هل أعدت تجهيز حجرته؟
قالت: نحن أصلا لم نغير فيها شيئا .. السرير على حاله .. والخزانة مكانها .. غسلت ملاءات السرير والمخدة .. الله يصلحه
– المهم أن يقبل أصحاب الشركة عودته للشغل
– هو يدبر أمر نفسه لا تهتم ، سيجد عشرات الشركات يعمل فيها .. لا تزعج نفسك في شغله
– أنا لا أملك فلوسا ليلعب بها .. أنا لا أطيق ذلك
– اطلب له مساعدة من أمونة
– ذهبنا نتصالح معها لتقول فعلنا ذلك من أجل مساعدته والإنفاق عليه.. أمونة لو تعلم أن مساعدتها ستذهب في فائدة ، وليس وراء الخمر والنساء لفعلت بدون أن يطلب منها أحد وهي

مستعدة للمساعدة في زواجه .. هي قالت مثل ذلك ونحن نودعها

- عندما يعود سنتناقش حول مسالة العمل ، هو رجل عمره قريب من الربع قرن ، وهو منذ ترك العلم وهو يعمل

- لم يوفر ويدخر قرشا ليومه الأسود

- وهل أنت وفرت قبله؟

- أنا أصرف على عيلة

- عيلة ! يا ظالم .. أنا فقط ! أين العيلة يا رجل؟ أبي كان ينفق على عشرة أنفار

الموت

لم يرجع حلمي تلك الليلة للبيت إلا عند الفجر ، لقد قضاها في خمارة ، فهو له شهور محروم منها ؛ لذلك ظل يسكر حتى ظهر الفجر ، فركب تكسي إلى أبو خروف ، الناس تسير إلى المساجد وهو عائد من الخمارة ، فلما ترك السيارة كان يترنح يمنة ويسرة ، فقد شرب حتى الثمالة كما يقال ، فتركه السائق يهذي ويسب ويلعن ، وكان يشتم عمه شحاما الذي كان خارجا من البيت إلى صلاة الفجر فقال ضحكا: حتى وهو سكران يكرهني .. غفرانك يا رب . لم يتحدث معه تركه يصعد ثملا الدرج ، وتابع مشيه اتجاه بيت الله ، وقد سمعه يطرق الباب على حسونة وهو يصرخ : افتحوا يا ملاعين .. افتحوا يا خائفون .. افتحوا يا مجرمون

ففتح حسونة وسحبه إلى غرفته ، وطرحه على سريره ، وأغلق الباب عليه ، وهو يتعوذ من الشيطان الرجيم ومن حلمي

ولما رجع حسونة من عمله وجده ما زال طريح الفراش ، وقالت زوجته : لم يستيقظ بعد .. يبدو أنه شرب كل محتويات الخمارة

ومع ساعات الليل استيقظ ، ودخل دورة المياه ، وطلب إبريق قهوة ، وهو يقول : صداع شديد في رأسي هاتوا قهوة

قال حسونة مخاطبا لابنه : المهندس شاكر يقول إنه سيسمح لك بالعودة للشغل على شرط أن لا تغادر موقع العمل ، لا تذهب لمكاتب الشركة والإدارة

ضحك عاليا وقال : ومن قال لك إنني سأعمل معهم مع هؤلاء الكلاب

قال حسونة: هل وجدت شركة غيرها؟

- لا أريد الشغل ، سأقعد في البيت

- ومن سيصرف عليك ؟!

- أنت .

- أنا!.. أنت مجنون .. أنا أعطيتك الدنانير أمس ؛ لأننا في الشارع ؛ وأنت قادم من السجن ، ولا أحب الخصام

جاءت القهوة ،وقالت له أمه: اشرب . أتريد أن تأكل ؟

- لا ، سأعود للخمارة .. السجن حرمني منها .. طول المدة منعوني من شرب العسل .. هاتوا خمسة

صاح حسونة: لن أدفع .. اشتغل وأصرف واسكر

وقالت أمه: أنا لا أملك فلسا واحدا ..أدفعها للأطباء والأدوية

صرخ فيهما: سأفتش البيت

فقال حسونة: إياك أن تدخل غرفة نومنا

- لما اشتغل أسددها

قال حسونة : يا ما سددت !.. ألزم حدك

- هل تريد أن أصير حراميا وسراقا ؟

- إن شاء الله تصير سفاحا .. اعمل واسكر

شرب الكوب الكبير وسكب آخر وقال : ما هذه القهوة ؟ كأنها رمل صحراء السجن .. كيف تشربونها؟

قالت أمه :هذا الموجود ..أتريد أن اسخن لك الطبيخ ؟

- ماذا طبخت اليوم ؟

- دجاج وأرز من أجل حضرتك ، يبدو أنك شربت الخمارة كلها ليلة أمس

- لي شهور لم أذقها ، لا تباع في السجن ، أسوا ما فيه الحرمان منها ومن المحبوبات

قالت : جدك سأل عنك انزل سلم عليه

- هو أنا لي جد

قال حسونة: لك جد وامرأة جد .. بعد العشاء انزل تحدث معهم بضع دقائق

- عمتي تركت البيت للعين .. ما أخبارها أين استقرت؟

قالت أمه: عمتك أميرة اليوم ..وتعيش في قصر .. وتجاور كبار الضباط ووزارة الخارجية

- لم أفهم

شرحت له أمه حال أمونة فقال: هذا العز .. أحسن واحدة في هذه العيلة .. أنا قابلت زوجها في المقهى قبل دخولي الحبس عدة مرات .. إنسان محترم وهادئ يستاهل كل هذا النعيم

- ماذا ذهبت تفعل في المقهى؟

- قابلت بعض الأصحاب، وأنا لي أصدقاء في أبو خروف ، فصاحبي برعم من سكان الحي

ضحك حسونة وقال ساخرا : برعم ، نعم الصاحب

- تسخر منه .. الوحيد الذي زارني في السجن أكثر من مرة .. أنتم ولا مرة ؛ كأنني ابن الشيطان

+=+=+=

لا يذهب حلمي للعمل في النهار ، ويذهب في الليل للخمار ـ بلدان المسلمين اليوم تباع فيها الخمور علنا جهارا نهارا بحكم القانون الوضعي ، وترخص محلات ومتاجر بيعها ـ ويعود مع الفجر مترعا من المسكر والكحول ، ويستيقظ مع المساء

قبل غروب الشمس بوقت يسير ، يشرب إبريقا من القهوة ، ويأكل الطعام ، ويأخذ خمسة دنانير ، واستمر على هذا الحال خمس ليال ، وفي هذه الليلة رفض حسونة تقديم خمسة دنانير صائحا: أنت لم تعد تستحي .. الضيافة عند العرب ثالثة أيام وثلث

وقبل أن يكمل والده العائد من الشغل تعليقه على ضيافة العرب ، رماه ولده بصحن الطبيخ الذي كان يأكل منه ، وقال بغضب وصوت أجش : دعني من ضيافة العرب .. هات خمسة .. أما قلت لكم فلن اشتغل ،وأن عليك أن تنفق عليّ

هاج حسونة وقال بحدة : ترمي الصحن عليّ يا لعين

فقذفه بإبريق القهوة دون تردد وقال: خمسة

فصاحت أمه محتدة: هذا فعل شيطان .. اخرج من الدار يا قليل الحياء .. نام في الشوارع

ذهب حسونة بعد أن لوثته القهوة إلى غرفة نومه ، وعاد يحمل مسدسا يملكه ، وهو يصيح

ساخطا: اخرج من البيت .. لا تعد إلينا يا سقط الرجال .. يا جبان

قهقهه حلمي وهو يقف بتحد لأبيه: أتخوفني بمسدسك ؟! أنا لا أخاف من مدفعك .. اضرب كأنك راجل قدّ المسدس ..اضغط على الزناد

سحب حسونة أقسام المسدس ، ووضع يده على الزناد ،وقال صائحا: لا تتقدم .. اخرج

قالت المرأة وقد رأت الغضب والنار في وجه زوجها: حسونة أرجوك اهدأ اهدأ .. اعد صمام الأمان ..حلمي اخز الشيطان .. واخرج

تقدم الشاب خطوات تجاه أبيه وهو يصيح: اضرب يا جبان ! اقتلني يا أبي!.. يا قاتل .. يا سكير أنت سكير مثلي

صاح الأب بهياج وجنون : اخرج يا ملعون ! .. يبدو أنك لست من صلبي .. هل من أحد يعرف أباه ؟! أهذا مني يا ... ؟

صعقت المرأة للاتهام ، ولم ترد امتقع وجهها سوادا ، وتابع الشاب تقدمه نحو أبيه ، وأصبحت المسافة بينهما أقل من مترين والشاب يصيح : اضرب يا جبان!

خرجت الطلقة ، وأصابت صدر حلمي ، فصاح الشاب: اضرب يا جبان اضرب!

وكان يتقدم فانطلقت أخرى ترنح الشاب ـ والمرأة تصرخ بصوت عال ـ وقع الشاب على الأرض مع الطلقة الثالثة

وصل شحام تتبعه زوجته ، ودفع الباب وهو يصيح : ماذا هناك مالك تصرخيـ...؟ توقف عن إكمال الجملة رأى الشاب أرضا ، يتدرج بدمه ، وحسونة يرفع مسدسه ، فصاح: حسونة ماذا فعلت يا مجنون؟! دع المسدس ، أرمه أرضا أرمه

أرضا . أشار لامرأته أن تذهب وتتصل بالإسعاف الفوري ، فخرجت المرأة مسرعة ، وكان رشيد وزوجته يقتحمون الباب يتساءلون عن سبب الصراخ الذي سكت مع دخول شحام ، وقال رشيد باضطراب : ما هذا الرصاص نظر إليهم الشاب المرمي بالرصاص : قتلني الجبان ! أصبحت الآن بطلا يا حسونة !.. قتلني زوجك يا أمي ، أهذا أبي؟! أهذا أبي؟! ويمد إصبعه نحوه اتجهت نحوه وقالت بصوت هامس: هو ليس أباك .. مت مستريحا .. أبوك عقيم لا ينجب .. كان لابد من وجودك بيننا ؛ لتدوم الحياة بيننا ؛ ليدوم زواجنا .. مت مستريحا يا حلمي

صاح حسونة وقد سمع همس زوجه: يا الهي! لماذا فعلت ذلك؟!

– ألست تريد ولدا يا حسونة ؟ .. إلى الأطباء.. إلى الأطباء .. وأنت لا تريد أن تفحص نفسك أنسيت ذلك ؟! .. جعلتني أنا العاقر ..والتهديد بالطلاق إن لم ألد لك .. لا تريد أن تصدق أنك عقيم ..لا تنجب .. فجاء الولد

أطلق حسونة على نفسه الرصاصات الباقيات في مخزن المسدس أمام دهشة الجميع وقال : الموت أشرف من السجن .

حضرت سيارات الإسعاف والشرطة ، ثم حضر رجال التحقيق ، ونقل حسونة وحلمي إلى المستشفيات ، فلم يمت حلمي ، فكانت الرصاصات بعيدة عن القلب ، أصابت إحداها البطن وطرف الكبد ، مات حسونة ؛ لأنه أطلق الرصاص على جمجمته ، ففارق الحياة قبل الوصول للمستشفى قاتلا لنفسه ، وعاش من كان يظنه ابنه عليلا ، ولما خرج من المستشفى رحلت أمه لتعيش عند أمها ، واشترت أمونة حصتها وحصة ابنها من ميراث شقة حسونة ؛ لأن حلميا يعتبر ابنا شرعيا حسب القانون ، واختفى حسونة رشيد من أبو خروف ، وقصته ما زالت تتردد على الألسن والآذان حتى تيسر لنا سماعها وكتابتها حبرا على ورق ، وقبلت أمونة بمجيء إحدى أخواتها للعيش في شقة حسونة بعد دهانها والتخلص من عفش حسونة .. والحزن له نهاية ، ومع الأيام يذوب ، ويصبح المحزون عليه مجرد ذكريات .. وتلاشى الحادث من أذهانهم قبل موسم الحج ، الذي كان في أول عام ١٩٧٣ ، وسافروا للحج .. أمونة وزوجها سميح ، ووالدها رشيد وامرأته سليمة

الحج

كانت رحلة الحج رغم مشقتها على كبار السن ، والمرضى ، والذين يعانون من السمنة متعبة ؛ ولكن الأجر على قدر المشقة في هذه الحال ، وكان الحج بالنسبة لسميح قبل زواجه من أمونة حلما صعبا

يتراءى له كالخيال ؛ للتكاليف المادية المرتفعة لرحلة الحج ، ولما يريد الله عز وجل شيئا يسهله ويهونه وييسره ، فهو رزق زوجة طيبة ، وبيتا واسعا، ورحلة حج إلى بيت الله العتيق وقد تستغرق الرحلة بالحافلات ثلاثة أسابيع ؛ لأنهم سيقضون جزءا منها في المدينة المنورة ، ثم العودة ، ورغم التعب والمشقة ، فقد غسلت ذنوبهم ورجعوا كما ولدتهم أمهاتهم كما أخبر الحديث { ١}

{ ١}- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه

***

والحج كما هو معلوم فرض وركن من أركان الدين ، مرة واحدة في العمر ، وقد بذلت أمونة المال بسخاء ؛ لينال القوم الراحة قدر الإمكان ، والمشقة في موسم كهذا واردة ، وتتفاوت من شخص لآخر

ومن عادة أهالي أبو خروف عندما يقرب ميعاد عودة الحجيج من بلاد الحجاز تزيين البيوت ، ومداخل البيوت والعمارات بالأشجار والأغصان ، والأنوار الكهربائية المستخدمة للزينة ، فأنت تعلم من رؤيتها أن في هذا البيت أو العمارة حاجا قادما .. فزين شحام وأولاده مدخل العمارة ، ومدخل بيت والده وأمه بالرايات وأغصان الشجر ، وغمازات الكهرباء ، وفعل على مدخل أمونة مثل ذلك



ولما يحتفل المسلمون بعيد الأضحى يبدأ الحجيج بإنهاء موسم الحج برمي الجمرات والمبيت بمنى ، وكلفت أمونة قبل سفرهم لمكة أم ريان بذبح ثلاث أضاحي ، وتوزيع أكثرها على فقراء أبو خروف ، وإهداء سعاد جزء منها، وقدمت للجمعية كما تفعل كل سنة المال واللباس واللحم ، وفي اليوم الثالث من أيام العيد تبدأ وفود الحجيج بمغادرة الديار المقدسة ، حسب وسائط نقلهم ، والعودة قد تأخذ يوم لأهل الشام ، وربما تزيد بضع ساعات بسبب الحافلات ونوعها وقوتها



وصلاحها لمثل هذه ا الرحلات الطويلة ، وفي آخر أيام العيد ذهب شحام في المساء إلى حيث تجمع حجاج الشركة التي سافر فيها أهله ، ومع الغروب

بدأت تصل حافلات الشركة ، ووصلت حافلة والديه ، وأفرغت حمولة الباصات من الأشياء ، والهدايا ، والتمر الحجازي ، وماء زمزم الذي يحرص الحجاج على الإتيان به لسقي ضيوفهم منه ؛ لبركته وذكرى إسماعيل وأمه هاجر ، وتعانق شحام مع الجميع .. الحجاج الأربعة ، ودعا لهم بالقبول وكانت أمونة قد تركت سيارتها عند خالها بكر ، ولما وصل بكر وسلم وبارك ، رفعت الحمولات إلى السيارتين ، وانصرف كلٌ إلى وجهته على أمل اللقاء القريب ، وكانت أمونة تقول لخالها بكر: ما أروع الحج يا خالي ! أنت جربته مع أم محمد

– نعم ، أكرمنا الله بهذه النعمة قبل سنوات ، بعدما تقاعدت من خدمة الوزارة ـ الحمد لله على سلامتكم ـ المهم أن تحفظوا وتحافظوا على المكتسبات التي كسبتموها من هذه الرحلة الإيمانية الغالية .. لقد غسلتم ذنوبكم بفضل الله

ونختم هذه الحكاية من حكايات أبو خروف بعودة القوم من البلد الحرام مكة المكرمة ، وقد أدوا ركنا عظيما من أركان الإسلام ، ونتمنى لكم ذلك من قلوبنا .

تمت الحكاية الثانية من قصص الحي ابي خروف

رهاب الطلاق

الأرمل عزيز

قال المهندس عزيز فارس: أنا لم تطلق أمي ؛ كما طلقت أمك ، وسني أكبر من سنك ، كنت ابن عشر سنين في المرحلة الابتدائية لما ماتت أمي بسبب مرض عضال أصابها ، وبسببه توقفت عن الحمل ، فكنت أصغر الأسرة مثلك ، أختي فايزة تكبرني بعامين ، وفايز الأول بأربع سنوات ، وكلنا تلاميذ عند موتها ، لم يكن فايز ذكيا ونشيطا في المدرسة ، كان يستصعب الدرس ، وكانوا يحثونه على الوصول لنهاية المرحلة الإعدادية ، لينقله أبي إلى مصنع أو تجارة وعلى أثر موت أمي تعقدت

حياتنا المنزلية واضطربت ، ترك فايز المدرسة ، ولم يهتم أبي لذلك وألحق بمتجر لقريب لأبي ، لم يمكث فيه طويلا انتقل للعمل في تصليح السيارات ، كان مهووسا بالسيارات ويحلم بأن يكون سائق شاحنة كبيرة. البيت بدون أم صعب يا طارق حتى ولو مطلقة ، لم تكن فايزة مستعدة للطهو والغسيل والتنظيف رغم أنها كانت فتاة ناضجة وبالغة ، لم تكن مستعدة للقيام بدور الأم ، لم يمض شهور حتى كانت الأسرة تحتفل بزواج أبي ، لقد دبرت له أمّه زوجة جديدة من الأسرة الكبيرة ، ونحن لم نعرفها قبلا إلا عندما دخلت بيتنا ، في البداية كانت طيبة ومحترمة ، ولما تأخر

حملها من أبي بدأت تحدث المشاجرات بينهما ، والحديث عن العلاج والعقم ، وتبين أن المشاكل لديها رغم أن أبي لم ينجب بعد ولادتي والسبب عجز أمي عن تحقيق ذلك بسبب مرضها ، امرأته لم تصدق أنها الضعيفة والعليلة ، فصارت تفتعل المشاكل معنا ؛ كأننا نحن العاجزون عن الحمل وسببه ، وتتهمنا بالإساءة إليها ، وعدم التعامل معها كأم جديدة لنا ، أول الأمر صدق أبي كلامها واتهامها ، ولما أخذ يسمع عن مشاكل فايز خارج البيت ، ويدخن ويشرب الكحول أدرك أنه أخطأ في ضربنا وتوبيخنا، وأصبحت الشكاوى تأتي من الجيران وبنات الجيران ، وعلم أن زوجته سببت انحراف فايز وضياعه ، صعب عليه الحال ، كان الوالد صاحب متجر في مركز وقلب المدينة لبيع الأقمشة المحلية والمستوردة ، كان شريكا مع ابن عم له. كان من نتيجة زواج أبي فساد ابنه الكبير ، وكثرة تغيبه ليلا عن البيت ، ومشيه مع أصحاب السوء ، وشاع خبر انحرافه في العائلة الكبيرة ، وبدأ والدي مصدوما من تلك الأخبار ، وانفلات فايز ويحمل الزوجة جهرا السبب ، وإنها لم تحسن رعايته في مراهقته ، ويسبها ويصفعها ويتهمها بالتقصير معه ، حتى جاء يوم وأخبره أحد الأقارب أنه رأى فايزة تتمشى مع شاب غريب في أحد شوارع المدينة ، فجن أبي واعتدى عليها بالرفس والشتم ، وهي تحلف بأنها ما فعلت ؛ وإنما كانت مع إحدى زميلتها لحضور مسرحية ، وإن الشاب عاكسها وتحرش بها ، ولما تكررت الحادثة حرمها أبي من المدرسة، وأصبحت سجينة البيت ، وزوجته الرقيب والسجان . الزمن يمشي ولا يتوقف، وقبلت فايزة ترك المدرسة ، وهي ما صدقت ؛ لأنها لم تكن شاطرة ومجتهدة ، وطلب أبي من أمه وزوجته وأخواته أن يبحثن لها عن عريس ، فزواجها خير للجميع ، ولما يسألني أبي عن فايز ، أقول يرفض العودة للبيت ، وينام في الكراج الورشة التي يعمل فيها ، وإنه لا يرحب بالعودة ، وأرسل إليه أبي بعض الأقارب ليعود للبيت ، ويدع التشرد والنوم في الشوارع والمحطات ، وكانت الإجابة تأتي بالرفض ، ولن يعود وزوجة أبيه في البيت ، ويقول للشفيع غدا تتهمني بالاعتداء عليها لاغتصابها ، هذه امرأة لا أخلاق لها ، فيسخط أبي ويجن ويصرخ ويشتم ، ويرقد الموضوع لأيام أو أسابيع ، ثم يثور من جديد ، أنا الوحيد الذي أحب المدرسة والتعليم والشهادة ، وأتقدم بكل قوة في الصفوف وقبل الوصول لنهاية الدراسة تقدم أحدهم للزواج من فايزة ، وبعد عدة لقاءات وافق أبي ؛ بحيث كان العريس يمت بصلة قرابة لزوجة أبي ، قرابة بعيدة قالوا وكما فهمت ، ولما تجهزت العروس خلال أشهر رحلت لبيت

زوجها في شارع بعيد عن شارعنا ، ولم يشهد فايز زواج أخته رغم تبليغي به ، ثم علمنا بعد زواجها بسفره للعمل في إحدى دول الخليج الصاعدة ، فقد أصبح سائق شاحنة فعلا كما حلم وخطط، ومرت سنوات دون رؤيته لأبي ، ويرفض كل صلح ، وكل يركب رأسه ، ومضت سنوات على تهاجرهما ، أكملت الثانوية ، ونجحت وإلى كلية الهندسة توجهت بالمعدل المطلوب ، وتيسرت الدراسة على نفقة الوزارة المختصة ، فخفف ذلك عن جيب أبي ، وكان أبي يحب نجاحي ، وفرح بذلك ويعتبرني الأفضل بين اخوي .

كنت أكره قعدة البيت يا طارق ! كنت أعود من الجامعة إلى قلب المدينة أتناول الغداء أو العشاء وأجلس على مقهى العين الخضراء شارع البرق ، مقهى في الطابق الرابع من البناية ، أكثر رواده من طلبة الجامعات والمثقفين ، هو مقهى هادئ وجميل أنا لم أكن أحب لعب الشدة ، كنت أحب الفرجة والجلوس معهم ، واذا مللت منه أجلس في شرفة أنظر المدينة والناس ، وليلا أعود للنوم واذا سئلت عن الطعام أخبرهم بأني تعشيت في المدينة، نظمت الجامعة رحلات عمرة إلى مكة ، فسجلت فيها ، وباشرت الصلاة منذ سمعت عن رحلات العمرة ، والسبب زميل متدين وحركي اسمه عبد الرحمن وكان من أفضل زملاء الكلية ، وسعى لضمي للحزب الذي ينشط فيه ، واعتذرت له بلطف، وبعدم محبتي للسياسة ودهاليزها .

فقال : نحن نعمل لعودة الحياة الإسلامية الصحيحة إلى حد ما في المجتمع ، وأنت ترى الضياع الحاصل في الشباب ، البعد عن الدين يعني القرب من المخدرات والخمور ، المهم قبل العمرة اتخذت بالصلاة ، وأصبحت مهتما بالرحلة ، وحدثت الرحلة ، وكانت ممتعة ورائعة ، وتعرفت على مهبط الوحي في مكة والكعبة والمدينة مدفن سيد البشر محمد ﷺ . قبل انتهاء سنوات الجامعة مات فايز بتدهور شاحنته في رحلة إلى العراق ، ومات قبل أن نراه حيا في المستشفى ، ونقلت جثته لمقبرة العائلة ، ورغم الجفاء بينه وبين فايز كان أبي حزينا ، وقال لي : تمنيت أن أراه زوجا ، وعائدا للبيت طالبا العفو والصفح .. رحمه الله الرحمة الواسعة ، وقبل مرور أربعين يوما على الوفاة طلق أبي زوجته ، ولما سألته عن السبب ، زعم أنه بغضها بموت فايز ، وهي سبب فقده وخروجه من البيت وعن طاعته ، وفايز بكر أبي ، وأخذ يرغبني بالزواج قبل إنهاء الجامعة ورفضت هذا العرض والعروس التي تقدم لي بها ، فلما رأى رفضي الشديد تزوج هو من فتاة دون الثلاثين ؛ لتنجب له ، فهو يطمع بمزيد من الخلفة.

سعت مطلقته للعودة إليه ، ووعدته بالسلام

والطاعة ، والتزام البيت ، فقد كانت كثيرة الخروج تبدأ من الجارات حتى تصل لكل نساء الحي ، فاخبرها بسعيه للخلفة ، وقد تعب من عجزها عن الحمل ، فهددته بتطليق ابنته من قريبها ، ولم يهتم أبي بذلك الادعاء ، أما أنا فتوقعت حدوث شيء ، فهي لم تكن حسنة الخلق معنا ، كان البيت وكرا للنساء فترة ما بعد الظهر. كم يدخل عليها من النساء الكبيرات والصغيرات ؟ وكنت أتسأل عن سبب تردد كل هؤلاء النساء بيت الوالد ، ثم اكتشفت أنهن يأتين لتقرأ لهن الفنجان والبخت ويعرفن المستقبل ، تجمع شعوذة وقراءة الغيب والحجب السحرية ، ولم تكن تهتم على اعتراضاتي ، على دخولهن وخروجهن ، لم أحبها يوما يا طارق ! لكنها زوجة أبي ، وشعرت بأن لها دورا سيئا في هرب فايز من البيت ، وكانت تشتكيه كثيرا لأبي . وكنت أرى وأبرر ذلك بسبب الجهل ، وعدم التعلم إلا صفوفا محدودة ، تركت المدرسة مبكرا ، والعمل في البيت ، أخذت فايزة كلما تزور أبي تشتكي له من طليقته وتتدخل في حياتها ، وتفسد حماتها عليها ، وتحرض زوجها على الطلاق ، وستزوجه امرأة أحسن منها ، وإنها غلطت وتسرعت في تزويجه فايزة ، قابل أبي الزوج وحذره من طليقته ، وأنها تسعى لخراب بيته ؛ لأنه طلقها ، وراسلته ليعيدها إلى ذمته ضرة ، فلما رفض هددته بتطليق فايزة ، ومنعه من استقبالها في بيته ولا فضل لها بتزويجه ، وأعلمه أن امرأته الجديدة حامل بفضل الله . ولم تعد فايزة تستقبل تلك المرأة ، وتشجعت من قوة وموقف أبي ، وكان زوجها طيبا وجيدا وذا شخصية ضعيفة ، ولدت فايزة طفلين قبل هذه المشاكل ، ولكن المطلقة لا تهدأ ولا تمل ، كنت أسمع عن حركاتها للإفساد مما دفع أبي على إقناعه بالرحيل من الحي ، وسيتكفل ويدفع أبي له أجرة البيت الجديد ، ورحلت أختي من الحي إلى حينا ، وبيت قريب من شارعنا وأنا بدوري أنهيت خمس سنوات في الهندسة ، وعمل لي والدي حفلة تخرج تحدث الشارع عنها لأعوام قادمة ، دعا إليها كل العائلة والجيران وذبح الغنم ، وكان يوما مشهودا في الحي . الأعمال كانت تعرض عليّ قبل التخرج ، تعلمت الهندسة المدنية وكنت مبدعا في الرسم الهندسي .

تسلمت العمل في إحدى شركات الإنشاء والتعمير ، وحينئذ فكرت بالزواج بشكل جدّي ، معي دراهم وفلوس ، خلال الدراسة كونت علاقات مع بعض الفتيات المهندسات ، ولم أعد واحدة منهن بالزواج ، فكرت بالزواج من ابنة خالي عماد الدين ، كان لديه بعض الأوانس في تلك الفترة ، فحدثت خالتي فاطمة عن ابنة خالي الآنسة جيهان. شاورت شقيقها برغبتي بمصاهرته ،

فرحب بذلك وطلب الجلوس معي والتقينا في مقهى عام ، فنحن منذ وفاة أمنا ضعفت علاقتنا الاجتماعية بهم إلا في الحالات الضرورية أو الطارئة ؛ كموت فايز ، زواج فايزة أو مرض أبي بمرض أدخل فيه المستشفى، أكدت له رغبتي بمصاهرته ، وقد تحدثت مع خالتي فاطمة .

فقال: تحدثت معي عن رغبتك بجيهان ، المشكلة يا عزيز أن هناك فتاة أكبر منها عزباء ، ومن الصعب تقديم الصغرى على الكبرى ، أنت رجل محترم يتاجر بك وبما أن هواك مع جيهان عليك أن تنتظر حتى يتسهل درب بسيمة أو تتزوجها .

قلت بحيرة : لا أدري يا خال! أنا فعلا طمحت نفسي للزواج من جيهان ، ورأيت الأمر ميسورا لم أكن أعلم بهذا القانون ؛ لذلك دفعت خالتي للحديث معك حتى لا أسبب إحراجا لكم ، وأسمع ردكم.

قال : ردنا عليك.. نعم ابن الأخت .. فبسيمة أكبر من جيهان .. لماذا لا تأخذها؟

قلت: أنت تعلم أننا لما ترمل أبي ، لم نعد نرى بعضنا إلا في المناسبات الاجتماعية فظلت جيهان في نفسي من الصغر اذا قدر الله لي الزواج دون أخواتها ، هي تصغرني بسنة أو سنتين .

قال : سنتان ، إنها على مقاعد الجامعة بعد.

قلت: فالآنسة بسيمة على الرأس والعين يا خالي.

قال : هل تصبر حتى يأتيها النصيب؟

قلت بحيرة : كم سأصبر؟ شهر شهران سنة.

قال : النصيب والقدر هو الذي يحدد الوقت.

قلت: نخطب ، ونؤجل الزواج حتى تتزوج بسيمة.

قال : الخطبة الطويلة مزعجة يا عزيز!

قلت : نتزوج دون مراعاة السن .

قال : لا أريد أن أحرج بسيمة .. أجرح شعورها يا عزيز ! فلتصبر حتى يأتيها نصيبها .. أنا لا أزوج بناتي لأي عريس .. اصبر بضعة أشهر.

قلت بحيرة : حسنا ! سأصبر ستة أشهر يكفي.

قال : جيد يا ابن أختي! لعل الله يحدث أمرا.

قال : أرجوك يا عزيز لا تتحدث عن هذا الاتفاق لأحد ، وسأطلب من فاطمة الصمت ، وأشرح لها الأمر .

قلت: افعل ما تراه.

مضت الشهور الستة يا طارق ! ولم تتزوج بسيمة ، ولم أسمع بأي خطيب ، وتحدثت مع خالي وقال: الأمر لله يا عزيز ! إما أن تتزوج بسيمة ، وإما أن تبحث عن آنسة أخرى ، أنا عاجز عن تقديم جيهان على بسيمة ..اقبل عذري يا ابن أختي.

قبلت عذره يا طارق ، وخطبت فتاة عن طريق صديق لي ، وبعد فترة قصيرة حدث الانفصال ولم نكمل المشوار ، ولم تكن الزوجة المناسبة ، وخرجنا

كما يقال بأقل الخسائر . وأثناء البحث عن زوجة جديدة تمكنت مطلقة أبي بإقناع زوجها بالزواج على أختي ، ولما علم والدي بذلك خيّر فايزة بالبقاء أو الطلاق ، فقبلت أن تبقى زوجة ثانية على الطلاق ، وتوقف أبي عن دفع أجرة البيت ، وأصبح جل وقتها في بيت أبي ، وبدأت المشاكل مع زوجة أبي ، مما اضطر أبي بتهديدها بالطلاق . وظلت المشاكل تعصف بين المرأتين ، وأنا أتلهف على الزواج للخروج من بيت العائلة لراحة النفس، استطاعت عمتي أن تجد فتاة تقبل بي ، وكانت فتاة تعمل مديرة مؤسسة خاصة ، خلال شهر كنت زوجا لمنال عبد الرؤوف ، سكنت في شقة في حي راق ، وكانت الفتاة جميلة وطيبة ونشيطة ، اعتبرت نفسي محظوظا بالزواج منها ، وإنني أحبها وتحبني وكانت تملك سيارة ، كما أملك أنا واحدة . ينطلق كل منا لعمله صباحا ، ونجتمع مساء قبل الغروب ، وبعد زواجي بوقت يسير دعيت لحفلة زواج ابنة خالي جيهان قبل زواج بسيمة .

كنت أتأخر في العودة للبيت لطبيعة عملي من مكان العمل إلى مكاتب الشركة لتقديم تقرير العمل اليومي وحضور الاجتماعات الإدارية . كان بيننا انسجام وتفاهم ، والأمور تسير بريح طيبة بفضل الله ، كنا نتغلب على أي صعوبة تحدث ، مضت نصف سنة بكل هدوء وصفاء ، وبدأت تتعالج من أجل الحمل ، وقد أصيبت بالتهابات ومشاكل صحية ، أنا مثلك لم أكن أهتم بالحمل بأي لهفة ، تركت الأمر على أقل من مهله ، وتعرضت لعمل اختبار لمعرفة جودة المني وقوته ، وتبين أن أمري جيد ، والحمل سيتم بإذن الله ؛ فكان هذا الموضوع الحساس يعمل لنا بعض المنغصات ، حصل الحمل ، ولم يثبت حدث الإجهاض ، وارتحنا لحدوث الحمل نفسيا ، ولسوف ينجح مرة أخرى بعد حين. مضت سنتان ، ولم نوفق في تثبيت الحمل ، ورغبتها أمها بالطلاق ، وأنني مريض غير قادر على التلقيح والإخصاب مع أن المشاكل طبيا من جهتها ، تحمل ويفشل الحمل ، طلبت منها أن تكف أمها عن تنغيص حياتنا ، وسنعيش بدون ذرية ؛ كما يعيش ملايين الأزواج في العالم بدون خلفة. تهدأ الأمور حينا أسبوعا شهرا وتعود للفحوص والعلاج والأدوية دون فائدة، ثم حسمت أمرها ، وقالت : خلاص تعبت ، ليكن الطلاق بيننا يا عزيز! أنا فاشلة في الحمل منك ، ولن تكف أمي وإخواني من حشر أنفسهم بيني وبينك ، وأنت تعبت ، أقنعتها أمها بالزواج من رجل آخر ، وسيتحسن الحمل ، وأكد لي أحد الأطباء قائلا : ممكن هذا يا عزيز! الرجال يختلفون عن بعض ؛ كما تختلف البصمات ، القدر

هو الفصل في ذلك ، قد يكون نصيبك عند امرأة أخرى . وذكر لي قصصا في ذلك ، ولما رأيت إصرارها ورغبتها ذهبنا للقاضي الشرعي وحصل الطلاق ، ودفعت مؤجلها رغم أنها سامحتني فيه ، وها أنا اليوم مثلك أبحث عن شريكة جديدة ، فالزنا والحانات لا تحل شهوة الرجل الشريف مثلنا!

قصص وحكايات الفوارس

الملكة تاج اللوز وولديها

الحلقة ٢ والاخيرة

ولما انصرف الرسول عقدت الملكة جلسة طويلة مع أنصارها ورجال الحكم وكان لسان حال القوم يقول : ما هو حق هذا الملك عندنا وكيف بغينا عليهم؟! وبعد تشاور وتحاور بينهم تقرر أن يذهب وفد لمقابلة الملك سمعان ومعرفة حقه عليهم ، وفي نفس الوقت يستعد الجيش للحرب والدفاع ولقاء الأعداء ، وترأس الوفد قاضي الملكة وابنها حسن وابن أخيها سالم وأربعة آخرين ، فاستقبلهم الملك سمعان أحسن استقبال ، ولما سألوه عن الحق والبغي ، أشار للطفل غالب الذي كان يجلس على سرير صغير بين الأمراء ، وقال لهم : هذا ولدي غالب هو صاحب الحق وقد اعتديتم عليه .

استغرب القوم هذا الكلام ، وطلب القاضي من الملك سمعان توضيح الأمر فقال الملك : تكلم يا غالب .. وقل لهم ما فعلوا بك ؟؟

فالتفتت كل العيون نحو الصبي الصغير ، وأخذ هو الآخر يحدق فيهم ، وقد ران الصمت على الجميع ثم قال الفتى : نعم ، أيها الناس أنا غالب بن الملك سمعان ملك بلاد الهناء.. وأمي هي الملكة تاج اللوز ابنة الملك شيبان النابغي .. فجئت إليكم أطلب عرش جدي من مغتصبيه والسلام .

فقفز حسن كالملسوع وهو يقول : أنت ابن تاج اللوز؟! .. كيف هذا ؟.. لقد ماتت الأميرة منذ سنوات لقد قتلها أحد رجال أمي !

فظهرت الملكة تاج اللوز من وراء الستار حيث كانت تسمع لقاء الملك بوفد الملكة وقالت : أنا الملكة تاج اللوز بشحمها ولحمها !! .. لم تقتلني أمك يا حسن يا ابن أخي .. لقد سخر منكم القاتل .. أنا تاج اللوز ابنة الملك شيبان وزوجة الملك البطل الهمام سمعان وأم الغلام غالب ملك بلاد النعام .. أتيت أطلب عرش أبي واسترد كرامتي وغربتي .

فصارت في الخيمة الكبيرة غمغمة وضجة، وقال الملك سمعان لما صمتوا: أيها الوفد الكريم .. سمعتم الحق الذي نطلب ، وعلمتم البغي الذي حاق بالأميرة وأخويها ربيع وزيدان ، ثم اتبعتم بهم معن الملك .. ومعكم ثلاثة أيام إما أن تتنازل

الملكة عن الملك أو الحرب بيننا واعلموا أن معي عشرة آلاف خيال وورائي مثلهم .. والآن عودوا لمملكتكم ، واسمعوا قولها الفصل .

وخرج الوفد وهم في ذهول وخوف ، ولما علمت عبلاء بظهور تاج اللوز خافت على العرش، وأرسلت وراء القاتل المأجور فاعترف بالحقيقة ، فأمرت بالخلاص منه ، واحتارت فيما تفعل ، فأشار عليها الفرسان بالتنازل عن العرش ، وندموا على خلعهم معنا ، فلو كان حيا وملكا ما استطاعت تاج اللوز أن تطالب بالعرش ، ولما رأت خور فرسانها ، وهم لا يحبون الحرب ، وليس لديهم همة للتضحية من أجلها، خلت بأخيها سالم قائد الجيش فأشار عليها بالتسليم والخضوع للملك سمعان ، وطلب الأمان لها ولأسرتها وقال أيضا : فالمقاومة لا تجدي ..وأرى الشعب بعد كل هذه السنوات ما زال يهتف بحياة تاج اللوز ، فأرسلت وفدا للملك سمعان بالموافقة على التسليم والخضوع لتاجه على أن تبقى في حمايته وحده ، ولا تتعرض لأذى من الملكة تاج اللوز ، هي وأفراد أسرتها ومن تدخله في حمايتها ، فوافق الملك سمعان على مطالبها وقال : لها ذلك ، وخاطب زوجته قائلا : ها قد عاد إليك السرير الملكي أيتها الملكة .. وهؤلاء القوم أخذوا الأمان مني .

ودخلت الملكة تاج اللوز المدينة ، وقد خرج أهلها يرحبون بها ويحيونها ، ولما استقر ملكها على البلاد بلاد النعام أعلنت ابنها البكر ملكا على البلاد ، وبحثت عن أنصارها القدامى وأحاطت ابنها بهم ، ورتب الملك سمعان أمر جيش الملك غالب والحراس عليه وعين الملك ألف فارس من رجاله لحمايته والمحافظة عليه، وبعد سنة من الزمان كر الملك سمعان عائدا إلى بلاده وفي صحبته الملكة تاج اللوز

فلما وصل الملك سمعان لبلاد الهناء، كان في انتظاره مفاجأة ؛ فقبل شهور من عودته حدثت في البلاد فتنة أشعلها بعض أبناء عمه بينهم وبين أنصار الملك الذين يمثلهم القاضي ، وتمكن القاضي والمخلصون للعرش من إخماد الفتنة وقمع الطامعين ، فمنهم من هرب ومنهم من زج في أعماق السجون ، وقد تألم الملك لهذا الغدر ، وأما الأمر القاسي هو اختفاء الأمير أسامة ولم يظهر له أثر ، فلما جلس الملك على تخت الملك وسمع هذه الأخبار واطلع على التفصيلات ، قرر أن يؤسس لواء من الجند المماليك ، فأمر وزيره بهروان بشراء آلاف المماليك من بلاد الجآن ذوي قوة وصحة ، وذوي أعمار صغيرة ؛ ليقوم على تدريبهم ليكونوا حرسا خاصا للملك وأولاده ، وأرسل أحد الثقات إلى الغابة يبحث عن أسامة وحارسه سماء

، فسار الفارس نحو الغابة ومكث شهرا وعاد من غير أن يجد أحدا ، فتنكر الملك بزي آفاق وأخذ معه خادمه نديم وذهب حيث الغابة يبحث عن أسامة الصغير وبعدما يأس من العثور عليه في الغابة اجتازها إلى أقرب المدن يسأل هنا وهناك ، واقترب من مساكن صيادي الوحوش والطيور في الجبال والغابات ، وعندهم وجد حارسه سماء جريحا مريضا ، فقد طعن طعنة نجلاء كادت تعدمه الحيات ، فقال له الصياد الذي يعتني به : إنه مصاب منذ شهور .. لقد وجدته في الغابة الكبيرة في إحدى جولات الصيد، وكان مطعونا ولكن به حياة ، فأحضرته مع إخواني الصيادين إلى مسكني هذا، وقام على علاجه أحد الأطباء ، أتينا به من المدينة ولم يتكلم منذ حضر بكلمة ، ولكني أدركت أن وراءه حكاية وأمر عظيم .. وأنت أول إنسان يسأل عنه .

فأثنى الملك على الصياد ورفاقه ومروءته وقال أيضا : جزاك الله خير الجزاء .. عندما وجدتموه مصروعا في الغابة ألم تجدوا مكان الحادث شيئا ثيابا ترشد على الجناة ؟

فقال الصياد : لا شيء وجدناه هناك .. ومن أنت أيها الرجل ؟

فقال الملك : أنا سيد هذا الرجل .. تعال نجلس بجواره لعله إذا رأني يعرفني وينطق بسره .

ودخلا إلى حجرة المريض سماء الذي كان مستيقظا ، فما كاد يرى سمعان حتى وضع يده على رأسه وهمس بصوت ضعيف : آه .. مولاي الملك هنا !

فلما سمع الصياد كلام المريض فاحتار هل يدهش من نطق المريض أم من وجود الملك في بيته ؟! فأخذ يتمتم باستغراب : الملك .. الملك .. الملك !

فقال الملك : الحمد لله على سلامتك يا سماء .. الحمد لله على حياتك .. اطمئن سوف أجد المجرمين الذين غدروا بك .. كيف ترى نفسك الآن ؟

قال وهو يشير للصياد : الحمد لله أني رأيتك يا مولاي .. كنت أخشى الموت بعد أن رأيت الحياة قبل رؤيتك .. أسامة ضاع .

فقال الملك : لا عليك يا صاحبي .. المهم الآن حياتك وإن كان أسامة حيا سأجده بإذن الملك العلام .. قل لنا ما الذي حصل معكم ؟

فقال الجريح : أيها السلطان الشجاع خشيت على أسامة الأمير من الفتنة وتذكرت نصيحتك فأسرعت وأخذت الأمير إلى الغابة وإلى الكهف الذي أرشدتني إليه، وأثناء سيري في الغابة شعرت بأني متبوع من أناس فصعدنا شجرة كبيرة ، واختفينا بين أغصانها وأوراقها يومين ، ولما نزلنا وبدأنا نسير على الأرض أدركنا ثلاثة رجال

وطلبوا الغلام فقلت لهم : إنه ابن الملك سمعان فارس وملك هذه البلاد .

فرد أحدهم نحن لا يهمنا سمعان ولا أم سمعان .. دع الغلام وانج بحياتك فقلت لهم من أنتم أيها الأبطال؟ فقال آخر بغرور لا تهتم بذلك ، فنحن من بلاد النعام لنا عند سيدك ثأر، وخطف مني الصبي وطعنني طعنة غادرة قوية في صدري فوقعت على الأرض ميتا ، لم استيقظ يا مولاي إلا عند أخي هذا الصياد وهو يفحص بي ، ولم استطع الكلام من ذاك اليوم حتى رأيتك وعرفتك رغم تنكرك بثياب الرعاع ، فهذا ما جرى لي يا مولاي الملك .

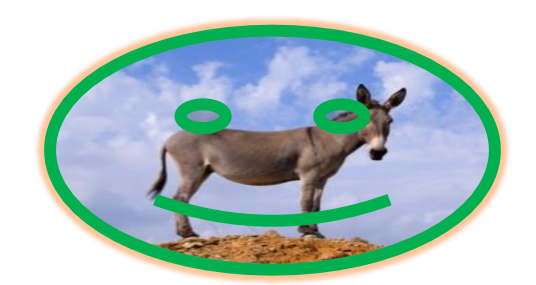
فقال الملك بتفكير عميق : إذن عدونا في بلاد النعام .. صف لي الرجال يا سماء .

وصفهم الجريح ثم قال : كان أحدهم ينادي على قاتلي عندما خطف مني الغلام وطعنني بالخنجر تسرعت يا قرمان .

فقال الملك بعزم وتحد : سوف أضع القتلة بين يديك يا سماء بعون الله وحوله وقوته .. هل تستطيع الحركة لابد من العودة للبلاد للاعتناء بك قبل الرحيل لبلاد النعام ؟.

دفع الملك صرة من المال للصياد وعرفه على نفسه أكثر ، وطلب منه زيارته في قصره في بلاد الهناء وأخذوا في التجهيز للرحيل ، ثم مشوا للبلاد ووصلوها بسلام ، فأمر الملك طبيب القصر بالاهتمام بسماء وحياته ، وحدث الملك تاج اللوز عن قصة سماء والخاطف القاتل قرمان وأنه من بلاد النعام .

فأسرعت الملكة تتهم وتقول : إنها لعبة من عبلاء .. لقد كان قلبي يحس بذلك الغدر أيها الملك إنها أفعى رقطاء .. فالحرب بيني وبينها لم تنته بعد ، يا ويلها إن قتلت أسامة لأشربن من دمها!.. أما



قرمان هذا لم أسمع به ، لابد أنه أحد أعوانها والقتلة الذين يعملون معها .

فقال الملك : أيتها الملكة سنغادر إلى بلاد النعام زائرين بحجة أنك راغبة بزيارة ولدك الملك الصغير ، وسأكون معك متنكرا بصورة فارس من جنود الملك ، وهناك لا أريد أن يعرف أحد بالغاية الحقيقية لعودتنا العاجلة ، إنها الغاية شوقك لولدك بعد فقدك لابنك الأصغر ، فهو الذي عجل بعودتك ، وللمحافظة على ابنك الباقي، وأنا ورجالي سنحاول الوصول والبحث عن المنحوس قرمان ..

ورتب الملك أمر البلاد مع القاضي ووزيره بهروان

وقادة الجيش وولاة المدن ، وخلال هذه الفترة تحسنت حالة سماء البدنية، واسترد الكثير من العافية وأصبح مستطيعا وقادرا على ركوب الحصان أو الحمار، وتحرك الملك المتنكر والمتخفي والملكة بكوكبة من الفرسان والجواري في اتجاه بلاد النعام ، وبعد مسير طويل وبطيء وصلوا لبلاد النعام ، ولا يعلم من الفرسان المرافقين للملكة أن الملك سمعان معهم إلا القليل ، فقد كان متنكرا لحاجة في نفسه ، ولقد استقبل الملك غالب وأعيان البلاد الملكة تاج اللوز أحسن استقبال ، وفرحوا لعودتها إلى بلدها الأول ، وأنزلهم الملك في قصر الضيافة ، ولم يعلم أن والده معهم .

كان الملك يفكر بطريقة وحيلة يصل بها إلى قصر الملكة المخلوعة عبلاء بدون أن تعرفه فغير من شكله وقص الكثير من لحيته وشعره ، ولبس من ثياب الخدم والعامة ، وفعل مثله سماء ، وبعد تعرف على أحوال عبلاء الماكرة توصل إلى حيلة قد يصل بها إلى قصر الملكة عبلاء وقلبها .. كان سمعان جميل الصورة كما مر معنا آنفا ، فطلب من زوجته تاج اللوز أن تهبه غلاما لأم عبلاء فحلق لحيته وشاربه وتزيا بزي الغلمان غلمان القصور ، وصنعت الملكة حفلة بمناسبة رجوعها إلى مسقط رأسها بعد غياب طويل ، ودعت إليها سيدات العائلة وأثناء الحفلة قالت الملكة لامرأة عمها أم عبلاء : لقد علمت يا سيدتي أنه لم يبق عندك أحد يخدمك فأحب أن أكرمك ، فوهبت لك هذا الغلام الشاب يقوم على خدمتك في شيخوختك تعال يا ميس .

فتقدم ميس من الملكة فقالت له : لقد وهبتك لامرأة عمي .. فقم على خدمتها خير قيام وخاطبت المرأة قائلة : واذا لم يعجبك فسأستبدله بآخر .

فرحت الأم العجوز لهذا الغلام، وتقبلته بسعادة وفرح، ودعت للملكة بحرارة، فلقد ملّت من كثرة ما طلبت من أبنائها خادم يساعدها مع خادمتها الأخرى .

مر الأمر دون أن يحدث قلقا ومن غير أن يلفت الأنظار ؛ لأنه لا يتخيل أن يصبح الملك سمعان عبدا رقيقا يخدم أم عبلاء ، وحتى عبلاء التي لم تحضر الحفلة لم تكترث للأمر ؛ لأنها مشغولة بالبحث وعقد الدسائس للوصول للتاج ثانية فهي ما زالت تبحث عن زوجها الهارب المختفي لعل عودته تغير الأحوال في البلاد، فهو الملك الشرعي والوارث الأول للملك شيبان النابغي ، ومضى شهر وسمعان خادم لأم عبلاء وأم سالم المنزوي في بيته منذ خلعه عن قيادة الجيش ، وقد كان ميس خلال الشهر يدفع الأم أن تطلب من

ابنتها بأخذه وترسل لها خادمة صغيرة أو غلام صغير يقوم على رعايتها مع خادمتها العجوز، وتم ذلك بيسر وانتقل ميس للخدمة عند عبلاء ، وأصبح من ضمن خدمها ، وبدا لها أنه غلام نشيط وقوي ، ومع الأيام كان من غلمانها المقربين، وأصبح قريبا من اتصالاتها وخبايها وخفايها، ويستطيع أن يسمع همساتها لرجالها وحاشيتها ، وعلم بعضا من أفكارها وأحلامها ومساعيها من غير أن تشعر من ناحيته بريبة وشك ، وما هو إلا غلام يتنقل من سيد إلى سيد ، ولن يخطر ببالها أن هذا الغلام الذي يقفز أمامها بين الحين والآخر الملك سمعان ، وهي في هذا الحين لا تفكر بقتل الملك غالب أو تاج اللوز لتخشى من العيون ، كان همها الأول البحث عن زوجها الطريد معن ، فترسل العيارين هنا وهناك ، وتوصي التجار الراحلين المتنقلين بين المدن بالبحث والسؤال عنه ، وكذلك الرواة والشعار إلى أن كانت ليلة ذات برد شديد أخبرها الغلام ميس أن رجلا متنكرا يريد رؤيتها والاجتماع بها يدعى نعيما .

فأمرت الأميرة بإدخاله خفية من غير أن يشعر به أحد ، والتقت به في إحدى الحجرات ، ثم صرفته بعدما أعطته صرتين من المال في كل منهما خمسمائة قطعة، وسمعها تقول له وهي تودعه : حافظوا عليه حفظا تاما .. فأمه تعتقد أنه ميت .

بالتأكيد أدرك الملك سمعان أنها تتحدث عن ولده ، ففرح وسر لبقاء ولده على قيد الحياة ، وفكر بأن يلحق بنعيم هذا ليعرف المكان المختفي فيه فلذة كبده ؛ ولكنه قال لنفسه : الآن اطمئن قلبي على ولدي ، وأنه ما زال حيا .. صبرا أيها الفتى .. ما الذي تبغيه هذه المرأة من خطفه وإخفاءه ولسوف أعرف بإذن من خلق السماء والأرض ؟! .

كلما مضى يوم ارتفعت ثقة عبلاء بغلامها ميس الشاب النشيط ، فأصبحت تثق في إخلاصه لها أكثر ، فكانت ترسله في مراسلات خارج قصرها للاتصال باخوتها وأتباعها، وذات ليلة طلبت منه أن يحضر لها أخاها سالما خفية عن الأنظار، فجاء به خفية ، وعندما اجتمعا لم يفته من حديثهم كلمة ، وكان اجتماعا عجيبا ، فقد حضر اللقاء السري رجل آخر كان يقول لهم : لم نستطع إشعال الفتنة في بلاد الهناء رغم ما بذلناه من أموال .. والعجب أيها السادة أن الملك سمعان له زمن مفقود، ويقال أنه ذهب يبحث عن ابنه أسامة بعدما وجدوا حارسه حيا وأحضره الملك للقصر وقام على علاجه ثم اختفيا .

فقالت الأميرة بخوف وقلق : ولكنني علمت من قرمان أن هذا الحارس انتقل للعالم الآخر .

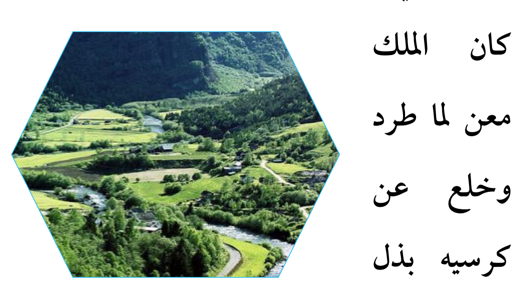
فأجابها الرجل: يبدو أن الطعنة لم تكن مميته .. المهم أنني علمت أن الملك عالجه وسمح لتاج اللوز

بالمسير إلى ولدها الآخر، واختفى هو وخادمه للبحث عن ولده؛ فلذلك لم نتمكن من الفتك بالملك سمعان، وطال انتظار عودته فقررت أن أعود وأضع بين يديك هذه الأخبار .

كان الملك سمعان ميس يسمع هذا التقرير وهو في غاية الدهشة لجسارة هذه المرأة وقسوة قلبها وسيطرتها على هؤلاء الاتباع ثم سمع الرجل يقول : ما العمل يا مولاتي الملكة ؟

لم ترد فورا بل لبثت تفكر في الأمر برهة ثم قالت : لا بأس عليكم أيها الفرسان .. سأدفع لكم مالا كثيرا ، وعليكم أن تعودوا لبلاد الهناء ومتابعة المهمة السرية، فلابد أن يعود هذا الملك اللعين إلى ملكه ؛ فإذا قتلناه ستحدث بلبلة وارتباك في بلده وبلدنا .. ونحن ما زلنا نبحث عن الملك الشرعي معن ووصلتني بعض الأخبار أنه حي ويسكن في مدينة بعيدة ، يعيش أسيرا عبدا عند أحد الإقطاعيين في مدينة الصعد ، فأرسلت ابني حسنا وأخي مهران وقرمان لتحريره من العبودية .. فاطمئنوا فنحن ما زلنا نعمل ، ولن نكف عن تحرير بلادنا من هؤلاء الأوغاد .. فإذا قتلتم سمعان اضطربت البلاد عندهم وعندنا ، ولابد أن يعود التاج ليستقر فوق رأسي ، ثم رأس أخي سالم القائد الفاشل الذي لم يستطع أن يدافع عن مملكتنا أمام هؤلاء الغزاة .

فأخذ الأمير سالم يدافع عن نفسه ، ويبين ضعف الجنود والفرسان، وانشغالهم بمصالحهم الفردية ، وعدم رغبتهم في القتال والموت من أجلنا ، فلما انتهى من كلامه أمرته عبلاء بأن يعطى مالا كثيرا للرجل ليستمروا في المهمة الكبيرة التي كلفتهم بها الأميرة ، ثم تسللوا متفرقين، وكان ميس قد تظاهر بالنوم عندما خرجوا من حجرة اللقاء ، ولم يظهر عند خروجهم لأن سيدته أمرته بالذهاب إلى النوم عند بداية الاجتماع ، وكان يتعجب الملك من قدرات هذه المرأة على تحريك هؤلاء المغامرين هنا وهناك ، وأرسل رسالة لتاج اللوز بشرها بحياة أسامة وما اطلع عليه من معلومات ، وطلب منها أن ترسل رجالا يترصدون هؤلاء القتلة في بلاد الهناء وحبسهم حتى ينتهي رقه وعبوديته .



كان الملك معن لما طرد وخلع عن كرسيه بذل وهوان وندم بعد فوات الأوان، فهرب من المدينة ومشى أياما وأياما حتى وقع في أيدي لصوص فاسترقوه وباعوه في سوق النخاسين بدراهم معدودة ، وتنقل من يد تاجر لأخر حتى وصل لرجل إقطاعي من بلاد الصعد ، فهو يعمل في

أرضه وجناته ويرعى شؤون الدواب والخيل مع عدد كبير من الرقيق ، وحاول مرة الهرب فتعرض للأذى الشديد ، وحرم أياما من الطعام حتى ندم على محاولة الهرب ، وقبل يدي صاحب الأرض حتى رق قلبه له وعفى عنه ، وكان يحدثهم في كل مجلس يجلسون فيه بأنه ملك يحكم البلاد والعباد ، فيسخرون منه ويظنون به الظنون من البله والجنون ، وأصبحوا يتندرون بحكايته حتى وصلت هذه النوادر لرجال الملكة عبلاء ، فأرسلت ابنها حسنا وأخاها مهران وسفاحها قرمان وبعض الفرسان لإحضاره فمشوا متخفين إلى بلاد الصعد حتى استطاعوا أن يلتقوا به ، فلما شاهدوه بالذل والهوان بكوا أشد البكاء، وأسفوا على عقوقهم وجريمتهم في حقه ، ثم حرروه من صاحب الأرض، وعادوا به إلى بلاد النعام وهو في حال

صعبة ، يرثي عليه كل من رآه وسمع حكايته في الرق والعبودية ، فأمرت الأميرة بالاهتمام به والعناية به حتى عادت له الصحة يوما بعد يوم ، وقامت بالاعتذار له والندم والأسف حتى قنع بأسفها ، ولما استعاد حيويته بعض الشيء أعلمته بعودة تاج اللوز للمملكة وهي الآمرة الناهية وأن عليه أن يظهر أمام الناس مطالبا بعرشه وملكه ، ولما وافق بعد رفض شديد وتهيأ الأمر طلبت من حسن وأخيه الكبير صعب أن يذهبوا به للسلام على أخته ، ثم يطالبها باسترداد العرش ، وكان ميس قد تابع كل هذه الأفعال ، واعلم تاج اللوز بها أولا بأول ، فلما دخل على الملك الصغير في ديوانه ، رحبت به أخته أحر ترحيب وحاول تقبيل قدميها اعتذارا فقبلت عذره وأمرت له بقصر يقضي فيه بقية عمره ، فذكر لها حاجته بأنه الملك الحقيقي والشرعي للبلاد فقالت له أمام السادة : لقد علمنا أنك خلعت نفسك يا أبا صعب للملكة عبلاء التي تنازلت بدورها لولدي غالب حفيد الملك شيبان فلم يعد لك حق تطالب به .

وأكد القاضي والقضاة خبر خلعه نفسه وعدم صلاحيته للحكم ، وحاول مرة أخرى إثارة ولايته ، فأمر الملك غالب بحبسه في قصر وإبعاد زوجته وأهله عنه ، ووضع عليه حراسة من فرسان بلاد الهناء ، ومكث أياما ثم قضى نحبه ولم يكترث أحد لموته حتى ولا تاج اللوز .

أمام هذا الفشل قررت الأميرة عبلاء أن تثير القلائل في البلاد ، فأمرت رجالها باغتيال أحد القضاة ؛ ولكن ميس أفشل الأمر ، وتم القبض على الجناة فأودعوا السجن ، ومرة أخرى حاولت قتل أحد الفرسان الألف ـ فرسان بلاد الهناء ـ وتم القبض على الفاعلين قبل وقوع الجريمة ، ومرة ثالثة أمرت بقتل قائد الحرس القديم فنجا أيضا ، فعجبت عبلاء لفشل رجالها وبالطبع كان

الجناة لا يعلمون من يسيرهم إنما هم قتلة يقبضون أموالا مقابل أفعالهم الشنيعة ، ولكن في المرة الأخيرة أمر القاضي بمثولها بين يديه ، وذكر لها أن أحد القتلة يتهمها بالتحريض فأنكرت ، ولم يستطع القاضي إثبات التهم عليها واشتراكها فيها ، فأدركت أن الشكوك تحوم حولها فعادت للهدوء ، وأصبح تفكيرها حينئذ محصورا بقتل تاج اللوز لتشفي غليلها بموتها

وبينما الأميرة عبلاء في ضيق وشدة لفشل رجالها وأنصارها بإثارة الفتنة في البلاد أتاها نعيم فادخله ميس سرا عليها ، وعلم أن ولده مريض وهم يخشون عليه الموت فجاء يسألها المشورة فلما علمت ذلك توترت وخشيت على الصبي، فأمرته أن ينصرف إلى بيت سالم وغدا سترسل له الأوامر ، وفي الصباح أرسلت ميسا يستدعي طبيبها أيام ملكها للبلاد ، ولما التقت به أغرته بالمال الكثير ليرافق نعيم لمعالجة أسامة ، فلما وافق أرسلت ميسا لقصر الأمير سالم للمجيء بنعيم ، وكان ميس قد أمر سماء وبعض الفرسان أن يستعدوا لمطاردة نعيم ، وكانت المفاجأة أن الأميرة كلفت ميسا بمرافقتهم ليعود بالطبيب ، فقادهم نعيم إلى خان في طرف المدينة واكترى لهم بغلتين ، وانطلق بهم نحو الجبال والغابات يقودهم إلى المكان المخفى فيه أسامة ، وبعد مسير استمر يومين ، وفي كهف عملاق في أحد الجبال كان الأمير المخطوف يرقد على سرير الشفاء وحوله عشرة رجال ، فلما وصلوا سمع ميس أحد الرجال يقول : لقد تأخرت يا قرمان وقد ذهب بنا الظن هنا وهناك .

فرد قرمان : لا .. الأميرة أخرتني يوما أيها الفرسان ، وقد أرسلت معي طبيبها القديم وخادمها ميس ليعود بالطبيب .

اقترب الطبيب من المريض فإذا هو فتى صغير فقال له : من أنت أيها الفتى ؟

فوضع قرمان يده على فم المريض وقال للطبيب : سيدي الطبيب عالجه فقط ، ولا تتكلم معه أرجوك .

نظر إليهم الطبيب بدهشة وهز كتفيه وقال : حسنا أيها الأبطال .

وأخذ يفحص الغلام وهو يحدق النظر فيه بتعجب ويقول في نفسه : من يكون هذا الغلام الجميل؟!هل هو ابن لها ؟ ولكن زوجها هرب منذ سنوات ولماذا يخفونه في هذه الجبال ؟!.. أرى هؤلاء الرجال كأنهم مجرمون .

ولما فحصه وعرف وجعه أخذ يصف لهم الدواء المناسب من الأعشاب البرية ، وكان ميس يقف في مدخل الكهف وهو يتوعد عبلاء بالهلاك والعقاب ويقول : ويلك يا امرأة إن قضى ولدي نحبه لأحرقنك حرقا أنت وعشيرتك وأنصارك

كلهم .
ولما انتهى الطبيب من تحضير الدواء قال لقرمان أو نعيم : أيها السيد سأعود لبلاد النعام .. وإذا لم يتحسن هذا الصبي خلال سبع ليال انزل به المدينة ولا تتأخر إذا كانت تهمك حياته ولسوف اركب له علاجا قويا .
فقال قرمان بغرور : حسنا يا طبيب .. وأحذر أن يعلم أحد من خلق الله أنك أتيت لهذا المكان حتى لا تخسر حياتك .. لا أدري لماذا أرسلتك الأميرة ؟! .
فصاح الطبيب بغضب : ويحك هذا الغلام في خطر شديد أرجو أن يجتاز هذه الحمى على خير لقد أحسنت الأميرة ببعثي معكم .
في أثناء المعالجة كان سمعان الملك التقى بسماء والفرسان الثلاثة وشرح لهم خطة وهي أن يعودوا للملكة تاج اللوز، ويحضروا سرية من الفرسان وعربة لنـقل الأمير أسامة وإخفائه لحين ساعة الانتقام ، ولم يشعر الرجال باختفاء ميس ظنا منهم بأنه انطلق لقضاء حاجته ، ولما رجع كان الطبيب يستعد للعودة فركب كل منهما بغلته ، وقفلوا نحو بلادهم عائدين، وأثناء الطريق كان الطبيب يقول لميس : من هذا الفتى الصغير أيها الخادم الأمين ؟.
فيرد عليه الخادم الأمين قائلا : دعك من هذا أيها الطبيب .. ولا تشغل نفسك بمعرفة المزيد ، فأنت تعرف قسوة قلب مولاتي الأميرة ألم تطلعك على أمره ؟!
فقال الطبيب : لا ..لا .. ولكنها رجتني رجاء حارا أن اذهب مع المدعو نعيم ذاك لأعالج مريضا يهمها أمره وحياته كما قالت .
فقال ميس بقلق : وهل من خطر عليه أيها الطبيب البارع ؟
فرد الطبيب البارع : الحق أن أمره صعب.. وأرجو بما قدمت له من علاج أن تخف آلامه بمشيئة الله ، وإن اجتاز الأيام السبعة وهو على قيد الحياة أرجو أن يشفى تماما بإذن الله .. وعلى سيدتك أن تنـزله المدينة ليسترد الصحة بشكل أفضل ، فهؤلاء وحوش لا يحسنون العناية بمريض ، وكلهم يريد موته لولا خوفهم من بطش الأميرة بهم .
فقال ميس : أرجو عافيته ورضا الأميرة بعودته للبلاد .
ثم قال لنفسه : آه يا ولدي! اصبر بضعة أيام فقط وسوف تعود لحضن والديك .
أخبر وأطلع الطبيب الأميرة على ما قام به ، ونصحها بإحضاره ليقوم على رعايته إذا كان يهمها
أمره ، فشكرته الأميرة على جهده ، وقد حاول أن يعرف منها سر الغلام فقالت : سوف تعرف أمره فيما بعد يا عزيزي الطبيب .. وأرجوك أن تنسى

كل شيء رأيته وسمعته .
فوعدها بكتمان ما سمع وما رأى ، وكان سماء قد اطلع تاج اللوز على رحلتهم ووصولهم لأسامة ، فقررت أن تذهب بنفسها مع السرية لتنفيذ خطة سمعان ، فأشيع أن الأميرة تريد زيارة زوجها سمعان ببلاد الهناء ، فخرجت ومعها سرية الفرسان، ولما ابتعد الفرسان عن جهة بلاد الهناء تحركوا حيث الجبال المختفي في أسامة ، ولما اقتربوا من المكان ـ وهم يسيرون بحذر ـ وضعوا كمينا محكما لصيد الرجال العشرة ورئيسهم قرمان ، وكان للمفاجأة دورها في تلك الوديان والجبال ، وحوصر الكهف في عز النهار وسقط كل من فيه بأيدي الفرسان وكبلوا بالحبال والقيود ، ولكن قرمان وآخر لم يكونوا فيه أثناء الهجوم فقد ذهبا لإحدى المدن لجلب الطعام ، وفكروا بانتظارهم ولكن حاجة الأمير للعلاج والرعاية وخوفهم عليه فقرروا العودة للبلاد بعجلة ، ولما عاد قرمان بعد يوم من الغياب صعق عندما وجد الكهف خاليا ولم يجد الأسير ولا الرجال ، فوقع في نفسه أن عصابة من عصابات الجبال قد أوقعتهم وأخذوهم أرقاء فانطلق وصاحبه يبحثون هنا وهناك ولكن كثرة آثار الخيل غمت عليهم ، ولم تساعدهم في التحري والبحث فلم يجدوا شيئا ، فوقع في نفسه أن الأميرة ربما أرسلت إليهم ، فاتفقا على الرحيل لبلاد النعام ومعرفة الأمر واطلاع الأميرة على جلية الحادث ، ولما دخل المدينة وتحرى علم أن الأميرة لم ترسل أحدا للجبل ، ولا لها علم بما جرى لرجاله ، فصمم أن يخبرها فالتقى بها وحدثها باختفاء الأمير والفرسان التسعة ، فصعقت الأميرة للخبر وصفعته على وجهه صفعة اطارت الشرر من عينيه ، وأخذت تشتمه وتحقره ، فقد فقدت أعصابها ، وهمّ هو الآخر بقتلها بأن يضع خنجره في صدرها ؛ ولكنه كان يهابها ويخافها ويعلم شدة مكرها فعاد يتذلل لها : سيدتي الملكة أنا خادمك المخلص ذهبت لجلب المزيد من الطعام للرجال كالعادة فلا تغضبي عليّ .. ولا تدعيني أغضب عليك سأبحث عنه في كل الدنيا جبالها ومدنها .. سأحضره لك يا سيدتي .
فقالت بحدة : ألم تجد من رجالك جريحا قتيلا ؟!..
ألم تحدث معركة؟!
فقال بدهشة : العجيب أنني لم أجد أثر معركة وقتال .. ولا دماء .
فقالت : أيعقل أن يكون قد وصل إليكم الملك سمعان ؟! فهو قد ترك بلاده للبحث عن ولده كما اخبرني رجالنا الذين ذهبوا لهناك .
فأخذ قرمان يردد أمامها الكلام الناعم ، ويعدها بالبحث عنه وقلب الأرض للوصول إليه حتى هدأت الأميرة وعاد إليه سكونها من جديد وقالت

: أنا آسفة يا قرمان ! لقد اطار الغضب صوابي .. لقد أذهب الفشل ما بقي لدي من دماغ .. آه .. لقد انتصرت عليّ تاج اللوز.. هزمتني تلك الملكة المغرورة .. علمت أنها غادرت لزيارة زوجها .. وبعد غياب بضعة أيام رجعت تقول : إنها رأت حلما أثناء الطريق فخافت على ولدها فعادت هي ومرافقوها .. حتى رجالي في بلاد الهناء لم يأتني خبر عنهم فهل قتلوا سمعان ؟ .. وها هو الأمير الصغير ضاع واختفى .. وقد كان الورقة الأخيرة بيدي لأحمي نفسي من بطش أعدائي يا قرمان .. وعادت تصرخ من القهر والغل : يجب أن تجده .. ابحث عنه في كل مكان في كل المدن والجبال .. لا تعد أيها البطل إلا بخبره اليقين .. والآن اغرب عني دعني أبكي على فشلي وخيبتي .. آه !.. لقد حاولت أن أجعل من أسرتي أسرة عز ومجد وحكم .. لكن آبائي جبناء واخوتي ضعفاء ..لا همة عندهم للمجد والعلا والسيادة يا ليتني صبرت على حكم معن وظللت ملكة تحكم وترسم .. إن نساء المدينة يخشين زيارتي ودعواتي.. وكذلك يتجنبن دعوتي لحفلاتهن يا قرمان .. عليك بالبحث الجاد عنه، ولك كل ما تشتهي عندي ولا ترني وجهك إلا ومعك خبره أيها المنحوس .

وبعد أيام ثلاثة أتاها قرمان وأخبرها أن الذي أنقض أسامة أمه الملكة تاج اللوز ، وهو يعالج الآن في قصرها ، فشكت في الطبيب ، فقال قرمان : إنهم لا يثقون في الطبيب ، ولم يخرج من المدينة إلا يوم أخرجناه نحن .

فاحتاروا بمعرفة كيف وصلت تاج اللوز للأمير أسامة في تلك الجبال والوديان؟! فأمرته أن يجهز فرسا في الخان للهرب من المدينة قبل شفاء الأمير الصغير ، وفي غفلة من خدمها وجواريها هربت الأميرة من بلاد النعام برفقة فارسها قرمان ، ولما اكتشف ميس هربها لانشغاله بولده المريض، وعلم من إحدى جواريها أنها هربت للشمال شمال البلاد ، فهجر القصر واسترد حريته



بعدما اجتازت الأميرة الهاربة عبلاء بلاد النعام كلها هي وفارسها قرمان ، وبينما هما في بلاد العبيد والسودان هجم عليهم مجموعة منهم وأخذوهم لملكهم همام الذي أمر بحبسهما بضعة أيام ، ولما حضروا بين يديه اتهمهم بقتل أحد السودان، فأنكر قرمان وقال: يا سيدي الحاكم نحن عابرو سبيل .. ولا نعرف المقتول وقبض علينا رجالك شبهة .

فقال الحاكم : من أي البلاد أنتم ؟

فقال قرمان : نحن يا سيدي من بلاد النعام ، بلاد

الملك غالب بن الملك سمعان ملك بلاد الهناء في هذا الزمان .

فالتفت الملك السوداني لرئيس حرسه وقال : ما تقول أيها الأمير بهم ؟

فقال رئيس الحرس : لم نجد أغرابا في المدينة يا مولاي سواهما .. والشهود ذكروا أن القتلة من الأغراب البيض وليس من السودان .

فقال قرمان : يا مولاي الحاكم .. هذه امرأة ـ وأشار لعبلاء ـ وإنها الملكة السابقة لبلاد النعام زوجة الملك معن بن شيبان .

فقال ملك السودان : وأين زوجك عنك ؟

فقالت : قد مات منذ زمن يا ملك الزمان .

فضحك ملك السودان ثم قال : يا رئيس الحرس ابحث عن القاتل .. واعلمي أيتها البيضاء أنني سأتخذك زوجة لي .. فما زال يرتسم على وجهك بعض الجمال .. لعل الله يهبني منك ولدا أبيض يكون ملكا على السودان في قادم الأيام .

وأمر بعض اتباعه بأخذ المرأة إلى حجرات النساء ليصلحن من شأنها وتجهيزها للزواج منه ،

وأمر آخرين بحبس قرمان حتى يظهر القاتل الحقيقي .

فصاحت الأميرة : يا ملك الزمان أتقهرني على الزواج منك وأنت تعلم من أنا ؟ .. أنا الملكة عبلاء ملكة بلاد النعام .

فقابل صراخها بصراخ وقال : أنت هنا جارية .. أمة .. يكفي أنني عفوت عنك وعن هذا الرجل.. ولم نقتلكم بصاحبنا.. ومن أدرانا أنك ملكة وزوجة ملك ؟ .

فصرخت وولولت قائلة : نحن لم نقتله .. رجالك قتلوه واتهمونا بقتله لسوء حظنا .

فعاد هو الآخر يصرخ ويقول: مهما صرخت وولولت أنت أسيرتي وستصبحين لي حليلة رغم أنفك .. وملكة على بلاد السودان أيكفيك هذا ؟!.

فهدأت وقالت : أليس للمرأة عندك صداق .. أم قهرا واغتصابا ؟.

فرد عليها : بعد النكاح وإنجاب الولد نعطيك مهرك .

فقالت : أقتل نفسي قبل أن تصل اليّ .

فقال : ويلك يا امرأة بدأت أصدق أنك ملكة! .. ما المهر الذي تبغينه ؟

فقالت بحقدها المعهود : مهري أيها الملك الأسود .. هو قتل الملكة تاج اللوز ملكة بلاد النعام فإن فعلت ذلك سأكون لك الخادمة المخلصة الجارية التي تحبك إلى آخر يوم من دنياي .

فقهقه الملك الأسود وقال ضاحكا ومستهترا : ابشري بهذا المهر .. سأكلف بضعة من السودان بقتلها من أجل عينيك الساحرتين ، ورفع صوته

ثانية بالضحك والقهقهة وسمعها تقول : لن تتزوجني قبل أن أرى رأسها يتدحرج أمامي.. وإن أجبرتني على الزواج منك قبل ذلك ستجدني جثة هامدة .

فقطع ضحكه وقال : إنك قوية وعنيدة وشرسة لكني وقعت في هواك .. سأنفذ رغبتك خذوها إلى قصر النساء حتى نجلب لها المهر .. وحذار أن تحاولي الفرار فالموت ينتظرك .

فقالت : لن اهرب أيها الملك .. وتأكد أنك إذا انتقمت لي من تاج اللوز ملكة بلاد النعام سأكون لك الجارية الخادمة المطيعة .

وجهز ملك السودان أربعة من السودان ذوي الحيلة والذكاء، ورافقهم قرمان لبلاد النعام للفتك بالملكة تاج اللوز مهرا لعبلاء ، دخلوا المدينة متخفين وبسلام، وفي فندق من فنادقها نزلوا ومشى قرمان لقصر الأميرة عبلاء ، واجتمع بجاريتها الخاصة ووجد الغلام ميسا عندها ، وعلم منهم أنهم يبحثون عن الأميرة الهاربة ، وكشف قرمان لميس الأمر كله معتقدا أنه من المخلصين للأميرة ، غادر ميس القصر بعد انصراف قرمان الذي ما زال يتردد على قصر الأميرة بين الحين والحين ليصل إليها أو تعود فجأة ، وقد صح ما توقعه ، وأرسل الفرسان للقبض على قرمان والسودان الأربعة، داهم فرسان الملك غالب الفندق وأسروا الرجال الأربعة وقرمان ، وبعد التحقيق والتدقيق أرسلت الملكة تاج اللوز وراء ابن عمها سالم وأبناء أخيها حسن وصعب وأخبرتهم بمكان أمهم ، وأرسلتهم برفقة أحد السودان للمجيء بها قبل أن يتزوجها ملك السودان ، ولما علم ملك السودان بانكشاف أمره ووقوع رجاله بالأسر غضب غضبا شديدا على الأميرة ، وأمر بسجن أولادها وأخيها ، وأرسل رسالة للملكة تاج اللوز يأمرها بإطلاق سراح الأسرى قبل أن يقتل رسلها إليه ، ولما علمت عبلاء بفشل رجال ملك السودان بالفتك بغريمتها، وحبسه لأبنائها وأخيها سالم صعب عليها الأمر ، وحقدت حقدا قويا قاتلا على ملك السودان، وعرضت عليه غزو بلاد النعام لتحرير الأسرى وأسر تاج اللوز ، فوافق على ذلك الغزو على شرط أن يكون ذلك بعد زواجه منها بعام ، فرضيت الأميرة ، وتزوجت من ملك السودان ، وعفا عن ولديها وأخيها سالم بمناسبة النكاح ، وعادت رسله للملكة تاج اللوز يخبرونه بأن الملكة ستجهز جيشا لغزو بلاد السودان إن لم يعد الأمراء والأميرة لبلاد النعام ، فسخر من ذلك وأعلن النفير العام ، وقد غضب الأمراء من زواج أمهم من ملك السودان ، وعنفوها أشد التعنيف على فعلتها تلك حتى خافت أن يفتكوا بها فقالت :

إنني اكره تاج اللوز كرها يكاد أن يفجر قلبي .. وأريدها أن تموت ولو تزوجت الشيطان نفسه من أجل القضاء والانتقام منها .

فقال حسن بحدة : كفاك حقدا يا أماه! .. كفاك حقدا يا أماه! لقد دمرت حياتنا بأحقادك ، التاج ليس لنا، لقد فقدناه بسبب غرورك وكبريائك وحقدك ، ونحن الآن أصبحنا عبيدا عند هذا العبد الحقير، لقد كرهنا الحكم والملك .. وسوف أدور في الدنيا واهجر هذه المدينة ولن أبـقى في بلاد النعام .

فقالت : وأنا لقد ضحيت بنفسي وراحتي من أجل أن تصير ملكا يا حسن .

فقال بسخرية : ملك مغموس بالدماء .. لا أريد هذا الملك .. لقد فرطنا في أبينا من قبل من أجل هذه الملك ، وكدنا نقتل أعمامنا من أجل هذا الملك ، وها أنت أصبحت جارية عند هذا العبد من أجل ملك لن يصل إليك .. وداعا يا أماه وداعا يا أخي صعب وداعا يا خالي .

وخرج حسن هائما على وجهه في هذه الدنيا ، وأما صعب وسالم فقد بينا لها رغبتهما بالعودة إلى أولادهم وزوجاتهم في بلاد النعام ، وحاولت منعهما وفشلت فتدخل ملك السودان في شأنهما وغضب عليهما وأمر بحبسهما ، فقال صعب لخاله : هذا ليس غريبا على أمي.. لقد تخلت عن أبينا من أجل أحلامها في الملك، وتزوجت هذا اللئيم من أجل كرهها وحقدها لتاج اللوز مع أنها ملكة عادلة محبوبة من الرعية وجنودها .

واستطاعا بالمال رشوة حرس السجن، وهربا في جنح الظلام إلى بلاد النعام، ودخلاها بسلام ودخلا على الملكة أم أسامة واطلعاها على خبرهما وزواج الأميرة من ملك السودان ، واستعدادهم لغزو بلاد النعام ، وهجر حسن لها غضبا وحزنا ، وقد ساح في الأرض ، فأكرمتهما تاج اللوز ومنحتهما المال والضياع .

نسير مع حسن الذي ترك أمه وأخاه وخاله وهام على وجهه في البلاد ، واستمر في سفره وترحاله من قطر إلى قطر حتى نزل إلى جزيرة البحر ، وارتاح فيها ، وقرر الاستقرار فيها وقضاء دنياه فيها ، وبعد زمن يسير اشتغل عند أحد التجار الكبار ، واظهر نشاطا وهمة وحيوية في العمل ، فسر به صاحب المتجر وأكرمه غاية الإكرام ، ثم بعد حين أخذ يسمح له بزيارته في البيت ومشاركته في السهر مع ضيوفه والتعرف عليهم ، وذات ليلة وبينما هو وصاحب المتجر التاجر رضوان سائران لزيارة أحد الأصدقاء فتحت لهما الباب صبية جميلة ، فلما وقع نظر حسن عليها هام بها عشقا وهوى ، وسأل رضوان عنها ، فأخبره أنها ابنة صديقه

زيدان فقال له حسن الولهان : ألا يزوجني بها صاحبك زيدان ؟ .

فقال التاجر رضوان باسما : أراك وقعت في هواها من أول مشاهدة يا ولدي ؟!

فقال حسن معترفا : إي والله! لأول مرة تهوى نفسي النساء أيها الأب الكريم .. تحرك قلبي نحوها .

فقال التاجر : أمهلني أياما ولسوف أكلم والدها .. فهو رجل غريب عن هذه الجزيرة مثلك .

ولم يطل انتظار حسن ، فقد اخبره رضوان بعد أيام قليلة أن والد الفتاة أبدى اهتماما بالأمر ، ودهش كثيرا عندما علم أنه من بلاد النعام ، ويريد أن يقابله ويراه الليلة ، فهو يعرف تلك البلاد منذ زمن بعيد ، وفي الليل انطلق حسن لبيت التاجر زيدان وقد لبس أجمل ثيابه، ووضع على بدنه أفضل الطيب، وبعد الاستقبال والطعام قال زيدان : أعلمني رضوان بغايتك، ولا أرى فيك ما يعيب والذي أدهشني أنك من بلاد النعام ، فحدثني عنها ما أخبارها .. فأنا مهاجر قديم من بلاد النعام وكذلك أخي .

فقال حسن : أنتم من بلاد النعام .. هذا أمر غريب يا سيدي !

فقال زيدان أبو أحمد : ما حكايتك وما الذي أتى بك إلى هذه البلاد ؟!

فقال حسن وقد خفق فؤاده كثيرا : أكلمك عن نفسي على أن تحدثني عن نفسك .

فقال زيدان : لا بأس يا ولدي .. سأكلمك عن بلدي .

فقال حسن : يا سيدي أصدقك القول .. أنا اسمي حسن واسم أبي معن.. وقد كان ملكا للتلك البلاد .

جفل زيدان وقال وهو ينهض : انتظر أيها الشاب لسوف أرسل لأخي ربيع ليسمع حكايتك معي .. وسوف تذهب عنك الدهشة بعد قليل .. فنحن أهل وأقارب ..فأنا عمك الهارب من بطش أمك .

قال حسن : أدركت هذا عندما اخبرت أنك من بلاد النعام .

وأرسل وراء أخيه الذي أتى على الفور وبعد أن هدأت النفوس قال زيدان : تكلم يا حسن قل لنا ما حكايتك؟!

فقال حسن : كما قلت لك يا سيدي قبل قليل ، أنا الأمير حسن بن الملك معن بن الملك شيبان النابغي .. كنت صغيرا عندما كان أبي ملكا على

بلاد النعام ، ثم هرب أبي بعدما غضبت عليه أمي ، وخلعوه عن العرش ، ثم غزت بلادنا جيوش بقيادة الملكة تاج اللوز ـ وهي عمتي ـ وتنازلت أمي الملكة عبلاء عن العرش لابن الملكة تاج اللوز الملك غالب بن الملك سمعان ، وهو مليك البلاد هذه الأيام ، وقامت أمي الحقودة والمتكبرة بإثارة الفتن في البلاد ، ولكن أمرها ومكرها فشل ، فهجرت البلاد هاربة تبحث عن نصير.. تريد أن تفعل كما فعلت الأميرة تاج اللوز ، فوقعت في يد ملك السودان أسيرة ، وعلمنا بذلك فأرسلتني الملكة تاج اللوز وأخي الأكبر صعبا وخالي سالما لفك أسرها ، فتزوجت ملك السودان على أمل أن يقتل لها غريمتها تاج اللوز ، فلما رأيت ذلك الهوان والحقد صممت على عدم العودة لبلاد النعام ، وتركت أمي وخرجت هائما في الدنيا على وجهي باحثا عن الراحة ، فجاء بي القدر إلى هذه الجزيرة الجميلة، وقبل أيام كنت وصاحب المتجر المعلم رضوان في زيارتكم ففتحت لنا الباب صبية جميلة، وقعت من نفسي موقعا حسنا، فرغبت بالزواج منها، وعرضت الأمر على المعلم رضوان، وكلمكم في ذلك .. وهذه حكايتي معكم ومع بلاد النعام

فقام الرجلان بتعريف حسن على نفسيهما من جديد ، وتعانق الرجال وتباكوا ، وقال أحدهما : أنت حسن الصغير ابن أخينا معن! .. لقد كنت طفلا صغيرا أيام بداية مشاكلنا مع أمك وأبيك والحق على أبيك الضعيف .. لقد كان ضعيفا أمام



أمك ونزواتها وطموحها .. والحق أن أمك كانت عنيفة وحقودة مع أننا أهل وأقارب .

وقصوا عليه حالهم ومطاردتهم من قبل أنصار أمه ، وحبسهم في البلاد بعدما سلمهم الملك عدنان لما رفضت تاج اللوز الزواج منه ، ثم هربوا من السجن بمساعدة بعض المخلصين من رجال الملك شيبان ، وتنقلا بين المدن والقرى حتى وصلوا لهذه الجزيرة واستقروا فيها منذ ما يقارب العشرين سنة ، ولما فصل لهم حسن قصة تاج اللوز، وكيف عادت للبلاد بعدما تزوجت من الملك سمعان الذي أحبها وأنجبت منه أميرين الملك غالب ، الملك على بلاد النعام والأمير أسامة الذي سيصبح ملكا على بلاد الهناء ، ففرح الأخوان لسماع هذه الأخبار الحسنة، ولتملك تاج اللوز لبلادهم ، وفي نهاية الليل قال زيدان : رغم الجروح التي صنعتها أمك وأخي معن ابشر

سأزوجك من الأميرة مي إذا رضيت هي بك بعدما تسمع لحكايتنا .. وعلينا يا أخي ربيع أن نسير لبلادنا لرؤية أختنا الملكة بعد كل هذه السنين .

وبعد أيام جهزا مركبا للسفر لبلاد النعام ، وأخذا معهما الهدايا وأوصوا أولادهما على أملاكهما وحسن ، وسافرا إلى زيارة الملكة تاج اللوز التي ما كادت تسمع بمجيئهما وحياتهما حتى خرجت هي والملك سمعان لاستقبالهما والترحيب بهما ، ولقد كان لقاء عاطفيا مشهودا بالقبلات والزفرات والتنهدات ، وقد فرحوا بلم الشمل بعد تفرق وغياب وتشتت في بقاع الدنيا ما يقارب العشرين سنة ، وقصا عليها قصة حسن ابن أخيهم ومجيئه للجزيرة ، وفرحت الملكة بهذا الخبر وشجعته على تزويجه من ابنته ليعود للأسرة صفاؤها واجتماعها ، وأخبرتهم أن ملك العبيد غزا بلاد النعام ؛ وعاد ذليلا مهانا بعدما رأى نصف جيشه بين قتيل وجريح ، وعاد لبلاده خائبا خاسرا ، وقد علمنا أنه يسوم زوجته عبلاء سوء العذاب لما حل به من الخيبة والخسران ، ولقد أرسلنا لها رسولا من طرف ولدها صعب وأخيها سالم لتعود للبلاد، فأبت وأصرت على البقاء في بلاد السودان رغم الذل والعذاب الذي يصبيبها من زوجها ، ورفضت عفو الملك سمعان وهي تعيش هناك بين عبيد وخدم ونساء ملك السودان وبعد حين ودع الأخوان أختهما ورجعا للجزيرة الخضراء على أمل العودة من جديد لبلاد النعام .

وكان الملك غالب قد أصبح شابا بعد هذه السنوات ، واستقر الوضع في بلاد النعام ، وملّ الملك سمعان من التنقل بين البلدين ، فودع ولده بعدما زوجه من فتاة من بنات الأسر الكبيرة في البلاد ، وأخذ زوجته الملكة تاج اللوز ، وعادا لبلاد الهناء بعد كل ذاك العناء ، فهدأت النفوس وعاد الهدوء والوئام لتلك البلاد ، وقد تزوج حسن من ابنة عمه مي ابنة الأمير زيدان بعدما عادوا للحياة في بلاد النعام ، ولما تزوج الأمير أسامة من ابنة القاضي تنازل الملك سمعان عن الملك لولده أسامه ، فأصبح ابني تاج اللوز ملكين متوجين، أحدهما في بلاد النعام والثاني في بلاد الهناء ، وهذا آخر ما جرى للأميرة تاج اللوز من الأخبار أيها السادة الكرام وسلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته وإلى اللقاء في قصة أخرى من حكايات الناس يا ناس .

وهكذا تمت قصة الملكة تاج اللوز وولديها
غالب وأسامة



التحقيق الجنائي والجريمة

لغز القصر الصحرواي ٢

٩

عاد بشر للالتقاء بأديب وزوجته سعاد ، ولما قضوا عشاءهم انتقلوا للجلوس كعادتهم في مكتبة القصر ـ مكتبة الجد بسيم التي كان يجلس فيها كلما حن للحياة مع حفيده الذكر الوحيد الباقي من سلالة بسيم الجدية ـ واستقرت خالة أديب في غرفة الاستقبال حيث التلفزيون والمدفأة التي تستأنس بها رغم أن التدفئة المركزية تشع الدفء في جميع أنحاء القصر

قال بشر بعدما استقر قعودهم على المقاعد الأثيرة والمريحة في جوف المكتبة ، ووضع الرسائل التي أخذها وقرأها في البيت على منضدة صغيرة وعلق : لم تضف شيئا جديدا كما قلت لي .. بعض مشاهد حياته ، والمهم فيها التركيز والتحفيز على البحث عن الكنز قبل بيع القصر .. فهي تكرار لما جاء في الرسائل الثلاث الأول .. والكرت هو مفتاح اللغز الأول للكنز .

ـ هل وجدت شيئا جديدا ؟

ضحك بشر وقال : لست بالمحترف ، ولا حتى الهاوي في مثل ذلك ، فحتى الكلمات المتقاطعة التي يهواها الكثير من قراء الصحف .. لست فهيما في حلها .. ولا حتى السودكو الياباني .. لدي ثقافة فقط يا أديب .. وقتي دائما مشغول .. اسأل سعاد عن ذلك ..

ضحك أديب وقال : لا داعي لسؤال سعاد فأنا أصدقك .. وأنا مثلك لا تستهويني هذه التسليات إلا في الحدود الدنيا .

فقالت سعاد التي لزمت الصمت منذ بدأ شقيقها في الاستماع والاهتمام بموضوع الكنز : بشر لا هواية له إلا الكتابة والقراءة .. قليل من اللعب كان يمارسه في البيت أو في النادي الذي كان يشترك فيه والدنا قبل موته .

دعوا لعيسى الذي أتوا على ذكره بالرحمة ولجميع أموات المسلمين .

وقال بشر : قلت إن الرجال الثلاثة الذين استعنت بهم أنت والمحامي الكبير الدكتور داود محمد فسروا هذا الكرت بأنه واجهة إحدى المكتبات .. ولكنهم وجدوا في القصر ثلاث مكتبات ، كل مكتبة فيها واجهة تشبه البطاقة .. وقضيتم شهرا دون الكشف عن مفتاح وشيء آخر يبدد الظلام والغموض .

ـ نعم ، الضابط الكبير أحد رجال فك الشيفرات ، هو الذي كشف فكرة الكرت وواجهة المكتبة لما لاحظ واجهات المكتبات الثلاث ربط بين الكرت والواجهات .. ليس كل جدران المكتبة .. جهة واحدة فقط . فقال الكرت يدلنا على الواجهة التي علينا الاهتمام بها ووجدنا كل واجهة سبع خزائن ، وكل خزانة سبعة أرفف .. وكلها مليئة بالكتب ، وقسم أحمر وقسم أبيض . فقال الرجل: صممت هذه الخزائن من أجل لغز جدك بسيم يا أديب وكان واضحا أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضفن من أجل لغز الكنز .. لأن المكتبة في الطابق الأول مصممة مكتبة ابتداء ..لأن خزائنها صممت في الجدران أثناء البناء .. إنما وضع لها الخشب والديكور وإطارات للزينة والديكور .. وحولت جهة منها فيما بعد ؛ لتكون سبع خزائن ، وكل خزانة بسبعة أرفف ..كان واضحا أن التعديل كان من أجل البطاقة واللغز .

وعرفنا أيضا أن الحروف السبعة تعني الحرف الأول من كلمة مكتبة بلغات سبع .. بماذا نفسر ذلك؟ ربما كما قال أحدهم للتأكيد أن بحثنا يجب أن ينصب في المكتبات فقط .. وبحثوا أيضا عن مكان يصلح لإخفاء الكنز ، فلم يجدوا مكانا لإخفاء المجوهرات .

ـ عدد الكتب كثير في مكتبات القصر .

ـ حوالي مائة ألف كتاب ومجلة .. وجدي له قدرة على التعامل بثلاث لغات يا بشر سوى العربية تعلم نصف الإنجليزية أيام انتداب بريطانيا على بلاد الشام وبعض الفرنسية .. وتعلم البرتغالية في أثناء وجوده في أول هجرته للبرازيل .. وبعض الإسبانية .. ثم الهندية لما نقل بعض نشاطه إلى الهند .. فلذلك تجد في مكتبته ، وحتى هذه التي نجلس فيها كتبا ومجلات من تلك البلاد ، وبتلك اللغات .. ومرات لا يحتاج من العاملين معه للترجمة .. المهم فسروا الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بتلك اللغات من قارات مختلفة .. فهلا وجدت شيئا تفسيرا آخر ؟

ضحك بشر وقال : يا صديقي يا أديب .. أنا لم أفكر بحل آخر ..ولن أستطيع أن أفكر به .. لست من هواة فك الشيفرات والرموز والكنوز .. فخالي محمد محسن لما سمع بعض الكلام من شقيقاتي حول الكنز ورسائل جدك .. طلب مني الاهتمام بالموضوع والاستماع إليك .. لنعمل على معرفة مكان إخفاء الكنز .. الأرقام لم يعرف أولئك الخبراء عنها شيئا ..

ـ لأ ، لم نفهم منها شيئا رغم مكثنا الوقت الكافي والممل هناك ، وإن قال أحدهم ربما تعني كتابا في رف .. الرفوف كثيرة وممتلئة بالكتب .. أي رف في أي خزانة ؟ هناك إحدى وعشرون خزانة كل

خزانة فيها سبعة رفوف .. قاموا في البحث في بعض الرفوف بدون جدوى .. لأنه غير واضح لنا عن ماذا نبحث ؟.. رسالة .. شيفرة .. كتاب بأي لغة .. يصاب المرء وهو يطلع في الكتب بالإحباط واليأس .. فقال أحدهم : لابد من التنقل في المراحل تلو البعض.. مرحلة تتبع مرحلة .. فنحن لم نعرف المرحلة التي بعد الكرت .. وهل الكرت صمم لمرحلة واحدة أو لأكثر ؟ .. وبعد عودتنا طلب أحدهم الزيارة مرة أخرى فذهبنا ولم نجد شيئا جديدا إلا مزيدا من الإحباط يا بشر .. فقال لي أسرار جدك في المكتبة ؛ ولذلك صمم في كل طابق مكتبة ، ومكتبة الطابق الأول أعظمهن وأكبرهن .. هل لدى خالك الفاضل خطة معينة نعمل عليها ؟

قال بشر وهو يرشف ما تبقى من شاي في كوبه : قال خالي لابد من زيارة القصر ومعرفة أسراره لحل هذا اللغز .. والقصر كما أخبرتنا بني على مرحلتين مرحلة في حياة والدك ومرحلة بعد الغدر به .

ـ أجل يا سيدي كنت طفلا عندما بدأ الإنشاء الأول .. وكمل بعد الحادث بسنتين .. انتهى في عام ٨٤ كنت في الصف النهائي من الدراسة الثانوية.

ـ آيا سعاد هل عندك شيء ؟

تبسمت سعاد وقالت : سمعت كل كلامكم من اليوم الأول ، وقرأت رسائل الجد قبلك ومعك وبحماس وشوق ؛ ولكن أديبا يقول لا تتعبي فكرك حتى تضعي مولودك ، فجدي لا يريد بيع القصر ؛ فلذلك وضع هذا اللغز ، ولن يكون حله سهلا .

فضحك بشر وقال : المهم أن هناك حلا .

فقال أديب باسما : أكيد ما دام قد وضع هذا الكرت ، وهذه الرسائل بين يدي .

بعد صمت قصير عاد بشر يقول : أريد أن تعطيني عناوين الرجال الثلاثة ؛ لأقابلهم وأستمع إلى وجهات نظرهم في لغز الكنز الخفي لغز جدك بسيم

ـ حالا .. وعليك بلقاء المحامي داود محمد .

ـ شكرا ، وسأفعل بعد لقاء أولئك الرجال .. وقبل مغادرتي اسمح لي بسؤالك سؤالا خاصا ـ فأشار له برأسه أن نعم ـ لماذا لم تتزوج في حياة جدك بسيم رغم لهفته الشديدة لذلك كما يبدو في هذه الرسائل ؟!

ـ بصراحة كنت مرعوبا من ذلك الحادث المرعب يا بشر .. كنت غير راغب بربط امرأة في حياتي ذلك الوقت ..وكنت متوقعا لانفجار آخر .. كنت قلقا وما زلت قلقا .. وكان لقائي بشقيقتك الفاضلة على غير ميعاد محفزا لي على الزواج

..القصر حقيقة محصن .. والسيارة الخاصة بي محصنة والأعمار بيد الله عزّ وجل .. التوترات .. كان الجو يزعجني يا بشر .. ولكن بموت جدي ـ رحمه الله ـ خفت حدة هذه التوترات .. ولم يحدث شيء مثير بعد مقتله وعدم معرفة القاتل ما زال يؤرقني .. ولكن لابد للحياة أن تمضي .. وكما قلت قبل لحظات التقائي بالسيدة العزيزة سعاد شجعني على الإقدام على الزواج فأرسلت خالتي إليكم .. وكانت الفاضلة قد مهدت لها الطريق .. وكان قدر الله قدرا مقدورا .

نهض بشر مصافحا لسعاد وقال : حفظك الله يا أديب .. أنت إنسان فعلا كما يقال اسم على مسمى .. هادئ ووديع .. أو كما يقول جدك حمل وديع ولا تحب المشاكل ولكن العبء الذي حملك إياه جدك كبير ؛ بل يريد تحميل أبنائك جزءا منه وحادثة مقتل جدك ما آخر أخبارها ؟

ـ التحقيق أغلق حتى تظهر أدلة جديدة .. كيف ستظهر ؟! لست أدري .. هناك جريمة .. هناك اتصال الضحية بالطبيب .. الذي وصل إليه فوجده مضروبا بالرصاص .. جريمة وقاتل ورصاصة من رصاص القصر .. ولم توجد طلقة مفقودة لدى الحراس الخمسة .

قال بشر : أنت اليوم مطمئن على حياتك من الغدر والعدو الغامض !

ـ أنا ما زلت أعيش كما كنت أعيش أيام جدي لكن بحذر أقل .. لليوم لم أعرف قتلة أسرتي قديما .. وكذلك جدي .. لماذا صرع هؤلاء وهذا ؟! هل القتل للانتقام فقط ؟ لم يحصل سطو لم يطلب أحد مالا .. لم تظهر عمتي البرازيلية ولا نعرف بحياتها وموتها .. هل لها أولاد كما يعتقد الجد ؟ .. رغم ما أعرفه عن جدي .. فحياته مليئة بالغموض والأسرار .. والحق لا يهمني معرفة هذا الغموض وهذه الأسرار .. لأن الرجل قضى جل شبابه متنقلا بين مناطق الحروب والقتال ولكن لو علمت لم قتل فذاك مقبول ومريح للنفس .

أعاد بشر مصافحة سعاد وأديبا وهما يقفون أمام البيت يودعونه فقال : رحمه الله .. رتب لي لقاء مع المحامي يا أديب .

ـ سأفعل .

قالت سعاد بعد قفلهم الباب : لن يهدأ لبشر بال حتى يحل لغز الكنز .

ابتسم أديب : أتظنين ذلك يا سيدتي الكريمة ؟! إنك متفائلة جدا .

ـ هو الآن يعتبرها قضية صحفية .. وهذا طبع أخي إذا اهتم بقضية ما .. ولا تنسى أن خالي في الموضوع

ـ لعل الله يوفقنا هذه المرة .

ولما انطلق بشر بسيارته قال : بعون الله سنحل لغز الكنز ، ولغز جريمة القتل ما دام القاتل محبوسا في القصر لليوم !



١٠

أخذ بشر أرقام هواتف الرجال الثلاثة الذين استعان بهم أديب للمساعدة في كشف مكان الكنز الصحراوي ، فلما اتصل بهم معرفا بنفسه ، فوجد أنهم يعرفونه ويقرأون الكثير من مقالاته في الصحف والمجلات المحلية ، ويعرفون خاله محمد محسن ، وقد شاهدوه في بعض محطات التلفزة معلقا مناظرا ، فالدكتور بشر رجل معروف في الوسط الإعلامي ، وهو قد درس القانون ، ثم الصحافة ، وحصل على شهادة دكتوراه في الإعلام فزار أول الثلاثة اللواء المتقاعد من الأجهزة الأمنية منسي عودة ، فاستقبله الضابط الكهل ، ورحب به بكل محبة ، وقال وهما يجلسان في غرفة الضيوف في بيته الواسع : أنا سعيد باللقاء بك يا دكتور بشر .. وعجبت من حديثك حول الكنز الصحراوي واهتمامك بالموضوع ؟!

ـ أنا لي اهتمام به منذ عهد قريب يا سيدي .. فالسيد أديب منذ شهور تزوج شقيقتي الصغرى المهندسة سعاد .. وتزوجها بعد وفاة جده .. ووصل الكلام حول الكنز لي ولخالي محمد محسن فطلب مني خالي الاهتمام بقضية مقتل السيد بسيم الجدية وكنزه الصحراوي .. وقابلت المهندس أديبا ، وقرأت الرسائل الخاصة بموضوع الكنز ، ورأيت الكرت المفتاح ، وسمعت منه عن جهودكم الجبارة ..

دخل الشاي إلى الغرفة فسكب الضابط الأكواب وقال : يا أهلا بك يا ولدي العزيز !

فشكره بشر ، ورشف رشفات متتابعات من كوبه ، ثم عاد يقول : وصلت لي أخبار الكنز كما قلت ، وتحدثت مع أديب .. فالرجل الميت تعلم من خلال قراءة رسائله لحفيده أديب مليء بالغموض والأسرار ..والسيد أديب تأثر جدا بحادث مقتل أبيه وأمه في ذلك الانفجار المرعب وصدم ونأ بنفسه عن مغامرات جده .. فلما لمس الجد من الحفيد الذكر الباقي له من صلبه تهربه من الزواج ، وتحمل المسؤوليات الكبيرة لإدارة الثروة التي يملكها ذكر له القليل من المعلومات حتى يحافظ على نفسه ويحذر .

ـ كلامك في محله يا أستاذ بشر .. فالمهندس من الواضح أنه قليل الاهتمام بحياة جده كما تقول

والجد أنا أعرفه أثناء عملي في المخابرات .. فهو رجل قوي وشجاع ومغامر ، وله أصدقاء على مستوى رؤساء دول .. فهو تاجر أسلحة كبير .. وتنقل في مشارق الأرض ومغاربها .. وهو قد استقر هنا رغم صغر بلادنا سكانا وأرضا ؛ لأنه وجد الأمان هنا أكثر من تلك البلاد .. هنا العصابات الدولية المنظمة ضعيفة ..رغم أجهزة الأمن القوية عندهم ؛ لكن البلاد والسكان أكثر فيسهل الإجرام المنظم .. وله هنا عدد كثير من الأقارب من أبناء العم والخال ..وهو مغامر جيد .. وهو رجل يراعي القانون، ويعمل في حدود القوانين المحلية والدولية .. لكن لا تخلو مغامراتهم وتجاراتهم من صفقات مريبة ؛ لكنها تقولب بشكل قانوني مثلا يمنع تصدير السلاح والذخيرة لبلد معين .. هم يلتزمون بهذا القانون ظاهرا .. فعن طريق طرف ثالث يبيعون السلاح .. وهذا الطرف الثالث يظهر أنه محايد .. فيأخذ السلاح ، ثم يهربه للممنوع بيعه له .. وربما في مثل هذه الصفقات تتضاعف أموالهم .. إنها تجارة كما يقولون ولو أنك التزمت الحظر فغيرك سيظهر ويبرز ليسد الفراغ .. تجارة ذكية ومعقدة .. والحروب لا تعرف القانون إلا شكلا .. فكيف إذا كانت الحرب أهلية ؟ .. فلا قانون دولي يحكمها .. وهذه الحروب توفر لهم سوقا كبيرة .. فيجد التاجر منهم أنه يبيع للفريقين بعلم أو لا يعلم ..ومجال الصفقات السرية متاح .. وهؤلاء التجار إذا علمت أسماؤهم أصبحوا في خطر شديد .. فهم أعداء للطرفين .. مع أن همهم هو المال فقط ..لا يهمهم من انتصر ومن انهزم ..وهذا يا أستاذ بشر لا ينكره السيد بسيم ..وهو كان خائفا على أديب خوفا واضحا للعيان في رسائله ..وأن الخطر محيط بهم .. وحماه بماله بإنشاء القصر المحصن وأجهزة الحماية .. والسيارة المصفحة ، وبعض الحرس ..لأنه لا يستطيع حبسه .. بل كانت الدولة تحمي الرجلين بنوع من الحماية الخفية ..لا تكاد ليلة تمضي إلا وتقف سيارات النجدة قرب القصر بدون أن يشعر أديب وغيره بذلك ، وربما ما زالت المنطقة من وظائف رجال البوليس .. فالسيد بسيم قدم لها الكثير من الخدمات السرية والخفية من أهمها صفقات سلاح جيدة بأثمان بخسة ..فحمايتنا سرية للغاية وأنا نفسي التقيت به عدة مرات بحكم الوظيفة .. أما هو لم يطلب منا لشخصه أي حماية حسب معلوماتي ؛ لأنه ذكي الفكر وكثير التنقل ..وعندما تطلع على حماية القصر الصحراوي سوف تقر بفطنته وذكائه .. ومع ذلك صرع في قصره ، ولليوم لم يحدد شخص القاتل ممن يرقدون في ذلك القصر

ـ فعلا ، رجل كان يتوقع أن يصرع في شارع عام في سيارة في تفجير .. قتل برصاصة واحدة فقط !

قال منسي : فعلا غريب هذا ؛ لكنه الأجل !..أنا لما تعرفت على المهندس أديب بواسطة المحامي داود محمد .. وقرأت الرسائل التي كتبها السيد بسيم لحفيده للكشف عن الكنز ، وتلك المذكرات التي أثارت شهية رجال الأمن عندنا أكثر من الذهب اطلعت على محاضر التحقيق والطب الشرعي وملف التحقيق الجنائي .. وجدت أن مقتله غامض .. ورغم مرور أكثر من سنة على معرفتي بالسيد المهندس ، وعلى تدخلي في تلك القصة ؛ فإنها ما زالت تؤرقني وتشغل فكري كثيرا ؛ ولكني لم أصل لشيء يا سيدي الصحفي .. والرجل الميت كما تعلم له شركات في أمريكا اللاتينية .. وهو شريك مهم طبعا .

ـ أعلم بالعموم عنها .. وهي ما زالت تدر على حفيده المال .. وأعلم أن أرصدته هنا أسهم في شركات كبرى وأرصدة حسابية ، ومجموعة من العقارات في العاصمة ومدن أخرى كجاد أقرب مدينة على القصر الصحراوي .. لم ينشئ السيد أي شركة تجارية هنا .. مع أني سمعت أختي سعاد زوج المهندس تتحدث أن السيد بسيما كان يهم ببناء فندق سياحي ..

قال منسي : ربما رأى وجود شركة خاصة أنه يعرضه للخطر ..أو لأنه ليس له ذرية تهتم بهذه المشاريع .. وله أرصدة في ألمانيا والنمسا ..هو رجل مليونير إن لم يكن ملياردير .. الذي فهمته من المحامي لصهرك أنهم لا يعرفون كل ما يملك .. لم يحصر بعد ..

قال بشر : إذن في قضية مقتله لم تصل الشرطة لشيء يوصل للجاني ..

ـ المنفذ أحد الناس في القصر ..هذا يؤكده التحقيق لكن من هو ؟ لم تتوفر أدلة واعترافات من جميع ساكني القصر .. والعقل المدبر خارج القصر .. فحسب التقارير والتحقيقات لم تصل الشرطة لشيء .. فكيف قتل ؟!..أسوار القصر عالية للغاية ومكهربة من أعلى وعليها أجهزة إنذار .. وغرف النوم المخصصة للرجل كثيرة في القصر.. وحتى خادم الغرفة لا يعرف أين ينام السيد تلك الليلة ؟ .. فعندما يحتاجه السيد للمجيء إلى غرفته يستخدم جهاز خاص بينهما .. فيهرع الرجل إليه .. هو في الغالب ينام في الطابق الثاني والثالث .. لأن أكثر عمال القصر يسكنون في الطابق الأول .. وفي ساعة من الليل تنعزل الطوابق عن بعضها يصبح الجميع كأنهم في سجن أو أقفاص مغلقة .. أنا اطلعت على نظام الحماية المعقد هناك .. فكيف وصل الجناة إلى غرفة النوم تلك الليلة ؟.. لن

يعرف حتى يعترف الجاني .. فكل غرف نوم السيد في ذاك القصر لها هاتف واحد ..فيستطيع أن يرد دون أن تعرف الغرفة التي تكلم منها إذا رن الجرس يرن في كل الحجرات .. رغم دقة التحصين وصل إليه الجناة ونالوا منه .. القصر فيه يا أستاذ بشر ما يقارب الثلاثين نفرا .. يقومون بأعمال مختلفة .. وهم من جنسيات مختلفة .. فتآمرهم ليس سهلا فهم من أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .. ولا يتكلمون العربية ، لا يتكلمها بطلاقة سوى سكرتيره الخاص مايا .. وليلة الجريمة كان في الهند ، وجاء بعد مقتل السيد على تلفون من زوجته رامان الهندية ..وكان كما قال لي أحد الضباط غاضبا ومعتبرا أن غيابه سبب مقتل السيد وأن القاتل استغل فرصة إجازته وسفره العاجل والضروري .. فالشرطة بذلت جهدها ، وإن توقفوا عن التحقيق فما زالت القضية تحت الاهتمام .. وانتظار تطور ما يحرك القضية .

ـ والكنز ؟!

ـ والكنز ـ يا دكتور بشر كما تعلم من الرسائل ـ وضع كحجر عثرة في طريق بيع القصر فور موته .. وكان لدى الجد بسيم أمل أن يولد لحفيده ذرية تهتم بآثار السيد بسيم .. فهو قد مات وقد ترك حفيده الذكر أعزب ..فالرجل يطمع أن يولد من سلالته ابن شجاعا مغامرا كجده بسيم .. وهذا في علم الغيب .. وأن يتوارث كثير من الأبناء مهنة الآباء .. أو قل بعضهم .

قال بشر مؤكدا المعنى : هذا لمسته فعلا في رسائله ، ومن همساته للمحامي كما نقل لي بعضها أديب ، وقد التقيت بالمحامي داود محمد ، ولكن لقاؤنا لم يمتد بسبب ضغط العمل لديهم ، وقررت أن أخصه بزيارة كهذه في بيته لأسمع منه .

عاد منسي يقول : الكنز!.. قرأت مثلك رسائل السيد بسيم التي كتبها على فترات متباعدة .. وفي الرسالة الثالثة الأمر كان واضحا بأن الكنز خبئ من زمن طويل .. أو بدئ بإخفاء الجواهر والوثائق مع إنشاء القسم الأول من القصر والبناء .. قبل أن تسيطر فكرة اللغز على فكر السيد وربما أضيف إليه أشياء أخرى فيها بعد .. لا نعرف ، وحاولنا الحديث مع الخدم في القصر ؛ لكنهم أجانب لا يفهمون اللغة العربية ، ومجموعاتهم أقارب لبعض .. زوج وزوجته .. وزوج وزوجته .. فهم لا علم لهم بوجود كنز ، ولجهلنا بلغتهم لا نثق بكلامهم وصدقهم .. فبعضهم له سنوات طويلة في القصر منذ أسس ..وكلهم متزوجون .. ما عدا ابنة عامل الغسيل والكوي فهي حديثة العمل معهم .. كانت متورطة في تعاطي المخدرات رغم تخرجها من الجامعة .. ووافق السيد على إلحاقها بالعمل أمام دموع والديها .. بل

ادخلها مركز معالجة الإدمان حين أتت من أمريكا اللاتينية ..وحتى سكرتيره الهندي تعجب من حديثنا عن الكنز .. فلم يجر بينهما حديث حوله .. فلم نعرف منهم شيئا يساعد في الوصول للكنز .. والشرطة لم تعرف منهم شيئا يساعد في فهم الجريمة .. الكل كان متفاجأ من الجريمة ..ومعنى ذلك أن خدمتهم انتهت في القصر ..أطباء القصر فقط من العرب .. وبعضهم يأتي من العاصمة ، وبعضهم من المستشفى الصحراوي في جاد .. أو ممن عملوا فيه ، وفتحوا عيادات بعد تركهم للمستشفى .. والطريق بين القصر ومدينة جاد مائة كيلو متر تقريبا تحتاج لساعة وبعض الساعة .. لأنها طريق ترابية .. ومن هنا المسافة تزيد على مائتي كيلو متر .. فالقصر يشكل واحة في قلب تلك الصحراء .. ولولا الفلوس الكثيرة ما استطاع الرجل بناءه .. فكان بين اتصال بسيم المختنق كما بدا للطبيب وفهمه بعد مصرعه ، والوصول للقصر يحتاج لزمن يزيد عن الساعة والنصف .. والطبيب يعرف المكان والطريق .. فالسيد بسيم له عمارة ؛ كأنها سبع طوابق في مركز مدينة جاد ، يؤجرها له محامي متعاقد معه ، وهو رجل قانون متقاعد من القضاء يبلغ الستين سنة .. لما تقاعد من عمله في المدينة هذه كقاضي عاد لبلدته جاد ، وفتح مكتبا مع شريك له .. وصل الطبيب للقصر ومعه شرطي وشخص آخر ؛ كأنه طبيب ..استقبلهم حارس البوابة بدهشة ، فهم لم يبلغوا عن قدوم زائرين كالعادة والنظام المتبع ..اتصل الحارس بالداخل ففتحوا البوابة الإلكترونية من غرفة السيطرة .. ودخلت سيارة الطبيب المعروفة للحراس ، وأصبحت بين السورين الخارجي والداخلي .. لابد من زيارة للقصر لتتعرف عليه يا سيد بشر .. لتعرف حل لغز الكنز ومقتل الرجل .

ـ سأفعل إن شاء الله .

ـ تحدث الطبيب مع خادم غرفة السيد بسيم .. فأخبر الخادم الطبيب أن الرجل صلى المغرب ، وتناول طعامه في المكتبة في الطابق الأول ، ثم وجد ميتا في الطابق الثالث .. وأما المكتبة فهي مكتبة عظيمة بالنسبة لقصر وبيت خاص ؛ كأنها مكتبة عدة جامعات .. وكثرة الكتب فيها ؛ لأنها بأكثر من لغة .. وله في كل طابق مكتبة كما في قصر أديب واحدة أيضا .. تزيد الكتب عن مائة ألف كتاب كما فهمت من السكرتير الهندي مايا .. وفيها كتب بعدة لغات كما قلت قبل لحظات .. فالرجل يقرأ ويكتب بلغات مختلفة .. والرجل قارئ كبير .. ولكني لا أعتقد أنه قرأ كل ما ملك من كتب .. المكتبة الرئيسية في الطابق الذي تناول فيه عشاءه الأخير ـ رحمه الله ـ فالمكتبات في الثاني والثالث

أضيفت من أجل لغز الكنز يا بشر .. لم تصمم مكتبات أثناء الإنشاء والبناء .. ففي الطابق مخازن تابعة للمكتبة .. وصممت في كل مكتبة واجهة بسبع خزائن وسبعة رفوف .. لتكون على شكل واجهة الكرت المفتاح الأول في لغز الكنز .. فلما شاهدت تلك الواجهات أدركت أن الكرت أو البطاقة هو إشارة لهذه الخزائن .. ثم فسرنا أنا والزميلان الآخران الحروف بأول حرف من كلمة مكتبة بسبع لغات .. منها العربية كحرف الميم .. بوك شوب الباء الحرف الأول من مكتبة باللغة الإنجليزية .. وكذلك سائر الحروف منها الروسية التركية الفارسية .. لكن لم نفقه ماذا يريد من إدخال هذه اللغات ؟! إلا إذا أراد التأكيد على أن الحل في المكتبة .. أي أن البحث في المكتبة أو المكتبات.. أو التشويش على الذي يفكر في حل اللغز .. لأننا كما عملت في قسم الشفرة .. نستخدم مرات حروفا وأرقاما للتضليل لا يهتم بها الذي يريد حل الشفرة .. إنها لتضليل العدو إذا لقط هذه الشفرة ..فربما استخدم بسيم هذه الفكرة للتشويش والإعاقة فقط .. تأملت المكتبات بشكل جيد ودقيق لعلي اكتشف إشارة منهنّ .. المكتبة في الطابق الأول هي الكبرى .. ومصممة مكتبة ؛ لأن الخزائن من نفس جدران البناء والتصميم .. ثم وضعت الإطارات الخشبية والرفوف الجميلة لها

.. ثم حولت جهة منها لتناسب البطاقة عند وضع اللغز فأزيلت بعض الخزائن لتبقى سبع منها فقط أربع حمراء الإطارات وثلاث بيضاء .. والأطراف فارغة إلا من بعض الموائد وأجهزة الحاسوب والطابعات .. وفي الطابق الثاني حولت حجرة لمكتبة صغيرة بواجهتين ، وضعت لهما خزائن خشبية ثمينة من أجود أنواع الخشب والألمنيوم ..إحداهما تشبه البطاقة بسبع خزائن وسبعة رفوف.. والمقابلة ست خزائن وبينهما موائد للقراءة والغرفة مفتوحة من الجهتين بأبواب زجاجية .. وخالية تلك الجهات من رفوف الكتب .. في الحجرة لوحات فنية معلقة فوق الخزائن وهي مناظر طبيعية .. أشجار وبحار .. وغابات .. ومكتبة الطابق الثالث مثل مكتبة الطابق الثاني شكلا وديكورا وهندسة .. وأنا اعتقد أنهما صممتا هاتين المكتبتين من أجل اللغز والكنز .. وهذا ما أكده مايا الهندي .. فهو يعمل في القصر منذ بداية إنشائه ..أو بالضبط كما قال لي عندما انتهى القسم الأول منه .. وهو قد شيد على مراحل المرحلة الأولى كانت الحفر عن الماء .. وتم اكتشاف الآبار ثم وضع خزانات ضخمة للماء والبدء بالبستان .. الذي خلف القصر .. ثم عملت المخازن الأرضية .. والقاعة الجميلة قاعة الطيور .. أو النسور .. وصمم الطابق الأول وبني .. وبعد وفاة ابنه يحيى

أضيف سور آخر بعلو طابق ونصف .. والطابق الثاني والثالث .. والرسائل تدل على أنه وضع الكنز قديما منذ عام ٨٤ .. فكرت في الألوان الحمراء والبيضاء ، فلم ألهم شيئا نحوها .. ولكن لما شاهدنا الكرت والخزائن في الطوابق أدركنا أن الكنز له علاقة بالمكتبات .. ولما فهمنا الحروف تأكد لنا هذا المعنى .. ولكن بعد ذلك عجزنا عن فهم شيء إضافي .. أما الأرقام الموجودة على الكرت فلم أفهمها .. ربما تكون رقم رف ؛ ولكن في أي خزانة .. حاولنا تنفيذ ذلك الفهم فلم نعرف عن ماذا نبحث ؟ وبعد مكث أسابيع اعتذرنا للسيد المهندس وعبرنا عن فشلنا .. أعدت قراءة الرسالة الثالثة فلم يضف فيها شيئا جديدا ، ولم يضف شيئا بعد ٨٧ و ٨٩ وربما أضاف مجوهرات ووثائق أخرى ؛ ولكن العجيب في الأمر أن السكرتير وأهل القصر لم يلحظوا شيئا مما نتحدث به وعنه .. وهذا يدل على حرص وذكاء الرجل

فقال بشر : أشكرك يا سيدي اللواء على تعاونك معي ، وعلى هذه المعلومات القيمة ، وعلى الوقت الذي منحته لي .. وعندما اجتمع بزملائك في البحث عن كنز الجد بسيم ؛ ربما نشكل فريق عمل جديد لنحاول مرة أخرى .. ونناقش الأفكار المناسبة لحل هذه الألغاز .

ـ على الرحب والسعة يا ولدي الغالي! .. المتقاعد من الخدمة يسر ويسعد عندما يجد شيئا يشتغل به كهذا اللغز .

١١

استقبل شاهر المدرس المتقاعد الصحفي بشر عيسى بصدر رحب ، ولما عرف أسباب اهتمامه بكنز القصر الصحراوي قال باسما : يا مرحبا بك يا دكتور بشر .. فالمهندس أديب هو أديب حقا ، ونعم الصهر لكم .. حياك الله وبياك في بيت أخيك الأكبر .

ـ أشكرك يا سيدي .. أنت تعرفت على أديب عن طريق المحامي داود محمد ؟

ـ نعم ، استعان بي الرجل مرة في قضية من قضايا مكتبه ..وعرف هوايتي في قراءة الشيفرات والألغاز ، وأنني أملك أرشيفا جيدا في البحث عن الدفائن والكنوز والقبور والسفن الغارقة فطلب مني المشاركة في كشف أسرار هذا الكنز .. ولكن القراءة والبحث الحقيقي لا يستويان ولكن القراءة قد تساعد إلى حد ما

ـ أكيد ؛ لأن السيد بسيما جاءته هذه الأفكار من قراءة مثل هذه الكتب التي اطلعت عليها وقرأتها

ـ أحسنت ! ولكننا لم نفك أسرار الخريطة التي رسمها للوصول للكنز حتى أنني شككت أنها لعبة أو حيلة ؛ ليمنع نهائيا بأسلوب ناعم بيع

القصر.. ويظل الرجل يفكر في الكنز والوثائق وبعد نظر وتأمل رفضت هذه الفكرة ، فرجل خبير عاقل كبسيم لا يعقل أن يلبس ويسخر من حفيده ..

ـ ربما يطمع الرجل بولادة أحد من أحفاده يهتم بتراثه وأسراره والسير على دربه في المدى البعيد

ـ فكرة ! وهذا للتاريخ

ـ حسن يا سيدي !.. هل فكرت أو كونت فكرة عن مصرع الرجل في قصره ؟!

فقال شاهر : تحدثنا مع اللواء منسي ، وحدثنا عن استنجاده بطبيب البلدة القريبة من القصر بعد صلاة المغرب .. والحقيقة رغم حبي لقراءة قصص الجريمة والحوادث العالمية والمحلية .. لم أفكر كثيرا بالجريمة ، وقد عجزت الشرطة عن تحديد شخص الجاني رغم إقرارهم أن الجاني أحد الموجودين في القصر لاستحالة دخول غريب القصر كما يقولون .. فأنا يا سيدي اشتغل ذهني في الوصول إلى الكنز أكثر من الجريمة .. فتشت في الغرف والحمامات والمطابخ والبستان وخارج الأسوار ، بحثت عن نفق سرداب فلم أصل لمكان إخفاء الكنز .. سررنا بكشف اللواء لواجهة من واجهات المكتبة المطابقة للبطاقة .. ولكن لم نتجاوز تحديد مكان اللغز أنه المكتبة .. الحروف السبعة أكدت لنا أن العمل في المكتبة ؛ لكن أين بالضبط وكيف ؟!.. هل للخزائن السبع دلائل ما ؟.. هل للخزانة الواحدة المكونة من سبعة أرفف دلائل معينة؟ .. هل للون الأحمر والأبيض دلالة ما ؟ .. عجزنا عن فهم شيء آخر يا صديقنا الفاضل .. جمعنا الحروف لنخرج منها بكلمة بإشارة .. فكرنا شهرا .. فلم نجد إلا أن تلك الحروف الحرف الأول من كلمة مكتبة بعدة لغات .. لماذا هذه اللغات ؟! لم نرسُ على بر .. الأرقام لم نفقه منها شيئا إلا إنها لمرحلة أخرى .. لم نصل لتلك المرحلة ..

قال بشر : ولكن الكرت دل على الواجهة التي يجب أن يهتم بها ، فتشابهه مع واجهات المكتبات الثلاث يؤكد أن له دلالة عليها ، وتجزئته لسبعة مستطيلات إشارة على الخزائن السبع والألوان للكرت ؛ ربما لها دلالات أخرى والله اعلم

ـ صحيح ولكن الأرقام ماذا تعني ؟! فسرها بالرفوف أي رفوف .. فتنشنا عن شيء في تلك الرفوف عن ماذا نبحث فيها ؟ هناك حلقة مفقودة لم نعرفها .. نبحث عن كتاب .. ما اسم الكتاب ؟ عن بطاقة أخرى ؟

قال بشر : يرى اللواء أنه يجب البحث عن المراحل مرحلة مرحلة ..عندما ننتهي من مرحلة نبحث عن التي تليها ..فالترتيب خطوة خطوة هو الأفضل



قال شاهر : أكيد هذا، لابد من التسلسل في الانتقال .. فمرحلة البطاقة التي تركها الرجل بين أيدينا دلتنا لحتى ذلك الوقت على أن نشاطنا يجب أن يحصر في المكتبة .. في واجهة معينة .. هذه آلاف الكتب في الواجهات الثلاثة .. فاستعراضها صعب وقراءتها أصعب وأعقد ، وفيها كتب بلغات أجنبية كالبرتغالية والإسبانية .. فلم نفهم ماذا يريد منا فهمه في المكتبة ؟ الحروف دلت على لفظ مكتبة بلغات سبع .. لماذا اللغات السبع ؟

ـ يا سيدي الكريم بعد أن أسمع أقوال حسن عبد الرحمن سنعمل على اجتماع مائدة مستديرة وسيكون معنا خالي محمد محسن الصحفي المعروف .. ونفكر بحل هذا اللغز .

ـ أنا تحت أمرك يا أخ بشر ، ويسرني المشاركة في هذا اللقاء ، والمساعدة في حل لغز قصر السيد بسيم الجدية .. فأنا بعدما قضيت شهرا في ضيافة صهرك أديب المحترم عدت للقصر مرة أخرى بعدما راجعت عددا من كتب تهتم في مثل هذه المواضيع .. وعجزت أيضا عن فهم شيء .

وتحدثا في أحوال عامة ، ثم استأذن بشر عيسى بالانصراف على أمل اللقاء .

تابع بشر تحركاته حول قضية الكنز الخفي التي تعهد لخاله بمتابعتها وحلها أو يصلون لطريق مسدود .

استقبله حسن عبد الرحمن المشارك الثالث في محاولة الوصول لمقر الكنز النهائي ، وبعدما تم التعارف بينهما ، وقد ذكر بشر أسباب اهتمامه في الموضوع ، فسر حسن لمعرفته ببشر ، والمصاهرة التي بينه وبين أديب المهندس ، فعقب قائلا : هو شاب أديب كاسمه .. وأعطاني انطباعا أنه مهتم بالأمر لرغبته على إظهار حبه لجده بسيم الذي يسر له كل هذه الأموال والحماية .

وحسن شرطي ضابط صف خدم في الشرطة في جهاز المختبر الجنائي ، وكان بارزا في عمله ، ولما أنهى خدمته من فريق الشرطة عمل في أمن خاص أهلي أو مدني ، وكان من ضمن عمال الأمن في المجمع الذي توجد فيه شركة محاماة داود ، فتعرف على المحامي وموظفي المكتب ، وأصبح بينهم ود وعلاقة خاصة فترة من الزمن ، ولما تغير مكان عمل حسن ظل على اتصال
بين الحين والآخر بالسيد داود .

قال بشر : أنت ذهبت معهم للقصر بصفتك هاو في البحث عن الدفائن ؟

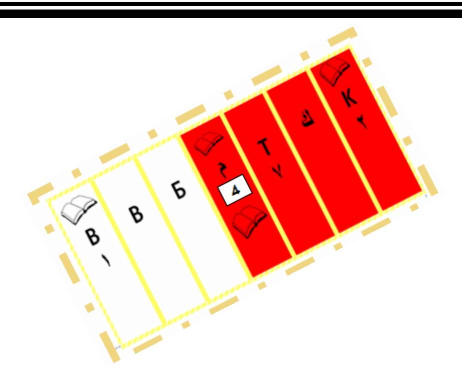
ـ عرفت هذه الهواية أيام خدمتي في الشرطة ، واطلعت على الكثير من وثائق ودفاتر يهتم بها

الباحثون عن الكنوز .. فعرفت رموز حيات دواب طيور .. استخدمها أصحاب الدفائن للدلالة على أماكن دفن الكنوز .. وقد كنت حدثت المحامي عن بعض هذه المغامرات .. فلما تعرض لقصة الكنز الصحراوي تذكرني وتحدث معي .

ـ طيب .. ماذا تقول في كنز القصر الصحراوي ؟

ـ ضمني المحامي للفريق .. وأخذت معنا جهاز الكشف عن الذهب والمعادن .. ولكن لم نوفق لم نجد رسومات معينة على الجدران .. القضية لم تكن سهلة .. نحن بحاجة لمفاتيح أكثر للوصول إلى الكنز .. رغم فهمنا أن الكنز مربوط بالمكتبة .. بحثنا في المكتبة بين الرفوف يوجد آلاف الكتب والمجلات ، وجدنا بعض الكتب تهتم بالشيفرات السرية ، ولم نجد فيها شيئا مهما يساعدنا على الوصول للكنز .

ـ على كل حال سنعيد الكرة مرة أخرى .. وخالي محمد محسن مهتم في الأمر .. ولسوف ندعوك لاجتماع لمناقشة خطوات العمل ؛ لعلنا أن نصل لشيء هذه المرة .



١٢

عقد الاجتماع المنتظر في قصر أديب على مائدة العشاء ، فبعد أن تناول الضيوف الطعام المقدم لهم جلسوا في غرفة استقبال واسعة ، ووضع أمامهم خدم البيت الفاكهة الطازجة والمكسرات والقهوة المرة وأنواعا مختلفة من علب العصير والكولا .. والخالة أم سالم عادت تجلس في غرفة التلفزيون ، وأمامها هي الأخرى سلة الفواكه والمشروبات الساخنة ، وقدامها أو قريب منها مدفأة خاصة .. وجلست النساء في قاعة خاصة قريبة من قاعة الرجال .

رحب السيد أديب بضيوفه من جديد أحر ترحيب ، وشكرهم على الاهتمام بقضيته وتعاطفهم معه ، ولما انتهت المجاملات والدعوات لخص لهم بشر القضية التي يلتقون من أجلها ، وشكر لهم تعاونهم وجهدهم للمساعدة في حل لغز الكنز الصحراوي ثم قال : كلنا اطلع على رسائل السيد بسيم ـ رحمه الله ـ خاصة الرسائل الثلاثة المهمة .. ونحن نجتمع هذا المساء للبحث عن الكنز الذي

أراد الرجل أن يصل إليه حفيده قبل أن يتمكن من الخلاص من القصر الصحراوي بالبيع أو غيره .. واتفقنا أن الجد الجدية وضع هذا الكنز عقبة أمام حفيده ليمنعه من بيعه سريعا وترك لنا الجد كرتا أو بطاقة صغيرة كمفتاح لحل موضع الكنز الخفي .. وكلنا على ما اعتقد نقر أن الرجل امتاز بالذكاء والشجاعة ومقارعة أماكن الخطر والعصابات في أمريكا اللاتينية وآسيا وقد توصلتم أن الكرت رمز وإشارة لواجهة أو واجهات المكتبات في القصر الصحراوي والأحرف السبعة تؤكد هذا المعنى ، وأن المكتبة فيها خريطة الكنز السؤال لكن أين ؟ لم تصلوا للكتاب أو الرسالة للخطوة التالية .. هذا ملخص القضية الأولى التي اجتمعنا من أجلها أيها الرجال .. فماذا عندكم من اقتراحات من ملاحظات بارك الله فيكم ؟

خيم عليهم الصمت للحظات ثم قال اللواء منسي : أنا أقترح أن نذهب جميعا إلى القصر الصحراوي لقضاء نهار فيه .. نخرج مبكرين في يوم عطلة ، ونتناقش هناك ؛ لعل شيئا يحدث من جلوسنا جميعا هناك ؛ لأن الرجل أكد لنا أن كنزه في القصر ؛ بل داخل القصر في إحدى الغرف الكثيرة التي قد تصل إلى مائة ما بين حمام وغرفة .. ما رأيكم بهذا الاقتراح ؟

قال المحامي : أيها السادة الكرام ..حادث مقتل صاحب الكنز السيد بسيم الجدية خلال بضعة أشهر سيكمل موته السنتين .. ولليوم لم نعرف الجاني الغادر الأثيم من بين سكان القصر .. ولليوم لم يتصل أحد يطلب شيئا .. سوى أنني تلقيت بعض الرسائل من المحامين في البرازيل ومدن أمريكية جنوبية يعرضون بيع حصص بسيم في تلك الشركات .. وصديقنا المهندس يرى أن تباع وتحول الأموال للاستثمار هنا ؛ لأنه لا يحلم يوما بالسفر لتلك البلاد ..أو تحول إلى بنوك أوروبا والبلاد العربية .. وأنا أخذت الكلام على شكل جدي ، وأسعى على تنفيذه .. ولا أعتقد أن هذا الطلب له دخل في الجريمة .. لأننا إذا بعنا سنضطر لصرف سكان القصر الصحراوي ، وبعض من يعمل هنا .. وسنلجأ لعمالة محلية .. فعلينا إغلاق ملف جريمة القتل مع ملف الكنز

قال محمد محسن الصحفي الكبير : أنا تحدثت مع بعض الأصدقاء الذين لهم باع في التحقيقات الجنائية والبوليسية ..ووقع الاختيار على العقيد المتقاعد حاتم بُس ، فهو كما أخبرت من أفاضل وأكفاء ضباط التحقيقات في الجرائم خاصة القتل .. وربما أخونا الفاضل اللواء منسي يعرفه .

ـ نعم أعرفه معرفة جيدة ، وهو كما ذكرت ، وهو من أكفأ الضباط الذين عملوا في قسم الجنايات الكبرى على مستوى البلد والمنطقة العربية

عاد محمد يقول : والسيد أديب بعد حديث معه وافق على تكليفه بكشف الجاني لإغلاق ملف القضية بالتزامن مع ملف الكنز والقصر .. وسيساعده في التحقيق كما أخبرني العقيد حاتم زميل له اسمه مالح رشيد .. فهم يحققون في الجريمة ، ونحن نحقق في الكنز .

ودار نقاش وحوار بينهم حول القضيتين ، وحول اقتراح منسي بزيارة القصر الصحراوي على صورة نزهة صحراوية ، وختم الصحفي بشر اللقاء قائلا : جميل كل ما قلناه ـ أيها الكرام ـ الليلة !.. وتغمرنا السعادة بالتعرف على حضراتكم واللقاء بكم.. وعليّ أن أرتب معكم في أي جمعة سنرحل إلى القصر العتيد .

قال منسي : رتب الأمر يا دكتور بشر .. فهذا الأمر سيسلينا خاصة نحن المتقاعدين ، فنجد شيئا منشطا لأدمغتنا .

ثم أخذ الضيوف بالانسحاب رويدا رويدا ، والمهندس أديب يشكرهم ويصافحهم ومعتذرا لإزعاجهم في قضاياه الخاصة ، ولما انصرف الجميع وأغلق باب الطابق التفت إلى زوجته سعاد التي كانت تقف خلفه مودعة لشقيقها وزوجته وخالها وزوجته وقال باسما : كيف حالك بعد هذا الاجتماع الحاسم ؟ ومتى ننتهي يا سعاد ؟!

تبسمت لزوجها وقالت : قل هل بدأنا يا عزيزي ؟

ـ أعتقد هذا .



رتب بشر الرحلة وحدد الجمعة المناسبة ، ووافق الجميع عليها ، وكان التجمع في السادسة صباحا أمام بوابة قصر أديب الجدية ، ولأن الرحلة جماعية ستكون في باص حافلة سياحية صغيرة ، وسيقودها سائق أديب الهندي نور ، وهو من رجال وأعوان السيد بسيم ، فهو سائق وحارس في نفس الحين ، ومعه زوجته وأطفاله الثلاثة ، ويسكنون في الطابق الأول من القصر

وكان داود قد اتصل بزميله المحامي في مدينة جاد ـ المدينة القريبة من قصر بسيم الصحراوي ـ اتصل به ليلة الجمعة ليرتب لهم وليمة من أحد مطاعم تلك البلدة ، فعرض الرجل ضيافتهم ؛ ولكن المحامي شكره واعتذر له ، ودعاه لمشاركتهم الطعام في القصر ، وبين له رغبة الضيوف بأكل طعام خاص دون طعام القصر المتوفر فيه طهاة وخدم ، وابتاع أديب وبشر

مجموعات من صناديق العصير والمثلجات والماء وكميات من الفواكه الطازجة ، وحضرت ترموسات الشاي والقهوة ، واشتريت المكسرات والموالح ، فقد جعلها القوم نزهة ورحلة إلى الصحراء وزيارة للقصر العتيد .

ولما تجمع القوم في ذلك الصباح الربيعي الجميل ، وصعدوا للحافلة السياحية التي استأجرها لهم المحامي ، وقد ركنوا سياراتهم الخاصة بجوار القصر ، ولما كمل ركوبهم ، وصعد معهم أحد الخدم ليقدم لهم المشروبات أثناء الرحلة التي قد تستغرق أكثر من ساعتين إلى ثلاث ساعات .. أمر السائق بالانطلاق إلى الصحراء صحراء لغد ، فهو يعرف طريقه جيدا لفعله ذلك من قبل ، ونظر بشر لساعته وقال: السابعة والنصف أيها الأصدقاء نتمنى لكم رحلة طيبة ونزهة ممتعة إلى قلب الصحراء ..

وبعد ما يقارب ساعات ثلاث كانوا يقفون أمام القصر الصحراوي ، وكانت سيارة مطعم تقف قبلهم أمام القصر تحمل لهم فطورهم ، فتح حارس القصر الباب الرئيسي لهم ، وهو يفتح أوتوماتيكيا بواسطة محرك كهرباء ، وكان السكرتير الهندي مايا ، وزوجته رامان في استقبالهم وجاء بعض الخدم يدخلون الطعام إلى داخل القصر ، وادخلوا صناديق الماء المعلب والعصائر والفواكه وترموسات القهوة والشاي ، ولما انصرفت سيارة المطعم دخل الرجال التسعة القصر ثم تبعهم السائق نور ، والخادم اللذان اندمجا مع السكرتير الهندي وزوجته بالحديث عن أخبارهم وبلادهم .

وبعد أن دخلوا السور الأول .. كان البوابة الثانية في السور الثاني مفتوحة لهم ، وكان الرجال الجدد يتأملون عمارة القصر بفضول وتعجب .

فهو قصر كالقلعة أو الحصن في قلب هذه الصحراء القاحلة ، فهو كذلك جنة فيها أو واحة ، فكان بشر يقول في نفسه هذا يحتاج لجيش لاجتياحه ! وعقب قائلا ورغم هذا التعملق لقد نال أعداؤه منه .. رحم الله السيد بسيما .. نالوا منه في عقر داره وحصنه !.. من هو المجرم الذي استطاع اقتحام هذا العرين واغتياله برصاصة واحدة بعد تحذيره ؟ !

وقبل أن نسير مع الضيوف القادمين لحل لغز القتل ، ولغز الكنز فلندع صديقنا بشرا يصف لنا القصر كما شاهده ورآه .

قصر شاهق في جوف الصحراء ، يذكرك بقصور الصيد القديمة ، مبنيٌ بالحجارة البيضاء الملساء ، نفس الحجارة التي يبنى بها في المدن المعاصرة ، يرتفع عن الأرض بطوابق ثلاثة وأسفله طابق

أرضي وتحته طابق كمخازن طعام وماء وبذور وكوي وغسيل ثياب .
سوره الخارجي يرتفع لمحاذاة الطابق الأول ، وهو يحيط بالقصر والبستان الكبير الخلفي للقصر وعلمت أن تحت الأرض خزانات ماء ضخمة كالخزانات التي تستخدم في محطات الوقود .. وأن في بستانه بئر الماء الرئيسية التي ينقل منها الماء لتلك الخزانات الضخمة في أرض البستان ، وكذلك الخزانات الواقعة بين السورين .. السور المحيط بالعمران مركب عليه أضواء كهربائية قوية كالتي تستخدم في إضاءة ملاعب الرياضة ، وهي كما قيل لي تجعل الصحراء في الليل كالنهار وتكشف كل قادم للقصر حتى مسافة بعيدة ، وتضاء من شبكة داخلية ومولدات كهرباء ضخمة ومتطورة تقبع في غرفة كبيرة خلف القصر .. ولها غرفة تحكم خلف حجرة الحارس على يمين الداخل من البوابة الأولى.. ومعها غرفة السيطرة على التدفئة المركزية والمكيفات .. ويوجد على السور أو أعلاه أجهزة إنذار ، وعليه من أعلى أيضا أجهزة صعق تمنع اجتيازه عند تفعليها.
هذا بالنسبة للسور الأول وله بوابة واحدة فولاذية ضخمة تفتح أوتوماتيكيا من غرفة سيطرة وتحكم في الطابق الأول مشرفة على البوابات وفضاء القصر الخارجي ، والذي يجلس فيها يرى البوابة ، وتفتح بأمر من حارس البوابة الذي يجلس في غرفة صغيرة تتسع لسرير واحد .. وفي قلب البوابة نافذة صغيرة يستخدمها الحارس لمخاطبة من في الخارج منذ زمن يسير وصلت شبكة كهرباء الدولة للقصر ، فكانت هناك أعمدة كهربائية في طريق القصر كأنها آتية من مدينة جاد ، ومثلها شبكة أعمدة هاتف كلها أقيمت على نفقة السيد بسيم وبالنسبة لشبكة الهاتف وصلت منذ شيد المكان ، ولكن أكثر اعتماد القصر على الشبكة الداخلية في الإنارة للقصر نفسه .
أما الصرف الصحي فقد صممت عده حفر امتصاصية خارج القصر ؛ ولكنها ضمن أرض السيد بسيم ، ولها أنابيب لا يمكن لأحد التسلل منها لداخل القصر
عندما ندخل القصر من البوابة الضخمة والمرتفعة إلى حوالي ثلاثة أمتار ثم فوقها قوس وبناء حتى يتصل بارتفاع السور العالي ، نجد غرفة الحارس على يمين الداخل للبوابة.. وفي نفس الجهة غرفة تستخدم كغرفة نوم وفيها حمام ومطبخ .. وعلى نفس الامتداد غرفة التحكم الكهربائي والتدفئة المركزية ، وتجد أحواض من الأزهار منتشرة بين هذه الغرف .. وعلى يسار البوابة للداخل .. أرض مزروعة كأحواض ومواقف سيارات ..

وتوصلك حيث فتحات الخزانات المائية الضخمة المحيطة بالقصر .

السور الثاني أقل ارتفاعا من الأول .. وله بوابة حديدية عليها رسومات نحاسية جميلة لحيوانات الغابة ، وأيضا تفتح أوتوماتيكيا من غرفة التحكم في الطابق الأول حيث يكون أحد الحرس يديرها ، والمسافة بين البوابتين حوالي تسعة أمتار .

ويوجد على ظهر أو سطح القصر عدة أبراج صغيرة للحراس ؛ ولكن لم يكن فيها حراس ، ولم تستخدم منذ إنشاء القصر لهذا الغرض ، لكنها واضحة للعيان موهمة للناظر أن فيها حراسا .

للسور الداخلي المحيط ببناء القصر بوابة خلفية ينفذ منها الشخص إلى البساتين الخلفية حيث الشجر والثمار الممتدة على أرض واسعة بين السورين ، ولون السورين على صفار كلون رمال الصحراء رغم أنه مشيد من حجارة ملساء بيضاء ، قد طليت باللون الصحراوي في كثير من الأماكن .

تستطيع السيارة الدخول من الباب الرئيسي إلى الداخل ، فهناك أكثر من سيارة تقف كل منها في موقف خاص بها ، سيارات خاصة بالقصر ، وسيارات مصفحة للسيد بسيم .

بعد اجتياز البوابة الثانية يقابلك مدخل القصر نفسه حيث يواجهك مدخل الطابق الأرضي بعد صعود لسبع درجات من الرخام ، ويوجد على يمينك ممر يؤدي إلى المسير نحو البستان من جهة اليمين ويصعد بك إلى مدخل الدرج حتى الطابق الثالث أو الطابق الأرضي والقبو الذي تحته ..وممر اليسار أيضا يدور بك من جهة اليسار إلى البستان أو الصعود للطوابق من جهة اليسار كنظام بعض المستشفيات والفنادق لها أكثر من مدخل .

وبوابة السور الثاني الداخلي فيها باب صغير لدخول الأفراد بدون فتح الباب الكامل ، وهو يفتح أوتوماتيكيا كسائر أبواب القصر ، بل وجدنا أن طوابق القصر تعزل كل طابق لحدة في الليل .. يغلق الطابق بأبواب متحركة ، لا يستطيع أحد الانتقال من طابق إلى آخر خاصة الطوابق الثلاثة في ساعة معينة من الليل.

دخلنا من الباب المؤدي للطابق الأرضي حيث وجدنا صالة واسعة ، بعد صعودنا الدرجات السبع.. ولما تصبح فيها ترى قاعة رخامية في الجهة المقابلة للداخل وتلمس الهواء البارد .

همس لي أديب : هناك بوابة سرية للقصر من سرداب متصل بالصحراء ؛ ولكني لم أرها ، ولا أظن أن أحدا يعرفها .. ربما من البستان أو داخل القصر .. ربما من طابق المخازن .. ولكننا لما قدمنا قبل سنوات للبحث عن كنز جدي .. لم نجدها ولم نعرف مكانها .

ـ ولا السكرتير الهندي مايا !

ـ ولا مايا .. سمعت جدي يتحدث لي عنها مرة .. عندما قلت لو حصرت يا جداه من جيش أو عصابة قوية .. فقال هناك منفذ سري لقلب الصحراء .

فهززت رأسي طبعا متعجبا من ذكاء هذا الرجل في إنشاء هذا البناء الشاهق هنا في هذه الصحراء . دخلنا الطابق الصالة الكبرى ، وعلمنا أن تحتها طابق يعتبر كمخازن للقصر ، فيه مواد الطعام وفيه حجرة كبئر ماء يأتي إليها الماء من الآبار الضخمة ، ومنها تصعد لخزانات مياه على ظهر القصر وتوزع على حمامات ومطابخ القصر .. وهذا الطابق أنشئ في أول البناء أثناء الحفر للآبار ثم أقيم الطابق الذي دخلناه ، وهو على مستوى الأرض ، ثم أقيم الطابق الأول .. وبعد حين يسير بعد حادث موت والد أديب زاد بسيم فيه الطابق الثاني والثالث فصار بناء من خمسة أدوار

والطابق الأول بعد أن تصعد الدرج وتدخله من الباب الأيمن أو الأيسر تجد مجموعة من الغرف والأجنحة تمتد على شكل حرف نون معكوسة .. حتى تصل الدرج من الجهة اليسرى إذا دخلته من اليمين.. ومكان النقطة النونية مجموعة من الحجرات ، منها غرفة التحكم والمراقبة الأمامية .. وضمنها المكتبة الضخمة.. وبعض الحجرات كمكاتب للإدارة .. والمطبخ الرئيسي وقاعة الطعام ، وهناك صالتان كناديين .. وسكان القصر موزعون في أغلب غرف الطابق الأول والقليل منهم في الطابق الثاني .. فهم قريب من ثلاثين موظفا وعاملا وصالة الطعام العامة في الطابق الأول .. وعلمت أن الغرف كثيرة ؛ ويقع في كل طابق حوالي ثلاثين غرفة بين مطبخ وحمام وحجرة نوم .. وأكثر بقاء السيد كان في الطابق الثالث حيث يعيش بمفرده .. وله غرف نوم قليلة في الأول .. لا أحد يعرف أين ينام في كل ليلة ؟ .. مع بعضهم أجهزة إلكترونية خاصة يتصل بهم ويذكر لهم مكان نومه عند حاجته لخادمه أو سكرتيره .. وفي هذه الغرف المخصصة لنوم السيد الكبير تلفون متصل بمقسم داخلي .. فعندما يحتاجونه يرن في جميع الغرف الخاصة به .. فيتكلم معهم دون أن يعرفوا مكانه بالضبط وهناك خط تلفون لا يمر عبر المقسم متوفر في بعض الأماكن كمكتبه الخاص في الطابق الثالث والمكتبة في الثالث والثاني والأول .

قال بشر : باب هذه القاعة ـ قاعة الطيور في الطابق الأرضي حيث يستقبل الزائر بعد قطعه مسافة الصحراء ـ يعد الباب تحفة فنية من أجود أنواع الخشب كالأبنوس أو الماهوجني ، وملصق عليه صور لبعض الطيور الصغيرة من الأمام

والخلف ، وهي داخل إطار من النحاس الطبيعي ، وهذا الباب تحت مظلة من القرميد الأحمر حتى الدرج الذي صعدناه ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وارتفاعه متران ونصف تقريبا .. الباب لوحة فنية كبيرة وجميلة .

وتابع الرجل قائلا : لما أصبحنا في القاعة الكبرى رأينا في الصدر مجموعة من الأعمدة الرخامية الضخمة تذكرك بالأعمدة الرومانية والإيطالية ترتفع لأكثر من خمسة أمتار تشكل قاعة داخل القاعة ، وفيها مقاعد وثيرة من الأرائك والكنبات الراقية ومساندها على شكل طيور ، وهذه الأعمدة الرخامية عددها تسعة ، أي كل ثلاثة تشكل خط مستقيم ، بين كل عمود والأخر ثلاث أمتار ، والعمود بسمك متر.. فتصبح القاعة تسعة في تسعة ، وعلى أعلى رأس كل عمود ثلاثة طيور جارحة ، عمود مجسم عليه نسور ، وآخر صقور ، وآخر عقبان ، وآخر غربان ، وآخر طواويس ، وآخر طير البوم ، وآخر باز أبيض ونسر الكوندور وصقر الشاهين .. بعضها ينشر أجنحته ، وبعضها يضمها ، وبعضها فاتح فمه ، وبعضها مغلقه .. وسقف القاعة سماء مليئة بالطيور ، والأعمدة الرخامية على جدرانها أشجار عليها صور عصافير وسناجب وبومات ..

وقال بشر : وعلى يمين المدخل للطابق الأرضي ممر يتجه لدرج الطابق الأول ، ، وهناك مدخل يقودك للدرج الذي على اليسار حيث البستان أو الصعود للطوابق العليا .. وتجد حجرات سوى قاعة الطيور إحداها لتغيير الملابس أو خلعها ، وغرفة كمطبخ صغير ، وحمام ومرحاض وأحواض للغسل مغاسل .. وفي جدار قاعة الطيور أو الأعمدة التسعة باب لا يستخدم إلا نادرا كقطعة من جدار تلك القاعة الرخامية وخلفه مصعد يصل للطابق الثالث ، وقد أضيف من سنوات قريبة كما قال السيد المحامي ، ويوصل إليه أيضا من أبواب جانبية ، وفي داخل القاعة ممر خاص يوصل إليه ، وغالبا يستخدم من الطوابق العليا ؛ لأنه يغلق في الليل مع إغلاق أبواب الطوابق حتى لا يستخدمه أحد للصعود للطوابق العليا .

القاعة الرخامية مثيرة للدهشة والإعجاب ، وأنت جالس فيها تشعر كأنك في غابة مليئة بالطيور المتنوعة .. وهي خاصة لاستراحة الضيوف والزوار .

قال بشر معجبا : عندما تجلس فيها تشعر براحة وسعادة بعد رحلة الصحراء ، فيذهب عن نفسك الإرهاق والتعب والكآبة التي أحاطت بك وأنت تجتاز الثمانين كيلو مترا في الصحراء الجرداء الحارة .. هذا كان شعور كل من رافقنا في تلك الرحلة ،

فجلسنا على المقاعد الوثيرة المستوردة ، ومكيفات التبريد تملأ الصالة هواء باردا منعشا .. وكانت الأعمدة تسعة ووسطها في نصف القاعة عمود بالرخام الإيطالي الأسود فتسألت ونحن نشرب المثلجات لماذا تسعة ؟ ولماذا هذا أسود ؟ وفي أعلاه ثلاثة نسور تكاد تطير .

قال الصحفي بشر : حقيقة الجلوس في تلك القاعة بين الأعمدة الرخامية التسعة المزخرفة بالأشجار والطيور وتلك الطيور الكبيرة في أعلى الأعمدة .. يشعرك بالسعادة ، وكأنك بغابة وبين الأشجار العملاقة الممتدة إلى السماء ، قدمت لنا الفواكه والفطور والشاي في تلك القاعة.. وشرق القوم وغربوا بالمديح والإعجاب بالسيد بسيم .. وتعجبنا نحن الجدد الزوار الجدد من العمود الأسود في وسط تلك الحجرة ، والأغلب تسأل عن سبب توسطه فيها ولونه الأسود .. حتى أنك عندما تحدق في عين بعض الطيور تحس أنه سينقض عليك ليؤذيك أو يداعبك .. وتتعجب من صنع مجسمها .. بعد الفطور قمت بتصوير تلك القاعة من جوانب متعددة .. ووعدني أديب بإعطائي المزيد من الصور التي صورت للقصر ومقتنياته .. وأخبرني أديب أيضا أن هناك قاعة مليئة بالصور والرسومات في الطابق الثاني .

وقال أديب ممازحا : يبدو أن سعاد لم تخبرك جيدا عن قصر الجد بسيم !

ـ لم تفصل لي شيئا .. هل رأته هي ؟

ـ قضينا فيه بضعة أيام بعد زواجنا .

ـ سأعمل جولة ـ أنا ومن رغب من الأخوة الأفاضل ـ في القصر وبستانه .. المرء لا تتكرر زيارته لمثل هذه الأشياء العظيمة .. جدك سواح عالمي .. فهذا العمران يدل على خبرة كبيرة له في أنحاء العالم .

١٣

ما زلنا نحن وإياكم في القصر ، وكان الصحفي بشر متعجبا جدا من قاعة الأعمدة الرخامية في الطابق الأرضي للقصر وعلم من السكرتير الهندي أن الصور والتماثيل من تصميم فنانين إيطاليين ويونانيين

فقال لنفسه : فقد وفق السيد في وضع هذه القاعة في استقبال الضيوف بعد مسير طويل في طريق مترب إلى هذه القصر .. جميل أن يجد الإنسان نفسه في غابة بين الطيور والأشجار !

وقد أثارت القاعة بجمالها وحسنها وبردها متعة الزوار الجدد ، وقد بهرتهم هذه الغابة ، فجرى بينهم تلقائيا حديث عن كيفية بناء وتشييد القصر ، ومن وضع الرسوم الهندسية له ؟ وعن شركات الإعمار والبناء التي بنته . وأجاب المهندس أديب :

حسب معلوماتي البسيطة .. أن القصر بني على مراحل .. تم الحفر عن الماء ، ولما أخرجت المياه من أعماق الأرض ، وضعت لها خزانات تخزين ضخمة .. بعضها على الجهة اليسرى بين السورين .. ثم بدئ ببناء السور الخارجي وإنشاء البستان الخلفي للقصر ، وفي نفس الوقت بناء الطابق الذي تحتنا .. ثم الطابق هذا حيث هذه القاعة .. والطابق الأول .. وعلمت أن شركات أجنبية التي اشتغلت في هذا البناء .. ثم الطابق الثاني والثالث .. قامت ببنائه شركة هندية عالمية .. وشاركت شركات حماية وأمنية بوضع الأبواب الخاصة وحماية الأسوار .

فقال محمد محسن مادحا : جدك ذكي جدا يا أديب ! ولم أكن أتصوره بهذا الذكاء والخبرة .. لابد أنه الذي كان يتخيل القصر ، ثم يطلب من المهندسين بوضع رسوماتهم .. فهذه القاعة لابد أنه أخذ فكرتها من إحدى القصص والكتب .

ـ تقريبا كما قلت يا دكتور .. كان جدي مستغلا لوقته في المطالعة والثقافة .. ويتأثر بما يقرأ فصنعت المياه المستخرجة هذه الواحة في هذه الصحراء الصفراء.. وكمل بناؤه في الأربع والثمانين أي قبل عشر سنوات تزيد قليلا .

كانت أجهزة الهاتف موزعة في الصالة وبكثرة ، وبعضها له أشكال وصور طيور وحيوان ، بعضها معلق على حامل ذي شكل معين ، وبعضها على رف بارز وبعضها داخل كوة صغيرة وعلل أديب كثرة الهواتف في هذه الصالة حتى يرد الشخص أو يتصل حيثما يقف أو يجلس ، وأن جده لم يحدثه بسر كثرة هذه الأجهزة المنتشرة في هذه القاعة .

تطرق الحديث بينهم حول صلاة الجمعة ، أين سيؤدونها ؟ وقد اقترب وقتها فقال أحدهم : هل سنصليها هنا أم نسير إلى مدينة جاد إلى أحد مساجدها ؟

مدينة جاد تبعد عن القصر الصحراوي حوالي مائة كيلو متر ، فقال اللواء منسي : يا قوم نحن في حالة سفر .. والمسافر حسب ثقافتي البسيطة يحق له ترك الجمعة ويصليها ظهرا ويجوز لنا قصر صلاة الظهر الرباعية إلى ركعتين .

وقال المحامي داود : ويحق لكم جمع صلاة العصر معها .

فقال منسي : صدقت ، فعندما يحين وقت الصلاة .. نؤذن لأنفسنا ، ونصلي إن شاء الله .. فالأستاذ حسن كان شيخنا في الزيارة السابقة يا أستاذ بشر فاستحسن الضيوف إفتاء واختيار اللواء.. فأغلب الضيوف كبار السن ما عدا بشر وأديب والمحامي .

قال بشر : بعدما رتبنا أمر الصلاة صعدنا للطابق

الأول حيث المكتبة .. وكان الرخام يغطي جدران البناء من الداخل .. والحجرات والغرف حيث يسكن عمال القصر مبنية على شكل حرف نون مقلوبة ..والنقطة تشكل المكتبة وغرفة التحكم ومكاتب القصر .. وهناك صالة طعام واستراحة ومطبخ رئيسي .. وغرفة واسعة تشكل قاعة جلوس ونادي .. مشينا نحو قاعة المكتبة الكبيرة في القصر .. حيث كانت قاعة جميلة وفيها ديكورات مثيرة .. وسقفها مشيد بالجبص والصور ذات الألوان الممتعة .. وهي من صنع مهرة في الجبص والتصوير من الأجانب ووجدنا الواجهة التي تشكل الخزائن السبع التي يرمز لها الكرت حقيقة .. قسم أحمر وقسم أبيض ، وكل خزانة بسبعة رفوف ، ومصنوعة من أثمن الخشب والدهان .. وفيها طاولات جميلة للمطالعة وآلات تصوير ، وعدد من الحواسيب وبجوارها غرفة نوم للسيد بسيم كان يجلس فيها ليستريح ، وقال الهندي مايا من النادر أن ينام فيها ليلا ، كان يستخدمها للنوم في النهار ، وهي مغلقة كغيرها من غرف نوم السيد ، وللمكتبة مدخلان متقابلان وبجوارها مخزن خاص بالمكتبة وهو غرفة كبيرة ، وفيه مشغل صغير لتجليد الكتب .

جلسنا في المكتبة وبعضنا أخذ ينظر في رفوف وأسماء الكتب وقال أديب : معظم غرف هذا الطابق مشغولة ومسكونة برجال القصر وموظفيه .. كل رجل وزوجته يسكنان جناح أو شقة والأكل جماعي .. ثلاث وجبات يوميا .. ومع ذلك كل شقة فيها مطبخ صغير للشاي والقهوة وبراد { ثلاجة صغيرة}.. وتلفزيون .. شقة مفروشة .

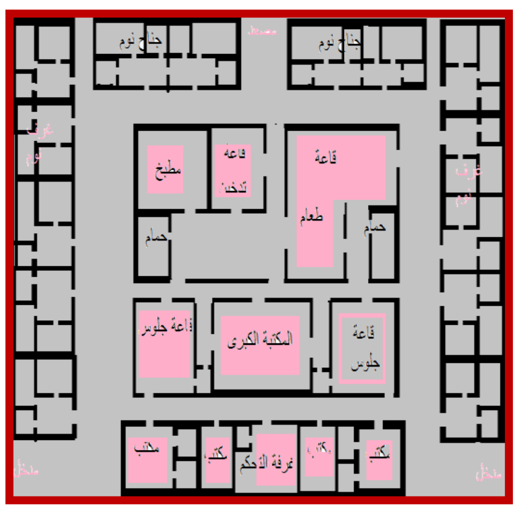
قصر متوفر فيه أفضل الأشياء المادية ووسائل الراحة ، حتى أن فيه مسابح ماء حيث البستان والأرض المزروعة .. وعرائش من القماش وعرائش الشجر خاصة شجر العنب .. فلم يبخل السيد بسيم بماله وثروته على هذا البناء بالجمال وبوسائل اللهو والمرح ، وبكثرة الغرف ، وكافة وسائل الحماية التي قرأ عنها أو علمها والتي ذكرنا بعضها ، وسنطلع على الباقي خلال سردنا لحل لغز مقتله في جوف قصره هذا ، وكشف سر كنزه .

لقد وافاه الأجل في قصره المشيد في حجرة في الطابق الثالث بعد تناوله العشاء وصلاته لصلاة المغرب .

لقد وصل إليه العدو رغم الأمن والحذر فكيف كان ذلك ؟! فهذا ما ستعرفه بإذن الله تعالى في الورقات القادمة .

لقد وصلوا إليه في النهاية ونالوا منه ، وكيف سيصل التحقيق إليهم ؟ فريق سيصل للقاتل

الرهيب في جوف القصر ، وفريق سيصل للكنز والمذكرات الخطيرة .. مذكرات تاجر السلاح المخضرم !



١٤

قمنا نحن الزائرين الجدد بجولة في طوابق القصر ، وصعدنا إلى سطح القصر ونظرنا الصحراء المهيبة ورأينا البستان الخلفي للقصر أو قل الغابة الجميلة ورأينا بعض سكان القصر ينتشرون فيها ولمحنا بعضهم عند مسابح الماء يلهون ويسبحون ولما هبطنا للطابق الثالث قادنا اللواء منسي إلى الحجرة التي اغتيل فيها جد أديب الجدية .. كانت غرفة يستريح فيها الرجل إذا ترك المكتبة وهي مجاورة لمكتبة الطابق الثالث .

وواضح للعيان أن مكتبة الطابق الثاني والثالث أضيفتا من أجل لغز الكنز .. فهما عبارة عن حجرات نوم حولتا لمكتبتين بمهارة وفن أيضا .

والغرفة المجاورة للمكتبة غرفة نوم بحمام ، فكان فيها السرير الذي هلك عليه الرجل ، ولها نافذة تطل على البستان الكبير ، ولها نافذة أخرى تطل على مساحة فارغة ..أو ردهة صغيرة بين غرف أخرى وللردهة تلك نافذة تطل على البستان أيضا قال منسي لنا ونحن نقف في الغرفة : هنا قتل الرجل !

وشرح لنا منسي كيف وجدت الجثة بناء على أقوال وتحقيقات الشرطة والطبيب المعالج .. فقال : بعد تناوله العشاء وانصراف الخدم ..استلقى السيد على هذا السرير أو جلس عليه .. انتشرت في الغرفة مادة مخدرة فاتصل بالهاتف بالطبيب جادور ..هو لم يقل له إنه يتعرض لخطر داهم .. إنما طلب من الدكتور المجيء فورا .. والدكتور زعم أن في صوته حشرجة .. ووجدت الشرطة آثار قرص ينبعث منه مادة غازية ؛ ولكن الجاني الذي خدر الرجل بواسطة هذا القرص فتح نوافذ الغرفة بعد ارتكاب جريمته .. فلما وصل الطبيب ومعاونوه استنشق القليل من بقايا الغاز المستخدم .. وهو غاز مخدر ..لأنه لم يبق له أثر عند التشريح وسبب الموت الرصاص لا الغاز .. والرجل وجد نائما على ظهره والرصاصة في جبينه .. واخترقت الجمجمة واستقرت في أرض الغرفة أسفل السرير .. ولم يكن هناك مقاومة فدل هذا على أنه كان مخدرا .

فقال العقيد حاتم : لم يقل للدكتور عما ألم به ؟

ـ ربما لم يدرك السيد أنه يتعرض لتخدير ، أو لم يكن يظن أنه يتعرض لمؤامرة داخلية .. فشك في شيء عارض ، ويبدو أنه يحفظ رقم الطبيب ، فضرب رقم الطبيب .. ولكن التخدير أفقده الصواب .. أو أن القاتل منعه من إكمال الاتصال

ـ ولكن تقرير الطب الشرعي يفيد أنه قتل بعدما خدر .. فقولك أنه فقد الوعي أصح والله اعلم أيمكن أن يخدر بواسطة طعام العشاء ؟

ـ ممكن ؛ ولكن كما أشرت لتقرير الطب الشرعي لم يكن التخدير عن طريق المعدة والجوف .. كان التخدير عن طريق الرئة والهواء .. غاز خاص دخل الغرفة أفقده الوعي .. لذلك فتح الجاني النوافذ وأزاح الستائر لتبادل الهواء .

قال العقيد : لكن الطبيب غير متأكد من وجود غاز في الحجرة عندما اقتحمها .

ـ لا تنسى أنه وصل بعد الاتصال بساعتين تقريبا يا سيدي .. والغرفة معروفة للحارس الذي يتفقد الأبراج قبل إغلاق الطوابق ..عندما شاهده أمامها لم يكن قد نام بعد ولم يصل العشاء فالجريمة وقعت بعد صلاة المغرب ، وبعد تناول طعام العشاء ..

قال حاتم : علمت أنه كان يجلس في المكتبة يتحدث بالتلفون ، وكانت المكالمة مع الأرجنتين ، واستمرت نصف ساعة ، وبعدها طلب العشاء ، وأكله في غرفة الطعام ، وليس التي وجد فيها ميتا برصاصة واحدة .. وكان التلفزيون مفتوحا وبغير صوت كان مكتوما .. خادمه الخاص قدم لها الطعام والشاي ، ثم انصرف حسب العادة .. ومن العادة إذا احتاجه ليلا أن يستخدم جهاز الاتصال الذي بينهما ، ويذكر له المكان المتواجد فيه .. فالتصور الشرطي أن الرجل كان يتفرج على التلفزيون ..فأحس بألم أو بالرائحة .. وتضايقت نفسه ، فاتصل بالطبيب مباشرة دون سنترال القصر ..وأثناء المكالمة فقد الوعي كاملا .. ولم توجد بصمات هنا إلا للخادم وخادمات تنظيف الغرف وللرجل بسيم ..

قال منسي : عليك بلقاء الطبيب والشرطي الذي صحبه عند اكتشاف الجريمة ..

ـ سأفعل يا سيدي .. وسنقرأ ملفات التحقيق التي جرت هنا في شرطة المدينة جاد .. وسيكون لنا مكتبا في عمارة السيد في المدينة .

تحدث منسي عن معلوماته التي اطلع عليها من ملفات التحقيق وتمنى التوفيق للعقيد حاتم ورفيقه مالح .

ولما نزلنا إلى مكتبة الطابق الأول المكتبة الرئيسية خاطب العقيد حاتم المحامي : لم يغادر أحد الموظفين البلاد ؟

رد المحامي : لحتى الآن لا رغم موت الرجل من

سنتين ، ولكن إذا تم تصفية شركاته الخارجية أي أخذ نصيبه منها سنضطر إلى إنهاء خدمات كل العاملين هنا وسنقدم لهم حقوقهم المالية المناسبة .. فسيد القصر لم يعد بحاجة إليهم .. والشرطة لم تسمح لهم بمغادرة البلاد قبل القبض على الفاعلين .. والسكرتير الهندي أو الباكستاني عند مقتل السيد كان في إجازة ولما بلغ بالجريمة حضر بأسرع وقت ، وأدلى بشهادته ، وأخبر أن حياة السيد كانت في خطر ، وقد تلقى تهديدات بالتلفون وبالبريد ؛ ولكن السيد لم يعرها الاهتمام الكافي ، وكان يقابلها بعدم الاكتراث ويقول :سيد مايا لم يبق من العمر الكثير ويبتسم

فقال حاتم :إذن كل الخدم والعمال ما زالوا يعملون هنا .

ـ أجل

ـ وحضرة السكرتير الذي استقبلنا هو نفسه مايا .

ـ نعم ، هو لم يكن هنا ليلة الحادث ، كانت زوجته هنا لم تسافر معه .

ـ أيوجد أطفال هنا ؟

ـ نعم ، يوجد أطفال وإذا حان وقت دخول المدراس يرسلون لبلادهم ، ويتعلمون على حساب السيد في مدارس داخلية في بلادهم ، ويأتون في الإجازات الصيفية لوالديهم ، ويرتب سفرهم وإجازاتهم مايا الهندي أو يسافر الوالدان لقضاء الإجازة عندهم .. السيد يراعي العواطف والحاجة الإنسانية ..أما الصغار دون سن المدرسة يبقون مع ذويهم هنا .. والرجل كان يستقبل ويستضيف في هذا القصر ضيوفه الأجانب وشركائه .

ـ هو من غير زوجة كما فهمنا ؟

ـ زوجته الأولى أم يحيى جدة المهندس ماتت قديما قبل موت ابنها يحيى ..ولما هاجر البرازيل أول مرة تزوج امرأة من هناك ، ولدت له بنتا ثم طلقها ؛ ولكنه كان يتردد عليها من أجل البنت والبنت لما بلغت عشر سنوات اختفت أو خطفت ..ولما رجع بعد حين يسأل عنها أخبرته أمها أنها عادت لبعض الوقت .. ولكن لظروف عمله وسفره المتكرر لم يتمكن من رؤيتها ، ولم يلتقيا بعد اختفائها ..وكان يترك لها بعض المال عند أمها ويغادر .. وهو لا يعرف هل هي حية أم ميتة ليوم وفاته ؟ وهل لها ذرية أم لا ؟ كله مجهول

عاد حاتم يقول للمحامي الذي تابع تحقيقات الشرطة سابقا : الشرطة لم تشتبه في أي فرد من هؤلاء ؟

ـ هؤلاء كلهم رعايا أجانب ، ولم تجد الشرطة لدى أحدهم دافعا وسببا لارتكاب الجريمة إلا إذا كان الدافع الانتقام ..

بعد لحظات صمت خيمت على السامعين قال

حاتم : كم عدد الموظفين في القصر إذا كان عندك علم بذلك ؟

قال داود : نعم عندي علم يا سيدي ..لأن مكتبنا القانوني هو المكتب الرئيس لمعاملات السيد بسيم منذ أيام والدي ـ رحمه الله ـ فحسب معلوماتي هنا حوالي ثلاثين فردا ربما يزيدون واحدا أو اثنين ..وتوثيق عقودهم لدينا في المكتب .. ونحن نصرف لهم رواتبهم الشهرية أو السنوية أو نصف السنوية حسب رغبة المتعاقد .. وهناك مصاريف أخرى كالتعليم العلاج السفر كان السيد سخيا .. والحقيقة أن رواتبهم تحول من مصارف في البرازيل والأرجنتين من استثمارات

الرجل هناك .

ـ سنأخذ كشفا بأسمائهم وتوصيف عملهم ، ونطلع على جوازات سفرهم لنعرف بلدانهم وحياتهم الاجتماعية .. قد نحتاج يا أبا محمد فريقا من المترجمين .

قال داود : استعان البوليس بمترجمين ، ولم يستفيدوا شيئا من أقوالهم .

قال حاتم : حسب معلومات اللواء منسي أن القاتل منهم من داخل القصر ، ولا يمكن أن يأتي من الخارج ولم يكشف .

ـ هذا قول الشرطة هنا ، وفي العاصمة بلبل ولكن من هو ؟ وهل ينفذ أوامر من الخارج ؟ وكيف حدث الاختراق ؟ فاغلبهم يعمل من سنوات طويلة ..وهذا ما حير البوليس يا سيدي الكريم مَن مِن هؤلاء الناس ؟! لم يطلب أحد منهم منذ الجريمة ترك العمل ..مع أن الكل يدرك أن عملهم هنا انتهى .. حتى أننا أوقفنا الإجازات حتى يغلق الملف ويظهر الجاني الغادر .. ولما أغلقت الشرطة التحقيق بدون تحديد شخص المجرمين سمحنا لبعضهم بالسفر والإجازات بحكم الاضطرار .

دهش حاتم وقال: وكم سافر منهم بعد موت بسيم ؟

ـ عدد قليل .. ويشرف على سفرهم وإجازاتهم فعليا السكرتير مايا وزوجته مساعدته ..فنحن لم نفصل أحدا بل نشيع أنهم قد يستمرون في العمل حتى يقرر السيد الجديد أديب إنهاء خدماتهم ، ولدينا كشوفات تبين ترتيب سفرهم ورحلاتهم الخارجية قبل موت السيد .. والسكرتير الهندي هو منسق رحلاتهم وتذاكرهم ومصروفاتهم ، فهو يحسن الإنجليزية ، وكذلك زوجته ، فهما يحسنان الاتصال بهم .. واعلم يا أخي الكريم أن أغلبهم له زوجة هنا عائلات.

قال العقيد : لابد لنا من جلسة مطولة معك يا دكتور داود .. وذلك بعد قراءتي لملف القضية لدى دوائر شرطة جاد وبلبل ..وبعد سماعنا لشهادة الطب الشرعي وكذلك الطبيب جادور مكتشف

الجريمة وسأتخذ مكتبا في جاد .

ـ لدينا عمارة كبيرة سنوفر لك فيها مكتبا .

ـ في الغالب سأمضي جل الوقت في القصر خاصة النهار ، وليلنا في المدينة لإجراء الاتصالات الخاصة دون سماع أحد لها من هؤلاء المشتبه فيهم

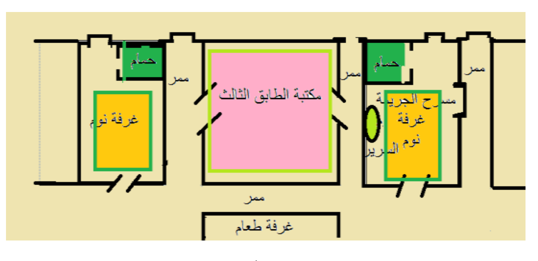
ـ نحن جاهزون لأي خدمة ..وأجرة الفندق وأي تكاليف مهما بلغت نحن مستعدون لتسديدها

ـ نعم ، سكنى الفندق أفضل من العمارة خدمة الطعام والاتصال .

ـ المهندس أديب قال لي قدم كل المساعدة والتسهيلات للعقيد حاتم وزميله .. سنضع تحت أيديكم غرفة في العمارة كمكتب للتحقيق وإدارة التحقيق .. وسيتم الحجز لكم الليلة في الفندق حجرة لكل واحد منكما .. وأي أموال تلزم فنحن جاهزون لها .. فالسيد ترك الكثير منها فهو يستحق منا أن نبذلها لمعرفة اليد الأثيمة التي اغتالته ..بل يرى المهندس أن القبض على المجرم أكبر وأهم من البحث عن الكنز .. فهو وحيد جده أيها السادة ووارث كل ثروته فأنا أدير ثروته هنا أي أتابع تحركات المال وأتابع إيجار العقارات والسكرتير الهندي مايا يتابع استثماراته في أنحاء العالم .. فالمال والنفقات لا تحسب لها حساب ..اختبارات فحوص رسائل مترجمون خبراء تنقلات .

فقال حاتم : سأفعل أنا والزميل مالح كل ما في وسعنا إن شاء الله ﷻ ..وسنصل لليد الخائنة بتوفيق الله تعالى

ـ أرجو من كل قلبي التوفيق لكما بالقبض على الجاني أو الجناة .



١٥

كان اللواء منسي وزملاؤه المكلفون بالبحث عن الكنز يجلسون في المكتبة في الطابق الأول ـ وهي المكتبة الكبرى في القصر ـ يتحدثون عن كيفية حل لغز الكنز ، وكان الشاي يقدم لهم ، ويتذكرون ما أنجزوه في المرة السابقة ، وكان البعض يتأمل في المكتبة والرفوف والكتب ؛ لعلها توحي إليه بمفتاح جديد بفكرة جديدة .. يفكرون بالطريقة التي رسم بها السيد إخفاء الكنز وكان الصحفي محمد محسن يفكر في المكان المناسب لإخفاء الكنز في هذا القصر الواسع الكثير الحجرات ؛ كأنه فندق ضخم وقال لبشر : كثير من الأماكن تصلح لإخفاء الكنز .. كل باب من أبواب القصر يمكن إخفاء الجواهر فيه خاصة الأبواب السميكة الجدران تصلح لذلك .. خلف بلاطة رخامية ..لابد من خريطة تسهل الوصول إليه .

فقال بشر : نعم ، لابد من خريطة يا خال .. فهذه المكتبة وحدها تحتاج لوقت كبير قبل تفتيش هذه الكتب ..وهذه المكتبة بالذات الخزائن في الحائط فيمكن أن يكون وراء كل خزانة مكان سري ، لا يرى فيها من الخشب إلا الرفوف والإطارات المزخرفة .. وكل خزانة عشرة رفوف حتى السقف المزخرف كأنه سماء فوق بحر أزرق .. فهذه الكتب العليا تحتاج لهذا السلم لتناولها ـ وأشار لسلم معدني على شكل رقم ثمانية مركون في الحجرة المكتبة ـ الرجل لديه نظرة جمالية أو ربما شاهد مثلها في إحدى بلدان العالم التي تنقل بينها القاعة كلها خزائن مليئة بالكتب ، وفي وسطها موائد أنيقة للمطالعة والجلوس إليها على مقاعد مريحة ، وللقاعة ثلاثة أبواب للدخول والخروج ، وفي إحدى الجهات تلفزيون ، وفي الزاوية الأخرى أجهزة طباعة وتصوير ، وعلى إحدى موائد القراءة جهاز حاسوب شخصي وفي زاوية ثالثة جهاز حاسوب آخر.

تأمل الزائرون الرفوف والجهة التي تشبه الكرت المفتاح ، واتفقوا على إعادة قراءة رسائل السيد ودراستها ؛ لعلهم يكتشفون من خلال سطورها إيحاء معينا معنى جديدا .

فقال محسن : فكرة طيبة ! فلننزل إلى قاعة الطيور نصلي الظهر أو الجمعة إذا أحب أحدنا أن يخطب فينا .. ثم يقرأ البعض علينا رسائل السيد .

قال منسي : نعم الاقتراح ؛ لأننا لو مكثنا هنا سنة لن نجد شيئا حتى نجد الخطوة أو المرحلة التالية .. فكلنا أتصور يقر للرجل بالخبرة العملية والذكاء والحيلة .

فعاد محسن يقول : وتحت نضع التصورات والاقتراحات لإتمام هذه المهمة .. لا شيء غريب في نظري في هذه المكتبة .. رفوف عليها الكتب كسائر المكتبات .. صح .. سقف القاعة جميل ولوحة فنية .. سماء صافية وغيوم صيفية ، ولا أعتقد أن في رسومها حل اللغز ، ولا أظن أن لها علاقة بكنز السيد الجدية .

فعلق منسي متبسما: هذا فكرنا فيه ، لم نستطع أن نخرج من النظر في السقف برسالة ما .. بشيء ما .. واقتراح السيد محسن اقتراح جميل ..لقد عددنا الرفوف وعددنا الخزائن فلم تكشف لنا أسرارها ..تأملنا مواضيع الكتب والمجموعات فهي كأي مكتبة عامة وخاصة .. لا يوجد فيها شيء مثير وملفت للنظر والفكر .. مكثنا شهرا ها هنا مع الأخوة الكرام فلم نجد شيئا مهما .. حتى وقع في خلدي أنه لا كنز نبحث عنه ؛ لكن لا يعقل أن الجدية ساخر من حفيده وليمنعه من بيعه والاستفادة من بيعه بقصة الكنز ؛ لأنه يعلم أن الحفيد غير مهتم بالحياة في الصحراء .. لا أعتقد

أنه يكذب .

فأيد الرجال قول منسي بوجود الكنز حقيقة ، وقال أحدهم : العجيب أن السكرتير التاريخي السيد مايا لم يسمع بالكنز والوثائق السرية الخاصة.

قال أديب معقبا : استغرب الرجل هذه الحكاية ؛ ولكنه اعترف بقدرة الجد على كتم الكثير من الأشياء والأسرار ، فالرجل كما قال يحب الغموض والرموز في أعماله ، وكل الصفقات تعطى رموزا سرية ..كودا معينا .. فهذا من ضمن الصفقات للأسلحة .. وحتى أثناء الاتصالات تستخدم الشيفرات والكلمات السرية للدلالة على الأشخاص أو البضاعة .

هبط الضيوف إلى قاعة الرخام الواسعة وتوضؤا ثم صلوا الظهر والعصر جمعا وقصرا .. وعند الثانية ظهرا كانت سيارة المطعم تقف أمام القصر.. وقام عمال المطعم بإعداد السفرة .. ولما أكل الضيوف الخروف المشوي والمحشي بالأرز واللحم الناعم والمكسرات ..قدمت لهم المثلجات والقهوة السادة ، ولملم العمال بقايا الطعام وغادروا المكان ، وقام خادم أديب بتنظيف المكان ، ولما عاد الهدوء تابعوا التخطيط والتفكير ، واتفقوا أن يبقوا على تواصل إلى أن يفتح على أحدهم فكرة جديدة ، ثم استعدوا للعودة ومغادرة المكان .. ولكنهم رافقوا المحامي والعقيد حاتم والمقدم مالح إلى مدينة جاد ، والتقوا بمحامي السيد القاضي المتقاعد الذي رحب بهم ، ودعاهم لقضاء الليل في ضيافته .. لكن الزميل داود بين له الهدف من اللقاء به وأبدى الرجل استعداده لخدمة المحققين في القضية من جديد .

ووعدهم بإعداد غرفة في العمارة كمكتب لهما ، ووضع هاتف تحت خدمتهم ، وعامل خدمة ، وإذا احتاجوا لكاتبة فوعدهم بتوفير ذلك .. وأنه سيبذل أقصى طاقة للتعاون للوصول للجاني وسيرتب لهم لقاء مع الطبيب جادور ..وكان العقيد قد طلب تأجيل اللقاء به ريثما يعودان للمكث في الفندق.

ورجعوا للعاصمة في الليل بعد قضاء نزهة في الصحراء ومشاهدة مكان إخفاء الكنز ومسرح جريمة اغتيال السيد بسيم الجدية الرجل الغامض الواضح .



١٦

راجع العقيد حاتم وزارة الداخلية والأمن الداخلي ، وقابل السيد الوزير وشرح له مهمته والهدف من الزيارة بكل إيجاز ووضوح ، فرحب به الوزير وأبدى تعاونه الكامل معه ، واتصل أمامه بمدير

الأمن العام وقال له وهو يودعه : نحن يهمنا معرفة كل مجرم يا سيدي العقيد .. والمدير محمد راشد هو نفس المدير في نفس فترة الجريمة ، وستجد عنده ما يفيد ، وأتمنى لك النجاح .

وغادره إلى دائرة الأمن الرئيسية ، ورحب به المدير ترحيبا طيبا ـ وهم زملاء ويعرفان بعضهما بحكم عمل العقيد حاتم في الشرطة ـ وحدثه حاتم عن المهمة التي كلف بها .

فرحب محمد راشد به مرة أخرى وهما يشربان القهوة وقال : أنا اطلعت على تقارير القضية ، ورغم اكتشاف الجريمة فور حدوثها .. فهي يكتنفها الغموض ، ومع أن الضباط المحققين اكدوا أن المجرم من داخل القصر لم يعرفوا من هو الخائن بالضبط ؟ ملابسات تمنع اتهام شخص ما ..وإرسال شخص للمحكمة الجنائية بدون أدلة قوية كلام فارغ سيخرج براءة من أول جلسة ..وسكان القصر كلهم رعايا دول أجنبية ، فهم من جنسيات متنوعة الأمريكي الإفريقي الآسيوي .. ولم نجد شاهدا واحدا رأى القتل ..أنا أذكر تلك الجريمة بشكل جيد لأهمية الرجل المقتول ، وأذكر أنني كنت على اتصال دائم بمدير شرطة منطقة جاد .. لأنهم المكلفون بحكم الاختصاص في التحقيق في الجريمة .. ستجد عندنا الملفات والتقارير التي ترسل لنا نسخ منها وعليك زيارة الدائرة هنالك والالتقاء بفريق التحقيق والطبيب الشرعي والطبيب جادور .. وأنا أعرف حق المعرفة قدراتك الشرطية والتحقيقية في الجنايات الكبرى وإذا وفقت في كشف الغموض أكون أنا وسعادة الوزير من أسعد الناس بمعرفة الجاني الأثيم.. وكما طلب السيد الوزير سنقدم لك كل المعونة والمساعدة لخدمة العدالة .. وكلنا في خدمة العدالة يا حاتم .. والأخ مالح رجل كفء أيضا .

مشى العقيد حاتم إلى أرشيف الدائرة ، واطلع على ملف القضية والتقارير المرسلة حول القضية ، وبعد قراءتها وجد أن نشاطه سيكون في القصر الصحراوي ومدينة جاد .. زار المحامي داود واطلع على جوازات سفر سكان القصر ..ووجد كشفا معدا عن أسماء كل من يعمل في القصر ورقم جوازه وجنسيته وطبيعة عمله داخل القصر ، وحالته الاجتماعية متزوج أو اعزب هل أطفاله معه أو ببلده ؟.. رحلاته للخارج عددها وتاريخ سفره في كل رحلة وتاريخ العودة كشف فيه الكثير من المعلومات المتوفرة عن كل فرد .

وكان في الكشوفات أيضا وقت التحاق الشخص بالقصر والعمل ، فكان الحرس خمسة أفراد فقط ، أحدهم إفريقي ، واثنان من أمريكيا اللاتينية أحدهما بوليفي والآخر تشيلي ، واثنان من آسيا أحدهما فيتنامي والآخر هندي باكستاني ..

فتعجب العقيد من هذه التشكيلة فسأل المحامي عن صفة اختيارهم .

فرد المحامي قائلا : قد تجد عند صاحبنا الهندي مايا الجواب أو بعضه .. ومعظمهم معه زوجته كعاملة أو خادمة تنظيف .

وجد أن السكرتير مايا من قدماء العاملين مع السيد ..وأن زوجته الهندية تعمل منذ خمس سنوات فقط ، وكانت أولى سنوات عمله في القصر بدون زوجة رغم أن عمره يقارب الخمسين عاما .

وهناك ثلاثة رجال يعملون كخدم للقصر ومعهم زوجاتهم وهم من جنسيات فليبينية .. وطاهيان ذكران ومعهما زوجاتهم يعملون في مطابخ القصر أحدهما لاتيني أمريكي، والآخر آسيوي .. وفهم من المحامي سبب تنوعهما لأن أكثر ضيوف الرجل من أمريكيا اللاتينية ومن آسيا .. ووجد في الكشف خادم خاص بالسيد آسيوي وزوجته لخدمة السيد شخصيا بتقديم الطعام الشراب تنظيف مكان نومه وجلوسه .. وهناك مسؤول عن المخازن وتوفير المواد بتقديم المطلوب للسكرتير الهندي .. من أطعمة وزيوت ومواد تنظيف وغسيل .. فهو يطلب ما ينقص ويتفقد المخازن وتعمل معه زوجته .. وهناك غرفة غسيل يديرها رجل هندي أحمر وزوجته وابنته الشابة ، وهم من أمريكا الجنوبية ..يغسلون ملابس سكان القصر ثم يكّونها ويسلمونها لأصحابها ..أما بالنسبة لثياب السيد بسيم فهو متعاقد مع شركة في مدينة جاد لغسل ملابسه وكويها .. وهناك موظف البستان .. وإذا احتاج لمزيد من العمال يذهب لمدينة جاد ويستأجر المناسب للعمل .. وسنتعرف على المزيد من عمال القصر في الصفحات التالية .

يوجد في القصر سيارتان مصفحتان قديمة وحديثة يستخدمهما السيد بسيم ، ولدى السكرتير سيارة خاصة ، وهناك سيارة يستخدمها أهل القصر عند الحاجة ، وتوفر الأشياء للقصر عن طريق موردين ومتعاقدين .

ولما سأل حاتم المحامي عن صفة اكتشاف الجريمة رد المحامي : ألم تزر دائرة الأمن يا سيدي وتطلع على الملفات ؟

ـ فعلت يا سيدي المحامي ..ولكن هنا تقارير مختصرة .. التفاصيل كما تعلم تبقى في دائرة التحقيق والمنطقة التي تتبع لها الجريمة .. وسأسافر خلال أيام .. ولما نستقر في الفندق سأتصل بك لتتأكد لهم الحجز لي وللزميل مالح .. وهل جهز مكتب العمارة ؟

قال داود : نعم ، المكتب جاهز .. وضع فيه جهازا حاسوب .. وطابعة وآلة تصوير وخزانة ملفات .. وأوراق وهاتف وفاكس .. وعامل خدمة .

ـ أحسنت يا دكتور داود ..أنا كلفت مكتب ترجمة بتزويدي بعدد من المترجمين .. وسأطلب مساعدتك لنقلهم لجاد عند الاحتياج لسفرهم .

ـ نحن تحت الأمر ؛ لأنه من التقدير والواجب علينا للرجل الميت أن نعرف قاتله ونقدمه للعدالة والقانون .. وأنت تعلم أكثر منا أن البوليس يضيق به الحال لكثرة الحوادث وضيق الوقت فتعلق القضايا إلى حين

ـ شكرا ، كيف عرفتم أنتم بالجريمة ؟

ـ نحن كان الرجل يحدثنا عن الخطر أو الأخطار المحدقة به من العصابات والمنظمات السرية وحتى الدول .. أعداء الرجل كثر وأصدقاؤه أكثر .. فمهنة تجارة السلاح مهنة تصنع الأصدقاء والأعداء في آن واحد فالذي تبيعه السلاح صديق والذي لا تبيعه عدو ؛ ولكنها تدر أموالا كثيرة .. فكان القصر الصحراوي مستقر الرجل .. وهو شرع في بنائه حقيقة قبل محاولة اغتياله بتفجير بيت ابنه يحيى والد أديب المهندس حيث قصره .

ـ نعم ، اذكر ذلك الحادث الرهيب لقد قتلت فيه أسرة كاملة ، ولم ينج إلا شاب صغير فهو صاحبنا أديب

ـ نعم ، نجا بقدر من الله ؛ لأنه لم يبت تلك الليلة في البيت .. وكان المقصود بالانفجار السيد بسيم الجدية .

ـ كنت على رأس عملي أيام ذلك الانفجار ؛ كأنه كان سنة ١٩٨٢ .

ـ يوم خميس في الثامن من شهر تموز .. المهم أن الرجل عمل الاحتياطات اللازمة التي اطلعت عليها بزيارتنا السابقة للقصر تلك الجمعة .. فعل كل ذلك لينام هادئا .. والمال متوفر بين يديه وهو من مواليد ١٩١٠م ..فقد أخذ عمرا كافيا كما كان يردد أمامي ، ولا أدري هل يصح هذا التعبير ؟ فقد تجاوز السيد الثمانين سنة ، وكانت صحته جيدة إلا من بعض عيوب وسقم الكبر في العمر.. وكان يتعامل مع فريق أطباء هنا في بلبل وفي جاد ، وعلى رأسهم الأخصائي جادور وقد عمل الدكتور جراحا في المستشفى الصحراوي ـ وهو جراح معروف ـ وكان الدكتور متعاقدا مع السيد ..ويذهب للقصر كل شهر مرة ليطمئن على الرجل صحيا ويصحبه طبيب آخر وممرضة ..وإذا اتصل السيد أو السكرتير لبى النداء بأسرع وقت ممكن .. فهو جاهز للخدمة والطوارئ في أي وقت من ليل ونهار .. ويوم عيادته الشهرية يذهب مع مساعده وممرضة عيادته ، ويتناولون الغداء على مائدة السيد ، ويقضون نهارهم بصحبته حتى صلاة العصر .. بل ينزلون البستان أيام الثمار ويأكلون ، وربما يحملون لأهليهم ..وقال لي الدكتور عندما التقيه لدفع أجرته إنه يسر بذهابه

ذلك النهار إلى القصر .. وهو يعمل معنا منذ أكثر من عشر سنوات .. أما مساعدوه فهم يتبدلون سواء الدكتور العام أو طبيب الأسنان أو الممرضة فهم لهم عيادة كبيرة في مدينة جاد .

ـ ومرضى القصر الآخرون ؟

ـ يوجد في القصر صيدلية عامة يا عقيد حاتم ..فبعض العاملين لديهم خبرة طبية بسيطة فيقدمون الإسعافات الأولية عند الحاجة ، وإذا احتاجوا لمستشفى فيبعث السكرتير الهندي سائقا ومرافقا للمريض إلى المستشفى ، ويكون قد اتصل بالمستشفى ونسق لاستقبال الحالة أو الحالات ويرسل المريض إما بسيارة الهندي مايا أو سيارة القصر .. وإذا احتاجوا لطبيب ليلي فالدكتور جادور يؤمنه أو يسير بنفسه لمعاينة الحالة .. وإذا كان الطلب ليلا يصحبه شرطي لحمايته ومرافقته.. وهذا بتعاون بين السيد والشرطة؛ لأن السيد يقدم المال والتبرعات لتلك المدينة .. ويذهب الشرطي لحماية الطبيب من الوحوش واللصوص فقد يظهر اللصوص في تلك المناطق بين الفينة والأخرى ..وفي فترة من الفترات داوم طبيب في القصر كطبيب مقيم ؛ ولكن لقلة العمل طلب الإقالة فأقاله السيد أو السيد مايا

فقال العقيد : أيفهم الرجل على هؤلاء الناس ؟ ـ يفهم على البرازيليين بشكل جيد ، وأما الآخرون فيتعامل معهم بالإنجليزية .. فقد تعلم الإنجليزية منذ صغره أيام الاستعمار أو الانتداب ..فالحاجة أم الاختراع .. عندما بدأ التجارة في السلاح أخذ يتعلمها

قال المحقق حاتم: نعود يا سيدي لليلة الجريمة كيف علمتم بها ؟

ـ نعم ، علمنا يا سيدي من الدكتور جادور نفسه اتصل بي مخبرا باغتيال الرجل في قصره ، قال إن السيد اتصل به بعد آذان المغرب مساء يوم الثلاثاء من شهر تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٥م قبل أكثر من عام .. وأذكر كان التاريخ ١٤ من ذلك الشهر اتصل السيد به على الخط الخاص وطلب مساعدته وأنه متعب ، وقال الطبيب إن الرجل كان بدون صوت كأنه يختنق يتحشرج فكان متعبا للغاية كما بدا للطبيب ، فاتصل جادور بمساعده الدكتور حازم صنو هو يعمل مع الدكتور في مجمعه الطبي في جاد ، واتصل بمركز الأمن طالبا مرافقا .. ولما تجهزوا انطلقوا إلى القصر في ذلك الليل البارد ، وكانت أمطار خفيفة تتساقط ذلك الليل .. والمغرب في ذلك الفصل يهبط مبكرا لقصر ساعات النهار عن الليل .. فربما كانت الساعة الخامسة والنصف عندما انطلقوا المهم وصلوا قبل الثامنة بقليل ، ولما اطمئن الحارس

تلك الليلة لهم أدخلهم ، وتحدث مع السكرتيرة رامان زوجة مايا ؛ لأن السيد مايا كان مسافرا لبلده في إجازة طارئة وعاجلة ، فاستقبلتهم الزوجة التي لم تصحب زوجها في رحلته مستغربة ، فهي لم تعلم بمرض الرجل ، ولم يتحدث معها ، وتبين أنه تحدث من الهاتف المباشر بدون المرور على مقسم القصر ، اتصلوا بالغرفة التي يمكن أن يكون فيها .. فالسيد عندما يقصد النوم لا أحد يعرف في أي حجرة يرقد تلك الليلة ، فله عدد من غرف النوم ، وكلها لها شبكة هاتف مشترك ، فعندما يرن الهاتف يرن فيها جميعها ، وكلها تفتح على مفتاح واحد أو اثنين كما فهمت من الهندي .. وهناك مفاتيح لها مع السكرتير تستخدم لتنظيف الغرف .. يفتحها السكرتير لهم لتنظيفها وترتيبها .. فعندما يرن التلفون فيها فيتكلم السيد إذا كان مستيقظا ويرد على الاتصال ..وكل من يريد الاتصال من عمال وخدم القصر يكون عن طريق سنترال داخلي موجود في مكتب السكرتير وزوجته .. والمكالمات تسجل وتحفظ لحين من الزمن ربما ستة أشهر ؛ وربما تتلف أشرطة التخزين أو تحفظ في المخزن ، وربما يعاد التسجيل عليها .. فالسكرتير مايا وزوجته هما مديرا القصر .. لم ترد أي حجرة ليحددوا مكان وجود السيد .. فسألت السيدة الخدم والعاملين في قاعة السهر وقاعة الطعام فذكروا أنه تناول طعامه في الطابق الثالث في قاعة الطعام وشرب شايه فيها ، فالرجل مغرم في الشاي رغم كبر سنه ؛ بل يأخذ ترمس شاي لحجرة نومه ، ويفضله السيد على سائر المشروبات من المثلجات وغيرها .. وأثناء الاستفهام أخبر أحد الحرس أنه شاهده يخرج من المكتبة إلى غرفة بجوارها ، وألقى عليه تحية المساء ، وقال : ربما دخلها للصلاة فهي غرفة يقيل فيها عادة في النهار عندما يتعب من الجلوس في المكتبة ، ويصلي فيها الصلوات لأن فيها حماما ومغسلة للوضوء ..وهي لا تستخدم للنوم في العادة إلا للاسترخاء في النهار مع أنها غرفة نوم كما بينت رامان عائلة السكرتير .. فصعد القوم إليها تصحبهم السكرتيرة رامان كان الطابق الثالث مطفي الإنارة إلا من أضواء خفيفة في بعض الزوايا والأطراف ..أضاءت السكرتيرة الأنوار وعند الغرفة المشار إليها من قبل الحارس وشاهده يدخلها ، وجدوها مقفلة وطرقت السكرتيرة الباب ثم فتحتها .

وأضاءت النور ، وكان الرجل مقتولا برصاصة في رأسه ودمه على السرير والوسادة وثيابه والسجاد .

وبعد لحظات صمت وحزن قال العقيد : وهذا المبلغ الحارس ألم يشتبه فيه رجال الشرطة ؟ وماذا كان يفعل في الطابق الثالث ؟

ـ تبين لنا أنه كان يتفقد السطح في مهمة روتينية ،

وذلك مهمة من مهمات الحرس قبل إغلاق أبواب الطوابق على ساكنيها ..لأنه إذا أغلقت الأبواب سينعزل كل أهل طابق في طابقهم ويتواصلون ليلا بالهاتف الداخلي .. فيقوم أحد الحرس بجولة مراقبة سريعة من على ظهر القصر وإنزال من يكون يسهر على السطح .. وهذه الجولة حسب ما أذكر تكون بين الصلاتين المغرب والعشاء .. وأثناء نزوله لمح السيد خارجا من المكتبة نحو الغرفة المجاورة .. فحياه وتابع نزوله للطابق الأول حيث غرفة السيطرة .

ـ أتكلم مع السيد بسيم ؟

ـ قال بالإشارة حياه .. وفحص الشرطة ثيابه بحثا عن نقطة دم فلم يثبت ذلك .. والسلاح المستخدم في الجريمة يمتلك الحرس مثله .. وفحصت الأسلحة الموجودة لدى الحرس ورصاصاتهم وأعدادها فوجدت كما هي مثبتة عند السكرتير.. لم تستخدم المسدسات منذ زمن وقامت الشرطة والمختبر الجنائي بكل ما يلزم .. وستجد ذلك في ملفات شرطة جاد

ـ ما اسم هذا الحارس ؟

ـ هو الحارس الإفريقي (سينكالا كامارا)

ـ رأيته يوم زيارتنا للقصر .. فهو الذي فتح لنا البوابة الرئيسية

ـ صدقت أيها العقيد . انتهت الحلقة ٢

قصص وحكايات الفوارس



الحلقة الأولى

حصار المدينة

دخل الشاب حجرة أمه مندفعا بقوة ، فخلع البيضة الفولاذية التي تغطي رأسه وطرحها أرضا وأخذ يد أمه مقبلا لها ، وكان يرتعش من الخوف ، وممتقع اللون ، وكانت ثيابه ممزقة ، وتنتشر بقع الدماء الجافة عليها ، ثم ألقى سيفه المخضب بالدماء على طاولة في الحجرة ، ورمى نفسه على سرير متين في الحجرة ، واقتربت منه جارية من جواري الملكة الأم بمنديل كبير ، فأخذت تمسح العرق والتراب والدماء عن وجهه الجميل ، ولما أنهت الجارية مهمتها ، قالت الأم التي لزمت الصمت حتى أنهت الخادمة مهمتها : إنك مرهق اليوم يا ولدي ، وكأنك اشتبكت مع الأعداء ؟! فتنهد الشاب بعمق ، وسالت دموع على خديه ، وتناول كأس ماء من يد جارية فشربه دفعة واحدة ، وأخذ غيره ، وما زال يشرب حتى ارتوى فقالت الأم : احضري الطعام يا جارية لسيدك .. هل

التقيتم اليوم بجنود الملك الظالم ؟!
فأغمض عينيه وهز عنقه وقال : أماه !.. إن الأمر لصعب !.. وإنهم أشداء .. عليهم لعائن الله وغضبه .
وأقبلت الجارية بالطعام ، وتركته أمام الأمير الذي تناول منه قطعة لحم وبدأ يلوكها ، وأمه تنتظر أن يكلمها عن معركة اليوم ..ولكن الأمير كان مذهولا ومتعبا ، فلم يتفوه بشـيء ، وبينمـا هو يزدرد الطعام دخـل أخوه الأمير ماجد الحجرة ، وهو يقول بصوت حاد وصاخب : أأنت هنا أيها الفارس ؟!.. وأبي يبحث عنك .
فقال الأمير شبرو : لقد رأينا الموت أيها الأمير !! .. ماذا يريد أبي ؟!.. لقد نجونا من موت محقق .. إنهم أشداء ..وبأسهم شديد .. وكم نجا من فرساني ؟!
فأجاب الأمير ماجد ساخطا : أقل من مائة .. لقد دمرت كتيبتك تدميرا كاملا .. وأبوك غاضب عليك غضبا شديدا .
فصرخ شبرو وهو يقف بعنف : ماذا أفعل لأبي ؟ إنها معركة مرعبة يشيب لها الولدان ..
اعلم أنني بدأت أخشى على المدينة الهلاك والدمار ..على أبيك أن يضع هذا الحساب في نفسه وقلبه ..فلابد من الاستعداد للهرب وترك المدينة ..لن نصبر أمامهم أكثر من أيام معدودات .

ابتسم الأمير ماجد وقال : أرى الخوف ملأ قلبك من هول هذا اللقاء ألهذا الحد هم أقوياء ؟
فقال شبرو : لن أقول لك جرب .
فرد ماجد قائلا حانقا : سوف أجرب أيها المتهور .. ألم نقل لك لا تخرج لقتالهم ؟ .. فبسبب خروجك ومعركتك الفاشلة دب الرعب في نفوس الفرسان والجنود .. وفي الأهالي .. كان عليك أن تموت مدافعا عن مدينة الآباء والأجداد .. لماذا رجعت ؟!
فقالت الأم : ماجد .. اهدأ يا ولدي .. أرى أن الأمر خطير ؟!
فقال ماجد : نعم يا أماه ! ..ظن شبرو أنه بفرسانه الألف سيهزم هؤلاء الغزاة المحترفين الحاقدين .. فخرج بألف بطل ، واصطدم بالعدو العنيد على أبواب المدينة ، فخسر في معركته تسعمائة فارس ، وعاد بمائة مذهولين ، مما قذف الرعب في رجالنا وناس البلاد ..لقد نصحته قلت له قبل خروجه يا ابن أمي وأبي دعك من التهور ..نحن محاصرون وهم كثر .. نصبر على الحصار ، ونرميهم بالنبال والسهام والنيران ، وقال له الوزير أحمد دع الغرور يا أمير شبرو فصاح فينا شبرو إلى متى نبقى تحت رحمة الحصار ؟ والأعداء لهم أكثر من ستة أشهر يحاصروننا ولم نفعل شيئا ، وضاقت المدينة بأهلها وسكان القرى ، وأخذت بعض العائلات تترك

المدينة إلى مدن مجاورة وقال وهؤلاء لن ييأسوا ولن ينهزموا من غير قتال ، وأصر يا أماه على ملاقاة جيش الملك الضبع بألف فارس .. وأخذ ماجد يصرخ في وجه أخيه المهزوم والناجي من معركة الباب بحدة وسخط : لماذا لم تمت كما مات فرسانك ؟! .. أين شجاعتك ؟ لماذا هربت وتركت رجالك يموتون ؟!

صاح شبرو : الموت .. الموت ..ماذا أفعل ؟! لقد تساقط فرساني حولي .. فكان لابد من التراجع .. ألست بشرا ؟! ألا تخاف الموت أيها البطل ؟ اخرج إليهم .. أرنا بطولتك وقوة قلبك

ولزمت الأم الصمت أمام ما سمعت من هول الضحايا الذين دكت أعناقهم على أبواب المدينة المحاصرة منذ شهور من قبل جنود الملك الضبع ملك بلاد العقرب ، وبينما هما يتصارخان دخل الحجرة الملك شامة بن غلان صاحب وملك مدينة الدب القطبي ، دخل الملك والحزن والأسى مرتسمان على قسمات وجهه الكبير ، ولما أبصر ولديه شبرو ابنه البكر والأصغر منه ماجد قال لشبرو بحدة : أأنت هنا أيها الفارس ؟! أجئت تحتمي بأمك ؟ ماذا فعلت بفرسانك ؟ قتلتهم قتل النعاج .

فقال شبرو بغضب خفيف :أبي أنا أدافع عنكم ، عن كرامتكم ، عن شرفكم ، عن بناتكم وأطفالكم .. أيها السادة ..لم أتِ هنا لاحتمي بأمي ..أنا جئت هنا لأني رأيت الموت ، وكلي حزن على ما جرى لفرساني الأشاوس في هذه المصيبة .. إنهم أقوياء أشداء .. اهربوا اهربوا قبل فوات الأوان .. فهاهم أقوى الرجال قد قتلوهم .. وهم يا والدي لن يتركوا المدينة قبل دخولها واستسلامها لهم .

فقال شامة بن غلان : آه !! ..لقد قتلت الناس بتهورك ..والحق كأنهم بعد هذه الضربة القاصمة لخير فرساننا يستعدون لاقتحام المدينة ، فاستعد أيها الفارس للقاء .. واحذر الهرب الموت خير لك ولنا من الهرب ..كان عليك أن تموت مع رجالك .. اذهب يا ماجد إلى رجالك واستعدوا لصد أي هجوم منهم ، فحركاتهم تدل على أنهم سيعملون شيئا يريدون أن يستفيدوا من نصرهم وقذفهم الخوف والوهن في قلوبنا ..وأنت يا شبرو بن شامة التحق بكتيبة ابن عمك راسب .

كانت مدينة الدب القطبي من المدن الكبيرة تخضع لحكم الملك شامة هي وما حولها من القرى الصغيرة ، وكانت تعيش في هدوء وأمان ونعيم ورغد من العيش ، ولها جيش قوي مدرب تدريبا جيدا للدفاع عن المدينة ، وعن أمنها الداخلي ، والمحافظة على أسوار المدينة العالية ، وكانت تصد الغزاة والطامعين إلى أن حاصرها الغزاة الجدد ، فهجر أهل القرى قراهم ومزارعهم ولجئوا إلى

المدينة الحصينة المحصنة تحصينا ضخما بأسوار قوية من ثلاث جهات ، وأما الجهة الشرقية فهي عبارة عن جزء من سلسلة جبال عالية تحيط بالمدينة من تلك الجهة ؛ فبذلك تشكل السور الرابع للمدينة ، ومنفذها الوحيد نحو مدن الشرق ، وعلى هذه الجبال حامية من الجند للمراقبة والحراسة .

وقد حاول شبرو دفع الغزاة برجاله الأقوياء ، فأصيب بنكسة كبيرة ، فخسر جنوده وعساكره ونجا من الموت بأعجوبة ، وكان من نتيجة معركته تلك أن دب القلق والوهن في قلوب الناس وبدأوا يهربون إلى الجبال ، وزاد رحليهم للمدن التي وراء ذلك الجبل العملاق ، وحتى أن جيش المدينة أصابه القلق والشك ، ففرسان شبرو كانوا من أشد فرسان الملك شامة وكانت كتيبة الأمير شبرو كتيبة الموت والمهمات الدفاعية القاسية .

وشدد المحاصرون الحصار المضروب حول المدينة ، فمع كل شروق يوم جديد يدع الناس منازلهم ويصعدون إلى الجبال الوعرة خوفا من حجارة المنجنيقات المتساقطة على المدينة ، وبعضهم يتابع المسير إلى البلاد المجاورة .

وأمام هذا الضغط الشديد اندفع الملك شامة والأمراء بترحيل أبنائهم الصغار إلى أصدقائهم من ملوك المدن الأخرى خوفا من وقوعهم أسرى ، وأن يستعبدهم ويسترقهم جيش الملك الضبع ، وأمام شدة هذا الحصار ، وضعف الإمدادات من الأقوات ، وهرب كثير من التجار ، وخوفا من هرب الجند بعد مغادرة عائلاتهم ، كان على الملك ووزيره وقواده اتخاذ قرار حاسم إما الاستسلام وإما ملاقاة العدو ، فالحال ضاق بالعباد ، فإما أن يدحروهم أو يموتوا موتة الأبطال والشرفاء .

التقى الملك شامة مع زوجته الملكة جملة بنت يوسف وأطلعها على أمر البلاد والعباد ، وأخبرها برغبته في نقل أولاده الصغار سليل وحريف والأميرة حظوظ في المرحلة الأولى إلى مملكة الملك الجفال حاكم بلاد الريح البعيدة عن بلادهم مسيرة شهر ، فجهزهم الملك سرا بقافلة صغيرة من الخصيان والجواري ، وبحراسة خمسة من العبيد الأشداء ، ورسالة توصية بهم إلى ذلك الملك

وقد قلد السادة ملكهم ، فأرسل الوزير أحمد ابنه الصغير ليث إلى مدينة مجاورة لدى ابن عم له هناك ، وكذلك فعل قائد الجيش القوي ربيع بأن أرسل ابنه الصغير قيس واخوته الصغار ذكورا وإناثا إلى مدينة الظاهر لقرابة بعيدة بينهم ، وأمر الملك الناس أن يصعدوا نساءهم وضعفاءهم إلى أعالي الجبال حتى ينجلي الموقف بعد المعركة الحاسمة المقبلة ، فصعدت أعداد كثيرة من الناس إلى الكهوف ينتظرون مصير البلاد ، وحذرا من

الوقوع في ذل الأسر .

ولما حان وقت الخروج لصد العدو بعد ذلك الحصار الطويل ، خرج الملك شامة بنفسه وحوله وزيره وقائد جيشه والأمراء وبين أيديهم أولادهم الفرسان ، واصطف الجيشان أمام أسوار المدينة ، ودارت رحى المعركة بين جيوش الدب المحاصرة منذ شهور وجيش الملك الضبع ملك بلاد العقرب ، وبعد أيام من العراك الشرس ، أدرك الملك شامة قوة خصمه وكثرة عدد جيشه فتشاور مع الوزير والقادة على طلب الصلح مع هؤلاء الغزاة مرة أخرى ، فأرسل رسولا عاقلا يعرض الصلح على الملك الغازي ، فرضي الملك الضبع بالصلح على أن يسلموا له المدينة تسليما كاملا مع الخضوع التام لملكه وحكمه ، وأعلمهم أن المال لا يكفي لفك الحصار وإنهاء القتال .

فتجدد القتال بين الطرفين ، وخاضت جيوش الملك شامة معركة حامية الوطيس ، قتل فيها الملك وولداه الأمير شبرو والأمير ماجد ووزيره وقائده وكثير من أبناء اخوة الملك والأمراء والجيش ، وجرت مذبحة للأسرى ، واستسلم أهل المدينة ، ودخل الغزاة مدينة الدب ، وعاثوا فيها فسادا وقتلا وتدميرا ، وأباحها الملك الضبع لجنوده ثلاثة أيام كاملات ، فجرى فيها القتل والنهب والسلب ، وما نجا من الموت إلا كل طويل العمر .

فكانت حدثا تناقله الركبان بين المدن والعمران ، ولما علم الهاربون في أعالي الجبال والحامية الصغيرة ما حل بمدينتهم من دمار وهلاك تفرقوا أيدي سبأ ، وهربوا خوفا من بطش الأعداء الغزاة ، وهكذا ماتت مدينة الملك شامة ، وتشرد الناس أمام هؤلاء الغزاة والملك المخيف الضبع



ثم مكث الغزاة فيها حينا ، وغادرها الضبع فرحا بنصره ، وترك عليها حامية من جنده قوامها ألف فارس ، على رأسهم فارس يسمى الغضبان ، وأمر هذا الحاكم برفع العذاب عن الأهالي والسماح بعودة الهاربين ، فعاد الضعفاء والفقراء والأرامل والأيتام ، وأصبحت بلاد الدب تابعة لمملكة الضبع الذي تحرك غازيا لبلد آخر يضمه لمملكته الكبيرة .

ومما هو جدير بالذكر هنا وفي هذا المقام أيها القارئ العزيز ، أن قافلة الأمير سليل وحريف ابنا الملك شامة المقتول تعرضت لعصابة من قطاع الطرق عندما ابتعدت عن جبل مدينة الدب ، وهي في طريقها كما تعلمون إلى بلاد الملك الجفال ، وجرى الحادث في ظلام الليل الدامس ، فهرب العبيد الحراس ، وتمكن أحد الخصيان بالهرب بالأمير

سليل ، واختفى به في كهف في ذلك الوادي ، ونجا به من رجال العصابة الشريرة ، ثم تابع المسير به إلى بلاد الريح .

ووقع الأمير حريف وأخته الأميرة حظوظ في أسر العصابة ، وباعوهم رقيقا في بلد أمامهم ، وهي مدينة الشرق وسيأتي لها ذكر ، وكان حريف عندما سبي ذا سنوات ثلاث وتكبره حظوظ بسنة واحدة ، وأما الأمير الذي نجا فعمره ست سنوات .

ولما حلت الهزيمة الساحقة بجيش الملك شامة تابع الهاربون من أسرته ـ الملكة الأم جملة بنت يوسف وابنتي الملك قسمة وجميلة وأخوات الملكة وأخوات الملك ونساء الأسرة الحاكمة ـ المسير نحو بلاد الملك الجفال صديق الملك شامة ، ولما وصلوها كانت كارثة ضياع الأمراء أمامهم فازداد نحيب الأم الثكلى ، ولقد قام الملك الجفال ونساؤه بتخفيف المصاب عنهم بحسن الكلام والأمل ، وأن الأيام دول ، والظلم مرتعه وخيم ، والصبر مفتاح الفرج ، ومنحهم قصرا واسعا يسكنون فيه ، وكذلك أعطى ومنح كل من لجأ إلى بلاده من أهل مدينة الدب ، وواسهم بالمال والطعام والإحسان والمساكن ، فلما جاءتهم أخبار خروج الضبع من بلادهم بدأوا يعودون رويدا رويدا إلى ديارهم ومنازلهم . وأرسلت الأم الخصي الذي نجا بسليل يبحث عن ولديها المفقودين في المكان الذي فقدوهما فيه وحوله من المدن ، فغاب حينا من الوقت ثم عاد من غير شيء ، فأقسمت الأم الثكلى أمام العائلة أن تنتقم لزوجها وأبنائها القتلى ، وأن تسترد ملك زوجها ، وطلبت من الملك الجفال أن يهتم بولدها سليل ، ويعلمه مع أولاده ليوم الثأر والانتقام من قاتل أبيه الملك الضبع .

فلندع الآن الأمير سليل يتدرب في بلاد الريح ويستعد للعودة لدياره ، هو وأبناء أعمامه وأخواله للثأر من الغزاة واسترداد كرامة الآباء والأجداد ، ثم نتابع ما حدث للأمير حريف ، وهو بطل من أبطال القصة ، فقد باعته العصابة لتاجر من التجار الكبار في بلدة الشرق ؛ ولكنه مات بعد سنوات قليلة فورثه أقرباء التاجر ، فباعوه لامرأة مكث لديها سنوات ، ثم وهبته غلاما لابنها داود من زوجها الأول وسيأتي لهم ذكر بـأذن الله عزّ وجل.

وأما الأميرة حظوظ فقد ابتاعتها امرأة ، ثم باعتها بعد خمس سنوات لأميرة من أميرات البلاد فعاشت جارية في قصر الأميرة تخدم الأميرة ، وقد حاولت خلال هذه المدة أن تصل لأخيها حريف الذي افترق عنها في تلك المدينة ؛ ولكن جهدها المتواضع لم يسفر عن شيء يذكر ، ثم تزوجت مولاتها الأميرة من أمير في مدينة اللؤلؤ ، وأخذت حظوظا معها إلى القصر الجديد ، فضعف الأمل بلقاء حريف ، فلنتركها هي الأخرى الآن في قصر

الأميرة رشاء جارية تخدم سيدتها بإخلاص ؛ ولكن ذكرى الماضي ما فارقت خيالها ، وما زالت ترتسم على محياها الجميل .



ابن الخباز

نتقدم بك أيها القارئ الكريم إلى المدينة المأسورة بعد ما يقارب عشر سنوات على الأحداث التي بدأنا بها هذه الحكاية ، وهي سقوط مدينة الدب بأيدي الغزاة الذين يتزعمهم الملك الضبع الكبير ،صاحب السطوة والقوة الملك الغازي الذي لا يحب إلا الغزو وتدمير البلاد والعباد وإهلاك الزرع والحرث والنسل ، وتذكرون أن هذا الجبار أحد جبابرة الأرض قد ترك حامية من ألف محارب ، يسكنون قلعة الحكم وقصر الملك شامة ، وعلى رأسهم الغضبان ، ويحكمون الناس ، ويجمعون للضبع كل عام خراجا مقداره خمسة آلاف قطعة ذهبية ، فكانت المدينة تعيش في ضنك وتعسف تحزن عليه الحجارة ؛ ولكن هؤلاء العتاة والقساة القلوب الجباة فقلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، فهذه القسوة وسوء الأخلاق كانت تثير الناس وتستفزهم ، فيثورون على الجنود بين الحين والآخر ، فيقوم الجند بسفك دم بعض الناس من غير شفقة ، ولا عطف، ولا رحمة ، واستمر الحال على هذه الصورة حتى كانت حادثة الخباز مجدو الساحر .

لقد كان مجدو الساحر يعمل في فرن له مجاورا قلعة الحكم ، وهو خباز معروف في المدينة منذ أيام الملك شامة المقتول ، وبعد هزيمة الملك اختفى هذا الخباز في الجبال كما فعل أكثر الناس حتى هدأت الأحوال ، وأخذ الهاربون بالرجوع لبيوتهم وأعمالهم ، فعاد الخباز للمدينة وباشر عمله من جديد في فرنه ، وبسبب قرب الفرن من قصر الحامية كانت له علاقات حسنة مع رجال الحامية ، فيأخذون من عنده الخبز ، فيدفعون الثمن أحيانا وأحيانا كثيرة لا يدفعون ثمن خبزهم ، ومع ذلك كان يمدهم بالخبز الساخن ، ويدفع لهم ما يستحق عليه من الإتاوة لملكهم الضبع ولهم ، ولقد كان لهذا الخباز ولد وحيد اسمه جبل ، فكان جبل عندما رجع أبوه إلى المدينة المهزومة صبيا ذا عشر سنوات ، وكان صبيا نشيطا وذا بنية قوية مع فطنة وذكاء ملموس فكان مجدو الخباز يرسله بالخبز إلى رجال الحامية صباحا ومساء ، فتعمقت علاقة الغلام بالفرسان داخل القلعة ، واعجبوا بخفة حركته وذكائه ونشاطه وسرعة تنفيذه للأعمال التي يكلفونه بها .

واهتم بجبل أحد قادة الحامية ، فأخذ يعلمه

السيف وركوب الخيل ، فوجد منه ذلك القائد حماسا وحبا للفروسية ، وكان يطمع هذا القائد بأن يجعله هو وعدد آخرون من الصبية من رجال الحامية عندما يكبرون ويصبحون رجالا ؛ لتعويض أي نقص في رجال الحامية نتيجة موت أو اغتيال بعضهم ، وقد حدث خلال السنوات الماضيات انقسام رجال الحامية إلى حزبين ، فكان من أثر هذه الانقسام المزيد من العذاب والسخط على سكان المدينة ، فكل جماعة تحاول أن تجمع أكبر قدر من الأموال ؛ لتثبت للضبع أنها الأحق باستلام قيادة الحامية ، فكل صراع يحدث داخل القلعة يترك أثره على الناس والشعب الضعيف إلى أن غضب الغضبان حاكم الحامية وحزبه على الحزب الآخر الذين من ضمنهم القائد الذي ضم جبلا وبعضا من شباب المدينة لجنده الخاص الذين جندهم جبل للعمل في خدمة هذا القائد .

وفي الفتنة الأخيرة تجاوز جبل العشرين من العمر ، وحبس الغضبان قادة الحزب الآخر ، واعتقل ناسا من سكان المدينة ، منهم الخباز مجدو لعلاقته القوية مع الحزب الآخر ، وفي ساعة غضب وسكر أمر القائد الغضبان بالفتك بخصومه ، والخباز معهم ، ومن أوقعهم نصيبهم في قبضته تلك الأيام العصيبة ، وقتل أيضا خصمه القائد ، فاشتد غضب الناس لهذه المذبحة الرهيبة الظالمة ، وشكوا أمرهم للملك الضبع الذي أيد الغضبان ،وأرسل إليه مددا يدعمون ملكه وجبروته فازداد طغيانا وإثما .

وفي أثناء حملة التصفية والصراع الأخير بين رجال الحامية ومن يلوذ بهم من أهل المدينة كان الشاب جبلا خارج المدينة ، ووصل إليه الخبر بقتل أبيه فصعق لهول الأمر ، وكان برفقته شابان من سنه وجيله ، أولهما شاب قد تدرب مع جبل في داخل الحامية ينادى هزبر ، ولقد كان والده فلاحا ذا أطيان قتل يوم دخول الملك الضبع بلاد الدب ، وأما الآخر فهو ثعلبون وهذا ابن جندي استسلم يوم المعركة التي مر ذكرها فقتلوه بعد الأسر ، فهؤلاء الثلاثة أصدقاء طفولة ، ثم أصبحوا أصدقاء في ظل رجال الحامية ، فتعلموا المبارزة والفروسية في قلعة الغضبان الحاكم

فلما جرت حادثة مقتل الخباز مجدو الساحر ،كان جبل ورفيقاه في الصيد بين السهول والصحارى ،فلما نقل إليه الخبر المفجع أثناء عودته للمدينة لم يدخلها ، وأقسم أمام صديقيه هزبر وثعلبون بالانتقام من الغضبان بل من كل رجال الحامية وطردهم من المدينة ، فعاهده صديقاه على الوقوف معه في هذا الأمر والتعاون معه لحقدهم الدفين على هؤلاء الجنود الغاصبين .

واتخذوا وكرا في الجبال المحيطة بالمدينة من جهة

الشرق الجبل العملاق ، ونشطوا في تجنيد الشباب الحاقد الناقم لمقتل أب أو أم أو أخ أو ابن أو عزيز عليه ، وقام الفرسان الثلاثة بتدريب هؤلاء الشباب خفية عن عيون وجواسيس الحامية ، وقد وضح الهدف أمام أعينهم ، وهو تحرير المدينة من الغزاة والثأر من الظالمين ، وما كاد ينصرم العام حتى كان بين يدي الفرسان الثلاثة ما يزيد عن مائة ثائر متمرنون على القتال ، فاتفقوا بينهم البدء بالانتقام ، واتفقوا على خطف أحد رجال الحامية الأقوياء لبث الرعب في قلب الغضبان وأعوانه ، فوقع الاختيار على خطف الزعيم جحدر أحد نواب الغضبان الأربعة في أيام غيابه أو ذهابه للقاء الملك الضبع ، وكان الرئيس جحدر يسكن في منزل خارج قصر الحامية ، فهذا أحد الدوافع القوية للبدء به في حملة طرد الغزاة ، وفي ليلة ماطرة أعد الكمين ، فتسلل جبل وبعض الفرسان ليلا إلى المدينة منحدرين من أعلى الجبل ، وكان من عادة جحدر هذا الانصراف من القلعة بعد منتصف الليل ، ومعه عدد قليل من حرسه ، وقبل أن يصل إلى منزله كالمعتاد أحاط به الكمين وأردوا حرسه بين قتيل وجريح ، وتم خطف الرئيس جحدر بسرعة ، ونقل على متن دابة إلى منزل في المدينة أعد لهذه الضربة القوية ، وألقي فيه مكبلا بالحبال ، وقد كان جحدر من أشد الناس قساوة على العباد ، ولا رحمة تجدها في قلبه ، وهو رجل الغضبان القوي ولما علم الغضبان من الجرحى بخطف نائبه جحدر غضب غضبا لا مثيل له ، وأمر رئيس الشرطة بالبحث عنه وعن الخاطفين فورا ، فوجده الرئيس بعد أيام مقتولا ، فانزعج الغضبان واشتد حقده وغضبه لمقتل رجله جحدر ؛ ولكنه لم يكد يضع خطة الانتقام حتى جاءه خبر صاعق آخر يفيد بأن رئيس شرطته هو الآخر رحل إلى العالم الثاني ، فأصدر الغضبان أمرا بقتل عدد من السجناء تنفيسا لغضبه وتدمير الحي الذي وجدت به جثة كل من جحدر ورئيس شرطته لقذف الرعب في نفوس الأهالي .

ورد الناقم الثائر جبل ورفاقه باقتناص المزيد من جنود الحامية ، فاستشاط الغضبان جنونا وسفكا للدم الحرام ، وقد تفاعل الناس مع هذه الأحداث المنظمة مع شدة ما يلقون من اضطهاد وعذاب نتيجة تلك الأحداث ؛ ولكن كان الموت في نظرهم تلك الأيام العصيبة خيرا من الحياة بذلة وهوان ، فأمام الحرب المعلنة على رجال الحامية ، أرسل الغضبان يخبر مولاه الضبع بما يجري في البلاد ، فأرسل الملك الضبع قائدا جديدا للحامية اسمه مرعب ؛ ليستلم السلطة في القلعة ، ومعه كتاب عزل الغضبان والأمر بعودته إلى مدينة العقرب الأحمر ولقطت عيون جبل الخبر ، فوضع

الفارس جبل كمينا جريئا للقائد الجديد مرعب وحاشيته قبل وصولهم للمدينة وقتلوهم قتلا ذريعا ، فكبر الخوف في قلب الغضبان وزاد هيجانه وفتكه بالناس ، ولما علم الملك الضبع بالمصيبة الأخيرة بعث قائدا آخر ، واقتيد الغضبان إلى سيده مكبلا بالحديد والقيود هو وأعوانه متهما باغتيال وتصفية القائد مرعب والتقصير في السيطرة على المدينة ، فطرح في السجن حتى ينظر في شأنه .

وقد حاول القائد الجديد المسمى النمر الأبيض رفع المظالم عن السكان وتخفيف الضرائب عنهم ، وأظهر لهم حبه للعدل ، فعفا عن عدد من الناس المساجين ؛ ولكن هذا الأمر والتزييف لم يطل ، فما كاد يتعرض أحد أخصائه للموت حتى كشر عن أنيابه وعاد لأصله وما ربيّ عليه من الظلم وسفك الأرواح والدم ، فصار يحبس الناس على التهمة والشبهة بالانتماء لعصابات الجبل .

وبدأ الصراع الحاد يشتد بين رجال الجبل الذين كانوا يزيدون مع كل ضربة لعدوهم ومع كل طغيان يرتكبه الغزاة وبين رجال الحامية ، فأصبح تحت قيادة جبل وهزبر وثعلبون ما يقارب من خمسمائة فارس يرغبون بالثأر والموت لرفع الظلم والذل والهوان عن المدينة ، وقد صار لجبل عيون أكثر يعملون في المدينة ، وحتى في نفس القلعة الغاصة بالجند ، وجعل جبل لكل خمسين رجلا من رجاله قائدا ، وتشاور الفارس المشهور في ذلك الحين بابن الخباز مع قادة الفرسان العشرة ورفيقيه هزبر وثعلبون ، فاقترح بعض المتحمسين بعمل هجوم مفاجئ على القلعة وطرد الحامية ، ولكن كثرة جنود الحامية منعتهم من التفكير في مثل هذا الاحتمال ، وكذلك شبح عودة الملك الضبع للمدينة مرة أخرى ، فهم لا يستطيعون محاربة الضبع وجنوده الجرارة في الوقت الحاضر ، فوضع جبل خطة بأن يرحل عدد من الرجال الأذكياء إلى بلاد الضبع ، ويرسلون لهم أخبار وتحركات الملك الضبع ومحاولة التخلص منه إذا أمكنهم ذلك ، فاختار جبل عشرة منهم وعلى رأسهم الفارس هزبر ، ومن ضمنهم شاب له معرفة واهتمام وعناية بالحمام الزاجل ، فأخذوا معهم عددا منه لبلاد العقرب ، وأمرهم جبل بالدخول إليها على ثلاث دفعات ، وانطلقت عيون جبل إلى بلاد العقرب الأحمر ، واستمر ابن الخباز باصطياد وتصيد رجال الحامية فردا فردا واثنين اثنين حسب ما تأتيه رسائل جواسيسه ، وذاك النمر الأبيض يزداد إجراما في الناس ، ثم أغار جبل ليلة على حراس الحامية وسقط في تلك الغارة عدد كبير من رجال النمر الأبيض مما دعاه إلى طلب المزيد من الفرسان من سيده الضبع ، وكانت جواسيس الملك الضبع

في الحامية أيضا تنقل له أخبار الحامية والمدينة والرعب الذي سيطر على الجنود ، ولم يعد أحدهم يخرج وحده من القلعة ليلا أو نهارا خوفا من رجال ابن الخباز أو حتى من غدر الأهالي .

ولما اطلع الضبع على هذه الأحوال فعقد مجلس حرب ، وتقرر على أثره إرسال حملة قوية لمطاردة رجال الجبل وإعادة الهيبة لسلطة الحامية ، وسحق كرامة الناس في مدينة الدب القطبي فأمر بتجهيز ثلاثة آلاف فارس أهل لمطاردة الجيوش في الجبال والوديان للقضاء التام على الفارس جبل وأتباعه ، الفارس الذي قض مضجع الملك الضبع تلك الأيام ، وتولى قيادة الحملة رجل قوي شرس من رجال الضبع المشهورين بالحرق والتدمير ، فكان القائد الجديد لهذه الحملة ، هو الأمير ظالم وهو ابن أخ الملك الضبع ، وهو اسم على مسمى كما يقولون ، فتجهزت الحملة خلال أيام ، وكان هزبر ورفاقه قد بعثوا رسالة بواسطة الحمام الزاجل الذي يمتاز بالحفظ للاماكن التي ربيّ فيها ، وفي نفس الوقت أرسلوا رجلا منهم يخبرهم بأمر الحملة وينصحهم هزبر بإخلاء الجبل خوفا من بطش الأمير ظالم لكثرة الجنود المصاحبين له ، ويعلمهم أنهم لا يستطيعون الغدر بالملك الضبع وصعوبة الوصول إلى قصـره الذي يقع في قلعته المرعبة .

ووصل الرسول بعد وصول الحمامة ، فسر القوم من الحمامة ، وسمعوا رسالة الرسول ، فطلب جبل من رجاله على الفور بإخلاء الجبل والابتعاد عنه فترة من الوقت ، فهم لا يستطيعون محاربة جيش مرة واحدة لقلة عددهم وضعف تدريبهم لملاقاة الجيوش ، وقد حاول البعض الاعتراض فبين لهم جبل أن الهرب المؤقت في مثل هذه الأحوال خير من المواجهة ، ثم يعودون للكر من جديد ، فأطاع الفرسان أميرهم ابن الخباز ، وتفرقوا إلى جبال أخرى ومدن مجاورة وإن ظلوا على اتصال مع بعضهم بعضا حتى يروا ما يفعله القائد ظالم .



فلما اقترب الأمير ظالم من مدينة الدب خرج النمر الأبيض مرحبا ، وشكى له قلة الفرسان وقوة المتمردين الثائرين فرد عليه ظالم باحتقار : أيها الفارس .. أنت رعديد جبان .. ثلة من الأطفال يقودهم ابن خباز .. طفل ربيتموه وصنعتوه في القلعة يفعل بكم هذه الأفاعيل ! .. لقد نسيت واجباتك واشتغلت باللهو والحفلات .. ماذا أقول ؟! ابن خباز ابن عجان ! .. صبي سخر منكم ..وأزعج ملكم .. وتعجزون عن حماية أنفسكم .. ويحكم !.

فاحمر وجه النمر غضبا وقال : أيها الأمير أنت تعرف من هو النمر الأبيض ؟ .. لقد خبرتني في

معارك هائلة .. إنهم يكرون علينا في جنح الظلام .. وليس مواجهة فيلق بفيلق .. إن سلاحهم الغدر والاحتيال والغيلة .



ـ هذا ما هو عذر .. أيها الجبان .. أين جواسيسك ؟ أين المتعاونون معك ؟ أين جلادك ؟ أين رجالك ؟ كان عليك أن تطاردهم في الجبل وتمحقهم عن بكرة أبيهم ولا تبقي منهم أحدا .. ودخل ظالم المدينة هائجا ، وعاث جنوده فيها فسادا وفتنة ، ثم أمر فرسانه باقتحام الجبل ، وقتل كل من يجدونه فيه ، وتنقيب الكهوف كهفا كهفا ، ومكثوا أياما يبحثون وينقبون حتى ملوا ، ولم يقبضوا على إنسان واحد ، فاحتد الظالم غضبا وشماتة على النمر الأبيض ، وأرسل عيونه يبحثون عن ابن الخباز ، ووضع جائزة كبيرة من المال لمن يساعد في الدلالة على أي رجل من رجال الجبل وقضى الجند شهرا في الجبال دون فائدة ترجى فهبطوا للقلعة .

لقاء جبل وقيس

وأما جبل بن مجدو الساحر فانطلق بمائة فارس نحو مدينة الظاهر ، وهي مدينة لا تخضع للملك الضبع ، وتبعد مسيرة عشرة أيام عن بلاد الدب ، وعندما اشرفوا عليها التقوا بمعسكر لجيش وخيام منتشرة في صفحة جبل ، وقرب نبع ماء ، فلما اقتربوا من الماء أحاط بهم فرسان على صهوات جيادهم وهم مشرعو رماحهم ، فطلب جبل الحديث مع رئيسهم ، فمشى أحد الرجال أمامه حتى أوصله للرئيس ؛ فإذا هو شاب من جيله يبدو في العشرين من عمره ، فذكر له جبل نفسه وبعضا من قصته مع الملك الضبع الغاصب لبلاد الدب ، فعانقه الشاب ورحب به ترحيبا كبيرا ، وذكر له أن اسمه قيس بن ربيع ، وهو من بلاد الدب ، وسره الاجتماع به ، وأمر قيس عشيرته وإخوانه بحسن استقبال رجال الفارس ، ثم أعلمه بعدما دخل به خيمته الكبيرة المنصوبة وسط الخيام أن والده كان من قادة الملك شامة بن غلان المقتول ظلما وعدوانا قبل أكثر من عشر سنوات ، وهؤلاء الناس والفرسان كلهم قبيلته التي كانت تقاتل مع الملك شامة الملك الضبع ، وقتل منهم من قتل ، ومن ضمنهم والده القائد ربيع ، وهم ينزلون بجوار ملك وصاحب بلاد الظاهر ، وهم يستعدون للكرة على الملك الضبع وتحين الفرصة المناسبة للثأر لإبائهم وأجدادهم ، وأبدى الأمير قيس وشيوخ عشيرته سرورهم بجبل وفرسانه وأخبارهم ، وعجبوا من أفعالهم في أعوان الملك الغاصب ، وفي النهاية قال قيس بن ربيع : هل يا

ترى يطاردونكم أيها البطل ؟!

قال جبل : ليس ذلك مؤكدا ، ولنا رجال في المدينة ، وحتى لنا أعوان في عاصمة ملك الضبع نفسه .

قال قيس : مرحبا بك أيها الفارس ! واعلم أنه لنا أكثر من عشر سنوات نحشد الرجال والشبان والفرسان ، ونحن في انتظار مجيء الأمير سليل بن شامة من بلاد الريح ، وننتظر فرصة تلوح في الأفق يضعف فيها الضبع ، ونكر على المدينة الجريحة ، ونحررها من رجال الطاغية .. فحياكم الله .

وبعدما أكرم الأمير قيس جبلا ورجاله بطعام لذيذ ، اقترح عليه قيس أن يضم رجاله لرجال قبيلته ، فقال جبل : يشرفني ذلك أيها الأمير .. وهدفنا واحد .. ولكن كما يبدو لي أن أمركم طويل ، وتنتظرون الأحداث الكبار ، وأنا ورجالي سنستمر في مقارعة حامية الضبع وجنوده حتى يقضي الله أمرا مفعولا ..وعندما تجهزون للهجوم الشامل فسوف أكون أنا ورجالي بين أيديكم .

فشكره الأمير قيس ثم قال : افعلوا ما شئتم أيها الفرسان .. وابقوا على اتصال معنا

ـ أكيد .. سأفعل هذا يا سيدي الأمير !.. فنحن أبناء وأهل وطن واحد .

لما قتل القائد ربيع ، وهرب الناس والجنود ومن نجا من المعركة الكبيرة الفاصلة للدفاع عن ثرى المدينة ، كان ممن هرب الأمير قيس الصغير مع أمه واخوته الصغار وشيوخ العشيرة والمرضى والنساء والأطفال ، واستقر بهم المقام عند صاحب مدينة الظاهر الذي رحب بهم وواسهم وأسكنهم في طرف المدينة ، ولحق بهم الناجون من قبيلة القائد ربيع ، فاجتمع في المكان الرجال والنساء والجرحى والكبار ثم التئم شمل العشيرة من جديد ، ومع الأيام خفت حدة حقدهم على الضبع وتناسوا قتلاهم وسلموا الأمر لله ، وكانوا يفرحون عند سماعهم بفشل للضبع أو جيشه ، ويحزنون عندما يسمعون بانتصار جديد له على ملك من ملوك الدنيا ، وقد نصبت العشيرة قيسا الشاب سيدا وشيخا للقبيلة ، ولهم أكثر من عشر سنوات يعدون الفرسان والرجال ليوم الثأر ومسح العار ، وهم على اتصال دائم مع الملكة الأم جملة بنت يوسف بل خطب الأمير قيس جميلة بنت شامة .. ، وينتظرون فرصة مناسبة لعقد النكاح والزواج ، وذلك عن موافقة ورضا الأمير سليل الوارث لملك شامة .

وجاءت الأخبار للفارس ابن مجدو بأن الأمير ظالم يستعد لمطاردتهم بعد أن اقتحم رجاله الجبل ومكثوا فيه شهرا من غير فائدة ، واتفق ظالم مع رؤساء جنده على مطاردتهم في كل الدنيا .. ولما علم جبل ذلك الخبر أرسل وراء رجاله للعودة

خفية إلى الجبل قبل أن يبدأ ظالم بمطاردتهم ، وفي الجبل العملاق اجتمع جبل برجاله وقال لهم : سنصنع كمينا مدمرا لظالم وفرسانه ، ونجعل الجبل ملحمة خالدة .

وصعد الفرسان القابعون في المدينة سرا إلى الجبل ، وملأ رجال جبل الجبل ، وأبلغ جبل رجاله أنهم إذا سمحوا لظالم بمطاردتهم هنا وهناك ، فسيكون هذا خطرا كبيرا على فنائهم ، ويصبحون تحت رحمة الملوك الذين يلجئون لبلادهم ، وقد يقعون في حماية بلد يخضع للملك الضبع ، فعليهم بقتال العدو قتال المستميت ، وذهل الجميع أمام الحقيقة التي وضعهم تحتها الفارس ، فما كان أمامهم إلا القتال حتى الموت ، ولم يطل الانتظار فقد أصدر الأمير ظالم أمرا للنمر الأبيض بأن يقود ألفين من الفرسان والجنود في حملة مطاردة في المدن والقرى المجاورة لتلك الجبال العملاقة ، وبدأت الحملة تصعد منحدرات الجبال العالية ، فلما دخلت الحملة أحد الوديان العميقة والضيقة تدحرجت عليها الحجارة الضخمة حينا من الوقت ، ثم هجم عليهم فرسان الجبل ، فدارت معركة رهيبة يشيب لها الولدان ، قتل فيها النمر الأبيض ومن معه قتلا ذريعا ، ولم يبق منهم أحد ، وغنم جبل خيلا وبغالا وطعاما وسيوفا ورماحا وأموالا كثيرة .

ولما علم ظالم بالكارثة جن جنونه ، وقتل من حرسه خمسة من شدة غضبه وثوران قلبه ، وهو يصيح بأعلى صوته : ويلكم !.. ويلكم ..! ألم تخبروني أنهم فارقوا الجبل وهربوا ؟؟ ولد جبان ابن خباز يصنع بكم هذه الأعاجيب .. ألا لعنة الله عليك يا غضبان لماذا قتلت ذلك الخباز ؟!

وأمر بتحرك الجند نحو الجبل ، وكانت معركة أخرى في الوديان ، وفشلوا أمام تساقط الحجارة وهربوا بعدما فقدوا عددا آخر منهم ، فمرض الأمير ظالم ، وفقد صوابه من شدة الفشل ، وصمم أن يخرج بنفسه للقاء هؤلاء الفتيان ، وكان من نتيجة هذه الانتصارات الساحقة على جنود الضبع أن لحق كثير من شباب المدينة بجبل وفرسانه ، فقد بهرتهم شجاعته وزال عنهم اليأس والتردد في مقارعة ومقاومة الحامية الظالمة .

وبينما الأمير ظالم يجهز حملة جديدة ليقودها بنفسه للانتقام ورد الاعتبار ، جاءته رسالة عاجلة من الملك الضبع يأمره بإخلاء المدينة والعودة للبلاد ، فهم يتعرضون لغزو من الملك جبرون عدوهم العنيد حاكم بلاد التين ، فجن جنون ظالم ، وترك حامية من بقايا الجند الذين جاء بهم

وعلى رأسهم قائده جمرة وانصرف عائدا لملكه .

ولما سمع جبل بهذه الأخبار وتأكدت له ، وليس في الأمر خدعة ، ثم جاءته رسالة بالحمام الزاجل تبين له دوافع انسحاب ظالم ، فتحرك بسرعة

مهاجما القلعة ومستغلا الفرصة لطرد الحامية ، وبعد حصار يسير من رجال الجبل والأهالي استسلمت الحامية لجبل ، وتركوا أموالهم وسلاحهم ، وحجز جبل بعضهم رهائن في سجن القلعة ، وأذن للآخرين بالرحيل لملكهم سالمين ، وأعلن الناس والفرسان جبلا زعيما وحاكما وقائدا للمدينة وأميرا للبلاد ، ولقد أصبح ابن الخباز سيد بلاد الدب القطبي ، وأرسل جبل وراء صديقه هزبر وجعله وزيرا له ، وعين ثعلبون قائدا للجيش الناشئ والحرس ، وحث الناس على إعادة ترميم الأسوار والأبراج بأعلى سرعة قبل عودة جيوش الضبع ، وجند جبل كل الشباب ، وامتلأت المدينة بمعسكرات للتدريب ، فأمست مدينة الدب مدينة حرب .

ولما رجعت جيوش الضبع مهزومة من مدينة الدب ، غضب وثار الملك الضبع على ابن أخيه ظالم ، وألقى به في السجن مع الغضبان حتى تنتهي الحرب بينه وبين الملك جبرون والجيش الذي يحاصر بلادهم ، وبعد معارك شديدة خاضها الفريقان ، وقد استمرت بضعة أشهر تم الاتفاق بين الطرفين على إنهاء الحرب ردحا من الزمن ، فعاد الجيش الغازي بهدنة مؤقتة ، ورجع الضبع لقصره فعزل وولى وقتل وحبس .

رحيل الفارس

هدأت الحروب قليلا وارتاحت النفوس ، وسكن الضبع قليلا ثم أحضر ظالما بين يديه ، وقام بصفعه وبصق على وجهه ووبخه واحتقره ، وهو يصرخ ويسب عليه ثم قال : ثلة من الصبيان



يجعلوننا أضحوكة أمام ملوك الأرض .. أطفال يصنعون برجالك ما صنعوا وأنت القائد العظيم .. فارس بلاد العقرب .. ماذا أقول لك ؟!

وكان الضبع يتكلم هذا الكلام بصراخ وغضب ، وكان ظالم يتذكر نفسه وهو يتلقى هذه الكلمات المهينة ما قاله لقائد الحامية النمر الأبيض المقتول ، وكانت عيناه مثل النار ، فصاح في عمه من القهر والغيظ قائلا : مولاي الملك .. دعني واصفح عني ولسوف اسحقهم سحقا وأطاردهم جميعا ولو وصلوا بلاد الريح .. اعطني فرصة أخيرة .. ولسوف ترى ما يفعل ابن أخيك ؟

ـ حسنا أيها القائد الجبان .. سأجهزك بألفي رجل فقط ، وأريد منك أن تحرق مدينة الدب حرقا لا أريد أن أسمع باسمها ثانية .. اقتل الرجال ..

اسبِ النساء .. وأن تأتيني فوق ذلك بابن صانع الخبز حيا .. أريده حيا .. أتسمعني .. حيا يا ظالم ؟ .

ـ أمرك يا مولاي .

فصاح الملك الغاضب وهو يبصق عليه مرة أخرى : خذ معك ذاك الجبان المسمى الغضبان ، وما هو بغضبان .. إن لم تأتوني بابن الخباز .. لا أريد أن أراكم أحياء ..

ونقل لجبل أخبار هذه الحملة الجديدة على جناح حمامة ، فاتخذ قرارا جريئا وشجاعا ، وهو أن يصنع كمينا لجنود ظالم في الطريق بين المدينتين ، فاختار ألفا من الفرسان ، واتخذ حذره من جواسيس الضبع ، فمنع خروج الناس من المدينة حتى يرجع من الكمين ، وفي موقع مناسب في الطريق بين المدينتين ، وضع جزءاً من فرسانه ، وطلب منهم إخفاء أنفسهم جيدا ، والابتعاد بخيولهم إلى حينما يدخل رجال الضبع الوادي ، ويصبحون في منتصفه ، فيطبقون عليهم من الامام والخلف ، ويحشرونهم بينهم ، وتقدم جبل بنصف الجيش للأعداء منتظرا وصول الخصم ودخل ظالم والغضبان وجنودهما الوادي وهم مطمئنون ، ويتلمظون شوقا لتدمير مدينة الدب والقبض على فارس المدينة ، وتراهم يودون الوصول لمدينة الدب بسرعة الريح ، ولما تقدموا في الوادي تجاه مدينة الدب تبعهم جبل والذين معه ، وسار خلفهم رويدا رويدا ، وقد تبعهم فرسان جبل بحذر شديد ، ولما رأوهم قد اشتبكوا بالفرسان الذين أمامهم هجموا عليهم من الخلف ، ودارت ملحمة أخرى ، وسقط القتلى والجرحى ولم ينج من رجال الضبع إلا من استسلم ، ووقع ظالم والغضبان أسرى ، واقتيد الأسرى للمدينة أذلاء مهانين ، وعلى مرأى من أعين سكان المدينة استل الفارس جبل سيفه ، واجتز به رأس الغضبان قاتل الخباز مجدو ، وقام ثعلبون بقطع رأس الأمير ظالم ، وأمر الأمير جبل بتعليق جثتيهما ليراهما الناس ، فهم لا يزالون يذكرون جرائم الغضبان وأفعاله القبيحة مع السكان ، وازداد حب الناس للأمير جبل والفرسان .

ولما علم الضبع بالكارثة الأخيرة هم أن يخرج بنفسه لقتال الفارس جبل وفرسانه ، ولكن خشي من أعدائه أن يستغلون فرصة غيابه وخروجه ، ويطول الحصار فيهاجمون مدينته ، فهو لم يترك ملكا قريبا منه إلا أساء إليه ، فقال لوزيره شمروك : أيها الوزير ما العمل بهذا اللعين ؟ لقد استقوى على فرساننا وقتل ابن أخي والغضبان والنمر الأبيض وقبلهم مرعب وجحدر ؟

فكر الوزير قليلا وقال : أيها الملك .. لابد من قتله وسفك دمه وجعله عبرة للناس وعبرة لمن اعتبر ؛

فإن هيبتنا ضعفت وأهينت منذ تصالحنا مع الملك جبرون ، وظهور هذا الفتى في الميدان ونحن اليوم نعاني من شدة ، فأرى يا سيدي الملك أن تجهز جيشا كبيرا لتدمير بلاد الأمير جبل عن بكرة أبيها

ـ ألا تخشى على بلادنا من الأعداء المتربصين ؟

فرد الوزير على تردد الملك فقال : يذهب نصف الجيش ، ولا أتصور أحدا ممن حولنا يفكر بالاعتداء علينا لمعرفتهم بشدة بطشنا وقسوتنا .

ـ حسنا أيها الوزير جهز نفسك لقيادة الحملة .

ـ أمرك يا مولاي .. ولكن أريد قبل أن يعرف الناس بأمر الحملة أن تمنع خروج الناس من المدينة حتى لا يتسرب أمرها لجبل ؛ لهذا فاسمحوا للناس بالدخول فقط حتى أصل لبلاد الدب فلابد أن لهذا الرجل المجنون من أعوان هنا ينقلون له أخبارنا أولا بأول .

فأصدر الملك الضبع في الصباح الباكر أمرا بإغلاق أبواب المدينة كلها ، ولا يؤذن لأحد من الناس بالخروج إلا بكتاب وإذن من الملك نفسه ، وعدم الممانعة بدخول الناس إليها لأمر خطير ولكن خبر الجيش الزاحف علمه جبل عن طريق الحمام الزاجل ، فأظهر امتنانه لهزبر وصاحب الحمام على هذه الطريقة في المراسلات ، وقال لهما : لقد نفعت حماماتكم نفعا مهما فقد جاءت رسالة وفيها خبر حملة كبيرة جديدة بجيش ضخم على بلادنا بقيادة الوزير شمروك بنفسه لحرقنا.

فعقد جبل مجلس حرب لقادته ورؤساء الفرسان والجند ، واتفقوا على أن يطلبوا المساعدة ممن حولهم من الملوك للتصدي لجنود الضبع مع تعزيز الحماية للأبواب والأسوار .



وكان صاحب مدينة الظاهر قد تلقى رسالة من الأمير جبل ينشده المساعدة ، واتصل هو بدوره بالأمير قيس وأطلعه على الحال ، فاجتمع قيس برجال قبيلته وتدارسوا الشأن ، فقال له بعضهم : نحن لا نقاتل تحت راية هذا المغامر .. اخبر الأمير سليلا وأمه الملكة بالأمر ، وحثهم على العودة للبلاد ، فإن وافقوا على العودة للبلاد نعود معهم .

فأرسل الأمير قيس وفدا إليهم ليقص عليهم أخبار المدينة الأخيرة ، وأن البلاد تتعرض لهجوم شرس من الضبع ، والأهالي بقيادة الفارس جبل يدافعون عنها ، ويطلبون المزيد من المحاربين للصمود وصد الغزاة ، وأن رجال العشيرة لا يرغبون بالقتال تحت راية الأمير جبل وأنهم يرغبون بالقتال تحت راية الملك الوارث سليل بن شامة .

تركت الملكة الأم بلاد الريح بلاد الملك الجفال ، هي وابنها الشاب الفارس والفرسان الذين معهم ، وساروا نحو مدينة الظاهر فرحب بهم حاكمها ، واجتمعوا بالأمير قيس ، وتقرر على أثر هذا الاجتماع أن يذهب الأمير ليث بن أحمد ابن الوزير المقتول مع الملك شامة للاجتماع بالأمير جبل وفرسانه والاتفاق معهم على عودة الملك الشرعي لبلاد الدب القطبي ، ومحاربة الملك الضبع تحت الراية الملكية .

فحمل الأمير ليث الرسالة المختومة من الملك سليل التي تؤيد سفارته للفارس جبل ، فوصل للمدينة المحاصرة منذ أيام والتي تقاوم وتقارع فرسان الضبع ببسالة وهمة عالية ، ونقل ليث للأمير جبل ورجاله رغبة الملك سليل بالعودة لبلاده واستلام حكمها ، وبين لهم وذكرهم بأنه هو صاحب الحق في الولاية عليها ، ووراثة عرش آبائه وأجداده ، ودار جدل كبير بين وفد الملك سليل بقيادة الأمير ليث ورجال الأمير جبل ، وقرأ الأمير جبل رسالة الملك سليل التي يبين فيها شكره الجزيل والعظيم للفارس ولكل الثائرين والأمة أيضا ، وأن صنيعهم لا ينسى وأن محاربتهم للملك الضبع لا تنقل ولاية العرش إليهم ، وأنه من حق الملك سليل المطالبة بعرش الآباء والأجداد ، وأعلمهم فيها أن الملك شامة دافع عن البلاد وعن ثراها حتى أصابه الموت ، ولم يفرط بشبر واحد منها ، وأن الملك سليل سوف يكرمهم ، ويعترف بفضلهم ، ويمنحهم الأوسمة ، والمناصب اللائقة بهم وبشجاعتهم ، ولما اطلع القوم على رسالة الملك وما فيها من أفكار وحقائق لا تغيب عن الأذهان ، وأمام هذا الظرف الشديد الحرج ، وخوفا من الانقسام والصراع على ملك مهدد ، قال الأمير جبل منهيا الجدال والنزاع : أيها القوم .. نحن نريد الدفاع عن بلادنا وأرواحنا ودمائنا..وكلنا أبناء هذا البلد .. وأنا لم أثر على الحامية طامعا بملك وتاج فمرحبا بالملك سليل بن شامة وألف مرحب ..الملك على العباد والبلاد والملك شامة هو الملك الشامخ الذي قاتل عن هذا الثرى حتى قتل هو وأولاده شبرو وماجد فمرحبا بالملك سليل ملكا علينا .

ورجع الملك سليل ومن معه من الأهل والأقارب والأصدقاء والهاربين إلى مملكة الآباء إلى المدينة المحاصرة ..واستمر الوزير شمروك محاصرا للمدينة شهورا حتى أرسل الضبع وراءه آمرا له بالعودة على الفور ، فعدوهم جبرون يحشد جيوشه ، ويجمعها لغزو بلاد العقرب والدخول في حرب جديدة ، فارتد الوزير خائبا لبلاده وهو في غيظ شديد .

وفرح الناس باندحار جيش الضبع ، وتم

الاحتفال بالنصر وبتتويج الملك سليل ملكا على بلاد الدب القطبي ، ولقد عم السرور المدينة ، وسر الناس بعودة أبناء الملك شامة والملكة الأم للحكم ، وعين الأمير قيس قائدا للجيش كما كان والده ربيع قائدا للجيش ، وعين الأمير ليث ابن الأمير والوزير أحمد وزيرا للبلاد ، ومنح جبل وفرسانه منازل الفرسان وقادة كتائب وفرق ولما هدأت الأحوال ، واستقرت الأمور تنازل الأمراء الثلاثة جبل وهزبر وثعلبون عن الرتب العالية والألقاب التي أعطيت لهم ، وغادروا البلاد حذرا وخوفا من انقسام الناس والجيش ، وترك هذا القرار ارتياحا لدى الملك ووزيره وقائد جيشه ، وسروا لذلك الفعل مع حبهم للفرسان الثلاثة وتقديرهم لجهودهم الجبارة في الانتصار على الضبع وحاميته .

فللنفوس حظها من الحسد ، وهم يخشون من أنصارهم المتعلقين بهم الفتنة في البلاد ، فلنترك الآن الملك سليلا يحكم بلاد الدب القطبي بالعدل والإنصاف ، ويقوي الجيش للدفاع عن البلاد أمام الغزاة والطامعين والأعداء ، ولم ينس الملك الشاب وصايا جبل ونصائحه بتقوية الأبراج والحراسات حول الأسوار ..وأيضا قبل أن نغادر مع فرساننا الثلاثة مدينة الدب القطبي نقول أن الأمير قيسا تزوج من الأميرة جميلة أخت الملك سليل ، وتزوجت أختها قسمة من الأمير ليث في نهار واحد .

مدينة الشرق

وفي أحد الفنادق كان جبل يطلب من صاحب الفندق حجرة تسع ثلاثة رجال ، ويوصي صاحب الخان على جيادهم الثلاثة التي قادها غلام الفندق إلى الاصطبل المخصص لضيافة الخيول ، وأعد لهم صاحب الخان طعاما في مطبخ الفندق ، ولما أخذ الأكل يستقر في بطونهم وأجوافهم قال هزبر متسألا: ما العمل أيها الأمير ؟!

فقال جبل : أشيرا عليّ أيها الوزير ويا أيها القائد ؟

فارتسم الضحك والتبسم على تلك الوجوه المعفرة بالغبار والعرق ، ثم قال ثعلبون وهو يضع كوب الماء بعدما أفرغه في جوفه : لنا زمن نتنقل من بلد إلى آخر ، فهل سنقضي عمرنا بالسفر والترحال هنا وهناك ؟

فقال هزبر : لا أعتقد أن هذا ما يفكر به الأمير جبل .. المعروف والمشهور بابن الخباز !

وضحك الفارس ثعلبون وهو يردد : لقد أصبح الخباز مجدو مشهورا !

فقال جبل مجيبا : حقا لا أدري !.. لعلنا نمضي العمر في السفر والترحال ، ولكن اعلموا أننا في استراحة ، ولا أظن أيها الفرسان أن الملك الضبع

يستطيع أن يصبر طويلا على عدم غزو بلادنا فلابد أن يعود إليها ، ولابد لنا أن نعود إليها يوما ما .. وكما قلت لكم أيها الأصدقاء الأفاضل نحن لا يحق لنا أن ننازع الملك سليلا ملكه ، أو ننزع الملك من أسرة الملك شامة .. فشامة ملك عادل وشجاع ، وقاتل ودافع عن المدينة حتى الموت ، وكذلك وزيره أحمد وقائده ربيع .. لم يخونوا ولم يفرطوا في البلاد .. فمن أجل هذا التاريخ الناصع لا يحق لنا أن نتسيد على البلد عنوة وقد أخذنا ثأرنا والحمد لله ، أو لنقل بعض ثأرنا من الملك الضبع ، فقد قتلنا الغضبان ورجال الغضبان ، وقتلنا ابن أخ الملك الضبع .. فلا أظن أيها القوم الكرام أن الضبع ينسانا ، ولابد أن نلتقي مرة أخرى .

فقال ثعلبون : إذن علينا بالسياحة في الأرض .

فقال جبل : مؤقتا .. وهذه مدينة الشرق مدينة كبيرة ، كنت وأنا طفل أزورها بصحبة عمي ، وفيها نهر كبير ، فلنسكن فيها ردحا من الزمن ، نتابع منها أخبار بلدنا .. وبعد أيام سيلحق بنا غلامننا الثلاثة ، ويأتون لنا بأخبار المدينة ، ولقد ذكرت لهم اسم هذه المدينة ، واسم هذا الفندق المعروف لكل التجار والمسافرين وسننتظرهم هنا

فقال هزبر : هل سنبقى ونمكث هنا كثيرا أيها الصديق ؟

رد جبل بحيرة : لا أدري ! .. فلنصبر بضعة أيام ، فعندما يعود الغلمان ننتقل لبيت أوسع .. وسأزور صديق عمي وأذكره بنفسي ليساعدنا في استئجار مسكن لنا وللخدم .

سار جبل صباحا إلى السوق الكبير باحثا عن صديق عمه ، فوجده في متجره القديم ، وبين يديه غلمانه ، فعرفه الفارس بنفسه وذكره بعمه ، فتذكره التاجر رمضان ، ورحب بجبل ، ثم ترحم على عم وأب فارسنا الأمير جبل ، وعادت به الذكريات إلى السنوات الخوالي ورحلاته إلى مدينة الدب مع قوافل التجارة ، وقام الرجل باستئجار مسكن واسع للفرسان في قلب المدينة ، واشترى لهم غلاما وجارية هدية منه ؛ لتلك الذكريات ، فأثنى عليه الفارس الثناء الحسن ، وقص عليه بعضا من أخبار مدينة الدب ، وأن الملك سليلا قد عاد ملكا على البلاد ، وقد تحررت من قبضة الملك الضبع بفضل الله ومنه ، ففرح التاجر رمضان بهذه الأخبار ، وقال : الحمد لله على خلاصكم من ذلك الضبع السيء الذكر ، واعلم أنني منذ ضمها الضبع لملكه منذ ما يزيد عن خمس عشرة سنة لم أرحل إليها ولو مرة واحدة .. الحمد لله على فك أسرها .

ـ ولكن ذاك اللعين ما زال طامعا في حكمها وامتلاكها .

فقال التاجر والاسى واضح في نبرات صوته وقسمات وجهه : لقد حزنت كثيرا لموت الملك شامة ، فأنا أعرفه جيدا ، ولسوف أحرك تجارة لمدينتكم ما دام قد انحسر عنها حكم الضبع ..

ثم ودعه قائلا : سيكون بيننا لقاءات أيها البطل جبل بن مجدو .. أنت من الشجعان ! .. فقد سمعنا بعض أخبارك .. والناس تتحدث بما فعل ابن الخباز بجنود الملك الغاصب الضبع ـ أهلكه الله ـ ولكن الذي لم يخطر ببالي أن تكون ابن الخباز مجدو أخ صديقنا .. لقد أكلت من أرغفة أبيك الكثير الكثير .. رحمك الله يا مجدو .. رحمك الله .

وبعد مغادرة التاجر رمضان المسكن المستأجر ، ترك جبل الخادمين وانطلق إلى الفندق ، فوجد صديقيه ينتظرانه على أحر من الجمر ، فلما رأياه سكن روعهما ، فطمئنهما على نفسه ، وتحدث مع صاحب الخان وشكره ، وأعطاه ما استحق له عليهم من مال ووصف له صور غلمانهم الثلاثة ، ثم قال : احبسهم عندك ، وسأمر عليك كل يوم من أجلهما إما صباحا وإما مساء .. أيها الصديق ! فشكره صاحب الخان ، ووعده بالاهتمام بأمر الغلمان ، واعتلى الفرسان ظهور جيادهم ،

وانطلقوا نحو منزلهم في مدينة الشرق ، فسر الفارسان للمسكن الجديد ، وكان همّ الفرسان الثلاثة ما هو الشأن القادم في حياتهم ؟ ورجع الغلمان من مدينة الدب ، وذكروا لهم أن مدينتهم تنعم بالهدوء ، ويعيش الناس في أمان يصاحبه قلق وخوف من المجهول ، وما يدبره لهم الضبع من المكر والكيد ! ومتى تأتي ساعة الانتقام ؟ ..

فلقد كان الضبع في ذلك الوقت ملكا مرعبا ومزعجا لجيرانه ورجلا عدوانيا ، فشبح الضبع ما زال في قلوب وعقول أهل المدينة الكبار الذين عاصروا غزوه للمدينة ، وذكر الغلمان الثلاثة للفرسان الثلاثة أن الملك سليلا يحصن الأسوار ويقويها ، والجيش في تدريب مستمر ، وهم يستعدون لزواج الأميرين قيس وليث من الأميرتين جميلة وقسمة أخوات الملك سليل ، والناس يتحدثون عن ضياع اخوة الملك ، الأمير حريف والأميرة حظوظ منذ سنوات أثناء هربهم ورحليهم لبلاد الريح في آخر أيام الملك شامة ولا يعلم مصيرهم إلا الله ، وذكروا أيضا أن الضبع مازال مشغولا بالملوك حوله ، ولم يتفرغ بعد لمدينة الدب ، فقال هزبر متمنيا على الله الملك الجبار : نرجو أن ينسى هذا الشيطان أمرها للأبد وماذا يقول الناس عنا ؟!

فأجاب أحد الغلمان قائلا : الناس تثني عليكم خيرا كثيرا ، ويلهجون بذكركم وبشجاعتكم ، وهم يتمنون لو ظللتم بينهم للدفاع عن المدينة ، ويجاهر بعضهم عاتبا على الملك الشاب لسماحه

برحيلكم ، وبعضهم الآخر يرى أن هذا التصرف من الحكمة لوحدة الأمة والشعب والتفاف الجميع حول الملك سليل .

قال جبل مخاطبا الغلمان الثلاثة بعد أسابيع من عودتهم : أيها الأبطال .. من منكم سيذهب إلى مدينة الدب ليأتينا بأخبارها ؟.. أخبار قومنا وأهلنا .. فكما تعلمون نحن ابتعدنا عن قومنا خوفا من ضعف الأمة وظهور قيادتين في المدينة .. ونرغب أن نبقى على معرفة تامة ومستمرة بأحوال المدينة حتى نتدخل في الوقت المناسب .. فليذهب أحدكم ويمكث هناك نصف شهر وعندما يعود يذهب الآخر وقتا مثله ، ثم الثالث وهكذا حتى نبقى على اطلاع دائم على أحوال إخواننا حتى يزول خطر الضبع اللعين عن بلدنا.

فرتب الغلمان أدوارهم ، وانطلق صاحب الدور الأول مسافرا لبلاد الدب ، فالأمير جبل لا يريد أن تحدث فتنة بسببه ، واختار النفي الاختياري لمصلحة البلد ، وخشي من بقائه في مدينته المحبوبة وعودة الملك الشرعي من إحداث فتنة ، والصدام مع الأميرين قيس وليث ، وهو كذلك لا يريد في نفس الوقت التخلي عن مدينته وأهله أمام الملك الضبع .

غدر الخال

وصل خبر إلى أذهان الفرسان الثلاثة مفاده أن ملك المدينة وسيدها قد مات ، وأن القوم قد بايعوا ابنه الصغير أسعد وريثا وملكا على مدينة الشرق ، والذي أثار أذهان الفرسان أكثر أن خال الملك الصغير الجديد قام بعزله وخلعه وحبسه في سجن المدينة ، فاضطربت أحوال البلاد بين أنصار الملك المسجون وأنصار الملك الغاصب ، وانتشر الجند في الحارات والدروب والأحياء الصغيرة والكبيرة ، ولزم الفرسان بيتهم أثناء هذه الفتنة إلى أن طرق الباب عليهم ذات ليلة التاجر رمضان صديق عم جبل الذي فاجأهم قائلا : أيها الفرسان جئتكم بأمر خطير ولولا معرفتي بشجاعتكم لما طرقت بابكم في هذا الوقت ؛ ولكني علمت من غلمانكم ومنكم أيضا الكثير من أخباركم .. وكما تعلمون أيها الأصدقاء أن البلاد يعصف بها محنة وفتنة وصراع على عرش الملك سعيدان ، وترون طمع الأمير ربيع وخلعه ابن أخته الملك الصغير أسعد ، وفرض نفسه حاكما على المدينة ، وملكنا الشرعي يقبع الآن في السجن وأنصار أبيه المخلصون يرغبون بتخليصه من السجن قبل أن يقتله الملك الغاصب خفية ، فيرغبون بإخراجه من البلاد خفية ، فقد كمل ترتيب الأمر بحيث يقومون بتهريبه من السجن بواسطة بعض الحراس المخلصين للملك الهالك ، وأريد منكم أن تحموه وتحرسوه وتوصلوه إلى مدينة اللؤلؤ التي هي شرق

مدينتنا ، فأخته الأميرة رشاء زوجة ولي عهد تلك المدينة الأمير خالد .. ولن ينسى الملك الصغير لكم هذه المساعدة ، وكذلك نحن أنصار وأصدقاء الملك السابق .. لا ننسى لكم هذا المعروف إن شاء الله .

وبعد تفكير عميق ودقيق رحب الفرسان الثلاثة بالمهمة ، ووافقوا على حماية الملك الصغير والهرب به من مدينة الشرق إلى مدينة اللؤلؤ ، وانصرف التاجر رمضان بعد موافقتهم على القيام بهذه المهمة الخطيرة والشجاعة أيضا ، ولم تمض أيام قليلة حتى كان الملك الصغير ذا الخمسة عشر ربيعا في بيت الأمراء الثلاثة خفية ، ولما انتصف الليل انطلقوا برفقة رمضان حتى أخرجهم من أحد أبواب المدينة نحو مدينة اللؤلؤ متجهين شرقا على أمل العودة إليها – مدينة الشرق – بعد أيام يسيرة ، وهي مدة إيصال الملك المخلوع عند أصهاره وزوج أخته الأمير خالد ، وكان جبل قد أوصى غلمانه بمتابعة أخبار مدينة الدب ، والبقاء في البيت حتى ينتهوا من هذه المهمة ويعودوا إليهم .

كان الأمير جبل يتقدم القوم على صهوة جواده ، والملك يليه ، والفارسان خلفهما يسيرون بعجلة من أمرهم ، وما كاد الفجر يملأ الدنيا سطوعا ، فإذا هم بكوكبة من الفرسان تتراكض خلفهم وتحيط بهم ، فأدرك الفرسان أن أمر الملك الهارب قد اكتشف وعلم ، وأن أعوان الملك الجديد يطاردونهم فاستعد الفرسان للقتال ، ونصح جبل رجال الملك الغاصب بالعودة ونسيان الأمر فأصروا على أخذ السجين ، فجرت المعركة التي لم تدم إلا ساعة من الزمان ، وولّى على أثرها فرسان الملك هاربين ، وقد تركوا بعضهم بين قتيل وجريح ، وتابع الفرسان والملك مسيرهم مسرعين نحو مدينة اللؤلؤ .

وقطعوا المسافة بين المدينتين في ثلاثة أيام ، ودخلوا بالملك أسعد إلى قصر الملك أحمد بن خالد الذي رحب بهم أشد ترحيب وأحسنه ، وشكرهم على شجاعتهم وحمايتهم للملك الصغير ، وأتت أخت الملك المخلوع الأميرة رشاء ترحب بأخيها ، وتسمع منه قصة غدر خالهما ثم أبدت شكرها للفرسان ، وقد قدم إليهم بدوره الشكر أيضا الأمير خالد ، وأنزلهم الملك أحمد قصر الضيافة ، ونزل الملك أسعد في قصر أخته .

وأعد الملك أحمد جيشا صغيرا بقيادة ولي العهد ليغزو بلاد الشرق ، وينزع الملك من الملك الغاصب ، ولما تجهزت الحملة انطلقت إلى بلاد الشرق ، وظل الملك أسعد والفارسان جبل وهزبر في ضيافة الملك أحمد ، ورافق الحملة الفارس ثعلبون ، وأوصاه جبل بحسن الطاعة للأمير خالد ، ومحاولة الاتصال بالتاجر رمضان والغلمان .

والتقت الحملة أثناء سيرها إلى مدينة الشرق بقافلة كبيرة ؛فإذا هم من سكان تلك المدينة هاربون من ظلم الحاكم ربيع أبي جملة ، فعندما هرب الملك أسعد ألقى ذلك الغاصب بأنصاره وأنصار أبيه في أعماق السجون ، وأعدم بعضهم الحياة ، واستقوى أنصاره على الحكم وأصبح حال البلاد سيئا ، والناس تهرب بنفسها وأموالها خوفا من بطش جنود أبي جملة ، فلما سمع الأمير خالد الأخبار تركهم يتابعون الهرب نحو بلاده ، واستمر الجيش يزحف حتى انتهى إلى أطراف مدينة الشرق ، فأرسل الامير رسالة للملك الغاصب يدعوه فيها إلى الاستسلام والتنازل عن العرش المغصوب وإلا الحرب ، فرفض الملك ربيع الدعوة وخرج فرسانه لمقاتلة جيش الأمير خالد ، فدارت بينهم معارك ومبارزات ؛ ولكنها لم تسفر عن فوز لأحد على الآخر ثم طلب الأمير خالد من أبيه المزيد من الجنود فأمده بألف محارب ، واستمر القتال المتقطع بينهم شهرين ولم يتمكن جيش الأمير خالد من تحقيق النصر على رجال أبي جملة الذين كانوا يفتحون أبواب المدينة ويقاتلون ساعة من الزمن ، ثم يكرون عائدين داخل الأسوار ، ويقوم الرماة على الأسوار بتغطية انسحابهم ، وتغلق الأبواب وراءهم ، وأحيانا لا يخرجون تلك الساعة ، وأمام عجز جنود مدينة اللؤلؤ عن دخول المدينة وهطول موسم الأمطار مبكرا رجعوا لبلادهم خائبين يجرون أذيال الخيبة ، وأخذوا بالاستعداد لحملة جديدة مع مطلع الصيف وآخر الربيع

وكان ثعبلون قد تسلل للمدينة خلال حصارهم لها ، والتقى الغلمان ، واطلع على أخبار المدينة منهم ، فعلم أن التاجر رمضان زج به في السجن ، ولما انسحبت الحملة عاد معها ، ولما اختلى بصاحبيه روى لهما أخبار فشل الحملة وسبب ذاك الفشل ، وأن صديقهم رمضان يقبع في السجن ، وذكر لهم أن مدينة الدب ما زالت تستعد للدفاع عن نفسها أمام حملات الضبع .

وكان الرفاق الثلاثة يفكرون بعد فشل حملة الأمير خالد بالرحيل إلى مدينة الشرق ، فناشدهم الملك الصغير البقاء معه حتى النصر الأخير القادم ، واعتبرهم من أصدقائه المخلصين ، فرضوا بالبقاء إلى حين ، وأصبحوا ضيوفا على الملك أحمد يقضون أوقاتهم في صحبة فرسان الملك ، أو في زيارة لصديقهم أسعد الذي ينزل في قصر الأميرة ، وأحيانا أخرى يرافقون الأمير خالدا رحلة صيد في البراري والتلال يصيدون الأرانب والثعالب .

ذات ليلة ممطرة خرج الفرسان من قصر الضيافة الذي ينزلون فيه لزيارة الملك أسعد للسمر عنده ، فوجدوه يستعد للانطلاق إلى العشاء على مائدة

الأميرين خالد ورشاء ، فأرادوا العودة فأقسم عليهم أن يرافقوه للعشاء والسهر هناك ، فمشوا سوية نحو جناح ولي العهد في ذلك القصر الكبير ، فاستقبلهم الأمير وزوجه خير استقبال وسعدوا بمجيئهم ، ودار الحديث بينهم حول الحملة العسكرية القادمة لإزالة أبي جملة ، واقترح عليهم الأمير جبل بأن يجعلوا لهم عيونا في مدينة الشرق ينقلون لهم أخبار الملك الغاصب وجيشه والناس ، واقترح



عليهم هزبر أن يحاولوا خلال هذه المدة إغراء بعض القادة في الجيش بالانضمام إليهم ، ويكون الإغراء بالمال والمناصب الرفيعة ، واقترح عليهم ثعلبون الاتصال بالتجار الكبار وإغرائهم بالتعاون مع الأمير أسعد الملك الشرعي للبلاد .

وبينما هم يخططون ويقترحون دخلت الأميرة وخلفها الغلمان والجواري يحملون أخونة الطعام والشراب ويضعونها أمام الأمراء ، وبدأت الأفواه تشتغل والأضراس تطحن ، فلما أكل القوم ما قدر الله لهم ، وشربوا من ألوان العصير ما لذ منه وطاب ، فحينئذ أظهر الفرسان ثناءهم للأميرة وخدمها على حسن الطعام والشراب ، فابتسمت الأميرة رشاء لثنائهم ، والتفتت لجاريتها حظوظ وقالت للأمير جبل : أيها الأمير .. أيها الفارس المغوار ..لن ننسى فضلك وحمايتك لأخي أسعد .. وأما هذا الطعام الذي راق لكم فوجهوا الشكر في إعداده وإتقان صنعه لجاريتي العزيزة حظوظ التي تشرف بنفسها على إعداد الموائد الخاصة لضيوفي منذ أكثر من خمس سنوات .. فجزاها الله خير الجزاء ..

فطفق الجميع يحدقون النظر إلى الجارية العزيزة للأميرة رشاء ، وكانت الجارية تقف في وسط القاعة تلقى الأوامر على الخدم والغلمان ، وقد غمرها الحياء من الإطراء الذي سمعته من الفرسان ومن مولاتها الأميرة ، وأمعن النظر إليها جبل ، ودقق فيها نظره ، ثم هتف وهو مازال يحدق النظر إليها معجبا : والله إن لطعامها لذة !..ولكني أرى على محياها الحسن التصوير الحزن العميق .. أيتها الأميرة ؟!

فخطفت الجارية النظر في عيون جبل عندما سمعت كلامه عن حزنها ، وردت الأميرة قائلة باسمة : إن لك نظرة حادة أيها الأمير !.. فاعلم أنني منذ اشتريتها والحزن مرتسم على وجهها ولا تريد أن تخبرني بسببه ..ولقد حاولت أكثر من مرة عتقها لعل الحزن يختفي عن وجهها الجميل ؛ ولكنها تأبى الحرية وتصر على البقاء جارية وعندي أيضا .

وعندما أخذت الأميرة تتحدث عن الجارية العزيزة لديها ، وقد راقت في عيني الفارس جبل تركت الجارية القاعة حياء وهربا من العيون التي سلطت عليها ، وتابعت الأميرة حديثها بعدما لقطت أنفاسها قائلة : ولكنها تذكر شيئا من ألمها في بعض الأحيان للجواري ، ومما علمته عنها من هؤلاء الجواري أنها تذكر أن أباها ملك عظيم ، وأرسلها وهي طفلة واخوة لها إلى صديق له ، فخطفتها عصابة أثناء الرحلة ، وبيعت جارية في مدينة الشرق لامرأة ، ثم وصلت إليّ بعد ذلك .. فهذا ما أعرفه عن حزنها يا سيدي الأمير !

فقال جبل معترفا بتأثير حزنها عليه : إن الحزن المجسم على وجهها أثر على نفسي وقلبي أيها السادة .

فابتسم القوم لاعتراف جبل وتأثره ، وقال الأمير خالد مداعبا الفارس : لعلك هويتها أيها الفارس .. فلا أظن أن الأميرة تهبها لك .

فأخذ جبل بالضحك وقال : نحن الفرسان اليوم لا استقرار لنا للتمتع بالزواج والجواري ، فاليوم هنا وغدا هناك ، قبل شهور كنا في مدينة الشرق ، وقبلها كنا في بلاد الدب عند الملك سليل بن الملك شامة

وفي تلك اللحظة التي ذكر فيها جبل أسماء سليل وشامة كانت الجارية حظوظ قد عادت للغرفة ، فلما سمعت تلك الأسماء صرخت فجأة صيحة دهشة ثم أغمي عليها .. فهرعت الأميرة والجواري نحوها ، وارتبك مجلس الأمراء ، ولزموا الصمت حائرين حتى فاقت الجارية وقالت بصوت باك حزين مؤلم : لقد سمعت عند دخولي اسم الملك شامة يا السادة ؟!

فحدقت بها العيون وقال جبل : نعم أيتها الفتاة ، أنا من بلاد الملك شامة لعلك من تلك البلاد وترغبين بالذهاب إلى هناك .

فهمست الفتاة قائلة : يا سيدي الفارس .. هل تعرف الملك شامة ؟!

فقال جبل بأسف وحزن : نعم أيتها الفتاة .. ولكني عندما قتل الملك شامة كنت ذا سنوات عشر .. رحم الله الملك شامة . فصاحت الفتاة مرة أخرى وقالت : وهل قتل الملك شامة ؟! وأغمي عليها مرة أخرى ، فقال الأمير خالد مفسرا : إن لهذه الجارية قصة كبيرة على ما يبدو مع ذلك الملك ..!

وكانت الأميرة رشاء وجواريها يعالجن الفتاة ، وانشغل الأمراء كلهم بالتخمين حتى عادت الفتاة لوعيها من جديد فقالت للجميع مبينة لما ظهر منها : الملك شامة كما اذكر .. هو أبي .

فصاح الفرسان الثلاثة معا : أبوك ؟!

فقال ثعلبون بسرعة : لابد أنك الأميرة المفقودة ..

أتذكر يا جبل أن أحد الغلمان أخبرنا مرة أن هناك ابنا وابنة قد فقدوا تلك الأيام العصيبة ؟.

فصاحت الفتاة : نعم ، أنا هي الفتاة المفقودة يا سيدي الفارس .. الأميرة الصغيرة التي سرقتها العصابة وعمرها أربع سنوات وفرقوا بينها وبين أخويها ..

وروت لهم تفاصيل حكاياتها ؛ كأنها مشاهد حية محفورة بدماغها لم تنسها رغم صغر سنها ، وأنها تذكر أن بلادها كانت تخوض حربا ضروسا ، وفي غمار الحرب وخوفا على الصغار من الأسر والقتل أرسلهم والدهم مع بعض غلمانه وخصيانه لمدينة أكثر أمنا ، وفي الطريق عرضت لهم عصابة مجرمون فخطفوها وأخاها حريفا وباعوهما في مدينة الشرق ، واختفى حريف يومذاك من حياتها . فطمئنها جبل على أمها وعلى أخيها سليل ، وقص على مسامعهم بعضا من أخبار بلاد الدب ، وما انتهت الجلسة حتى أصبحت الجارية حظوظ الأميرة حظوظا ، وتقرر أن يعود بها الفارسان هزبر وثعلبون لبلادها معززة مكرمة ، وبعد أيام جهزها الملك أحمد بن خالد وشدّ لها هودجا ، ووهبت عددا من الجواري والغلمان والكثير من الهدايا من الأميرة وزوجها الأمير ووالد الأمير وأرسل الملك أحمد عددا يسيرا من الفرسان يصحبونها إلى بلاد الدب على رأسهم الفارسين هزبر وثعلبون .



سباق الضفادع

مجموعة من الضفادع الصغيرة كانوا يشاركون في منافسة والهدف كان الوصول إلى قمة برج عالي.

والجماهير تجمعوا لكي يتفرجوا على السباق ويشجعوا المتنافسين.

وانطلقت لحظة البدء، بصراحة لا أحد من المتفرجين يعتقد أن الضفادع الصغيرة تستطيع أن تحقق إنجازا وتصل إلى قمة البرج.

وكانت تنطلق من الجماهير عبارات مثل: أوه، صعبة... لن يستطيعوا أبدا الوصول إلى أعلى .أو لا يوجد لديهم فرصة ... البرج عالي جدا .

عدد أكبر من الضفادع الصغيرة بدأت تتعب وتستسلم ثم تسقط.. ولكن أحدهم استمر في الصعود أعلى فأعلى.. لم يكن الاستسلام واردا في قاموسه.

في النهاية جميع الضفادع استسلمت ما عدا ضفدعا واحدا هو الذي وصل إلى القمة ، بطبيعة الحال جميع المشاركين أرادوا أن يعرفوا كيف استطاع أن

يحقق ما عجز عنه الآخرون !

أحد المتسابقين سأل الفائز: ما السر الذي جعلك تفوز؟ الحقيقة هي أن الفائز كان أصم لا يسمع .

الفأر الطماع والاصدقاء

فقال الفأر أنا أحب هذا المنزل وهذا المخزن مخزن القمح ولكن هناك قطة في المخزن تحرسه .

الفأر يحب القمح فكر ، وجاء إلى المنزل الذي بناه الفلاح وقام بعمل سرداب تحت المخزن وجلس الفأر تحت السقف للسرداب اي ارض المخزن يفكر كيف يصل للقمح من غير ما يقع في يد القطة فوقع على أنفه حبة قمحٍ ففرح الفأر وقال الأرض فيها شق .

إن قمح المخزن يقع من الشق حبة حبة ومر يوم وقال بدلاً من حبة حبة كل يوم نجعلها اثنتين كل يوم فقرض الفأر خشب ارضية المخزن وخرج من الفتحة حبتين حبتين

وثالث يوم فكر الفأر وقال بدل من اثنتين نجعلهم ثلاثة والفأر قرض الخشب ونزل ثلاثة ، فقال الفأر لماذا لا نجعلهم خمسة وسبعة وتسعة والفأر يقرض والفتحة تكبر .

ثم جلس الفأر ليستريح وأغمض عينيه ثم فتحها فوجد أمامه القطة التي نزلت من الفتحة الكبيرة التي صنعها – إن الفأر كان يريد شوال قمح فنزلت له قطة –الطمع أنساه وجعله لا يفكر – كان يريد الهرب من القطة فلم يستطع –وقال الفأر للقطة قبل أن تأخذه أقول لك ثلاث كلمات : الله يجازي الطماع .

الحيوانات الأربعة

في احد الايام شعر الغراب بأنه وحيد يحتاج الى اصدقاء يلعب معهم ويلعبون معه ويقضون اجمل وأسعد الاوقات فقرر الغراب ان يذهب الى الغابة ليختار اصدقاء له.

وبالفعل ذهب الغراب الى المزرعة واخذ يتجول فوجد غزالا جميلا يجلس بمفرده. فقال : ليس لديك اصدقاء مثلى .

رد الغزال : نعم.

فقال الغراب : ما رأيك ان تكون صديقا لي فأنا ابحث عن اصدقاء يؤنسون وحدتي.

ففرح الغزال وسار سعيدا مع الغراب . ثم رأى الغراب سلحفأة تجلس وحدها.

فتقدم لها وسألها : ليس لديكي اصدقاء ؟

قالت السلحفاة : لأنني بطيئة ولا احد يحبني .

فأقترح عليها الغراب والغزال أن تنضم لهم وتكون صديقه لهم.

وبينما هم يستكملون السير رأوا فأرا يجلس بمفرده فسأله الغراب: ليس لديك اصدقاء ؟

قال الفأر في أسى وحزن : نعم.

فقال الغراب : اذن انضم الينا لنصير نحن الأربعة

اصدقاء مدى العمر

وعادوا الى المنزل في سعادة وسرور وقرروا ان يوزعوا المهام كل يوم على بعض . فكل واحد يخرج لجمع الطعام ثم يجتمعوا في المساء لتناول الطعام معا.

وفي الصباح انطلقوا ومضى الوقت وغربت الشمس وعادت الحيوانات كلها ما عدا الغزال.

انزعجت الحيوانات جدا من غياب الغزال وقرروا الخروج للبحث عنها لئلا تكون في خطر.

اسرع الغراب وطار فوجد الغزال محاطا بشبكه الصياد . فرجع سريعا واخبر السلحفاة والفأر بما حدث وقرروا الذهاب لإنقاذ الغزال.

ارشدهم الغراب لمكان تواجد الغزال . وبسرعه قرض الفأر الشبكة بأنيابه وخرج

الغزال وعاد سالما الى المنزل.

حقا انهم اصدقاء اوفياء . سعد جدا الغزال ومدح تصرفهم لانهم أنقذوه من يد وفخ الصياد.

لطم الاحنف

وأتى رجل إلى الأحنف، فلطمه، فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: جعل لي جعل على أن ألطم سيد بني تميم، فقال: لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة، فإنه سيدهم، فمضى إليه، فلطمه، فقطعت يده.

الحجاج بن علاط

حكي أن النبي ﷺ لما فتح خيبر وأعرس بصفية، وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي، وكان أول من أسلم في تلك الأيام وشهد خيبر، فقال يا رسول الله: إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة، فأذن لي يا رسول الله في العود إلى مكة عسى أسبق خبر إسلامي إليهم، فإني أخاف إن علموا بإسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة، فأذن لي لعلي أخلصه، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحتاج إلى أن أقول، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل، وأنت في حل، قال الحجاج: فخرجت، فلما انتهيت إلى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الأخبار، وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر، فلما أبصروني قالوا: هذا لعمر الله عنده الخبر، أخبرنا يا حجاج، فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا ﷺ قد سار إلى خيبر، قال: قلت إنه سار إلى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم، قال: فأحدقوا حول ناقتي يقولون إيه يا حجاج؟ قال: فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وأسر محمد وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم.

قال: فقلت: أعينوني على جمع مالي من غرمائي فإني أريد أن أقدم خيبر، فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك، فقاموا معي، فجمعوا لي مالي كأحسن ما أحب، فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل عليّ حتى وقف إلى جانبي، وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر؟ فقال: نعم والله قال: قلت: استأخر عني حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع مالي كما ترى، فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعت على الخروج، لقيت العباس، فقلت له: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى أن يتبعوني، فاكتم علي ثلاثة أيام، ثم قل ما شئت. قال: لك عليّ ذلك. قال: قلت والله ما تركت ابن أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية، وقد افتتح خيبر، وغنم ما فيها، وصارت له ولأصحابه. قال: أحق ما تقول يا حجاج؟ قال: قلت أي والله، ولقد أسلمت، وما جئت إلا مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاثة، فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب، قال: فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب، وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة، قال: كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيهم، فأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم. قالوا: تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن. قال: ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك، فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله إلى تخليصه وتحصيل ماله.

كسرى ينتقم

قَالَ منجمون لكسْرَى إِنَّك تقتل فَقَالَ لأقتلن من يقتلني فَأمر بِسم فخلط فِي أدوية ثمَّ كتب عَلَيْهِ دَوَاء الْجِمَاع مجرب من أَخذ مِنْهُ وزن كَذَا جَامع كَذَا وَكَذَا مرّة فَلَمَّا قَتله ابْنه شيرويه وفتش خزائنه مر بِهِ فَقَالَ فِي نَفسه هَذَا الدَّوَاء الَّذِي كَانَ يُقَوي بِهِ على السراري فَأخذ مِنْهُ فَقتله وَهُوَ ميت . رِوَايَة اخرى أَن شيرويه لما أَرَادَ قتل أَبِيه بعث إِلَيْهِ من يقْتله فَلَمَّا دخل عَلَيْهِ قَالَ إِنِّي أدلك على شَيْء لوُجُوب حَقك يكون فِيهِ غناك قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ الصندوق الْفُلَانِيّ فَذهب الرجل إِلَى شيرويه فَأخْبرهُ الْخَبَر فَأخْرج الصندوق وَفِيه حق فِيهِ حب وَثمّ مَكْتُوب من اخذ مِنْهُ وَاحِدَة افتض عشرَة أبكار فطمع شيرويه فِي صِحَة ذَلِك فَأَخذه وَعوض

الرجل مِنْهُ ثمَّ أَخذ مِنْهُ حَبَّة فَكَانَ هَلَاكه وَكَانَ كسْرَى أول ميت أَخذ بثأره من حَيّ .

الاصمعي وابنة الرشيد

الْأَصْمَعِي قَالَ بعث إِلَيّ الرشيد فَدخلت فَإِذا صبية فَقَالَ من هَذِه الصبية فَقلت لَا أَدْرِي قَالَ هَذِه مواسة بنت أَمِير الْمُؤمنِينَ فدعوت لَهَا وَله قَالَ نعم فَقبل رَأسهَا فَقلت إِنِّي أطعته أَدْرَكته الْغيرَة فقتلني وَإِن أَنا عصيته قتلني بِمَعْصِيَة فَوضعت كمي على رَأسهَا وَقبلت كمي فَقَالَ وَالله يَا أصمعي لَو أخطأتها لقتلتك أَعْطوهُ عشرَة آلَاف دِرْهَم .

سفيان بن عيينة

كُنَّا عِنْد سُفْيَان بن عُيَيْنَة فحدثنا بِحَدِيث زَمْزَم أَنه لما شرب لَهُ فَقَامَ رجل من الْمجْلس ثمَّ عَاد فَقَالَ لَهُ أَبَا مُحَمَّد أَلَيْسَ الحَدِيث بِصَحِيح الَّذِي حَدثنَا بِهِ فِي زَمْزَم أَنه لما شرب لَهُ فَقَالَ سُفْيَان نعم فَقَالَ أَنِّي قد شربت الْآن دلوا من زَمْزَم على أَن تُحَدِّثنِي بِمِائَة حَدِيث فَقَالَ سُفْيَان أقعد فحدثه بِمِائَة حَدِيث

قَالَ ابْن أبي ذَر كَانَ الْحَاج إِذا ورد جلس سُفْيَان عُيَيْنَة بِبَاب بني هَاشم على مَوضِع عَال ليرى النَّاس فجَاء رجل من أَصْحَاب الحَدِيث فَقعدَ بَين يَدَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّد حَدثنِي فحدثه أَحَادِيث فَقَالَ زِدْنِي فزاده فَقَالَ زِدْنِي فزاده فدفعهُ فِي صَدره فَوَقع إِلَى الْوَادي فتفاشى ذَلِك فَاجْتمع الْحَاج وَقَالَ سُفْيَان بن عُيَيْنَة قتل رجلا من الْحَاج فَلَمَّا كثر ذَلِك أشْفق سُفْيَان فَنزل إِلَى الرجل فَترك رَأسه فِي حجره وَقَالَ مَالك أَي شَيْء أَصَابَك فَلم يزل يرْكض رجلَيْهِ وَيزبد من فِيهِ قَالَ وَكثر الضجيج سُفْيَان بن عُيَيْنَة قتل رجلا فَقَالَ لَهُ قُم وَيلك أما ترى النَّاس يَقُولُونَ فَقَالَ لَهُ وَهُوَ يخفي صَوته لَا وَالله لَا أقوم حَتَّى تُحَدِّثنِي مائَة حَدِيث عَن الزُّهْرِيّ وَعَمْرو بن دِينَار فَفعل فَقَامَ .

سائلان اعميان

أَخْبرنِي جمَاعَة من شُيُوخ بَغْدَاد أَنه كَانَ بهَا فِي طرف الجسر سائلان أعميان أَحدهمَا يتوسل بأمير الْمُؤمنِينَ عَليّ وَالْآخر بِمُعَاوِيَة ويتعصب لَهما النَّاس ويجمعان الْقطع فَإِذا انصرفا فيقتسمان الْقطع وَكَانَا يحتالان بذلك على النَّاس .

قَالَ رَأَيْت صديقا على بعض زوارق الجسر بِبَغْدَاد جَالِسا فِي يَوْم شَدِيد الرّيح وَهُوَ يكْتب رقْعَة فَقلت وَيحك فِي هَذَا الْموضع وَهَذَا الْوَقْت قَالَ أُرِيد أَن أَزور على رجل مرتعش ويدي لَا تساعدني فتعمدت الْجُلُوس هَهُنَا لتحرك الزورق بالموج فِي هَذِه الرّيح فجيء خطى مرتعشاً فَيُشبه خطه .

محتال في حمص

خرج بعض حذاق المكيدين من بَغْدَاد إِلَى حمص وَمَعَهُ امْرَأَته فَلَمَّا حصل بهَا قَالَ أَن هَذَا بلد حَمَاقَة وَأُرِيد أَن أعمل حِيلَة فتساعديني فَقَالَت شانك قَالَ كوني بموضعك وَلَا تجتازي بِي الْبَتَّة فَإِذا كَانَ

كل يَوْم فَخذي لي ثُلثي رَطْل زبيب وثلثي رَطْل لوزانيا فاعجنيه واجعليه وَقت الهاجرة على آجرة جَدِيدَة نظيفة لأعرفها فِي الميضأة الْفُلَانِيَّة وَكَانَت قريبَة من الْجَامِع وَلَا تزيديني على هَذَا شَيْئا وَلَا تمري بناحيتي فَقَالَت افْعَل وَجَاء هُوَ فَاخْرُج جُبَّة صوف كَانَت مَعَه فلبسها وَسَرَاويل صوف ومئزر وَجعله على رَأسه وَلزِمَ اسطوانة يمر النَّاس عَلَيْهَا فصلى نَهَاره أجمع وَلَيْلَته أجمع لَا يستريح إِلَّا فِي الْأَوْقَات الْمَحْظُور فِيهَا الصَّلَاة فَإِذا جلس فِيهَا سبح وَلم ينْطق بِلَفْظِهِ فَتنبه على مَكَانَهُ وروعى مُدَّة وَوضعت الْعُيُون عَلَيْهِ فَإِذا هُوَ لَا يقطع الصَّلَاة وَلَا يَذُوق الطَّعَام فتحير أهل الْبَلَد فِي أمره وَكَانَ لَا يخرج من الْجَامِع إِلَّا فِي وَقت الهاجرة فِي كل يَوْم دفْعَة إِلَى تِلْكَ الميضأة فيبول فِيهَا ويعدو إِلَى الآجرة وَقد عرفهَا وَعَلَيْهَا ذَاك المعجنون وَقد صَار منحلاً وصورته صُورَة الْغَائِط فَمن يدْخل وَيخرج لَا يشك أَنه غَائِط فيأكله فيقيم أوده وَيرجع فَإِذا كَانَ وَقت صَلَاة الْعَتَمَة أَو فِي اللَّيْل شرب من المَاء قدر كِفَايَته وَأهل حمص يظنون أَنه لَا يطعم الطَّعَام وَلَا يَذُوق المَاء فَعظم شَأْنه عِنْدهم فقصدوه وكلموه فَلم يجبهم وَأَحَاطُوا بِهِ فَلم يلْتَفت واجتهدوا فِي خطابه فَلَزِمَ الصمت فَزَاد محلة عِنْدهم حَتَّى أَنهم كَانُوا يتمسحون بمكانه وَيَأْخُذُونَ التُّرَاب من مَوْضِعه ويحملون إِلَيْهِ المرضى وَالصبيان فيمسح بِيَدِهِ عَلَيْهِم فَلَمَّا رأى مَنْزِلَته وَقد بلغت إِلَى ذَلِك وَكَانَ قد مضى على هَذَا الصمت سنة اجْتمع مَعَ امْرَأَته فِي الميضأة وَقَالَ إِذا كَانَ يَوْم الْجُمُعَة حِين يُصَلِّي النَّاس فتعالي فاعلق بِي والطمي وَجْهي وَقَوْلِي يَا عَدو الله يَا فَاسق قتلت ابْني بِبَغْدَاد وهربت إِلَى هَهُنَا تتعبد وعبادتك مَضْرُوب بهَا وَجهك وَلَا تفارقيني واظهري أَنَّك تريدين قَتْلِي بابنك فَإِن النَّاس سيجتمعون إِلَيْك وأمنعهم أَنا من أذيتك واعترف بأني قتلته وتبت وَجئْت إِلَى هَهُنَا لِلْعِبَادَةِ وَالتَّوْبَة والندم على مَا كَانَ مني فاطلبي قودي بإقراري وحملي إِلَى السُّلْطَان فيعرضون عَلَيْك الدِّيَة فَلَا تقبليها حَتَّى يبذلوا لَك عشر ديات أَو مَا اسْتَوَى لَك بِحَسب مَا تَرين من زيادتهم وحرصهم فَإِذا تناهت أَعطيتهم فِي افتدائي إِلَى حد يَقع لَك أَنهم لَا يزِيدُونَ بعده شَيْئا فاقبلي الْفِدَاء مِنْهُم واجمعي المَال وخذيه واخرجي من يَوْمك إِلَى بَغْدَاد وَلَا تقيمي بِالْبَلَدِ فَإِنِّي سأهرب وأتبعك فَلَمَّا كَانَ من الْغَد جَاءَت الْمَرْأَة فتعلقت بِهِ وَفعلت بِهِ مَا قَالَ فَقَامَ أهل الْبَلَد ليقتلوها وَقَالُوا يَا عدوة الله هَذَا من الْإِبْدَال هَذَا قوام الْعَالم هَذَا قطب الْوَقْت فَأَوْمأ إِلَيْهِم أَن اصْبِرُوا وَلَا تناولوها بشر فصبروا وأوجز فِي صلَاته ثمَّ سلم وتمرغ فِي الأَرْض طَويلا ثمَّ قَالَ أَيهَا النَّاس هَل سَمِعْتُمْ لي كلمة مُنْذُ أَقمت عنْدكُمْ فاستبشروا بِسَمَاع كَلَامه

وَارْتَفَعت ضجة عَظِيمَة وَقَالُوا لَا قَالَ إِنِّي إِنَّمَا أَقمت عنْدكُمْ تَائِبًا مِمَّا ذكرته وَقد كنت رجلا فِي دفع وخسارة فقتلت ابْن هَذِه الْمَرْأَة وتبت وَجِئْت إِلَى هَهُنَا لِلْعِبَادَةِ وَكنت مُحدثا نَفسِي بِالرُّجُوعِ لَهَا لتقتلني خوفًا من أَن تكون تَوْبَتِي مَا صحت وَمَا زلت أَدْعُو الله أَن يقبل تَوْبَتِي ويمكنها مني إِلَى أَن أجيبت دَعْوَتِي باجتماعي بهَا وتمكينها من قودي فدعوها تقتلني واستودعكم الله قَالَ فارتفعت الضجة والبكاء وهو راض بأخذه إِلَى الْبَلَد لِيَقْتُلهُ بابنها فَقَالَ الشُّيُوخ يَا قوم لقد ضللتم عَن مداواة هَذِه المحنة وحراسة بلدكم بِهَذَا العَبْد الصَّالح فارفقوا بِالْمَرْأَةِ واسألوها قبُول الدِّيَة نجمعها من أَمْوَالنَا فطافوا بهَا وسألوها فَقَالَت لَا أفعل فَقَالُوا خذي ديتين فَقَالَت شَعْرَة من ابْني بِأَلف دِيَة فَمَا زَالُوا حَتَّى بلغُوا عشر ديات فَقَالَت اجْمَعُوا المَال فَإِذا رَأَيْته وطاب قلبِي بقبوله فعلت وَإِلَّا قتلت الْقَاتِل فجمعوا مائَة ألف دِرْهَم وَقَالُوا خذيها فَقَالَت لَا أُرِيد إِلَّا قتل قَاتل ابْني فِي نَفسِي أثر فاقبل النَّاس يرْمونَ ثِيَابهمْ وأرديتهم وخواتيمهم وَالنِّسَاء حليهن فَأخذت ذَلِك وأبرأته من الدَّم وانصرفت وَأقَام الرجل بعد ذَلِك فِي الْجَامِع أَيَّامًا يسيرَة حَتَّى علم أَنَّهَا قد بَعدت ثمَّ هرب فِي بعض اللَّيَالِي وَطلب فَلم يُوجد وَلَا عرف لَهُ خبر حَتَّى انْكَشَفَ لَهُم أَنه كَانَ حِيلَة بعد مُدَّة طَوِيلَة.

فشل المنصور

وَذكر ابْن جرير وَغَيره أَن الْمَنْصُور دفع عبد الله بن عَليّ إِلَى عِيسَى بن مُوسَى سرا بِاللَّيْلِ قَالَ يَا عِيسَى إن هَذَا أَرَادَ أَن يزِيل نعمتي ونعمتك وَأَنت ولي عهدي بعد الْمهْدي والخلافة صائرة إِلَيْك فَخذه فَاضْرب عُنُقه وَإِيَّاك أَن تخور أَو تضعف ثمَّ كتب إِلَيْهِ مَا فعلت فِيمَا أَمرتك بِهِ فَكتب إِلَيْهِ قد أنفذت مَا أَمرتنِي بِهِ فَلم يشك فِي أَنه قَتله وَكَانَ عِيسَى قد أخبر كَاتبه بِالْحَال فَقَالَ إِنَّمَا أَرَادَ قَتلك وَقَتله لِأَنَّهُ أَمرك أَن تقتله سرا ثمَّ يَدعِيهِ عَلَيْك عَلَانيَة فيقيدك بِهِ قَالَ فَمَا الرَّأْي قَالَ أَن تستره فِي مَنْزِلك فَإِن طلبه مِنْك عَلَانيَة أظهرته عَلَانيَة ثمَّ إِن الْمَنْصُور دس على عمومته من يحركهم على مَسْأَلَة عَن عبد الله بن عَليّ ويطعمهم فِي أَنه سيفعل وكلموه ورافعوه فَقَالَ عَليّ بعِيسَى بن مُوسَى فَأَتَاهُ فَقَالَ يَا عِيسَى قد علمت أَنِّي دفعت إِلَيْك عبد الله بن عَليّ وَقد كلموني فِيهِ فأتني بِهِ فَقَالَ يَا أَمِير الْمُؤمنِينَ لم تَأْمُرنِي بقتْله ثمَّ قَالَ لعمومته قد أقرّ لكم بقتل ابْن أخيكم فَادّعى أَنِّي أَمرته بقتْله وَكذب قَالُوا فادفعه إِلَيْنَا نقيده قَالَ شَأْنكُمْ بِهِ فخرجوه إِلَى الراحبة وَاجْتمعَ النَّاس فشهر أحدهم سَيْفه وَتقدم إِلَى عِيسَى ليضربه فَقَالَ لَهُ عِيسَى أقاتلي أَنْت قَالَ أَي وَالله قَالَ ردوني إِلَى أَمِير الْمُؤمنِينَ فَردُّوهُ فَقَالَ إِنَّمَا أردْت بقتْله أَن تقتلني هَذَا عمك حي سوى فَأَتَاهُ بِهِ .

حيلة واصل بن عطاء

أَن أَبَا حُذَيْفَة وَاصل بن عَطاء خرج يُرِيد سفرا فِي رَهْط فاعترضهم جَيش من الْخَوَارِج فَقَالَ وَاصل لَا ينطقن أحد ودعوني مَعَهم فقصدهم وَاصل فَلَمَّا قربوا بَدَأَ الْخَوَارِج ليوقعوا فَقَالَ كَيفَ تستحلون هَذَا وَمَا تَدْرُونَ من نَحن وَلَا لأي شَيْء جِئْنَا فَقَالُوا نعم فَمَا أَنْتُم قَالَ قوم من الْمُشْركين جئناكم لنسمع كَلَام الله قَالَ فكفوا عَنْهُم وَبَدَأَ رجل مِنْهُم يقْرَأ عَلَيْهِم الْقُرْآن فَلَمَّا امسك قَالَ وَاصل قد سمعنَا كَلَام الله فأبلغنا مأمننا حَتَّى نَنْظُر فِيهِ وَكَيف ندخل فِي الدّين فَقَالَ هَذَا وَاجِب سِيرُوا فسرنا والخوارج وَالله مَعنا يحمونا فراسخ حَتَّى قربنا إِلَى بلد لَا سُلْطَان لَهُم عَلَيْهِ فانصرفوا .

ذلك فِي المنام

ويحكى أَن مزيداً كَانَ يدْخل على بعض وُلَاة الْمَدِينَة فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ذَات يَوْم ثمَّ جَاءَ فَقَالَ مَا أبطأك عني قَالَ جَارة لي كنت أهواها مُنْذُ حِين فظفرت بهَا لَيْلَتي وتمكنت مِنْهَا فَغَضب الْوَالِي وَقَالَ وَالله لآخذنك بِإِقْرَار فَلَمَّا رأى الْجد مِنْهُ قَالَ فاسمع تَمام حَدِيثي قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ فَلَمَّا أَصبَحت خرجت أطلب مُفَسرًا يُفَسر لي رُؤْيَايَ فَلم أقدر عَلَيْهِ إِلَى السَّاعَة قَالَ ذَلِك فِي الْمَنَام رَأَيْت قَالَ نعم فسكن غَضَبه .

بلبل حي

ذكر أَن رجلا كَانَ يُقَال لَهُ أَبُو الْعجب لم ير مثله فِيمَا كَانَ يعْمل من الشعبذة دخل يَوْمًا إِلَى دَار المقتدر بِاللَّه فَرَأى خَادِمًا من خواصه يبكي على بلبل مَاتَ لَهُ فَقَالَ لَهُ مَا عَلَيْك أَيهَا الْأُسْتَاذ إِن أحييته فَقَالَ مَا تُرِيدُ فَأخذ البلبل الْمَيِّت فَأدْخلهُ كمه وَأدْخل رَأسه وَأخرج بعد سَاعَة بلبلاً حَيا فهاجت الدَّار وَعجب الْحَاضِرُونَ فاستدعاه عَليّ بن عِيسَى وَقَالَ وَالله إِن لم تصدقني عَن حَقِيقَة الْأَمر لَأَضرِبَن عُنُقك فَقَالَ إِنِّي شاهدت الْخَادِم يبكي على بلبله فطمعت بِمَا آخذه مِنْهُ فمضيت فِي الْحَال إِلَى السُّوق وابتعت بلبلاً وخبأته فِي كمي وعدت إِلَى الْخَادِم فَقلت مَا قلته وَأخذت البلبل الْمَيِّت وأدخلت رَأسه فِي كمي وأكلته وأخرجت الْحَيّ فَلم يشك أَنه بلبله وَهَذَا رَأس الْمَيِّت .

خداع الاعراب

قَالَ أَخْبرنِي من أَثِق بِهِ أَنه خرج فِي طَرِيق الشَّام مُسَافِرًا يمشي وَعَلِيهِ مرقعة وَهُوَ فِي جمَاعَة نَحْو الثَّلَاثِينَ رجلا كلهم على هَذِه الصّفة فصحبنا فِي بعض الطَّرِيق رجل شيخ حسن الْهَيْئَة مَعَه حمَار فأره يركبه وَمَعَهُ بغلان عَلَيْهِمَا رجل وقماش ومتاع فاخر فَقُلْنَا لَهُ يَا هَذَا إِنَّك لَا تفكر فِي خُرُوج الْأَعْرَاب علينا فَإِنَّهُ لَا شَيْء مَعنا يُؤْخَذ وَأَنت لَا تصلح لَك صحبتنا مَعَ مَا مَعَك فَقَالَ يكفينا الله ثمَّ سَار وَلم يقبل منا وَكَانَ إِذا نزل يَأْكُل استدعى

أكثرنا فأطعمه وسقاه وَإِذا عيي الْوَاحِد منا أركبه على أحد بغليه وَكَانَت جمَاعَة تخدمه وتكرمه وتدبر بِرَأْيِهِ إِلَى أَن بلغنَا موضعا فَخرج علينا نَحْو ثَلَاثِينَ فَارِسًا من الْأَعْرَاب فتفرقنا عَلَيْهِم ومانعناهم فَقَالَ الشَّيْخ لَا تفعلُوا فتركناهم وَنزل فَجَلَسَ وَبَين يَدَيْهِ سفرته ففرشها وَجلسَ يَأْكُل وأظلتنا الْخَيل فَلَمَّا رَأَوْا الطَّعَام دعاهم إِلَيْهِ فجلسوا يَأْكُلُون ثمَّ حل رَحْله وَأخرج مِنْهُ حلوى كَثِيرَة وَتركهَا بَين يَدي الْأَعْرَاب فَلَمَّا أكلُوا وشبعوا جمدت أَيْديهم وخدرت أَرجُلهم وَلم يتحركوا فَقَالَ لنا أَن الحلو مبنج أعددته لمثل هَذَا وَقد تمكن مِنْهُم وتمت الْحِيلَة وَلَكِن لَا يفك البنج إِلَّا أَن تصفعوهم فافعلوا فَإِنَّهُم لَا يقدرُونَ لكم على ضَرَر ونسير فَفَعَلُوا فَمَا قدرُوا على الِامْتِنَاع فعلمنا صدق قَوْله وأخذنا أسلحتهم وركبنا دوابهم وسرنا حواليه فِي موكب ورماحهم على أكتافنا وسلاحهم علينا فَمَا نجتاز بِقوم إِلَّا يظنونا من أهل الْبَادِيَة فيطلبون النجا منا حَتَّى بلغنَا مأمننا .

الجار المؤذي

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِينِي، قَالَ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ، فَانْطَلَقَ، فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ. فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِينِي. فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ. فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَوَاللهِ لَا أُوذِيكَ أَبَدًا» فَهَذِهِ وَأَمْثَالُهَا هِيَ الْحِيَلُ الَّتِي أَبَاحَتْهَا الشَّرِيعَةُ.

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ أَحْدَثَ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَنْصَرِفْ، فَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةِ جَمَاعَةٍ فَلْيَأْخُذْ بِأَنْفِهِ وَلْيَنْصَرِفْ» .

حلة معطوبة

عَنْ أَسْلَمَ ، قَالَ: قَدِمَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حُلَلٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ، فَرَأَى فِيهَا حُلَّةً رَدِيئَةً، فَقَالَ: كَيْفَ أَصْنَعُ بِهَذِهِ؟ إِنْ أَعْطَيْتُهَا أَحَدًا لَمْ يَقْبَلْهَا، فَطَوَاهَا وَجَعَلَهَا تَحْتَ مَجْلِسِهِ. وَأَخْرَجَ طَرَفَهَا، وَوَضَعَ الْحُلَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ. فَدَخَلَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْحُلَّةِ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: دَعْهَا عَنْكَ، قَالَ: مَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: دَعْهَا. قَالَ: فَأَعْطِنِيهَا. قَالَ: إِنَّكَ لَا تَرْضَاهَا، قَالَ: بَلَى، قَدْ رَضِيتُهَا. فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَلَّا يَرُدَّهَا، رَمَى بِهَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا إِذْ هِيَ رَدِيئَةٌ، قَالَ: لَا أُرِيدُهَا، قَالَ عُمَرُ: هَيْهَاتَ، قَدْ فَرَغْتُ مِنْهَا. فَأَجَازَهَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقْبَلْهَا.

حيلة المغيرة

وَخَطَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَفَتًى مِنَ الْعَرَبِ امْرَأَةً،

وَكَانَ الْفَتَى جَمِيلًا، فَأَرْسَلَت إِلَيْهِمَا الْمَرْأَةُ: لَا بُدَّ أَنْ أَرَاكُمَا، وَأَسْمَعَ كَلَامَكُمَا، فَاحْضُرَا إِنْ شِئْتُمَا، فَأَجْلَسَتْهُمَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا. فَعَلِمَ الْمُغِيرَةُ أَنَّهَا تُؤْثِرُ عَلَيْهِ الْفَتَى، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: لَقَدْ أُوتِيتَ حُسْنًا وَجَمَالًا وَبَيَانًا. فَهَلْ عِنْدَك سِوَى ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَعَدَّدَ عَلَيْهِ مَحَاسِنَهُ، ثُمَّ سَكَتَ.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: فَكَيْفَ حِسَابُك؟ فَقَالَ: لَا يَسْقُطُ عَلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنِّي لَأَسْتَدْرِكُ مِنْهُ أَقَلَّ مِنْ الْخَرْدَلَةِ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: لَكِنِّي أَضَعُ الْبَدْرَةَ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ، فَيُنْفِقُهَا أَهْلُ بَيْتِي عَلَى مَا يُرِيدُونَ، فَمَا أَعْلَمُ بِنَفَادِهَا حَتَّى يَسْأَلُونِي غَيْرَهَا، فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: وَاَللَّهِ لَهَذَا الشَّيْخُ الَّذِي لَا يُحَاسِبُنِي أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ الَّذِي يُحْصِي عَلَيَّ أَدْنَى مِنْ الْخَرْدَلَةِ. فَتَزَوَّجَتْ الْمُغِيرَةَ.

حيلة المنصور

وَمِنْ دَقِيقِ الْفِطْنَةِ: أَنَّك لَا تَرُدُّ عَلَى الْمُطَاعِ خَطَأَهُ بَيْنَ الْمَلَأِ، فَتَحْمِلُهُ رُتْبَتُهُ عَلَى نُصْرَةِ الْخَطَإِ. وَذَلِكَ خَطَأٌ ثَانٍ، وَلَكِنْ تَلَطَّفْ فِي إعْلَامِهِ بِهِ، حَيْثُ لَا يَشْعُرُ بِهِ غَيْرُهُ. وَمِنْ دَقِيقِ الْفِرَاسَةِ: أَنَّ الْمَنْصُورَ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ فَكَسَبَ مَالًا، فَدَفَعَهُ إلَى امْرَأَتِهِ، ثُمَّ طَلَبَهُ مِنْهَا. فَذَكَرَتْ أَنَّهُ سُرِقَ مِنْ الْبَيْتِ وَلَمْ يَرَ نَقْبًا وَلَا أَمَارَةً، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: مُنْذُ كَمْ تَزَوَّجْتهَا؟ قَالَ: مُنْذُ سَنَةٍ، قَالَ: بِكْرًا أَوْ ثَيِّبًا؟ قَالَ: ثَيِّبًا، قَالَ: فَلَهَا وَلَدٌ مِنْ غَيْرِك؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَدَعَا لَهُ الْمَنْصُورُ بِقَارُورَةِ طِيبٍ كَانَ يُتَّخَذُ لَهُ حَادِّ الرَّائِحَةِ، غَرِيبِ النَّوْعِ، فَدَفَعَهَا إلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: تَطَيَّبْ مِنْ هَذَا الطِّيبِ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ غَمَّك. فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِهِ قَالَ الْمَنْصُورُ لِأَرْبَعَةٍ مِنْ ثِقَاتِهِ: لِيَقْعُدْ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ وَاحِدٌ مِنْكُمْ فَمَنْ شَمَّ مِنْكُمْ رَائِحَةَ هَذَا الطِّيبِ مِنْ أَحَدٍ فَلْيَأْتِ بِهِ. وَخَرَجَ الرَّجُلُ بِالطِّيبِ فَدَفَعَهُ إلَى امْرَأَتِهِ، فَلَمَّا شَمَّتْهُ بَعَثَتْ بِهِ إلَى رَجُلٍ كَانَتْ تُحِبُّهُ، وَقَدْ كَانَتْ دَفَعَتْ إلَيْهِ الْمَالَ، فَتَطَيَّبَ مِنْهُ، وَمَرَّ مُجْتَازًا بِبَعْضِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ، فَشَمَّ الْمُوَكَّلُ بِالْبَابِ رَائِحَتَهُ عَلَيْهِ؛ فَأَتَى بِهِ الْمَنْصُورَ، فَسَأَلَهُ: مِنْ أَيْنَ لَك هَذَا الطِّيبُ؟ فَلَجْلَجَ فِي كَلَامِهِ. فَدَفَعَهُ إلَى وَالِي الشُّرْطَةِ، فَقَالَ إنْ أَحْضَرَ لَك كَذَا وَكَذَا مِنْ الْمَالِ فَخَلِّ عَنْهُ، وَإِلَّا اضْرِبْهُ أَلْفَ سَوْطٍ. فَلَمَّا جُرِّدَ لِلضَّرْبِ أَحْضَرَ الْمَالَ عَلَى هَيْئَتِهِ فَدَعَا الْمَنْصُورُ صَاحِبَ الْمَالِ، فَقَالَ: أَرَأَيْت إنْ رَدَدْت عَلَيْك الْمَالَ تُحَكِّمُنِي فِي امْرَأَتِك؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هَذَا مَالُك، وَقَدْ طَلَّقْت الْمَرْأَةَ مِنْك.

اكتمل الجزء الرابع عشر



مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
نبوية
الزهرة
حجر القمر
الجواهر العشر
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
جمال شاهين
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوتيا والملك برابار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

قصص

المصباح

المضيء

الجزء ١٥

٢٠٢٤

جمال شاهين

قلب الوطن

حكايات الفوارس

روايات اجتماعية

روايات جنائية

حديقة الازهار

جواهر القصص

قصص اخرى

المكتبة الخاصة

اعداد

قصص
المصباح
المضيء
الجزء
الخامس عشر

قصص الأنبياء

النبي اسماعيل

هو ابن إبراهيم البكر وولد السيدة هاجر، سار إبراهيم بهاجر – بأمر من الله – حتى وضعها وابنها في موضع مكة وتركها ومعها قليل من الماء والتمر ولما نفد الزاد جعلت السيدة هاجر تطوف هنا وهناك حتى هداها الله إلى ماء زمزم ووفد عليها كثير من الناس حتى جاء أمر الله لسيدنا إبراهيم ببناء الكعبة ورفع قواعد البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجر وإبراهيم يبني حتى أتما البناء ثم جاء أمر الله بذبح إسماعيل حيث رأى إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه فعرض عليه ذلك فقال"يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين"ففداه الله بذبح عظيم، كان إسماعيل فارسا فهو أول من استأنس الخيل وكان صبورا حليما، يقال إنه أول من تحدث بالعربية البينة وكان صادق الوعد، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان ينادي بعبادة الله ووحدانيته. الاختبار الأول: ذكر الله في كتابه الكريم، ثلاث مشاهد من حياة إسماعيل عليه السلام. كل مشهد عبارة عن محنة واختبار لكل من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. أول هذه المشاهد هو أمر الله سبحانه وتعالى لإبراهيم بترك إسماعيل وأمه في واد لا ماء فيه ولا طعام. فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا الاستجابة لهذا الأمر الرباني. أنزل زوجته وابنه وتركهما هناك، ترك معهما جرابا فيه بعض الطعام، وقليلا من الماء. ثم استدار وتركهما وسار. أسرعت خلفه زوجته وهي تقول له: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه شيء؟ لم يرد عليها سيدنا إبراهيم وظل يسير.. عادت تقول له ما قالته وهو صامت.. أخيرا فهمت أنه لا يتصرف هكذا من نفسه.. أدركت أن الله أمره بذلك فسألته: هل الله أمرك بهذا؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم. قالت زوجته المؤمنة العظيمة: لن نضيع ما دام الله معنا وهو الذي أمرك بهذا. وسار إبراهيم حتى إذا أخفاه جبل عنهما وقف ورفع يديه الكريمتين إلى السماء وراح يدعو الله} :رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧{(إبراهيم لم يكن بيت الله قد أعيد بناؤه بعد، لم تكن الكعبة قد بنيت، وكانت هناك حكمة عليا في أمر الله سبحانه لإبراهيم، فقد كان إسماعيل –الطفل الذي تُرِكَ مع أمه في هذا المكان– ووالده من سيكونان المسؤولان عن بناء الكعبة فيما بعد.. وكانت حكمة الله تقضي أن يسكن أحد في هذا الوادي، ليمتد إليه العمران. بعد أن ترك إبراهيم زوجته وابنه الرضيع في

الصحراء بأيام نفد الماء وانتهى الطعام، وجف لبن الأم.. وأحست هاجر وإسماعيل بالعطش. بدأ إسماعيل يبكي من العطش.. فتركته أمه وانطلقت تبحث عن ماء.. راحت تمشي مسرعة حتى وصلت إلى جبل اسمه"الصفا .."فصعدت إليه وراحت تبحث به عن بئر أو إنسان أو قافلة.. لم يكن هناك شيء. ونزلت مسرعة من الصفا حتى إذا وصلت إلى الوادي راحت تسعى سعي الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادي ووصلت إلى جبل"المروة"، فصعدت إليه ونظرت لترى أحدا لكنها لم تر أحدا. وعادت الأم إلى طفلها فوجدته يبكي وقد اشتد عطشه.. وأسرعت إلى الصفا فوقفت عليه، وهرولت إلى المروة فنظرت من فوقه.. وراحت تذهب وتجيء سبع مرات بين الجبلين الصغيرين.. سبع مرات وهي تذهب وتعود - ولهذا يذهب الحجاج سبع مرات ويعودون بين الصفا والمروة إحياء لذكريات أمهم الأولى ونبيهم العظيم إسماعيل. عادت هاجر بعد المرة السابعة وهي مجهدة متعبة تلهث.. وجلست بجوار ابنها الذي كان صوته قد بح من البكاء والعطش. وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله، وضرب إسماعيل بقدمه الأرض وهو يبكي فانفجرت تحت قدمه بئر زمزم.. وفار الماء من البئر.. أنقذت حيات الطفل والأم.. راحت الأم تغرف بيدها وهي تشكر الله.. وشربت وسقت طفلها وبدأت الحياة تدب في المنطقة.. صدق ظنها حين قالت: لن نضيع ما دام الله معنا. وبدأت بعض القوافل تستقر في المنطقة.. وجذب الماء الذي انفجر من بئر زمزم عديدا من الناس.. وبدأ العمران يبسط أجنحته على المكان. كانت هذه هي المحنة الاولى.. أما المحنة الثانية فهي الذبح.

الاختبار الثاني: كبر إسماعيل.. وتعلق به قلب إبراهيم.. جاءه العقب على كبر فأحبه.. وابتلى الله تعالى إبراهيم بلاء عظيما بسبب هذا الحب. فقد رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل. وإبراهيم يعلم أن رؤيا الأنبياء وحي. انظر كيف يختبر الله عباده. تأمل أي نوع من أنواع الاختبار. نحن أمام نبي قلبه أرحم قلب في الأرض. اتسع قلبه لحب الله وحب من خلق. جاءه ابن على كبر.. وقد طعن هو في السن ولا أمل هناك في أن ينجب. ثم ها هو ذا يستسلم للنوم فيرى في المنام أنه يذبح ابنه وبكره ووحيده الذي ليس له غيره. أي نوع من الصراع نشب في نفسه. يخطئ من يظن أن صراعا لم ينشأ قط. لا يكون بلاء مبينا هذا الموقف الذي يخلو من الصراع. نشب الصراع في نفس إبراهيم.. صراع أثارته عاطفة الأبوة الحانية. لكن إبراهيم لم يسأل عن السبب وراء ذبح ابنه. فليس إبراهيم من يسأل ربه عن

أوامره. فكر إبراهيم في ولده.. ماذا يقول عنه إذا أرقده على الأرض ليذبحه.. الأفضل أن يقول لولده ليكون ذلك أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قهرا ويذبحه قهرا. هذا أفضل.. انتهى الأمر وذهب إلى ولده)قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى (انظر إلى تلطفه في إبلاغ ولده، وترك الأمر لينظر فيه الابن بالطاعة.. إن الأمر مقضي في نظر إبراهيم لأنه وحي من ربه.. فماذا يرى الابن الكريم في ذلك؟ أجاب إسماعيل: هذا أمر يا أبي فبادر بتنفيذه)يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (تأمل رد الابن.. إنسان يعرف أنه سيذبح فيمتثل للأمر الإلهي ويقدم المشيئة ويطمئن والده أنه سيجده من الصابرين هو الصبر على أي حال وعلى كل حال.. وربما استعذب الابن أن يموت ذبحا بأمر من الله.. ها هو ذا إبراهيم يكتشف أن ابنه ينافسه في حب الله. لا نعرف أي مشاعر جاشت في نفس إبراهيم بعد استسلام ابنه الصابر. ينقلنا الحق نقلة خاطفة فإذا إسماعيل راقد على الأرض، وجهه في الأرض رحمة به كيلا يرى نفسه وهو يذبح. وإذا إبراهيم يرفع يده بالسكين.. وإذا أمر الله مطاع) .فَلَمَّا أَسْلَمَا (استخدم القرآن هذا التعبير..هذا هو الإسلام الحقيقي.. تعطي كل شيء، فلا يتبقى منك شيء. عندئذ فقط.. وفي اللحظة التي كان السكين فيها يتهيأ لإمضاء أمره.. نادى الله إبراهيم.. انتهى اختباره، وفدى الله إسماعيل بذبح عظيم – وصار اليوم عيدا لقوم لم يولدوا بعد، هم المسلمون. صارت هذه اللحظات عيدا للمسلمين. عيدا يذكرهم بمعنى الإسلام الحقيقي الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل. خبر زوجة إسماعيل: عاش إسماعيل في شبه الجزيرة العربية ما شاء الله له أن يعيش.. روض الخيل واستأنسها واستخدمها، وساعدت مياه زمزم على سكنى المنطقة وتعميرها. استقرت بها بعض القوافل.. وسكنتها القبائل.. وكبر إسماعيل وتزوج، وزاره إبراهيم فلم يجده في بيته ووجد امرأته.. سألها عن عيشهم وحالهم، فشكت إليه من الضيق والشدة. قال لها إبراهيم: إذا جاء زوجك مريه أن يغير عتبة بابه.. فلما جاء إسماعيل، ووصفت له زوجته الرجل.. قال: هذا أبي وهو يأمرني بفراقك.. الحقي بأهلك. وتزوج إسماعيل امرأة ثانية.. زارها إبراهيم، يسألها عن حالها، فحدثته أنهم في نعمة وخير.. وطاب صدر إبراهيم بهذه الزوجة لابنه. الاختبار الثالث: وها نحن الآن أمام الاختبار الثالث.. اختبار لا يمس إبراهيم وإسماعيل فقط. بل يمس ملايين البشر من بعدهم إلى يوم القيامة.. إنها مهمة أوكلها الله تعالى لهذين النبيين الكريمين.. مهمة بناء بيت الله تعالى في الأرض.

كبر إسماعيل.. وبلغ أشده.. وجاءه إبراهيم وقال له: يا إسماعيل.. إن الله أمرني بأمر. قال إسماعيل: فاصنع ما أمرك به ربك.. قال إبراهيم: وتعينني؟ قال: وأعينك. فقال إبراهيم: فإن الله أمرني أن ابني هنا بيتا. أشار بيده لصحن منخفض هناك. صدر الأمر ببناء بيت الله الحرام.. هو أول بيت وضع للناس في الأرض.. وهو أول بيت عبد فيه الإنسان ربه.. ولما كان آدم هو أول إنسان هبط إلى الأرض.. فإليه يرجع فضل بنائه أول مرة.. قال العلماء: إن آدم بناه وراح يطوف حوله مثلما يطوف الملائكة حول عرش الله تعالى. بنى آدم خيمة يعبد فيها الله.. شيء طبيعي أن يبني آدم -بوصفه نبيا- بيتا لعبادة ربه.. وحفت الرحمة بهذا المكان.. ثم مات آدم ومرت القرون، وطال عليه العهد فضاع أثر البيت وخفي مكانه.. وها هو ذا إبراهيم يتلقى الأمر ببنائه مرة ثانية.. ليظل في المرة الثانية قائما إلى يوم القيامة إن شاء الله. وبدأ بناء الكعبة.. هدمت الكعبة في التاريخ أكثر من مرة، وكان بناؤها يعاد في كل مرة.. فهي باقية منذ عهد إبراهيم إلى اليوم.. وحين بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تحقيقا لدعوة إبراهيم.. وجد الرسول الكعبة حيث بنيت آخر مرة، وقد قصر الجهد بمن بناها فلم يحفر أساسها كما حفره إبراهيم. نفهم من هذا أن إبراهيم وإسماعيل بذلا فيها وحدهما جهدا استحالت -بعد ذلك -محاكاته على عدد كبير من الرجال.. ولقد صرح الرسول بأنه يحب هدمها وإعادتها إلى أساس إبراهيم، لولا قرب عهد القوم بالجاهلية، وخشيته أن يفتن الناس بهدمها وبناؤها من جديد.. بناؤها بحيث تصل إلى قواعد إبراهيم وإسماعيل. أي جهد شاق بذله النبيان الكريمان وحدهما؟ كان عليهما حفر الأساس لعمق غائر في الأرض، وكان عليهما قطع الحجارة من الجبال البعيدة والقريبة، ونقلها بعد ذلك، وتسويتها، وبناؤها وتعليتها.. وكان الأمر يستوجب جهد جيل من الرجال، ولكنهما بنياها معا. لا نعرف كم هو الوقت الذي استغرقه بناء الكعبة، كما نجهل الوقت الذي استغرقه بناء سفينة نوح، المهم أن سفينة نوح والكعبة كانتا معا ملاذا للناس ومثوبة وأمنا.. والكعبة هي سفينة نوح الثابتة على الأرض أبدا.. وهي تنتظر الراغبين في النجاة من هول الطوفان دائما. لم يحدثنا الله عن زمن بناء الكعبة.. حدثنا عن أمر أخطر وأجدى.. حدثنا عن تجرد نفسية من كان يبنيها.. ودعائه وهو يبنيها: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) ١٢٨ (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) (129)البقرة } إن أعظم مسلمين على وجه الأرض يومها يدعوان الله أن يتقبل عملهما، وأن يجعلهما مسلمين له.. يعرفان أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن. وتبلغ الرحمة بهما أن يسألا الله أن يخرج من ذريتهما أمة مسلمة له سبحانه.. يريدان أن يزيد عدد العابدين الموجودين والطائفين والركع السجود. إن دعوة إبراهيم وإسماعيل تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن.. إنه يبني لله بيته، ومع هذا يشغله أمر العقيدة.. ذلك إيحاء بأن البيت رمز العقيدة. ثم يدعوان الله أن يريهم أسلوب العبادة الذي يرضاه، وأن يتوب عليهم فهو التواب الرحيم. بعدها يتجاوز اهتمامها هذا الزمن الذي يعيشان فيه.. يجاوزانه ويدعوان الله أن يبث رسولا لهؤلاء البشر. وتحققت هذه الدعوة الأخيرة.. حين بعث محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم.. تحققت بعد أزمنة وأزمنة. انتهى بناء البيت، وأراد إبراهيم حجرا مميزا، يكون علامة خاصة يبدأ منها الطواف حول الكعبة.. أمر إبراهيم إسماعيل أن يأتيه بحجر مميز يختلف عن لون حجارة الكعبة. سار إسماعيل ملبيا أمر والده.. حين عاد، كان إبراهيم قد وضع الحجر الأسود في مكانه.. فسأله إسماعيل: من الذي أحضره إليك يا أبت؟ فأجاب إبراهيم: أحضره جبريل عليه السلام. انتهى بناء الكعبة.. وبدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها.. ووقف إبراهيم يدعو ربه نفس دعائه من قبل.. أن يجعل أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إلى المكان.. انظر إلى التعبير.. إن الهوى يصور انحدارا لا يقاوم نحو شيء.. وقمة ذلك هوى الكعبة. من هذه الدعوة ولد الهوى العميق في نفوس المسلمين، رغبة في زيارة البيت الحرام. وصار كل من يزور المسجد الحرام ويعود إلى بلده.. يحس أنه يزداد عطشا كلما ازداد ريا منه، ويعمق حنينه إليه كلما بعد منه، وتجيء أوقات الحج في كل عام.. فينشب الهوى الغامض أظافره في القلب نزوعا إلى رؤية البيت، وعطشا إلى بئر زمزم. قال تعالى حين جادل المجادلون في إبراهيم وإسماعيل. { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) (آل عمران} عليه الصلاة والسلام.. استجاب الله دعاءه.. وكان إبراهيم أول من سمانا المسلمين.

قصص من السنة

حكم سليمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا :إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى :إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ!

فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ :ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا!، فَقَالَتِ الصُّغْرَى :لاَ تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى." مُتَّفَقٌ عليْهِ.

سليمان وبيت المقدس

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :ﷺ إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلالًا ثَلاثَةً :سَأَلَ اللَّهَ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأُوتِيَهُ. وَسَأَلَ اللَّهَ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِن فَأُوتِيَهُ. وَسَأَلَ اللَّهَ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ، أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. أما اثنتان فقد أُعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة." أخرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَةَ، وَأَحْمَدُ، وابْنُ حِبَانَ، وَالحاكِمُ.

***

ذئب يتكلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ :مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟!. وَبَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ، فَقَالَتْ :إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ .قَالَ النَّاسُ :سُبْحَانَ اللَّهِ ! ." قَالَ النَّبِيُّ :ﷺ فَإِنِّي أُؤمِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا." مُتَّفَق عَلَيْهِ.

***

مائة امراة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ :قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ :إِنْ شَاءَ اللَّهُ!، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، فَجَاءَتْ بِشِقِّ إِنْسَانٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ :إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

***

عفريت يتفلت

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلاَةَ، فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَذَعَتُّهُ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ} :رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي{فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

***

عرش ابليس

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ :فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا .

فَيَقُولُ :مَا صَنَعْتَ شَيْئًا! قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ .قَالَ :فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ." ! قَالَ الْأَعْمَشُ :أُرَاهُ قَالَ" :فَيَلْتَزِمُهُ." أخرجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ.

حكايات الحي أبو خروف

طبيب أبو خروف

الحلقة ١

عيادة الصحة

حكايات أبو خروف كثيرة ، لكل إنسان حكاية وقصة ، وأنا كاتب هذه الحكايات اختار ما أراه مناسبا لي ولكم للعظة والتسلية ، هذه حكايات حدثت ما بين ١٩٧٠الى١٩٨٠ من سبعينيات القرن العشرين لنبدأ هذه القصة من العيادة الشعبية التابعة لوزارة الصحة في مدينة دار السلام ، تنشر الحكومات عيادات ومراكز صحة في أحياء البلاد ومدنها وأريافها ؛ لتقديم الخدمة الأولية للمرضى ؛ ولتخفيف الضغط عن المستشفيات التابعة لوزارة الصحة العامة ؛ ولتوفير الخدمة الطبية للناس قرب تجمعاتهم ، وقد تحظى عدة أحياء في مركز صحي واحد ، فكان من حظ أبو خروف وجود عيادة شعبية فيه ، وهي في مطلع شارع السالم غربي أبو خروف قرب مدرسة البنات الأساسية ، وهي مرتبطة بعيادة أكبر تقع في حي النجمة الحي الذي يسبق حي أبو خروف ، فتقدم الإسعاف الأولي للمصابين والمرضى ، ومن يحتاج إلى علاج أكبر يحول إلى مستشفى دار السلام الكبير في مركز العاصمة ووسطها أو يحول لعيادة النجمة أو الهدى ، وبعض المرضى يذهب مباشرة لأحدهما ، ومع ذلك فصحة أبو خروف تعمل بهمة ونشاط ، وتهتم برعاية أمراض النساء والحوامل والشيخوخة ، تتكون العيادة من طابقين صيدلية ومكتب محاسبة وعيادات طب عام وغرفة فحص وغيار طوارئ ومختبر صغير والمختبر الأكبر في عيادة الهدى ، وأخصائي نساء وأخصائية نساء ورعاية حوامل وتنظيم الأسرة ، وطبيب نفسي اجتماعي ، وموظف المختبر يأخذ العينات يوميا ويذهب بها لمختبر عيادة النجمة ، فله ساعة معينة للمغادرة ، والنتائج تظهر في اليوم التالي ، وتقدم للطبيب العام ، ويقرر صرف المريض لعيادة النجمة أم لا ، أو المستشفى العام .. في العاشرة والنصف يغادر موظف المختبر بالعينات ، الكسر والعظام يحول فورا إلى عيادة النجمة والهدى أو المستشفى .. باختصار العيادة

الشعبية نقطة وصل بين المواطن في أبو خروف وعيادة النجمة ؛ للتخفيف من الضغط على المستشفيات والمراكز الكبيرة ، لأن بعض الأمراض تحتاج لعلاج بسيط ، وكذلك مراقبة ومتابعة النساء الحوامل وصرف بعض الأدوية لهن ، وفي العيادة الشعبية موظف السجل لتسجيل أسماء المراجعين وتوزيعهم على الأطباء الموجودين ، وغريب باسل ونهى عادل أسماء موظفي السجل الطبي ، وصيدلي واحد اسمه أمجد عبد الظاهر ، وعند غيابه في إجازة تأتي فتاة من صيدلية النجمة ؛ لتقوم بعمله .. وللعيادة مديرة اسمها عبلة حسن طبيبة نساء ، وللعيادة خادمة واحدة وبواب واحد وكما بيننا رغم صغر العيادة يتوافد إليها أغلب مرضى أبو خروف ، والخدمة الأهم تقدم للنساء ؛ لذلك الكثير من المراجعين يعرضون على أطباء العيادة إذا كانت أمراضهم مجرد أمراض شائعة مثل الرشح الأنفلونزا ، يصرف لهم الدواء البسيط للالتهابات الحلقية وأدوية السعال ، غز إبرة تشخيص مرض ، وإذا احتاج المراجع للأخصائي باطني عظام جلد يحول إلى مركز الهدى في حي النجمة ، وهناك دراسات قد تتحول فيها العيادة الشعبية إلى مركز صحي كبير مثل الهدى

هذا هو واقع العيادة الصحية الشعبية في الحي ، عند العاشرة يسمح للموظفين بفترة استراحة لمدة ثلث ساعة لشرب الشاي أو غيره ، وأكل شيء خفيف، فيوجد في العيادة غرفة صغيرة لصنع الشاي والقهوة للموظفين على نفقتهم الخاصة ، أما الأكل فيشترى من المطاعم القريبة بواسطة الفراش أو الخادمة أو موظف ، وأغلب موظفي العيادة يدخنون ماركات دخان متعددة وكلها مصنوعة من مادة التبغ ، مع معرفتهم أنه ضار بصحة الإنسان، ولذلك تجد لوحات على الجدران منتشرة في العيادة تحذر الناس من خطر التدخين ، ومنعه في الأماكن العامة حتى لا يتضرر غير المدخنين .

دخل الصيدلي أمجد عبد الظاهر على كاتب السجل غريب باسل عندما غادرته زميلته نهى عادل وقال بصوت منخفض : انتهى شهر حزيران ولم نقبض شيئا ما الأمر ؟!

– لم أقبض شيئا بعد ، عملت جولة على صيدليات أبو خروف

والكل يؤجل إلى عشرة الشهر ..لا أدري ما السر في عشرة الشهر ؟! واليوم سأمر على الدكتور راشد ، فله شهران لا يدفع نصيبنا

– شهران ، ولماذا يعجز عن الدفع ؟!

– ابنه أيمن ابنه الوحيد كثير المشاكل مع أولاد الحي والمدرسة ، ويزعم أن زبائنه تقل .. الذين نرسلهم إليه لا يدخلون عليه هذه الأيام

- هذا خبر مزعج ،كان الرجل ملتزما بالدفع على كل آخر شهر .. هل الطبيب شامل لم يعد يشجع مرضاه إليه؟ هل عليه شكاوي ؟

- لست أدري ؛ لكن الدكتور شامل متعاون جداً معنا، بل مرتاح يا سيد أمجد .. عند عشرة الشهر سأجدد الجولة ، وإذا لم يدفع راشد عن هذا الشهر والسابقين ، سنلغي العقد السري بيننا ..فهناك طبيب جديد يعمل في الحي ، و عيادته على الشارع العام .. سمعت أن عليه حركة ونشاط .. قد أستطيع إشاعة توريد زبائننا إليه

- أنا أعرف همتك يا سيد غريب يا أبا علي! ..عشرة الشهرة قريب .. أربعة أيام .. سأصبر .. أنا كما تعلم أُكبر في البيت ، واحتاج لمزيد من الدخل

- توكل على الله .. أيام ويأتيك الدعم يا سيدي .. ألا تستطيع تدبير لنا كمية من ذاك الدواء فصاحب صيدلية شادية يريد كمية منه

- سأتصل بحسام صيدلي المستشفى

دخل سلمان الذي عرفناه في قصة أبي صالح كمال نزو على عيادة الدكتور راشد عبد المحسن ، فهي قريبة من عماراته في أبو خروف يقطع شارع بدر الصغير ، ويدخل من زقاق للمشاة ، فيصبح في شارع نور القمر ، ثم يدخل العمارة التي على زاوية شارع نور القمر والشارع العام ، ومدخل العمارة الرئيسي ليس من الأمام حيث الشارع الرئيس في الحي ، إنما من الجانب الأيسر لشارع نور القمر ، فالطابق الأرضي من العمارة من جهة الشارع محلات تجارية ، وأعلاها ومن الخلف طوابق للسكن ومكاتب ، فعيادة الدكتور راشد في الطابق الثاني فوق المحلات التجارية وأيضا شقته في نفس الطابق ، وهناك شقة ثالثة يستأجرها رجل سماك ، والعمارة كلها من ثلاثة طوابق ، صعد سلمان إلى عيادة راشد ، وسأل الفتاة التي تعمل عنده كمنسقة وسكرتيرة عنه فقالت بعد التحية والترحيب : ذهب إلى السوق وسيعود .

تذكر سلمان يوسف أن الرجل بدون زوجة منذ سكن الحي ، ويعيش معه ولده الوحيد أيمن الطالب في المدرسة الثانوية عام ١٩٧٢ ، ويذكر أن الرجل جاء الحي منذ ما يزيد عن عشر سنوات ، وهو اليوم في الخمسين من عمره ، ويعلم أنه منذ ترمل وهو يعيش بدون امرأة ، وهناك شغالة في الحي تأتي بعد فتح العيادة لتنظيف الشقة ، وتحضير الطعام ، ثم تعطي عاملة العيادة المفتاح بعد أن أخذته منها صباحا ، وتنصرف إلى أسرة أخرى ، أو إلى بيتها ، وربما يأخذ الدكتور المفتاح منها إذا صدفته في وجهها ، وهو يعتمد في طعامه غالبا على نفسه أو المطاعم المنتشرة في الحي والتي تقدم الطعام الخفيف والثقيل للزبائن .

بعد أن تذكر ما تذكر للفتاة التي يعرفها ـ فهي ابنة أبي جمال جاره في الحي ، وفي نفس شارعه ، ومتعلمة في المعهد ، ثم تزوجت ، وبعد خلفتها لخمسة أطفال مرض زوجها ، وعجز عن العمل فاضطرت للخروج للعمل ، وبعد حين خف المرض عن زوجها نمر ، واشتغل في محل لبيع مواد البناء ، واستمرت في عملها ، ولما فتح الدكتور عيادته في الحي ، تعرف على زوجها نمر أثناء تردده إلى المحل لشراء أدوات صيانة ، وعرف والدها ، وعندها دراية في العمل في المكاتب والعيادات ، فاقنع زوجها ووالدها بالعمل عنده ، وسيضيف إليها مهنة ضرب الإبر ، والتغيير على الجروح مقابل عشرين دينارا في الشهر ، فقبلوا ، وانتقلت للعمل مع الدكتور راشد عبد المحسن ـ سألها أبو يوسف عن أحوالها وصحة زوجها ووالدها ، والفتاة تعرف سلمان حق المعرفة ، فهو صديق والدها إلى حد ما ، وصديق الدكتور ، وتعرف أسرته .. ثم قالت: لما رأى الدكتور فراغ العيادة ذهب للسوق الذي خلف المسجد ؛ لعله يجد أسعارا أقل من أسعار المحلات القريبة من هنا .. وإذا كنت تحب أن أبلغه شيئا فأنا مستعدة يا عمي أبا يوسف

قال سلمان مفكرا : لا ، كنت راغبا بالحديث معه في موضوع خاص ، أو هو طلبني في موضوع خاص ..وشرح للفتاة : مرّ أبو كسوة الحمّار ليلة أمس على بيتي ، وأخبرني أن الدكتور راشدا يريد الحديث معي ، قائلا لو مررت عليه صباح الغد كان الكلام في الليل يا أم جمال .. أنت سميت ابنك الكبير على اسم أخيك المرحوم جمال .. إني اذكره .

ـ نعم ، وترحمت على شقيقها جمال الذي مات في الغربة ، سافر للعمل مع أقارب له في أمريكا واعتدي عليه في أحد متاجرهم ، وقتلوه رميا بالرصاص .

– كم الساعة الآن ؟

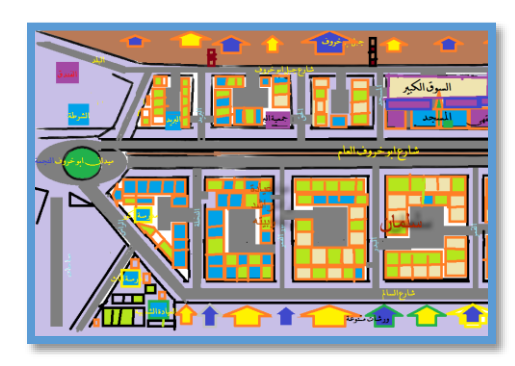
نظرت المرأة لساعة يدها وقالت : الثانية عشرة يا عمي أبا يوسف

وقف الرجل وقال باسما: أنا أضع ساعة على يدي مثلك ؛ ولكن سألتك حتى تعرفي أني جئت وغادرت في مثل هذا الوقت .. فقد اقترب وقت صلاة الظهر .. على كل حال ، وأنا راجع من جهة الجامع .. ربما انحرف إليكم .. سلمي على والدك وأهلك وزوجك نمر .. والسلام عليكم

نهضت الفتاة تودعه لباب العيادة ، وهي تتمنى له السلامة ، ولما عادت لمكتبها الصغير في زاوية من زاوية صالة استقبال المرضى والمراجعين جلست لبضع دقائق ، ثم نهضت تعمل الشاي لنفسها ، فهي تمكث في العيادة حتى الساعة الثانية ظهرا كل

يوم ، ما عدا الجمعة ، فهو عطلة رسمية على مستوى البلد ، وأما حضرة الدكتور فيتناول الغداء مع أيمن بعد عودته من المدرسة ثم يعود للعيادة ، فيبقى فيها حتى المغرب عادة ، ثم يغلقها ، ويدخل البيت يتعشى وحده ، أو مع أيمن إن كان موجودا في البيت ، ومرات إذا لم يجده ينزل إلى وسط المدينة للسهر ، كما يفعل أغلب الليالي ويأكل في قلب العاصمة ، وأحيانا يعمل زيارة لأحد الناس أو الزملاء .. والدكتور من رواد المسارح ، ودور العرض السينمائي ، تعلق بذلك من أيام دراسته الطب بمصر .

لقاء الطبيب



قبل مغادرة أم جمال عاملة العيادة العيادة ـ وكان بعض الناس ينادونها بأم محمود ، اسم ابنها التالي ؛ لتمييزها عن اسم أمها أم جمال ، والدكتور كان يحب الاسم الثاني لمعرفته لوالدها وزوجها ـ نادى عليها الدكتور من عند باب الشقة التي يسكن فيها من نفس الطابق ، فلبت النداء ، فقال لها: أم رسمي أكيد أنهت عملها.. مفتاحي الخاص فقد من أيام .. لا أدري أين أضعته ؟ أين سقط ؟

رجعت المرأة إلى العيادة وعادت بمفتاح أم رسمي ، وفتحت له الشقة ، فزلف إليها مدخلا مشترياته ، وقال لها : لم يأت زبائن يا أم محمود

– جاءت امرأة ومكثت عشر دقائق وانصرفت ، لم تطق الانتظار .. وجاء الشيخ سلمان أبو يوسف ، وشرب الشاي ، وذهب للجامع عند الظهر

– أمس أرسلت له أبا كسوة .. نسيت

– وعد بالعودة بعد الظهر ؛ ولكنه لم يعد بعد .. ربما نسي أو انشغل

– لم يذهب لمقهى مهران .. دوامه في المقهى بعد صلاة العصر ..شكرًا يا أم محمود بإمكانك إغلاق العيادة والانصراف .. لا مزاج لي اليوم بمتابعة العمل .. قال بتأفف : هذا الدكتور الجديد يأخذ شغلنا .. فهو طبيب شاب متحمس

مشت إلى العيادة ورتبت الأمور والأوراق ، ونظفت أكواب الشاي والقهوة ، وأغلقت العيادة ، وطرقت الباب على الدكتور ، وأعطته المفتاح ، وقالت: الحاج سلمان !

– إذا جاء سيطرق باب شقتي .. سلمي على أبيك وزوجك .. لقد قابلته اليوم في السوق صحته عال .. كنت أرى أن مرضه يوصل للهلاك

– الكل قال ذلك ..ولكني اليوم حامل من جديد

أظهر الطبيب الدهشة وقال : حقا أنت حامل !

مبارك مبارك
– في أول الحمل ، لم يظهر عليّ بعد
– اليوم الطب والفحص يكشف الحمل بسرعة من قبل انقطاع الطمث .. بالسلامة يا أم محمود
نزلت الدرج ، وأغلق راشد بابه ، وقال لنفسه: نعم ، سلمان يوسف خير من يسأل عن نساء وبنات الحي .. فهو من مواليد أبو خروف ، وقضى كل حياته فيه ، إنه يعرف الغريب والقريب وأيمن أصبح شابا قويا ، وأستطيع أن أركن عليه ، وبعد التوجيهي إذا لم ينجح سأزوجه وأخلص منه .. وأبرئ نفسي من ذمته .. لا أعتقد أن يجتاز الثانوية العامة .. وهو صاحب مشاكل ومشاجرات

كان الدكتور راشد يفكر بتزويج ابنه بعد إنهاء الثانوية ، معتقدا أنه بفعل هذه الخطوة يقضي على مشاكله ومشاجراته مع الناس ، وأيضا الدكتور نفسه على وشك الزواج ، فبعد أن تجاوز الخمسين بسنة أو سنتين فكر بالزواج ، والسبب عدة لقاءات مع رجل اسمه أبو كسوة جمعة صدقي .. فهذا الرجل من جيل الدكتور أربع وخمسون سنة ، يعمل عدة أعمال، بائع حلوى وترمس في الشوارع وأبواب المدارس ، ويشتغل حمّارا .. هو ليس من أهالي أبو خروف ؛ ولكنه يعرفه ويطرقه ويجاوره ، ويبيع فيه ، خاصة أمام باب مدرسة البنات المرحلة الأولى ، وأيضا ينقل الطحين ومؤن اللاجئين من مكان توزيعه في المخيم إلى منازلهم على متن حماره عدة أيام .. وذلك كل شهر عندما يبدأ التوزيع الشهري .. فيتوقف عن البيع ، ويشتغل بالنقل للمواد التموينية التي توزعها وكالة الغوث للاجئين الفلسطينيين منذ أحداث نكبة فلسطين ، فالمخيم الفلسطيني شاع في البلاد المجاورة لفلسطين بعد نكبة الشعب الفلسطيني ١٩٤٨ ، فقد قامت الأمم المتحدة التي أنشئت تاريخيا قبل النكبة بثلاث سنوات ـ كأنها أعدت لهذا الكارثة العالمية ـ بإنشاء وكالة لإغاثة الفلسطينيين المشردين الأونروا .. فهي تقدم الدقيق والأرز والزيت والحليب والسكر والسردين وغير ذلك من المعلبات .. فالحمار أبو كسوة ينقل هذه الأشياء بعد استلامها لمنازل الناس مقابل بعض المال ، وقد يحصل على أطعمة من زبائنه فيبيعها ، ويتكسب وبعد الظهر يتوقف التوزيع ، فيعود لبيع الحلوى أمام المساجد أو المقاهي وأماكن لعب الأطفال ولما يتوقف التوزيع الشهري انتظارا للشهر التالي ، فيجلس أمام مدرسة بنات أبو خروف يسترزق ويرضى بالمقسوم ، وأحيانا عند مدرسة الوكالة في قلب المخيم ؛ لكن هناك باعة أكثر وتعوّد على هذا النظام والترتيب منذ كبر وتزوج ، وأصبح له أولاد

وبنات .. فهو معروف لأهل المخيم ولأهل أبو خروف ، وتعرف على الدكتور راشد ، وتردد على عيادته للعلاج ، ولما علم أنه أرمل منذ سنوات حدثه عن ابنته بهية ابنة العشرين سنة العزباء ، وشجعه على الزواج منها ولا يهم فارق السن بينهما ، وستقبل به ، وستعجبه ، وبعد تردد وخوف أبدى راشد رضاه وقبوله على تجديد زواجه بعد خمسة عشر عاما من الترمل وبدون زواج ، وذلك منذ ماتت أم أيمن ، فلما ماتت صرف النظر عن الزواج والنساء ؛ ولكن من تشجيع أبي كسوة له غير رأيه وفكره ، والعروس جاهزة ، وأنها لا تفكر وتكترث بفارق السن الكبير بينهم .. المهم أن تتزوج تغلب الطبيب راشد نفسيا على خوفه من النساء والزواج وتقدمه في العمر ؛ فلذلك هو يسعى للقاء سلمان ليستشيره ويسمع نصحه في مثل هذا الزواج ، ويعرف منه حقيقة أبي كسوة ، فهو مجرد زبون تعرف عليه من سنة زمان.. يريد أن يعرفه جيدا قبل مغامرة الزواج من ابنته .. وسنعرف لماذا لم يفكر الدكتور بالزواج قبل لقائه بأبي كسوة ؟!

زار سلمان العيادة في النهار التالي ، واستقبلته عاملة العيادة بترحاب ، وذكرت له أن والدها يسلم عليه ، وكذلك والدتها ، فشكرها وعلم منها أن الدكتور يعالج أحد المرضى ، وجلس السيد ، وقامت تصنع له كوبا من الشاي، ولما شربه سمع الدكتور يودع المريض ، ولما رأى سلمان رفع صوته مرحباً ومصافحا ومعانقا الخد الأيمن ثم الأيسر .

فقال سلمان: مررت أمس يا أبا أيمن ولم أجدك .. خرجت للجامع ، ثم التقيت ببعض الناس ولم أتمكن من المجيء إليك ثانية .. لقد مرّ عليّ هذا الرجل بياع الترمس أبي كسوة ، وأعلمني أن أمرّ عليك .. عسى الأمر خيرا



- كل الخير .. هل شربت شيئا؟

قالت: شرب شايا .. هل أصب لك يا حضرة الدكتور ؟ وأنت يا عم أبا يوسف كوبا أخر .. فالعم سلمان صديق الوالد

قال سلمان: لا بأس يا أم جمال .. فانا مغرم بالشاي .. وهو المفضل عندي

قال الدكتور: تفضل على غرفة الفحص أريدك في موضوع خاص جداً يا أبا يوسف إذا حضر أحد يا أم محمود فلا يدخل علينا .

دخلا غرفة الفحص والعلاج ، وجلسا على كرسيين وراشد يرحب بالرجل من جديد ،

ودخلت المرأة بالشاي لكليهما ، ووضعته على منضدة صغيرة أمامها ، وأغلقت الباب خلفها .

قال سلمان: خير يا دكتور

أشعل الدكتور سيجارة وقال : أنا أعلم أنك رجل الحي العارف بأهل الحي صغيرهم وكبيرهم

– أنا أعرف كل سكان الحي .. لم افهم عليك؟!

– يا سيدي أرغب بالزواج

– الزواج .. جميل !.. دائماً أرغبك فيه! الحمد لله أنك لنت وغيرت .. الزواج مطلوب .. ما المطلوب مني؟!

– قلت استفيد من حياتك في هذا الحي وخبرتك .. أرأيت هذا الرجل الحمّار الذي بعثته لك كما يقال له أبو كسوة ؟

– ماله؟!

– هذا الرجل يعرض عليّ ابنته .. بنت العشرين سنة .. لم يحصل نصيبها .. فله سنة يحثني على مصاهرته بالزواج من بنته .. وكلما يمر هنا يفعل ذلك ويردده .. حتى ذهب عني الخوف من الزواج ..قلت أجرب مرة أخرى ..فكرت كثيرا قبل أن أصل لهذا القرار الأخير .. لا بأس بالمحاولة من جديد يا أبا يوسف .. أنا تعقدت من النساء بعد موت أم أيمن .. فقلت أسأل أبا يوسف عنه وعن عائلته وابنته .. فأنت الرجل الخبير

ضحك سلمان وقال: أنا لا أنكر معرفتي بالكثير من الأسر والعائلات في حيّنا الكبير ؛ لحياتي المديدة فيه ، ومعاصرة تطوره وتحدثه .. وأعلم أحداث وأخبار الناس ، ومع ذلك لا أعرف هذا الحمّار بالشكل الجيد سوى أنه بياع وحمّار في المخيم .. فهو يجلس أمام المدرسة ليبيع البنات الحلوى والترمس ، وأحيانا يتجول في الحي خاصة عند المقهى والمسجد ، ويعمل في المخيم على حمار عند توزيع التموين والمؤن على لاجئي المخيم .. وهو يعيش قرب حي النجمة في أحد أطرافه ، فهو صاحب غنم وطير ، ولديه أسرة كبيرة .. كانت كل سنة تلد امرأته طفلا .. ابنه البكر كسوة متزوج ..ويعيش هنا في هذا الحي .. والثاني صاحب عيلة .. لا أعرف عنه أسرارا وهو رجل في المجمل غلبان يا دكتور راشد وعلى باب الله كما يقال ؛ لكن أليست صغيرة بالنسبة لك ؟ أنت من جيل والدها

– هي راضية على ذمة الرجل ، وتعلم أنها ستنكح رجلا فوق الخمسين

المطالبة

في الثانية ظهرا تركت أسماء عيادة الدكتور ، وبينما هي تغادر دخل غريب عامل المركز الصحي أو العيادة الشعبية المعروف لأهالي الحي ، فهو موظف السجل الطبي فيها ، فحيا وسأل : الدكتور موجود

رحبت به وحركت رأسها بالإيجاب ولفظت : نعم
- شكرًا
سمعت الدكتور ينادي من غرفة العيادة : هل من أحد معك يا أسماء؟
فرفعت صوتها: إنه السيد غريب باسل موظف الصحة ... وقبل أن تكمل عبارتها كان الرجل يطرق باب العيادة ، ويدخل محييا الدكتور الذي ظل جالسا وعابسا ، وقالت الفتاة: أيلزمك شيء سيدي الدكتور قبل انصرافي
- مع السلامة يا أسماء وأخذ يرحب بالرجل ، ثم قال وهو يترك مقعده : لنجلس في الصالة
- اليوم الثاني عشر من حزيران .. وأنت تعلم لماذا جئت؟!
- اليوم الثاني عشر من حزيران .. نعم ، موعدنا عادة في العاشر منه .. صدق يا غريب أني أعاني من الشغل وقلة المرضى .. هذا الدكتور الجديد شفط الزبائن .. يذهب إليه مرضاكم .. هل ضممتموه للمجموعة ؟
فقال غريب وقد جلسا في الصالة حيث لا أحد : الدكتور نشأت رفض التعاون .. عليه حركة الآن ؛ لأنه جديد والجديد له بهجة .. ونحن والمجموعة التي تعمل معنا نريد المال .. وأنت الشهران الماضيان آذار ونيسان لم تحاسب والشهر الثالث أيار الذي مضى من أيام .. أنت تحرجني يا دكتور إن لم تدفع.. ويشكون في ذمتي ..وإني أبلعها وحدي .. الظرف يكون شهرا يكون تأخير في الدفع .. وهم يتقاعسون عن العلاج للمرضى من أجل أن يمروا عليكم .. والمرضى يتهمون الحكومة مقصرة في الخدمة الطبية ، ولا ينتبهون للعبتنا .. وإذا تريد الابتعاد عنا لا مانع لدينا يا أبا أيمن ؛ لكن حصة الشهور المستحقة عليك أن تدفعها قبل الانفصال .. كثيرون الأطباء الذين يقبلون الشغل معنا .. نحن نوجه الكثير من المرضى إليكم بإسماعهم أنكم من أمهر الأطباء في الحي .. وأشياء نلقيها في آذانهم ، وإنكم أبرع أطباء الطب العام في البلد ، والشفاء حاصل لخبرتكم
كان راشد يسمع دون نطق حتى لاحظ صمت غريب فقال : صدق أني أعاني من ضعف المرضى لا أدري لماذا ؟ ها هو السجل والأوراق انظر إليها .. وانظر كم عدد الرواد والمرضى خلال الأشهر الثلاثة الماضية .. يظهر أن هناك غيري
تبسم غريب ورد : هنا صدق أننا لا نتعاون إلا معك ، والطبيب حمدان.. ونحن لا نشجع على الأخصائيين .. المرض عمل يومي .. فصحيح نحن نحول بعض المرضى لصحة الهدى في حي النجمة أو مستشفى السلام .. ذرا للرماد في العيون .. وننصح مرضانا بالعلاج عندكم أنت وحمدان

بدل أن يدفعوا إيجار السيارة وتضييع الوقت وكثرة المراجعين .. وحمدان لا يشكو مما تشكو منه .. وعمله قائم ، ويدفع حقنا كل شهر .. فالشهر الماضي قبل أيار دفع خمسين دينارا وهو يدفع أول الشهر ، وليس على عشرة .. ونحن لم نجبرك على التعاون معنا يا دكتور

– أنا أفكر بالزواج هذه الأيام من أجل ذلك أنا مضغوط بالمال يا غريب

– الشهر تلو الشهر ، المال يتراكم .. صار لنا في ذمتك ثلاثة أشهر .. اضربها بثلاثين فعندك تسعون يا دكتور ..واليوم الثاني عشر من حزيران يعني نصف الشهر

فهز الدكتور رأسه وقال: تسعون دينارا .. هذا الشهر الثالث لكم في ذمتي .. أنا في حيرة من أين أدفع هذه التسعين ؟

– الغدر ليس طيبا يا دكتور

– الغدر!

– نعم ، تريد أن تنسحب من العمل معنا فلك ذلك .. حقنا لا يجب أن تأكله أو نتنازل عنه

– أشكوكم للدائرة

صاح غريب محتجا: تشكونا للدائرة ماذا ستشتكي ؟ وهل يصدقونك ؟

– سأختار بعض المرضى الذين أرسلتموهم إليّ

– كبرت يا دكتور .. أنت تحسب أن اللقمة سهلة ..لا .. ادفع ما عليك ، ثم اشكونا لمن شئت نحن نقوم بعملنا على خير ما يرام .. والذين يأتونك لا يتوفر لدينا علاجهم .. نحن نحولهم إلى المستشفى .. وعيادة الهدى .. وننصح لهم لتوفير المال والجهد بالمرور عليك .. أنا من الشهر الماضي أحسست أنك تلعب بنا يا دكتور

هتف الطبيب : تهددني يا رجل

– يبدو أنك نسيت أيام السجن .. السنوات الثلاث

صاح الطبيب سخطا : أيضاً تعرف هذه.. هذا أنتم مجرمون !

– اللقمة ليست سهلة .. ونعرف أنك قتلت امرأتك

غضب الدكتور واحتد وقال : أوه ! هذا أنت حقير للآخر

– نريد حقنا يا نظيف!

– أنا قتلت امرأتي بالخطأ يا مجرم .. ولم أكن أقصد قتلها .. من أين عرفت القصة؟!

– ابن عمي ضابط كبير في الشرطة

– ابن عمك ضابط كبير .. حسنا يا غريب .. سأضحي بعملي مع عصابة العيادة .. لن أدفع مليما واحدا .. أنا من الشهر الماضي ذكرت لك يا غريب أنه لا أحد يأتي من جهتكم .. لست غبيا وجاهلا .. فأنتم تحولون على الشاب نشأت

وقف غريب وطفأ سيجارته في منضدة مظهرا الغضب وقال: لا تريد دفع المستحقات .. سأمشي يا حضرة النصاب ..لا تحتج

ضحك راشد وكان يلوح بيده: لا أريد أن أحتج على جهالتك .. اغرب عن وجهي .. أبعد يدك أنت في بيتي وعيادتي ..أنت موظف ، ولو شكوت عليك لفصلت من عملك .. ولو كان ابن عمك وزيرا ؛ لذلك فألزم حدودك ..وما كان بيننا انتهى

كان جمعة حمدية أبو كسوة ينصب سدر الهريسة على حامل أمام بوابة مدرسة بنات أبو خروف

وهو يصيح على الهريسة لتقترب الفتيات في فترة الاستراحة من البوابة للشراء منه ، يبيع لهن الحلوى.. وها هو ما زال يصرخ على الهريسة ويمدحها بصوت غنائي لجلب الفتيات للشراء .. وكان الشيخ سلمان يتابعه عن بعد ، فلما قرع جرس الاصطفاف والعودة إلى الصفوف توقف أبو كسوة عن المناداة والصياح .. فنادى عليه حينئذ سلمان ، فالتفت إليه وحمل السدر ـ سدر الهريسة ـ على رأسه ، وحمل المنصب في إحدى يديه ، ومشى نحوه ، حتى صافحه قائلا: العم سلمان يا هلا بشيخ الشباب .. ما الذي أتى بك إلى هنا ؟

– أنت!

– أنا!.. خير ـ إن شاء الله ـ هل مررت على الدكتور راشد؟

– وأنا جئت من أجل الدكتور راشد .. مررت على ابنك كسوة ، فقال لي: الآن ستجده أمام بوابة مدرسة الإناث .. كيف حالك يا أبا كسوة ؟

– بخير ، ما دمت أنت بخير .. أهلا بسيدي سلمان شيخ الشباب .. كيف أختي الحاجة أم يوسف؟

– كلنا بخير .. ما رأيك أن نمر عليك قبل العصر حتى نتحدث بموضوع الدكتور راشد ؟

– الدكتور حدثك عن بهية .. والله يا عم سلمان .. أنا لما رأيت أن الدكتور أرمل من سنوات أشفقت عليه .. وكلما أمر على العيادة أساله هل تزوجت ؟! هل زهقت وحدتك؟ .. فذات مرة قال لما سألته هذا السؤال : هل حواليك بنت يا أبا كسوة؟ .. قلت له : عندي بنت بايرة كبرت .. ولم تتزوج بعد.. وعمرها عشرون سنة.. أزوجك بها .. فتردد قليلا يا عم سلمان ، ثم قال : أتقبل بي أنا العجوز ؟ قلت له: بنت تريد الستر يا دكتور ، وأنت بعدك شاب

فقال سلمان: أجّل الكلام يا أبا كسوة حتى تنتهي من شغلك .. غداً تمر عليّ .. أنا في البيت لحتى العصر بعد العصر أذهب للجامع ، ثم أجلس في المقهى ـ مقهى مهران ـ المعروف في الحي ، الدكتور طلب مني التفاهم معك ..سأزورك أنا ونعمان

أخي .. ونرى طلباتك ، وطلبات البنت يا أبا كسوة .. فالفرق في السن كبير بين ابنتك والرجل .. والرجل له بدون امرأة حوالي خمس عشرة سنة .. يعني ليس بالصغير

– أنا عاوز أستر على البنت يا عمي يا أبا يوسف .. والزواج سترة للبنت .. والرجل يتزوج في أي سن لا يوجد كبير ولا صغير .. وهي علمت بأنه رجل في الخمسين .. وليس بطفل .. فالدكتور يفكر بتزويج ابنه أيمن وحيده

دهش سلمان للخبر وقال : أيمن ! ما هو طالب مدرسة؟!

– هو قال ذلك عندما فتحنا موضوع الزواج .. قال : الولد غير فالح في الدراسة .. لما يصل سن الثانوية العامة ، سيدبر له عملا أو موظفا في الحكومة على الشهادة ولو راسب ، ثم يزوجه ليتحمل مسؤولية نفسه

– غريب هذا الدكتور! وحيد في البلد ..لا أهل له يقول عن نفسه : لا أعرف عما ولا خالا ولا خالة ولا عمة ..من أين أتى؟!

قال أبو كسوة: هو ذكر لي اسم بلدته الأولى في هذه الدنيا ، البلدة التي ولد فيها قبل أن يصل إلى أبو خروف.. عليه دم عند أهله .. فتخلوا عنه بعد وفاة امرأته أم أيمن

زادت دهشة سلمان وقال : هو قال لك ذلك؟!

– أجل

كان راشد في غرفة الفحص مع أحد المرضى عندما رن تلفون العيادة ، فرفعت العاملة السماعة وردت بنعم ...وعليكم السلام ... عيادة الدكتور راشد ... مدير مدرسة أيمن راشد ... الأستاذ يوسف خلاد ... انتظر وضعت السماعة مفتوحة على الطاولة ، وطرقت باب غرفة الفحص ، وسمعت الدكتور يطلب منها الدخول ، فأدخلت رأسها قائلة: تلفون يا دكتور

– ألم تر ما أنا فيه ؟

– إنه مدير مدرسة أيمن

– ماذا يريد هذا المدير؟!

– لم يقل شيئا يريدك شخصيا

– بعد قليل سأتصل به

أغلقت الباب وعادت للهاتف وقالت: مشغول يا أستاذ يوسف لديه شخص في غرفة الفحص هل أبلغه شيئا؟... ماذا ؟! إنه في المستشفى انتظر قليلا على الخط

عادت للدكتور قائلة: إنهم يقولون أيمن نقل للمستشفى .. تشاجر مع بعض الطلاب وضربوه ضربا مبرحا

ترك الطبيب المريض ، وخرج ورفع السماعة وقال بعنف: ماذا يا أستاذ يوسف!! مشاجرة حسنا أي مستشفى؟ مع السلامة .

وضع السماعة بغضب وسخط ، وعاد لغرفة الفحص معتذرا للمريض ، وأنهى علاجه ، ووصف له بعض الأدوية، وطلب منه العودة مرة أخرى دون مقابل ، وطلب من أسماء التصرف مع المرضى في صالة الانتظار ، وقد تابعوا هذا الإرباك الحاصل في الدقائق الماضية ، واعتذر لهم وهو يخرج مسرعا قائلا: الولد في المستشفى يا أخوان ! وترك العيادة ، ومشى نحو الشارع العام يبحث عن سيارة أجرة تنقله إلى مستشفى دار السلام وفي قسم الطوارئ وجد ابنه قد عولج من حجر أصاب رأسه فشجه ، وأراق دمه ، وكان المسعفون قد نظفوا الجرح وخاطوه ، ووضعت لفائف على رأسه ، وكان يصحبه أحد المدرسين ورحب الأستاذ بالدكتور ، وطمأنه على ابنه ، وكان أيمن قد استلم الدواء ، وتطلع في عيني أبيه قائلا بغضب : سأقضي عليهم ..غدروا بي يا أبي

– أهم طلاب من المدرسة؟

قال الأستاذ : طلاب في صفه .. مع احترامي يا دكتور راشد .. فابنك أيضاً جرح بعضهم .. فأصاب أحدهم بلكمة ؛ ولكنها جاءت بعيدة عن العين .. ربك ستر .. أيمن حقيقة كثير المشاكل .. وأنا دائماً أنصحه بالابتعاد عن الأشرار والعصبية

تنهد الدكتور بأسف ، فهو يعرف مشاغبات أيمن من أيام المدرسة الإعدادية .. مرات عديدة ذهب لمقابلة المدير .. وحتى المرحلة الثانوية لم تخل من مراجعات الإدارة ، وسمع الأستاذ يقول : خرجوا من قاعة الامتحان ، وتعاركوا ، وارتفع صراخهم وصياحهم في الساحة لأن مراقب الامتحان أخرجهم من القاعة ، وقد أخذ منهم أوراق الغش ، وزعم أنهم فسدوا للمراقب عنه وصنعوا معركة .. وأرجو يا دكتور راشد أن تمر على المدرسة غداً ؛ لتتحدث مع المدير

– المدير اتصل بنا على العيادة مخبرا لنا بالحادث ثم أخذ بيد ابنه الملفوف الرأس ، وشكر المسعفين ، ولما صاروا خارج المستشفى قال للأستاذ المرافق للمصاب: سوف أمر على المدرسة .. ماذا بك يا أيمن ؟

فكان يدافع عن نفسه ، ويبرر معركته ، وينفي محاولته الغش في الامتحان ، فقال الأستاذ بضيق بين : هذه ليست أول مرة يا أيمن !

فشل الزواج

أيمن راشد كان شابا مشاكسا ومشاغبا ، فقد اضطر والده للذهاب لمدرسته الإعدادية أكثر من مرة في السنة لمداراة مشاجراته وإيذائه للطلبة ، وكذلك كان يتعرض للضرب من عدد من الطلاب ، كان الفتى قوي البنية ، تقول إن جسمه أكبر من سنه ؛ لذلك لم يعد والده يتأثر من

مشاجراته رغم عنفها ، فهي ليست الأولى من مشاكله خلال العام المنصرم ، ذهب لمقابلة المدير يوسف خلاد أكثر من مرة ، وكانت كلها بأن ابنه أساء للطلاب والأساتذة ، هذه المرة الوحيدة التي سيذهب ؛ لأن ابنه المظلوم أو المضروب ، لم يقصر الأب أثناء العودة من المستشفى بتأنيب الولد بأقسى الألفاظ ، وقذفه بالسباب ، وهدده بإخراجه من المدرسة ، ومع عدوانية الفتى الظاهرة للعيان كان ينجح في الفصول التعليمية ؛ ولكن بمعدل متدنٍ فوق الخمسين ، وأقل من الستين ، ولما وصل البيت والعيادة وجد أسماء وحيدة تستعد للانصراف ، فدعت له بالسلامة والعافية ، وحثته على التعقل ، فقال الطبيب: هل سيرجع المرضى؟

– لست أدري شجعتهم على ذلك ، فلما شرحت لهم الظرف الطارئ فارقوا العيادة ، وجاءت أم خضر وقعدت نصف ساعة ، وانصرفت ، ربما تمر عليك وهي عائدة من السوق

– أعطيه المفتاح ؛ ليذهب إلى البيت ، ادرس يا أيمن .. أنت تدرس لنفسك .. صباحا سأقابل حضرة المدير .. وأرى أسباب المشكلة الأخيرة ، وأسمع رأي المدير

تناول أيمن المفتاح من المرأة بعصبية ، ولم يتكلم بشيء ، وطلب الطبيب منها فنجان قهوة ، وجلس مكانها ينتظر ، وكان يقول لنفسه: ماذا سيفعل هذا المجنون عندما تعيش في البيت امرأة تكبره بسنوات ؟! هل سيسير المركب أم نغرق في المشاكل والمنازعات ؟! هل يتقبل هذا امرأة أب؟! أخشى أن نعود لمشاكل النسوان .. وأنا ما صدقت وأنا أخلص من سلمى أم أيمن .. وأخذ يتذكر شريط ذكريات أبي كسوة وزياراته له .. والزواج .. وبنت أبي كسوة .. لماذا لم تتزوج لليوم ؟ لعلها دميمة بشعة .. بنت تصل العشرين ولم تتزوج بعد .. هل من سبب ؟ وهي لم تدرس إلا الابتدائي .. قعدت في البيت تساعد أمها في رعاية الأطفال الصغار .. وموظفو العيادة ماذا يدبرون لك يا راشد؟ هل من المعقول أن كل زبائني من مرضى العيادة الحكومية أكيد الدكتور نشأت يدفع لهم .. منذ بدأ نشاط عيادته الجديدة خف عدد مرضاي

وضعت أسماء القهوة أمامه ، وأدركت أن الرجل قد سرح فكره ، وقالت: مالي أراك صافنا يا دكتور في السماء؟ تقصد سقف الغرفة .. ابتسم لها وقال: أرأيت سحاب الدخان ؟شكرًا على القهوة يا أم محمود .. هموم .. وما دام لا يوجد زبائن فيمكنك العودة لبيتك ..لا تنظري إلى الساعة

فقالت : جزاك الله خيرا . ولملمت أوراق المكتب، وغسلت أدوات القهوة والشاي ، ولما شرب الدكتور قهوته غسلته ، ووضعته في مكانه

المناسب ، وحملت حقيبتها المعلقة على الكتف ، وقالت وهي تكاد تغادر: هل صحيح ما يشاع يا دكتور؟

فنظر إليها وقال : هل صحيح ما يشاع ؟.. ما الذي يشاع؟!

– إنك تنوي الزواج من بنت أبي كسوة

تبسم وقال : لم يحدث شيء بعد .. بداية كلام يا أسماء .. الرجل عنده بنت يقول : إنها بايرة عمرها عشرون سنة .. ويدلل عليها وأنا لي عمر بدون زوجة .. وخائف من هذه المغامرة كانت امرأتي سلمى أم أيمن سيئة وعنيدة وشرسة .

وأغمض عينيه وراح في ذكريات سلمى. زار سلمان وشقيقه نعمان بيت جمعة حمدية صدقي في أصيل أحد أيام حزيران ، وأستقبلهم الرجل ، ورحب بقدومهم ، وجلسوا في غرفة استقبال في النهار ، وغرفة نوم في الليل ، وقدم لهم الشاي الساخن ، فقال سلمان: أنت تعلم سبب هذه الزيارة ، فقد كلفنا الدكتور بترتيب أمر زواجه من ابنتكم الكريمة .. وهو رجل وحيد في الحي ـ كما تعلم ـ لا أهل ولا أقارب .. والرجل يقول: ما هي طلباتكم ؟

وقال نعمان : وهو كما قال أخي أبو يوسف لا نساء عنده ليأتين لرؤية الآنسة ، والتعرف على أم كسوة

فقال جمعة بحماس ثم تردد : أنا أكثر من يعرف ظروف سيدنا الدكتور ؛ لكن وصلني خبر أيها السادة عنه أزعجني

هتف نعمان قلقا : خبر! ما هو هذا الخبر الذي أزعج أبو كسوة ؟!

– لا أدري هل هو صحيح أم كذب؟

قال سلمان: هات ما عندك يا معلم حمدية

– سمعت من يوم أن الدكتور المحترم قتل زوجته أم أيمن ، وسجن ثلاث سنوات ، فقلقت على البنت

بعد صمت دهمهم لثوان ، قال نعمان : وضعه غريب يا أبا يوسف ! وابتعاد أقاربه عنه يوحي بذلك .. فالرجل منذ سكن هنا بدون أهل ، ثم استدرك ؛ كأنه فطن لشيء فتابع: ولكنه طبيب يا أبا كسوة .. والحكومة لا تسمح لقاتل بأن يعمل على مداواة الناس وإنقاذ حياتهم

فقال سلمان مبررا ومبينا: قد يكون فعل ذلك .. قتل زوجته بالخطأ .. وحبس للحق العام .. لو كان القتل متعمدا يا أبا كسوة لقضى نصف عمره في السجن .. خمس وعشرون سنة قضاها في الدراسة وخمسة عشر عاما هنا ، وثلاث سنوات سجن .. هو وضع الدكتور مريب منذ سكن عندنا ؛ لكنه مسالم لم نعرف عنه سوءا

صمتوا من جديد .. وقال أبو كسوة: ألا تسعون إلى معرفة تفاصيل هذه المرأة المقتولة ؟ قبل أن

نتهور، ونقضي على مستقبل البنت .. القتل كلمة مرعبة

قال نعمان : يا معلم جمعة.. الدكتور ـ كما سمعت ـ جارنا من سنوات .. له أكثر من عشر سنين يعيش في أبو خروف ، ولم نسمع له مشكلة سوى المشاكل التي يعاني منها من جهة ابنه أيمن ولد عدواني كثير الزعرنة ، والمشاجرات كما نسمع عنه

تنهد جمعة وقال : المهم أن الخبر هبطّ عزيمتي بالنسبة للدكتور .. وأخشى منه ..ومن ابنه يا أبا نوح ويا أبا يوسف

فقال سلمان : معك حق أن تقلق .. أنا سأتحدث معه عن قصة الجريمة التي وصلت إلى مسامعك ، وكما قلنا يبدو أنه قتل خطأ غير متعمد ، فإذا اعترف لنا بذلك .. هل ستقبل بتزويج ابنتك منه أم ننسى الموضوع؟ فالدكتور أنت سبب تشجيعه على الزواج ثانية .. فهو من معرفتي به منذ عاش معنا .. وهو لا يحب الحديث عن النساء .. حتى أنني تفاجأت من حكاية زواجه وقبوله به .. الآن عرفت سبب كرهه للنساء ، من الكلام الذي دار بيننا .. وكلام كان يردد سابقا .. والحق أن المشكلة الكبرى حياة ابنتك مع ابنه في بيت واحد ؛ فإنه رغم صغره فهو سيء السمعة ، قبل أيام تشاجر مع طلاب في المدرسة وآذوه ، وشجوا رأسه ، ونقل إلى المستشفى للعلاج .. وراح راشد وأحضره من المستشفى .. فالولد متمرد ، ومشاكله كثيرة من أيام المدرسة الابتدائية .. عدواني بمختصر الكلام .. وكذا مرة ذهبت مع والده للإصلاح بينه وبين آباء هؤلاء الأولاد .. وها هو اليوم يسد شجه لفتى قبل سنة أو أكثر .. إني أذكر ذلك الحادث على كل حال يا معلم حمدية فكر جيدا بهذا الزواج ، ومرّ عليّ بعد يومين أو ثلاثة.. فإذا كان لديك توجه لإتمام الموضوع سأذهب لراشد واسمع منه قصة الجريمة .. قصة قتل أم أيمن وحبسه.. وانقل إليك التفاصيل وعلى أثرها تحسم أمر البنت ..وهل هي راضية به زوجا رغم كبر سنه ؟

- يا رجل عمي تزوج بنت دون العشرين ، وعمره خمس وسبعون سنة



الحادث

زار سلمان العيادة قبل صلاة العصر ليتحدث مع الدكتور على انفراد دون وجود العاملة أم محمود ، وفعلا وجد الطبيب البشري وحده ، يدخن ويشرب الشاي ، ويأكل بعض قطع الكعك فدعاه لمشاركته ذلك بعد السلام والتحية والاطمئنان على الصحة والحال ، فشكره سلمان وصب لنفسه كوبا من الشاي ، ثم سمع الدكتور يشتكي ولده قائلا:

هذا الولد يا أبا يوسف لا أعرف ماذا أفعل له ؟! .. كثير الشجار مع الطلاب قبل أيام ـ أيام الامتحانات ـ تعرض للشج ، والإصابة في الرأس .. ذهبت للمدير في اليوم التالي ، وطلب مني حضرته في السنة الجديدة نقل ابني إلى مدرسة أخرى قائلا : لقد تحملته سنة ، فهو مشاكس ومشاغب وفوضوي ، يتقاتل مع الأولاد والأساتذة .. وأنت تعلم يا حاج سلمان أنني لم أقصر معه ، وأوفر له الأكل والشرب واللباس والمصروفات والدخان والسينما والمسرح ، بل أصحبه إليهما ، ومع كل هذا يحب العنف ويهددني بشرب الكحول والمخدرات والشم .. وأنا حذرته من فعل ذلك إن عرفت أنك تفعل هذه الموبقات ، فلا مكان لك في البيت ، فليذهب إلى أخواله في البلد ، ويعيش معهم

فقال سلمان بعدما طال صمته: أله أخوال؟!

فضحك راشد مستغربا وقال : مالك يا حاج سلمان؟! أنا لست متغربا

أنا ابن بلد .. له أخوال وأعمام ، وجدات ، وأجداد ، مثل باقي البشر ؛ إنما علاقتي بهم سيئة للغاية ، لا تواصل بيننا ، ولا لقاءات ، ولا زيارات .. حظي من الدنيا هكذا.

– وأنا جئت إليك في هذا الوقت لمعرفة المزيد عن الأقارب والأهل .. فقد زرت أبا كسوة أمس أنا وأخي نعمان أبو نوح في موضوع زواجك من ابنته ، فوجدناه مرعوبا ومترددا في إكمال المشروع

استغرب الدكتور هذا الحال وقال : أبو كسوة متردد ومرعوب يا رجل ! .. هو الذي زهقني بعرض ابنته الغلبانة البايرة .. هل جن الرجل يا أبا يوسف؟!

– لم يجن ؛ لكن أحدهم ألقى في روعه أنك ـ صراحة ـ قتلت امرأتك أم أيمن .. وحبست بسبب ذلك ثلاث سنوات .

فصاح الدكتور بدون وعي: غريب .. تكلم بهذا !!

– من غريب يا دكتور؟!

انتبه الطبيب لنفسه وقال : غريب من الغربة والدهشة يا أبا يوسف العم أبو كسوة خائف مني لأني قتلت زوجتي الأولى

– أنا راغب بسماع هذه القصة إذا لم يكن في ذلك حرج أو إزعاج

أشعل راشد سيجارة جديدة ، وأخذ بعض الأنفاس قبل أن يتكلم :لا أسرار في ذلك .. وما دام أبو كسوة خائفا على ابنته فلننس الموضوع يا حاج سلمان .. لم أقتل سلمى أم أيمن عمدا .. قتلت بالخطأ ، وحبست ثلاثة أعوام في سجن راجم المعروف ، ولما خرجت منه لم أعد للبلدة والمدينة تلك ، أتيت العاصمة بداية ، ثم استقر بي

المقام هنا في أبو خروف .. هذه حكايتي باختصار ، وما دام أبو كسوة خائفا على ابنته من القتل ؛ فأنا أيضاً خائف من الزواج منها خشية أن أجرم فيها هي الأخرى .. فلست بحاجة لامرأة يا سلمان ولا للنساء .. وآسف جداً على إزعاجك في حكايتي وزواجي .. عندما ترى الرجل فبين له عذري .. وإذا جاء إلى هنا سأعتذر له .. أنا آسف مرة أخرى يا أبا يوسف .. أصلا أنا لا أصلح للنساء ، ربما طبيعتي البشرية ماتت بموت أم أيمن

– الرجل يريد أن يطمئن على كريمته .. فالذي فسد عليك هذا الزواج هو يريد ذلك يا دكتور

– أنا أعرف من فسد عليّ .. فهو شيطان .. أكيد صور له أنني مجرم قتّال قُتلى

قال السيد سلمان مبديا خدمته : أنا يا سيدي في خدمتكم جميعا .. أنا لي رغبة في تزويجك .. وأنت تعلم هذا منذ مجاورتك لنا يا أبا أيمن .. وكنت أعجب من حياتك من دون زوجة ؛ ولكن لوجود أيمن معك .. حللتُ أنها ماتت أو طلقت ، ورجحت الموت لصغر الفتى .. عندما سكنت هنا قلت لنفسي : في حياة راشد أمر غلط ؛ ولكنني لم أعرف أنك قتلت زوجتك خطأً ، وحبست ، ولم أكن أعلم أنك هنا بسبب موت زوجتك ، فكنت أرى أنك كرست حياتك لابنك بعد موت زوجتك .. لم يذكر لي أبو كسوة من فسد عليك هذا الأمر ، لم اسمعه يذكر اسما

– لا بأس يا أبا يوسف .. كل شيء نصيب .. وعندما أقابله سأعرف منه المفسد .. وأنا أعرفه ؛ لكن ليزيد يقيني .. عفوا يا حاج هذا ليس سرا .. فالسجن مليء بالناس .. ونسمع أخبار وقصص بعضنا بعضا

بينما سلمان يتناول وجبة الغداء مع زوجته طرق الباب ، فأقبل حفيده يعلمه بأن رجلا اسمه أبو كسوة بائع الحلوى يرغب بمقابلته ، فطلب منه أن يدخله غرفة الاستقبال ريثما ينهي طعامه ، فالسيد سلمان يملك عمارة من أربعة طوابق في حي أبو خروف ، وهو يعيش في شقة منها ، وبعض وأولاده يجاوره ، وبعضهم يسكن في أماكن أخرى من المدينة ، وحتى أن بعض بناته استأجر أزواجهن عنده ، وهو أستاذ مدرسة في أول شبابه ، ثم انتقل للعمل في الوزارة ، وتقاعد خلال عمله موظف وزارة ، وشقته في الطابق الأول ، ويعيش مع زوجته وحدهما ، وتعلم أولاده وبناته كلهم خير تعليم ، وتزوجوا .. ولما أنهى طعامه ، طلب من زوجه صنع الشاي لهما ، وغسل فمه ويده ، ومشى نحو الصالون ، فلما رآه أبو كسوة نهض مصافحا ومعتذرا وداعيا بالصحة والعافية ، فقال سلمان مرحبا : ألك في صحن ملوخية يا أبا كسوة ؟.. أم يوسف أتحفتنا بهذه الطبخة التي لا أعرف

من أول من طبخها للناس ؟
- شكرًا صحتين وعافية ، ربما بنو مصر
عادوا للجلوس وقال السيد : أهلا وسهلا .
ونادى : يا أم يوسف هات صحن طبيخ للعم حمدية راجع من الشغل .
- كنت عند المدرسة .. ولما خلصت من بيع البنات .. قلت أمر عليك قبل أن أبيع ما تبقى عند الجامع
- شرفت بيتنا يا حمدية .. مرحباً بك .. وسمع نحنحة أم يوسف .. فذهب وعاد يحمل الطبيخ ورغيف الخبز ، ووضعه أمام حمدية على منضدة صغيرة قائلا: تفضل يا أبا كسوة . ثم ذهب وأحضر الشاي ، وجلس يراقب حمدية الذي هجم على الطعام ؛ كأنه لم يأكل من سنة ؛ وكأنه لا يأكل في بيته .. والرجل معتاد على ذلك ، ولا يرى غضاضة في الأكل في بيوت الناس ، ولا في الشارع على حافة رصيف.. فهو يخرج من الصبح حتى ينتهي من بيع سدر الهريسة .. وإذا باعه مبكرا ، عاد للبيت وأخذ دلو الترمس ، وانطلق للسعي في الأرض من جديد دون كلل ولا ملل .. حياته البيع حتى الليل .. انتهى من أكل صحن الملوخية ، وأخذ يشرب الشاي ، وهو يتمتم بالشكر والدعاء للسيد سلمان يوسف وأم يوسف .. وليس حمدية البائع الوحيد في حي أبو خروف ، ولما انتهت عملية الغداء أخرج الرجل منديله الصغير ومسح فمه من بقايا الطعام والملوخية الخضراء ، وغرق في الشاي ، ومدح الطعام والشاي والخبز ، وقال: الحياة صعبة يا حاج سلمان ..سامحني على إزعاجكم ، وتناول كوبا ثانيا من يد سلمان الذي قال : أبدا يا رجل .. الناس لبعض .. إنما هو من طعام البيت ، لم نذبح لك عجلا ولا فرخة
- الشاي لذيذ يا عم سلمان!.. أنت محظوظ لا داعي أن أخبرك عن شاي أم كسوة
- مرحباً بك ـ وسكب له الكوب الثالث باسما ـ الله يستر على أم كسوة خير يا أبا كسوة
تنحنح الرجل عدة مرات وقال: جئت أسأل عن الدكتور راشد
- الدكتور راشد كما قلت لنا ، قد قتل زوجته بالخطأ ، وقضى ثلاث سنوات في السجن ، ولما خرج منه ، ترك البلد واستقر في العاصمة ، وأخذ معه ابنه أيمن ، ثم استقر في أبو خروف وابتعد عن النساء والزواج ، ولولا حديثك أنت معه عن الزواج وإغراؤك له بابنتك ، ما فكر فيه ، وهو يرغب بمعرفة الرجل الذي فسد عليه هذا الأمر
- فسد عليه الأمر ، لم افهم !
- الرجل يعتذر عن الزواج ما دمت أنت منه مرعوبا ، وخائفا على ابنتك من القتل ، مرّ عليه هو راغب بالالتقاء بك ؛ ليعرف سبب التغير ..

والرجل لا ينكر قتله للمرأة بالخطأ ، بلا قصد للقتل ، ونال عقابه

- أنا لما سمعت هذه القصة رعبت يا أبا يوسف .. وخشيت على البنت ، وأن يمد يده عليها كما مدها على امرأته الأولى .. ألم تعرف كيف قتلها؟

- حاولت أن أعرف ، فلم يفصل الحادث ، أقر بسهولة بفعلته .. كيف كان الخطأ ؟ صمت عن التفاصيل .. ولماذا كان الخطأ ؟! لم يوضح ، بل تضايق وطلب مني إنهاء الموضوع ، وقال لست بحاجة إلى الزواج بعد هذا العمر .. لي خمس عشرة سنة بلا زوجة .. وبدون هموم وسموم النساء وقال لولاك شغلته بالزواج لما فكر فيه .. فهجره منذ ماتت المرأة أم أيمن .. وهو لا يصلح للنساء بعد ضعف طبيعته نحوهم .. فهو كرههنّ منذ موت أم أيمن

- أنا لم أرفض ؛ لكنني خشيت توريط البنت الغلبانة مع زوج قتال للنسوان ، لابد من زيارته ، سأزوره

=+=+=+=+

اجتاح حي أبو خروف حكاية قتل الدكتور راشد لزوجته أم أيمن ، وقضاؤه في السجن ثلاثة أعوام لعدم القتل العمد ، وأشيع أنه قتلها عمدا ، وتمت لفلفة القضية ؛ ليخفف عنه الحكم ، ولو ثبت عليه العمد لأعدم أو أخذ تأبيدة.

نتيجة انتشار هذا الخبر بطريقة مغرضة قل زبائن الطبيب ، خاصة النساء منهم ، حتى أن أسماء عاملة العيادة ، طلبت الإقالة زاعمة للدكتور أن زوجها أرغمها على ذلك، والمفاجأة الصادمة للدكتور أن ابنه أيمن الذي لا يتكلم بموضوع معه ، تحدث معه في هذه الإذاعة، وشأن هذه القضية مظهرا وزاعما انزعاجه من طلاب المدرسة القاطنين في أبو خروف ، وأنهم يعلمون بهذه الحكاية ، فصاح فيه أبوه مضطربا: يا ملعون ألم أقل لك ذلك منذ سنوات ؟ لما أكثرت بالسؤال عن أمك .. وأخبرتك أن شجارا حادا حصل بيننا ، ودفعتها غضبا ، فوقعت على الأرض بعد أن صدم رأسها في خزانة الثياب ، ثم نقلت للمستشفى ، وماتت فيه من شدة الضربة ، وحبست بسبب ذلك ثلاث سنوات .. وأنت قضيتها في ملجأ الأيتام .. تخلى عنا القريب والبعيد .. هل تراني مجرما يا ملعون؟! هؤلاء الذين يصطدمون الناس بسيارتهم .. هل يتهم أحد منهم بأنهم قتلى ومجرمون؟!

قال بضجر : لقد انتشر الخبر بهذه الصورة البشعة فسبب لي الحرج ، ولما أقترب وألتقي ببعض الطلبة في شوارع الحي يعيروني .. ويقولون عرفنا سر العدوانية التي فيك .. أنتم عيلة قتلة .. فأمسك أعصابي خشية الفتك بأحدهم ويقول آخر :

أعرفتم من أين جاءت عدوانية أيمن ؟! فأبوك قاتل أمك .

أنزل الدكتور رأسه إلى الأرض وهو يسمع هذا الكلام ، وقال بعد جهد وصمت طويل: ماذا أفعل لك ؟! عندما تصل الثانوية العامة العام الدراسي القادم سواء نجحت أم رسبت سأسعى إلى تزويجك لتعيش حياتك.. أتستطيع تحمل حياة زوجية وأنت في هذا السن ؟ .. أم تريد أن تقتلني أنت على خطأ قتلي لأمك؟

عاد أيمن يردد :لماذا انتشرت هذه القصة اليوم ، وبهذه الصورة القبيحة؟!

– نعم ، هذا هو السؤال الصحيح يا أيمن ؟ وهذا أول سؤال جيد أسمعه منك يا أيمن .. ومن يوم موت أمك على يديّ رفضت الزواج من جديد.. ولنا سنون هنا ، ولم تنتشر هذه القصة .. ولما فكرت بالزواج من بنت أبي كسوة تحركت القصة .. ناس لا يريدون زواجي منها .. فنشروا الخبر ليخاف أبو كسوة ، وتخاف ابنته .. فالقصة لم تكن مجهولة .. فهي معروفة عند أبي والعائلة وأهل البلد ، بل الصحف في تلك الأيام كتبت دكتور قتل زوجته ، ومن كان معي في السجن سمع القصة ، ويعرف سبب وجودي معهم .. والشرطة تعلم .. من له مصلحة في منع هذا الزواج هو وراء نشر القصة بالطريقة السيئة والخبيثة ..ورغم أني صرفت نظري عن الزواج وقد قلّ زبائن العيادة زاعمين أن الطبيب يميت الناس ، مادام قد موّت زوجته .. علينا أن نقاوم يا ولدي .. ولنتحمل ونصبر .. وسنوات يسيرة وتشق طريقك في الحياة .. وترى مستقبلك وحياتك في هذه الحياة الدنيا ..أنا لو جدك والد أمك تنازل عن حقه لما قضيت في السجن ثلاث سنوات .. أنا لا أخفي هذه الحقيقة ، وكل أقاربنا يعلمون بها ؛ لكن هنا لا أقارب لنا .. كانت أمك ـ سامحها الله ـ متعبة وكثيرة الشكوى كثيرة الطلبات .. ولقد ولدت طفلين قبلك ؛ ولكنهما ماتا قبل الحادث ، ولم يكمل أحدهما السنة ، ولما ولدت فرحنا بك .. وقلت تتحسن حياتنا ، تقل مشاكلنا ومشاجراتنا ومنازعاتنا .. وأنا مثلك كنت عنيفا .. يدي قبل عقلي لا صبر لي على الأذى ؛ لذلك لما تعمل شرا أخشى عليك الخطأ القاتل مثلي .. أرأيت كيف يحاربونني ويؤذونني؟

– ألا تعرفهم؟

– لو عرفتهم ماذا أفعل بهم؟!

– تشكوهم للشرطة .. ترفع قضايا عليهم

– وكيف نثبت ذلك عليهم ؟ ..كلام يقال .. والقصة صحيحة .. هل سيعترف المثير للإشاعة وهو يريد إيذائي ؟ إنهم جبناء يا أيمن .. وحرب الجبناء صعبة!

الخطر الداهم

كان صيدلي العيادة الشعبية يتحدث مع كاتب السجل الطبي غريب باسل قائلا له وفي نبرة صوته ضيق وغضب مكبوت :كلمني أصحاب الصيدليات في أبو خروف طالبين مني المرور عليهم لسحب الأدوية التي نقدمها لهم من العيادة .. فهناك حملة عليهم في الصحف ..وقد تقوم دائرة التفتيش بحملة عليهم للتأكد من عدم وجود أدوية الوزارة في صيدلياتهم

بعد تفكير قال غريب قلقا : يبدو يا أمجد أن حملتنا على الدكتور راشد فشلت .. فمنذ أيام أخذت الصحف تتحدث عن الفساد في عيادات وزارة الصحة ، وعن النقص في أدوية العيادات الصغيرة والكبيرة .. وعن مافيا الدواء والتهريب .. وشراء أدوية من صيدليات القطاع الخاص ممهورة بعلامة وزارة الصحة ..ويعزون السبب إلى بيعها في صيدليات القطاع التجاري .. يظهر أننا تسرعنا في الانتقام ..لا يبدو الدكتور سهلا كما ظنّنّا ..والناس بدأت تنسى قصة جريمة قتله لأم ولده مع أن العيادة تكاد تكون خالية .. حتى أن نمرا فكر بإرجاع زوجته أسماء للعمل في العيادة من جديد .. وأجل الدكتور ذلك

– الأدوية ماذا سنفعل بها يا غريب ؟ فهي كميات كبيرة .. حرمنا منها المواطنين .. وهي تعتبر خارجة من الصيدلية بحكم الوصفات الوهمية .. وصرف نصف الوصفة للزبون بزعم النقص والدواء له عمر ..إننا في خطر وموقف صعب يا سيد غريب

قال الآخر متمنيا : لو تنازلنا عن التسعين دينارا .. كان يجب أن نسمع نصيحة الدكتور شامل بنسيان راشد .. ما دام قد وجدنا بديلا عنه ؛ لكن خشينا من تمردهم علينا .. أنا أضع اللوم عليك يا أمجد .. تريد أن تبني بيتا على حساب الوزارة

– يا شاطر كلنا في الهوا سوا

– أعرف لا تغضب .. رتب إلى أخذ الأدوية منهم ، وتخبئها في بيتك أو توريدها لصيدليات بعيدة عن أبو خروف

– في بيتي الإخفاء صعب .. الأولاد والمرأة وأختي وزوجها جيران لي .. وعمال البناء والورشة

دبرها أنت .. أنا سأضعها في أكياس سميكة وأنت أمّن لها المكان

– أفكر بأن أذهب لراشد وأبي كسوة الذي تردد في تزويج ابنته لراشد .. وأشجعه على تزويج ابنته من راشد

– والدكتور

– أتظاهر أنني ما زلت أنتظر دفعه للمال ، وأن لا يد لنا في فضيحته في الحي ، ولسنا وراء هذه الحملة .. وهو بالطبع سيرفض ويغضب .. ثم أتظاهر أننا

سامحناه ، وأوقفنا التعامل معه

– حاول تهدئة الأمور .. المهم إذا لم نسحب نحن الأدوية .. فسيزعمون أنهم تخلصوا منها نيابة عنا ، ويحرموننا من ثمنها

– وأنا هذا ما أخشاه أن يستغلوا حملة الصحف ، ويسرقوننا علنا بحجة الخوف من التفتيش .. على كل حال سأدبر بعضها عندي .. وبعضها الآخر عندك .. وكما أدخلناها عليهم سرا ، نأخذها يا أمجد سرا .. سأتعامل مع صيدليات وسط المدينة ، حيث تكثر الصيدليات التجارية نحن خاصة بعد تعودنا على ذلك لن نستطيع التخلص من الدخل الزائد .. كم صيدلية نتعامل معها هنا؟

– خمس صيدليات وثلاثة أطباء

– متى ستذهب إليهم؟

– الليلة ، خير البر عاجله

ضحك غريب وقال: نعم البر هذا .. سأقابل الدكتور الليلة في بيته .. وأمر على أبي كسوة وأحثه على تزويج ابنته من حضرة راشد .. وأم محمود لتعود للعيادة ..سنرمم الأمور ونكحل العيون وكذلك الشغالة أم رسمي تظاهرت بالخوف وابتعدت .. أخبرني ابنها أنها خافت فقد رعبت من جريمة القتل التي ذاع صيتها في الحي .. هو فقط خسر زبائنه أو قلّ عددهم بسبب هذه الإشاعات .. وهو يعيد القلة لظهور الدكتور نشأت قريبا منه

ترك أمجد غريبا وعاد للصيدلة ، ثم خرج لغرفة المقسم الخاص بالعيادة ، وتحدث مباشرة مع أصحاب الصيدليات الخمسة ، ورتب معهم مواعيد لسحب الأدوية بأسرع وقت ممكن ، وأخبره بعضهم بأنها في صناديق جاهزة للنقل ، واتفقوا على العودة للعمل بعد انتهاء حملة الصحف ، وانتهاء حملة التفتيش

استقبل راشد غريبا في شقته وذلك بعد أذان المغرب ، فلما فتح الباب ورآه ، قال دهشا: أنت .. ماذا تريد؟! .. لن أدفع فلسا واحدا ، مهما فعلتم لتشويه سمعتي

فقال غريب: اسمح لي بالدخول ؛ لعلنا نتفاهم يا دكتور راشد .. المال لي فيه شركاء .. وهم يتهمونني بأخذه دونهم

– أي مال يا رجل ؟

– فلنتحدث في الداخل .. ها هو باب شقة جيرانك يفتح

فتح باب الشقة الثالثة في الطابق ، وقال الرجل الفضولي: صوتكم عال يا دكتور هل من شيء؟!

– شكرًا أبا محمد .. هذا غريب موظف العيادة

صافح الرجل غريبا وقال : أهلا وسهلا .. تفضلوا يا جماعة الخير

– شكرًا أبا محمد .. تفضل يا أخ غريب

وفتح الطريق لغريب الذي دخل البيت ، الذي يعرفه منذ تعرف على الدكتور من سنوات خلت

فقال راشد: تفضل يا أبا محمد

شكره وهو يغلق بابه معتذرا له ، وأغلق راشد الباب ، وقال وهو يشير لغريب بالجلوس : أهلا وسهلا .. اسمع يا أخ غريب .. أعلم وأدرك ما فعلتموه ضدي

فقال غريب متظاهرا ببراءة الذئب من دم ابن يعقوب: لم نفعل شيئا ضدك يا حضرة الدكتور

حاولت إقناع الزملاء بعجزك عن الدفع .. وأن الزبائن قلّوا ؛ ولكنهم لا يصدقون .. يزعمون أني أريد تملك الحصة وحدي ، غير مصدقين أنك ترفض الدفع .. وسوف أجمعك بأحدهم ؛ ليتأكد أنك تخليت عنا ..وأنا لم آخذ منك فلسا واحدا منذ شهور ثلاثة

قال بحدة : أرفض الاجتماع بأحدهم .. أرجوكم ابتعدوا عني .. أعرف أنك الذي فسد زواجي من ابنة أبي كسوة

صاح غريب محتجا ومنكرا: أبدا أبدا يا دكتور .. وهل أنا قريبه؟! ..وأنا مستعد الآن أن أذهب لأبي كسوة ، وأشجعه على تزويجك ابنته

ضحك الدكتور: هو الذي قال إنك ضغطت عليه حتى لا يتقلد خطية البنت ، ويزوجها إلى قاتل .. نحن نعاشر بعضنا من سنوات يا ابن الناس

– والله ـ إن شاء الله ـ سأذهب إليه بعد الخروج من عندك ، وإذا كان أبو كسوة يسمع كلامي سيمر عليك غداً .. ويذكر لك أنني مررت عليه ، وشجعته على إكمال ما بدا به .. القضية أن شركائي لا يصدقون

– اسمع أنا لن أدفع .. وشغلي توقف بسببكم.. وربما أغلق العيادة .. وسأعمل في أحد المشافي أو العيادات الكبيرة .. لست بحاجة لرواد عيادتكم .. أصلا مرضاكم بحاجة لمستشفيات لا لعيادات طب عام

قال غريب بهدوء : أنا لا أريد الفلوس .. وما جئت من أجلها .. نحن أصدقاء وأصحاب .. تعلم أن الصحف والمجلات هذه الأيام شغلها الشاغل الفساد في الصحة .. ولا تظن أننا أغبياء يا دكتور .. نعرف أنك كتبت لوكيل الوزارة بفساد عيادتنا .. فنحن لنا أصدقاء هناك ولما رفضت العمل معنا وجدنا غيرك .. وهذه أرزاق قسمها الله .. نحن لم نقل لأحد لا تذهب لعيادة فلان من الناس .. الشركاء يوجهون المرضى لعيادات نتعامل معها .. ولا نحمل عصا لنجبر المريض أن يأتيك أو يأتي فلان من الناس .. وقلت لك الجماعة يشكون بأني آخذ المال وحدي ، آخذه لجيبي الخاص

قال الدكتور رافضا التنازل والتراجع عن قراره

برفض استقبال أي شريك لغريب : ليس الأمر عندي .. لا تحضر أحدا ، ولم أكتب للصحف ولا الوكيل .. وهل تظن أنكم وحدكم يفعل هذا الخداع ، ويبيع الأدوية للقطاع الخاص؟! .. هذا للأسف فعل شائع في أغلب عيادات الصحة والعالم الثالث كله ..واعلم أن هناك تحقيقا جديا في القضية هذه .. الأمر في الوزارة ..فأنصح شركاءك بأخذ الحيطة والحذر

تبسم غريب وقال : شكرًا على هذه النصيحة ..سأمر الآن على أبي كسوة .. وسأقنعه بها تحب ؛ لتعلم وتتأكد أنني لم أحرضه عليك

ضحك الدكتور وقال: لا يهمني أبو كسوة ولا أم كسوة .. ما عدت أرغب بالزواج .. فأنا قتّال النساء .. واعتذرت لزوج أسماء عن عملها معي ؛ لأني أفكر جديا بإغلاق العيادة وباب إبليس وأم رسمي تزعم الخوف على حياتها .. لا تظن أنني أهبل .. هذه أفعال صبيانية منك ، ومن عصابتك .. والآن أقول تفضل بالخروج ، ولا داعي لذهابك إلى أبي كسوة .. وتأكد أن مقالات الصحف وتحقيقاتها لا دخل لي فيها . تمت ح١

رهاب الطلاق

زوجتي ابنة عمي

اسمي عمر تركت المدرسة صبيا ، ولحقت بالعمل مع أبي في سوق التجار ؛ حيث يبيع أبي الثياب والملابس الجاهزة الرجالية والنسائية للصغار والكبار ، وعدد كبير من العائلة الكبيرة وأصهارهم يعملون في هذه التجارة من زمن بعيد ، وكان المكسب جيدا ، والله بارك في التجارة كما نسمع ، حتى أن السوق اشتهر باسم العائلة فتعلمت المهنة وتشربتها من الصغر ، البيع والشراء والمفاصلة ، ولم أكن الوحيد الذي يعمل مع أبي ، فالمحل كبير والزبائن كثر ، فالمحل يحتاج لكثير من العمالة ، ومن يكبر منا يستطيع فتح محلا ودكانا لنفسه وحيدا أو شريكا في نفس السوق أو غيره ، فالدنيا واسعة ، والرزق على الله ، وعلينا المشي والسعي .

تزوج أخي الكبير محمد من قريبة لنا ، والدها يعمل مثلنا في السوق ، وانتقل للعمل مع حميه ؛ لأن ابنه ترك العمل مع أبيه لمهنة أخرى أو قل كره تجارة الملابس والثياب والقماش ، وتزوج أخي الآخر محمود ، وبقي يعمل معنا ، ووقف الدور عندي عند عمر ، وكنت وأتوقع أن يكون ذلك خلال العامين القادمين إن عشت فأخي محمد تزوج عند العشرين ، ومحمود نحوه وأنا قريب منها ، فبدأت أهيئ نفسي لهذا الحدث الكبير في حياة كل إنسان عاقل ، وبيت العائلة يكبر ولاحظت أن عمي فوازا شقيق أبي حسان أخذ يهتم بي أكثر من اللازم فأدركت أن العروس

ستكون ابنته ، ويرغب بمصاهرة أبي شقيقه حسان ، كانت العائلة تفخر بتزويج بناتهم من نفس العائلة ، أما الذكور فيتزوجون من غير العائلة بدون حرج ، كانوا لا يحبون تغريب نكاح البنت إلا في الحدود الدنيا فتصلني الهدايا من البنطالات والقمصان عندما تعرض أول مرة ، قناني العطر ، فتأكد لي أني المرشح للزواج من إحدى صبايا العم ، وذلك من تقاليد العائلة الكبيرة .. أحب ذلك بصراحة ، كنت معجبا بنعيمة ، وكانت في الإعدادية البنات عندنا آخر صف لهنّ الثانوية العامة ، ثم الزواج ، ويتوقف التعليم وإن لم تتزوج ، فأكثرهن يصبحن سيدات بيت قبل الثامنة عشرة ، ونحن الذكور عشرون سن النكاح ، ولم يكن لديّ مانع من الاقتران بها ؛ لكن هناك اثنتان أكبر منها أو من سنها ، لدى عمي توائم واهتم بي أولاد العم أكثر من الطبيعي ويدعونني لمشاركتهم الغداء وشرب الشاي أو القهوة في بيتهم ، كان اهتمامهم بشخصي بعد زواج محمود زائدا وبينا.

مضت الأيام حتى أتى وقت الزواج ، وتحدثت أمي مع أمها، وانتقل الكلام للأب والعم ، وتيسرت أمور الزواج حسب ما رتب دون عوائق ، وحسب عوايد الناس في الزواج والأقارب ، نكحت ابنة عمي نعيمة فواز وفرحت بها ، وتعلمون لهفة الشباب إلى النكاح لغض البصر وحفظ الفرج ، وأحببتها كما يحب الرجل الزوجة وانقضى شهر العسل ، لم يكن شهرا فقط أسبوعا ، وفي داخل البلد، وصرت بعد صلاة المغرب في مسجد السوق أعود للبيت ، وأنا أسكن مع والديّ بيت العائلة في شقة في العمارة الخاصة بالعائلة ، وأصبح إغلاق المحلات من اختصاص أبي والعمال ، وبدا العم يشجعني على بناء بيت مستقل لي وللغد ؛ كما يفعلون والعيش مع ابنته دون والديّ ، ورحب والدي بذلك ودعمني بقطعة أرض سجلها باسمي ، كما فعل مع أخوي محمد ومحمود ، وخلال سنة كان البيت معدا للرحيل بدعم من عمي وأبي وأخوة نعيمة فواز، كان سخاؤهم واضحا ،ورحلنا للبيت الجديد .

كان الهم المزعج للعائلة كلها عدم حصول الحمل لنعيمة خلال هذه الفترة، فبدأ الإزعاج من عند أمي ، ثم حماتي وأبي وعمي ، وعملنا الفحوصات الطبية لمعرفة سبب التأخير والإعاقة ، فتبين أن السبب البنت ، وبدأت رحلة العلاج بين الأطباء والمختبرات ، والمراكز المختصة في علاج العقم ، ومشاكل الجهاز التناسلي انقضت خمس سنوات دون فائدة ، ودون حمل ، وأنا كلي شوق لرؤية ذريتي ، وكنت أتألم عندما تلد زوجة أخي محمد أو محمود وأخواتي وإخواني الأصغر الذين تزوجوا بعدي ، كنت أعيش في ظلام دامس ، أعيش في

حسرة أريد طفلا كسائر الخلق ، اللهفة موجودة فيّ بقوة ، وبدا الهمس أن أتزوج امرأة أخرى أتزوج من جديد ، وأجرب حظي مع أخرى ، وهمست بذلك لنعيمة ؛ لكنها رفضت التفكير بهذه الفكرة ، وأن تكون ضرة ، وانتقل الكلام لأمي وحماتي وأبي وعمي والعائلة كلها ، وغضب العم وأعمامي من هذا الهمس وعاب القوم الزواج على ابنة العم حتى لو لم تلد ، وعليّ الرضا بالقضاء والقدر والنصيب واستقرار العائلة، وأنا أصيح ، وأصرخ في وجوههم أريد ابنا ، أريد أن أصير أبا ، فيقال لو كان العوق منك أتقبل بتركها لك ، فأصيح الشرع سمح لنا بالتعدد ، الشرع هو الذي سمح لنا بالزواج ؛ ولأنها ابنة عمي فلتبق على ذمتي ، لا أريد طلاقها ، أريد طفلا ينادي يا بابا بابا.

****

أريد الطلاق بقوة ، وهم يرفضون بقوة ، تركت العمل مع والدي ، وبدأت بمحل صغير وحدي ، خلال سنتين كبرت المحل في سوق آخر ، أصبح عندي شريك في التجارة ، أهملت زوجتي لم أعد أقربها ، واعتبرت أن اللقاءات بها إهدار لما بقي معي من قدرة على الإنجاب ، شكت لأمها ، فطردتها من البيت ، أجبروني على ردها ، نتشاجر كثيرا ، كل وجباتي الغذائية في السوق ، حتى حرمتها من وجودي معها طوال يوم الجمعة ، كنت أخرج للجامع ولا أعود إلا في الليل ، فتضطر للمبيت عند أهلها خشية المبيت وحدها أو يسأ لسمعتها ، سافرت عددا من البلدان .

قال لي شريكي وهو من العائلة : يا عمر لك عشر سنوات في عذاب ، تزوج سرا ولما تلد زوجتك ضعهم تحت الأمر الواقع ، إما أن يقبلوا الطلاق أو التعدد.

ساعدني حسام وساقني إلى شيخ يعالج بالقرآن والطب الشعبي ، ورحب بنا الشيخ عبد الرحمن ووعد بالمساعدة على تحقيق الزواج ، وقال مشجعا على التعدد : لما تتزوج الثانية لسوف زوجتك الأولى تحمل بإذن الله .

قلت بحيرة : معقول هذا الكلام يا سيد حسام ! معقول تتأثر النساء ببعض

ـ ربما يحدث معها هذا التأثير .

لم أقتنع أن نعيمة ستحمل لما أتزوج عليها ، لنا عشر سنوات ، وقلت :سأحتفظ بها اذا لم تطلب الطلاق لعل فكرتك تصح يا مولانا .. هي لو لم تخضع لضغط العائلة لقبلت الطلاق .

استأجرت شقة بمعاونة حسام في حي شعبي ، واستطاع عبد الرحمن من تدبير زوجة فقيرة من عائلة مستورة ، وتزوجت على سنة الله ورسوله ﷺ . وولدت قبل ذكرى زواجي بسنة ، وغمرني الفرح ، وأعلمت أمي بأني صرت أبا بعد طول

انتظار ، ولما علمت نعيمة بزواجي وأني خلفت تركت البيت ، حدثت ضجة في العائلة ، وكنت متوقعا لهذه الزوبعة ، قابلت الأمر ببرود ، طلب مني أبي طلاق نعيمة ؛ لأنها لا تقبل أن تعيش ضرة ، طلقتها ؛ كما رغبوا وعدت للحياة في بيتي لأن نعيمة أخذت الكثير من أثاث الشقة ورحلت ، ولدت منى ابني الثاني ، وأصبح أمر منى مقبولا عند والديّ ، ولم تتزوج نعيمة فبدأت الشفاعات لعودتها ، وبضغط عائلي قبلت العودة ولكن بعد بناء شقة ثانية وساعدني أبي في ذلك للتعجيل بعودة نعيمة إلى شقتها التي ساعدني والدها بإقامتها ، تم البناء ، وانتقلت منى للشقة العليا ، وتزوجت نعيمة من جديد وعادت لشقتها ، وبعد فترة جفاء لانت وتقبلت الزوجة الثانية ، وتقبلت منى بيسر الضرة ، وكنا نأكل جميعا ، وفي الليل ليلة مع منى ، وليلة مع نعيمة ، ولما وضعت منى ابني الثالث حملت نعيمة ، وصدقت نبوءة الشيخ عبد الرحمن وأرسلت للشيخ هدية من نعيمة ، والحمد لله .. فاليوم عندي أربعة من منى ، واثنان من نعيمة ؛ حيث أمست أما بعد أن صرت أبا .

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

روايات اجتماعية

غربتي وابنتي

الحلقة ٩ والأخيرة

اتصلت زهيرة بهنري على رقمه الدولي فبعد الاطمئنان على الصحة والحياة والأولاد والشيخ حميد وابن ميلاد رفاعة قالت : ما حكاية الزواج يا دكتور عبد الصمد ؟

ـ جميل ! إذن تحدثت معك شمس، كنت أظنها لا تفعل فهي غاضبة عليك بشدة ، وتزعم أنك تركتيها للذئاب .. كيف أطفالك ؟

ـ الحياة عجيبة يا دكتور! كنا على وشك الزواج كما تعلم ، ولولا كلمات تفوهت بها أخذتها بحمل الجد والصدق ، فهاجرت لمعرفة الإسلام في بلاد الإسلام خاصة مصر .. وأنت تزوجت وخلفت ، وأنا تزوجت وخلفت .. وأكرمني الله بزوج رغم كهولته كأنه شاب .. صحة وعافية بفضل الله الحاج أبي محمد صديق صاحبك ميلاد ..

ـ هل حج زوجك حقيقة يا دكتورة ؟

ـ نعم ، حج مع والدته وزوجته قديما .. ذهب محرما لأمه ، فأبوه كان ميتا .. وأنا أفكر بالحج مع أمي إن شاء الله .. عندنا ترتيب معين للحج في بلادنا .. رحلة بالطائرة

ـ تستطيعين الحج عن طريق كندا .. فأعداد الحجاج ضئيلة فيتاح لكل من يتقدم بالحج

ـ حدثني الآن عن الإندونيسيين الذين خطبت لهم شمس

ـ هذا إندونيسي جاء للعلاج هو وزوجته ، ورافقهما ابن لهما ، فلما عرفا أنني كندي مسلم سرهما ذلك ، ورأيا مادلين معي ذات نهار ، ووقعت عين الشاب عليها فاستحسنها رغم أني بينت لهم أنها مسيحية .. فقال العجوز ديننا يا دكتور يبيح الزواج من الملل الأخرى، ويحدث ذلك عندنا في إندونيسيا ، ولكنه قليل .. فهم يريدون تزويج ابنهم فتاة أمريكية أو كندية ليستقر في أمريكا أو كندا للحصول على الجنسية الأمريكية والاستقرار في هذه البلاد .. رفضت مادلين الزواج من مسلم وقالت سأتزوج في يوم ما ملحدا .. لا أحب الأديان كلها .. فتذكرت شمسا ، وشرحت لها القصة ، وطلبت منها الحديث معك .. فالشاب يريد الزواج للبقاء هنا وهو أستاذ في بلده .. وهو رافق والده سعيا للبقاء هنا .. ما رأيك بهذا الزواج ؟

ـ أنا لا مانع لدي من زواجها .. إنما الرأي المهم لشمس .. ماذا ردت عليك ؟

ـ لم ترد عليّ بعد .. عندما أنهي مكالمتي معك سأتكلم معها .. إنها فرصة لا تفوت بالنسبة لفتاة مسلمة ولو شكليا يا دكتورة .. شمس كما تعلمين وأعلم ليس لها من الإسلام .. إلا أن أباها وأمها مسلمان .. لا صلاة .. حتى العربية ثقيلة عليها ..

ـ استفادت من عربيتنا عندما كانت صغيرة ، وعندما كنا أنا وأباها زوجين ، ففي داخل البيت كنا نتكلم العربية .. وفي الخارج الفرنسية والإنجليزية وحتى الخلط بينهما .. وأرجو أن توافق يا دكتور ؛ لعلها تتخلص من عقدة الاغتصاب .. فهي من ذلك اليوم وهي تتحدث عن الرجال ببغض وقرف

ـ أحسست بذلك من حديثي معها عدة مرات .. أرجو أن تسلمي على الشيخ حميد .. واهتموا بابن الشيخ ميلاد

ـ أبو محمد ما زال يتواصل مع أمه ويتفقدها ، ويعطيها ما فيه النصيب باستمرار مع أن الطفل خاضع لمؤسسة رعاية الأيتام ، وهي مؤسسة جيدة وترعى الأيتام وأموالهم خاصة .. حتى أن أحدهم عرض عليها الزواج ، فرفضت حتى يكبر أولادها من الزوجين ، ثم قد تفكر بالزواج من جديد .

قد لا تعلم شمس أن أمها ستكون أسعد امرأة بزواجها من ذلك المسلم الإندونيسي .. لقد راودها كثيرا من الأفكار الرديئة أن شمسا قد تتزوج نصرانيا أو يهوديا أو ملحدا ، فشمس لا تعرف الإسلام كعمل وعبادة .. وهذا شأن عدد كثير من المسلمين أو ذوي الأصول الإسلامية هؤلاء يحملون أسماء ذات صبغة إسلامية .. وكأي

أم لديها معرفة بالإسلام أو تربت على شيء منه ، ترى ذاك مزعجا ومرعبا مع أنها تدرك تماما أنها في بلد غربي ، ولا تستطيع منع هذا الزواج أو تلك العلاقة .. لأن القانون الوضعي يمنعها من التدخل في حياة ابنها أو ابنتها .. وزهيرة نشأت في بيئة محافظة إلى حد ما .. وكانت تمارس الصلاة والصوم .. منذ نعومة أظفارها .. وتهتم بالمظاهر والشعائر الإسلامية حتى وهي أثناء الغربة كانت تهتم باللباس المتوافق مع الإسلام بدون تشدد أو تساهل .. اللباس المحتشم .. وتحتفي بمناسبة العيد الأول والثاني كسائر المسلمين .. فهي كما مر في ثنايا الكتاب كانت تشك في عذرية ابنتها .. فهي كانت منفلتة ولا تطيع توجيهات ونصائح أمها .. فترافق الشباب والشابات وتدخن الماريجوانا الحشيش والدخان ، وتشرب الكحول .. ولا تعرف الصوم الإسلامي ، ولا الصلاة خاصة بعد دخولها ما يسمى بسن المراهقة .. وأغلب رفيقاتها من النصارى واليهود .. لذلك فكرة زواجها من مسلم بس مسلم وجد لديها ارتياحا نفسيا وقبولا طيبا .. فابنتها لا يهمها الدين والعبادة .. الحياة للحياة .. وهذا مقبول عند أولئك .. فهم لا يرون الدين شيئا مهما في حياة الفرد ، إنما هو أمر شخصي .. ذهبت للمعبد لم تذهب فهو سيان .. فالبيت في بلادهم شركة .. فالزوجة تنفق على البيت كما ينفق الزوج .. لا يحق لها أن تمنعه من الزنا خارج البيت ، وهو لا يمنعها من ذلك خارج البيت .. لذلك فشى بينهم زواج المثلين .. فدعاة الشذوذ ينشطون في بلاد الغرب وأستراليا .. لقد انحرفوا عن الفطرة السليمة .

دخل حميد البيت عصر يوم للمشاركة في تناول الغداء ، وزهيرة منذ اقتربت ولادة مجدي تركت العمل في المستشفى ، وقد طلب مدير المستشفى منها الاستمرار في العمل ولو لساعات محدودة أو حالات طارئة ، فكانت ترى السعادة بالحياة مع ولديها وأن لهما حقا عليها .. خاصة أنها ليست بحاجة للمال ، إنما العمل لطرد الملل ولخدمة الناس .. فلما قاموا عن المائدة ، وانتقلوا لغرفة الجلوس حيث جهاز التلفزيون وجهاز نقل الفضائيات التي ملئت الكون في هذا الزمن قال حميد : أتكلمت معك حليمة حول زواجها ؟

ـ نعم ، قالت إن صديقا لك يطلبها لابنه

ـ نعم ، ابن الشيخ إدريس نوح ، صداقة قديمة قائمة بيننا ، خدم موظفا سائقا في الحكومة ، ولما تقاعد عمل كسائق في إحدى الشركات الخاصة لقريب له .. وحدثني عن ابنه كزوج لحليمة ، وأجلته حتى تنتهي من الجامعة ، ولما علم بتخرجها حدثني سريعا بذلك فقلت له على بركة الله وتحدثت مع حليمة بشأنه وطلبت منها أن

تتشاور معك ليعد الصالون لاستقبال الضيوف بعد صلاة العشاء .. لنجتمع هنا لنتفق ما دام حليمة وافقت على الزواج

ـ هل رأى حليمة ورأته ؟

ـ فهي قد رأته ، وتعرفه فهم جيران لنا في حيينا القديم .. وهو يعرفها حق المعرفة بحكم الجيرة وبحكم الدراسة في جامعة واحدة أيضا .. فصبر حتى تنتهي من الجامعة .. قد حضر عرسنا على ما أذكر .. وكان يأتي مع أبيه للمباركة بمجدي ومحمد .

ـ لم أصدقه .. وكلمتني حليمة باختصار بالموضوع .. فقلت عندما نجتمع على مائدة الغداء نتحدث

ـ سيأتي والده يا عمتي ـ مشيرا لأم زهيرة التي تجلس معهم ، ولا تتكلم كثيرا عادة ، تسمع وتتطلع إلى التلفزيون وتقلب الجهاز بين المحطات الكثيرة ، ويكون محمد على حضنها أو مجدي يجلس في حجرها ـ وعمه وأمه وامرأة عمه وبعض عماته وخالته .. خالد شاب محترم يا دكتورة زهيرة خبرته منذ صغره وهو متخرج من نفس الجامعة التي درست فيها حليمة يعني متعلما ، ويعمل في شركة كبيرة شركة صناعية في المعادن وأنابيب المياه

قالت زهيرة : أنا قلت لحليمة وها هي تسمع .. يا سيدي ما دامت تراه أهلا لها فعلى بركة الله وهذه سنة الحياة .. وها هي شمس أيضا على وشك الزواج . واختصرت له قصة هنري وزواج شمس

ـ الله يستر عليها وعلى بنات المسلمين .. ألف مبارك يا حضرة الدكتورة

وهنأتها أمها هناء وحليمة .. وأما مالك فقد كان في معرض السيارات يعمل مكان أخيه الذي ذهب في معاملة قانونية .

ـ شكرا لكم جميعا .. مبارك يا حليمة ونهضت تعانقها مهنئة ، وتقدمت حليمة من أم زهيرة ، وعانقتها وتقبلت مباركتها بابتسامة صافية .

وقالت زهيرة : ربما أسافر وإياك لحضور زواج شمس .

ـ جميل أن أرى كندا ! .. على الرحب والسعة .. وربما قابلت الشيخ عبد الصمد .. صديقكم هنري .. فمن كلامك عنه أعجبت به .. وكذلك المرحوم ميلاد كان كثير الكلام عنه .. ويكثر من مدحه والثناء عليه .. والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا

ـ رجل شهم منذ عرفناه حتى وهو على دين آبائه ، وعملت مساعدة له في المستشفى كان يحترمني ويحترم أني مسلمة .. رغم ما عرف عنه من شهوات وقصص قبل إسلامه .. لم يحاول أن يتحرش بي جنسيا .. وكان يطيب له مناقشتنا والدكتور سامر حول الإسلام والإرهاب عندما يزورنا في البيت أو نترافق في رحلة .. لكن سامرا كان يغار منه ، وربما شك بأن بيني وبينه شيئا سيئا

؛ لكثرة قصصه مع الموظفات والمراجعات .. ولم يمزح معي مزحة سيئة حول الجنس والعري .. مع أنه كان يفعل ذلك مع غيري .. وكان يحدث عن مشاكله مع زوجته الكندية جنفياف ومغامراتها مع الأطباء وخيانتها الزوجة

ـ واحدة بواحدة .

ـ هكذا هم ! من أراد الانتقام يفعل ما يفعله الطرف الآخر .. معاندة .. والحمد لله لما أسلم تغير كليا واستقر في البيت ، وأصبح داعية كما تعرف ، وأصبح مترجما لهم في دعوتهم في أمريكا الشمالية والجنوبية .

ـ أتمنى له الثبات على هذا الدين ، وأن يموت عليه إن شاء الله ..

ـ هل يلزم شيء لهذه الليلة من طعام فواكه قهوة مرة ؟

ـ تحدثت مع محمد ليحضر الفاكهة معه من البرتقال والموز والتفاح .. وبعض صناديق العصير وسيحضر خالد العصير أيضا ، والكنافة العربية للاحتفال بهذه المناسبة يا حليمة.. فنحن أهل وجيران .. فسيحضر أشقاء حليمة مع نسائهم وبعض أعمامي وإخواني ، وأعتقد أن صالة الاستقبال ستسع كل هؤلاء الأحباب والأعزاء .

حضر أبناء حميد جميعهم في هذا اللقاء الاجتماعي الخاص ، وشارك شقيقه الأكبر سالم وباقي إخوته وأحد أعمامه من الذين ما زالوا أحياء ، واستقبلهم حميد وزوجته خير ترحيب ، وأعربوا عن سرورهم بوجودهم معهم ، وبعد صلاة العشاء أقبل الضيوف والعريس ، ومعهم بعض أقاربهم ، واجتمعت العائلتان ، جلس الرجال في صالة الفيلا ، وجلست النساء في غرفة الجلوس التي يجلسون فيها بعد تناول الطعام عادة .. وكان حميد يستقبلهم أمام مدخل الفيلا ، وبعضهم استقبلهم على مدخل بوابة الفيلا الخارجي قرب الرصيف .. وكان حميد يحيي النساء مشيرا بيده ، فهو لا يصافح النساء ، وزهيرة بعد زواجها كفت عن مصافحة الرجال .. وكانت زهيرة تفعل كزوجها تستقبل النساء وترد على تحية الرجال الذين يشكرونها ، ويأسفون لإزعاجها ، فتنظر لهم نظرة تعبر على أنها تتضايق من هذه المداعبة ، وأن البيت لها ولحميد .. وقد تفاجأت زهيرة وهي تستقبل الناس مع أبي محمد برؤية الرجل الذي عرفته شابا أيام دراستها في الجامعة السيد أحمد فذكرت مطعم كلية الطب ، فتذكرته ، وحدقت به طويلا مما لفت نظر حميد ، فابتسم وهو يعانق أحمد ، وأدرك أحمد أن زهيرة عرفته وتذكرته ؛ فلذلك قال باسما : كيف حالك يا دكتورة زهيرة ؟

ابتسمت له وقالت : أهلا وسهلا .. أين رأيت هذا الوجه من قبل ؟!

فاقترب منها أكثر وقال : وكيف لا تعرفينني وقد قضيت فصلا جامعيا وأنا أتردد على مطعم كلية الطب .. كيف أنت يا دكتورة عساك بخير ؟

ـ أهلا وسهلا .. أنت عم العريس ؟!

ـ نعم ، دنيا يا دكتورة .. لكني لم أسيء إليك يوما والأخ حميد يعلم ذلك

ضحكت وقالت : أهلا وسهلا ، وقد تصالحت مع الشيخ ميلاد قبل وفاته ونسينا الماضي .

ـ بارك الله فيك ، وبارك الله في أبي محمد .. صدقي أننا نصحناه بترك عناده

ـ عندما جئت زائرة قبل سنوات التقينا وتسامحنا

ـ أخبرنا أبو محمد أنك جئت لتسامحيه

فقال حميد : أبو عيسى مدير قسم التمريض في مستشفى ...

تبسمت زهيرة وقالت : نعم ، كنت طالب كلية التمريض حياك الله

فقال حميد : تفضل فأغلقنا الطريق على الآخرين

نظر خلفه وقال باسما : كلهم يستمعون . . كم تعجبنا لهذه الدنيا أنا وحميد عندما سمعنا بهذا الزواج الرائع ! .. سامحيني يا أخت أم مجدي .

ـ هذا من لطفك .. مرحبا بكم في بيت أبي محمد ..

ـ عقبال ما تفرحين بمجدي ومحمد .. فأولادك معجزة كما يحدثنا أبو محمد

ضحكت وقالت : فعلا إنها معجزة بالنسبة لي أنا !

ـ زواجكم معجزة وأولادك معجزة .

قال حميد : مشيئة الله وقدرته

لا تخلو حياة الإنسان من المنغصات ، من مشاكل اجتماعية، من فساد ، من أمراض عارضة أو دائمة .. الزكام والأنفلونزا بأنواعها تستمر أياما ثم تذهب ، والشيخوخة لها أمراضها ، من مرض السكري والضغط والكولسترول وضعف البصر وهشاشة العظام والروماتزم والمفاصل ، وهناك أدوية تعالج وتخفف من آلام تلك الأمراض ، وتشيع أمراض مؤلمة كأمراض القلب والأورام والكبد .. ومع تلك الأسقام الكثيرة ، فالحياة بيد الله والصحة من الله تعالى .. وكما مر بنا فأم زهيرة كانت تعاني من أمراض مختلفة كالسكري والضغط ارتفاعا وتصاب بغيبوبة السكري ، وتنقل للمستشفى للعلاج والمراقبة ، وربما تقضي ليلة أو أكثر ، ثم تنكشف الغمة وترجع للبيت .

وكانت زهيرة تفكر حقا بأخذ أمها وزوجها في رحلة حج بواسطة الطائرة والذي أجل ذلك في أحد المواسم ولادة محمد .. وها هو مشروع زواج شمس من الشاب الإندونيسي الذي رافق والديه في رحلة علاجهما يتطور إلى الأمام .. فقد ذهبت شمس لنيويورك لمقابلة الشاب ، والتقت به على مائدة هنري ورافقتهم مادلين على ذلك العشاء ، وأبدى الشاب قبوله واستحسانه للعروس

الكندية ، وأنها راقت له ولأهله ، وقبلته شمس وقنعت بالزواج منه ، وترتب على هذا اللقاء أن تسافر أسرة بايك إلى مونتريال لإبرام الزواج وعقد القران ، ليتحدد وقت الزفاف بأسرع وقت ممكن ، ليبدأ عبد رحيم بتقديم أوراق الهجرة لكندا ، ويطلب الجنسية الكندية لزواجه من فتاة تحمل جنسية كندية.

أخبرت شمس أمها بكل ما جرى لها من ذهاب للعم هنري ، ومقابلة سيد عبد رحيم وأسرته وقالت : شاب جميل آسيوي ، وقبل بي زوجة له .. شكله مقبول .. عمره خمس وثلاثون سنة يا أمي .. والزواج لابد منه .. ولكني لا أدري هل أكون معه سعيدة أم شقية ؟!

ـ هذا من الغيب يا شمس سلمي أمرك لله .. ويسرني أن أبارك لك هذا الزواج

ـ قبلت تهنئتك ، هل ستأتين أنا وحيدة يا أمي في هذه الدنيا . وغصت باكية وفعلت أمها مثلها وقالت : طبعا سآتي ومعي عمك حميد

وصاحت : ولماذا حميد ؟!

ـ ألا تحبين أن يشارك في زواجك ؟ متى سيكون الزواج ؟

ـ خلال أيام .. سنذهب لتسجيل الزواج ، ثم نحدد يوم الزفاف

ـ هل يعلم والدك بهذا الزواج ؟

ـ أخبرته ، ووعد مثلك بالحضور يوم الاحتفال به

ـ ألا يريد شهود العقد ؟

ـ لا ، ويقول إن هذا التسجيل لا يهم المهم ما يكتب عند القاضي ووعد بالسفر هل ستأتين ؟

ـ نعم ، متى تحبين أن أكون عندك ؟

ـ لو سافرتم اليوم لا بأس

ـ حسنا

راجعت زهيرة السفارة الكندية ، وقابلت السفير لأنها تعتبر أحد الرعايا الكنديين في البلد .. فالبلد يسمح بازدواجية الجنسية .. فسهل السفير سفرها بصحبة زوجها وابنته حليمة وابنها الصغير محمد ، لما علم الغاية من هذه السفرة ، واشترت التذاكر لها ولزوجها ولحليمة ومحمد الصغير ، وكانت شمس والعم هنري وقرينته الهندية في استقبالهم بمطار مدينة مونتريال الدولي وعانقت شمس أمها بحرارة وبكاء وفرح وصافحت زوج أمها ، وقبلها بدوره من خديها ، وأحبته من أول نظرة ، وخاصة لما رأت عناق هنري له وترحيبه الحار به .. وسلمت على حليمة وقبلتها ، وأخذت أخاها الصغير وقبلته من وجهه قبلا لا عدد له ، وهي تقول : من الرائع عم هنري أن يكون للإنسان أخ .. وسلموا على زوجة هنري ، وتعرفوا عليها ..

ورحب بعضهم ببعض ، وعاد حميد يرحب

بشمس ويقول : أهلا بك يا ابنتي الغالية ، فأرادت أن تقبل يده على عادة الشرقيين ، فسحبها وقال باسما : هذه عادة حسنة يا شمس ونوع من البر للآباء .. وأنا سعيد برؤيتك .

والتفت لهنري وصافحه من جديد : تحياتي لك يا شيخ عبد الصمد وجزاك الله خير الجزاء بما قمت به نحو الشيخ ميلاد والعزيزة زهيرة

وقبل أن يرد هنري ، قالت شمس وقد عادت لحمل محمد الرضيع : هذا أخي يا عم هنري .. أرأيت صار لي أخوة .. رائع هذا الطفل يا أمي ! .. ما رأيك أن تهبيه لي .. إنني أحبه .. ما أروع ابتسامته !

وعادت لتحضنه وتأخذ بعناقه ثم التفت لأمها وقالت : كم أحبك يا أمي !

بارك هنري لحميد وزهيرة بحياتهم ، وركب هنري وزوجه بسيارته ، وحميد بسيارة أجرة مع أسرته ومعهم شمس إلى الفندق الذي ينزل فيه هنري وقرينته .

وتناولوا العشاء في الفندق .. وانطلقت شمس بأمها وأخيها وحليمة إلى سكنها لترتيب أموره والذهاب لشراء ثياب خاصة بالزواج وحفلة العرس .. لأنها ستبقى تعيش مع زوجها بنفس الشقة حتى يتيسر له العمل ، وبعدها يفكران بتغيير الشقة .

وسألتها زهيرة عن والدها وموعد حضوره ، فقالت بغضب : لا يريد أن يحضر فهو مريض ، وهو في المستشفى .

فقالت : كأننا سمعنا بذلك .. قال ذلك أحمد عم خطيبك يا حليمة

فقالت شمس لحليمة : كيف أنت وأمي ؟

ـ عل خير ما يرام

ـ أنت وأمي على خير ما يرام ؟!

ـ ما الغريب في نظرك ؟! .. أمك إنسانة طيبة وعظيمة، ولم نر منها إلا كل خير .. صدقي هذا وهي كأمي معنا .

ـ أنت التي خطبت قبل مجيئك ؟

ـ نعم ، وقريبا سنتزوج

حليمة تحسن الكلام بالإنجليزية ، فقالت شمس لحليمة: ما رأيك بالهجرة لهذا الدنيا ؟ فالشيخ هنري يستطيع تدبير أمر هجرتكم إلى هنا فله أصدقاء في وزارة الخارجية .

ـ ليس كل الناس يحبون الهجرة يا أخت شمس .. الحياة في الغربة صعبة ومرة كما يقال عندنا الغربة مرة .. والناس يحتاجونها مضطرين بسبب السياسة أو الحاجة الاقتصادية .. فها هي أمي زهيرة تغربت عشرين سنة وأكثر ، ولم ترتاح في الغربة .. أليس كذلك يا أمي ؟

قالت زهيرة : من ناحية الراحة النفسية الإنسان مع

أهله وأحبائه أفضل خاصة عند الملمات والشدائد .. وأما من الناحية المادية فالمال والثروة هنا أفضل .. البلاد جميلة ، والقانون على الجميع ، والجميع يحسب حسابه .

وساق هنري حميدا إلى وسط مونتريال ليتفرج على المدينة ، ويسمعان أخبار بعضهم ، وكان جل حديثهم عن ميلاد ولقائه في ربوع رايوند ودكا ومدن أخرى من تلك البلاد .. وقال : الإنسان يصنع حياته .. ونحن نرى الجهل الكبير في مدن العالم ، كلهم يركضون حول الشهوات .. المال والفاحشة .. والناس بسطاء لكن الجهل كما قلت يركبهم ، لا يفكرون بجنة ونار ويوم قيامة وحساب .. وفريق في الجنة وفريق في السعير .

قاما بجولة بسيارة هنري المستأجرة في شوارع المدينة وساقه إلى أحياء شرقية وأماكن عربية ولبنانية .. ومصرية وصينية .. وأراه بعض مساجد كندية ، ولكنها كانت مغلقة لانتهاء صلاة العشاء من وقت طويل .. ورأى الحدائق الكثيرة والجميلة

قالت زهيرة لما دخلوا شقة شمس الشقة التي ستتزوج فيها : هذا يا أبا محمد بيتي قبل عودتي للوطن .. أنا لم أدرس الجامعة الأولى في مونتريال .. درست في مقاطعة أخرى اسمها نوفا سكوشا .. سكنت هنا عند العمل ، ثم تركتها لشمس عروسنا الجميلة .

فقالت شمس : آه يا أمي! أتمنى أن أعيش السعادة وأحس بها

احتضنت الأم ابنتها وقالت البنت : ليتني سافرت معك .

ـ يا حبيبتي يا شمس وأنا رغبتي أن تعودي معي ؛ ولكن الحال قد تغير اليوم كيف عبد رحيم

ـ طيب ، وقليل الكلام وهو غامض

فقال هنري وهم يستريحون على المقاعد في غرفة الاستقبال : لي سنوات لم أجلس هنا يا أم محمد منذ انفصالك عن الرجل .. كانت لا تسمح لأحد من الرجال بزيارتها لما حدث الانفصال يا أبا محمد .

رد أبو محمد باسما : الدكتورة تعرف الأصول وحرمة البيوت ..

وقال هنري لشمس : وأما غموض عبد الرحيم يا شمس فهكذا الناس الذين يأتون بلادنا يحيطهم الغموض حتى يحتكوا في المجتمع ، فتذهب عنهم الريبة والخوف من المجهول .. والزواج في النهاية تجربة .. قد تنجح وقد تفشل .. فلا تقلقي إذا لم ترتاحي معه .. فالطلاق بالنسبة لكم أنتم المسلمون أسهل من كاثوليكيتنا التي كنت عليها .. توكلي على الله يا شمس .. أنا سأنصرف أيها الأصدقاء .. وغدا سيكون الغداء بدعوة مني ، فقد حجزت للجميع في مطعم نحن أخوة في الدين إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. الدكتورة زهيرة

تعرف المطعم في وسط المدينة .. وسيكون الاحتفال بالزواج مساء الخميس ، وهو احتفال صغير دعونا له الأحباب والأصدقاء وفيه بعض رفيقات شمس .. لم ندعو ذكرا واحدا من معارفها سواء في العمل أو في الجامعة ..

شكر الجميع جهود هنري معهم ، وهنري كان يخدم العائلتين ، واعتبر نفسه مسؤولا عن العروس والعريس ، وغادرهم هنري باسما .

قال حميد بعد مغادرة هنري الشقة : سنصلي أيها الناس الطيبون ، ثم نجلس مع عروسنا بعض الوقت ، ثم تذهبون للسوق أو الأسواق لشراء ما يلزم العروس الجميلة شمس

قالت زهيرة : ليلة أمس اشترينا بعض الأشياء

قالت شمس : أنا لم ابتاع شيئا قلت حتى تحضري .. وأنا أقدر حضورك يا أمي لمشاركتي هذا الزواج

ـ هذا واجب عليّ يا شمس .. فأنا أكون سعيدة بسعادتك .. وسترافقنا طبيبة صديقتنا .. تعرفينها نوسي فهي ماهرة بالمشتريات، والتنقل بين المتاجر

هتفت شمس بفرح : رائع !! .. لقد ابتاعت لي الكثير من الأشياء .. لي عهد لم أرها يا أمي ؟

ـ ذهبت المكسيك منذ سنوات للعمل في مستشفى هناك .. وعلمت أني هنا وأنا أتحدث مع زميلة لي في العمل .. وأخذت رقمها وتحدثت معها فرحبت ..

ـ صديقتي ليزا ستنتظرنا في شارع ... ومعها سيارتها

ـ لا بأس يا شمس.. سترافقينها وأما سيارتي التي استأجرتها فستقل حليمة ونوسي .. وأبو محمد سيعود للفندق .

بعد العصر خرج الجميع من الشقة بعد تناولهم الغداء ، وترك حميد أمام الفندق فجلس في صالة الاستقبال وطلب فنجان قهوة .. ثم صعد لغرفته وغرق في النوم ولم يستيقظ إلى على رنين جرس الموبايل ، وكانت المتصلة زهيرة لتخبره أنها ما زالت تتسوق ، وربما تتأخر في السوق لنصف الليل .. فعجب من حب النساء للسوق والشراء، فدعا لها بالتوفيق والعودة سالمة ، وأعلنته أنها ربما تقضي ليلتها هي وحليمة في شقة شمس .

نهض عن السرير ، وصلى المغرب ، وتلقى اتصالا من هنري الذي ينزل في نفس الفندق مع زوجته وأطفاله ، واتفقا على اللقاء في فناء الفندق ليصليا العشاء في أحد مساجد المدينة ، فرحب حميد بذلك وأخذ يستعد للنزول لمدخل الفندق .

وقضيا ساعات طيبة في شوارع المدينة ، وصليا العشاء في مسجد وتعشيا في مطعم وجبات سريعة ، ثم قفلا عائدين للفندق ، وقدم حميد الشكر الجزيل للدكتور ، وتخلل مشوارهما الحديث عن الدعوة وميلاد وحماسه وحبه للخروج ، والإسلام

في كندا ونشاط جماعة التبليغ .

فاعلم أن الوجود الإسلامي في كندا مثله مثل الوجود الإسلامي في كل بقعة من بقاع الأرض، فالمسلمون هنا منتشرون في أنحاء كندا ، وإن كانوا يتركزون في تورونتو ومونتريال على الأخص فهم يحاولون أن يحتفظوا بهويتهم ، ويتمسكوا بإسلامهم ، في ظل ظروف صعبة للغاية.

فالمسلمون هنا إما ممن لا ينتمون إلى تجمعات و جماعات (مستقلون) ، وإما من لهم انتماء جماعي سواء لمسجد أو لجماعة إسلامية من الجماعات العاملة في الحقل الإسلامي العالمي ، كـ الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ والدعوة، و حزب التحرير، و السلفيين، والصوفية. أما الإخوان فلهم وجودهم ولهم نشاط حركي أكثر منه فكري، ليس لهم رأس معروف أو قيادة متميزة ، أما جماعة التبليغ والدعوة فهم منتشرون بشكل كبير ويسيطرون على عدد من المساجد ، ونشاطهم كما هو معروف يتلخص في الخروج في سبيل الله وتبليغ الأمر لأكبر عدد ممكن ، أما عن السلفيين فهؤلاء يعملون فرادى بشكل عام ومن خلال مساجد معينة معروفة ، وينشطون أكثر ما ينشطون بين الشباب وبين الملونين من الكنديين والأمريكيين. وهناك عدد من التجمعات الضخمة لجمعيات إسلامية مثل جمعيتي **(ISNA)** و **(ICNA)** وهي جمعيات إسلامية ضخمة لها مراكز ومدارس إسلامية ومكتبات ومؤتمرات ، مما لا وجود لمثله في شرقكم العربي .

وهناك تجمع إسلامي ضخم في الجامعات يعرف بـ **(MSA)** ، وهو تجمع شبابيّ في أمريكا الشمالية ، والإخوان لهم نشاط فيه، وكذلك بقية الاتجاهات ، كذلك تجد في كندا الصوفية وتجمعهم من أكثر الجماعات انتشارا هنا، ولهم مراكز عديدة ومؤتمرات مشهورة.

موقف الدولة منهم يتوقف على الجماعة ذاتها ، وإن كان هناك الآن قاسم مشترك من العداء مع الدولة لهم جميعاً إلا الصوفية، فالدولة تشجعهم وتعاونهم ، خاصة في أمريكا، أبرز هذه الأنشطة هو العمل من خلال المدارس الإسلامية ، التي تتبع عادة مقررات كندا ، ثم تضيف اللغة العربية والقرآن ، ثم المؤتمرات التي تكون بمثابة نشاط اجتماعي أكثر منه إسلامي.

هناك مساجد تخضع بشكل كامل لجماعة التبليغ والدعوة، وهناك مساجد تخضع لأهل السنة وغيرهم ، وهناك مساجد معروفة لجمعيات – **(ISNA)** أكبر جمعية إسلامية في أمريكا الشمالية– و(**ICNA**) ، وهي جمعيات مسئولوها عادة من المسلمين الباكستانيين.

لما التقى بزوجته وابنته وشمس ، وسألته زهيرة

كيف قضى ليلة أمس ؟ حدثها عن تجواله برفقة هنري في الشوارع القريبة من الفندق ، حيث صليا في أحد مساجد المدينة ، وقال معقبا : شيخ طيب هذا الطبيب.. الحمد لله الذي هداه لدين الإسلام ـ ما شاء الله ـ لحيته الحمراء جميلة !

فقالت شمس: أنتم لماذا لا تحلقون لحاكم ؟

فرد حميد باسما : تشبها بالنبي محمد ﷺ ، فقد كان ذا لحية كثة يا شمس ، ومن أحب شخصا حاكاه وشابهه في زيه وأخلاقه وسيرته ، وأمك عندما تلبس العباءة تلبسها تأسيا بنساء المؤمنين في زمن الصحابة رضي الله عنهم .. فالإسلام بين تفاصيل اللباس الشرعي والأكل والشرب .

ـ عبد رحيم بغير لحية ؟!

زادت ابتسامته وقال: كثير من المسلمين بغير لحية.. هناك بعض المشايخ والعلماء في هذا الزمان يشوشون على الناس بفتاوى تجيز حلق اللحية .. ورغم كلامهم فالذي يلتزم بهدي النبي ﷺ يطلق لحيته .. فكما يحب أن ينام على سنة النبي ﷺ ، ويأكل على سنة النبي ﷺ ، ويلبس على هدي النبي ﷺ ، فليعف لحيته على هديه ﷺ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

فتمتمت شمس : قوى الله إيمانك يا عم حميد ـ وإيمانك يا ابنتي ، وإن شاء الله بعد زواجك نراك في بلادنا ضيفة علينا ؛ لترى أخاك مجديا وأهل أمك .

فهزت رأسها وقالت : سأفعل إن شاء الله .. أليس هكذا تقولون ؟

ضحكوا ورد حميد : بلى ، دائما على المرء أن يقول إن شاء الله

فأكدت وكررت من جديد : سأفعل إن شاء الله .. وسيأتي عبد رحيم الليلة للشقة للتعرف عليكم يا أمي

فقالت زهيرة : أهلا وسهلا به ..

جرى حفل زواج شمس على خير ما يرام ، حضره أمها وزوجها وحليمة ، والدكتور هنري وقرينته وأطفاله ، ونوسي وليزا ، وبعض صديقات شمس في العمل والجامعة أيام الدراسة .. وبعض زملاء هنري وزهيرة في مستشفى مونتريال العام ، ومادلين وأمها جنفياف ، كان حفلا بهيجا متواضعا بغير رقص وخمر، قدمت فيه الحلوى العربية والإندونيسية الشائعة هناك ، وعلب العصير ، واستمر الحفل ساعة ونصف ، فقد قدمت فرقة أناشيد ذات أصول آسيوية أناشيد بإحدى لهجات جنوب شرق آسيا ، ورتب هذا هنري مع شاب شرقي متخصص في تنسيق مثل هذه الحفلات ذات الطابع الإسلامي والشرقي .. ويوجد في كندا نوادي عربية تستطيع تقديم حفلات عربية وموسيقى عربية ورقص عربي .

عند انتهاء الحفل اصطحب عبد رحيم زوجته شمس بسيارة زينت حسب التقاليد الإندونيسية إلى المطار حيث سيذهبون إلى منطقة سياحية في كندا لقضاء ثلاث ليال فقط ، ثم سيعودون لشقة شمس التي هيئت لتكون مخدع زواج العروسين وعشا لهما .

وودع هنري العروسين قبل سفرهما ، وبارك لهما ، وتمنى لهما السعادة ، وودع حميدا وزهيرة ووعدهما بزيارة خاصة لهما ، وفي الصباح غادر المدينة بصحبة زوجته وأطفاله ومادلين ابنته .

ووالد ووالدة عبد رحيم سينتظران عودة ابنهما وعروسه من الليالي الثلاثة ، ثم ينصرفان لنيويورك ومتابعة العلاج .

وحميد وزهيرة وحليمة سينتظران أيضا عودة العروس ، وسيذهبون في رحلة لمدة يومين إلى مدينة الدببة في تشرشل .. وهذه فرصة ربما لا تتاح لحميد ثانية في بلاد المحيطات الثلاثة.. وبعد عودة العروس سيقضون يومين أو ثلاثة معهم ، ثم يعودون لبلادهم العربية .

أخذتهم زهيرة برحلة بحرية بعد عودتهم من مشاهدة الدببة القطبية في موطنها الأصلي رحلة لمشاهدة الحيتان من مونتريال إلى نهر (ريفيير ردي لوب) رحلة تستغرق ثلاث ساعات على الأقل لرؤية الحوت والفقمة ، وزاروا الحديقة النباتية وبيت الحشرات ، وبعض المتاحف المتخصصة كقبة مونتريال الفضائية والمركز الكندي للمعمار ، ومتحف التاريخ والآثار ، وسوق جون تالون للتسوق وشراء الهدايا ، وغيرها من معالم المدينة ، وختمت برحلة نهرية إلى (لوي جوبيه) حيث مشاهدة شلالات مونتمورنسي .

وبعد زفاف شمس بأسبوع غادروا بلاد كندا لبلاد العرب والشرق الأوسط بما يحملون من ذكريات وهدايا لأحبابهم ، وقد اشترت زهيرة الكثير من الملابس للعروس حليمة ، فكانت في الواقع تكسي شمسا وحليمة ، ورفضت اعتراض حميد وحليمة ، فسكت حميد وسكتت حليمة

وكان الوداع حارا بينهم ، وقد بكت شمس وهم يفارقونها ، واحتضنت أمها طويلا وقالت لها زهيرة : هذه هي الحياة يا شمس لقاء وافتراق ، وأتمنى لك الخير والتوفيق في حياتك الزوجية وزوجك شاب طيب ومحترم فحافظي عليه .

فقالت شمس : كنت أتمنى أن تبقي بعض الوقت هنا ؛ لكن مجدي الصغير بحاجة لك أكثر مني لعلي أراه .

ـ سترينه إن شاء الله

فقالت شمس : أحس أنها آخر مرة ستأتين لهذه البلاد .

ـ العلم عند الله ..(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ

غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)
ـ لو أحس أن الحياة عندكم ممتعة ٥٠٪ لسافرت معك قديما يا أمي .
ـ الإنسان يصنع حياته ، ويبرمج نفسه للأفضل ، فلنتواصل على الأنترنت والاميل ، ولنبق أصدقاء يا شمس .. ولن أنساك أنت قطعة من كبدي وروحي .
ورغبها حميد بالتعرف على الإسلام والصلاة ؛ لتكون قدوة للمسلمات في بلاد الغرب .
ووعدته خيرا ، ووعدته بتعلم الصلاة والإسلام ، فزوجها يعرف هذه الأشياء ، ولغته الإنجليزية جيدة .
الرحلة الجوية بين كندا والوطن تستغرق وقتا طويلا ، وتهبط الطائرة الكندية في لندن للتزود بالوقود الخاص بالطائرات ، وقد ينزل منها ركاب ، ويصعد آخرون متجهين إلى بلدهم .
ومدينتهم شرق غرينتش الخط الدولي للمواقيت الدولية ، زاعمون أنه وسط الكرة الأرضية طوليا ، وتبعد عنه البلد ساعتين شرقا ، وكندا غربه بخمس ساعات .
بعد رحلة طويلة حطت الطائرة في مطار المدينة العامرة بأهلها ، ووصلوا مع الفجر ، وكان محمد حميد في استقبالهم بسيارة أبيه ، وكانت زهيرة قد لاحظت أن محمدا كاد أن يهم بكلام معها ، فأشار له والده بالصمت وقال : عندما نصل .
نظرت زهيرة لحميد باستغراب وأحست بشيء في قلبها ، وتظاهرت بأنها لم تلتفت لهذه الحركة، ومشت السيارة في شوارع المدينة الخالية من السيارات ومن البشر في هذه الساعة من الفجر ، وعندما نادى المؤذن لصلاة الفجر كانوا قد اقتربوا من فيلا زهيرة ، ولما رأت زهيرة عددا غير معتاد من السيارات يقف أمام الفيلا ازداد خفقان قلبها ، وأحست بحدوث شيء أخفي عنها ، فالتفت لحميد وقالت باضطراب : أولادك هنا ، والوقت مبكر يا حميد !
ـ كل شيء بأجل مسمى يا أم مجدي .. عظم الله أجرك في أمك .
كانت السيارة تقف ، فهتفت بلوعة ودهشة : أمي ماتت ؟!
ـ لله ما أخذ ولله ما أعطى .. رحم الله السيدة هناء أم زهيرة .
بكت وكما تبكي النساء والناس عند الموت .. الموت له هيبة في النفوس .. فتح حميد باب السيارة الخلفي ومسك بيدها وهو يردد كلمات العزاء والمغفرة .. وتقدموا نحو المدخل الداخلي بصمت ودموع تتساقط ، ولما استقرت في جوف البيت كانت نسوة في انتظارها وعانقنها وعزينها بأمها وتقدم أولاد زوجها معزين لها وداعين للميتة

بالمغفرة .. فمشت إلى غرفة أمها ، وهي تستنشق الهواء والحزن ، وجلست على السرير باكية ، ورافقتها بعض النسوة وحميد ، ثم تركها جالسة على سرير أمها تبكي ، وعاد يسلم على أولاده ويعانقهم كعادة العائد من السفر ، وكانت زهيرة تخاطب من معها في الغرفة : متى ؟ وكيف ؟

ـ بعد سفركم تعبت ، ونقلت للمستشفى ، وبعد يومين فارقت روحها بدنها ، ماتت وهي تدعو لك بطول العمر والفرح بمجدي ومحمد كما فرحت هي بك .. رحمها الله .

عاد حميد للغرفة ثانية وكرر العزاء فقالت : هل عرفت يا حميد بموتها ؟

ـ بعد وصولنا بأيام قليلة أخبرني الأولاد ، ولم يكن أمامي إلا الصمت ، فنحن ذاهبون لفرح شمس ، فما وجدت إلا كتمان الخبر حتى نعود .. لتفرحين بشمس وتبتهجين بزواجها .. والأجل قد انتهى .

ـ شكرا أبا محمد .. كلما أتصل يقولون نائمة شربت الدواء ونامت .

ـ علينا أن نستعد للعزاء يا أم مجدي .. هذه عادة الناس .. رغم العزاء الذي أقامه الشباب لأمك عند دفنها .. سيتجدد العزاء من أجل خاطرك ..

رحم الله أمنا وتغمدها في رحمته وجنته

وغادر لصالة البيت ليشرف على الترتيبات التقليدية ، فخصصت حجرة وأكثر لاستقبال النساء المعزيات ، وهيئت صالة الفيلا لاستقبال الرجال .. وكان هناك مكان وسط بينهما لمقابلة زهيرة المعزين من الرجال كأخوالها وأبنائهم وسائر الأقارب من الذكور .

وكان حميد عندما أخبر بموت حماته هناء ، طلب من الأولاد أن يكون العزاء في بيته القديم حيث يسكن ابنيه محمد عماد .

وكانت القهوة السادة المرة قد جهزت قبل وصولهم ، وكذلك ما يقدم في العزاء من مشروبات وتمر ، ووصلت الكراسي البلاستكية ، ووزعت على الغرف المناسبة ، وقالت حليمة لزوجة أبيها : أراك متعبة يا أمي .. هل نطلب لك الطبيب ؟

ـ لا ، يا حليمة أنا بخير .. لكن صدمة الموت هزتني رغم أنني فقدت ابنا لي في كندا ؛ ولكنه كان صغيرا .. كنت أدعو أن أبقى معها لآخر لحظة عندما هممت بترك كندا ؛ ولكن الله يريد أمرا آخر .. قدر الله الزواج وولادة مجدي ومحمد .. وكم غمرت أمي السعادة بحياتها ؟! أعلم شغف أمي بالمواليد .. رحمك الله يا أمي .. والشكر لكم يا أولاد وبنات حميد .. نعم الأهل أنتم

قالت إحدى النسوة : الأمر لله يا أم مجدي .

ـ سأكون جاهزة بعد دقائق ، وأصلي الفجر الذي ذهلت عنه .

بعد شروق الشمس بساعات يسيرة توافد المعزون لبيت زهيرة ، فهي فتاة من العائلة يفتخر بها فقد تعلمت ودرست وكافحت وتغربت ، وهي زوج الشيح حميد رجل العائلة بعد وفاة أبيه وعمه عادل ، وكان يقوم بكل الواجبات الاجتماعية المهمة للعائلة في الأفراح والأتراح .. تجدد العزاء في بيت زهيرة ، ورحبت بالمعزين بأمها والمهنئين بزواج ابنتها شمس .. وعلمت أن حميدا أمر محمدا بالتصدق بألف دينار عن روح أمها .. وترجاها الرجاء الحار أن تتقبلها بقلب مفتوح فسكتت ، وقدم حميد الطعام لزائريهم على نفقته الخاصة وبإصرار ، وقال لها : هذا واجب يا أعز النساء .. لولا كلمة خرجت من فمها ما تزوجنا يا أم مجدي قالت : صدقت .. لقد أدخل أولادك السرور على قلبي كثيرا بهمتهم

ـ إنهم أولادك يا أم مجدي ..

وكانت ممتنة غاية الامتنان لتصرف حميد بإخفاء موت أمها عنها ، وهي تشارك ابنتها فرحها ، وربما لو علمت لفكرت بالعودة لتر جثة أمها كما يفعل الناس .

لذلك قالت له بعد انتهاء العزاء الثاني : غمرتني بإحسانك يا أبا محمد .. أريد أن أقدم لك شيئا

ـ على ماذا ؟

ـ على ما تقوم به من أجلي !

ـ أولا أنت زوجتي وأم مجدي ومحمد الصغير .. وهذا أحلى شيء تقدمه المرأة لرجلها .. وثانيا أمك صديقة لأمي وزوجتي الأولى وزوجة عمي مجدي .. الذي كان يودنا ويأتينا بالهداية ونحن أطفال .. وثالثا نحن أهل وأولادي أولادك .. ويكفي أنك دكتورة كبيرة وقبلت بالزواج من كهل مثلي لا يحمل ثانوية عامة .. وأزعم أنني أحسنت تربية أولادي وحرصت على إطعامهم الحلال من المال .. ولما اقصر معهم في تعليم وزواج وبناء .. بروا أبنائكم قبل أن يبروكم ورابعا يا أم مجدي إني أساعد كل العائلة قدر الإمكان بالنصح والمال اليسير .. وها أنت بدأتي تشاركيننا تلك المساعدات التي نسأل الله أن يتقبلها منا .. ونحن نكفل ابن ميلاد وغيره من أيتام العائلة .

ـ أنت رجل شهم ! وصاحب مروءة يا أبا محمد .. مع أنك لست كبير العائلة سنا .. فالكل يحب مشاورتك في شأن العائلة وقضاياها ..

ـ هذا من فضل الله .. ربما عملي في تصليح السيارات أتاح لي اللقاء بعدد كبير من الأقارب والحديث معهم وسماع همومهم ..

ـ النساء يحسدنني عليك

ـ من باب المجاملة .. العائلة فيها المهندسون والمدرسون والأطباء اليوم

ـ يا أبا محمد أرجوك رجاء حارا ألا تجعل وفاة أمي

عائقا لزواج حليمة .. أرجوك .. أرجوك لا تقل الأربعون .. السنة .. فهذا أمر الله من قبل ومن بعد هكذا تعلمت منك

ـ هذا من لطفك وكرمك علينا يا أم مجدي .. وأنا من أجل هذا الرجاء سأكلمهم برغبتك بأن يكون الزفاف كما عين له .. فوالد خالد حدثني عن تأجيل يوم الزفاف وترتيبات الحفل ، فقلت اصبر بعض الوقت حتى أستطيع أن أتحدث مع الدكتورة

ـ نفذوا ما اتفقتم عليه .. وهذا سيكون من دواعي سروري .

ـ أصيلة يا ابنة العم .



كل إنسان له قصة تبدأ من قبل ميلاده ، من حين زواج امرأة ورجل ، ثم يولد ليلا أو نهارا صيفا أو شتاء وتولد قصته .. له حكايات ومشاهد يتذكرها أو ينسى أكثرها .. يرى حلو الحياة ومرها يرى الصحة والسقم .. ويعيش سعيدا أو شقيا أو بين بين .

وهذه قصتنا أفلت على الغروب ، ككل شيء له شروق وغروب ليل ونهار .. كانت السعادة الدنيوية ترفل على بطلة قصتنا الدكتورة الوديعة..

رغم ما رأت من ألم .. وهي صغيرة ذاقت بؤس اليتم .. ورأت صراع أمها مع الحياة من زوج لآخر حتى ترملت ثانية ، فسكنت في حجرة تنتظر الساعة ، ولما جاءت الابنة لتعيش معها ساعاتها الأخيرة أو ترحل هي قبلها للأمر المقدر كانت زهيرة تفرح بابنتها في تلك البلاد التي هجرتها بعد طول سنين في قارة أمريكا الشمالية كانت أمها تموت في الشرق الأوسط للعالم .. هذه حكاية القدر ، خلق الموت والحياة للابتلاء والاختبار .. حياتنا لا تخلو من كدر سواء على الفرد أم المجتمع أم الأمة .

عاشت فتاتنا يتيمة ، وجدت نفسها بدون أب يساعدها ويحبها في هذه الحياة ، لقد رحل في سن مبكر من حياتها .. ومرت عليها لحظات صعبة أثناء مراهقتها عندما غرقت أمها في اللهو واللعب ، ثم تداركتها الرحمة الإلهية على أثر وفاة الجد محمد ، فاستيقظت الأم ، وفطنت أنها في مجتمع يستقبح الاختلاط والمخدرات.. ثم أتى الخطيب يطلب يد ابنتها ، فالتمست الأم العذر بصغر سنها ، وكانت قد حسمت أمرها لا زواج من أقارب زوجها لها ولابنتها .. ثم اعتذرت بدراسة الفتاة في كلية الطب .. وجاء الأجيال الجدد ، وهربت الفتاة لجنة الغرب بزوج يعرف الإسلام دون تعمق ، ودون مذهب يتعصب له ،

ودون منهج يلتزم به .. ولما حقق الأماني كلا الفريقين ، فكان الفراق من أجل الذرية .. وقد ولد لهما مولود واحد ، وبعد حين تغيرت الجنة في نظر بطلة قصتنا ، ونضجت الفتاة فعادت إلى الحضن الوحيد لها في هذه الدنيا حضن الأم ، لا زوج ولا أولاد ولا أب ولا أم .. وجاء الرجل البسيط المحدود الثقافة في مقياس الشهادات العليا ؛ ليكون هو الزوج اللائق بها ، الزوج الذي وجدت سكينة الزواج عنده والرحمة والعطف والمودة ، ثم الأمومة بعد يأس وانقطاع أمل .. كان الشيخ حميد نعم الفارس ونعم القرين .. الحياة إن كان لها منتصف .. أو نهاية .. لا ندري بالضبط .. كانت حائرة للغاية كيف ترد الجميل لحميد الذي قام برعاية وخدمة أمها سنوات وسنوات ؟ .. ثم تزوجته بدون تردد رغم أن له زوجة ، وخشيت العودة مع سامر ؛ لأنها تعلم وتدرك أنه يريد الزواج والأولاد .. وتزوجته وله أولاد .. لم يكرهها أولاده ، ولا نظروا أنها ضرة لأمهم وخصم وسارقة لأبيهم .. كانت أما لهم وقبل بعضهم العيش في بيتها كأبناء لها.. اعتبروا الأمر طبيعيا ، بل بعضهم اعتبرها منقذة لأمهم وأبيهم ، فأمهم كانت مريضة عاجزة عن تحقيق رغبة أبيهم الشرعية والإنسانية .. إنها الحياة الأبيض والأسود.. الليل والنهار.. الفرح والحزن

الفصل الماضي من هذه الحكاية مع أنه مؤلم كان فيه الخير والسعد للدكتورة زهيرة مجدي أخصائية الولادة والأمراض النسائية .. بل زاد إيمانها وفهمها لمسألة القضاء والقدر .. ولتدبير الله لهذا الكون العظيم .. عندما سافرت زهيرة لكندا لحضور زواج شمس حدثت زوجها أثناء الرحلة عن الجريمة الكبيرة التي تعرضت لها شمس أثناء رحلة لها لمدينة نيويورك .. ومقتل صاحبتها وكيف تعقدت نظرتها للرجال والمعاشرة الزوجية؟ فتألم حميد لما سمع .. وسالت دمعات على خده حزنا وأسفا .. وساءت حالة الفتاة النفسية نحو الرجال والزواج .. لذلك هي مسرورة جدا لزواجها وزوال تلك العقدة النفسية .. لأنها تأمل أن تكون أسرة فتاتها طيبة وهادئة .. وعطف حميد بطبعه الذي عرفناه على الأم والفتاة .. وكانت شمس بعد الحادث تعتبر الرجال وحوشا ومجرمين ليس لهم هم إلا قضاء شهواتهم الحيوانية من الفتيات وصدمت بإباحية حضارة الغرب .. وقد علمت من العم هنري أن الشباب تعرضوا لحكم قاس من القضاة .. لكن ما الذي استفادته هي من هذا الحكم القاسي .

وسر السيد حميد لما علم ذلك التفصيل من هذا الزواج ، وعبر لزهيرة عن هذا الشعور والعطف.. وحمد الله أنها ستتزوج رجلا من المسلمين ولو كان

أعجميا ، وسعد لسعادة زوجته التي كانت تخشى أن تتخذ ابنتها صديقا بدون زواج وبدون رباط ، كما هو شائع في تلك البلاد حياة حيوانية فقط .. وكانت تقول لحميد لو فعلت ذلك لا أحد يمنعها لا أم ولا أب .. ستعيش هي وإياه في أي مكان ، ولا تتحدث مع أبيها ولا أمها



والأسر المسلمة المتحررة تفرط كثيرا في مثل هذا الاجتماع ، وتقف عاجزة حياله وصامتة .. لذلك تجد بعض العائلات وهم قلة لما تشب بناتهم يرسلونهم لبلدانهم الأصلية للحياة مع الجدات العمات الخالات خشية الحياة مثل هؤلاء ، حياة بهيمية .

قدم عبد رحيم أوراقه لدائرة الهجرة الكندية للحصول على الجنسية الكندية حسب ترتيبات الهجرة الكندية .. والقانون يسمح بالحصول على الجنسية قبل مرور السنوات الثلاث لمن يتزوج امرأة تحمل الجنسية الكندية .. فكندا بلد يستقبل عددا كبيرا من الوافدين والمهاجرين فهي بلد كبير وأرض شاسعة تحتاج لبشر كثير ، وتقدم كسائر الوافدين للفحص الطبي الخاص بدائرة الهجرة .. وكذلك لدائرة الأمن .. ووجدت صحته جيدة وخالية من الأمراض السارية والمعدية وليس له انتماءات حزبية وسياسية في بلده إندونيسيا جزيرة سومطرة ، وإنما تكشف لهم أنه متزوج في بلده ، وله زوجة وأطفال ، وما زالت امرأته وهي ابنة عمه على ذمته أي لم يطلقها ، ولا يستطيع الحصول على الجنسية حتى يطلقها قانونيا .. لأنهم يرفضون التعدد في الزواج ، ولما تصل الأوراق رسميا من وطنه الأول .. فاضطر لما صدم بهذا العائق أن يكشف الأمر لشمس التي صدمت بداية وقالت بحدة معروفة فيها : أنت أخبرت الدكتور هنري أنك تزوجت وطلقت ولا أولاد عندك .. ورد سفارة بلادك اليوم يخالف ما صارحتنا به وقد تتعرض للسجن بسبب الجمع بين الزوجات ، فالقانون هنا يمنع ذلك .. لماذا لم تكن صادقا منذ البداية ؟!

قال بصوت خفيض معتاد منه : آسف يا شمس .. لم أكن أدرك أن التعدد ممنوع هنا .. ولم أستطع قول ذلك .. لي خمسة أطفال منها .

ـ آسف آسف .. ماذا تفيد آسف اليوم .. لابد من الطلاق ، إما أنا وإما هي ؟

ـ ألا يسمح ديننا بالزواج من أكثر من واحدة في آن واحد؟

ـ هذا في بلادك وبلاد أمي .. وهل أنت متدين ؟ أحيانا أراك تصلي .. وأحيانا لا تصلي .. وثانيا

قانون هذا البلاد يعتبر الجمع بين امرأتين بعقدين زواج باطل وجريمة .. عليك أن تختار بيننا إذا اخترتني ستقطع صلتك في بلدك للأبد .. هل سمعت ما قلت ؟



ـ ألا يوجد حل آخر ؟.. أن أتظاهر بطلاقها وتمشي حياتنا حتى أحصل على الجنسية وأطلقك كما تحبين وتشائين.

ضحكت شمس وقالت : أنت سخيف .. كما تشائين .. لا أدري ما أقول .. فهمت كل حيلتك من هذا الزواج .. اسمع مع أن زواجنا كان واضحا الغاية منه وهو حصولك على الجنسية الكندية .. فأنا كنت آمل أن يستمر على الأقل بضع سنين .. سأعمل فحوصا طبية لبراءة الرحم من الحمل ويكون الانفصال .. لن أبقى على ذمتك ، ولن تحصل على الجنسية التي تسعى إليها إلا بطلاق امرأتك الإندونيسية أو قضاء ثلاث سنوات هنا ، وبما أنك وصلت فستحصل عليها بدون شمس.

وقضيا أكثر من شهر يتجادلان حول بقاء الزواج ، وكان ينام خارج الشقة ، وأمام إصرار السلطات على وضوح موقفه طلق شمسا ، وغادر البلاد بعد أن حجز بضعة أيام لدى الشرطة علمت زهيرة بهذه الحكاية من الدكتور هنري الذي تحدث معها ، وهو اطلع على حكاية عبد رحيم ؛ لأن والده اتصل بهنري طالبا المساعدة ..

وقال لها هنري : لا تحزني ما قدر الله يحصل .

صدمت زهيرة وتألمت وبكت لما علمت بطلاق شمس بعد زواج لم يكمل السنة .. ووافق القاضي على الانفصال سريعا ؛ لأن الرجل ثبت لدى دائرة الهجرة أنه متزوج امرأة في بلده وعلى ذمته ولم تكن مطلقة .. اتصلت زهيرة بشمس وواستها ، ودعتها لقضاء شهر زمان عندها في المدينة .. لتزول آثار صدمتها بزوجها الإندونيسي ، والتعرف كذلك على بلاد الآباء والأجداد فبعد تفكير عميق رتبت أمورها في زيارة للشرق الأوسط .

أرسل حميد ابنه محمدا وزوجته أم مجدي لاستقبال شمس ، وكانت شمس قد أخبرتهم أنها ستقضي أياما في مصر .. لزيارة الأماكن التي كانت تسمع عنها من الذاهبين للسياحة في مصر العربية كالأقصر والجيزة ، وكانت قد رافقت حملة سياحية كندية إلى القاهرة مباشرة .. فقضت عشرة أيام مع الرحلة .. التي ستتوجه لفلسطين بعد مصر ، وهي ستتوجه لموطن والديها ، وكانت هي قد اتفقت مع الشركة السياحية أن تكون رحلتها لمصر فقط .

استقبلت زهيرة ابنتها في المطار بالدموع زاعمة أنها دموع الفرح واللقاء .. ورحبت بمحمد وتعرفا على بعض .. وكانت شمس متعبة ويظهر عليها إرهاق ونسبته لرحلتها في جنوب مصر وتعب السفر .

فقالت وهما في السيارة : أبعيد البيت ؟

ـ أقل من ساعة .. أنذهب بك للمستشفى ؟

ـ إرهاق يا أمي .

استقبل حميد شمسا بالحنان والعطف والمواساة ، وانصرف محمد وهو يقول : سنمر عليكم ليلا أنا وأم حسن .. الحمد لله على سلامة شمس يا أم مجدي .

ـ الشكر لك يا محمد .. مرحبا بكم في أي وقت .

أحنت له شمس رأسها محيية ، ودخلوا الفيلا ، ولما جلسوا يرحبون بها ، حدثتهم بخداع عبد رحيم لها ، وأخذت تبكي حزنا وخيبة ، وشاركتها أمها بالدموع والأسف ، وجهزت لها الخادمة الحمام كما طلبت أمها .. وقال حميد : الحمد لله على السلامة .. وقبل أن تذهب بها أمها لحجرة جهزت لها ، قدمت لها الخادمة القهوة العربية فقالت وهي تنظر في الفنجان في قاعه قليل من القهوة : ماذا هذا يا أمي ؟

ابتسمت الأم وقالت : قهوة تقدم في استقبال الضيوف .. فهم يرحبون بالضيوف بالقهوة العربية والتمر .. عادة عربية .

تناولت الفنجان وشربته وهي تبتسم وقالت زهيرة : تعالي لتشاهدي غرفة نومك وحمامك ..

وسيأتي الغداء من المطعم اليوم احتفالا بك .. مع أن لدينا طاهية رائعة يا شمس

ولما خرجت من الحمام عادت للجلوس معهم وقالت : رفض أن يطلق زوجته لبقاء زواجنا ، واعتقل بضعة أيام ، ثم غادر البلاد رغم أنه يجوز له البقاء بعد طلاقنا .

وتحدثوا عن القدر ، وعن الغدر والخداع ، ومواقف من حياتهم حتى استطاعوا التخفيف من الهم والحزن المخزن في قلب شمس ، ثم طلبت النوم بعض الوقت ، فرافقتها زهيرة للغرفة التي أعدت لها ، وهما يسيران إليها اقبل محمد الصغير الذي استيقظ من سباته ، فأخذته شمس من الخادمة وقالت وهي تعانقه : هذا أخي محمد .. أين مجدي يا أمي نسيته ؟

ـ نائم ، عندما خرجت للمجيء بك كأنه نام ..

ـ دعيني اقبله

أخذتها أمها، تتبعهم الخادمة إلى حجرة الأطفال .. وتقدمت شمس إلى سرير مجدي الذي أخذ يستيقظ على صوتهم ، ففتح عيناه ، وكان ينظر إليها في شمس باستغراب .. فأخذت أمها محمدا من يديها وهمست : صباح الخير يا مجدي .. هذه

شمس أختك التي حدثتك عنها .
انتشلته شمس من سريره وراحت تقبله بقوة وحنان وهي تهتف : هل ستحبني يا مجدي أنا أختك الكبيرة ؟.. محمد يحبني أكثر .. ماله مكشر
ـ صاحي من النوم .
على أم أبيها التي ترقد في حجرة خاصة بها ، قال



سامر المطروح على سرير طبي بعد عودتهم إليه : قصة زواج فاشلة .. وحدثته عن أسباب الطلاق ، وإنها جاءت لإلحاح أمها ، وطلبها منها تغيير الجو ، والخروج من العالم البارد الثلجي ، فلبت الدعوة ، وقضت عشرة أيام في ظلال مصر والقاهرة والصعيد مع شركة سياحية
وشاركت العائلة العشاء الجاهز ، ولما فكرت بالعودة لبيت حميد وزهيرة أقسم سامر على مبيتها الليلة عندهم ، ووافقت على مضض ، وتحدثت مع أمها حول ذلك ، فتمنت لها ليلة سعيدة ، وخلال السهرة رغبها أبوها وزوجته بالبقاء في ربوع الوطن والشمس الساطعة فقالت : لابد من العودة يا أبي .. طاب لي العيش هناك .. هل يستطيع السمك أن يعيش خارج الماء وأنا كذلك فلي عمل ووظيفة هناك
ـ الناس هنا يعملون .. وأهلك هنا أمك وأبوك .. وإخوانك .. وحتى لا تخدعي بزوج آخر .
ـ الحياة تجارب .. وأنا قبلت الزواج منه ، وقد صارحني أنه يسعى لأخذ جنسية بسرعة .. ودائرة الهجرة هي التي فضحته ، ورفضت منحه الجنسية قبل طلاقه لامرأته الآسيوية .. فاختار امرأته أم أولاده .. هو دخل الأراضي الأمريكية مرافقا لوالديه في رحلة علاج بمستشفى أمريكي .

الوطن

رافق محمد حميد وزوجته أم حسن شمسا في جولة في سيارة أمها في شوارع العاصمة تنفيذا لرغبة والده وزوجة أبيه .. وذهبوا بها في جولات سياحية ولما اقترب سفرها بانتهاء إجازتها قالت لها أمها : كيف رأيت بلاد أمك وأبيك ؟
ـ جبال وزحمة سيارات ووجوه بائسة .
ضحكت زهيرة وقالت : أتصور أن جبال كندا أكبر من جبالنا .. وزحمة السيارات عند الغروب سيئة في وسط مونتريال .. والبرد والثلج على مدار السنة .. ولعلك أنت البائسة ، فظننت أن كل الناس بائسون .. تفاءلي بالخير تجدينه .. لماذا لا تبقين عند أمك ؟
ـ وعند أبي .
ـ هل طلب منك البقاء يا شمس ؟

ـ مجاملة لا أكثر

ـ أنا لا أقولها مجاملة ورفع عتب .. فعلا ومن عمق قلبي أريدك أن تبقي

ـ وماذا سأفعل هنا ؟ هل أترك عملي لأكون عالة عليك وعلى أبي ؟

ـ حقك أن ننفق عليك حتى تقترني برجل ينفق عليك .. المرأة هنا لا تنفق على البيت إلا تطوعا وتعاونا .. وسنبحث لك عن زوج صالح ؛ لعل الله أن يهبك طفلا .. فأنت تحبين الأطفال كما بدأ لي .

فقالت بتمن : والله إني أحلم بأن يكون لديّ أطفال ألعب معهم .. ليتني أصير أما مثلك يا أمي وأنا قبلت بعبد رحيم طمعا بالولد لا طمعا به .. ولكني حمدت الله أنني لم أحمل منه .

ـ إذن ابقي هنا ، وسأدبر لك زوجا طيبا مثل عمك حميد .. فعمك يساعد بتزويج الشباب من بنات العائلة أو من بنات جيرانه قبل أن ينتقل لهذا الحي

ـ والعمل ؟

توافد أبناء وبنات حميد ليلا للسلام على شمس والترحيب بها ، وشمس كما نعلم تتكلم العربية وإن كان في لسانها ثقل ، فكانت زهيرة تكلمها بالعربية أثناء وجودهم في البيت معا .. فلديها مفردات تحسن فهمها.. ورحبت بحرارة بأولاد حميد وزوجاتهم وأطفالهم وتعرفت عليهم ، ورددت أسماءهم رويدا رويدا .. حتى حفظتها ، وقضوا سهرة ممتعة ، سرت منهم شمس ، كما صرحت بذلك في نهاية السهرة .

وكانت شمس تلعب مع الطفلين فقد أحبتهما ، وأحست بالعطف نحوهما ، والطفلان تعلقا بها فورا خاصة مجدي ، فقد اقترب عمره حينئذ لثلاث سنوات ، وكان قادرا على المشي بسهولة ونطق الكلمات .

وفي اليوم التالي اتصلت بأبيها بعد ضغط من أمها وزوجها حميد مخبرة له بوصولها لبلده ، وأنها في بيت أمها وزوجها أبي محمد ، فرحب بها ، وأعلمها أنه سيرسل لها ابن أخيه ليحضرها ليراها لأنه طريح الفراش .. فالدكتور تعرض لحادث سير قبل زواج شمس بأيام ، وأصبح عاجزا عن المشي ، فقد أصاب حوضه كسر ، وبعض عظمات العنق كسرت ؛ ولكنها التئمت فكان يعاني من ذلك الحادث .. وكانت أمها قد شرحت لها وضعه الصحي ، فدعت له بالشفاء وقالت له : سأطلب من ابن زوج أمي بتوصيلي إليك .. شفاك الله يا أبي

ـ أنا قصرت معك يا شمس

ـ لا وقت للعتاب يا أبي عندما نلتقي نتكلم .. أنا بشوق لرؤيتك والاطمئنان عليك .. رغم الجفاء أنت أبي.. لي سنوات لم أرك .

عند العصر قام حميد بنفسه بتوصيلها لمنزل أبيها ،

فهو عندما تزوج سكن في بيت خاص به ، ثم عاد للحياة مع والدته لمرض أقعدها الدار ، فأحب أن يبقى بقربها ليقدم لها الإسعاف الفوري فقبلت الأم بهذه الحجة .. وبعد أن دخل وسلم على الطبيب سامر قال لها وهو يغادر : عندما تريدين العودة اتصلي بي أو بأمك ..

وتلقى الشكر من الجميع وغادر ، وكانت شمس تقبل وجنتي أبيها وتعانق زوجة أبيها وتعرفت على إخوتها الثلاث البنت والولدان .. وبعدما انتهى الترحيب والمجاملات ، ذهب بها أحد أخواتها وزوجة أبيها للسلام

ـ المال كثير يا ابنتي .. وهذه الفيلا أبني لك فوقها دورا كاملا .. مرة كنا نريد فعل ذلك وأجلناه لعدم لحاجتنا لذلك رغم حماسي يومئذ .. وستجدين عملا أنت تحملين شهادة كندية والدول الغربية شهادتها شبه عالمية .. والشركات الأجنبية لها فروع يا شمس في بلادنا .

ـ حسنا ، كم اصبر يا أمي ؟

ـ الليلة سأتحدث مع زوجي الغالي ، وهو الذي يقدر الوقت اللازم .. وأنت عدة طلاقك حسب شرع الله لم تنته بعد .

ـ سوف تنتهي يا أمي .

ـ الليلة سأفاتح أبا محمد .. إن شاء الله سنفرح بك هنا هذه المرة وتستقرين بيننا ونسعد بك معنا

فاتحت زهيرة حميدا بما دار بينها وبين شمس عصر هذا اليوم ورغبة شمس بالزواج طمعا بالذرية فقال حميد مسرورا ومشجعا : لا بأس ، ونعم الزواج سترة للبنت .

وللمقدر كان حميد مشغولا بما صارحه به ابنه محمد من رغبته بالزواج مرة أخرى ، فأخذ يفكر بما طلبته منه زهيرة ، وهناك مالك سيقبل بشمس ؛ لكنه يصغرها بسنوات ، وكان حميد يصبر محمدا بالصبر ، وإن قيادة الزوجتين ليس هينا رغم اقتناع المجتمع بصحة هذا الزواج .. وهذا الكلام تحدث به حميد ومحمد منذ سنة .. وعند صلاة الفجر كاشف حميد زوجته برغبة محمد بالزواج على امرأته ، وكشف لها أن زوجته تسعى له بذلك ، فقالت دهشة : أنتم عائلة عجيبة يا أبا محمد .. ولكن امرأتك رحمها الله كانت مريضة لتسمح لك بالزواج ..

قال حميد : امرأة محمد في غاية الصحة .. أمام شمس الآن محمد الأكبر منها سنا ، ومالك الأصغر منها سنا .. ولسوف يقبل بها إذا وافقت .. ولو طاعة لأبيه اذا لم ترغب بالتعدد .. تشاوري معها وإذا لم تحب الزواج من أحدهم .. فاستعين بمعارفنا الكرام لكن ذلك سيأخذ وقتا .

ـ أنت ما رأيك ؟

ـ محمد جيد وطيب مثل أبيه .. وعمله في شركة

خاله جيد وراتبه معقول .. وما دام أن شمسا ستسكن معنا فلن يتكلف إيجار بيت .. وربما إذا رأينا من المناسب نتشارك في الوجبات ..

ومالك سيتخرج من كلية الهندسة قريبا .. وسنه قريب من سن شمس .. لكن المشكلة أنه قد لا يقبل ، ربما لرغبته بالزواج من فتاة بكر .. ومع ذلك يمكن إقناعه بقليل من الضغط .. فشمس غالية عليّ ، وأنا أتعاطف معها ، ومن حقها أن تصبح أما.

ـ عندما تستيقظ سأتناقش وإياها.. وأنت جس نبض أبنائك .. ويسعدني أن تنكح أحد أولادك فسنبقى عائلة واحدة وأسرة واحدة .

ـ سنجد إن شاء الله الزوج الصالح لها .. ضعي حملك عليّ

ـ أنت تاج على رأسي يا أبا محمد .. يبدو أن في أحشائي طفلا آخر

صاح دهشة : يا الهي ..!!

لما رجع من المسجد بعد الصلاة اتصل بمحمد الذي كان مثله قد عاد من الصلاة في الجامع القريب من بيته ، وطلب منه التبكير إليه ؛ ليتحدثا في موضوع هام وخطير ، فدهش محمد ، فهو قد كان معه ليلة أمس في ضيافة عم لحميد .

فلما حضر خلا به هو وزهيرة في غرفة المكتبة ، وشرح له والده سبب هذا الاجتماع ، وأنهما يسعيان لتزويجها للبقاء بينهم ومعهم ، ولما رأى محمد أن الكلام أمام زهيرة فهذا يعني أنها مؤيدة لهذا الزواج .. وختم قائلا : اذهب الآن وشاور أم حسن ، واتصل بي بعد ذلك .. كنت اليوم سأذهب لمساعدة عماد، وقد أجلت ذلك .. فقد طلب مني أمس المرور عليه .

عماد درس في التدريب المهني ، وتعلم التصليح في كراج أبيه ، واستلم الشغل عن والده ، فرد محمد فقال : أم حسن لا ترفض ، وأنت تعرف ذلك يا أبي منذ أن تزوجت أنت ، وهي ترغب لي ذلك حتى اقتنعت وتحمست للفكرة ، ولولا تأجيلك لي فلربما تزوجت منذ أكثر من عام وقد سعت لخطب قريبة لها لي ..

ابتسم حميد وقال : ذكرت ذلك لأم مجدي عند صلاة الفجر .. اذهب وتحدث معها بشكل جدي حتى نفاتح شمسا بالموضوع .. وشمس مازالت في عدة الطلاق .. أنت موافق طبعا .

ضحك محمد وقال : المهم أن تقبل شمس .. أنا لا أرفض

قالت زهيرة : بارك الله فيك يا محمد .. ابن أبيك .. ستسكن هنا

ـ هنا ؟!

ـ سنشيد دورا لشمس

ـ السلام عليكم .

وعندما خرج محمد من المكتبة فوجئ بشمس تجلس في صالة البيت بثوب النوم وفوجئت به فهتفت : محمد نمت هنا ؟!

ابتسم وقال : معذرة .. لم أنم إنما جئت مبكرا .. إلى اللقاء ، وتابع خروجه .

وكانت زهيرة وحميد يخرجان من المكتبة بدورهما ، فرأيا شمسا مستيقظة مبكرا فقالت لهما : ماذا هناك يا أمي ؟! محمد خرج من المكتبة منذ ثوان !

ـ لا شيء ، محمد جاء مبكرا .. وكلفه والده بمهمة صغيرة .. هيا نشرب القهوة .

فانتقلوا لغرفة الجلوس ، وقدمت لهم الخادمة قهوة الصباح وقال حميد وهم يرتشفونها : هل تعلمت الصلاة يا شمس ؟ أذكر أننا قبل شهر تحدثنا عن أهمية الصلاة في حياة المسلم الحقيقي

ضحكت شمس وقالت : أذكر تلك الليلة الحامية في بيان أهمية الصلاة في حياة المسلم .. ووعدتك بتعلم الصلاة وأن أمي ستفصلها لي

فقالت زهيرة : ونفذت ما عليّ يا شمس .. أنا حدثت عمك أبا محمد في الموضوع

ـ أي موضوع ؟ .. المواضيع كثيرة يا أم مجدي

ـ موضوع زواجك

ـ نعم ، تحدثنا حول هذا الأمر ..

ـ وهذا الصباح سنعرف النتيجة

ـ بهذه السرعة ..

ـ يقولون خير البر عاجله .. كم بقي لعدة الطلاق ؟

ـ أنا لم أحسب .. لأنني لم أفكر بالزواج سريعا .. ولا أفهم في هذه العدة يا أمي

ـ أعرف أنك لا تفهمين في مثل هذه القضية لأن ثقافتك الدينية ضحلة صفر .. في الإسلام هناك شيء اسمه العدة .. من العدد الإحصاء ، وتعني مكث المرأة زمنا بدون زواج ومعاشرة حتى ينقضي هذا الزمن .. يبدأ العد منذ إعلان الطلاق عند القاضي أو نائبه

قالت شمس ضاحكة : أذكر تاريخ جلسة إعلان الطلاق .، وأذكر أنني سمعت هذا الكلام عند طلاقك من أبي .. من سيكون العريس؟ .. أنا راغب بالاستقرار معكم ؛ لعل الزواج يهيئ لي الفرصة يا عم حميد .

قال حميد : إن شاء الله .. ساعات ويحضر العريس ؛ لأن الكلام الفصل لك .. القبول والرفض منك أنت .

ـ هل أعرفه ؟

ضحكت زهيرة وقالت : ظننتك عرفتيه .. وأبو محمد لن يخبئ عليك .. عرض الأمر على محمد

قالت باستغراب : محمد حميد يتزوجني وله زوجة .. هل يجوز ذلك ؟

ـ يجوز ، لست محرمة عليه يا شمس .. وزوجته لا

تمانع ؛ لأنها سعت قبل ذلك في زواجه لولا اعتراض عمك حميد .. فالأمر لك .. ومحمد دخله المادي ممتاز جدا .. اشتغل فترة مع خاله في البحر ، ثم فتح سوقا تجاريا خاصا به ومعه ابن عم له شريك .. وبالإمكان تكبير المتجر بمزيد من المال .. وأنا سأبني لك دورا فوق هذه الفيلا كما حدثتك سابقا .. وإذا وافقت سيكون هناك شقتان لك واحدة ولأم حسن واحدة ..

نظرت شمس لعم حميد وقالت : ماذا رأيت يا عم حميد ؟

ـ كما قالت أمك .. وقد ذهب أبو حسن محمد ليتشاور مع حليلته ، ولا أظنها ترفض .. القول الفصل لك أنت .. فكري انظري .. شاوري أباك .. فنحن نحب بقاءك بيننا بدل تلك البلاد البعيدة والبقاء مع أمك الحبيبة الغالية .. وستجدين عملا تتسلين به .. وبالنسبة للتعدد قوانين بلادنا لا تمنعه .. المهم أنت تقبلين .. وسنسعى لحصولك على جنسية بلدنا لأن هذا حق لك ولأن والديك يحملان هذه الجنسية .. وقوانيننا تسمح بازدواجية الجنسية خاصة الغربية .. والإنسان يخضع لقوانين البلد التي يعيش فيها .. وإذا لم يطب لك الزواج والحياة بيننا فالأمر سهل .. الطلاق والسفر بالمعروف ، كما الزواج يكون بالمعروف .

رن جرس الخلوي رفعه حميد وقال : محمد .. وقال : آ ، يا محمد هل وفقت بمهمتك ؟رحبت بذلك جميل .. أكيد دون ضغط عليها .. على بركة الله .. ها نحن نتحدث مع شمس بالقضية

بعد انتهاء العدة الشرعية لشمس حضر كاتب عقد الزواج ، وذلك بعد مراجعة المحكمة الشرعية ، وأحضر معه الأوراق اللازمة لكتب العقد ، وكانت زهيرة قد شرعت بالبناء عندما وافقت شمس على الاقتران بمحمد ، وأن تكون زوجة ثانية ، ولما كمل البناء رحلت أم حسن للسكن الجديد ، وكان الزواج بحفل بهيج حضره الأهل والأصدقاء ، وفي العام التالي كانت شمس تحمل بين يديها مولودها الأول ، وكانت تضمه لصدرها بحب وقوة ، وتعانقه بين الفينة والأخرى ، وتقول لأمها التي تقف معها في الغرفة وهي في غاية الحبور : هل هو جميل يا أمي

ـ أجمل شيء للمرأة فلذة كبدها حتى لو كان دميما .. مبارك يا محمد ابنك الجديد .

ـ مبارك على الجميع .. ماذا تريدين أن نسميه يا أم مجدي ؟

ـ هل تسمحون لي بتسميته ؟

قالت شمس بسعادة ذهبت معها آلام الوضع والولادة : نعم ، يا أمي .. أخيرا عرفت السعادة الصادقة .. عرفت الحب الصادق ..!!

{ تمت بحمد الله }

وهكذا انتهت حلقات رواية غربتي وابنتي

التحقيق الجنائي والجريمة

لغز القصر الصحراوي ٣

١٧

عقد حاتم ومالح اجتماعا ناقشوا فيه الجريمة قبل الرحيل لمدينة جاد وقال حاتم : الرجل كان يشعر بتهديد مستمر لطبيعة عمله في تجارة السلاح ، فتعرض لعصابات تعمل ضد بعضها خاصة في دول أمريكا اللاتينية .. وكذلك من أجهزة مخابرات الدول التي كان يورد لخصومها الأسلحة والمتفجرات .. وتعرض منذ زمن بيت ابنه يحيى والد المهندس أديب لانفجار كبير ونجيا منه لعدم وجودها تلك الليلة في المنزل .

فقال مالح : ومن مقتله إلى محاولة القتل السابقة زمن طويل من ٨٢ إلى ٩٥

قال حاتم : لم يحدث بعدها أي محاولة هنا حسب المعلومات المتوفرة ؛ ولكنه ظل يلازم الحذر والحيطة ، ويستخدم السيارة المصفحة في تنقلاته داخل البلاد ، وقلّ حضوره في اللقاءات العامة والقصر الصحراوي اتخذت فيه الوسائل والأدوات الأمنية اللازمة حتى وصلوا إليه في نهاية الأمر ، ووقع ما كان يحذره .

قال مالح : إذن ترى أن الخائن في القصر كما ترى الشرطة .

قال حاتم : لأنه يا سيدي لم يثبت وجود أحد دخل القصر ذلك اليوم ، وشاهد اكتشاف الجثة أربعة أشخاص أحدهم شرطي .. والقصر مسرح الجريمة ، والحارس الإفريقي سينكالا كان آخر من رآه قبل الجريمة حسب التحقيقات التي أخبرني بها المحامي .. والدكتور جادور هو سبب اكتشاف الجريمة ، وهو ذهب للقصر استجابة لاستغاثة الرجل به .

قال مالح : نعم ، قرأت ذلك .. اتصل به بعد غروب الشمس حين صلاة المغرب قائلا يا دكتور إنني أموت أنا بسيم وكان صوته مخنوقا ومحشرجا وانتهت المكالمة ، وجمع الدكتور أعوانه وذهب وبعد ساعتين كان هناك ، وارتبك أهل القصر لمجيء الدكتور دون علمهم بهاتف النجدة ، وصعدوا برفقة السكرتيرة رامان بعد أن لم يرد على الهاتف ، فوجدوه مضروبا برصاصة واحدة من نفس أسلحة الحرس الشخصية ، والغرفة مغلقة ولا تفتح من الخارج إلا بمفتاحها الأصلي ..ولما فتحتها السكرتيرة بعد إحضار المفتاح الخاص بالسكرتير كانت الجثة والتشريح الطبي لم يثبت وجود مخدر مع الطعام ؛ وربما استنشق غازا مخدرا كما رجح الشهود

قال حاتم : فهذا يدل على أن القاتل الفاعل من

داخل القصر أو نقول المنفذ للجريمة من الداخل وهو يعرف نظام القصر الأمني ، ويعرف الثغرات فيه .. فتحقيقات الشرطة كما فهمت من المحامي لم تثبت دخول شخص من الخارج ذلك اليوم ..ولم يشاهد شخص يختفي داخل القصر ويخرج منه بعد اكتشاف الحادثة .. ولكن الرجل قتل في إجازة السكرتير المدير مايا الهندي لماذا؟! هل لغيابه دلالة معينة ؟ دلالة لتنفيذ الجريمة .. هل استغل غيابة لتنفيذ القتل ؟ أم هو له دور في القضاء على سيد القصر ؟ هل جرى بينهم سوء تفاهم دفعه ليشارك في هذه الجناية ؟ وهل غيابه مبرر ؟ أسئلة سوف نحاول الإجابة عليها

قال مالح: علينا يا سيدي أن نحدد وقت ارتكاب الجريمة بالضبط لنعرف أين كان كل شخص وقت الجريمة في تلك الدقائق الحاسمة .. وكل من يتوفر له الشهود في الوقت المحدد يبعد من قائمة الاشتباه .. فوقت الاتصال على الدكتور جادور علينا تحديده لنقصر المدة التي ارتكبت فيها الحادثة ؛ لأن الجريمة بدأت قبل الاتصال عندما استنشق الغاز المخدر .

ـ عندما نلتقي حضرة الطبيب نستطيع تعيين ساعة الاتصال ، ونستعين بسجلات الاتصالات إذا ما زالت محفوظة لدى الشركة .. هم يحفظونها لزمن معين ؛ ربما خزنوها على أقراص صلبة وسيرافقنا فريق من المترجمين أثناء الاستجواب لسكان القصر تعاقدت معهم أنا والمحامي ، وسيكون رحلينا غدا ظهرا يا أخ مالح وسنقضي أول ليلة بالفندق مع ضيوفنا المترجمين والكاتب وسنقابل ضباط التحقيق في القضية الموجودين هناك ، وسنطلع على تحقيقات شرطة جاد .. وسنجتمع بالطبيب الشرعي للمنطقة ، ورجال المختبر الجنائي ، وصور مسرح الجريمة سنطلع عليها .. وبعدها سنقابل جادور الطبيب ومساعده والشرطي المرافق لهم تلك الليلة .. جهز نفسك يا صديقي .. وسيكون لقاؤنا عند مكتب المحامي داود محمد .



قال المقدم مالح : أنا جهزت حقيبتي، وأنتظر ساعة الصفر ، ونسأل الله تعالى أن نوفق في الوصول للجاني والجناة في هذه الجريمة الغادرة التي لم يعرف دافعها بعد

قال حاتم : الدافع لحتى الآن مجهول إلا إذا كان الانتقام فقط ، هل هناك لحتى الساعة أشخاص أعداء يحقدون على الرجل وسعوا للانتقام ؟ .. ينتقمون لأشخاص كان له دور في موتهم أو تسليمهم للشرطة .. وإما خسروا معه صفقات

فحقدوا عليه نسأل الله تعالى أن نوفق في كشف غموض هذه الجناية الكبرى يا أخ مالح .
وصل العقيد حاتم وفريقه عصرا لمدينة جاد ، ونزلوا الفندق (أبيض جاد) ، وكان المحامي عبد الحي محمد في استقبالهم ومرحبا بهم ، وتم تجديد التعارف بينهم ، ونزلوا غرفهم ، وبعد أن وضعوا حقائبهم في غرفهم رافقهم المحامي إلى المطعم حيث أعد لهم مائدة من أطايب الطعام حسب ترتيبات المحامي داود ، وأقسم المحامي على غدائهم في اليوم التالي في نفس المكان وبعد الغداء عادوا للفندق الذي لا يبعد عن المطعم سوى عشرات الأمتار ، وعند الغروب تمشى حاتم ورفيقه إلى عمارة السيد بسيم .. والعمارة أيضا تقع في نفس منطقة الفندق وهي عمارة من عدة أدوار ، وكان المحامي المتعاون مع مكتب داود في انتظارهم حسب الاتفاق وقادهم إلى المكتب الذي أعد لهم لإدارة عملية التحقيق ، وسلم عليهم بواب العمارة ، ومشى أمامهم إلى المكتب الذي كان مفتوحا حسب اتصال المحامي به ، وهم التقوا به في المرة السابقة فوجدوا المكتب معدا بشكل مناسب من طاولات مكاتب حاسوب الآت طباعة وتصوير خزانة ملفات خزانة معدنية صلبة .. ومكثوا ساعة من الزمن استلموا خلالها مفتاح الخزانة المعدنية ومفاتيح الأبواب ، والمحامي يقول : سيفتح لكم الأقفال السيد ماهر عواد (البواب) وستكون غدا صباحا سكرتيرة طابعة وعامل خدمة في هذا المكتب.
قدم الرجلان الشكر الجزيل لحضرة المحامي على جهده الكبير معهم ، واتفقوا على أن يبقوا على اتصال بينهم وقال لهما : أنا تحت أمركم أيها السادة ولا تنسوا موعدنا على الغداء غدا إن شاء الله .. وأتمنى لكم التوفيق .. فنحن يهمنا معرفة الجاني والانتهاء من هذه القضية التي ذهب ضحيتها السيد الكريم ..كان نعم الأخ والصديق .
ـ شكرا لكم يا سيدي القاضي .. أنا أعرفك جيدا .. ورأيتك أكثر من مرة في المدينة العاصمة أثناء عملك في سلك القضاء قبل تقاعدك .. وأنا في المرة الماضية عندما التقينا أقول لنفسي إنني رأيت هذا الوجه .. حتى وضح لي داود أنك عملت فعلا في القضاء ، ولما تقاعدت تشاركت مع قريب أو صديق لك في مكتب محاماة .. يا أهلا ومرحبا بك يا سيدي وأخي عبد الحي .. وكلنا يعمل لتحقيق العدالة في الأرض قدر الإمكان .
ـ أنا يا سيادة العقيد حاتم من أهالي هذه المدينة جاد ، فلما تقاعدت من سلك الدولة قلت بدلا من الجلوس على المقاهي أو في النوادي أشغل الوقت بالمحاماة خاصة لما التقيت بالصديق والشريك المناسب عامر ياسين .

ـ بوركت والآن اسمح لنا بالانصراف للفندق ، وتصبح على خير، وجزاك الله خيرا

ـ رافقتكم السلامة ..

ولما دخلوا الفندق مشوا إلى صالة الطعام الخاصة في الفندق وتناولوا عشاء خفيفا .. وكان زملاء الرحلة قد تعشوا وهم يجلسون في صالة الفندق يتسلون ويسمرون وطلبوا شايا ثم قهوة .. وكان التلفزيون ينقل مباراة كرة قدم على الهواء ، فكان رواد الصالة يتابعون بصمت وترقب وشغف ، ولا تسمع سوى رشفات الشاربين .. والذي لا يهتم بالرياضة صامت احتراما للآخرين .. وكان التهامس يسمع بين الفينة والتي تليها .. وكان التهامس حول الرياضة وتعلق الشباب في هذه الأيام في كرة القدم تعلقا كبيرا حتى الهوس .. ثم صعدوا بعد حين للمبيت على أمل الاجتماع في الصباح عند الساعة العاشرة .

ولما كان الاجتماع قال حاتم للمترجمين الثلاثة: سأذهب والمقدم مالح إلى مديرية الأمن ، وأقابل الضباط الذين شاركوا في التحقيق وتلك القضية ، ونسعى لسماع الطبيب الشرعي القائم على تلك الجثة هو ورفاقه .. وأنتم خذوا حريتكم في الحركة ، ونلتقي على مائدة القاضي عبد الحي محمد حمدان ، وفي المساء نعقد اجتماعا لترتيب زيارة القصر ، ونبدأ بمقابلة العاملين داخل القصر .. وأنت يا محمد { الكاتب} اذهب للمكتب حتى موعد الغداء فتأتينا إلى المطعم فالرجل يحب إكرامنا من أجل خاطر السيد بسيم والمحامي داود .. هيا أيها الزميل مالح .

كان الفندق قد أمن لهم سيارة بسائق فاعتذروا عن السائق وقبلوا السيارة ؛لأنه سوف يسوق بنفسه هذا اليوم ، وتناول المفاتيح من مدير الفندق شاكرا ، وتسلم السيارة المخصصة لهم ، فكانت سيارة حديثة وحالتها ممتازة وجاهزة للانطلاق ، فانطلقت نحو دائرة أمن جاد الرئيسية حيث طلب لقاء مدير الدائرة وأعلمه بسبب الزيارة ، ورحب المدير بحضرتهم وأعلمه أن الوزير حدثه بذلك ، وكذلك رئيس الشرطة وأنه كان في انتظار اللقاء بهم ، فشكره الضابطان المتقاعدان ، وعاد المدير يكرر رغبة الوزير بالتعاون معهم وتسهيل المهمة أمامهم ، وأثنى المدير على العقيد حاتم وذكر أنه كان كنزا في الشرطة ، وأنه كان فارس الميدان في التحقيقات الجنائية أثناء خدمته .

فقال العقيد : أشكرك يا سيدي .. وهذه سنة الحياة والخدمة الوظيفية ؛ ولنترك الفرصة للأجيال الجديدة .

ورحب المدير كذلك بالزميل مالح وقال : الأخ مالح لا يقل فطنة عنك يا عقيد حاتم .

وحضرت القهوة وقدمت للضيوف ، وطلب

المدير الضباط الموجودين أثناء التحقيق في قضية مقتل السيد بسيم الجدية ، وقال المدير : السيد بسيم كانت علاقته جيدة معنا ، وكان تحت الحماية غير المباشرة من جهاز الأمن .. وذلك عن رغبة المسؤولين في توفير الحماية الخفية له خاصة عندما يخرج من القصور والمباني .. فهو صديق لعدد كبير من رجال البلد والدولة .. فكنا على تعاون تام معه ؛ ولكنه في ذلك القصر كان تحت حماية نفسه بعد حماية الله ﷻ فحماية القصر تحتاج لكادر ضخم كما تعلم ؛ وقد كنا نسير بعض دوريات الشرطة لتلك الصحراء بين الحين والآخر والحقيقة لم نسجل أي محاولة للتسلل للقصر أو حتى الاقتراب منه .. وأحيانا يتحدث أفراد الدورية مع عناصر القصر ، ويشربون معهم الشاي والمثلجات سواء في دوريات الليل أو النهار وهذا الجهد البسيط يثير الفزع في المتربصين .. وسبحان الله تعالى كان موته داخل الحصن .. فبيننا صداقة ومعرفة وكان يزورنا ويشرب الشاي معنا ونزوره ونتغدى على مائدته هنا وهناك وكان يأتي بزواره الأجانب لجاد ويتغدى معهم أو يتعشى .. وكان الرجل معروفا على مستوى المنطقة ويتبرع للجمعيات والمؤسسات الخيرية النشطة في جاد وقراها .. وما زال المحامي داود يقدم لها العون والمساعدة .. فحفيده أديب الذي لابد أنكم التقيت به كما قال لي المحامي القاضي حمدان إنه طلب منهم الاستمرار في تقديم المساعدات التي يقدمها جده سواء للأفراد أو الجمعيات أو النوادي الرياضية .. لذلك الكل في هذه المدينة يرغب برؤية الغادر في قفص العدالة .. والرجل ـ رحمه الله ـ له عمارة ضخمة هنا يستثمرها .. وهو أنشأها كما قال لي شخصيا للاحتكاك بأهل هذه المدينة القريبة من قصره والمجيء إليها .. واعلموا أني كنت ألحظ انزعاجه عند وجود أجانب في مدينة جاد .. وكان يتحسس عن جنسياتهم في بعض الأحيان .. وكان قلقا أكثر من اللازم من وجود أجانب من أمريكا الجنوبية

ولما انتهوا من شرب الضيافة دخل بعض ضباط فريق التحقيق وجرى التعارف التقليدي بينهم وبعضهم وجد نفسه قد خدم مع العقيد حاتم والمقدم مالح وجرت أحاديث الذكريات والمواقف الإيجابية والسلبية ، وبين لهم المدير الهدف من هذه اللقاء ، وشرحوا للمحققين ملابسات تلك الجريمة ، ولم تزد عما وضحه له المحامي داود محمد ، ولكن العقيد بعد سردهم وسماع ملاحظاتهم طلب الاطلاع على محاضر التحقيق والتقارير الجنائية والطبية .

فتركوا مكتب المدير حيث الأرشيف ، واطلع الضابطان المحققان على محاضر الاستجواب التي

قامت بها الشرطة في القصر ، ثم قابلوا مدير المختبر الجنائي في أمن جاد ، ورأوا أشرطة فيديو تصوير الجريمة أو مسرح الجريمة ، ورأوا الصور الفوتوغرافية لمسرح الجريمة ؛ لأن القانون الجنائي اليوم يسمح بتصوير مسرح الجريمة ثابت وحركي ، ولما انتهى الاطلاع وسماع رأي الضباط في الجريمة عقد اجتماع خاص لتبادل المعلومات فقال حاتم : أيها السادة ماذا كانت انطباعاتكم عن الحادث ؟

قال المحقق مرزوق : ذهبنا لمكان الحادث كأي حادث ، وكانت سيارات النجدة والشرطة قد سبقتنا لتحريز المكان ، وكان ذلك ليلا فعند نصف الليل بقليل ، وصلنا هناك للكشف على مسرح الجريمة .. عاينا المكان ، وكان المجني عليه مستلقيا على ظهره فوق سريره ، وقد نزف من الدماء الكثير ، ورصاصة واضحة اطلقت على جبهته ، وكان المسدس قد وضع على جبينه وضغط على الجبين واطلقت الرصاصة الوحيدة ، والحرق واضح على حواف الفتحة .. ويبدو كما أثبت التشريح فيما بعد أنه كان في حالة تخدير بغاز استنشقه لم نحدده ، وهو ظن أنه في حالة مرض فاستغاث بالطبيب الخاص مباشرة .. تلفون متصل بالشبكة دون المقسم الداخلي للقصر كانت ملابسه العليا غارقة بالدم والسرير والمخدة والأرض حيث تساقط قبل أن يتخثر .. وقد اخترقت الرصاصة جمجمته والسرير .. وقد مات على الفور كما بين التشريح الطبي والرصاصة سبب الوفاة وتهتك الدماغ .. وكان الرجل مقتولا بملابسه الرسمية لم يكن يلبس ملابس النوم ثم علمنا أنه تعشى عشاءه الخفيف في قاعة الطعام وشرب الشاي ومشى لتلك الحجرة للصلاة والرجل يحب السهر يقضي وقتا طويلا وراء التلفزيون أو القراءة والكتابة ، ثم ينام في مكان مجهول تماما للموظفين كلهم داخل حجرات النوم الخاصة به .. وكانت الجاكيت معلقة على حمالة في نفس الغرفة التي وجد بها مقتولا .. لم يلحظ أي مقاومة بينه وبين القاتل ، ولم يوجد في بطنه مادة مخدرة ..ويرجح الطبيب أنه استنشق غازا مخدرا وفحصنا الغرفة فحصا دقيقا فلم نكتشف آثار للغاز المستخدم سوى علامة على مدخل الغرفة قد تكون علامة قرص تخدير وجدت نافذة الغرفة مفتوحة فهذا يدل ويشير أن أحدهم فتح الشباك ليذهب أثر الغاز.. فهذه قرينة دلت على استخدام غاز تخدير .. ونحن وصلنا بعد أكثر من خمس ساعات على موته واغتياله .. والتحاليل أفادت وجود شيء في رئته لكنهم لم يعينوا ماهيته وما الغاز الذي خدره ؟ فتح القاتل النافذة وغادر .. وثبت أن الرجل فتح لقاتله ولكن كيف ؟ لم نجد تفسيرا

؛ لأن الباب لا يفتح من الخارج إلا بمفتاح .. ولم يثبت أن أحدهم استخدم مفتاحا إلا إذا فتح هو للقاتل وخدره القاتل .. لكن ليس هناك مقاومة .. لأن الرجل طلب النجدة من الطبيب جادور ثم سكت الاتصال .. حققنا مع الجميع وشددنا مع الحارس الذي عرف الحجرة التي كان فيها السيد بسيم .. والاعتراف فيه إدانة وفيه براءة ؛ ولكن لم تنقص عهدة الرصاص التي لديه ، ولم يستخدم سلاحه منذ عهد بعيد .. في القصر نظام حراسة معقد وجيد هل اطلعتم عليه ؟

رد حاتم : سمعنا عنه ولم نختبره ؛لأننا لم نزر القصر إلا مرة واحدة .

ـ في الطابق الأول هناك غرفة الحراسة والمراقبة الرئيسية حيث يرى الجالس فيها مدخل القصر وحارس البوابة وتشاهد الفضاء من الجهة الأمامية .. وفيها مقربات تلسكوبات .. ومنها تشغل أجهزة الإنذار المنتشرة على السور ، ولديهم آلات صعق تعمل حسب الطلب ففي لحظات يتحول السلك في أعلى السور إلى أداة صعق بالكهرباء القوية .. ويقوم على الحراسة خمسة أفراد من جنسيات خمس .. يتبادل الحراسة على البوابة الرئيسة يوميا ثلاثة أفراد من السابعة صباحا وحتى السابعة مساء .. وترتيب عملهم مع السكرتير الهندي ويقضي الاثنان الباقيان اليوم بدون عمل رسمي داخل القصر .. فيجلس أحد الثلاثة في غرفة التحكم بالبوابة الرئيسية في الطابق الأول فإذا أشار له البواب بفتح البوابة فتح البوابة الأولى فقط ، وهناك زر يضغط عليه البواب مع إشارة بيده .. فيرتفع صوت منبه في الغرفة .. فيفتح للداخل أو الخارج .. وهؤلاء يتبادلون العمل بين البوابة والمراقب .. وفي الساعة التاسعة ليلا في فصل الشتاء والعاشرة صيفا يعزل كل طابق عن الأخر هيدروليكيا ميكانيكيا ، ولا يسمح لعامل أو موظف أن ينتقل لطابق أعلى بدون علم السكرتير أو يكون مكلفا بمهمة صيانة تنظيف خدمة للسيد .. فتنقل الأفراد في الطابق الأول في الأماكن المخصصة لهم وأماكن العمل ويسمح لهم بالذهاب للبستان واللعب في مؤخرة القصر .. وإذا احتاج السيد شخصا بعد إغلاق الطوابق على ساكنيها فيكون عن طريق المصعد وبعلم السكرتير والحرس ، فيشغل المصعد عن طريق غرفة السيطرة فيصعد الخادم الخاص .. فالجريمة محبوكة ومخطط لها من زمن ورغم تحقيقنا مع كل أفراد القصر وسؤالهم لم نستطع اتهام أي شخص منهم ولا حتى الاشتباه بشخص معين لعدم وجود أدلة مادية .. فالكل مشتبه به والكل غير مشتبه به ، والحارس الإفريقي لو كان قاتلا لما دلنا على مكان رؤيته الرجل ..لم يتردد بتقديم شهادته وكان من

الطبيعي أن يصعد لسطح القصر فذلك من ضمن أعمالهم الروتينية القيام بجولة سريعة من على ظهر القصر قبل إغلاق الأبواب على سكان القصر ليلا ، وحارس البوابة الرئيسية بعد السابعة يصعد لغرفة المراقبة ويقتسمون ساعات الليل ، ولديهم تلفزيون فيها كسائر الغرف الموزعة على العمال وزوجاتهم .. بل في كل غرفة تلفزيون وفيديو وأشرطة فيديو حسب بلدانهم .. المهم رغم بحثنا ونظرنا في الوجوه والناس عجزنا عن تحديد شخصية القاتل من بينهم ، لم يدل أي أحد بشهادة تتهم أحدا .. ومن اليقين في نظرنا أن الجريمة أو قل منفذها من داخل المكان .. واحد أو أكثر لسنا ندري ، وكلهم يسكن في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته يسكنون في الطابق الثاني .

اثنى الضابطان على زميليهم خير الثناء وطلبوا لقاء الطبيب الشرعي .

وقال حاتم : وسنقابل الطبيب جادور الذي وصل لمسرح الجريمة أولا

فقال مرزوق شارحا : هو تحدث عن اتصال من الرجل المقتول قبل مقتله .. وثبت لدينا صحة هذا الاتصال وأن مصدره القصر وأن الرجل يطلب المساعدة .. وفهم الدكتور أنها مساعدة طبية ، ولم يتحدث عن نجدة وجريمة .

رحب الدكتور جادور بالعقيد حاتم والمقدم مالح وكان لقاؤهم بعد تلبية دعوة الغداء التي دعاهم إليها المحامي عبد الحي حمدان ، فقال الطبيب بحماس بين : لقد سررت جدا لما علمت بأن التحقيق سيتجدد في قضية موت السيد بسيم الجدية ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الجريمة الغامضة وكيف حصل الاختراق القاتل ؟ .. فلما حدثني مدير أمن جاد بأنك راغب باللقاء بي أصابني الحبور .. فهذا الرجل الباسل لا يجب أن يفلت قاتله من العدالة الدنيوية .. فمرحبا بكم .. فالرجل عزيز عليّ ..

وقدمت لهم القهوة الترحيبية والماء البارد ، ولما ابتعد خادم الدكتور في عيادته في مجمعه الطبي في جاد قال الطبيب : ما المطلوب مني ؟

قال حاتم : نحن قرأنا أقوالك في محضر البوليس ، وأن السيد بسيما اتصل بك طالبا مساعدتك لألم ألم به ، وأن صوته بدا لك مخنوقا ضعيفا .. أتتذكر اليوم شيئا يا سيدي عن تلك اللحظة الدقيقة ؟

بعد صمت وتفكير قال جادور : مكالمة لا تنسى ، اتصل الرجل بي على رقم البيت وهو المستخدم نادرا بيننا .. وهذا يدل على أن الرجل كان واعيا ؛ ولكن بدا لي صوته مخنوقا مبحوحا وضعيفا يا دكتور جادور إني متعب أسرع إليّ ، إنني أموت أنا بسيم بهذا المعنى وانقطع الاتصال ، ولم أسمع صوت رصاص تلك اللحظة .

وضعت السماعة وأدركت أن الرجل مريض جدا ، وكانت هذه أقصر مكالمة بيننا .. عادة نتحدث ، ويذكر لي متاعبه حتى آخذ معي بعض الأدوية التي قد تنفعه .. لم يخطر في بالي القتل والاغتيال رغم أنه كان يتحدث عن ذلك في بعض الأحيان أما أن يحدث ذلك في القصر لم أكن أتصوره أيها السادة الكرام !!

وبعد صمت تابع فقال : اتصلت بالدكتور (حازم صنو) طبيب يعمل معي في هذا المجمع .. والممرضة اعتذرت لانشغالها بمرض والدتها أو والدها .. وذهبت لنقطة الشرطة ، ولما وافق شرطي على مصاحبتنا انطلقنا بسيارتي .. وكان بين الاتصال وبين وصولنا القصر حوالي ساعتين ، ولما علمت السكرتيرة الهندية غرضنا تعجبت أولا ، وأخبرتنا أن السيد لم يتحدث معها معلما لهم بطلب الطبيب ؛ ليستعدوا لاستقباله لفتح البوابة ومراقبة الطريق من قبل الحراس ، فحدث ارتباك واضطراب ، واتصلت الفتاة من مكتبها في الطابق الأول ، والرجل لا يعرف أحد أين يقضي ليلته ؟وذلك على مدار الأيام .. فالتلفون يرن في كل حجرات النوم المخصصة له في جميع الطوابق .. وهواتف غرف الموظفين تستقبل وترسل عن طريق السنترال الموجود في غرفة أو مكتب السكرتير والسكرتيرة .. لم يرد بالطبع السيد بسيم لوفاته، ولا يوجد كاميرات في الغرف أضيفت بعض الكاميرات منذ عهد قريب من موته لمراقبة الممرات والبوابة الخارجية وتصوير الداخل والخارج ، والمسؤول عن متابعة الكاميرات وكل نظام الحماية السكرتير مايا وزوجته رامان ، فهم أعرف الناس بذلك النظام المعقد داخل القصر وخارجه ، وبينما نحن نبحث عن طريقة لمعرفة مكان السيد بعدما علمنا أنه تعشى في الطابق الثالث وشرب شايه فيه .. تحدث الحارس الإفريقي أنه رآه يدخل حجرة قرب مكتبة الطابق الثالث ، وذلك أثناء عودته من تفقد السطح وإلقاء نظرة على الصحراء المحيطة بالقصر كان يهبط عن السطح متجها للمصعد فرأى السيد يدخل الغرفة المجاورة للمكتبة ، وهو عادة يصلي فيها عندما يكون في الطابق الثالث قرب المكتبة فحياه بابتسامة وركب المصعد ، ولم ير أحدا في ذلك الطابق سوى السيد .. فأخذت السكرتيرة المفاتيح وصعدنا مسرعين للطابق الثالث ، ووجدنا الغرفة مغلقة ففتحتها السكرتيرة المدربة ودخلت وأضاءت النور .. وكلنا متوجس خيفة يا سادة من تلفونه المختصر بي ، ومن عدم اتصاله بالسكرتيرة لتخبر الحرس بمجيئ وأنه طلب الطبيب ، وأيضا عدم رده على تلفون القصر زاد القلق في نفسي ..وقع في نفسي أنه في غيبوبة وربما

الموت الطبيعي .. ولم يخطر في بالي الاغتيال والقتل أضيئت الحجرة .. ولما نظرت للسرير ظننته للوهلة الأولى نائما .. ثم لمحت الدماء فصرخت صرخة مكتومة وقالت : دماء وهي تشير لوجهه !.. كان يضع على منضدة كتاب عن تاريخ المسلمين في الأندلس نسيت عنوان الكتاب .. وكان بجوار الكتاب كوب عصير فارغ أو ربما ماء .. ونافذة الغرفة مفتوحة وألقيت أنا وزميلي نظرة سريعة عليه ، فكان ميتا فاتصلنا بدائرة الشرطة في جاد ، وجلسنا أمام الغرفة ننتظر قدوم شرطة التحقيق ، وطلبت لنا السكرتيرة شايا ، وأمرت بعدم إغلاق أبواب الطوابق ؛ لأن وقت الإغلاق لم يحن بعد ، ففي فصل الشتاء تنعزل الطوابق في التاسعة ليلا ويصبح السيد وحيدا ، وكان مقتله في فصل الشتاء عام ٩٥ أو قل في الخريف تشرين الثاني / نوفمبر .. حقيقة كنت حزينا للغاية ، وربما ذرفت بعض الدموع ألما وتنفيسا ؛ ولكنني أقول إن الخائن لابد أن يكون من سكان القصر ، وله معرفة في تفاصيل ونظام الحماية في القصر ، وله معرفة بالثغرات الأمنية .. وحسب الطب الشرعي وفحص المكان والجثة أن الرجل استنشق غازا مخدرا .. فلما أحس وشعر بالضيق اتصل بي ظانا أنه مريض ، ولم يخطر بباله أنه يخدر لاستبعاد ذلك من فكره وعقله ، وخاصة في قصره المحصن وأن يغدر به أحد العاملين معه لطول العشرة بهؤلاء العمال والخدم ، وكذلك أخبرت السكرتيرة قلة اختلاط الرجل بالكثير منهم رجالا ونساء ، وربما لا يعرف الكثير منهم شخصيا ، إنهم يتعاملون مع السكرتاريا ، وكما قيل لا ينفع حذر من قدر .. فدس عليه خائن أو أكثر وصبروا حتى وثق بهم السكرتير وزوجته فغدروا به .. وبالنسبة للنافذة المفتوحة في حجرة الموت في فصل الخريف وفي الصحراء فبعد التشريح فُهم لي ولغيري سبب فتحها هي ونافذة أخرى في ردهة مجاورة للغرفة التي اغتيل فيها .. فُهم أنها فتحت ليزول أثر المخدر الغازي من الغرفة بهواء طارد أو ربما استخدمت لإدخال الغاز المخدر .. والراجح أنه فتحت بعد الجريمة لطرد رائحة الغاز ، ولم يستطع الطبيب الشرعي والمختبر تحديد نوع الغاز المستعمل بدقة ، وجدت بقايا منه في الرئة أدت إلى إضعاف الرجل وشله .. استطاع القاتل قتله بدون مقاومة كان مخدرا ولكن من فتح له الباب؟ لا ندري .

فقال مالح : هل مع القاتل مفتاح ؟ !وكيف عرف أنه في هذه الغرفة بالذات ؟!

قال جادور : تابعت التحقيق مع رجال الشرطة .. فهناك أشياء محيرة .. فالسكرتيرة الهندية كانت مثلنا في دهشة وحيرة وذهول وخوف.. والتحقيقات لم تثبت شبهة على أحد من أهل

القصر ، ومع ذلك يجب أن يكون القاتل من الداخل لصعوبة دخول غريب القصر ، ويعرف ترتيبات الأمن والحماية ، ويصل للرجل ويفتح الغرفة ويغتاله .. أسيادي في الداخل قاتل ذكي من هو ؟ من هو ؟ كم أنا محب ومتشوق لأن أعرفه ؟! .. أرجو أرجو من الله تعالى أن توفقوا في معرفته وتقديمه للعدالة والقانون .. فصاحبنا بسيم يستحق منا ذلك رحمك الله أيها السيد بسيم .

١٩

رتب العقيد حاتم والمقدم مالح مع مدير أمن جاد أن يقدم لهما مجموعة من أفراد الشرطة لمرافقتهم إلى القصر الصحراوي ؛ لإحداث الرعب في نفس أو نفوس الجناة ، فاستجاب المدير لذلك ، وكلف سيارة نجدة لمرافقتهم ومجموعة مسلحة من دوريات الأمن ، ولما وصلوا للقصر بعد حين فتح لهم الحارس البوابة ، واستقبلهم السكرتير مايا ورامان زوجته ـ وقد كانا على علم بمجيئهم ـ وانتشر الشرطة على باب قاعة الطيور ومداخل الطابق الأول بأسلحتهم ، ووقفت سيارة عند بوابة القصر ، وكان العقيد ليلة أمس طلب من السكرتير إخبار الموظفين بفتح التحقيق من جديد لإغلاق ملف القضية ، وأن الشرطة مصرة وعازمة على اكتشاف الجاني وفي غرفة في الطابق الأول أعدت للتحقيق وقف أمامها شرطيان بلباسهما الرسمي ، وأسلحتهم الألية ، وجلس فيها العقيد حاتم ومساعده مالح والكاتب محمد والمترجمون الثلاثة وفنيو التسجيل ، وقائد فصيل الشرطة المرافقة والسكرتير مايا فقال العقيد : سنبدأ بالحديث معك يا سيد مايا . فجلس مايا على مقعد مقابل لحاتم وقال : تفضل يا سيدي إني أحسن العربية .. وكان موته صاعقة بالنسبة لي ، وتمنيت لو لم أسافر تلك الأيام .

قال العقيد : كيف التقيت بالسيد بسيم الجدية ؟

سكت لحظات وتردد في الإجابة أو كان يفكر ، ثم قال له حاتم : أنت من القارة الهندية .. العمر ٥٣ .. هكذا يقول جواز سفرك الموجود لدى المحامي داود .. ولك أكثر من عشرين سنة تعمل مع السيد بسيم !

وكان العقيد يقرأ من كشف أعده له المحامي داود محمد قبل أن يغادره لجاد ، وقد أشرنا إليه سابقا .

ترك مايا السيجارة على منفضة السجائر وقال بحزن ظاهر للرائي : اعلم سيدي الضابط أن المجرم حقق جريمته وأنا في إجازة ، وندمت أشد الندم ؛ لأننا كنا على علم بخطر محدق بالسيد لكن موت أبي في الهند دفعني للسفر لترتيب أمر الأسرة ، فاستغل المتآمرون غيابي ونفذوا مأربهم وأنا متأكد أن بيننا قاتل.. ولكن ظهور حكاية الكنز المخفي في هذا القصر وعدم بيع القصر حتى يظهر

الكنز هي التي أثبتت أن القاتل موجود بيننا .. كانوا يظنون أنه بعد مقتل الرجل سيمكث القاتل الخفي شهرا شهورا ، ثم يقوم الوارث بالتخلص من القصر والتخلص من موظفي القصر ، فلم يعد لنا فائدة بعد الفشل في حماية السيد الكبير .. وأنا حاولت منذ عدت بالوصول للقاتل فلم أصل لشيء ..ولكن القاتل المنفذ للجريمة له أسياد في الخارج ، وأرى أنهم يسكنون في جاد أو يترددون عليها ، وأعتقد أن الآمر للجريمة من خارج البلاد .. دعني أشرح لكم نظام الحراسة والأمن في هذا القصر قبل أن أتحدث عن معرفتي وصلتي بالسيد الكبير لتعلموا أن الاختراق أمر ليس بالهين .

ـ تفضل يا مايا نحن مهمتنا الاستماع فكلامك جميل ومهم .

قال مايا بعد تنفسه العميق : السور الخارجي المحيط بجميع القصر بناء وبستانا مرتفع كما شاهدتم في الزيارة الأولى ، والأضواء الكاشفة المنتشرة والقائمة عليه قوية تكاد تضيء الصحراء بالليل ، ولا تعتمد على مصدر طاقة واحد إذا تعطل أحدها لا تتعطل كلها ، فحتى البستان يبدو نهارا في الليل ، فلا يمكن لشخص أن يتسلق الأسوار ويدخل دون أن يكشف والسور عليه أجهزة إنذار سرية من أفضل الأجهزة في العالم ، وحُدث الكثير منها من سنوات قليلة قد مضت والسور الداخلي مرتفع وإن كان أقل ارتفاعا من الخارجي ، وهو الآخر عليه نقاط إضاءة حادة ونقاط إنذار ، فلو وقف عليهما طائر تضيء الأجهزة في غرفة التحكم والسيطرة المتطورة باستمرار.. ولقد ألقيتم نظرة عليها سابقا .

ـ نعم يا مايا

ـ خط الدفاع الأول البوابة وهي ضد الرصاص ، وبعض القنابل اليدوية ، وتفتح من غرفة السيطرة أوتوماتيكيا بالتيار الكهربائي .. لا يمكن لحارس البوابة فتحها باليد .. والأسوار عند الحاجة مكهربة تصعق كل كائن حي ، وكذلك البوابات تصبح مكهربة عند الاضطرار والحاجة الخطيرة .. ولدينا حراس خمسة من جنسيات خمس يتناوبون على البوابة الرئيسية ولا منفذ للقصر إلا منها .. وفي الليل يتناوبون على غرفة السيطرة ، وإذا احتجنا لفتح البوابة لطارق يوقظ أحدهم حسب النظام لفتح البوابة .. لا تترك غرفة السيطرة بدون حارس منهم حتى ولو أراد الذهاب للمرحاض أو الطعام يجب أن يبقى واحد فيها .. ويسمح له فيها بمشاهدة التلفزيون والدخان إن كان من المدخنين .. ومنذ أنشئ هذا القصر حقيقة لم تختبر فعليا هذه الإجراءات .. لأن وصول الأجانب إلى هذه الصحراء أمر صعب ؛ ولكنه غير معجز ..ونحن كل ستة أشهر نجري تمرينا وتدريبا لهذه

الأجهزة والأدوات .. ويعمل في اليوم الواحد ثلاثة حراس واثنان لهما استراحة كاملة داخل القصر أو خارجه ، والذي يحرس عند البوابة له النوم داخل كوخه أو غرفة البوابة ولديه جهاز تلفزيون للتسلية ، أما في غرفة السيطرة فممنوع للمكلف بالحراسة والمراقبة النوم ؛ لأنه هو الأصل فإذا رأى شيئا يقترب من القصر ضغط زرا لتنبيه الحارس للبوابة فيتلقى إشارة أنه مستيقظ ، وإذا كان نائما استخدم لتنبيهه جرسا صوتيا مزعجا ..فيستيقظ ويعطي الإشارة ويستعد لفتح البوابة .. فيراعى في النظام الحاجات الإنسانية البدنية .. وتراعى مصلحة السيد في الحماية والحراسة .

ـ تابع أيها السيد .

ـ عندنا أبراج على سطح البنيان لا تستخدم ولا يوجد فيها حراسة ؛ لأننا بصراحة لم نحتاج إليها يوما .. ويصعد أحد الحرس يوميا يتفقد السطح وحول القصر من الأعلى .. ويخلي السطح من أفراد القصر إذا كان أحدهم في الأعلى ، ويتفقد الأبراج وخلوها ممن يختفي فيها .. ومعه جهاز متصل بغرفة السيطرة إذا واجه شيئا عليه أن يستخدمه لإرسال إشارة سريعة أن هناك خطرا .. ولما ينته التفتيش يغلق باب السطح بمفتاح خاص يكون مع الحارس ، وهو يغلق آليا عند الاضطرار .. لأن السيد يسمح لسكان القصر بالصعود لظهر المكان خلال ساعات النهار وعلى السطح خزانات مياه تحتاج لتفقد وصيانة وكذلك شبكات التلفزيون والأطباق الفضائية في الفترة الأخيرة .. وعلى ظهر القصر مقراب لمراقبة الصحراء عند الضرورة .. واعلم أن كل طابق في وقت محدد كل ليلة يغلق ويعزل عن الطوابق العليا الأخرى ، وقاعة الطيور والطابق الأرضي لا يسمح لأحد بدخولهما إلا لضيوف القصر .. وهما مغلقان باستمرار إلا عند التنظيف والحاجة .. وأبواب الطوابق مصفحة ضد الرصاص والمصعد عند إغلاق أبواب الطوابق يتوقف عن العمل البتة ، وتفصل عنه الطاقة الكهربائية من حجرة السيطرة والتحكم .. فكل ساكن يبقى في طابقه حتى أنا وزوجتي ننعزل في الطابق الثاني ، لأننا الوحيدون من نعيش فيه ، وأيضا ممنوع عليهم الصعود للطوابق العليا بدون عمل معين ؛ ولكن ضبط ذلك فيه مشقة بسبب أنه يصعد البعض للنظافة لخدمة السيد لتوصيل شيء لغرفة لطلب شيء من السيد مباشرة ..وهذه أضعف نقاط الحماية في القصر ؛ لأن المهام تختلط لحاجة القصر إلى نظافة متكررة فنرسل عددا من العمال فربما يلحق بهم آخرون لمساعدة من يحتاجهم ، وعادة مثل هذه الأعمال تكون في الصباح حتى فترة الظهر لكن عند إغلاق الأبواب لا يمكن لأحد التسلل للأعلى ، من أجل هذا أقول

أن القاتل من سكان القصر وعاش بيننا للقتل ، وقتل بدم بارد ؛ لأنه عاشر الشيخ ، وأكل من طعامه ، وأخذ مالا من خزنته ، ويعرف نظام القصر الأمني أو يعرف بعضه وارتكب جريمته قبل إغلاق الأبواب .. يا سيدي المحقق عند انتهاء الدوام اليومي لهم النزول للبساتين والمسابح والألعاب .. ولكل أسرة شقة خاصة بها ، والأكل جماعي يقدم لهم في صالة الطعام في أوقات محددة ، وهنا صالة السهر واللهو ، وفي كل شقة أو جناح حمام ومطبخ صغير ويمكن للعامل أن يدخل المطبخ العام للمزيد من الطعام والشاي والقهوة والمثلجات فهو غير مغلق .. الخمر ممنوعة داخل القصر من أراد الشراب فليذهب في إجازته الأسبوعية لمدينة جاد أو غيرها ليشرب الخمر .. وممنوع إدخالها للقصر ولو سرا .

وإذا مرض شخص عليه أن يتصل بي أو بزوجتي رامان ، وأنا أقدر الحاجة إلى طبيب خارجي وربما يعطى بعض المسكنات لتخفيف الألم ، فلدينا صيدلية إسعاف أولي في الطابق الذي نجلس فيه ، يشرف عليها صيدلي من مدينة جاد يمر علينا كل نهاية شهر ليتفقدها وهو جاهز عند الطلب ، وفرنا قديما طبيبا للقصر ، ثم رأينا عدم الحاجة إليه .. لأننا عند الضرورة نطلب سيارة الإسعاف من المستشفى في جاد أو المستشفى الخاص الصغير في آخر جاد .. ولدينا مجمع الدكتور جادور فيه قسم طوارئ صغير .

أشعل الرجل سيجارة وقال : مقتل السيد الكبير حدث في فترة غيابي أولا وثانيا في فترة لم تغلق فيها الأبواب للطوابق فيمكن للمتربص الاستفادة من ذلك .. واعلموا أن توظيف هؤلاء الأفراد ليس بالهين والسهل .. والكثير له زمن طويل معنا ..لكن النفوس تتغير وتشترى .. الآن سأتكلم عن نفسي وعلاقتي بالسيد بسيم الجدية .. السيد الكبير كما تعلمون من كبار تجار السلاح في العالم ، وهو ضمن شركات خاصة بهذه التجارة أي لا يعمل بمفرده والحروب هي مصدر ثروتهم وتجارتهم ؛ ربما يبيعون للطرفين المتقاتلين ؛ لأن العواطف والانحياز لا يجب أن يدخل في عملهم .. فهم لهم علاقات تجارية مع كبرى شركات إنتاج الأسلحة والرصاص والقنابل والألغام والصواريخ وحتى الطائرات الحربية تجارة كغيرها من التجارة ، وإن تديرها دول وتشرف عليها لكن هناك شركات ومصانع ليس لها ارتباط بدول ، فالرجل له علاقات بعصابات دولية تتجر بالذخيرة والرشاشات وغيرها من قطع الغيار ، وحتى عصابات المخدرات تتقاطع مصالحها مع تجار السلاح ؛ لأن بعض الدول والمتمردين يدفعون ثمن السلاح من أموال المخدرات ؛لأنهم

ليسوا دولا عندهم ضرائب وميزانيات ، تجارة السلاح إجمالا معقدة وفيها سماسرة كثر .. وله شركاء في الهند مسقط رأسي أنا ، والهند بعد الحرب العالمية الثانية كانت بؤرة حرب وقتال خاصة بعد خروج الإنجليز المستعمرين وتقسيم البلاد إلى دويلات مثل الباكستان .. فكانت بلادنا بؤرة صراع دولي ، ثم ظهرت دولة بنغلاديش للعيان ونيبال وسيرلانكا وكشمير .. فهي مرتع خصب لتجار وسماسرة الأسلحة .. قرأت مرة إعلانا في جريدة هندية عن طلب رجل أعمال لسكرتير وكنت أعمل سكرتيرا في شركة هندية خاصة ، فقابلت الرجل بسيم الجدية وهو يجيد الحديث والحوار باللغة الإنجليزية رغم أنه لم يدرس في جامعة ؛ لكن الحياة علمته ذلك ، ووقع عليّ الاختيار ، وفهمت ووعيت طبيعة العمل والأخطار المحدقة بي وبعملي ، وبعد تردد وافقت على العمل وقدمت استقالتي من شركة بلدي.. فالأجر كان كبيرا في شركة السيد بسيم وشركائه ، وعلمت أن عملي سيكون عمل سكرتير خاص بالرجل ، وإن كان راتبي سآخذه من الشركة القابعة في الهند ، وعلمت منه أن حركته دائمة ، فصرت أتنقل معه عبر قارات العالم يوما في البرازيل حيث لهم مجموعة من الشركات والأسماء التجارية ؛ ربما تكون الشركة مسجلة لتجارة الدقيق أو الحليب وهي تتاجر بالأسلحة، فيكون الحليب أسلحة والدقيق أسلحة .. ويوما آخر في فرنسا خاصة أيام حرب فيتنام الفرنسية .. ويوما في دولة عربية .. ولما كان يأتي لهذا البلد كان يسمح لي بزيارة أهلي وزوجتي ، لقد كان لي زوجة قبل هذه التي معي هنا ؛ ولكنها ماتت في فيضان أصاب منطقتنا في بلادنا الكبيرة كما تعلمون .. وأما زوجتي رامان فقد تزوجتها منذ سنوات قليلة ، فهي فتاة متعلمة في الجامعة وجيدة .. فهذه بداياتي مع الشيح الكبير بسيم الجدية رحمه الله الرحمة الكبيرة .. أما عن استقراري في هذه المدينة والبلاد فخيرني الرجل بين البقاء والاستقالة فآثرت مرافقته إلى الأبد ، فقد كان الرجل كريما معي ، وأعرف الخطر المحدق به من الأصدقاء والأعداء خاصة بعدما نجا من حادث تفجير رهيب قبل سنوات من موته .

فقال العقيد : أتشك في أحد معين يا مايا ؟

ـ حقيقة أشك في كل موظف يعمل معنا من أمريكا اللاتينية .. فهم الأكثر عداء للرجل أقصد عصابات تلك البلاد ، ولديهم غريزة الحقد والانتقام والثأر ، وله أعداء أشداء من عصابات المخدرات والتهريب .. فأمريكا بجبروتها العالمي عاجزة على القضاء على عصابات المخدرات والمهربين الزاحفين من المكسيك وكولومبيا ، وقد

خطفوا ابنة له قديما في البرازيل ، وعمرها عشر سنوات للمساومة ولم يفلحوا في ذلك ، وقيل إن أحدهم تزوجها أحد أفراد العصابات أما أحد معين لا أستطيع ذلك أيها السادة صدقوا أنني بعد عودتي حاولت أن أجعل من نفسي مخبرا سريا فلم أنجح ، وأنا على استعداد للتعاون الكامل .

ـ وباقي الموظفين كيف تختارونهم ؟

ـ كلهم أجانب بالنسبة لهذا البلد ، وهم من عدة جنسيات .. التنوع من وسائل الحماية وعدم الاختراق للقصر ، وثانيا ليبق هؤلاء في القصر على طول أو أغلب أيام السنة .. فالمواطن المحلي سيصعب عليه البقاء هنا باستمرار .. له أهل وأقارب وزيارات .. قضية أمنية حسب علمي .. فهؤلاء ستبقى حركتهم قليلة .. هذه وجهة نظره يا سيدي .. وتنوعهم يصعب عملية التواطؤ عليه .. فالحراس الخمسة من بلاد خمس ، أحدهم برازيلي والثاني بوليفي والثالث من فيتنام والرابع من الباكستان والخامس من أفريقيا .. لغاتهم مختلفة لا يفهمون على بعض إلا بلغة وسيطة كالإنجليزية مثلا .. فهذا في رأيه يضعف تآمرهم وخيانتهم .. وهكذا سائر الموظفين في القصر .

فقال العقيد مبتسما : وهذا خط دفاع آخر !

فقال الهندي مايا بحزن وأسف : ومع ذلك أيها السادة وصلوا إليه .. وأنا مثلكم متلهف لمعرفة اليد الآثمة الجبانة الغادرة مع يقيني أن العقل المدبر لهذه الجريمة من خارج القصر ؛ وربما يجلس الآن مع عشيقته في بلاده يحدث الناس عن انتصاره واغتياله لخصم له .. وهم أغروا القاتل بفعلته ونجاته ، وأن القصر سيغلق بعد الجريمة بأيام ، وربما أشهر ..وسينتهي بسيم الجدية من التاريخ .. ومع ظهور الكنز وبقاء القصر انحشر الجاني ، واضطر للصمت حتى لا يكتشف .. ولا أحد طلب طلب إخلاء حتى لا يشتبه به.

٢٠

استطاع العقيد حاتم إثارة الرعب والقلق في نفوس العاملين في قصر السيد بسيم بإظهار الشرطة المسلحة والإيحاء بأن الشرطة عازمة ومصممة على معرفة الجاني الخائن الغادر رغم مرور ما يقارب السنتين على الجريمة .

استدعيت رامان زوج مايا بعد مغادرة مايا للاستجواب ، وبعد الترحيب وقرأ العقيد المعلومات الموجودة في الكشف المعد بأسماء ووظائف سكان القصر ، ذكرت أنها التحقت بالعمل في القصر بعد اقترانها بمايا في أثناء إحدى إجازاته ، التقيا في مناسبة زواج عن طريق قريبة له ، ثم تزوجا ، وجاء بها إلى القصر بعد موافقة السيد الكبير ، وهي متعلمة ومتخرجة من قسم إدارة الأعمال ، وذكرت أنها لم تأخذ إجازة خارج القطر

منذ التحقت بالعمل ، ولها طفل واحد ، وذكرت نشاطها ليلة الحادث فقالت : كانت الأمور تسير كالمعتاد ، لم ألحظ شيئا متغيرا خلال النهار عما ألفناه .. كل شخص في موقعه ، وتحدث معي السيد في فترة الصباح على الهاتف وسألني عن وضع القصر ، فقلت له كل شيء على ما يرام .. لم يشكُ مرضا ، ولا ألما .. وتابعت نشاطي المكتبي كسائر الأيام ، ومررت على المطبخ وتحدثت مع الطهاة ، ودخلت غرفة التحكم المجاورة لمكتبي أنا وزوجي ، وتحدثت مع الحرس .. وتابعت شغل الخدم في تنظيف الطابق الأول والثاني الغرف المفتوحة طبعا كقاعة الاجتماعات والمحاضرات والمكتبة .. فالمكتبات لا تغلق أبوابها حتى مكتبة الطابق الأول الرئيسية ، ويسمح لمن يرغب بالقراءة الجلوس فيها ، وبعد العصر زرت البستان ورأيت عددا لا بأس به من الموظفين هناك وعدت لمكتبي ، وكنت أقرأ في كتاب عن إندونيسيا أكثر دولة فيها مسلمون ، وصدمت عندما تحدث معي الحرس عن قدوم الطبيب ، وكنا قرب الساعة الثامنة إلا ربع مساء ، فالسيد لم يتحدث معي عن طلبه الطبيب ؛ ولكنه في العادة عندما لم يكن مايا في القصر يستخدم الهاتف المباشر {دايركت} يستغني عن المقسم في اتصالاته الطبية ، فتركت المكتب ونزلت حيث البوابة ـ وكان الحارس يفتح لهم الباب بعد موافقتي على فتحها قبل الهبوط للبوابة ـ فلم يخبرني السيد باستدعاء الطبيب ، وأنا لم أعلم بمرض أحد ذلك النهار وأول ذلك الليل .. فنحن لم نطلب طبيبا وعادة استدعاء الطبيب من ضمن عملي أنا ومايا ..قمنا باللازم اتصلت بغرف النوم الخاصة بالسيد لنعرف في أي غرفة هو موجود ، فلم نتلقَ ردا ، فزاد رعبي ووقع في قلبي موت الرجل بسبب الشيخوخة والهرم ، فتكلمت مع الحرس عن رؤيتهم للسيد مساء اليوم فأخبرني أحدهم عن رؤيته له وهو يغادر السطح ، وكنت سأطلب منهم جلب خادمه الخاص لي ـ والخادم بعد أن يتعشى السيد لا يعرف أين يبات السيد ؟ عندما يحتاجه يضغط على جهاز خاص بينهما ، فيذكر له أين هو ؟ لكن الحارس الإفريقي سينكالا كامارا اختصر الخطوة ، وذكر أنا رآه عندما كان يفتش السطح ويغلق بابه .. رآه في غرفة بجوار مكتبة الطابق الثالث ، فأخذت مفاتيح غرف الطابق الثالث كلها ، وركبنا المصعد والخوف والقلق على حياة السيد ينتابني .. وصلنا الغرفة حركت أكرة الباب فكان مغلقا ، فتحت الباب بالمفاتيح التي حملتها معي ، أضاءت النور والتفت نحو السرير ، وكانت الصاعقة .. الرجل كأنه نائم ؛ ولكنّ الدم يملأ وجه وسريره ، وقام الدكتور جادور بالواجب الطبي ، ثم تحدث مع

البوليس المحلي ، وبعد ساعات كان المكان يمتلأ برجال الأمن والبوليس ، وانتشر خبر مقتل السيد في القصر ، وبدأ التصوير والتحقيق الأولي .. وقمت أنا بالاتصال بهايا ناقلا له الخبر ومعزيا ، وأعطيت الشرطة هاتف المحاميين داود وحمدان وهاتف السيد أديب حفيد الرجل ، وكنا قد أغلقنا الطابق الأول والثاني فور اكتشاف الجريمة .

فقال العقيد : إذن اتصال السيد بسيم بجادور لم يتم عبر مقسم القصر .

ردت رامان: لدى السيد خط هاتف لا يمر عبر المقسم ؛ لذلك تجدون في بعض الغرف أكثر من هاتف متجاورين ..فالسيد يحب أن يتصل أحيانا دون المقسم الداخلي زيادة في الأمان والسرية ومكالمات سكان القصر كلهم ما عدا السيد تمر عبر مقسم القصر الموجود في مكتب السكرتاريا بجوار غرفة السيطرة ، ونستقبل الاتصالات الخارجية عن طريق المقسم خاصة لموظفي القصر وتسجل المكالمات كلها ما عدا مكالمات خط السيد الخاص وهناك إجراءات أمنية أخرى تتبع

ـ أتشكين يا سيدة رامان بشخص معين ؟

ـ أغلب سكان القصر من قدامى العاملين .. فبعضهم منذ أنشئ القصر ، وبعضهم له أكثر من عشر سنوات ، وأقلهم ثلاث سنوات قبل ليلة الجريمة ، فالحارس الإفريقي عند الحادث كان له في الخدمة تقريبا ثلاث سنوات ؛ ولكنه عمل حارسا للسيد الكبير في أحد بلدان أفريقيا ، وكان يعمل هنا قبله حارس أفريقي ، فلما مات أثناء إجازة في بلده ، أحضر سينكالا كامارا للعمل مكانه أو نقل للعمل هنا ، وأذكر أيضا أن ابنة رجل الكوي والغسيل (ماريانا توماس برينو) التحقت بنا هنا منذ ثلاث سنوات ، الشابة الصغيرة عندما انتهت من جامعتها ، ووافق السيد على عملها مع أمها وأبيها في القصر قل حالة إنسانية خاصة ، وهناك السائق الهندي {بكار} له ثلاث سنوات أيضا عند وقت الحادث .. فهؤلاء أقل الناس خدمة وعملا هنا .. فالكوى {توماس} وزوجته يعملان في القصر منذ بني القصر ، وقبل سنوات تعلقت ابنته المتخرجة من الجامعة بالمخدرات ، ولما كانوا في زيارة لبلدهم ورأوا حالها ترجوا السيد أن يسمح لها بالبقاء معهم ، فجاءت وأرسلها لمركز علاج الإدمان بضعة شهور ثم ألحقها بالعمل مع والديها في غرفة الغسيل والكوي ، وهي دائما كئيبة وحزينة ، وتدخن بشراهة وكثرة ، وتصرف كل دخلها على الشراب والدخان ، وحاولت إدخال الخمر على القصر ، فرفض السيد ذلك ؛ فلذلك تخرج كل أسبوع للعاصمة أو جاد لشرب الخمر ؛ وربما تعاطي المخدرات ولا أدري كيف تحصل عليها ؟!

وعندنا نظام رحلات ونزهات للموظفين والعاملين معنا ، والذي يراه السيد كثير السكر فيصرفه من العمل وينهي عقده ، وكان السيد ينتظر إنهاء خدمات الكوى وزوجته بانتهاء عقدهم مع شركة الضمان الاجتماعي ليصرف الفتاة معهم .. وقد حاولت مرة إدخال المخدرات للقصر لتتعاطها .

ـ من أين تحصل عليها ؟

ـ لا أعرف بالضبط يا سيدي .. فالتفتيش عند العودة لابد منه ، كل من يخرج في رحلة في إجازة في مشوار في علاج يفتش بكل دقة عند عودته .. ممنوع إدخال مواد مسكرة ومخدرة وأسلحة وذخيرة بأنواعها المختلفة .. ومرات نطلب رجال مكافحة المخدرات ونستعين بهم لعمل جولة في القصر .

فقال حاتم : هذه الفتاة لابد من رؤيتها لنعرف من أين تحصل على المخدرات ؟ .. فهل يسمح بخروجهم يوميا أسبوعيا ؟

قالت : إن لم يكن أحدهم مريضا يرتب لهم المحامي داود زيارات ورحلات قد تأخذ يوما أو أكثر إلى أماكن سياحية أو إلى حدائق عامة ومتنزهات .. ونسمح لهم يوم الأحد بزيارة المدينة بضع ساعات مدينة جاد طبعا .. يذهبون لمن يرغب بحافلة صغيرة تأتي من المدينة منذ الصباح وعلى التاسعة ينطلقون ،وقبل المغرب يقفلون إلا من استأذن للنزول للعاصمة على رغبته ونفقته ولا يذهب الجميع طبعا في نفس الوقت .. والكل هنا عائلات يا سيدي .

ـ هل يمكن تجنيد شخص أثناء رحلات العاملين ؟

قالت : عندما ينزلون المدينة يتفرقون ويخبرهم السائق بأن وقت العودة الساعة كذا ، ويذكر لهم مكان التجمع ، ومن يتأخر عن موعد الحافلة يعود وحده أو من معه أو ينام في المدينة على نفقته الخاصة ، ويقبل في الصباح بسيارة أجرة ، وعليه أن يتصل بالقصر مخبرا لنا بتأخره ورغبته بقضاء الليل في مكان كذا .. السيد يوم الإجازة يترك لهم الحرية في السهر واللهو .. القصر ليس سجنا.. فإمكانية تجنيد شخص واردة ؛ ولكن إدخال شيء مما سبق وذكرته لكم من الممنوعات لا يمكن إدخاله ، وإلا الحرس كلهم يتحملون المسؤولية على وجود شيء لا يسمح في وجوده .. والاتصالات كما أخبرتم تحت المراقبة وتسجل ، ورغم طول العهد كنا نتابع المهام

ـ شكرا سيدة رامان .. وعلينا أيضا مقابلة الحارس الإفريقي أيها السادة .. فهو آخر من رأى السيد حيا عدا قاتله .. لو أرسلتيه لنا من فضلك .

وجاء الحارس سينكالا كامارا وبعد جلوسه

والترحيب به قال المحقق : كان دورك تلك الليلة المؤلمة على قلبك أن تتفقد السطح وتغلق الباب أليس كذلك؟

تبسم الرجل وبانت الأسنان البيضاء اللامعة وقال : نعم ، حزنت جدا لمقتل الرجل الطيب لقد عاشرته سنوات وسنوات قبل أن أسكن معه في هذا القصر ، لقد بكيت عليه أكثر مما بكيت على أبي عندما مات ..عندما نزلت الدرج متجها للمصعد كان السيد يترك المكتبة ويدخل الغرفة المقابلة لها .. هي غرفة استراحة وقيلولة للرجل ومعدة للنوم ، فأحس بي فالتفت إليّ فأشرت بيدي للأعلى ففهم أني كنت أتفقد السطح وحول القصر من الأعلى ، وأغلقت الباب للسطح فحييته ، ورد التحية ودخل الغرفة ، وتابعت مشيي إلى المصعد ونزلت لغرفة السيطرة ووقعت على دفتر إغلاق السطح ، وجلست قليلا مع (السيدة رامان) ثم ذهبت لقاعة الطعام وطلبت عشائي .

ـ إذن تكلمت معه بالسلام.

ـ نعم يا سيدي ، ودخل الغرفة أمامي وكان طبيعيا ، لا يبدو عليه القلق والانزعاج ، وأنا أعرفه جيدا يا سيدي .. ولما جاء الطبيب جادور أصبح عندنا طوارئ كما يقال أخبرنا رامان ونزلت لاستقبال الطبيب ومعرفة سبب حضوره ، وكان أحد الزملاء نزل لفتح البوابة عندما رأينا السيارة تدخل طريق القصر أو بوابة القصر الرئيسية ، ولما علمت أنهم فشلوا بالاتصال بالسيد أخبرتهم أني رأيته في الطابق الثالث يدخل غرفة استراحة المكتبة ، وذهبوا لهناك ، وكانت المفاجأة المؤلمة كما قلتم يا سيدي .. وهذا قلته بدون تردد لرجال البوليس في التحقيق القديم .

ـ ذكرت أن الرجل كان طبيعيا كما تعودت عليه ؟

ـ أجل يا سيدي كما كنت أراه دائما.

ـ شكرا سيد كامارا

ـ عفوا سيدي .

٢١

التقى فريق التحقيق بباقي أفراد الحرس ، ولم يضف أحدهم شيئا مهما للتحقيق ، ودخل الطهاة وخدم القصر وزوجات الحرس ، كان العقيد ينظر للشخص ويقرأ المعلومات المكتوبة بالكشف عنه ، ومسماه العملي أي مهنته في القصر ، ووجد أن أغلبهم قريب من الخمسين سنة عمرا ، وطال الحديث مع الخادم الخاص الأسيوي عزيز الباكستاني الذي قال إنه ترك السيد في قاعة الطعام بعد أن قدم له العشاء الخفيف والشاي ، وبعدما انهى السيد طعامه أخذ صينية الطعام ، وترك له وعاء الشاي الساخن ترموس ونزل للعشاء في قاعة الطعام ، وبين أن السيد عندما يحتاجه شخصيا يتصل به بواسطة جهاز خاص بينهم ،

وجلس في صالة الطعام يتعشى مع زوجته التي كانت تنتظره فيها ، وذكر أنه وجد في الصالة الطهاة الأربعة الرجلين وزوجاتهم ، وكان المسؤول عن الغسيل والكوي السيد توماس البرازيلي يتناول طعامه هو وزوجته أيضا دون ابنتهما فقالا إنها أكلت لقيمات وذهبت لتدخن ، وأخبر الرجل أن السيد بعد تقديم وجبة العشاء له لم يتصل به ؛ لأنه ترك الشاي عنده ، وصعق الرجل لما سمع الخبر وصدم وذرف بعض الدمع تأثرا على اغتيال الرجل ، وكان ينتظر إنهاء خدماتهم بعد انتهاء التحقيق ، لأنه لم يعد له عمل مخصص بعد موته السيد .

فقال العقيد لمن معه بعد سماع أقوال الخادم وأين كان وقت حدوث الجريمة كما بينه لهم الدكتور جادور ؟ فبعض الموظفين كانوا في قاعة الطعام يأكلون ، وبعضهم يجلس في صالة السهر يشرب القهوة والمشروبات ،وبعض آخر يجلس في غرفة التدخين يدخن : سبحان الله رغم كل الاحتياطات الأمنية والتكنولوجيا المتيسرة وصلوا للسيد بسيم !

كان العقيد حاتم يركز في السماع على تحديد مكان وجود الشخص ساعة مقتل السيد التي حصرها العقيد في وقت الاتصال بجادور بعد آذان المغرب بقليل وانقطاع المكالمة الخطيرة .

كان يتصور المحققان أن انشغال أهل القصر بوجبة العشاء عند موعد صلاة المغرب ساعد على ارتكاب الحادث ، فلما ترك الخادم الآسيوي عزيز السيد تسلل القاتل إلى أعلى ولم يلتقِ بالحارس الإفريقي أو كان مختبئا في الطابق الثالث .. استطاع الوصول لغرفة السيد حيث دخل السيد يصلي .. استطاع إدخال الغاز للغرفة ، فتعب السيد من الرائحة فاتصل بجادور ، ودخل القاتل وتابع جريمته هكذا كان تصور المحققين للجريمة .

جاء الكوا توماس وزوجته وابنته الذي بين لهم أنه يعمل مع السيد منذ بدأ السيد توظيف الموظفين والعاملين لخدمة القصر ، وكان يبلغ الخمسين عاما عند حدوث الجريمة ، وهو من مدينة ريو البرازيلية ، وأنه عمل في شركة من شركاته في البرازيل ، وكانت الشركة تعمل في استيراد الثياب وتصديرها لدول أمريكيا اللاتينية الأخرى ، وكانت وظيفته فيها الكي والغسيل ثم تعرف على زوجته من خلال الشركة ، وهي مواطنة قدمت من ريف العاصمة وبعد حين تزوجا حسب تقاليد البلاد ، وهما من أصول هندية حمراء ، وذكر أنه قبل العمل في شركة السيد بسيم عمل في أحد فنادق العاصمة سان باولو ، وذات يوم أخبره رئيسه في العمل عن حاجة الشركة لعمال غسيل

وكوي الثياب ، فانتقل إليها ، ثم جاء للعمل مع السيد في قصره النائي ، وكانوا يستوردون ملابس من أوروبا مستعملة وغير مستعملة وقال : وعلمت - فيما بعد - أن هذه التجارة واجهة لترتيب صفقات السلاح لا أدري كيف ؟ فإنما كان عملي الغسيل والكوي ولا أدري كيف كانوا يبيعون السلاح من خلال الشركة ؟ لكن كان من المعروف لي ولزوجتي أن السيد تاجر سلاح.

تابع قائلا : جئت لهنا لفترة قصيرة للتجربة ، ثم طاب لي المكث فظللت مع السيد الجدية حتى مات ، وأنتظر إنهاء خدماتي والعودة للبرازيل ، وقبل مجيء إلى هنا كان لديّ ثلاثة مواليد أكبرهم عندما جئنا كان عمره عشرين سنة ، فشل في المدرسة وترك الأسرة ، وتعلق في المخدرات تعاطيا وترويجا ، وعجزت عن معالجته فتركته لمصيره ، والبنت التي تصغره لما بلغت سن المراهقة تركت البيت للحياة مع أصدقائها في المدينة ، وكانوا أصدقاء سوء ، وأما التي أحضرتها إلى هنا للعمل مع السيد فتكفلت بها شقيقة لي ، فعاشت معها في قرية قريبة من المدينة وكنت أرسل لها المال حتى تخرجت من الجامعة ، ومع ذلك تعلقت هي الأخرى أثناء الجامعة بالخمر والسمر والحفلات ، وقد ولدت ولادة غير شرعية من عشيق أو صديق ، وتخلى عنها الرجل فازدادت إدمانا ودخانا ، ووافق السيد على مجيئها شفقة منه علينا ، وقدم لها العلاج في هذا البلاد ؛ ولكنها للأسف ما زالت تبحث عن المخدرات وتتعاطها ، فقد تبعها بعض رفاقها إلى هنا ، وقد حاول السيد منعها من الالتقاء بهم ؛ ولكنها تستغل فترة خروجها للاجتماع بهم وكان السيد قبل موته يريد أن ينهي خدمتي حسب قانون الضمان المحلي ويصرفها ويصرفنا جميعا ، وحتى مرات فكر بطردها قبل إنهاء خدمتي لديه ، وعندما يتحدث معنا ومعها يشفق عليها وعلينا ، ويتجاهل الأمر إلى حين ظانا أنها ربما تتحسن حالتها ، وغلب على ظننا بعد وفاة الرجل أن يغلق القصر وتنتهي الأعمال ؛ ولكن بظهور الكنز المخفي وعدم معرفة الجاني تأجل الخروج والسفر

وذكر أنه ترك غرفة الكوي في الساعة الخامسة مساء وذهب إلى مطعم القصر ، وطلب كأسا من الماء والقهوة ، ثم أخذ يستعد لتناول العشاء عندما قرع جرس حلول موعد العشاء ، فمشيت لقاعة الأكل وتناولت ما أعده لنا الطاهي (الكسندر) وأكلنا القليل من الطعام ، وتركتنا البنت وذهبنا لصالة السهر نادي القصر ، وشربنا بعض الشاي ، وتحدثنا مع بعض الموجودين ، ثم عدت وزوجتي لشقتنا في نفس الطابق ، فكل العاملين يسكنون في الطابق الأول ما عدا السكرتير وزوجته شقتهما في الطابق الثاني ، وقبل أن ننام - فأنا لا أحب السهر

كثيرا ـ انتشر خبر مجيء الطبيب جادور إلى القصر ، ولم أكن سمعت أن أحدنا مريض ذاك النهار أو أثناء العشاء .. وعلمنا أن السيد هو الذي استدعاه فقلقنا إلى حد ما ، ثم جاء الخبر الصاعق بوجود السيد مقتولا في حجرة من حجر الطابق الثالث ، فقد قتل رميا بالرصاص .

ورددت الزوجة بحزن وضيق واضحين ما قاله الزوج عن مأساتهما في ذريتهما ، وما جرى ليلة مقتل السيد بسيم ، وتحدثت عن سعيهما بإنقاذ ابنتهما المتعلمة من براثن المخدرات ، وقبول السيد عملهما معهما هنا ، وسعيه لمعالجتها في المركز الوطني لعلاج الإدمان في العاصمة بلبل خاصة بعد ولادتها سفاحا ، وذكرت لحوق رفاق السوء بها إلى هنا .

أمر العقيد حاتم بإدخال البنت (ماريانا) بعد صرف الأم بعد الأب ، فلما تأملها العقيد ظن أن عمرها قريب من الأربعين عاما سمراء هندية ، كان التعب ظاهرا عليها ، وعلامات الإدمان بادية بشكل جيد رغم علاجها الذي استمر أكثر من تسعين يوما كما يظهر ذلك في ملفها ، وكانت تلبس ملابس شبه عارية ، وكانت تتظاهر بأنها غير مبالية بالاستجواب ، وقد قبلت للعمل شفقة وعطف من السيد عليها وعلى والديها ، وكانت مأساتها واضحة على بدنها وشكلها فجلست حيث أشار لها العقيد ، وقرأ عليها اسمها وتاريخ ميلادها ومكان ولادتها ، وأنها منذ جاءت البلد لم تسافر للبرازيل ، فوافقت على كل ما قرئ عليها ، واستأذنت بتدخين سيجارة فسمح لها بذلك ، فسألها الضابط بواسطة المترجمين عن دراستها ولماذا لم تعمل في خدمة وطنها ؟ فبينت أنها عملت في مستشفى خاص ؛ ولكن بسبب تعلقها بالمخدرات طردت من عملها إلا إذا تعالجت منها فيمكنها العودة لعملها ، وتحسنت صحتها إلى حد ما ، ثم اضطرت للاستسلام لعصابات المخدرات كعشيقة وكمروجة ، وسبب وقوعها في المخدرات رفاقها ذكورا وإناثا أثناء فترة الجامعة ، وأنها ولدت سفاحا قبل تخرجها من الجامعة ، وترك المولود على باب كنيسة لتخلي أبيه عنه وعنها وعدم الاعتراف به ، وأنها تكره الحياة وتحقد على الناس ، وتلعن والديها لإنجابهم لها ؛ ولكنها أمام دموع والديها في آخر زيارة لهما للبرازيل تركت الانتحار ، وأحبت أن تأخذ فرصة جديدة للحياة ، ورحبت بفكرة السفر لهذه المدينة والعلاج الذي وعدت به ، وسافرت إليهما فعلا ، وأدخلت مركز العلاج من الإدمان وتحسن وضعها بعض الشيء ؛ ولكنها التقت ببعض الزملاء الذين لحقوا بها ، وعادت تتعاطى وتتردد على أماكن بيعها الخفية في جاد أو مدن هذه البلاد ، وكذلك التقت ببعض الشباب

الذي تعرفت عليهم أثناء فترة العلاج ، والتقوا بعد خروجهم ، فكانت كلما تأخذ إجازة تلتقي بهم في العاصمة أو جاد فيمدونها بالهيروين والحشيش .. كانت تتكلم بصراحة عن حياتها ؛ ولكنها لم تذكر اسما واحدا ممن يشاركونها التعاطي سواء من أبناء البلد أو رفاقها الأمريكيين ، وكانت تتخلف عدة أيام خارج القصر من أجل التعاطي والسكر ، ومرات تعود عن طريق الشرطة ، واعترفت أنها لم تستطع التخلص من تعاطي المخدرات ، واعترفت بقضايا جنسية مع عدد من المنحرفين ممن تعرفت عليهم خلال فترة العلاج ، وفعلا كانت تقارير اطلع عليها المحققان عن سلوكها الشائن ، وهذه أيضا من الأسباب التي كانت تدفع السيد بإرجاعها لبلدها ، وكان يؤجل الأمر حتى تغادر الأسرة كلها عندما تنقضي مدة اشتراكهم في الضمان الاجتماعي المحلي وقد حاول المحققان معرفة أسماء رفاقها ، ورفضت ذكر أسماء. فقال بعد رفضها : نحن سنساعدك في التخلص من المخدرات إلى الأبد

فقالت بحدة وضيق : لا أريد التخلص منها إني أريد أن أموت .

فتبسم الموجودون من أمنيتها فتابعت بسخط : فشلت في العلاج ، وأنا أنتظر ساعة عتقنا من هذا السجن لا أدري لماذا أبقونا هنا وقد شبع الرجل موتا ؟!

ـ بقيت لأن التحقيق لم يغلق يا آنسة ، وستخرجون من هنا وتعودون لبلادكم ؛ لأننا نسعى إلى إقفال ملف الجريمة بعد هذا التحقيق ، فلو ساعدتم الشرطة في معرفة الجاني لأغلق القصر فضحكت قهقهة وقالت : وهل ستعرفون القاتل بعد مضي هذه الشهور على الجريمة ؟!

قال العقيد بكل ثقة : أكيد الشرطة لا تمل .. قد يتوقف التحقيق فترة حتى تظهر أدلة جديدة فيفتح التحقيق ثانية ..فالجرائم تبقى مفتوحة حتى يعرف المجرم وتغلق القضية .. فقدموا لنا المعلومات التي لاحظتموها تلك الأيام فستساعدنا في إنهاء القضية .. هل تعرفين شيئا قد نسيت ذكره في التحقيق القديم ؟

لزمت الصمت فقال العقيد : ليلة الحادث بين الخامسة والثامنة كيف قضيت تلك الساعات ؟

ـ تلك ليلة لا تنسى ؛ لأن الجريمة اكتشفت بعد الحادث بساعة أو أكثر كما سمعت .. صعدنا لشقتنا بعد ساعات العمل في الفرن الأرضي قصدي مكان الغسيل والكوي .. ثم ذهبنا للعشاء عندما قرع الجرس ، وأخذنا حظنا من الطعام ، وتركت أسرتي بعد أكل لقيمات إلى صالة السهر وقد تبعاني بعد قليل وشربت كولا لا خمر هنا ، وتركتهما لغرفة التدخين .. فالتدخين ممنوع في قاعة

الطعام وقاعة السهر واللهو ، وأخذت علبة كولا ثانية ، ووجدت عددا من المدخنين ،
فجلست أدخن بينهم وأشرب الكولا .
ـ هل كان الكثير معك في غرفة التدخين ؟
ـ ليس الكثير عندما دخلت رأيت أحد السواقين يغادر الغرفة فجلست مكانه .. أذكر أن ثلاثة كانوا حينئذ يدخنون ويشربون البيبسي .. أحد الطهاة منهم .. ثم بقيت وحدي بعد خروج الثلاثة ، وظللت أدخن حتى سمعت بخبر موت السيد ، وانقلب القصر رأسا على عقب .. هناك من يبكي ويولول .. وهناك من يرتجف كأن البرد يغمره .. وهناك الصامت الجامد .. هذا في الصالة بعدما تركت الغرفة على أثر سماع الضجة ..وبعدها مشيت لشقتنا في القصر ، فوجدت والديّ يبكيان للخبر وعلى السيد . فقال لي : مات المحسن إليك أرأيت لقد قتلوه ؟ فمسحت دمعة سقطت ربما رغم أنفي .. لم أحب السيد مطلقا ..وكنت أراه سجانا لنا .. كان يمنعنا من إدخال الخمر والمخدرات للقصر.. أليست هي حياتنا ؟ لم أحبه ، وكان يكثر كلما يراني بتهديدي بطردي من القصر ورمي في الشارع ؛ كأنني عبدة عنده .. لولا دموع والديّ فيشفق عليهما ويصبر ، وكذلك رغبة السيد ببقائهما حتى يحق لهما التقاعد ويضمنان راتب الضمان الاجتماعي .. وذكرت ذلك في التحقيق القديم .. وكل العمال هنا كبار في السن سوى بعض الأطفال الذين ولدو متأخرين
ـ ألم تصعدي إلى الطابق الثالث تلك الليلة ؟
فردت بسرعة ضاحكة : لا يسمح لنا بالتواجد في الطابق الثالث ، لا يسمح إلا لخدم الطابق الثالث .. فالطابق الثالث للسيد وضيوفه .. والطوابق في الليل تغلق فنصبح في سجن فعلي يا سيدي المحقق ..ألا تريد منا أن نكرهه ؟
ـ ولكنك أتيت عن طيب خاطر ، لم يجبرك أحد بالعمل هنا حسب أقوالك ابتداء أم نسيت ؟
ـ كان والديّ قد ضغطا عليّ وعلى السيد ليقبل بعملي معهم، فرضخت ولكني ضجرت بسرعة وندمت .
ـ ألا ترغبين بذكر أسماء رفاقك هنا ؟
ـ ومن أين ستأتي المخدرات ؟
ـ سنعالجك كما وعدتك .
ـ لست بحاجة لعلاجكم ، ولا أستطيع إفشاء الأسماء ذلك يعني قتلي .
فقال مالح متدخلا : وأنت تقتلين نفسك وغيرك بالمخدرات .
فلزمت الصمت ، فأشار لها الضابط بالانصراف ، فلما انصرفت قال حاتم : لابد من السماح بالخروج كالمعتاد لن نمنع ذلك مع الرقابة عليها لمعرفة مع من تلتقي في الخارج ، فقد ذكر الحرس والسكرتيرة

والسكرتير تعاطيها للمخدرات ومحاولة إدخالها للقصر في كل مرة تتأخر فيها عن المجيء للقصر .. علينا أن نعرف يا مالح أثناء فترة علاجها في مركز العلاج مع من كانت تجلس وتتعالج .. فأسماؤهم معروفة في مركز العلاج ، وعلينا مراقبة اتصالاتها بالخارج فهي وإن كانت مدمنة فهي خطيرة وتعي بماذا تتكلم ؟ رغم أنهم اشتبهوا بها في التحقيق الأول ولكنهم لم يتابعوها بشكل جيد ، فرغم بساطتها فهي تشكل خطرا حقيقيا في نظري أيها السادة طبعا يبدو أن لا مصلحة لها في قتل الرجل حتى الآن ؛ لأننا لم نحدد هدف وغاية الجريمة .. الدافع لهذا الاغتيال .. ومن السهل تجنيدها من أجل الحصول على المخدرات والزنا أو التجسس على أهل القصر فهي متعلمة في الجامعة .. ولابد أن لها معرفة بالإنجليزية اللغة السائدة بين أغلب الأفراد الموجودين هنا .

قال مالح : كلامك معقول يا سيدي العقيد ! سنوليها اهتماما أكثر فالذي يتعاطى المخدرات يسهل السيطرة عليه واستغلاله .. وهو مستعد لكل شيء من أجلها .. فهي في نظري فتاة خطرة رغم ما يبدو عليها من تعب وهم ويأس وبؤس .

فقال ضابط الدائرة المرافق لهم : سأهتم بمتابعتها ، وأتحدث مع مدير المكافحة في المنطقة ، سنجد لديهم معلومات عنها ما دام قد قبض عليها في دور دعارة وملاهي . انتهت حلقة الجزء ١٥

قصص وحكايات الفوارس

جبل بن مجدو ٢

جبل الرعب

وما مضت عدة ليال على رحيل الأميرة ؛فإذا ثعلبون يدخل قصر الملك أحمد وهو في حالة يرثى لها دامي الجسد ممزق الثياب ، وروى لهم الحكاية والمأساة فقال بعين دامعة : بعدما قطعنا مسافة طويلة من الأرض أيها الكرام ، وذات نهار ونحن نقطع واديا للمبيت في أحد الكهوف بعد أن تبين لنا أننا لن نستطيع الوصول لقرية أو مدينة ذلك المساء نبات فيها ، فخرجت علينا عصابة من المجرمين يزيد عددهم عن الأربعين ، وحدثت



بيننا وبينهم معركة يشيب لها الصغار ، فقتلنا منهم مقتلة عظيمة ؛ ولكن عددهم تغلب على قوتنا وشجاعتنا ، فلما رأيت فرسان الملك سقطوا قتلى ، ورأيت هزبرا سقط مضرجا بدمه ، فعولت على الهرب لأخبركم ، فهربت ووقعت الأميرة وجواريها وغلمانها أسرى في قبضة العصابة ، ولما

اشتد الظلام عدت لمكان المعركة أبحث عن جرحى ، ولأخذ جثة صديقي هزبر لدفنها ، فلم أجد حيا منهم إلا هزبرا ، وبه جرح عميق ، فتقهقرت به للوراء حتى وصلت حصاني ، وسرت به إلى إحدى القرى وأشرفت على تضميد جراحه ومواساته ، وجئت إليكم أيها السادة للقيام بالواجب .

فنهض جبل وعانق ثعلبون عناقا حارا ، ثم قال بغضبه المعروف به أثناء قتاله لرجال الضبع : أقسم بالله العظيم أمامكم أيها الأسياد ! لأقلبنّ الأرض شبرا شبرا حتى أجد الأميرة حظوظ بنت شامة ، ولسوف يرى هؤلاء اللصوص الأوغاد يوما لم يشهدوا له مثيلا في حياتهم الماضية من جبل بن مجدو الساحر .. قاهر الملك الضبع .. في الصباح الباكر تكون قد استرحت أيها الفارس واستعدتت للمعركة .

وعرض عليه الملك أن يرسل معه جيشا صغيرا فأبى وقال : سأذهب وحدي يا مولاي وبرفقتي ثعلبون فقط ليدلني على مكان المعركة .

وفي الصباح الباكر تجهز الفارس جبل جهازا حربيا كاملا ، وتحرك معه الفارس ثعلبون للبحث عن الأميرة المفقودة التي تركت أثرا لا ينسى في قلب الأمير جبل يوم أغمي عليها مرتين عند العشاء في قصر الأمير خالد .

وتفقد الفارسان في طريقهما الجريح هزبرا ، وأوصوا به الفلاحين خيرا ، ووعدوهم بحسن النوال ، وتابعوا المسير الليل بالنهار حتى هبطا الوادي الذي جرت به المعركة ، وبينما هما يسيران في ظلمة الليل وقد اقتربا من غدير ماء ليشربا وتشرب خيولهما سمعا صوتا خلفهما فأخذا حذرهما ؛ فإذا هم برجال ثلاثة على ظهور خيولهم يقولون : من الرجال ؟!

فقال جبل : عابرو سبيل .. من القوم ؟ !.

فقال أحد الرجال وفي نبرة صوته تهكما واضحا : عجبت لكما أيها الفارسان ! كيف تدخلان وادي الرعب ؟ هذا وادي الزعيم الهائل السبع العادي

فقال جبل متجاهلا الاسم : لقد فقدنا منذ أيام قافلة في هذا الوادي ، لعلكم أنتم ممن اعترضها أيها الرجال ؟!

فقال آخر في صوت فيه تهكم وسخرية : أأنتم قادمون للبحث عن القافلة والأسيرة التي تدعي أنها أميرة وأخت ملك ؟!

فقال جبل بهدوء تام : نعم أيها الرجال .. ومن هو هذا الزعيم الهائل الذي ذكرتم اسمه قبل قليل ؟!

فقال أحدهم : أتحب أن تراه أيها الفارس ؟!

فقال جبل متهكما : أرغب برؤية هذا الصنديد

وعناقه .. فأنا الفارس المشهور بابن الخباز .. جبل بن مجدو .. أتمنى أن أرى سيد هذا الوادي .
فصاح أحدهم وهو يضحك : لقد سمعنا بهذا الاسم ..فسيدي كله شوق للقياك أيها الجبل .. فاتبعاني ولا تحاولا الفرار والهرب .
فقال جبل ساخرا : ولمَ الهرب ؟! ونحن بحاجة لنرى زعيمكم .. وكلي شوق لرؤية هذا الضرغام الهائل .. سيد هذا الوادي !
ومشى الخيال أمامهم ، وتبعه جبل وثعلبون ، وخلفهما الرجلان الآخران ، وفجأة حاولوا الغدر بهما وإسقاطهما عن جواديهما ، فسقط ثعلبون عندما عقر أحدهم جواده ، وقبل أن يعقر الثاني جواد جبل كان جبل قد فتك به والحق به آخر ، وانقض بسرعة على الأول المذهول وأوثقه بالقيود ، وتمت هذه الحركات بسرعة أدهشت ثعلبون والأسير الذي رفعاه على الجواد مكبلا ، واعتلى ثعلبون أحد الأفراس ، وتركوا الخالية تسير أمامهم حتى وصلت إلى منحدر فاستدارت لتصعده ، وبدأت رحلة الصعود في الجبل ، وبعد مسير خلف الفرس الخالية التي سارت أمامهم ، وصلوا نحو كهف واسع ،كانت مشاعل النار تجعل ليله نهارا ، وكان فيه رجال يأكلون ويقهقهون ، ويملأ صوتهم وصياحهم الجبل الهادئ في ذلك الظلام ، فلما اقتربوا من الكهف سمعوا من يقول بصوت عال : لقد عاد الرجال يا أبا الأسود !
ولكنهم لما شاهدوا رجلهم مقيدا على ظهر الفرس أدركوا أن الرجلين الذين معه ليسوا صاحبيهم ، فنهضوا عن الطعام مسرعين ، وقد استلوا سيوفهم من أغمادها ، وبعضهم استل خنجره ، لقد كانت مفاجأة لهم أن يقتحم عرينهم غريب ، وظل زعيمهم أبو الأسود جالسا حول المائدة يأكل الطعام غير مكترث لما يحدث في الكهف الواسع ، فنزل جبل عن حصانه ، واقترب منهم وهو يقول بصوت قوي مهيب : أيها السبع العادي ! .. أنا جبل بن مجدو المعروف بابن الخباز .. قاهر الملك الضبع إذا لم تكن تعرفني وتسمع بي .. جئت إليك أطلب الأميرة المخطوفة منذ أيام .. ابنة الملك شامة وقد سمعتم ما قلت !
فهاج رجال السبع وارتفع صياحهم ، وترك السبع العادي الطعام ، فناوله أحدهم منديلا فأخذ يمسح به يديه وفمه ، وقد أشار لرجاله بالصمت ، وقال مخاطبا رجاله : حلوا وثاق رجلنا .
فتقدم اثنان منهما وحلا الأسير المكبل ، ثم نظر الزعيم إلى جبل باحتقار وقال : اسمك جبل بن مجدو .. وضحك ضحكا مدويا ثم قال مخاطبا الأسير : ما الأمر يا جبان ؟
فقال الرجل الذي حل وثاقه ، وقد ملأ الخوف

والجبن قلبه من السبع العادي سيد هذا الوادي : يا سيدي !! كنا نتفقد الوادي كالعادة ، ولما مررنا بالغدير وجدنا هذين الرجلين ، وحاولنا الفتك بهما ؛ ولكنهما كانوا أسرع منا ، فقتلوا صاحبيّ وأسروني ، وتركوا الفرس تقودهم لهذا المكان .

فعندئذ أشار السبع العادي لأحد رجاله إشارة ، فأغمد على أثرها خنجره في صدر الرجل على الفور ، وحينئذ قال جبل بهدوء يتخلله انفعال مكبوت : أيها الرجل مرة أخرى أقول لك أنا جبل .. ابن الخباز قاهر الملك الضبع ورجاله .. لا تخيفني حركاتك أيها المغرور وقتلك لهؤلاء الناس .. أريد الأميرة المخطوفة .. أين ذهبت بها ؟! أين أخفيتها ؟ لابد أنها ذكرتني لك واحتمت باسمي ؟

فأخذ السبع العادي بالضحك العالي والقهقهة ، وما كاد يفيق من ضحكه حتى كان جبل يضع السيف على عنقه وينخزه فيه ، وهو طريح الأرض كالثور المذبوح ، وجبل يصيح : حركة واحدة من رجالك أغمد السيف في عنقك وأقتلك أيها الغدار كانت مفاجأة مذهلة لجميع من كان في الكهف وفعلة سريعة ، وصاح جبل مرة أخرى : ابتعدوا أيها الأنذال !!

وكان ثعلبون المدهوش كالآخرين قد اقترب من جبل وهو مشهر سيفه ومستعد للعراك فقال جبل : أيها الزعيم أين أرسلت الأميرة ؟.

فقال السبع العادي بصوت مبحوح وغضب حاد وعيون يقدح منها الشرر : لا أدري أيها الحقير وقبل أن يكمل سيل شتائمه طعنه جبل طعنة نجلاء ، وهجم على رجاله بسرعة البرق قبل أن يفيقوا من الصدمة ، وهم كانوا في دهشة وصدمة مما يجري ، وفعل ثعلبون مثل صاحبه ، ولم تكن سوى سويعة من الزمن حتى قُتل عدد منهم ، وهرب آخرون ، وسقط آخرون جرحى يئنون من الألم ، وعانق ثعلبون جبلا وهو يضع سيفه في غمده وهو يقول بانبهار وعجب : والله إنك ـ يا جبل ـ رجل شديد ، لقد سيطرت على الموقف بسرعة .. وأقر لك بأنك أشجع الشجعان !!

فابتسم جبل قائلا : كان لابد من السرعة مع هؤلاء الوحوش ، فهؤلاء ليسوا شجعانا كمل يخيل إليك بل هم جبناء ؛ ولكن كثرتهم تساعدهم في مثل هذا الوادي البهيم فيتظاهرون بالشجاعة .. إنما الشجاعة في الحرب في لقاء الأبطال والفرسان وجها لوجه .

واقترب من بعض الجرحى وقال بقوة : أين الأميرة ؟

فما كان منهم إلا أن أقروا بأنهم اعترضوا القافلة المذكورة ، وفتكوا برجالها ونقلوا الأميرة ومن

معها إلى قصر قلعة الجبل أو جبل الخوف ، كما يسمونه ويسميه الناس ، ويوجد القصر في وسط الوادي على قمة جبل عال ، وكان الزعيم يستعد للذهاب إلى القصر ، وأن هذا الكهف وكر من أوكار العصابة المنتشرة في هذه الجبال ، فطلب جبل من صاحبه إحضار الأموال الموجودة داخل الكهف ؛ ولكن أحد الجرحى اللصوص قال : أيها الفارس لا يوجد شيء هنا كل الأموال في قصر الزعيم .

فنظر إليه جبل لحظات وقال : ابحث يا ثعلبون لنرى صدق القائل .

فتناول ثعلبون مشعلا واندفع إلى جوف الكهف ، وفي حفرة داخل جدران الكهف عثر على صندوق صغير ، فعاد يقول : هذا صندوق الأميرة على ما أظن يا أمير جبل .

فقال جبل وهو يتأمله : نعم لقد أهدته لها الأميرة رشاء .

ثم طعن الرجل الكاذب فأرداه قتيلا وقال : ثعلبون العزيز لنأخذ أسيرين يقودوننا إلى القصر وانظر أخفهم إصابة وكبلهما ولنرفعهما على جوادين .

وقال الفارس مخاطبا الجرحى : سيأتي قومكم لمساعدتكم أيها الجبناء إن كانوا يهتمون بكم وبحياتكم .

وقد حاول الرجلان اللذان وقع الاختيار عليهما التنصل من مهمة الإرشاد والدلالة ، فقال جبل بقوته التي شاهداها منذ ساعة : ليس أمامكما إلا أن ترشدانا أو الموت .

فتلاقت عيون الجريحين ثم أحنيا رأسيهما بالموافقة والطاعة ، ونزلوا إلى الوادي المخيف ، وكان الفجر قد ملأ المكان بنوره الوضاح ، ولما استقروا في منبسط الوادي سمعوا صوت خيول

تتراكض باتجاههم ، فقال جبل لصاحبه : كأنهم لملموا جراحاتهم .

واقتربت الفرسان منهم فاستل الفارسان سيفيهما ، وصاح جبل كالأسد الرئبال : ماذا تريدون الثأر .. لابد أنه قد صعب عليكم العيش بعد موت كبيركم المأفون .. مجرم لص قاطع طريق يضحك على نفسه وعليكم مسميا نفسه السبع العادي .. وما هو بسبع ؟!.. فالأحق أن يقال الكلب العادي .

فرد أحدهم ساخطا : جئنا لنثأر لزعيمنا الكبير أيها النذل الحقير .

وأشار لفرسانه بالهجوم ، فتلقى جبل اندفاعهم ، وكان الأمير ثعلبون يحمي ظهره ، ثم أغمد جبل سيفه ونازلهم بالرمح ، فمن لمسه سنان الرمح جندله عن جواده صريعا أو جريحا ، في الحق إن جبلا كان جبلا لا يخشى الموت ولا يهابه ، ويعلم

أن المنية إذا جاءت تهيأت أسبابها ، وحروبه مع ولاة الضبع على بلاد الدب كما يعلم القراء أكسبته خبرة وقوة قلب وشجاعة يعرفها القراء لهذه القصة ، فما مضت ساعة من الوقت حتى فتك بأكثرهم والباقي جرحى مطروحين أرضا يئنون من ألم الجراح فقال ثعلبون فرحا ومعجبا : لله درك يا جبل ! إنك والله لسيد الفرسان .. قد قُد قلبك من الصوان .. مع أنني شاهدت كل معاركك مع رجال الضبع وفرسانه ؛ ولكنك هذا الليل أثبت أنك فارس الفرسان ، وأنك نادر المثال في هذا الزمان .. فهؤلاء المجرمون يـقذفون الرعب في أقوى الرجال الأشداء ..أيام قتالنا للضبع كنت تقاتل ومعك الفرسان والرجال ، أما هنا فإنك تقاتل وحدك .. أين هزبر ليراك يا سيدي الفارس ؟!

فقال جبل مبتسما : أشكرك يا صاحبي على هذا الثناء ، ولا تنسى أنك معي .

وتابعوا المسير نحو قصر السبع العادي في الجبل المخيف أو جبل الخوف كما يسميه رجال السبع وبعد ساعات من المشي وصلوا لدرب يصعد بهم إلى جبل الرعب أو الخوف ؛ فإذا هو جبل عملاق يصل إلى عنان السماء ، فقال أحد الأسيرين : أترى هذا الجبل العالي يا سيدي الفارس ؟! فعلى قمته الشامخة قلعة وقصر الزعيم المقتول .

فقال جبل وهو يقفز عن حصانه : ثعلبون العزيز .. فك أحد الأسيرين .. ليذهب إلى أعلى وحده ويرسل لنا الفتاة وجواريها وغلمانها وأموالها .. وسيد الجبل الجديد لنتفاهم ونتفق .

ففك ثعلبون أحد الرجلين الذي قال : يا سيدي الفارس ! لا أستطيع الصعود يقتلني الحراس

فرد جبل باسما : اذكر لهم مقتل سيدهم السبع ومقتل الفرسان الذين أرسلوهم للتخلص منا وأعلمهم أنني لن أتخلى عن الأميرة ، ولن أعدم حيلة في الوصول إلى أعلى الجبل ولو كانوا ألف مجرم ولو مكثت هنا مائة سنة .. وكل من يهبط أفتك به .. هيا اصعد ولا تتأخروا في الرد

فقال الرجل مستسلما : سأحمل رسالتك يا سيدي الفارس وأرجو أن أبقى على قيد الحياة .

فقال جبل : قل لهم إن الأمير جبل بن مجدو أمنني على حياتي ، وتأكد أنهم لن يمسوا شعرة منك انطلق أيها الرجل ولا تخف .

واعتلى المصاب الجواد ، وصعد المنحدر حتى وصل لرجال القلعة ، ونقل لهم رسالة الفارس جبل بن مجدو ، وما حين مضى حتى كان رجل كبير الجثة أعرج اليمين ومعه بعض الرجال ينحدرون ويتقدمون على بغال وخيول نحو الفارسين ، وهم يرفعون راية بيضاء إشارة للسلام ولما رآهم الفارسان اعتلوا ظهر جيادهم حذرا من

الغدر ، وبعد التحية والسلام ، قال الرجل ذو الجثة الضخمة الأعرج وهو على ظهر البغلة : أيها الفارس !!.. نقر لك بالهزيمة ولم تر عيوننا مثلك .. لقد حدثنا صاحبنا عنك وعن قوتك الهائلة وجسارتك .. وقد حدثنا رجالنا الهاربون قتلك لزعيمنا السبع العادي وعن معركة المغارة .. والأميرة آتية ورائي معززة مكرمة ، ونحن نعتذر عن الأذى والإزعاج اللذين سببنهما لكم .. ونعتذر عن القتلى الذين قتلناهم من رجال الملك أحمد بن خالد ..وسنذكر اسمك كثيرا ، ولن ننساه أبدا ؛ ولكن لنا شرط واحد نود الموافقة عليه .

فقال ثعلبون : شرط .. يا ترى ما شرطكم ؟!

فرد الرجل المفاوض الضخم : شرطنا الوحيد أن لا تعودوا مرة أخرى لهذا الوادي .

فأخذ الفارس جبل يمشط لحيته بيده ، وهو يفكر بطلب العصابة ، ثم قال بقوة : أيها الرجل كلامك مقبول ، وسأنسى الآن اعتداءكم على الناس وظلمكم للناس ، وسأصفح عن قتلكم رجالنا ، فقد أخذنا بعض ثأرنا ..ولن أقبل شرطكم الوحيد كما تقول إلا عندما أرى الأميرة ومن معها ، ويا ويلكم من ابن الخباز مجدو الساحر إن أصابها سوء ، وأرجو ألا أعود إليكم في يوم من الأيام .. وإن عدت إلى هذا المكان ثانية فاعلموا أنني سأدمر هذه القلعة عن بكرة أبيها وإن وقع أحد الناس ممن يخصني أمرهم بين أيديكم فاعفو عنهم من غير تردد ، ولا تأخير بل أكرموهم ؛ لأنني والله العظيم إذا جئت أيها الرجل إلى هذا الوادي لن أرحمكم البتة ..هذا مطلبي .. هل علمتم ؟

كان جبل يتكلم والشرر يتطاير من عينه ، فقال سيدهم الجديد : لقد علمنا من هو جبل بن مجدو !.. اطمئن من احتمى باسمك أو أرسلت رسولا من طرفك إلينا من أجله سترى منا ما يسرك ، لن ندفعك للمجيء إلينا ، فنحن بعد هذه المعارك حريصون على صداقتك ورضاك أيها الفارس الشجاع !

جبل بن مجدو



نجاة الأميرة

وقف الجميع صامتين وعلى حذر شديد حتى هبطت الأميرة حظوظ وهي مصفرة الوجه باكية العيون ، وخلفها جواريها وخدمها وغلمانها ، فقال الزعيم الأعرج : ها هي الأميرة أيها الشجاع لم تمس بسوء !

فلما شاهدت الأميرة الفارس جبلا وتيقنت شحصه ردت إليها الحياة ، وأجهشت بالبكاء

بصوت مسموع ، لقد كانت تظن أنهم ينقلونها إلى مكان آخر ، فلما بكت تمزق قلب جبل ، ونزل عن جواده ، واقترب نحوها وهو يقود الجواد بيده فقالت : أنت !!

فقال الأمير جبل بحزن : نعم أنا أيتها الأميرة .

فعادت تقول بقلب دامع حزين : أنت يا سيدي الفارس الذي أنقذني من الموت والعار !!

فقال وهو يرنو إليها بعينيه : لا عليك أيتها الأميرة الكريمة .. الحمد لله على سلامتك ونجاتك من هؤلاء الوحوش ..ودفع إليها منديلا صغيرا تمسح به دموعها قائلا : خذي هذا امسحي به هذه الدموع .. وما أنا إلا خادمك الأمين يا ابنة الأكابر فأخذت منديل الفارس بأيد ترتعش تمسح دموعها وتقول : أنت خادمي الأمين ! .. بل أنا خادمتك يا سيدي الفارس .. ما أدري ما أقول لك ؟!

فقال جبل : لا شيء .. أنا قمت بواجبي نحو أميرة من بلادي ، وقد أكلت من طعامها اللذيذ

وهنا ارتفع صوت زعيم العصابة قائلا : أيها الشجاع هل انتهى ما بيننا ؟

فالتفت إليه جبل ورد قائلا : أشكرك على حسن تعاونك .. وودت لو علمت اسمك لعلنا نلتقي في يوم من الأيام القادمة .

فرد الرجل بجفاء : سننسى ما فعلت بنا أيها الشجاع ، ولا حاجة لك بـمعرفتي .. انصرف راشدا وعلى ما اتفقنا عليه .

فقال جبل متهكما : أشكرك مرة أخرى .. أرجو منك أيها الرجل العاقل أن تتوب وتئوب وأن تدع الإجرام .

فصاح الرجل كأنه لم تعجبه النصيحة بالتوبة والأوبة : لا تنسى شرطنا أيها الشجاع ؟

رد جبل فقال : علمت .. ولكن لي كلام أخير قبل الفراق .

وهنا قالت الأميرة لجبل : أيها الأمير .

فالتفت إليها وقال : هل من شيء أيتها الأميرة ؟؟

قالت بلهفة : سيدي الأمير ! إنني مدينة لك بحياتي وشرفي وحريتي .. ولكن هناك كثيرا من المظلومين في قصر هؤلاء الوحوش يتوقون للحرية مثلي .. لعلك تكمل إحسانك يا سيدي الفارس إليهم .

فسمع رجل العصابة مطلب الأميرة واستوعبه فقال : أيها الشجاع ! انصرف راشدا ودعك من الآخرين .

فقال جبل وهو يحدق النظر فيه : أيها الرجل العاقل !.. لقد سمعت قول الأميرة أخت الملك سليل بن شامة سيد وملك بلاد الدب القطبي .

فقال الرجل وهو مقهور : أيها الشجاع .. انصرف ودع الناس .. الصبر له نهاية .

فقال جبل بغضب : ويحك!! .. وهؤلاء المظلومون الذين بين أيديكم ، وقد تشفعت فيهم الأميرة ، وقد ذكروا أمامي ، هل أتخلى عن إنقاذهم ؟! ماذا يقول الناس عن الفارس جبل بن مجدو ابن الخباز نصير الضعفاء ؟!

فقال الرجل الأعرج بصوت خشن : ها هي الأميرة لم تمس بسوء أو أذى ..فاذهب بها سريعا قبل أن يثور غضبي .. وبيننا دم الزعيم !

مشى جبل بقوة نحو الرجل وهو يقول بحدة شديدة : يبدو أنك بعد لم تعرف الفارس جبلا .

وقبل أن ينهي كلامه كان قدامه ، وقفز قفزة خاطفة محكمة وسريعة ، وأغمد خنجره بصدر الأعرج فطرحه أرضا يتلوى ، وهو يصيح حانقا : أيها الأوغاد .. إنكم تجهلون الفارس ابن مجدو .. لا رحمة لكم .

فصاح الرجل المطعون صيحة وهو يخر للأرض صريعا ، وهرب رجاله كالأرانب ، فصاح فيهم جبل : إذا أقبل الليل ولم ينزل المظلومون فاعتبروا أنفسكم أمواتا أو تقتلونني ..

وسمع الجميع في هذه اللحظة قول الرجل المطعون : غدرت بي أيها الخائن ؟!

فالتفت إليه جبل وصاح قائلا : أوه .. لم تمت بعد ! وهل أنتم أشراف ؟!حتى أعاملكم بالشرف أيها الحقير .. تسلبون الناس وتقطعون السبيل فايّ شرف لكم ..!!

ثم صاح برجاله : تعالوا خذوه .. فهو لم يمت بعد .. إنه يلبس درعا تحت ثيابه .. ونفذوا ما أمرتكم به ، ويا ويلكم إن صعدت إليكم ..

فعاد الرجال وحملوا الجريح بين أيديهم وهم يرتجفون خوفا ورعبا ، وعندما مروا من جوار الفارس حاول أحدهم الغدر به ؛ فإذا هو بقبضة الفارس ، ولم يمهله ثوان يلتقط فيها نفسه بل قتله على الفور ، فدب الخوف والرعب في قلوب هؤلاء العتاة من المجرمين ، وصعدوا بصاحبهم الجريح كأنه عفريت حل بينهم ، وحل وثاق اللص الذي ساقوه معهم من الكهف الذي قتل فيه السبع العادي وأمروه بأخذ جثة صاحبه ، وقبل غروب الشمس هبط الأسرى من قلعة الجبل ، وهم يلهجون بالدعاء للأميرة والفارسين ، وصافحوا الفارس وشكروه فقال لهم : اشكروا الله العظيم الذي سخرني للمجيء هنا .. هل ظل من أحد في قبضتهم أيها الناس ؟

فأجابه أحدهم قائلا : لقد أمر زعيمهم لهب الليل الزعيم الجديد أحد رجاله أن يصيح في القلعة مناديا بحرية كل من فيها كرامة للأمير الفارس ابن مجدو الساحر .

فكانت النساء المحررات يبكين من الفرح ، والرجال يعانقون الفارسين بسعادة ، ويثنون على

الأميرة الثناء الدافئ ، ولما رأى جبل كثرة الأسرى أرسل عددا منهم إلى القصر يطلبون الطعام والدواب ، وأمر بعض الناس بإشعال النيران لصباح الغد للخروج من هذه الجبال العالية ومن هذا الوادي المخيف ، وقد جلس الفارس بالقرب من الأميرة وبجواره ثعلبون بعد أن هدأت عواطف الناس نحوه ، وقد أمر بعضهم بالحراسة حذرا من غدر هؤلاء المجرمين .

وكانت الأميرة تجلس على صخرة ، ووضعت أمامها نار من الحطب ، وجلس الفارسان قربها وكل منهما يمسك بمقود جواده ، وكانت الأميرة تشعر في هذا المكان وهذا الوادي المخيف بحب جارف لهذا الفارس الشاب الذي يجلس قريبا منها كالحارس الأمين ، وهو الذي ملأ قلوب هؤلاء الغلاظ الأفئدة رعبا ، وهو الذي قهر جيوش الضبع ، وهو الذي قتل الوحش المسمى السبع العادي وهو .. وهو .. لقد كانت مبهورة بشبابه وقوته ، وهو الفتى الذي لا يخشى الموت ولا يهابه ، وكأن الشجاعة مجسمة فيه ، لقد سمعت ورأت رجال العصابة يتحدثون عنه برعب قبل أن يهبطوا بها .. فلما أخذ بالحديث معها تشجعت وعرضت نفسها عليه زوجة ، وأن يكون لها سيدا وبعلا ، فسر جبل لصراحتها واعتبر هذا شجاعة أكبر وأعظم من شجاعته ؛ ولكنه قال : أنا سعيد بك أيتها الأميرة ؛ وليس لي إلا أن أقول إنني أعدك إذا فكرت بالزواج يوما من الأيام سأفكر فيك .. ومع ذلك لا ألزمك بانتظاري ..فإن يسر الله لك زوجا صالحا فاقدمي ولا تترددي .. فأنا فارس جوال ، لا أفكر بالاستقرار في بلادنا .. فلم يعد لي مقام فيها .. وعندما تصلين أهلك بسلام ستعرفين الأسباب لذلك .. ولكني سأقاتل عنها الملك الضبع إلى آخر لحظة من حياتي .. ولسوف أعود لبلاد الملك أحمد بن خالد وأساعد الملك أسعد في استرداد ملكه المسلوب في بلاد الشرق .

فقالت الأميرة المبهورة بالشجاعة التي كونها جبل في كيانها : سوف انتظرك ما دام بي عرق ينبض .. أيها البطل .

فرد قائلا وهو متأثر من عواطفها لشخصه : قد يطول الانتظار يا مولاتي .. وتذكري دائما ما أنا إلا ابن خباز في مدينتكم العامرة .

فردت غاضبة : أيها الأمير .. أنت لم تعد خبازا ولا ابن خباز .. بل أنت سيد الفرسان وأميرها

فقال : كفاك مدحا أيتها الأميرة !! أنت في حل من الوعد .. وإذا فكرت يوما بالارتباط بأنثى سوف أفكر فيك .. هذا وعد مني .. هذا إذا وجدتك عزباء في ذلك اليوم .. ولكني استحلفك بالله العلي العظيم إنك إذا وجدت الكفء من الرجال فانكحيه ، ويكفيني ما سمعت من مشاعرك

الطيبة نحوي.. فحياتي أيتها الأميرة منذ قتل أبي على يد رجال الغضبان الخيل والموت والقتال .

وكان هذا الحوار الدافئ يجري على مسامع الأمير ثعلبون ، فعندما وصل الحوار بين الأميرة والفارس جبل إلى هنا قال ثعلبون معجبا بأخلاق صديقه : أيها البطل لم أعرفك حق المعرفة إلا هذه الأيام !!.. عندما رأيت حزنك على الأميرة وهي جارية في قصر الأميرة رشاء .. ظننت أنها وقعت من نفسك موقعا حسنا ، فقلت لنفسي بأن الفارس عشق وأحب الجارية .

فقطع جبل استرسال ثعلبون فقال : صدقت أنا ظننت نفسي أنني قد عشقت الأميرة ؛ ولكن النساء لم تستقر في وجداني بعد ؛ وإن أخذت الأميرة منه موقعا حسنا .

فقالت الأميرة : كل فتاة تتمناك أيها الفارس لعلها تنجب منك بطلا صنديدا مثلك ، لا يهزه الرعب والخوف ، فحب الشجاعة طبع فطري .. على كل حال سرتني معرفتك والحديث مع فارس مثلك ، وإن كنت أتمنى أن تعود معي للوطن ؛ ولكن يبدو من كلامك أنني سأعود إلى بلادي مع فرسانك .

فقال جبل : لقد أصيب هزبر وهو يتداوى ونسأل الله له الشفاء.

وأتت الخيول والبغال والحمير والطعام ، وفي الصباح الباكر ركب عليها الناس وساقهم إلى مدينة اللؤلؤ ، وقد مروا على هزبر الجريح وحملوه معهم ، وكان جبل قد أرسل بشيرا للملك أحمد الذي خرج بنفسه للترحيب بهم جميعا ، وقد سر من شجاعة الفارسين ، وهنأ الأميرة بنجاتها وسلامتها ، وتمنى للفارس هزبر العافية ، وطلب من طبيبه الخاص بالإشراف على مداواته ، وبعد أيام انطلق الأسرى لبلادهم ، وجهز الملك الأميرة مرة أخرى وأرسل معها مائة فارس على رأسهم ثعلبون لتصل لبلادها سالمة ، ونصحهم بالسير بين المدن والقرى واجتناب الوديان والغابات والأماكن المجهولة ، وفي أقل من شهرين عاد الفرسان من مدينة الدب التي غمرتها الأفراح والسعادة بعودة الأميرة المفقودة حظوظ ، وتمنوا عودة الأمير حريف ، ولقد علم القاصي والداني بدور الفارس جبل بإنقاذ الأميرة من براثن السبع العادي ورجاله ، فأصبح جبل في نظرهم فارس الدنيا الأوحد ، وازداد إعجاب الأميرة به أكثر عندما أخبرتها أمها بما صنع جبل لهذه المدينة ومعاركه الشرسة مع رجال الحامية ، وأخبرتها أمها عن تنازله عن حكم البلاد لما رجع أخوها الملك سليل ، وازدادت الأم به إعجابا وحبا عندما روت لها حظوظ ما فعله جبل برجال العصابة ، وأنه اعتذر عن الزواج منها في الوقت الحالي لتجزيه بعض ما قدم لها من الخير والمعروف ،

فقالت الأم متأثرة غاية التأثر :إنه لرجل والرجال قليل لـقد أعاد لنا الملك والسلطنة وقوى جند المدينة وأسوارها وأبراجها وفعل لك ما فعل ولم يأخذ شيئا .. ليته تزوجك يا ابنتي ! لقد أحببت هذا الفارس رغم أنني لم أره بعد ..فهو يستحق كل خير ويقول أخوك الملك في حقه إن الأمير جبلا لم يترك البلاد إلا خوفا من انقسام الأمة ، فكثير ممن حارب وقاتل معه يعشقونه ويحبونه حتى الموت يا ابنتي العزيزة فنعم الفارس جبل !!

عودة ملك

لما اقترب الربيع على مدينة اللؤلؤ الجميلة ، زاد الفارسان من تدريب وتمرين الرجال الهاربين من مدينة الشرق استعدادا للمعركة القادمة ، فلما أشرف فصل الربيع على الوداع كان جبل وثعلبون وهزبر الذي تعافى من جراحه قد أعدوا ما يزيد عن ألف متدرب ، وقد درب عدد منهم على ركوب الخيل ، فكون جبل منهم سرية فرسان ، وتهيأت رجال وفرسان الشرق للقتال واسترداد ملك الملك الصغير أسعد ، وكانت العيون قد نشطت في نقل أخبار المدينتين وأمر الملك أحمد ابنه الأصغر سلطان بالاستعداد لقيادة الحملة من الفرسان والرجالة التي تعداد رجالها خمسة آلاف ، وفيها من أمهر فرسان المدينة وشجعانها ، وخرج جبل وصاحباه مع فرسان ورجال مدينة الشرق قائدا لهم ، ومشت الجنود والبيارق اللؤلؤية مع مطلع فصل الصيف ، وظلت تزحف إلى أن حطت رحالها وأحمالها في سهل واسع أمام أسوار مدينة الشرق وقد كان معهم رسالة تصالحية من الملك أحمد بن خالد للملك الغاصب ربيع أبو جملة ، وحمل الفارس ثعلبون الرسالة الملكية ، وكان يرفع علما أبيض يدل على أنه رسول ، ففتح له باب صغير زلف منه ، وانطلق برفقة فارس من فرسان الباب والحراسة إلى قصر الأمارة والحكم ، ثم أذن له بالدخول على الملك ، فدفع إليه رسالة الملك أحمد ، وصرف الرسول لدار الضيافة ، وبينما هو ينتظر الجواب أقبل إليه عدد من الجنود المسلحين وساقوه إلى سجن المدينة ، وهو في حيرة مما يجري له ، ومن الغدر الذي حاق برسول الملك أحمد .

ولما جاء الليل أحضروه قدام الملك ، فخاطبه قائلا : أنت تسأل نفسك وتقول لمَ حبسني هؤلاء الكرام ؟!

فأمعن إليه ثعلبون النظر وأخذ يتأمل وجهه وعينيه ثم قال : نعم !!

فنهض الملك عن كرسي الحكم ، ونزل درجات العرش ، وقد أشار لرجل واقفا في قاعة العرش وقال : انظر يا هذا إلى هذا الرجل أتعرف هذا ؟

هز ثعلبون رأسه بالنفي ، فقال الرجل بإشارة من الملك : ألا تذكرني أيها الرجل ؟ .. ألا تذكر

يوم هربتم بالأمير السجين ؟ .. ألم يلحق بكم كوكبة من الفرسان ؟ وحاولوا استرداد الأمير منكم ؛ ولكنكم قاتلتموهم بشدة وتابعتم الهرب .. فأنا أحدهم . وابتسم الجندي .

فقال ثعلبون ساخرا :آ .. الآن تذكرت ؛ ولكنكم كنتم عشرة بل أكثر من عشرة ، وتركبون جيادا قوية ، وكنا يومها ثلاثة ، فقتل بعضكم وهرب الآخرون مثل القطط السارقة .. نعم ما زلت أذكر ذلك الصباح !!

فصاح الملك غضبا: صه أيها الأحمق .

فصاح ثعلبون وهو يحد النظر في عيني الملك الغاصب وغير مكترث لغضب الملك : ألم يهربوا أيها الملك ؟ نحن كنا ثلاثة فقط ، فخافوا من الموت وهربوا .. أذكر ذلك اليوم جيدا .

فصاح الملك ثانية : اسكت أيها الرسول .. فهذا هو سبب حبسك أيها الصعلوك .. من أي البلاد أنت ؟! أنت لست من بلادنا ولا أظنك من بلاد اللؤلؤ ؟!

فقال ثعلبون : اسمي ثعلبون والدي جندي قتل في عهد الملك شامة ملك بلاد الدب .

فقال الملك : وما الذي أتى بك لبلادنا ؟! وما الذي جمعك بابن أختي المخلوع ؟!

فرد الفارس فقال : نحن رجال ثلاثة كنا عابري سبيل وفي زيارة لبلادكم الآمنة ، فعرض علينا أحد الناس حماية الأمير الصغير وأن نذهب به إلى مدينة اللؤلؤ ، فوافقنا وليس لنا سابق معرفة بابن الملك سعيدان .

فقال الملك ؛ كأنه اكتشف كنزا : ومن هو هذا الرجل الشريف الذي عرض عليكم هذه الخدمة ؟! ومن هما صاحباك ؟

فأجاب ثعلبون على السؤال الثاني فقال : أما صاحبيّ فأحدهم الفارس المغوار الأمير هزبر قاهر الفرسان في ساحة الوغى ، وأما الآخر أيها الملك فهو البطل الكرار والفارس المغوار الذي ليس له مثيل في هذا الزمان البطل الجرار حامي الحمى يوم الوغى ، وأمهر من ركب الحصان وحمل الرمح والسنان وخير من طعن بالسيف والخنجر الأمير جبل بن مجدو الساحر المشهور بين الأنام بابن الخباز بطل بلاد الدب قاهر الملك الضبع حاكم بلاد العقرب .

فجفل الملك والحاشية عندما تفوه ثعلبون باسم جبل ابن الخباز فهو الاسم الذي سارت به الركبان ، فقال الملك بعدما تدارك نفسه وزالت دهشته : جبل بن مجدو .. هذا خصمنا ؟!

فقال ثعلبون : هذا اسمه قد فعل بكم ما فعل ؟! فكيف لو ترون طعناته ؟ واعلموا أيها السادة أنه اقتحم الوادي المرعب برجل واحد معه ، وصرع السبع العادي الذي تهابه الملوك وتدفع له الأموال

والهدايا ليكف شره عنهم وعن مدنهم وقوافلهم ؟!

لقد كان السبع العادي ذا أخبار مرعبة ، وشهرته معروفة بين البلدان ، فقال الملك الغاصب : وهل قتل السبع العادي أيها الرجل الطويل اللسان ؟!

قال ثعلبون بفخر ، وهو يحاول قذف الرعب في قلوبهم بأخبار الأمير جبل وشجاعته : نعم منذ شهور صرعه الأمير الشجاع جبل ، وفتك بكثير من أتباعه ، والآن ها هو الأمير مع ألف فارس من رجال مدينتكم الهاربين ، قد أعدهم ودربهم تدريبا قويا للمشاركة في هذه الحملة ونصيحتي إليك أيها الملك ولهؤلاء الكرام الرضا بالصلح ، وأن تتعاون مع ابن أختك .. فالأمير جبل خصمك ، وهذه بعض أخباره ، ولابد أنك سمعت أخباره مع الملك الوحش الضبع .

فقال الملك متضاحكا : أيها الرجل ! لا تظن أنك تقذف الرعب في قلوبنا بالحديث عن مولاك ابن الخباز هذا ، ولكن الحق يقال إنني سمعت شيئا عنه.. أما قتله للسبع العادي رجل الجبال والعصابات المخيف فهذا أول مرة أسمع به وأعلم أنه قاتله ..وأن السبع العادي قد قتل !!.. فهذا فارس إذن يحسب له ألف حساب .. فالرسالة التي حملتها لنا أيها الرجل يعرض فيها عليّ الملك أحمد بن خالد صهرنا صهر ملكنا الميت الصلح والتفاهم مع ابن أختي ، وأنا رجل مسالم لا أحب إراقة الدماء ، ولا أفعل ذلك إلا مجبرا مكرها ..

واعلم أيها الرسول الناصح أنا لا أحب عداوة سيدك الشجاع جبل ، ولكن لديّ رغبة بالحديث والاجتماع به ؛ لنتفاهم قبل أن أوافق على التفاهم مع ابن أختي الهارب أو القتال حتى آخر نسمة من جندي الأوفياء فهل اعتمد عليك بنقل هذه الرغبة إليه والإتيان به للتفاهم حول بعض الأمور ؟

ودار الحديث بينهم حول ذلك الأمر ، وأظهر الملك الغاصب حبه الشديد للسلم والسلام والبعد عن الدسائس والفتك والغدر ، ثم انطلق ثعلبون إلى معسكر الأمير سلطان آخر الليل وقد وعده الملك ربيع بإرسال رسالة في الصباح تتضمن هذه المعاني ، وفيها رد على رسالة الملك أحمد ، وأن القرار النهائي سيكون بعد الالتقاء بالبطل الكرار جبل بن مجدو .. ووصل ثعلبون لمعسكر الأمير سلطان ، ونقل إلى خيمة الأمير ، فوجده ما زال ساهرا هو وأمراء الجند والفارسان جبل وهزبر ، فقص عليهم كل ما حدث بالتفصيل ، وبعد سكوت طويل قال الأمير مخاطبا جبلا : ما ترى أيها الفارس بما سمعنا ومما حصل للأمير ثعلبون ؟

قال جبل لما وجه إليه السوأل : هذا رجل غادر

!.. فأول غدره أنه غدر بابن أخته وغدر بأنصاره ثم غدر برسول الملك أحمد .. فلا أمان لهذا الرجل الغدار .. وأرى أنها حيلة للقبض عليّ ، والذي أفكر فيه أيها السادة أن يذهب صديقي هزبر منتحلا شخصيتي ، وينتحل أحد فرسانكم المجهولين اسم هزبر ، فهم لا يعرفون جبلا من هزبر ، هم يذكرون وجوها منعتهم من استعادة الملك أسعد فقط .. وإذا رأيتم خطرا عليكم فاكشفوا لهم الحقيقة وأن غدرهم مكشوف .. وغدا عندما يحضر الرسول فلن أحضر هذا اللقاء ، وأنتم تظهرون هزبرا أمامه على أنه جبل .. هذا ما أشير به الآن أيها القوم .

فاستحسن القوم حيلة جبل لمعرفة جدة ربيع نحو الصلح والسلام ، وتعين أحد الفرسان ليقوم بدور هزبر ، ولما جاءت رسالة الملك الغاصب صباحا مبديا فيها التفاوض ورغبته في الصلح بعد لقاء الفارس جبل ، وركب الفرسان الثلاثة جيادهم عند المساء مع الرسول متجهين إلى قصر أبي جملة الذي رحب بهم أشد الترحيب ، وأبدى ترحيبا زائدا بالفارس جبل ولقد كان الاستقبال في قاعة العرش التي استقبل فيها ثعلبون أمس .

ولما انتهت المجاملات قال الملك وفي صوته نبرة تهكم وسخرية : أهلا بالبطل والفارس المغوار جبل بن مجدو الساحر – مشيرا بكلتا يديه إلى هزبر – ثم قال : أأنت قاهر الأبطال والصناديد من الرجال .. والفاتك بالمجرم الخطير السبع العادي ؟!

فهز هزبر رأسه وكتفيه وقال : نعم يا ملك الزمان أنا المدعو جبل بن الخباز مجدو .. جئت بناء على طلبك ورغبتك بالاجتماع بي ؛ ولننظر في أمر الصلح بينك وبين الملك الصغير أسعد .. أسعد ابن أختك . ونطق هزبر كلامه الأخير بنبرة فيها حدة مظهرا لسامعيه أنه الفارس جبل

فحينئذ قال الملك لأحد الرجال ـ وهو نفس الرجل الذي شهد على ثعلبون يوم أمس ـ : هل هؤلاء هم الفرسان الثلاثة الذين دافعوا عن السجين الهارب منذ شهور ؟

فقال المشار إليه : نعم .. نعم هم هؤلاء الثلاثة يا مولاي ! إنهم هم الذين فتكوا ببعض رجالنا وهربوا بذلك الصبي .

فقال الملك وهو يهبط عن كرسي الحكم : يا جبل .. أنت الآن بين أيدينا ، وها هم جنودي قد أحاطوا بك .

وفي هذه اللحظات كان عدد كبير من الجنود يدخلون القاعة ويحيطون بالفرسان وهم مشهرون رماحهم وسيوفهم في وجوه الفرسان ، فأخذ هزبر يضحك بصوت عال وقال : هذا آخر الغدر أيها الملك ؟!

فصاح أحد رجال الملك : ماذا قلت أيها الرعديد ؟

فسكت هزبر قليلا ثم قال : قلت هذا آخر الغدر أيها الملك .

فكأن الملك فطن لمغزى كلام هزبر فقال : هل كنتم تتوقعون ذلك أيها الحقير ؟! .. سوف ادعك في السجن حتى أنتهي من رجالكم في السهل ، ثم أنصب لكم مشنقة في ميدان المدينة ؛ لتكون أنت وأصحابك عبرة لغيرك من الصعاليك والأقزام

فرد هزبر بهدوء : افعل ما بدا لك أيها الرجل ، ولكن اعلم أننا لا نخشى الموت الذي تتوعدنا به .. وغدرك حسبنا حسابه . فقال الملك الغاصب بدهشة : كيف ؟!

فقال هزبر : عندما جاء ثعلبون وأخبرنا برغبتك بلقاء الفارس الداهية جبل ، قال إنك من أغدرهم ، وإنها حيلة للقبض عليه ، ولما سأله الأمير سلطان كيف عرفت قصده ؟ فقال الأمير جبل ...

فأخذ الملك ربيع يضحك وقال : ماذا قلت يا جبل ؟! أيها الفارس الداهية لن تسخر منا .

فأدرك هزبر معنى كلام الملك فضحك ضحكا عاليا هز القاعة ، وهمس لنفسه أثناءه إنه يظن كلامي أنها حيلة لأوهمه بأنني لست جبلا ، وملأ الضحك قلب الملك بالخوف والقلق ، وأكمل هزبر كلامه : قال جبل للأمير سلطان إنك رجل غادر ، لا أمان لك ؛ لأنك غدرت بابن أختك ونزعته من الملك ورميت به وبأنصار أبيه في أعماق السجون ، ثم غدرت برسول الملك أحمد ، وهذه صفات وأفعال الغادرين .. فأدركنا أنك غادر .

لم يثر الملك غضبا بل قال : وماذا فعلتم لتحذروا غدري أيها المحتال ؟!

فقال هزبر : هذا سرنا أيها السيد .. واعلم أننا إذا لم نرجع لمعسكرنا حتى صباح الغد .. فذلك أمارة على أنك غدرت بنا ، فيتأكد غدرك للأمير سلطان .. وهذا كان على مسمع من أذنيّ رسولك

وأكد الرسول ذلك قائلا : نعم يا مولاي ! سمعت الأمير سلطان يقول لهم موعدنا الفجر ثم نرى

فهز الملك رأسه ، وأشار لقائده بأن يقذف بهم في السجن ، وأن يحضرهم في الصباح ليرى ماذا يفعل قومهم ؟ فجردهم الجنود من سيوفهم وأسلحتهم وساقوهم مكبلين بالقيود للسجن ، ولما أغلقت الأبواب قال ثعلبون : إن جبلا هذا أذكى الناس ؛ وليس أشجعهم فحسب ، لقد كان يحدثني عن السلم والصلاح كأنه هو المظلوم والملك أسعد الظالم .. فهل نفهمه أن جبلا ليس بيننا ؟ فرغم اعترافك الجلي بأنك لست جبلا ما زال يعتقد ويصر على أنك الفارس جبل وأنك تسخر منه بادعائك أن جبلا كشف غدره .

فقال هزبر : فليبق على غبائه .. فهو غبي ، ومن حوله أغبى منه ، لا أدري كيف ملك هذا الرجل هؤلاء الناس ؟!

فقال صاحبهم الثالث : مصالح ومطامع يا سيدي الفارس !



آخر أخبار مدينة الشرق

فلما ملأت أشعة الشمس مدينة الشرق والجبال والسهول حولها ، ولم يرجع الفرسان الثلاثة لمعسكر الأمير سلطان ، قال له جبل :أرأيت يا سيدي غدر هذا الرجل ؟!

فقال سلطان : ننتظر إلى المساء ، ثم نرتب خطة الهجوم .

فرد جبل قائلا : كما تشاء أيها الأمير فلنصبر حتى الليل .

وأما في قصر الأمارة فقد أحضر قائد الحرس السجناء الثلاثة ، وأراد سفك دمهم على سور أمام جيش مدينة اللؤلؤ ، فقال له هزبر : أما الآن فاعلم أيها الملك أنني لست جبلا كما تتوهم فجبل أذكى من أن يقع في فخك ، فأنا الفارس هزبر .. وقد حاولت أمس إيصال ذلك إليك فلم تدرك ذلك واعتقدت أنني أمكر بك .. فلا تعجل بقتلنا حتى تسفر المعركة عن نهايتها ، ونحن اسرى بين يديك .. تستطيع سفك دمنا وقتما تشاء .

فانزعج الملك واشتد غضبه ، وأدرك في هذه اللحظة ذكاء جبل ؛ ولكنه في قرار نفسه ما زال الشك داخله ، ويخشى أن تكون حيلة من جبل للنجاة من الموت والهرب ، وأن الفارس الذي يقف أمامه هو جبل ، فبعد تشاور مع حاشيته أمر بإعادتهم للحبس حتى يتأكد من شخص الرجل الذي يحاوره ، ولقد بلغ الخوف من جبل بنفسه مبلغا عظيما ، فطلب أحد الجواسيس وأرسله إلى المعسكر ليتأكد من وجود جبل فيه .. ولكن هذا الجاسوس وقع في أيدي القوم ، وتم استجوابه واعترف لهم بمهمته ، وبين لهم ما تعرض له الفرسان من الخطر ، فقال جبل للأمير والقادة : لابد من الهجوم فغدا ـ إن شاء الله ـ تبدأ المعركة فاستعدوا للقاء وأعلموا الجنود بذلك .

وسكت الفارس رويدا ثم تكلم قائلا : سوف أدخل المدينة قبلكم على أني رسول ضمن وفد من ثلاثة رجال غيري قد اخترتهم لهذه المهمة الجريئة .. وعندما يدخل الوفد للمدينة تزحفوا نحو باب المدينة الذي أمامكم ، ويكون مائة خيال على أتم استعداد للهجوم ، فعندما تفتح الأبواب أو أحدها يقتحمونه مسرعين وبكل قوة

فقال الأمير : وكيف سيفتح الباب ؟!

فقال جبل : سأكون كما قلت قبل لحظات أحد الوفد الذاهب لمقابلة الملك الغاصب ، ونعرض عليه الصلح والعفو عن الفرسان الثلاثة مقابل العفو عن جاسوسه ، ونحن عائدون سننقض على حرس الأبواب أثناء فتحهم الباب ، فيندفع المائة مسرعين ، ولسوف يكون للمفاجأة دورها وأثرها ، وعندما يسيطر الخيالة المائة على الأبواب يدخل باقي الجند ..

فقال سلطان بانبهار : إنها خطة جريئة ومغامرة كبيرة !!

فقال جبل : لابد منها أيها الأمير .. وإلا طال الحصار .. مائة فارس إذا دخلوا المدينة والأبواب سيدب الرعب في جنود الغاصب ، ولا تنسى أن أكثرهم يخضعون له مكرهين .. وأنصار الملك الصغير والمتعاطفون معه سوف يتحركون وينضمون إلينا .

فقال سلطان : على بركة الله أيها الفارس الذكي .

تهيأ الجيش باكرا للمعركة ، وتقدمهم مائة فارس نحو الباب الكبير ، وانطلق وفد من أربعة فرسان على صهوات جيادهم يحملون راية بيضاء تقدم بها رئيسهم ، وأخذ الرماة على الأسوار حذرهم عندما رأوا الجيش أمام الأبواب ، ففتح حراس الأبواب الباب لدخول الوفد المفاوض ، فلما وصل الوفد إلى قصر الملك أراد الحراس أخذ أسلحتهم ، فرفضوا وقالوا ليكلمنا الملك من الشرفة وأعطوا الرسالة ـ رسالة من الأمير سلطان ـ لأحد الحراس الذي نقلها للملك ، فأطل عليهم ـ على رسل الأمير ـ بعد قراءتها من شرفة القصر وقال صائحا حانقا : ما دمتم جئتم تنشدون الصلح وترغبون به لماذا زحف جيشكم نحو الأبواب ؟!

فرد رئيس الوفد بصوت جهور : فعلنا ذلك أيها الملك إشارة وإمارة للحرب والمعركة الحاسمة

فتبسم الملك وقال : لا أدري ما شأن جنود الملك أحمد بهذه المدينة ؟! .. إنها بلادنا والناس لا ترغب في حكم أسرة صهري أبي أسعد .. فلماذا تقتلون أنفسكم من أجل غيركم ؟!

فقال رئيس الوفد : والأسرى الثلاثة ألا ترغب بمبادلتهم بجاسوسكم الأسير ؟

فصاح الملك : قل لمولاك أن ينصرف عن ديارنا ، ولا شأن له بمشاكلنا ؛ فإذا انصرف عائدا لدياره قد أعفو عنهم ، وإلا فلتبقوا مائة سنة أمام أبواب مدينتنا .

فقال رئيس الوفد : حسنا أيها الملك هذا آخر كلام لدى مولانا الملك .

فقال وهو يدير نفسه لداخل الحجرة : نعم ، قولوا ذلك لمولاكم .

وقفل الوفد عائدين تحوطهم ثلة من الفرسان ؛ليخرجوهم من الأبواب ، وعندما وصل الوفد لباب المدينة قام حملة المفاتيح بفتح الباب ليخرج الفرسان الأربعة ، ولما فتح الباب بدأ الهجوم على الحراس وحملة المفاتيح ، كانت معركة سريعة ومفاجئة ومفاجأة مذهلة ، واندفع المائة فارس من الأبواب مسرعين كما رتب لهم ، ولم تمض دقائق حتى تمت السيطرة على الأبواب ، وقاوم الرماة ولكن كانت مقاومتهم ضعيفة مع المفاجأة ، ودخلت جيوش الأمير بهمة عالية ، فأخذت جنود المدينة تهرب من أمامهم وأكثرهم استسلم ، واستمر الزحف حتى قصر الأمارة ، وتمت محاصرته من الناس والجنود ، وهم يهتفون بحياة الملك أسعد .

وخلال ساعات أعلن قادة الجند استسلامهم لجبل وولائهم للملك أسعد ، وتم اعتقال قادتهم وانطلق جبل مسرعا إلى السجن ، فأخرج الفرسان الثلاثة والأسرى والتاجر رمضان واندفعوا نحو قصر الأمارة الذي استسلم حراسه خوفا من البطش والتنكيل بهم وخوفا من الموت الذي توعدهم به جبل ، فاقتحم جبل والفرسان الحجرات يبحثون عن الملك الغاصب ووزيره وقائد حرسه ، فوجدوا الملك مختبئا عند النساء ، وهو يرتجف من الخوف ، فانتشله جبل من بين النساء كالحمل الوديع ، وكان يبكي ويقول : العفو .. العفو .. العفو أيها الكرام فأخذه جبل إلى خارج القصر وهو يحمله كالعصفور ، ثم طرحه على الأرض وهو يقول للناس المتجمهرين : هذا هو الملك الغاصب الغادر أيها الناس !!

فقال هزبر للملك الذليل : هذا هو جبل أيها الملك الأحمق الغبي !.

فنظر الملك المهزوم إلى جبل الرجل الذي حمله من بين نسائه كما يحمل الكبش أو الحمل الصغير وقال الملك باستغراب ورعب : أأنت جبل ؟! لقد كنت مع الوفد الأخير ؟

فأجاب الفارس باسما : نعم ، أنا جبل بن مجدو الساحر .. يا غادر يا غاصب ..

وأمر جبل رجاله بحبسه في خيمة حتى ينظر في أمره ، وفي مساء ذلك اليوم دخل الأمير سلطان وحاشيته وحرسه المدينة وهو مسرور للنصر الذي تحقق بدون اراقة دماء تذكر ، لم يقتل الا عدد قليل من الطرفين ومئات من الجراحات ، وأعطى الأمير أهلها الأمان والسلام ، وأرسلت البشائر إلى مدينة اللؤلؤ وتدعو الملك أسعد بالعودة لبلاده ، وجاء الملك أسعد بن سعيدان إلى مدينته من جديد المدينة التي ورث ملكها عن أبيه ، ورافق الملك ولي عهد مدينة اللؤلؤ الأمير خالد وزوجته الأميرة رشاء ، وخرج أنصار الملك وأصدقاء والده لاستقباله

والترحيب به عند مدخل المدينة ، وفرح الناس بعودة الملك الشرعي للمدينة ، ولما استقر على كرسي الحكم وعرش الآباء والأجداد فقد جعل من الفرسان الذين دربهم الفرسان الثلاثة في المنـفى حرسه وقادة جيشه وشرطته ، وأزاح وأبعد كل قادة الجند الذين تعاونوا مع خاله ، وقدم أبو جملة للمحاكمة التي قضت بموته لخيانته وإفساده هدوء البلاد ، ولكن الأمير جبلا بعد تشاور مع الأمراء والأمير سلطان قائد الحملة تدخلوا وخففوا الحكم بالسجن حتى الموت لقرابة ربيع من الملك أسعد وللرحم التي بينهم ، ولما استقرت الأحوال انسحب الأمير سلطان بجيشه إلى بلاده ، ومنح الملك أسعد الفرسان مناصب رفيعة في مملكته ، ولكنهم اعتذروا عن قبولها ورضوا بحمل لقب فارس المدينة ، وأصبح لكل واحد منهم حق البقاء الدائم في البلاد كأيّ مواطن أصيل ، ولهم الحرية بترك البلاد وأخذ أموالهم وأملاكهم معهم ، ووهبهم الملك قصرا من القصور التي ورثها عن أبيه بما فيه من الخدم والجواري ، وأحبهم محبي الملك كالتاجر رمضان الذين أصبحوا موضع فخر دائم في حديثه ، وقد حاول إغرائهم بالزواج من ثلاث فتيات من أهل المدينة للاستقرار فيها والارتباط بها ، فاعتذروا عن الزواج ، وبينما هم في سعادة النصر ورفع الظلم عن الملك أسعد جاءتهم الأخبار من بلاد الدب ، أن الملك الضبع يحاصرها ، ويطلب من الملك سليل تسليمه الفارس جبلا للصلح بين المدينتين ، فأعلمه الملك أن جبلا قد غادر البلاد منذ زمن ، وبالطبع لم يصدق الضبع ذلك ، وما زال محاصرا لها ، فلما سمع الفرسان أخبار موطنهم من غلامهم ، قال جبل : أيها السادة .. ما رأيكم أن ندخل مدينة العقرب الأحمر ، ونتعرف

عليها وعلى ذلك الملك الأحمق ؟ فقد ثبتنا حكم صديقنا أسعد ، ولم تعد بنا حاجة للبقاء هنا .

أصابت الدهشة الفارسين ، وقال هزبر : وكيف نتعرف عليه وهو يبحث عنك ؟! وأنا كما تعلمون أعرف تلك المدينة جيدا .

فقال جبل : أنت عشت فيها يا سيدي لمتابعة تحركات جيش الضبع ، أما أنا فأفكر بطريقة لتدميرها .

أبدى الفارسان ذهولهما لأحلام الفارس فرد جبل على ذهولهما قائلا : سوف نخلع ملابس الفرسان ونلبس ملابس التجار ، ومع قوافل التجارة ندخلها ونستقر فيها ، فندرس أحوالها وأخبارها ونعرف أماكن الضعف فيها ، ولعلنا ننفع قومنا أكثر ونحن هناك .. وهذا الضبع ملك عنيد فها هو يبحث عن رأسي !

مدينة العقرب الأحمر

ولما اطمئن الفرسان الثلاثة على أن الملك أسعد سيطر على البلاد سيطرة تامة أخبروه بحاجتهم



للرحيل والسياحة في الأرض ، وأوصاه الأمير جبل على غلمانهم ، وفي ليلة ظلماء خلعوا ملابس الفرسان وارتدوا ثياب التجار ، وعلى حين غفلة من أهلها غادروا المدينة إلى مدينة أخرى ، وهناك اشتروا بغالا ودوابا وشدوا عليها بضائع من الحبوب والأقمشة ، ومع إحدى القوافل المتنقلة بين المدن شرقا وغربا تنقلوا معهم حتى وصلوا بلاد العقرب عاصمة ملك الضبع ، وفي أحد الخانات الكبيرة والخاصة بالتجار حطوا رحالهم وأموالهم ، وهزبر كما تعلمون سكن في هذه المدينة عندما كان عينا لجبل أثناء حروبه للضبع وعرفها بشكل جيد ، فرأى جبل وثعلبون أنها مدينة عظيمة كبيرة جدا ، يقسمها نهر عظيم يأتي من جهة الشمال ، ويصب ماؤه في البحر الكبير الذي يشكل جنوبا للمدينة ، ورأوا أسوارا عالية ومحاطة بأعداد كثيرة من الأبراج الحصينة ، وشاطئ البحر عليه عدد آخر من الأبراج الدفاعية ونقاط للحماية ، وبعد تأمل دقيق للمدينة أدرك جبل أن أضعف نقطة لدخول المدينة حربيا من جهة البحر ، فأسوارها حصينة ومنيعة ، فجيش قوي مدرب قد يستطيع دخولها من جهة البحر ويدمرها ، وأما قصر الضبع فهو داخل قلعة ضخمة على قمة جبل كبير ، وبروج صغيرة تحيط بأسوار القلعة تظهر لك أن الضبع كأنه سجين في بلاده ، والأسوار منتشر عليها الجند كأنهم في حرب .

وتعرف الفرسان الثلاثة على جبالها ووديانها وميادينها وأسواقها ومراكبها ، وخلال المدة التي أمضوها يبيعون وضحت الخطة المناسبة في أذهانهم ، فأولها البقاء في المدينة ، وفتح متجر فيها لبيع الحبوب يتولاه هزبر لخبرته القديمة في المدينة ، واتفقوا مع صاحب القافلة التي أتوا معها وبصحبتها أن يمدهم بالحبوب التي يجمعها من المدن التي يمر بها ويرسلها إليهم مع غلمانه ، ولما اتفقوا مع التاجر استأجروا متجرا ، وأصبح الفارس هزبر هو التاجر أمام تجار السوق ، وتسمى بالتاجر معروف الباهر ، واشتروا غلامين للعمل في الحانوت ، وهكذا بدأ تاجر القافلة يمدهم بالحبوب ، وهم يبيعونها على قسمة بينهم ، وكان جبل وثعلبون يتنقلون في المدينة بحرية وراحة تامتين ، ودرسوا المدينة دراسة واعية

تنفعهم في اللحظة المناسبة لتدمير المدينة ، وعلموا من معاشرتهم للناس أن أكبر أعداء البلاد هو ملك بلاد التين الملك جبرون ، وقد دارت بين الطرفين معارك طاحنة منذ سنوات طويلة ، وهي متكررة حتى اليوم ، ولقد تصالحوا مرات عديدة ، وكان الصلح ينقض ولا يدوم ، فكانوا يرون الصلح بينهم هدنة للاستعداد لمعركة جديدة ، وأكثر مدة صمد الصلح بينهم دام ثلاث سنوات ، وبينما هم يلتقطون أخبار المدينة ويدرسون نقاط الضعف فيها جاءتهم الأخبار بعودة الوزير شمروك مرة أخرى بحملة فاشلة قادها على بلاد الدب ، ففرح الفرسان لفشله ، وأن جهدهم لم يذهب عبثا في تقوية وتحصين مدينتهم .. ثم علموا أن الضبع يخطط لحملة تأديبية لبلاد التين لاعتراضهم قافلة تخص مملكته أثناء وجود الوزير غازيا لبلاد الدب ، فأرسل الضبع الرسائل لولاة الأقاليم الخاضعة لحكمه بأن ترسل كل ولاية ألف فارس للمشاركة في الحملة التأديبية ولما تجهزت الحملة وتوافدت عساكر المدن ، واجتمعت أمام أسوار المدينة في معسكر كبير ، اتفق جبل مع رفيقيه بمصاحبة الجيش متطوعا ضمن المتطوعين من عامة الناس لخدمة الجنود في قتالهم وحصارهم لبلاد التين ويقوم المتطوعون عادة بصيانة السيوف والرماح والأقواس والمنجنيقات وأدوات الحرب الأخرى ومساعدة الجرحى ودفن القتلى وخدمة الحملة عامة ، فأحب الفارس الاطلاع على أحوال وقدرات جيش الضبع خلال القتال من العمل ضمن المتطوعين .

ولما تهيأت العساكر خارج أسوار مدينة العقرب واكتملت ، جعل الملك الضبع قائدا عليها زوج ابنته الأمير الشرس والمشهور بالقسوة الفارس عادي الليل ، وانطلقت الحملة نحو الشمال الغربي حيث تقع بلاد التين .

وبعد أيام التقت الحملة القوية بعساكر الملك جبرون في منطقة سهلية بين المدينتين العظيمتين وتصادمت عساكر الفريقين عدة أيام وسقط منهم مئات الضحايا ، ولم يحسم أحدهم النصر على الآخر ، وبدأت تجري بينهم مفاوضات للهدنة والمسالمة ، وأثناء تبادل المراسلات كانت تحدث بينهم مناوشات ومشاجرات ورمي بالنشاب والمدافع الصغيرة إلى أن كان ذات ليلة رجعت سرية من سرايا الحراسة حول معسكر بلاد التين بأسير كبير من فرسان الضبع ، ولما تبينه الملك جبرون قائد جيش التين بنفسه ؛ فإذا هو قائد حملة الضبع وأميرها الفارس عادي الليل صهر الملك الضبع ، فعجب الملك والأمراء والقادة من وقوع هذا الفارس وثلاثة آخرين معه ، فعلم من قائد السرية التي أسرتهم أنهم وجدوهم في البرية

يصطادون الأرانب والثعالب فصنعوا لهم كمينا وصادوهم صيد الأرانب بعد أن ساقتهم الأرانب التي يطاردونها إلى منطقة سيطرة هذه السرية ، فأنبه الملك وحقره ، وأمر بنقله سريعا لمدينة التين في نفس الليلة مخفورا ، وأمر الملك جبرون قادته بالاستعداد لمعركة هائلة صباح الغد ، وقضى جيش القائد عادي الليل الليل يبحث عن القائد والفرسان الثلاثة الذين معه ، ولما أصبح الصباح داهمتهم جنود التين ، فجرت معركة كبيرة دارت فيها الدائرة على عساكر الضبع التي تعرضت لخسارة قاسية ، ففر الجنود والقادة بعدما وقع عدد كبير منهم بين قتيل وجريح ، واستسلمت أعداد أخرى ، فدبت الفوضى في معسكرهم ، وأخذ فرسان الملك جبرون بمطاردة الفارين ، ومن نجا وصل لبلاد العقرب وهو في حالة من الذل والهوان لا توصف ، ولما ابتعد الهاربون أحاط فرسان الملك جبرون بمعسكر العامة وساقوهم آسارى ، فكان ضمن من استسلم الفارس جبل فقد سلم نفسه ، ولم يحاول الفرار ككثير من الناس ؛ لأن العامة عادة تكون في مؤخرة الجيش أو آخر ميدان المعركة ، فسيق مع الأسرى إلى بلاد التين ، وهناك وضعوهم في ساحة واسعة حتى يتقاسمهم الأمراء والفرسان الكبار ، كان من العرف الجاري في بلاد التين أن قادة الجيش والفرسان الكبار الذين يملكون أراضي زراعية وإقطاعيات ملكية ، أنهم يمرون على الأسرى من العامة والخدم ، فيأخذ القائد أو الفارس عددا منهم للعمل عنده في قصوره وأملاكه ، أو يدفعون له فدية مقابل حريتهم ، فتقدم أحد القادة الكبار للساحة التي حبس فيها العامة ليختار ما يناسبه منهم للعمل عنده ، وهذا القائد الذي تقدم أولا هو القائد المشهور في بلاط الملك جبرون الأمير سالم بن قنبرة ، وهو قائد محنك وكبير في السن ، وقد خدم بداية في جند والد الملك جبرون ، وما زال له احترام كبير لدى الملك جبرون ، ونزل القائد عن جواده فأمسك به أحد خدمه وتقدم من الأسرى وخلفه بعض رجاله وقيم قصره ، وكان قبل أن يترك الجواد قد دار دورة حول الأسرى ينظر إليهم ، فلما نزل عن الجواد أخذ يشير إلى الأسرى ، فكلما أشار لشخص سحبه قيم الأمير فأخذه رجاله ، فاختار خمسين شخصا كان بينهم الأمير جبل وشابان آخران يهمنا أمرهم في هذه الحكاية ، الأول اسمه ضيغم شاب جميل الهيئة في العشرين من عمره والثاني اسمه جدار ، فلما انتهى الاختيار تقدم قائد آخر للأختيار وهكذا ، وأخذ قيم القائد سالم الأسرى الخمسين إلى قصر الأمير بحراسة رجال القائد ، وهناك أكرمهم القيم خضرون بالاغتسال بالماء الدافئ ووهبهم الملابس الجميلة ، وقدم لهم

الطعام اللذيذ والشراب البارد ، وأنزلهم في مكان واسع حتى يراهم السيد سالم بن قنبرة في الليل بعد رجوعه من مجلس الملك .

وفي الليل بعد أن عاد القائد سالم من مجلس الملك جبرون ، وتناول طعامه مع زوجته وأسرته كالمعتاد ، انتقل إلى جناح آخر في القصر ليقابل الأسرى الذين أعدهم قيم القصر خضرون وهيأهم لمقابلة القائد ، وفي قاعة واسعة التقى بهم الأمير ، فجلس على كرسي معدا له ، وطفق يدقق النظر في سيمائهم ، ويسأل بعضهم عن أسمائهم وأعمالهم في بلادهم ، ثم قال : أيها الشباب أنتم أصدقاء لي .. فمن منكم يرغب بشراء حريته فليذكر اسمه للقيم حتى يدبر قيمنا أمره ، ويطلب الفدية من أهله ليرسلوها لنا مقابل حريته .. ومن أحب البقاء في بلادنا للعمل في أملاكنا فليذكر اسمه والعمل الذي يتقنه ؛ فإن كان له زوجة وولد سنسعى بإحضارهم إن شاء وهؤلاء أحرار ؛ ولكنهم خدم لنا في أملاكنا وقصورنا ، ولا أريد استرقاق أحد منكم .

وأخذ خضرون القيم ويساعده الكاتب بكتب أسماء الذين يرغبون بدفع الفدية ثم يصرفهم حتى يتم ترتيب طريقة لأخذ الفدية منهم وإطلاق سراحهم ، فخرج عشرون رجلا منهم ، ثم تقدم الباقون الراغبون بالحياة في أملاك القائد ، فدون القيم أسماءهم والأعمال التي كانوا يمارسونها في بلادهم ، ثم قال أحد الأسرى للقائد سالم : يا سيدي القائد أنا أرغب في العيش والحياة في ظلكم ؛ ولكن لي زوجة وأم في بلاد العقرب أحب إحضارهم ، وإنني أعاهدك أمام يالله وأمام هؤلاء القوم إنني سأعود بهم لنعيش في كنفك أيها الأمير وقال آخرون مثله فدون الكاتب إشارة بجانب أسمائهم ، فوعدهم القائد بتدبير أمرهم ثم صرفهم ، وظل ثلاثة رجال ، فقال لهم القائد سالم : وأنتم لا أهل لكم هناك ولا أموال ؟!

وأشار إلى أحدهم وهو المدعو جدار فقال الشاب : اسمي جدار .. لي يا سيدي أم وأب واخوة وهم ليسوا بحاجة لرعايتي ، ولسوف أخبرهم ببقائي حيا مع أحد العائدين ، وأما أنا فلدي الرغبة في المكث هنا والحياة في حماكم ، لقد كرهت بلاد العقرب وضقت بها ذرعا .

فقال القائد سالم : مرحبا بك ، واعلم يا جدار أنك حر ، وإذا لم يطب لك العيش في كنفنا بعد أن تعاشرنا فعد لأهلك سالما .. وأنت أيها الشاب القوي البنية أليس لك أهل ؟ وأشار لجبل .

فرد الفارس وهو يبتسم : أنا يا سيدي لي أسماء كثيرة ، وأعمل عند التاجر معروف الباهر تاجر حبوب في مدينة العقرب ، وأمرني السيد معروف بمرافقة الحملة للخدمة كغيري من الضعفاء

ويناديني السيد معروف باسم صخرة .. ولا أهل لي في مدينة العقرب الأحمر .

فقال القائد وهو يتأمل جبلا : لقد ارتاحت نفسي إليك يا صخرة .. أم تريد العودة لسيدك ؟

فابتسم جبل وقال : هنا أو هناك سيان عندي يا سيدي القائد .. فقد تركت بعض الأشياء عنده فإن احتجتها أحضرتها ، فقد سكنت وارتاحت النفس إليك أيها القائد .

فقال سالم مشجعا لجبل : أحسنت يا صخرة ، وإن كان يبدو لي في عينيك كلام .. ويبدو لنا على محياك الشجاعة والجرأة وحسن الجواب وسنكرم نزلك ..خضرون ليعمل هذا الشاب هو وجدار في حظائر الخيول .. وأنت ـ وأشار لضيغم ـ قلت لي ونحن في الساحة إنك غلام لسيد من بلاد الشرق قتل في المعركة ، وكانت مهمته تزويد الجيش بالسيوف وعصي الرماح والأقواس .

فقال ضيغم : اسمي ضيغم يا سيدي الأمير ! وأنا غلام للسيد داود .. وهذا ما ذكرته لك صباحا فسيدي يدعى داود ، ونحن من مدينة الشرق ، وهو تاجر في بيع السيوف والرماح وغيرها من آلات الحرب يشتريها من المدن ويبيعها في مدن أخرى .

فقال سالم : أنت غلام جميل وصغير يا ضيغم وزوجتنا فقدت أحد الغلمان وتصلح أنت للعمل داخل القصور ؛ ولكن بما أنك من بلاد الشرق ، قل هل هو حق ما قيل عن رجوع ابن الملك سعيدان لعرش بلاده بعدما طرده خاله عنه ؟

فهز الفتى رأسه بالإيجاب وقال : هذا حق يا سيدي .. لقد اغتصب خال الملك ملك ابن أخته الصغير بعد وفاة والده بل طرحه في السجن ؛ ولكنه نجا بمساعدة أنصار أبيه ، ولجأ إلى الملك أحمد بن خالد صاحب بلاد اللؤلؤ ـ فأخت الملك الصغير حليلة لولي عهد تلك المدينة الأمير خالد ـ فجهز ذلك الملك جيشا لجبا قويا ، وانتصر به على الملك الغاصب ، ورد الحكم لصاحبه الملك أسعد .. وقد جرت معركة في داخل المدينة ولكني وسيدي داود يومذاك لم نكن في المدينة فلما عدنا وجدنا الأمور قد عادت لحالها ونصابها منذ سنة مضت .

فقال سالم : أحسنت يا ضيغم ! هل ترغب في البقاء عندنا ؟

فقال ضيغم : أنا أسيرك يا سيدي .

فقال سالم : لقد عفونا عنك وأعطيناك حريتك .

فقال ضيغم : أنا عبدك وغلامك المخلص يا سيدي ! فمنذ وعيت على نفسي وأنا عبد رقيق فلا حرمني الله من إحسانك .

فقال سالم : أنت حر يا ضيغم .. خضرون .

فرد خضرون : نعم يا سيدي .

فقال سالم : يصلح هذا الغلام للعمل داخل القصر مع الغلمان والخدم ، فأكرم مثواه وعلمه على خدمة القصر .. وأما صخرة وجدار فألحقهما في حظائر الخيل .. أيها الشباب نحن نحسن لمن أخلص لنا ونعفو عمن أساء لنا بحسن قصد .

وغادر القائد المكان إلى حجرات النساء ، وأخذهم خضرون لغرفة أخرى وقال : باتوا الليلة

هنا وفي الصباح نراكم .

وفي تلك الغرفة قال جبل لضيغم : هل أنت من مدينة الشرق ؟

فرد ضيغم باسما : نعم يا أخي .

فقال جبل صخرة : إنني أعرف هذه البلاد وعشت فيها فترة .. وأعرف التاجر رمضان المشهور هناك .

فقال ضيغم : صدقت ، فهو معروف ومن أشهر تجار السوق ، وأنا أعرفه ؛ ولكن علاقة سيدي داود به ضعيفة ، فنوع عمله يختلف عن نوع عملنا ، فنحن نتنقل بين البلاد نبحث عن صناع السلاح ، ونشتري منهم ثم نبيعه في أماكن أخرى ، فحياتنا في ترحال دائم ، وكانت علاقة سيدي داود قوية من رجال الحكم والحرب في مدينة العقرب الأحمر ، وكان تجار تلك البلدة يدفعون لنا أسعار مغرية ، فلذلك كنا نرافقهم في بعض حملاتهم ونمدهم بالرماح والسهام الجديدة ، ونشتري منهم ما يكسبونه من مغانم الحرب والأسرى ، وخرجنا هـذه المـرة معهم ، فلما أسر عادي الليل لم يدر أحد بأسره ، وجرت المواجهة فأصيب سيدي بسهم في عنقه فمات ووقعت أنا في الأسر كما ترى ، فهذه قصتي أيها الصديق ، فعلاقتي ببلاد الشرق أنني وجدت نفسي فيها وكبرت فيها وترعرعت فيها ، وأنا لا أدري مكان مولدي الأول .. وأنت حدثنا عن نفسك ؟

فقال جبل باسما : كان مولدي أيها الأصدقاء في مدينة يقال لها الدب ، فيوما أعمل عند القائد فلان ويوما آخر عند التاجر فلان ، فعرفت الدنيا ، فقد عرفت مدينة الشرق ولي أصدقاء طيبون فيها ، وكذلك بلاد اللؤلؤ ..وفي النهاية دخلت مدينة العقرب عاصمة ملك الضبع .. وكنت قبل أسري أعمل عند تاجر الحبوب معروف الباهر ، ولما خرجت هذا الحملة خرجت معها فهذا يا صديقاي ملخص سيرة حياتي .. فاعتبرني يا ضيغم صديقا لك وأخا لك .

فشكره ضيغم على عطفه وصداقته ، وحدثهم جدار فقال : أما أنا أيها الرفاق ! فقد ولدت في مدينة العقرب وترعرعت فيها ، وقد وعيت وأنا أرى بلادنا في حروب مستمرة ، وخرجت في هذه الحرب خادما لأحد الفرسان فقتل ووقعت أسيرا ، وكانت مهمتي معه مساعدته في حمل آلات

الحرب التي تخصه ومراعاة حصانه .. ولقد تخلصت منه لعلي أجد الراحة والسعادة عند هذا السيد الجديد .

فقال جبل : اعتبرني صديقا وأخا لك يا جدار .

فقال ضيغم : وأنا صديق لكم .

وتعاهد الأسرى الشبان الثلاثة على الصداقة والاخوة في ظل هذا السيد الجديد ، وفي الصباح ألحق ضيغم للخدمة داخل القصر ، فأخذه رئيس الخدم ليعلمه كيف يدخل على الأمير والأميرة وبنات ونساء القصر والأعمال التي سيقوم بها ، وقاد خضرون جبلا وجدارا إلى حظائر الخيول الخاصة بالقائد سالم ، ووزع باقي الأسرى الذين يرغبون بالبقاء على البساتين والحدائق المختلفة للأمير .

ونقل جبل رسالة مع أحد العائدين لجلب الفدية إلى التاجر معروف الباهر يطمئنهم فيها على حياته ، ويحثهم على عدم القلق على شخصه ، وكان جبل يمضي أيامه مع الخيل يطعمها وينظفها ويمرنها ، وفي الليل يزور هو وجدار صديقهم ضيغما في غرفة منامه عند القصر ، ويعودان للنوم بالقرب من حظائر الخيل في الموضع المخصص لنومهم ، وأحيانا يزورهما ضيغم ، وكان جدار يكثر الحديث عن الضبع وقصص ظلمه للعباد وطغيانه وحبه لسفك الدماء وقتل الجنود والفرسان أثناء غضبه ، ويتحدث عن عطشه الشديد للحروب ، وتعمقت الصداقة بين الشبان الثلاثة في ظل القائد سالم بن قنبرة ، وعلم جبل من ضيغم أن الملك الضبع وافق على صلح جديد بين البلدين ، ودفع أموال كثيرة لفداء الأسرى من الجند والفرسان ، وفدى نسيبه زوج ابنته عادى الليل بمبلغ ضخم من المال ، وعلم ضيغم من مجالس سيده أن الحرب بينهم لا تنتهي فهم يتحاربون منذ عشرات السنين ، ولا يثق طرف بالآخر ، يستريحون ثم يستعدون لجولة أخرى من الحرب ، فالعداء مستفحل بينهم

تمت الحلقة

قلب الوطن

وهج الحرب ١٣

العشاء

كان جهاد مدعوا للعشاء على مائدة عصام وورده بمناسبة عودته من عمان ، ودعت وردة شقيقتها جريدة للدعوة لتسلم على جهاد وزوجته ، فهي لم تجرؤ على زيارته في بيته رغم أن طلاقها حدث من شهور. وصلت جريدة أولا وقصدت ذلك ، لا تدري لماذا تهاب جهادا لهذا الحد ؟ وعانقت جريدة أختها بحرارة ، ولبثت على صدرها لدقيقة أو أكثر وتلك تربت على ظهرها بعطف وهدوء ، وكانتا تبكيان ، حتى خجل عصام وجعل عينيه في الأرض ، وهن منذ رحلة عمان لم تلتقيا أو قل منذ

ظهر غانم في حياتها ، لم تلتقيا جسديا ، وذهبت كلتاهما لحوض الغسيل (المغسلة) لغسل ووجهيهما من الدموع التي سالت على وجنتيهما حبا وعطفا .

حضرت جريدة بثوب طويل إلى كعبيها ، وجاكيت نسائي فوقه ، وقبعة حتى لا تسمع تعليقا من جهاد ينغص عليهم اللقاء ، ودفعا لأي حرج لعصام ووردة ، ولباسها هذا بسبب نشاطها مع هدى وعائشة كذلك ، فقد اعتادت على لبس الثوب الطويل بصحبتهما .

قالت وردة : أنا بحبك يا جريدة ! والله لا أكرهك أبدا ، أنت أختي الحبيبة .. أنا كغيري سمعت أخبارك مع مركز الأيتام الذي تديرينه .. وهذا شيء ممتع كما أسمع ..العيش مع هؤلاء الضعفاء وبسط اليد لهم شيء عظيم ! يرقق القلب ويزيد من قوة العطف والإحساس بهذه الفئة من الناس .. والنبي ﷺ شجع ورغب برعاية الأيتام وكفالتهم والمسح على رؤوسهم .. فموفقة في هذه الحياة أو التجربة .. وهي خير من القعود في أماكن تضييع الوقت واللهو.

قالت : لم أحب العودة لمؤسسة عارف بعد تركها ، رغم أن عارفا قال العود احمد ومللت جدا من العمل كطبيبة .

قالت وردة : يمكنك العمل طبيبة متطوعة يا أختي ! كلنا لسنا بحاجة لمال بفضل الله وحده .. ولكن نقدم هذا الأجر للأيتام والفقراء .. وقت الفراغ قاتل يا أختي ! وهل أعمل في العيادة من أجل بضع دولارات؟! نحن كما تعلمين كبرنا العيادة ؛ لتخدم نساء وزوجات موظفي وعمال المؤسسة .. فالعيش مع الناس مستحب لمساعدتهم مباشرة .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»

قالت : من أجل ذلك مشيت مع هدى حماد ، وعائشة محمود ، وجدت العمل الخيري مريحا لنفسيتي في الوقت الحاضر .. كانت فكرة العيش معهم في الوقت المناسب .. وأنا ممتن لهن يا وردة!

قالت وردة مشجعة : نعم ، أنت كنت بحاجة لمثل هذا العمل الإنساني الكبير واذا أحببت العمل في عيادتنا بعد دوام المركز فلدينا مجال .. فتدخل علينا نساء تحتاج لطب عام قبل طب النساء .. فنحن اليوم خمس طبيبات في الأمراض النسائية ؛ لأننا نخدم المؤسسة التي يعمل في جميع فروعها ومخازنها أكثر من ثلاثة آلاف موظف من الجنسين ، والرجال يبعثون نساءهم وبناتهم .. ولدينا عيادة مستقلة عنا للأطفال من الجنسين .. والرجال لهم عيادات حسب ما قال سامي .. وجمعية الإغاثة

رحمة يا جريدة ترسل لنا نساء للعلاج مجانا أو لوجه الله .. فرواتبنا من المؤسسة ، وما نكسبه من الجمهور يوزع علينا بالتساوي ، وأجر المكان من المؤسسة ، في مجال لعملك معنا.. فوقت الفراغ قاتل .. فكري بالاقتراح .

قالت : العمل في المركز ينتهي ظهرا ، لدينا ستين يتيمة ، وأربع معلمات وبواب وخادمة ، وشركة نظافة هي التي تقوم بتنظيفه مرتين يوميا ، قبل السادسة وبعد الدوام .

قالت وردة : وبعدين !

قالت : أذهب لعيادة الجمعية أساعدهم أو انصرف للبيت ، وبعد العيادة التي تغلق عصرا أذهب لمسرح أو سينما أو لقاء صاحبة .

قالت وردة : ما زلت متعلقة بهن ! تعالي عندنا البيت .. نسمع درسا دينيا.. نشاهد فلما وثائقيا نتحدث صدقي أني أحب ذلك.. نقرأ يوما بعد يوم.

قالت : عصام !

قالت وردة : أنا أفارق العيادة في الثالثة عصرا .. أما عصام فقليل الكلام ! بعد أن يعود من جولته في زيارة أعمالنا ينشغل بالأخبار والصحف .. وهو اليوم يطالع في صحيح الإمام مسلم بعد قراءته البخاري .. أتشربين؟

قالت بخجل : لا أشرب بالبيت .. أمر أحيانا للآسف على حانة وأجرع كأسا صغيرا .. الثلاجة لا يوجد فيها شراب .

قالت وردة باستعطاف وحنان : ولماذا هذا الكأس يا حبيبتي ؟ اشربي عصيرا أو كولا صلي يا جريدة ! جربي الصلاة والأنس مع الله وبالله .

قالت : الأنس مع الله ! لم أفهم ! .. لم أعد أشرب مثل أيام شهاب .

قالت وردة : الخمر في الإسلام حرام .. القليل والكثير سواء .. أطلنا الوقوف جنب المغسلة نسينا الدكتور .

مشتا ؛ حيث يجلس الدكتور : كيف حالك يا دكتور أبا جوهر؟

قال : الحمد لله .. وأنت عساك طيبة وبخير !

قالت : الحمد لله .. كيف صحتك اليوم ؟

قال : الحمد لله .. و أمورنا أنا ووردة بدأت تتحسن بفضل الله.

قالت : ماذا ؟!

قال بسعادة غامرة : وردة حامل بدون أنابيب .

دخلت أسرة جهاد بيت عصام ، وهنأ عصام ابن عمه على تحصيله الماجستير والعودة سالما للبلد وتناقل الجميع التحيات والقبل ، والتفت جهاد بعد انتهاء التحايا والتبريكات نحو جريدة ، فقال لجريدة : ما أخبار أختنا الفاضلة ؟

وكانت جريدة قد انتهت من الحديث مع رندا ،

فقالت : الحمد والشكر لله ..أنا مشتاقة لكم بحق ! كيف عمان؟

قال : كما تركتيها في الرحلة السياحية .

قالت : كانت رحلة ممتعة ! خاصة بترا .. كيف بنيت في تلك الأرض القاحلة ؟! وكيف كان الناس يحيون هناك ؟! نحن اليوم لدينا كل شيء ونضيق بالعيش!

قال عصام : الجواب بسيط يا دكتورة ! الإرادة .

صفنت للحظات تفكر بجواب عصام حتى سمعت جهادا يقول لها : سمعت أخبارا طيبة عنك ! وتعيشين فترة نقاهة مع أيتام بعنبس .. والله هذه فكرة ممتازة !

قالت بحماس: أنا سعيدة بوجودي معهم ؛ كأنني أم حقيقية لهم ..ينادونني بماما .. نحن عشنا أيتاما ؛ ولكن لم أشعر بما أشعر به مع هؤلاء حقا ! تقول هدى عن هذا الشعور ؛ بسبب الغنى الغنى عوضنا عن حنان الأب والإحساس بفقده .

قال جهاد : ممكن يا وردة !

قالت وردة : ممكن ! ويقول عارف إننا عشنا في بيروت أمام القتل والقصف والاغتيال أغلب الوقت وفي الملاجئ ، لم نر الوالد كثيرا بسبب عمله وتعودنا على غيابه.

قالت جريدة : مآسي أسمعها من أمهات الأطفال ، واستهتار بواجبات الأب وضعف الدخل والحرمان .

قال جهاد : تعاونت منذ تخرجت مع الجمعية يا دكتورة ، ورأيت المأساة الكبرى في غزة وحصارها بعينيّ .

قالت جريدة : الجمعية تكفل وتقدم أموالا لإيتام غزة بالتعاون مع جمعيات غزية ؛ حيث خلفت الحرب عددا كبيرا من الأيتام .

قال جهاد : صح ! غزة بقعة صغيرة ، وفيها مليون ونصف من البشر ، ومحاصرون من ستة أعوام ؛ لكنهم أحرار أكثر من كثير من البلدان ، وهذه الثورات التي جرت في العام المنصرم تشير إلى حجم الظلم الواقع على الناس .. أهل غزة أحرار بمعنى الحرية الحقيقية للكلمة!

قالت جريدة : أتعرف السيدة عائشة محمود مسؤولة الجمع من أهل الإحسان ؟

قال جهاد : نشيطة ! ما شاء الله ! هذه المدّرسة بعد انتهاء دوامها المدرسي وإطعام صبيانها تسرع للجمعية ؛ بحيث يقدم لها الدكتور زاهر الدين قائمة بالزيارات والمحسنين .. فبعض المحسنين يباشر ويطلب منهم زيارته ، وهو يدل على غيره حتى عصام يعرفها.

قال عصام: أعرفها جيدا يا جريدة ! تزورنا في هذا البيت ، صديقة العائلة وكفلت يتيمين قبل طلاقي المعروف من وردة ، وبعد الزواج كفلت اثنين..

ووردة تكفل عددا منهم .

قالت أم عبدالله : كفلت واحدا عن طريق جهاد ، وبعد حرب غزة تكفلت بأخر في غزة .. الله يتقبل منا كلنا .

ـ آمين .. آمين

قالت جريدة : الله يتقبل من الجميع .. سأستمر معهم حتى أمّل أو أتزوج.

قال جهاد : إن شاء الله ! على ذكر الزواج ، أنا حدثت عارفا عن رجل لو تقبلين بالجلوس معه مع أنك لا تحبين اختيارنا .. مجرد اقتراح .

قالت وردة : أنعرفه نحن ؟

قال : قد تكونون سمعتم به .. أُفضل أن أترك الكلام لعارف وجريدة.

قالت رندا : شغلت فضولنا.

قال جهاد : الأمر غير مستعجل يا رندا ! أنا الذي دفعني للتصريح قولها أو أتزوج يعني في فهمي في نية للزواج وترك الرهبنة .. أنا بحبك صدقا يا جريدة ! ولا أتعامل بالماضي السيء بيننا والماضي القديم .. السن يعبر بنا ، وزادت تجربتنا مع الدنيا .. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .. وأنا أحب الخير ديانة ؛ فكيف لا نحب لأختنا الخير ؟

عادت الدكتورة لشقتها بعد عشاء وسهرة في بيت أم جوهر ، غيرت ملابسها ، ودخنت سيجارة ، وفتحت الرسيفر على قنوات الأفلام ، بحثت عن فلم مسلي ، واستقرت على فلم قديم ، وقالت لنفسها وهي تحدق في شاشة العرض : لماذا أتفرج على الأفلام ؟ منذ المدرسة وأنا أشاهد الأفلام وأتابعها ، ماذا استفدت ؟ كل فلم ينسي ما قبله.. لا ولد ألعب معه .. والله هؤلاء الأيتام شغلوا أفكاري وأحاسيسي ، لم يعد للحياة طعم منذ عدت لهذا الوطن التعيس! تنهدت وأغلقت الفلم ، وتركت الكرسي ، ودخلت غرفة النوم ، واستلقت على التخت ، وقالت : وردة سعيدة أكيد! سعيدة بحبها لعصام ! ولو أنه كان طول هذه السنوات مجرد ونيس ها هو يشفى من مرضه بأدوية سعيد وسميح .. كانت تتنازع معه على كل صغيرة وكبيرة حتى طلقها ، ثم تغيرت فجأة .. وها هي اليوم حامل بدون أنابيب ، عادت له طبيعته .. حبيبتي وردة أنت سيدة عظيمة! لماذا لا أصير ولو جزء بسيطا منها ؟ .. عسل طبيعي وحبوب وأعشاب أنتجت شفاء عصام وقدرته على الجماع .. ألديهم وصفة لتحسين الحمل عندي؟ لابد كم رأيت من النسوة دخلت عليهم تطلب ذلك؟ المساعدة على الحمل وردة حامل من غير أنابيب .. حبيبتي يا وردة ! من هو الرجل الذي يتحدث عنه جهاد ؟ ولم يفصح عنه ، وترك

التصرف لعارف.. هل أتزوج ؟ ألا تمشي الحياة بلا زواج بدون ذرية ؟ ممكن سعيد وزميلاه أن يقدما لي وصفة أحمل بها.. لم اليأس ؟

تناولت الموبايل ، ورنت على عارف، ثم نظرت للساعة ، كانت بعد منتصف الليل لم تنتبه إلا بعد الضغط على رقم عارف.

رد فقال : أهلا جريدة .

قالت جريدة : آسف لم انتبه للساعة إلا بعدما ضغطت على الزر .

قال : عدت من بيت وردة مباشرة للبيت!

قالت جريدة : أنا صدقا في البيت .. حلفت ألا أقرب الكأس .. حلفت لنفسي فقط ألا أشرب كأسا .. أريد أن أتغير مثلكم .

قال سعيدا : والله هذا جيد وبشرى خير! أنا في الخدمة.

قالت : أنت نائم أم مستيقظ!

قال : خلاص استيقظت يا غزال! ألبس الثياب وآتيك .

قالت : شكرا ، الخادمة موجودة .

حدثته عم صدر من جهاد حول الزواج والعريس

قال : حسنا ! دعيني بضع دقائق أشرب القهوة ، وأرن عليك.

قالت روز : أنا استيقظت على الرن .. هل أعمل لك القهوة ؟

ـ محمد مستيقظ أم لا!

ـ غير مستيقظ .

قال : نشربها معا حبيبتي الغالية.

لما شرب كوب القهوة ، انتقل لمكتب البيت ، وجلست روز مثله ، تتطلع فيه ، هي لم تشرب ؛ لأنها ترضع الرضيع ، ولما صحصح وفعل تلك الطقوس رن على الدكتورة وبعد الكلام والسلام

قال :حدثني أخوك الغالي أن رئيس جمعية العفاف والفضيلة ـ تكلم عن الجمعية ـ وسألها : أسمعت بها ؟

قالت: من عهد قريب .. تابع.

قال : جهاد له علاقة معها ، وتعاون معنوي ومادي، ومع غيرها من الجمعيات الخدمية والثقافية والدينية والنوادي الدينية والعلمية.

قالت جريدة : جهاد عجيب ! وسامي ابن عمنا سمعت عنه الليلة أشياء عظيمة وذهلت من مشاريعه ، ولديه كل هذه الطاقة.. من هو العريس المنتظر؟

قال : باختصار هل لك رغبة بالزواج؟

قالت جريدة : ولماذا أسأل ؟

ـــــ

عادة الدكتور عارف نجيب يغادر المؤسسة الخامسة مساء صيفا أو شتاء وأصبحت الإدارة كل يومين في قسم خلال الأسبوع ؛ بسبب فصل

الأقسام ، فيوم في الأول يراجع الأعمال ، ويوقع على التقارير ، ويوم في القسم الثاني وهكذا دواليك ، ويدرسون اقتراحا لفصل الأقسام عن بعضها نهائيا ، ويصبح كل قسم مؤسسة وحده ، وبعد مغادرة عارف القسم الرئيس ، تبقى الأعمال لساعة أو لساعتين في بعض الفروع إلا الإسعاف والصيدلية فهما يعمل ليل نهار .

وصلت جريدة منزل شقيقها بعد صلاة المغرب ؛ حيث كان عارف يصلي ، فعانقت روز ، وحملت محمدا ، وروز تدعو ربها أن يطعمها ذرية تقر عينها بها ، وتلك تردد : أمين .. شكرا حبيبتي روز !

وجاء عارف ، وسلم عليها ، فقبلته من خده ، وقبل رأسها ، وساقها إلى المطبخ ؛ حيث مائدة الطعام التي أشرفت على إعدادها روز ، فتبين لجريدة طبعا مهارتها في الطهي ، وتخلل الطعام الحديث عن أخبارهم ، وتحدثت جريدة عن عملها في المركز الخاص بها ، وسرورها بالتطوع لرعايته . وحين انتهى العشاء انتقلوا إلى غرفة الاستقبال الصغيرة التي يحب عارف استقبال فرد أو اثنين فيها ، ولما حضرت القهوة قدم عارف لشقيقته قطعة شوكولاتة من التي تستوردها المؤسسة لحسابها ، وهي مرتفعة الثمن عن غيرها من الأنواع الشائعة في البلاد .

وصل الحديث عن العريس المعروض عليها أو المطلوب منها أن تقابله ، فقال عارف : هو لا يُفرض علينا يا أختي الكريمة .. هو خيار وصديق لجهاد أو معرفة .. هو دكتور جامعة محترم عرفني به جهاد.. عمره أربعون سنة.. متزوج .. متزوج سابق .. تزوج دكتورة جامعة لاشتغالهما معا .. أنجبت له ذكرا واحدا يدرس في الجامعة حاليا .

قالت جريدة : ولماذا يريد الزواج ؟!

تبسم وقال : المرأة سر عجيب ! لغز ! كما يتحدث بعض الفلاسفة .. هذه المرأة لم يعد يعجبها الرجل .. فطلبت الطلاق ..وسبب الطلاق جنون .

قالت جريدة : جنون ! كيف ؟!

قال مستسخفا الأمر : أحبت مدرسا دكتورا في الكلية التي تعمل فيها!

قالت جريدة دهشة : أحبت زميلا لها ! الحب في الأربعين!

صاح : أليس هذا جنونا ؟! وهذا الدكتور عمل قبل سنوات قليلة وزيرا للمعارف .. وهو يرأس جمعية العفاف والفضيلة .. هل سمعت بها ؟

قالت جريدة : أمس .. من سهرة أمس .

قال : الدكتور أحمد نبيل يعمل في جامعة بعنبس الدولية دكتور إدارة .

قالت جريدة : يعرفه جهاد طبعا!

قال : بالطبع ! يعرفه جهاد عن طريق الجمعية ، لما رجع جهاد من عمان قدم الدكتور للسلام عليه ، فأخبره بقصته مع أهله ، وأنه أضاف اسمه في قائمة الزواج في الجمعية .. فسأله عن السبب ، فقص عليه ما قلته لك ؛ وربما مازحا قال هل حولك عروس يا جهاد ؟ فذكرك أمامه وأنك طلقت مرتين ، والطلاق الأول حصل بسبب العجز عن الحمل ، والدكتور منذ ولد ابنه نبيل ، لم تحمل الدكتورة زوجته ، اكتفت بواحد ، وقبل بسبب التأثر بفكرة مولود واحد يكفي ثم تدين وأسلم مثلنا ، وعمل قائدا للجمعية لإضافة الثقة للجمعية ، ودعما للجمعية ، وهو خبير إدارة مثقف ، وقال جهاد إن أخته بحاجة لرعاية وعناية

صمتت بعض الوقت وقالت : متى نجلس معه ؟

قال : جلست معه عندما عرفني عليه جهاد باعتباري أقربهم إليك في الأمور الخاصة ، حتى لا تري قول جهاد ؛ كأنه أمر أو إجبار .

التفتت إلى روز الصامتة كالتلميذة الخجولة : حبيبي يا جهاد ! لست لهذه الدرجة حساسة .. أرأيت يا روز ؟

قال : البيت هنا جاهز للقاء .. تجلسان وحدكما تناقشان حياتكما معا أو تلتقيان في مطعم صالة فندق أي مكان عام.

قالت جريدة : متدين كجهاد!

قال : لا ، أقل درجة أو درجات .. يصلي مثلي ، غير متشدد اذا حسبت جهادا متشددا .. والأفضل أن تتديني حبتين .. لماذا لا تتدينين ؟ الصلاة صعبة عليك رويدا رويدا تتعودين، وتصبحين وردة أخرى .

قالت جريدة : بطلت أشرب الكأس ، وغيرت نمط اللباس منذ بدأت أندمج مع الأيتام .

قال : هذا اللباس مقبول ، هو غير متشدد .. اجلسا معا ، وتناقشا في كل شيء في السلوك في العلاقات مع الأهل مع أهله وأهلك ، في السعي للحمل والولادة .. والله أنا رأيته مناسبا لك رجل متزن ، ولا يفتخر أنه كان وزيرا ، حتى ولا تشعرين بأنك تجلسين مع وزير سابق .

طلبت جريدة من جهاد أن يرافقها في اللقاء بالدكتور احمد نبيل ، فقبل المشاركة والتعريف بينهما فقالت : أرغب وأود بأن تحضر اللقاء أنت .

قال جهاد : أخشى أن تتحرجي من وجودي ، وتخجلين من مناقشة مواضيع خاصة بك .

قالت جريدة : نجلس معا ، واذا احتجت وجودك معنا تقترب منا.

قال : ولا يهمك يا أختي الغالية !

وافق عارف على هذا الترتيب واتصل بالدكتور

احمد ورتب أن يكون اللقاء في منزل جهاد بعد التاسعة ليلا. تناولت جريدة العشاء في منزل جهاد ، وشاركهم الدعوة الدكتور احمد مما فاجأ جريدة لأول وهلة ، ثم ارتاحت نفسها لهذه الخطوة ، فاحمد زميل وصديق لجهاد .

ولما انتهى الطعام ذهب بهما إلى مكتبه البيتي الذي قامت الخادمة صباحا وقبل قليل بمسح غباره ولما جلسوا قدمت لهما الخادمة القهوة بعد دردشة قصيرة ، قال معرفا مرة ثانية : هذه أختنا التي ذكرتها لك يا دكتور احمد .. وهذا أبو نبيل يا دكتورة صديقي من سنوات .

وبعد دقائق خرج جهاد وتركهما يتحدثان على شبه انفراد ؛ حيث لم يغلق الباب ، وحدثها الدكتور عميد كلية الإدارة عن حياته وزواجه وعمله ، وقصة طلاقه من أم نبيل ، وقصت جريدة قصة زواجها من شهاب بعد قصة حب أثناء الجامعة ، ثم سفرهما للرياض فور التخرج وعاشا خمس سنوات ، ولم يحدث الحمل ، وكان السبب المهم لفراقهما ، ولما رجعا وتأكد له عدم قدرتها على الحمل انفصلا وتزوج شهاب ، وحملت امرأته الجديدة ، فثبت أن الإعاقة منها ، ثم سعى طبيب نادي رياضي للمكر بها بعد أن قبلت الزواج منه ، ومن أول أسبوع طالبها بمائة ألف ليفتح مشروع تجاري .

وقالت: كنت قبل طلبه المالي أن فتحت حاسوبه الشخصي بدون علمه ، ورأيت فيه ملفات فيها صور نساء وعناوينهن، فانتهت العلاقة بيننا بعد أقل من أسبوعين ، وكانت همزة الوصل بيننا طبيبة زميلة سهلت عملية الخداع للأسف .

فقال معلقا : هذه الدنيا كما قيل ، تزوجت أماليا بعد الجامعة مثلك وصاحبك وكملنا الماجستير والدكتوراه معا ، واكتفت بمولود واحد ، وقبلت ؛ لأنني كنت متشبعا بالعلمانية .. والواحد مثل الأوروبيين كفاية .. وقبل سنة عشقت رجلا وزعمت أنه يحبها ، وحصل الطلاق .. هذه الدنيا ، كما قيل ثمانية لابد للمرء أن تجري عليه سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر وسقم وصحة أو عافية .. جهاد شقيقك المحترم تعرفت عليه أثناء زيارة لجمعية الإغاثة .. ذهبت أسلم أموالا جمعتها لمصلحتهم .. وتعرفت عليه وزارني في جمعية العفاف، وشاركنا في العمل التطوعي ، وعرفني على الدكتور إبراهيم .. وصار المكتب يساعدنا في القضايا القانونية تطوعا نحن مشاكلنا القانونية ضئيلة ؛ لكن بعض الناس يستاؤون من عمل أو خطأ فنحتاج للقانون وتطّورت الصداقة ، وشاركنا جهاد والمكتب بنشاطاتنا المختلفة ؛ فاذا رأيت أني الرجل المناسب سنتقدم خطوة ؛ بل خطوات ، لا وقت للانتظار .. فخير البر عاجله

.. فعندنا في الجمعية ندون مواصفات الراغب في الزواج عن طريقنا من الجنسين ، ثم نرى المناسب في رأينا لكل منهما ثم عن طريق الهاتف نحاور ونعرض المختار.. فاذا أبديا الاستعداد نجمع بينهما في الجمعية في غرفة خاصة غير مغلقة أو يذهب الطالب لبيت المطلوبة .

قالت جريدة : أنا راغبة بالزواج كسائر النساء .. وأنا بحاجة للبيت الهادئ والزوج المحب .. ليس كالحب المزعوم والوهمي ..وأهم هدف لي من الزواج الحمل ، وأن أصير أما ، وأسعى إلى ذلك بعزيمة وبدون إحباط من زوجي حتى نصل إلى زمن يتأكد لي أني عاقر مائة بالمائة .

قال : أنا لا مانع لديّ لتحقيق هذا الهدف الشرعي، وهو الغاية من الزواج ..أنا لديّ ولد واحد وهو في الجامعة يا دكتورة ! فطليقتي رفضت إلا واحدا فقبلت كانت أفكاري مريضة .. اعترف بذلك ..علماني مائة بالمائة.

قالت جريدة : هذا طلبي الوحيد سأستدعي جهادا ليشهد .

قال : هذا الطلب موافق عليه بدون أن تطلبيه ، وأتمنى أن أرى ذلك .. وعمرك حسب ما قيل لي صغير .. وسنك تسمح بحدوث ذلك .. ومستعد أن نعمل كما فعل الدكتور عصام والدكتورة الرائعة وردة.

———

دخل جهاد تتبعه الخادمة بالشاي والمكسرات ، وكرر ترحابه بهم من جديد ، ولما تناول احمد الشاي ، قال: بارك لنا يا دكتور فأختك الفاضلة قبلت بي ، ولها شرط وحيد هو الحمل ، وأنا هذا غايتي ومبتغاي ، ولست عجوزا .

قال جهاد : اذا لكما نصيب ستوهبان بالذرية .. وهذا من أسمى أهداف الزواج في الحياة الدنيا وأقدم مهنة في التاريخ الولادة وطب الولادة يا دكتورة ! عفوا أنت تحبين أن أناديك يا أختي! هي أصغر ذرية أبي .

ضحكوا لمداعبة جهاد وقالت : دكتورة للآخرين .. مع أني تركت الدكترة وأنا أعيش مع الأيتام

قال جهاد : هل من شرط أو شروط ترغبين بتحقيقها من صديقنا أبي نبيل ؟

قالت : سأفعل كل ما يطلبه مني عن طيب نفس .. القضية الأولى أن أجتهد في الحمل ، ولو فعلنا مثل وردة .. والدكتور أبدى استعداده لذلك.

قال : صدقا يا دكتورة راغب بالولد .

قالت جريدة : منذ عملت مع الأطفال الأيتام ، وأنا أكاد أموت في الأطفال وحبهم والتعلق بهم . فتدمع عيناي لما أسمع أحدهم ينادي: ماما جريدة.

قال جهاد : بعون الله لن يألوا الدكتور جهدا في هذا الحق.

قال : سأبذل قصارى طاقتي يا أبا عبدالله ! المال والبنون زينة الحياة الدنيا .. زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير .. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.

قال جهاد : بارك الله لكم ، وجمعكم على كل خير .. كان اللقاء وديعا.. أتبكين ؟!

قالت : آسفة ! لي فترة أتأثر سريعا وأبكي .. معذرة يا دكتور .. اسمحوا لي بالخروج لغسل وجهي.

خرجت ودردش الرجلان عن قلوب النساء ورقتها ، وعن الجمعيات حتى رجعت جريدة وهي تعتذر من جديد ، وقالت : هل من شروط مطلوبة مني؟

ضحك الرجلان وقال جهاد : نيابة عن صديقي احمد ، فنحن نعرف بعضنا من سنوات عديدات.. سبع تقريبا.

قال : تقريبا .. يبدو أن والدكم الدكتور نجيب لما اخبروه بولادة جريدة كان يقرأ في الجريدة فسماها جريدة.

ضحكوا وقالت : لا أعلم .

قال جهاد : الدكتور يعلم أنك لا تصلين ، ويتمنى أن تصلي من أجل الله ليس من أجله ..لن يدق على ذلك .. كان عدوا للصلاة قبل توبته وانقلابه على العلمانية .

قالت : والشرط الثاني . وضحكت ؛ لأنها تعرفه.

قال جهاد : الدخان لن يقول لك لا تدخني ، واذا عنّ في رأسك الدخان دخني في غرفة خاصة مثل الإنجليز غرفة التدخين.

قالت جريدة : سأفعل قبل يومين جددت وردة بنصحي بالصلاة وتشجيعي عليها رويدا رويدا سأتغير أعدكم بذلك ، سأصلي بإذن الله ، كنا نصلي في الرياض نفاقا.. فعلا أرغب بالاستقرار وأن أعيش مع رجل يحترمني وأحترمه .. مللت من حياة الطيش .

قال احمد : والله أنا سعيد بمثل هذا الكلام ! سنرتب الأمور مع جهاد غدا بإذنه تعالى قبل سفره لعمان .

قال جهاد : نعم ، لابد من السفر .

قالت : نحن في وسط آب بعد !

استأذن الدكتور بالانصراف ، فمشى معه جهاد حتى ركب سيارته وانطلق، ولما عاد وجد جريدة تجلس في الصالون مع رندا فسلم وجلس ، وقال : الدكتور سعيد بك ، وأنت هدية من السماء يقول ، وهو مثلك يبحث عن السكينة والأنيس ، ويعيش مع خادمة ، كما تعشين .. ما رأيك؟ هل

أنت مقتنعة به؟

قالت جريدة : أنت ألم تقبله لي؟

قال جهاد : بالتأكيد ! وإلا لماذا عرضته عليك ؟

قال : ليس شرطا أن تحبني أختك فالحب يأتي بعد الزواج والعشرة .. كم رأينا في الجامعة من دعاة الحب والغرام وقليل من يتزوج بعضه بعد التخرج ؟! الحياة تصنع الحب .. أنا وأم عبدالله نحب لك التوفيق في الزواج .. والرجل كما رأيت يطلب منك تغيير نمط حياتك على أقل من مهلك.. لا يريد أن تكوني في يوم وليلة رابعة العدوية .. المهم النية والرغبة.. فالرجل له عشرين سنة في الإدارة ، وساير أم نبيل ، وقبل بالابن الواحد مع أنه تدين من تسع سنوات .. فتركها كما تريد .. وهو مستعد لكل تكاليف العلاج .. فالرجل ميسور ليس طامعا في مالك .. هو يبحث عن السعادة والسكون والرحمة ؛ كما تنشدينها أنت .. وما تفيد ملايين الدنيا بدون راحة وسكينة .. فنحن وسامي لم نفتح المشاريع رغبة بمزيد من الملايين.. إنما لإدخال السعادة على البسطاء والطيبين الذين لا يملكون المال .. فيعمل معنا المئات .. فهؤلاء الأيتام الله يسخرنا لدعمهم ماديا ومعنويا .. سنموت وتبقى الملايين أتعلمين أن ساميا وحسنا أغنى منا ماديا ؟

ـ كيف؟!

قال جهاد : أنت تسمعين عن سامي وحسن وعملها ؛ لكن ثروتهما مجهولة لك ولغيرك حتى هذه أم عبدالله تعتقد أني أغنى من سامي.

هزّتا رأسيهما بأنها فعلا لا تعلمان مقدار ثروته .

قال جهاد : سامي منذ تخرج وحتى قبل أن يتخرج كان يستثمر مع أبيه عمنا حبيب ؛ ربما خرج من الجامعة وهو يملك عشرة آلاف على الأقل ؛ لأن عمي أصر على دفع تكاليف الدراسة ؛ كما فعل مع عصام ونوار ومعنا أنا وسالم ، ورغم غنى أمنا وتجارتها ، تكلف دراستنا ؛ لأننا عشنا تحت رعايته وكفالته ووصايته ؛ كما أراد أبونا .

قالت جريدة : وأين أمي ؟

قال جهاد بجفاء : دعينا من أمنا ، أصر عمي ، لأننا عشنا في ولايته ؛ فكان يصرف علينا ؛ كما يصرف على عصام ونوار وسامي .. وأمك تعلم ذلك .. وكانت تقول أمام الناس : أموال أبيهم

قالت جريدة : أول مرة أعرف .. كمل عن سامي شوقتنا.

قال جهاد : تخرج سامي وحسن ؛ حيث كانوا معا في كلية الهندسة ، فوالد حسن مهندس بناء وله شركة مقاولات مع خال سامي ، وقد تعرض لسقوط في إحدى الورشات ، فتسبب له السقوط عن أضرار في العمود الفقري ، فلما انتهى حسن وسامي من الدراسة استلما الشركة ثم تقاسم

الشابان الشركة ، واعتزل الأب العمل نهائيا ، وباع خال سامي حصته لسامي ، وكُلف حسن بمساعدة إخوته وأخواته في الجامعات ، وتخرجت نوار من كلية الطب ، وتزوجها حسن عن كلام قديم بين عمي ووالد حسن ، فهم جيران في الحي ، وكبرت الشركة وأصبحت من الدرجة العليا الأولى في البناء في البلاد ، وكثرت المشاريع الأخرى ، تعلما من العم .

قالت رندا : إذن سامي يملك أكثر منك ومن جريدة!

قال جهاد : زكاته الخاصة دون المشترك والمشاريع التي تزيد عن مائة.. أذكر في سنة كانت زكاته ٢٥ ألف لكل مليون ، فلما يكون يملك باسمه حوالي ٧٠ مليون ، فكم تكون الزكاة يا جريدة ؟

بهرت جريدة ورندا وقالتا : ما شاء الله !

قالت جريدة : لا أدري ! كم ؟

قال جهاد :١٧٥٠٠٠٠

قالت جريدة بذهول : سامي وحده ، زكاته مليون ٧٥٠ ألف يا الهي ! يخرجها للفقراء .

قالت رندا باستغراب : لا يظهر هذا الغنى عليه !

قال جهاد : عشرات الجمعيات التي تعنى بالفقراء تتلقى من زكواته ، وحتى مؤسسات تابعة للدولة يدفع لها ، وتنقل بعض الزكوات إلى دول أخرى .

قالت جريدة : شيء مذهل .. مذهل ! صدق أنني متفاجئة حقا !

قال جهاد : أنتم أقصد أنت ووردة وعارف كنتم بعيدين عن سامي حتى عصام يجهل هذا قبل مرضه أثر الحادث .. فسامي المؤسسة التي أنشأناها من سنتين يعمل بها حوالي ثلاث آلاف إنسان .. كم أسرة تعتاش منها ؟.. المهم إدارة جيدة ، ومتابعة دقيقة.. نعود لأحمد .

رن الهاتف: عارف خذي .. استحى أن يضرب عليك مباشرة .

تناولت الهاتف من يد شقيقها ، وبدا ساخطا لعدم اتصالهم به ، ولما سمعها خفف من عتبه وقال : زهقت وأنا أنتظر نتيجة الاختبار .. قمحة ولّا شعيرة .. عفوا .. فكرت جهاد.

قالت جريدة : قمحة .. الحمد لله ..قبل قليل انتهى اللقاء .. وتفاهمنا على الأهم وغدا سيكون اللقاء الفصل .. وقبل سفر جهاد ؛ حيث سيزور عمان للتسجيل والعودة لإنهاء الموضوع.

ـ هو لم ينته!

قالت جريدة : العرس سيكون خلال هذا الشهر إن شاء الله.

ـ أنا قادم .. لا ينفع الكلام على آلو .. آلو.

فقال جهاد وهو يستعيد الجهاز : نحن في انتظارك مع أم محمد .

أخذت جريدة يد جهاد ولثمتها فجأة وهي تقول: أنا ممتنة لك يا أخي الشجاع ! كنت يا رندا وما زلت أهاب منه ، وأتحاشا اللقاء به عند أمي ، وذلك أكثر من سالم .. لا أدري لماذا ؟! كنت أخشى هذه اليد التي قبلتها أن تصفعني .

ملس على رأسها بلطف ومحبة وقال : يا لك من طفلة ! لا أذكر يا غالية أنني مددت يد على أنثى في حياتي التي مضت ، هل آذيتك يا أم عبدالله بيدي ؟

قالت باسمة : لم أدعك لتفعل ذلك !

تحولت إليها معانقة قائلة : دائما أنت رائعة ! هنيئا لكم الدفء العائلي .. الوهم قتلني يا حياتي

أحلى يوم في عمري يوم تصالحنا ، وقبلتني وقبلتك، وربت على ظهري وشددت أزري بنبلك وردة ترن .

فتحت الخط وقالت : ما زلت عند جهاد .

قالت: عارف في الطريق ، وهو مهتم أكثر منك بنتيجة المقابلة .

قالت جريدة : أتعبته بقصصي .. تفضلي أنت والدكتور .

قالت: سنأتي لنرى الابتسامة على وجه عروسنا .

قالت جريدة : شكرا حبيبتي غمرتموني بحبكم .

رن جهاد على زوجة سالم ريم أم سيف الدين ، وهو يقول لهم : سالم في السعودية ولما ردت دعاها وقال : انزلي لنفرح مع جريدة بقبولها بالاقتران بصديقنا احمد نبيل ثم كلم عمه حبيب وقال : جريدتنا قبلت بالاقتران بأحمد .. نعم ، هي بجواري.

أخذت الهاتف ، وتلقت التهنئة من عمها وزوجته ، وتمنوا لها السعادة والخير مع الدكتور احمد نبيل.

واتصل جهاد بسامي ونوار ، وقال سامي: ظهرا سأمر على مركز الأيتام ، وأبارك لها بإذنه تعالى لقد زرته مرة .

قال جريدة بعدما انتهت من الحديث مع نوار التي تحدثت مباشرة مع جريدة تبارك وتهنيء.

قالت جريدة :لقد زارني بترتيب مع عائشة ، وقدم ملابس لهم وقرطاسية وحلوى.

قال جهاد : سامي عنده لمسة حنان تجاه الأيتام ، يساهم كثيرا في رعايتهم والعناية بهم ، ولا أظن مركزا للجمعية رحمة لم يزره ، وفعل ما فعل في مركزك .. صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

حضرت وردة وعصام وعارف وروز وريم ، واحتفلوا على الهامش ، ونقل جهاد الموافقة وصورة الاحتفال لأحمد الذي تكلم مع جريدة ، واتفقوا على عقد الزواج قبل سفر جهاد لعمان للتسجيل في الجامعة ، وبعد رجعته بإذن الله سيتم حفل الزواج .

تم العقد صباح اليوم التالي ، وحضره جهاد

وعارف، وستسكن جريدة في فيلا احمد نبيل ، وطلب منها اختيار ستائر الفيلا لتجديدها وأثاث غرف النوم ، وحلف سامي أن يكون كل ذلك هدية منه لابنة عمه ، واعترض الدكتور ؛ ولكنه وافق لما رأى إصرار سامي ، وعرف كم يحب الأقارب أخت جهاد ؟ وقدمت الدكتورة شكرها الجزيل لسامي وأقاربها وتعترف بنبلهم وحبهم لشخصها الضعيف .

اغتيال قائد

اسمه أحمد سعيد الجعبري وظيفته نائب القائد العام لكتائب القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس ، وهو القائد الفعلي للكتائب على الأرض حتى اغتياله ، يُطلق عليه رئيس أركان حركة حماس ، وهو من أهم المطلوبين لإسرائيل ، وتتهمه إسرائيل بالمسؤولية عن عدد كبير من العمليات ضدها ، نجا من عدة محاولات اغتيال ، وقد قصف منزله في الحرب الأخيرة على غزة ٢٠٠٩ ، وقد ظل ممسكاً بملف الجندي شاليط منذ أسره في حزيران ٢٠٠٦ حتى اطلاق صراحه ٢٠١١.

تتميز شخصية القائد الجعبري بقدرات أهلته لقيادة الكتائب ، وأشارت التقارير أنه استطاع نقل الكتائب نقلات نوعية ، ووضع لها نظاما عسكرياً متينا ، إضافة لإشرافه على العديد من العمليات ضد الكيان الصهيوني.

الرابع من كانون الأول ١٩٦٠ ، ولد المجاهد احمد الجعبري في حي الشجاعية شرق مدينة غزة ، في أسرة ملتزمة وبسيطة ، تعود جذور عائلته إلى مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية ، أنهى دراسته



الابتدائية والإعدادية والثانوية في مدارس قطاع غزة ، ليعمل بعدها في الزراعة ليعيل أهل بيته ؛ كون والده مقيماً في ذلك الوقت في الأردن ، متحملاً مسؤولية البيت في غياب والده ، لمدة تسع سنوات متواصلة تحمل فيها الجعبري مسؤولية بيته في الرعاية والاهتمام ، له ستة أولاد ذكور وابنتان ، ولم يثنِ ذلك الجهد الجعبري على مواصلة مسيرته التعليمية حتى حصل على شهادة البكالوريوس في تخصص التاريخ من الجامعة الإسلامية بغزة.

استهل الجعبري حياته النضالية في صفوف حركة فتح النشطة في القطاع ، وقد اعتقل مع بداية عقد الثمانينيات على يد قوات الاحتلال ، وأمضى ١٣ عاماً بتهمة انخراطه في مجموعات عسكرية تابعة لحركة فتح خططت لعملية فدائية ضد الاحتلال

عام ١٩٨٢ ، وخلال وجوده في السجن أنهى الجعبري علاقته بحركة فتح ، وانتمى لحماس وعمل بمكتب القيادة السياسية لها، وتأثر بعدد من قادتها ومؤسسيها الأوائل ، كان أبرزهم عبد العزيز الرنتيسي وإسماعيل أبو شنب ونزار ريان وإبراهيم المقادمة ، ومؤسس أول ذراع عسكري

للحركة الشيخ صلاح شحادة. وتركز نشاط الجعبري عقب الإفراج عنه من سجون الاحتلال عام ١٩٩٥ م على إدارة مؤسسة تابعة لحركة حماس تهتم بشؤون الأسرى والمحررين ، ثم عمل في العام ١٩٩٧م في حزب الخلاص الإسلامي الذي أسسته الحركة في تلك الفترة لمواجهة الملاحقة الأمنية المحمومة لها من جانب السلطة العرفاتية آنذاك.

في تلك الفترة توثقت علاقة الجعبري بالقائد العام لكتائب القسام محمد الضيف ، والقائدين البارزين عدنان الغول وسعد العرابيد ، وساهم معهم إلى جانب الشيخ صلاح شحادة في بناء كتائب القسام ، ما دفع جهاز الأمن الوقائي التابع للسلطة في العام ١٩٩٨ إلى اعتقاله لمدة عامين بتهمة علاقته بكتائب القسام ، وتم الإفراج عنه مع بداية الانتفاضة الثانية إثر قصف الاحتلال لمقرات الأجهزة الأمنية في القطاع.

وقد ظل القائد الجعبري ثالث ثلاثة في المجلس العسكري لكتائب القسام إلى حين اغتالت إسرائيل الشيخ شحادة عام ٢٠٠٢، وفشلت في محاولة اغتيال الضيف عام ٢٠٠٣ والتي أصيب خلالها بـ "جروح بالغة وإعاقات غير محددة"، ليتحول معها الجعبري إلى القائد الفعلي لكتائب القسام إلى جانب "الضيف" القائد العام للكتائب في فلسطين.

وتعرض رجل "صفقة الأحرار" لمحاولات اغتيال إسرائيلية عدة ، كان أبرزها تلك التي نجا منها بعد إصابته بجروح خفيفة عام ٢٠٠٤، بينما قتل ابنه البكر محمد ، وشقيقه ، وثلاثة من أقاربه ، باستهداف طائرات الاحتلال الحربية منزله في حي الشجاعية.

قال الجعبري: ما دام الصهاينة يحتلون أرضنا ؛ فليس لهم سوى الموت أو الرحيل عن الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وصرح في رسالة نشرتها مجلة درب العزة التي تصدر عن المكتب الإعلامي لكتائب القسام في

ذكرى الحرب الإسرائيلية الثانية على غزة : كتائب القسام لم ولن تسقط من حساباتها أي خيار ممكن من أجل تفعيل المقاومة وتحرير الأسرى وقهر العدو الغاصب المجرم ، عيوننا ستبقى دوما صوب القدس والأقصى ، ولن تنحصر داخل حدود غزة ، وإن مشروعنا المقاوم سيمتد كما كان دوماً إلى كل أرضنا المغتصبة إن عاجلاً أو آجلاً.

وكان دائما على رأس قائمة المطلوبين لإسرائيل، التي تتهمه بأنه المسؤول والمخطط لعدد كبير من العمليات ضدها ، تعرض الجعبري لمحاولات اغتيال إسرائيلية عدة كما سلف ، ثم تم اغتياله لاحقاً بقصف إسرائيلي على سيارته ، وذلك في يوم الأربعاء ١٤ نوفمبر ٢٠١٢.

يوم الأربعاء عصرا الرابع عشر من نوفمبر ٢٠١٢ ، تمام الساعة الرابعة إلا ربع هزّ انفجار قوي أرجاء قطاع غزة ؛ حيث قامت طائرات العدوان الصهيونية باغتيال أحمد الجعبري في قصف سيارة كانت تسير قرب مشفى الخدمة العامة وسط مدينة غزة. تلك الجريمة أشعلت الأراضي الفلسطينية ، دفعت خلالها المقاومة لتوجيه ضربات للمحتل في حرب السماء الزرقاء التي استمرت لثمانية أيام ، ضربت خلالها المقاومة تل أبيب ومدينة القدس المحتلة ، وشلت الحياة في الكيان الصهيوني في حين ارتكب الاحتلال العديد من الجرائم البشعة في صفوف المواطنين الأبرياء ، ارتكب مجموعه من الجرائم في قتل عوائل فلسطينية بأكملها مثل عائلة الدلو وكذلك قصف مباني وعمارات يستخدمها الصحافيون ، وأدت إلى استشهاد ثلاثة من الصحافيين ، واستهدفت برجي شوا وحصري والشروق بضربات مباشره لمكاتب صحافية.

نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية ، تفاصيل الإعداد والتجهيز لعملية اغتيال القائد القسامي ، واستهلت الصحيفة تقريرها بوصف دقيق لعملية اغتيال الجعبري، ويقول الرائد (ط) وهو ضابط ما يسمى بـ "الفهم الشبكي المسؤول عن مجال الإرهاب الفلسطيني في وحدة جمع المعلومات ٨٢٠٠ التابعة لشعبة الاستخبارات": " كان الجعبري ٥٢ عاما على رأس قائمة أهداف اغتيال الجيش الإسرائيلي وقد استُعملت حوله جميع القدرات الاستخبارية تعلمنا أن نعرفه ، وأن نفهم ما يفعله ، وأن نخنقه استخباريا ببساطة". ويقول تقرير الصحيفة "منذ سنتين وإسرائيل تعتبر الجعبري الهدف الأفضل والأهم بالنسبة لها ، وكان مستهدفاً من زمن طويل ، غير أن الذي كان يقف مانعاً أمام اغتياله وحافظ عليه حيا هو جلعاد شاليط".

ويصف الضابط (ط) حياة الجعبري بالقول "يعلم الجعبري أنه يحيا في زمن مستعار ، وتصرف

على هذا الأساس، ونجا في الماضي من الاغتيال .. كان شكاكا وكان يعلم جيدا بأننا نتعقبه .. سكن عدة بيوت ، ولم يكن يركب السيارات إلا برفقة أناس اعتمد عليهم ، فقط بهدف تناول الطعام في المطاعم أو نقله إلى بيته .. واعتمد على حلقة ضيقة من مساعديه المقربين ، وكنا نعلم حين يفعل أحد أولئك المقربين شيئا ما ؛ فإن ذلك يتصل بالجعبري .. كان يمنح وقته للعمل التنظيمي ويزور المواقع ويراقب التدريبات ولا يخرج إلا مضطراً".

وتقول الصحيفة "يوم الأربعاء الموافق ١٤ تشرين الثاني ٢٠١٢ قبل الساعة الرابعة بعد الظهر بخمس دقائق بالضبط حددت إسرائيل نهاية الجعبري بصاروخين من سلاح الجو ، وقتل الجعبري ومرافقه"، مشيرة إلى أن سلسلة من الاجتماعات الأمنية عقدت في مختلف أجهزة الأمن قبل عملية الاغتيال وبعدها وأيضا من أجل متابعة عملية (عامود السحاب) وما رافق تلك الاجتماعات من آراء مختلفة حول الهجوم وتداعياته.

وتضيف الصحيفة "بدأت حماس عقب السيطرة على غزة في تقوية حكمها ، وكان شعورها أنها قادرة على القيام بالإدارة وبالإرهاب معا ؛ ولكن عملية (الرصاص المصبوب) حطمت هذا التصور وبدأت الحركة تقوي العمل السياسي .. ولاحظ الجعبري هذا التوجه ، وبدأ يقترب من الذراع السياسي ، فبنى لنفسه تأثيرا كبيرا في الاتجاهين العسكري والسياسي ، بيد أن الزمن فعل فعله وأخذ يضعف الردع الإسرائيلي الذي تم الحفاظ عليه منذ عملية الرصاص المصبوب وتحولت جولات التصعيد في السنتين ٢٠١١ – ٢٠١٢ أكثر عنفا من حيث كمية إطلاق الصواريخ ومداها والأهداف".

ويقول أحد كبار المسؤولين في سلاح الجو الإسرائيلي "أدركنا أنه يجب علينا أن نحطم هذا الرسم البياني ، وكان واضحا أننا نتجه إلى عملية أساسها معركة جوية مهمة تضرب مخزون الصواريخ ووسائل القتال ، وعلمنا أيضا أن إصابة محاور اتخاذ القرارات والقيادة تؤثر جدا في العدو ، وعلى حسب ذلك تم تخطيط عامود السحاب".

وحين بدأت العملية بُذلت جميع الجهود الاستخبارية للبحث عن فرصة اغتياله أو اغتيال مسؤولين كبار آخرين . تقول النقيب (عدي) من قسم البحث "سؤالان عرضا على القسم كانا بحاجة لإجابة من رئيس الوزراء، الأول: كيف سترد حماس على اغتيال الجعبري؟ هل تطلق صواريخ على تل أبيب أم تستمر في الإطلاق إلى المدى نفسه؟ والسؤال الثاني: كيف سيؤثر اغتيال

الجعبري في حركة حماس في أمد بعيد؟.. الأول كان جوابه من خلال عرض سيناريوهات الرد المحتملة من قبل (حماس) كإطلاق صواريخ على مركز البلاد ، حيث بحثوا في الجيش وفي الأمن الكلفة في مقابل الفائدة، وقد رجحت كفة الاغتيال المباشر، والقضاء فورا على مخزون الصواريخ بعيدة المدى التي خطط لتدميرها والاعتماد على قدرات منظومة القبة الحديدية".

ويقول (زيف) :"كان جواب السؤال الثاني أكثر تعقيدا ، ذلك ؛ لأن الجعبري يُعد محوريا ومهما جدا في (حماس) ؛ لكنها تستطيع أن تواجه غيابه فمنذ اغتيال أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي أدركوا في حماس أنه لا يمكن أن يكون كل شيء في يد إنسان واحد ، وأصبحت البنية الحاكمة شبه هرم مقطوع الرأس ؛ ليس طرفه الأعلى شخصا واحدا بل أربعة أو خمسة من كبار المسؤولين وبالرغم من ذلك كان التقدير أن اغتياله (الجعبري) سيسبب زعزعة شديدة في الحركة وشعورا

بالتغلغل الاستخباري وتجديد الردع الذي ضاع بعد عملية (الرصاص المصبوب).

ويقول أحد المسؤولين الكبار ممن شاركوا في الاجتماعات الأمنية التي عقدت قبيل تنفيذ عملية الاغتيال "حينما وضع اسم الجعبري على الطاولة كانت الغريزة الأولى لرئيس هيئة الأركان بيني غانتس تقول إن هذه خطوة متقدمة ، وأنه لا يصح قتله ، وإن بداية كهذه لن تفضي إلى جولة جديدة ؛ بل ستفضي بنا إلى مكان آخر ؛ ولكنه لم يرفض سريعا ، وكان واضحا أن الكلمة الأخيرة في هذا الشأن لم تُقل بعد"، "خرج غانتس من مكان الاجتماع ، واتجه لمشاورات أخرى بحضور رئيس جهاز (الشاباك) يورام كوهين ، وقائد المنطقة الجنوبية تال روسو، ورئيس جهاز الاستخبارات العسكرية (أمان) أفيف كوخافي ، حيث كان غانتس يريد معرفة النار التي سيشعلها هذا الاغتيال ، وهل سيقف الأمر عند حدود العملية أم أنه سيفضي إلى احتلال غزة من جديد ؟ .. وأجرى بعد ذلك محادثات ومشاورات في هذا الشأن مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ومع وزير الدفاع آنذاك ايهود باراك"، حسب ما جاء في تقرير الصحيفة، واستعرضت الصحيفة الضغط الكبير الذي تعرض له رئيس الأركان قبل الهجوم ، وما تخلل الفترة التي سبقته من هجمات على حدود غزة والتي كان آخرها إصابة ٤ جنود بصاروخ مضاد للدبابات مشيرة إلى أن غانتس عرض على المجلس الوزاري المصغر (الكابنيت) خطة العملية بإنجاز أول في هجوم جوي وعرض بصفة خاصة اغتيال شخصية كبيرة دون ذكر الاسم ، وقيل إنه سيتم اغتيال شخصيات كبيرة في

(حماس) دون تحديد أسماء". وفي نهاية المشاورات الأمنية وبعد تقرير أمني عن التأثيرات المحتملة للعملية، أصدر رئيس الوزراء ووزير الدفاع موافقة مبدئية على اغتيال الجعبري، أما قرار تنفيذ الاغتيال بالفعل، كما تقرر، فاتخذه رئيس هيئة الأركان بناءً على استعداد القوات، واستعداد بطاريات "القبة الحديدية"، واستعداد الجبهة الداخلية ومعطيات حالة الجو وغير ذلك.

واتخذ بيني غانتس قرارا، وقال "سننتظر الجعبري يومين، أي إلى ظهر يوم الأربعاء ، فإذا لم نجده حتى ذلك الحين ، فإن الأمر سيطول كثيرا وفي هذه الحال سنبدأ العملية باغتيال اثنين أو ثلاثة من كبار المسؤولين برتب ميدانية"، ثم نقلت التوجيهات إلى الرتب الميدانية ، فدخل (الشاباك) والوحدة (٨٢٠٠) وفريق الطيران الاستخباري الذي يفترض أن يساعد على الاغتيال أقصى درجات استعداد"، يقول الرائد (ط): "جمعت فريق الجعبري من الوحدة (٨٢٠٠) وأبلغتهم أن القرار قد اتخذ وهدفنا الآن هو الإتيان بالجعبري .. الحديث عن بضع عشرات من الجنود أصبحوا مطلعين على السر ويعلمون أن الجعبري هو الهدف الآن ، ومن الواضح لنا جميعا أنه يجب أن نأتي بالمعلومات المحددة وأين يوجد بالضبط؟".

(إصابة دامغة) هو المصطلح الذي استخدم للتعرف على هدف الاغتيال .. يقول الرائد (ط): "طوال تلك الساعات كان عندنا عدد من الدلائل ؛ لكنها لم تنضج لتصبح إصابة دامغة مؤكدة تم الأمر على مراحل إلى أن أدركنا أن تلك سيارته وإلى أن تحققنا من وجوده وعرفنا كيف نصاحبه لكن ليست كل مصاحبة كهذه تنضج لتصبح إصابة دامغة".

يقول أحد الجنود "نضيق الخناق عليه ، ونوسع المتابعة حوله وحول كل الحلقات المتصلة به سواء العائلة أو المساعدين المقربين والمساعدين البعيدين وكبار المسؤولين في حماس .. نفحص كل شيء .. يجب أن نتذكر أنه حذر على نحو منقطع النظير ، وقد اعتاد دائما أن يبدل مساعديه ويُبدل السيارات ويُبدل البيوت ولم يكن ينام أكثر من ليلة واحدة في المكان نفسه لقد عرفناه إلى هذه الدرجة". ويقول قائد التشكيلة الجوية وهو برتبة مقدم "في اللحظة التي أبلغوني فيها أنه استقر الرأي على اغتيال الجعبري ، وضعت في التشكيلة أفضل الجنود تدريبا ممن اخترتهم بحرص على حسب مستوى أهليتهم ، ولم أترك شيئا للصدفة ، وفي يوم الثلاثاء علمت أن الجعبري هو المهمة لكن في يوم الاغتيال وخلال التوجيه الذي أجريته في الساعة ١١ صباحا كشفت لهم عن المهمة لأول مرة".

ويضيف "تحركنا بين عدد من المراكز بحسب

المعلومات الاستخبارية التي تم الحصول عليها من (الشاباك) والوحدة (٨٢٠٠) ، وبعد نحو ساعتين تم تلقي معلومة أن الجعبري موجود كما يبدو في مبنى ما ، ووصلنا إلى هناك ، وتابعنا الوضع من فوق البيت ، وتقاطعت جميع المعلومات وبدأنا في حصاره استخباريا وصرنا ندرك أين يوجد ؟ ولماذا ومتى سيكون هناك ؟ ومع كم من الناس ؟ وفي غضون ساعات قليلة أصبحنا على علم بتحركاته بيقين ، وعلمنا إلى أي مبنى سيدخل وكنا ننتظر فقط أن يخطئ ويخرج".

تقول الصحيفة "في مركز سلاح الجو في تل أبيب والمعروف باسم (كوك بيت) كان يجلس رئيس فريق جوي هو العميد نوركين والذي أدار عملية الاغتيال، حيث مكث في مكانه ٤٨ ساعة متواصلة منذ الموافقة على اغتيال الجعبري ، وكان سيبقى أيضاً ٢٤ ساعة أخرى، وفي مقر (الشاباك) تم إنشاء غرفة عمليات خاصة للعملية تكون مشغولة بالعاملين على مدار ٢٤ ساعة كل يوم ، ونقلت إلى غرفة العمليات كل المعلومات ونُقحت وحُللت هناك قبل أن تُنقل إلى متخذي القرارات ، فيما كان غانتس يتابع من مكتبه في الطابق ١٤ ما يجري ومشغولاً بالموافقة على الخطط لاستمرار عملية (عامود السحاب) التي لم تبدأ بعد .. وأضاء مكتبه من أجل الرؤية عبر الشاشتين اللتين بثت عليهما الصور المباشرة من الطائرات الاستخبارية ، وكان غانتس بذلك يرى الوقت المناسب للاغتيال ، بينما كان نتنياهو وباراك في زيارة لهضبة الجولان". "بلغ التوتر ذروته في مركز سلاح الجو (كوك بيت) .. هدوء وصمت .. عيون الجميع مركزة على العميد نوركين .. وفي حوالي الساعة ٣ ظهرا كانت جميع الدلائل تُبين أننا بدأنا نصل إلى الهدف وانحصرت المعلومات في البيت الذي تحلق فوقه الطائرة الاستخبارية والسيارة التي يفترض أن يدخلها الجعبري .. المسؤولية كلها ملقاة على كتفي نوركين".

وتمر الدقائق ولم يظهر الجعبري ، وبدأت الأعصاب تتوتر أيضا في مكتب رئيس الأركان ، وكلما مر الوقت بدأ كبار في هيئة القيادة يحاولون التأثير على غانتس ويقولون: لا تنتظر ، ابدأ باغتيال المسؤولين الآخرين في الميدان .. كانت لعبة أعصاب ؛ ولربما لن يخرج الجعبري البتة هذا المساء لربما يبقى للنوم هناك في الليل ، واستمر عدد من كبار المسؤولين يضغطون وقالوا لرئيس هيئة الأركان: عندك عصفورين في يدك ، سنضيعهما أيضا آخر الأمر، فاتجه إليهما .. لكن رئيس هيئة الأركان لم يخضع للضغوط ؛ بل حافظ على برودة أعصابه وأيد رئيس (الشاباك) ورئيس (أمان) موقفه .. فقد اعتقدا أنه يجب انتظار

الجعبري أكثر .. وكانوا جميعاً على حق فلو أن الجعبري بقي في ذلك البيت ساعة أو ساعتين لكفوا عنه"، يضيف المسؤول الأمني :"قبل الساعة ٤ عصرا بخمس دقائق ظهر أشخاص على الشاشتين .. كان الجعبري يخرج من المبنى ويدخل السيارة، وصادق (الشاباك) والعاملون في (٨٢٠٠) على ذلك بقولهم: هذا الجعبري ، توجد إصابة دامغة وأبلغ المقدم (دولف) رئيس هيئة الأركان والمسؤولين الكبار قربه في المكتب قائلا: خرج ، نطبق عليه .. ولم يتردد العميد نوركين في (كوك بيت) فأمر بالعملية قائلا : نفذ .. وانطلق الصاروخ لتصاب السيارة .. في (كوك بيت) ظل الهدوء والتوتر والعيون كلها مصوبة إلى الشاشات دون صيحات ابتهاج .. كانوا ينتظرون معلومات استخبارية عن الأرض ، هل أصيب الجعبري حقا؟ وهل كانت تلك هي السيارة الصحيحة؟ وإن لم تكن كذلك ؛ فربما يكون موجودا في سيارة أخرى ، ويجب اتخاذ قرار بمهاجمتها أيضا".

في غضون دقائق معدودة جاء الجواب ، وهو أن احمد الجعبري رئيس أركان حماس قد صُفي.

تقول الصحيفة ويقول رقيب عسكري مشارك في العملية "لم يكن يوجد زمن كثير للهضم، بل إنني لم أستطع التأثر أو ادراك حجم هذا الاغتيال ، حينما خرج من المبنى حافظنا على صلة عين به ، وصاحبناه في تعقب جوي حتى لحظة الهجوم رأينا سيارة وحولها ناس كثيرون ، وصاحبناه من أعلى طول الوقت ، وراقبنا من يدخل السيارة أو من يخرج منها .. وفي لحظة الاغتيال نفسها كانت مرحلة قصيرة جدا يرتفع فيها النبض والأدرينالين ، وبعد ذلك بقينا في الأعلى إلى أن تلقينا بعد خمس دقائق النبأ النهائي وهو أن ذلك كان الجعبري".

ويضيف "استمر عملنا على أهداف أخرى ، وحينما عدنا وهبطنا في القاعدة الجوية جرت مساءلتنا، وفي المساء فقط حينما شاهدت الأخبار في نادي الوحدة الجوية بدأت أفهم ما الذي كنت مشاركا فيه حقا". ويسأله مراسل (يديعوت احرونوت) "هل حدثت أحدا خارج الوحدة الجوية أنك شاركت في اغتيال الجعبري؟ فأجاب: "أبي فقط وقد كنا وحدنا".. هل حسدك الرفاق في الوحدة الجوية ؟ فقال "يبدو لي .. نعم".

ويقول مسؤول أمني إسرائيلي "لم يكن لدينا وقت للاحتفال ، فقد كنا نعرف أنه بعد زمن قصير سنكون تحت هجوم صاروخي ، وأن الملاجئ ستفتح ، وأن منظومات الدفاع الجوي ستُمتحن أشد امتحان ودخلنا (عامود السحاب) وخرجت الطائرات للقضاء على مخازن صواريخ (فجر) بعيدة المدى". ويضيف "(الشاباك) واصل العمل باستمرار وترجم المعلومات بهجمات مفيدة

ضد نشطاء حماس ؛ بل كان هناك تعليمات باستهداف المستوى السياسي إن اضطررنا لذلك وقتلنا العشرات من خلايا إطلاق الصواريخ، وفي قسم البحث (أمان) تابعوا جمع المعلومات الاستخبارية والبحث عن أهداف جديدة وكانوا يتفهمون أثر اغتيال الجعبري". وتختم الصحيفة تقريرها بحديث للمقدم (زيف) الذي قال : "أصيب كبار مسؤولي (حماس) بغصة شديدة ، وأجروا تحقيقات عميقة لمحاولة معرفة كيف وصلت إسرائيل إلى هذه المعلومات ، وما حدث بالضبط ، وأعدموا أيضاً مشتبه فيهم كعملاء وما زالوا في مراحل استخلاص الدروس ؛ ولكن لا توجد شكوك لدينا بأن حماس مستمرة في زيادة قوتها وتهريب السلاح والأموال وبناء القوة وهي تعيد بناء نفسها بفضل الدعم الإيراني الذي تحظى به ، ولا يوجد اليوم شخص حتى لو كان إسماعيل هنية يمكن أن يحطم باغتياله حماس".

حرب غزة تشرين ٢٠١٢ كانت قصيرة أرغمت إسرائيل على وقفها ، وظفرت بمقتل القائد القسامي احمد الجعبري ومهندس صفقة الوفاء. ويبدو أن لمصر برئاسة محمد مرسي دورا مهما في وقف الحرب ، فقد أرسل الرئيس رئيس وزرائه للتضامن مع أهالي غزة .

حرب غزة ٢٠١٢ كان من نتائجها وقف إطلاق النار بين المتحاربين ، والجانبان يعلنان النصر، وتقول إسرائيل المارقة إن العملية " أضرت بشدة بقدرات اطلاق حماس " ، ووفقا لحماس فإن هجماتهم الصاروخية أدت إلى اتفاق وقف إطلاق النار السريع. وكان من نتائجها وقف إطلاق الصواريخ من غزة إلى إسرائيل، والسماح لصيادي غزة بستة أميال بحرية لصيد الأسماك ، خفضت إلى ٣ أميال بحرية بعد ٢٢ مارس ٢٠١٣.

شارك في المعركة : من حركة حماس كتائب الشهيد عز الدين القسام ، من حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين سرايا القدس ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، لجان المقاومة الشعبية، كتائب شهداء الأقصى. كانت الحرب على غزة ٢٠١٢ التي أطلقت عليها إسرائيل اسم عملية عامود السحاب حربا استمرت ثمانية أيام شنها جيش الدفاع الإسرائيلي على قطاع غزة الذي تسيطر عليه حماس ، وبدأت في ١٤ نوفمبر ٢٠١٢ بقتل أحمد الجعبري، رئيس الجناح العسكري لحماس في غزة نتيجة غارة جوية إسرائيلية. ووفقا لحكومة إسرائيل، بدأت العملية ردا على إطلاق أكثر من ١٠٠ صاروخ على إسرائيل خلال فترة ٢٤ ساعة ، وهجوم شنه محاربو غزة على سيارة

جيب تابعة لدورية عسكرية إسرائيلية داخل الحدود الإسرائيلية ، وانفجار ناجم عن عبوات ناسفة وقعت بالقرب من الجنود الإسرائيليين على الجانب الإسرائيلي من نفق يمر تحت الجدار الإسرائيلي في الضفة الغربية . وذكرت أن أهداف العملية العسكرية هي وقف الهجمات الصاروخية على أهداف مدنية مصدرها قطاع غزة ، وتعطيل قدرات المنظمات المسلحة ، وألقى الفلسطينيون باللوم على الحكومة الإسرائيلية في تصاعد وتيرة العنف ، واتهموا قوات الدفاع الإسرائيلية بشن هجمات على المدنيين في قطاع غزة في الأيام التي سبقت العملية ، وأشاروا إلى الحصار المفروض على قطاع غزة واحتلال الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، كسبب للهجمات الصاروخية. خلال عامود السحاب ، زعم جيش الدفاع الإسرائيلي أنه ضرب أكثر من١٥٠٠ موقع في قطاع غزة ، بما في ذلك منصات إطلاق الصواريخ ، ومستودعات الأسلحة، والمرافق الحكومية ، والكتل السكنية.

ووفقاً لتقرير صادر عن المفوضية لشؤون اللاجئين، قُتل ١٧٤ فلسطينياً وأصيب مئات ، وتشردت العديد من الأسر، قتلت ضربة جوية واحدة عشرة أفراد من عائلة الدلو، وأعدم ثمانية فلسطينيين من قبل أعضاء كتائب عز الدين القسام على أنهم تعاونوا مع إسرائيل.

زادت حماس ، والجهاد الإسلامي الفلسطيني من تكثيف هجماتها الصاروخية على المدن والبلدات الإسرائيلية ، وسمتها كتائب القسام عملية حجارة سجيل ، وأطلق أكثر من ١٤٥٦ صاروخا على إسرائيل ، استخدمت الجماعات المسلحة الفلسطينية أسلحة فجر٥ الإيرانية الصنع ، وصواريخ غراد الروسية الصنع ، والقسام ، ومدافع الهاون ، وقد أطلقت بعض هذه الأسلحة على ريشون لتسيون ، بئر السبع، أسدود، عسقلان، وغيرها من المراكز السكانية، وتل أبيب ، واطلقت الصواريخ على القدس. قتلت الصواريخ ثلاثة مدنيين إسرائيليين في ضربة مباشرة على منزل في كريات ملاخي، وبحلول نهاية العملية ، قُتل ستة إسرائيليين، وأُصيب مائتان وأربعون، وعولج ما يزيد عن مائتي شخص بسبب الهلع والخوف ، تم اعتراض حوالي ٤٢١ صاروخًا من قبل نظام الدفاع الصاروخي الإسرائيلي المسمى القبة الحديدية وضرب ٥٨ منطقة حضرية في إسرائيل ، تم تفجير حافلة في تل أبيب من قبل عربي إسرائيلي، مما أسفر عن إصابة ٢٨ مدنيا.

كندا وألمانيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ودول غربية أخرى أعربت عن تأييدها لما اعتبرته

حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وقتل قادة الجهاد ، ودانت هجمات حماس الصاروخية على إسرائيل ، وقد أدانت الصين وإيران وروسيا ومصر وتركيا والعديد من الدول العربية والإسلامية العملية الإسرائيلية ، عقد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة جلسة طارئة حول الوضع ؛ لكنه لم يتوصل إلى قرار ، وبعد أيام من المفاوضات بين حماس وإسرائيل، أعلن في ٢١ نوفمبر وقف إطلاق النار الذي توسطت فيه مصر ، وقد أعلن كل من الفرقين فوزه.

وقالت إسرائيل: إنها حققت هدفها في شل قدرة حماس على إطلاق الصواريخ، في حين أكدت حماس أن خيار إسرائيل لغزو غزة قد انتهى .

فقال أسامة : لم يطل عامود السحاب ، توقف عن الصعود .. أرأيتم كيف يطارد العملاء القادة ليل نهار ؟! حتى تمكنوا من تحديد موقع وسيارة الجعبري؟

قال مهران : على ذكر العملاء يا رجل ! إسرائيل تزرع أجهزة وأنظمة تجسس في قصور الأمراء والرؤساء والأحزاب والحركات العربية والمسلمة .. هل نشر من جديد عن جاسوس بعنبس الذي كشف أمره؟

قال إبراهيم متهكما: وائل زياد قتيل غزة ، قتيل أمستردام ، والمرة الثالثة أين ستظهر جثته؟

قال أسامة بثقة : اعتقد أنها لن تظهر ، فعلا قتل .. وصحف هولندا تتهم زوجته بالمساعدة باغتياله، يقصدون عشيقته دايل ويت ، والسبب أنهم وجدوا له صورا في حانة مع الرجل الذي غادر مسكن وائل قبل اكتشاف موته بساعات.

قال مهران : لماذا أيها المحامي لن تظهر الجثة؟

قال أسامة: لأن الجثة نقلت لفلسطين إلى أسرته في شمال فلسطين ، ودفن حسب طقوس طائفته وهذا يعني أن إسرائيل تعترف بأنه وائل زياد ؛ بل صحف تشير أنه قتل بأمر من إسرائيل ؛ كما يتخلص عادة من العملاء.

قال احمد : موجودة الطائفة في سوريا في لبنان وفلسطين والأردن ، والعالم ، ووائل من هذه الطائفة ؛ إذن مات وائل زياد الذي شغل الناس فترة من الزمن في بلادنا، وكان صهرا لضابط المخابرات خميس ، وزوجا لامرأة أخيك ؛ كما أخبرتني ذات مرة .

قال : نعم ، زوجة أخي أبي محمد ، كانت زوجته القانونية الوحيدة ، وكان له حكاية شيطانية مع الدكتورة وردة شقيقة جهاد احدى أعضاء جمعية أو حزب العصبة النسائية .. هل جمعت شيئا من أخباره وقصة مقتله في غزة أو هولندا؟

قال أسامة متحمسا : أنا اذا اشتغل بالي في حكاية .. لا أهدأ حتى ألم بتفاصيلها كلها .. حتى أقتنع

بالخاتمة إلى حد ما .. ومع ذلك قصة هذا لم تنته على ما اعتقد ، ذكرت بعض المواقع التي لها صلة على ما يبدو بأجهزة مخابراتية عربية وعالمية جمعت معلومات عن المذكور ، فتأكد أن قتيل غزة لم يكن وائل أبدا ، الذي قتل في غزة ، فقط جواز سفره المزور ، والمقتول قريب الشبه به .. فهذا يدل على أنه عميل للموساد .. وترجح أجهزة مخابرات غزة والمقاومة أن الطبيبة الهولندية دايل ويب التي قتل في شقتها في بيتها عميلة لليهود ؛ لأن بعض الصحف في هولندا ذكرت لما أثير ذهابها معه إلى فلسطين عن طريق جمعية بلجيكا أن أمها يهودية وأبوها هولندي فكثير من اليهود يقدمون خدمات لإسرائيل بحكم أنهم يهود وصهاينة ، وقيل إنها عميلة رسمية قالوا دخلت غزة بعد عدوان ٢٠٠٩ وبصحبتها وائل وقضوا أسبوعا ضمن حملة إغاثة يونانية ولم تكن أول مرة تدخل غزة ، وقدموا إغاثات طبية وغذائية كسائر هيئات الإغاثة التي نشطت بعد صمت النيران وقضيا سبعة أيام في فضاء غزة ، حتى أن بعض مهاجري قريتهم قبل النكبة تعرفوا على أقربائه الكبار ، لما علموا أنه فلسطيني ؛ لأن هناك تواصل بين المهاجرين والباقين ، فلما عرفوا اسم عائلته ـ وهو دخل غزة باسمه العربي عن طريق مصر ـ تذكروا أباه وجده وأعمامه ، فاضطر أن يتحدث عنهم ويطمئنهم على أنه مواطن عربي خرج من إسرائيل للدراسة وعاش عندنا ، ويحمل جنسية بلادنا التي دخل بها القطاع ، فكُرم من قبلهم ، وإسرائيل تسمح لعرب غزة والضفة بالعمل داخل الخط الأخضر منذ احتلالهما ، ومن المعروف أن قرى الداخل لم يهاجر كل سكانها خاصة الشمال الفلسطيني المثلث الجليل الناصرة ، فوالده وجده خدما في الشرطة الإسرائيلية ، ومن قبل البوليس الإنجليزي أيام الانتداب ، ووالده معروف على مستوى البلدات ، بقسوته ولؤمه قبل أن يولد وائل، وكان دخوله غزة كطبيب إغاثة ، وفي تلك الجولة لم يلتق أو يسع إلى لقاء أي عميل معروف لأمن الداخلية ؛ ولعله قابل أناسا مجهولين للمقاومة فإسرائيل تركت مئات العملاء لم يعرفوا بعد ، وهناك من يجند حديثا ، فهذه المعابر بينها وبين غزة تستفيد منها إسرائيل بالالتقاء بالعملاء ، بتجنيد العملاء باستغلال النفوس الضعيفة التي غير قادرة على الحياة الشريفة ، يستغلون الحاجة للدراسة في الخارج ، للعلاج في إسرائيل وخارج إسرائيل .. طرق التجنيد كثيرة حب المال ، والكسب بدون تعب حتى يستوي ويبتز .. السماح لهم بالإباحية مع بنات إسرائيل وتصويرهم بأفلام وصور عارية فيسقطون .. فقصص صيد العملاء كثيرة ، والمكتشف أقل من

المخفي ، عندما يقرأ الشخص في ملفات الصراع بين الجواسيس المزروعين في المنظمة يرى العجب ، ورأيتم مقتل صلاح خلف القائد الثاني في منظمة فتح في تونس ، وقبله خليل الوزير وعلي حسن سلامة والنجار والعدوان وعماد عقل وعياش .

قال احمد : ما شاء الله ! تقرأ كثيرا عن الجواسيس

قال أسامة: اليوم مسلسلات وأفلام وكتب ووثائق خرجت للعموم .

قال مهران : تابع حكاية جاسوسنا.

قال أسامة: المرة الثانية جاء مع بعثة بلجيكية لهم عمل دائم في الإغاثة بغزة ، فمن الطبيعي أن يتبدل أفراد البعثة كأي مؤسسة ، دخل كطبيب في البعثة التي تقدم دعمها لغزة من عام ألفين ، وأعضاؤها أكثرهم متطوعين ، تدعمهم جمعية أو جمعيات أوروبية ، فتجد من يمكث شهرا عدة شهور سنة سنوات حسب عقده واتفاقه .

قال مهران : كيف وهو ليس بوائل الحقيقي؟!

قال: أجابوا عن هذا السؤال ، دخل وائل ودايل عاملين مع البعثة من خلال مطار بن غورين اللد أيام الإنجليز .. وفي إسرائيل حدث التبديل ، رافق البديل دايل ويت للقاء العميل "د" كما لقب في الجرائد .. لذلك هم يرون أنها عميلة إسرائيلية ، وفي الغالب أعضاء البعثة عندما ركبوا الطائرة من بلجيكا لا يعرفون بعضهم على المستوى الشخصي .. والعميل حسب التكتيك والخطة لا يحتك بالناس بوضوح إلا اذا طلب منه ذلك .. وتجد كل شخص مع رفيق غير مهتم بالآخرين ، تم التبديل على أنه رفيق دايل ويت ؛ من أجل ذلك بعض الناس يتهمون دايل بالمشاركة في التخلص من وائل .. فقد وجدوا أنه يرتاد حانة معينة في هولندا ووصلوا إلى صور كاميرات مع رجل صديق له، وقال بعضهم : إن هذه الصور لرجل يوناني عرف لهم باسم إسكندر فينوس ، وهو الذي رافقهم لغزة ، وهو الذي سافر معه من هنا ، ووالده مالك مستودع أدوية يونانية في تاج الزمان ، وتبين لفريق التحقيق في الجريمة أن إسكندر دخل البلاد من بلجيكا ، وهو طبيب يوناني ، وهو صديق لوائل ، والتحقيق مستمر حتى يغلق ملف القضية ، وبعض الصحف أشارت أن دايل اختفت .

قال مهران : نعود لقتيل غزة .

قال أسامة: قصة معقدة ! وهكذا قصص الجواسيس .. دخل الجاسوس بجواز سفر بلجيكي مزور ، وقد يكون غير مزور مسروق من قنصلية بلجيكية في أوروبا والذي كشفه أنه ذهب للقاء عميل متبوع ، وكانت الناس قد خرجت لصلاة الفجر فالذي يراه سيظن أنه ذاهب لمسجد ، وليس لمقابلة عميل ، وقرب السياج كان اللقاء ، ولما سلم الحقيبة التي كانت داخل كيس ، هجم

رجال الأمن ، فهرب وائل ، فاطلقت الرصاصات لعدم توقفه ، فمات، وأعلنت الجهات اسم القتيل حسب الوثائق الموجودة معه ، وهم لا يهمهم من قتل سوى أنه عميل ، أبوه أمه لا يهم التحقيق ولما فتشت أغراضه ، لم يجدوا سوى ملابس وغيارات ، ودايل ـ كما نشرت وسائل مقربة من التحقيق ـ أنهما صديقان ويعيشان معا ، ثم اختفت بعد أخذ أقوالها ، فهي امرأة أوروبية ، قدمت في بعثة معروفة ، وذلك مثل المستشفيات الميدانية التي تقدم المساعدات الطبية للجمهور ، ويتبدل أفرادها باستمرار ، وهل هؤلاء لا يوجد بينهم رجال مخابرات بثياب أطباء بثياب إدارة ؟ .. الأحداث والأخطاء تكشف عملهم الحقيقي.

قال مهران : معروف ..هذا معروف ..حقيقة معلومات جيدة رغم الفوضى فيها .

قال أسامة مفسرا : لأنها نتف تؤخذ من هنا وهناك .. وخيالي يحاول تنسيقها ، وبعض المقالات تفيض وتحاول تسكير الثغرات ، وبعضها تنقل بدون تدقيق ، هكذا عمل الصحف .

قال احمد : هل بقي شيء ؟

ضحك وقال أسامة: أشياء ، العميل المعتقل سموه دالا ، ويعمل جاسوسا عميلا من أكثر من عشر سنوات مع أجهزة الشاباك الأمن الداخلي ، ولم يكن لديه معلومات عن القتيل؛ إنما تلقى إشارة بأن يذهب إلى قرب مسجد ، ثم باتجاه السياج الفاصل بين السكان والبلدات الإسرائيلية وحدث اللقاء .

قال مهران : يتلقى إشارات كيف ؟!

وقال أسامة: هذه قرأت عنها ، عن وسائل الاتصال بالعملاء علينا أن نعرف الجاسوس والعميل .

قال احمد : هل من فرق مهم بينهما ، كلاهما يؤدي نفس المهمة!

قال مهران : كما يقول أسامة بينهما فرق ، وضح لنا ذلك يا أسامة .

وقال أسامة شارحا الفرق بين العميل والجاسوس : الجاسوس يقوم بجمع معلومات للقيادة السياسية والعسكرية في البلد الذي يعمل لحسابه ، ويقوم بمراقبة بلد أو منظمة أو حركة أو شخص، ويعتمد على شبكة من الجواسيس ترسلها الحكومات والمجموعات الأخرى إلى أراضي العدو لجمع المعلومات في الحرب والسلم . أما العميل فيقوم بالعمل ضد مصالح الدولة التي ينتمي إليها ، وقد يعمل العملاء فرادى أو في مجموعات صغيرة، ويستخدم بعضهم هوية مزيفة ، العميل يخدم الاحتلال، والعمل لمصلحته الشخصية ، ضد الوطن والشعب.. العميل مواطن أصيل . والعملاء يسمون طابورا خامسا ،

صرَّح أحد جنرالات "فرانكو" الإسباني : "إن لي أربعة طوابير تتحرك باتجاه مدريد ، وطابور خامس سينهض من داخل المدينة نفسها".

قال احمد : جيد ! عرفنا الفرق ، بوركت .. وسائل نقل الأوامر والمعلومات ؟

قال أسامة : كشفت التحقيقات مع بعض العملاء عن سبعة أساليب لتواصل "الشاباك"

معهم ، وهي: الاتصال بالخلوي: هو من أهم الوسائل المستخدمة لسهولتها وشيوعها بين الفلسطينيين ، إضافة للخصوصية الشخصية في كل جهاز منها ، اعترف عميل بأن التواصل مع مسئوله "س" تم من خلال الاتصال الخلوي ؛ بحيث لا يظهر الرقم المتصل على شاشة الجهاز ، ويتم الاتصال بشكل أسبوعي، علاوة على الاتصالات الطارئة ، بقيام الضابط بـ"الترعيش" على الجوال ، فيقوم العميل باستبدال شريحة "الجوال" الفلسطينية بـ"الأورانج" الإسرائيلية ، ويتم الاتصال".

قال مهران : وسيلة سهلة وبريئة !

وقال أسامة : وعن طريق الإنترنت ، وقد اعترف أحد العملاء بأن المسؤول تواصل معه عبر الشبكة العنكبوتية بطريقة محمية من الاختراق ، عبر إعطائه "قرص مرن" سي دي عادي ، يضعه في حاسوبه الشخصي الموصول بالإنترنت، ويعيد تشغيله، فيدخله على برنامج خاص خارج نظام "الويندوز" ؛ كأنه في نظام "الدوس"، وبطريقة خاصة تعلمها، يستقبل ويرسل رسائله بطريقة آمنة!

قال إبراهيم : يا الهي ! الجاسوسية تستغل كل شيء ، وتحوله إلى أداة تجسس .. تابع أنت داهية في هذا العالم !

وقال أسامة: هواية ليس أكثر! هناك ما يسمى بالنقاط الميتة : نقاط صغيرة غير معرّفة وليست بارزة في أماكن عامة ، يتفق عليها العميل وضابط الارتباط مثل: الحدائق، المدارس، الأشجار، المستشفيات ، ومن خلالها يضع الأول تقاريره، ويتلقى من الثاني المكافآت مقابلها.

وقال أسامة مكملا : إذن تواصل مع "د" إما عن جهاز خاص أو رسالة خلوية شيفرات .. قتل البديل باسم وائل ، وهذا الذي ظهر في الإعلام الغزاوي والإسرائيلي عام ٢٠٠٩ ، وبعد خروج دايل ويت وهربها من القطاع ، عادت ووائل إلى هولندا لإكمال مشوار حياتها ، وكان من المقرر أن يبقيا للعمل مع البعثة شهرا واحدا ؛ وربما كان على البديل أن يمكث ليلة ، ويعود لإسرائيل ، ويدخل وائل لإكمال المدة ؛ لكن مقتل العميل ، ويرجح أنه عربي مجهول لحد الآن فعادوا لهولندا كما قيل ، هذا ما فسرت فيه العملية بعد ظهوره مغتالا في شقته

ودايل في هولندا وهم يبحثون عن إسكندر الأثيني الذي التقى به وائل قبل اكتشاف جثته ، والده فينوس هنا في تاج الزمان له مستودع أدوية تأتي من اليونان ويسكن في البلاد من عشرات السنين، ويقول موقع أمن ٨ ـ موقع متخصص في متابعة الجواسيس ـ إن إسكندر حسب المعلومات القادمة من اليونان طبيب مخابرات يوناني جندته إسرائيلي .

قال مهران : كيف ؟

قال أسامة: هو ضابط أمن يوناني في الأصل ، وجندته إسرائيل لمتابعة نشاط المتعاطفين مع الفلسطينيين وأهل غزة من اليونانيين ومن الدول الأخرى ، وموقع أمن ٨ من يدعمه غير معروف ، قد تكون إسرائيل ، مخابرات بريطانية ، روسية السي اي ايه ، وهو يخلط المعروف بالكذب ؛ لكن المتابع والمدقق يستطيع معرفة الأقرب للحقيقة بالاطلاع على أكثر من موقع ، والصحف اليومية كلها تنشر مثل هذه الأخبار ، ولا تنسوا موقع ويكلكس الشهير ، وموقع أمن ٨ يؤكد أن قتيل الشقة هو وائل زياد ، وأن قتيل غزة عميل آخر وعربي ، لذلك لم تطالب إسرائيل بجثته ، ولا حتى أهله ، ولما قتل وائل الحقيقي نقلت الجثة لبلده ودفن ، وهناك احتمال أن تطالب إسرائيل بجثة القتيل في غزة بعد افتضاح أمر وائل .

وقال إبراهيم معلقا : قتيل غزة عربي أو عربي متصهين .

وقال أسامة: أو غير ذلك يهودي مستعرب.

قال مهران: تفسير معقول .. السؤال يا أسامة ! هل وائل جاسوس وعميل إسرائيلي ؟ فهنا زعموا أنه عميل خامل ، ولم يجدوا له نشاطا أو شبكة أو خلية .. مجرد رجل حانات وزنا وخمر

قال أسامة: موقع مخابرات إسرائيلي ذكر في إحدى نشراته أنه قدم البلاد الشامخة لدراسة الطب على نفقة أسرته ، ثم جند للتجسس على الطبيب اليوناني اليهودي الأصلي اليوناني المولد الذي أسلم لما تعرف على الدكتورة المسلمة سلينا الهندية اليونانية ، وتعاقد مع جامعة بعنبس كمحاضر وطبيب قلب في الجامعة والمستشفى.

قال احمد : الدكتور ينال الذي انتحر!

قال مهران : ولماذا يتجسس عليه؟

وقال أسامة: ذكر الموقع السبب ، وهم يكشفون بعض المعلومات خشية أن يكون للدكتور مذكرات لم تظهر بعد ، فكثير من العملاء المثقفين يكتبون مذكرات لحماية أنفسهم من غدر من يجندهم .

قال احمد : المهم!

وقال أسامة: المهم أنهم جندوه في آخر سنة أو سنتين للتجسس على الطبيب ، فقوى علاقته به

على أنه طالب معجب بأستاذه .

قال مهران : لم تقل لماذا يتجسس عليه ؟

وقال أسامة: الدكتور ينال هذا عالم في السموم ، ويعمل تركيبات سمية ؛ فقيل إنه عمل تركيبة لسم ، لا يظهر مفعوله على الضحية إلا بعد مرور سبع ليالي، واذا أخذ الضحية ضده قبل انتهاء السبعة تعافى ، ولم يظهر مفعوله ، فيمكن لشخص أن يتناوله في أمريكا وبعد عودته للصين يموت .

قال احمد : فيكشف التشريح أنه مات بالسم كما قتل الدكتور وائل .

وقال أسامة بإثارة : الأخطر في هذا السم الذي ركبه ينال، اذا شرح الميت خلال أول ساعة يكتشف أنه مات بالسم ، واذا شرح بعد أكثر من ساعة لا يظهر أثره وعادة الجثث لا تشرح فورا .

قال مهران : فعلا هذا خطير !

وقال أسامة: فجند وائل فقط للتجسس على الطبيب ؛ لمعرفة التركيب ومضاده وفشل في ذلك فلما سافر الطبيب إلى أوروبا للسياحة لحضور محاضرات علمية تعرض للخطف ، ولم يكن يحمل المعادلات أو أوراق التركيب فترك وهدد ، فلما عاد ، وأخبره الخادم اليوناني بأن جماعة مسلحة على الباب يرغبون بالحديث ، فظن أن القادمين من عصابة للخطف وأخذ التركيبات بالسلاح ، ففضل الموت على كشف أسراره .

قال احمد : من أين صدرت هذه المعلومات؟؟!

وقال أسامة مبينا : من زوجته الدكتورة سلينا مع صحيفة أجنبية ، ذكرت أن زوجها قتل بسبب تركيبه هذا السم الذي سماه "الثعبان الغامض" وأن وائل زياد كان يتجسس عليهما لمصلحة الموساد ؛ ولذلك تعيش في مكان سري ، وتحت حماية أمن المخابرات لحماية الشخصيات المهددة

الجهاد

كان جهاد قد أنهى اختبارات الفصل الأول من شهادة الدكتوراه ، فبرنامج الدراسة يدرس الطالب ثلاث مواد في الفصل الواحد ، فالبرنامج يمتد لعامين ، يتكون من أربع وخمسين ساعة جامعية ، منها واحد وعشرون يسمونها ساعات إجبارية ، وخمس عشرة اختيارية ، وللرسالة ١٨ ساعة.

مواد الفصل الأول مادة الجرائم المستحدثة ، مثل جرائم المخدرات والتكنولوجيا الإتجار بالبشر الجرائم الاقتصادية كالتهرب الضريبي وغسيل الأموال ، والمادة الثانية للفصل الأول حول المسؤولية الدولية ، تدرس قواعد وشروط المسؤولية الدولية التي وضعتها لجنة القانون الدولي للأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، والثالثة أساليب البحث القانوني : التعريف ، وضع الخطط التوثيق، التحليل الاستنباط. أنهى جهاد هذا المواد

، مواد القانون متداخلة بالمجمل ، وحقق المطلوب ، وزار وأسرته منزل صديقه المهندس محسن سعيد ، وسعد بالجلوس مع الوالد ابن بعنبس المستقر في عمان منذ زمن ليس بالبعيد ، والتقى بضيف يزور المهندس .

فقال : هذا صديق العائلة شرف الدين أنوار ، خدمت أنا وإياه في سلاح الهندسة أنا خدمة العلم وكان هو جندي ثاني خدم أربع سنين ، تدربنا على تركيب الجسور والحرب الكيماوية ، ولما تقاعد خرج للجهاد في أفغانستان أيام الشيخ عبدالله عزام شيخ المجاهدين العرب في الثمانينات وظل هناك حتى اندحر الروس ، وعاد حيا للبلاد ، نال أجر القتال .

قال جهاد : أهلا وسهلا بالمجاهد! كيف قضيت السنوات في جبال تورا بورا؟

فقال محسن : اليوم يعاني مع أجهزة الأمن.

قال جهاد : هذا يحدث في كل الدول العربية ، أرسلوهم على أمل ألا يعودوا ، ولكن عاد الكثير منهم ، قرأت بعض حكاياتهم في مجلات المجاهدين ، وسمعت بعضها على قنوات المجاهدين

قال شرف : حياك الله في بلدنا المحترم .. الحماس وحب الشهادة يدفعان المرء للبحث عن موضع للاستشهاد ، فلسطين مغلقة ، والرايات علمانية وشيوعية فأوضح راية كانت أفغانستان بالنسبة للمتحمسين للشهادة ، ووجود الشيخ عبدالله هناك دفعنا للخروج ، ولا تنسى الإعلام العربي كان يدفع بقوة شباب الصحوة للموت هناك ، ونيل الدرجات العلى ، وأمريكا ظاهرا وعلنا تدفع بذلك إنما نقاتل على النية يا أخ جهاد ، وكانت فرصة للتدريب الفعلي على السلاح لعل الجهاد إلى فلسطين يفتح في حياتنا.

قال جهاد : ها هي المقاومة الفلسطينية تحاول تصحيح البوصلة الجهادية.

قال شرف : خرجنا للقضاء على الشيوعية الملحدة ، وتحرير الشعب الأفغاني منها وحكومات العرب كلها ، وحكومة باكستان سهلوا الالتحاق بمعسكرات الجهاد في بيشاور ، وبعض المدن الأخرى ، وعلى حدود باكستان وأفغانستان نتدرب ونتثقف ، ونزج في مدن الحرب مع الأحزاب الأفغانية ، تدربنا على مختلف الأسلحة الأمريكية والروسية التي كان يستولي عليها الثوار من عملاء روسيا ومن روسيا نفسها .. والألغام زرعها والحذر منها .. في البداية سيطر الرعب على قلبي رغم أني متدرب في الجيش العربي الأردني .. كنت أرتجف وأن أتدرب على الرشاش ، وتصطك الأسنان ، أرقص رقصا ، حتى تعودت على عزف القنابل والرصاص ؛ كأنك تحضر فلما حربيا أو

تلعب ؛ كما نرى اليوم في ألعاب الأتاري الحربية .. قضيت أيها الأخ الكريم أكثر من خمس سنوات في الجهاد في كنر وغيرها من مواقع القتال .. يا رجل كنا نحمل الصواريخ ضد الطيران إلى قمم الجبال على ظهور البغال ، فلما ننزل الصاروخ عن ظهر البغل ينتحر البغل من الإرهاق والنصب ، يقتل نفسه من شدة التعب .. جبال تعانق السماء ، كان الله يمدنا بطاقة جبارة .. الحيوان الدابة لم يحتمل تسلقها ، ولما انهزم الروس ، ولم نستشهد عدنا ؛ ظانين أننا سنستقبل استقبال الأبطال ، قبعنا في السجون والملاحقات الأمنية .

قال جهاد : لكم إحدى الحسنيين .. أكيد كانت أيام عصيبة وصعبة في الجبال والكهوف وقلة الزاد والماء .

قال شرف : المجاهد صحيح يحتاج أو بحاجة للطعام والزاد والماء ؛ لكن الاستعداد للموت الذي يرفرف على القلوب ينسيك الطعام ، قد تمضغ عشبة أو بضع حبات من التمر .. مرة يا رجل وزع علينا أعوان ابن لادن أبوات ؛ كأننا حزنا الدنيا وما فيها .. حذاء يا سيد أبي عبدالله

قال جهاد : عشبة.

قال شرف : أكل العشب والشوك أيام القتال ؛ كأنك تتغدى في أفضل مطعم في العالم .. الاستعداد للموت روحك ترفرف في السماء ، لا يكاد يمر يوم من دون شهيد أو جريح انفجار صاروخ قذيفة لغم.. وأنت تتسلل لنقطة ساخنة انفجار ذخيرة حولك من قصف طائرة حربية.. الموت يأتيك من كل مكان .. وتتعجب أنك لم تمت بعد .. قلت أولا التدريب في باكستان ، ثم في الداخل .. من صوت الرصاص ترقص أطراف الواحد .. وتصطك أسنانك ؛ كأننا في القطب الجنوبي وبعد حين اليوم الذي لا تسمع فيه الرصاص تستغرب ، فهو مثل صوت زقزقة العصافير يا أخي ! صوت الرصاص والانفجارات موسيقى .. هؤلاء الأفغان عندهم عزيمة .. غاية القوة والصبر على قطع الأرجل والأيدي .. نحن لا شيء أمام تحملهم كانت حياة مع الموت !

قال جهاد : متزوج يا أبا عفيف !

قال شرف : تزوجت في المعركة ، كان معي مجاهد زوجني ابنة أخيه ، وأنا هناك وجاءت العروس باكستان ، وكنا نعطى خشة ، ثم نعود لمواقع الحرب ، وولدت لي ثلاث كلهم في بيشاور ، ولما رجعت ـ يعلم أبو صهيب ـ مشاكلي معها .. يا رجل كانت تنقل صوري التي تصورتها هناك للمخابرات .. صور عادية لمن عاش ونجا من الموت .. تبقى ذكريات ؛ لكني طلقتها .

قال جهاد : كانت عينا عليك.

قال سعيد : امرأة كهذه لا تصلح عينا ؛ إنما تفعل انتقاما ولتطلق، وحصل ذلك وتزوج خيرا منها.
شهر يناير يتوقف التعليم في الجامعة حتى أول فبراير ، لم يسافر لقضاء الإجازة بين إخوانه وأخواته ، فقد مرضت رندا في أواخر ديسمبر ، وفي شهر يناير بعد معاناة مع المرارة دخلت مستشفى خاصا لعلاجها أو إزالتها ، وهي كانت في حالة حمل ، وأصبح هناك خطر على الجنين واحتمال لسقوطه ، فهي الشهور الأولى وأعطيت أدوية تساعد الحوامل في تثبيت الحمل، تعطى تلك الأدوية حتى تجتاز مرحلة الخطر .
جاء إبراهيم شقيقها لعمان للوقوف معها ومع جهاد ، ورفع معنويات أخته، ودعما لصهره في هذه المحنة ، وجاءت برفقته زوجة سالم أخته الثانية ريم ، وسرت رندا بوجودهم ؛ وكذلك جهاد ، فالإنسان عند المحن يحتاج للخلان في مساندته والوقوف معه لتسليته ومواساته ، فبين لهم شكره ، وكانوا يرغبون بالنزول في الفندق تخفيفا عنهم عبء الضيافة ، فرفض الزوجان هذا الاقتراح ؛ حيث أن الفيلا واسعة ، ولديهم خادمة ومربية .
المرارة على شكل فاكهة الكمثرى ، تقع أسفل الكبد على الجانب الأيمن العلوي من البطن ، تقوم بجمع وتخزين السوائل الهاضمة التي يتم إنتاجها في الكبد.
استئصال المرارة هو عملية شائعة ، بسبب تكوّن حصوات في المرارة ، أو تكوّن حصوات في قناة المرارة ، أو عدوى المرارة ،أو عدوى البنكرياس ، أو التهاب المرارة، ولا تنطوي إلا على خطر بسيط لحدوث مضاعفات.
تجرى عملية استئصال المرارة بشكل أكثر شيوعًا عن طريق إدخال كاميرا فيديو صغيرة وأدوات جراحية خاصة من خلال أربعة شقوق صغيرة لرؤية داخل البطن وإزالة المرارة ، يسمي الأطباء هذ العملية باستئصال المرارة بالمنظار.
في بعض الحالات، يمكن استخدام شق واحد كبير لإزالة المرارة ، وهذا ما يسمى استئصال المرارة المفتوح.
استئصال المرارة ينطوي على خطر بسيط من المضاعفات : تسرُّب العصارة الصفراوية، النزف، العَدوى، إصابة الأعضاء القريبة ، مثل قناة المرارة والكبد والأمعاء الدقيقة والأوعية الدموية ، مخاطر التخدير العام، مثل الجلطات الدموية والتهاب الرئة ومشاكل قلبية والأخطر الإصابة بمتلازمة ما بعد استئصال المرارة بي سي بسبب تسرب القنوات الصفراوية إلى المعدة .
المريض لا يتناول أي شيء في الليلة التي تسبق العملية ، يمكنه أخذ رشفة من الماء مع أدويته ، لكن يجب عليه تجنب الأكل والشرب لأربع

ساعات قبل العملية على الأقل.
التوقف عن تناول أدوية معينة والمكملات الغذائية ، يستمر في تناول الدواء وفقًا لتوجيهات الطبيب ، سيطلب منه الطبيب التوقف عن تناول بعض الأدوية والمكملات الغذائية ؛ لأنها تزيد من خطر النزف. يعود معظم الأشخاص إلى المنزل في نفس اليوم الذي أجريتْ فيه عملية استئصال المرارة، ولكن قد تحدُث مضاعفات تتطلَّب الإقامة في المستشفى لليلة أو أكثر.
يتم إجراء التنظير البطني باستخدام التخدير العام ، بحيث لا يكون واعيًا في أثناء الإجراء ، يتم إعطاء أدوية التخدير عبر الوريد في الذراع ، بمجرد سريان مفعول الأدوية، يقوم فريق الرعاية الصحية والعملية بإدخال أنبوب عبر الحلق لمساعدته على التنفس ، يجري الجراح التنظير البطني باستخدام المنظار أو العملية المفتوحة.
أثناء عملية استئصال المرارة بالمنظار، يقوم الجرَّاح بعمل أربعة شقوق جراحية صغيرة في البطن يتمُّ إدخال أنبوب مزوَّد بكاميرا فيديو صغيرة في البطن من خلال أحد الشقوق الجراحية ، ثم يُتابع الجرَّاح شاشة فيديو في غرفة العمليات أثناء استخدام الأدوات الجراحية التي يتمُّ إدخالها من خلال الشقوق الجراحية الأخرى في البطن لإزالة المرارة. بعد ذلك ، قد يخضع لأحد اختبارات التصوير، مثل الأشعة السينية أو الألترا ساوند (تصوير فوق صوتي) ، ثم يتمُّ خياطة الشقوق الجراحية، ويتمُّ نقله إلى منطقة التعافي والمتابعة ، يَستغرق استئصال المرارة بالمنظار من ساعة إلى ساعتين.
استئصال المرارة بالمنظار ليس مناسبًا للجميع ، في بعض الحالات، قد يبدأ الجراح بطريقة
الجراحة بالمنظار ويجد أنه من الضروري إجراء شِقٍّ جراحي أكبر بسبب وجود نسيج ندبي ناتج عن عمليات أو مضاعفات سابقة. أثناء عملية استئصال المرارة المفتوح، يقوم الجرَّاح بعمل شِقٍّ جراحي بحجم ١٥ سم في البطن أسفل الأضلاع على الجانب الأيمن ، يتمُّ سحب العضلات والأنسجة مرة أخرى للكشف عن الكبد والمرارة ، يقوم الجرَّاح بعد ذلك باستئصال المرارة. يتمُّ خياطة الشق الجراحي ، وبمجرد أن يذهب أثر عقاقير التخدير، يتمُّ نقل المريض إلى منطقة التعافي والمراقبة ، يَستغرق استئصال المرارة المفتوح من ساعة إلى ساعتين، ويختلف التعافي بناءً على نوع العملية. استئصال المرارة بالمنظار يكون المرضى قادرين غالبًا على العودة إلى المنزل في يوم إجراء العملية نفسه ،وبشكل عام يمكن أن يتوقع المريض العودة إلى المنزل بمجرد أن يستطيع تناول الطعام أو الشراب دون ألم والسير دون مساعدة ، ويستغرق التعافي التام نحو أسبوع.

عملية استئصال المرارة المفتوحة ، ينبغي أن يتوقع المريض قضاء يومين أو ثلاثة أيام في المستشفى للتعافي ، قد يستغرق الوصول إلى التعافي التام أربعة إلى ستة أسابيع. تساعد عملية استئصال المرارة على تخفيف الألم والانزعاج الذي تسببه حصوات المرارة ، في أغلب الحالات تمنع عملية استئصال المرارة حصوات المرارة من الظهور مجددًا. لا يواجه أغلب الناس أي مشاكل هضمية بعد استئصال المرارة وهي ليست أساسية في عملية الهضم الصحي.

أزيلت مرارة رندا بطريقة المنظار دون عملية جراحية ، ولما تحسنت صحتها عاد إبراهيم وزوجته وريم لبعنبس ينشرون خبر العملية وزوال الغمة ، وبقيت مشكلة الحمل وبقائه .

لم يثبت الحمل ، وحدث الإجهاض التلقائي ، فمن المعروف علميا ونسائيا أن الكثير من الحمل يسقط ، وربما لا تشعر به الحامل حتى تأتيها الدورة الشهرية ويسقط الجنين بسبب التشوه الخلقي للحمل ، ولأن الجنين يكون شيئا صغيرا في الشهور الأولى .

حدث السقط ، ولم تستطع أدوية التثبيت من إبقائه في رحم رندا ، فتحتاج إلى عملية تنظيف وشفط بقايا الجنين وأنسجة الرحم ، لأن الجنين يغذى ويتنفس عن طريق المشيمة (الخلاصة) الحبل السري ، من دم الأم ، فدم الأمهات ينقل الغذاء والأكسيجين للجنين ، فالمعدة لا تعمل والرئة لا تعمل، القلب الذي يعمل حتى تتكون أعضاء الجنين مع الوقت ، فنقلت إلى أفضل مستشفى لمثل هذه العمليات لكن كان الأجل قد حل بها ؛ مما فاجأ جهاد ومحسن والطبيبة والمستشفى .

طبيا عملية توسيع الرحم وتنظيفه عبارة عن إجراء لإزالة الأنسجة من داخل الرحم ، يقوم الأطباء بإجراء عملية توسيع الرحم وتنظيفه لتشخيص ومعالجة أمراض الرحم ، مثل النزيف الحاد أو لتنظيف بطانة الرحم بعد الإجهاض التلقائي ـ كما حدث مع رندا ـ أو الإجهاض المتعمد. يستخدم الطبيب أدوات صغيرة أو دواء لتوسيع عنق الرحم ، وهو الجزء الأسفل والضيق من الرحم ، ويقوم الطبيب بعد ذلك باستخدام أداة جراحية يطلق عليها المِكحت لإزالة نسيج الرحم ، إن أدوات الكحت التي يتم استخدامها في عملية توسيع الرحم ونحته يمكن أن تكون حادة أو باستخدام أداة الشفط. قد يوصي الطبيب بالعملية لتشخيص الحالة مثل الإصابة بنزيف غير طبيعي بالرحم ، حدوث نزيف بعد انقطاع

الطمث، اكتشاف الطبيب لوجود خلايا غير طبيعية ببطانة الرحم في أثناء الفحص الروتيني لسرطان عنق الرحم. يقوم الطبيب بأخذ عينة من نسيج بطانة الرحم ويرسل العينة إلى أحد المختبرات لفحصها ، فمن خلال الاختبار يمكن اكتشاف: فرط نسيج بطانة الرحم حالة محتملة للتسرطن تؤدي إلى جعل بطانة الرحم سميكة للغاية ، سلائل الرحم، سرطان الرحم.

يزيل الطبيب الجراح الأنسجة التي تبقى في الرحم بعد الإسقاط أو الإجهاض لمنع العدوى أو النزيف الحاد ، يزيل حملاً رحويًا، حيث يتكون ورم بدلاً من الحمل الطبيعي، يعالج النزيف الشديد بعد الولادة عن طريق إخراج أي جزء من المشيمة التي تتبقى في الرحم.

عادة ما تكون عملية توسيع الرحم وتنظيفه آمنة للغاية ، وتعتبر المضاعفات نادرة الحدوث ، وعلى الرغم من ذلك، فهناك بعض المخاطر ، وهذه تشمل: انثقاب الرحم ، يحدث انثقاب الرحم عندما تؤدي الأدوات الجراحية إلى حدوث ثقب في الرحم ، ويحدث ذلك بشكل أكبر للنساء بعد الحمل بفترة قريبة وفي مرحلة انقطاع الطمث. تُشفى معظم الثقوب من تلقاء نفسها وعلى الرغم من ذلك، في حالة تلف الأوعية الدموية أو عضو آخر، فقد يلزم إجراء جراحة أخرى لإصلاحه.

وفي حالة تمزق عنق الرحم في أثناء توسيع الرحم وتنظيفه يمكن للطبيب الضغط أو إعطاء المجهضة دواء لإيقاف النزيف، أو يمكنه إغلاق الجرح ببعض الغرز. يؤدي توسيع الرحم وتنظيفه إلى الإصابة بنسيج متندب داخل الرحم، وهي حالة يطلق عليها متلازمة شيهان ، تحدث متلازمة شيهان عادة عند إجراء توسيع الرحم وتنظيفه بعد الإجهاض أو الولادة. يؤدي ذلك إلى أن تصبح دورة الطمث غير طبيعية أو غائبة أو مؤلمة، أو حدوث إجهاض أو عقم في المستقبل. أو حدوث العدوى بعد توسيع الرحم وكحته أمر ممكن، لكنه نادر الحدوث. على المجهضة مراجعة الطبيب إذا عانت المريضة بعد توسيع الرحم وتنظيفه: النزف الشديد بحيث تحتاجين إلى تغيير الفوط الصحية كل ساعة ، الحمى، التشنجات المستمرة لأكثر من ٤٨ ساعة ، ألم يزداد سوءًا بدلاً من التحسن، إفرازات مهبلية ذات رائحة كريهة.

لإسراع عملية التوسيع ، يستخدم الطبيب دواء خاص يعطى عن طريق الفم أو المهبل ـ لترقيق عنق الرحم ، أو يُدخل قضيبًا رفيعًا مصنوع من اللاميناريا في عنق الرحم ، تتمدد اللاميناريا تدريجيًا ؛ مما يتسبب في فتح الرحم .

عند الخضوع لعملية التوسيع والكحت، سيتم التخدير ، يعتمد نوع التخدير على سبب إجراء

عملية التوسيع والكحت. يؤدي التخدير العام إلى إفقاد الوعي وعدم الشعور بالألم، توفر الأشكال الأخرى من التخدير تسكين الألم بصورة خفيفة أو تستخدم الحقن لتخدير منطقة صغيرة فقط (التخدير الموضعي) أو منطقة أكبر حجمًا (التخدير الناحي) في الجسم.

يقوم الطبيب بإدخال أداة تُعرف باسم المنظار داخل المهبل ، كما يحدث في فحص عنق الرحم، حتى يتسنى له رؤية عنق الرحم. يقوم الطبيب بإزالة قضبان التوسيع وإدخال أداة على شكل معلقة ذات حافة حادة أو جهاز شفط ويقوم بإزالة نسيج الرحم.



جهاز قياس درجة الحرارة المستمرة

قد تقضي المريضة بضع ساعات في غرفة الإفاقة والمراقبة بعد عملية توسيع الرحم وتنظيفه حتى يتمكن الطبيب من مراقبة حدوث النزيف الشديد أو غيره من المضاعفات ؛ كما يمنحها وقتًا للتعافي من آثار التخدير. قد تستمر الآثار الجانبية الطبيعية لإجراء توسيع الرحم وكحته عدة أيام ، وتتضمن ما يلي: التشنج الخفيف، بقع دم أو نزيف خفيف. قد يقترح الطبيب تناول دواء للتخلص من ألم التقلصات وإزعاجها. يجب أن يبني الرحم بطانة جديدة بعد توسيعه وتنظيفه لذلك قد لا يحدث الحيض التالي في موعده ... تم الجزء

التحقيق الجنائي والجريمة

مسبحة اللؤلؤ

الحلقة ٣ والأخيرة

١٤

لما دخل المحقق عبد الكريم ضابط التحقيق في قضية اختفاء رفيق الدائرة أعلمه مساعده أن رجلا أوروبيا في انتظاره ، وهو رفيق البحارة الذين تم التحقيق معهم حول اختفاء رفيق حلمي الرجل الذي أرسلهم لمقابلة رفيق ، رحب عبد الكريم بالرجل ، وأمل أن يضيف الرجل شيئا يحلحل القضية ، وبعد التعرف والترحيب حضر الكاتب والمترجم فقال الرجل : اسمي جوهان ثيودور من أهالي صقلية الإيطالية .. وأنا من سكانها اليوم أيضا .. ولما خابرني أصحابي باختفاء السيد رفيق هذا الاختفاء الغامض .. قررت المجيء للمساعدة والإدلاء بمعلوماتي .. لعلها تساعد في معرفة الجناة .. والوصول لجثة السيد رفيق التي لم تظهر كما خابرني الرجال .

ـ شكرا لك .. ونطمع أن نستفيد حقا مما لديك من معلومات .. وهذا يدل على عمق الصداقة التي تكنها للسيد رفيق .

ـ أنا أعرف السيد رفيقا منذ وطأت قدماه صقلية ، وكان متزوجا من امرأة صقلية ، ورثت عن والدها مراكب وسفنا .. أحببت تلك المرأة الشاب رفيقا وتزوجته ، وعملنا معا في البحر .. وكانت البحار تقذفنا مرة في الشرق ومرة في الغرب .. وصلنا سواحل الهند والصين وتشيلي .. وهكذا عشنا زمنا طويلا .. ننقل البضائع والمواد حسب الطلب .. نشارك في رحلات الصيد والبحث عن الكنوز .. كانت تحدث معنا حكايات وقصص ومغامرات يا سيدي المقدم .. ونسمع من بحارة يعملون معنا على إحدى الرحلات عن سفن غارقة ، وهي تحمل ذهبا وأموالا لبلد ما وتهلكها الأعاصير وعواصف البحر، ويختفي الذهب والمال والجواهر .. فنقوم بالبحث والغوص .. فنجد أحيانا وأحيانا كثيرة أخرى لا نجد شيئا.. ربما سبقنا ربما إشاعة ..وصرنا نشتري ونبيع الجواهر من الركاب من الصيادين .. نشتري من سواحل الهند والباكستان ونبيع في أوروبا بطرق مشروعة وطرق غير مشروعة .. هكذا السوق في مثل هذه الكنوز .. لأن بعض الدول إذا علمت أن كنوزا لها ظهرت في عاصمة ما ربما تطالب بها .. فنقع في مشاكل قانونية نحن في غنى عنها .. وصانعوا الجواهر يحبون السرية وسحر صاحبنا رفيق بالمجوهرات ، وأصابه الهوس والعشق القوي بها ولها .. فصار يبيع ما لا يناسبه ويشتري غيره أو يستبدل جوهرة قديمة بجواهر حديثة ..وربما نبيع جوهرة قديمة بثروة كبيرة لأهميتها التاريخية .. أما السيد فكان يقتني ويبيع ..أما أنا فكنت أحب المال أكثر من اقتناء الجواهر .. فيدفع رفيق حصتي ويأخذ الجوهرة كاملة ..إذا رغب باقتنائها ..وكنا نذهب لتسعيرها عند معارفنا من تجار الذهب والجواهر في بلادنا والبلاد الأخرى .. كنا حقيقة على تفاهم تام بالنسبة لهذه الجواهر .. ومرة كنا في أحد موانئ بلاد الهند ، وتقدم منا رجل رث الثياب بشكل ملفت للنظر قليل الحجم .. وعرض علينا ياقوتة بحجم (البج بن) الكرة الصغيرة .. ولما ساومناه أدركنا أنه جاهل بأسعار المجوهرات والأحجار الكريمة .. إلا إذا كانت مزيفة حتى خفيت علينا ؛ ولكننا حتى لا تفوتنا تلك الكرة دفعنا ألف دولار للرجل الذي اختفى على الفور بعد أن قبل أيدينا شاكرا .. بخبرتنا رجحنا أنها ياقوتة طبيعية ..ولكن الشك ما زال يراودنا .. وبما أننا اشتريناها في الهند فلا نستطيع فحصها عند تجار تلك البلاد .. ففي ذلك خطر شديد علينا ..لأننا لا نعرف كيف حصل عليها الرجل ؟ .. قد تكون مسروقة والبوليس يبحث عنها فنقع في سين جيم .. فلما عدنا لصقلية كالعادة بعد رحلة استغرقت شهور .. عرضناها على أهل

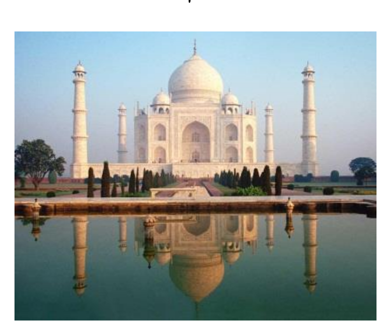
الاختصاص فأكدوا أنها حقيقية وقدروها بعشرين ألف دولار أمريكي .. فدفع لي السيد رفيق العشرة آلاف .. تنقص خمسمائة التي دفعها للهندي الفقير.. وامتلك تلك الجوهرة الهندية .... وانتهى الموضوع حسب علمنا .. ولما ماتت زوجة السيد رفيق الصقلية صفى أعماله في بلادنا ، وباع المراكب التي ورثها بعد أن أهدى بعضها لمحبيه وعاد لموطنه الأول .. وظللنا على اتصال بحكم الصداقة الطويلة ..قبل خمس سنوات من اليوم زارني ثلاثة هنود ومترجم إيطالي ، وأخبروني أنهم يبحثون عن الياقوتة التي باعها لنا أحد الهنود في أحد موانئ الهند ..ووصفوا الياقوتة فتذكرتها وتذكرت ذلك الرجل الهندي الفقير الذي لا تنسى صورته ..وعلمت منهم أن الرجل قد سرقها من عين إله هندي من الآلهة التي تملأ معابد ودور الأغنياء في الهند .. فهي إذن عين صنم هندي .. وفهمت منهم أنهم تفقدوا إلهاهم ذات يوم فوجدوه بعين واحدة ، وأدركوا أن عين الإله قد سرقت .. وبعد تفكير أدركوا أن أحد خدم المعبد استولى عليها في لحظة غفلة .. وبحثوا عنه حتى وجدوه وأمام التعذيب أقر بجرمه .. وأنه فعل ذلك انتقاما منهم ، وأخذها وباعها في أحد الموانئ لأصحاب السفن الأجنبية .. وبالصبر والسؤال عرفوا أنها بيعت لنا وعرفوا عنواننا في أوروبا لأن رجال أمن الميناء يعرفوننا للتعامل الدائم بيننا .. وجاءوا إليّ وقصوا قصتهم هذه ..ولم يكن أمامي إلا الإنكار بالحصول عليها .. وقلت لهم إنني لا أملكها ، وأمام إصرارهم وبكائهم وتعبهم في البحث .. ذكرت لهم أنها ليست بحوزتي وأنني أخذت نصف ثمنها ، وذكرت لهم عنوان السيد رفيق ..وقلت لهم ادفعوا له ثمنها ..فوعدوا بدفع أضعاف الثمن وجاءوا إلى هذه البلاد قبل خمس سنوات أيها السادة ، والتقوا بالسيد رفيق كما أخبرني هو بنفسه .. وأنه رفض رد الياقوتة الخاصة بصنمهم .. وهددوه بالاغتيال بعد أن دفعوا أضعاف الثمن ، ولعقدة الرجل بحب الجواهر رفض التفاهم معهم ..ولخوفه من سرقتها أرسل موظفا يثق به إلى ألمانيا ولشركة تقليد المجوهرات الحقيقية صنعوا له ياقوته مثلها وأجمل منها ولكنها صناعية .. وطلب سرعة إنجازها ولم يرجع الموظف الثقة إلا بها .. ولم يذهب بنفسه خوفا من غدرهم ولإخفاء نيته كما أخبرني بذلك أيها السادة .. فالرجل قد أدرك عنادهم وأنهم لا يفكون عنه حتى يحصلوا على الياقوتة ، وأنهم لن يغادروا البلد قبل الحصول عليها أحضرت الياقوتة المزيفة ووضعها في طريقهم وفعلا سرقوها ، وغادروا البلاد مسرعين واختفوا .. ولكنهم لما عادوا لبلادهم اكتشفوا حيلة السيد رفيق فجن جنونهم

.. فجاءوني قبل شهور وعرضوا عليّ ربع مليون دولار للحصول على الياقوتة الحقيقية عين الإله .. وهذا مبلغ يسيل له اللعاب .. ورأيت أن لي فيه حقا وعلى السيد رفيق التخلي عن عقدته نحو تلك الجوهرة .. فأرسلت له ثلاثة رجال يعرفهم رفيق حق المعرفة .. ولكنه للأسف لم يقتنع بوجهة نظري ، وأساء للرجال بل طردهم أشد الطرد .. واتصلوا فقلت لهم حاولوا لابد من الإلحاح .. فمبلغ الربع مليون يحتاج لصبر .. ثم مرض الرجل .. فأرسلت إليهم المزيد من المال للبقاء .. ولكنه بعد مرضه رفض أيضا استقبالهم ..وأخبرت الهنود بأن الرجل مريض وأن الأمر يحتاج لصبر ..وأمرتهم بالبقاء هنا ، وأنني سألحق بهم .. ثم اتصلوا وأخبروني باختفاء الرجل الغامض ، وأنهم مطلوبون لرجال البوليس وصورهم في بعض الصحف الأجنبية .. ولا يعرف هل هو حي أم ميت ؟.. فتكلمت مع صديق لي في وزارة الخارجية .. فطلب منهم أن يتصلوا بالسفارة الإيطالية هنا ، ويتقدموا لرجال البوليس ويدلوا بأقوالهم .

ـ هل ترى أنت أن لهؤلاء الهنود يدا في الموضوع وأن يضروه ويغتالوه؟

ـ لا أعتقد ، فهم يسعون للجوهرة .. وعندهم صبر ونفس طويل .. فللقصة أكثر من عشرين سنة .. وحسب معلوماتي هم في أوروبا ..

١٥



عندما انتهى المقدم عبد الكريم من رواية قصة ياقوتة المعبد والصنم الهندي للمحاميين فيصل ومجدي ، قال مجدي : لقد سمعت بعض الحديث عن قصة الهنود والياقوتة عين الصنم .. ربما سمعتها من أبي .

فقال فيصل : لمياء هي التي ذهبت لصنع الياقوتة المقلدة ؟

فقال عبد الكريم : هو ذكر موظفا ثقة .. قد تكون هي ، فقبل خمس سنوات كانت تعمل لديه

وعاد فيصل يقول : مسبحتان مقلدتان أيضا لماذا الثانية ؟! هي لم تنكر صنع اثنتين

قال مجدي : لا ، لم تنكر ولا مجال للإنكار ما دام قد وصلنا للصانع .. أبي يؤكد أنه كانت المسبحة بين يديه في غالب الأحوال .. أما أنا فقليل ما كنت أراها لذهابي في العادة لعمل ومراجعة قضية ما ..ولم تكن لقاءاتي بالرجل طويلة .. ربع ساعة .. عشر دقائق ، ثم انصرف .

قال عبد الكريم بتأن ودقة : من لقائي الأخير بالسكرتيرة أدركت أنها امرأة خطيرة وقوية على

غير لقائي السابق بها عند اختفاء السيد رفيق .. وتعرف كيف ترد .. كانت حذرة للغاية .. وجوهان ورجاله ليس لهم حاجة بالمسابح .. وهي تزعم أن الرجل هو الذي كلفها بذلك العمل .. وأرسلت فاكسا للشركة للتأكد من صنع الياقوتة وهل هي نفس العميلة التي قامت بطلب صناعتها ؟ ..

فقال فيصل متهما : قد تكون هي السارقة للمسبحة الأصلية طمعا في المال ؛ ولكن الرجل يثق بها ثقة كبيرة .. ما دام يرسلها بياقوتة لتلك البلاد ..

ـ وهي أقرب الناس إليه وتعرف أسراره .. فحلمي يبدو بليدا وقليل الكلام .. لكن زواجهما يثير الريبة أي صفقة مع أنه قد يكون لمصلحتهما ويدفع عنهما التآمر إلى حد ما أمام القاضي ومحامي الدفاع .. ولو كان هناك شك فيهما لأخرا الزواج حتى تنجلي القضية .. فزواجهما هذه الأيام قد يفسر لبراءتهما .. وتحرياتنا عن ابن أخت شقيقة رفيق لم تسفر عن شيء .. أما عقل حلمي فلا يستطيع ترتيب جريمة خطف جريئة وذكية ..إلا إذا كان هو قام بأحد الأدوار وكيف وافق على القيام بهذا الدور؟

ـ وعدته بالزواج !

فكر عبد الكريم قليلا ثم رد : عرض جيد !..وإغراء كبير .. ولكنها جريمة قتل .

فنهض مجدي قائلا : سأتحدث مع أبي حول ياقوتة رفيق قبل أن أنسى .. فأبي من أعز أصدقاء رفيق.

ذهب مجدي ليسمع المعلومات التي يعرفها والده عن ياقوتة المعبد الهندي فقال فيصل : لليوم لم تظهر جثة الرجل !.. أين أخفيت ؟! ..الجثث لها روائح كريهة تشم عن بعد ..هل دفنت في قبر؟!

ـ ستظهر يوما ما .. الجريمة دبرت بعناية وعلم وجراءة وفي الليل .. والبحث جرى بعد أكثر من عشر ساعات .. وعندي فكرة راودتني منذ زمن .

ـ ما هي ؟

ـ عندما أنفذها سأقول لكم .

عاد مجدي مؤكدا لقصة جوهان الصقلي ، وأن رفيقا حدثهم عن المعابد والأصنام في بلاد الهند وما يحلونها به من الجواهر والأحجار الكريمة .. وفكرة تقليد الجوهرة صحيحة ، وتحدث عنها رفيق ، ثم قال : ففكرة تقليد المجوهرات موجودة في فكره وذهنه .. وسرقة ابن أخته يؤكد هذا المعنى .. ولكن لماذا قلد المسبحة مسبحتين لماذا ؟! فالمسبحة المقلدة لم يسمع أبي عنها شيئا مهما .. ولكنه يؤكد أن من أفكار رفيق يخرج مثل ذلك ..فأعتقد أن لمياء قلدت المسبحة على رغبة السيد ولكن مسبحتان لماذا الثانية ؟!

قال فيصل متذكرا شيئا ما : يا أخي لما طلب

مساعدتنا في كشف سرقة المسبحة .. وقمت بعمل مسبحة شبيهة لها ليخدع سارقه .. قبلها .. ولم يكشف لنا أنه صنع لها مسابح مقلدة ؟!

قال مجدي : فعلا ، ولكن لا يمكن أن تفعل لمياء مسبحة إلا بإذنه ..

فقال عبد الكريم : أو كانت تخطط لسرقتها ..

ـ ولكن هذا حدث قبل زمن طويل ..قبل أن يصاب بجلطة دماغية ..

فقال عبد الكريم : هذا ما يحير لحتى الآن .. هل خطط للجريمة من زمن ؟!.. نحن تصورنا أن حالة رفيق المرضية واحتمال موته دفعت السارق لسرقة المسبحة الأصلية .. معتقدا أن موت الرجل لن يفتح ذهن الورثة .. وسيعتقدون أن المسبحة المزيفة هي مسبحة رفيق ..وقلنا ظهور رضا شاه جناد .. دفعهم لسرقة المقلدة .. ثم اضطر المجرم للخطف والقتل فيما بعد .



فقال فيصل : والرجل شهوته للمجوهرات شهوة زائدة .. فالوسوسة والخوف لابد أن يتركا أثرهما على الرجل .. فهو رفض ربع مليون ثمن ياقوتة دفع فيها عشرة آلاف.. حتى أن شريكه طمع بإعادة بيع الياقوتة .

ـ ونحن نتحرى عن هؤلاء الهنود.. هل دخلوا البلاد في هذه الفترة ؟ وجوهان يساعدنا بذلك وبين لنا أنهم يمكن أن يدخلوا بجوازات مزورة غير الأسماء التي كانوا بها إيطاليا .. أنا لدي تصور للجريمة .. وأكاد أجزم أن السكرتيرة لمياء لها دور خطير في هذه الأحداث فهي أكثر الناس معرفة برفيق بحكم العمل ومجاورتها للرجل منذ سنوات .. اسمعوا لأفكاري وسددوا

قال فيصل : تفضل يا حضرة المقدم .

قال الضابط : حسب تحرياتنا عنها ..لم يسجل عليها أي قضية جنائية ..وهي تقوم بعملها المهني على أحسن ما يرام .. أيام الدراسة سجلت عليها علاقات بريئة مع بعض المدرسين .. لكنها لم تصل لقضايا أخلاقية ..أحبها مدرس كاد أن يطلق زوجته للاقتران بها .. ولكنها وجدت معارضة من أسرتها ..وانتقل المحاضر إلى كلية أخرى ..وقبل إنهاء الدراسة الجامعية كانت على صداقة مع أحد مدرسيها الجدد .. ولكنها انتهت بتخرجها .. عملت في شركة من شركات والدها ..ثم تركت العمل معهم بضغط من إخوتها ..لقد استغلها بعض كبار الموظفين وكوّنوا معها صداقات أسأت للشركة والأسرة .. فعملت عند رفيق بطلب من أبيها ثم تزوجت من ابن عم لها ..ولم تطل علاقتها الزوجية .. فقد كانت صداقاتها

تغيظه ، ولم تغير من سلوكها بعد الزواج ..وكانت تدعو أصدقاءها للبيت بدون الترتيب معه .. ولم تحتمل أعصابه ذلك فاتفقا

على الطلاق بالحسنى .. فأعطاها أبوها شقة في عمارة من أملاكه .. هذا ملف حياتها الخاصة ..

القصة أيها الأصدقاء .. أن هذه المرأة استغلت ثقة رفيق بها ..أي معرفتها بكثير من أموره وخاصة هوسه بالمجوهرات ومتابعة أخبارها .. وبحكم عملها معه في شقة البيت .. ومع مرضه الأخير ..والجلطات الدماغية والقلبية خطيرة على حياة الإنسان ، ويبقى صاحبها في وضع حرج لأي انفعال حاد ..وقد يذهب الشخص في غيبوبة بسب هذه المرض .. طمعت السيدة بسرقة المسبحة في تلك الفترة الحرجة من حياة رفيق حلمي ..وهي تعرف مسابح الرجل ..وأن الورثة لا يهتمون بضياع شيء .. وربما لا يعرفون بأسرار الرجل وما يملك من مجوهرات على وجه الدقة .. فلو اختفت قطعة لن ينتبهوا ..فهي صنعت مسبحتين مقلدتين .. فالثانية بدون علم الرجل .. لأنه ثبت أن طرد البريد الذي أرسلت به المسابح المقلدة كان باسمها ..

فقال فيصل : معنى هذا أنها كانت تخطط للسرقة قبل حدوث الجلطة ..!

فقال عبد الكريم: يبدو ذلك من تاريخ تقليد المسابح.. وإلا لماذا المسبحة الثانية؟.. على كل حال ..فالأولاد لا اهتمام لديهم بأشياء أبيهم كما دلت تحرياتنا .. وثانيا هناك أموال كثيرة سيرثونها فلن يهتموا بشيء مجهول مختفٍ .. ومبلغ خمسين ألف يغري ضعاف النفوس .. المهم أن السيد رفيقا أدرك أن المسبحة الأصلية فقدت وذلك ربما بعدما تحسنت صحته إلى الأفضل وعلمنا أنه كان يستخدم مسبحة مزيفة أمام الناس .. فلما خرج من المستشفى واستعمل المسبحة المخفية شك بالتبديل .. فاتصل برضا الجوهري .. ومن يستطيع معرفة هذه الاتصالات سوى لمياء القريبة منه؟! ..وكما تعلمون أن أماكن وضع نقاط الهاتف متعددة في الشقة .. فكانت الوحيدة التي تستطيع التسمع على مكالمات رفيق .. وقام الفنيون في البحث الجنائي بفحص شقة رفيق .. فتبين لهم أن أي مكانين يكون فيهما نقطة التلفونات يسمعون بعضهم البعض .. نقاط (الأباريز) مفتوحة على بعضها البعض .. فبإمكان السكرتيرة سماع مكالمات رفيق من شقة البيت بأي جهاز هاتف في شقة العمل دون أن يشعر رفيق بذلك .. في أول الأمر للسرية اتصل رفيق برضا ليلا .. ولكن تتابع الاتصال بينهم في النهار أتاح للسكرتيرة معرفة الأمر .

فقال فيصل : جميل ! فهذا يدل على أن لمياء

استمعت لهم ، وعرفت بالموضوع وأن رضا قادم
ـ أحسنت ! أما كيف سرقت المسبحة بدون فتح الخزانة فهذا لم استطع تصوره بعد؟! .. ولكن افتراضك أنت ومجدي عندما بحثتم مع الرجل طريقة اختفاء المسبحة المقلدة وارد ..فهنا خافت الفتاة السارقة من افتضاح أمرها .. سرقة .. ثقة رفيق .. ثقة أبيها صديق رفيق .. فضيحة هائلة ستكون .. فإما أن تعيد المسبحة الحقيقية قبل مجيء رضا أو اختفاء رفيق .. فهي لم تكن تعلم أن الرجل تشاور معكم في أمرها .. وأن المسبحة لا أحد يدري بسرها .. فسرقت المسبحة المقلدة ربما بالطريقة التي توصلتم إليها وفي ذلك اليوم الذي تكلم الرجل من مكتبها.. فمع مجيء هؤلاء الأجانب تتطورت الأمور في نظر لمياء .. فرأت الخلاص من رفيق أفضل .. معتقدة أن الشبهة ستذهب للأجانب الثلاثة .. وأنهم قتلوه من أجل الياقوتة ..

إذن مجيء رضا خربط أوراق السارقة ..كما أعتقد .. وأعتقد أيضا أن السيد حلميا شريك لها في هذه العملية .. وأن الزواج كان أحد الإغراءات التي قامت بها الفتاة لإقناع حلمي بمساعدتها .. وعندما تورط الشاب استسلم لتخطيطها ..كل الشبهات تحوم حولها ؛ ولكننا نحتاج لأدلة .. فالفتاة أقدر الناس على معرفة مجيء رضا وخزانة الرجل .. فحلمي عندما يصعد للشقة لمساعدة رفيق في أثناء ركوبه المصعد كان يجلس في صالة بيت رفيق فيشرب الشاي أو العصير ..وتعود الخادمة لمطبخها أو غرفتها حتى يخرجا فتخرج لإدخال كوب الشاي أو كوب العصير .. والسائق كما أكد لنا ولكم لا يصل للمكتبة حيث خزانة الجواهر .. ولكن كثرة التردد على المكان وبقليل من الوصف يستطيع الوصول للخزانة إذا كانت متروكة مفتوحة كما اعترف الرجل بأنه يتركها أحيانا بدون إغلاق ريثما يتكلم في الهاتف ..أو يرى طارقا ..وأحيانا كثيرة يذهب حلمي للجلوس في شقة الإدارة فيتاح له المجال للحديث مع لمياء ..وهي فرصة للسيطرة عليه ..والفتاة شخصيتها قوية ولعوب.

ـ كيف ستثبت ذلك الاتهام ؟

ـ الاعتراف سيد الأدلة .. سنظل نضيق عليهما الخناق حتى يقر أحدهم بالجرم .. وليس لنا إلا الصبر ..لا أحد ثبت لدينا عنده قدرة على التخطيط سوى لمياء ..ولا يعلم بمجيء رضا إلا هي .. وهي على علم بالرجال الثلاثة طالبي الياقوتة .. السيدة سعيدة بعيدة عن مسرح الأحداث ولكن لمياء استغلت هذه السفرة لتنفيذ أفكارها الخطيرة .. ولو لم يحدث خطف وقتل ربما اعترف حلمي بأي دور كلف به ..ولكن

الاعتراف معناه الموت .. فالشاهد على الخطف موجود .. عامل المقصورات في ذلك القطار .. وعامل محطة عين المها ..

ـ هل عرفوا الخاطف ؟

ـ هم ساعدوه بدون إدراك لجريمة ترتكب ..سنرتب لمقابلة بينهم وبين حلمي بدون علمه

ـ ولغز سرقة المسبحة الأصلية .. كيف استطاعت الاستيلاء عليها ؟.. والأرقام سرية والمفتاح الخاص بالخزنة .

قال عبد الكريم : هذه حلها سهل .. من تحرياتي مع أصحاب رفيق والسكرتيرة وخادمته أن الرجل قد يفتح الخزنة أكثر من مرة في اليوم الواحد ، وربما يمكث أياما لا يفتحها ..فأكدت الخادمة أن الرجل يحب إخراج كنوزه والتمتع بالنظر إليها .. عادة متكررة فيه ..وحادث الياقوتة يؤكد هوس الرجل باقتناء المجوهرات .. يرفض ربع مليون في جوهرة .. فهذا عندي جنون ..ولكن للناس فيما يهوون عجائب وغرائب .. هو في النهاية ليس بحاجة لمال ليطمع بربع المليون .. ومن كانت هذه عادته فتركه للخزنة مفتوحة وارد باستمرار .. فمن يتابعه كلمياء يمكنها تنفيذ خطتها لسرقة المسبحة ..

فقال مجدي : كأنك تؤكد ارتكابها للمؤامرة يا حضرة المقدم .

ـ تكلم مجدي أخيرا ..ظننتك ذهبت في سبات عميق .

ـ صدق أنني معك ، وأكاد أصدق كل ما توقعته ..وأستطيع أن أؤكد لك أن لمياء لها قدرة على السيطرة على من تتعامل معهم .. وحلمي رجل قوي البدن ..ولكن عقله وذكاؤه محدود لكن من الصعب التواطؤ بهذه القسوة على ولي نعمتهما هذا مرعب ومخيف!

ـ هما أو هي في البداية لم يفكروا بالخطف والقتل .. كانت مجرد سرقة .. مسبحة تسرق وستمر هذه السرقة بدون أن يلتفت أحد .. وستكسب خمسين ألف من غير أن يشعر أحد من أولاده وأنا أتخيل أن حلميا لم يكن له دور في السرقة الأولى

ـ لكن السكرتيرة نفت تركها الغرفة أثناء مكالمة رفيق من مكتبها .

ـ هذا في السرقة الثانية ..وأنا أعتقد أن لها دورا في ترتيب تلك المكالمة ، وإن بدت المكالمة بريئة لتتيح لحلمي دخول المكتبة وسرقة المسبحة المقلدة .. فهي التي رتبت لهذا اللقاء حسب رغبة رفيق ..الخزنة مفتوحة حلمي في الصالة يشرب الشاي أو القهوة .. البنت في غرفتها .. الخادمة في غرفتها .. رفيق يستعد للخروج تلفون من مكتب الشركة .. رجل مريض يحتاج لدقائق حتى يعود ويغلق الخزانة .

فقال فيصل : ذكاء شيطاني! ..وأقدر الناس عليه تلك الفتاة .. التي كانت تتحدث معنا بذكاء وحذر .. هذا تصورك للحوادث وعلينا إثبات ذلك .. لكننا نريد أن نعرف سر تقليد رفيق لمسبحتين .. لماذا لم تكن واحدة فقط ؟! ..فالفتاة اعترفت بأن الرجل كلفها بصنع باثنتين والشركة قالت اثنتان .. وأرسلت بالبريد اثنتين ..وليس لدينا دليل ينفي الاثنتين .

قال مجدي : للأسف لم يعرف أبي لماذا فعل ذلك ؟! ولا عدد ما قلد واحدة أو أكثر.. ولكن الرجل قلد الياقوتة الهندية لغاية خداع الهنود .. وهو يعلم عنادهم وتصميمهم على أخذها .. ولماذا قلدت المسابح؟! .. خوفا من السرقة .. من قبل من ؟! ..هل كان يخشى سارقا ليحتاط لذلك ؟!

فقال فيصل مذكرا : ولماذا لما أحضرنا له مسبحة رخيصة مقلدة لم يخبرنا بأن لديه مسابح مقلدة لماذا ؟!

ـ وأصحابه كانوا يرونه يستعمل المسبحة ؛ ولكنهم لا يعلمون المقلدة من الحقيقية .. عندي اقتراح وهو صانعوا هذه المسابح أليس لديهم تواريخ صنعها ؟

فقال فيصل : لماذا ؟!

فقال مجدي :إذا كانت تواريخ صنع المسابح قبل حادث الجلطة الدماغية فيكون هذا دليلا أو قرينة على أن السيد رفيقا هو طالب صناعة هذه المسابح .. أما إذا كانت بعد حادث الجلطة فتكون الفتاة هي فاعلة ذلك ..

قال عبد الكريم : ولكن لماذا تصنع مسبحتين ؟! واحدة تكفي .. عشرة آلاف مبلغ كبير بالنسبة لها .. على كل فكرة التاريخ مهمة .. وسأبعث برقية عاجلة للشركة .. أو أتصل معهم بالهاتف ..فهي شركة عالمية .

ـ ربما هو طلب تقليد واحدة .. وهي أضافت واحدة ثانية ؛ لأنها كانت تخطط لسرقة الأصلية قبل حدوث الجلطة ..

فقال فيصل : لو ثبت أن فعلت ذلك لغاية في نفسها .. عملية الاستبدال الأولى كيف تمت؟! كيف فعلتها ؟ .. الثانية مكر وتعاون بينها وبين حلمي ..

١٦

تفاجأ الضابط عبد الكريم عندما اتصل بالشركة العالمية لصناعة المجوهرات المقلدة ، وطلب منهم معرفة تاريخ صناعة المسابح ، فأخبر أن المسبحتين لم تصنعا في وقت واحد ، وذكروا له تاريخ تسليم كل مسبحة ، فجاء تاريخ إرسال أحد الطرود قبل حادثة الجلطة الدماغية لرفيق بزمن طويل ، والثانية أرسلت أثناء مرض الرجل .. فدل هذا على أن السرقة حدثت كما تصوروا وأن المسبحة

الأصلية بدلت أثناء مرض السيد رفيق ورقوده في المستشفى لأكثر من أسبوعين .. وأن السكرتيرة خلال هذه الفترة استطاعت استبدال المسبحة الأصلية بالمقلدة.. ولكن كيف فعلت ذلك ؟! هل تملك مفتاحا للخزانة وتعرف أرقامها السرية ؟ .. وكيف استطاعت التمييز بين الحقيقية والمزيفة .. وسرقت الحقيقية ..

فاضطر الضابط لمقابلة لمياء وسؤالها عن سبب اختلاف وقت صناعة المسابح فقالت ببراءة الأطفال : أنت لم تسألني عن وقت تاريخ صناعة المسابح .. أنت سألتني هل قمت بتقليد مسبحتين ؟ .. فلم أنكر فعلي ذلك ، وقلت كان ذلك رغبة للسيد رفيق .. أما لماذا فعل ذلك ؟ فلست أدري !

ـ سؤال آخر.. لماذا عندما أرسلك السيد لصناعة الياقوتة أرسل معك الياقوتة نفسها ؟ أما عند صناعة المسابح أرسلك بالصورة ؟

ـ عند صناعة الياقوتة عين الصنم الهندي لم أذهب أنا يا سيدي !

ـ ألم تكوني أنت التي قمت بالمهمة ؟!

ـ لا ، ولا أعلم من قام بذلك.. وأنا أنفذ المهام حسب رغبة السيد ، وليس حسب رغبتي .. ولكن يمكن أن أبدي ملاحظة حول ذلك .

ـ جيد .. تفضلي يا سيدتي .

قالت : كان السيد يرغب بصناعة ياقوتة متقنة مائة في المائة .. حتى يقتنع الهنود بأنها هي نفسها.. أما المسابح فليس من المهم أن يتقنا الإتقان الكامل ..لأنه كان يقصد التمويه على الطامعين بأخذها .. ولو سرقت لكان الخطب أسهل .

تبسم عبد الكريم وهو يسمع هذا فقال : تعليل ذكي منك يا سيدتي ! ربما هو الصواب .

ـ شكرا ..ولكن لماذا تبحثون عن المسابح ولا تبحثون عن السيد رفيق ؟!

ـ سؤال جيد .. نحن نعتقد أن الرجل قتل أو خطف ثم قتل من أجل المسبحة اللؤلؤية الحقيقية

لزمت لمياء الصمت للحظات وقالت : هكذا إذن ..وكيف سرقت المسبحة ؟

ـ هذا ما نبحث عنه .. هل لديك معلومات تساعدنا في ذلك ؟

لزمت الصمت ثانية قبل أن ترد : لا ، لا أعلم أن المسبحة مسروقة .. فالسيد لم يتحدث أمامي بذلك يا سيدي الضابط .

شكرها عبد الكريم وانصرف من مكتبها ، ونقل معلوماته الأخيرة للزميل فيصل والمحامي مجدي واتفقوا على عقد لقاء جديد في نادي الأمن في سهرة عائلية ، وتناول القوم الطعام في مطعم النادي ، ثم ارتحلوا للجلوس تحت شجرة بجوارها مظلة، وجلست زوجة عبد الكريم وزوجة فيصل في مكان وحدهما ، وجلس الرجال

مع بعضهم ليتناقشوا في آخر تطورات القضية
فقال فيصل : لماذا جمعتنا في هذا النادي ؟
فضحك وقال : حتى نفكر جيدا ، ونعيد ترتيب المعلومات .. فالقضية طالت والأخ مجدي ينتظر النتيجة ليتزوج ابنة الرجل .

فضحك المحاميان على مداعبة عبد الكريم وتابع الرجل : لم نصل للجناة بعد .. الجريمة الثانية حدثت نتيجة لجريمة السرقة .. هذا هو الدافع وسبب جريمة الخطف ثم القتل .

فقال فيصل : ولم يتحدث أحد عن صناعة المسابح سوى لمياء .

ـ نعم ، لا أحد إلا تلك السكرتيرة وهي ليست سهلة .

فقال مجدي : عجيب هذا الرجل ! .. رغم بساطته .. فكله غموض .. ولكن صناعة مسبحة ثانية في وقت آخر فيها إشارة أن المرة الثانية لم تكن من أمر رفيق .

ـ إنها جريمة قتل يا سيدي .. نحتاج إلى أدلة مادية .. وليست عقلية وظرفية فحسب .

ـ نعم ، إنها جريمة قتل !

ـ على كل حال أنا أرتب للقاء بين الشاهدين والسيد حلمي السائق ..سوف استدعي حلمي للدائرة وأسمح للرجلين برؤيته فجأة داخل المكتب وأنظر ردة الفعل بينهم .

فقال فيصل : فكرة ممتازة يا عبد الكريم ! راودتني ذات حين .. لابد من خطأ قاتل ليقع القاتل وحلمي يخيل لي أنه الأضعف في القضية .

بعد الاطلاع على الملفات الشخصية لكل المحيطين برفيق في منزله وبعض أقربائه ترجح لدى الشرطة أن السيدة لمياء لها اليد الطولى في عملية اختفاء الرجل بالطمع في سرقة مسبحة اللؤلؤ ثم تطور الأمر للخطف والقتل ، وترجح لديهم أن الشريك المناسب لها في هذه الجرائم زوجها حلمي .

وأكدت السيدة سعيدة للشرطة أن الدعوة كانت منها شخصيا دون اتفاق بينها وبين السكرتيرة وليست بإيحاء من أحد ، وهي دعوة متكررة كل عام ، ولكن ترتيب الرحلة بالقطار من تنظيم رفيق والسكرتيرة ، وبينت أن ذلك معتاد منهم ، وهي لم تقم بتنظيم أي رحلة لرفيق لمدينة الخد .. فقالت لهم : إن هذا شيء طبيعي ، وليس بجديد ، وهو ترتيب متكرر كلما قبل السيد رفيق الدعوة لزيارتنا.. وإن الموافقة كانت منه رغم صحته العليلة ؛ ولكنه أحب أن يستلم تكريم الجمعية بنفسه .. وأذن له طبيبه كما أعلمني ذلك بنفسه.

وبعد التحليل المنطقي والفرص المتاحة والقرائن المختلفة وبعد التأمل في سير الأحداث واستغلالها ، وأن السيارة السريعة تستطيع الوصول إلى أي محطة قبل وصول القطار .. ولكن لم يشهد أحد

برؤيتهم في المحطات .. إلا ما كان من عامل المقصورة في قطار الحادث ، وأحد موظفي محطة عين مها مشاركتهم في إنزال رفيق المتعب والمضعضع والقيام بتوصيله لسيارة الرجل الغامض .. وذكر أحد حمالين المحطة أن السيارة كانت سيارة مستأجرة ..ولونها كحلي ومن ناحية القامة فقامة الرجل طول قامة حلمي ..ولكن الرجل كان يلبس نظارة خضراء الزجاج وبذلة بنية فضفاضة ، ويضع على رأسه قبعة بنية ، وله شارب ضخم قربه شامة حمراء.. وأسمر البشرة بدأ لهم .. وكان رفيق المتعب مستسلما للرجل ؛ كأنه يعرفه معرفة جيدة .. وخاصة أن الرجل همس كلاما في أذن رفيق عندما صعد للمقصورة .. وهل هذا يدل على تخدير سابق ؟ وإثبات سفر حلمي ولمياء ليس بالأمر السهل ، وهما لم يثبتا إثباتا قاطعا أين أمضيا الساعات التالية لسفر رفيق ، فلم تستطع أن تأتي بشاهد على مكثها في الشركة بعض الوقت إلا شهادة حلمي .. والبواب لا يستطيع الجزم بشيء ..والخادمة تظن أنها لم ترجع ، ولا يمكنها تأكيد عدم عودتها ..وحلمي أوصل الفتاة للشركة أو لمدخل العمارة ، وانصرف لأحد المطاعم ولكن لا أحد من أصحاب المطعم يؤكد تناوله العشاء أو الغداء فهم يذكرون ولا ينفون أيضا فهو زبون يتردد عليهم ، أما مساء الرابع والعشرين من نيسان فهم لا يذكرون هذا التاريخ بشيء.. والذهاب للسينما وحده لا يعتبر دليل نفي ..وكذلك ذكره لبعض مشاهد الفيلم فهذه الحيلة غير مجدية .. لأنه يمكن الحضور في يوم سابق والتظاهر بالحضور يوم الحادث .. فالفِلم تبين أنه عرض قبل الحادث بيومين واستمر لصباح السبت من ذلك الزمن .

لذلك كان على المقدم عبد الكريم وأعوانه إثبات الجريمة على حلمي ولمياء ، فلذلك رتب الأمور في دائرة التحقيق والأمن لمقابلة بين الشهود وحلمي دون علم حلمي .. الرجل الذي بدا لهم أنه يعمل سائقا عند أحد البيوتات الثرية .

دخل سائلا عن وصول القطار رقم (٢٧) ومتى سيصل ؟ ..وانتظر في سيارته ، ولما وصل القطار نزل باحثا عن الضيف ، وقاده الموظف بهدوء وصمت إلى المقصورات الخاصة ، وتحدث الموظف عن السيد رفيق مع عامل المقصورة الذي قادهم إلى حجرته ..ودخل الشاب واقترب من الرجل الذي كان يجلس وقد ظهر عليه الإعياء .. همس الرجل في أذنه بضع كلمات ، وعلى أثرها مسك بيده وساعده عامل المقصورة .. وحمل الموظف خليل حقيبة ثياب الرجل .. ومشوا به رويدا رويدا إلى السيارة الواقفة ، وحياهم السائق وغادر المحطة بكل هدوء .. وهو يقول : إنه عمي ؛

ولكنه مريض .

واختفى القطار ، ثم اختفى السائق .

هكذا كان كل من الشهود يتذكر دوره ، وهم في دائرة الأمن يستعدون لروية الرجل المشتبه به

***

استدعي حلمي لدائرة الأمن ـ وهو كان يتوقع هذه الاستدعاء منذ التقى المحقق بزوجه لمياء فقد أصبحوا في دائرة الاشتباه بعد أن كشف أمر المسابح المقلدة والمسروقة ـ وقاده أحد الضباط إلى الغرفة الخاصة ، حيث سيصور ويسجل حواره ولقائه ، ويشاهده الشاهدان ، استقبله المقدم عبد الكريم مرحبا به وطمأنه أن إحضاره ليجيب على بعض الأسئلة ، وهو ـ كما ذكرنا سابقا ـ كان يترقب هذا الاستدعاء منذ التقى الضابط بلمياء مرتين ، وبين له الغاية من هذا اللقاء ، وهو الحديث حول اختفاء السيد رفيق بعد اختفاء المسبحة .

ضغط المقدم على زر خفي ، ثم نظر في ورقة أمامه وقال : أخ حلمي .. المسبحة اللؤلؤية هل حدث ورأيتها بيد السيد رفيق ؟

ـ هو يحمل المسابح باستمرار .. بل ربما كل بذلة يلبسها لها مسبحة بلونها تقريبا يا سيدي .. وأنا لا أميز اللؤلؤ الحقيقي من المزيف .. إنما أنظر إليها كخرزات فحسب .. أما إذا قصدت هل رأيته يسبح بمسبحة بيضاء كلون اللؤلؤ فقد أكون رأيت مثل هذه المسابح بين يديه .. أما المسبحة الخاصة التي تحدثت بشأنها مع زوجتي .. لا أعرفها .

ـ هل تعرف مدينة الخد ؟

ـ أجل أعرفها ، وهي بعيدة عن هنا العاصمة .. قد تحتاج إلى أربع خمس ساعات في السيارة لتصلها .. وأنا بحكم عملي في السواقة منذ صغري .. دخلت كل مدن البلاد .. وأكثرها دخلتها مرور الكرام .

ـ والدك صديق للسيد رفيق وهو الذي طلب من السيد لتعمل عنده ؟

ـ نعم ، عرفني على الرجل منذ سنوات وقال اعتبره والدك وأحسن العمل معه .

ـ جيد! .. ألم تسمع والدك يتحدث عن مسبحة اللؤلؤ أمامك ؟

ـ والدي صديق حميم للسيد رفيق .. ولكني لا أجلس كثيرا مع الأسرة .. أكثر وقتي في المقاهي عندما أترك العمل .. أذهب للبيت وأصف سيارة الشغل أمام البيت وأذهب للقاء الأصدقاء على مقاهي المدينة .. لي أكثر من مقهى أقابل عليه الزملاء .

ضغط عبد الكريم على الزر الخفي مرة أخرى بدون أن يرى حلمي حركته ، فطرق الباب فقال

الضابط : أدخل يا أحمد .

دخل أحمد وبرفقته الشهود وأمرهم بالجلوس ، وقال لحلمي الذي بدأ متوترا في تلك اللحظة : يا أخ حلمي هل رأيت هذين الرجلين في يوم من الأيام ؟ هل صادفتهما في مكان ما ؟ تأملهما جيدا .

هزّ حلمي رأسه مرارا وقال : لا أذكر أنني رأيتهما أو رأيت أحدهما .. هل رأيتني يا أخ ؟!!

لم يرد أحد من الشاهدين ، فقال عبد الكريم فجأة وبقوة : يا أخ حلمي يدع هذان الرجلان أنهما رأياك الساعة الثامنة والربع ليلا في محطة عين المها للقطارات في يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر نيسان الماضي .

أغمض حلمي عينيه ثوان .. وقال : أنا رأياني يوم الأربعاء في محطة عين مها .. أي أربعاء يا سيدي ؟

ـ عفوا يا أخ حلمي الأربعاء يوم ... يوم سفر مخدومك رفيق إلى مدينة الخد .. يوم اختفاء السيد رفيق ..

ـ أنا لي سنوات لم أدخل محطة عين مها .. ولم أرهما في حياتي ..وهذا اتهام خطير يا سيدي الضابط

ـ هما يقولان ذلك .. ماذا تقول يا سيد خليل ؟

رد خليل موظف محطة عين المها : الصورة صورته .. والصوت تقريبا شبيه بصوته .. ولكن ذلك الرجل كان بشارب ضخم وشامة وبعض الخدوش في وجهه ..

قال عبد الكريم : هات شارب يا أحمد .

وكان الضابط قد أعد الشارب والشامة والقبعة حسب مواصفات الرجلين ، وحاول حلمي الاعتراض والاحتجاج فقال عبد الكريم : إذا كنت بريئا لماذا أنت خائف ؟.. هؤلاء .. هم الذين ساعدوا السائق الخاطف لرفيق في إنزال الرجل من مقصورته وتوصيله للسيارة .

فسكت حلمي ولصق الضابط أحمد الشارب على وجه حلمي بعدما أمره بالنهوض ، ووضع الشامة حسب روية الشاهدين ..ووضع القبعة الموصوفة على رأس الرجل ونظارة خضراء ..

قال عبد الكريم : انظرا جيدا ودققا في وجهه .

فصاح حلمي بغضب : يا سيدي وهل إذا رأوني بهذه الهيئة يدل على أني قتلت السيد رفيقا ؟

ـ هذا لا يكفي طبعا ، ولدينا المزيد من التحريات .. والاعتراف أحيانا لا يكفي .. آ .. ما تقولان الآن ؟ هل هذا الرجل هو الذي قابلتموه في محطة مها ؟

بعد صمت قاتل قال أحدهم : الأمر خطير يا سيدي ! ..وأظن أن الرجل الذي ساعدته في الوصول إلى مقصورة السيد رفيق هو هذا ! قال المحقق : وأنت يا ناصر ؟

ـ رغم لبسه بدلة بنية واسعة تلك الليلة فأظن أنه هو أو أحد شبيهه .

ـ أتظن أم متأكد ؟ قال الشاهد : لا أستطيع أن أجزم ..

ـ حسنا ما تقول يا حلمي ؟

ـ لا شيء .. أنا لم أرهما قط ، ولم أكلمها ، ولم أر محطة مها في ذلك التاريخ وتلك الساعة .

ـ أنت ذكرت لنا أنك تعشيت أو تغديت بعد سفر رفيق وتوصيلك للمياء إلى مقر عملها في مطعم (الزيتون الأسود) ثم ذهبت فترة المساء إلى السينما ، ولم يكن أحد من معارفك معك في السينما تلك الليلة ، ولا يعرفك أحد من عمال السينما .. وذكرت أنه ربما يعرفك بائعو التذاكر لكثرة دخولك تلك السينما .

ـ اسألوهم ربما يتذكرني أحد منهم .

ـ الوقت قد مضى ، ولا ينفع سؤالهم اليوم ..ألا تريد أن تعترف بشيء ؟

ـ أعترف بماذا ؟! أتريدني أن أعترف بجريمة لا يد لي فيها .

ـ هل تعلم يا حلمي أن السيارة التي ركبتها لمحطة مها مستأجرة باسم لمياء .. لكن رجال الشركة المؤجرة لم يروك معها عند الاستئجار .. فهذا يدل على شيء مرتب ومبيت.

ـ سيدي أنا أوصلت السيدة لمياء لمكان عملها .. وقد تمنيت لو التقينا بالبواب ليؤكد لك ذلك

ـ للأسف لم يشهد أحد من سكان العمارة أنه صادفكم تلك الساعة ..ولكن ثبت أن السيدة أجرت مكالمة هاتفية بعد دخولها شقة العمل ذلك المساء ..

ـ أنا علاقتي كانت بالسيدة علاقة عمل .. وكان بيننا كلام بحكم العمل عن الزواج .. ولما اختلف مكان العمل بعد اختفاء رفيق .. ولم يحدث شيء قررنا الزواج

ـ على كل وضعك يا حلمي أنت وزوجتك خطير .. فلم يكن متهيئ لأحد ارتكاب هذه الجريمة سواكما ..والدافع إليها إخفاء سرقة المسبحة اللؤلؤية الحقيقية .. فقد ثبت لدينا براءة كل من هو قريب من مسرح الحوادث سواكما .. ما زال الغموض يلف تحركاتكم ذلك المساء ولكن تأكد أننا سنبقى نترصد ونحقق حتى نصل للفاعل أو الفاعلين .. انصرف الآن .. أوصله للخارج ملازم أحمد .

ولما دخل عليه المحاميان قال بكل ثقة وخبرة : أنا متأكد أن له دورا في تلك الجرائم .. فهو يتكلم بحذر .. والتوتر بادٍ عليه رغم تظاهره بتمالك أعصابه .. فالبريء عندما يشتبه فيه بجريمة قتل يضطرب ..لم يتأثر كثيرا من رؤية الشهود ، ورؤيتهم له ليلة الحادث كانت على أضواء المحطة وبضع دقائق .. فهم غلبوا أن يكون هو بالتنكر وبدون التنكر .. ولكنها جريمة قتل .. هو لم ينكر

استئجار لمياء لسيارة مستأجرة ؛ ولكنه أنكر ركوبها والذهاب بها لعين مها وهي كثيرا ما تستأجر سيارات سياحية لرحلاتها ومشواريها البعيدة .. فسيارتها الخاصة قديمة تنقلها في مشاوير داخل العاصمة وهي كما تدعي موديل قديم .. وهي زبون معروف لشركة الإيجار رشا .. جريمة محبوكة جيدا .. ولابد أن نجد ثغرة .. وسيتم فحص ممتلكات رفيق من المجوهرات الموجودة في البنك والخزانة الخاصة . ـ لماذا ؟!

ـ قد نجد المسبحة المختفية .. فقد قام رجالنا بالبحث الدقيق في البيت والشركة في العمارة عن المسبحة ؛ ربما تكون مختفية في مكان داخل البيت والشركة .. تحت كنبة تحت سجادة ..بين ملفات أو كتب .

١٧

بما أن أدلة القبض على المشتبه بهم غير متوفرة ، ولا يستطيع المحقق الجنائي تقديمها للمحكمة وإلا أفرج عنهم لعدم كفاية الأدلة ، وكذلك لاختفاء جسم الجريمة حتى يباشر بتوجيه الاتهام فهم ما زالوا أمام قضية غياب واختفاء ، فلم يكن أمام رجال الأمن إلا مراقبة المتهمين أو المشتبه بهم حتى يقعوا على أدلة إدانة ، وكان المقدم الشرطي يرى أن زواجها صفقة بناء على رغبة لمياء لأنه لم يجر بينهم أي حديث عن زواج قبل حادثة اختفاء رفيق ، كما تحدثت بذلك بعض صديقات لمياء ، وكذلك رفاق حلمي لم يسمعوه يحدثهم عن زواج إلا في الوقت الأخير للزواج بل وجد أن والد الفتاة قد تفاجأ بهذا الزواج ، وطلب من ابنته التفكير بعمق قبل الإقدام على زواج من شاب أمي .. ولكنها أصرت وأكملت المشروع وحصل الزواج .

فلغز تقليد المسابح لم يحل ؛ لاختفاء الرجل صاحب فكرة التقليد .. فكان الرجال يبحثون عن المسابح بكل دقة ومثابرة ..ورغم شهادة الشاهدين .. ووجود السيارة السياحية في المحطة .. فهذا كله لم يقطع القول في الاتهام .. فهم رأوا رجلا متنكرا وسيارة مجهولة الرقم ورجلا بدا طبيعيا غير مرتبك ليثير ريب العاملين .

وبينما الضابط عبد الكريم يعد كتاب تفتيش لبيت السيدة لمياء وبيت حلمي في منزل أبيه ، وينتظر موافقة المدعي العام تفاجأ بدخول والد لمياء عامر صديق رفيق يطلب الإذن بمقابلته ، ولما دخل وضع بين يديه مسبحة .. فتأمله عبد الكريم مستفهما .

فقال الرجل وهو يجلس : لم أسرقها من صديقي رفيق ـ وكان يشير بإصبعه نافيا السرقة ـ ولم أعلم بها إلا من يومين .

ـ يومان لماذا ؟!

ـ القصة يا سيدي أني كما تعلم أرمل من عدة شهور ، وأعيش في عمارة مع أغلب أولادي وبعض بناتي .. فلي شقتي الخاصة وعندي خادم أمينة ترعى شأني .. فكنت قبل يومين أنظر في خزانة البدلات ..لأرسل بعضها للجمعية الخيرية .. فقد كنا نستمع لمحاضرة قبل أيام ، وطلبوا منا المساهمة بثيابنا القديمة الصالحة للبس والتوزيع .. المهم نشطت متأثرا بما سمعت لإخراج البدلات التي يمكن الاستغناء عنها وإرسالها إلى الجمعية الخيرية .. وكنت أثناء فرز البدلات التي يمكن الاستغناء عنها .. أخرج ما في جيوبها من أشياء ربما نسيتها فيها .. وفي أحدى تلك البدلات أخرجت مسبحة ظننت أنني نسيتها فيها من زمن .. ولكني لما أمعنت النظر إليها وجدتها مسبحة رفيق حلمي .. وكيف وصلت إليها فللساعة لا أدري؟! ..وهذه بذلة مهجورة من زمن ..لأنني كل شهر أو شهرين نخيط بذلة جديدة .. ولولا محاضرة الجمعية ما خطر في بالي إخراجها .. وأنا أستغرب وجود مسبحة رفيق فيها .

ـ ولماذا تأخرت في الإبلاغ عنها ؟!

ـ كنت في حيرة من أمري ! كيف وصلت إلى هذه الجاكيت ؟ ولماذا وضعت في هذه الجاكيت ؟ فبعد تفكير عميق قررت أن أضعها بين يديك ؛ لأنني لم أستطع فهم وجودها في بيتي .. وضميري لا يسمح لي بالسكوت يا سيدي .

ـ نعم الضمير ضميرك يا سيدي ! .. ولكن وجود المسبحة المفقودة ببيتك أمر خطير .

ـ أعلم !!

ـ من خطر في بالك أنه أخفاها ؟

ـ لا أستطيع الإجابة يا سيدي ولا أحب أن أدري!

ـ أتشك في أحد أبنائك أو بناتك ؟

ـ صدق لا أدري .. فالبيت يدخل فيه الأصدقاء والمعارف والأحباب .

ـ زوج ابنتك حلمي دخل شقتك ؟

ـ مرات كثيرة منذ تزوج لمياء ابنتي .. أتشك به بشأن رفيق ؟

ـ المشتبهون كثر يا سيدي ..هل يعلم أحد أنك وجدت مسبحة رفيق ؟

ـ لم أقل لأحد إلا إذا الخادمة فهمت اهتمامي وتغير ملامحي عند لقياها

ـ أشكرك يا سيد عامر .. ونحن نبحث عن ثلاث مسابح ، فوجدت واحدة وبقي اثنتان ..

واكتم الأمر حرصا على حياتك يا سيدي .. لأن هذه المسابح وراء اختفاء السيد رفيق صاحبك والذي نرجح قتله يا سيدي !

ـ أكيد مات ما دام لم يظهر لحتى اليوم!

تبين للشرطة أن المسبحة التي وجدها السيد عامر في إحدى الجاكيتات المهجورة من حب اللؤلؤ

والماسي التقليدي أو الصناعي ، وتشبه صورة مسبحة رفيق كما رآها المحاميان عندما عرض عليهما السيد رفيق صورتها عندما اختفت من خزانته السرية ، وسافر أحد الضباط لألمانيا الغربية لعرض المسبحة على الشركة التي صنعتها ، وهل هي الأولى أم الثانية ؟

داهم الأمن في ليلة مفاجئة شقة لمياء بعد موافقة النيابة ومكتب الادعاء العام ، وتم تفتيشها بحثا عن المسابح ، وداهم فريق آخر غرفة حلمي في بيت والده ، ولم يسفر التفتيش في كلا البيتين عن وجود المسابح ولم يجدوا ضالتهم المنشودة .

وجاءت معلومات المسبحة من ألمانيا أنها المسبحة المقلدة الثانية التي صنعت بعد مرض رفيق فهذا دل على أنها التي وضعت في خزانة رفيق مكان المسبحة الأصلية ، وشعر أنها بدلت واتصل برضا خبير الجواهر لفحصها وفحص سائر جواهره ؛ ولكن قبل مجيء الرجل اختفت فاستعان بمجدي وفيصل ، فقابل عبد الكريم حلميا وعرض عليه المسبحة قائلا : هل رأيت هذه المسبحة يوما ما ؟

أغمض حلمي عينيه كعادته وحاول لمسها فأبعدها الضابط وقال :أرأيتها يوما ؟

ـ كنت كأني أرى مثلها مع المرحوم رفيق إذا جاز لنا أن نقول ذلك ربما مفقود أصح .

ـ مرحوم أم مفقود ؟

ـ مرحوم مفقود كله واحد .. ما دامت جثته لم تظهر فهو مفقود حسب معرفتي .

ـ شكرا .



في نفس الليلة ـ بعد عرض المسبحة على حلمي ـ كانت لمياء تصعد إلى شقة والدها وبصحبتها حلمي ـ وعامر كان متابعا من الشرطة ، باستبدال خادمة الرجل بخادمة أخرى خوفا على حياته كما أخبره الأمن ، ولمعرفة من دس المسبحة في ثيابه العتيقة ـ وكأنهم لما دخلوا الشقة تفاجئوا بالخادمة الجديدة فقالت لمياء : من هذه يا أبي ؟!وأين سالي ؟

ـ سافرت منذ يومين في إجازة ، وأرسلت لي شركة التخديم هذه مؤقتا .. وهي نشيطة ربما أحتفظ بها مع الأولى .

فرحبت بها لمياء وقالت : أجنبية أنت ؟

ـ لا ، عربية أنا يا سيدتي.. وأنا خادمة مؤقتة كما علمت من مكتب الاستخدام .. واسمي نهلة هل أقدم لكم الشاي أم غيره ؟

فقال عامر متظرفا : ارتحنا من استخدام الألفاظ الإنجليزية .. قدمي لابنتي لمياء ولزوجها السيد حلمي الشاي ، وابنتي تسكن في الطابق الأول في

نفس هذه العمارة.

ـ تشرفنا يا سيدتي ويا سيدي حلمي .

وغادرت الفتاة إلى المطبخ وقال حلمي : كم يوم سافرت سالي ؟

ـ شهر .. اتصل بعض أهلها يخبرها بمرض أمها .. وما لكم مشغولون بالخادمة .. رجعت أم لم ترجع ليس هذا مهما .. أطلب لكم عشاء .

رد حلمي وهو يشعل سيجارته : لا داعي .. جئنا نسهر مع حضرتك بعض الوقت .. والشاي والقهوة كافيان .

قضيا ساعة مع الوالد يتحدثان ويتفرجان على التلفزيون ، ثم انصرفا .

أخبرت الخادمة الشرطية السرية البوليس أن السيدة لمياء دخلت غرفة الوالد مدعية أنها ذاهبة للحمام .

سعد جدا عبد الكريم بهذا الخبر ، وزاد يقينه أن الفتاة الرأس المدبر لهذه الجرائم ، فقد قامت بهذه الزيارة لتتأكد من وجود المسبحة .. وقعت في الفخ المنصوب ، عندما عرض الأمن على حلمي المسبحة كان من المتوقع نقل المشاهدة لزوجته بأن البوليس وجد المسبحة التي قلدت ، وهم ـ الشرطة ـ أرسلوا الخادمة الشرطية حقيقة لحماية الرجل كما زعموا ، وفي نفس الوقت لمعرفة من دس المسبحة .

١٨

من المؤكد لدى رجل التحقيق والشرطي المحقق أن السارق لا يستطيع التخلي عن سرقته بسهولة .. فهي قد فعلت الأفاعيل والخطط والمكر ودفع المال لصنع مسبحة ،وسعت لتحتفظ بسرقتها بكل قوة ، ولا يصل إليها أحد ..فقد بان لهم أن الجريمة الثانية الخطف والقتل كما يرجح كانت نتيجة الجريمة الأولى ..كانت لإخفاء السرقة .. وكانت بنظر المجرم دفاع عن النفس وعدم القدرة على التراجع عن الخطأ الكبير .. والفضيحة الكبيرة .. ما دام قد تورط الشخص فليتابع حتى النهاية .. وعلى الشرطة أن تتابع البحث والتحري حتى النهاية أيضا .

فعبد الكريم وفريق البحث معه قد وضحت الصورة أمامهم .. رفيق صنع مسبحة شبيهة بمسبحته الأصلية حذرا من شيء ما .. ربما راق له نجاحه في تضليل الهنود بصنع الياقوتة المقلدة وقد يكون شعر بطمع أحدهم بمسبحة اللؤلؤ .. فصنع المسبحة المقلدة بواسطة لمياء التي كان يثق بها ثقة مطلقة بعد طول العشرة .. فالمسبحة الأولى رفيق طلبها بنفسه.. والثانية كانت من لمياء نفسها لسرقة المسبحة الحقيقية فعلا.. لقد غلبها الطمع خلال فترة مرض رفيق بالجلطة الدماغية ، وقد رجحت موته العاجل بسبب السكتة الدماغية ،

ولن يعرف أحد من الورثة اختفاءها.. وسيعتقد الورثة أن المسبحة المقلدة هي التي يملكها والدهم .. وكانت مدركة أن أبناءه غير عابئين بملك أبيهم ومجوهراته ..فطلبت من الشركة صناعة مسبحة ثانية واستطاعت استبدال الحقيقية بالمزيفة ..ثم تبين لها أن الرجل ذكي وفطن ويعرف الحقيقية من المزيفة .. أو ترجح الشك عنده في المسبحة الموجودة في خزانته .. فاتصل برضا وطلب زيارته لفحص مجوهراته ليزيل اليقين الشك .. وعلمت الفتاة بهذا الأمر ..وتعرف من هو رضا لسبق مجيئه من قبل .. فجندت حلميا واستدرجته لسرقة المسبحة من خزانة رفيق ..والأمر كان سهلا بالنسبة لحلمي .. الخزانة مفتوحة .. رفيق على التلفون في شقة العمل .. الخادمة في المطبخ أو غرفتها .. البنت في حجرتها ..ولو قابله أحد فالحجج كثيرة ولن يخطر على بال أحدهم أنه يسعى لسرقة مسبحة رفيق .. فتاة جميلة متعلمة تعرض عليه نفسها مقابل عمل بسيط .. فغامر وتورط ..

وقام بالفعل ونجح .

فقال عبد الكريم بعد تصوره لهذا السيناريو : أين أخفت المسبحة الحقيقية ؟ ولماذا أخفت المقلدة بثياب أبيها ؟ هل كانت ترغب بتوريطه معها ؟ أم توقعت أننا لن نفتش ثياب أبيها ؟ وفعلا لم يكن الرجل على قائمة التفتيش .. لبعده عن مسرح الحوادث ، وقد ثبت ذلك بالدليل القطعي وهي كانت تعتقد أننا سنفتش بيتها ما دام لم يبق في دائرة الاشتباه سواها وحلمي . . أين توجد المسبحة الحقيقية أيها الأفاضل ؟

هذا السؤال قاله عبد الكريم لشركائه في التحقيق في ملابسات هذه القضية الغامضة ، فقال فيصل : وأين المسبحة الثانية المزيفة أو التي صنعت أولا ؟!

وقال مجدي : وأين مسبحتنا التي قدمناها لرفيق لتكون طعما للسارق ؟!

ضحك الرجال وأخذوا يشربون ما قدم لهم ، ثم قال مجدي : أيها الأصدقاء الأعزاء ؛ ربما يكون عندي جواب عن سؤالي وسؤال الأخ فيصل .

استدارت العيون إليه تحثه على الجواب فقال : أظن أنها مع رفيق نفسه .. فهو يحب مسبحة اللؤلؤ ويستعملها كثيرا .. كما يقول أبي .. فعندما سافر للخد وضعها في جيوب بدلته

فقال عبد الكريم : أرأيتها وأنت تودعه على المحطة ؟

ـ لا ، ذهبت للمحطة مودعا ، ولم يكن بين يديه شيء ، وهو عندما استعان بنا كان يبحث عن الحقيقية وليس المزيفة في اعتقاده ، فهو كان ينتظر رضا ليحسم الأمر .

قال فيصل : صح .. عندما حشرنا في موضوع

المسابح كان يبحث عن المسبحة التي اختفت من الخزنة السرية .. ونحن الآن نؤكد أن الحقيقية سرقت أولا أو استبدلت ثم سرقت المزيفة واحتمال وجود هذه المسابح مع رفيق أثناء السفر احتمال كبير .. المسبحة الحقيقية أين انتهت اليوم ؟!

فقال عبد الكريم : والسارق لا يمكن أن يتخلص من سرقته بسهولة ، لأنه في قضيتنا سرق وخطف وقتل فسيحافظ على سرقته حتى النهاية .. والسيد حلمي ما زال يقاوم رغم أن الشهود شهدوا عليه رغم تنكره بشارب ضخم وشامة وبذلة وقبعة .. وهذه أدلة ضعيفة أمام الدفاع عن المجرم في المحكمة .. حركوا أدمغتكم بعض الشيء .

قال مجدي : ألها خزانة خاصة في البيت ؟

ـ لا ، فتشنا البيت بكل دقة ..وقام بالتفتيش خبراء تفتيش مهرة ولم يجدوا شيئا .

ـ خزانة في البنك ؟

ـ موجود ؛ ولكن لا يوجد بها شيء .

فقال فيصل: السارق يخفي سرقته ؛ ولكنه حريص على معرفة ومراقبة موضعها أيها السادة .. فأي مكان تتردد عليه أكثر حسب معلومات رجالكم ؟

فقال عبد الكريم : نحن فتشنا شقة رفيق ، ومكان عمل لمياء في عمارة رفيق .. وهي الآن تعمل في مكاتب الشركات الرئيسية .. وحلمي يعمل سائقا عند أحد مدراء شركات رفيق .. وهما بعيدان عن بعض أثناء العمل ؛ ولكنهما يتحدثان مع بعضهما بالتلفون، وكل كلامهما عن الأكل والسهرات .. العشاء سيكون في مطعم كذا أو في صالة كذا ..سهرة مع عائلة كذا .. مسرح كذا وهي مشتركة في نادٍ خاص من قبل زواجها بحلمي .. نادي الأحلام .

فقال مجدي : النادي أعرفه ..هل هي عضو أم لها علاقة بالإدارة ؟

فقال عبد الكريم : عضو فاعل في النادي ..وفي كل العطل تقضي بعض الوقت فيه .. وأحيانا تسهر فيه إذا دعيت من أعضائه .. وهي تحت الرقابة .. وقد كانت تعمل مع رفيق حتى السادسة مساء ..

قال فيصل : العجب في هذه القضية المجرم بين أيدينا ، وهو يعرف ذلك ، ولكن الأدلة الحاسمة غير كافية .. وعلى كلامك أنها لا يمكن أن تخفي شيئا في النادي .. ألا يوجد صندوق أمانات ؟

ـ يوجد ؛ ولكنه حفظ آني غير دائم .. حفظ أوراق وثائق أثناء وجود الشخص في النادي .. ثم يأخذها وهو مغادر .

فقال مجدي : وغير النادي والمطاعم ؟

ـ تذهب لزيارة المعارف والأصدقاء .. سهرات في حدائق عامة .. النزهة في مزارع خاصة .. وأحيانا

في الشوارع يدوران بالسيارة ساعة ساعتين ثم يعودان للشقة .

***

وخيم الصمت على الرجال الثلاثة ، ولم تعد تسمع سوى صوت رشفات الفناجين وفجأة هتف فيصل؛ كأن فكرة هبطت على دماغه : أيام الزواج الأولى يا عبد الكريم عندما سافرا إلى أوروبا لعلهما أخذا المسبحة في رحلتهما تلك ، وتخلصا منها هناك بالبيع أو الإخفاء .

ضرب عبد الكريم المائدة بقوة تساقطت الأكواب على أثرها وبعضها تكسر وقال بانفعال شديد : أحسنت يا عقيد فيصل !! .. أيامها أيها الأصدقاء لم نكن نهتم بتحركهما اهتمامنا كان فيما بعد أرصدتهما هنا معروفة .. أما في الخارج فنحتاج لتعاون الإنتربول البوليس الدولي .

فقال مجدي مشككا : أترون أنها تجرأت وباعت المسبحة اللؤلؤية ؟! ..أليس في ذلك مخاطرة كبرى ؟

ـ عندما تزوجا لم يكونا المشتبه بهم الأول ، كانا في نظرنا بريئين ..وقصة المسابح كانت وما زالت تحت البحث أيها الأصدقاء ، ودافع الحادث كان غامضا .. سنخاطب البوليس الدولي ليساعدنا في كشف أرصدتهم في الخارج ، قد يساعدنا القانون الدولي في تحقيق ذلك .

وجاءت معاونة البوليس الدولي تؤكد أن المسبحة الواردة في الصورة قد بيعت في فينا عاصمة جمهورية النمسا ، وأن للسيد حلمي وزوجته حسابين في بنوك النمسا ومجموع الحسابين يصل لخمسين ألف دولار فقط .. والذي قام ببيع المسبحة امرأة اسمها ريما هشام .

ولما قام المقدم عبد الكريم بالتحري عن ريما هشام تبين أنها امرأة قد توفيت منذ سنوات بحادث سير ، وظهر لهم أنها كانت عاملة في إحدى الشركات وهي صديقة للسيدة لمياء عامر ومعرفة من أيام الجامعة ، وأن بطاقتها الشخصية استغلت لعملية البيع فقال مجدي : عجيب!! لا يعقل أنها احتفظت ببطاقتها لسرقة السيد رفيق .. فهي ميتة منذ سنوات ..

فقال عبد الكريم : صحيح ما تقول .. هي ربما احتفظت بها على سبيل الذكرى .. وليس للسرقة فقال فيصل : وقد تكون احتفظت بها لعمليات أخرى قامت بها لا نعلم عنها شيئا.

ـ ممكن هذا أيضا !.. وعلى كل حال فصور الكاميرات في المتجر الذي ابتاع المسبحة .. تدل على أنها امرأة شرقية .. وليس لدى المحل معلومات عندما بيعت لهم أنها مسروقة ، ومعمم عليها دوليا .. ونحن لم نعمم عليها دوليا لاعتبارنا القضية محلية .. رغم وجود بعض الأطراف

الأجنبية .. وسيذهب أحد الضباط للاطلاع على شريط الكاميرا ..ويحصل على نسخة منه .. أو على الصور التي تخص الفتاة إذا كانت لمياء الفاعلة حقا .. وسيحصل على صورة لمستند البيع وتوقيعها ..لابد للمجرم من غلطة مهما طال الزمن .

ـ رائع مقدم عبد الكريم! .. فعلى الأستاذ مجدي أن يستعد للدفاع عن أبناء أصدقاء أبيه .

قال مجدي ضاحكا : أبدا .. سأذهب في شهر عسل إذا تم القبض عليهما .. فنحن نؤجل الزواج لمعرفة نهاية قصة اختفاء السيد رفيق حلمي ..والمجرم حلمي .



واجه المقدم لمياء بالحقائق الجديدة ، وأن الخط الذي وقعت به على الوصل كان خطها ، وإن حاولت تغيير صورة توقيعها الذي تستخدمه في البلد ، وأضيف إليها تهمة انتحال شخصية إنسانة ميتة والإساءة إليها ، وإنها سوف ترحل لفينا لمقابلة المشتري منها المسبحة .

فلما سمعت هذه الحقائق الجديدة انهارت بسرعة غير متوقعة ، وقد تساقطت الدموع وقالت بحقد وضيق : تعبت منكم.. ومن مراقبتكم .. أنا أقر بكل ما ستوجهونه إليّ من تهم .. أنا اللصة .. أنا المجرمة .. ولكن اعلموا أن في بطني جنينا بريئا .

ـ هل تحتاجين لمحامي قبل أن نسجل الاعترافات يا سيدتي ؟

سقطت المرأة مغمى عليها ، ونقلت للمستشفى للعلاج من الصدمة ، وألقي القبض على حلمي ونقل من الشركة مكبلا إلى دائرة التحقيق ، ووقف بين يدي المقدم عبد الكريم ووكيل النيابة

يوسف محمد متهما بمساعدة زوجته بسرقة السيد رفيق حلمي وخطفه ثم قتله .

انتقلت الشرطة إلى مكان إخفاء الجثة .. حيث ألقيت في حفرة امتصاصية كانت في محجر مهجور منذ سنين قريبا من مدينة الخد .. كان قد عمل سائقا فيه أول العمر .. وأخرجت الجثة بحالة سيئة للغاية ، وأكثرها متحلل ، وكانت مضروبة برصاصة في الرأس والجمجمة .. ووجدت المسابح في ثياب الرجل الميت .

يوسف محمد متهما بمساعدة زوجته بسرقة السيد رفيق حلمي وخطفه ثم قتله .

١٩

لقد كنت أحسد السيد رفيقا ، وأتمنى لو أن أمواله لي أنا.. رغم تعاملي معه عدة سنوات وثقته الكبيرة بقدراتي العملية .. كان يحتقرني أو أحس أنه يحتقرني مع أنني ابنة أحد أصدقائه المقربين لكنه كان يحس أنني مفروضة عليه ويحسسني بذلك ..

ويراني مجرد موظفة تشتغل لتأخذ آخر الشهر راتبا تنفقه على زينتها وثيابها ومكياجها .. يرفع صوته أحيانا كثيرة عليّ وعلى حلمي ، ويحدثنا بحدة كأننا عبيد عنده.. ننظر في عيون بعضنا ونصمت .. رجل كبير في السن وصاحب المصلحة .. يسب ويغضب ، ورغم ذلك كان يقدر جهودي في القيام بالأعمال الموكولة إليّ .. يكافأني ببعض المال في مناسبات تمر علينا .

كنت أرى المسبحة اللؤلؤية باستمرار معه ، وكان متعلقا بها أكثر من غيرها من المسابح التي تملأ خزانته السرية ..وسمعته يردد أمام بعض الأصدقاء أن ثمنها يزيد عن الخمسين ألف دولار.. ثروة لرجل فقير .. يغنى منها للأبد ..سرقت مرة فانزعج الرجل جدا من ابن أخته ، ثم ردها الرجل بعد انفضاح أمره ..فكلفني بالسفر إلى ألمانيا لشركة يعرفها لصنع مسبحة شبيهة بها .. وسافرت كما وصف لي ، وأخذت عدة صور ملونة لها ، وتم التعاقد مع الشركة على صنعتها وأعطيتهم عنواني وعدت .. وبعد حين جاءت المسبحة المقلدة كأنها طبق الأصل فصانعوا هذه الجواهر المزيفة محترفون للغاية ..وهو يملك الكثير من المجوهرات كما أعلم وكما كنت أسمع من أمي وأبي ..فالرجل يهيم بهذه الجواهر هياما يعلمه كل من حوله .. وأعرف أن بعضها كانت في خزنة البيت السابق ، ثم رحلت لعمارته الجديدة ، وبعضها الآخر في صندوق البنك .. ولما عرف أن الناس المحيطون به عرفوا ثمنها ، وربما شعر أنهم طمعوا فيها ، وراوده الخوف من سرقتها ثانية ..قلد المسبحة ليسبح بها أمام الناس كعادته .. بدون أن يشعروا أن المسبحة الحقيقية في الخزنة ..وعرفت أيضا بعادته فتح الخزنة والنظر إلى جواهره المستمر .. من خلال المعاملة والتردد عليه وثرثرته عرفت أشياء كثيرة في هذا البيت .. أكثر من عشر سنوات وأنا اشتغل معه .. ذهبت إلى تركيا في مهمة .. وهي أنني قابلت صديقا له كان يعمل معه في البحر ..وأعطيته الياقوتة عين الصنم الهندي فقد رغب بتقليدها ليمكر بالهنود .. وبعد زمن أقبل الرجل بالياقوتة الحقيقية والمقلدة .. هذا بالنسبة للياقوتة الخضراء وقام الهنود فعلا بالسطو على شقة رفيق ، واستولوا على الياقوتة المزيفة وهم يظنون أنهم ملكوا ياقوتتهم عين صنمهم .. وسر رفيق بالتخلص منهم بهذه الخدعة .. وقال : هؤلاء لا يمكن الخلاص منهم ما لم يستولوا على ياقوتتهم ..وإلا سيبقون هنا .. وكلفني كما قلت بصنع المسبحة ، وجاءت بعد حين بطرد بريدي .. ولما مرض الرجل قبل أكثر من سنة ، وكان وضعه خطيرا طمعت نفسي بأخذ المسبحة الحقيقية ..فمبلغ الخمسين الألف يستحق المغامرة ولما

استسلمت لفكرة سرق المسبحة .. راسلت الشركة وتحدثت معهم فصمموا واحدة أخرى وأرسلوها بطرد بريدي بعد أن حولت لهم الثمن من حسابي الخاص .. وذلك أيضا بعد فشلي من الزواج بابن عمي ..وقد علمت أنه لم يكن مخلصا لي ..بل أحب صديقة لي ، ورفضت مشورة أبي بالصبر ، وكان الانفصال السريع فقلت إذا مات رفيق بمرضه الخطير .. سيكون معي رأس مال أبدأ به حياة رجال المال .. وأختار الزوج الذي أشاء .

أنا لم أفتح خزانة الرجل .. كان من عملنا أن أراجع الملفات والقرارات معه ، فقد كان السيد يتابع الأعمال بنفسه ..ويدخل بالتفاصيل .. فكان يأتي شقة العمل لمراجعة الأوراق .. فيأتي عندي كالعادة فيخلع الجاكيت ويعلقها على كرسي العمل .. وأنا بطريقة ما كنت ألمس الجاكيت باستمرار لأتأكد من وجود المسبحة فيها .. وهو يسبح عادة بالمسبحة الحقيقية عندما يكون في البيت .. ولم يكن يستقبل زوارا ..ففي يوم استطاعت القيام بعملية البدل بدون أن يحس بما فعلت .. ومر الأمر بسلام ، واعتقدت أن الرجل لو مات ، وقد عادت له الجلطة ثانية لن يدرك أحد ضياع مسبحة اللؤلؤ الحقيقية ..ومريض الجلطة الدماغية حسب ثقافتي قد تتكرر معه الحالة مرة وأخرى حتى يموت .. ولكن قبل أن تحدث هذه الجلطة .. تلقينا اتصالا خارجيا مزعجا .. وكنت أسمح لنفسي بالتنصت على مكالمات رفيق ..لأن جميع نقاط الهاتف على شبكة واحدة .. والشقتان صممتا على هاتف واحد فأينما تضع سلك الهاتف يشتغل.. ولكن فيما بعد لما حولت الشقة لمكان عمل مد خط تلفون خاص بها ، وليس له علاقة بنقاط التلفون الأولى .. والتلفون الأول المفروض أنه خاص برفيق والبيت ؛ ولكن بالإمكان التنصت على المكالمات بجهاز داخل شقة العمل ..

أما تلفون العمل شقة الإدارة لا يوجد مجال استخدام له إلا من الشقة نفسها.. سمعت حوار السيد رضا مع رفيق .. وأدركت أن الحاج رفيقا استدعى رضا ـ المعروف لي من زيارات سابقة ـ لفحص مجوهراته، وأنه شاك باستبدال المسبحة الأصلية .. كيف شك لا أدري ؟! فقد مضت شهور على عملية الاستبدال.. وهذا شكل بالنسبة لي كابوسا مرعبا جريمة ..وفضيحة .. المهم ضقت ذرعا .. ووقعت في ورطة ولكني قوية الأعصاب ، ومررت بمشاكل ونجوت منها .. كيف استرد المسبحة المزورة قبل مجيء رضا ؟ .. فكرت بإعادة المسبحة الحقيقية .. ولكني دفعت مبلغ خمسة آلاف دولار .. ثمن التقليد .. المهم عولت على سرقة المسبحة المقلدة قبل مجيء السيد

رضا ، فقد علمت أنه مشغول ووعد بالمجيء ..وطمعي بموته بجلطة جديدة قبل مجيء رضا جعلني أصر على إبقاء المسبحة معي ، ولو أعدتها سأحتاج لمغامرة جديدة لعملية الاستبدال .. فاخترت حلميا شريكا لي .. هو بحكم المجاورة أصبح يتحدث معي ويحدثني عن همومه ومشاكله مع أبيه .. ولحظت ميله لي وطمعه بالاقتران بي .. وتعشينا معا أكثر من مرة .. المهم أصبح ألعوبة بيدي ..وأعتقد أنني أصبحت حبيبة له .. وأني مستعدة للزواج منه ..وأن الشهادات التي أحملها لا أهمية لها .. ولن تكون حاجزا بيننا.. وسمحت له بتقبيلي ومعانقتي فلما كمل الفيلم صارحته بورطتي ..اضطرب أول الأمر ، وربما صدم من فعلتي للسيد رفيق وتردد كطبعه وفكره المحدود ..ولما اقتنع بوجهة نظري بسرقة المسبحة .. وأنني تورطت وخشية أن أضيع منه .. وأني مستعدة للزواج منه إذا نجونا من تلك المشكلة .. فوافق على مساعدتي ومشاركتي سرقة المسبحة المقلدة ..ورتبت له الأمر والمحاولة وكان يوم قد رتب للخروج بالسيد في مهمات ..وأنا أعرف عادات رفيق .. جلس حلمي يشرب الشاي في الشقة وافتعلت المكالمة من شقة العمل ..وجاء الرجل من غرفة المكتبة ليتكلم من عندي .. خلع حلمي حذاءه وتسلل إلى المكتبة ، وأخبرته إن تفاجأ بأحد يدعي أنه سكب على ثيابه بعض الشاي ، وهو يبحث عن المطبخ أو الحوض لغسل الشاي المسكوب .. ولو رآه أحد في المكتبة لن يخطر على باله أنه داخل ليسرق ..نجح في الوصول للخزانة وبواسطة منديل استولى على مسبحة اللؤلؤ، وعاد لكرسيه عند باب الشقة بدون أن يحس أحد بهذه الحركة .. وأكمل شرب كوب الشاي .. والخادمة من النادر أن تخرج من حجرتها أو مطبخها إلا بإذن سيدها رفيق ولما يغادر الرجلان البيت فتخرج وتأخذ الكوب وكأس الماء .. وتغلق الباب الخارجي للشقة بالمفتاح .. وأصبح حلمي شريكي ولا يستطيع التخلي عني .. ثم حضر الطليان في موضوع الياقوتة الهندية وحدث بينهم نزاع كبير .. تطور فجأة لمرض السيد ، ففرحت بذلك ، وفرحت بأني لم أعد المسبحة الحقيقية ، فدفعي للخمسة آلا ف دولار أحسستني كأنها ملكي ..وتوقعت موت الرجل.. ولكنه شفي لم يمت .. ولقد ربطت مصيري بحياة هذا الرجل.. ولما جاء أمر الحفلة بمدينة الخد .. وسفر السيد إليها بالقطار سيكون ذلك فرصة للخلاص منه ، فرسمت أنا وحلميا خطة للتخلص منه ما دام موته سيغنيننا ..واتفقنا على موته ليكون زواجنا ..ولما تحدثنا عن إخفاء الجثة أين سيكون ؟.. فتش في ذاكرته حتى وجد ذلك المحجر المهجور

..وزاره وأكد لي أنه المكان المناسب لإخفاء الجثة .. ففيه آبار كانت تستعمل كحفر امتصاص أيام ما كان المحجر عامرا بالعمال .. وخططت للجريمة بأعصاب باردة ، لماذا الانتظار حتى يموت بالمرض ؟! فليمت الآن .. فرصة السفر لمدينة الخد .. فرصة لا تعوض .. وافق الرجل على السفر ..لأن الدكتورة سعيدة تكن له الاحترام ..وكانت تسعى لتزويجه بعد ترمله ..ولكن تردده وضعف قواه كان يؤجل عروضها ودعناه على المحطة وكان المحامي مجدي في وداعه معنا وكنا نخشى سفر المحامي معه بالقطار .. لو فعل لأجلنا العملية .. ولكن مجديا كان يحب السفر بالسيارة ..وأجل سفره لليوم التالي .. فاتفقنا على إكمال الخطة .. كنت قد استأجرت سيارة سياحية ولي عادة باستئجار السيارات .. استأجرتها قبل يوم السفر بيوم .. وعدت للشركة وقضيت وقت قصير وكان حلمي قد شاهد فيلما في السينما مرتين ليتظاهر أنه حضره يوم الحادث .. وذهب للسينما واشترى تذكرة لسهرة المساء ، ولكنه لم يدخل السينما انتظرني عند مطعم آكل فيه ..وبعد أن التقينا أعطيته السيارة البويك وبعض الثياب للتنكر ..وسافر إلى محطة عين المها .. وأنا أخذت سيارة رفيق التي مع حلمي ، ووضعتها في شارع قريب من دار السينما التي سيزعم حلمي أنه قضى ليلته في مشاهدة عرضها .

وكنت قبل مغادرتنا شقة السيد رفيق لمحطة القطار قد أعددت أنا والخادمة حقيبة سفره وصندوق الأدوية التي يتعاطاها ، فقد أفرغت عبوة الدواء المميع للدم من الدواء ووضعت فيها حبة منوم ، فهو سوف يتناول الدواء هذا في القطار ، وسيظن أن العلبة لم يبق فيها سوى هذه الحبة ، فسيتناولها وسيفكر أنه عندما يصل الخد سيشتري غيرها ، وأنا أتلفت الحبات التي كانت في العلبة .

وقام حلمي بدوره في محطة عين مها كما رسمته له ..وساق رفيق المضعضع من حبة المنوم والمفتر.. وذهب به إلى المحجر ؛ ولكنه قبل أن يصل اتصل بي.. وأنا اتصلت بالفندق لتأجيل الحجز .. وقد غيرت صوتي ليبدو صوت رجل ..وهناك أطلق حلمي عليه الرصاص حتى لا يتعذب كثيرا في تلك الحفرة .. وألقى المسدس في الحفرة ، وعاد للمدينة ، ولم يتصل بي إلا في الصباح .. والباقي تعرفونه وأنا مذنبة .

تمت بحمد الله قصة مسبحة اللؤلؤ



رواية اجتماعية

الحفل بالقط الاسود

سندخل في هذه القصة حياة فئة من **الأرستقراطيين** الفئة المخملية من المجتمع في مجتمع **زريق** القمر الساطع ، ونسمع وترى **أفكارهم** وأهدافهم **وإباحيتهم** وحياتهم الخاصة ؛ فترى فحشهم وابتذالهم وكلامهم وهمهم ومجالسهم ، سيكون بعض الجلاء والبيان والعمق **وقس** على ذلك كل المدن والحضر المعاصر والحديث وغالب تجمعات العصرانيين **وهمهم** حول الشهوات والملذات المحرمة ، وسترى بعدهم عن **الأخلاق** الحسنة والتدين والعادات والتقاليد الحسنة والشرعية ، وترى الليالي الحمراء والخضراء **والصفراء** ، فالعالم يعاني من **الإباحية** وفشل منظومات **الزواج** على مستوى العالم واطلاق الغرائز بدون حياء ، وسمعت وقرأت واقعيا **عشرات** القصص لا يستطيع المرء البوح بتفاصيلها في زمن كهذا حتى لا يساء **فهمه** مع أن كتب التاريخ والأدب تجد **مثلها** وافحش منها ، وتخجل **الكاتب** من نقلها ولتبقى في تلك الدواوين وعلى رفوف المكتبات ، **وللأسف** العالم مليء بأفلام الإباحية فلا عاد **نفع** للكتابة والتحذير من شرها وضررها .

حق الجنس **والجماع** جزء مهم من حياة الإنسان والحيوان والنبات ، فهو يسبب التكاثر والانتشار ؛ فلذلك أباحته **الشرائع** ونظمته **وضبطته** ؛ لأنه من سعادة الحياة الدنيا **والآخرة** وحق الفسق **والفجور** من أسباب الشقاء والتعاسة رغم **لذته**، فهو حاجة مهمة للإنسان كالأكل والشرب والنوم ، **فالانحراف** الشهواني مرض **ينخر** في الأمم والشعوب مما يثير **الشجن** والحزن . . **اللهم نسألك العافية والسلامة والمغفرة** .

قصر الطالع

الأضواء الشديدة الإضاءة تسطع في داخل القصر وخارجه ، وكان المكان قبل حين يسير قد شهد حفلة خاصة في قصر السيد نذير خاتم كيسون ، وكانت الساعة قاربت الثالثة فجرا عندما طفق الضيوف يغادرون القصر يترنحون من كثرة ما شربوا من خمر ، وطعموا من طعام وحلوى وتعبوا من رقص وطرب ، وكان الخدم يصحبونهم إلى سياراتهم ، والحرس يساعدونهم في ركوبها ، فقد اسرفوا في المشروبات والخمر بهذه المناسبة العجيبة، فقد كانوا يحتفلون باستيراد قط أسود من أوروبا من ألمانيا ، فقد هلك لصاحبة القصر السيدة الألمانية التركية الأب سلوفانا قط

أسود فجأة ؛ فكتبت وخاطبت شركة لتهجين القطط وبيعها حسب رغبة الزبائن تطلب قطا ألمانيا ، ولما وصل القط المطلوب القصر أقامت السيدة على شرفه حفلة للأصدقاء والمعارف وبعد الرقص والطعام والسكر ، كان وضع المحتفلين بهذه المناسبة يرثى له ، وقد شربوا حتى الثمالة ، وكان آخر المغادرين صديق العائلة بسيل مجديان وزوجته الثانية ريما برسوم . وأغلق الحرس بوابة القصر ، وأغلق الخدم القصر نفسه ، وبدأت الأضواء تخفت رويدا رويدا ، وساقت خادمة السيدة سلوفانا سيدتها إلى حجرتها الخاصة ذات الأثاث الأوروبي ، وأخذ الخدم بتنظيف القاعة الخاصة بالحفلات والسهرات .

ودع السيد نذير قيم الخدم الهندي جومار ، ورد جومار : هل أوصلك إلى غرفتك سيدي .. أراك مرهقا متعبا ؟

قال : نعم ، شربت كثيرا ، ورقصت كثيرا ، كانت سهرة ممتعة .. أين ذهب القط الأسود ؟ ما اسمته سيدتك؟

قال : باريس ، على اسم باريس .

قال : فهي تحب تلك المدينة ؛ كما تتحدث عند ذكرها .

قال : ربما تحبها أكثر من برلين عاصمه بلدها يا سيدي !

قال : شكرا جومار .. الليلة أريد أن أنام في غرفة السيدة.

أمسك رئيس الخدم بيد سيده ، وصعد به إلى الطابق الأول ؛ حيث حجرة المدام سلوفانا التركية الأصل أو الأب والأم الألمانية المولودة في ألمانيا والتي عرفها في ألمانيا الغربية منذ سنوات قليلة ، خرجت الخادمة الفرنسية من غرفة السيدة ، وأدخلت السيد ، وأغلقت الباب خلفه ، كانت الخادمة قد ألبست سيدتها ملابس النوم، وقد استلقت على السرير ، وكانت في غاية الإعياء رقصت كثيرا وشربت كثيرا ، وغايتها التمتع بملذات الدنيا ، وشهوات الحياة.

قالت لزوجها : جئت إلى هنا ! لم تذهب إلى حجرتك.. أنا في غاية التعب يا نذير!

قال : فقط أريد النوم .. لا رغبه لي في المعاشرة اطمئني.

قالت باستنكار : لقد رأيتك تلحق فريدة إلى تلك الحجرة !

قال مبررا : ذهبنا نستريح بعض الوقت ، تعبنا من الرقص .

ضحكت وقالت باستهزاء : تعبت من الرقص .. أنا التي تعبت .. أنا رقصت مع الجميع .. ألم يحدث شيء بينكم ؟ إنها تعشقك ! نحن نساء ..لا نكتم شيئا عن بعض .. أو لا نستطيع كتم شيء حتى

ولو معاشرتكم !
قال : سلوفانا صارحتك بعشقها لي .. هي مقبولة وجميلة وماهرة في الاتصال ؛ لكنها تسلم نفسها لأي عاشق ؛ لكنها تلزم الحذر عندما تكون في صحبته زوجها منذر .
قالت: وزوجها يغازلني ؛ كأنه يريد أن ينتقم منك مني !
قال ضاحكا ومتهكما : يريد أن ينتقم ! ما هو داعر !
قالت: نال قبلة مني .. من خدي .. سمحت له بها
قال : أنا تركت حرية لك ؛ فكما أسمح لنفسي بمضاجعة النساء ..افعلي ما شئتي ؛ ولكنك تبقين ملكي وحبيبتي .
قالت : اقدر لك ذلك ؛ لكني أغار عليك ، وأتمنى أن تبقى لي وحدي.
قال : الحياة هناك ؛ ليست كحياة الشرقيين .. النساء هنا أقل مجونا وخيانة .. يزعم الشرقيون أنهم يغارون.. عندهم شرف أكثر من الغربيين .. ويزعم الشرقيون أن سببه قلة الغيرة عند الغربيين بسبب لحم الخنزير وأكلنا للخنزير.. كان الليلة على المائدة وكلنا أكلنا الخنزير.
قالت: لا أعتقد صحة ذلك ! وهم لا يفرقون بينه وبين لحم الضأن .. أنا من مواليد ألمانيا ، وعشت فيها شبابي قبل أن ألقاك ، وهم يغارون ؛ كما تغارون ، ويقتلون نسائهم وعشيقاتهم ؛ ولكن الغيرة تختلف من بلد إلى آخر ، حتى من القروي ومن المدني .
خلع ملابس السهرة ، وارتدى ثوب النوم ، ورمى نفسه بجوارها ، فسمعها تهمس وتكرر : ألم تقضِ شهوتك من فريدة ؟
قال : كان زوجها يراقبنا ؛ بل تبعنا بعد حين ، لم أتمكن إلا من تقبيلها ومعانقتها .
قالت: لكنها قالت غير ذلك !
قال : قالت !
قالت: أصدقها أم أصدقك !
قال : ولكن زوجها لحق بنا.
قالت: أنت تعرف زوجها لا يهتم لمن تسلم نفسها إليه .. هو برميل شراب خاصة إذا كان مجانا .. نحن أبناء الغرب .. فهذه السهرات والحفلات لتغيير الجو .
قال : وتبادل الزوجات هل ...
قالت: لا كنت مستغرقة في الرقص.
قال : لا أدري لماذا تكذبين؟! لقد قال لي سعيد إنه قضى معك بعض الوقت الحميم.
قالت: كذاب ! إنه يسخر منك، لم أسمح له ، ولا أحد غيره .. اسأل جومار رئيس الخدم ، لم أغادر ساحة الاحتفال والرقص ، دخلت المرحاض دقائق ، فلما خرجت رأيته يفعل ما فعلت

قال كأنه مؤكد الوصف: سعيد أكيد كذاب ، قلت لك أنا لا أغار ، أسمح لك أن تفعلي ما تشائين .. المهم أن يبقى هذا الفعل خفيا عني .. التغيير جيد حبيبتي! ألم يكن لك الأصدقاء والعشاق قبل أن نلتقي في ذلك النادي؟.. وأفاجأ بالجمال الجرماني.

قالت : قلت لك إن أمي ألمانية ، وأبي من أصل تركي ، انتقل جدي جانسل من أسيا إلى

تركيا قبل الحرب الأولى، وأثناء الحرب عمل ضابطا مع الألمان ؛ حيث كانت شراكة بين تركيا وألمانيا الموحدة ، وبعد توقف الحرب تزوج أرملة ألمانية ولدت باريش جانسل .. كما أنت عربي من زريق هذه المدينة .

ولما ظل صامتا تابعت : كان لي عشاق ؛ كما كان لك .. كان لي صديق بعد طلاقي من موريس لاندري ؛ لكن بعد زواجي منك وقد أصبحت زوجتك اختفى .. عليّ أن أحافظ على شرفك .

ضحك وجلس واشعل سيجارة ، وهتف في صوت عال : رائع !رائع ! لعلني أصدق هذا الكلام الرائع.

قالت بسخرية : هات سيجارة .. صدق أني لا أخونك صحيح أسمح لبعضهم بمعانقتي .. فقط معانقة .. تصبح على خير أيها الحبيب !

قال : السيجارة .

****

نام الزوجان على سرير واحد بعد حفل ساهر ماجن ، لما خمد نذير ذهب في سبات عميق ، وكانت سلوفانا تكاد أن تنام أو مضى على نومها نصف ساعه عندما رنّ جرس التلفون في الحجرة انزعجت ومدت يدها تلقائيا للهاتف ؛ كما تعودت ، فسمعت صوت جومار يعتذر عن الاتصال ، وسألها عن السيد ، فصرخت منزعجة : غرق في النوم .. لماذا هذا الإزعاج ؟! لم أكد اغفى.

قال : لدينا مشكلة .. أريد السيد.

صرخت: إنه نائم .. ما هي المشكلة؟!

قال : أريد السيد.

أغلقت السماعة بغضب ، فتح نذير عينيه على صياحها ، وحاول الكلام ، ثم لزم الصمت ، فقد ازداد ثقل اللسان ، وتابع النوم ؛ ولكن الهاتف رنّ مره ثانية ، فقالت : لن يبقى هذا

الرجل في البيت !

رفعت السماعة بغضب قائلة : أنت مزعج .

فقال: أنا آسف يا سيدتي! أريد السيد .. الأمر خطير .. كان عليه أن ينام في غرفته.. آسف آسف يا سيدتي !

قالت بحنق : إنه نائم .. لا يريد أن يستيقظ .

تناول الزوج السماعة منها بسخط قائلا: ماذا هناك

يا جومار ؟لم ننم بعمق بعد .. هل بقي في القصر خمر ؟

قال : هناك سيد نائم في إحدى الحجرات زوج السيدة فريدة.. لا يريد أن يستيقظ هل استدعي له الطبيب؟

قال : طبيب ! لماذا ؟ إنه نائم شرب كثيرا من الكحول فليبق نائما.

قال : زوجته اتصلت .. هي التي اتصلت.. لما دخلت بيتها لم تر زوجها .. فتنبهت أنها تركته في تلك الحجرة نائما .

قال نذير: دعه نائما حتى الصباح.

قال : اخشى أن يكون ميتا .

قال : لا ، ليس بميت ، تناول حبة مخدر أو منوم .

سمع تنهد جومار وقال : كما تشاء يا سيدي !

وضع السماعة ، وسمع زوجته تسأل ، فقال : فريدة نسيت زوجها نائما في تلك الحجرة ، اتصلت بجومار فذهب لتلك الحجرة ليوقظه ، ورفض أن يستيقظ فظنه مريضا أو ميتا .

قالت : أسقيتموه مخدرا!

قال : نامي نامي ،لحق بنا ، وكان علينا أن نتخلص منه .

قالت بهزء : ألم أقل إنك قضيت ساعه لذة معها ؟.. أنا أعرف فريدة أكثر منك، وما تعرت إلا للقضاء عليك !

قال :كنا سكارى ، وليس على السكران حرج ، هي سلمت نفسها لي .

قالت : وماذا ستفعل مع زوجها لما يستيقظ ؟

قال : سينسى الأمر ، لست أول رجل ينام مع زوجته ، وهو يعرفها جيدا .

قالت : لو فعلت ذلك من ورائه لكان ألطف.

قال : المتعة تأتي فجأة يا سلوفانا ! أنا أحس بتعب

قالت مفسرة تعبه : من السكر والجنس .. لا تراعي صحتك ..أطلب لك قهوة.

قال لها: اطلبي الطبيب.

قالت بقلق : الطبيب !

قال بوهن : أجل أو حتى سيارة الإسعاف إني أكاد أفقد الوعي .. صدري يضيق.

قالت : نصحك الطبيب بتقليل الشراب .. الكبد مريض عندك !

نهضت عن السرير وقالت : حتى أنا أكثرت من الشراب .. الصداع يكاد يفجر رأسي .

ارتدت الروب ، وضغطت على جرس الخادمة التي لبت النداء بعد حين يسير وفتحت الباب فقالت: اطلبي جومار

قالت الفرنسية : ما زال مستيقظا .

عندما رن الهاتف تحدث مع الخادمة ، ثم سمع السيدة تصيح فيه ، وتطلب منه سيارة الإسعاف: السيد نذير وجع .. معه وجع شديد.

قال: منذ قليل كنت أتحدث معه يا سيدتي !

قالت : افعل ما يطلب منك .

قال : حسنا !

جاء الطبيب ، وسيارة الإسعاف ، وتم نقل السيد نذير خاتم إلى سيارة الإسعاف الخاصة بالمستشفى المتعاقد معه للعلاج ومن يعيش في القصر ، ادخل غرفه العناية المركزة ، وبعد إجراءات طبية تحسنت أحوال نذير ، ونقل إلى غرفة خاصة للمتابعة في الصباح .

الصديق الجديد

قضى السيد نذير ثلاثة أيام في المستشفى ، وعلم أنه كبده يعاني من مشاكل صحية زائدة ، وأكد له الطبيب عجز المستشفى عن معالجته ، وعليه أن يذهب للعلاج في ألمانيا ؛ حيث عولج سابقا في بداية مرضه ، رشحت ألمانيا لعلاجه ، فهو يحمل جنسيتها ، وتزوج السيدة سلوفانا فيها ، حيث تعرف عليها في أحد النوادي الفندقية التي اعتاد ارتيادها بصحبة والدها باريش ، فهو صاحب استثمارات كبيرة مشتركة في البرازيل سان باولو وريو دي جانيرو وسانتياغو وألمانيا في قطاع السيارات والفنادق وصناعة السلاح . فلم عاد للقصر أخذ الطبيب الخاص جدا به الدكتور رشدي بالو أخصائي القلب والأوعية ترتيب أمور سفره مع الأطباء الذين سيقابلهم في ميونخ جنوب شرق تلك البلاد ؛ حيث له شقه خاصة فيها ينزل فيها عندما تطول غيبته عن مدينة زريق (القمر صافي الضياء) .

بدأ الأصدقاء والمعارف يتوافدون على قصره للاطمئنان على صحته وتوديعه عندما انتشر نبأ السفر للعلاج في أوروبا ، وأخذت سلوفانا بدورها تستعد للسفر ومرافقته في رحله العلاج ، ويصحبها خادمتها الخاصة جوليا بانزر الفرنسية ، التي تعاقدت معها منذ عهد ليس بالبعيد أثناء رحلة من رحلاتها إلى فرنسا ، وطبيبها الخاص لوقان فريد آق ، ومنعه رشدي من تناول الكحول قبل رحلة العلاج ، ومنع أيضا من الاتصال والجماع بالنساء لأقصى حد ، وكان قديما أثناء انتقاله من البرازيل إلى ألمانيا تمت معالجته من مشاكل الكبد التي تظهر عليه بسبب الإكثار من الكحول بين حين وآخر ، ولديه متاعب في عضلة القلب والشرايين .

وكان الصديق بسيل مجديان صديق العائلة الصديق المقرب منهم أكثر من الآخرين ، كان يحثها على البقاء في القصر ، وكان يطمع في علاقة حميمة معها وحاول وسعى في ذلك ، وكان نذير قد سعى لهذه العلاقة مع ريما زوجة بسيل ، كانت السلوفانا تصده وتبين له أنها لا يمكن أن تخون نذير رغم خيانته المكشوفة لها ، وأن ما بينها وبينه

وبينهم استلطاف لم يصل إلى هذه العلاقة الحميمية ، وكان نذير يحاول الوصول لإقامة علاقة متعة مع ريما ؛ ولكنها أيضا كانت تصده ، وتتجنب الخلوة معه رغم الهدايا التي يتحفها بها ، كانت تقبل هداياه وتصده في لطف وتبين له أنها تكره الخيانة الزوجية رغم ما يعيشون فيه من الفساد والانحلال ، وكانت سلوفانا تشكر لها هذا الموقف مع أن ذلك لا يهمها كثيرا ، فهي تتقبلهم على مضض ، ولأنهم رفاق نذير فقط ، فهي تعرف زوجها أنه زير نساء ، وزير خمر قبل استقرارهم في زريق ؛ وإنما قبلت به للثروة والأموال التي دفعها لها عندما التقيا أول مرة في نادي أرستقراطي ألماني تابع لفندق ضخم ، وأظهر إعجابه بها فورا رغم أنها مطلقة ؛ لكنها فتنة وفتنته ، وخلال أشهر كان زواجهما ، وتزوجا بعقد شرعي قانوني ؛ لأن أهلها وهي أصروا على ذلك فوالدها باريش مسلم تركي ، وسلم ووافق على ذلك .

ومنحها حريه السفر والتنقل بين أوروبا و بلده زريق ، وهي كانت تعلم أن الرجل متزوج ، وأن زوجته البرازيلية هربت مع صديق لها ، واختفت في بلدان العالم ، طلقها غيابيا ، ولم تعرف أسباب هربها بالضبط ، وهو ولم يكشف لها كل شيء ، عرفت أن أحدهم استولى عليها واختفت فجأة ، وقضى سنة يبحث عنها ، ولما التقى سلوفانا نسيها وبعد سنتين رجع إلى بلده العربي زريق من ألمانيا ، واستقر في القصر الطالع(من أسماء القمر) ، ومتابعة شركاته واستثماراته المحلية، بحيث هو يملك مجموعه من الشركات والمصانع في بلده زريق ،بدأ بها وهو سان دي جانيرو ، وله استثمارات في البرازيل وألمانيا الغربية.

منذ التقى الطبيب بسيل بالسيدة سلوفانا وهو مفتون بها وبقوامها وجمالها الأوروبي وعيونها الزرق ، وحاول إقناعها بالاستسلام له كعشيق فراش ، وشجعها على الطلاق من زوجها ليتزوجها ، وتنجب منه ، طلق الأولى ، وأبدى استعداده لطلاق ريما زوجته الثانية مع أن له منها طفلين ، وأن ريما موافقة على ذلك الطلاق رغم رفض والديها من شدة ولعه وهواه وعشقه لسلوفانا ، رغم المصالح الكبيرة التي تربط بينه وبين والد ريما ، رفضت سلوفانا التخلي عن زوجها نذير مع ما لمسته من حب بسيل وتملقه لها حتى أن نذيرا أدرك ذلك التعلق والهوس والتملق حتى أنه وافق على طلاقها إذا قبلت بصديقه بسيل وقال : إنه يكثر التردد عليك يا سلوفانا ويكثر من الاتصال لا أعتقد أنه حب حقيقي .. هو يريد الانتقام منى لمغازلتي زوجته ريما ، فيزعم حبك، وإنه ولهان.

قالت : تقريبا ؛ لكني اعتذر إليه ، رفضت رغبته

بالزواج مني .. أنا لك وحدك رغم خياناتك الكثيرة .. أنا عرفتك قبل الرحيل إلى هذا البلد واعرف شلتك وهوسكم بالنساء والخمر والقمار

قال : قلت لك ذلك عند الزواج ، أنا مفتون بالنساء ؛ خاصة بنات طبقتك والمشهورات .. وقلتي افعل ما تشاء .. وسمحت لك ببعض الانفلات .

قالت بفخر : صدق أنا منذ تزوجتك لم أمكن رجلا مني مع ما تراه من الرقص والقبل الخاطفة مع الأصدقاء أنا لك وحدك صدق ذلك .

قال : أتمنى أن يصدق ذلك .. كأنك نسيت اللعين !

قالت : ضعفت أمام فتنته وهجرك لي الشهور ، وقد انتهى ما بيننا .. تحدثنا كثيرا في هذا.. هل تحدد وقت الرحيل ؟ سأرحل معك.. أنت زوجي وحبي .

قال : أنت عجيبة ! لكنك بنت أوروبا .. تعاشر إحداكن الحمار وفي الصباح لا تعرفن الحمار البتة ! ما أخبار قطك الأسود باريس .

قالت : جاء الطبيب ونقله إلى مستشفى الحيوان أو عيادته الخاصة ؛ كأنه تأثر بمرضك ، وتعاطف معك ، وعاد وما زال متعبا ، فقد الكثير من الشعر

قال نذير : ربما لم يتعود على مناخ زريق بعد .. والقط قطك ، أنا لا أحب القطط ولا الكلاب أميرتي علمت أن بسيلا حاول أو سعى لتقديم سيارة جديده لك

قالت ساخرة : رفضت بأدب ، وقلت الهدايا بعد الرجوع من رحلة العلاج .

قال : إنه معقد ، ويظن أنه دون جوان ، لا تقف امرأة أمام وسامته .

قالت : أنت تشتهي زوجته أمامه ، وألم تقل له إنك مستعد أن تدفع مائة ألف لتنام مع ريما ليلة واحدة ، فهو يعمل مثلك .

قال : لا حرج على السكران ، كنت سكران لا أدري بما يخرج .

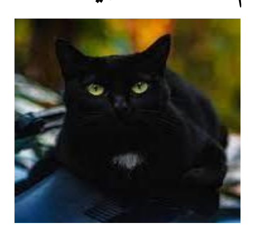
قالت : وهل أنت تصحى بالليل.. أنت كما قلت لي تسكر منذ كنت طفلا .

قال : صحيح ! علموني عليها صغيرا ، وأنا كما تعلمين ولدت في البرازيل من أم برازيلية ، ووالدي مهاجر عربي ، وعدت للوطن حتى تخرجت من الثانوية العامة عشت في جدتي وعمي روح ، ثم هاجرت إلى أمريكا للدراسة الأولى ، ثم مسقط ولادتي لأبدأ حياة عملية مستقلة ، وتزوجت بنت أحد الشركاء ، كما حصل معنا ، وكانت حياتي الخمر والنساء في تلك البلاد ، بلاد مفتوحه مسموح فيها القمار النساء والخمر أكثر من البلاد العربية ، المهم موافقة الرجل والمرأة على إقامة علاقه ، فلو رأى الرجل أباه أمه أخته وبنته

عليه أن يصمت ، ولا يعترض ، وألمانيا بلدك تبارك ذلك .. هناك تكثر أولاد الزنا يلقون في الزبالة ، وأعدادهم كثيرة في البرازيل بسبب الإباحية ؛ فاذا لم يمت في العالم الغربي الدولة المسؤولة تأخذه ؛ فهي المسؤولة عن الأطفال فالأب الذي يضرب أبناءه يؤخذون منه ، ويدفعونه إلى أسرة بديلة ، الآباء لا تتحمل المسؤولية هنا إذا فجر رجل بامرأة يزوجونهم إن لم يكونوا متزوجين ، وينسب المولود للأب حتى لو كان ابن زنا .. أقول أنا سعيد بصحبتك ، وسأضيف لحسابك نصف مليون عند السفر ؛ لأنك صبرتي وتحملت جنوني .

قالت: شكرا لك ، أنا زوجتك حتى الفراق .

قال: أنا أعلم أنك قبلت بي زوجا من أجل المال.



التهيئة

لم يكن السيد نذير مدير عام شركات ومصانع الشمس المشرقة يسمح للمديرين والعاملين في إدارة الشركات والمصانع المملوكة لشخصه أو مشارك في مجلس إدارتها المشاركة في السهرات والحفلات التي يقيمها سواء في قصره أو أي مكان آخر ، فقط أصدقاؤه وأصدقاء الزوجة .

تحدث مع نائبه علي يوسف لعقد مجتمع لمديري الشركات والمصانع قبل السفر للعلاج في ميونخ وحدد له التاريخ والوقت ، فرحب الدكتور المهندس علي بالاجتماع ، فهو له أكثر من شهر لم يجتمع بهم أو يدخل الإدارة .

فلما انتهى من الحديث مع المساعد أو النائب قالت له سلوفانا : أليس في ذلك خطر على صحتك فلك أسابيع تتابع العمل بالهاتف ، وتقرأ التقارير في المكتب الداخلي ، وتلتقي بعلي وبكر وتسمع منها .

قال : لا يكفي يا سيدتي مناقشة العمل عن طريق الهاتف ؛ لابد من عقد هذه الاجتماعات مع مدراء الشركات والمصانع ومن زيارتها شخصيا والتحدث مع الموظفين والعمال ؛ ليكون الاهتمام من الموظفين والمدراء ، ومشاهدة ردات الفعل والوجوه والعيون لها لغة يا سلوفانا .

قالت : رغم مجونك المعروف أنت في العمل والمال عملاق يا نذير!

قال مضيفا : الاتصال بهم والكلام المباشر معهم يضعف الانتهازيون ، ويتعرف المرء على الكفاءات واختيار الكوادر النشيطة ، ووضعهم في الأماكن الدقيقة.

قالت : أنا أشهد لك بالذكاء والمكر .. فأبي استعان بك لما عصفت به الأزمة ، وتحدث عن نجاحك

وقدرتك في سان باولو وترجاك بالمجيء لألمانيا وأصلحت الحال وتزوجت ابنته .

قهقهة وقال : وألم استحوذ عليك وأتمتع بهذا الحسن والقوام؟ الدول تلين بالمال .

تبسمت وقالت : وبذلك أشهد أيضا ! لقد بهرتني وأقنعتي بأن أكون لك زوجة رغم ترفك الشائع ، وقد مللت مني سريعا .

تنهد وقال : لم أملّك ؛ لكنني تزوجتك ، وقد أنهكتني النساء .. أخجل أن أبدو ضعيفا أمام هذا الحسن .. العمل شيء واللهو والمرح شيء آخر .

قالت : هكذا تريد الدنيا منا أن نكون جادين وغير جادين .. أنت في العمل والإدارة بارع لقد قمت بإقناع أبي وأخي بالاقتناع بك والرضا بي زوجة لشريك أبي .

قال : توفيق من الله ..والدك فتح لي الطريق إليك ، وتحدث كثيرا عنك قبل اللقاء .

كان سيد نذير لا يوظف أنثى في إدارة شركة أو مصنع ، كان في العمل يحب التعامل مع الذكور لأنه ضعيف أمام إغرائهن وملابسهن ومساحيقهن يفتن بسهولة ويسقط في حبالهن وكيدهنّ ولا يحب أن يكون ضعيفا مع الموظفين ؛ لذلك كل عشيقاته كن من خارج العمل والوظيفة.

السكرتاريا يقوم بها رجال ، ولا يحب أيضا أن يشاركه المدراء لهوه وسهراته إلا بالحد الضيق والضروري ، أما مدراءه فيتخذون السكرتيرات دون ممانعة ، ويفعل هذا الترتيب للمحافظة على أسرار العمل والإنتاج والتصميمات .. فهو يعتقد أن النساء أسرع في نقل أخبار وأسرار الإدارة والشغل من الرجال .

دخل قاعة الاجتماع في مجمع شركاته ومصانعه مصانع وشركات الشمس المشرقة كان حازما مع الكادر الإداري ، جرت مجاملات الترحيب والدعاء بالسلامة والرحلة الشافية والعودة معافى ، واستمع لبعض المديرين ومشاكلهم ونجاحتهم قضى ثلاث ساعات يسمع ويناقش.

ولما غادر الكثير منهم قال : هل بقي شيء يا حكمت؟

قال أحد مساعدي القانوني بكر : نعم يا سيدي! نحن علاقتنا والقضايا القانونية خلال فترة غيابك لمتابعة العلاج مع من نتابع القضايا.

قال: الموت وارد يا حكمت ويا أستاذ بكر شركاتي وأموالي في ألمانيا لا مشاكل قانونية معكم ، ويتابعها مكتب لا دخل له هنا ، كما أنكم لا دخل لكم بألمانيا أو البرازيل كل بلد لها أنظمة خاصة في الاستثمار والتفاصيل .. وأموري هناك منظمة ومستقلة عن المجموعة ، وصيتي توزع بعد موتي

بست سنين ، وكذلك حصصي في البرازيل ، المشكلة هنا ؛ لأن المال يوزع حسب القانون الشرعي ، أنا أعرف بالقانون المالي والميراث ؛ وكما قلت لعلي يوسف وبكر أن يصرف على القصر وسلوفانا من أموالي هنا ، وبعد ست سنوات من الوفاة توزع الأموال المسجلة باسمي حسب قانون هذا البلد ، والثلث المسموح به كوصية مكتوب يا حكمت ، والاهم سأنقل ملكية نصف الشركات لزوجتي تمتلكها بعد موتي بست سنوات ، لأنها ستكون المديرة للمجموعة حتى ترثني ، وهي حرة التصرف ، البقاء شريكة أو تبيع حصتها ، أما هناك فتدفع لزوجتي كوصية بعد ست سنين ، أنتم لا دخل لكم فيها.

قال: جيد ! نعتمد توقيع وختم السيدة .. نتمنى لك السلامة ونجاح العملية .

قال: أشكر اهتمامك بهذه الجزئية المهمة .. وبالطبع ستبقى الأعمال قائمة بقيادة علي يوسف لمدة ست سنوات، ثم تصفى وتوزع لبعض الأندية والجمعيات والباقي لزوجتي.

قال حكمت : زوجتك قديرة على الإدارة.. أنا علمت أن وضعك الصحي حرج فمن أجل ذلك أحببت فهم ذلك.

قال: الدكتور علي عنده التفاصيل .

ـ أبوك وامك .

قال: من ميراثي هنا سيأخذون بعد إنهاء وتصفية الشركات والمصانع وحصصي فيها ، أنا أتعامل مع كل بلد حسب نظمها في المال .. هنا يسمحون بالوصية بثلث المال لمن يشاء والثلثان للورثة ، وأنا علاقتي بهم سيئة ؛ لعلك سمعت ، نتحدث بأضيق الحدود كل واحد ليس بحاجة للآخر ، فهم في مرضي هذا لم يتحدث أحدهم معي بالهاتف.

قال: نتمنى لك الشفاء والعافية شكرا على صراحتك.

قال: إلى اللقاء قضية المهندس حسن.

قال بكر : سنعمل على تسويتها ، كما اتفقنا معه، وغادر العمل أو المصنع .

قال: المهم غادر راضيا.

ضحك علي : لا أحد يترك عمله راضيا ومسرورا ، ولا اعتقد أن يجد من أكرم منا

قال: انه رجل فهمان وقادر على العطاء.

قال بكر : هذا لا ينكر يا سيدي !

قال علي: أكيد ، ولكن لا يبقى احد ولا يدوم ، ونحن تركنا باب العمل مفتوحا.. ما كان عليه أن يتلاعب بالمواد.

قال نذير : أنكر هذا التلاعب يا علي!

استقبلت سلوفانا زوجها بالعناق والقبل بعد عودته من الاجتماع الطويل على باب القصر :

لعلك سعدت بلقاء أعوانك يا زوجي الحبيب !
كنت أضع يدي على صدري قلقا عليك.
قال باسما وشاكرا للاستقبال الدافئ : يستعدون لموتي ، لقد صارحهم الطبيب بذلك ، وأخبرهم أنك ستكونين الرئيسة والمديرة عليهم .. تكلم طبيبك أكثر مما ينبغي له.
ـ كل هذا عليّ القيام به !
قال مخففا الأمر : معك علي يوسف ، والمال في شراكتي لأبيك لك بعد موتي ، وثروتي في دي جانيرو أما هنا فسيكون الميراث حسب الشريعة المعمول بها هنا ، سيكون لك الربع بحكم عدم وجود أبناء لك مني إلا إذا لبسوني شرعا ابن الهاربة ستنقص حصتك ، ولكني طلبت كما تعلمين أن يؤخر توزيع المال بعد خمس ست سنين من موتي ، فعليك أن تديري العمل لتأخذي الأرباح حتى تمضي السنون.
قالت بدعاء : إن شاء الله تنجح العملية وتعود فحلا كما عهدناك.
قال بحسرة : أنهكتني النساء والغانيات ، ليتنا التقينا قبل سنين واكتفيت بك .. أنا أحبك يا سلوفانا.. حب من طرف واحد .. أنت أحببت المال أعلم ذلك .. وأنا سأتركه لك ، وهذا القصر سيكون لك .. قبل السفر سأنقل ملكيته لك رغم خياناتي التي لا تنتهي.. لم تخوني نذيرا إلا مع ...
قالت مذكرة : أنت قلت ذلك قبل زواجنا ، وأنا قبلت ذلك، فعليّ بالصبر .. ما تتركه لي كثير اهلك !
قال : سيأخذون بالميراث فقط .. لنا في هذه البلدة الكثير.. وهو كثير
قالت : على ذكر الأهل .. أبوك اتصل يريد مالا قرضا !
قال معللا : سمعت أن سفينة له غرقت وتضررت ، سأرفض قرضه .. متى اتصل؟
قالت : بعد خروجك بقليل ، وهو في تركيا في احد فنادقها ، وأمك مريضة
قال معرضا : مريضة! احضرها يتسول بها .
قالت : إنك قاسي نحوهم !
قال متأففا : منذ افترقنا من ربع قرن ، ونحن في جفاء .. الأبناء والبنات .. ساعدته مرات ، ولم يسدد فلسا من أي قرض.
قالت: أنا احب أن تكون علاقتك طيبة معهم .. فأمك تتهمني بإفسادك عليها
ضحك وقال : أنت طيبة ! المال يحتاج إلى قوة تحميه من القريب والغريب .

****

صار السيد يمارس عمله المكتبي يوميا ، وذات نهار اخبره السكرتير أن والديه بالباب ، فأذن لهما ، وترك الكرسي معانقا لهما ، واستأذن علي

والسكرتير خالد بالإشارة فحنى لهما رأسه بالإذن وعاد إلى المكتب ، وهو يطمئنهما على صحته قائلا : مرض الكبد قد عاد من جديد يغيب ويظهر وقريبا سأسافر إلى ميونخ للعلاج في نفس المستشفى الذي تعالجت فيه لما غادرت البرازيل وتزوجت سلوفانا .. مرحبا أمي مرحبا أبي !

تمتما بما يناسب المقام وقالت أمه : أنا عاتبة عليك يا نذير ! لم أعد أسمع صوتك!

قال : الشغل كثير ، ولما أغادر العمل اشتغل بالشراب واللهو فأنسى .. أنت اتصلي كما كنت تفعلين قديما.

قالت: كلما اتصل ترد الخادمات .

فقال : ربما كان جومار يقول لي وأنس الرد من السكر .. أرسلت لك مالا جيدا

قالت بغضب وسخط : المبلغ غير جيد ثمن ثوب واحد!

قال متهكما : طاعة ! عشرة آلاف دولار ثمن ثوب واحد .. وأنت يا أبي بكم تشتري لها السروال؟

قالت: أريد خمسين ألفا، لقد رأيت عقدا من الزمرد في بروكسل وأعجبني!

قال مكرها : أنت لمن تجمعين ؟! حاضر سأقدم لك خمسين ألف سوى العشرة .. هل بقي لك أصدقاء .. أبي يقول هجروك كبرت وعجّزوا .

قال الأب: أنا لا أريد شيئا .. أريد قرضا كبيرا

قال : أنا اعتذر يا دكتور خاتم تأخذ باسم القرض ولا تسد .. السفينة المعطوبة أليست مؤمنة ؟ أتريد خمسين مثلها ؟

قال: أنا لا أقبل الصدقة .

قال: هذه ليست صدقة ، إنها عطية .. فلماذا القرض ؟!

قال: سنعوض أسر الضحايا والبحارة .

قال نذير : شركات التأمين ستدفع !

قال: يحتاج ذلك لوقت ، ولابد من المواساة العاجلة

قال محتجا : على حسابي.. اقترض من البنك .. دفع الأخوة!

قال: بدأت بك.. أنت أغنانا.

قال: حسد .. ضقت يوما ولم تقدم لي شيئا أنت وأطفالك

قال: هذا كان قديما قبل عشرين سنة .

قال: المرء لا ينسى السيء .. تخليتم عني كلكم حتى هذه ـ وأشار لأمه ـ قالت اعمل على قدر فلوسك .. وأنا عملت على قد فلوسي ، ووفقت بامتلاك أول مليون

قال: حسنا ! شكرا يا نذير ما دام عدنا للماضي البعيد

ـ أتريد خمسين ؟

قال: لا، أنا أريد قرضا بمليون .

ـ البنوك ستقرضك ما تريد.

قال: الفوائد ستكون كبيرة.

ـ بع بعض الأملاك

قام مودعا تتبعه زوجته بصمت ، وغادرا المكتب ، دخل السكرتير بعد انصرافهما: امرأة ترغب برؤيتك .

قال محتارا : امرأة تريد الحديث مع نذير خاتم ! ولماذا؟!

قال السكرتير : موظفة في احدى الوزرات .

قال مستفهما : تبرعات !

قال السكرتير : ربما ! تريد مقابلة شخصية.. رفضت الجلوس مع الدكتور علي

قال: اعتذر لها .. أنا سأغادر من الباب الأمني .. السائق جاهز.

قال السكرتير : نعم

غادر من باب آخر ، ووجد السائق في انتظاره ، فلما جلس قال : البيت يا جون.

تناول الغداء مع زوجته في قاعة طعام البيت ، وأخبره قيم القصر الهندي جومار ليلا بأن فريدة تريد مقابلة لتتدخل في الصلح بينها وبين زوجها، فهما في حالة حرب وخصومة من تلك الليلة وستكون حفلة صغيرة الليلة مع بضعة أشخاص بمناسبة عودته للمكتب والعمل.

قال باسما : سلوفانا تريد ذلك!

قال: نعم، يا سيدي ! وطلبت أن لا يكون خمر ومشروبات

فضحك وقال: وكيف ستكون حفلة؟!

قال: دعت عشرة أشخاص

قال: لو وضعت بعض المشروب يا جومار ! لي شهر لم اشرب سوى القليل ؛ لذلك أحس بالعطش سأحدد موعد السفر للعلاج

كان المدعون للحفلة الصغيرة من صديقات سلوفانا من الجالية التركية رجال أعمال من أصول تركية وزوجاتهم، قضوا سهرة ممتعة من سهراتهم كما يزعمون، وعند منتصف الليل فضت وانقضت السهرة ، وغادر المدعوون القصر.

طلب نذير تجهيز حجرته الخاصة للمبيت فهمست زوجته : حجرتي جاهزة يا نذير!

قال: إنني متعب ، صرت اتعب من جرعة الخمر .. رأيت لم اشرب الكثير.

قالت: أنت يا حبيبي ممنوع عنها نهائيا .. توقف حتى تعود من العلاج

قال جومار: السيدة فريدة حضرت.

نظر لسلوفانا وقال: ما العمل ؟ منذ تلك الليلة وهي في خصومة مع زوجها ؛ كأنه أول مرة يعلم أنها تنام مع رجل آخر!

قالت: هذا الغريب ! هي تمارس البغاء والزنا بعلمه ورضاه ، يعلم بخيانتها.. لماذا هذه المرة

يكبر القصة؟!

قال: يبدو أنه يرغب بالطلاق بدون تحمل توابعه ، لقد صدم من وضعها المخدر في شرابه ؛ كأنها أول مرة تفعل ذلك .. دعها تدخل يا جومار .. اجلسي يا سلوفانا لا رغبة لي بأي علاقة الليلة

أشارت للخادمة الفرنسية بالابتعاد ، دخلت فريدة وعانقتها وهي تتأسف على إزعاجها وقالت:آسف يا سلوفانا .. أصبح مزعجا .. يعتبرني خرجت عن المألوف برقصي عارية أمامكم يريد طلاقي هل أقبل؟

قال نذير : أنا لا احب الطلاق يا فريدة ! ألا حل آخر؟

قالت: ما الحل الآخر؟

قال: تركك للرجال إلى حين .. هدنة من الزمن

قالت: إنهم لا يتركونني .. يشتهون لحمي يا سلوفانا ! لا يستغنون عن اللقاء بي حتى أيام الحيض .. وأنا تعودت على مضاجعة الرجال مدمنة للخمر والجنس حتى أنني اترك الوظيفة ساعات لمعاشرتهم ثم أعود للعمل.

قالت السيدة : أنت مريضة .. عليك بالعلاج والعقاقير .. الشبق الزائد له علاج

قالت: أين العلاج؟

قالت السيدة : ليس هنا.. عند الأطباء .. أطباء العلاج النفسي يعالجون الشبق الزائد .. كل داء له دواء .

قالت: لا أدري سبب الغيرة لديه عندما يبدو عاجزا عن الاتصال بالنساء!

قال السيد: مريض مثلي.

قالت: قد يكون ذلك ؛ لذلك لا يريدني أن أمارس العلاقة والشهوة مع غيره

قالت السيدة : توقفي.. افرضي نفسك في مستشفى مريضة ممنوعة من الحركة .. ها هو زوجي الحبيب منذ تلك الليلة اللعينة لم يقرب أنثى، وقلل جدا من الكحول

قالت : لا استطيع .. تعب ليلة الاحتفال بالقط الأسود ، وأنا منها وأنا أعاني منه .. إنني اعجب منك وقدرتك على الصبر عن السيد نذير وعن الرجال.. لا يوجد لك عشاق من وراء نذير .

قال مادحا : هذا اجمل شيء فيها !

قالت: هل هو الوفاء؟

لم يرد احد فقالت : الحل أن ابتعد عن الرجال لحين.. إجازة .. وكم يكون هذا الحين ؟

قال متهكما : لا اعتقد نجاحك في ذلك ولو يوما واحدا ! كم ستصبرين ؟! أنا متأكد قبل حضورك إلى هنا قضيت بعض الوقت عند احدهم .. ولا احب أن اعرف من هو؟

قالت: لا استطيع الصبر ..كل من يطلبني أسير إليه حتى تمنيت أن اترك الطب واعمل في حانة

ودار دعارة أربعا وعشرين ساعة .
قالت السيدة : هو الأفضل لك.. كم مريض سقط في شهوتك؟
قالت: أنا لا أريد الطلاق.. فالزواج سترة وتغطية يا سلوفانا
قال: ابتعد زوجك عن النساء
قالت: ظاهرا ابتعد ، فهو منذ زمن يتجنب معاشرتي خوفا من الأمراض يزعم
قالت السيدة : اعتبرني نفسك في حالة مرض
قالت: كنتم في سهرة الليلة كما بدا لي!
قالت السيدة : نعم زارتنا بعض جاليتي التركية ، فوالدي تركي الأصل وأمي ألمانية، فكانت حفلة صغيرة بمناسبة عودة نذير للعمل في المكاتب .. أريد النوم يا نذير هل تحب أن تنام معي في الحجرة ؟
صمت للحظات وقال: أكيد أنا منذ مرضت صرت أنام في حجرتك
قالت فريدة: أتسمحون أن اقضي الليل بالنوم في قصركم .. لم يبق على الفجر الكثير ..اخشى أن أعود للبيت واجد امرأة مع زوجي .
رحب نذير ببقائها فقال : لا تمانع سلوفانا بقضاء ليلتك هنا
قال: اقترب جومار .
فهب قائما : سيدي !
قال: خذ هذه السيدة إلى غرفة نوم الضيوف .
هزّ رأسه موافقا وقال : اتبعيني يا سيدتي !
قالت: شكرا لكما .. تصبحون على خير
قالت السيدة : لا بأس قد قبل السيد نومك في القصر .
قالت: شكرا عزيزتي.
صعدت سلوفانا إلى غرفتها أو جناحها يتبعها نذير وأحد الخدم يمسك به ، ولما دخلوا جناحها . قالت لزوجها : سيدي أنت ممنوع من معاشرة النساء والكحول ريثما تتعالج.. اذا جاءت من أجل المتعة معك فاذهب إليها إنها لا تستطيع أن تنام بدون رجل!
قال: معلوم .. اعرف هي جاءت من اجل ذلك ؛ وليس من اجل زوجها ، ولا انكر أنها فاتنة في إثارة الغريزة ؛ ولكني عاجز عن الحب والجماع.. مع أنها تقوم بالفحوصات الجنسية باستمرار معاشرتها فيها مخاطرة .. الأمراض الجنسية كثيرة هذه الأيام ؛ لعل جومار ينام في فراشها ويسليها .
قالت السيدة : نعم ، الصحة تاج على رؤوس الأصحاء
خلعت الخادمة ملابس سيدتها وألبستها ملابس النوم وأدخلتها في الفراش وخرجت، فخلع نذير ثياب السهرة ولبس ملابس النوم ودخل الفراش ، وتناول حبتين منوم وبعد دقائق غرق في النوم

حتى لا تظن سلوفانا أنه سيخرج إليها ليلا .

****

قاد جومار السيدة إلى غرفة نوم ، وتفقد الحجرة وقال: ادخلي دكتورة فريدة سأرسل الخادمة لترتيب السرير .

قالت: لا داعي أنا سأرتب السرير .. ارسل خادما ببعض الشراب

قال: سأرسل لك الساقي رومو

قالت: لا بأس .. فهو شاب لطيف هندي مثلك

قال: نعم ، وزوجته خادمة الغرف فتاة لطيفة .. هل من خدمة أخرى؟

ـ فقط الشراب مع رومو

اغلق الباب وخرج ، أتاها رومو بزجاجة كحول وكأس ووضعها على طاولة وقالت: ألا يوجد ملابس نوم يا رومو؟

فتح الخزانة وقال : هذا . وأشار لثوب معلق فيها

فقالت: أوه! لم أره .. كيف اتصل بك اذا احتجت لشيء ؛ لأني لا أنام بسرعة؟

قال: هنا جرس . ودلها عليه بجوار المنضدة وقال: اضغطي عليه أكون عندك يا سيدتي .. نحن في خدمة ضيوف السيد نذير.

أراد الخروج فقالت: انتظر رومو

قال: سأقف خارج الغرفة حتى ترتدي ثياب النوم

قالت: لا تهتم عندما أنام سألبسها .. أتشرب ؟

قال: شكرا سيدتي ! وغادر الغرفة

فقالت لنفسها : سلوفانا تعلم لم جئت.. استولت عليه الليلة ؛ ولكنه لا يحبها ، ولا يحب مضاجعتها أم يكذب علينا .. وهل هو ممنوع من الحب فعلا ؟ هل احضر منذر فتاة لشقتنا الليلة إنه يعشق المومسات بنات الليل .. بنات النوادي الليلية .. هل استطيع أن اشتغل مومسا ؟ كان والديّ عاهرين فماذا سنكون نحن؟ هرب مني نذير.. هو يدرك أنني مفتونة به .. الخادم شاب بدا لي قويا ومعه زوجته كما قال جومار ، لا يقبل جومار معاشرتي.. كان يتهرب من إشاراتي كلما راودته .. ذات ليلة كاد يصفعني لما تحرشت به .. أحاول مع رومو بدا لينا.. زوجي الآن يداعب مومسا ، ولا احد يداعبني.. تعودت على الزنا ، هل هذا زنا ؟ شربت كوبا. ثم ضغطت على الجرس، فلبى الخادم وطرق الباب وقال: نعم ، سيدتي !

قالت: انظر هذا الخاتم

قال: جميل!

قالت: امسكه

فاقترب وتناوله بيده وتأمله فقالت: هو لك اذا قضيتك ليتك معي على هذا السرير

فقال: سيدي يغضب اذا علم

قالت: من سيخبر سيدك ؟

وأخذت تخلع ملابسه وأسقته كأسا وقد تعرت تماما ، وألقت نفسها على السرير ، فلم يملك نفسه أمام هذا العري فألقى نفسه جنبها ،وبينما هما في لذة الشهوة والفسق فتح الباب ودخل جومار وزوج السيدة ، فقال جومار : ماذا تفعل يا رومو ؟ كانا عاريين.

فقال الزوج: من رومو هذا ؟

فقال جومار : هذا الذي يجامع زوجتك.. احد خدم القصر سيد منذر

ارتدى رومو ثيابه عجلا وقال : هي راودني .

وخرج مسرعا بإشارة من جومار

فقال: هذه زوجتك يا دكتور .. يبدو أننا ازعجنا الدكتورة .. فالسيد نام في غرفة زوجته الليلة

وتركهم جومار وقال متهكما: الغرفة غرفتكم ، تابع السهرة معها بدلا من رومو .

ظلت عارية تماما ، ولم تكن أول مرة يراها جومار عارية ، فقد تعرت ليلة الاحتفال بالقط الأسود باريس .

فردت فقالت: جربني مرة يا جومار !

فقال جومار : لا احب الزنا ! فزوجك أولى بك.

وغادر الحجرة فقال زوجها: فشلت بالنوم مع نذير.. فكيف أقنعت رومو؟

قالت: اخذ الخاتم .. ما الذي أتى بك؟ ألم تخبرني أنك مواعد مومسا لقضاء الليلة معك فقلت سأذهب اسهر مع نذير كما فعلنا ليلة القط الأسود.

قال: تسلينا بعض الوقت ، وفشلت في مهمتي ، وأخذت نصيبها وغادرت ، فقلت اذهب وأتفقد حبيبتي ، حاول جومار منعي من اللقاء بك ، وقلت أكيد فريدة في حضن نذير لذلك ترفض أخذي إليها ، فجئنا لأتأكد بأنك دون عشيقك السيد ، فوجدتك في حضن الخادم رومو كيف وجدتيه ؟

قالت: لم اعد اشعر بمتعة ، نصحتني سلوفانا بمراجعة العلاج النفسي لعلاج الشبق لم اعد أشبع من الرجال والجماع.

قال: فعلا أنت بحاجة لعلاج نفسي ! أنا لم اعد اصلح لك قضيت على شبابي ، لم تعد لديّ قوة عليك أن تبحثي عن زوج وذكر صالح للعمل ، وعليّ أن ابحث عن علاج للضعف الجنسي صرت عنينا . وتابع معيرا : خادم يا فريدة ! وبخاتم .. أصبحت مزبلة لمن هب ودب.. قمامة

صاحت: اصمت أنت منذ تزوجتك وأنت عاجز .. السيد مريض وممنوع من الجنس والخمر

ضحك وقال: نذير يصبر عن ذلك .. تعاشرين خادم نذير .. شيء مذل.. دكتورة تنام مع خادم.. وتدفعين له خاتما .. اختاري من السادة .. من الكبار

قالت متعجبة : تعيرني يا نذل ! أنا خادم وأنت مع

ساقطات وموسات .. كله جنس .. خادم سيد كلب حمار .. كله جنس .

قال متابعا سخريته : هيا نعود للبيت .. هل قام بالواجب؟ بس بخاتم

قالت: بس بخاتم ، وقبل على الفور بدون تردد ، لم يستطع مقاومة الجمال والإغراء

قال: قررت فراقك يا فريدة ! لم تعد أعصابي تحتمل زناك وهوسك .. فقد انتهى العيش بيننا صرت عاجزا عن المعاشرة .

قالت: وهل تطيق دفع تكاليف الطلاق ؟

قال: سنتفق لأني سأترك الشقة .

****

أدخلت الخادمة الفرنسية القهوة الأمريكية على مخدع نذير وزوجته بعد تحية الصباح وقالت : هل احضر الفطور إلى هنا

تطلعت سلوفانا في عيون زوجها وقالت: سنفطر في قاعة الطعام مع تلك المرأة.

ـ لقد غادرت صباحا مع زوجها

قالت السيدة : خرجت مبكرة ومع رجلها !

ـ قبل الفجر بساعة

قال نذير وهو يزيح الغطاء ويرفع نفسه : هل أتى زوجها؟

قالت: نعم سيدي !

قال: حسنا . ضغط على جرس جومار وقال:

البسي ثيابك سلوفانا

رشفت القهوة ووضعت الروب على ثياب النوم وجلست على احد المقاعد تتابع شرب القهوة

جاء جومار قيم القصر ورئيس الخدم في القصر : سيدي!

قال: ادخل .. ما الذي حدث الليلة يا جومار ؟!

إن السيدة تتحدث عن زوج فريدة!

فقال جومار : أنت تعلم أخلاق السيدة ! لم تسطع النوم دون رجل معها ، ورفضت إرسال الخادمة لها فكلفت رومو زوجها بالاهتمام بخدمة السيدة ، فذهب إليها بالمشروب وتركها تسكر وأعطاها ثياب للنوم ، ثم طلبته في الليل ، وأعطته خاتما لينام معها ففعل ، وجاء زوجها واستقبلته واعتقد أنك تنام معها ، فأصر أن يذهب لغرفتها فرأها عارية مع رومو .. فعلت ذلك مستسلما ؛ لأنه اتهمك بترتيب زياراتها الليلة للقصر ، وأخذ زوجته وهو يتوعد بالطلاق

هذا ما حدث الليلة يا سيدي!

قال: شكرا مع السلامة.

وتبعته خادمة سلوفانا الخاصة ، دخل نذير الحمام وعاد للجلوس وشرب القهوة والتدخين وقال: امرأة عجيبة هذه الأنثى! لا تسطيع النوم بدون جسد جوارها .

قالت السيدة بحقد : عاهرة سيدي! امرأة شبقة

مريضة ..كيف عرفتها؟

قال: في نادي قمار .. فتنتني بجمالها الفاتن كما ترين ولو بدون زينة .. تستغل ذلك لصيد الذكور وزوجها ديكور وعاهر مثلها ، دخلت النادي مع رفيق لي ، وكانت ليلتها هناك وتابعتني بإغراء فقلت لنفسي فريسة سهلة .. وزوجها مستهتر ؛ كأنه لا يرى ، فوقعت في شبكتها بسهولة فكان بيني وبينها اللقاء بسهولة .. وتكرر الموعد، ثم علمت منها أن زوجها لا غيرة عنده ويغض العين عن خلاعتها ، ووجدت أنها ليست لي وحدي.. عشاقها كثر ، كلما أراد احدهم التسلية تواعد معها ، فعلمت أنها فاجرة لا تشبع من الجنس ، وأحبت التعرف على زوجتي والمشاركة في سهراتي .

قالت السيدة بقرف بين : لها تسعة شهور تتردد على القصر وماجنة للغاية ، تعرت ليلة حفلة القط الأسود أمام كل المدعوين ، وكل صديقاتك منحرفات ؛ لكن فيهن شيء من الاحترام والأدب.

قال: حاولت التخلص منها ، إنها لعوب مومس يا سيدتي ! قد ننتهي منها في رحلة العلاج صدقي أني مللت منها بسرعة ؛ لكتها لعوب ويضعف الرجل أمام جسدها وإغراءها.

قالت السيدة : أنا اعلم أنك رجل شهواني تحب أجساد النساء ، منذ التقينا ببرلين ونظرتك الشهوانية لجسدي في المسبح كانت نظرة رغبة وشهوة ، فقلت لن أمنعك من قضاء شهوتك من غيري لن أغار وقلت سأغض الطرف عن أفعالك؛ لأنني ابنة أوروبا ولا يهمني مع تنام من النساء .

قال: وضحنا الأمور عند الزواج ، وانا ضعيف أمام فتنة بنات حواء ، كانت ليلة القط شبه عارية لم تدع لي مجالا لتركها

قالت السيدة : عارية وليست شبه عارية ، ظنت نفسها في غرفة نوم

قال: نعم ، عارية.. لقد اشتهاها كل من حضر الحفلة

قالت السيدة : واستسلمت لها وسقتها لتلك الحجرة

قال: لم يكن الأمر سهلا عليّ ، وتعبت معها ، جسمي تدمر من معاشرتها

قالت السيدة : صحتك أهم منها ،ونقلت ليلتها للمستشفى قد تعب قلبك ..ورغم مرضك تأتيك للفجور للقضاء عليك ، ثم مكنت الخادم من نفسها .

قال: ماذا يفعل المسكين لما تعرت له ؟! عليها معالجة نفسها من الشبق

قالت السيدة : هل تفحص حقا؟

قال: تفحص مرغمة .

قالت السيدة مشككة : لا أظن عاهرة تهتم

بصحتها الجنسية إلا اذا مرضت

قال: أنا افحص واحلل دائما ، لا اطمئن لهن ولغيرها

قالت السيدة : مرض الإيدز لا يرحم

قال: أنا احبك وتمنيت أن تلدين مني

قالت السيدة متمنية: ليت ذلك حصل لغمرتنا السعادة اكثر .



مالطة

انهى جومار خدمة رومو وزوجته في القصر بناء على رغبة من سلوفانا قالت شاكرة له : القصر ليس دار دعارة وممارسة البغاء.



وأيد نذير الفصل ، وأخذ الخادمان حقوقهما المالية وتذاكر سفر لبلدهما الهند ، وأخذ السيد يستعد للسفر للعلاج في ميونخ كما رتب ، وزيارة برلين للقاء المكتب القانوني الذي يتابع استشاراته في ربوع بلاد الألمان ، وسترافقه زوجته إلى أوروبا والطبيب الخاص بسلوفانا كصديق للعائلة لوقان آق وخادتها الخاصة جوليا .

وأقامت السيدة حفلة وداع في القصر بمناسبة السفر والغياب إلى أوروبا ، دعت بعض أصدقاء نذير ، وبعض أصدقائها من الجالية التركية، فوالدها تركي متجنس في ألمانية وأمها ألمانية ، غلبت على ألمانيا الغربية بعد الحرب الكونية جالية تركية كبيرة للعمل كمهاجرين، التقى والدها باريش بامرأة ألمانية في مدينة ميونخ عملا معا في مصنع وتزوجا جسدا وروحا ومالا .

أحيت الحفل مغنية تركية وانتهت السهرة عند منتصف الليل ، وقدم للمحتفلين أثناء الحفلة الطعام والشراب والطرب ، وكانت هذه الحفلات الصغيرة والكبيرة من مهمة سلوفانا وكانت تدفع بسخاء ، فنذير يحب مثل هذا الصخب والطرب وهي مثله ، فقد كان يسافر لحضور مثل هذه الحفلات من بلد لآخر .. مال كثير ويحتاج لانفاق ، وكان يحب حفلات

الغناء وعروض السينما أو حتى مباراة كرة قدم في البرازيل أو ألمانيا .. يبحث عن المتعة واللهو

مضت حفلة الوداع بسلام دون مجون وزنا ، وعجبت بعضهن من عدم دعوته فريدة عشيقته

فقال : هذه الحفلة من تدبير سلوفانا

فقال احدهم متهكما : أنت محظوظ بها المرة السابقة .. ليلة القط الأسود .. شوهت الحفلة بتعريها

ورقصها أمامنا دون حياء.. فظننت نفسي في كباريه باريسي.
قال آخر : هناك التعري قطعة قطعة هكذا الحضارة في باريس وعموم أوروبا.
قال نذير : تعرت ؛ لأنها تعلم ضعفي أمام التعري ، وكانت آخر معاشرة لي معها .. لقد تعبت ومرضت أو تجدد المرض بسببها .
ـ معقول ! التزمت بأمر الطبيب !
قال : كان لابد من فعل ذلك.. الشراب والجنس أهلكاني .
قال : وضعك خطير اكثر مما نعتقد .
قال : فسلوفانا لا أقربها .
ـ ازعجني أمرك .. جميلة زوجتك !
قال : اذا مت يا بسيل مباركة عليك.
قال بسيل صديق اللهو والقمار والسكر والنساء : عجيب أمرك يا نذير ! إنها تقول لنا أنا تزوجت المال ولم أتزوج نذيرا .. قلبها لا يعرف الحب ، ولا حتى حب زوجها الأول
قال: لا أعرفه ولم اره ، سمعت عنه لما عرفني والدها بها كانت مطلقة ، هؤلاء الترك عجيبون رغم ما نراه في الأفلام والسينما التركية من إباحية ودعارة ، فهم يملكون الأخلاق.
قال: أتمنى لك الشفاء يا صديقي ! لا تظن أنني أتمنى لك الموت لأتزوج منها.

ضحك السيد: أنا قلت افعل .. اقنعها بالزواج منك وأنا حي.. فاجتهد بعد موتي.
قال: كأنك تودعنا يا نذير ! كلامك مخيف!
قال: أليست هذه حفلة الوداع ؟! الموت قريب .. كنت أتمنى أن تحبك لأخلص منها ، وأتزوج غيرها .. اجتهد ربما تراك الزوج القادم .
قال: أترث مالك؟
قال: كل المال تقريبا ، لا وارث لي كما تعلم ، فلا ابن ولا أب
قال: علمت أن أباك قابلك في الشركة.
قال: يريد مليونا كقرض. . كل ثروتي مسجلة باسم سلوفانا اذا مت فدبر حالك .
قال: صدق يا سيدي أني احب لك الشفاء .. أنا لا انكر غرامي وعشقي لسلوفانا فأتمنى لك العودة معافى.
قال: أنا قبلت حبك لها على أمل أن تعرف سلوفانا حب الرجال .. مرت عليّ لحظات أشك بخيانتها لي ؛ لكنها تتظاهر بالزهد بالرجال والجماع.. رغم تقبليك لحذائها فشلت سيد بسيل
قال مقرا: فعلت ذلك في احدى السهرات .. زوجتك عندما تسمح لاحد بعصرها واحتضانها يظن أنها ستسلم له نفسها ، ثم تستيقظ كأن لم يكن شيء حدث.
قال: ليست بائعة هوى زوجتك ريما.. بينها وبين

سلوفانا بعض الشبه

قال: ليست طاهرة .. اعلم أنك سعيت للإيقاع بها ؛ ولكنها لا تحبك شخصيا تراك ماجنا للغاية

قال: لها مغامرات!

قال: حاول من جديد اذا رجعت معافى من أمراضك وعجزك.

****

بعد هذه الحفلة الوداعية بليتين غادر نذير المدينة إلى دولة مالطة الجزيرة في البحر المتوسط لقضاء بضعة أيام قبل الانتقال لألمانيا ؛ حيث سيدخل مشفى للعلاج من مرض الكبد ؛ لأنه لا يعمل بشكل جيد ، وقد تعالج منه سابقا قبل سنوات عندما زار ألمانيا أول مرة ، فألمانيا بلدان وحدها بسمارك بدولة واحدة ، وبلد أدولف هتلر زعيم الحرب الثانية والحزب النازي الشهير في العالم.

ومالطة جزيرة وهي دولة تعيش على السياحة ، وتعتبر ضمن قارة أوروبا كقبرص فهي مليئة بالفنادق والمطاعم ، قدم أصدقاء نذير في الجزيرة لتحيته والترحيب به ؛ حيث نزل في احد الفنادق الكبيرة كعادته ، وفي نهاية السهرة دعاهم احد الأصدقاء لرحلة صغيرة على يخت يملكه حديثا ، فقبل نذير الدعوة ولرؤية اليخت ، واعتذرت سلوفانا لشعورها بالتعب والإرهاق وطبيبها المرافق فضل البقاء معها ، وسعى نذير خاتم للاعتذار عن رحلة اليخت الخاص ؛

ولكن الصديق أصر على صحبته والاستمتاع معه برحلة قصيرة في الجزيرة .

فقالت الزوجة أمام الإصرار : اذهب . وعليه أن ينتبه لصحته والشراب والنساء ، فوعد الصديق ألا تصحبهم نساء على اليخت فقط خمر ، وسيبعد نذير عنها ، في الصباح قدمت سيارة الصديق بسائق وقاده للبحر حيث يرسوا اليخت ، واستقبل في اليخت خير استقبال وترحيب وافطر مع القوم ومع الظهيرة ابحر اليخت في عباب الماء يحمل رفاق الرحلة ليجوب البحر عدة ساعات ، ودارت الكؤوس والفواحش في اليخت حتى الليل، ولما رسا اليخت ليلا على شاطئ الجزيرة كان نذير يظهر لهم في غاية التعب والضعف ، ولما وصل الفندق امر الطبيب بنقله للمستشفى ، واختار نذير مستشفى قريبا من الفندق ، وادخل غرفة العمليات في المستشفى الذي طلب الانتقال إليه ، وقرر فريق العلاج إجراء عملية قسطرة لقلبه بسبب أعراض الجلطة وبسبب زيادة التهاب الكبد ، ثم تأجلت العملية إلى ظرف آخر لضعفه ، قضى أياما في المستشفى واعترف لطبيبه وزوجته بممارسته الجنس مع فتيات القارب وتعاطيه الخمر والإكثار من الطعام.. ونسي نصائح سلوفانا ولوقان ، وقد استاءوا من تحويل الرحلة لمالطا قبل

ميونخ .
قالت: هل اتصلت بمركز العلاج الألماني وأخبرتهم عن سبب التأخير؟
قال الطبيب المرافق : نعم فعلت ، سيكون نقله وسفره خطرا على حياته ، وزوجك للأسف خالف النصائح .
قالت: تعود على الزنا ، فهو من بداية شبابه يمارسه ، وأنا أشك أنه لم يفعل ذلك خلال الشهرين الماضيين أنا لم أسمح له معي ولا مرة ، وحتى قبل مرضة ليلة الحفلة كان قد قضى أشهر قبل أي معاشرة كما ادعى ؛ لكن لها عشيقات وومسات .. حياته الجنس والكحول .
قال لوقان : أرجو أن نصل ميونخ غدا بسلام مساء ، ونسلمه للمستشفى فوضعه ميؤوس منه فهؤلاء عاجزون عن متابعة العلاج ، وهو يدرك ذلك ، وقد غامر بنزهة اليخت والزورق ، نهذه اليخوت للدعارة فوق سطح البحر مثل الحانات والنوادي الليلية .. الإدمان على الزنا مشكلة عويصة.. المريض يجب أن يساعد طبيبه في علاجه ، ويسمع الإرشادات ويعمل بها .
قالت: إلى اللقاء يا دكتور صباحا .
قال الطبيب المرافق : شكرا مدام ! أتمنى أن نصل بسلام ، فأطباء ألمانيا افضل من أطباء مالطة، فهم ذو خبرة في علاج أمراض الكبد والقلب لعل وعسى

وفي الصباح قال الدكتور لسلوفانا: اتصل المستشفى قبل دقائق معلنا وفاة السيد نذير خاتم رحم الله الموتى جميعهم
قالت متظاهرة بالحزن : آمين يا دكتور ! فالموت خير له ، لو عاش سيبقى في فساده ، ولن يمنعه مرض القلب والكبد من الزنا .
قال الطبيب المرافق : أكيد .. من شب على شيء شاب عليه.

****

مرض الكبد الكحولي هو مصطلح يشمل المظاهر الكبدية للاستهلاك المفرط للكحول والتي تشمل الكبد الدهني ،والتهاب الكبد الكحولي ، والتهاب الكبد المُزمن المصحوب بتليف الكبد وتشمعه ، يؤدي استهلاك من ٦٠ إلى ٨٠ غرام يوميًا لمدة ٢٠ عام أو أكثر لدى الرجال ، أو ٢٠ غرام في اليوم للنساء إلى زيادة خطر التهاب الكبد وتليفه بنسبة ٧٪ إلى ٤٧٪ ، يُسرع التهاب الكبد سي أذية الكبد ، قد يؤدي سوء التغذية وخاصة نقص فيتامينات A وE إلى تفاقم تلف الكبد الناجم عن الكحول بسبب عدم تجدد خلايا الكبد. يشكل هذا السبب مصدر قلق بشكل خاص ؛ لأن مدمني الكحول يعانون عادةً من سوء التغذية بسبب النظام

الصحي السيء وفقدان الشهية والاعتلال الدماغي ، قد لا يبدي مرضى الكبد الكحولي في المراحل المبكرة أية أعراض، ولا يُكتشف المرض حتى الوصول إلى مراحل متقدمة ، يتعافى تشحم الكبد بعد التوقف عن تعاطي الكحول، بينما يؤدي استمرار تعاطي الكحول إلى زيادة خطر الإصابة بأمراض الكبد وتشمعه ، تشمل المظاهر السريرية للذين يعانون من التهاب الكبد الحاد الكحولي: الحمى واليرقان وتضخم الكبد ، حدوث اعتلال دماغ كبدي والحبن (تراكم السوائل في البطن). قد تكون ضخامة الكبد المؤلمة موجودة، لكن لا يوجد ألم بطني عادةً، في بعض الأحيان يشكل التوقف عن تناول الكحول الركيزة الأساسية في العلاج، ويجب على الأشخاص المصابين بالتهابات الكبد الفيروسية المزمن الامتناع عن تناول الكحول بسبب ارتفاع خطر التطور السريع لأمراض الكبد.

يتطور التهاب الكبد الكحولي نحو التشمع بنسبة تقدر بنحو ١٠- ٢٠٪ سنويًا ويصاب في نهاية المطاف ٧٠٪ منهم بالتشمع. يُحاوِل الكبد استعادة خلاياه للعمل. ومع استمرار عملية الإصلاح الكبدي تتكوَّن النُّدَب. وكلما تفاقم تليُّف الكبد، زاد التندُّب بكثرة، وزادت صعوبة قيام الكبد بوظائفه. والتليُّف الكبدي المتقدِّم يُهدِّد الحياة.

والتضرُّر الكبدي الناتج عن تَلَف الكبد لا يمكن شفاؤه. يُمكِن أن تتضمَّن مضاعفات التليُّف ما يلي: فرط ضغط الدم في الأوردة التي تُغذِّي الكبد (فرط ضغط الدم البابيِّ). يُبْطِئ التليُّف من تدفُّق الدم الطبيعي عبر الكبد، ومن ثم يزداد الضغط في الوريد الذي يجلب الدم من الأمعاء والطحال إلى الكبد ، تورُّم في الساقين والبطن. تضخُّم الطحال والنزيف. قد يجعل تليُّف الكبد من الصعب على جسمكَ معالجة المُغذِّيات؛ مما يُؤدِّي إلى الشعور بالضعف وفقدان الوزن. لن يستطيع الكبد المُتضرِّر من جرَّاء التليُّف تنقية الدم من السموم كما يفعل الكبد السليم. ويُمكِن لهذه السموم أن تتراكم في المخ وتُسبِّب التشوُّش الذهنيَّ وصعوبة التركيز. ويُمكِن أن يتطوَّر اعتلال الدماغ الكبديُّ، مع الوقت إلى عدم التجاوُب أو الغيبوبة. يحدُث اليرقان عندما تَعْجِز الكبد المريضة عن إزالة ما يكفي من البيليروبين من دمكَ، وهو نفايات في الدم. يُسبِّب اليرقان اصفرار الجلد وبياض العينين وتَغَيُّم البول. يؤدي إلى زيادة مخاطر الإصابة بسرطان الكبد . نسبة كبيرة من الأشخاص الذين يُصابون بسرطان الكبد تَسبِق إصابتهم بتليُّف في الكبد.

العلاج لا تتناول المشروبات الكحولية إذا كنت مصابًا بتليف الكبد. اتَّبع نظامًا غذائيًّا

صحيًّا. اختر حِمِيَة نباتية مليئة بالفواكه والخضراوات. اختر الحبوب الكاملة ومصادر البروتين الخالية من الدهون. قلِّل من كمية الأطعمة الدهنية والمقلية التي تتناولها. إن مشاركة الإبر في تعاطي المخدرات وممارسة الجنس دون ارتداء واقٍ، يمكن أن يزيد من خطر إصابتك بالتهاب الكبد B وَC.

ما هو الكبد : هو عبارة عن غدة هضمية ملحقة بالجهاز الهضمي تنتج الصفراء ، مركب قلوي يساعد في تحطيم الدهون وعضو موجود فقط في الفقاريات يقوم بإزالة السمية من المُستقلَبات المختلفة وينتج المواد الكيميائية الحيوية اللازمة لعملية الهضم في الإنسان تشمل أدواره الأخرى في الاستقلاب: تنظيم تخزين الجليكوجين، تَفَكُّك كريات الدم الحمراء، وإنتاج الهرمونات. يتألف نسيج الكبد عالي التخصص من خلايا كبدية، تنظم مجموعة واسعة من التفاعلات الكيميائية الحيوية ذات الحجم الكبير، بما في ذلك تركيب وتحطيم الجزيئات الصغيرة والمعقدة، إذ أن العديد منها ضروري للوظائف الحيوية الطبيعية. تختلف التقديرات المتعلقة بالعدد الكلي لوظائف الكبد، يقوم بشكل عام بـ ٥٠٠ وظيفة. يتم تنفيذ الوظائف المختلفة للكبد بواسطة الخلايا الكبدية. يقوم بوظائف منفصلة ، ومشتركة مع الأجهزة والأعضاء الأخرى . الكبد هو العضو البشري الداخلي الوحيد القادر على التجديد الطبيعي للأنسجة المفقودة، وعمومًا تشمع الكبد مرض لا يمكن الشفاء منه، وعادةً ما يركز العلاج على منع تفاقم المرض وزيادة مضاعفاته. ويكون الخيار الوحيد المتاح في المراحل المتقدمة من تشمع الكبد هو عملية زرع الكبد.

**

عادت سلوفانا وصديقها الطبيب بجثة نذير داخل صندوق تابوت إلى الوطن ، وعملت له طقوس الدفن والموت حسب الشريعة الإسلامية، فهو مسلم من أب مسلم وأم نصرانية برازيلية ، وأقيم له العزاء على نفس العادات العربية من إقامة سرادق داخل القصر ، وحضر مجموعة من القراء يتلون القرآن عن روح نذير ، يتناوبون القراءة ، وربما أول مرة يصدح القرآن في القصر قصر الطالع .

تقدم الأصدقاء والمعارف والموظفون في شركاته لعزاء السيدة ووالديه الذين حضرا للمشاركة في الدفن والعزاء ؛ فليس له ذرية ، وأم سلوفانا قدمت من ميونخ لمواساة ابنتها وتطمئن عليها وامتلأت الصحف بصوره من المعزين والنقابات

والتجمعات ، وذكرت بعض الصحف مسيرته في عالم المال والبزنس ، وبينت نجاحه في الإدارة والمال في البرازيل وألمانيا والوطن.

وأعلنت سلوفانا للعموم والصحف أنها ستقيم مشفى خاص باسمه عن روح نذير لمعالجة أمراض الكبد ، وطلبت من الدكتور العائلي بوضع الخطط لذلك المشروع الطبي.. وحين ترث المال سيتم الإنشاء الفعلي للمشروع.

أنفقت السيدة بعض الأموال لجمعيات الفقراء عن روح زوجها مما ادهش أصدقاء العائلة فنذير لم يعرف عنه التصدق ولو بدرهم واحد لجمعية البر والفقراء ، كان يتبرع لأندية رياضية جمعيات علمية وثقافية ، أرسلت السيدة لجمعيات خيرية في مصر وتركيا لها صداقات بها ، وأصبحت رئيسة مجلس الإدارة لشركات ومصانع الشمس المشرقة عمليا ، وكلفت علي يوسف بالاستمرار بالإدارة حتى تلتقط أنفساها .

رغبها والداها بالعودة لميونخ وتصفية أموال نذير فاعتذرت وقالت: سأبقى هنا أدير أعمال نذير . ولما ينته المستشفى الخاص ستفكر بأين تستقر ، وعرض عليها شقيق نذير السيد سمير أن يدير الأملاك وثروتها ، فشكرته ، وتمنت له التوفيق ، ولما رأت كثرة تردده على القصر طلبت منه أن لا يجلب لها الشبهات ، فغادر المهندس سمير البلد لما رأى منها الجفاء والريب والحذر إلى مصر ثم أمريكا الجنوبية حيث أعماله ، وأخذ الصيادون يحومون حول ثروتها الكبيرة .

قال بسيل لسلوفانا: أدعو لك بالتوفيق في إدارة ثروات الصديق نذير ، كان نعم الأخ والصديق.

قالت السيدة : كيف أنت يا ريما ؟

تبسمت ريما وقالت: بخير ..قررت البقاء في بلادنا!

قالت السيدة : نعم ، سأدير أعمال زوجي وأتابع إقامة المشفى.. فالسيد كان عزيزا على قلبي وقبلت كل أفعاله السيئة كما اتفقنا عند الزواج .

قال : لم تحبيه يوما، كان يقول ذلك لنا!

قالت السيدة : هو الذي كان يقول هذا سيد بسيل ، ولست أنا ، هو يزعم أني تزوجت ماله وها هو ماله اصبح لي بإرادته.

قالت ريما: كان مفتونا بالنساء وكنت تتحملين !

فقال بسيل : سلوفانا سيدة عظيمة يا ريما مستعصية على الإغواء!

قالت السيدة : كل الرجال كذابون ، يتحدثون عن الحب من اجل صيدنا ومعاشرتنا يركضون وراء الشهوات باسم الحب .. نذير كان صريحا وشجاعا معي منذ البداية ، وأصر على الزواج مني ، ورخص لي بفعل ما أشاء .. وكان يعجب من عدم استسلامي للرجال يا ريما مثل نساء وبنات

الأصدقاء .. نحن التقينا في نادي أثناء مشاهدته لي وانا أعوم في حوض سباحة، وكنت مطلقة ، ولم اسمح له بالنوم معي رغم محاولاته الملحة والمغرية ، فاستسلم للزواج لينال من جسدي ، وها هو الجنس قضى عليه ، ولم يهتم بتعاليم الأطباء ـ رحمه الله ـ أبي احب زواجي منه وقال :سوف يكبر ويترك هذه السفاسف .

قالت ريما : سعى للنيل مني واغدق عليّ من الهدايا والمال وعلى علم من بسيل حتى أنه تحدى

بسيل أن ينال منك وما زال يهواك.

قالت السيدة : وها هو يكاد يبلعني بعينه ، أنا لا احب الجماع والاتصال كثيرا .. لا أدري لماذا

يا دكتورة ؟!

قالت: أنت ستديرين شركات نذير!

قالت السيدة : هذا ما يريده ـ رحمه الله ـ سأتابع الأعمال بجهد بسيط واترك الإدارة لعلي يوسف ورفاقه .. والدكتور علي هو القائم بالعمل في حياة نذير ، تغير بسيط.

فقال: نذير مات.. فعليك بالحذر والحرص فنذير يحسن المتابعة والفهم والألاعيب

قالت السيدة : سأفعل وسأنجح .

قال: نرجو ذلك

قالت السيدة : شكرا دكتور باسيل دكتورة ريما.

الثروة

أخذت سلوفانا تتردد على الشركة والمجموعة الشمس المشرقة ، وتجلس مع الدكتور علي ومعاونيه ، وتجلس في مكتب زوجها تشرب القهوة معهم ، وتسمع ملاحظات علي وغيره وتوقع على ما يحتاج لتوقيع بوجود المحامي الخاص بها عند حضوره.



كانت تقدم لها العقود باللغة الإنجليزية مترجمة عن العربية فهي ألمانية من اصل تركي ولدت في ألمانيا وتعلمت الإنجليزية والتركية ولغتها العربية ضعيفة ، تترك المكتب ظهرا برفقة المحامي الخاص بها ، هو ينصرف لشركته إلا اذا دعته للقصر للغداء معها ومتابعة أوراقها وبعد الغداء تنام بعض الوقت ، ولما توقظها الخادمة تقدم لها الفاكهة والشراب ، ثم تطلع على البريد مع جومار في مكتبه ، وهي قد أوقفت الحفلات والموسيقى لثلاث شهور منذ وفاة نذير وتقوم بالسهر مع الأصدقاء للدخان والشراب ، ولا تخرج لحفلة أو سهرة خارج القصر احتراما لروح زوجها.

قال جومار: السيدة الدكتورة فريدة ترغب باللقاء بك اتصلت مرتين.

قالت السيدة بتأفف : نذير ومات ! ماذا تريد ؟ من يوم العزاء لم أرها ولم تتصل.. هل ما زالت مطلقة؟!

قال جومار: نعم ، اخبرني زوجها منذر أنه رفض الوساطات، وهو يرسم على زواج جديد

قالت السيدة بدهشة : معقول!

قال جومار: سمعت ذلك منه.. هل اتصل بها ؟

قالت السيدة : ما أخبار بسيل وريما؟

قال جومار: سافر أمريكا في زيارة خاصة .. واعتقد ريما معه.. له شقيق متورط في قضية بوليسية هناك.

قالت السيدة : هل طلب مساعدة منا؟

قال جومار: علمت هذا من بعض الأصدقاء ، هو لم يخبرني بالسفر .. بعض الأسر التركية من أصدقائك يرغبون بالزيارة .

قالت السيدة : ادعهم للمجيء هؤلاء من أقارب أبي .

قال جومار: السيدة فريدة!

قالت السيدة : ماذا تريد؟!

قال جومار: لست ادري طلبت الحوار معك.

قالت السيدة : اعرف هدفها من الزيارة .. نذير ومات.. كانت عشيقة السيد ـ رحمه الله ـ فقط لم اكن استوعبها عاهرة !

تبسم جومار فقال: كانت سخيفة ولا احترام لك ولا القصر.

قالت السيدة : اذا عرفت الغاية من طلبها ، فحدد لها الوقت المناسب.. أنا لا أطيقها ولا احب رؤيتها ؛ ربما ترغب بالتوسط بينها وبين منذر.

قال جومار: قد يكون ذلك السبب .

قالت السيدة : حسنا يا جومار ! مدربة الرياضة هنا

قال جومار: إنها في غرفة التدريب تنتظر حضرتك

قالت : شكرا جومار أنت إنسان لطيف !

قال جومار: شكرا سيدتي أنا في الخدمة !

تركت مكتب جومار ، ونزلت قاعة الرياضة ، صافحت المدربة ، ودخلت غرفة الملابس الخاصة بالتمارين ، وعادت لقاعة الرياضة ، وبدأت بالتمارين الحركية ، وتابعت على أجهزة الحركة ، واستمر التمرين ساعة، ودخلت الفرنسية تعلن وصول بعض الضيوف، وأخذت المدربة بمسح العرق عن جسد السيدة ، ثم دخلت حمام القاعة ، واغتسلت ولبست ثيابها بمساعدة الفرنسية ، وقبلت المدربة ، وصعدت لصالة الاستقبال ، ورحبت بالضيوف وكانت النسوة بصحبة أزواجهن ، وتحدثوا حول الفن والأفلام والملابس الحديثة والموضة في أوروبا ، وتحدثوا عن ثروة نذير ، وذكرت لهم أن زوجها ترك كل ماله لها قبل موته.

قالت: أصبحت المليونيرة بدلا من نذير .

قالت السيدة ضاحكة : كنت زوجة المليونير !

قال: هل من عريس؟

قالت السيدة ضاحكة : لابد من ذلك.. ما زلت دون الأربعين .. طلقني كارل ، ومت عن واحد .

قالت: هل من احد ؟

قالت السيدة : أمي تحدثني عن احدهم في ميونخ من أقارب أبي ابنه من رجال المدينة

قال: كان زوجك عمل في النهار ولهو وقمار في الليل

قالت السيدة : نعم هذه حياته ، وكان أحيانا ينزل قاعة السينما في القصر لمشاهدة الدعارة

قالت: عليك أن تدخلي البرلمان .

قالت السيدة ضاحكة : لا احب السياسة ، ولا الضحك على الشعب ، ونذير لم يكن يحبها ولكنه كان يدعم ويتبرع لحملات بعضهم ، وكانوا لا يقصرون في حاجته وخدمته.

****

عندما تزوجت السيدة نذيرا كانت بنت ثماني وعشرين ، وأمضت ثمانية مع نذير في زريق وقبلها عامان في ألمانيا ، وكان السيد عاجزا عن الإخصاب، فلم تحمل منه ؛ فلذلك بعد انتهاء عدة الموت دعت رؤساء عدد من الجمعيات الخيرية إلى حفلة في فندق فخم لتأبين زوجها وتوزيع أموال عن روحه ، وبعد وجبة طعام وكلمات رثاء في نذير وزعت المال على مندوبي الجمعيات ، وقدر لها الأصدقاء والدكتور علي وطبيبها الخاص الوفاء لذكرى نذير .

ذكرنا أن شقيق زوجها سمير خاتم سعى لتقديم خدماته لها طمعا بالزواج منها، فرفضت وطلبت منه مغادرة القصر ، وأنها لا تفكر بالزواج ، فتركها ساخطا حاقدا وعاد لأعماله في أمريكا اللاتينية وعشيقاته ، وذكرت لها أمها زوجا من معارف وأقارب والدها طبيب أخصائي قلب ، واعتذرت عن الزواج ، وأن الزواج ليس من أولوياتها في الوقت الحالي .

علمت أن بسيلا عاد من أمريكا من جومار وله رغبة باللقاء بها ، فسمحت بذلك ولزوجته معه، جاء بسيل القصر برفقة ربها استقبلتهما سلوفانا : أنا لا انكر صداقة نذير لكما كيف صادقت نذيرا ؟

قال: ألم يخبرك المرحوم؟

قالت السيدة : لم اكن احب سؤاله ذلك .. فهذا سخيف! لكلٍ رفاقه وأصدقاؤه .. أليس هذا صحيحا يا مدام؟

قالت بهز رأس : صحيح.. نحن عرفناك عن طريق السيد ، وعرفته عن طريق زوجي طبيب العيون .

قالت السيدة : أعرفته عن طريق العيادة إذن.

قال مصححا : عرفته عن طريق نادي القمار الخاص بنا فايف كلب ، هو ليس محترفا للقمار هو صياد نساء ، ففي هذه النوادي تأتي الزوجات لمساندة الأزواج ببيع لحومهن للفائزين ، وتعرف على منذر وفريدة أولا .. هو يلعب للتسلية وللمغازلة ، ويكون في النادي من علية القوم ورجال البزنس .. لهو وعمل .. ليلة كنت ألعب في فايف كلب.. فأنا احب القمار ولا أغامر كثيرا مثل نذير .. ألعب عن مبلغ معين ؛ فاذا خسرته أتوقف فورا وبصرامة واهرب ، وكنت ألعب مع نذير ففاز وكسب مني وتوقفنا عن اللعب وتصادقنا اكثر ، وعرف مهنتي وأعادها إليّ بدلا وأجرة لفحص عينيه وصرنا أصدقاء، وسمح لنا بالتعرف على القصر وساكنيه ، فتعرفنا عليك ووقعت من نفسي موقعا حسنا ، ورجلك هوي ريما ، وسمح لي بالقرب منك وتحداني أن أنال منك ليلة بصراحة، فعجبت من ثقته بك ، وهو الخليع الماجن .. حياته النساء .. أدركت مع الوقت أنك صعبة رغم الاستهتار منك أحيانا ؛ لكنك لا تستسلمين لاحد حسب علمي ، ولا تحبين العلاقات الجنسية ، وفشل هو بإقامة علاقة مع ريما

قالت ريما: فلنتحدث بموضوع آخر يا بسيل ، ليس لكم إلا الحديث عن النساء والمتعة معهن

فضحك وقال : ولماذا خلقت النساء والغريزة فينا والملابس والإغراء ؟وأنا أقول أمام السيدة اذا قبلتني زوجا على استعداد لطلاقك .

قالت سلوفانا : أتقبلين يا دكتورة؟!

قالت: عند الجد افكر ، أنا اعلم كم راودك ! وقبل حذاءك لينام معك، وفشل .. وأعجب منك وزهدك في الذكور ! .. جمال .. ملابس .. عطر.. احتضان الرجال والقبل أثناء الحفلات ثم كأن لم يكن شيء حدث.

قالت السيدة : تعودت على ذلك السقوط من أيام زوجي الأول ثم الاستيقاظ ؛ لكن لم استسلم لأحدهم بعد طلاقي منه .. وحاول صاحبكم نذير بكل جهد قبل الزواج ، قلت الجماع إلا بالزواج ، رغم كثرة الحفلات والمناسبات التي شاركنا فيها سوية .. فقبل الزواج على أن لا أغار اذا اتصل بأي امرأة.. فوافقت.. لذلك يزعم أني تزوجت ماله.. وأعلم يا دكتور زوغان عينك ورفاقه لهذا الجسد .. وهذا طبع الرجال حتى ولو كانوا متزوجين.. ولما تطلق ريما قد افكر بك زوجا .. لم ارتبط بأحد.

قال: ألا تحبين الإنجاب قبل فوات الأوان؟

قالت السيدة ضاحكة : احب الرحلات والسياحة والثياب .

قال: العشق!

قالت السيدة ضاحكة : لم اتخذ عشيقا من قبل ولا أظن.

قال بسيل : زعم نذير مرة أن لك عشيقا سريا .
قالت السيدة : نذير قال ذلك! فدعك من التفكير بي زوجة أو عشيقة
قال: أعندك عقدة من الرجال ؟
قالت السيدة : قل ذلك ، عرفت في الثانوية رجلا أحببته كما تحب المراهقات ، وفجأة احب زميلتي ، وتركني ، وتكرر ذلك معي في الجامعة .. يحبونني ثم ينقلبون لصديقاتي.. فهم يحبونك للزنا ، فلما يفشلون في مآربهم ينتقلون لأخرى طمعا مني باسترضائهم .

قصص وحكايات الفوارس

سيف الزمان وجميلة

الحلقة الأولى

الملك خصيب

كان الملك خصيب بن مرار يجلس في ديوانه الكبير بين أمرائه وأعوانه ، وبين يديه وزيره الأكبر غراب بن عقاب ، وكان القوم يتحدثون ويتهامسون ويتنادرون ويضحكون ، والملك ينظر إليهم بصمت وكآبة ، ولا يشاركهم مرحهم وفرحهم وتندرهم مما لفت نظر الوزير غراب فاقترب منه قائلا : مولانا الملك ما الأمر ؟!
حدق الملك الساهم بوزيره مرة أو مرتين ، ثم هزّ رأسه بضع مرات ، ولم يرد ، فكرر الوزير السوأل ظانا أن الملك لم يسمعه جيدا ، فعندئذ قال الملك بعد تنهد عميق : آ .. يا وزيري .. إنني مهموم .. حزين !
فتظاهر الوزير بالحزن ، وقال بحزن ورقة : ويحي !! ما الذي يكدر ويحزن مولانا الملك ؟! عسى أن نفرج همه وحزنه .
فتنهد الملك مرات عدة ثم همس : ولدي الكبير ما زال رافضا للزواج يا أبا عقاب .. وأنا أرغب أن أنكحه امرأة قبل هلاكي ؛ لأرى أحفادي وأسعد بهم .. أخشى أن ينقطع نسلنا يا وزيري .. فولدي الصغير كما تعلم مريض وعليل ، ولا يستطيع الإنجاب رغم أنني كما تعلم أنكحته مرتين ، فلم يفلح بالإنجاب ، ولم يقدر له الله العظيم ذلك ، وأما الأمير قيس فقد تجاوز الثلاثين سنة وما زال مصرا ورافضا لفكرة الزواج .
فقال الوزير مواسيا مولاه الملك خصيب : لا تحزن يا مولاي ! .. التدبير كله بيد الله .. وأنا تحدثت أكثر من مرة مع ولدك الأمير قيس في هذا الأمر، وهذه الرغبة ؛ ولكنه عنيد .. وقد تكلم معه ولدي صقر، وهو صديقه ورفيقه وخليله ، وأظهر لنا تعجبه من عدم ميله للنساء والجميلات .
فقال الملك: وهذا ما يخيفني ويزعجني !..أخشى أن تندثر سلالتنا يا أبا عقاب ، ويزول ملكنا ويتحول لأبناء عمومتنا .
فقال الوزير : سوف أتكلم مع الأمير قيس مرة

أخرى ، إئذن لي الآن بزيارته ، فهو الآن يلعب في قصر الأقواس ، فكما علمت من ولدي صقر أنهما اليوم يجلسان في القصر ، فهما يستعدان لرحلة صيد في البراري والوديان .

فهمس الملك والحسرة تملأ كيانه : ما أكثر ما يذهب للصيد !! يا ليته يصيد غزالة إنسية ! حاول أيها الوزير الشجاع لعل الأمر يجري على يديك .

فسلم الوزير على الأمراء ، وغادر الديوان ، وركب جواده وتبعه خادمه ، ومشيا نحو قصر الأقواس ، وهذا القصر من القصور الكبيرة والقديمة في بلاد الملك خصيب بن مرار ولما دخل الوزير ذاك القصر علم أن الأمراء والفرسان قد خرجوا للصيد مبكرين ، فتردد الوزير قليلا مفكرا ، ثم تابع المسير وراء الأمير قيس وأصدقائه الفرسان ، ومع المساء وقبل حلول الظلام أدركهم ، ولما علموا بقدومه جفلوا وخافوا وظنوا أن أمرا سيئا قد حدث للملك ، فلما طمأنهم على حياة الملك وعافيته عاد الهدوء لأعصابهم ونفوسهم ، وبعدما أكلوا ما أعده لهم الخدم والغلمان ، قال قيس : ما الذي دفع بوزير أبينا الملك للحاق بنا ؟! لابد أن الشأن خطير!

فقال الوزير : جئت للحديث معك أيها الأمير .. وتحدث الوزير عن حزن أبيه وهمه وغمه وقلقه على الملك وعلى الحكم ؛ ولما انتهى من شرح مراده للأمير الوارث لعرش بلاد الرايات قال الأمير قيس : ألا يريد أبي أن يبقى الأمل في صدري .. يا عماه ؟! أخاف إن تزوجت ولم أنجب الولد المطلوب ، فماذا يحل بي ؟ بل ماذا يحل بأبي ؟! الملك بيد الله يؤتيه من يشاء .. ها هو أبي تزوج عددا كثيرا من النساء ولم ينجبن إلا البنات .. وذا أخي المسكين سعيد تزوج امرأتين ولم يخلفن منه .. فظهر أنه عقيم ..فلماذا لا يبقي الأمل في نفسي يا عماه ؟!.

وأخذ الوزير يتحدث ثانية عن حزن وغم وكرب الملك وميله الشديد ليراه متزوجا ، وبعد إلحاح شديد وحديث من الأمراء وضغط من الجميع على الأمير الفارس قيس بن خصيب قال الأمير مستسلما : لقد سمعت كثيرا أيها الأسياد ! .. وأنا سأحقق هذا الحلم للملك خصيب ابن مرار وأجرب الزواج .

فصفق الجميع من الفرح ، وارتفع صوتهم بالسعادة والغبطة ، فهم يعلمون كم تؤرق هذه القضية سيد البلاد وملكهم المحبوب ! ولما خيم عليهم الصمت من جديد ، فقال الأمير قيس : يا وزير بلادنا !.. أنا سأحقق رغبة أبي بالزواج ؛ ولكني لن أتزوج أيّ فتاة ؟ .. لقد سمعت بفتاة جميلة حسناء يضرب بها المثل في الحسن والجمال والبهاء ..

لمعت وتوهجت عيون الجميع على وهج النار ، فقال الوزير بتردد وبطء : من هي هذه الحسناء يا ابن الأجواد ؟!

فعلق صقر بن غراب قائلا وهو متذكر لماض قريب : أخشى يا قيس أن تكون هذه الحسناء الفتاة التي رأيناها قبل شهور في وادي الثعالب ؟!

فصاح قيس وهو يتظر لصديقه صقر : نعم .. هي يا صقر .. قلت يومها لنفسي إن فكرت بالزواج لن أتزوج إلا من تلك الفتاة أو مثلها إنها جميلة وشجاعة .

فقال صقر : ولكنها عاشقة ! .. ألم يقل لنا الفارس الذي كان يرافقها إنه يحبها ، وهي ابنة عمته يا سيدي الأمير ؟

فقال قيس : كأنه قال ذلك ؛ ولكنه لم يكن خطيبها ، ولم تشر هي إلى ذلك .. وهي ابنة ملك .

فقال الوزير : من هي هذه الساحرة التي تتكلمان عنها ؟!

قال قيس متابعا ومبررا : كما علمنا من الشاب رفيقها أو حارسها أنها الأميرة سلمى ابنة الملك جعد بن همام..

هتف الوزير فرحا : الله .. الله !! .. هذا الملك من أبناء عمومة أبيك .. وجدكم واحد حسنا أيها البطل ! سنرسل إليهم وفدا ، ونرى ما يكون .

ومع الفجر تابع الفرسان رحلة صيدهم ، وقفل الوزير مسرورا إلى الملك خصيب وقص عليه الخبر ، فطار الملك فرحا ، وعاد إلى قلبه السرور والابتسام ، وأعلن الأفراح في البلاد لموافقة الأمير على الزواج .

لقد غمرت الأفراح قصور الملك والأمراء على استسلام الأمير الوارث وقبوله بالزواج ، ولكن شاب فرحهم قلقا بأن ترفض الأميرة سُلمى ابنة الملك جعد بن همام الاقتران بولي عهدهم وملكهم في المستقبل ، وقد تسّار الملك مع وزيره في هذا القلق ، وبعد تأمل ونظر استعد الوزير غراب بنفسه للذهاب إلى بلاد الأكباش أو أبو كبشة حيث يحكم الملك جعد ..ولما تجهزت الهدايا المناسبة ، وجهز الوفد المرافق ، سار بهم الوزير غراب ليلا ونهارا إلى تلك البلاد ، وبعد حين اقترب منها ، فأرسل بعض غلمانه رسلا للملك جعد الذي تلقى خبر الزيارة بدهشة واستغراب وأرسل وزيره النبهان لاستقبال الوزير غراب وزير ابن عمه خصيب ، ولما التقى الوزيران تعانقا عناق الأصحاب ، وتصافح الرجال مع الرجال ، ومشى الوزير النبهان أمامهم إلى قصر الضيافة ولما اطمأن عليهم ، ورتب أمر طعامهم وشرابهم قال : الملك في انتظاركم يا ابن العم !

فأثنوا عليه الثناء الحسن ، وشكروه على حسن وفادته واستقباله ، وعند المساء سار الوزير غراب

والوفد المصاحب له إلى قصر الملك جعد الذي رحب بهم ، ورحب بزيارتهم ، وقبل هدايا ابن عمه خصيب ، وسأل عنه وعن صحته وأخباره ، ثم أفصح له الوزير غراب عن القصد والغاية والدافع لهذه الزيارة ، وقال الملك بعدما سمع الكلام ووعاه : مرحبا بكم ، ومرحبا برسول ابن عمي .. وبعد أيام ثلاثة ستسمعون الجواب .. وحياكم الله وبياكم في ديارنا

ولما انصرف الضيوف تحدث الملك جعد مع كبار الأمراء وقادة الفرسان وأهل مشورته بأمر هذا الزواج ، وسمع منهم الكلام ، وكان أكثرهم يرفضون تزويج الأميرة في بلاد بعيدة وأن قومها وأهلها أولى بها ، وكان أشد الرافضين خالها نحاس ، فهو كان يطمع بأن ينكحها من ولده الفارس ماجد حارسها الأمين وحارس قصرها ، ثم صرفهم الملك بعد السماع ، وأبقى وزيره النبهان الذي أثنى بدوره على الملك خصيب ، وأنه من الفرسان الشجعان والملوك الكرام ولا يتردد في مساعدة المظلومين ، وأن ابنه هو ملك المستقبل ، وفي المصاهرة للكرام تتقوى الصلات والعلاقات ، وختم كلامه أن الرأي النهائي للملك والأميرة نفسها .

وتشاور الملك بعد ذلك مع زوجته أم الأميرة سُلمى ، فأنكرت هذا الزواج ، وذكّرت الملك أن الأميرة هواها مع الأمير ماجد ابن أخيها ، وهم ينتظرون اللحظة المناسبة لفتح هذا الموضوع وهذا الزواج ، وأمام أمها أظهرت الأميرة رفضها للعريس الأمير قيس ، وأمام أبيها عندما انفرد بها تركت الأمر له ، وأنها لا تريد إثارة القلاقل بهذا الزواج ، وكان الملك جعد نفسه يكره زواج ابنته من ابن خالها ؛ ولكنه لا يريد إثارة الصراع داخل المدينة فأخوال الأميرة وعشيرتهم كثر ، وفرسان لا يستهان بهم حين النزال والمعارك العظام ، فالتقى بخال الأميرة ووزيره ، وبعد حديث قال الملك جعد : الرفض أيها السادة سهل ؛ ولكنه سيوغر صدر ابن عمنا علينا والأيام دول ، ومجاملة الملوك لابد منها ، والاعتذار لهم ليس كالاعتذار للسوقة ..وبعد تفكير وصلت لأمر سأعرضه عليكم .. فإن لبى ابن عمنا طلبنا نزوجه ابنتنا ، وإن اعتذر نكون قد تخلصنا منه بأدب وذكاء وفطنة ، وبقي حبل الود متصل بيننا .

ولما حضر الوزير غراب إلى ديوان الملك جعد ليسمع الجواب قال الملك : أيها الوزير الحكيم وزير ابن عمي خصيب ..اعلم أنني شاورت الأهل والقوم ، فمنهم الرافض لهذه المصاهرة ، ومنهم المبارك ، وحتى لا يغضب علينا ابن عمنا .. فنحن نطلب منه ثلاثة مطالب ؛ فإن وافق عليها حصل الزواج .. فما تقول ؟!

فقال الوزير بقلق : اشرط أيها الملك ..فأرجو أن يوافق سيدي الملك على شروطكم ..فما الشرط الأول ؟

فقال الملك : فنرى أن يهبنا الملك خصيب جواده العظيم دموع

فقال الوزير : أرجو أن يوافق مولانا الملك فالفرس دموع عزيزة على الملك خصيب .زهات الشرط الثاني ؟

فقال الملك : لقد سمعنا عن سيف الملك فردوس .. سيف ملك الصين لابن عمنا خصيب .

فقال الوزير غراب : وهذه أصعب من الأولى إنها هدية ملك !

فقال الملك : وأما الثالث ..فأول مولود يولد للأميرة سواء كان أنثى أم ذكرا أن يربى ويحيا في بلادنا.. فاذهب بهن إلى مولاك الملك ، ونرجو أن لا تطول إجابتكم ؛ فإن ابن خالها الأمير ماجد بن نحاس طامع بنكاحها أيها الوزير الشجاع .

قفل الوزير غراب عائدا إلى البلاد ، وهو يحمل مطالب الملك جعد لقبول الأمير قيس زوجا لابنته سُلمى ، وبعد مسير طويل استغرق سبع ليال دخل الوزير والوفد على الملك خصيب في ديوانه العامر بالرجال والفرسان ، ولما تعانق الرجال كانت الاحداق تنتظر جواب وكلام الوزير ، فهمس قائلا :

هل أتكلم يا ملك الزمان بحضرة الناس ؟

فتلفت الملك حوله وهمس : هل رفض الملك جعد غايتنا ؟!

فقال الوزير : لم يرفض ولم يقبل وإنما اشترط شروطا .

فصاح الملك الشيخ : ارفع صوتك أيها الوزير أمام السادة الأكابر وأخبرنا بشروط ابن عمنا !

فسعل الوزير غراب عدة سعلات وقال : أيها الملك العظيم ! .. فالملك جعد ملك بلاد الأكباش بعدما شاور رجال قومه ووزيره وأهله ، بان له أن بعض القوم يرفض وخاصة خالها نحاس ، فهو طامع بأن ينكحها لولده ماجد ، وبعضهم راغب بمصاهرتنا يا ملك الزمان ، فأراد الملك جعد أن يخرج من هذا الحرج بحيلة لطيفة ، فاشترط ثلاثة شروط .. فأولها رغبته بملك فرسكم العظيمة والشهيرة دموع .

فبهت الجميع لهذا المطلب ، فهذه الفرس سليلة خيل ذات نسب عريق ، وهي عزيزة على الملك ولها معه تاريخ قديم ..ولما لم يتكلم الملك بشيء ، تابع الوزير غراب قائلا : وأما المطلب الثاني يا مولاي الملك ..رغبة الملك جعد بن همام بتملك سيفكم

سيف الملك فردوس .. سيف ملك بلاد الصين المشهور والمعروف عند الملوك والفرسان .

فقال بعضهم : هذا الطلب أشد من الأول .. وما المطلب الثالث أيها الوزير ؟!

فقال الوزير : هو أعجب وأغرب من الأوليين ..فهو يطلب الحفيد الأول من ابنته ؛ ليكون ضمن ملكه ، وأن يعيش ويتربى تحت رعايته .

فخيم الصمت على وجوه القوم برهة من الزمن، ثم قال الملك وقد تنهد تنهدا عميقا: الأخيرة تخص قيس سأتكلم مع الأمير .

اجتمع الملك بابنه قيس وذكر له شروط ومطالب الملك جعد ، فاستغرب الأمير لهذه المطالب وبعد تفكير عميق وصمت طويل ، قال الأمير : إنني لا أعلم لماذا يطلبون هذه الأشياء ؟!.. أقلة خيل عندهم ؟! أقلة سيوف لديهم ؟!.. ولماذا يريدون ولدنا ؟ ألا يثقون بابنتهم لكي يحرموها من ولدها ؟! هذا إذا أنجبت ؟ !

فقال الملك : لا تقل ذلك .. ستنجب بمشيئة الرحمن ، يا ولدي ! لا تخف ولا تهتم ، فهذا أمر مالك الكائنات .. فإذا لم يخلف أخوك فهذا لا يعني أنك لا تخلف .. فكم أنجبت أنا من البنات أما هذه المطالب فهي اعتذار مبطن .. فهم ليسوا بحاجة لدموع ولا لسيف فردوس .. وهذان أنا مستعد للتخلي عنهما يا ولدي .. فزواجك مهم عندي ، مهما عزت عليّ هذه الأشياء ، فأنت أعزّ وسعادتك أعزّ وأهم .. أما الشرط الثالث فهو لك ؟

فقال الأمير : ألا نستطيع أن نحتال على عدم الوفاء به ؟

فقال الملك : هذا عار في شرعة الملوك ، وقد يسبب الحرب الضروس بيننا .. فالوفاء من شيم وأخلاق الملوك الكرام يا ولدي !.

فعاد الأمير للصمت من جديد ، ولما استحثه والده على الكلام قال : الأمر لك يا أبي ! إذا كنت ترضى بالتخلي عن حفيدك الأول فأنا راض وموافق .

فعانق الملك ولده وقال : ألست أنت الذي تريد أن تنكح بنات الملوك ؟!.. فلعلنا بعد مجيء المولود نتدبر الأمر معهم ونسترجعه ثانية ..فسأرسل الوزير غراب مرة أخرى بمطالبهم وهيئ نفسك للزواج ، ولا تخرج للصيد حتى يتم هذا الأمر .

أخبر الملك خصيب وزيره والأمراء والقادة موافقته على شروط الملك جعد ، وأعد للوزير سفارة جديدة ، وكان الوزير قد أرسل بدوره عبدا من عبيده يبشر الملك جعد بموافقة الملك خصيب على مطالبه الثلاثة ، ويحثه على تجهيز العروس ، وبعد مسير طويل دخل الوزير غراب على الملك جعد بالهدايا الكثيرة من ثياب وجواهر وخيل ، ومن ضمنها سيف الفردوس والفرس دموع ؛

ولكن الوزير لم يجد البشر والسرور على وجه الملك والأمراء ؛ بل وجدوا الكآبة والحزن والأسف .

فقال الملك بأسف وحزن : كان يجب أن يغمرنا الفرح والسعادة بحصولنا على هذه الأشياء النادرة ؛ ولكن بـعدما وصلنا خادمكم وأخبرنا بموافقة ورضا الملك خصيب ، وأنك قادم خلفه اختفت الأميرة سُلمى والأمير ماجد ، لـقد هربا ، ولم نجدهما أيها الوزير ، ويقول حارس الباب إنه فتح لهما باب المدينة الغربي ليلا ، وقد ادعيا أنهما ذاهبان في حاجة لنا ، ولليوم ونحن نبحث عنهما يا وزير الخير .

فضرب الوزير كفا على كف ، وقال بحدة : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .. إنها مصيبة عليكم وعلينا !!

فتدخل نحاس خال الأميرة المختفية ووالد الأمير المختفي ، وقال متغاضبا : أنتم السبب أيها الوزير ! ما الذي أتى بكم لبلادنا طالبين بناتنا ؟!

فقال الوزير بحدة أيضا : اسكت يا هذا ! .. فهذه عادة الملوك والسلاطين.. يخطبون لإبنائهم بنات الملوك والأشراف .. أخشى أن تكون أنت الذي ساعدهما على الهرب .. أتدري أن هذه الفعلة قد تثير الحرب بين البلاد ؟ وتجلب الخراب للبلاد والعباد .

فصاح نحاس : ويلك !!.. أتهددنا في عقر دارنا يا غراب ؟

فقال الوزير بغضب : ويحك إنك مثير حرب !.. والله لو لم يرغب الملك بتزويجنا ابنته سُلمى لاعتذر ولم يشرط علينا .

وارتفع الصياح في ديوان الملك جعد الذي لزم الصمت خلال هذا الجدال الحاد ، واهتزت السيوف في أغمادها ، فصاح الوزير : يا ملك البلاد !.. قل لي ماذا أقول للملك خصيب ابن عمك ؟.. هل أترك جواده دموع وسيفه الفردوس أم آخذهما ؟ ..فإني أخشى إن عدت بهما غضب الملك أرشدني أيها الملك ؟

فصاح بعض أصدقاء نحاس : لسنا بحاجة لهداياكم وأموالكم .

فقال غراب : ما هكذا يرد على هدايا الملوك والكبار .. فنحن جئنا حسب طلبكم .

فصاح جعد الملك وهو يشير لهم بالصمت : إنني لن أغفر لولدك يا نحاس فعلته السوداء .. أهكذا يفعل ببنات الملوك ؟! يهرب بهن .. إنني قاتل ولدك وابنتي معه .. هذا عار كبير ابنة الملك جعد بن همام تهرب مع فارس صعلوك ..ويحكم وتريدون مني أن أثير حربا مع ابن عمي بعد عملكم الأسود الشنيع .. لا يا سادة ! أنا أطلب منكم إحضار ابنتي وماجد حيين أو ميتين .. فهذه إهانة كبيرة لا يمحوها من تاريخ أسرتنا إلا

الدم والموت .

فانحنى نحاس يقبل قدمي الملك الغاضب ، ويطلب حياة ولده الجاهل ، فلم يصغ الملك لهذا الرجاء ، فانتقل إلى الوزير غراب وترجاه وتوسل إليه بالشفاعة لولده عند الملك ، فقال الوزير : ليتكم تدبرتم الأمر قبل ذلك ..لماذا فكرتم هذا التفكير الساذج ؟! كان عليك أن تدبر الأمر مع الملك قبل طلبه مطالبه.. قبل أن يشرط علينا.. لا أن تحث ولدك على خطف الأميرة ؛ وأنا أرى يا نحاس أن تحاول الوصول لولدك وتقنعه بإعادة الأميرة ، وسينصلح الحال ، وغضب مولانا الملك سيزول .. وأنا تارك هدايا مولانا الملك خصيب وعائد لبلادي ؛ لأنظر قول الملك خصيب ، وأدعو الله أن لا يغضب لهذه الإهانة الكبيرة ، وتثور الحرب بيننا من أجل ذلك السبب .



غادر الوزير بلاد الملك جعد والنار والغيظ يملأن صدره وقلبه ، ودخل على الملك خصيب مهموما مغموما ، ولما علم الملك بجلية الأمر انفجر بركان الغضب في جوفه وصدره وصاح وصرخ ، وغضب الأمراء والأمير قيس وأقسم الأخير بالرب المعبود أن يبحث عن الأمير ماجد والأميرة سُلمى وينتقم منهما ، فسعى الوزير لمنعه عن هذا التصميم ، وطلب منه الصبر والتروي حتى يروا ماذا سيفعل الملك جعد ونسيبه نحاس ؟ وأخذ الملك خصيب يتهدد بالحرب والويل لبلاد الملك جعد.

وبينما القوم مهمومون منشغلون بالخطوة القادمة لهذه الإهانة التي لحقت بهم أقبل الوزير النبهان ، ومعه وفد من كبار رجال البلاد يـقدمون الاعتذار الشديد للملك خصيب ، وأتوا معهم بالفرس دموع وسيف الفردوس ، وبعد كلام وعتاب واعتذار ، تقدم الوزير النبهان وقال أمام الفرسان والأمراء : نحن نعتذر أشد الاعتذار عما بدر من هرب الأميرة والأمير ماجد بن نحاس .. وها هو الأمير ماجد بنفسه بين أيديكم .

ودفع الوفد شابا ضعيفا مريضا أمام الملك ، فتعجب الملك والحاشية من مرآه ، وتابع الوزير النبهان الكلام : يا سادة .. لقد دفع الهوى وسوء التقدير هذا الفارس المثخن بالجراح عندما سمع بتنازل الملك خصيب عن جواده وسيفه لئن يهرب بفتاته الأميرة !.. ولما وصل وادي السرحان قرب جبل ضربان اعترضته عصابة من رجال الليل وقطاع الطرق ، فأثخنوه بالجراح وخطفوا منه الأميرة سُلمى بنت جعد .. وساقه بعض الرعاة وعابري السبيل إلى مأمن ، وعالجوه ، ولما

تحسن حاله أحضروه لبلادنا .
وأمره الوزير أن يكشف عن صدره وظهره ، فشاهد الرجال أثر الجراح الكثيرة ، وعجبوا لحياته بعد كل تلك الطعنات ، ولما شاهد القوم حال الأمير ماجد ، عاد الوزير النبهان للكلام فقال : أيها السادة ! البلاد كلها مشغولة اليوم بالبحث عن الأميرة الهاربة والمفقودة ؛ وجئنا إليكم لتتأكدوا من حسن نوايانا نحوكم .. ونأسف لعدم حصول هذا الزواج الكبير في تاريخ مدينتنا فكلنا رجاء بأن تقبلوا اعتذارنا ..
وبعد كلام كثير دار في مجلس الملك ، قبل الملك خصيب الاعتذار ، وعفا عن الأمير ماجد ، وأمر بإكرام الضيوف ، وبعد ثلاثة أيام عادوا لديارهم لينعموا بالسلام من جهة الملك خصيب بن مرار
كان الأمير قيس يجلس مع صديقه صقر بن غراب ، ومعهما غلامه عبس الفارس الأسمر يتسامرون تحت ظل الأشجار في قصر قيس وفجأة قال الأمير قيس : إنني أفكر أيها الصديق الفارس! بالبحث عن الأميرة المخطوفة ؛ لتعرف من هو قيس الذي هربت منه مع فارس جبان ، تركها ضحية بين أيدي الأوباش واللصوص ؟
فقال صقر : دعك من ذلك الشأن .. فلابد أن هؤلاء اللصوص قد أنكحوها لزعيمهم ، وأسكنوها في إحدى المغر، ولم تعد تلك العذراء التي تحلم بها .. فليبحث عنها قومها بل فارسها المسمى ماجدا وما هو بماجد .
فقال قيس : إنها جرحت كبريائي أيها الصديق .
فقال صقر : وماذا ستفعل بها إذا التقيت بها بعد أن صارت عشيقة للصوص والشطار .. لعلك تعشق أيها الفارس ؟!
فقال عبس الأسمر : أليست هي المرأة الأولى التي خفق لها فؤاده يا صقر الفوارس ؟! أليست هي التي جعلته يقبل الزواج بعد رفض عنيد ؟ أليست هي التي جعلته يغامر هذه المغامرة ؟! ويتنازل والده الملك عن أعز خيوله وعن أجمل سيوفه.. ؟؟
فتهد الأمير قيس وقال : أجل أيها الصديقان .. هي الفتاة التي سحرتني بعيونها ، واهتز قلبي لسهام عينيها يوم وادي الثعالب إنها فاتنة ساحرة ! ولا أدري كيف تعلقت بذلك الماجد ؟!
فقال عبس: مع أني أشك بحبها له ..لم تكن حركاتها في ذاك اليوم توحي بذلك الحب بينهما ولكن القرب قد يكون السبب.. وقد يكون هو أفرس فرسان بلادها
فصاح صقر : مصيبة أن يكون آخر كلامك صحيحا ! إنه كثير الكلام والفخر .. لقد رأيناهم أثناء الصيد .. غلمانه هم الذين يصيدون ويطاردون .. كما قال أحدهم هو ليس له إلا

الكلام الجميل اللامع البراق .

فعاد عبس يقول : أعود فأقول ربما تحبه وتهواه ومن أجل ذلك هربت معه .

فقال قيس : وهذا ما يحيرني ؟! إنني لاحظت أثناء لقائنا ذاك أنها تعبث به ، وإلا لما سمحت لنفسها بالجلوس معنا والحديث معنا .. بل كانت تسترق النظر اليّ أكثر من مرة .

فقال عبس ضاحكا : إي والله ! إني لاحظت ذلك .. وهذا ما دفع ماجد للحديث عن الحب الذي بينهما حتى لا نتورط ويقع أميرنا في هواها .

فاعتدل الأمير في جلسته وقال بجد وحماس : هل تظنون أن ماجداً غرر بها وسلمها للصوص أوه ؟!.

ونهض واقفا وقال : أيها القوم أشعر أن في الأمر مكيدة ! .. لابد من الوصول إليها فإلى وادي السرحان أيها الرفاق .



قيس في وادي السرحان

خلع الأمير قيس ثياب الأمراء ، وتنكر بثياب العوام والرعاع ، وطلب من صديقه صقر إخفاء خبر تنكره ، وأرسل وراء غلامه جُبار وكلفه بالوصول إلى وادي السرحان والالتقاء باللصوص وشطار الجبل ، ورحل قيس وفارسه الأسمر عبس متخفين إلى بلاد الأميرة سُلمى وكان قد كتب رسالة خاصة لوالده يخبره بذهابه للبحث عن الأميرة ويحثه فيها على الصبر وعدم الخوف والقلق ، ودفعها لـ صقر وسافر متنكرا إلى مدينة الأكباش ، وبعد أيام دخلوها بسلام ، وفي فندق صغير سكنا ، وهدفهما الوصول إلى رجال الأمير ماجد بن نحاس ، فقد وجدا البلاد منقسمة على بعضها البعض منذ ضياع الأميرة ، فالملك جعد بن همام يجمع رجاله وعشيرته وقومه وأنصاره من العشائر الأخرى ، ويتهم الأمير نحاسا وأصهاره بالغدر والخيانة وخطف الأميرة الشريفة ، ونحاس يتحدى ويحتمي بعشيرته وأعوانهم ، ويكاد الصراع والقتال أن ينشب بين الفريقين ، والوزير النبهان وعشيرته يحاولون منع اندلاع الحرب ، ويحثون الجميع على البحث عن الأميرة في كل أقطار الدنيا وبين رجال العصابات ، وعلموا أن فرسانا من قوم نحاس يطالبون بخلع الملك جعد وطرده من البلاد ، فهم أهل البلاد الأصليين ، وما جعد إلا دخيل عليهم ، وقد تغلب آباؤه وأجداده قديما على مدينتهم أبو كبشة ؛ ولكنهم يخشون مناصرة الملك خصيب بن مرار لابن عمه ، فهم يتمهلون ويتروون في قضية عزله وطرده ،

وكانوا يرون بزواج الأمير ماجد من الأميرة سُلمى أفضل السبل للوصول للعرش وتاج المملكة ؛ ولكن طلب الأمير قيس للأميرة وموافقة الملك قلب تدبيرهم وأحلامهم ، واختفاء الأميرة وضياعها ضاعف القضية ، فكان المندفعون من قوم نحاس يطالبون باستخدام القوة والعنف وإزالة حكم الملك جعد وعشيرته وعدم الانتظار أكثر من ذلك ، ولكن بعض الكبار يعارضون ذلك ويحثون على النظر والتأمل وعدم الاندفاع وراء حماس الشباب ، ويشجعون الوصول للحكم بالطرق السلمية والهادئة ، والوزير النبهان يحاول تهدئة الأمور وإعادة الوئام للقبيلتين قبل استفحال الأمر بينهما وقبل سقوط الدماء الحمراء بينهما ، فهو يتردد بين رجال القبيلتين للإصلاح والوئام ، هكذا كان الوضع السائد عندما نزل قيس وعبس المتنكرين باسم الربيع ومسعود الراعي مدينة الأكباش ، وبعد حين تعرف الرجلان على أهم أصدقاء الأمير ماجد ؛ فإذا هو ابن عم له شاب فارس كثير الحماس للفتن والمعارك ، فهو يجمع حوله شبابا وعبيدا من قبيلته وينفث في روعهم حب القتال وإعادة الملك لقبيلتهم الكبيرة والأكثر عددا من قبيلة الملك جعد ، وكذلك كان يحرض ماجدا على التمرد وإراقة الدماء وعدم سماع المعترضين على الحرب ، فانضم الرجلان إليه بحجة الحماس والانسجام مع مطالبه ، وطمعا بالمناصب والجاه ، ولم يطل بهم المقام حتى أصبحوا من رجال ماجد والمحيطين به في ترحاله وقيامه واجتماعاته ، بل أصبح مسعود الراعي عبس من حرسه المقرب ، فكان عين قيس عليه

لقد تمكن الأمير قيس (الربيع) والغلام الفارس عبس من الانضواء ضمن رجال وأنصار الأمير ماجد بمساعدة ابن عمه غمر الرحال ؛ ولأن الأمور متوترة لم يدقق في شخصياتهما وما هم الا من الرقيق ، وقد كادت الأمور تشتعل بين أفراد قبيلة الملك جعد وأفراد قبيلة الأمير نحاس عشيرة الجرادة ، وقد دارت بينهم معارك صغيرة استطاع الوزير النبهان وبعض العقلاء من احتوائها ؛ ولكن ما زالت الأمور تتفاعل وتغلي الصدور على بعض ، وأثناء ذلك تعرضت أطراف البلاد لغزو اللصوص وقطاع الطرق وهرب سكان الريف والقرى نحو المدينة الكبيرة وانزعج الملك جعد ووزيره النبهان لهذا الحال ، وقد قل الأمان في أطراف البلاد ، وبينما البلاد تشتعل على نار هادئة ، وقد أخذ اللصوص يتحرشون بالبلاد ، دخل المدينة رجل وأسر في أذن الأمير ماجد الذي تعافى من الجراح التي اصطنعها خبرا طار له صوابه ، وجمع له كبار معاونيه ، ووصل هذا السر لأذن مسعود الراعي ، وعلى أثر هذا السر جمع الأمير

ماجد مائة فارس من رجال القبيلة ، وأخلص الرجال إليه وغادر المدينة خفية عن أبيه واخوته وأعمامه ، وكان من ضمن الفرسان المائة مسعود والربيع ، وسار بهم أياما وأياما حتى وصلوا وادي السرحان حيث جبل ضراب الكبير ، و يقال له أيضا جبل السرحان ، وهناك أفصح لهم الأمير عن سر هذا المسير العاجل فقال : أيها الأبطال .. لقد وصلني خبر عن ابنة عمتي الأميرة سُلمى ، وقد قررت تحريرها من أيدي اللصوص ؛ ليعرف السادة من أهل بلادنا قوتنا وشجاعتنا وتصرفت بدون مشورة الكبار للعجلة وعدم التردد وتشتت الأقوال .

فأثنى الفرسان على شجاعة الأمير ونخوته ، وفرحوا بسماع خبر عن حياة الأميرة المفقودة منذ شهور ، ولما توغلوا في وادي السرحان تركهم ماجد واختار مسعودا أكثر الرجال حماسا له ولأفكاره ، وسار به نحو سفح جبل ، وبعد مسير متعب دخل به واد عميق ، وهناك التقى ماجد بعدد من الرجال المختفين بالجبل ، وبعد أن صافحهم وحياهم التـقى بزعيمهم ؛ فإذا هو رجل كث اللحية ضخم البدن .

فخاطبه ماجد بغضب ؛ وكأنه يعرف الرجل حق المعرفة : أبا الليل ! .. لقد أخبرني ناطور خبرا مرعبا .. ماذا فعلتم بالأميرة ؟! أين اتفاقنا ؟!

تنحنح الرجل الضخم عددا من المرات قبل أن يرد قائلا : لقد جرى لنا ما كدر صفونا وتعهدنا لقد زارنا سيد اللصوص وكبير هذا الوادي الملك غضبان أبو الرجال ..وأنت تعرف من هو هذا السيد الكبير !!.. ولقد شاهد ابنة عمتك الأميرة واستحسنها ورغب بها .. فقصصت عليه بعض قصتك فقال إذا شاءها فليأت مدينتي على جبل الرملي في نهاية وادي السرحان الغربي .. والأميرة نفسها وافقت على الاقتران به والسير معه ، فقد كرهتنا وملت صحبتنا ، ونحن كما تعلم لا نستطيع محاربة ملك اللصوص وسيد هذا الوادي .. وإن كان لديك رغبة بابنة عمتك فإليه فامش .

تناول ماجد الطعام معهم ، ثم قال : ما العمل يا أبا الرجال ؟! .. فسيد الوادي صعب المراس ألا تشفع لي عنده ؟

بصق الرجل الضخم ومسح وجهه ولحيته ثم قال : الذي لمسته من بقاء الأميرة خلال هذه المدة الطويلة بيننا أنها كارهة لك ؛ بل حاقدة عليك وناقمة ؛ فأرى أن تدعها لمصيرها الأسود زوجة أو عشيقة لملك اللصوص ، وربما أن تكون هي التي دست له خبرا عن وجودها هنا لتنتقم منك .. فالنساء ماكرات قليل الوفاء عندهن ! فكيف بمن هي لك كارهة ؟!..وأنا أرسلت لك رجلي فور انصراف الملك عنا حتى لا تظن أنني اتفقت معه

عليك .. فنحن استفدنا كثيرا من صداقتك لنا ؛ ولكن كما تعلم لا نستطيع أن نعادي أبا الرجال فهو زعيم وادي السرحان من غير منازع ، وكل المدن غاضبة علينا ، فلا نقدر دخولها علنا كما تعلم ، ولا أظن أنني أفيدك بشيء عند الملك ما دامت الأميرة قد قبلت الاقتران به

فتظاهر الأمير بعدم الخوف ورد قائلا : لـقد أتى معي مائة فارس ، كلهم أطوع لي من بناني .

فقال أبو الليل بنبرة فيها غضب : ألا تفهم أيها الرِّجال ؟! .. أتريد أن نحارب أبا الرجال ؟ إنه أمر صعب ..بل مستحيل .

فقال ماجد محاولا إغراء صديقه رجل الجبل : يا هذا ! إذا تزوجت هذه المرأة قربتني من المُلك وسيكون لكم مكان مناسب فيه ، وهو خير لكم من حياة المفازات والوديان .. والأمير قيس قد صرف نظره عن الزواج من أميرتنا اللعينة ..لقد سحرها بعينيه ورجولته في وادي الثعالب وهي قد سحرته بجمالها وحسنها حتى عجل بطلبها .. إيه على الأيام ..!!

فقهقهه أبو الليل وبعض رجاله على تحسرات ماجد وقال : لقد فازت بالزواج من ملك ! وهو خير لها من أمير ابن ملك ، ومن أمير حارس لها يحلم بأن يكون ملكا .. اسمع أيها الفتى ! إنني لك ناصح ، دع السير إلى مدينة الملك غضبان فلن تلقى خيرا ، وعد لبلدك ، وفكر بحيلة أخرى تصل بها لتاج مدينتك .

بعد أن فشل ماجد بإقناع أبي الليل ورجاله بمساعدته قفل عائدا نحو رجاله وفرسانه فوجدهم في غاية القلق والخوف عليه فقال : لقد قابلت زعيم هذا المكان ؛ لأن الرجل الذي ساقنا إلى هنا أحد رجال هذا الزعيم ، وهو الذي أخبرني عن وجود الأميرة عنده ، وقد أتى ملك اللصوص الغضبان أبو الرجال وأخذها منهم إلى مدينة في نهاية وادي السرحان من جهة الغرب ، وقد نصحني الرجل بالعودة وعدم الخوض بكم غمار هذه المعركة لكثرة اللصوص الذين يملكهم ذاك اللعين ، ولن تكفي شجاعتنا لدحرهم فما تقولون ؟!

أخذت الهمسات والأفكار تتناقل بين الرجال هنا وهناك ، وبعد طول جدل تقرر العودة للبلاد وعدم المخاطرة من أجل إنقاذ الأميرة ، واتفقوا على عدم الحديث أمام قومهم وأهل مدينتهم عن سبب خروجهم المفاجيء من المدينة ، ولا يتحدثون عن حياة الأميرة بين أيدي المجرمين ، وهذا ما حصل فعلا فيما بعد ، فارتد الأمير عائدا خائبا بفرسانه نحو مدينة الأكباش وهو في غيظ شديد ؛ ولكن أثناء هذه العودة اختفى الربيع ومسعود من بين المائة فقد أطلع عبس الأمير

قيس على كل ما سمعه من ماجد وأبي الليل ، فأدرك الأمير كما توقع آنفا أن الأميرة تعرضت لمكيدة ومكر ، وسيقت لوادي السرحان ؛ لأنها وافقت على الزواج من الأمير الفارس قيس بن خصيب ، فلما استوعب الأمير الأمر استشاط غضبا وكرها لـماجد ، واتفق هو ومسعود على الاختفاء والسير إلى مدينة ملك اللصوص لإنقاذ الأميرة ، وأثناء الليل هربا وابتعدا عن مكان الأمير ماجد وجيشه ، وهؤلاء لما اكتشفوا غيابهم لم يهتموا ويكترثوا لغيابهم كثيرا ، وظنوا أنهم سقطوا في إحدى الحفر والكهوف ، وكانت خطة قيس السقوط بين رجال سيد الوادي الغضبان ، وظلا يسيران بحذر من واد إلى واد ومن جبل إلى جبل حتى وصلوا إلى جبل الرملي ، وهنالك تم القبض عليهم من قبل رجال الملك أبي الرجال وقادوهم إلى سجن المدينة .

ومدينة اللصوص هذه مدينة صغيرة بعيدة عن العمران والمدن ، وهي على جبل الرملي ، وهو جزء من الجبال الكبيرة جبال ضراب ، وهذه الجبال العالية والممتدة يقطنها اللصوص والمجرمون والهاربون من العدالة والثارات والولاة ، ومع طول الأيام قام الغضبان بتشييد هذه القرية للصوص ولرجاله ، فشيدوا البيوت وتزوجوا النساء ، فكبرت المدينة ، وأصبح الغضبان سيد وادي السرحان الأكبر ، ومن لم ينضو لرجاله وعصابته كان يحذره ويهادنه ، ويقبل شفاعته ويخشاه ، وأثناء زيارة الغضبان لمنطقة أبي الليل شاهد الأميرة سُلمى المحبوسة عندهم ، وسمع بعض قصتها ، فهويها وتـعلق بها ، وأرغمهم على تسليمها له ، وساقها نحو مدينته وهو طامع بالزواج منها ، وهي وافقت على ذلك ؛ ولكن بعد تقديمه مهر لها ، وسر الغضبان برضاها ، وانتفخ تيها ؛ فإنها أميرة بنت ملك ، ووعدها متحمسا بأي مهر ولما سمع طلبها دهش واستغرب ، وقد طلبت منه الفرس دموع والسيف فردوس ، فعشق الرجل الفرس ورغب بالسيف ، وسار بعض رجاله إلى مدينة أبو كبشة ؛ لعلم الأميرة بأن السيف والفرس في بلاد أبيها ، كما أخبر رسول الملك خصيب ووزيره غراب ، ولما علم ماجد بالأمر ـ كما روينا قبل سطور ـ جاء برجاله راغبا بإعادة الأميرة والظهور أمام قومه بمظهر البطل الفارس المنقذ ؛ ولكنه أمام تثبيط أبي الليل جبن وضعف وتخلى عن أميرته وزوجة الغد ، وعاد لبلاده بكل حنينه وجبنه ، وأيضا رجع رجال الملك الغضبان يخبرون الملك بأن السيف المذكور وتلك الفرس رجعا لبلاد الملك خصيب ، ومن شدة هواه للأميرة وحبه لأرضائها والتبيان لها عن هذا الحب والشوق أمرهم بالسير إلى تلك البلاد

البعيدة والإتيان بهما من أجل عيون الأميرة سُلمى ابنة الملوك الأكابر .

ودخل قيس وعبس كأسيرين مدينة الرعب ، وبعد مضي أيام في السجن أخرجوهما وألحقوهما بحلقة تدريب ؛ ليكونا من رجال المدينة عندما تبين لهم أنهم لصوص لا أهل لهم ولا وطن .. أثناء التدريب في حلقة السلاح علموا بقصة الأميرة سُلمى ، وكان هدف الأمير وغلامه الوصول للأميرة بأي طريقة والحديث معها ومعرفة مكنونات قلبها ، ومن ثم السعي لتحريرها من أيديهم وقبضتهم .. وقد بارك الأمير في قلبه للأميرة شجاعتها وقدرة تحملها للحياة في هذه الجبال والوديان بعد أن كانت تحيا في القصور وبين الحرس والخدم ، وقد صدق ظنه بأنها تعرضت لمكيدة كبيرة ، وهو كله شوق لسماع حكاياتها مفصلة ، وكان يسأل مسعودا فقال : هل يا ترى يتمكن هؤلاء اللصوص من سرقة سيف الفردوس والفرس دموع ؟!

فيقول مسعود : الحيلة والمكر والكيد قد تسهل المهمة .

وبعد حين من الزمان عاد بعض الرجال الذين بعثهم الغضبان لبلاد الرايات ، وأخبر الملك بفشلهم الذريع ، فقد أسر بعضهم ، وقتل بعضهم ، وهرب الباقون ، وذكروا صعوبة الوصول للسيف والفرس ، فاستشاط الغضبان غضبا وغرورا وكبرا ، وأقسم أمام رجاله بأن لا يتزوج الأميرة سُلمى حتى يملك السيف والفرس دموع ، وفرحت سلُمى لهذا القسم ، وقالت لنفسها : لابد أن رسالتها وصلت لـ قيس ، وفرح قيس أيضا بفشل رجال الغضبان ، وزاد طمعه بتحرير وإنقاذ الأميرة .. وأرسل الغضبان الغاضب خمسين رجلا وعلى رأسهم قائد شجاع من أفضل رجاله لجلب السيف والفرس .

ولم يطل الانتظار فقد جاءت الأخبار بمقتل الكثير منهم ، وعلى رأسهم قائده المفضل ، وظهر لهم بأن الوصول للسيف ودموع من المستحيلات ، وقد ازداد هوى وعشق الغضبان لتملكها أكثر من تملكه للأميرة .. فجمع كبار رجاله للتشاور ، فشار عليه بعضهم لمعرفته لصلابته وعناده إذا صمم على امتلاك شيء أن يتحالف مع كل اللصوص في وادي السرحان ويغزو بهم بلاد الرايات ، فسر الغضبان من هذه المشورة ، وبدأ يفكر بها ويحلم بتحقيقها لتأديب الملك خصيب بن مرار ، بل فكر بقتل الملك خصيب غيلة ، وأثناء انشغال الناس بمقتله أن يغزوهم ويسرق الفرس والسيف ، وأخذت هذه الأفكار تراوده ويخطط لتحقيقها .

لقد اشتد الغضب بملك اللصوص الغضبان ،

وصار هدفه الأعلى تدمير الملك خصيب ابن مرار والقضاء عليه وامتلاك فرسه دموع وسيفه الفردوس ، وبينما هو يفكر ويحلم بتحقيق ذلك أتاه أحد رجاله الناجين من قبضة فرسان الرايات يخبره أن الملك خصيب يعد جيشا لغزو وتدمير مملكة اللصوص ، فازداد قلق الملك الغضبان من هذا الخطر الداهم ،أو بدأ يشعر بأن هؤلاء القوم أقوياء ، فبث جواسيسه ورجاله في وادي السرحان ، وبدأ يتصل برؤساء العصابات ويعرض عليهم التحالف للدفاع عن جبالهم أمام الخطر القادم ، وأجّل محاولة قتل الملك خصيب .



كان قيس وعبس محجوزين في حلقة السلاح ، يتدربان ويعدهما رئيس الحلقة للانضواء تحت ظل العصابة أو ملك اللصوص ، ولم تصل إليهم أنباء هزائم رجال الغضبان ولم يتمكنوا من الوصول لقصر الغضبان ، فما زالت الثقة بهم ضعيفة ، ولكن أمام التطورات الأخيرة أخبرهم رئيس الحلقة بقرب إلحاقهم بفرق العصابة ، وأحس الفارسان بأن خطرا يهدد الجبل ، ولكن رئيس الحلق كتم عنهم الحقيقة ، فظنوا أن الأمير ماجد قادم لإنقاذ فتاته سُلمى ، وخلال أسابيع

ألحق الرجلان بمجموعة يرئسها الزعيم الملقب بـ غضبة الليل من كبار معاوني الغضبان ، فساقوهما نحو مقر زعامته فرأياه رجلا ضخما جدا كثير الجروح والإصابات في وجهه ، شعره ضخم ومنفوش ، فتعجب قيس من خلقته ، ولما سمع ثناء رئيس الحلقة عليهم قال بصوت ضخم جهوري : هل أخبرتهما جزاء من يحاول الهرب أو خيانة الأسياد؟

فهز رئيس الحلقة رأسه مرات ومرات وهو يؤكد له صدق انتمائهما لعصابات الجبل قائلا : لهما عدة شهور بيننا .. ويكفي أننا حافظنا على حياتهم .. وهما لصان هاربان يا سيدي .. وهما هاربان إلينا أمسك بهما رجالنا وذلك أثناء دخولهما الجبل.. فهم في أول الطريق .. ، وألقينا عليهم تعاليم وآداب الجبل ، وما عليك إلا أن تمتحنهما ؛ ولكني واثق منهما .. فطول مدة إعدادهما كانا مستسلمين وطائعين ، أرجو أن يكونا عند حسن ظن الجميع يا سيدي الزعيم .

فصاح غضبة الليل : حسنا أيها الرئيس ! سيكون فحصهما قريبا ، فهناك خطر داهم على الجبل كله . وبعد أن تكلم معهما الزعيم مرغبا ومنذرا أشار لأحد رجاله بأن يرشدهما لمنامهما ، وأن يلقي عليهما آداب التعامل مع غضبة الليل ، كان قيس يخوض هذه المغامرة بقلب أقوى من الحجر ، فهو

واثق من قلبه وسيفه ، ولم تمض أيام أخرى حتى علم مصدر الخطر القادم الذي يتهدد جبل ضراب فهمس لـعبس : هل يا ترى يزحف جيشنا لقتال هؤلاء اللصوص والقتلة ؟!

فقال عبس : أرى أن الغضب اشتد بحضرة الملك خصيب من محاولتهم الاستيلاء على فرسه وسيفه ، وأنت تعرف مقدار تعلقه بهما ، ولابد أنه اعتبر محاولتهم الفاشلة إهانة له ، فأمر بتجريد الجيش لتأديبهم وزجرهم .. واعلم أيها الفارس أن طلب الأميرة للسيف والـفرس دموع رسالة خاصة إليك أنت أيها الأمير !

فقال قيس متذكرا : نظرات وادي الثعالب لم تغب عن بالي ، لقد أصابنا الحب والهوى ، ولكن ذاك اللعين حجب الرؤيا عنا .. كيف سنصل للأميرة قبل وصول الجيش ؟!

فقال عبس : القضية أننا لا نثق بأحد من الرجال ، وكلهم ينظر إلينا بريبة رغم هذه المدة التي قضيناها بين ظهرانيهم ، قاتلهم الله ما أمكرهم ! ولكن لن تعجز عقولنا من الوصول إليها ، وسأحاول ذلك بأقرب فرصة سانحة.

قال الأمير بقلق : تحرك بسرعة .. أخشى أن يحاول هذا اللص الزواج منها قبل لقاء جيش بلدنا

فقال عبس : صبرك عليّ ، أيها الأمير سأصل إليها بمشيئة الرب .

كثر تردد كبار رجال الجبل على ملك اللصوص ، والكل يعاضده على الدفاع عن الجبل ووادي السرحان وبذل الغالي والرخيص من أجل المحافظة على جبلهم وواديهم ، وتفتق ذهن الغضبان بعدما بايعه رجال العصابات من جديد أن يبادر بالهجوم ، ورغب بإرسال جماعة تصرع الملك خصيب لتثبيط عزيمة جيشه الزاحف ، وقد أمل أن ينشب صراع داخل البلاد فيستغله لسلب الفرس والسيف ، ووقع اختياره لتنفيذ هذه المهمة الصعبة والقوية على مساعده غضبة الليل ، فاجتمع به سرا ، وأطلعه على خطته المفاجئة والجريئة التي تتلخص بالسير برجاله إلى بلاد الرايات ، وهناك يقوم ثلاثة أو أربعة رجال بالغدر بالملك بأي طريقة أو حيلة .

فتفكر غضبة الليل بما كلف به ، ورد قائلا : مَن مِن الرجال يضحي بنفسه من أجلنا ؟!

فصاح الغضبان غضبا : ويحك !! يجتهدوا أن ينجحوا .. أريد ذلك هل تسمع ؟

فقال غضبة : إني أسمع لو اضطررت تنفيذ ذلك بنفسي .. وبعد أن يقتلوا ذلك الملك اللعين ؟

قال الغضبان : حينئذ سيضطرب وضع المدينة ، وستنتشرون الخبر في جيش الملك القادم نحونا فيفت ذلك من عزمهم لغزو مملكتنا، وأنت وباقي القوم عليكم بالوصول للسيف والجواد ، فقد

علمت أن الحراسة شددت عليها .. لقد هزمني هذا الملك ، وأنت تعرف أنني لا أسمح لأحد بأن يقهرني وينتصر عليّ ، أكاد أجن يا غضبة الليل يا فارس الجبل ! ألستم رجال الشدة كم من البلاد داهمنا وسلبنا ونهبنا ؟!

تنهد غضبة الليل وقال : يا ملك الجبل .. بلادهم بعيدة يا ملك الزمان .. مسيرة عشرة أيام حتى نصل إليها .

فقال الغضبان بقوة وصياح : غدا تحركوا ، سأرسل معكم غلامي ضرغام .. فاحذر أن يأتيني بضعف رجالك وتقاعسهم .

فأقسم غضبة الليل بالولاء والوفاء وتحقيق رغبة الملك ، ولما غادرهم الملك جمع غضبة رجاله وفيهم قيس الربيع وعبس مسعود ، وأخبرهم أن الملك كلفهم بمهمة شاقة دون أن يفصح لهم عنها ، وقال بسخط واضح للعيان : مع بواكير الفجر سنكون على جيادنا ونسير نحو الشرق أيها الفرسان .

ارتبك قيس وعبس لهذه المهمة ، ولكنهما تظاهرا بالحماس لها، وأعلنا شوقهما لها ، وأنهما يريدان أن يثبتا لسيدهما الجديد أنهما عند حسن ظنه وثقته بهما ولكنهم قبل أن يصلوا لبلاد الرايات التقوا بالجيش الزاحف نحو وادي السرحان ، ولمحتهم طلائع الجيش فطاردوهم ، فسقط بعضهم وهرب بعضهم ، وهم أكثر من خمسين رجلا ، فلم يكن اختفاؤهم سهلا ، وممن نجا الزعيم غضبة الليل ، ولم يتمكن فرسان المدينة من الاستمرار في مطاردته ، فساقوا من وقع في أيديهم نحو خيمة رئيس الحملة الذي كان الأمير صقر بن غراب ، فأخبر الأمير صقر بوقوع عدد من فرسان ولصوص وادي السرحان بين يدي سرايا الطلائع ، فأمر بحبسهم ، وأمر الأمير مالك بسماع أقوالهم ، ولماذا كانوا بهذا العدد الكبير ؟ وهل هم مقدمة لجيش اللصوص ؟ وإلى أي البلاد سائرون ؟ وبينما الأمير صقر يجلس في خيمته الكبيرة ومعه قادة الحملة يصطلون حول النار في جوف الليل البهيم قدم الأمير مالك عليهم ـ وهو الذي كلف بالتحقيق مع أسرى العصابة ـ هامسا بأذنه كلاما نهض الأمير على أثره جالسا على الفور بعد أن كان متكئا وهو يصيح : ويحك أمعقول هذا ؟!

فقال مالك هامسا من جديد : إي والله إنه الأمير قيس ؛ ولكنه أشار لي بأن أتظاهر أنني لا أعرفه ، ومعه غلامه عبس .

فرك الأمير أذنيه وقال : ما العمل ؟ إنه لا يريد كشف سره .. حسنا .. ورفع صوته قائلا : وماذا يريد هؤلاء الرجال ؟ ومن يقصدون ؟!

فقال الأمير مالك بصوت مسموع للجالسين : إنهم من رجال الوادي ، وهم مكلفون بمهمة، لم

يـفصح لهم عنها زعيمهم غضبة الليل .. وغضبة الليل لم يمسكه رجالنا فقد نجا وهرب .

فقال الأمير صقر ملتفتا لقاضي العسكر : ماذا يرى قاضي العسكر والجيش ؟؟

فتطلع قاضي الجيش الأمير هلال نحو أمير الجيش وقال : يساقون إلى بلاد الرايات ويحبسون مع باقي الأسرى السابقين حتى تنتهي هذه الحملة فننظر في شأنهم أيها الأمير .

فعلق صقر قائلا : نعم الرأي أيها القاضي !

وهمس في أذن مالك قائلا : هذه فرصة لتحضر قيسا وعبسا من غير أن يكشف أمرهما وعاد مالك للأسرى ، وأخبرهم بفتوى القاضي هلال ، فسر قيس لفطنة صديقه صقر وقام مالك بترحليهم مجموعات مجموعات .. مجموعة ثلاثة ومجموعة خمسة ومجموعة أربعة ، وجعل قيسا وعبسا مجموعة ، وتم الترحيل خلال الليل وعلى فترات ، ومع الفجر كان الأمير قيس بين رجال الخيمة الأميرية يـقص على القوم قصته وحكايته ، فتعجب الفرسان من شجاعة قلبه ومن رميه بنفسه بين رجال الوادي ، ولما انتهى كلامه ، قال : الآن أسمعونا حكايتكم وسر مجيئكم لهذا المكان ؟!

بعدما أكل الأمراء والقادة الطعام قال صقر : بعد سفرك المفاجئ أيها الأمير ! أرسلت الرسالة لوالدك الملك ، فحزن حزنا شديدا عليك ، وكاد يعلن الحداد عليك ، وأرسل خلفك العيون فلم يعرفوا لك خبرا ، وبعد حين أتانا الغلام جُبار ـ الفارس الذي أرسلته لوادي السرحان ـ فأنبأني بأن الأميرة سُلمى أسيرة عند رجال الوادي باتفاق بينهم وبين الأمير الغادر ماجد .. وأنها فتاة مسكينة وجريحة .. وأن الأمير ماجد احتال عليها ، وسار بها خارج البلد على أنها ذاهبة لمقابلة الأمير قيس خارج أبواب المدينة ، وبعدما مشى بها حين من الزمن هجم عليهم اللصوص فساقوهما نحو وادي السرحان ، وهناك علمت الأميرة أنها مخطوفة باتفاق الأمير ماجد مع رجال العصابة ، فبكت ما استطاعت البكاء ، ثم عاد ماجد لبلاده بالقصة المعروفة لك ، وصدق الناس أنهما تعرضا لقطاع الطرق .. استطاع جُبار الاختفاء في كهوف الجبل قريبا من الأميرة وعلم بقصتها ، وبينما هو يفكر بإنقاذها أتى زعيم اللصوص المسمى الغضبان وأخذها عنوة من أبي الليل وتبعها جُبار بخبث ومكر ، ولما علم بمطالبها من شيطان اللصوص عاد إليّ فأخبرني بالأمر فاتخذت جانب الحذر من رجال الغضبان ، فلما أقبلوا فمنهم من قتل ومنهم من أسر ، وتركنا أحدهم ليخبر قومه ، ثم عادوا كرة أخرى ، فغضب الملك خصيب حينئذ ، وأمر قائد الجيش ووزيره غراب بإعداد جيش لمقاتلة رجال وادي السرحان وتأديبهم

فأشرت على أبي بقيادة هذا الجيش للوصول للأميرة التي استنجدت بنا ، وقد تمنيت أن تكون معنا ، وها قد استجاب المولى سبحانه .

قال الأمير قيس : لقد صدق حدسي عندما قلت لكم إن في الأمر مكيدة ، إن عينيها الساحرتين كانتا تتكلمان في وادي الثعالب .. فماجد اللعين حارس لها وعين في آن واحد إنه ليطمع بنكاحها لينقل الملك إلى قبيلته .. أرجو أن لا ينتشر خبر وجودي في الجيش أيها الأمراء والفرسان .. سأبقى متنكرا ورجلا من رجال الغضبان ، وسأعود للجبل أنا وعبس متظاهرين بالهرب والنجاة منكم .. وأنتم تابعوا مسيركم لقتال هؤلاء المجرمين واللصوص .. فنحن لم نعرف الخطة من نزولنا عن الجبل رغم معرفتهم بخروجكم لقتالهم .. أظن أننا كنا سائرين لبلاد الرايات لفعل أمر كبير .. في الليل القادم سأهرب أنا وعبس ونمشي إلى الجبل بغير خيل والآن اسمحوا لنا بالنوم أيها السادة .

قيس و سُلمى

استقبل غضبة الليل رجليه الهاربين بفرح كبير ، وسر من نجاتهما وفلتهما من الجيش الغازي ، وعلم منهم أن بقية الأسرى ساقوهم زرافات زرافات إلى مدينتهم وبلادهم الرايات ، وأخبروه أن الجيش ما زال مستمرا في الحركة لقتال أهل الجبل ، وكان الغضبان زعيم الوادي قد تلقى فشل رجله القوي بالغضب الشديد ، ولكنه تحمل الفشل وأجل الحساب حتى انجلاء المعركة القادمة ، وقد أدرك أن الملك خصيب مصمم على تدمير الجبل وعصاباته ، وكذلك قد أدرك غضبة الليل أن حياته أصبحت مهددة بالموت ، وأن نجاح الملك في المعركة معناه القضاء عليه فأخذ يفكر بالهرب قبل المعركة لينجو من قبضة سيده الجبار ، ولما أخذ الغضبان يتجاهله في اجتماعاته واستعداداته للتصدي للغزاة أطلع غضبة الليل بعض رجاله برغبته بالهرب والانفصال والنجاة بأرواحهم وأنفسهم ، فانزعج قيس وعبس لهذا الانقلاب ، وأصبح وضعهم في خطر ، فالهرب فيه خطر على حياتهم إذا فشلوا بالنجاة من قبضة رجال الغضبان الآخرين ، وإذا عرف الغضبان سرهم أيضا قد يقتلهم قبل محاولة الهرب .. فافتعلوا معركة مع بعض رجال غضبة الليل ، وهربوا نحو رجال الزعيم الغضبان وطلبوا حمايتهم ، فقبل هؤلاء حمايتهم عندما عرفوا أن زعيمهم يفكر بالهرب ، فألقى بهم الغضبان في سجن المدينة ، وهم في السجن حاول أحد الرجال قتلهم فكتفوه وسلموه لحراس السجن ، فارتفع وزاد غضب الغضبان على غضبة الليل وجماعته ، فأصدر أمره بالقبض على غضبة الليل ، فأبى الاستسلام ، ودارت معركة بين رجال الفريقين ، مما دفع

الغضبان بدفع المزيد من الرجال لمحاصرة قصر غضبة الليل وقد أهدر دمه ، وقد حاول بعض الزعماء الموالين لغضبة التشفع له ، ولكن الغضبان الغاضب أبى وأصر على الثأر لرجاله الذين قتلوا ، وكبر النزاع فانحاز بعض الزعماء لغضبة الليل ، فارتفع حنق الغضبان وأدرك أن سلطته قد ضعفت وتهاوت على هؤلاء اللصوص ، ومن شدة حقده وقهره أمر بحرق القصر ـ قصر أو بيت غضبة ورجاله ـ على من فيه ، فارتفع الصراخ والصياح والهرج والمرج ، فخرج غضبة الليل ورجاله على خيولهم فقاتلوا قتال المستميت حتى فتحوا ثغرة في الحصار المضروب عليهم ، ولكن كثرة رجال الغضبان تمكنت منهم فسقط غضبة الليل جريحا ، فأمر الغضبان بشويه حيا ليكون عبرة لكل زعيم يتمرد عليه ، ولم تجدِ توسلاته وصراخه ، فحرقه وحرق قصره وفتك برجاله إلا من استسلم سابقا قبل المعركة الأخيرة ، على أثر هذا الحدث المرعب الوحشي أخذ كثير من رجال العصابات يهربون ويبتعدون عن وادي السرحان ، فقد عمت الفوضى في الكهوف والجبال لهذا الحدث المرعب ، وقد نسوا كم من القرى حرقوا وقتلوا ودمروا خلال حملاتهم وغزواتهم ! وقبل وصول جيش الأمير صقر الذي يزحف رويدا رويدا وجد الغضبان ملك اللصوص نفسه أنه وحيد في الميدان ، ولم يبق معه سوى مائتين من رجاله، وقد تفرق عنه زعماء اللصوص الآخرون ، وقد وصلت إليه الأنباء بدخول الجيش الغازي بداية وادي السرحان وجبل ضراب فأشار عليه بعض رجاله الأشداء بالانسحاب وعدم تحدي هذا الجيش الزاحف ، وبعد تردد وممانعة قوية استسلم لفكرة الهرب فأعد النساء والأطفال للمسير أولا ، واحتاروا في أمر الكنوز والأموال التي يسلبونها من القوافل والمدن ، فأخفوها في كهف عميق في جوف الليل ريثما يعودون ، ولما تم أمر دفنها في جوف كهف عميق أمر قسما من رجاله باللحاق بقافلة النساء وكان الأمير قيس وغلامه عبس قد استغلا الفوضى التي دبت في الجبل والوادي وهربا من السجن ، وسارا خلف قافلة النساء وبعد مسير مضن أدركا قافلة النساء ، ولكنهم وجدوها محاطة بحراسة مشددة ، فلم يتمكنا من الوصول إلى خيمة الأميرة سُلمى ، وذات صباح وهم ما زالوا يلتمسون حيلة يصلون بها للأميرة سمعوا صريخا وضجيجا في خيام النساء ، فأصغوا السمع فعلموا أن الأميرة سُلمى قد اختفت ، ولم تبت الليلة الفائتة في فراشها ، فأدرك الأمير أن الأميرة قد هربت أو تعرضت لسوء وغدر جديد ، ولاحظ أن القوم توقفوا عن البحث ريثما يصل ملكهم ، ولم يتابعوا البحث عن

الأميرة الغائبة ، فقام الأمير وغلامه عبس بمهمة البحث وبعد يومين من تعقب الآثار أدركوا الأميرة في أحد الوديان مع غلامه جُبار ، ولما شاهدهم جُبار من بعد ظن أنهم من رجاال الغضبان ، فاستعد للقتال فأشهر سيفه حتى اقترب منهما

الرجلان فصاح فيهما : لن تأخذوها حتى تقتلوني

وكانت الأميرة منهكة القوى من كثرة المشي وفي وضع حزين ومؤلم ، وسمعت كلام جُبار للرجلين فاستعدت هي الأخرى للموت والقتال فأشهرت سيفها وتمنت لو أنها تركب جوادا ولكنها قبل اللحاق بـجُبار الذي كان يعترض الرجلين ويتقدمها باتجاه الرجلين بعشرات الخطوات فوجئت به يعانق الرجلين ، ويقبل يد أحدهما ، ولولا ثقتها بإخلاص الغلام لها ، وقد رافقها منذ شهور في وادي السرحان لظنت فيه المؤامرة والخيانة ، ولكنها لما أمعنت النظر في عيون القادمين عرفت من هو هذا الرجل ؟ .. فهذه عيون قد رأتها منذ سنة أو أكثر في وادي الثعالب فاهتز قلبها وخفق خفقانا شديدا وهمست : الأمير قيس !

فقال بهمس وهو يقترب منها : أجل أيتها الأميرة أنا قيس بن خصيب قد وصلت إليك أخيرا كيف أنت ؟!

فقال بذهول وخشوع : بخير .. إنني بشوق لرؤيتك أيها الشجاع !!

فقال : لا بأس عليك .. ها نحن التقينا كما تواعدت عيوننا !

وجلسا على الأرض يتحدثان ويتناجيان حتى سمعا عبس يقول : أيها الأمير .. أسمع حوافر جياد في قلب الوادي .

فقال جُبار : ربما كانوا من رجال الغضبان .. فإذا اكتشف الغضبان هربنا لابد أنه سيلحق بنا فهو لا يرضى بالهزيمة مرتين .

ولم يطل الانتظار فقد ظهر بضعة رجال يركبون خيولهم وجيادهم ، ولما لمحهم عبس جيدا عرف أنهم من رجال الغضبان فقال للأمير : تسعة رجال وتسعة جياد !

امتشق الأمير الفارس سيفه وهزه بضع مرات في الهواء حتى علا أزيزه ، وشاهدهم الفرسان من بعيد ، فاندفعوا نحوهم فرحين ومسرعين ، وكان بعضهم يعرف الربيع ومسعودا فدهشوا لوجودهم مع الأميرة ، ولما وصلوا إليهم فقال رئيسهم بصوت عال مخاطبا للأميرة : لقد جن الزعيم من هربك أيتها الأميرة ! .. أنت سبب كل هذه البلايا ثم تهربين ! وأنتم ما الذي جمعكم بالأميرة ؟ ألم تهربوا وتخرجوا من سجن المدينة ؟!

فتقدم عبس مسعود منهم ووقف أمامهم وهو يصيح فيهم : أيها الرجال .. اهربوا قبل فوات الأوان .. فهذا الأمير قيس بن خصيب ، وقد أقبل إليكم لإنقاذ محبوبته الأميرة سُلمى ابنة جعد فتهامس الرجال بدهشة ورددوا : الأمير قيس !! الأمير قيس !!

فهتف قيس : نعم أنا الأمير قيس فارس الغبراء .. وأنا تركت الملك والديار والأهل للوصول للأميرة .. وها هو جيش والدي الملك قادم لإنقاذ الأميرة أيضا .. فالنصيحة أن تهربوا كما هرب أسيادكم .

فتناقش الرجال فيما بينهم وقال رئيسهم : أيها الأمير .. لا يمكن العودة بدون الأميرة فالقتل مصيرنا .. فلنتحارب فهنا موت وهناك موت .

فقال الأمير : أنا أعطيكم الأمان .



فقال رئيسهم : لا نريد أمانك ، نريد الأميرة الخائنة نشبت معركة شرسة بين الفرسان واللصوص ، وقد تمكن الأربعة من قتل خمسة وجرح أربعة فصرفهم قيس ، وبعدما استراحوا قليلا ركبوا جياد القتلى وأخذوا الجواد الخامس ، وساروا نحو بداية وادي السرحان حيث جيش بلادهم ، وبعد أيام من السير المتتابع وصل الأميران وعبس وجبار الجيش ، ففرح الأمراء بعودة قيس والأميرة معافيين ، وأرسل صقر بشيرا للملك خصيب ، وتابعوا المسير نحو مدينة اللصوص ، وقاموا بتدميرها ، وأعملوا فيها النيران ، ومكثوا هناك أياما ، ثم أخذوا بالعودة ، وبعد حين وصلوا لبلاد الرايات ظافرين منصورين فرحين ، وسر الملك خصيب بعودة ولده بعروسه من بين لصوص ومجرمي وادي السرحان ، وتقرر ذهاب الوزير غراب لبلاد أبي كبشة للاتفاق مع الملك جعد على زواج الأميرة سُلمى وكان الوزير قد أرسل غلاما له ليبشر الملك بحياة ابنته ، ولكن الغلام رجع بأخبار سيئة ، فقد وجد أن الأمير نحاس قد طرد الملك ، وشرد عشيرته ، وحبس الوزير النبهان وكبار الخصوم وذلك بعد معارك دامية بين العشيرتين ، واستولى على الملك عنوة ، ولما علم الملك خصيب بهذه الأخبار غضب أشد الغضب واستاء منها وأصابه الضيق والغم ، وأخذ يفكر بغزو بلاد الأكباش ولكن الوزير غراب أمره بالصبر والتريث حتى يعلموا أين هرب الملك جعد ؟ وجاءت الأخبار بعد حين يسير ، فقد نزل ضيفا على أحد الملوك ، وأنه هلك في إحدى البلاد المجاورة تأثرا وحزنا ، وقد قتل كل أولاده وكثيرا

من أمراء عشيرته خلال المعارك مع قبيلة نحاس ومن حالفهم ضد الملك جعد ، ومن تأثره بالحادث الصعب صدم ، وأصيب بموت مفاجئ ، فقال خصيب بغضب : لابد من قتل نحاس وأولاده .. كيف يهلكون ابن عمنا ونسكت على ذلك ؟!



فقال الوزير : بلادهم بعيدة عنا أيها الملك السعيد !

وعشيرة نحاس كثيرة الأفراد .. ولا وريث للعرش بعد مقتل أفراد وأسرة الملك جعد .. سأرسل بعض خاصتنا للاجتماع برجال الملك الميت ، ونرى رأيهم ، ثم نقرر الخطوة القادمة .

حزنت الأميرة سُلمى حزنا شديدا على موت والدها وأهلها واخوتها ، وحقدت حقدا عظيما على خالها نحاس وأمها ومقتتهم مقتا قاتلا ، وزاد حنقها على ماجد ، وصممت في أعماق نفسها على الثأر والأنتقام ، ووعدها الأمير قيس خيرا ، وأن يدعمها بجيش من جيوش أبيه حينما تأتي ساعة الثأر والإنقاذ وقال : ولكن علينا أن ننتظر عودة رجال الوزير غراب قبل الإقدام على شيء أو التسرع في الأفعال .

تأجل زواج الأميرين عدة أشهر حتى هدأت الأحوال وهدأت نفس الأميرة على قتلاها ، ثم عقد النكاح ، وتزوج الأمير قيس الأميرة سُلمى بنت الملك جعد ، وأسكنها في قصر الأقواس ورغم الاحتفال البهيج بالزواج كانت الأميرة حزينة جدا يوم فرحها ، ولولا المشقة والجهد الذي بذله قيس ورجاله ؛ لإنقاذها وإخراجها من وادي السرحان لربما عزفت عن الزواج ،

فقد كان قلبها أسود من الحقد والكره لـماجد وأبيه نحاس .

عندما علم الهاربون من قبيلة الملك جعد بحياة الأميرة سُلمى أخذوا يتوافدون على بلاد الرايات من كل حدب وصوب ، فكثرت أعدادهم في المدينة ، فأنشأ الأمير قيس مدينة جديدة بين بلاده وبلاد أبي كبشة سماها مدينة سُلمى على اسم زوجته ، وانتقل إليها وأخذ يحشد فيها رجال بلاد الأكباش ، وكان الأميران يتنقلان بين المدينتين ، وبعد خمس سنوات من الإعداد للمعركة دخل الأمير قيس على والده الملك يطلب منه قطعة من جيشه ، والإذن بمحاربة الملك نحاس ، وليسيروا إلى مملكة الملك جعد بن همام للثأر ، فبارك الملك الشيخ خصيب هذه الخطوة ، وأمر وزيره غراب ببذل الجهد المناسب لمساعدة الأميرة سُلمى باستعادة عرش أبيها ، وكان يرون أنه من حقها ومن حق أولادها من الأمير قيس ، وبعد أيام

كادت مدينة سلمى تخلوا من الناس ، عندما خرجت القبائل الموالية للأميرة لمحاربة الملك نحاس وعشيرته ، وكان الملك نحاس وقومه على علم بتحركات الأميرة سُلمى ؛ ولكنهم لما رأوا تلكؤها ظنوا أنها قنعت بالحياة في بلاد الرايات ، وقد فكروا باغتيالها أكثر من مرة ؛ ولكن حذرهم من غضب الأمير قيس ووالده كان يمنعهم ، ولما علموا بقدومهم للثأر والانتقام ، تقرر أن يخرج عقاب أكبر أبناء نحاس لمحاربة جيش الأميرة قبل وصولهم للبلاد ، فهم لم يطمئنوا بعد للبطون والأفخاذ التي تقطن مدينتهم بعد ، فالتقى الجيشان على بعد مسيرة يومين من بلاد أبي كبشة ، ودارت المعركة العنيفة بين الفريقين ، وبعد أيام من القتال الدامي والشرس أخذت جنود الأمير عقاب تتقهقر وتنسحب ، فما هبط الظلام حتى خلت أرض القتال منهم فقد هربوا وتركوا جرحاهم وخيامهم وقدروهم وقفلوا عائدين لبلادهم ، فسر الأمير قيس لهذا النصر ، وأمر بإسعاف الجرحى وإرسالهم لمدينة سُلمى مع الأسرى والمستسلمين حتى تنتهي المعركة الفاصلة ؛ فينظر في أمرهم ، ودفن القتلى من الفريقين.

ولما عاد الأمير عقاب لوالده مهزوما قلق القوم ، وتعاهدوا من جديد على القتال والصمود ، بل أرسلوا رسالات لبعض الملوك المجاورين يطلبون مساعدتهم وتدخلهم مقابل الأموال ، وأكثرهم اعتذر ورفض التدخل في هذا الشأن؛ ولكن الملك جنيدة بن غالب ملك بلاد المر وافق على المساعدة مقابل ألف ناقة وألف جواد وألف سيف وألف رمح وعشرة آلاف قطعة من الذهب،وبعد تفكير بمطالب الملك جنيدة رضي الملك نحاس بذلك ، وتم الاتفاق على ذلك ، فأرسل لهم الملك ألفي فارس من أشد فرسانه، وذلك بعدما وصله جزءا من هذه القيمة ولم علم الأمير قيس بذلك التحالف كتب إليه كتابا يحذر فيه الملك جنيدة من التدخل ، فسخر منه وأهان رسوله ، فتوعده الأمير قيس توعدا شديدا ، وأرسل لأبيه والوزير غراب يعلمهم بذلك التدخل، فاشتد غضب الملك خصيب على جنيدة ، فأمر بإعداد جيش لجب لغزو بلاد المر ، وكان على قيادة الجيش الأمير الشجاع صقر بن غراب ، ولما وصلت الأخبار للملك جنيدة ندم على تدخله بين الفريقين عندما رأى أن الحرب ستنقلب على بلاده ؛ ولكنه أصر على التحدي والصمود ، وأعد آلاف الفرسان لملاقاة جيش بلاد الرايات .

ولما استراح جيش قيس من أثر المعارك تقدم بهم نحو مدينة الأكباش ، وبعد أيام أحاط بها من جهة الغرب ، وخرج لهم ثانية الأمير عقاب بن نحاس ، وخرج معهم جنود الملك جنيدة

ودارت معركة كبيرة بين الطرفين ، بذل فيها الفريقان كل قوة وصبر وثبات ؛ ولكن بعد أيام من الصراع وضح للجميع أن فرسان الأمير قيس وفرسان الأميرة سُلمى أشد وأقوى ، وأن رجال جنيدة لم يفعلوا شيئا يذكر ، فازداد خوف نحاس وزعماء قبيلته من العاقبة ، فظهر فيهم الانقسام ، وأخذ الكبار يعاتبون نحاسا على إصغائه للصغار والشباب وحماسهم ، وطالبوه بإخراج الوزير النبهان والسادات من قبيلته وقبيلة الملك الراحل جعد ومحاولة الصلح مع الملك خصيب والأميرة سُلمى ، ومع اشتداد المعارك وكثرة القتلى في فريقه أمر بإحضارهم من السجن ، وحاول التفاهم معهم ، فأجاب الوزير النبهان : بعد كل هذه السنوات تريد التفاهم معنا يا نحاس ؟!

فصاح بعض الشباب : صهٍ أيها الحقير .. قل الملك نحاس .

ضحك الوزير المحبوس النبهان منذ سنوات وتمتم هازئا : الملك نحاس!.. يا الله ! .. دافعوا عن هذا الملك .. إيه لقد نسيتم عاقبة الظلم والافتراء ، وتحلمون بأمجاد قديمة نسيتم ما صنع آل جعد لهذه البلاد وللعباد !

فقال نحاس: أيها الوزير ! أنت رفضت وزارتنا وقبلت السجن وفاء لمولاك الهالك .. ولم نأت بك لنسمع مثل هذا الكلام .. رأى كبار قومنا أن يجعلوك شفيعا لنا عند الملك خصيب والأميرة سُلمى وستذهب رسولا منا ، وسيرافقك بعض سادة العشيرة ومن آل جعد أيضا .. فنحن نريد أن نسمع شروط الصلح .. فالحرب كما تعلم أخذت الكثير من الأنفس والشباب والرجال .. فالصلح سيد الأحكام أيها الوزير .

وبعد جدال وعتاب وافق الوزير بالسير لملاقاة الأمير قيس وزوجته الأميرة سُلمى ، ولما اجتمع الوزير بالأميرة وزوجها وعرض عليهم صلح نحاس قالت الأميرة هازئة حانقة : وعلى ماذا نتصالح ؟! على وقف القتال فحسب ؟!

فقال الوزير : على حقن الدماء وحل المشاكل بالكلام والسلام .

فقال قيس : لا كلام ولا سلام .. الحل الوحيد القتال حتى الموت أو الاستسلام ، ولا مكان لقبيلة نحاس وعشيرته في هذه المدينة .

فقالت سُلمى : وأن يسلم لنا الأمير ماجد بن نحاس ليأخذ جزاءه ، ثم يخرجون من المدينة من غير خيل ومال وسلاح .

ولما سمع الوزير شروط الأميرة للصلح ، قال النبهان لشيوخ عشيرة نحاس: ها أنا نقلت رسالتكم للأميرة ، فانصرفوا راشدين ، وأما أنا فسأبقى عند ملكتنا الجديدة .

وعاد شيوخ عشيرة نحاس فأخبروه بشروط

الأميرة وتصرف الوزير النبهان ، فعض على أنامله من الغيظ ، فصاح ماجد : يا أبي ! علينا أن نقاتل حتى الموت .

فقال نحاس يائسا : هذا هو الحل .. سأخرج غدا للقتال بنفسي .

وتجدد القتال بين الفريقين ، وتمكن أحد قادة الأمير قيس من اقتحام المدينة أثناء القتال ، فدب الصريخ في المدينة أن جنود الملك خصيب دخلوا المدينة ، فانهار جيش نحاس وتفرقوا يمينا وشمالا ، وسقط نحاس جريحا ، فسيق إلى خيمة السجن ، وما أتى الليل حتى كان قيس والأميرة سُلمى يدخلان قصر الأمارة والسلطان ، ويعطيان الأمان للناس والجنود الهاربين ، وكانت سُلمى قد كلفت بعض رجالها وأقاربها بالبحث عن جثة الأمير ماجد ، فلما ظهر الصباح كانت المدينة قد بايعت الأميرة سُلمى ملكة على البلاد والعباد ، وأمرت الملكة الجديدة كل رجل من قبيلة نحاس قد اختبأ في بيته أن يخرج من المدينة ناجيا بروحه فقط ، ومن نجا من جنود جنيدة سيق للسجن ، ولم يجدوا ويعثروا على جثة الأمير ماجد ، فقالت الملكة لنفسها : لابد أنه هرب قبل سقوط المدينة ! وبعد أيام يسيرة عاد الهدوء للمدينة ، وجمعت الأموال والخيول ، فأمرت الملكة بإعطاء جنود الملك خصيب كل فارس وجندي جوادا وعدة حرب ومائة قطعة ذهبية ، ومن قتل خمسمائة قطعة ذهبية لأهله ، ونبذ نحاس في السجن ، ومعه كبار عشيرته وأبناؤه الذين لم يقتلوا اثناء المعركة الفاصلة .

ضياع الأمير

وبينما أهل مدينة أبي كبشة غارقون بالأفراح والليالي الملاح ، وقد أرسلوا البشائر للملك خصيب بن مرار ، جاءتهم أخبار مؤلمة خصوصا للملكة الجديدة سُلمى والأمير قيس دخل عليهم جُبار الخادم المخلص ليلا ، وأسر لهما خبر ضياع الأمير الصغير سيف الزمان .. ابنهما البكر ذو الأعوام الأربعة ، تفاجأ الأمير والملكة لهول الخبر ، ولما تماسكا أعصابهما التي اهتزت قال قيس : كيف ذلك أيها اللعين ؟!

فقال الخادم الأمين بحزن ودموع : لا ندري كيف غفلت عنه العيون يا سيدي الفارس؟! نحن نتابع أخباركم ورسائلكم ، وقد سررنا بانتصاراتكم ، وقبل أيام كانت الجارية نعمة تلاعب الأطفال الثلاثة في أطراف قصر الأميرة في مدينة سُلمى كما تعلم ، وعطش الأميران الصغيران فذهبت بهما الجارية لتسقيهما ، وتركت الأمير البكر سيف الزمان يلعب على الأرجوحة ، ولما دخلت القصر سمعت صرخة ؛ ولكنها لم تهتم بها ولم تكترث لها ، فلما أسقت الأمراء عادت حيث تركت الأمير

الصغير فلم تجده على الأرجوحة ، فنادت هنا وهناك ولم تسمع ردا ، ولم تشعر بحركة فتذكرت الصرخة .. فتمشت نحو الأسوار ظانة أنه تسلق على السور وبحثت بين الأشجار فلم تجده ، فأسرعت إليّ ، فنهضت مسرعا أنا والغلمان الآخرون نبحث عنه ، فلم نعثر عليه داخل أسوار القصر ولا حول القصر ؛ ولكننا وجدنا خطوات غريبة وآثار أقدام تتجه ناحية السور القريب من مكان لهو الصبي ، أبلغت رئيس الحرس الفارس كراز فأمر بالبحث في أطراف المدينة وحول القصر، فلم نجد له أثرا ، فقد اختفى أو سرق الأمير ، ولما يئسنا من البحث جئت إليكما بهذا الخبر السيئ ..

وبعد صمت قاتل همست الأميرة قائلة : أتظن أن ماجدا اللعين قد فعلها ؟!

تطلع الأمير في عينيها وقال ببطء : أتظنين ذلك ؟! يا الله !! يا ويله !!.. سأقتله شر قتلة وأشرب من دمه اللعين .. هذا جبن ونذالة !! سأعود للبلاد يا ملكة سُلمى .. ابقِ هنا لترتيب أمر هذه البلاد وسأطلعك على الأخبار أولا بأول ..

ذرفت الملكة سُلمى الدموع الغزيرة وقالت من بين الدموع المنهمرة كالمطر : إنه حقود !! مجرم قاتل !! سأبحث عنه في كل بلاد الدنيا وأهلكه .

فقال الأمير قيس : سأرسل عبس الشجاع وراءه .. ابحث لي عن عبس يا جُبار وسنتحرك صباحا إلى المدينة .

أحضر جُبار عبسا، فأطلعه الأمير قيس على جلية الخبر فحزن وأسف ، ثم قال متسائلا : أتظن أنه استطاع الفرار والوصول لبلادنا بهذه السرعة ، وأن يـفعل هذه المكيدة إني أشك في ذلك ، فيوم المعركة الأخيرة كان ماجد هذا بين الفرسان ، فقد سمعت صوته وكنت قريبا منه قبل أن يتوارى عن الأنظار .

فقال قيس : ليس لنا أعداء إلا هو !

فقال عبس باسما : ويح الأمير!!.. فنحن لنا أعداء كثر ، كل قوم ماجد أعداء لنا ، ولا تنس الملك جنيدة .

فقال : ولكنه مشغول بالحرب مع بني قومنا .. وما الغاية من خطف ابني ؟! .. فـماجد هو صاحب المصلحة الأولى في إيذائي أنا والملكة أم سيف .. هذه مهمتك يا صديقي العزيز ؛ فأنا راحل مع الفجر نحو البلاد لأدبر الأمور ..

حزن الناس لما عرفوا بقصة اختطاف ابن ملكتهم ، وأصاب الملك خصيب حزنا شديدا على فقد الأمير الصغير ، وكادت تذهب روحه من الأسف والبكاء على الحفيد الغالي ، وانتشرت عيون قيس و خصيب في البلاد والأمصار ؛ ولكن لا حس ولا خبر ولا أثر هجر أكثر الناس مدينة سُلمى بعد

رحيل قيس و سُلمى عنها ، واجتمع الوزير غراب بالتجار وطلب منهم البحث والسوأل عن ابن أميرهم أثناء رحلاتهم وتجاراتهم .. وأثناء البحث أخبر الأمير صقر الملك خصيب أن الملك جنيدة يرغب بالاستسلام والصلح ولقاء الملك ، فبعد تشاور أمر الملك خصيب القائد صقر بوقف القتال وإرسال الملك جنيدة وفدا من قومه لإتمام الصلح ، وبعد حين أقبل الملك جنيدة على بلاد الرايات يطلب العفو والسماح من الملك خصيب بعدما قبل رأسه ويديه واعتذر وتأسف وندم لتسرعه بالتحالف مع الملك نحاس الغاصب لعرش بلاد الأكباش .. وبعدما تم الصلح كان من ضمن شروطه أن ينكح الملك جنيدة ابنته الوحيدة للأمير قيس ، فرضي بذلك النسب وتصالحوا على القتلى وجرى الصلح بينهم .. وعاد جنود الملك خصيب إلى البلاد ، وبعد ردح من الزمن تم زفاف الأميرة الشماء على الأمير قيس بن خصيب .

وكان قيس يقضي فصل الربيع في بلاد أبي كبشة عند زوجته الملكة ، ثم يعود لبلاده ثانية ، وحاولت الملكة أخذ أولادها عندها ، فرفض الملك خصيب ذلك حتى يكبروا ويصبحوا شبانا فالأمير مرعي أصبح ابن ثلاث سنوات ، والأميرة الصغيرة ابنة سنة ونصف واسمها الأميرة جميلة .. وكانت الملكة تتردد على مملكة خصيب في فصل الخريف فتمكث أسبوعين ثم تعود لإدارة شؤون مملكتها ، وسر الأمير قيس بابنة الملك جنيدة الشماء ، واكتمل فرحه عندما وهبهما الوهاب منها ابنا جميلا مثلها ، فعمت الأفراح في الممالك الثلاث ، ولكن الغصة بفقد الأمير سيف الزمان ما زالت في حلوق القوم ، ولكن الأيام تنسي وتضعف الذكرى ، ولم يتمكن عبس وجُبار وغيرهم من رجال وحاشية الأمير قيس من الوصول للفاعل والخاطف ، وفشل مثلهم التجار بسماع أي خبر يخص الأمير المخطوف ..

وأتت السنون وقضى الملك خصيب نحبه ، وأقيمت عليه الأحزان وأطعم الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام ، وذبحت عنه الأنعام ، ووزعت عن روحه الأموال ، ثم بويع قيس بالملك وريثا لأبيه خصيب .. والعجب أن الفرس دموع فرس خصيب قد ماتت بعده بأيام قلائل فتعجب الناس من ذلك .. ❊ تمت ح١

الثَّعْلَبُ وَالْبَعُوضُ

بَعْدَ أَنْ عَبَرَ الثَّعْلَبُ النَّهَرَ اشْتَبَكَ ذَيْلُهُ فِي أَجَمَةٍ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ حَرَاكًا. شَهِدَ عَدَدٌ مِنَ الْبَعُوضِ وَرْطَةَ الثَّعْلَبِ، فَحَطَّ عَلَيْهِ يَمْتَصُّ دَمَهُ وَيَتَمَتَّعُ بِوَجْبَةٍ جَيِّدَةٍ دُونَ أَنْ يُؤَرِّقَهُ بِذَيْلِهِ. وَكَانَ هُنَاكَ قُنْفُذٌ يَتَجَوَّلُ عَنْ قُرْبٍ فَرَثَى لِحَالِ الثَّعْلَبِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ فِي وَضْعٍ

سَيِّءٍ أَيُّهَا الْجَارُ، هَلْ تَوَدُّ أَنْ أُسَاعِدَكَ بِأَنْ أَطْرُدَ عَنْكَ هَذَا الْبَعُوضَ الَّذِي يَمُصُّ دَمَكَ؟» فَقَالَ الثَّعْلَبُ: «شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدُ قُنْفُذُ، وَلَكِنِّي لَا أُحَبِّذُ ذَلِكَ.» فَسَأَلَهُ الْقُنْفُذُ: «عَجَبًا! كَيْفَ ذَاكَ؟»! فَمَا كَانَ جَوَابُهُ إِلَّا أَنْ قَالَ: «حَسَنٌ، انْظُرْ، هَذَا الْبَعُوضُ قَدْ أَخَذَ كِفَايَتَهُ، فَإِذَا طَرَدْتَهُ بَعِيدًا فَسَوْفَ يَجِيءُ بَعُوضٌ آخَرُ ذُو شَهِيَّةٍ جَدِيدَةٍ فَيُدْمِينِي حَتَّى الْمَوْتِ».

الثَّعْلَبُ وَالْغُرَابُ

رَأَى الثَّعْلَبُ غُرَابًا يُرَفْرِفُ مُصَعِّدًا وَفِي مِنْقَارِهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْجُبْنِ، ثُمَّ يَحُطُّ عَلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ، فَحَدَّثَ السَّيِّدُ ثَعْلَبٌ نَفْسَهُ قَائِلًا: «لَسْتُ ثَعْلَبًا إِنْ لَمْ أَظْفَرْ بِهَذَا الْجُبْنِ.» وَمَشَى حَتَّى بَلَغَ أَسْفَلَ الشَّجَرَةِ، وَنَادَى قَائِلًا: «صَبَاحَ الْخَيْرِ يَا سَيِّدُ غُرَابُ، مَا أَجْمَلَكَ الْيَوْمَ! وَمَا أَجْمَلَ رَفِيفَ رِيشِكَ وَبَرِيقَ عَيْنَيْكَ! إِنَّ كُلِّي ثِقَةٌ أَنَّ صَوْتَكَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحْلَى مِنْ صَوْتِ سِوَاكَ مِنَ الطُّيُورِ، تَمَامًا مِثْلَمَا أَنَّ صُورَتَكَ أَجْمَلُ مِنْ صُوَرِهَا. أَسْمِعْنِي وَلَوْ أُغْنِيَةً وَاحِدَةً مِنْكَ؛ حَتَّى أُحَيِّيَكَ كَمَلِكٍ لِلطُّيُورِ.» هُنَا رَفَعَ الْغُرَابُ عَقِيرَتَهُ وَبَدَأَ يَنْعَقُ جُهْدَ اسْتِطَاعَتِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي فَتَحَ فِيهَا فَمَهُ هَوَتْ قِطْعَةُ الْجُبْنِ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَلَقَّفَهَا الثَّعْلَبُ مِنْ فَوْرِهِ وَازْدَرَدَهَا قَائِلًا: «ذَلِكَ مَا كُنْتُ أَبْغِي، وَلَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي مُقَابِلِ جُبْنَتِكَ سَأُسْدِي إِلَيْكَ نَصِيحَةً تَنْفَعُكَ فِي مُقْبِلِ الْأَيَّامِ: «لَا تُولِ الثِّقَةَ بِكُلِّ مُتَمَلِّقٍ مُدَاهِنٍ».»

الْحِصَانُ وَالصَّيَّادُ وَالْأُيَّلُ

نَشِبَ عِرَاكٌ بَيْنَ الْحِصَانِ وَالْأُيَّلِ، فَأَقْبَلَ الْحِصَانُ إِلَى أَحَدِ الصَّيَّادِينَ؛ لِيَطْلُبَ عَوْنَهُ حَتَّى يَثْأَرَ مِنَ الْأُيَّلِ، وَافَقَ الصَّيَّادُ عَلَى طَلَبِ الْحِصَانِ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْهَرَ الْأُيَّلَ فَاسْمَحْ لِي بِأَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْقِطْعَةَ مِنَ الْحَدِيدِ بَيْنَ فَكَّيْكَ؛ كَيْ مَا أَقُودَكَ بِهَذَا الْعِنَانِ، وَاسْمَحْ لِي بِأَنْ أَضَعَ هَذَا السَّرْجَ عَلَى ظَهْرِكَ؛ كَيْ مَا أَبْقَى ثَابِتًا عَلَيْكَ وَنَحْنُ نُطَارِدُ الْعَدُوَّ». رَضِيَ الْحِصَانُ بِالشُّرُوطِ. فَمَا لَبِثَ الصَّيَّادُ أَنْ أَسْرَجَهُ وَأَلْجَمَهُ، عِنْدَئِذٍ، وَبِمَعُونَةِ الصَّيَّادِ، هَزَمَ الْحِصَانُ الْأُيَّلَ فِي الْحَالِ، ثُمَّ قَالَ لِلصَّيَّادِ: «الْآنَ انْزِلْ وَانْزَعْ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ مِنْ فَمِي وَظَهْرِي.» فَقَالَ الصَّيَّادُ: «لَيْسَ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ يَا صَدِيقِي. لَقَدْ جَعَلْتُكَ الْآنَ تَحْتَ الشَّكِيمَةِ وَالْمِهْمَازِ، وَأُفَضِّلُ أَنْ تَبْقَى كَمَا أَنْتَ فِي الْوَقْتِ الْحَالِي».

الرَّجُلُ وَالْإِلَهُ الْخَشَبِيُّ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ النَّاسُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْأَحْجَارَ وَالْأَوْثَانَ، وَيُصَلُّونَ لَهَا؛ لِكَيْ تَمْنَحَهُمُ الْحَظَّ. وَقَدْ حَدَثَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُصَلِّي كَثِيرًا لِوَثَنٍ خَشَبِيٍّ وَرِثَهُ عَنْ وَالِدِهِ، غَيْرَ أَنَّ حَظَّهُ لَمْ يَبْدُ عَلَيْهِ أَيُّ تَغْيِيرٍ، صَلَّى الرَّجُلُ وَصَلَّى، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ سَيِّئَ الْحَظِّ كَمَا كَانَ دَائِمًا.

وَذَاتَ يَوْمٍ اسْتَبَدَّ بِهِ غَضَبٌ شَدِيدٌ فَأَقْبَلَ عَلَى الْإِلَهِ الْخَشَبِيِّ، وَبِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ طَرَحَهُ أَرْضًا مِنْ قَاعِدَتِهِ، فَانْفَلَقَ الْإِلَهُ نِصْفَيْنِ. فَمَاذَا رَأَى؟ عَدَدًا هَائِلًا مِنَ الدَّنَانِيرِ تَتَطَايَرُ هُنَا وَهُنَاكَ فِي طُولِ الْمَكَانِ وَعَرْضِهِ.

كمل الجزء ١٥



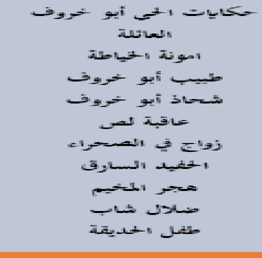
مشاهد تربوية
منشورات المكتبة الخاصة
كلام المكاتب
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة
حديقة الازهار
مواقف ارشادية
الزمردة
حجر القمر
الجواهر العشر
غربتي وابنتي
قصص المصباح المضيء
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين
الفوارس
حضرم بن سلام
رُمان
القصر المهجور
قريشا . . .
هو أنت لاجئ
عبد الله البحري
مملكة مالوقيا والملك بربار
الأميرة نهر الأحلام
قطبة بن سنان
الأمير جفر
التحقيق الجنائي والجريمة
صورة الأم
بصمة وراثية
رجل اسمه سنار
حسان والطير الذهبي
زهلول في أرض الجآن
وصية جديدة
مغامرة النادي
مصرع المدير
شارع البحيرة الخامسة
ليموت الماضي

























قصص المصباح المضيء

قصص وحكايات الفوارس			
١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جنر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بريار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجيلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غريتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	













